







مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِيٍّ

٣٨

المجلد السادس والثلاثون

السنة ١٣٨٤ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

بدل الاشتراك

٤ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خراج الجمهورية
وللمدنيين والطلاب
تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
للتعاون
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت: ٩٠٥٩١٤

بصدور منشور الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الأول - السنة السادسة والثلاثون - المحرم سنة ١٣٨٤ هـ - يونيو ١٩٦٤ م

سما الما

١٢
ص

الأدب الحرام

دور

بقتلم : أحمد حسن الزيات

لا أدبا، وهوى لا عقلا، وغريزة لا خلقا
وصناعة لا طبيعة، وحينئذ تنزل إلى دنيا
الواقع، فتصور المبادئ بريشة الفنان،
وتصف الرذائل بقلم الأديب، ولا يبتغي
الفنان والأديب من وراء ذلك إلا لذة القارى
لا إفادته، وإثارة السامع لا إنفادته.

هذا الانحراف الأدبي قد فشا في أوروبا
بعد الحربين العالميتين فنشأ عنه نوطان من
الأدب أحدهما أدب اللذة وأمره يسير،
والآخر أدب المجون وأثره خطير. فأما أدب
اللذة وهو ما يسميه الفرنسيون اليوم :
(اللذة الأدبية) (لاد لكتاسيون ليترب)

La délectation littéraire

الأدب عطر النفس الزكية وشعاع الروح
اللطيف : ينفخ الحس فيزكيه، ويضئ العقل
فهديه، وهو الجزء الروحي من كل نفس،
والنفس الإلهي في كل قلب، والخصيصة التي
تميز بها آدم من كل حي، بلغت رسالات الله
إلى خلقه بلسانه، وانجملت عمايات النفوس
بنوره، وهددت آلام الخليقة بأنغامه،
ورسمت أمثال العليا للناس بوساوس أحلامه.
ولولا خلال منها الشعر ما درى

بناء المعالي كيف تبنى المسكارم
على أن هذه الملكة الطيفة قد تتعرف
باختلال العقل أو انحلال الخلق فتصبح فنا

الأفاكيه ، وخير ما في الصحيفة الصور ،
وخير ما في الغزوة التهريج .

فإذا كان الناس في أوروبا قد انصرفوا بعد
الحرب من أدب المنفعة إلى أدب اللذة فإن
ذلك وإن طال عرض سيزول ، لأن ثقافة
النفس في الغرب أصيلة وحب المعرفة
في أهله طبيعة .

أما عندنا فإن القراء يكفون على هذا
الأدب لأنه رضا السطحية الغالبة وهو
العامية العربية ، فهو الأصل ، وما جاء على
أصله لا يسأل عن علته ولا يتعجب
من وجوده .

وأما أدب المجون فيختلف عن أدب اللذة
في الدواهي التي تدعو إليه ، وفي الدواهي
التي تنجم عنه ، فمن دواهي أدب اللذة عامية
الذهن أو سطحية الفكر أو سامة الجذ ،
وهي أهراض طارئة مصيرها إلى الزوال ،
وانحراف عن الطبيعة مآله إلى الاعتدال ، ومن
دواهي أنه يلفظ أهله على ساحل الحياة فلا
يخوضون العباب ولا يغوصون على الجواهر ،
ويدفعهم إلى هامش الوجود فلا يكون لهم في
مشه مكان برمق ولا شأن يذكر .

ولكن دواهي أدب المجون التنفيس عن
رغبة مكظومة والتعبير عن عاطفة جائشة
والتحرر من التزامات مقيدة .

وهي خواص في طبع الإنسان تلزم لزوم

فهو أدب بلذ ولا يفيد ، ويسوخ ولا يفدى
ويشغل ولا ينبه ، كاللذي تقرأ في أكثر
الصحف وبعض القمص مما يجذبك عرضه
ويلذك تصويره ويلهيك موضوعه فإذا
فرغت من قراءته لا تجد له رجعا في نفسك
ولا حاصلًا في ذهنك

طغى هذا الأدب على الأفلام في أوروبا
بعد الحرب فهزم الكتاب النافع ،
وطرد البحث المفيد ، فثارت نائرة أقطاب
الكتابة وانحوا بالفكر على معالجه
ومروجيه ، وحاولوا أن يفتحوا أعين الناس
على أخطاره بما نشروا وأذاعوا ، ولكن
العلة كانت أفدح مما ظنوا . فإن الأعصاب
لقد أوهنتها الحرب بفظائعها وفواجعها
وتوابعها لم تعد قادرة على معاناة الجذ واحتمال
التقصي . فرجعوا يتحاورون ويتشاورون
ويطلب بعضهم إلى بعض أن يدسوا الفائدة
في اللذة ، ويمزجوا المرارة بالحلاوة تهريفا
على الأعصاب المنهكة وتسكينًا للنفوس القلقة .
ذلك هناك ، أما هنا فالأمر مختلف .

لا أعصابنا موهنة من حرب ولا نفوسنا
قلقة من ضيق ، إنما هي الثقافة الضحلة والامية
الفاشية والتربية المهملة والصبر الفارغ والطبع
الستوم والوقت المضيع والحياة الهازلة .

خير ما في المدرسة الألعاب ، وخير
ما في المجلس النكس ، وخير ما في الكتاب

ولا تزال ذواكر المعاصرين تعى ما تلقفته
الآفواه من مجون حافظو الرصافي وإمام العبد
والهراوى عالم تسجيله صحيفة أو يدونه كتاب.
على أن هؤلاء جميعا كانوا يفتشونه لا أنفسهم
لأن الناس ، ويتناقضونه في السر لا في العلن ،
ويتفكسون به في المجالس الخاصة لافى الجماع
العامة ، ولو كان لهم ما لنا اليوم من طباعة
تنشر وصحافة تذيب وجهور يقرأ لتحرجوا من
أكثر ما قالوه . فإن الناس منذ بث الله الحياء
في أبويهم آدم وحواء غصفا على جسديهما
العاريين من ورق الجنة شعروا أنه للجسم
عورات لا يجوز أن تظهر ، ولما هذبهم
الدين وثقفهم العلم وصقلهم التحضر شعروا
كذلك أن الفكر عورات لا يليق أن تنشر ،
فهم بحكم الحرية والاستقلال والانطلاق
يقولون ويفعلون في خصلواتهم ومبادئهم
ما شاءوا ، ولستكنهم بحكم الدين والآفاقون
والعرف يسترون سوءاتهم ونزواتهم
ما استطاعوا ، فلا يقولون كل حق
ولا يصورون كل حالة ولا يظهرون كل
مضمهر ، مراعاة لشعور الجماعة ومحافظة على
كرامة الإنسان .

أدب المجون يجوز إذن أن يقال ، ولكن
لا يجوز أبدا أن يعلن ، والرفيق على هذا
الآداب ضمير السكاتب وكرامة القارئ . فما
دام للسكاتب ضمير يحيمه الدين القويم والخلق

البكاء والضحك ، وتدوم دوام الهزل والجهد
وأقل دواهيه أن تزول الحدود بين المعروف
والمنكر ، فلا يكون فارق بين حلال وحرام
ولا بين فوضى ونظام ولا بين إنسان وحيوان.
أدب المجون إذن خاصة تلزم لا عرض
ينفك . ذلك لأن حياة الإنسان من لوزامها
الحياء والوقاحة والعفة والفجور والاحتشام
والتبسط والتصون والتبذل ، والآداب المطلقة
صورة لهذه المتناقضات جميعا فالفنان الشاعر
أو السكاتب أو المصور لا بد أن يعبر بطريقته
الخاصة عن كل ما يجول في نفسه أو يقع
تحت حسه . وكلما كان هذا التعبير صادقا كان
أدخل في باب الفن وأوغل في طريق السكالك .
من أجل ذلك كان أدب المجون ثابت الوجود

في أدب العالم كله ، وهو في الأدب العربي عريق
الأصل . ظهر منذ قال العرب الشعر ورووا
منه لامية امرئ القيس ودالية النابغة ورائية
بشار^(١) وغزوات بن أبي ربيعة وفواحيش
أبي نواس ومنديات ابن إلياس ومخازي ابن
سكرة وأحاض ابن حجاج ، وظل الآداب
في كل زمان ومكان ينظمون المجون ويفترونه

(١) من هذه القصيدة التي قالها بشار في مراعاة
خلاها هذان البيتان :

ماذا بأى إذا رأيت شفتى
أو كان منك الحديث يتهمر
قولى لها بقة لها ظفر
إن كان في البق ماله ظفر
(والبقى من أسماء البعوض)

بالذكاء البارع والقرينة النافذة ، ولكنه
أفسد بكتابيه شباب روما فحق عليه أن يموت
في سجن سمراسيا .

وكتب فلوير القصصى الفرنسى قصة
(مدام بوفارى) فوجد الناس فى أسلوبها
خروجاً عن مذهب الحياء فرفعوا أمره
إلى القضاء فحكم عليه بالكف عن معالجة
هذا النوع من القصص .

ونظم (بودلير) الشاعر الفرنسى ديوانه
(أزهار الشر) فثار على جرأته أهل الحفاظ
والنخوة وساقوه إلى القضاء فحكم عليه
بغرامة قدرها ثلثائة فرنك وإعدام
ست قصائد من مطولاته .

فلما زلزل الله أركان الأرض بالحربين
العالميتين كما قلت انقلبت الأوضاع وتغيرت
الطبائع واختلت المقاييس وبرد الدم الحار
وبلد الحس المرفف وغلظ الجلد الرقيق
فشاع الإغضاء وساغ البذاء وقلت المبالاة
وسكنت الحمية حتى صار الفجور ديناً له
أنبياءه ومبشروه . فن أنبيائه فرويد وجيد
وسارتر ، ومن مبشريه لورنس وفكتور
مرجريت . أما الاتباع فهم عبدة التقليد
ومسوخ الفن ومشوهو الخلق من أمثال فلانة
فى فرنسا وفلانة فى لبنان وفلان فى مصر .

ومن كبار الأدباء الذين راعهم هذا الدين
فرنسوا مورياك فقد حزه الأمر وأحزنته

السكرىم فانه يستكرم عن المهبوط إلى حضيض
القوادين الذين يزينون الفحش ، والمهربين
الذين يروجون المخدر ، وما دام للقارىء
كرامة يقويها الحس الصادق والطبع السليم
فانه يتنزه عن سماع الحجر ودوية المنسكر ،
والناس فى الشرق والغرب ، وفي القديم
والحديث كانوا كذلك قبل أن تقوم قيسامة
الحرب العامة التى أهلكت فيها أهلكت تراث
الإنسانية والمدنية من كريم الشئائل وحر
الخلال .

هتك بشار فى بعض شعره ستر الحشمة
فتقم الناس منه ذلك وتمنوا موته صونا
للعداوى وغيره على المخدرات حتى قال مالك
ابن دينار : ما شئ أدعى لأهل هذه
المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأحمى
الملحد ، وانتهى المجون ببشار إلى أن أمر به
الخليفة المهدى ف ضرب بالسوط حتى هلك !
واشتهر أبو نواس فى الغزل واسترسل
فى الفجور حتى حبسه الخليفة الأمين ،
ولم يكده يخرج من ظلام الحبس حتى دخل
فى ظلام الرمس !

وألّف الشاعر الرومانى د أوفيد ، كتابه
(فن الحب) فرأى فيه القيصّر أغسطس
إفساداً للناس فبنى المؤلف إلى (سمراسيا)
وقال لطيباريوس حين سأله العفو عنه :
لا أنكر أن أوفيد شاعر ميزته الآلهة

يعيش معه ، وحطم المجتمع الذى يضطرب فيه ، والأدب الذى أطلق هذا البهيم بتعليق غزائره . وتحريض شهواته سيفتسى أمره لا محالة إلى أن يصير آفة تنق وجرثومة تحارب ، لأن فى ابن آدم محكة داخلية نسميها الضمير إذا تعطلت حينئذ فلن تعطل أبد الدهر .

وأما سؤاله عن أسبابه فالأمر بيننا وبينهم فى جوابيهما جند مختلف . إن أسبابه عندكم هى المرض وإن أسبابه عندنا هى العدوى . ولا أقصد بالعدوى عدوى حدوث المجون فإن المجون كما قلت أصيل فى كل نفس ، عريق فى كل أدب ، إنما أقصد بالعدوى عدوى نشره فى الصحف والكتب والتثليل بنوعيه المحقق والمصور .

ليس على المرء من حرج أن يماجن صحبه الأذنين فى مجلعه الخاص . وليس عليه من حرج أن يعمرى فى غرفة نومه أو فى حمام بيته ، إنما الحرج كله أن يماجن فى ملا أو يعمرى فى شارع . والذين يسمعونهم ففحشا ولا يعترضون ، أو يرونه عاريا ولا يعرضون لا يقولون بجونا ولا جفونا عنه .

فالمسألة فى أدب المجون مسألة ضمير فى الكاتب والناشر ، وكرامة فى القارىء والناظر ، فى وجودهما وعدمه ، وفى عدمهما وجوده .

أصغر من الزينات

الحال حتى ألقى ثلاثة أسئلة على صفوة من رجال العلم والأدب فى أوربا يرجو أن يجد فى الأجوبة عنها طبا لهذا الداء وكشفا لهذا البلاء ، قال :

١ — هل تجد فى انصراف الأدب إلى التعبير عن شهوات أنجسد العارض خطراً على الفرد وعلى الجماعة وعلى الأدب نفسه ؟

٢ — من هم الأدباء الذين تقع عليهم التبعة فى انحطاط الأدب الحديث ؟

٣ — أى المذاهب قد ساعد على هذا الانحطاط ؟

فإذا فرضنا أن هذه الأسئلة ألقىت علينا كما ألقىت عليهم فبماذا نجيب عنها ؟

يسأل مورياك ثلاثة أسئلة عن أدب الفحش ، أولها عن نتائجه ، وثانيها وثالثها عن أسبابه . فأما سؤاله عن نتائجه فما أظن جوابنا عنه يختلف عن جواب زملائه الأوربيين فى شئ ، لأن خطر الأدب الفاضح على الفرد والجماعة وعلى الأدب فى نفسه لا يمارى أحده فيه لا منا ولا منه . وهل يمارى أحد فى أن البهيم الذى يساكن الإنسان فى جسده إنما يروضه ويسكبه الأدب القائم على العقل والدين والعلم ، قارة بالفظام واللجام ، وتارة بالسياسة والملاينة فإذا فسدت طبيعة هذا الأدب فانقلب القيد سوطا يلعب ، والشكيمة مهمزاً بحث ، أفلت البهيم من ربقة فافترس الإنسان الذى

التطورات التشريعية للطلاق

للأستاذ محمد محمد المدني

— ٢ —

انتهينا فيما سبق إلى أن العالم قبل الإسلام ، كان يتنازع في شأن الطلاق مبدآن :

أحدهما : عدم الاعتراف بمشروعيته إلا في حالة واحدة هي حالة الزنا من أحد الزوجين .

والثاني : الاعتراف بمشروعيته على تفاوت في تقرير هذه المشروعية ، بالنسبة لصاحب الحق فيه ، وللظروف التي يستعمل فيها هذا الحق ، والأسلوب الذي يكون به ، وأن هذا التفاوت قد وصل في بعض المجتمعات إلى حد التعسف من قبل الزوج ،

رغبة في اضطهاد المرأة وإهدار كرامتها الإفسائية ، وحقوقها الزوجية ، بل إلى حد التلهي بالطلاق واتخاذة هزواً ولعباً .

الطلاق في الإسلام :

فلما أشرقت شمس الإسلام ، وجاءت شريعة الفطرة والعدل والرحمة والتوسط الذي يأبى الإفراط ، ويتميزه عن التفريط ؛ شرع الله قانوناً يحكم بالطلاق ، يقوم على المبادئ الآتية :

١ - الاعتراف بمبدأ الطلاق كنهاية

حاسمة لحياة زوجية لم يعد من الممكن استمرارها .

ولا شك أننا نرى في الحياة صوراً كثيرة تمثل ألوان الشقاء ، واستحكام العداء بين الزوجين ، فإذا ألزماها باستمرار هذه الحياة في ظل ما يكابدانه من شقاء ، فقد أغضنا العميون عن الواقع ، وفرضنا على الطبيعة البشرية ما لا تحتمله ، وليس هذا وذلك مما يتفق ومبدأ الإسلام في واقعيتها ومراعاته لحق الفطرة .

ان الزواج إنما هو شركة بين اثنين متحابين متعارفين ، يقصد بها أن يكون كل منهما سعيداً في جوار صاحبه ، مطمئناً إليه ولذلك وصف الله الزواج بأنه سكن لسكن من الزوجين ومودة ورحمة .

ولقد اعترف كثير من علماء الاجتماع في العصر الحاضر ومنهم بعض العلماء الأوروبيين بالمصلحة الحقيقية التي تكفلها بإباحة الطلاق ، وقرروا أن كلا من الزوج والزوجة إذا شقي بصاحبه وهلم أنه لا سبيل إلى الخلاص منه ، فقد يتجه إلى المخادنة واتباع طرق غير

بكتاب الله وأنا بين أظهركم ، وذلك توجييه منه صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى في أثناء بيان بعض أحكام الطلاق : « ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظم به ذاتوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ، وقوله عز وجل في أثناء بعض أحكام الطلاق أيضا : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

وقد استنبط كثير من الفقهاء من هذه النصوص قاعدة تقول : « إن الطلاق أصله الحظر والمنع ، ومن ثم لا يجوز الإقدام عليه إلا لسبب مشروع » .

وقال آخرون بل أصله الإباحة واستدلوا بقوله تعالى : « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، فقد نفى الله الجناح أى الإثم من يطلق النساء وقد طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلق أصحابه ، ولو كان محظورا ما فعلوه » .

والواقع أنه لا تلاقى بين الرأيين على نقطة واحدة ، وأن الذين يقولون بأن أصل الطلاق الحظر لا يمتنعون أنه مباح في الحالات التى تنشأ عن سبب مشروع ، فهم لا يقولون أنه محظور دائما وفي جميع الحالات ، والذين يقولون بأنه مباح لم يبينوا أن الطلاق الذى وقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم

مشروعة ليرضى طبيعته في السكون إلى من يبادل له المحبة والمودة ، أو يبعينه على تلبية رغباته البشرية ومن ثم ؛ تكثر المعاشرات المحرمة ، ويكون الانحلال بين الأسر واضطراب الإنسان ، وفساد المجتمع .

ولذلك كان من حكمة الله ورحمته أن شرع الطلاق لكي يمنح كلا من الزوجين فرصة لاستئناف حياة زوجية أخرى لعلها تكون أكثر توافقا ، « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

٢ - ولما كان التشريع الإسلامى يلتزم عادة جانب الوسط ، وجادة السبيل في الأمور كلها ؛ أعلن الإسلام مع إباحته للطلاق أن الله يبغضه ، ولا يحب التعجل فيه ولا الإقدام عليه بدون مبرر قوى يستدعيه .

ففي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) و (ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق) و (لا تطلق النساء إلا من رغبة) (إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات) و (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة) و (إن المختلعات من المفاقات) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا علم بطلاق لم تراخ فيه السفه - أى الطريقة المشروعة في الإسلام - غضب وقال : « ألعنوا »

بأن الأصل في الطلاق الخطر والمنع هو
الرأى الراجح الذى ينبغى التعويل عليه
والأخذ به .

ويترب على ذلك مسلك فقهى فى شأن
الطلاق يتفق وروح التشريع الإسلامى
فى الحد منه ووضع العقوبات دون إنهاؤه
الحياة الزوجية ما دام فى الوسع الإبقاء عليها
وإصلاحها .

ذلك المسلك هو أن يقال : إن الزواج
عقد يجب أن يلتزم به الطرفان ككافة العقود ،
بل إن الشارع يعطيه من العناية والتقدير
قسطا أوفر ، ويرغب فى استمراره ، وقد
ترجح لنا مما تقدم أنه يعتبر لإنهاؤه محظورا
فى الأصل ، وليس من المباحات التى يجوز
للرء أن يقدم عليها دون أسباب تدعوه
إليها ، وإذن فيجب أن ينظر إلى الطلاق
على أنه تصرف لا يجوز الإقدام عليه
إلا فى الحدود التى رسمها الشارع له ، وأن
كل تجاوز لهذه الحدود يبطل هذا التصرف ،
وينظر إليه على أنه غير قائم ولا نافذ .

وهذا يتمشى مع القاعدة العامة التى يقرها
الحديث الثابت الصحيح : « من عمل عملا
ليس عليه أمرنا فهو رد ، أى مردود ،
والذى يوحى بها فى خصوص الطلاق قوله
تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن
يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

أو على ههنا كان بدون سبب يقتضيه
أو يبيحه .

أما الآية التى استدلت بها هؤلاء على الإباحة
فهى فى حالة خاصة لا تعم جميع صور الطلاق
وهى حالة من أراد طلاق امرأته التى لم يدخل
بها ولم يعين لها مهرآ ، وقد قرأه فيها (المتعة)
حقا للزوجة فقال : « ومتعوهن على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على
المحسنين » ثم عطف عليها حالة غير المدخول
بها التى عين لها مهرأ فقال : « وإن طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن
فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون
أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » .

فالكلام إنما هو فى تفسير ما تستحقه
الزوجة فى هاتين الحالتين ، ولذلك قالوا : إن
معنى رفع الجناح فى هذه الآية من الأزواج
هو رفع التبعة المالية التى كان بمقتضى الزواج
أن يحملها الزوج ، وهى المهر ، فبين الله تعالى
أن غير المدخول بها التى لم يسم لها مهر ،
لا مهر لها ولا نصف مهر ، ولكن لها المتعة
حسب حالة الزوج وقدرته المالية .

وإذن فالكلام ليس فى رفع الجناح من
المطلق من جهة إقدامه على الطلاق ، ولكن
فى رفع تبعة المهر وتقرير المتعة بدله ، حيث
لم يتعين لها مهر .

وبذلك يبين أن الرأى الأول الذى يقول

أو دى طاق ، ... ويشترط أن تكون الصيغة فصيحة غير ملحونة ولا مصحفة ، وأن تكون مجردة عن كل قيد ، حتى ولو كان معلوم التحقق مثل : إذا طلعت الشمس ونحو ذلك ، ولو خير زوجته ، وقصد : تفويض الطلاق إليها ، فاختارت نفسها بقصد الطلاق لا يقع عند المحقق من الإمامية ، وكذلك لا يقع لو قيل له : هل طلقت زوجتك ؟ فقال : نعم — قاصدا لإنشاء الطلاق — ولو قال — أنت طاق ثلاثا ، أو أنت طاق ، أنت طاق ، أنت طاق ، تقع طاعة واحدة مع تحقق الشروط ، ولا يقع الطلاق بالكتابة ، ولا بالإشارة ، إلا من الأخرس العاجز عن النطق ، ولا يقع بغير العربية مع القدرة على التلفظ بها ... وكذلك لا يقع الطلاق عند الإمامية بالخلف واليمين ، ولا بالنذر والعمد ، ولا بشيء إلا بلفظ (طاق) مع تحقق الشروط . قال صاحب الجواهر نقلا عن الكافي : « ليس الطلاق إلا كما روى بكير بن أيمن ، وهو أن يقول لها ، وهى طاهر من غير جماع : أنت طاق ، ويشهد شاهدين عدلين ، وكل ماسوى ذلك فهو ملغى » ثم نقل صاحب الجواهر عن الانتصار لإجماع الإمامية على ذلك . وبالتالي ، فإن الإمامية يضيّقون دائرة طلاق إلى أقصى الحدود . ويفرضون القيود الصارمة

وهذا المسلك الفقهي في شأن الطلاق قد سلكه على الجملة بعض الفقهاء ، واشتهر به الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، وفي ذلك يقول الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنية العالم الإمامي اللبناني في كتابه : « الزواج والطلاق على المذاهب الخمسة » - وهو بصدد الكلام عن الطلاق السني والبدعي (١) :

ومهما يكن فإن السنة والشيعة قد اتفقوا على أن الإسلام قد نهى عن طلاق الزوجة البالغة المدخول بها غير الحامل إذا كانت غير طاهر ، أو في طهر واقعها فيه ، ولكن أهل السنة قالوا : إن النهى للفساد لا للفساد ، وإن من أوقع الطلاق بدون تحقق الشروط يأثم ويعاقب ، ولكن يصح طلاقه ، وقال الشيعة : إن النهى للفساد لا للفساد ، لأن مجرد التلفظ بالطلاق غير محرم ، وإنما قصد وقوع الطلاق لغو كأن لم يكن ، تماما كالنهي عن بيع الخمر والخنزير ، فإن التلفظ بالبيع لا يحرم ، بل لا يتحقق النقل والانتقال . ويقول : وهو بصدد الكلام على صيغة الطلاق (٢) .

قال الإمامية : لا يقع الطلاق إلا بصيغة خاصة ، وهى « أنت طاق ، أو فلانة طاق ،

(١) ص ١٤٤ من كتاب (الزواج والطلاق) المشار إليه .

(٢) ١٤٥ ، ١٤٦ من الكتاب نفسه .

أنا كذا فأنت طالق ، وكل امرأة أتزوجها فهي طالق - فيقع الطلاق بمجرد حصول العقد عليهما - وما إلى ذلك مما لا يتسع له المقام وقد أجازت أيضاً المذاهب الطلاق بتفويضه إلى المرأة ، وإلى غيرها ، كما أجازت وقوع الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد . . . وقد أحسنت الحكومة المصرية بأخذها في كثير من شئون الطلاق بالمذهب الإمامي ، هذا وإن المذاهب الأربعة لم تشترط الإشهاد بصحة الطلاق بخلاف الإمامية ، حيث اعتبروه ركناً من أركانه ، اهـ .

هذا هو مذهب الشيعة الإمامية .

أما المذاهب الأخرى فستتحدث عنها في المقال الآتي إن شاء الله تعالى .

محمد محمد الميرني

على المطلق أو المطلقة وصيغة الطلاق وشهوده كل ذلك لأن الزواج عصمة ومودة ورحمة وميثاق من الله . . . فلا يجوز بحال أن تقتصر هذه العصمة والمودة والرحمة ، وهذا العهد والميثاق ، إلا بعد أن نعلم علماً قاطعاً لكل شك بأن الشرع قد حل الزواج بعد أن أثبتته وأبرمه .

واسكن المذاهب الأخرى قد أجازت الطلاق بكل ما دل عليه لفظاً وكتابة ، وصراحة وكناية ، مثل : أنت على حرام ، وأنت بتة - من البتل وهو القطع والإبانة - وبرية : واذهي فتزوجي ، وحبلك على غاربك ، والحق بأهلك ، وما إلى ذلك ، كما أجازت أن يكون الطلاق مطلقاً ومقيداً ، مثل : إن خرجت من الدار فأنت طالق ، وإن كلبت أباك فأنت طالق ، وإن فعلت

وصية عبد الملك بن مروان لابنيه عند وفاته

« أوصيكم بتقوى الله ، فإنها عصمة باقية ، وجنة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل في المعاد ، وهي أحسن كهف . وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير ، مع سلامة الصدر ، والاختصاص بحمائل الأمور ، ولما كنتم والبغى والتحاسد ، فبها هلك الملوك الماضون ، وذووهم المسكين » .

شهر الله المحرم

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

عند العرب أشهر سلام وهدوء يتفرغون فيها لأمور معاشهم وتنمية مواردهم وشئونهم الأدبية والثقافية والدينية ، وتقرر هذا النظام لديهم من قبل الإسلام بأمد طويل ، وكان لها حظ عظيم فيما وصل إليه العرب من رقي وحضارة قبل الإسلام ، بل يرجع إليها أكبر قسط من الفضل في بقاء الجنس العربي نفسه ، فقد كانت العلاقات بين قبائلهم وبطونهم علاقات متوترة تسودها الإحسان والعداوات ، ولم تتوافر لدى أمة ما أسباب التناحر والتقاتل والتطاحن بمقدار ما توافرت لدى هذه الأمة في جاهليتها ، وما كان أكثر دواعي الحرب ومقتضياتها عندهم ، وكان يكفي أن تنشعب حرب بين قبيلتين أو بطنتين لانتفاخ الأسباب حتى ينضم إلى كليهما حلفاء وأنصار من القبائل والبطون الأخرى ، وتظل الحرب مستعرة مدة سنين ، وتحصد آلافًا من الغريقين المتنازعين ، فلولاً نظام الأشهر الحرم لاستأثرت هذه الحروب بجميع مظاهر نشاطهم ، واستغرقت جميع أيامهم ،

يطلق اسم المحرم على الشهر الأول من شهور السنة العربية القمرية ، وقد كان لهذه الشهور في أقدم عهود الجاهلية أسماء أخرى غير الأسماء المعروفة الآن ، وإن اختلف الرواة في تحديد تلك الأسماء ، وأشهر ما ورد في صدد المحرم أنه كان يطلق عليه اسم المؤتمر ، ؛ لأن العرب كانوا يعتقدون فيه المؤتمرات الفصل في أقضيةهم ، فيستفتون السنة الجديدة بتصفية خلافاتهم في العام السابق ورسم ما ينبغي أن تسير عليه علاقاتهم في العام الجديد ، وأما الأسماء التي تطلق الآن على الشهور العربية فالمشهور أنها وضعت في عهد كلاب بن مرة أحد أجداد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان ذلك قبل الإسلام بنحو قرنين ، وقد اختلف في تعليل تسميتها بهذه الأسماء وأشهر ما ورد في صدد المحرم أن العرب سموه بهذا الاسم لحرمة القتال فيه .

وقد اشترك مع المحرم في هذا الحكم ثلاثة أشهر أخرى ، وهي رجب ، وذو القعدة وذو الحجة ؛ فكانت هذه الأشهر الأربعة

للقتال ، ومن أجل ذلك اضطربت مواقيت حجهم ، فكان يحج حجهم أحيانا في غير ذى الحجة ؛ ويروى أن أبا بكر قد حج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة في شهر ذى القعدة ، لأن اضطراب المواقيت عند أهل مكة قد تقدم بالحج في هذا العام من موعده .

وقد أقر الإسلام نظام الأشهر الحرم في وضعه الاصيل ، وقضى على كل ما حدث في هذا الوضع من تلاعب ، فقرر أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا لا يصح نقصها ولا زيادتها وأنه لا يجوز أن يستبدل بشهر المحرم شهر آخر ، فيجعل المحرم من الأشهر الحلال وتنقل حرمة إلى هذا الشهر الآخر ، وأنه لا يجوز أن يفعل ذلك في أي شهر آخر من الأشهر الحرم ، وأن النسيء ضلال وكفر وتغيير للكلمات الله . وفي هذا يقول الله تعالى : « إن عدة الشهور

عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ... » ويقول : « إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، (أي يجعلوا عدد الشهور التي يحرمونها متفقا مع عدد الشهور التي حرمها الله ، فيعتبرون في التحريم مجرد

ولو وقف نهم الاجتماعى والحضارى ، بل لفنى الجنس العربى نفسه .

وظل العرب أمدا طويلا محافظين كل المحافظة على حرمة هذه الشهور في مواقيتها ، حتى إن الرجل منهم كان يلقي قاتل أبيه فيها فلا يمسه بسوء ، بيد أنه قد شق على بعضهم الكف عن القتال ثلاثة أشهر متواليات وهي القعدة والحجة والمحرم ، فأدخلوا على الأشهر الحرم تعديلا يتيح لهم تقصير هذه المدة ، والاعتداء على حرمة شهر المحرم بالذات ، وهو نظام النسيء (من نساء إذا أخر أجله) وذلك بأن يراخوا حرمة شهرين متتابعين وهما ذو القعدة وذو الحجة ، بدلا من ثلاثة ويحول القتال في شهر المحرم ، على أن يفسخوا حرمة (أى يؤخروها) وينقلوها إلى شهر آخر كصفر مثلا ، فإذا جاء صفر واحتاجوا فيه للقتال أحلوه وحرموا ربيعاً الأول ... وهكذا .

فأصبح المعتبر في التحريم عندهم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم ، وكانوا أحيانا يحلون شهرا آخر من الأشهر الحرم غير شهر المحرم ويؤخرون حرمة وينقلونها إلى شهر آخر من غير الأشهر الحرم .

وكانوا أحيانا يزيدون في عدد شهور السنة فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ، ويجعلون أربعة منها حرما ، ليتسع لهم الوقت

غير أنه يظهر أنه لم يكن لدى العرب حينئذ فكرة دقيقة عن مدة الشهر القمري من الناحية الفلكية (وهو الوقت الذي تستغرقه دورة القمر حول الأرض دورة كاملة ، ومقداره تسعة وعشرون يوما واثنان عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة وثانيتان وتسع ثواني) .

ولذلك كانوا يسرون في الغالب في تقدير هذه المدة على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالي له تسعة وعشرين يوما ، إلا إذا ثبتت رؤيتهم لجلال الشهر الجديد في ليلة غير الليلة المتفقة مع حسابهم التقريبي ، فيصححون بذلك حسابهم . وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب الشهر هكذا وهكذا) وأشار في الأولى إلى مجموع أصابع يديه ثلاث مرات ، وأشار في الثانية إلى مجموعها مرتين وخمس الإبهام في الثالثة . (أخرجه البخاري عن عبد الله ابن عمر) . فقد افتتح الرسول عليه الصلاة والسلام حديثه بقوله : (إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب) ، يقصد بذلك أنهم لا يعرفون قوانين علم الفلك ، وبالتالي لا يعرفون مدة الشهر القمري في صورة دقيقة ، وأنهم لذلك يسرون في عدة أيام الشهر على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا

العدد لا خصوصية الأشهر الحرم) ، فيجعلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين . .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع وهي الخطبة التي لخص فيها كثيرا من أحكام الشريعة الإسلامية وجعلها دستورا للمسلمين من بعده : أيها الناس ! إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أى من الأمور التي تعدونها صغيرة) .

أيها الناس إنما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا - يحولونه عاما ويحرمونه عاما ليواطأوا عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، (وذلك أن الرسول عليه السلام قد أعاد حينئذ الشهور إلى أوضاعها الصحيحة ، فكانت حجة الوداع في مواقيتها في شهر ذي الحجة) وإن هذه الشهور هدى الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان : ألا هل بلغت !؟ اللهم فاشهد ! . .

شهر الله الذي تدعونه المحرم ، (ورواه أحمد ومسلم وأبو داود) . ويظهر أنه كان له كذلك مكانة خاصة في نفوس العرب في الجاهلية ، بدليل أنه اختص من بين الشهور الأربعة المحرم بالاسم الذي يدل صراحة على حرمة ، وذلك قبل أن يعيشوا في مدة الشهور وأوضاعها وابتدعوا نظام النسيء الذي كان يتيح لهم في الغالب انتهاك حرمة هذا الشهر بالذات .

* * *

ويسمى اليوم العاشر من شهر المحرم عاشوراء ، وقد يسمى التاسع كذلك تاسوعاء . والراجح أن هذه وتلك تسميتان عربيتان قديمتان . وليستا منقولتين من لغة أخرى . ويظهر أنه كان ليوم عاشوراء مكانة دينية خاصة عند قريش في الجاهلية . فقد روى عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن يوم عاشوراء كان يوما تصومه قريش في الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه . فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه . فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه ، ؟

دكتور على عبد الواعظ

ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالي له تسعة وعشرين يوما .

ولانتقاء ما هي أن يكون في الحساب التقريبي من خطأ أوجب الإسلام في الشهور المرتبطة ببعض الشعائر الدينية (كشهر رمضان الذي تؤدي فيه فريضة الصوم وشهر ذي الحجة الذي تؤدي مناسك الحج في أيام معينة منه ، وخاصة أهم ركن من أركانه وهو الوقوف بعرفة ، فإنه لا يصح أدائه إلا في مدة محددة من اليوم التاسع وليلة العاشر) أن يعتمد فيها على رؤية الهلال في هذا يقول عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكلوا هدة شعبان ثلاثين يوما) .

* * *

ولشهر المحرم في الإسلام مكانة مقدسة خاصة . ولذلك سماه الرسول عليه الصلاة والسلام : شهر الله ، ولم يندب عليه الصلاة والسلام إلى صيام شهر كامل على سبيل التطوع غير شهر المحرم ، وجعله أفضل صيام بعد رمضان . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصيام أفضل بعد رمضان ، فقال :

هَجَرَات فِي سَبِيلِ الْحَرِّيَّةِ

لِلأُسْتَاذِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ النَّمَرِ

الذي تبعته الرسالة المحمدية في النفوس ،
وخافوا على مرا كرم التقليدية أن تنهار أمام
دعوة التوحيد ...

وكان عمه أبو لب يعبر عن نفسه وعن
طبقة المسيطرين المنتفعين أمثاله حين قام
ثائرا في نهاية الاجتماع الذي جمعهم الرسول
فيه وعرض عليهم دعوته السمحة وقال لمن
حوله : وخذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه
العرب ، وكان ذلك بدء صراع حنيف بين
هؤلاء وبين الرسول ودعوته الجديدة ؛ فقد
بدءوا ينقذون فكرة أبي لب أو خطته
بكل الوسائل التي يستطيعونها حتى يحولوا
بين الرسول وبين اجتماع العرب على دعوته
واعتناقهم لما فيزول سلطان طبقة المنتفعين
وتتهدم أوضاعهم .

استعملوا أساليب الإغراء فلم تفلح معه
واستعملوا أساليب التهديد فانهارت أمام
تصميمه وقوله : (والله ياعم لو وضعوا
الشمس في يميني والفرس في يساري على أن
أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله
أو أهلك دونه) فلم يعد مفر أمامهم من

لم تسكن الهجرات التي هاجرها الرسول
صلى الله عليه وسلم أو أمر بها أصحابه
إلا تعبيراً صادقاً وحازماً للنزوع إلى الحرية
والجدد في طلبها وبذل أعلى التضحيات التي
تحمّلها النفوس البشرية في سبيلها .

والنزوع إلى الحرية أمر طبيعي في الإنسان
وقد يكون أيضا في الحيوان ، لكنه
في الإنسان قوى عارم يتناسب مع شعوره
بكيانه وكرامته وقيّمته كإنسان كرمه الله
وجعله خليفة له في الأرض . ثم يشتد به
هذا الشعور حين يكون رجلا ذار رسالة يرى
من الضروري أن تتحقق له الحرية التامة
في التعبير عن رأيه وشعوره ومبادئه قولا
وعملا حتى يستطيع أن يحقق للناس الإصلاح
الذي جاء به عن طريق الاقتناع والإيمان .

ولقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنتين عديدة في مكة يدعو المجتمع المسكين
ومن حوله إلى تصديقه والإيمان بما جاء به
من مبادئ التوحيد والعدل والمساواة ،
ولكن أصحاب المصالح الذين قامت
مصالحهم على أساس الوضع الراهن في مكة
خشوا على وضعهم هذا من الضوء الجديد

ذلك عن دينه ، ثم لم يتركه عند هذا الحد الجاد الصارم من القول ، بل أضاف إليه شحنة من أمل في مستقبل مشرق لهذا الدين ، وأصحاب الدعوات من المجاهدين لا يعيشون على الخوف والصبر وحده ولا على الأمل المشرق وحده ، ولكن لابد لهما معا في نفوسهم حتى لا يأسوا أو يتهاونوا ولذا أكمل له الرسول جانب الأمل فقال : (وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يدبر الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه) .

ونزل القرآن يزيد من تثبيت الرسول للمؤمنين المضطهدين « أليس . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلنن الله الذين صدقوا وليعلنن الكاذبين » .

ومع ذلك فقد فكر الرسول صلى الله عليه وسلم في حماية أصحابه القليلين من الفناء .. وقال لهم « تفرقوا في الأرض ، ابتعدوا عن مكة . اتركوا هذا الجو الخائق .. واذهبوا إلى بلد أو بلاد أخرى .. وسألوه إلى أين . فقال : (إلى الحبشة فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه » .

لماذا اختار الرسول أرض الحبشة وبينهم وبينها البحر ، ولم يكن لهم بها همد ، وليس

تنفيذ وعيدهم وبدءوا يسلطون أنواع العذاب والتنكيل على الرسول والقلة المؤمنة به ، ودخلت الدعوة والمؤمنون بها في دور من الكفاح النفسى الرهيب كانوا دائماً فيه يقاسون العذاب ولا يملكون دفعاله بقدر ما يملكون من الصبر عليه والاحتمال له .. كانوا قلة وضعا فالأمل يكون وسائل الدفاع عن أنفسهم وحريتهم .. فاحتملوا العذاب صابرين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . ولكن إلى متى يظلون يتعرضون للعذاب والفناء .. صابرين على الكبت والاضطهاد وقد أصبح ما ينزل بهم شبه حائل بين الدعوة وامتدادها حتى كادت تختنق أو تتجمد ؟ أليس لهم طاقة قد تبلغ حدها ؟ ثم أليسوا كثيرًا ؟ من الحكمة أن يدخر ويحفظ به !

جاء خباب مرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقال له : « يا رسول الله : ألا تدعو الله لنا ! وأحس الرسول في هذا القول نعمة شكوى دفينه تم من طاقة بلغت أقصى ما عندها من تحمل فأقلقه هذا القول فقعده وقد احمر وجهه وقال لخباب يعطيه شحنة وطاقة جديدة من الإيمان والصبر والاحتمال : إنه كان من قبلكم ليشط أحدكم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدكم فيشق ، ما يصرفه

ويحسن معاملته للمؤمنين حين يلجئون إليه ، ولم يكن عند الرسول مثل ذلك من الثقة في أمير أو ملك في بلاد الروم .

وهذا هو الذي ينبئ عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بالتوجه للحبشة : (فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد . إلخ) ولعل ذلك يرجع إلى الأمرين معا .

ولقد جاءت الحوادث بعد ذلك مصدقة لظن الرسول وتفكيره . فقد حاول سفير أفریش إلى النجاشي أن يشراء على المسلمين حتى يتخلى عنهم ويسلمهم إليهم ، ولكن بامت محاولتهما بالفشل ، وعاش المسلمون في ظله آمنين ، وصدق الرسول (فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد) وإن كانت الغربة عن الوطن والبعد عن الرسول ومن بقي معه من المسلمين كانا يقضان مضاجعهم ويجعل الحياة مريرة قاسية عليهم .

ما الذي دفع هؤلاء إلى احتمال ما احتملوا من جهد ونصب في ترك الوطن وركوب البحر والاتجاه إلى بلاد لا همد لهم بها ؟ إنها الحرية التي يلتمسونها لهم ولدهوتهم .. الحرية التي دفعوا كل هذا ثمنها لها يؤدون في ظلها شعائرهم ويجهرون بمعتقداتهم دون رهبة أو خوف .. هبرت هن ذلك لإحدى المسلمات المهاجرات حين قالت : لما ركبت بعيري أريد أن أتوجه به إلى أرض الحبشة : إذا أنا بامرئ الخطاب

لهم فيها قرابة ولا صديق ؟ . ولم يختار لهم أرضاً عربية يسهل عليهم الوصول إليها ويمكنهم التخاطب مع أهلها ؟ .

لقد كانت مكة عاصمة الشرك الذي يحاربه الرسول ، والقبائل العربية كلها تسير في ركاب مكة الديني وتتخذ لها أصناماً آلهة كالمكيين تماماً فما كان ينتظر في هذه الحالة أن يجد المؤمنين - وهم أعداء الشرك أينما وجد - حماية وأمناً لدى هؤلاء العرب المشركين في أي مكان .. فلا بد من التماس الأمان والحرية عند قوم لا يدينون بأصنام العرب ولا يتخذون مكة عاصمة الشرك والحج ، وليس لمكة نفوذ عليهم أي نفوذ .. حتى يكون المؤمنون بعيدين عن مناطق النفوذ المسكي المشرك . ولا يكون ذلك إلا عند قوم لهم دين سماوي لا يقرون الأصنام .. وكان هؤلاء في بلاد الروم وفي الحبشة ..

ولكن لماذا لم يوجههم الرسول إلى بلاد الروم . وربما كانت أقرب وأسهل مسلكاً لهم من بلاد الحبشة ؟ .

هل كان ذلك راجعاً إلى أنها كانت أكثر اتصالاً بالعرب من الحبشة ، وربما يكون لذلك دخل في التأثير على من يلجئون إليهم فيسلكون مسلكاً عادياً نحو هؤلاء المؤمنين .. أو كان ذلك راجعاً إلى ما يعلمه الرسول عن النجاشي من صفات طيبة جعلته يثق به

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتوها
وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها
أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي
القوم الفاسقين » .

والقرآن بهذا يرتفع بحرية الإنسان
وكرامته وإنسانيته فوق كل ما عداها من
ارتباطات ومصالح تشدد الإنسان وتلصقه
بالبلد الذي ولد وعاش عليه وله فيه مال
وأهل وأحباء ومساكن وذكريات . .
ويهدد كل إنسان يفكر لهذه القيم ويهدد
كرامته وحرية وإنسانيته في سبيل مصالحه
وعواطفه . .

وما قيمة الأوطان لدى أناس من بنيته ،
ماداموا لا ينعمون بنعمة الحرية فيه ،
ويراد لهم أن يعيشوا في ظله كالسواثم
ترعى وتساق أو تقاد من خطامها إلى حيث
يراد بها . .

إن الإنسان يعطى وطنه من حبه وإخلاصه
وتضحياته بقدر ما يعطيه إياه من تكريم ،
ويشدد تعلقه به كلما أحسن نعمة الحياة والحرية
في ظله أو توقعها فيه ، فإذا رأى كرامته
مهذرة وحرية مهذدة ، وجموده في سبيله
مضنية ، ولم يستطع أن يقاوم تيار الظلم فيه ،
أو يصلح من انحراف بنيته ، كان من الواجب

- وكان من أشد الناس علينا - يقول لى :
إلى أين يا أم عبد الله ؟ فقلنا : آذيتونا
في ديننا ، نذهب في أرض الله حيث
لا تؤذى ، فذلك هو التماس الحرية في التعبير
عن العقيدة والقيام بشعائرها ما دام
المؤمنون بها لا يستطيعون التعبير عنها
ولا القيام بالتزاماتها في وطنهم الذي نبتوا
فيه وكانت كل تضحياتهم من أجل هذه
الحرية وثمناً لها . .

وهنا تقفز إلى الذهن فكرة الوطن وحبه
والإخلاص له وتقدير مصالح الإنسان فيه
في كفة وحرية التعبير عما يعتقد الإنسان
في كفة أخرى . . أيهما يخلص الإنسان له
ويضحى في سبيله ويقدمه على غيره ؟

لا شك أن حب الوطن أمر طبيعي في النفس .
ولكن إلى أي حد يبق الإنسان مرتبطاً
بوطنه ؟ هل يبقى كذلك ولو لم يجد فيه حريته ،
وهل يفضل الإقامة فيه ولو لم يستطع أن
يشق فيه الطريق للتعبير عن رأيه وعقيدته ،
ولو وجد من أهله تسكراً له وظلماً وقسوة
عليه أو بعبارة أخرى ولو وجد في هذا
الوطن قتلاً لمعنى الإنسانية فيه ، وإهداراً
لكرامته ، وإرغاماً له على أن يقيم على الضيم
الذي يراد به ؟

إن القرآن يجيب عن هذا في صراحة
قاطعة .

ولم تكن هجرة المسلمين إلى الحبشة هي التجربة أو التوضيحية الوحيدة في سبيل حرية العقيدة ، بل كان للرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك تجربة وتوضيحية تحملها وحده ، ثم كانت له وللقلة المؤمنة به تجربة وتوضيحية ثالثة وأخيرة . .

فحين ضاقت به مكة وضيق عليه الخناق ، واسترسلت في إيذائه وإعنتاته بعد وفاة النصيرين : همسه أني طالب وزوجه خديجة رضى الله عنها . ففكر في أن يبعد له مخرجا وملتمسا في الطائف . . وقوى أمله في هذا ما كان بين ثقيف في الطائف وقريش في مكة من خلاف رجا أن ينفذ من خلاله إلى نفوس الشقيين . .

وقدر أى أن يتحمل هذه التجربة وحده . دون أن ينج بمن معه في مكة إليها - ولم يكن الطريق إلى الطائف قريباً ولا سهلاً ميسوراً كما قد يظن بعض الناس فقد سلك طريق جبال الهداء وقطع ما يقرب من مائة كيلومتر سيراً على الأقدام في ضوء النهار وفي ظلمة الليل ، يسير حيناً ويريح جسمه المسكدود حيناً آخر ، وهو لا ينفك عن التفكير فيما حساه تسفر عنه هذه التجربة هل تقبل ثقيف على دعوته فيتخذهم أنصاراً له ، ويعيش بينهم في الطائف ، وتنطلق الدهوة منها حرة إلى جميع البقاع حولها ، أم أنهم سيردونه ويغلقون قلوبهم في وجه دعوته ؟

عليه أن يبحث عن متنفس له حيث يجد فيه حريته ويبحث فيه آراءه ويجمع حوله أتباعه وأنصاره ، ولربما خفت حدة النداء له في وطنه وازداد تفكير مواطنيه فيه وفي دعوته بعد رحيله ، فيتجهون إليه ، ويتنسمون أخباره ، ويقبلون آراءه ، ويحمدونهم ومن غيرهم على مر الزمن أنصاراً يستطيع بهم أن يعود إلى وطنه ويصالح ما فسد فيه .

تلك هي نظرة الإسلام للحرية ، وذلك هو تقديره لها ، ودعوته للبذل في سبيلها . .

ومن أجل هذا وجدنا القرآن يعيب على المستضعفين الذين يؤثرون الذل والإقامة في وطن تهم فيه حريتهم وتهدر كرامتهم ويتعللون بأهلهم ومصالحهم مضحين بالمعنى الكريم في الإنسان وهي حريته فيتموه هدم بالعذاب وسوء المصير : دأن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، ويكنى أن القرآن سماهم ظالمين لأنفسهم وأعد لهم بسبب تفریطهم في حريتهم جهنم وساءت مصيراً . . وما ذلك إلا لأنهم رضوا بالحياة الذليلة واطمأنوا بها وضخوا بحريتهم في إعلان ما يعتقدون أنه الحق . .

الشهامة والإنسانية . ولكنهم لم يقنوا حتى هذا الموقف الإنساني وكانهم اتهموها فرصة للتشكيل به فأغروا به سفاههم وصبيانهم فلاحقوه بالطوب والصياح والسباب حتى دميت قدماء . ودمعت عيناها .

فذاك الدينيا كلها يا رسول الله .
يا مصطفىاه ..

لقد أفم قلبه بالحزن وهو يفكر كيف يدخل مكة - يرجع إلى وطنه وماذا سيلقاه من أهلها المشركين العتاة ولم يعد فيها النصيران عمه وزوجه . . فتمحرك قلبه قبل أن يتحرك لسانه متجها إلى الله بهذه المناجاة الحزينة وهذه الشكوى المريعة التي لم يسكنها طوال حياته في أى موقف من المواقف الشديدة الكثيرة التي مرت به . اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . . أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهنني أو إلى هوى ملكسته أمرى . الخ .

وحاد إلى مكة حزينا ، وتصور كيف عاد ، وكيف قطع إليها الطريق ، ومظن الشامتين به المهتدين عليه لا يفارق خياله ، ثم دخلها ولكن في حماية أحد المشركين .. وما أقسى هذا على النفس .. لا يستطيع الرسول دخول بلده إلا في حماية رجل من أعدائه .. حملته النخوة العربية على حمايته استجابة له :

كان الأمل ينير له طريقه ويجدد قواه لتحمل المشقات والأعباء ، ويجعله ينسى كل ما حوله من مخاوف حينما ، ثم يراوده الخوف حينما آخر من سوء لقاؤهم له . فتزداد متاعبه وثقل خطاه ، ولكننه كان يلتمس الحرية له ولدعوته ، وفي سبيل ذلك تهون الشدائد ، وكانت السماء وحدها ترعاه وتتابع وتقدر خطاه ... وهو ينتقل من صخرة إلى صخرة أخرى ، وهو يعلو فوق الجبل وهو يهبط منه في الوديان ، وهو يقظان ، وهو نائم يستريح إن كان النوم قد وجد طريقه إليه وهو مثقل بالتفكير في المستقبل الذي يواجهه بعد ساعات .

حتى بلغ الطائف والتقى مع زعمائها وتحدث إليهم وهو يرجو أن تلين له قلوبهم ، ولكن غاب رجاءهم فيهم ، وتلقى الصدمة منهم قاسية ثقيلة . . تلقاها وهو يفكر في الشامتين من ورائه في مكة . بعد أن لجأ إلى أعدائهم يلتمس النصرة فيهم فلم يجيبوه ولو أنه قد وصل إلى غايته لكانت نكبة المبكين وحسرتهم شديدة قاسية ، فإذا يكون موقفهم إذن منه حين يعلون برحلته وغايته منها وما كان من تقيجتها !!

فتقدم الرسول إلى هؤلاء الزعماء يرجوهم في لطف ، أن يكتبوا أمره ما داموا لم يستجيبوا له . وهو يستشير فيهم معاني

وبسفهون آراه أعرضوا عنه ، ورفضوا الاستجابة له ..

لكن القدر كان يدخر له أناسا من هؤلاء الحبيج وجدوا في دعوة الرسول إنقاذاً لهم بما يعانونه ، فأقبلوا عليه وآمنوا به وكانوا قليلين . وجاء الموسم الذي بعده ليزداد عدد المؤمنين به زيادة حملت الرسول على أن يفكر في الهجرة إليهم ، وقد صاروا في مدة وجيزة أكثر عدداً ممن آمنوا بمكة في أكثر من عشر سنوات .. إنها إذن أرض خصبة للدعوة .. وإنها الفرصة التي طالما بحث الرسول عنها في وسط هؤلاء يستطيع أن يبشر بدعوته في حرية وأمان بعد أن تعهدوا بحمايته وحماية دعوته .

وتوفرت كل المقدمات لهجرة الرسول وأصحابه المبكين إلى حيث يقسم هؤلاء إلى « يثرب » وكانت هذه الهجرة مفتاح النصر الذي وعد الله رسوله .. وأصبحت هجرة كل مسلم من بلد الشرك والكبت ومصادرة الحريات ضرورة لازمة . وعلامة مميزة لإسلامه ، وبعبارة أخرى أصبح طلب الحرية وإبشارها على الكبت والاضطهاد والمصالح الشخصية عنوان الإسلام في كل شخص يعتنق الإسلام .. حتى إذا أذن الله بفتح مكة ودوت في أرجائها كلمة التوحيد وزال عنها كابوس الاستبداد . وسرى في جوها نسيم الحرية لم

في سبيل الحرية حرية الدعوة والداهي وأتباعه خرج الرسول إلى الطائف وتحمل ما تحمل فيها وفي هودته إلى مكة لم يكن يريد إكراه أحد ولا كان يملك وسائل الإكراه وإنما كان الذي يلتمسه ويبحث عنه هو الجو الحر لدعوته وللمؤمنين بها يؤدون شعائهم دون أن يصادر أحد حريتهم أو يعتدى عليهم . ولكنه مع الأسف لم يجد ما يريد في الطائف وعاد إلى مكة ليستد عليه الضغط وتدخل الدعوة في هلق الزجاجة كما يقولون ويبدو للبشرkin أنهم ناجحون في خفقتها والقضاء على أتباعها .. وقد خلا الجو لهم ليفعلوا ما يشاءون .

ولكن هل يستسلم الرسول لهذا ؟ كلا إنه لم يستسلم وما كان له أن يفعل ذلك وهو صاحب رسالة من الله ، إن الظلام الذي يشهد دائماً حول أصحاب الرسالات يحلمهم على الجسد في التماس النور . والعقبات التي تكثف حياتهم وتوهر الطريق أمامهم تحفزهم للتغلب عليها واجتيازها وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم .

فقد أخذ يتلبس متنفساً حراً في عرض دعوته على رجال القبائل في موسم الحج . لم يثنه عن ذلك تفجع قريش وسفاتها له والناس كلها رأوا أهله وعشيرته يكذبونه

يعد للهجرة مكانها السابق في الإسلام . حيث لم تعد المدينة وحدها قلعة الحرية التي يلجأ إليها الأحرار . . وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم ألا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه .

* * *

تلك هجرات ثلاث قام بها الرسول وصحابته في سبيل البحث عن الحرية وكان لكل هجرة توضيحاتها وآثارها . . ولو ذهبنا نقوم هذه الهجرات بتوضيحاتها ومراراتها وقسماتها لكانت هجرة الحبشة أشدها مرارة على أصحاب الرسول . . وكانت هجرة الطائف أقساها على رسول الله . . ثم كانت الهجرة إلى المدينة على

ما فيها أخفها مرارة وقسوة عليه وعلى أصحابه فهم قد هاجروا إلى أرض عربية فيها إخوان لهم في العقيدة تعهدوا بحمايتهم وقاسمهم حظوظهم في الحياة واستقبلوهم أكرم استقبال . . ومع ذلك كانت أبعد هذه الهجرات أثرا في نشر الإسلام وإعلاء كلمته ؛ ومن أجل هذا كان لها الأثر العظيم في نفوس المسلمين وكانت بدءا للتاريخ الهجري الإسلامي الذي يجب أن يعتز به المسلمون اعتزازهم بدينهم وبأثر هذه الهجرة في انتصاره وانتشاره حتى أصبحوا بفضل الله مسلمين .

عبد المنعم النمر

أدب الحديث والاستماع

قال بعض الحكماء لابنه : قلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث ، وإيعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول ، فاحذر أن تسرع في القول فيما تحب الرجوع عنه بالفعل ، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل أقرب منك إلى قول ما لم تفعل .

العبرة من الهجرة

للدكتور أحمد فؤاد الالهوانى

ومن الظواهر النفسية أن الصبي إذا شعر بانعدام الحنان في الأسرة ، سواء لأن والده يضربه بغير ذنب واضح ، أو يكون قد تزوج امرأة غير أمه تسومه سوء العذاب ، فإنه يخرج من بيت الأسرة هائماً على وجهه ، يهجر أهله وموطنه . وهذا الفعل من الصبي أشبه أن يكون بغير تدبير أو شعور . وكلما شب الصبي عن الطوق ، ودخل في طور الرجولة ثم السكمولة ، يصعب عليه الهجرة وترك الموطن ، يحكم الاحتياط ، وجمود العادة مع طول الزمان .

وأبر القان أن حب الوطن ، والدفاع عنه ، إنما نشأ عن هذه العاطفة التي صورناها ، والتي تشبه أن تكون من الطبائع الثابتة . لذلك كان إخراج شخص من داره ، أو موطنه ، أو ببلده ، أمراً عظيم المشقة على النفس ، يكاد يكون عقوبة من أقصى العقوبات .

ومن أجل ذلك كانت هجرة الرسول والذين معه من أسلوا حدثاً نفسانياً شديداً وقع لآذ الطبيعة البشرية تقضى بحب الدار والبلد والوطن . ونحن نعلم أن كثيراً

للمهجرة معنى مادي هو الخروج من بلد إلى آخر أو أرض إلى أخرى . وهذا المعنى هو الأصل ، وليس ما يدعو إلى البعد عنه وأصلنا تأويل غريب ، من مثل ما يقال إن الهجرة ترك الحاصل المذمومة ، أو العزلة عن الخلق والاتصال بالنفس ، أو الهجرة إلى الله .

إن طبائع الحيوان مختلفة ، منها ما يلتصق بالأرض ويألف المسكان لا يبرحه . ومنها ما يألف حيواناً آخر أو إنساناً ، ليصحبه أينما ذهب ، أو حل وارتحل . ومنها ما يهاجر مسافات شائعة مثل بعض الطيور في مواسم معينة ، وبعض الأسماك ، ولكن الإنسان يألف المسكان ، ويستقر بالأرض يتخذها له وطناً ، ويشق عليه الارتحال عنها ، فإذا هاجر كان الدافع إلى ذلك الاضطراب ، ويشته به الحنين إلى الأوطان ، وبخاصة إذا ترك موطنه كبيراً . وإنما كان فراق البلد عزيزاً شاقاً لأن المهاجر يبتعد عن الأهل والأصحاب والرفاق والأحباب ، وفي رحابهم يجد الأمن ويلتمس في قريتهم الراحة والحنان .

الظاهرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره ،
ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ،
ويقول له : لا تزال هسكذا حتى تموت ،
أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .
رآه أبو بكر يعذب ، فقال لأمية بن خلف :
الأتق الله في هذا المسكين ؟ فقال أنت أفصده
فأبعده . قال أبو بكر : عندي هلام على
ديفك أسود ، أجدل من هذا ، أهطيك به .
قال أمية : قبلت ، فأعطاه أبو بكر غلامه ،
وأخذ بلالا فأعنته ، فهاجر ، وشهد
المشاهد مع الرسول .

ومنهم عمار بن ياسر الذي نزلت فيه
الآية : **د** **إ** **ل** **أ** **م** **ن** **أ** **ك** **ر** **ه** **و** **ق** **ل** **ب** **ه** **م** **ط** **ع** **ن**
بالإيمان ، ، ذلك أن المشركين اشتدوا
في تعذيبه ، وقتلوا امرأته ، ولما شددوا
عليه العذاب ، وقالوا له : لا تتركك حتى
تصب محمداً وتقول في اللات والعزى خيراً .
اضطر أن يفعل كما أمره فلما تركوه ذهب
إلى النبي يبكي وقص عليه ما وقع له . قال
الرسول : فكيف تجد قلبك ؟ قال : أجده
مطمئناً بالإيمان . فقال يا عمار ، إن عادوا
فعد ، فأنزل الله تعالى : **د** **إ** **ل** **أ** **م** **ن** **أ** **ك** **ر** **ه**
وقلبه مطمئناً بالإيمان .

والصبر على الأذى أول عبارة استفاد
من الهجرة .

وهو أقل مشقة من الهجرة . لأن

من الناس إذا واجهوا ظروفاً مثل تلك
الظروف التي واجهها النبي عليه السلام
والذين آمنوا ، يقبلون الضيم ولا يتمسكون
بالعقائد الصحيحة التي ورثوها ، مؤثرين
البقاء في أرض الوطن على الغربة منه ،
والابتعاد منه ؛ ابتغاء الحرية الصحيحة
للنفس ، وقد صور الشاعر هذه النزوة
المتحررة التي ترجع لإكرام النفس وإعزازها
وإعلاء شأنها بقوله :

د **و** **ف** **ي** **أ** **ل** **أ** **ر** **ض** **م** **ن** **أ** **ي** **ل** **ل** **س** **ك** **ر** **ي** **م** **ه** **ن** **أ** **ل** **أ** **ذ** **ي** .
ولقي النبي والذين آمنوا من المشركين
ألواناً من الإيذاء والتعذيب . وكان بعض
أوائل الذين أسلموا يحدون في قبائلهم من
يحيرهم ؛ أما المستضعفون ، ممن سبقوا إلى
الإسلام ولا هشائر لهم تمنعهم ، ولا قوة لهم
يمنعون بها ، فإن المشركين جعلوا
يحبسونهم ، ويضربونهم ، ويعذبونهم
بالجوع والعطش ، ورمضاء مكة ، والنار ،
ليفتنوهم عن دينهم الجديد ، ففهم من يفتن
من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان ،
ومنهم من يبقى صامداً صابراً في انتظار
فرج الله ورحمته ، ومنهم من يتراجع
ويتحول بتأثير الخوف والإرهاب .

ومن هؤلاء المستضعفين الأوائل بلال
ابن رباح الحبشي ، كان مولى لأمية
ابن خلف ، فكان إذا حيت الشمس وقت

على رأسه عليه السلام ، وكان بعضهم يطرح عليه ما في أمعاء الشاة وهو يصلي . فلما اشتد عليه الأذى خرج ومعه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف النضر ، فأبى سادتهم وسخروا منه . فلما يئس ، وطال به العذاب ، توجه إلى الله قائلاً : (اللهم إني أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . اللهم يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمرى ...) .

والمغزى من هذه الشكوى يتفق مع الحقائق النفسية التي أوحيناها من قبل ، فهو واقع بين أمرين أحلاهما مر ، إن بقي في أرضه عذبه قومه واعتدوا عليه ، وإن خرج عن أرضه وهاجر إلى قوم غرباء يتجهمون له . فكيف النخرج من هذا المأزق؟ أخذ النبي يعرض نفسه على القبائل ، فيتعقبه أبو لوط ويصدمه عنه . ثم عرض نفسه - لما أراد الله إظهار دينه وإنجاز وعده - على بعض قبائل يثرب في الموسم الذي لقي فيه بضعة نفر من الخزرج ، فأسلبوا ، وعادوا إلى المدينة يدعون قومهم إلى الإسلام ، وزاد عدد المسلمين في الموسم الثاني وفشا الإسلام بين الأنصار . وبذلك مهد الأمر

الهجرة فنزل بالمخارجين من ديارهم على قوم لا أحد يدرى أيقبلون هؤلاء النازلين الطارئین عليهم أم لا ، فضلاً عما يحسونه من غربة بين ظهرائهم . وقد رفض كثير من القبائل أن يجيروا المهاجرين .

فلما ضاق أصحاب النبي بما هم فيه من بلاء ، رأى النبي أن يهاجروا إلى الحبشة ، فقد كانت متجر قریش ، يلتمسون فيها سعة في الرزق من التجارة ، ولهم بها حرفة ، وكان فيها ملك لا يظلم ، فكانت تلك الهجرة أول هجرة في الإسلام ، غير أنها لم تكن بدء التاريخ ، ولا حدثاً يماثل هجرة الرسول إلى المدينة . ولم يكن هدمهم كثيراً ، قيل عشرة رجال وأربع نسوة ، ومعهم عثمان ابن عفان وزوجه رقيقة ابنة الرسول ، والزبير بن العوام ، وغيرهم .

أخذت دعوة الإسلام تنتشر ، ويزيد عدد المسلمين واحداً بعد واحد ، وازدادت قوة بإسلام رجال من ذوى المكانة والشرف مثل عمر بن الخطاب ، وكان النبي آمناً إلى حد كبير في حياة عمه أبي طالب ، فلما توفي ، كما توفيت زوجته السيدة خديجة قبله ببضعة وثلاثين يوماً ، عظمت المصيبة على النبي ؛ إذ لم يمنع المشركين من إيقاع الأذى به أحد ، حتى لقد بلغ بهم مبلغ نثر التراب

مذكور في كتب السيرة ، ومسجل في كتاب الله من سورة التوبة ، حيث يقول سبحانه وتعالى : « إلا تقصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم .

ونستخلص من الهجرة هبرتين حتى الآن ، عبرة من سببها النفس الذي يقضى بعزة النفس وعدم قبول الضيم ، ولعمري إن الإسلام دين العزة والكرامة . وعبرة ثانية بأنه إذا عقد المرء العزم على الهجرة وصحت نيته فينبغي أن يعد لذلك العدة ، ويتخذ لها الأهمية ، ويدرس الأرض التي سينزلها ، والقوم الذين سيعاشرهم حتى لا يخرج من نكبة إلى نكبة أشد .

والعبرة الثالثة نستخلصها بعد الهجرة .

لقد هاجر النبي من جماعة لها تقاليد لها إلى جماعة أخرى تختلف تقاليدها وطباعتها عن أهل مكة . والاندماج في الجماعة الجديدة يحتاج إلى سياسة فطن لها النبي بنجاح بصيرته وبالبحر حكمته وتأيد الله وهدايته له . وفي التاريخ أمثلة كثيرة لجماعات نزلت في مجتمعات ولم تندمج فيها على الرغم من مرور زمن طويل يبلغ أجيالا وأجيالا ، وتظل كل جماعة محتفظة بمقوماتها وشخصيتها وتقاليدها وروحها ، وذلك كالحال في الزواج

للحجرة ، وأعدت لها الظروف الملائمة . فلا يكنى أن تكون الهجرة مجرد أمل في الخيال ، بل ينبغي أن يعرف المهاجر أين ينزل ، وكيف يستقبل ، وهل يجد أهلا بأهل ، ويكون آمنا مطمئنا ، ومتفقا في الآراء والمعتقدات مع القوم الذين سيهاجر إليهم . وهذا ما فعله النبي مع الأنصار إذ اجتمع في بيعة العقبة الثانية أكثر من سبعين من الأنصار ، خرجوا ليلا مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة ، وجاءهم النبي ومعه عمه العباس ، وهو مشرك ولكنه أحب أن يستوثق لابن أخيه ، فتسكلم فقال لهم : إن محمدا منا حيث قد علمتم في عز ومنعة ، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم ، فإن كنتم ترون أنكم تفون بما دعوتكم إليه ، وما نعوذ ، فأنتم وذلك ، وإن كنتم مسلوبوه فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة .

فهذه هي العبرة الثانية من الهجرة ، أن يكون المهاجر على بينة وبصيرة وتدبير . ثم أمر النبي أصحابه بالهجرة إلى المدينة وتتابعوا واحدا إثر آخر حتى لم يبق إلا النبي وقلة قليلة ، منهم علي بن أبي طالب وأبو بكر . وقد حذرت قریش خروج النبي ، فاجتمعوا في دار الندوة يقشاورون ، وانتهى رأيهم إلى أن يجتمعوا على قتله فيضيق دمه . وفي ليلة الهجرة نام علي بن أبي طالب في فراش النبي واتسح برده ، وخرج النبي مع أبي بكر ، كما هو

وإذابة الجماعات المتنافرة عن طريق الجسد والمادة . ولما كان الإسلام دين مساواة ، لا فرق فيه بين أعجمي ولا عربي إلا بالتقوى ، ولا فرق بين أسود وأبيض ، ولا بين سيد وعبد فلم يكن المسلم يأنف من الزواج بزنجية ، أو حبشية ، أو مولى ، لأن الكل في نظر الله سواء . إن الامتناع عن الزواج يحمل في طبيعته ضرباً من التعالي والطبقية ، ولقد انتشر الإسلام في ربوع الأرض شرقاً وغرباً حين كان المسلمون الأوائل لا يخرجون من الاندماج ، مع غيرهم بطريق الزواج ، اتباعاً لما سانه الرسول عليه السلام بعد الهجرة للتأليف بين المهاجرين والأنصار .

وهل قنع النبي والمهاجرون بعد الهجرة إلى المدينة بالاستقرار فيها ، والاطمئنان إلى حياتهم الجديدة ؟ كلا ، فما زال حنينهم إلى ديارهم مشغلاً في جوانب قلوبهم ، حتى تحقق أملهم بفتح مكة . ولقد فتحت مكة أبوابها تستعيد إليها ابنها البار الذي ارتفع اسمه نبياً ورسولاً في أرجاء شبه الجزيرة العربية إيماناً بالحق لا خضوعاً للسيف . وطهر النبي مكة من الأصنام ، ونشر فيها ديانة التوحيد ، وأعلى كلمة الله ، ولاتزال عظة الهجرة باقية على مدى التاريخ شاهدة على العزة والكرامة ، والصدود في سبيل الحق ، والاستماتة طلباً لتحرير النفس .

وكنوز أحمد فوزي الدهواني

بالولايات المتحدة ، أو القبارصة الأتراك واليونانيين ، وغير ذلك .

وقد عالج النبي عليه السلام هذه المشكلة بأمرين أساسيين ، الأول المشاركة في العقيدة ، والثاني الزواج . ذلك أن الإسلام نفسه كان جديداً على أهل مكة وأهل المدينة ، والدعوة إليه هي الدعوة إلى نبذ عبادة الأصنام والشرك باقته والابتعاد عن الرذائل التي كان أهل الجاهلية ينغمسون فيها . وقد أشرك النبي معه المؤمنون من المهاجرين والأنصار في نشر الدعوة لهذا الدين الجديد ، بأن يعلم المسلم غيره مبادئ الإسلام ، ويتلو ما حفظه من آيات الله التي كان يتوالى نزولها على النبي قرآناً ، ويعلم هذا القرآن غيره ، كما يعلمهم الصلاة ، ويلتزم الجميع أداؤها في أوقاتها .

وكان أول ما عمله النبي بالمدينة أن قام ببناء مسجد للصلاة ، تعاون المسلمون ومعهم النبي في بنائه . وكان قبل ذلك يصلي حيث أدركته الصلاة . وأصبح المسجد منذ ذلك الحين مكان العبادة ، وملتقى المسلمين ، وندوة أمور دينهم ودنياهم ، وفيه يتشاور وإياهم في الشؤون التي تهمهم في الدنيا والآخرة . وفيه يتلقى المسلمون الجسد تعاليم الدين . وعلى الجملة أصبح المسجد رابطة العقد ، والبوتقة التي ينصهر فيها المهاجرون والأنصار من طريق الفكر والعقيدة والقلب والروح . أما الزواج فإنه السبيل إلى الاندماج

الموطأ للإمام مالك^{رحمته}

للأستاذ الفاضل بن عاشر

- ٢ -

والمستفتين بين المقيمين منهم والعابرين وبذلك كثرت الرواية عنه واختلفت أوجهها وكان كتاب الموطأ نظام ذلك العقد ، وقطب تلك الدائرة فقد كتب مالك الموطأ بيده ، ثم وكل به كاتباً له اسمه حبيب ، فنسخه له ، وكان يقرأه حبيب للناس في حلقة بين يديه وهو على منصفته يسمع ورواد الحلقة يكتبون ، وأحياناً يقرأ من كتب من إملأ حبيب لتصحيح ما كتب بسماع مالك إياه وإقراره عليه ، وفي هذه القراءة يعرض التوقف ، ويتحرك التطلع ، ويشور السؤال وبقتضى البيان ، فيكون ما اتصل بالقراءة في كل مجلس من مسائل وبيانات - غير ما اتصل بالقراءة في مجلس آخر ، فلذلك كان طالبو التخرج على مالك ، والتكون الفقهي به يلازمون مجلسه ويسمعون الموطأ كله عليه في مجالس متعاقبة بحسب ما يقتضيه الإتيان على الكتاب كله من عدد مجالس ، ثم يستمرون ويعيدون سماعه مرات عديدة ، لأنهم زيادة على متعة ذلك السماع وفائدة رسوخ الرواية

شاع ذكر مالك بن أنس في عصره فلا العالم الإسلامي ما بين المشرق والمغرب وتحدث الناس بعلمه وفقهه ، وتذاكروا تأليفه الموطأ ، وعجيب تصنيفه له وعظيم تحريره فيه ، وأحل هذا الشأن ، ما سكا منزلة سامية من الإجلال رفعه إلى قمتها ، فاشتهر بثباته على الحق الذي يراه ، وقلة اكترائه بما يناله في سبيل ذلك الثبات ، وأشرقت هذه التزكية بشريف نسبته إلى الحرم المديني والأنور فوصف بفقهاء الحجاز وطالم المدينة وإمام دار الهجرة .

وسرطان ما ضربت الناس إليه أكباد الأبل ، يسألونه الفتيا ، ويطلبون هذه العلم ، ويتخرجون بين يديه في الفقه وهو في ذلك المجلس الرهيب المهيب كما قيل فيه :

يا بني الجواب فلا تراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى
فهو المهيب وليس ذا سلطان
كان مجلس مالك غاصاً بالمستفتين والراوين

بالتكرار ، يحدون من مثار المسائل وتكرر الاستيضاحات والاستكشافات ، ما يمكن لهم في طريق الدربة والمران ، على النظر الفقهى ما يكملهم في ما يريدون من تحصيل ملكة الفتيا والاجتهاد .

هذا علاوة على أن لمالك مجلسا آخر ، غير مجلس رواية الحديث ، هو مجلس المسائل الذى يهرع فيه إليه المستفتون ، ويقبل بين يديه طالبو التخرج في الفقه على تقرير الصور واستيضاح الأحكام ، وبمبحث الأدلة ، وطرق الاستنباط ، وإن تصور هذه المجالس على اختلافها لصور لنا كثرة الراوين عن مالك ، واختلاف صفة روايتهم ، وتفاوت مقدارها ، فرب رجل جلس بين يديه فاستفتاه في مسألة وسمع جوابه فيها ، ثم انصرف ولم يلقه بعد فحدث بما سمع من مالك فعد راويا عنه ، ورب رجل آخر أتى المدينة زائرا قصد مجلس مالك ما اتسع له مقامه في المدينة فحضر أيا ما سمع فيها من الموطأ ، ومن غير الموطأ من الأحاديث والمسائل ما أصبح به من الرواة عن مالك ، به الذين اتوا قاصدين مالكا لسماع الموطأ سماع رواية كاملة متقنة مضبوطة محكمة حريصين على استعادة الرواية وتكرارها ، أو الذين أتوه طالبين الفقه متتلبذين له فيه حريصين على مواصلة العمل بالدربة والمران حتى يأنسوا من أنفسهم

ويأنس هو منهم رسوخ الملكة الفقهية والتأهل لممارسة الاجتهاد ، كما هو الشأن في التخرج العلمى الأعلى بين يدى الأساتيد ، لمن يريد الالتحاق بصفهم وهذا يوضح لنا ، أن رواية الموطأ عن مالك بن أنس ليسوا عامة الذين سمعوا منه ورووا منه ، ولا خصوص أصحابه ، من أتباع مذهبه المتفقهين بفقهه القائمين بعده بالتفريع الفقهى على طريقته ، فلقد روى الموطأ عن مالك كثير من لم يتقلد مذهبه ، ولا أخذ بأصوله الفقهية لتحصيل ما فى الموطأ من الأثر الصحيح ، والحديث الموثوق به ، فاتحها وراء ذلك الباب للنظر فى ما فى الموطأ من فقه مستنبط وأحكام مجتهد فيها ليوافق ذلك أو يخالفه .

وقد عقد القاضى عياض فى المدارك فصلا طويلا لإحصاء الرواة المشاهير عن مالك من غير الفقهاء على مذهبه ، وغير الذين ترجمهم فى المدارك باعتبارهم مالكية ، اشتمل ذلك الفصل على أكثر من ألف ليس فيهم مالكي ترجم لهم فى المدارك من بعد ، وقال عقب ذلك تركنا كثيرا ممن لم يشتهر بذلك أو جهل ولم يعرف من هو أو لم يذكر له عنه رواية إلا حكاية حال ، أو وصف قصة ، أو ذكر فى رواية ولم تصح روايته عند أهل المعرفة بالأثر .

هذا علاوة على أن لمالك مجلسا آخر ، غير مجلس رواية الحديث ، هو مجلس المسائل الذى يهرع فيه إليه المستفتون ، ويقبل بين يديه طالبو التخرج في الفقه على تقرير الصور واستيضاح الأحكام ، وبمبحث الأدلة ، وطرق الاستنباط ، وإن تصور هذه المجالس على اختلافها لصور لنا كثرة الراوين عن مالك ، واختلاف صفة روايتهم ، وتفاوت مقدارها ، فرب رجل جلس بين يديه فاستفتاه في مسألة وسمع جوابه فيها ، ثم انصرف ولم يلقه بعد فحدث بما سمع من مالك فعد راويا عنه ، ورب رجل آخر أتى المدينة زائرا قصد مجلس مالك ما اتسع له مقامه في المدينة فحضر أيا ما سمع فيها من الموطأ ، ومن غير الموطأ من الأحاديث والمسائل ما أصبح به من الرواة عن مالك ، به الذين اتوا قاصدين مالكا لسماع الموطأ سماع رواية كاملة متقنة مضبوطة محكمة حريصين على استعادة الرواية وتكرارها ، أو الذين أتوه طالبين الفقه متتلبذين له فيه حريصين على مواصلة العمل بالدربة والمران حتى يأنسوا من أنفسهم

التهديد لها في الموطأ من المعاني والأسانيد ،
 مثل رواية الإمام الشافعي ، ورواية سعيد
 ابن عقيرة ، وأما ما هو موجود من روايات
 الموطأ كلا أو بعضا ، فأقصى ما بلغ إلى علمنا
 من ذلك تسع روايات أقدمها وأجلها رواية
 هلي بن زياد التوفسي وهو أول من روى الموطأ
 عن مالك بنونس في حياة مالك ولا يعرف
 من هذه الرواية إلا قطعة يسيرة محفوظة
 بالمكتبة العتيقة بجامع عكة بالقيروان ورواية
 عبد الرحمن بن القاسم العتيقي المصري ، وتوجد
 منها قطعة ذات بال برواية الإمام سخون عنه
 هي أيضا ، مما اشتملت عليه مكتبة الجامع
 الأعظم بالقيروان ، واهتم الإمام أبو الحسن
 القاسبي القيرواني في القرن الرابع بتلخيص
 الأحاديث النبوية من هذه الرواية من مرفوع
 وموقوف في كتاب سماه المختص يوجد كاملا
 في المخطوطات ، ورواية عبد الله بن وهب وهي
 في كتابه الذي شمل روايته عن مالك وغيرها
 ويعرف بجامع ابن وهب وتوجد منه قطعتان
 بالمكتبة العتيقة بالقيروان وقد كان طبع منه
 جزءان بالتصوير عن نسخة قديمة جدا وجدت
 بالصعيد المصري ، ورواية أبي مصعب الزهري
 يوجد منها جزء بالقيروان أيضا ، ورواية
 عبد الله بن مسلمة القعنسي توجد قطعة منه ببعض
 المكتبات الخاصة بنونس ، فهذه خمس روايات

وهذا يفصح عن كون رواية الموطأ ليسوا
 من المالكية التزاما ، وأنهم رواة حديث كان
 اختلافهم بين مالكية وغير مالكية ، وبين
 موافقين على ما في الموطأ من فقه ، ومخالفين
 آية ذبوع وانتشار للموطأ ، ما كانت لتتحقق
 لو اقتصرت روايته على رجال مذهب فقهي
 واحد ، وقد هي الخطيب البغدادي في القرن
 الخامس بإحصاء رواية الموطأ فبلغوا قريبا
 من الألف ، وقال القاضي أبو بكر بن العربي
 روى الموطأ عن مالك من أصحابه ألف
 أو يزيدون .

وهذه الروايات على كثرتها ، منها - وهو
 الغالب - ما لا يعرف عنه إلا الذكر ، ومنها
 ما بقي أثر الرواية عنده والوقوف عليه ، في
 القرون الماضية ، ولا توجد عينه اليوم ومنها
 - وهو الأقل - ما لم تزل نسخته موجودة إلى الآن
 تامة أو ناقصة ، شهيرة أو خفية ، فمن روايات
 الموطأ التي بقي أثرها بالذكر والرواية فقط
 رواية عبد الله بن يوسف التنيسي الذي يروي
 عنه الإمام البخاري ، والذي اندرج من طريقه
 أكثر أحاديث الموطأ في صحيح البخاري ،
 وهو الذي يقول فيه البخاري . حدثنا عبد الله
 بن يوسف قال حدثنا مالك ، ومن الروايات
 المعروفة ذكرنا فقط أيضا ، ما وقف عليه
 الحافظ أبو عمر بن عبد البر وذكره في كتاب

كان يحيى بن يحيى ، أندلسى صعدوديا من سلائق البربر الذين دخلوا شبه الجزيرة ، في الفتح الإسلامى ، مع العرب . وكان ذكر مالك بن أنس وموطأ قد اشتمر ، والرحلة إلى المدينة لرواية الموطأ قد حمت ، ويحيى بن يحيى لم يزل في مبتدأ طلبه العلم بالأندلس ، فأخذ من علم مالك وفقهه عن الذين كانوا سافروا إليه ، في المدينة ، من فقهاء الأندلس وخاصة عن زياد بن عبد الرحمن . وروى يحيى الموطأ عن زياد في قرطبة وكان زياد قد سمعه من مالك بالمدينة . فامتلا يحيى إعظاما لمالك وشغف بعلمه وفقهه وهديه . وأشار عليه شيخه زياد بالرحيل إلى مالك وأخذ الموطأ منه ، ما دام حيا . فاتبع يحيى بن يحيى مقتضى همته السامية ، وامتثل لإشارة شيخه . فخرج من الأندلس يشد الرحلة إلى المشرق ، وانتهى إلى المدينة فلقى مالكا ، وأقبل على ملازمته إقبالا عجيبا ، على نحو ما كان له من شوق إليه وتعلق به عن ظهر الغيب .

وكان اتصال يحيى بمالك قد تقرر واستمر حتى السنة الأخيرة من حياته وبذلك اجتمع من شدة اهتمام يحيى بالرواية وإتقانها ، وحرصه لإقباله على مالك وكثرة ملازمته له ، إلى كونه آخر الرواة عنه أخذوا للموطأ ، بعد كل ما تعاقب على الموطأ من تهذيب وتنقيح

ف الموطأ لا نعرف منها إلا نسخا ناقصة هي على بن زياد وابن القاسم وابن وهب وأبو مصعب والقعنى . وهناك أربع روايات أخرى توجد تامة منها ثلاث طبعت وواحدة مخطوطة لم تطبع أما التي لم تطبع فهي رواية سويد بن سعيد العدناني وهي موجودة بالمكتبة الظاهرية في دمشق ، وعندنا بقونس نسخة منقولة عنها وأما التي طبعت من روايات الموطأ : فهي رواية يحيى بن يحيى الليثى المسعودى الأندلسى ورواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبى حنيفة ، ورواية يحيى بن البكير . فرواية الإمام محمد بن أحمد بن عثمان بن عيسى أوضح مثل لمن روى عن مالك من غير أتباع مذهبه وفيما يبين محمد ما خالف فيه مالكا من الفقه وينبذ على ما ليس من رأى أهل العراق وهو مطبوع بالهند وأما رواية يحيى بن البكير فقد طبعت بالجراند عن نسخة أصلية لها نظير بمكتبة القرويين بفاس رواها عبد المؤمن بن على بن المهدي بن قورمست بسنده إلى يحيى بن عمر الككناني دفين سوسه عن يحيى بن بكير وقد اتبع المهدي بن قورمست كلام مالك بخلاف ووافق ، واعتبر روايته مسaire للموطأ ، أما رواية يحيى بن يحيى الليثى فهي المشهورة المتداولة التي اتصلت بها الأسانيد وكتبت عليها الشروح .

سماعات وتفرعت أسانيد . وعن كل أصل كتابي من أصول هذه الطرق أخذت نسخ ، وقوبلت وحقت ، واثقلت بالمناولة واشتهرت ثم عورض بعضها ببعض ، وضبط ما بينها من اختلاف وتفاوت ، في نسخ متقنة مدققة ، كتبت بخطوط أعلام الرواة ، وأئمة العلماء فأصبحت مرجعاً للناس ومعولاً يطعنون بها إلى النقل العريخ ، والضبط الصحيح وتدور بها الروايات على محور من التثبت حماده الخط وثقافة الصاع ثم تحلق إلى أبق الفهم ، والبحث والكشف للبعاني والنقد ، والنز جميع بما جعل كتاب الموطأ أصلاً لحزانة كاملة جليلة من كتب الفقه والحديث تعتمد كلها على رواية يحيى بن يحيى ، إما لإفرادها في الأكثر ، وإما جمعاً لها مع غيرها في الأقل .

وتسكاد هذه العناية بدراسة الموطأ ، وتمحيصه ، وضبط فسحه تشول في معظمها إلى الإمام الفقيه المحدث أبي همر بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فلقد اهتم بضبط رواية يحيى بن يحيى من طريق ولده عبد الله ، وكتب نسختها بخط يده وصححها بالمقابلة فكانت أصلاً عظيماً للروايات الموثوق بها والنسخ المعتمدة ثم كان ابن عبد البر في طليعة الخائفين فصار الشرح والتخريج والمجلى في ذلك الميدان بما كتب على الموطأ من

متواصلين طيلة حياة مالك وصى الله عنه ، بما جعل رواية يحيى للموطأ أهم الروايات وأجدرها بالقبول . فاعتبرت أوثق روايات الموطأ وأثبتها ، وأجلها وأوعها . ورجع يحيى إلى الأندلس بهذا الكنز الفريد من العلم ، وعرف الناس فضل ما فاز به يحيى فثقلوا برواية الموطأ عنه ، وطلبوه من طريقه حتى أصبحت أكثر الأسانيد في رواية الموطأ مقتصرة على رواية يحيى بن يحيى ، وأغلب ما كتب على الموطأ مبنيًا على رواية يحيى . وبذلك فإن الموطأ ، بعد أن كان مشرقياً مدينياً بوضعه ، أصبح أندلسياً مغربياً بما أخذه وانتشاه ؛ إذ علا صيت موطأ يحيى فأقبل الناس عليه حتى انقطعت سلاسل الإسناد بالروايات الأخرى واتصلت برواية يحيى ، إلا ما يرجع إلى موطأ الإمام محمد بن الحسن وموطأ ابن القاسم ، من طرق غير مشهورة ولا منتشرة .

وكانت الطرق التي ترجع بالأسانيد في الموطأ إلى يحيى بن يحيى منتهية كلها إلى قرطبة ؛ لأن الموطأ لم يؤخذ عن يحيى في غيرها .

ومرجع هذه الطرق كلها إلى ثلاث هي :

طريق عبد الله بن يحيى بن يحيى .

وطريق محمد بن وضاح ، وطريق محمد العتيبي .

ومن كل طريق من هذه الطرق تعددت

إلا أن أكثر ما ذكر من ذلك لا تعرف له اليوم عين .

وإن أهم ما يضارع صنيع ابن عبد البر متقدما عنه أو معاصرا له إنما يظهر في تصنيفين جليلين على الموطأ .

الأول في الناحية الحديثية وهو كتاب مسند حديث الموطأ واختلاف لفظه وتغير غريبه وتسمية رجاله وتاريخهم وعدد من فيهم من الصحابة من الرجال والنساء وما لكل من الأحاديث ومن التابعين ، تصنيف أبي القاسم الغافقي المصري من رجال القرن الرابع وهو كتاب عجيب توجد منه نسخة فريدة في استانبول .

والكتاب الثاني كما يذكر إلى جانب كتب ابن عبد البر هو معاصر له في الوضع وهو شرح على الموطأ لمعانيه وأحكامه بالتعليق على لفظ الموطأ صنفه أبو الوليد الباجي الأندلسي المتوفى سنة ٤٧٤ هـ وسماه (المنقح) لأنه خصه من شرح أوسع سماه الاستيفاء وكتاب المنقح مطبوع في صبيح مجلدات .

أما الذين تتابعوا على خدمة الموطأ بعد هذين الإمامين ابن عبد البر والباجي ، فيأتي في مقدمتهم القاضي أبو بكر بن العربي بشرحيه الاثنين اللذين جعل أحدهما إملأ على الأبواب وجما لما فيها من الآثار وسماه (القبس على موطأ مالك بن أنس) وهو موجود في المخطوطات ونسخه معتددة وشرحه الآخر

ناحيته الفقهية والحديثية فقد كتب عليه شرحا للفقه والمعاني سماه (الاستمكار) وألف كتابا في ما في الموطأ من الأحاديث المسندة والمرسلة رتب على أسماء الرواة سماه (التقصى) وألف كتابا جامعا للناحيتين معا سماه (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) فكتاب الاستمكار لا يعرف عنه إلا الذكر وإلا تلخيصا يجمع بينه وبين المنتقى لأبي الوليد الباجي تصنيف ابن زرق الأشبيلي من رجال القرن السادس وتوجد نسخة خطية منه بتونس وكتاب التقصى مطبوع وسمى غلطا باسم التمهيد وكتاب التمهيد هو من الموسوعات الجلية وتوجد منه نسخة كاملة في أحد عشر مجلدا باستانبول .

على أنه إذا كان فضل ابن عبد البر في خدمة الموطأ نصا ومعنى قد قلد مزبته رقاب أهل القرون التالية له من القرن السادس فما بعده ، فإن هذا لا يغطي على ما للبتقدمين على ابن عبد البر والمعاصرين له من فضل ، تقلده ابن عبد البر وغيره وإن كان غير ابن عبد البر قد قل أن يجمع ما لابن عبد البر من أثر في خدمة الموطأ على اختلاف نواحيه فهذا القاضي عياض في المدارك يذكر شروحا للموطأ وكتبا تفسر غريبه وترتب الرجال المتقدمة على ابن عبد البر بله المعاصرة له .

وباهتمام ابن حجر تحركت همة رجال الحديث من المصريين والشاميين للاهتمام بالموطأ ، فألف الامام الكبير جلال الدين السيوطي على الموطأ ثلاثة تأليف في القرن التاسع ، شرح سماه (كشف الغطاء) وآخر سماه (تنوير الحوالك) وهو مطبوع وكتاب في رجال الموطأ وضبط أسمائهم ومختصر تراجمهم سماه (إمعاف المبطل) وهو مطبوع أيضا . وألف الشيخ زين الدين الشمام الحلبي في القرن التاسع أيضا شرحا اختصره من المفتي لأبي الوليد الباجي .

ومع ذلك فإن هذا الاعتناء لم يكتب له الذبوع الكامل حتى إن العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني الأزهرى في صدر القرن الثاني عشر لاحظ أن الموطأ مهجور بمصر وأن شروحه هزينة فأنصرف إلى تدريسه بالأزهر الشريف وإلى كتابة شرح نفيس عليه طبع مرات متعددة هو الذي أحياه الموطأ بعد الاندثار . وعليه اعتمدت دراسات الموطأ إلى اليوم وبه زاد استقرار الموطأ على رواية يحيى لأنها الرواية التي بنى عليها الإمام الزرقاني شرحه كما بفتت عليها الشروح السابقة .

الفاضل به عاشر

تونس

الذي جعله تبعا للألفاظ وبيانا لمعانيها وتوضيحا لأحكامها وسماه (ترتيب المسالك على موطأ مالك) وهو من المخطوطات النفيسة النادرة وتوجد منه نسخة - فيما عرفنا - بتونس .

ولعل انصراف الفقهاء إلى التفريع وانصرافهم عن الأصول هو الذي حال بينهم وبين الاهتمام بشرح الموطأ إذ عني فقهاء المالكية بالمدرسة والمختصرات وأقبل أهل الحديث على صحيحى البخارى ومسلم وإن بقي ذكر الموطأ شائعا بالرواية والإسناد والرجوع إليه وإلى شروحه في تأصيل المباحث الفقهية .

فكان الشيخ محمد بن هارون الطائى القرطبي ثم التونسى مشهورا برواية الموطأ وعلو الإسناد فيه ، وهو الذى كان يعقد مجلسه لذلك بجامع الزيتونة الأعظم في القرن السابع .

وكان تلميذه الرحالة الشهير محمد بن جابر البادياشى التونسى الذى حدث به عنه في المغرب والمشرق وإليه ترجع معظم أسانيد وأعلامها ، ومن طريقه يرويه الحافظ ابن حجر المصرى في القرن التاسع من بن عرفة وابن خلدون .

فتح آية القرآن

موازنات القرآن بين المنافقين وأهل الإيمان للإمام عبد اللطيف البكي .

فإنه القرآن ، يهدي للتي هي أقوم .
وقد سار بنا القرآن في حديثه عن المنافقين
أشواطاً بعيدة ، وذكر لنا من مخازيهم قدراً
غير ضئيل .

وهو الآن يقول عنهم : المنافقون ،
والمنافات بعضهم من بعض ، فهم في حكم
شيء واحد ، لا يختلف في جنسه ، ولا في
شكله ، ولا في آثاره الناجمة عنه .

فهم على وضع واحد في تخلفهم عن الخير
كله ، وفي ميزان أعمالهم ، وهم على قدم واحدة
في الوعيد ، وسوء الجزاء عند ربهم .

هم يأمرن بالمنكر الذي يأباه الله ،
ورسوله ، ويتمرج منه العقل الراجح
وهم يكذبون ، ويغترون ، ويفجرون ،
وهم يراءون ، ولا يقنصون بالخير ،
ويمسكون أموالهم عن الإحسان ، ويقبضون
أيديهم عن الجهاد ، وعن كل معروف .

د المنافقون والمنافات : بعضهم من بعض
يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف ،
٦٧ توبة د المؤمنون والمؤمنات : بعضهم
أولياء بعض ، يأمرن بالمعروف وينهون
عن المنكر ، ٧١ توبة .

١ - في حديثنا اليوم نجد للقرآن تشخيصاً
غير هين للمنافقين : فيما بينهم من تشابه فيما هم
عليه من النقائص .

ونجد له في مقابلة ذلك تشخيصاً كريماً
للمؤمنين فيما ينتظمهم من الولاء الحميد ،
وما هم عليه من فضائل مشكورة .

ونود أن تكون نظرتنا في الجانبين نظرة
تفقه ، وموازنة ، واعتبار . لا مجرد نظر
قصصى في شئون نزعها بعيدة عنا ،
أو لا تتصل بنا .

فإن كتاب الله لا يتجه بنا إلى مجرد الحكاية
بل وجهته في كل ما يبديه هي إفاذتنا بلفت
نظرننا إلى ما جرى ، أو يجري على غيرنا ،

الذين أخذهم جميعا عذاب الله في الدنيا ،
فضلا عما يستقبلونه في الآخرة ...

هؤلاء جميعا استمتعوا بمحظهم في دنياهم
على ما شاءت لهم نفوسهم ، وأهواؤهم
وغاضوا في الباطل بقدر ما كان لهم
من قوة ، ومال ، وأولاد ومع هذا الطول
من أسباب الهوان الذي فاق ما اغترت به قريش
ومنافقو اليهود والنصارى في عصر الإسلام
فقد حاق بهم ما حاق من هلاك ، وتدمير
وذهاب من الدنيا .

وحبطت أعمالهم كلها ، فساكن منها دنياويا
فقد باء بالخسارة عليهم ولم يبق له أثر
ينتفعون به كما توهموا بقاءه ، بل كان ضرره
عليهم أكبر من نفعه لهم حيث صرفوا مهمهم
في ملذات ثم كانت وبالاً وعذاباً .

وما كان من عملهم خيراً فقد بطل
ولم يكن قربة لهم ؛ لأنه رياء ، ونقص ،
وتكلف وهذا خسران لا يدرك ،
وحرمان لا يطاق وانتهى به أمر أولئك
الجبارين السالفين .

فما نقو قريش ومن إليها من أهواء
الإسلام لا يكون حالهم عند الله خيراً
من أولئك . دأ كفاركم خير من أولئكم ،
أم لكم براءة في الزبر - الكتب - أم يقولون
نحن جميع مقتصر . سيمزم الجميع ... ،
في دنياهم ، وآخرتهم .

كل ذلك لفساد ميولهم ، وإعراضهم
عن جانب الله ، وزهادتهم في مرضاة ربهم
حتى كأن هذه القربات ونحوها غير مشروعة
أو منسية في حسابهم .

فأله تعالى يتركهم لأنفسهم ، ويعاملهم
بمثل ما فعلوا ، وكأنهم منسيون عنده ،
فلا يفتح لهم باب رحمته ، ولا يمنحهم شيئاً
من ثوابه ، لأنهم جنوا على أنفسهم بالخروج
على دين الله ، فهم الفاسقون باختيارهم ،
وإصرارهم ، وهم خير أهل لمرضاة الله ،
فحقت عليهم لعنة الله ، وهددم بوعيده المزعج
أن يكونوا مع الكفار في نار جهنم خالدين
فيها ، وهي جزاء يليق بهم ، وعذابها كفاية
لهم جميعاً ، بل لهم مع هذا العذاب عذاب
آخر يقيم معهم : كاندنم الذي يساورهم
ولا ينفعهم ندمهم هذا لفوات وقته . . .
وكالطمع في تخفيف العذاب عنهم ، وهم
لا يظفرون بهذا التخفيف ، فقتلهم
الحسرة .

ولم يكن هذا ، ولا بعضه مفاجئاً لهم ...
بل أخبرهم الله به على لسان رسوله وحذرهم
من النفاق ، ومن الوقوع في مهواته .

وكم ضرب لهم الأمثال بالسابقين في الكفر
وفي النفاق : كقوم نوح ، وعاد ، وثمود ،
وقوم إبراهيم وأصحاب مدين وقوم لوط

فأولئك حزب الشيطان .

وهؤلاء هم حزب الله و فرق بين من وصفهم الله بأنهم هم الفاسقون وهم الخاسرون وهم الظالمون ، وبين من جمع الله من مناقبهم الحسنى ما جمع ، حتى أكد أنهم في رعايته ، وأنهم هم المفلحون .

وما ظنك بقوم وصفهم وهم بأنهم أولياء بعض في جانب الحق ، وأنهم على وجهه رسمها الله لهم ، وأنها الوجهة الهادفة إلى الإصلاح والنجاح في الأولى والآخرة ، وذكر الله عنهم من المحاسن ما يفيء عن فضائلهم ، ورفعة شأنهم .

فقال فيهم : يأمرن بالمعروف ، وينهون عن المنكر ... فهم في جانب الدين ، وفي جانب العقل ، وفي طريق الإنسانية الرشيدة . وهم يقيمون الصلاة في ارتياح إليها وغبطة بالمثابرة عليها : فرضا ، وفعلا ، ولا يقومون إليها كسالى كما يفعل المرءون بها نفاقا وتكلفا .

وفي الصلاة مناجاة لله ، وتجديد العهد معه في كل وقت ، وفيها استئجاب لروح الإخاء الإنساني في اليوم الواحد مرات عديدة ، فتكون الصلاة استعانة على الخير ، وتضامنا في الإخاء ، ومقاومة لوساوس الشيطان عند الفرد ، أو بين الجماعة ... كما علمنا الله في قوله : **« واستعينوا بالصبر والصلاة ... »** .

وكافعل الله بمن سلف ، سيفعل مع من خلف من المنافقين والكافرين ، فسنة الله قائمة ، وجارية على مقتضى حكمته .

وهذا كله من جناية الناس على أنفسهم ، وعدم تبصرهم قبل أن تطوهم الأيام ، وتذهب آمالهم أدراج الرياح ، وما كان الله ليظلم عباده ، ولسكن كانوا هم الظالمين ؛ بسوء اختيارهم ، واستسلامهم لكواذب الأمانى ، أو لطمعهم في طول الحياة حتى تكون لهم فرصة الاختيار على مهل من الأيام .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ... »

وفي هذه الآيات مقابلة بين المؤمنين والمنافقين ، وهى مقابلة بين الصدين فهذا مقام التزكية للمؤمنين ، وتبشيرهم بالنعيم وذلك موقف التدفيع على المنافقين والخط من شأنهم ، وإزعاجهم بما يستقبلونه من غضب الله ، وعذابه .

هذا مقام الحديث عن الأصفياء الذين جمعهم الله في إطار المحبة وربط بينهم بالولاء لا بالتعصب في الباطل .

وفرق بين خبث الشيطان ، وانضواء المفسدين وراءه وبين هداية الله ، واعتصام الأخيار بحبل الله .

النعيم في درجاتها المتفاوتة فإن مقام الرضوان عند الله روحى يفوق تلك المقامات الأولى شأوا ومتاعا ، ولا يدرك كنهه غير الله تعالى .

وبهذا المقام تكمل السعادة في رحاب الله لمن اكتمل إيمانه وصلح عمله في إخلاص . وإن يكن الجزاء على العمل الصالح فضلا وعدلا من جانب الله ، فإن الله قد أبى على نفسه أن يقف بنا عند مجرد الجزاء بالمثل فحسب .

بل توسع في فضله حتى بلغ عطاؤه مضاعفة الجزاء الحسن إلى عشرة أمثال بل إلى سبعمائة مثل ، بل زاد من ذلك إلى قدر لا يعلمه غيره . جل ثناؤه .

كما قال - عز سلطانه - : والله يضاعف لمن يشاء . وكما قال : : للذين أحسنوا : الحسنى ، وزيادة .

وكما قال : : ورضوان من الله أكبر .

ثم قال : : ذلك هو الفوز العظيم ، نعم : هذا هو الفوز العظيم .

فذلك كله تدليل حق على أن فضله لا يقف عند حدود ، وأنه لا يحجبه عن يستحقه في تقدير الله ، وفي حكمته .

وكفى بهذا بيانا من جانب الله ، وتشجيما على التماس فضله في سعة من فيضه .

والمؤمنون يؤتوا الزكاة ، ويبذلون في سبيل الله فلا يقبضون أيديهم كما قبضها المنافقون ، ولا يفسون أنفسهم في عمل الخير كما نسيها المنافقون .

والشأن فيمن يصل ، ويبذل المال عن طيب نفس أن يكون مراعيًا للأمانة الدينية كلها ، وأن يكون متخلقا بالنزاهة من الفذبذة في شخصيته المعنوية .

وهؤلاء جديرون من الله بالبشرى الحقة في قوله تعالى : : وأولئك سيرحهم الله ، وهذا على النقيض من وعيد الله المنافقين باللعنة ، والفضب وحبوط العمل ، والخلود في النار ، وفي العذاب الآخر المقيم معهم في جهنم ، ولا يفارقهم ، ولا يخفف عنهم .

وحسب المؤمنين أن يشهد لهم الله بالطاعة وأن يعدم بالرحمة .

وأن يكرر لهم ذلك الوعد تفصيلا فيقول سبحانه : : وعد الله المؤمنين ، والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ، أى في أرفع مكان من الجنة .

ثم يضنى عليهم فوق ذلك شأننا فوق كل شأن ، فيقول : : ورضوان من الله أكبر .

فإن يكن الجزاء تفضلا وعدلا من الله هلى الأهمال الصالحة ، وإن تكن الجنات هى مقر

وهل هذا العطاء كله أو بعضه منوط بالعمل الروحي بما يعتد في العرف عبادة كالصلاة والصوم والزكاة مثلا .

ويؤمنوا حق الإيمان بما دأبنا به : ليكون عملهم مأجورا في الآخرة إلى جانب نفعه في الدنيا .

إن الله لم يحظر علينا أن نأخذ حظنا من الدنيا فيما أباح .. ولم يحتم علينا أن نتعاشاها زهدا فيها ، أو كرامة لها .

ولم يجعل حياتنا كلها ركوبا ، وبجودا وعكوبا على المعابد والمهاريب بل فرض من ذلك كله قدرا محدودا . ثم بسط لنا مجال العمل الديني في كل جانب تعم به الدنيا وتنسج به الأرزاق ، وتجل به الحضارة الإنسانية ظاهرة في نعم الله على عباده .

بل جعل الله كل عمل يراد به الخير داخلا في نطاق الدين ، متى صحبته نية الخير .

واشترط على خلائقه أن يتعقلوا دين الله ،

ووجهه وسلطانه ، وهو خاسر للدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، والعياذ بالله .

عبد اللطيف البكي

واجب وأوجب

سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه ، عن ثمانية أمور :

واجب وأوجب ، وعجيب وأعجب ، وصعب وأصعب ، وقريب وأقرب :

فأجاب بقوله :

من واجب الناس أن يتوبوا	لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر في صرفه عجيب	وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر في المنائب صعب	لكن فوات الثواب أصعب
وكل ما ترتجي قريب	والوقت من دون ذلك أقرب

غزوة أحد

بين القرآن والشعر

لدكتور الدكتور أحمد عبد بدوي

- ١ -

بالهجرة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا
خائبين كما جاءوا ؛ ولكن جماعة من المتحمسين
أخذوا يلحون على الرسول أن يخرج إلى القوم
حتى دخل بيته ، ولبس لأمته ، مستعدا
للمركة ، وخرج معه ألف من أصحابه ، فلما
كان ببعض الطريق انخزل عنه عبد الله بن أبي
إسحق بن سلول بثلك الناس قائلا : ما ندرى هلام
نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، وقال لمن
نصحه بالعودة إلى معسكر الرسول : لو نعلم
أنكم تقتلون لما أسلناكم ، وكلنا لا نرى أنه
يكون قتال .

ومضى الرسول في سبعمائة مقاتل ، حتى نزل
الشعب من أحد ، وجعل ظهره إلى الجبل ،
وقال : (لا يقاتلن أحد منكم ، حتى يأمره
بالقتال) .

ولكى تزيد قريش من روحها المعنوية
ولكيلا يفر المقاتلون من الميدان ،
استصحبوا بعض نساءهم معهم ، يضربن
بالدفوف ، ويحثن الرجال ، ويحرضنهم
بالشعر على القتال .

لم يهدأ المشركون بعد ما أصابهم في بدر ،
من هزيمة منكرة ، وأخذوا يعدون العدة
لجولة أخرى يشارون فيها لمن قتل منهم ،
فأرسلوا وسلمهم إلى العرب يستنقروهم ؛
فاستجاب لهم جموع من قبائل شتى ، وهينوا
المال للإنفاق على هذه الحرب ؛ فقد مشى
عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل
وصفوان بن أمية وغيرهم ممن أصيب آباؤهم
وأبناءؤهم وإخوانهم في غزوة بدر ، وكلوا
أبا سفيان ومن كانت له تجارة في تلك العير
التي كانت سبب هذه الغزوة ، وسألهم أن
يعينهم بذلك المال على حرب الرسول ؛
ففعّلوا ، وأخذ القوم يتجهزون .

واستطاع الأعداء أن يجمعوا ثلاثة آلاف
رجل على رأسهم أبو سفيان ، ومضوا حتى
نزلوا قريبا من المدينة ؛ فلما سمع بهم الرسول
جمع المسلمين يستشيرهم ؛ وكان رأيهم أن يقيم
بالمدينة ، ويتركهم حيث نزلوا فإن أقاموا
أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا المدينة قاتلهم
الرجال في وجعهم ، ورمم النساء والصبيان

ابن قنّة وجنته ، ودخلت حلقتان من حلقة المخفر (١) في وجنتيه ، ووقع الرسول في حفرة من الحفر التي صنعها العدو ، ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون .

ومضى أبي بن خلف يريد قتل الرسول ، ولكن رسول الله طعنه بحربة في عنقه ، نكص بعدها على عقبيه ، وكانت سبب موته ، وهو في الطريق إلى مكة .

ولما رأى المسلمون الرسول ، وكان قد أذاع بعض أعدائه أنه قتل ، أقبلوا يحيطون به ، ويقتلون من دونه .

وانجلت المعركة عن خمسة وستين قتيلًا من المسلمين ، سقطوا في الميدان دفاط عن دينهم ، كان منهم حمزة عم رسول الله ، وقد مثلت بجثته هند امرأة أبي سفيان أبشع تمثيل . ولم يفقد العدو سوى اثنين وعشرين رجلاً .

وأشرف أبو سفيان بن حرب على الجبل ، وصرخ بأعلى صوته ، فقال : أنعمت فعال ، لأن الحرب سجال ، يوم بيوم ، أعل هبل ؛ أى أظهر دينك ؛ فقال رسول الله : قم يا عمر فأجبه ؛ فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ؛ قتلانا في الجنة ، وقتلاك في النار .

ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاك مثل ، والله ما رضيت ، وما سخطت ، (١) ما يجعل على الرأس وقاية لها في الحرب .

وبينما كان في الأعداء سبعمائة دارع ومائتا فارس ، لم يكن في المسلمين سوى مائة دارع وفرسين .

وتعباً الفريقان للقتال ، وأمر الرسول على الرماة الخسین عبد الله بن جبير ، قائلاً له : أنضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك ، لا تؤثين من قبلك ؟ .

وحمل المسلمون حملة صدق على أعدائهم ، زلزلوهم من مكانهم ، ودخلوا عسكرهم ينهون ما فيه غنيمة لهم ، ومضى المشركون منهزمين وهربت النساء مصعدات في الجبل لا يحول شيء دون أسرهن ؛ فلما رأى بعض الرماة هزيمة عدوهم قالوا : إنه لا معنى لمقامهم في مكانهم ، وأقبلوا يريدون أن يشاركوا في نهب المعسكر المهزوم ، فرأى ذلك خالد ابن الوليد ، وكان على ميمنة خيل القرشيين ورأى قلة من بقي من الرماة ، فحمل عليهم ، وقتلهم وحمل على أصحاب الرسول من خلفهم فلما رأى المشركون خيلهم تقاثل تبادروا فشدوا على المسلمين فمزموهم ، وخلص العدو إلى رسول الله ، يريدون الفتك به فأصابه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة حتى وقع على جانبه ، وأصيب رباعيته ، وشبهه عبد الله ابن شهاب الزهري في وجهه ، فجعل الدم يسيل منه ، وجرحته شفتيه ، كما جرح

فوجده ببطن الوادي، قد بقر بطنه من كبده ومثل به فجذع أنفه وأذناه، قال: لئن أظهرني الله على قریش في موطن من المواطن لأمثلن، بثلاثين رجلا منهم؛ ولما رأى المسلمون حزن رسول الله وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظهرنا الله بهم يوما من الدهر لأمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب.

قال ابن إسحق: حدثني من لا أتهم عن ابن عباس أن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه: «وإن طافتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين». واصر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم، ولا تلك في ضيق مما يمكرون، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصبر ونهى عن المثلة^(١).

وتناول القرآن أسباب الهزيمة وحكمها، فلقد كان النصر للؤمنين في أول المعركة، ثم انقلب هذا النصر هزيمة، لاختلافهم وعصيانهم أمر الرسول، ورغبة بعضهم في الظفر من الغنيمة بنصيب، فقال: «ولقد صدقكم الله وعده، إذ تحسونهم»^(٢) بإذنه، حتى إذا فشلتم، وتنازعتم في الأمر وعصيتهم

وما نهيت، وما أمرت؛ إن موعدكم بدر للعام القابل.

وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة للهجرة.

وعاد الرسول إلى المدينة، وقفل العدو إلى مكة، ثم بدا للشركيين أن يعودوا ثانية؛ ليستأصلوا شأفة المسلمين في زعمهم، ولكن أباسفيان اتجه إلى مكة ثانية. ولم ينفذ ما عزم عليه، مع أن الرسول عندما سمع نبأ عودته خرج إليه مع صحبه بثلثين رغبة في الجهاد.

أما الآيات القرآنية التي تناولت تلك الغزوة فترى كلها إلى أن تزيل عن قلوب المؤمنين مأسها بعد الهزيمة من ألم وما قد يصيبها من وهن، لقد أقرت الآيات الكريمة ما فعله الرسول في تلك الغزوة؛ من مشاورة صحبه، وعدم الانفراد برأيه، وابن الجانب معهم، وعدم التردد بعد التصميم والعزم، وذلك إذ يقول سبحانه: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزم فتوكل على الله؛ إن الله يحب المتوكلين».

ولكن القرآن يقوم بعزم الرسول إذا احتاج إلى تقويم، فقد روى أن رسول الله حين التمس عهده: حمزة بن عبد المطلب،

(١) سيرة ابن هشام ٣، ١٠١، ١٠٢.

(٢) الحس: الاستئصال.

هذه الهزيمة ، وهى معرفة مدى عمق العقيدة فى النفوس ، فى الشدائد تتجلى أغوار القلوب ويبدو هؤلاء الذين اطمأنوا إلى الإيمان ، واستقرت ضمائرهم عليه ، لا تغيرهم شدة ، ولا تززع عقيدتهم مصيبة تنزل بهم وهؤلاء هم الذين يمكن الاعتماد عليهم والوثوق بهم . أما أولئك المنافقون الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم فأولى أن ينكشف أمرهم حتى يأمن الناس شرهم .

ويصف القرآن هزيمتهم ، وإكبهه بأخذهم بالرفق ، ويدعوهم إلى الثبات فى الشدة ، فإذا كان النعم قد ملأ قلوبهم ، لما نزل بهم ، فقد ملأ النعم من قبل ذلك قلب هدوهم ، ومع ذلك أقبل هذا العدو يريد الأخذ بشأره ؛ فلا ينبغي إذا الحزن على نصر قد فات ، وهزيمة نزلت .

وكان الله رفيقا عندما أنزل على المؤمنين منهم النعاس تأمن به قلوبهم ، ويفارقها به شبح إخوانهم صرعى فى ميدان القتال . ولكنه يضع طائفة أخرى تتلظى بنار الألم ؛ لأنها تظن بالله غير الحق ظن الجاهلية ، فيشتد حزنها على ما فات ، وتخفى فى نفسها الكفر والنفاق ؛ فيقول الله سبحانه : « إذ تصمدون ولا تلون على أحد ، والرسول يدعوكم فى أخراكم ، فأمامكم غما بنم ؛ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ، ولا ما أصابكم ، والله خبير

من بعد ما أراكم ما تحبون ، مذكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ، ؛ ليتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ، . ويبدو فى الآية الرفق الذى عوملوا به ، عند ما تؤكد لهم أن الله قد عفا عنهم .

وأشارت الآية إلى حكمة هذه الهزيمة وهى اختبار قوة إيمان المسلمين ، وامتحانهم بتلك الشدة ، ليقين الصادق الإيمان ويتميز من مزعزع العقيدة ، وتنازلت الآيات بيان هذه الحكمة فى غير موضع ؛ فمرة تقول : « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فياذن الله ، وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم : تعالوا ، قاتلوا فى سبيل الله ، أو ادفعوا ، قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم ؛ هم الكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون » .

ومرة تقول : « ما كان الله ليزدر المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يميز الخبيث من الطيب » .

وأخرى تقول : « ولیمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين . أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ويعلم الصابرين » .

فالقرآن يقرر فى كل هذه المواضع حكمة

لم ينفردوا بالهزيمة ، وإذا كانوا قد أصيبوا اليوم فقد أصيب عدوهم بالأمس : « إن يمسسكم قرح »^(١) ، فقد مس القوم قرح مثله ، ولا سيما أنهم هم الذين كانوا سبب هذه الهزيمة بقنازهم ، وخلافهم أمر رسول الله : « أولها أصابتكم مصيبة ، قد أصبتم مثلها قلتم : أنى هذا ؟ قل : هو من عند أنفسكم ، ومنها أن كثيراً ما حدث لأصحاب الرسل أن أصيبوا في سبيل الله ، ومع ذلك لم يضعفهم ما نزل بهم ، ولم يحطهم مستكبرين للذل ، بل اعتقدوا أن ذلك يعود إلى عيب في أنفسهم ، فابتلوا إلى الله أن يغفر لهم ذلك العيب ، وأن يمنحهم من لدنه قوة وثباتاً ، فاستجاب الله لهم ، ومنحهم خير الدنيا والآخرة : « وكأين من نبي قاتل معه ربيون »^(٢) كثير ، فاهتدوا لأصحابهم في سبيل الله ، وماضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا : ربنا ، اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين ، ومنها وعد بالانتصار في قابل المعارك ، تقول إحدى آيات الغزوة : « ولا تنهوا

بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً ، يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ، ظن الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل : إن الأمر كله لله ، يخفون من أنفسهم ما لا يبدون لك ، .

وهؤلاء الذين تولوا منهمذين ، مع أن الشيطان هو الذي دفعهم إلى ترك ميدان القتال يعلن القرآن عفوه عنهم ، حتى لا يسد الطريق عليهم في مستقبل الأيام . بل يفتح لهم مجال العمل ، ويشعرهم بالعطف والرحمة إذ يقول : « إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجحان ، إنما استزلهم »^(١) الشيطان ببعض ما كسبوا ، ولقد عفا الله عنهم ، إن الله غفور حلیم ، وهكذا نرى الرفق الذي يأسو السكولوم ويفتح باب الأمل .

وكذلك نرى الرفق في الحديث عن طائفتين من جيش الرسول همتا بالفشل ، فيقول عنهما « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ، والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

وكان هدف القرآن أن يمحو عن القلوب أثر تلك الهزيمة ، وأن يرفع من ووحهم المعنوية ، وأن يثبت إيمانهم بالله . وكان لذلك وسائل شتى .

منها أنه لا ينبغي الاستسلام إلى الأعداء فأنهم

(١) القرع : أثر السلاح في البدن .

(٢) ربيون : جماعات .

(١) جعلهم ينحرفون .

وقد مالج القرآن ذلك ملاجا حكما،

وانقوا ، أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ، ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه ، فلا تخافوهم ، وخافون ، إن كنتم مؤمنين ، . وتصور الحرب من ميدان القتال بأنه خوف من الشيطان يدفع نفس المؤمن إلى أن تبعد هذا الخوف بكل ما تملك من قوة .

ويظهر من التأمل في آيات هذه الغزوة أن بعض ضعاف النفوس قد أصغى واستجاب إلى كلام المنافقين الذين أرادوا أن يزلزلوا عقائد المؤمنين ، وأن يشككوا في أمر الرسول الكريم بسبب هذه الهزيمة ؛ نفهم ذلك من آيات هذه الغزوة التي تقول : « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ؛ إنهم لن يضروا الله شيئاً ، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ، ولهم عذاب عظيم . إن الذين اشترؤا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ، ولهم عذاب أليم . ولا يحسن الذين كفروا أن ما نمل لهم خيراً لأنفسهم ؛ إنما نمل لهم ليزدادوا إيماناً ، ولهم عذاب مهين . » ومن الواضح أن القرآن لا يلتزم جانب الرفق مع هؤلاء المنافقين ، الذين أبدوا

بل يؤكد القرآن أن هؤلاء الشهداء أحياء لا يموتون ويصف حياتهم السعيدة عند ربهم وصفاً يحجب الشهادة إلى النفوس ، ويبعد عنها خوف الموت من الجهاد وذلك إذ يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . »

وهي آيات مشرقة بالأمل في حياة سعيدة يناها الشهيد ، فيقدم المؤمن على القتال بقلب مطمئن ، لا يخشى الموت ، ولا يرهب الجهاد . هكذا رأينا آيات هذه الغزوة ، رفيعة رحيمة تفتح للؤمنين باب الأمل والعمل وتبعد عنهم شبح الخوف من موت تنتهي به الحياة .

وسجل القرآن فضل أولئك الذين لم يرهبهم تهديد المشركين بالعودة لاستئصال أصحاب الرسول بعد معركة أحد . كما سبق أن ذكرنا ؛ وقد بينا أن أصحاب أبي سفيان لم ينفذوا هزمهم ، بل انقلبوا إلى مكة ، وعاد المسلمون لم يمسسهم كلم ، فسجل القرآن ذلك إذ قال : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم ، »

إذا اقتنع المرء بما ثبت عليها إذ يقول سبحانه:
وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ،
وسيجزي الله الشاكرين .

وفي ختم الآية بالحديث من الشكر وجزائه
دلالة على ما ينبغى أن يقابل به إرسال
الرسول من شكر على هذه النعمة التي
أخرج الله الناس بها من الظلمات إلى النور ،
وقد صرح القرآن بذلك في آيات تلك الغزوة
فقال : « لقد من الله على المؤمنين ، إذ بعث
فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ،
ويزكّيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ،
وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ؛ وإذا
كان الرسول قد أخرجهم من الضلال المبين ،
وعلمهم الكتاب والحكمة ، فمن خطئ الرأي
أن ينكسروا على أعقابهم إذا مات ؛ فيرجعوا
إلى ما كانوا فيه من جهالة جهلاء . (يتبع)

وكنوز الصمد أحمد بدي

من ضعف العقيدة ما يستحقون من أجله
ذلك التهديد ، وبيان أن ما ناله الكفار
من نصر إنما هو إملاء لهم ، لكي يزدادوا
إثما ، ولكن ينتظرم العذاب المهين .

ولذلك يحذر الله من طاعة الكفار ،
ويجعل عقبي هذه الطاعة الخسران : « يا أيها
الذين آمنوا ، إن تطيعوا الذين كفروا
يردوكم على أعقابكم ، فتقلبوا خاصرين .
بل الله مولاكم وهو خير النصيرين ، ويوازن
بين المطيع والمعاصي » أفمن اتبع رضوان الله
كن باء بسخط من الله ، وماواه جهم ،
وبئس المصير .

وفي آيات تلك الغزوة مسألة عرضها
القرآن ، وهي أمر الدين الذي جاء به الرسول
الكريم ؛ فقد بينت تلك الآيات أن هذا
الدين لا يرتبط بشخص الرسول ، وإنما
هو دين يجب اعتناقه ، والثبات عليه ،
والدفاع عنه ، سواء أبقى محمد أم مات ، لأنه
ليس دعوة شخصية ، وإنما هو شريعة

هي النفس

قال الربيع بن ضيع الغزاري :

وإن نهلت من لهوها ثم علت
فلم يبق إلا ذكرها حين ولت
ولما فذسى إن يئست تسلت

لقد عزفت نفسى عن اللهو جملة
رأيت قرونا من قرون تقدمت
هى النفس ما منيتها تاق شوقها

شعائر الدِّينِ تقوى القلوب للأستاذ علي العمري

الإسلامي كله) . وعلى ذلك فهو يرى أن من الواجب على العلماء أن يتكلموا ، ويوضحوا الغموض بأسلوب متطور مقنع حتى لا يكون الحجج - كما قال الكاتب أيضاً - مناسك آلية يؤديها الفرد ، ويعود بحمل لقب (حاج) دون أن تؤثر في معنوياته .

والشعيرة الأولى التي أثارها الكاتبين هي الذبائح التي يقدمها الحاج شكرائه على ما وفق من أداء الفريضة ، أو جبرا لمسافات من أعمال واجبة حتى يكون الحج تاما كاملا ويحدثنا أحدهما بأسلوب لا يخلو من سخيرة فيقول عن (رجم الشياطين) إن العلماء يؤكدون أنه من المكاسك ، وأن الذي لا يفعله عليه أن يزيد اللحوم المتعفنة بذبيحة جديدة .

أما الآخر فيسهب في هذا المنسك ، ولا ينسى الكلام عن الحالة الاقتصادية التي تحتم أن يقتصد الحاج في الذبائح ، أو أن يوضع بدليل من هذه الذبائح ، ولترك الدكتور مصفى الديواني يحدثنا كما نقل عنه رئيس تحرير صحيفة الأخبار فيقول : وما زلت أذكر كيف صحنونا فجر ذات يوم لتؤدى فريضة

في أسبوع واحد قرأت مقالين في موضعين مختلفين من صحفنا ومجلاتنا ، وكان المقالان عن (الحج) وكلا الكاتبين أدى فريضة الحج هذا العام ، وأخذ كل منهما يتحدث عن الآثار التي تركتها مشاهدة الأماكن المقدسة في نفسيهما وهما يدور بخاطر كل منهما بما يتعلق بمناسك الحج وغيرها من شعائر الإسلام .

وقد ألمنى أشد الألم أن كلا من الكاتبين تعرض لمسائل دينية ، ولمسا لمسائل عنيقا دون أن يكلف نفسه الرجوع إلى المصادر الأساسية ليتزود منها ما يعينه على التحدث في أمور خطيرة . بل إن أحدهما لم يكتب الآيات القرآنية التي جاءت في مقاله كتابة صحيحة ، ومع ذلك سمح لنفسه بأن يصف بعض ما ثبت في السنة الصحيحة بأنه (أساطير) .

وكان السر في اندفاع الكاتبين إلى ما تناولاه كما قال أحدهما - هو أن (الغموض ، وعدم الاقتناع يحيط بكثير من المناسك ، مناسك الحج طبعاً ، حتى تبدو كأنها طقوس بوذية ، يلزمها في عصرنا الحال الإقناع ، والتحليل العلمي والمنطقي الذي قام على أساسه الدين

الحمد لله . لقد سمحت حجتنا) وأنا أقول
لنفسى ، وأنا أتأمل بركة الطعام من حولي :
(ربى ، أما لهذه المآسى من آخر؟ ، وكيف
يوضع حد لأقسى عملية لإبادة الثروة الحيوانية
على ظهر البسيطة ؟ وهل تصل هذه اللحوم
إلى الفقراء حقاً ، أم تترك حتى ينتابها العفن؟)
وإنما نقات هذه الفقرات كاملة ليتبين
القارئ ما يشيع فيها من تبهم وضيق ،
وسخرية بنسك هو من أعظم مناصك الحج
فقد كان الكاتب ورفاقه في ضيق شديد حين
مموا بشراء النسك ، وضائق عليهم الأرض
بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم ؛ لأن
ثمنه فوق ما يحملون من نقود ، فلبس وفقوا
لشراء عجل بثمانية عشر جنيهًا تنفسوا الصعداء
هكذا ، كأن السكابوس الذى كان يحجم على
صدورهم قد زال . أو لعله قد خف ؛ لأن
ثمن العجل لا يزال بالطبيع - على ما يستفاد
من عبارات الكاتب - يحز في نفوسهم ، ثم
هذا التصوير الدرامى لعملية (الإعدام) التى
يساق إليها العجل !

أما سار الكاتب هو ورفاقه في طاوور
جنائزى ؟ ! أما ساقوا العجل إلى الجلاذ ؟ !
أى إلى ساحة الإعدام ، أما آلمهم واستنزف
دموعهم هذا العجل المسكين ، وهو يقدم
رجلاً ، ويؤخر أخرى في طريقه إلى مصيره
المحتوم ؟ !

الصلاة بالحرم المكي ، وبعد أن عدت إلى
الفندق مع الدكتور سعد الدين التاوى قابلنا
عند الباب المستشار محمود عبد اللطيف ،
والدكتور عبد الحميد بدوى يتأهبان للذهاب
إلى المذبح لاختيار الهدى لفتدى به تمتعنا
أى التحلل بعد العمرة بكل تفاصيلها من
طواف حول الكعبة إلى السعى بين الصفا
والمروة ، وكان علينا أن نشترى شاة لكل
منا ، وهنا حالت الأزمة المالية القاسية التى
كننا نقاسى منها دون ذلك ، فاشترك سبعة منا
في عجل بلغ ثمنه ثم نية عشر جنيهًا ، وتنفسنا
الصعداء لهذا الحل السعيد ، فوقف رائدنا
المستشار محمود عبد اللطيف يساوم ويجادل
محاولاً الحصول على تنزيل آخر .

ولما لم يوفق سار بنا فى طاوور جنائزى
وراء العجل المسكين الذى كان ينظر إلى
الأرض بعناد ، وخبت ، ومحاولاً غرس
حوافره فى طينها الممزوج بدماء زملائه
الذين سبقوه إلى تعس المصير ، وراح ضمضى
نحوه نخيل إلى أنه ثبت نظراته على معانيها
وأنا لا أملك من أمرى شيئاً ، فقاتلنا محمود
عبد اللطيف طالما أصدر أحكاماً بالإعدام
على بنى البشر ، فما أسهل عليه أن يقود عجلاً
إلى الجلاذ ، وزملائى يقبلون أيديهم ظاهراً
وباطناً ، ويهتفون من أعماقهم ، بينما تقطع
سكين الجلاذ رقبة العجل قائلين : (الحمد لله .

يتعفن ، ولو كان صحيحا أن أكثر هذه الذبائح يتعفن لكان المنطق يقتضى أن يتجه السكاتب - كما اتجه غيره - إلى اقتراح حل لهذه المشكلة ، أما أن يسوق الحديث هذا المساق الذى تشييع فيه السخرية والتبرم بهذه الشعيرة فهو ما يتنافى مع أبسط مبادئ الإخلاص لله فى أداء ركن هظيم من أركان الإسلام .

إن الله تعالى يقول فى سورة الحج : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتقر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » .

وقد فسر بعض العلماء (الشعائر) فى قوله تعالى : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ، ثم علفها إلى البيت العتيق ، فسرهما بالبدن التى تقدم قرابين شكر الله تعالى .

والمأمل فى هذه الآيات بمجد كلفة (التقوى) مقترنة بكل منها ، وهذا دليل على أن امتثال أوامر الله ، وأداء شعائره على أكل وجه ناشئ من الإخلاص لله ، وخوف التفريط فى جانبه .

والقضية ليست قضية منطقية ، وإنما هى (من تقوى القلوب) تلك القلوب التى تشعر

إن الذى يقرأ هذا التصوير يظن أن هذا السكاتب لم يعيش فى بلد تذبح فيه العجول ، وأنه رجل نباتى لا يتغذى بشيء من لحوم الحيوان ، والطير ، وأن أبا العلاء المهرى بعث من جسد يد فى شخص هذا السكاتب ، ولكنه لم يظهر فى كل بلد حل فيه السكاتب وإنما ظهر فى (منى) فقط حيث تذبح عجول القرية إلى الله تعالى ، أما الجازر التى تنتشر فى كل البلاد ، والتي رأى السكاتب الكثير منها طبعاً - فالعجول فيها ليست مساكين ، والغاس لا يسرون خلفها فى طوابير جنائزية بل يسوقونها وهم فرحون مستبشرون لأنهم سيربحون من وراء ذبحه مالا ، ولأنهم سيأكلون منها لحماً أحله الله .

وخاتمة المطاف عند السكاتب أن هذه الشعيرة من شعائر الله مأساة من المآسى ، وهو يسأل الله تعالى ، ويدعوه ، ويناجيه أن يجعل لها آخر ، وأن عملية إبادة الثروة الحيوانية الجائزة التى رأها يجب - فى رأيه طبعاً - أن يوضع لها حد ، كأن الثروة الحيوانية لا تعرض لأى نوع من أنواع الإبادة فى مكان آخر غير الحرم ، فالناس يحجون من قديم الزمان ، ويذبحون القرابين ولم يظهر فى عام من الأهوام أزمة فى اللحوم حتى فى مكة نفسها بعد موسم الحج ، وأكثر الذبائح تؤكل لحومها ، ويقل منها ما يترك حتى

القلوب، ونقواها، ومدى تقبلها لأوامر الله ونواهيه .

وإذا كانت الأخلاق والفضائل واضحة الأهداف، فإن بعض العبادة لا يظهر فيه غير هدف واحد هو اختيار المؤمنين لمدى امتثالهم لأوامر الله، وإن قيل ما قيل في سر مشروعيته، وعلى ذلك فلا وجه لما قاله الكاتب الآخر من (روى الجرات) بأنه أمر غامض، بل إنه يجاوز حدود اليقظة والأدب الديني حين يشبه هذه الشعائر بالطقوس البوذية، وقد يصح قوله إن روى الجرات مسألة غير مقنعة للكثيرين لو كان تفسير هذه التكاليف يرجع إلى المطلق وحده ويتحكم فيها العقل دون سواه . ولكن كما قلت - المسألة ترجع إلى (تقوى القلوب) أما المنطلق وأما التفسير العقلي فهما أمر بعد ذلك، وما لم تستشعر النفوس الخشية من الله، وما لم يكن فيها ما يحملها - دون اعتراض أو تبرم على امتثال أوامر الله - فإن منعاق العقل لا يغرس الإيمان في النفوس . وليس معنى هذا أن الدين الإسلامي جاء بتكاليف تقناض والعقل، ولكن معناه أن العقل إذا لم يتوصل إلى الحكمة الحقيقية لبعض التكاليف، فلا ينبغي أن يحمل ذلك أحداً على أن يرمى هذه التكاليف بمنافاتها للعقل، وما دام الدين الإسلامي

بجلال الله، وعظمته، وتحس بإلهيته، وروبيته، تتوجه غلصة إلى أداء شعائره، وتجد من تمام أدائها أن تختار أحسن ما يقدم، وألا تساوم فيها، أو تجادل في ثمنها، فإن الذي يقدم لعزير عليه هدية لا يغليه الثمن مهما بلغ، ولا يظل يتردد على حوانيت التجار ليختار منها الأدون والأرخص ولكن ليختار الأعلى والأعلى، وهذا شيء تدركه القلوب المحبسة، أوضح إدراك وأنعم، ولن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم .

ومهما قال العلماء من تعليقات مقبولة لهذه المناسك فراجعها جميعاً إلى (تقوى القلوب) في امتثالها لأمر الله؛ ذلك أن العقل البشري لا يمكن أن يصل - بصفة قاطعة - إلى سر بعض التكاليف الدينية، فهو - مثلاً - في أبرز ركن من أركان الإسلام، وهو الصلاة، يقف حائراً أمام تفسير عدد الركعات، وأمام السر في أن هذا العدد لم يذكر في القرآن مع ماله من مكانة في تكاليف الدين وهكذا، في كثير من مناسك الحج .

وقد أوضح العلماء أسرار الشريعة في كثير من التكاليف، ويبنوا، ولا يزالون يبينون - في كل مناسبة - حكمة مشروعيتهما، ولكن الشيء الوحيد الذي لا يمكن إغفاله هو إحساس

والتقوى هي العاصمة من كل شك قد يطوف
بالمؤمن فيجيد به عن سواء السبيل في العمل
أو في الاعتقاد .

ويؤيد ما قلته قول الله تعالى بعد هذه
الآيات : الحج أشهر معلومات فمن فرض
فيمن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال
في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ،
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون
يا أولى الألباب .

نعم ، التقوى هي الباعثة على كل عمل صالح ،
وهي أيضاً نتيجة لكل عمل صالح ، ولكن
كثرة دورانها في آيات الحج يدلنا على أن هذه
الشعائر يفقهها الملتقون ، ويقدرونها حق
قدرها ، والتقوى تعصمهم أن يزلوا في فهمها ،
أو في أداها .

بقى أن الدكتور الديواني في لحظة من لحظات
الحماس ، والتبرم رمى بض ما جاءت به السنة
الصحيحة بأنه من (الأساطير) ، ولنقره
يتحدث ، فيقول بعد أن يذكر ما قاسوه
من العذاب الشديد في طواف العمرة ،
وأن الناس جميعاً كانوا سواسية حتى الكمان
في هذا اليوم بيوم الحشر الذي تروى الأساطير
أن الشمس - وف تكون فيه دائية من الردوس
والجو شديد الحرارة حتى ليمتنى الناس
أن يقضى بينهم على أى شكل ، إماماً إلى معين ،
وإماماً إلى يسار) ونحن لن نتكلف في الرد
(البقية على صفحة ٦٠)

قد ثبت بكل الطرق المقننة أنه الدين عند الله ،
وما دامت طريقة ثبوت هذه التكاليف صحيحة
لا غبار عليها ، فما على المؤمنين بهذا الدين
إلا الخضوع والامتثال ، والتأدب حين
يتحدثون عن هذه التكاليف .

ثم نعود إلى الدكتور مصطفى الهدياني
ونسأله : لماذا كان ضائق الصدر هو وزملاؤه
بشمن ما يذبحون ؟ إن الدكتور لو كلف
نفسه سؤال أحد العلماء - وقد كانوا بمحمد الله
كثيرين في هذا الموسم - لافتاء بأن (الدم)
لا يجب إلا على القادر .

وفي القرآن الكريم آية صريحة تحسم
في بعض هذه الدماء ، وهي قوله تعالى
في سورة البقرة ، وأتوا الحج والعمرة لله
فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ،
ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ،
فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه
ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ،
فإذا أمنتكم من تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر
من الهدي ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام
في الحج وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ،
ذلك لمن يكن أهله حاضري المسجد الحرام ،
واتقوا الله ، واهلبوا أن الله شديد العقاب ،
وأحب أن ألفت نظر القارئ في هذه
الآية أيضاً إلى جملة : (واتقوا الله) لاؤكد
له أن جميع أعمال الحج مصدرها التقوى ،

معاهد التنصيص

رسالة الكتاب ومنهجه الأدبي

للأستاذ محمد رجب البيومي

للبلاغة بعد أجيال أن تنهج نهجها القويم !
أما كيف برزت هذه الخطوة المبدئية فذلك
ما أخصه بالحديث !

لقد كان عمل السكاكي في محيط البلاغة بالقرن
السادس الهجري وأوائل القرن السابع حداً
فاصلاً بين ازدهار البلاغة وارتدكاسها ،
إذ أنه نظر إليها بعين المنطق والفلسفة ،
وأكثر من التعريفات والتفريعات لكثرتها
سيطرت عليه المصطلحات والحدود ،
وضاعت بجواره فائدة النصوص الأدبية فلم
تعد البلاغة فناً جمالياً يتجه إلى الأسلوب
الجيد والمعنى الرائع ، ولكنها أصبحت
رسوماً وقواعد تحوطها التعليقات الذهنية ،
والاهتراسات المنطقية ، وجاء الخطيب
القزويني فخلص هذه التعريفات والرسوم
تلخيصاً جافاً أحال البلاغة إلى ألفاظ ذهنية
ورسوم منطقية ، وأسمى عمله هذا (متن
التلخيص) ومن المؤلف حقاً أن هذا المتن
قد لقي الخطوة والإقبال لدى من عرفوا بين
الناس بعلماء البلاغة فيما بعد القرن السادس
فكتبت له الشروح ووضعت منه

يقابل بعض القراء هذا الكتاب بقليل
من الترحيب قبل أن يلجوا به لأن اسمه من
جهة وعصر مؤلفه من جهة أخرى
لا يوحيان بكثير من البشاشة والإقبال ،
فاسم الكتاب « معاهد التنصيص على شواهد
التلخيص » ، يلقي ظلاً قائماً يشيره ما عرف
عن متن التلخيص من تعقيد وتعقيد ، وظهور
المؤلف في القرن العاشر الهجري - وهو
زمن تدهور فيه الفن الأدبي تدهوراً
لا يؤذن بالإجادة الرائعة والتفوق الفاضح -
عاشي بضالة نفعه ، وقلة جدواه ، والحق
أن الكتاب عظيم النفع كثير المحاسن ،
وصاحول أن أشير إلى مزاياه من قريب .

ونحن نسأل أولاً عن رسالة هذا
الكتاب ؟ فإذا اتضحت على وجهها الصحيح
برزت ميزته بجملاء ، وحسبنا أن نعلم أنه
كان خطوة أولى في طريق النهوض بعلوم
البلاغة ، والخروج بها من دائرتها الضيقة
إلى أفق التدقيق والاستمتاع ، وهي خطوة
موفقة سارة ، إذا نظر إليها كعمل مبدئي
تضافرت بعده الجهود المتتابعة حتى كتب

من شواهد التلخيص فيشرح معناه ويذكر مناسباته وجزءاً كبيراً مما قبله وبعده من الآيات الشعرية ، ثم يتجه إلى مرد كثير من الآيات التي تشير من قريب أو بعيد إلى معنى النص ليتسع مجال الموازنة الأدبية على مر العصور بين السابق واللاحق !

وإذا عرفنا أن المؤلف قد عاش في القرن العاشر الهجري فألم بأكثر دواوين العصر العربي من لدن العصر الجاهلي إلى زمنه ثم استخرج منها ما يشابه بيت الشاهد أو يناقضه ، وسرد ذلك كله بمناسباته ، إذا عرفنا ذلك أدركنا قيمة هذه الذخيرة الثمينة التي قدمها المؤلف في كتابه ، وقد يكون غيره من المتقدمين قد سبقه إلى ذلك في القرن الرابع أو الخامس أو السادس مثلاً ، فانتفع بآثارهم المدونة ، ولكن تأخره الزمى أناس له أن يتابع الشعراء المحدثين فيجمع ما قالوه من الشوارد ، ويقدم سجلاً حافلاً متناقضاً حيث يجمع شعر الطبع والصنعة ويقرن الغث بالسمين متبعاً لصاحب الملكة الأدبية أن يستمتع بالجميل الرائع وأن يحكم على الغث المرذول !

هذا العمل وحده في تتبع معنى النص على مر العصور يحى حاسة التدقيق الأدبي ، ويدعو إلى الارتقاء البلاغي صياغة وتفكيراً فإذا أضاف إلى ذلك كله ترجمة حافلة لصاحب

الحواشي والتقاير وأصبح مركز الدائرة في كل ما يقال عن بلاغة الأسلوب وفصاحة التركيب وقوة التشبيه وجودة الاستعارة ، ونقد المحسنات والموازنة بين السرقات ، واشتهرت شروح التلخيص اشتهاً جعلها صاحبة السكمنة الأولى في المضمار البلاغي ، وأصبح عالم البلاغة بمنأى عن النصوص الشعرية والآثار الأدبية ، ولكنه يجيد تعريف الفصاحة كما رسمه السكاكي مع ما قيل في الاعتراض عليه ، ويبتغي إرجاع الضمائر ، وإخراج المحترزات ، فإذا سأله أن يحكم على نص أدبي على مثال ما كان يصنع هيد القاهر والجرجاني والآمدى ضاق مجال القول أمامه ، وعجز حتى عن فهم ما فاض به مؤلفو دلائل الإعجاز والوساطة والموازنة بل حدد ذلك بمنأى نازح عن علم البلاغة الأصل ، وقد ذكر الأستاذ عبد العزيز البشري أنه يعرف زميلاً يحفظ جميع شروح التلخيص ثم يعجز عن كتابة رسالة أخوية لا تتجاوز ثلاثة أسطر ! وإن كانت هذه نتيجة دراسة التلخيص وشروحه فيما لمول المسألة !

أدرك مؤلف معاهد التلخيص ما تورط فيه البلاغيون من بعد عن النص الأدبي وإلزام بحيوات قائله من الشعراء والكتاب ، فألف كتابه ليذكر كل نص

لم يكمل بل لم يخرج عن حيز المسودات قام به الجلال السيوطي ، وليس لدينا الآن بجهود الجلال حتى نحكم عليه ، ولكننا نعرف نزعته العلمية الفقهية من خلال كتبه الكثيرة ، وبعيد جداً على عالم فقيه مفسر لغوي متكلم يحدث مؤرخ أن يبرع في الأدب الخاص براعة صاحب المعاهد ، أو يوفق توفيقه الفنى في دراسة الدواوين الشعرية والتنقيب عن حيوات الشعراء بالذات ! لذلك نعد كتاب المعاهد خطوة بلاغية جديدة كتب لها الذبوع والبقاء .

وقد ذكر الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد أن كتاب معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص ، كان من سمار الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية الأسبق وأنه كان كثير القراءة فيه والمعاودة له ، وكان رحمه الله إذا أراد أن يختبر طالباً ما يعنى يتقدمون إليه لبث شكاية أو رجاء شفاعة قدم إليه هذا الكتاب وطلب أن يسمعه قطعة منه ثم أمره أن يبين ما يقرأ ، فإن أجاد القراءة والفهم والإبانة توسم فيه الحظير وقضى حاجاته ، وهذا غير مستغرب من الأستاذ الإمام فقد نشأ في عهد سيطرت فيه حواشي التلخيص على دروس البلاغة بالأزهر وأراد الشيخ أن يسلك بالطلاب وادياً آخر فأخذ يقرأ عليهم كتابي عبد القاهر ، ولعله حين اطالع على

النص تبين خطوات حياته وترسم يمشته ومؤثرات إنتاجه وتلم بزيادة ما قيل عنه فقد خدم الملكة الأدبية خدمة راقية ، وأعان على التذوق البلاغى إعانة مسعدة مسعدة ، وما ظنك بمائتين وخمسة وعشرين من الأبيات هي كل شواهد التلخيص يكتب المؤلف حولها ألفاً وثلاثمائة وخمسين من الصفحات يخرجها الأستاذ محي الدين عبد الحميد في أربعة أجزاء كبار هي ما يعرف بمعاهد التنصيص ! أى أن النص الواحد قد استغرق أكثر من ست صفحات ! وليس ذلك مطرداً بطبيعة الحال ، ولكنه لإحصاء تقريبي يوقف على مدى جهد المؤلف الكبير !

أما نصيب البلاغة الرسمية من هذه الموسوعة فلا يتجاوز بضعة أسطر تلحق بكل نص وقد تصل في كثير من الأحيان إلى سطر أو سطرين ! ألا يدرك القارىء مدى مبلغ ضيق المؤلف بمباحكات البلاغيين ونزوهه إلى السمو بهذا الفن إلى أفق الأوسع بازلاً جهده الأكبر في خدمة النص والتعريف بظروف قائله إذ هما لباب اللباب ! وإن مؤلفاً يخطو هذه الخطوة في القرن العاشر الهجرى حول متن التلخيص مع جبروته العلى إذ ذاك لصاحب رسالة في مضمار البلاغة الأدبية دون نزاع ، وقد أشار الرجل في مقدمة كتابه إلى عمل مشابه

معاهد التنصيص وجده خطوة للتخلص من هذه المناقشات الذهنية الجامدة فأخذ يعرضه بطريقة الخاصة على الطلاب ليذيع أمره ويرقى به الأزهريون إلى مستوى البلاغة الفنية بعد أن هبطت بها الشروح والخواشي الإضافيات .

أما مؤلف المصنف الشيخ عبد الرحيم ابن أحمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ فلم أجد ما يعرفني به أكثر من كتابه ، وأثر المرء دليل عليه ، إذ أن ما كتبه عنه معاصروعهده من أمثال الشهاب الخفاجي قد غرق به في بحر من السجعات الذائبة فهو دحسيب طرزكم المجد وأعاد برقة شمائله نسبات نجمه ، وله رايات فضل عليه ، نعمت الأقلام بسواد أنفاسها العباسية ، إلى أمثال ذلك مما يمكن أن يقال لكل أديب ، وقد عرف عنه أنه من أبناء بني العباس الذين تفرعوا بمصر من شجرة الخلافة العباسية التي أحيها سلاطين المماليك على يد الظاهر بيبرس ، حتى إذا انتهى مجدهم الروحي بدخول مصر تحت حكم الأتراك بنى أحفادهم في وادي النيل وقد اندمجوا في الشعب المصري وأصبحوا بعض أفراده ، ومن بينهم عبد الرحيم مؤلف المصنف ، إذ سلك سبيل أجداده في تحصيل الأدب والعلم فقرأ علوم عصره ، وروى عنه شرح كبير للبخاري ، وحين ألف معاهد

التنصيص رحل به إلى بلاد الروم قاصدا القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية واتصل بكبرائها وأئمة العلم من رجالها فأتيح له من يقدر كتابه ويذيع في الآفاق حديثه ويشبهه عليه ، والحق أن الشعور العام في مصر والشام كان منحرفا عن الدولة العثمانية حين احتل سليم الأول مصر عدوانا وبغيا فأشعل حربا طاحنة بين ممالك الإسلام خسرت بها مصر مجدها السياسي ونفوذها الحربي وتقدمها العلمي والحضاري ، ولكن زوال سليم وتولية سليمان القانوني من بعده قد استطاع أن يخمدا روح العداء في النفوس فانطفأ ما كان يشتعل بها من غيظ نحو أبيه ، إذ استطاع أن يقود الجيوش الإسلامية من نصر إلى نصر في أوروبا ، وقهر ملوك المجر والنمسا وألمانيا وفرنسا والروسيا ، وثار له دوى رنان في بلاد الإسلام وتحدث أنه حامي الشريعة ورجل الملة وخاقان المسلمين وأصبح من عادة العلماء والأدباء أن ينتجعوا حاضرة الخلافة العثمانية ، رغم أنها لا تقاس في مجدها العلمي بالقاهرة ! وكان عبد الرحيم أحد هؤلاء ، ولا ريب أنه كان يسكن في نفسه

حسرة كارية حين توجه إلى من استلبوا جلال الخلافة من آبائهم وأجدادهم . . على أنه كان في شظف من العيش كما يلوح من بعض قوله ، وبما وجهه إلى زملائه الأدباء فهو يقول مثلاً:

قد كنت أمشي ولست أعيًا
فصرت أعيًا ولست أمشي
وتارة يكشف لك عن الحقيقة النفسية في
قضايا الود والصداقة فيقول قوله الحكيم
عن تجربة :

لست عن ود صديقي سائل
غير قلبي فهو يدرى وده
فكما أعلم ما عفى له
فككذا أعلم ما لي عنده
وهما بيتان نفيسان من ناحية المعنى
ومدلولها العاطفي صحيح إلى حد بعيد ولكن
صياغتهما أقرب إلى المنطق منه إلى الشعر ،
وقد يلجئك إلى الابتسام حين يتهم ببعض
الناس فيقول في سخرية :

رأيت لثيم قوم في مر
وبين يديه أشخاص لثام
فلم من جهالة ابتداء
فقلت له متى كسد السلام ؟
وجود هذا الطراز من الشعر في القرن
العاشر الهجري معجب رائق ، على أن الشاعر
بحكم بيئته وثقافته مهما سما بروحه عن
الإسفاف اللفظي والعبث الزخرفي لا بد أن
يجذبه محيطه إلى مداره ، فينجذب أحياناً إلى
ما تورط فيه سواء بما شاع وعم من أصباغ
البديع ، وهو إذا تورط في ذلك لا يهوى
مهوى الناضب البليد ، وإنما يحافظ

أرى الدهر يكرم جهاله
وأعظم قدراً به الجاهل
وأفطر حظي به ناقصاً
أحسبني أننى فاضل
ويقول عنه صديقه الشهاب بن محمود النابلسي
حين قعدت به الأحوال وقامت الأحوال ،
كما عبر عن نفسه :

عبد الرحيم أضاعوا
بـدولة ضيعته
ما فيه لو ولا
ليت لئلا أدركته
فالرجل كان مسافراً إلى انتجاع القسطنطينية
لظروف عيشه وقد وفته أهله ففضى حاجة في
نفس يعقوب :

ومن يقرأ شعره يلمس به ارتفاعاً عن
مستوى عصره فالرجل لا يتكلف الشعر في
المناسبات العامة ولا يحشوه حشواً بهارج
المحسنات وزخارف البديعيات ، بل يعبر عن
ذات صدره ، وما أثر من مقطوعاته ينطق
بتجاريبه الذاتية ، ويدل على اهتمامه بالمعنى
على عكس أقرانه من شعراء العصر ومحترفي
النظم والتشطير والتخميس ! ولأن أزيد
على ذلك فأزعم أن وحى الخبرة العاقلة يلوح
في خطراته فيأتى بما يوقفك على الحقيقة المرة
حين يتحدث عن ضعف الشيخوخة فيقول :

ومنازعه ، لا سيما إذا اتجه النقد إلى أخبار
متواترة ترويحاً السكتب على مر العصور
كاتباً بعد كاتب ، فالرجل يرفض مثلاً
ما تعرف من أبيات أبي تمام :

إقدام عمرو في سباحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء إياس
لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلاً شروداً في العدى والباس

ويرى أن القصيدة قيلت في أحمد بن المعنصم
لأبي أمير المؤمنين حتى تنسب إليه الأقاويل ،
كما ينفي ما حكاه الرواة من أن العباس بن الأحنف
مات مع الكسائي في يوم واحد ، وقد صلى
عليهما الخليفة مبتدئاً بالعباس دون الكسائي ،
ويسقند في نفيه إلى أوقاف التاريخ إذ أن
الكسائي قد توفي قبل العباس ببضعة سنوات ،
وقد ظهرت براعته النقدية في نسبة الشواهد
إلى أصحابها ، فهو ينقل آراء كثيرة للعلماء
ثم ينقضها أو ينفيها بالدليل ، وقد يرجع
إلى ديوان الشاعر فلا يجد الشاهد فينص على
ذلك في أكثر من موضع مما يوجب التحرى
الدقيق ، على أنه رغم شفافيته الأدبية ،
واستكمال حاسته النقدية لم يستطع الخلوص
بما درسه من أقوال السابقين ، فوقع في بعض
ما وقعوا فيه من أخطاء فهو مثلاً يروى
قول أبي تمام :

إلى حد ما هلى مكانته الفنية صياغة ومعنى .
فهو مثلاً يسرد بيتاً للبحرئى فى الاستخدام
البديعى ج ٢ ص ٢٦٩ :

فصق الغضا والساكنيه وإن همو
شبهه بين جواخ وقلوب
ثم يذكر لنفسه من هذا الودى ص ٢٧٠ :
تمر الصبا عفوا على ساكنى الغضا
وفى أضلغى نيرانه تقسم
فتذكرنى عهد العقيق وأدمعى
تساقطه والشئ بالشئ يذكر
وبورث عيني السفع حتى ترى به
معالم بالأحباب تزهو وتزهر

فهذه الأبيات الثلاثة تضمنت ثلاثة أمثلة
للاستخدام فى كلمات الغضا والعقيق والسفع ،
ومع سبق الشاعر بما ألم به ، وتورطه فى
جسارة عصره فقد بدا فى نظمه تماسك قوى
لا يفقده الرونق والبهاء ، وقد يضعف قليلاً من
هذا المستوى فى بعض ما استشهد به لنفسه فى
صفحات الكتاب ؟ ولكن من الذى يحلق
دائماً من فحول الشعراء حتى نحاسب أدبياً مثله
على بعض الهفوات !

وشخصية العباس تظهر واضحة فى مؤلفه فهو
لا ينقل نقلاً دون تمحيص ولكن يقف من
المنقول وقفات نافذة قد تقصر وقد تطول ،
ونقد الروايات الأدبية يحتاج إلى خبرة ذهنية
ونفسية ، ويكشف عن عقلية صاحبه

الفارض على إيجازه أن يبلغ مبلغ أبي تمام ١١
وفي رأي أن نقد ابن الأنثير لمثل قول
أبي نواس :

أقننا بها يوما ويوما ونالنا

ويوما له بعد الترحل خامس

ورميه بالتطويل الممل ، وإلحاق من قبله
ومن بعده على تفضيل الإيجاز دون التفات
إلى ظلال الألفاظ وإيجاء الصور .. كل ذلك
قد جار على الصواب وقاد صاحب معاهد
التنصيص وكثير من نظرائه إلى ما ناباه !

ويلحظ من يطالع هذا المكتاب كثرة
أشعار الجون به بدون داع ملح فليس في
أكثر ما ذكره من رائع المعاني وجميل الصور ،
وحلاوة الفكاهة ما يشفع في تدوينه ، بل
يرتطم الناظر بالألفاظ نائية صيغت في أبيات
منظومة ، ويدعى قوم أنها من الفن الأدبي
مهما انحدر اتجاهه ، واسمان نرى هذا
الرأي . لأن ذكر الألفاظ المستمجة في أبيات
عارية فاضحة لا تعد فنا ما دام قد خلا من
الصورة الموحية ، والمعنى البارع ، واللفظة
الساخرة المتندرة ! وأكثر ما جرى هذا
الجرى في معاهد التنصيص كلام إذا نثر
أبياته كان حديث الساقطات والساقطين في
ملاهي التهمك والفسوق ! ولا كذلك الفن
الأدبي بحال ، وقد يكون الشعالي في يتيمة
الدهر رائده السباق إذ أربى على من قبله

أعوام وصل كاد ينسى طيعها
ذكر النوى فسكانها أيام
ثم انبرت أيام هجر أردفت
نجموى أسمى فسكانها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها
فسكانها وكانهم أحلام
ثم يقول عقب روايتها ، ولابن الفارض
رحمه الله في هذا المعنى مع الاختصار المعجز :
أعوام لإقباله كالיום في قصر
ويوم لإعراضه في الطول كاللحجج

وهذا تعقيب من يفضل بيت ابن الفارض
على أبيات أبي تمام لعل واحدة وهي
الاختصار ! وذلك ترديد لما نعرف لدى
بعض الناقدين من أن البلاغة هي الإيجاز
في كل موقف كان ! مع أن الإيجاز بليغ حقا
عند مقتضاء ، أما أبو تمام فيستعرض
ذكريات يروق له أن يفصلها ويطيل الحديث
عنها ليردد كل لفظ منها صدق يحول في
أطوائه ، وليوحى انبساط القول من الظلال
ما يرسم شعوره المختلف في الوصل والهجر
ولن يؤثر في نفس قارئه حين يرمى بالعبارة
الموجزة فلا تحمل أصداؤه المتأوجة
فأخذ يستعرض تقلبات ماضيه استعراض
من عانى التجربة وتلذذ بتنعيمها ثم انقبض
لبأسائها ، فأتى هذا الإسهاب الجيد على ما في
نفسه من الشجون ، ولن يستطيع قول ابن

والاشتغال بغيره أولى وأنا أعوذ بالله من هذا القول ، وأستغفره بما جرى به قلبي مما لا يرضاه ولا يليق بجناحه وجناح رسوله وكتابه الحكيم ، ولعل ما يشفع له أن أحال إلى مرجع لابن الجوزي في نقض أمثال هذه السقطات .

لقد جاء كتاب المعاهد سجلاً حافلاً ، ومرشداً هادياً ، وثماراً مستطاباً وقد رأيت أن أسجل خواطري عنه ليجد من الإقبال لدى الجمهور ما وجده من اهتمام الخاصة من مقدري الكتب وعارفي الرجال .

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلميات بالقيوم

من رواة الأدب في تسجيل هذه المنتديات والغريب أن عبد الرحيم العباس يستشعر بعد الإكثار الممل من هذه الفضائح بعض الخجل فيستغراقه ، ويشهد القارئ أنه راوية فقط ، ولو شاء ما ارتكب ذنباً يوجب الاستغفار ، وفي كلامه عن سماه بالملاحدة كابن الراوندي وأشباهه بعض ما كان الأولى طيه ، أو إتباعه بالنقد مع سهولته وقربه ، ولكن الرجل يذكر الآراء الكافرة دون تعقيب نقدي ، وكل ما يختم به الحديث لا يخرج عن مثل قوله (ح ١ ص ١٥٧) د ولو ذهبت أورد ما ذكره هذا الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والإلحاد اطال الأمر ،

(بقية المذمور على صفحة ٥٢)

ومنه من يلجمه العرق إلجما ، قال : وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه) . اللفظ في هذا الحديث للإمام (مسلم) وللبخاري حديث في معناه ، وكتابه البخاري ومسلم هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى .

فالأحاديث التي في هذا المعنى صحيحة ، ثابتة ، وليس لمسلم أن يقول إن ما تضمنته من القضايا هو من رواية الأساطير . والله يعصمنا من الخطأ والزلل ، ويهدينا إلى الفهم الصحيح لأسرار شريعته .

علي العموري

عليه أكثر من أن نكتب له الحديث الصحيح الذي يروي هذه القضايا التي رماها حضرة من الأساطير :

(روى المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كقنطار ميل ، قال سليم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل ، أمسافة الأرض ، أم الميل الذي تكسحل به العين ، قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ،

مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ "بُودَا" وفلسفته

لدكتور محمد محيي الدين الألوحي

ولم يذاتها وتعذيبها ، وهذه هي الطريقة الوسطى المركبة من ثمانية مبادئ جوهرية ، أى العقيدة الصحيحة ، والأهداف النبيلة ، والكلام الحق ، والعمل الصالح ، والوسائل الشرعية للحياة ، والسعى الحسن ، والعزيمة الصادقة ، والفكر الصائب ، وهذه هي المبادئ العليا التي تنير الطريق ، وتؤدي إلى المعرفة والبصيرة ، وتبعث على الطمأنينة والنجاة السرمدية .

وقد وردت عن « بودا » أقوال مأثورة عن معظم العناصر للإنسان وحياته ، ويقول عن النفس الأماراة أى « مارا » : إن النفس لا تنقاد بسهولة لأنها ميالة إلى مختلف الجهات ، وطائرة في شتى الآفاق ، وأما النفس المفقادة فهي التي تجلب الطمأنينة وسلامة الضمير والسعادة لصاحبها ، ويجب على العاقل أن يراقب أفكاره ويكبح جماح ذهنه ، وأن يذلل له ، وإن أفكارنا مثل سمك أخرج من الماء وألقي على الأرض ، يرتجف ليتخلص منها ، وكذلك الفكر الصحيح يحد ويسعى ليتخلص من إمرة النفس الأماراة بالسوء . إذا كانت الأفكار مركزة ، والذهن مستقرا ، والقلب غير مشغول بأمور دنيئة فلا ينبغي للإنسان أن يخشى من شيء . والجسد

وجدت الفلسفة البوذية منذ بدايتها أرضا خصبة في أرض الهند ، وتوطدت أركانها ، وترهعت أغصانها ، وأثمرت ثمارها في عهد الامبراطور العظيم « أشوكا » واستطاع الباحثون أن يكتشفوا مدى انتشار الفلسفة البوذية ونفوذها من الأضواء التي ألقها المنحونات الآثرية والتماثيل التاريخية التي يرجع عهدها إلى عصر « أشوكا » وهوود ملوك « تشولا » في جنوب الهند . ومن المعلوم أن « بودا » لم يضع كتابا خاصا أو دستورا جامعا واضح المعاني يحتوي على تعاليم دعوته ، ومبادئ فلسفته ، ولكنه بث فلسفته بطريق الخطب التي ألقاها حينما فآخر بين أتباعه وتلاميذه ، فقام عدد منهم بتأليف كتب تضم القواعد والمبادئ الدينية التي بشر بها « بودا » في مواعظه ، والحكم والكلمات السديدة التي لقنها في مختلف المناسبات ، وتجلت منها بوضوح الأهداف المنشودة من هذه الفلسفة ومبادئها الجوهرية ، ووصف « بودا » مرة في إحدى خطبه طريقته « بطريق سوى ، مبنى على البصيرة والتعقل والمعرفة ، ويبعد الإنسان عن الدناءة والقوى البهيمية ، والملذات السخيفة ، وينهى عن إرهاب النفس

الظل صاحبه في جميع الأحوال ، والحب يقضى على العداوة والبغضاء ، وأما العداوة والبغضاء فلا يجلبان إلا العداوة والبغضاء .

وأما الذي يعمل ويسعى بنية سيئة فينال الألم ، وإذا عرف شخص حقيقة الحياة في هذا العالم ، ويعتقد بأن مصيره إلى نهاية محنومة فلا يجرؤ على التسكالب والتشاجر والتقاتل ، والذي يفشده ملذات الدنيا ومتعها فقط لضعيف لا يكون له سند قوى من الأخلاق الفاضلة ، وتقتلع نفسه من مستقرها كما تقتلع الشجرة الواعنة بالعاصفة من أصولها ، والذي يعيش قابضا على زمام جهامه ، ومقتصدا في مطعمه ومشربه ، وصادقا في أعماله وأقواله فنفسه مستقرة لا تترجح من سبيلها وتكون متوطدة في مكانها مثل الجبل الشاخ .

والذي يحمل الأفكار الصالحة يسعد في الدنيا والآخرة ، والذي يحمل الأفكار الفاسدة يشقى فيها ويتعذب كلما يفكر في سوء أعماله وأقواله ، وإذا هجر الكذب والأخلاق الفاسدة ينال المعرفة والضمير السليم ، ويثلج قلبه كلما يفكر في أعماله الحسنة ويتقدم بنفسه إلى الفضيلة والحاصل الخيدة .

ويقول عن العاقل بأنه يجتنب هذه الحياة المظلمة الطائشة ويختار سبيل الزهد والورع والقي ، ويصير المرء العاقل دائما في احتراس

سريع العطب مثل إناء من الفخار ، والأفكار قوية متينة مثل القلعة الحصينة ، ولذا وجب عليه أن يقاوم النفس (مارا) بصلاح المعرفة والتنوير ، ومراقبتها بكل دقة وعناية ، والضرر الذي يلحقه التفكير غير الصائب بصاحبه أدهى وأمر من الذي يبلغه العدو لعدوه والحاسد لمحسوده ، والإيمان المستقيم والعلم بالشرائع الحقة والقلب المطمئن لهُو السبيل الوحيد إلى المعرفة الكاملة .

وفي معرض الكلام عن الفكر يقول بوذا : إن العقل المتدبر لا تنفذ إليه الشهوات البهيمية ، وهو مثل الدار ذات السقف المتين الذي لا تجدد الأمطار إليها سبيلا ، وأما العقل العاقل فيتمسك إليه الوهن والحزن مثلما ينفذ المطر إلى داخل البيت غير المسقف ، والذي طهر نفسه من الآثام فيتمسك بالحق ويستقيم في سلوكه له الحق الكامل لارتداء الرداء الأصفر (الذي يدل على الورع والتقوى والتبسك) ، وأما الشخص الذي يرى الباطل حقا ، والحق باطلا ، لن يفوز بإدراك الحقيقة أبدا ، ويجر أذياله وراء الأهواء الباطلة حتى يأتيه حق اليقين ، ولسنا لإصنائع أفكارنا ، ونسبيج آخيلتنا ، وقلوبنا ينابيع سعادتنا ورقاهيتنا ، والذي يسعى ويعمل بنية حسنة ينال السعادة الأبدية مثل ما يتبع

ويقول بوذا متحدثاً عن الحزن والسرور: بأن الذى أتم سفره وجدد نفسه من الروابط الدنيوية التافهة وكسر قيود نفسه وحطم سلامتها لا يشعر بألم ولا حزن ولا كآبة ، وينعم بأفكاره الهادئة ويعيش على الغذاء المشروح بدون التهرب وراء لقمات العيش ، ويجعل نفسه متفاداة له مثل الفرس الذى يربت صاحبه يده على زمامه ويتجرد من الزهو والحيلاء ويتحرر من الجوع ، ويرى متواضعاً تواقاً إلى النجاة الأبدية ، والمعرفة الحقة تجلب على صاحبها الهبة والوقار وهو مكرم فى أعماله وأقواله وحركاته وسكناته .

والرجل العظيم لا يتسرع بالنصيحة وينبذ الرغبات النفسية الطائفة والأهواء ويدرك الحق ولا يشغل لذة مادية بل سعادة خالدة ، وكلية واحدة من الحكمة خير من ألف كلمة لا تنفع ولا تجدى نفعا ، وقال بوذا مرة : إن كلمة ينفع بها الغير خير من ألف شعر لا ينفع الآخرين ، وأن تقهر نفسك خير من أن تقهر الناس كافة .

وأما عن الخير والشر فيقول بوذا : يجب على الإنسان أن يسعى إلى الخير ، ويتنكب عن أفكار الشر . ولذا وقع منه الإثم مرة فلا ينبغي له أن يعود إليه مرة أخرى لأن تراكم الآثام شقاء ، وإذا كان هلك هذا خيراً فعد إليه دائماً لأن تراكم الخير سعادة وأما الشر فلا تستخف به أبداً فهو مثل الماء

وحذر فى جميع أقواله وأفعاله ، فلا يتحدث بشيء لا يرضاه لذاته ، ويكون ذا عقل رشيد معتدل ويصبح رصينا ، ويقول بوذا مخاطباً الشخص العاقل : إن وجدت رجلاً يذكلك على الخير وينهك عن الشر فهو صديق عاقل يستحق الصعبة ، ومثله كالذى يذكلك على كنوز ثمينة مكنونة ، فاقبل نصائحه ، واستمع إلى توبيخه ، وأطع أوامره . ويجب على العاقل أن يصاحب الصالحين ، ويتبعد عن الأشرار ، وأما الشريعة بنفسها السعادة ، والذى يهبها ويعمل بها يحيا حياة سعيدة مطمئنة ، والعاقل لا يفقد اتزانه العقل أمام مدح المدح والذم العائب ، والمغفل الذى يعرف أنه مغفل فهو شبه العاقل والذى لا يعترف بحمقه فهو الأحمق المطبق ، وإن عاش مع العاقل مئات السنين فلا يحس بلذة العقل ، وأما الذكى فإذا عاش مع العاقل فيدرك طعم العقل ويشعر بلذة الحق ، والأحمق هو أكبر أعداء نفسه لأنه يأتى بأعمال تجلب له الأضرار الجسيمة ، وأما الإثم فربما لا تبدو نتائجها فوراً ويظل خامداً تحت الرماد مثل الجرة قتلتها مرة بدون سابق إنذار ، وإذا أظهر يفتضح صاحبه ويجلب له العار والحزن ويقضى على سروره وسعادته ، والمغفل المغرور يحاول دائماً ليكسب الشهرة والسيادة على النجوم والمحافل الناس بدون طائل .

والذى حفظت لسانك من عيب الآخرين
فالنجاة مضمونة لك . ولا تكن مثل الأحق
الذى لا يعرف مدى الخطايا التى ارتكبها
والشرير الذى يلتمب قلبه بأثامه والذى
يصيب ضرراً أو أذى لفريق من الخلق
يدبلى بإحدى هذه البلايا العشرة الكبرى :
الآلام الشديدة . والجروح الجسدية ،
والخصائر الفادحة ، والأحزان والمهموم
المضنية ، والجنون ، وسخط الملك ، والهم
الغظيمة الشنيعة ، وإفلاس الخزان ، وانعدام
الأقرباء ، ونزل الصاعقة على داره فيحترق
ثم يدخل جهنم ويبقى في هذاب جهنم .

وإذا لم يحاول الإنسان أن يسيطر على جماح
نفسه فلا يلوم إلا نفسه ، وعليه أن يرتدع
من الآثام والخطايا خوفاً من العار الذى
سيلاحقه مهما كان معروفاً أو مشهوراً بين
الناس وإذا لم يتمكن بنفسه من السيطرة
على نفسه الأمارة فلا ينقذه شيء . ولذا يجب
عليه أن يكون نقيماً سديداً فى أعماله وأقواله .
وقال بوذا من سبيل النجاة والخلاود
المعروف بـ "بثر وإناء" : إن الراهب الذى
يجد السعادة والعلم أينما فى أفكاره وأعماله
ولا يحيد بمقدار حبة من الطريقة المستقيمة
ينال الخلاود النفسى والنجاة الأبدية ، وإن
الراستخين فى المعرفة والجد المتواصل مع العلم
الصحيح لهم العقلاء المفسكرون الفائزون
بالخلاود والسعادة السرمدية . وضرب بوذا

الذى يتقاعار فى الإثناء فيحتلى به تدريجاً مهما
كان كبيراً ؛ لأن قطرات صغيرة من الماء
تتجمع فيصير شيئاً كبيراً . وكذلك الخير
فلا تستخف به فإن الأعمال الصادرة من الخير
مهما صغرت — عند الاجتماع تكون خيراً
كثيراً . فلا يجد الإنسان — لا فى أكفاف
الأرض ، ولا فى أعماق البحر ولا فى الجبال
مكاناً يفر إليه من مغبة الإثم الذى ارتكبه
يداه فثأنه فى ذلك شأن الموت الذى لا ينجو
منه أحد بأية حيلة بشرية ، ويبعث الناس
مراراً بعد المئات فالأخار يدخلون الجنة
والأشرار يدخلون النار . فإذا حاول شخص
إيصال أذى لآخر فيرجع على رأسه هائداً
مثل الغبار الذى يعود على من يشيره
من الأرض . ويجب على الإنسان أن يجتنب
جميع أنواع الشر بكل جهد واجتهاد مثل
التاجر الحذر الذى يجتنب طريق الخطر
فى تجارته بكل الوسائل الممكنة .

ويخشى الناس كلهم العذاب والعقاب
قبل المات وبعده وعليك أن تعتبر نفسك
واحداً منهم فلا تصب أذى أو ألماً للآخر
فلا تقتل النفس ، ولا تسفك دم إنسان مهما
كان ؛ لأن الجميع يحبون الحياة مثلك ويهدفون
إلى التمتع بنعم الحياة . وإن الذى يقتل شخصاً
أو يؤذيه لا ينال السعادة بعد موته وكذلك
لا تشتم أحداً فيكذلك بنفس المسكين
والناس يعاملونك معك كما تعاملهم أنت معهم

بالمريض ألم والوفاة ألم ، واتصال الأمور
المحزنة ألم ، ثم بين الطريقة المفضية إلى إزالة
الألم ، والتحرر من آثاره والابتعاد عن
قبضته ، وهذه الطريقة هي الوسطى المشتملة على
الأمور الثمانية المذكورة من العقيدة السليمة
والأهداف الطيبة - والكلام الحق والعمل
الصالح والوسائل الشرعية للحياة والسعي
الصالح والعزيمة الصادقة والفكر الصائب .

والآن أرى من المناسب أن نبين القوانين
العشرة التي وضعها بوذا بنفسه لكل مرید
من أتباعه وأوجب عليه دراستها والحفاظة
عليها بكل دقة وإخلاص حتى يدرج في سلك
التلاميذ النساك الخالص وهي كما يلي : التزام
الحبيطة في أخذ متاع الدنيا والتصرف فيه ،
والابتعاد عن التقرب إلى غير مسموح به ،
وتجنب الكذب والزنا وشرب الخور وسائر
المسكرات . وأن يقناول الطعام في غير الظهيرة
من الأوقات وألا يقرب الملاهي والرقصات
والأغاني واستعمال العطور والورود وغيرها
من الأشياء الخلابة التي هي من أدوات الزينة
الظاهرية المحضة ، وعدم استخدام السرر
أو المقاعد الفاخرة المرتفعة وتجنب الذهب
والفضة ، وينبغي لكل تلميذ من أتباع بوذا
أن يتدبر جيداً في هذه الآداب الجوهرية .

وإن للبوذية بحدوثاً قيمة في تحليل الذات
وهناصرها وهي أولاً تقسمها إلى العناصر

مثلاً للجادين والكسالى إذ قال : إن الذين
يسعون ويجدون لا يموتون وإن تغيبوا
عن أهين الناس في هذه الدار ، وأما الكسالى
فحصار التفكير في حكم الأموات وإن كانوا
يمشون على الأرض على قيد الحياة .

وإن المفكر أنفسيط يرتفع بنفسه إلى درجة
الكمال فيستمر في رفعة بعد رفعة وعلى كل مغفل
أن يتعظ باعتدال العاقل وصبره وجده .

وأما العاقل فيخلق لنفسه - بفضل مساعيه
القديمة وتفكيره السديد - جزيرة محصنة
لا تصل إليها السيول الجارفة والزوابع
العنيفة ، ولا العواصف المزعجة لأن دعائمها
متينة وترتبط بقوة وحدودها موطدة المعالم
وأما السفيه المغرور فينخدع بملذات العيش
وسفاسف الأمور بينما يرى العاقل أعلى
المواهب الكامنة في نفسه ويرتفع إلى درجات
الكمال وينظر من فوق رتبة العليا إلى الأرض
وأهلها مثل الواقف على قمة جبل شاخ ينظر
إلى السهول الممتدة تحت صفحه . وفي مكة
العاقل المفكر أن يتحرر بنفسه من الأحزان
والطيش وملذات العيش الدنيء والهوى فينال
السعادة العظمى في أصح معانيها وأكمل
وجوهها .

وقال بوذا العظيم في إحدى خطبه القيمة :
إن الطرق الخمس للتشبهت بالوجود أنواع
من الألم فالولادة ألم والشيوخوخة ألم والإصابة

وتقول البوذية بأن العالم ظل زائل وتغض النظر عن البحث في بداية العالم وفيمن يدير دفتسه ومن هو علة التغير والتطور .
وأما البراهمة فتقول بمخلود الروح والعالم ثم تفرق بين الاصطلاحين المعروفين لها إذ تقول : فإله الروح التي تطلق عليها بالجوارح الإنسانية مثل العين والأذن والأنف واللسان وسائر عناصر الجسد فهذه غير خالدة وقابلة للتغير ، وأما التي تطلق عليها بالفكر والعقل والشعور دائمة خالدة وغير متغيرة .

وعلى هذا قالوا بمخلود الروح من ناحية ، وعدم خلودها من أخرى . وهذه نظرية عسيرة المنال ، والإدراك ولا يدرك كنهها إلا أولو العلم والبصيرة الوفاة . وطبقا للبوذية بأن العناصر تتولد من الجهل ومنها يتولد الشعور ثم الصورة والجسم والفكر والحواس الخمسة ، ومن الحواس الخمسة العلاقة الوثيقة بين العناصر الجسمية والذهنية ثم يتولد الحس ، ومن الحس الشهوة وهي مصدر التشبث بالوجود والرغبة في الوجود وتجدد الحياة .

وإذا نالت الإنسانية درجة الوجود وتجدد الحياة يأتي بعدها الهم والالم واليأس والشيخوخة والموت . وعلى هذا المبدأ إذا زال الجهل تفتى العناصر المادية فتفتى الحواس الخمسة وتعمى القوى الشهوانية والتشبث بالوجود والرغبة في الوجود وتجدد

الخمسة : الأول الجسد ، وهو غير الذات في نظر البوذيين لأنه لو كان هو ذاتا لما كان يتأثر بالمرض ولا يمكن أن يقال بأن جسد فلان كذا وكذا . والثاني الحس وهو غير الروح والذات وهو صالح للتأثر والالم وما إلى ذلك من الآثار الإنسانية ، والثالث الفهم ، والرابع الشعور وهو أيضا غير الذات وإلا لما أمكننا أن نقول : شعورى كذا ولا يكون كذلك ولا يخضع أيضا للأعراض المرضية . والخامس المعرفة ، وكل واحد من هذه العناصر يتغير حسب تقلبات المواقف الذهنية ونظام التركيب في الذات الإنسانية .

ولا نجد للبوذية بحوثا متمهدة منصلة عن نظرية خلود العالم وعدمه أو نهايته أو لا نهايته . وتقول الطائفة البوذية بأن هذه من النظريات التي تنتهى فيها العقول ولا يصل التأمل فيها إلى شاطئ قطمائية والإقناع . ولكن بوذا يقول في حق الخالق الأكبر بأنه : الأعلى المهيمن . الصانع . الصمد . العليم . البصير . المالك . الرب . وأحسن الخالقين . والذي يقين من بعض خطب السيد بوذا وبيانات كبار طائفته ، أن البوذية تنسك العقيدة الشائعة لدين الهندوس بأن العالم يدور في دورات من السكون إلى الحركة ثم ينتهى أخيراً إلى السكون ، ويعده البراهمة خالق السكون طبقا لمعتقداتهم - إلى الدوران ،

أو في مبادئه ، والتفتت إلى الحاضرين فقال :
إن الأشياء المركبة كلها فانية وجاهدوا
بأنفسكم ، وقال بوذا في موضع آخر : إن
الحياة لأمر مرتاب ، والموت لواقع محتوم
فلا منجى لأحد من لقاء الموت وعليكم أن
أنفكروا في الموت دائما واذكروه
في جميع الأحوال ، ومن لم يعود نفسه على
ذكر الموت فيكون مشله كمن تفاجئه حية
سامة فيستولاه الذعر والخوف بهذه المفاجئة
الاليمية ، وأن الذي هود نفسه على ذكر
الموت دائما مثل رجل ذى بصيرة عن حقيقة
رأى حية بجواره فرفعها بعصاه ورمها
إلى الورا بدون خوف ولا مفاجأة ولا يفرح
بلقاؤه الموت لأنه كان مستعدا له من أعماق
قلبه من قبل ، وعليكم أن تذكروا الموت
في جميع الأحوال بدون انقطاع .

وتحدث بوذا مرة عن حقيقة العالم وتطوراته
فقال : سيأتي حين من الدهر حيث يتطور
هذا العالم ، وتسكون علامة بداية ذلك التطور
أن تحيد الموجودات جميعا إلى عالم إشعاعي
فتظفر بنعمة الوجود وتفرح وتمرح في أرجائه
في مجد وجلال وتستمر هذه الحالة إلى مدة
طويلة ثم ينعدم العالم بأجمعه ويقفر ويسود
العدم على السكون ، وجميع المخلوقات في العالم
ستزول عنها حالة التشخص ، والمركبات
الحادثة كلها فانية تتولد وتموت ، وكل مخلوق
خاضع للتبخر فلا بد أن يفارق الدنيا الفانية

الحياة فيزول الألم والحزن والقنوط ويتحرر
العقل الأول من فساد الشهوة الحسية والروابط
الدنيوية الفانية .

وألقي بوذا عدة خطب قيمة تدور حول
المبادئ عن الحياة والفكر والنجاة
وما إلى ذلك فنقلنا فيما سبق مقتطفات منها
واعلم من المناسب أن ننقل الآن آخر موعظة
ألقاها بوذا بين الناسك قبل أيام لوفاته .
ونجد فيها وصايا ومبادئ تتعلق بالفلسفة
البوذية وكانت تلك الموعظة الأخيرة - كما قيل -
في حضور آخر تلميذ لبوذا - سدهودن ،
فقال : إن كان منكم أحد لم يطمئن قلبه بالإيمان
أو في قلبه الشكوك في بوذا أو رسالته
أو المبادئ التي دعى إليها فليسا إلى الآن .
ولا تقولوا بعدى بأننا نأسف على عدم
الاستفسار لبوذا عن مسألة كذا وكذا
وكان بيننا حيا ، ولما ظل الحاضرون جميعا
صامتين بعد أن كرر السؤال ثلاث مرات
مقتالية قال :

لعلكم لا تسألون احتراماً لي فليتحادث
بعضكم إلى بعض ... وبقى الناسك صامتين
وكان على رؤوسهم الطير فقال التلميذ الوقور
« آ لندن ، يا سيدي المحترم ! إنني لعلل يقين
تام بأنه لا يوجد بيننا أحد يشعر في نفسه
ريبة أو شكاً في بوذا أو في مبادئه وتعاليمه .
ثم قال بوذا : إن الله يعلم بأن هذه الجماعة
لا تحتوي على أحد يساوره الشك في بوذا

وتزيينها بالشجيرات والرايات والأقواس .
 فجلست الملكة في هودج ذهبي حمله ألف
 رجل من رجال البلاط الملكي وكانت الطرق
 مزدانة بالأشجار الباسقة والخنازل المتناثرة مع
 أغصانها والطيور تغرد في طرب وسرور
 ولما نظرت الملكة إلى هذا المنظر الخلاب
 أرادت النزول والتنزه في الخنازل . وقربت
 الملكة إلى إحدى الأشجار واشتبهت إلى أخذ
 غصن منها فإذا هو يحنو أمامها ويدنو منها
 من ذات نفسه فدت يدها وتناولته وشعرت
 حينذاك بالخاض وأسدلوا ستاراً حولها
 فوضعت حملها وهي ممسكة بذلك الغصن وتقدم
 إليها بعض النساء البراهمة فقالوا حاملين
 للولود : أبشري أيها الملكة ! إن طفلك
 سيكون له شأن عظيم في مستقبل حياته .

وأما الملك فغذ أن سمع من كبار البراهمة
 بأن ابنه سيكون له شأن عظيم بدأ يهتم به
 كثيراً وشيد ثلاثة قصور نفخة واتخذ كل
 التدابير اللازمة لإبعاده عن آلام الدنيا
 وغاؤها وعاش بوذا الطفل في تلك القصور
 في هدوء وطمأنينة ، وفي يوم من الأيام أراد
 بوذا أن يتنزه في الحديقة الواسعة الأرجاء
 في هربة ملكية مزينة فاخرة مركبة بالجواهر
 والأهلام الملكية وركب فيها وتوجه إلى
 الحديقة المذكورة بكل آية وبهجة . وبينما
 كان يتجول في الحديقة الفاخرة رأى شيئاً

ولا ينبغي لأحد أن يعتمد على الأشياء المركبة
 القابلة للتغير ومصيرها الزوال ، ولا يجوز
 لأحد أن يتمنى الخلود أو البقاء في هذا
 العالم الزائل .

وفي نهاية هذا البحث السريع عن المبادئ
 الجوهرية للفلسفة البوذية أرى من المستحسن
 أن نلقي نظرة خاطفة حول مولد بوذا الذي
 كان من المفروض أن يجلس على العرش
 الملكي ويحكم الدنيا ومن الظروف التي أدت
 إلى تزهده في الدنيا وانغماسه في التأمل حتى
 نال مرتبة النكال وأصبح مرشداً روحياً
 وزعيماً دينياً للملايين الناس ، وكان أبوه أميراً
 على قبيلة دسكياس ، ويرجع تاريخ ولادته
 حسب حساب أهل جزيرة سيلان إلى ستمائة
 وأربعة وأربعين قبل الميلاد فكانت وفاته
 عام خمسمائة وأربعة وأربعين قبل الميلاد بعد
 أن عاش ثمانين عاماً وكان اسمه دجوتتم، وقيل
 بأن معنى كلمة بوذا هو العارف، وتطلق
 لفظة دجوتتم، على القبيلة التي انحدر منها بوذا،
 وقد سمي نفسه أيضاً باسم دسدهارتما ، أي
 الذي نال منه وكانت والدته الملكة دهمامايا،
 وتقول الأساطير البوذية بأنه إذ حان موعده
 وضع طفلها هذا شعرت بمحنين في قلبها إلى أهل
 أبيها ورجت من الملك أن يأذن لها بالذهاب
 إلى موطن أسرتها فقبل الملك طلبها وأصدر
 الأمر بتعبيد الطرق المؤدية إلى مدينتها

فضائل الزهد والتيق ، وتمكنت فكرة الزهد في قلبه ولم يعد إلى القصر بل مضى في سبيله إلى الغابات ونال فيها العرفان .

ومنه إحدى الأساطير الواردة عن زهد بوذا ونيل العرفان . وبعد أن قضى بوذا زمنا طويلا في التفسكر في مصير الدنيا والحياة فيها واستكمل عرفانه وتبين له أن الخلق يموت ويبعث ويتجدد في حياته فن صلحت دنياه صلحت أخراه ، ومن فسدت دنياه فسدت آخرته . وهكذا هزم بوذا على بث دعوته المبنية على المبادئ الجوهرية التي سبق ذكرها ، ووصفها بالطريق السرى للنجاة الأبدية .

ورفض بوذا في خطبته الأولى التي ألقاها بين تلامذته فسكرتي إرهاق النفس وإيذاها وترك الدنيا تركا كاملا .

والتشبث بملذات الدنيا وشهواتها وأهوائها ودعا إلى طريق البصيرة والمعرفة التامتين . وبين هذه الطريقة بمبادئ ثمانية ويتجلى مما سبق أن البوذية لا تعترف بنظرية اتحاد الذات والجسد وبقاء الإنسان بعد الموت ، أو بخلود العالم ولذلك لا تبحث في بداية العالم وكونه دبراهم ، الله الأولى للخلق والتطور وتختار طريقا وسطا بين الإفراط في التسكك بالدنيا وملذاتها ، والتفريط في هجرانها والزهد فيها .

نحي الربيع الأول

هرما طاعنا في السن واهنا هظامه واشتعل رأسه شيئا وكان يمشى مرتعشا متسكنا على عصاه وكان المنظر محزنا يبعث على التدبر في أحوال الدنيا .

وقال بوذا يتفطر قلبه ، حزنا وكآبة : يا للويل للولادة التي تمهد الطريق للشيخوخة القانية إلى بنى آدم فلا خير في نعم لا تدوم ووعاء يزول في طرفة عين . ثم عاد الأمير فورا إلى القصر ولما علم الملك نبأ هودته قبل الموعد سأل الحاشية عن السبب المؤدى إليها فقالوا : إنه رأى في الطريق شيئا هرما وقد احدوب ظهره ووهن عظمه وسقطت أسنانه ، ونخاف أن يزهد في الدنيا بعد رؤية ذلك المنظر المحزن . وقال الملك : لا ينبغي لابنى أن يفكر الآن في الزهد عن الدنيا مادام موفور الحظ ثم هين الملك المراقبين في أنحاء المدينة ليقوموا بإبعاد كل شيء مزعج عن عين الأمير . وبعد فترة من الزمن خرج بوذا مرة أخرى للتنزه فرأى شخصا مصابا بالداء العضال بحيث يعاغه الناس وفي منظر كرهه جدا . وازداد حزنا وتعمقا في التفكير عن آلام الدنيا وتفاهة العيش فيها وفي المرة الثالثة رأى الأمير رجلا أنيقا في ملبسه زاهدا في الدنيا عنه فسأل عنه سائق العربدة الملكية التي كان يتنزه فيها الأمير بوذا فأجاب يقوله: هذا رجل ورع زاهد في الدنيا ووصف

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٨ — أطيب وجوه الكسب

وتطبيب به الحياة . هو كما يفهم من القرآن الكريم : عمل الصالحات ، ومعناه يسع كل ما يحقق مصلحة عامة ، أو خاصة لا تضر بمصلحة عامة ، ومن ثم قرنه الله بالإيمان وقيده بالوصف الدائم اللازم له وهو الصلاح حتى لا ينشأ عنه شر أو ضرر بالغير ، فقال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . وقال سبحانه : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » ، فالحياة الطيبة - ومعناها يسع كل ما تطيب به النفس مرهونة بهذين الأمرين كما يفهم من هاتين الآيتين وهما الإيمان والعمل الصالح ، وقد رتب الله عليهما حسن الجزاء وحسن المآب : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » ، « يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

٣ — فإذا فقد العمل ركنه الأساسي وهو الإيمان كان كما يقول الله فيه : « والذين

١ — سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أى الكسب أطيب ؟ فقال : عمل الرجل بيده . وكل بيع مبرور ، ويعنى بالمبرور من البيع ما يحصل به للبائع بر وخير ، كأن يبيع السلعة التي يمتلكها بشمن معقول مقبول يحقق له فائدة معقولة مقبولة ، ويحقق للشترى مع ذلك مصلحته في اقتناء السلامة والارتفاع بها ، فالكسب عن طريق البيع والتجارة حلال مشروع كما يفهم من هذا الحديث وكما يفهم من قول الله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » ، وقوله سبحانه : « يأياها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

أما العمل فهو خير وسائل الكسب كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده) . وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) .

٢ — غير أن العمل الذي يسوغ به الكسب

؛ — لهذا كل طبيعي ومنطقي مع التوجيه الإسلامي الراشد أن تقاس الأعمال بالباطح عليها والدافع إليها كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يفتكها فهجرته إلى ما هاجر إليه) ومن ثم كان حسن النية شرطاً لا بد منه لصحة العبادات وصلاح الأعمال، وكانت التقوى وتوخي الصدق والحق في كل ما يقال سبيلاً إلى صلاح الأعمال وحسن الحال والمآل كما يفهم من قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً».

ه — على أن طاعة الله وطاعة الرسول إنما هي استجابة للدعوة إلى الحياة الحقيقية العظيمة كما يفهم من قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم».

فالإسلام هو الحياة بكل ما تتسع له كلمة الحياة من معاني الحركة واليقظة والعمل والقوة والعزة والكرامة، بل إن الحياة في نظر الإسلام هي المرحلة الوحيدة الفريدة التي يجب أن يستثمرها الإنسان بالعمل الصالح،

كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وكما يقول فيه «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم حاصف لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد»، فهو كما يفهم من الآية الأولى سراب يتخيله الناظر إليه ماء وهو مجرد خيال لا ينفع غلة ولا يروى ظمأً، وهو كما يفهم من الآية الثانية رماد تعصف به الريح فإذا هو هباء طائر في الفضاء لا ينفع صاحبه بشيء ولا يبقى لصاحبه منه شيء وقد مثل الله حال الذين يطلبون صدقاتهم بالمن والأذى بحال الذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر وذكر أن عمله كتراب على حجر أملتس يقع عليه المطر فلا يبقى منه شيئاً. وذلك حيث يقول سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فذله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا».

فالكافر مهما يكن شأنه ومهما يكن عمله لا وزن له ولا قيمة لعمله عند الله، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى: «والذين كفروا فمصالحهم وأضل أعمالهم. ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم».

إلى المزيد من الطيبات فهو دائما يأمل ويعمل
ويستخدم عقله في توجيه عمله إلى الغاية
التي يتحقق بها أمه وهو ما دام يحيا ويعيش
يشعر بحاجات تتجدد في نفسه وتزايد أمام
عينيه .

وهذه الحاجات تدفعه إلى العمل وتحفزه
إلى النشاط ، ومن عجيب صنع الله فيه أن
يكون شعوره بحاجته هو مصدر ما نرى من
مظاهر قوته ، فشعوره بالحاجة إلى الغذاء
والكساء والمأوى دفعه إلى استئثار الأرض
وبناء البيوت والقصور ، واختراع أدوات
الزراعة وآلات الصناعة ، وشعوره بالحاجة
إلى السرعة في قطع المسافات البعيدة دفعه إلى
اختراع السيارات ، القاطرات والطائرات ،
وشعوره بالحاجة إلى قوة تصونه أو يعظم
بها سلطانه دفعه إلى اختراع الأسلحة الفتاكة
المهلكة ، وكل ما نرى من مظاهر المدنية
ووسائل الحياة يمثل نشاط الإنسان وعمله
حتى لم يكن أن يقال : إن الحياة هي العمل
والعمل هو الحياة .

٨ — ولا شك أن الإسلام - وهو دين
الفطرة - يدعو إلى العمل ويعمل بالشواب
عليه ، بل يجعل العمل هو الثمرة الطبيعية
للإيمان والنتيجة الحتمية له . كما يفهم من
اقتراحه به في كثير من الآيات . ومن قوله تعالى :
« ليس بآمانكم ولا أمان أهل الكتاب من

ويتزود منها بما ينفعه في الدنيا والآخرة
لأنها فترة الامتحان والاختبار كما يفهم
من قوله تعالى : « الذي خلق الموت والحياة
ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور »

٦ — والمتأمل في القرآن يجده في كثير
من الآيات يلفت نظر الإنسان إلى أن
كل ما حوله مسخر له . ميسر لمصلحته . وأنه
هو الذي أمره الله بالخلافة في الأرض وفضله
على كثير من خلق وزوده بكثير من الموارد
والقوى لينتفع بها في تعمير هذه الأرض
واستثمارها ، والاستمتاع بما فيها من أقوات
وخيرات وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى :
« ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير
من خلقنا تفضيلا » . وقوله سبحانه : « هو الذي
جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه ، وقوله جل شأنه : « فإذا
قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا
من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون » ، وقوله : « هو الذي خلق لكم ما في
الأرض جميعا » ، وقوله : « وفي السماء رزقكم
وما توعدون » .

٧ — ثم إن كل ما نرى من مظاهر
العارة والحضارة والعلم ينطق بحكمة الله
في الإنسان إذ اصطفاه واجتباها وجعله
في الأرض خليفة ، فقد خلقه نزاهة بفطرته

وهو أفضل من أقلته هذه الأرض وأظلمته هذه السماء ، يرمى الغنم ويسافر للتجارة ، ويعمل مع المسلمين في حفر الخندق فيقطع الصخور ويحمل القناب ، وكان نوح يصنع السفن ، وداود ينسج الدروع وبأكل من حمل يده وهؤلاء وغيرهم من الأنبياء هم الذين يقول الله فيهم : أولئك الذين هدى الله فبهم أقامه ، فليس الذين توكلا وتمكسلا وسليمة وإنما هو إيمان واسخ يعمر القلب ، وعمل متصل بعمر الحياة ونقطة تامة بأن الله كما يقول سبحانه : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنما لنأضع أجراً من أحسن عملاً ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يحسنه) وقال تبارك وتعالى : إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، .

عبد الرحيم فوره

يعمل سوءاً يحز به ولا يجد له من دون الله لياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها ، .

ولا فرق بين عمل يطلق على القائمين به اسم عمال ، وبين عمل يقوم به غيرهم من المواطنين والتجار ومدبري المصالح والشركات لأن العمل الصالح يطلق ، ويصدق على عمل هؤلاء وهؤلاء ، بل إن كلمة العمال بمعناها الطبق المعروف في غير بلادنا لم يكن لها وجود في المجتمع العربي والإسلامي ، وإنما كانت على العكس من ذلك تطلق على الولاة والحكام .

٩ — والمؤمن الصادق لا يأنف من العمل مهما يكن نوهه مادام يحقق له مصلحة أو يجد فيه خيراً ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم

لا تغلوا في دينكم

تزوج عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان شاباً تقياً نزاعاً إلى العبادة والصيام والقيام ، فذهب أبوه عمرو يسأل دوجه عن حاله معها ، فقالت في أدب : نعم الرجل عبد الله ، لم يبطأ لثاً فراشاً منذ جثناه ، فشكا عمرو ابنه إلى الرسول فقال له عليه الصلاة والسلام : ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقال : بلى يا رسول الله . فقال له : إن لزومك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسديك عليك حقاً ، صم صوم داود نبى الله فإنه كان أعبد الناس فقد كان يصوم يوماً ويفطر يوماً . (أو كما قال)

العقّار: في الدّراسات اللّغويّة

للدكتور كمال بشر

شخصيته وعقليته ؛ شخصية قوية لا تلين في غير حق ، ولكنها دائماً تعنف في سبيل هذا الحق . وعقلية جبارة تنفذ إلى أحماق النفوس والأشياء ، فتكشف عن أسرار لا يدرك مغزاها أو معناها المتعجلون السطحيون . ومن ثم يسمون أعماله تارة بالصعوبة والتعقيد ، وتارة أخرى بالإغراق في تحليل الجزئيات دون النظر في الكلّيات ، أو دون القيام بعملية تجريد لهذه الجزئيات ، والوصول منها إلى قضايا كلية .

كل هذه الصعوبات قد وهبناها وتدبرناها منذ شرعنا في التفكير في هذا الموضوع . غير أن هذه الصعوبات لم تمنعنا مطلقاً من تتبع أعمال الرجل ومحاولة تقويمه من وجهة النظر اللغوية الحديثة . وأظنه ليس من الإنصاف في حق العقاد أو في حق نفسه على سواء أن أدعى أنني آت الآن بدراسة تفصيلية أو شبه تفصيلية لآثاره اللغوية . إن الذي أستطيعه في هذا المقام لا يعدو أن يكون تخطيطاً لدراسة أشمل ، ولا يجاوز أن يكون رسماً لإطار عام لبحث أوسع وأكثر استيعاباً .

(١) أظن أن الجانب اللغوي عند العقاد لم يسل ما ناله جوانبه الفكرية الأخرى من البحث والدراسة ؛ بل قد نضيف إلى ذلك أن هذا الجانب لم يحظ حتى الآن بدراسة واعية جادة . ومن ثم كان دورنا في هذا المجال شاقاً هنيئاً . وما يزيد في هذه المشقة وتلك الصعوبة أمران مهمان : أولهما يتعلق بمادة البحث ، وثانيهما يتعلق بالاتجاه الفكري العام عند الراحل الكريم نفسه .

فالمادة اللغوية التي خلفها لنا العقاد كثيرة متنوعة ، تقتضي من الدارسين أناة وصبرا بالغين . وتحتاج في عرضها ومناقشتها إلى وقت أوسع وأفسح مما يحتمله هذا المقام . وهذه المادة - بالإضافة إلى ذلك - موزعة بين آثاره العديدة ، ومتناثرة هنا وهناك في بطون تلك الآثار .

أما الاتجاه الفكري عند العقاد فصعوبته توحده وتفرد ، فهو اتجاه أو - بالأحرى - منهج خاص بالرجل وحده ، تلبس فيه بوضوح

(١) حصل بالجزء الذي نشر من هذا المقال خطأ في التصحيف ونعيد نشر المقال بأكمله بدلا من نشره على مرتين .

بهذا التناقض في أعمال العقاد اللغوية ، بل لا تسمح له طبيعة البحوث ذاتها بهذا الحكم بحال من الأحوال . ذلك أن العقاد في بحوثه اللغوية يمثل مدرستين منفصلتين وغير مختلطتين ، وقد لاحظ ذلك هو نفسه ؛ فخصص لكل حالة بحوثاً وقضايا لغوية معينة ، تتماشى طبائعها وخواصها مع المنهج المعين الذي سلكه . فالعقاد - بوصفه لغوياً - باحث ومعلم معاً . فهو حين يبحث ويناقش القضايا النكبة والمشكلات ذات الصلة الأكاديمية ينحدر نحواً وصفيّاً صرفاً أو يكاد ، مهملًا المعيارية وتوابعها من فلسفة ومنطق . أما حين يستلزم الأمر أن يكون معلماً - ومعلماً من طراز القادة المصلحين والرواد المجددين - إنه حين يقف هذا الموقف يصرح على الفلسفة والمنطق قصداً إلى التحليل غير المتعجل وإلى الكشف عن أسرار الحقائق اللغوية ، كي يصل بذلك كله إلى إقناع المتعلمين أو الشاكين أو إلى إقحام المعارضين المعاندين بغير حق أو معرفة .

والعقاد في كلا المنهجين يعد مثلاً للدقة في الشرح والتحليل والتطبيق ، وفي كلا النوهين من بحوثه يؤكد لنا عمقه وسيطرته على المادة وطرائق البحث كذلك ويتمثل الاتجاه الأول (وهو الاتجاه الوصفي) في أعماله كثيرة أهمها بعض ما سجله في كتابه

وعندنا أن قيم البحوث اللغوية تقاس بثلاثة مقاييس مجتمعة غير منفردة . هذه المقاييس هي : —

أولاً : منهج البحث الذي يقبضه الباحث .

ثانياً : مجالات الدراسة .

ثالثاً : الأغراض أو الأهداف التي يرى

إليها اللغوي المعين .

أما من حيث المنهج ، فالرأى عندنا أن العقاد يتبع منهجاً معيناً نستطيع أن نسميه بالمنهج المعيارى - الوصفي وهو منهج يبدو متناقضاً لأول وهلة ؛ إذ أن الدراسة اللغوية الوصفية تعنى أولاً وآخراً بوصف الحقائق اللغوية كما هي ، دون فرض أية قاعدة أو قانون على المتكلمين . ولا يهمها بعد ذلك أن يكون كلامهم متمشياً - أو غير متمشٍ - مع قواعد الفلسفة أو المنطق . وإلى العكس من ذلك تماماً تذهب الدراسة اللغوية المعيارية ، تلك الدراسة التي تهتم قبل كل شيء بفرض مجموعة من القوانين والقواعد العامة التي يجب على المتكلم أن يتبعها في كلامه . وأصحاب الدراسة المعيارية يصلون إلى قوانينهم وقواعدهم هذه عن طريق النظر الفلسفي أو المنطقي من قياس وتحليلات فرضية ، أو تأويلات وتعليلات .

على أن الباحث المدقق لا يستطيع أن يحكم

والدقة ، فبعد الفرق بينهما واستوى العقاد عملاقا على قمة الفكر الإنساني الواسع العريض ، واكتفى يسبرسن ببضاعته اللغوية التي لا تمثل إلا جانباً واحداً من جوانب الثقافة الإنسانية .

فإذا ما انتقلنا إلى المقياس الثاني من مقاييس الحكم على أعمال اللغويين (وهو مجالات الدراسة ، ألفينا العقاد يصول ويجول في مجالات البحوث اللغوية الحديثة كلها .

لقد جرى المعروف بيننا نحن اللغويين أن تقسم علم اللغة إلى الفروع التالية .

(١) علم الأصوات ، وهو نوعان أحدهما عام phonetics وثانيهما تسمية نحن بعلم الأصوات التنظيمي phonology .

(٢) الصرف morphology .

(٣) النحو syntax .

(٤) المعجم lexicon .

(٥) السيماتيك semantics أو ما نسميه نحن بعلم المعنى (١) .

هذا بالإضافة إلى مجالات لغوية أخرى عامة ، كدراسة بعض القضايا اللغوية على

(١) علم المعنى يدرس معاني الكلمات والجمل والعبارات في الكلام المحي المنطوق على مستوى اجتماعي صرف، وهو في ذلك يتفق مع المعجم في شيء ويختلف عنه في أشياء ، كما أن علم المعنى يخالف ما يسمى بعلم المعاني عند علماء العربية ، فالأول أهم إذ الثاني يمثل جزءاً من بحوث الأول عند بعض المدارس اللغوية ، أما عند البعض الآخر فهما علمان مختلفان ولكل منهما مجالاته الخاصة .

وأشتات مجتمعات في اللغة والأدب، وبعض فصول كتابه الآخر « اللغة الشاعرة » ، أما الاتجاه المعيارى فيتضح بوجه خاص في مناقشة المشكلات الخاصة باللغة العربية . والسر في ذلك واضح ، وهو أن العقاد في هذا المجال يريد أن يقنع المنحرفين والمتعصبين ضد اللغة العربية بالدلائل الهادى الواضح .

وإذا كان لنا أن نربط منهج العقاد بمناهج لغوية أخرى غربية أو شرقية ، انصرف ذهنى إلى العالم اللغوى الجليل أو تويسبرسن وليسبرسن منزلة خاصته ومكانة ممتازة لا ينكرها عليه أحد من اللغويين المحسنين ذلك أن الرجل قد أسهم بنصيب كبير في إرساء قواعد البحث اللغوى، وإليه يرجع الفضل في تقريب مبادئ هذا البحث وأساسه إلى أذهان الدارسين ، على أن هناك فارقين كبيرين بين الرجلين ، أولهما أن العقاد كان أسعد حظاً من صاحبه فقد نجح في عمله ولم يخلط بين منهجيته في بحثه، وإنما أفرد لكل منهج بحوثاً من لون خاص ، أما يسبرسن فكنا يعلم أنه لم ينبج من هذا الخلط الذى يعد من أكبر عيوبه في الدراسات اللغوية . أما الفرق الثانى بينهما فهو أن يسبرسن لغوى فقط، أما صاحبنا فهو مفكر وباحث يضرب بفكره الكبير إلى أعماق العلوم الإنسانية كلها وعلى مستوى واحد من حيث الإجابة

المعجم والسيانتيك معا . ولم يفقه أن يفرق بين المنهجين وهو شيء لم يستطع كثير من اللغويين المحدثين ، ويكفي أن نشير هنا إلى أن العقاد هو صاحب المصطلح السيمية ، الذي اختاره مجمع اللغة العربية ليكون علما على الدراسة السيانتيكية .

أما البحوث اللغوية العامة فلم ينس العقاد — رحمه الله — أن يواظب شيئا من عنايته بالدرس والتحليل ، فككتب في أصل اللغة الإنسانية ، وفصائلها وهلاقتها بعضها ببعض هذا من الناحية التاريخية أو التاريخية الفلسفية ، أما من الناحية الاجتماعية فقد ناقش العقاد قضية قديمة حديثة وحديثة قديمة ، وهي مشكلة الفصحى والعامية كما كتب عن الأبجدية : أصولها وتطورها ومنزلة الأبجدية العربية أو السامية بين أبجديات لغات العالم ، ولنا مع هاتين المسألتين الأخيرتين عودة بعد قليل .

أما عن المقياس الثالث وهو مقياس الأهداف التي يرى إليها الباحثون من دراساتهم ، فليس شيء أصعب على النفس من الوصول إلى حقيقة أهداف العقاد من بحوثه دون دراسة مستفيضة لآثاره كلها اللغوية وغير اللغوية منها على سواء . ولكننا مع ذلك نستطيع أن نقف على بعض المعالم الكبرى لهذه الأهداف من أعماله اللغوية

مستوى تاريخي فلسفي ، وكدراسة بعضها الآخر على مستوى اجتماعي .

فإذا ما انتقلنا إلى بحوث العقاد وجدناها تمثل هذه الفروع كلها خير تمثيل ، فقد كتب في الأصوات وموسيقى الكلام ، على نحو ما يفعله المتخصصون الآن ، وهرج آنذاك على دراسة هي في المرحلة الوسطى بين الأصوات والمعاني ، ونقصد بذلك دراسة الأصوات وعلاقتها بمعانيها من حيث المواءمة والانسجام أو النفور والنشاز ، على شاكله تلك الدراسة القيمة التي أبدع فيها علماء العربية القدامى كابن سنان الخفاجي وضياء الدين بن الأثير وغيرهما . ولم يقنع العقاد في هذا كله بالدرس السطحي أو الإشارة العابرة ، وإنما عكس عقلية الجبارة على هذا المجال الصعب الدقيق .

ولم تقل بحوثه الصرفية والنحوية عن سابقتها في العحق والقوة والوضوح والجلال ونهج في بعض القضايا النحوية في اللغة العربية منها ما يشبه ما سار عليه ابن جني المفكر العربي العريق ، من حيث فلسفة الأمور وتحليل المسائل تحليلا فلسفيا منطقيا . وفي بعض القضايا الأخرى نلح فيه روح عبد القاهر الجرجاني من حيث الاهتمام بفظم الكلام وتأليفه .

ولم يحف قلم الراحل العظيم قبل أن يعرض كذلك لدراسة الألفاظ ومعانيها على مستوى

ومن فوقهم ، ويكشف عن قفاقهم وخداهم وبين لهم في قوة وعنف خطل هذا الرأي وضلال هذا المذهب . يقول رحمه الله : « العامية قبل كل شيء هي لغة الجاهل ، وليست بلغة الفاقة أو بلغة اليسار . وبين الأغنياء كثيرون لا يحسنون الكلام بغير العامية التي لا جمال لها ولا طلاوة . وبين الفقراء من يحسنون التعبير بالفصحى أو يعبرون بالعامية تعبيراً يزينه جمالها وتبدو عليه طلاوتها .

فاذا عطفنا على العامية فإنما نعطف على الجاهل ونستبقيه ونستزيده ، ولا نخفف وطأة الفقر ذرة واحدة بتغليب عبارات الجاهل على العبارات التي تصاغ بها آراء المتعلمين والمهذبين ، ويتساءل العقاد بعد ذلك عن سر التواضع في الكلام دون التواضع في مظاهر الحياة الأخرى . فيقول : « لأننا لم نسمع أن أحداً تواضع حباً للفقير نخلع حذاءه ليمشي حافياً أو يلبس أرخص النعال . فبالأناس يتواضعون فيخلعون لغة المعرفة والثقافة لأنها - كما يزعمون - لغة لا يفهمها الفقراء » ؟ .

ويختم العقاد كلامه بمثل ما أسلفنا من أن هذه الدعوة دعوة مفرضة روجها مذهب عقائدي ملحد ، يحقد على الفصحى لحقده على كل امتياز وارتفاع ، وغرام أصحابه بكل

وحدتها ، إنه في بحوثه ذات النهج المعيارى يستهدف التعليم والتثقيف اللغويين لذوى الجهالة وأشباههم ، أو الإرشاد والنصح لمن عميت بصائرهم فلم يدركوا سر ما في العربية من قوة وعظمة ، واكتفوا بالثقافة السطحية من قواعدها ، هروباً من دقائقها ولطائفها الدفينة فيها ، أما بقية أهدافه وأغراضه في بحوثه التي ينصب الكلام فيها على اللغة العربية ومشكلاتها فتتركز في شيء رئيسي واحد ، تلبسه عن قرب أو بعد في كل هذه البحوث ، ذلك هو خدمة الثقافة العربية وعمادها اللغة .

ويتمثل ذلك بوضوح في قضيتين خطيرتين يشترهما بعض الناس ، عامدين مضللين أو مخدوعين واهمين . هاتان القضيتان هما مشكلة الفصحى والعامية ومشكلة الأبجدية العربية وصلاحيتهما للكتابة .

لقد طلع علينا نفر من يدينون ببعض المذاهب العقائدية المنحرفة ينادون بوجوب استخدام العامية في الكتابة وأغراضها الأدبية المختلفة بدلاً من الفصحى ، على أساس أن الأولى لغة الشعب فيجب اتباعها ، أو لغة الفقراء فيجب تفضيلها حرصاً منا على كرامتهم . ومن الطيبي أن يعرف العقاد خبث هذه الدعوة الظالمة ، ويعلم أهداف الداعين إليها ، فيما أتتهم من خلفهم

ما يهبط إلى مرتبة الصعاليك ، ثم هم لا ينسون أن القضاء على العربية الفصحى فيه قضاء على دين المسلمين الذي يحاربونه كما يحاربون كل دين ، ، ويرى العقاد أن تغليب لغة الجمل كارثة على الأمة العربية وعلى العقل الإنساني ، لا تقل عن كارثة الفقر وسوء العيش ، وأن علاج مسألة الفقر لن يتوقف في وجهه من وجوهه على ترك الكلام الفصيح وتقديم الجمالة الكلامية .

وانما نقول نتيجة لدراسة علمية أبحاثها وسجلناها أكثر من مرة منذ زمن طويل . وينبغي أن يعلم أصحاب هذه الأساطير أن هاتين الدعوتين تدبعان كليتهما من مصدر واحد منحرف وتستهدف هدفًا واحدًا ، هو بليلة الخواطر وإثارة الشكوك في تراثنا والعودة بنا إلى الفوضى التي يغرمون بالعيش فيها ، حيث تتاح لهم فرصة الكسب الحرام والانتهازية .

أما عن الأجدية العربية ومدى صلاحيتها للكتابة فلم تقل حجج العقاد في هذا الشأن مما قدمه لنا بشأن القضية السابقة ، والحق أن الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية دعوة لا تقل في خطورتها عن الدعوة إلى العالمية في هذا المسلك البغيض مسخ لقوميتنا وضياع لشخصيتنا ، وإهدار لمكانة أمتنا بين أمم العالم ، ولا نقول هذا الكلام انسياقا وراء عاطفة أوجامة لمناسبة ،

تلك صورة بجملة لمخاطب علمي قصدنا به إلى تهديد المسكينة اللغوية للرجل ، وإلى إلقاء الضوء على جوانب التفكير اللغوي عنده ، ونأمل أن تكون لنا عودة إلى شيء من التفصيل لما أوجزناه وأجمالناه هنا في المستقبل القريب بإذن الله .

دكتور كمال بشر
أستاذ علم اللغة المساعد بكلية دار العلوم

التيسير في تعليم الشريعة

قال الإمام الشاطبي : إن تعليم الشريعة وبيان أمور الدين يجب أن يكون بما يليق بمجموع الناس دون اللجوء إلى التعمقات الفلسفية المعويصة . فإذا قيل : ما الملك ؟ قيل : خلق من خلق الله يتصرف بأمره ، أو معنى الكوكب ؟ قيل : هذا الذي نشاهده بالليل ، وعلى هذا وقع البيان في الشريعة ، كما قال عليه السلام : « السكبر بطر الحق وغمط الناس ، ففسره بلازمه الظاهر لكل أحد . . . » .

(مقدمة كتاب للاوقات)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لأستاذ عبد الله كنون

والإخلال بالآداب العامة . وبالعكس من ذلك نجد اليهود التي اقتصرت فيها راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي اليهود التي ساد فيها الظلم والظلام ، ومرج أمر الأمة ، ولم تأت من الأهمال ما يرفع لها رأساً أو يعود عليها بنفع .

ولا نلحق صعوبة في أخذ هذا المعنى من قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدهون إلى

الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » . فقد أمرنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن نكون ، نحن المسلمين كافة ، أمة تدهو إلى الخير ، والخير اسم جامع لكل الفضائل بحيث يصح القول أن جميع القيم العليا تدرج تحته . وبالضرورة إننا لا ندهو إليه حتى نتصف به وذلك هو سر قرانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فدلّول هذا الخطاب أننا بعد الاتصاف بالخير والهدوء إليه ، نقف بالمرصاد لكل من حاد عن

من الشعارات الإسلامية الخالدة التي نادى بها الكتاب ووردتها السنة وتلقاها الأمة بالقبول ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . واقد كان هذا الشعار وما يزال عنوان الديمقراطية الحق التي جاء بها الإسلام ، ومعيار سلامة المجتمع من الآفات والعلل التي أريد له بمقتضى تعاليم الدين الحنيف أن يتجنبها ولا يقع فيها .

أما كونه عنواناً للديمقراطية الحق فلأنه أشرك الأمة في الحكم بفرض رقابتها على الجهاز الحاكم وتخويلها حق الاعتراض على كل ما يخالف السياسة الشرعية وما ليس فيه مصلحة للعموم . وأما كونه معياراً للمجتمع السليم فلكون القيام عليه والعمل به يسد كل منفذ لقرب المفسدين وانطلاق الأشرار إلى العبث بالاخلاق وتجاوز الحدود . وإن أمثل عصور تاريخنا وأجدها وأعظمها ، هي تلك التي كانت فيها راية هذا الشعار مرفوعة باليمين ، والحكومة وأهل الحفظ من الأمة ساهرون على إقامة الشعائر ونفوذ الشرائع ، وعدم انتهاك الحرم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بلغوا نهي ولو آية » ، والمجتمع الإسلامي يجب أن يكون قدوة ومثالاً في حسن الأخلاق وصدق المعاملة أيكون دليلاً على سمو هذا الدين ويقوم من سلوك أهله داعية إليه ، كما كان عليه الحال في الصدر الأول ، فدخل الناس في الإسلام أفواجا ، ولا يتحقق ذلك إلا بالرقابة الصارمة على سلامة هذا المجتمع التي هي المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فإن بطل ذلك لم يبق وجه للخيرية لأنها ليست ذاتية ، وإنما هي حكم يدور مع علته وجوداً وعدماً .

ونلتفت إلى الحديث الشريف لنبي إنمما هو وحى يوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ما أنزل إليهم من الكتاب العزيز ، ففرى أنه يسير مع مضامين هذه الآيات الكريمة جنباً لجنب ، ويؤكد ما اشتملت عليه من حكم وأحكام يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراكم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم) . والتفسير الواقعي لهذا الحديث الذي ليست فيه شائبة ميتافيزيقية ، هو أن الأمة مدهوة إلى القيام بهذا الواجب لضمان سلامتها من عوامل الانحلال وأسباب الاضمحلال ، فإن ضيعته فإن الأمراض

سبيله ولم ينته إلى معالمة ، تأمره ونهائه ، لكي يستوى على الصراط المستقيم . فإذا فعلنا ذلك كننا من المفلحين ، لأن الآية الكريمة حكمت لمن كان على هذه الصفة بالفلاح وهو فلاح عام في الدين والدنيا ، بدليل أنها أعقبته بأمرين ، أحدهما : مما يقع في الحياة الأولى وهو اختلاف الأمة وافتراق كلمتها عند تفريطها في هذا الواجب الأكيد . وثانيهما : مما يقع في الآخرة وهو العذاب العظيم لمن ضيع الأمر والنهي ولم يعمل بما كلف به من ذلك . فلا تستقيم أحوال الأمة ويكتب لها النجاح والفلاح إلا بامتثال أمر الله عز وجل ، والوقوف عند حدوده وعدم غش الطرف عن البعد والاهواء التي تنتشر فيها فتقردها إلى الهلاك والحسran .

ويؤيد ما ذكرناه أن الله تعالى خاطبنا في الآية التي تأتي بعد هذه مباشرة ، بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، فجعل سبب الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان . وبذلك يعلم أن الأمة إذا تقاعدت عن هذا الوظيف لم تبق مستحقة لذلك الوصف ولو مع إيمانها ؛ لأن رسالة الإسلام ليست هي الإيمان المجرد بل العمل والتبليغ ، وقد

والنهي فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقي ، لكان ذلك موقعا في الحرج الدائم ، لأن المنكرات لا تقفأ تنبعث من كل مكان ، في كل زمان ، وإذا لم تبادر الأمة بتغييرها وانتظرت حتى ينبرى لذلك من يتعين عليه ، انتشرت انتشاراً عظيماً وأثمت الأمة كلها بسبب التفريط ، لاسيما إذا انعدم المحاسب الذي كانت الحكومة تقيمه مقام النائب عنها في هذا الصدد ، كما هو الحال اليوم ، فصارت بلاد الإسلام مسرحاً لارتكاب أنواع الفجور واقتراف ضروب الآثام .

وأما أن خطاب الأمة على سبيل العموم بهذا الواجب يقع في الفرضي ويوجب اختلال النظام ، فالجواب عنه أن الشارع الحكيم يبين لكل طائفة من الأمة ما يجب عليها من ذلك ، وألزمها القيام به على سبيل الفرض والتعيين ، فقال كما في الحديث المشهور :

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) . قال العلماء التغيير باليد لولاية الأمر ، وباللسان للعلماء ، وبالقلب لعامة الناس . وإنما اضطار العلماء إلى هذا التفصيل ، لماسع الجهل وكثر تجاوز الحدود من العامة وبعض الولاة . فانهظم بذلك الأمر ووقف كل عند ما حده .

الاجتماعية تستقشر فيها بسيطرة الأشرار عليها وتوجهها إلى المصير المظلم الذي تعمدى فيه فلا تقوم لها قائمة ، ولا تنفعها بعد دهوة ولا دعاء . وهذا أمر مشاهد - مع الأسف - لا يمتري فيه أحد . وهو معقول المعنى إذ أن السكوت عن المنكرات ، بله تشجيعها ، بحجة احترام الحرية الشخصية ، قد أدى شيئاً فشيئاً إلى انتشارها بكيفية فظيمة حتى طغت على السنين المعروفة ، وقامت لها دولة وسلطان ، فلا يقدر أحد الآن أن يغيرها . والذي يدهو إلى ذلك يصير هزواً وسخرية بين الناس .

ولعل قائل يقول كيف جعلتم الأمة كلها مخاطبة بهذا الأمر ، والآية إنما تقول : « ولتكن منكم أمة يدهون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . وهلا ترون أن ذلك موقع في الفرضي موجب لاختلال النظام ؟

ونحن نجيب أن الآية جاءت على أسلوب التجريد ، وهو أبلغ في الخطاب . والمعنى : اجعلوا منكم أمة هذه صفاتها . وقال كثير من المفسرين إن من في قوله « ولتكن منكم » للبيان ، بمعنى كونوا أمة تأمرون . ألا ترى أنه تعالى قال في الآية بعدها « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون » ، ولو جعلناها للتبويض كما قد يقوم ، وحكمنا بأن الأمر

أن يسكنوا لسان الأمة الناطق ، والحارس الأمين على تعليم الدين . فيبلغوا إلى الولاية ما لم يبلغهم من الظلم والحيف الذي يقع على ضعفاء المسلمين ، ويطلبون بتغيير المنكر والضرب على أيدي المفسدين . والولاية مطالبون حينئذ بإنصاف المظلوم وإحقاق الحق ونصرة الدين : دولي نصرون الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الأمور .

وما هنا أمران لا بد من التنبيه عليهما . الأول : هو أن بعض الناس يقولون المهم هو أن تستقيم أنت ولا عليك في الغير ويستدلون بقوله تعالى : ديا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، وهذا هو ما يعبر عنه بعضهم بقوله : ليسكنس كل واحد فناء داره كي تعم النظافة . ولكننا انتظرنا كثيراً فكانت النتيجة هي أن هناك من يحمل الأ وبال ويضعها في الألفية المسكنوسة . ولقد أثبت هذه الشبهة في الصدر الأول ، وأجاب عنها الصديق رضي الله عنه بالحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره عن أئمة السنة عن قيس بن حازم قال قام أبو بكر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم

وهذا الحديث هو أيضاً يدل على أن الخطاب بهذا الواجب يتوجه إلى الأمة جمعاء ، ولا يخص طائفة منها دون طائفة . وتقييم العلماء له بما ذكر هو بما تقتضيه الأصول ، ولا تأباه النصوص . فإنهم يتفقون على أن المنكر الذي يجب تغييره هو ما علم من الشرع أنه منكر ، وكان تغييره لا يؤدي إلى منكر أشد منه . ومن ثم ورد الأمر بالسمع والطاعة للأئمة : (فإن هاهم ما حملوا وعليكم ما حملتم) . وهذا أمر لا يحققة إلا العلماء فإن قام غيرهم بالإنكار ربما وقع في محذور عظيم كن قتل شخصاً من أجل شربه للخمر ، وكالعامه الذين أنكروا على سيدنا عثمان رضي الله عنه أموراً لا تستوجب القتل وفتح باب الفتنة الذي لم يغلق منذ أن فتح . وهكذا فإن الواجب على العموم إذا رأوا منكراً بما لا خفاء به ، أن يرفعوه إلى الوالي وأن يقفوا في ذلك موقف الجسد والعضابة حتى يغيره ، فإن تهاونوا وقعوا في الإثم الذي لا يخلص منه . وإن كان المنكر بما نخفي أمره ، فعليه رفع إلى العلماء ليدينوا حكم الله فيه . على أن العلماء يجب عليهم أن يكونوا بالمرصاد لكل المحرمات والبدع التي تخالف الدين ، فيبادروا بإنكارها وينهوا الأمة على ما فيها من الضرر لتجنبها . وعليهم

أظهرنا - والحمد لله - قائمان حاكمان بالعدل
والنسط ... فالإعراض عنهما والناس
الهدى من غيرهما ضلال مبين ، وزيف عن
الصرط المستقيم . كيف والشعب ما هو
إلا مجموعة من الناس يخطئون كثيراً
ولا يصيبون إلا قليلاً ، ويتبعون الهوى ،
وتتلاعب بهم القيادات المنحرفة ، ولا كذلك
الدستور السامى المحفوظ بحفظ الله :
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .
وإنما سرى هذا الرأى القاتل إلى الأمة
الإسلامية من إيغالها في التقليد ، وترك
ما عندها من الهدى والنور إلى المذاهب
والنظم الأجنبية التي شقت شملنا وفرقت
كلمتنا . ولا والله لا نعود إلى ما كنا عليه
من مجده وسؤدد إلا إذا تمسكنا بديننا
وجعلناه ، هو الحكم في مشاكلنا . والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل ؟

عبد الله كنون

عضو مجمع البحوث الإسلامية
وأمين عام رابطة علماء المغرب

تقرءون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا
عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ،
وإنكم تضمنون في غير موضعها ، وإنى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك
أن يعمهم الله بعقابه » .

والأمر الثانى هو ما شاع وذاع على ألسنة
من يكبرهم الناس يصغون إليهم ، من أنه إذا
وقع خلاف في أمر مما يهم الأمة ويتوقف
عليه مصيرها ، يجب رده إلى الشعب ليقول
رأيه فيه . وهذا أيضاً من أعظم المنكر
الذى يجب تغييره وعدم السكوت عليه ،
وإلا أدى إلى ضياع الدين والوقوع
في المفاسد التي لا إفاقة منها أبداً . والله
سبحانه وتعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر
منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله
والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً » . والرد
إلى الله والرسول يكون بالرجوع إلى كتاب
الله العزيز وصلة نبيه المطهرة ، وهما بين

قال أبو تمام في الحكمة :

ومال عزاء عن شبابي علمته

سوى أننى من بعده لا أخلد

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

الأستاذ أحمد الشرباصي

— ٤ —

علوم وفنون :

هناك كثير من الناس يظنون أن التعليم في المساجد اقتصر على العلوم الدينية ، وهذا غير صحيح ، فقد كان يتردد بين جنبات المساجد في المشرق والمغرب أصوات المثقفين والمدرسين في شتى العلوم والفنون ، فهذا مسجد الأنبار مثلا كان فيه مجلس للإمام « نفطويه » في تدريس علوم العربية ، وهذا جامع قرطبة كانت تدرس فيه — كما يذكر المقرئ صاحب نفح الطيب — علوم اللغة والنحو ، وفي مساجد البصرة والكوفة ازدهر علم النحو كما نعرف ، وكان هناك مثلا الخليل ابن أحمد الفراهيدي النحوي العروضي الموسيقي مدخل الحركات بدل النقط على الكلمات ، وكان يدرس في مسجد البصرة ، وكان سيديوه إمام النحو تلميذا له هناك .

والكميت وحامد الراوية كانا يجتمعان في مسجد الكوفة لتذاكر الأشعار وأيام العرب والمحاورة في ذلك والمناقشة حوله ، ومسلم ابن الوليد كان يعلم شعره في مسجد البصرة ، وقد استمع إليه أبو نواس . بل كان الطب وعلم الميقات يدرسان في جامع

ابن طولون بالقاهرة ، كما روى ذلك جلال الدين السيوطي في كتاب « حسن المحاضرة » ، ويروي البغدادى أن الأزهر الشريف كانت تلقى فيه دروس في الطب ، وقد نقل ذلك ابن أبي أصيبعة في كتاب « هيون الأنباء » . وكان منصور البهادري المتوفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة يعقد مجلسا لتدريس الطب بالمسجد الطولوني ، وهب اللطيف البغدادى حضر إلى مصر في أوائل سنة أربع وثمانين وخمسة ، ويحدثنا عن نفسه أنه في الفترة التي قضاها بمصر كان يدرس الطب وغيره بالجامع الأزهر الشريف من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار ، حتى إذا جاء الليل حضر الإقراء قوم آخرون وذهب هو للقراءة والمطالعة مع نفسه . وكان محمد ابن عبد الله المصري المتوفى سنة ثنتين وسبعين وسبعائة أستاذا للطب بجامع ابن طولون كما جاء ذلك في كتاب « الدرر الكامنة » لابن حجر العسقلاني .

وفي سنة ١٨٦٤م أصدرت مشيخة الأزهر الشريف بيانا عن العلوم التي تدرس فيه ، فكان من بينها الحكمة الفلسفية ، والحساب ، والجبر ، والمقابلة ، والفلك ، والهيئة ، والهندسة ، والموسيقى .

وليست منفلتا واهة يعصمى
من التثقيم في تلك الجرائم ١
كما يروى التاريخ أن النيل المبارك كان فيا
مضى يمر قريبا من جامع عمرو بن العاص
في القسطنطينية ، وكان الصعود إلى سطح المسجد
متعة في ليالي الصيف ، ولذلك كان العلماء
والأدباء والشعراء يعقدون في هذه الليالي
ندوات علمية وأدبية فوق سطح الجامع ،
وتدور بينهم مناقشات ومحاورات
ومعارضات شعرية ، ومن أمثلة ذلك أن
الشاعر ابن المنجم وابن قلاص جلسا على
السطح يوما وقد غربت الشمس ، وظهر
حقها هلال ولين ، فأراد كل منهما أن يصور
هذا المظهر بلغة الشعر ، فقال ابن المنجم :

وعشاء كأنما الأفق فيه
لا زورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمس
ولاح الهلال النضار :
أقرب الشرق ضوء الغرب دينا
رأ ، فأعطاه الرمان نصف سوار
وقال ابن قلاص :

لا تظن الظلام قد أخذ الشمس
وأعطى النهار هذا الهللا
إنما الشرق أقرب الغرب دينا
رأ ، فأعطاه رهنه خلخالا
ولم تتسع ساحة المسجد الثقافية للشعر في
العصور المتأخرة فقط ، بل اتسعت له في صدر

وهذا مثلاه الشيخ عبد المنعم الدمنهوري
الذى كان أحد شيوخ الجامع الأزهر
الشريف وتوفى سنة ١١٩٢ هـ ، نطالع إجازته
العلمية فوجد أنه قد تلقى في الأزهر الشريف
علوم كثيرة ، وصار له فيها مؤلفات كثيرة ،
ومن هذه العلوم : الحساب والميقات والجبر
 وأسباب الأمراض والأعمال الرصدية
 وعلوم الحيوان والنبات والمعادن ، وعلم
 المنحرفات ، والهندسة والهيئة والزيج ، وعلم
 الارتعاطيق . وعلم المزاويل ، وعلم استنباط
 المياه ، وعلاج البواسير ، وعلم التشريح ،
 وعلاج لسع العقرب ... إلخ .

وكان العروض يدرس في المساجد ،
 ودراسة هذا العلم تستتبع دراسة الشعر
 أو إنشاده ، ولقد روى الأصمغاني
 في د محاضرات الأدباء ، أن أعرابيا من
 البادية دخل مسجد البصرة ، فرأى فيه حلقة
 من الأدباء يتذاكرون الأشعار والأخبار ،
 فاستطاب كلامهم ، فجلس إليهم وسمع منهم ،
 ثم أخذوا بعد ذلك في دراسة العروض
 وترديد التفاعيل وذكر بحور الشعر ، فحسب
 الأعرابي أن هذه رموز فيما بينهم ، وأنهم
 قد يأترون به ، فخاف على نفسه ، وبادر
 إلى الخروج من المسجد وهو يقول :

قد كان أخذهم في الشعر يعجبني
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاما لست أعرفه
كأنه زجل الغربان والبوم

قال ابن عباس : لا ولكن كذلك ينبغي .
وهذا نوفل ابن مساحق يقبل على سعيد
ابن المسيب وهو في مسجد الرسول فيعلم
ويرد سعيد التحية ويقول : يا أبا سعيد :
من أشعر : صاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد
عبد الله بن قيس وعمر بن أبي ربيعة فيسأله
نوفل : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ .
فقال له : حين يقول صاحبنا عمر :

خليلى ما بال المطايا كأنما
تراها على الأدبار بالقوم تنكص
وقد قطعت أعناقهم صباية
فأنفخنا بما يلاقين شخص
وقد أتعب الحادى سراهن واتتحنى
هن ، فسا بألو عجول مقاص

يزدن بنا قربا ، فيزداد شوقنا
إذا زاد طول العهد والبعد ينقص
ثم قال : حين يقول صباحكم ما تشاء :
فقال له نوفل : صباحكم أشعر في الغزل ،
وصاحبنا أفانين شعر ، قال سعيد : صدقت .
ثم أخذ سعيد يستغفر الله ويعقد يديه
حتى أتم المائة ، فقال قاتل لنوفل ، أترأه
استغفر من لإنشاد الشعر في مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم ؟ فأجاب نوفل : كلا ،
بل هو كثير الإنشاد والاستغفار للشعر فيه ،
ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه .

ولقد كان اتساع نطاق العلوم المدروسة
في المساجد يخضع للحاجة والظروف ومطالب

الإسلام أيضا ، فقد سمع الرسول عليه الصلاة
والسلام من شعر حسان وهو في المسجد ،
وكان حبر الأمة وعالمها عبد الله بن عباس
ينشد الشعر في المسجد ويستمتع لآله ، ولقد
دخل عمر بن أبي ربيعة المسجد يوما فأقبل
عليه ابن عباس فيه يستنشه شعرا ، فأنشد
ابن أبي ربيعة قصيدته التي أولها :

أمن آل نعم أنت غاد فبسكر
غداة غد أم رائح فهجر
فلما أتمها التفت نافع بن الأزرق إلى
ابن عباس يقول له : الله يا ابن عباس ،
إننا نضرب إليك أكباد الإبل من أقصى
البلاد ، نسألك عن الحلال والحرام ،
فتتناقل هنا ، وبأنيك غلام مترف ، فينشدك :
رأت رجلا ، أما إذا الشمس عارضت

فيخزى ، وأما بالعشى فيخسر
فقال له ابن عباس بمصححا : ليس هكذا
قال ، إنما قال :

رأت رجلا ، أما إذا الشمس عارضت
فيخزى ، وأما بالعشى فيخسر
ولما تعجب ابن الأزرق من يقظة
ابن عباس أسمعه ابن عباس القصيدة كلها
من حفظه . وعاد ابن عباس إلى ابن أبي ربيعة
يستزيده من شعره ، فأنشد عمر :

وتشط غدا دار جيراننا ، . وصكت ، فقال
ابن عباس : . ولدار بعد غد أبعد . . فقال
عمر : كذلك قلت أصحك الله ، أفسمعتي ؟

المسجدي أو الجامعات العامة ، فقد كان لها وصل إليه المسلمون من الرقي الفكري في هذه الحقبة من تاريخ الإسلام في شتى نواحي الفكر، ومصادر وإليه من التقدم الاقتصادي والاجتماعي والعمراني بعد الانقلاب العباسي أثر كبير في إزدهار وتفسيط الحركة التعليمية بالمساجد .

وإن نظرة فاحصة إلى حلقات العلم في المساجد الكبرى المشهورة في ذلك الوقت ، وتلك المجموعات الممتازة من رجال الفكر الإسلامي المتصدرين للتعليم بها الكفيلة ببيان مدى ما اتصفت به حركة التعليم إذ ذاك من النشاط والحيوية والإنتاج الممتاز . ففي المسجد النبوي بالمدينة لإمام دار الهجرة مالك ابن أنس الأصبحي صاحب (الموطأ) ، ومؤسس المذهب (٩٥ - ١٧٩ هـ) .

وفي جامع الفسطاط عالم قریش أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي تلميذ مالك وصاحب المذهب المعروف باسمه (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) . وفي الكوفة ثم بغداد أبو حنيفة النعمان ابن ثابت (ت ١٥٠ هـ) إمام أهل القياس في الفقه . وفي بغداد شيخ السنة الإمام الجليل أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ - ٢٤١ هـ) .

ومن رجال الحديث إمام الحديثين إسحاق بن راهويه أول من جرد كتب الحديث من مسائل الفقه والتفسير ، وكانت قبله بمنزلة ،

الاجتماع ، فنحن نرى مثلاً أن نطاق المسجد الثقافي بدأ يتسع منذ طليعة القرن الثاني الهجري ، لأن أسباباً طرأت على الاجتماع ، فدعت إلى هذا التوسع الثقافي والعلمي ، فاللغة العربية الفصحى عرض لها مثلاً اللفظ والخطأ ، بسبب الاختلاط بين العرب والعجم ، فعنى المسجد بتقويم اللغة وتصفيتها وبيان قواعدها وضوابطها ، فجاءت من وراء ذلك علوم اللغة والنحو والصرف .

والعقيدة تطاول عليها مشككون ومعتضون فعنى المسجد بالدفاع عنها وتوطيد قواعدها ومبادئها وأصولها ، فجاءت من وراء ذلك علوم التوحيد والتفسير والفقه والحديث .

وعادات الجاهلية كالعصبية والعائنية والحمية حاولت العودة والسيطرة على الاجتماع ، فعنى المسجد بمقاومتها ، كما عنى بالدعوة إلى عادات الإسلام وآدابه وأخلاقه لتسكون حاجزاً عاصماً من هذه النزعة الجاهلية .

وهكذا أخذت العلوم تزيد بازدياد حاجات الاجتماع ومطالبه وظروفه التي تقتضي هذا الازدياد .

واقدر جاء في كتاب " تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى " تحت عنوان " ازدهار التعليم بالمساجد " هذه العبارة :

يمكننا أن نعتبر الفترة الواقعة فيما بين مطالع القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الثالث على وجه التقريب أزهى عصور التعليم

قدمننا ، إذ غابتنا من ذكرنا التمثيل لا الإحصاء .
وفي هذا بلاغ .

ونستطيع أن نقول إن المساجد قد
أسهمت بطريق غير مباشر في تعليم اللغات ،
فقد تحدث الجاحظ عن « القصص »
في المساجد ، وذكر فيما ذكر أن موسى
الأسواري كان رجلاً فصيحا بارعا في العربية
والفارسية ، وكان يعقد مجلسه المشهور في
مسجد البصرة ، ويقعد العرب عن يمينه ،
ويقعد الفرس عن يساره ، ثم يقرأ موسى
الآية من القرآن الكريم ، ويفسرها أولا
بالعربية للعرب متجها إليهم ، ثم يتحول
جهة الفرس ويفسر الآية نفسها بالفارسية ،
فلا يدرى بأى لسان هو أبين ، وكان موسى
حافظا للسير ، يقص في فنون كثيرة من
القصص ، ويجعل للقرآن الكريم نصيبا
من ذلك .

ولا شك أن تكرار الكلمات العربية
في هذا المجلس على أسماع الفرس كان يجعلهم
يلتقطون منها بعض الأيام ومرور الزمن ،
فيقرهم هذا من تعلم العربية ويصلهم بها ،
ونستطيع أن نقول مثل هذا عن العرب
بالنسبة إلى اللغة الفارسية التي تتكرر ألفاظها
على مسامع هؤلاء العرب .
وهم في مجلس موسى الأسواري !

أحمد الشرباصي

وتوفي سنة ٢٣٨ هـ ، وتلميذه الإمام محمد
ابن إسماعيل البخاري صاحب « الجامع
الصحيح » ، جمع فيه الأحاديث الصحيحة فقط
(١٩٤ - ٢٥٩ هـ) ، وتلميذه مسلم بن الحجاج
النيسابوري صاحب ثاني الصحيحين ، وتوفي
بنيسابور سنة ٢٦١ هـ .

والإمام أبو هبلى الترمذي صاحب الجامع
في الحديث (ت ٢٧٨ هـ) ، والإمام أبو داود
سليمان الأشعث السجستاني صاحب (السنن)
المنسوبة إليه (ت ٢٧٥ هـ) ، والإمام الفسائي
صاحب (السنن) أيضا ، توفي بالرملة
سنة ٣٠٢ هـ . والإمام محمد بن يزيد بن ماجة
(ت ٢١٣ هـ) ، وكلهم كما نرى من أهل
القرنين الثاني والثالث .

وفي اللغة والنحو الخليل بن أحمد الفراهيدي
واضع علم العروض وفن المعاجم في العربية ،
بقي طوال حياته بالبصرة متزهدا متعففا حتى
مات بها سنة ١٧٤ هـ . وتلميذه سيديويه الفارسي
الأصل الذي تصدر للتعليم بعد وفاة شيخه
الخليل ، فكان إمام البصريين في النحو ،
وتوفي سنة ١٨٠ هـ .

وفي الأدب سيد كتاب العربية أبو عثمان
الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وهو غني بشهرته عن
التعريف ، وكان من أهل البصرة والمقيم بها .
وهناك غير هؤلاء كثيرون ، وكلهم
امتازوا بالنبوغ والتفوق ، وخدمة العلم
والتعليم ، ولسكننا لم نذكرهم اكتفاء بمن

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي للدكتور سعد الدين الحيزاوي

- ٦ -

الرابع : في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وغزواته .

الخامس . في حياته عليه الصلاة والسلام بالمدينة بعد الفتح ، ثم الوفود وحجة الوداع ثم مرض الرسول الكريم ، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى . وقد سار في نسج الملحمة جميعها على بحر واحد هو ، الوافر ، ولكن على قواف عديدة إذ جعل لكل عشرة أبيات دويا واحداً ، وقد يتكرر هذا الروي في عشرة أبيات أخرى مرة أو عدة مرات لأنه جعل ملحمة مقسمة عشرة عشرة من الأبيات .

وأعرض هنا بعض نماذج من هذه الملحمة لنرى كيف عالج الشاعر هذا الموضوع الدقيق بأسلوب الشعر .

قال في الفصل الثاني يصف بدء إعلان الدهوة ، وموقف قریش منها :

فقام على الصفا بين الصحاب

ليدعوم بآيات الكتاب
وجاءته القبائل مسرعات

أسمع عنده فصل الخطاب
فقال : دأئن ذكرت بأن خيلا

بهذا الصفح موشكة اقتراب

لقد ظهرت ملاحم شعرية بعد محرم ، بعضها في نفس الاتجاه الذي سار فيه تسجل السيرة النبوية السكرية ، وبعضها في اتجاهات أخرى ، منها ذات الصبغة الديفية ، ومنها ذات الصبغة التاريخية أو الاجتماعية ... ومن هذه الملاحم : ملحمة « أمير الأنبياء » :

للأستاذ عامر محمد بحيري (١) ، وقد أنشأها عام ١٩٥٢ وهي تتألف من مائتين وألف بيت ، تتضمن حياة النبي عليه الصلاة والسلام من مولده ، إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وقد قسمها خمسة فصول :

الأول : عن الميلاد النبوي الكريم وما سبقه من مقدمات ، ثم نشأة النبي الكريم وما تقدم النبوة من إرغاسات .

الثاني : في نزول الوحي ، وإعلان الدهوة ، وما لقيه الرسول الكريم في ذلك من عناء ، ثم الإسراء والمعراج ، وشق القمر . الثالث : في الهجرة وأحداثها .

(١) مطبعة العلوم نشر مكتبة وهبة . الطبعة الأولى مايو سنة ١٩٥٤ — والأستاذ عامر محمد بحيري شاعر معاصر وهو الآن رئيس قسم مراجعة التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد .

أكنتم في الحديث تصدقوني؟ ،
فقالوا : دلت معهود الكذاب ،
فقال : د فإنتي لكم نذير
مبين القول بين يدي عذاب
أجيبوني إلى التوحيد صدقا
ضمنت لخيركم يوم النصاب ،
فقال له أبو لهب : د قنبا
لما تدعو به كل التباب ،
فناوأ ، وسار القوم منه
ولم يعطوه صالحة الجواب
وأغروا ساقط الشعراء منهم
فجأوا بالهجاء وبالسباب
فكان صنيعهم هذا نذيراً
بتجريد الأسنة والحراب
ونراه هنا يصور الموقف مع المحافظة
التامة على المعاني بل على أكثر الألفاظ .
وهو في الموضع التاريخي لم يستقص
كل الدقائق كما فعل محرم فشلا في الغزوات
لم يذكر غير : بدر ، وأحد ، والخذق ،
وفتح مكة ، وتناول بدرأ في ستين بيتاً
في حين أن محرم ، تناولها في ثلاثة وخمسين
ومائتي بيت في تفصيل واف ، والأستاذ
بحبري قد لخصها تلخيصاً جمع كل النقط
تقريباً ولكن دون تفصيل ...
وهذا وصفه لقتلى القليب :
وقد سار النبي لهم بليل
فنادى القوم من خلف الكتيب :
بأن الله يلغنا الأمانى

ولم يك ذاك بالامر العجيب
وأيدنا وأظهرنا عليكم
ظهور الحق للفطن اللبيب
هي الفئة القليلة قد حباها
بتأييد على العدد الرهيب
للتشهد هذه الدنيا جميعا
بنصر الله والفتح القريب
وجدنا وعده حقاً ، فإذا
وجدتم منه يا أهل القليب ؟؟
وعندما ننظر إلى هذه الملحمة من حيث
موضوعها ، وطريقة عرضه نجد أن الشاعر
قد أدى رسالة عظيمة للإسلام وتاريخ
الإسلام ، وللشعر العربي ، إذ يسهل تناول
السيرة النبوية في شعر سهل ، ووزن خفيف
وأسلوب بعيد عن التعقيد .
ولا يصير الشاعر أن يضمن بعض أبياته
تعبيرات مأثورة بل إن ذلك يعد براعة فنية
بالنسبة لطبيعة الموضوع .
فشوق فعل ذلك في أرجوزة العرب
الكبرى ، ومحرم فصل ذلك في الإلياذة ،
وبحبري فعل ذلك أيضاً ، وينبغي أن نفرق
بين الشعر الذي يطرق موضوعات معينة
تضطر الشاعر إلى المحافظة على الهيكل التاريخي
والمعلومات الخاصة ، ثم البعد عن الجنوح
بالخيال جنوحاً يمس العقائد ... وبين
الموضوعات العامة التي يمكن أن يطلق فيها الخيال .
ومن الغريب أن النقاد (١) الذين تناولوا

(١) في كتاب «محمد» في الأدب للماضري الأستاذ
فاروق خورشيد والدكتور أحمد كمال زكي .

ربما كان من العسير حقا أن نرفع هذه الملحمة وأمثالها إلى مرتبة الشعر الرفيع ، لأن الشعراء يعجزون عن ذلك ، ولكن تمشيا مع طبيعة الموضوع ، ولكن نعتقد أن ذلك لا ينزل هذا الشعر ، إلى مجرد نظم أو شعر تعليمي ، كما يقول الدكتور ضيف عن إلياذة محرم ولا إلى «جل نثرية معقدة» ، كما يقول الدكتور أحمد كمال عن إلياذة عامر ولا سيما ونحن نعلم أن «الموضوعية» هي طبيعة شعر الملاحم القصصى .

ولذا قد اتفق ثلاثة من الشعراء الكبار المعاصرين : شوقي ومحرم وعامر بمحيرى في التزام الحدود التاريخية في موضوعات بعينها على ما لهم من منزله في ميدان الشعر الرفيع فذلك دليل على أن سلوك الشعراء هذه السبيل هو مراعاة طبيعة الموضوع ، لا عجزهم عن التحليق في أجواء الخيال .

أما ملحمة عامر ، كانت محدودة الطاقات ، ينقصها خيال هوميروس ، أو شطحات دانتى أو قصور المعرى ، فإن ذلك لا يضيرها لاختلاف طبيعة الموضوعات .

وربما كان من الإنصاف أن سجل الدكتور زكى - بعد أن هدم - أن هذه الملحمة «لا تعوزها مهارة الفنان ، ولا القدرة على الصياغة بل ربما تسمو في كثير من أجزائها إلى مستوى شوقي إن لم تعده» (١) .

(١) ينطبق هذا على شعر شوقي في أرجوزة العرب . .

هذه الإلياذة بالتعليق قد ساروا في نفس الاتجاه الذى سار فيه الدكتور شوقي ضيف (١) عند ما نقد إلياذة محرم .

فإن إلياذة بمحيرى لا تدانى «صنيع هوميروس في إلياذته» ، لقد كان هوميروس يجعل آلهة الأولمب تحارب في صفوف الطرواديين ، ثم تنتقل إلى عون أعدائهم ، وبين نقلاتهم من هنا إلى هناك معارك رهيبية ومشاهد عجيبية ، وإثارات ومخاطرات ، ومفاجئات تثير الدهش وتمسك الأنفاس .

يا سبحان الله !! هل كان الناقد يرجو أن يتخيل الأستاذ بمحيرى أن الملائكة كانت في غروة بدر تقف إلى جانب المسلمين ، ثم إلى جانب الكفار أو أن الملائكة تقف إلى جانب المسلمين والشياطين تقف إلى جانب الكفار مثلا ؟ أو أن يقول إن الصراع كان بين إله الخير وإله الشر ، وتغلب أهوان إله الخير ؟ هذا مستحيل !!

وهل حقيقة أن من يقرأ إلياذة بمحيرى يحس أنها قد استجالت بين يديه إلى جمل نثرية مضغوطة ... معقدة ؟ .

(١) لم ينقد الدكتور ضيف هذه الملحمة لأنها صدرت بعد كتابه «دراسات في الأدب المعاصر» ولكن الغريب أن المنهج الذى نقد عليه إلياذة محرم هو نفس منهج النقد الذى سار عليه الدكتور أحمد كمال في كتاب محمد في الأدب المعاصر . من حيث اعتبار إلياذة هوميروس هي لليزان الذى يجب أن يقاس عليه وحسب .

(ج) مسرحية خالد بن الوليد في حـوالى سبعمئة بيت (١) .

(د) وفي مستهل عام ١٩٦٣ ظهرت للأستاذ عامر « ملحمة الجلاء » في ثوب قشيب تصور الأحداث السياسية التي مرت بها مصر من ثورات الشباب في عام ١٩٣٥ إلى انتصار مصر على العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ .

ولحدائث هذه الملحمة الضخمة لم يقناولها النقاد بعد بالدراسة ولاسيا وأن الشاعر قد نهج في نظمها نهجاً جديداً ، يجمع بين أم ما ينادى به المجددون وبين المحافظة على عمود الشعر العربي من حيث مراعاة الأوزان والقوافي .

وأهم ما بلغت النظر في طريقة نظمه الجديدة أنه جعل البيت خمس تفعيلات بدلاً من ست كما هو مألوف في بحر الكامل ، وبذلك تخلص من تجزئة البيت دون إلتقال على السامع ولم يلتزم قافية واحدة في القصيدة كلها بل جعل لكل بيتين أو ثلاثة قافية حسب إيماء المعنى .

والملحمة تبلغ حـوالى (٢٤٠٠) ألفين وأربعمائة بيت سارت جميعها على بحر واحد هو الكامل (خمس تفعيلات) وهذه قواف وموضوعها شائق طريف ويكفى أنه يرسم صورة لكفاح الأمة المصرية ممثلة في شبابها الوثاب في فترة من أهم فترات حياتها في العصر الحديث ويسجل صوراً كريمة من أجداد ثورتنا المباركة .

(١) طبع الدار القومية يناير سنة ١٩٦٣ .

ولست أدري كيف حكم الناقده بأن لعامر فضل السبق في حين أن لإلياذة محرم ظهرت قبلها بنحو حوالى خمسة عشر عاماً ، (١) .

والذى لا نشك فيه أن غمـل عامر بحيرى هذا عمل مجيد ، وقد وضع لبنة إلى جانب اللبنة التي وضعها محرم في الملاحم الإسلامية التي اتجهت نحو إحياء سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإبراز أجداد الإسلام .

ونرجو أن يتجه في استكمال أحداث التاريخ الإسلامى ، ليدرك في هذا المضمار ما لم يتمكن محرم من استكماله .

والأستاذ عامر بحيرى ملاحم أخرى منها :

أ - ملحمة آدم وحواء ، ملحمة شعرية في نيف وألف بيت ، تصور بدء الخليفة وقصة الحب والمعصية ، والفردوس المفقود والفردوس المستعاد الخ .. وهو لم تطبع بعد .

ب - إيزيس وأوزيرس د وهي أيضا في نيف وألف بيت تصور عـلمـكة أوزيرس ، وبحـث إيزيس عنها ، وإعادته للحياة ، ومظالم تيفون ، واثـقام حوريس .

وهي ملحمة تاريخية ، وقد طبعت أخيرا .

(١) ذكر عامر في مقدمة الإلياذة أنه غير مسبق ، وقد تحدثت معه في ذلك فعدلت منه أنه سمع عن إلياذة محرم واسكنته لم يطلع عليها ، وقد ذكر أنه أنشأ هذه الملحمة عام ١٩٥١ وقدمها للمجمع القـوى في حين أن الأستاذ زكى ظن أنها أنشئت عام ١٩٥٤ مع أن تاريخ إنشائها مذكور في مقدمتها .

ملحمة الحرب المقدسة

في فلسطين :

للشاعر محمود محمد صادق (١) .

لهذا الشاعر الكبير ميدان متسع الجوانب
في شعر الحاسة ، فقد عرف في عام ١٩١٩ بأنه
شاعر الثورة لما كان يثبته من أشعار تسجل
فظائع الانجليز وتطهب حمية الوطنية المصرية .
وكان من أوائل الذين هنو بوضع الأناشيد
الوطنية منذ أن كان طالبا بالحقوق ، وله شعر
كثير في أحداث مصر والعالم العربي في خلال
ما يزيد على ثلث قرن .

وعندما احتدم أوار المعارك في فلسطين
وقف هذا الشاعر يسجل ويصور ، ويستحث
النفوس ، ويدعو إلى الوحدة والتضامن ميلنا
آثار الفرقة والتخاذل وقد سجل ذلك في ملحمة
كبرى نشر جزء منها صبيحة إعلان القرار
الجائر بتقسيم فلسطين ، ومطلعه :

خطب السيف ، أسكنوا دسجباننا ،

يا لقوى ، ودعوا حسانا

وخذروها من الطريق المؤدى

لا تطيلوا البيان والتبنا

ساعة الفصل آونت ، والمنايا

دق ناقوسها ، ودوت أذاننا

وهكذا يسير في قوة وتدفق وحاسة ثم
ينتقل إلى مخاطبة فلسطين الجريحة :

(١) مطبعة المعارف سنة ١٩٥٠ .

« يا فلسطين بعد ، أندلس ماذا

يريب الزمان مما دهانا ؟

درة الشرق ، مهبط الوحي ، مهوى

مهج العرب ، ملتقى أنبيانا :

إيه يا عار . ما كهولك عار

إن فقدنا ديارنا وحنانا

لأحلنا جبالها بركانا

وأسلنا أنهارها طوفانا

أما القسم الآخر فقد نشره في عام ١٩٤٩ بعد
أن قامت إسرائيل واعتبرت نفسها بين الدول ،
وقد أبت الأمة العربية جميعها أن تعترف بها .

وقد سمي الشاعر هذا القسم : مرثية المرائي :

« أحزان وإيمان ، ويقول في أوله

فضى الأمر أيها المشرقان

جللا بالسواد يبيض الأمانى

واغربي يا شموس عن كل أفق

فروام يحفنا الفجران

ثم يأخذ في بيان أثر هذه النكبة التي تشبه
نكبة الأندلس ، وينهى على العرب باللائمة
لثاؤهم وتفريق كلمتهم وعدم تمسكهم بمبادئ
أسلافهم ، ويذكرهم بماضى صلاح الدين
وما كان للعرب من أعجاد ، ثم يدعو إلى
مواجهة الأمر الواقع بحزم وقوة ونكبتني
بمرض أبيات قليلة من ذلك الغميص الغزير
الذي تناول موضوعات شتى من بينها
ضرورة الإيمان بشرقيتنا قال :

الفترة وما شهدته البلاد من تطاحن الأحزاب
والتهاون في حقوق الوطن جرياً وراء المنافع
الشخصية ثم رسم ما ينبغي أن تكون عليه
حال البلاد وأشاد بما كانت عليه الروح
العامة في عام ١٩١٩ ثم لحص نتائج تنكب
الطريق وما أصاب البلاد بسبب تفرق الكلمة
ثم ختم القصيدة بما كان يجيش في صدره
من آمال وضاء في مستقبل باسم ، ونكتفي
بذكر الأبيات التي ختم بها هذه القصيدة
التاريخية الكبرى :

والحق أهون ما يكون لحاجة
فاربأ بحقك أن يطول جسداله
ولتضحك الدنيا بشدقها فما
حكم الزمان الجليل ، بل أجياله
لا بد من صنعا وإن طال المدى
وبدا بعين الشوط منك مناله
أو ليس في الإيمان ما يغني الفتي
إن كان هذا دهره وفعاله

أضرب بصدرك في السماء ولا تدع
برجا إذا استعصى عليك نواله
الله يقسم والعقيدة موئل
إن التقي سحر ، وقالك حلاله
من هام بالرحمن جل جلاله
لأن الوجود له ، ودان محاله

سعد المبرم الجبزاوي

هي حرب الدهاء والعلم والمال
وحشد العقول والأذهان
وانطلاق القوى الكمية
سنة في الشرق وإشراق جذوة الإيمان
وحدوا عالم المشرق صفا
مثلا اصطف عالم العدوان
لك عين بأندونيسيا وأخرى
جمعت مغربا بباكستان
صاعد طرفها ترك وفرس
هابط لحظها إلى السودان

وصلوا الروح والعقول فلن تنك
في صلات الوريد والشریان
ولولا خوف الإطالة لنقلت الكثير
من أبيات هذه الملحمة التي بلغت أبياتها
سنة وستين وخمسة مائة بيت من أجود ما أنشد
في ميادين الحماسة وفي عصرنا الحديث ،
وهي جديرة بالدراسة والإذاعة .

ولهذا الشاعر الكريم ملحمة أخرى
بلغت أبياتها عشرة ومائتي بيت نشرها
أيضا عام ١٩٤٩ بمناسبة مرور ثلاثين عاما
على ثورة ١٩١٩ بعنوان دأرواح وأشباح ،
بين أشعة الذكرى الثلاثينية للثورة المصرية .

وقد صور في هذه الملحمة الأحداث
السياسية التي مرت بها مصر خلال تلك

العقائد والفكر الإسلامى

للأستاذ رشاد محمد خليل

وكان لها من عبقريته الخلافة ، وقود معركة وفضال ، ومصباح هداية ورشد ، ودليل حركة وسعى ...

ثم مضى إلى ربه تاركا من ورائه سيرة نادرة أشبه بسير الأبطال في الأساطير تشع للأجيال المقبلة على مدى الطريق من صلابتها في الحق ، واستقامتها في التفكير ، وإيمانها بكرامة الإنسان وحرية أضواء تهدي خطاها في الطريق الطويل .

كما استودع الأجيال من بعده ؛ من فكره الأصيل ، وثقافته العميقة ، وتجاربه الناضجة ، تراثا غالبا تعزبه الأمة العربية في لغتها وثقافتها ؛ والأمة الإسلامية في عقيدتها وإيمانها ؛ ليس ذلك فقط بل تعزبه الإنسانية كلها في ثقافتها وحضارتها ومثلها العليا ! فقد عرف العقاد كرامة الفكر الإنسانى أينما كان من شكسبير وفرنسيس بيكون إلى ابن الرومى وابن سينا .

ووفى للعبقرية الخلافة والخلق الإنسانى الرفيع حقهما من الكرامة والتقدير في شخص محمد نبي المسلمين عليه السلام كما في شخص غاندى زعيم الهندوس . فقد كان هدى العقاد في كل ما كتب سواء في تراجمه لأعظم الرجال أو في دفاعه عن قيم الإنسانية ، وعقائدها ومبادئها - كرامة الإنسان وحرية حيثما كان الإنسان ... وكان في ذلك كله خمر شارح في عصرنا

يندر من الرجال أو من الأحداث ما يكون علامة تحول ، أو بداية تاريخ أو نقطة انطلاق ؛ ذلك لأن عمليات التحول والتطور والانطلاق في حياة الأمم والمجتمعات تحتاج إلى نوع نادر من الطاقات الإنسانية التي تستطيع أن تضع روح الانطلاق في الحدث ، وأن تعطي التحول التاريخي مضمونه الإنسانى والفلسفى .

وقد كان العقاد - رحمه الله - طاقة من هذه الطاقات الإنسانية النادرة التي استطاعت بعبقريتها وإرادتها أن تكون علامة من علامات التحول ، وبداية من بدايات الانطلاق في تاريخنا المعاصر .

ولم يكن العقاد طاقة ذات امتداد واحد ، أو نقطة انطلاق في اتجاه واحد ، وإنما كان قوة انفجار مشعة تنطلق من مركزها إلى دائرة المحيط بقوة متساوية في جميع الاتجاهات .

كان كذلك في السياسة عملا وفكرا ؛ وكان كذلك في الأدب والنقد هتما وبناء ، وكان كذلك في الفكر الإنسانى عامة والفكر الإسلامى خاصة ، منهجا ودراسة ، منطلقا وعقيدة . لقد كان العقاد جزءا من نسج هذه الأمة الحى ، وعلامة بارزة من علامات تكوينه وتلاحمه ، عايش أزمته وكفاحها ونهضتها معايشة الفعل والتدبير والفكر والتقدير ،

والتمنيات الطيبة ؛ وإنما يتأتى من استقناف السير فى الطريق الطويل الشاق الذى سار فيه العقاد خطوات موفقة ناجحة .

إن علينا أولاً أن نتفهم منهج العقاد فى دراساته الإسلامية وأدوات هذا المنهج ونتائج .

وعلينا ثانياً أن ننتم بالجانب الإسلامى من تراث العقاد فى نطاق الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر والمعاهد الدينية الأزهرية فلا أظن أننا نستغنى فى مجال تطوير الدراسة الإسلامية عن التعرف على التجربة الرائدة الأصيلة التى قدمها العقاد فى هذا الباب لقد استطاع العقاد أن يرسى دعائم منهج واضح فى دراساته الإسلامية التى شملت مجالات العقيدة والسياسة والاجتماع والأخلاق والفلسفة ونماذج الرجال ؛ ويمكن أن نطلق على ذلك المنهج اسم المنهج التكاملى لأنه يقوم أولاً على أساس النص فى مجال الفلسفة والعقيدة والتشريع فهو يحترم المادة التاريخية فى هذا المجال ويضعها فى مكانها ثم يسلط عليها الأضواء بالدراسة التحليلية فى ظل الاعتبار اللغوية والاجتماعية والسياسية التى تحيط بالنص وتحدد دلالاته ؛ ثم يأخذ هذا النص فى إطاره التاريخى ليعرضه على عقل العصر الحديث وينظر إليه فى ضوء ثقافة العصر وظروفه التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية دون أن يفقد النص فى ميزانه دلالاته أو ينزل به

لقوله تعالى : « واعد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ، . » رحمه الله ، فما رأينا من عبقرى يفرد فرية فى تاريخنا القريب ...

لقد تناولت الأقلام العقاد من جوانبه المختلفة - سياسياً وأديباً وناقداً ومفكراً وإنساناً - ولتبقى الانصار والخصوم على تكريمه وتقديره ، وما أشك فى أن دراسة العقاد من جوانبه المختلفة سوف تستهوى الكثير من الدارسين والباحثين ، وما أشك فى أن تراث العقاد الفكرى سوف يعضى عاملاً فى ضمير الأمة ووعياً إلى أمد طويل . ولكن الذى أخشاه حقاً هو أن يزحف النسيان على الجانب الإسلامى من تراث العقاد الفكرى ، على الرغم من أن العقاد صرف إلى هذا الجانب الكثير من جهده ودراسته ، وترك لنسائه ثروة حية خصبة ، وما كان العقاد ليضع فكره وقلبه فى خدمة الإسلام إلا لأن وجدانه كان ممتلئاً بيقين راسخ فى أن الإسلام نقطة انطلاق أساسية فى حياة الأمة العربية والإسلامية ؛ وبرأى أمن وسلام للإنسانية الحائرة فى ضلالها البعيد .

إن هذا الجانب من فكر العقاد يجب أن يصان ، وأن يتخذ كبداية انطلاق رشيدة فى بناء الثقافة الإسلامية وتربية الضمير المسلم ؛ ولن يتأتى ذلك قط بالدهسوات

والقديم لا يستمد حقه في الوجود والاستمرار من مجرد السرمدية والقدم .

ولئلا الجديد يلغى القديم إذا توافر له من عناصر الصلاحية والجدارة ما يسلب القديم كل ميزة ويفقد وجوده كل معنى ثم يتفوق عليه في مدى وفائه بحاجات الحياة المتجددة ، واستجابته للظروف المتغيرة ؛ كما حلت الأدوات المعدنية محل الأدوات الحجرية في العصور القديمة ، وكما يلغى النموذج الجديد النموذج القديم في الصناعات الحديثة .

ولئلا يحتفظ القديم باستمراره على مدى العصور فلا يقال فيه قديم أو جديد ولئلا يقال فيه فقط أنه موجود ، لأنه سنة من سنن الكون التي لا تتغير . مثل شروق الشمس وغروبها . ونمو الحياة وفنائها ، واختلاف الليل والنهار وانتظام الأفلاك .

أولاً لأنه سنة من سنن الهداية والتدبير ، كالحاجة إلى الإيمان والهداية والإعداد والتوجيه .

أو لأنه سنة من سنن البقاء كالحاجة إلى الطعام والشراب والتناسل .

أو لأنه سنة من سنن البناء وال عمران كالحاجة إلى التعاون والتنظيم ... ، سنة الله في الكون والحياة : د فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

يقول الأستاذ العقاد : د لا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم كلها ظهرت مسألة منها لجيل من أجيال البشر . . ويخطئ : د أولئك الذين زعموا أن

على مقتضى الظروف المتغيرة التي تتغير وتبديل بتغير وتبدل الزمان والمكان غير متجاهل في نفس الوقت طبيعة المشاكل المعاصرة ، واختلاف الحاجات الإنسانية باختلاف الظروف ، فإن أخطر المشاكل الذي يواجهها الإسلام في العصر الحديث هي أن يتبدد أو يشوه أو يتوه بين عناصر المحافظة التي تريد أن تحافظ على الإسلام في إطار الوقائع والمشكلات والمفاهيم الخاصة بأجيال مضت وأزمنة انقضت ولن تعود ؛ وبين نزعة التحرر التي تريد أن تضع الإسلام في خدمة الظروف والوقائع والمشكلات والمفاهيم التي تعيش في واقع المسلمين المعاصر لا لكي يقوم الإسلام بدور الدليل ، ولكن بدور التعبير ؛ واختلاف المعاذير للواقع كما هو عليه .

لقد كانت أهم ميزة في منهج العقاد هي أنه استطاع بكثير من النجاح أن يضع عناصر الثبات والتغير في الإسلام في مواضعها الطبيعية ؛ وقد أعانه على ذلك النجاح بجانب عبقرية التحليلية درايته الواسعة بتراث الإسلام القديم وظروفه التاريخية ، وإحاطته الوافية بالثقافة المعاصرة ، ومنهجها الحديثة . وهو يقيم منهجه على أساس من الإدراك البصير للطبيعة الإنسانية ومن شمول النظرة إلى الحياة والكون والإنسان ؛ وإدراك الفارق بين الثبات والتغير ، وبين التغير والتطور ؛ فالجديد لا يلغى القديم لأنه جديد

التفكير الإنسانى هو الخط الأساسى الأول فى منهجه ودراسته وحياته كلها ؛ فالعقل هو المرجع الأول فى قضايا المعرفة وقضايا العلم وقضايا الإيمان ، ولكن الميزة التى تفرد بها العقاد بين مفكرينا المحدثين هى إيمانه بالعقل الإنسانى أى بالعقل فى حدوده الإنسانية إنه يؤمن بأن للعقل الإنسانى حدوداً فى مجال المعرفة ، ومجال العلم ، ومجال التجربة ؛ وأنه لا حرج عليه من التسليم خارج الحدود التى تنقطع وراها كل وسيلة للعلم والمعرفة والتجربة ؛ والإيمان بالغيب المستور لإيمانا يفرضه العقل نفسه : « وفرق بين أن يعرف العقل حدوده وبين أن يبطل عمله فإن العقل ليستطيع التفرقة بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ويستطيع التفرقة بين أدلة الإيمان وأدلة التعميل ويستطيع التفرقة بين ضمير مؤمن وضمير عطل من الإيمان ويستطيع أن يبلغ غاية حدوده ثم لا ينكر ما وراها لأنه وراء تلك الحدود ... » (١) .

إن العقاد لم يلتق بالإسلام التفاء المقلد أو المتحمس ولم يقف منه موقف المدافع المتعصب ، وإنما التقى بالإسلام خلال رحلة الشك والتزق التى يقطعها كل مفكر وفيلسوف يريد أن يختار لنفسه بفكره وإرادته مستقده ومبدأه وأسلوب حياته ؛ ومن خلال رحلة الشك الطويلة ، ووقوفه

هذه التطور والارتقاء ثابت من بعض آيات القرآن كقوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ، أو قوله تعالى : « فإما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، . لأن الآيتين تؤيدان تنازع البقاء ، وبقاء الأصلح ، ولكن مذهب التطور والارتقاء لا يزال بعد ذلك عرضة لكثير من الشكوك والتصحيحات بل عرضة لسنة التطور والارتقاء التى تنتقل به من تفسير إلى تفسير . « كلا لا حاجة بالقرآن إلى مثل هذا الإدعاء ، لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير ، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة فى مجال العلم أن يحث على التفكير ولا يتضمن حكماً من الأحكام يشل حركة العقل فى تفكيره ، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ، ما استطاع حيثما استطاع وكل هذا مكفول المسلم فى كتابه ، كما لم يكفل قط فى كتاب من كتب الأديان .

فهو يجعل التفكير السليم ، والنظر الصحيح إلى آيات ما فى خلقه وسيلة من وسائل الإيمان بالله ... » (٢) .

ولقد آمن العقاد بالعقل ، وآمن بأن الإسلام هو دين العقل والتفكير ، وكان آخر كتبه « التفكير فريضة إسلامية » . إن إيمان العقاد بالعقل الإنسانى ، وكرامة

الإسلامية من أهم الدراسات في القرن العشرين لتربية العقلية المسلمة المتفتحة الواهية التي تؤمن بالإسلام إيماناً ناضجاً على أساس من مناهج الفكر والعلم المعاصر . ومن أجل هذا نعتقد أن دراسات العقاد الإسلامية يجب أن تكون في مقدمة الدراسات التي يقدم الإسلام من خلالها إلى عقل القرن العشرين وضميره .

ومن أجل هذا وذاك نقترح أن تكون دراسات العقاد في صلب مناهج الدراسة بالمداهم الدينية والجامعة الأزهرية ، كما نقترح على مجمع البحوث الإسلامية أن يستهل نشاطه بترجمة دراسات العقاد إلى مختلف اللغات العالمية الحية في مجال التعريف بالإسلام .

ولما نلرجو أن تطلق جامعة الأزهر اسم العقاد على مدرج من مدرجاتها فالعقاد إمام من أئمة مدرسة الإصلاح والتجديد التي أرسى دعائمها السيد جمال الدين الأفغاني وحمل رسالتها تلميذه الشيخ محمد عبده ليسلمها من بعده إلى جيل المجددين والمصلحين الذين فجع العالم الإسلامي بالأمس القريب في هدين من أعلامها الشيخ محمود شلتوت ثم عباس محمود العقاد ...

وفي هذا وفاء بحق الرجل الذي وفي للعظمة الإنسانية بكل صورها في كل ما كتب ... رحمه الله .

رشاد محمد خليل

المستأنى أمام كل فكر وفلسفة في القديم والحديث في الشرق والغرب على السواء ، رجوع العقاد من تجربته الثقافية والفكرية ليقول بأن إنسان القرآن هو إنسان القرن العشرين وأن د القرن العشرين ، منذ مطلعته ، يعرض العقيدة بعد العقيدة على الإنسان وعلى الإنسانية ، ولا نعلم أنه عرض عليها حتى اليوم قديماً معاداً أو جديداً مبتدعاً هو أوفق من عقيدة القرآن . وأوفق ما فيها أنها غنيت من الاختراع والامتحان ، وأنها على شرط العقيدة الدينية من بنية حية ، شملت ملايين الخلق وثبتت معهم وحدتها في كل معترك زبون . يوم خذلهم كل قوة يعتصم بها الناس .

د إن القرآن يعطى القرن العشرين إنسانته الذي ليس من إنسان أصبح منه وأصلح لزمانه ، فإذا آمن هذا الإنسان بالله وبالنبوة فليس أصبح ولا أصلح لعصر الوحدة الإنسانية من الإيمان برب واحد للعالمين ، وبنبوة تختم النبوءات ... بعد الإيمان بهذا الإله الواحد ، لتسلمه إلى عقله وضميره ، وتسأله عن إصلاح نفسه وإصلاح دنياء بما يدعوه إليه قوام الروح والجسد وطيب الحياة في الدنيا والآخرة ... (١) .

من أجل هذا نعتقد أن دراسات العقاد

(١) الإنسان في القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد .

نظرات في الأدب والنصوف :

الأدب الصوفي

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

ابن أبي سفيان تحدّثه نفسه بالفرار ،
فدجّش خاطره بأبيات من الشعر تدفعه إلى
الصبر وتحمل المشاق حتى ينال النصر ، وكان
كلها طغت عليه موجة الضعف ، وغلبته
طبيعة الحرص على البقاء استعاد هذه الأبيات
فتعيده أياً شجاعاً جلدأ صبوراً :

ولمساكني على المسكروه نفسي
وضربني هامة البطل الشيخ
وقولي كلها جشأت وجاشت
مكانك تمحدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر ضالحات

وأحى بعد عن عرض صحيح
هذه هي الوظيفة الأولى للأدب ،
ولا يفض من ذلك أن يذهب بعض الناس
بالأدب إلى ناحية منحرفة عن هدفه الأساسي ،
من وصف للصبوات وتصوير لشرات
الجهالة .

ولننظر في الآثار الصوفية على ضوء هذه
الخطوط التي قدمناها لئلا نرى ، هل أوفت
بما اشترط الأدباء في الأدب الحى ؟ وهل
كان لها هدف معين تسعى إليه ؟ أم أنها

الأدب في أصل إطلاقه صفة من صفات
النفس ، ثم تطور مع الزمن حتى صار
معارفاً بما ينتجه الأديب والشاعر من شعر
أو نثر يترجم به عن أحاسيسه وعواطفه .

والأدب الحى هو الذى يعطى صورة
صادقة عن نفس الكاتب أو الشاعر ويترجم
عن أحاسيسه وعواطفه بدقة وأمانة ، ولا بد
للنص الأدبى حتى يكون فى درجة عالية ، أن
يستكمل عناصر أربعة : الفكرة ، والعاطفة ،
والخيال ، والأسلوب : وهذه العناصر هي
التي تحقق للنص مكاناً فنياً ممتازاً .

وطبيعى أن النص الذى يصور فكرة
سامية ، ويهدف إلى غرض نبيل يكون أجمل
وقعاً ، وأحسن تأتياً ، وأقوى أثراً ،
وأدخل إلى النفوس وألصق بالقلوب .

والمهمة الأولى للأدب العمل على بث
الصفات السكرية والرقى بالافكار ، والاخذ
بأيدي الناشئة حتى يبلغوا مبلغاً خليقاً
بالرجولة والحرمة .

وكم حفظ الشعر الحى من مواقف كتبته
أصحابها فى سجل الحالدين ، فهذا معاوية

فلذلك انصرفت عنها أنظار الباحثين في الأدب والمؤرخين لرجاله ، فكان هذا الإغفال ، واندفعوا يختارون ويدرسون الأدب الذي اتجه إلى الحدود والشفاه ، واستمدت ينابيعه من الكشوس والعيدان ، ولم يلتفتوا ناحية الأدب الصوفي ، على الرغم مما يحفل به من آثار قيمة لا تقل روعة ، إن لم تفق ما أثره من خول البيان والشعر كالجاحظ وابن العميد وبشار والبحتري والمتنبي .

ولنقرأ معا هذه المناجاة لذي النون المصري ، ليتجلى لنا بما لا يدع مجالاً للشك ، أن الأدب الصوفي في القمة من الجودة : « إلهي من ذا الذي ذاق طعم مناجائك ، فألهام شيء عن طاعتك ومرضائك ؟ »

من ذا الذي ضمنت له النصر في دنياه وآخريته ، فاستنصر بمن هو مثله في عجزه وفاقته ؟

أم من ذا الذي تكفلت له بالرزق في سقمه وصحته ، فاسترزق غيرك بمعصيتك في طاعته ؟ أم من ذا الذي عرفته بآثامه ، فلم يحتمل منك مشونة فطامه ؟

وهذا دعاء آخر لبعض الصالحين : « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوى عليه بدني بعافيتك ، ونالته يدي بفضل نعمتك ، وانبطت إليه بسعة رزقك ، وأحتجبت فيه عن الناس بسترك ، واتسكنت فيه على

كانت شطحات لا تجمعها فكرة ، ولا تندبها عاطفة ، ولا يحلق بها خيال .

إن نظرة يلقها الباحث على النتاج الصوفي في الشعر والنثر ، وسياحة في رياضه العبقة ، تجعله يقرر ، وهو مطمئن ، أن الصوفي أدب حتى قد أوفى على الغاية من الجودة ، وبلغ الذروة في الإتيان ، لما يحفل به من أخيلة بديعة ، وما يتوالت فيه من عواطف صادقة ، يكاد يحسها ويلبسها . ثم هو بعد ذلك يصور ما امتاز به الصوفية أنفسهم من خصوبة في الخيال نادرة ، ونفوس مشرقة وأرواح شفافه ، جعلتهم يحسون إحساساً قوياً بما يقع في قلوبهم من معان ، وما يلهمونه من أفكار ، حتى فاضت قرائنهم بأرقى الصور الشعرية وأبدعها .

ذلك لأن الأدب الصوفي جزء من التصوف كما أن الأدب الماسجن لون من المجنون وبعض منه .

وقد يقسامل سائل : إذا كان للصوفية هذا الأدب الذي تغالى في قيمته ، فلماذا لم يحظ من كتاب علماء الأدب ومؤرخيه بسكلمة ترسل ، أو رأى يقرؤ ؟ وهذا أمر يدهو إلى العجب حقاً .

ولعل السرب في ذلك أنه قد وقر في أذهان الناس منذ القدم أنه لا صلة بين الأدب والدين ، والتصوف دعوى دينية متطرفة

المعنى والغرض ، ولستكنهم لانصرافهم عنه لم نجد في مؤلفاتهم النقدية غير شواهد من كلام الشعراء والكتاب الذين سبقوا في غير ميادين القلوب والأرواح ، (١)

والأدب الذى أثر عن الصوفية ، منه ما انفردوا بأغراضه ولم يسبقوا إلى طرق أبوابه ، ومنه ما شاركوا فيه غيرهم ، واتفقوا مع سواهم من الأدباء الآخرين .

وكلا الفوهين قوى السبك ، مشرق الديباجة ، غزير المادة ، جيد المعنى وهذا موقف فى الرثاء ، قل نظيره فى الأدب العربى عامة لابن السماك يرثى داود الطائى ، يقول عنه الدكتور زكى مبارك ، وهو رثاء فريد ، عرف قائله كيف يحدد خصائص من بكاه ، قال ابن السماك :

« إن داود رحمه الله نظر بقلبه إلى ما بين يديه من آخرته ، فأغشى بصر القلب بصر العين ، فكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظر ، فأنتم منه تعجبون ، وهو منكم يعجب ، فلما رآكم راغبين مذهبين مغرورين ، قد أذهلت الدنيا عقولكم ، وأماتت بجهل قلوبكم ، استوحش منكم ، فكنت إذا نظرت إليه نظرت إلى حى وسط أموات . »

أناتك وحلك ، وعولت فيه على كريم عفوك . فهل ترى هذه التماذج تقل خطرا عن أرواح ما أثر عن أعلام الكتاب فى أسمى عصور الأدب ؟

والغريب مع هذا أنه لم يحظ بقصجيل مؤرخى الأدب وناقديه ، ويقول الدكتور زكى مبارك مشيرا إلى هذا الإغفال . . لعل السرف لإغفال مؤرخى الأدب لهذا التماذج الرفيع ، مع ما يحفل به من أخيلة وصور ومعان أنهم لم يضعوا البلاغة الصوفية فى الميزان ، وذلك يرجع من ناحية إلى الصوفية أنفسهم ، وهو انحيازهم عن صحة الأدباء وانقطاعهم إلى خلواتهم .

ومن ناحية أخرى إلى الأدباء أنفسهم ، ذلك أنهم أقبلوا على الصور الحسية لإقبال مشغلهم عن الأدب الذى يصور أحوال الأرواح والقلوب ، فحسبوا أدب الصوفية بعيدا عن مجال سبقهم : مجال الوصف والتشبيب والحماسة والعتاب ، ولو أن رجال الأدب وهلماء البلاغة والنقد نظروا إلى الأدب الصوفى نظرة مدققة لرأوا فيه ما يطلبونه من الشواهد الحية لما يلتفتون من تشبيهه وبجاز ، وكناية تبلغ الذروة ، وتجاوز حد الإتيان ، لما اشتملت عليه من طرافة الخيال وقوة الصور الشعرية .

ولوجدوا فيه نماذج حية تصلح لإصابة

(١) لفتة وف الإسلامى ج ١ ص ١١٣

ذلك الأدب الذي أغفله الناس من قبل .
وصفوة القول: إن الكتب الصوفية تفيض
بالأخيلة، والصور والتعابير في روعة وقوة،
ويزيد في جمال الأدب الصوفي أنه وثيق الصلة
بعلم النفس، وأن له غاية ندية، هي غرس
الخلق الشريف في نفوس الرجال .

ذلك لأنه أدب أناس عرفوا الدنيا وأهلها،
ثم ملوا المجتمع وانقلبوا عليه يصفون عيوبه،
وتقاتله بأقلام تنضج بالسقم الزعاف .

وقد تقدم أن الصوفية انفردوا بأبواب
خاصة سلكوا دروبها الأدبية وحدهم،
ولم يطرقتهم سواهم من الأدباء وساروا
في مسالك جديدة لم يتبعهم فيها غيرهم .

وربما سبق إلى الأذهان سؤال عن المظاهر
الفنية الجديدة التي هدوا إليها .

والدارس لآثارهم يراها تدور حول
ما يدينون به من مذاهب وما يعتنقونه
من آراء، وما يأخذون به أنفسهم من سلوك
في حياتهم التي انتهجوها، ويمكن تلخيص
هذه المظاهر في الأغراض الآتية :

(أ) وصف الدنيا . (ب) المغاجة .

(ج) العشق الإلهي .

(د) المواقف والمخاطبات .

(هـ) الأحزاب والأوراد .

(و) وحدة الوجود والمدائح النبوية .

محمد إبراهيم الجبوري

يا داود، ما أعجب شأنك بين أهل زمانك !
أهنت نفسك وإنما تريد إكرامها، وأتعبتها
وإنما تريد راحتها، أخشنت المطعم وإنما
تريد لينه، ثم أمت نفسك قبل أن تموت،
وقبرتها قبل أن تقبر، وعذبتها ولما تعذب،
وأغفيتها عن الدنيا لكيلا تذكر، رغبت
نفسك عن الدنيا - فلم ترها لك قدراً -
إلى الآخرة، فما أظنك إلا وقد ظفرت
بها طالبت

سجنت نفسك في بيتك، فلا يحدث لك،
ولا جليس معك، ولا فراش تحتك، ولا ستر
على بابك، ولا قلة يبرد فيها مأوك، ولا صحفة
يكون فيها غذاؤك وعشاؤك، مطهرتك قلبك .

داود : ما كنت تشتهي من المساء بارده،
ولا من الطعام طيبه، ولا من اللباس لينه،
بلى، ولكن زهدت فيه لما بين يديك،
فما أصغر ما بذلت، وما أحقر ما تركت
في جنب ما أملت، فلما مت شهرك ربك
بموتك، والبسك رداء هملك، وأكثر
تبعك، فلو رأيت من حضرك هرفت
أن ربك قد أكرمك، وشرفك، فلتتكلم
اليوم عهيرتك بكل ألسنتها، فقد أوضح
ربك فضلها بك .

فهذا رثاء في درجة عالية من الجودة،
جرى على لسان صوفي من هؤلاء الذين نحاول
أن نكشف عن مدى أثرهم في الأدب،

مِنْ نَحْوِ تَجْمِيعِ الْحَوَثِ

الملكية الفردية وتحدّيها في الإسلام

للأستاذ علي الخفيف

- ٢ -

الحمد :

أما هذا النوع من الحى المبني على السلطان والغلبة فقد حظره الإسلام ولم يجعله لشخص من الأشخاص وإنما جعله حقاً لأمرأ المسلمين ليجمعوا به أرضاً لمنفعة عامة للمسلمين . روى الصعب ابن جنادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا حى إلا لله ورسوله) والمعنى الظاهر لهذا الحديث أن الحى إنما لمنفعة عامة لا تخص أحداً وذلك ما عبر عنه بأن الحى لله ورسوله لأن ما لله هو للمسلمين وإنما نسب إليه سبحانه وتعالى لأنه أمر به ورتب عليه الجزاء وإلى هذا التأويل ذهب أبو عبيد في كتابه : الأموال إذ قال : للإمام أن يحصى ما كان لله مثل حى النبي صلى الله عليه وسلم وحى عمر فهذا كله داخل في الحى لله وقد روى نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حى النقيع لحيل المسلمين والنقيع موضع معروف بقرب المدينة ، وروى أن عمر رضى الله عنه حى الربرة

أشرنا فيما مضى إلى أن الحى من الأرض كان معروفاً عند العرب قبل ظهور الإسلام وكان منه ما هو قاصر على منافع شخص معين ومنه ما كان لمنافع جماعة من الناس تجمعها صلة أو وحدة كأسرة أو قبيلة - ولم يكن هذا النوع من حيازة الأرض والاختصاص بماؤها وكلئها إلا مظهرأ من مظاهر ملكيتها إذ لم تكن للملكية هندم يومئذ حدود معلومة مرسومة ولا معنى متميز إلا ما كان لهم من حق الاستئثار بها ومنع غيرهم من الرعى فيها بالقوة والغلب وما بقي فيها كلاً وماء فإذا نصب الماء ونفذ الكلاً تركوها أرضاً مباحة لا اختصاص عليها إلى أرض غيرها فيها الماء والكلاً .

وحين جاء الإسلام لم يقر هذه الحيازة وتلك الأثرة مستنداً إلى القوة والجاه وإنما جعل ملك الأرض نتيجة لعمارتها وإحيائها

حين دعت إلى ذلك مصلحة عامة .
 وهذه الحاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حى النقيع لخييل المسلمين لا تعدو أن تكون إقرارا للسلوكية الجماعية وإنشاء لها في الإسلام إذ تصير الأرض بها ملكا لجماعة المسلمين في صديل منفعة عامة لهم هي جعلها مرعى لخييلهم التي يحملون عليها حين يجاهدون في سبيل الله تعالى وفيها إلى ذلك دلالة على أن لإمام المسلمين أن يأخذ من أموالهم وأملاكهم ما يدعو إلى أخذ مصلحة عامة ذلك لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة ، وفي هذا يقول الشافعي في الأم جزء (٣) صفحة (٢٧٠) : إن حى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه صلاح لعامة المسلمين وإن الخييل المعدة لسبيل الله وما فضل من سهمان أهل الصدقات وما فضل من النعم التي تؤخذ من أهل الجزية ترعى فيه ، فأما الخييل فقوة لجميع المسلمين وأمانهم الجزية فقوة لأهل النية من المسلمين ومسلك سبيل الخير أنها لأهل النية المجاهدين وأما الإبل التي تفضل عن سهمان أهل الصدقة فيعاد بها على أهل سهمان الصدقة فلا يبقى مسلم إلا دخل عليه من هذا صلاح في دينه وفي نفسه ومن يلزمه أمره من قريب أو عامة من مستحقى المسلمين إلى آخر ما قال

والشرف لهذا الغرض وهما موضعان بين مكة والمدينة ، كما روى عن أسلم مولى عمر أن عمر استعمل مولى له يدعى منيا على الخي فقال له : يا هني اضم جناحك على المسلمين وابق دهوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة وإياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتها رجعا إلى نخل وزرع ، ورب الصريمة ، ورب الغنيمة إن تهلك ماشيتها يأتیان يقولان : يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا لا أبالك - فالما . والكلأ أيسر على من هزم الذهب والورق ، وأيم الله أنهم ليرون أنى قد ظلمتهم إنها لبلاذهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام . والذي نفسى بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شيئا - رواه البلاذري وقال أسلم : سمعت رجلا من بني ثعلبة يقول لعمر : يا أمير المؤمنين حميت بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام يرددها عليه مرارا وعمر واضع رأسه ثم رفع رأسه فقال له : البلاد بلاد الله ونحى نعم الله يحمل عليها في سبيل الله :

وظاهر من هذا الاثر أن حى عمر كان في أرض لأهلها فيها منافع ومرافق بسبب الجوار ولم يمنعه ذلك من حمايتها على أهلها

العموان ومقتضيات الاجتماع ، وذلك ما يدل على أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما دل الدليل على أنه محظور . وقد استند كثير من العلماء إلى هذه الآية حين رأوا هذا الرأي وذهبوا هذا المذهب ومنهم الحنفية والشافعية وأكثر المعتزلة ووجهه الإمام في الحصول والبيضاوي في المنهاج وقالوا : إن اللام في الآية لام الملك والاختصاص ، وإن العموم فيها البادى في ضمير الخطاب وفي د ما ، يدل على أن ما في الأرض جميعاً خالق للناس جميعاً فلا اختصاص لأحد منهم ، تفسير البيان ج ١ (١٩٨) ، وقد كان هذا الوضع فيما هو على ظهر الأرض في الابتداء إلى أن وجه التزاحم وظهرت غريزة الإنسان في حب الاستيلاء والادخار والاستثمار — وتلك هي عناصر الملكية — فظهرت الملكية بمعناها الواضح وتبلورت وتميزت .

والملكية كما قدمنا ملكية جماعية وملكية فردية ، فإذا كان الانتفاع بآثارها لجماعة من الناس على أن يكون انتفاع الفرد بها قائماً على أنه فرد من تلك الجماعة دون أن يكون له به اختصاص كانت الملكية جماعية — وقد تكون عامة كملكية الدولة لأموالها ومرافقها العامة من طرق وقناطر وأنهار ونحو ذلك ، وقد تكون خاصة بهيئة من الهيئات المتشعبة

الإباحة والملكية الجماعية والملكية الفردية
جميع ما في الكون ملك لله تعالى في الكتاب العزيز : د وله ما في السموات والأرض ، النحل ٥٢ د قل لمن ما في السموات والأرض قل لله ، الأنعام ١٢ د والله ملك السموات والأرض وما بينهما ، المائدة ١٦ د ألا إن لله ما في السموات والأرض ، يونس ٥٥ د ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، البقرة ١٠٦ وهذه الملكية ملكية تقوم على الخلق والتسلط والتسخير — وهي ملكية لاحقة بجميع الأشياء لا تنهى ولا يغير من وضعها أية حيازة أو تصرف من الإنسان .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى ما على سطح الأرض للإنسان ليكون له منه منفعه وثمراته فكانت منفعه وثمراته مباحة لجميع الأشخاص لكل إنسان منها حاجته . وفي قوله تعالى : د خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، البقرة ٢٩ ، دلالة على ذلك فهي تفيد أن جميع ما في الأرض أو ما هو على ظهرها قد خلق للإنسان ومعنى ذلك : أن للإنسان منفعه وثمراته وأن له أن ينتفع بكل ما يستطيع أن يحصل عليه أو يصل إليه من منفعه فكان الانتفاع به مباحاً لكل منه حظه الذي يسد حاجته وتقوم به حياته في النطاق الذي تقرر العدالة وتحدده نوااميس

إلا من شذ من ذلك . فلم تواجه من
الاشتراكيين على اختلافهم إنكاراً بل
اتفقوا جميعاً على إقرارها في الأموال المنقولة
التي لم تتخذ مصدراً للإنتاج .

أما الملكية الجماعية فإن حياة المجتمعات
المتطورة قد اقتضت أن تكون في الأرض
وقد تجاوزتها في كثير من الأحوال إلى
الأنعام كما وجدت كذلك في الأموال المنقولة
الخاصة لغرض عام ويرى الاشتراكيون
وجودها في جميع وسائل الإنتاج ولذا
يقولون بوجود تأميمها .

وعلى أية حال فالمسكية بنوعها لا ينكرها
مذهب من المذاهب الاجتماعية أو الاقتصادية
المعتبرة لأنها كما علمت ظاهرة من ظواهر
الحياة الإنسانية غير أن الاشتراكيين يذهبون
إلى وجوب تحديد الملكية الفردية إذ
وجدوا أنها في حال إطلاقها قد أدت إلى
تمزيق المجتمع وجعله طبقات متصارعة
متعادية وذلك ما يودي بسلامته . فالاشتراكية
المعتدلة تقتصر على تأميم وسائل الإنتاج من
المصانع والمزارع وروس الأموال ،
والمواد اللازمة للإنتاج ومن الاشتراكيين
من يرى الاقتصار على تأميم العقار من
مزارع ومنازل . (يتبع)

على التقييد

من الأمة إذا كانت لها باعتبارها هيئة . وأما
إذا كان الانتفاع بآثارها لشخص من
الأشخاص على وجه الاختصاص والتعيين فإن
ملكته تكون ملكية فردية سواء أكان ملكه
متميزاً أم شائعاً في ملك غيره من الأشخاص .
وقد ذكرنا فيما سبق أن أسبق النوعين وجودا
هو الملكية الفردية إذ أنها أثر من آثار
غريزة من غرائز الإنسان وهو سابق في
الوجود على اجتماعه بغیره وارتباطه به
ارتباطاً يحمل منهما ومن غيرهما جماعة ذات
شخصية وتميز بسبب ما يجمعهم ويضمهم
من الصلات والروابط .

بحال الملكية الجماعية والملكية الفردية :

وإذ تبين أن أساس الملكية الفردية
هو ما طبع عليه الإنسان من حب وميل إلى
الاختصاص بما يسد حاجته الخاصة من
طعام ولباس ودفاع عن نفسه وما إلى ذلك ،
كان مجالها منذ وجدت في هذا النطاق
وما يتصل به من الأموال المنقولة وكانت
لذلك أكثر شيوعاً وظهوراً فيها على مر
السنين ثم تجاوزتها بعد حين إلى جميع
الأموال من حيوان وعقار . ولم تستهدف
في بدايتها قبل أن تشيع في العقار لكثير
من الإنكار والاعتراض فظلت في الأموال
المنقولة متمتعة بإقرار أرباب المذاهب
والآراء على اختلاف نحلهم وأنظارهم

الحرية السياسية والقيادة الجماعية في الإسلام

د. ستاز حسن فتح الباب

فالحرية السياسية تدور مع السلطة السياسية التي تشكل أهم عناصر الدولة وجوداً وهدماً ولا يتصور قيامها في ظل جماعة من الناس كالقبيلة أو العشيرة لتكوين دولة بالمفهوم الحديث .

فإذا كانت الحرية السياسية - وفقاً لما أثبت التاريخ - إحدى الأصول الأولى التي قام عليه الإسلام منذ نشأته الأولى التي تورخ بالبعثة النبوية ، فإن معنى ذلك أن هذه الحرية قد نشأت قبل قيام السلطة السياسية في الإسلام إذ تكونت أول دولة في التاريخ الإسلامي بالمدينة برياسة النبي صلى الله عليه وسلم منذ هاجر إليها . فكيف يستقيم في المنطق أن توجد حرية سياسية بغير سلطة سياسية ؟ .

إن التناقض الذي يبدو بين هاتين الحقيقتين المشار إليهما سرعان ما يتهاوى إذا علمنا أن الإسلام ينفرد بين الديانات السماوية بأنه دين ودولة معاً ، بمعنى أنه يضع بين يدي إمام المسلمين زمام السلطين الدينية والسياسية معاً ، إذ يتناول شئون الدين فينظم العبادات التي تصل المرء بخالفه ، كما يتناول شئون الدنيا فينظم أحكام المعاملات التي تربط الناس

نمريه :

استقر الرأي عند علماء السياسة وفقهاء القانون الدستوري على أن الحرية السياسية هي أهم المبادئ التي تقوم عليها الجماعة السياسية الحديثة ، وأنها - بعبارة أخرى - حجر الزاوية في بناء الدولة على أساس من ديمقراطية الحكم بمعنى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ، فلا تشمل الحكومة في فرد واحد يملك بين يديه جميع السلطات ويتصرف كيف يشاء دون معقب ، أو تشمل الطبقة الحاكمة في قلة من الممتازين أو غيرهم تعمل وفقاً لمصالحها الخاصة ولا تعنى بتحقيق مطالب الشعب جميعاً .

وتبدأ السلطة الحاكمة بمجرد نشأتها واستكمالها مقومات الدولة في تنظيم الحقوق والواجبات بين الأفراد والجماعات على هدى الفلاسفة التي تضعها لنفسها وتريد أن تنشئ عليها المجتمع في سبيل تحقيق مقاصدها وبلوغ أهدافها . فإذا توافرت روح الديمقراطية في القيادات العليا التي تستحوذ على هذه السلطة كانت الحرية السياسية إحدى الدعائم الرئيسية التي ينهض عليها نظام الحكم .

بين الناس في الحقوق والواجبات ، مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وأسمتهم ، ومعتقداتهم . ومن ثم جاء الإسلام ليؤكد السلام على الأرض عن طريق الإيمان بالمثل الإنسانية العليا وهي الحق والخير والعدل . والحرية هي المحور الذي تركز عليه هذه القيم ، فلا تقوم فضائل في ظل العبودية ، بل تعصب للباطل ، وهزة بالإثم ، وهدوان على مقدسات الإنسان .

والعقيدة الإسلامية أساسها التوحيد ، وهو يحمل المعنى الحقيقي للحرية ، فساد الله وحده هو الغنى ، وهو القوى الدبر ، فليس لإنسان أن يستعلى أو يتجبر على آخر ، أو يسلبه حقا من حقوقه ، ولا إله إلا الله ، فلا سيطرة لفرد أو جماعة أو طبقة أو طائفة أو جنس على غيره ، فالناس سواسية ، وهم إخوة فيما بينهم وعباد الله وحده .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :
(لا فضل لعربي على عجمي ، ولا انفرشى على حبشي إلا بالتقوى) .

وفي حجة الوداع يقول :

(أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن

بعضهم ببعض . فلا غرو أن يدعو الإسلام إلى الحرية السياسية منذ مهبط الوحي تحقيقا لرسالته في تنظيم الجماعة وتوحيدها ، وأن يؤكد دعوته تلك بعد قيام دولته الأولى في يثرب لدعم بنائها وتثبيت قواعدها على أسس سليمة دائمة لا يتطرق إليها الوهن على اختلاف الزمان والمكان .

ومن ثم كانت هذه الحرية من المبادئ الجوهرية التي أرساها التشريع الإسلامي وجعلها في خدمة العقيدة والدولة ، بل الإنسانية جمعاء ؛ ذلك أن سيادة البشرية هي العليا الغايات في الدعوة الإسلامية .

ولقد حرص الإسلام على تنظيم الحرية السياسية على نهج يكفل سلامتها ويمنع المغرضين من استغلالها والانحراف بها عن المعاني الحكيمة التي شرعت من أجلها وهي صلاح الفرد وصلاح المجتمع .

الحرية أساس القيم الإنسانية :

والحرية السياسية من الحقوق الطبيعية المقررة في الإسلام وهي تنبع من جوهر عقيدته السمحة التي تدعو إلى السلام بين الناس أجمعين ، فالسلام هو الهدف الأكبر لهذه العقيدة ، وهو في الوقت ذاته المنهاج القويم لنشر القيم الإنسانية الفاضلة وما يترتب عليها من طمأنينة الخلق وسعادتهم ولا يتحقق إلا بالسلام ولا في ظل المساواة والتكافؤ

الجماعة ، بلاخلاف ، أو اتفاقها على القدر الذي يرجح به الاختيار وتمتنع به الغنمة ، وتلك عليا مراتب الديمقراطية التي ارتضتها روح الإسلام ومبادئه ، وسار عليها المسلمون في تاريخهم ، فقد تم اختيار أبي بكر رضي الله عنه رئيسا للدولة الإسلامية بأمر بايعه المهاجرون والأنصار بيعتهم الأولى التي تسمى في التاريخ الإسلامي بيعة السقيفة ، وبعدها بايعوه البيعة العامة ، فكانت تلك أول ممارسة عملية لحق اختيار رئيس الدولة الإسلامية ، أو بمعنى آخر للحرية السياسية في الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم تعقد الخلافة لأبي بكر بحكم الجاه أو المنصب أو النسب ، وإنما لأنه اختصار قام على قدم المساواة من يملك هذا الحق من عامة المسلمين ، وعلى هذا النهج كانت مبايعة سائر الخلفاء الراشدين ، أما تولى الخلافة بالوراثة ، وقد جاء به معاوية بن أبي سفيان لأول مرة في الإسلام ، فهو أمر تأباه روح الإسلام وتعاليمه ، إذ أنه مثار خلاف بين المسلمين ، ويتنافى مع مبدأ الحرية السياسية مما دل عليه تاريخ التنازع على الحكم منذ عهد يزيد الذي عهد إليه أبوه معاوية بالخلافة من بعده تنفيذاً لأغراض سياسية . (يتبع)

من فتح الباب

أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض أفضل إلا بالتقوى .

وعلى هدى هذه المساواة قرر الإسلام الحقوق القانونية والسياسية والاجتماعية للفرد والجماعة ، وألزم الدولة مسئولية صونها وضمانها ، وتهيئة السبيل للدواطين كي يمارسوها .

صور الحرية السياسية :

١ - نظام البيعة :

لا شك في أن أهم الصور التي تتجلى فيها الحرية السياسية في الإسلام هي نظام البيعة فلا يتم تنصيب خلف لرسول الله وإمام على المسلمين إلا من هذا الطريق ، فلا تعيين لرئيس الدولة ، بل اختيار له ممن يملكون حق الاختيار ، وهؤلاء هم الصفوة المختارة من الأمة ممن يطلق عليهم أهل الحل والعقد ، فإذا أجمعوا على ترشيح أحد المسلمين للخلافة بايعوه على السمع والطاعة والنصرة ، ثم يقبضهم الجمهور في المبايعة ، أما إذا تعذر شرط الإجماع ، فيؤخذ بما ينعقد عليه رأى الأغلبية في اختيار الرئيس الشرعي للدولة ، ويجوز أن يرشحه واحد أو يشترط في ترشيحه اتفاق عدد من المسلمين تجوز لهم صلاة الجماعة ، إلا أن الاتفاق على عدد المرشحين لا يغني عن المرجع الأخير ، وهو اتفاق

سِر الدِّين الإسلامي وسماحته

د. سنان عباس طه

ولعل قائل يقول: إن هذا الحديث وأمثاله إنما يناسب حال المؤمنين الأولين الذين كانوا يضحون بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله ، ويعبدون الله تعالى آباء الليل وأطراف النهار بدون تؤدة أو هواة ، فاحتاجوا إلى تنبيه بأن دينهم يأمر بالرفق والتوسط في كل الأمور أما الآن فنحن في زمن قد هجر فيه كثير من الناس قواعد دينهم الأساسية ، وأخلاقه الفاضلة ، التي سعد بالاستمسك بها من كان قبلهم من المؤمنين حقاً ، فما هؤلاء وما للعظة التي تأمر بالتوسط في أعمال البر وتنهى عن المبالغة فيها خوفاً من السامة والملل أو العجز عن الاستمرار في أدائها . فترى الآن كثيراً من الناس يجاهرون بالفسوق والعصيان والإيمان في الشهوات الفاسدة الضارة بالأنفس والأموال ، على عكس أسلافهم من المؤمنين الذين كانوا يرهقون أنفسهم في سبيل الله ومن أجل الله . والجواب أن هذا الكلام حق لا ريب فيه وأن الفساد الذي طرأ على الأخلاق أصبح داء عضالاً ، ولكن النظر في هذا الحديث وأمثاله فيه عظات وعبر لأولئك الذين هجروا العمل بقواعد دينهم الحكيمة . فاعمل هؤلاء ينجلون من أنفسهم

تضمن الدين الإسلامي نهياً عن التشدد في تطبيق أحكامه تشدداً يوجب السامة والملل ، أو العجز عن أداء الواجبات ، وحثاً على القصد والتوسط في أداء التكليف الشرعية بدون إفراط أو تفريط . والتشدد في الدين في مفهومه العام هو التعمق في تطبيق قواعده الحكيمة السامحة ، والإفراط في الأعمال والأقوال الدينية إفراطاً ضاراً . وذلك شر وبيل تجب بحافات والفرار منه . فواجب على المؤمنين العاملين أن يزونا قدرتهم على الاستمرار في أعمال الخير والبر بميزان الدين الصادق ، فلا يرهقوا أنفسهم في حمل من الأعمال الدينية بدون حساب للقدرة على الاستمرار في أدائها بدون انقطاع ، سواء كان ذلك العمل صلاة أو صياماً أو صدقة أو جهاداً أو غير ذلك من الأعمال التي لا بد منها لإصلاح الأفراد والجماعات . روى البخاري في كتاب الإيمان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » .

هذه الحالة ، أو يضره الصيام فيصوم مع أن الشارع نهى عن الصيام في هذه الحالة .

وقد وردت أحاديث كثيرة في الدلالة على هذا المعنى ، منها ما رواه مسلم : « كان أحب الأعمال إلى الله أروحها وإن قل » . وروى البخارى ما معناه أن بعض المسلمين نزل ضيقا على صديق له فرأى امرأته رثة ، فسألها عن سبب ذلك فقالت له : « إن أخاك منصرف إلى عبادة الله ، فلما جن الليل وناما قام صاحب المنزل للصلاة فزعمه الضيف ، ولم يزل به حتى قرب الفجر فقاما معا للعبادة ثم بعد ذلك نهاه عن مواصلة العبادة وقال له : إن لبدنك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا ، فينبغى مراعاة هذه الحقوق كلها مع عبادة الله ، وهذه هى قواعد الإسلام الذى جاء باليسر فى كل شأن من شئونه .

لم تكن سماحة الدين الإسلامى وسهولته مقصورة على رفع الحرج والمشقة في العبادات والمعاملات المتعلقة بأهل هذا الدين فحسب بل سماحة الدين الإسلامى تتجلى في معاملته أعدائه وخصومه بصورة لا مثيل لها في الأديان الأخرى ، حتى مع المشركين الذين كانوا يحاربون الله ورسوله بكل ما يستطيعون من قوة وبأس ، فإنه قد اتسع صدره لهم في إبان قوته ، مع شدة خصومتهم ، ومحاوتهم القضاء عليه بكل ما يستطيعون .

ومن حسابهم في عداد المسلمين المؤمنين حقا إذا علموا أن أسلافهم الأولين كانوا يجهدون أنفسهم في أعمال البر وعبادة ربهم مباغة قد تضر بأنفسهم وأموالهم وأهلهم ، فاحتجوا إلى نهى عن الزيادة الضارة التي قد تكون سبباً في العجز عن العمل عاجلاً أو آجلاً . لعل هؤلاء تؤثر فيهم الموعظة الحسنة ويدركون أن القدوة الصالحة تتقدم وتنقذ أمته من فوضى الشهوات الضارة ، وذل المعاصى المخزى ، فيكفون عن الموبقات ، ويعملون الصالحات التي تسعدهم في دنياهم وآخرتهم .

ومع هذا فإنه يوجد في زماننا كثير من الجملة يرهقون أنفسهم بالقيام بالأعمال المندوبة ، من أذكار وأوراد ونحو ذلك فتشغلهم عن أداء الفرائض التي لابد منها لإصلاحهم وصلاح المجتمع . ومنهم من يستمسك بعبادات فاسدة فيرهق نفسه في سبيل إحيائها باسم الدين ويترك ما هو واجب عليه اكتفاء بها . فترى بعض الجملة يتهاككون على الإنفاق في إحياء الموالد المتبدعة التي نهى عنها الدين ويتركون زكاة المال وصلة الأرحام وإغاثة الملهوف . ومن هؤلاء الجملة يتشدد فيما لا فائدة فيه أو فيما عفا الشارع الحكيم عنه ، كمن يضره الوضوء أو الغسل فيغتسل ، مع أن الشارع شرع له التيمم في

الدالة هل أن الروم ستظفر بالفرس وقد تحقق ما أخبر به القرآن وغلبت الروم الفرس بعد ذلك في المدة التي ذكرها القرآن في هذه الآية فهذا مثل واضح يدل على ما كان في نفوس المسلمين من المودة لآمل الكتاب الذين لم يناصرهم العداء ، ورضوا بأن يخضعوا للنظم الإسلامية .

ولم تقتصر معاملة المسلمين لأهل الكتاب على ما ذكرنا ، بل نص القرآن الكريم على أكثر من ذلك ، فأباح للمسلمين طعام أهل الكتاب الذي لا يختلف مع نصوصه القاطعة كما أباح أن يتزوج الرجل من نسائهم ، وإنما لم يسمح للمرأة المسلمة أن تتزوج كتابيا حرصا على الولد لأن الشريعة جعلت للرجل سلطة التربية ، فلو أباح للسلمة أن تتزوج كتابيا لترتب على ذلك أن يكون الولد كتابيا وليس مسلما .

أما المشركون فإن الإسلام كغيره من الأديان الأخرى كان شديدا عليهم ، فلم يقبل منهم جزية لأنهم كانوا يعبدون غير الله وكانوا لا ينفكون عن محاربة ما يقتضيه العقل من عبادة إله واحد منزه عن كل ما يليق به . ومع ذلك فقد قال بعض الأئمة : إنهم إذا دفعوا الجزية يعاملون معاملة أهل الكتاب . فهذه المعاملة لا نظير (البقية على صفحة ١١٩)

عامل الدين الإسلامي الكتابيين الذين جنتحوا للسلم ورضوا بأن يدفعوا ما فرضه عليهم من ضرائب هينة معاملة أهلهم من المؤمنين حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) من الحقوق والواجبات المتعلقة بأمر الحياة ، وأباح لهم التمتع بعقائدهم وعبادتهم التي لا يقرها بدون حرج ، وكان يقتصر للضعيف منهم كما يقتصر للضعيف من المؤمنين بدون فوق . وكان صلى الله عليه وسلم يضرب للمسلمين أعظم الأمثال على هذه السباحة بنفسه فكان يعامل يهود المدينة ويشترى منهم ما يحتاج إليه من السلع الموجود مثلها عنده إلى حد أنه رهن درعه عند أحدهم مع سلطانه الواسع على جميع نفوس مواطنيه يومئذ ليكون هو نفسه مثلا لجميع المسلمين ، وليس أدل على شعور المسلمين نحو أهل الكتاب من قوله تعالى دألم ، غلبت الروم ، في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيفغلبون . في بضع سنين ، وذلك أن الفرس حاربوا الرومان في ذلك العهد في أطراف الشام ، وهي أدنى أرض العرب فانهمزمت الروم وهم مسيحيون وغلبت فارس وهي يومئذ وثنية تعبد النار فخرن المسلمون لذلك ، وفرح المشركون وقالوا : إن هزيمة الروم الكتابيين وظهور الوثنيين عليهم فال حسن للوثنيين . فنزلت هذه الآية

الكتاب

١ - تخریج الفروع على الأصول : للإمام الزنجاني

قام بتحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه الدكتور محمد أديب صالح الأستاذ بكلية الشريعة في جامعة دمشق ، وقدم له الدكتور محمد سلام مدكور رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق في جامعة القاهرة .

أما المؤلف فهو الإمام أبو الخائب شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني ، أحد أئمة علماء القرن السابع الهجري ، ولد بزنجان بالقرب من أذربيجان ، ثم استوطن فيما بعد بغداد ونشأ بها ، حيث درس علوم اللغة والدين ، كما درس بالمدرسة النظامية ، ثم المستنصرية ، وبرع في الأصول واللغة وقد صنف في تفسير القرآن واختصر الصحاح للجوهري .

والإمام الزنجاني ولي القضاء ببغداد ووصل إلى نائب قاضي القضاء ، وقد استشهد أيام نسكة بغداد بالفتوى ودخل هولاكو عام ست وخمسين وسبائة من الهجرة .

وأما الكتاب فهو - كما يذكر المحقق : محاولة منهجية ناجحة ، ونموذج رائع لخطط يرسم علاقة الفروع والجزئيات من أحكام الفقه ، بأصولها وضوابطها ، من القواعد والكليات ضمن إطار لتقييد الاختلاف بين المذهبين الشافعي والحنفي ، وبيان الأصل الذي ترد إليه كل مسألة خلافية ، وفي رد الجزئيات إلى الكليات ، وبيان الأصول التي ينتمي إليها الاختلاف ليعرف بأن الاختلاف في جملته لم يكن من الاختلاف المحرم ، لأنه لم ينشأ عن عبث أو هوى ، وإنما كان في حدود ما يحل الاختلاف فيه .

لم يستوعب الكتاب كل أبواب الفقه ، وإن كان قد استوعب معظمها ، فقد عرض بعد أبواب العبادات للبيوع والغصب والنكاح والجراح ، والحدود ، والسير ، كما لوحظ أن الكتاب قد اقتصر على مذهبي أبي حنيفة والشافعي .

ويذكر المحقق أن المؤلف لم يقصد إلى أن يكون كتابه مصنفًا في أصول الفقه أو كتابًا

ومن الإنصاف أن نذكر أن المحقق بذل جهدا مشكورا في إخراج هذا الكتاب النادر من تراثنا الفكري الإسلامي ، وأن كلية الشريعة بجامعة دمشق كان لها السبق في الفضل عندما يسرت نشره لأول مرة ، فأضافت إلى المكتبة الإسلامية كتابا سيد فراغا واسعا .

* * *

٢ - في الإيمانه والاسم

الأستاذ أحمد حسين الحامى

يقع كتاب الأستاذ أحمد حسين في مائتى صفحة ، وقد قسمه إلى سبعة فصول فتناول في الفصل الأول الإيمان وأثره كغريزة أولا وكصدر من مصادر الرقى والحضارة ثانيا ، ثم كينبوع للعظمة الشخصية ثالثا .

وتناول في الفصل الثانى الإيمان ومحوره : تحدث عن الشك كسبيل إلى اليقين ، وعن وجود الله كبدية عقلية ، وعن الحياة كدليل الله الحى ، وعن العقل ومن أين جاء .

وتناول في الفصل الثالث الإيمان فى صورة الأولى فعرض لتطور العقيدة من عبادة الأمهات إلى عبادة الحيوانات والنباتات والجمادات والكواكب إلى عبادة الخالق فى خليفته .

وتناول فى الفصل الرابع الحقيقة ، فعرض لنظرية الحلول حيث غمرت هذه

فى القواعد أو الفروع وإنما أرادته كتابا يجمع بين الأصول والفروع فى مسلك متميز .

ومنهج المؤلف يوضحه فى مقدمته وهو يقول « فبدأت بالمسألة الأصولية التى ترد إليها الفروع فى كل قاعدة ، وضمنتها ذكر الحجة الأصولية من الجانبين ، ثم رددت الفروع الناشئة منها إليها ، فتمحور الكتاب مع صغر حجمه حاويا لقواعد الأصول جامعا لقوانين الفروع . »

وكان من الإنصاف أن أشار المحقق إلى أن أبا زيد هبید الله بن حمير بن عيسى الدبوسى من أئمة الحنفية المتوفى عام ثلاثين وأربعمائة من السنة الهجرية قد سبق الإمام الزنجاني فى هذا الطريق ، فوضع كتابا فى اختلاف الفقهاء ، أسماه « تأسيس النظر » وإن كان الزنجاني لم يكن على علم بهذا الكتاب ، ثم عقد المحقق بعد ذلك مقارنة على جانب من الأهمية بين عمل الإمامين الجليلين .

كما كان من الأمانة العلمية أن أخذ الدكتور محمد سلام مدكور على المؤلف ، أنه خالف فى نقله المذهب الحنفى فى عدد من الأحكام الفقهية ، كما خالف فى النقل بالفسبة لبعض المسائل العلمية ، وذكر من هذا اثنى عشر مثالا .

ذكر المؤلف في مقدمته أن هذا الكتاب كتبه على شكل رسالة منذ نيف وعشرين سنة ، ولم ينكر من بحوثها إلا القليل وهو يدفعها إلى المطبعة منذ شهر ، ثم يقرر في هذه المقدمة أن حديثه وتفكيره موجه دائماً نحو الإنسانية في مجموعها على اختلاف أديانها وأجناسها وألوانها وقومياتها ، كما يقرر أن المادية هي الخطر المشترك ، وقد حان الوقت ليدرك كل صاحب عقيدة دينية أيا كان موضوعها ومحورها ، أن الخطر الذي أصبح يهدد عقيدته ليس ما يقول به دين آخر ، وإنما الخطر الذي أوشك أن يهدد العقائد كلها هو هذه المادية الطاغية المسعورة .

وبعد - فالحق الذي لا جدال فيه أن الأستاذ أحمد حسين - وهو أشهر من أن يعرف به في صدق عقيدته ، وسعة أفقه واهتزازه بمبادئه - قد قدم دراسة منهجية في كتابه اتسمت بالعمق والدقة ، وإن كان لابد من الوقوف في بعض أفكار الكتاب ، فإن هناك بعضاً من الملاحظات لا تنقص البحث شيئاً من قدره .

فقله عن الأنبياء : هؤلاء الأئمة الهداة هم الذين أطلق عليهم البشر بعد أن أطلقوا على أنفسهم لقب الأنبياء والمرسلين ، والحقيقة أن الله هو الذي لقبهم بهذا اللقب فيما أوحى إليهم ، وما ورد على ألسنتهم فإنما

النظرية العالم في مرحلته العقلية الثانية ، فلم تعد الكائنات المعبودة آلهة بذواتها ، بل مسكنات للآلهة وصوراً لها على الأرض ، كما عرض لفكرة التوحيد في مصر الفرعونية والمجتمع الإغريقي وند الفرس والهنود . وتناول في الفصل الخامس الأنبياء والمرسلين ، وما مروا به من امتحانات قاسية ، كما تناول الوحي المحمدي والانقلاب الذي أنشأه .

وتناول في الفصل السادس العرب والوحي فعرض لعجز العرب عن حكاية القرآن ، ولوقوف القرآن من العلم ، وللوحي كذروة للإلهام ، ولنبوة محمد وأن ثبوتها ثبوت لكافة النبوات .

أما في الفصل السابع والآخر فقد قدم المؤلف دراسة مقارنة بين الإسلام وسائر الأديان في نطاق التوحيد ، ونطاق الانتشار ، وخرج من هذه الدراسة المقارنة بمميزات الإسلام على غيره ، منها التوحيد المطلق بما يتفق والتفكير السليم الناضج في ذات الله الخالق ، ومنها أنه دين الأخوة العالمية ومقضى التكافل الاجتماعي .

وقد ختم المؤلف دراسته القيمة ببحث عرض فيه آراء وشهادات بعض علماء الغرب للحضارة الإسلامية ، من أمثال غوستوف لوبون ، وويلز ، ولوترب ستوارد الأمريكي ودرابر الأمريكي أيضاً .

٣ - أحمد زكي الملقب بسبح المروية :

للاستاذ أنور الجندى

هذا الكتاب أحد أعداد سلسلة أعلام العرب التي تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، وهو ترجمة وافية عن حياة شيخ العروبة وآرائه وآثاره .

أبرز الأستاذ أنور الجندى معالم حياة أحمد زكي وجعلها تتمثل في :

١ - عمله من أجل إحياء الآداب العربية وتكوين « الخزانة الزكية » ،

٢ - رحلاته .

٣ - تحقيقاته ومراجعاته في الأدب والتاريخ والجغرافيا .

٤ - معاركه ومساجلاته .

٥ - عمله من أجل الكشف عن أجداد العرب والإسلام .

٦ - اهتمامه البارز بالاندلس .

وبعد أن سرد وقائع حياة شيخ العروبة في سطور وأشار إلى عمله الفكري الذي بدأه بالترجمة وإحياء التراث ، والتأليف فيما يتعلق بالتحقيق التاريخي واللغوي للأعلام والمدن وغير ذلك ، وكان أبرز أعماله في هذه الفترة اختصاره حروف الطباعة وإدخال نظام الترقيم الغربي إلى الكتابة العربية .

وأشار المؤلف إلى أنه قد أتيح لأحمد زكي

في مجال التبليغ عن الله عز وجل ، وبذلك تزيل لبسا ، فربما يتراءى للبعض أن النبوات مكتسبة وليست منحة من الله ، وحتى حديث المؤلف من مراحل العقل البشري ، يكاد يوم القاريء بأن العقل وصل بإمكانياته إلى التوحيد المطلق ، والواقع أنه وصل فقط باستعداده إلى قبول هذا التوحيد المطلق الذي جعلته رسالات السماء .

وذكر المؤلف أن حجة الإسلام الكبرى ومعجزته التي لا تفوقها معجزة هو أنه استطاع أن يوطد سلطان عقيدته سواء في حياة الرسول أم بعده ، والحق أن المعجزة الكبرى الخالدة هي القرآن وبقاء الإسلام ليس وثيقا إلا بخلود القرآن .

وبينا يؤكد المؤلف أنه من المستطاع أن يفسر القرآن على ضوء العلم الحديث ، ينسى قوله قبل ذلك أن القرآن ليس كتابا علميا بالمعنى الفني ، والحق معه ، فالنظريات العلمية قابلة للأخذ والرد والمد والجزر وما أحرانا أن نسمو بالقرآن عن كل هذا ، وحسبه أن يكون كتاب هداية إلى خير الإنسانية في شتى المجالات ومنها العلم .

إذا كان للأستاذ أحمد حسين قبل هذا الكتاب كتاب « الطاقة الإنسانية » ، فإن كتابه الجديد « هو الطاقة الدينية » ، وكلا الكتابين سدا فراغا في مجال الفكر .

المؤتمرات في لندن عام ١٨٩٢ ، وفي جنيف ١٨٩٤ ، وفي هامبورج بألمانيا عام ١٩٠٢ ، ثم في أثينا ١٩١٢ ، وفي كل هذه المؤتمرات كان حركة دائبة وموضع تقدير العلماء والباحثين من اشتركوا فيها .

والحق أن اختيار الأديب الأستاذ أنور الجندي المرحوم أحمد زكي شيخ العروبة لتقديمه ضمن سلسلة أعلام العرب لمسة وفاء نحو أحد أعلام العروبة قضى حياته كلها متفانيا في خدمة العروبة والإسلام ؟

محمد عبد الله السحابة

أن يطوف بالعالم العربي في رحلات متعددة إلى الشام شمالا ، وإلى اليمن والحجاز جنوبا وكان بعض هذه الرحلات من أجل البحث والاستقصاء العلمي والبحث عن المخطوطات والبعض الآخر من أجل العمل السياسي . كما أتيج له أن يرحل إلى الفردوس الإسلامي المفقود لزيارة آثار العرب في الأندلس ، وكانت رحلاته هذه ذات أثر بعيد بلغ أعماق نفسه .

كما أشار المؤلف إلى أن شيخ العروبة حضر أربعة مؤتمرات للبستشرفين ، كان فيها علما تسلط عليهم الاضواء ، عقدت هذه

(بقية المنشور على صفحة ١١٤)

كرامتهم وأضاعوا استقلالهم ، وأصبحوا أذلة بعد عزة ومنعة . فعليهم أن يذتوا عما هم فيه من شهوات فاسدة ، وعليهم أن يذكروا أن الله أمرهم بالاعتصام في أموالهم والمحافظة على أبدانهم من الإفراط في الشهوات وأمرهم بأن يعدوا لأعدائهم كل ما استطاعوا من قوة وبأس . فعليهم أن يذكروا كل هذا وأن يستمسكوا به لعلمهم بفلاحون ؟

عباس طه

لها في الأديان الأخرى لأن التوراة صرحت لموسى بإعدام المشركين على بكرة أبيهم ، ونصت على استرقاق بعضهم واعتبرتهم كالأنعام التي لا حرمة لها .

من هذا يدرك القارئ الحصيف أن مخالفة الدين الإسلامي الذي جاء بكل الفضائل ونهى عن كل الرذائل شر مطلق ، وأن المسلمين الذين هجروا دينهم ، واستهانوا بآياته الحكيمة وبقواعده الصالحة لكل زمان ومكان ، قد أضاعوا أنفسهم وأضاعوا

انبياء وآراء

بين الدين والحياة

رد على تعليق

كتب الأستاذ محمد عبد الله السمان تقديمًا
لكتابي « بين الدين والحياة » في عدد
ذي الحجة ١٣٨٣ هـ أشكره عليه . ولكن
لفت نظري ما جاء في آخر كلمته حيث قال :
« ولكن إذا حاولنا من جانب آخر أن نناقش
الكتاب في مجمله فلن نجد ارتباطًا كاملاً بين
بين العنوان والأبحاث الداخلية فيه فبحوث :
الدين والدنيا ، والإسلام وزينة الحياة الدنيا ،
كيف نفهم الإسلام ، سنة الله في رقي الأمم .
هذه البحوث لها ارتباط وثيق بالعنوان .
أما بحوث رمضان ونزول القرآن ، الصيام ،
ذكرى بدر ، أعيادنا ، الحج بين الأمس واليوم
الدهوة إلى الله بالحسن ، الوعد الحق ، الهجرة .
فهذه كلها لا ارتباط لها بموضوع الكتاب
وإن كان كل منها يقوم دراسة مستفيضة
جديرة بالاستيعاب ... إلخ » .

والأستاذ السمان يقدم الكتاب هنا منذ مدة
كما أن له كتباً إسلامية حديثة ولم أكن أظن
أدنى ظن أن تبقى نظراته للإسلام والحياة

نظرة الانفصاليين الذين يفصلون بعض تعاليم
الإسلام عن الحياة مع أن كل تعاليم الإسلام
الحياة وخدمتها حتى العبادات من الصلاة
والصوم والزكاة والحج لها أوثق الصلات بالحياة
بل إن غايتها تنظيم السلوك وتهذيبه فيها ،
وإيجاد المسلم المهنذ المتعاون . وأمامه نصوص
كثيرة من القرآن والسنة لا أدري كيف غابت
عنه وإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ،
(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله
ساجدة في أن يدع طعامه وشرابه) إلى غير
ذلك من النصوص وكل فاهم الإسلام دارس
له ولو أدنى دراسة يفهم جيداً حقيقة الصلة
بين الصيام ، والحج ، وبين الحياة وإلا فما
قيمة هذه العبادات في تهذيب سلوك
الإنسان في الحياة وإيجاد الروح التعاونية
فيه ، وما معنى أن الحج مؤتم عام للمسلمين
وفرصة لتعارفهم وتعاونهم ، وما معنى أن
الصيام يعلم المسلم العطف على أخيه ومساعدته
كما يعلم الصبر على شدائد الحياة !!!

ثم غرورة بدر : واتخاذها درساً من الحياة
يلقيه المسلمون الأول على من بعدهم ، وإبراز
مواطن القوة التي تم بها النصر للمسلمين ولفت

وتتشرب بها نفوس كثير ممن ينتسبون للإسلام . أتساءل هل عرف هؤلاء موقفهم من الإسلام .

ثم إذا تحدثت عن أسلوب الدعوة التي سلكها الرسل حسب إرشاد الله لهم ثم قلت : « فهل نفطنا في هذا كله نحن الدعاة إلى الله الآن ورجوت أن تتخذ من آداب الرسل في دعوتهم منهجاً لنا في دعوتنا الناس للخير أكون قد بدعت عن الحياة . . وهل مشكلة الدعوة الآن إلا من سوء أسلوب الدعاة ؟ !

والوعد الحق . الذي جعلته عنواناً لمشكلة تشور في كثير من النفوس حين تقرأ « وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، وغيرها من آيات تعد المؤمنين بالنصر ، ثم ترى واقعنا الآن ؟ وهم يظنون أننا مؤمنون وأردت تصحيح أفكار الناس وإزالة الشك من نفوسهم ووضع أيديهم على مواطن الضعف في إيمانهم وتصرفاتهم ثم أدلهم على أسس العزة التي كتبها الله للمسلمين وأقوله لهم : « إن العزة ليست عطاء ولا مائدة تنزل عليهم من السماء ولكنها ثمرة بمجهود شاق من الأعمال التي تركز على الإخلاص وتنبعث من الإيمان .. الخ .

إذا قلت هذا لأدفع المسلمين إلى طرق الكفاح والعمل اللذين يحققان لهم العزة

نظر القارئ المسلم في الظروف التي تمر بنا الآن - إلى موقف رائع لسلفه الصالح في موقعة من المواقف الحربية تغير بسببها مجرى التاريخ الإسلامي - ليأخذ من هذا الدرس شحنة من الإيمان والقوة يجابه بها الأحداث التي تحيط به والتي ينتظر أن يخوضها ليصحح مجرى تاريخه . هل يعتبر هذا بعيداً عن الحياة ولماذا يقصها القرآن إذن ؟ ولماذا يدرسها العسكريون . . ولماذا . .

من الذي يقول إن لفت النظر إلى العبرة في موقعة حربية انتصر فيها المسلمون مع قتلهم أمر بعيد عن الحياة ؟ يا سبحان الله . . وأعيادنا : وهي مظرم من مظاهر الشخصية الاستقلالية للأمة ، ولماذا جعل الرسول لنا أعياداً خاصة ولم يرض لأمته أن تكون تابعة لغيرها في أعيادها ، ثم كيف نحتفل بأعيادنا ، وكيف نتخذها فرصة للترويج عن النفس والأعياد وصلاتها بالناحية الاجتماعية للأمة عامة . وإلى أي حد يجوز لنا أن نحتفل بأعياد غيرنا هل يعتبر مثل هذا بعيداً عن الحياة !!

وبين الأمس واليوم : الذي جعلته عنواناً عن المنافقين في الماضي والحاضر وأثرهم الحي في الحياة وقلت كلما وجدت تصرفات المنافقين بالأمس تغلغل اليوم في أوساطنا الإسلامية

والأمر بعد ما بنيت لا يعدو واحدا من اثنتين : إما أن الأستاذ الناقد لا تزال تشده إلى الفهم الضيق العجائزى ، أو الفهم الاستعماري للإسلام رواسب أو روابط تشده إليه برغم ما يظهر به بيننا من فهم واع للإسلام .

واستيعابه لكل مناحي الحياة وهلاجه لكل مشاكلها ومظاهرها حتى عباداته جاءت لمعالجة مشاكلها والسلوك فيها ، وإما أن يكون حبه للظهور بمظهر الناقد قد أوقعه فيما وقع فيه . .

وكلا الأمرين لا نحبهما لأخينا الأستاذ السمان . . وقد قلت من قبل لأننى لازلت أحسن الظن به ولذلك لا أفترض أمرا ثالثا قد يفترضه الكثيرون . وهو سوء النية . .

فليقل لى الأخ الناقد : كيف يفهم الإسلام وصلته بالحياة . . مادام الصيام والحج لاصلة لهما بالحياة وما دامت المعركة الحربية في بدر والأهياض والنفاق والمناقضون ، والدعوة إلى الله وآدابها وكيفيتها لاصلة لهذا كله بشئون الحياة ١١٩

كم أحب له ألا يكتبنى بقراءة العناوين إذا أراد أن ينقد أو يعلق وكما أحب له كذلك أن يقدر مسؤولية الكلمة التى يكتبها . .

عبد المصطفى النمر

والمجد فى هذه الحياة يكون هذا القول والمهدف منه بعيدين عن الحياة ١

والهجرة . . التى جعلت عنوانها أيضا د أو الصراع بين العاطفة والعقيدة ، واتخذت من هجرات الرسول وصحابته درسا عميقا يصلح المسلمين كيف يؤثرون عقيدتهم ومبادئهم دائما على عواطفهم ومصالحهم ، وما أكثر ما يتعرض كل واحد منا سواء أ كان رجلا عاديا أم قائدا وداعيا - إلى الصراع بين عاطفته ومبادئه ، وما أحوج كل واحد منا كذلك إلى أن يتلقن فى حياته درسا عمليا من واقع حياة الرسول وصحابته فى هذه الناحية المهمة الحساسة فى الحياة هل يعتبر هذا بعيدا عن الحياة ١١٩

ومن العجب - ولا أقول أكثر من هذا لأننى لازلت أحسن الظن بالأستاذ الناقد من العجب أنه يذكر أربعة موضوعات لها صلة بالكتاب ثم يذكر تسعة موضوعات يقول « هنا لأنها لا ارتباط لها بموضوع الكتاب ، ويحمل هذا ذكر موضوعات أخرى مثل ، المترفون ودعوات الرسل والمصلحين الذى أخذ من الكتاب من ص ١٤ إلى ص ٤٣ وعلاقة المسلمين بغيرهم الذى أخذ عشر صفحات وحتى لوعد هذا وغيره لسكان أكثر الكتاب فى رأيه بعيدا عن عنوانه ١١

فتاوى سحنات

نقدم : ابراهيم محمد الحصيل

الجواب :

يجوز في صلاة العيدين ترجمة الخطبة لغتها العربية بعد أدائها بالعربية ، والمعلوم أن سماع الخطبة في العيدين ليس واجباً وإنما هو سنة .

أما خطبة الجمعة فيجب أن تكون باللغة العربية في المشهور من مذهب الشافعي .
واتباعاً لمذهب مالك خلافاً للحنفية إذ يجوز عندهم بغير العربية مطلقاً ، ويجوز عند الحنابلة لغير القادر الخطبة بغير العربية .

فإذا على المشهور من مذهب الشافعي يجب أن تكون خطبة الجمعة بالعربية ، كما يجب أن يسمعها أربعون وإن لم يعرفوا لغة الخطيب أو لم يفهموا معنى الخطبة إذ لا يشترط فهم معناها .

وعليه : فيقتصر على إلقيها بالعربية وإن شاء الخطيب - أو غيره - ترجمها للمصلين

خطبة العيدين والجمعة وهل تصح

بغير العربية ؟

السؤال :

في بلدتنا بومباي بالهند مسجداً كبيراً يصلي الناس فيه الجمعة والعيدين خلف إمام شافعي يخطب بالعربية فقط . وقد جرى التقليد في صلاة العيدين بعد تمام الخطبة أن يقوم مترجم فيترجم الخطبة إلى اللغة الأردية (اللغة المنتشرة بالهند) ليدرك المصلون معناها .

فهل يجوز هذا في مذهب الإمام الشافعي أم لا ؟ ولا بأس من بيان المذاهب الأخرى .

وهل يجوز للخطيب يوم الجمعة أن يخطب بالعربية ثم يترجمها إلى لغة أخرى (كالأردية مثلاً) قبل الصلاة أم لا ؟

عبد القادر لاهي

بومباي - الهند

أما إذا ذكى للاتفاح مجلده فلا يطهر لحمه ، وإذا يكون عظمه نجسا ، ومتى كانت المسبحة مأخوذة من عظم حيوان محرم الأكل مطلقا ، أو مكروه الأكل إلا أنه لم يذك ، أو ذكى لأخذ جلده ، فهي نجسة ، والصلاة بها باطلة .

أما مذهب الشافعى فهو أن المسبحة المأخوذة من عظم الحيوان الذى يحرم أكله سواء ذكى أم لا نجسة ، ومن هذه الحيوانات المحرم أكلها الفيل . وإذا فتكون الصلاة بهذه المسبحة باطلة ، ولا يجوز الدخول فيها شرعا بالمسبحة .

ومذهب الحنفية فى هذا أكثر تيسيرا فباستثناء عظم الخنزير يكون عظم الحيوان غير المأكول وكذا سن الفيل طاهر ؛ لأنه لا يحمله الدم . وعلى ذلك - عملا بمذهبهم - تكون المسبحة المأخوذة من سن الفيل أو عظم الحيوان غير المأكول طاهرة والصلاة معها صحيحة .

تنبى المسمى للطفل المسلم :

السؤال :

رجل يونانى مسيحى الديانة عثر على طفل حديث الولادة ، وفى قبضة يد الطفل ورقة

بلغتهم بعد الصلاة لا قبلها ؛ محافظة على الموالاة بين الخطبة والصلاة .

فيعيد حينئذ ترجمة نصها أو يشرحها ويبين ما جاء فيها باللغة التى يفهمها الحضور .

المسبحة من عظم الفيل :

السؤال :

ما حكم المسبحة المصنوعة من سن الفيل أو من عظم الحيوانات غير مأكولة اللحم وذلك من حيث طهارتها من عدمه وهل يؤثر حملها - إن قلنا بنجاستها - فى صحة الصلاة ؟

آدم زوزور عبد الله
أريستريا

الجواب :

مذهب المالكية أن المسبحة المصنوعة من عظم الحيوان الذى يحرم أكله كالبنغال - نجسة ، ولو ذكى الحيوان الذى أخذ منه العظم ؛ لأن الذكاة لا تفيد فى محرم الأكل . أما الفيل فيكره أكله ، فإن ذكى لا كل لحمه طهر بالذكاة بجميع أجزائه ومنها العظم .

لا يجوز في نظر الإسلام ، ولا تثبت به بنوة
الولد المتبنى لمن تبناه ، بل لا يزال هذا الولد
أجنبياً منه ليس عليه ما يجب على الولد
لأبيه من الحقوق ، وليس له على ما تبناه
شئ من حقوق الأبناء على الآباء .

قال الله تعالى : « وما جعل أدياءكم أبناءكم ،
ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل . أدهوهم لآبائهم هو أقسط
عند الله ، فإن لم تعملوا آباءهم فإخوانكم
في الدين ، والخطاب هنا العامة المسلمين أى فهم
إخوانكم في الدين ، فادهوهم إخواناً لكم مادام
لم يعرف لهم آباء ، والولد في نظر الإسلام
مسلم من حيث نشأته ، وعليه أن يتقدم إلى
المحكمة ليسجل إسلامه في سجلاتها حتى
لا يكون لمن تبناه سلطان عليه ، وعلى
المسيحي الذي تبناه أن يخلى سبيله .

صغيرة مكتوب بها أن اسمه محمد جمعه ،
فتقدم الرجل للشرطة وأخطرها بالحادث
وأظهر رغبته في تربية الطفل فأجيب إلى
طلبه ، ثم تقدم بعد ذلك للقنصلية اليونانية
بعد بلوغ الغلام خمسة عشر عاماً بإقرار يثبت
به أنه تبني الغلام ، وأنه منحه اسم العائلة
التي ينسب إليها نظراً لعدم إنجابها وأنه قد
جرده من الاسم الأصلي .

فهل هذا التبني صحيح ، وهل للفق المتبنى
أن يطلب رده للإسلام ، الذي هو مبال بطبعه
إليه ، وخلاصه من التبني ؟

زاهر سعيد
لبنان

الجواب :

التبني على الوجه المفهوم من السؤال

بَيْنَ الصَّحْفَةِ وَالْكِتَابِ

ونحن نرجو من المختصين في بلادنا وبخاصة في الأزهر الشريف — حصن الدين ومقل الشريعة — أن يصححوا لجماعة المسلمين السود المفاهيم الإسلامية والأحكام الدينية حتى لا ينحرفوا عن سواء الصراط .

مجلة لواء الإسلام

التعليق : يظهر أن كلمة النبي في حاجة إلى توضيح وتصحيح عند هؤلاء السود وغيرهم ، وقد سألت أحد هؤلاء السود من الأمريكيين الذين هرفتهم بالأزهر فأيد ما قيل من أن هناك مصلحا اجتماعيا يطلقون عليه اسم ديني ، ويؤمنون به ويلتفون حوله وأنه وهم معه يؤمنون بالقرآن ، ويؤدون صلاتهم به وقوفا ودون ركوع وسجود ، وقد سمعت الملاك دكلای ، في جمعية الشبان المسلمين يقول إنه سيحمل إلى إخوانه في أمريكا صور الاحتفالات التي أقيمت له هنا والحفاوة التي قوبل بها في بلاد المسلمين ليعلموا أن إخوانهم هنا يعترفون بإسلامهم هناك ويؤيدونهم في مواقفهم من البيض وفي مطالبهم الإنسانية المشروعة ، ومن ثم

جواهر المسلمين السود بأمریکا

نحن المسلمين نؤمن بأن الإسلام دين البشر جميعا ، وأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو بنص القرآن رحمة للعالمين ، ولذلك ففرح كلما رأينا هداية الله تشمل فريقا من الناس فتخرجهم من ظلام الكفر إلى نور الإسلام .

ولقد زار بلادنا في هذه الأيام الملاك العالمي دكلای ، الذي أعلن إسلامه ، وسمى نفسه باسم محمد علي ، ونحن نوجوه له التوفيق والرشاد والتسكن من مبادئ الإسلام فهما وعلماء وعملا ولكننا قد سمعنا أن جماعة المسلمين السود بأمریکا التي يقتسب إليها هذا الملاك تفهم الإسلام فهما يحتاج إلى تصحيح وتوضيح ، حتى لا يكون هذا الفهم حجة علينا ضد غير المسلمين في أمريكا وغيرها ، فالإسلام لا يعرف نبيا بعد خاتم المرسلين محمد ، والإسلام لا يفرق بين الأسود والبيض ، فإذا اهتدى الأسود بهداية الله دخل الجنة ، وإذا اهتدى الأبيض بهداية الله دخل الجنة والإسلام لا يعرف عصبية اللون ولا عصبية الجنس .

مصدقاً لها ومبرمجاً عليها فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة زائدا عليها بما شاء الله زيادته ، وكان سادا مسددا ولم يكن شيء منها ليسد مسده .

سادسا . أن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه بل هو المسيحية واليهودية قبل أن تمتد إليهما يد التعريف والتزييف وإن نسبة المسيحية إلى فرد وهو المسيح عليه السلام ، ونسبة اليهودية إلى جنس وهم اليهود يدل على الانحراف بالدين عن صراط الله المستقيم ، وذلك بعض ما يفهم من قول الله : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، وقوله تعالى : « ومن يبدع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

وهذه الحياة

الشيخ : وهذه الحياة يا حيران ، وما أدراك ما الحياة التي خلقها الله في الصخرة الموات الصماء ، فأصبحت حياة ساعية . مدركة واعية غاضبة راضية ، شاكرة شاكية ضاحكة باكية ليت شعره ما هو خط المصادفة في خلقها من التراب والماء يا حيران .

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » .

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر منتشرون » .

كانت الحاجة ماسة إلى تصحيح بعض المفاهيم عند هؤلاء .

فأولا : كلمة النبي معناها المنجي من الله أو المنبأ من الله فيها معنى النبا المنزل من السماء ومن زعم أنه ينبأ من السماء ، ويوحى إليه فهو مارق من الإسلام مخالف لصريح القرآن فقد قال الله فيه : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ثانياً : الصلاة المفروضة على المسلمين يجب أن تؤدي كما كان يؤديها رسول الله ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ...

ثالثاً : أن الإسلام كما عمت عصبية البيض لجنسهم يمت عصبية السود لجنسهم إلا أن يكون في التعصب قوة تمنع عنهم الظلم وتدفع عنهم العدوان .

رابعا : أن الإسلام يفرض على المسلم أن يؤمن بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبل من الكتب السماوية ، كصحف إبراهيم ، والتوراة والإنجيل والزبور ، وليس بعد القرآن كتاب منزل ولا بعد محمد نبي مرسل وذلك يفهم من قول الله في أول سورة بعد الفاتحة : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون » . خامسا : أن سائر الكتب السماوية جىء بها على التوقيت لا التأييد وأن القرآن جىء به

معه صدورهما من الجناد مباشرة ، بل إن ظهورهما من الجناد ليعد في نظر الصلم معجزة ليست أقل بعدا عن العقل من ظهور الأحياء العليا من الجناد مباشرة .

حيران - كيف لا أذكره ... ؟

الشيخ - ألا تذكر قول توماس اكونياس ما من عالم عرف حتى اليوم خلق ذبابة ؟ .

حيران - كيف لا أذكره ... ؟

الشيخ - ألا تذكر قول روجر باكون : أنه لا يوجد عالم من علماء الطبيعة يستطيع أن يعرف كل شيء عن طبيعة ذبابة واحدة ؟ حيران - كيف لا أذكره ... ؟

الشيخ - ولكن هذا القرآن الذى يقول للناس « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ... » قد سبقهم جميعا يا حيران ...

حيران - أترام قد اقتسموا قول القرآن يا مولاي ... ؟

الشيخ - إن العقول السليمة تتلاقى على الحق يا حيران ، وكلما ازدادت هلما كان تلاقها على الحق أيسر وأقرب .

د من كتاب قصة الإيمان ،

للأستاذ نديم الجسر - مفتى طرابلس

د سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يقين لهم أنه الحق . أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد . . قرآن كريم

د هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تموتون . .

د يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه . منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز . د فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب . بل عجبت ويسخرون ، وإذا ذكروا لا يذكرون ، وإذا رأوا آية يستسخرون . .

هذا ما يقوله القرآن فى خلق الحياة من (الطين اللازب) وهو نفس ما يقوله العلم ، فما هى هذه الحياة التى أجمع العلماء مع القرآن على أنها تتكون من الماء والطين ، ثم وقفوا على هبة الخفاء من سرها حائرين ؟ .

إنهم عرفوا الشيء الكثير من فروعها وأصولها ، وعناصرها وطبائعها ، ونظمها ونواميسها وعلوا أن جميع الأحياء تتألف من خلايا ، وأن الخلية تتكون من النطفة الأولى (پروتوبلازما) وعلوا أن هذه النطفة الأولى مكونة من السكربون والأكسجين والهيدروجين والبيتروجين .

وجربوا أن يخلقوا الحياة فى شيء فعجزوا ، ثم اعترفوا مع القرآن باستحالة خلق ذبابة .

ألا تذكر يا حيران قول بنجر (إن السكرية ذاتها ، على بساطتها ذات بنا . وتركيب يتمتع

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
للفنون
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللسنة من الطلاب
تخفيض خاص

تصدر من شعبة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الثاني - السنة السادسة والثلاثون - صفر سنة ١٣٨٤ هـ - يوليو ١٩٦٤ م

لِسَمَاءِ الْمَرْيَمِ

البلاغة بين الإيجاز والأطناب

بقلم : أحمد حسن الزيات

بين اللغات السامية واللغات الآرية أن الأولى إجمالية والأخرى تفصيلية . تجد ذلك واضحاً في هذه الجملة التعجيبة : قتل الإنسان ! فإن الفعل في هذه الجملة دل بصيغته الملفوظة وقربته الملحوظة على الزمن والمعنى والتعجب والدعاء وحذف الفاعل ، وهي معانٍ لا تستطيع أن تعبر عنها في اللغات الأوربية وهي آرية ، إلا بأربع كلمات أو خمس . وطبيعة اللغات الإجمالية الاعتماد على التركيز والاقصار على الجوهر والتعبير بالكلمة الجامعة والاكتفاء باللمحة الدالة . أما طبيعة اللغات التفصيلية فهي العناية بالدقائق والإحاطة بالفروع والاهتمام بالملاحظات

جرى حرف البلاغيين على أن يجعلوا الأسلوب الوسط الذي تساوت فيه ألفاظه ومعانيه أصل الأساليب . فإذا زادت الألفاظ على المعاني كان الإطناب ، وإذا زادت المعاني على الألفاظ كان الإيجاز ، فالطرق المستقيمة هندس ثلاث : مساواة وإيجاز وإطناب . وأنا أرى أن البليغ الحق لا يكون من طبعه الطول ولا الفضول وإنما يسلك إلى تأدية معانيه إلى ذهن القارئ أو السامع أحد طريقين : طريق المساواة والتقدير ، أو طريق القصر والحذف . أما الإطناب أو الإسهاب فليس من طبيعة اللغة العربية ؛ لأنها لغة سامية وأول الفروق

لأن طول القول الأول قد أطلال في معناه ، وقصر القول الثاني قد قصر به عن مداه ... والإيجاز بقسميه أصل في اللغة العربية لأنها لغة أمة صافية الذهن دقيقة الحس سريفة الفهم تشعر بقوة وتعبر بقوة وتفهم بقوة . وقوة الروح والقلب ، وقوة العقل والإدراك تلازمهما قوة اللسان والقلم أى البلاغة ، والبلاغة الإيجاز . والإيجاز امتلاء في اللفظ وشدة في التماسك . ولا ترى التميع والتفكك والانتشار الا حيث ترى الضعف في شيء من أولئك . وملاك الإيجاز غزارة المعاني ووضوحها في الذهن ، وطواعية الألفاظ ومرونتها في اللسان . وإنما يكون العي والثرثرة ومضغ الكلام من جذب القريحة أو قلة العلم أو سقم الذوق ، وقديما قالوا : « من ضاق عقله اتسع لسانه » . لذلك كان الإسهاب أول ما يصاب به ناشئة الكتاب ؛ لأن جهدهم القليل يضيق عن شرح الفكرة فيدورون حولها مجمعين بالسكلم الفوارغ والجلل الجوف . وهو اليوم فاش في أساليب الصحف لأن أكثر كتابها يؤثرون الحكم على السكيف فيكبرون الصغير ويطولون القصير وينشئون من المعنى القليل مقالة ، ويجعلون من الخبر العادى قصة ... وقد كان أحد شيوخ الصحافة يكتب مقالا في عمودين كل صباح ، فإذا نظرت فيه على أن تقرأ سطرين وتترك أربعة بلغت آخره وقد حصلت من ثلثه على ما كان في ثلثيه ،

والاستطراد إلى المناسبات والميل إلى الشرح . ولم تعرف العربية التفصيل والتطويل والمط وتعاقب اللفظ كلها أو جملا على المعنى الواحد إلا بعد اتصالها بالآرية الفارسية في العراق والآرية الأوربية في الأندلس . نشأ ذلك في أسلوب عبد الحميد ، ثم زاد في أسلوب ابن المقفع ، ثم فاض في أسلوب الجاحظ ، ثم طفى في أساليب من خلفهم من ضهفة الكتاتيب وهبة الصنعة في عمود الوهن والانحلال حتى ليدعشك أن تجد في كتب الدواوين ، وعهود السلاطين ، كتاباً أو عهداً يبلغ به كاتبه مائة صفحة يحشوها بالفقر والاصحاح ولا يعنى بها شيئاً ١١ . وهذا هو الإسهاب الذى تنسكركه العربية ولا يسيغه العرب . وهذه الزيادة اللفظية التى يسميها البلاغيون إطناباً قد اشترطوا في بلاغتها أن تسلم من الحشو والتطويل وأن تدل على معنى جديد في الجملة تفتضيه الحال كتفصيل المجمال أو توضيح المجهول أو تأكيد الإسناد أو دفع الإبهام أو تقوية الأسلوب وتوشيته بضروب البيان وألوان البديع ليؤثر في الذهن والنفس من طريق الامتاع والإقناع . وما دامت هذه الزيادة قد جاءت لمعنى وسيقت لغرض فلا تخرج الكلام عن حدود المساواة . فقول زكريا عليه السلام في مقام الاسترحام : « رب إني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً » . أبلغ من قول القائل في المقام نفسه : « رب إني كبرت وشبت » .

مثل هذا كله تطويل لا حاجة إليه والمعنى المقصود يفهم بدونه .

وأعود إلى الإيجاز لأسوق إليك بعض الأمثلة على قسميه ، فننظر الأمثلة على إيجاز المساواة والتقدير قول الله تعالى في آخرة طوفان نوح : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء ألقى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » . وقول الرسول الكريم في تقييد الحربة : « إن قوما ركبوا سفينة فاقسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع فقصر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكان أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا » .

* * *

كان أمراء النثر العربي من أمثال جعفر ابن يحيى وسهل بن هارون يتوخون جانب القصد ويؤثرون طريق الإيجاز حتى قال جعفر للسكرتار : إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا . ويريد بالتوقيعات ما يعلقه الوزير أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال وكانت تجري بجرى الأمثال في الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة كتمليقه على كتاب رجل شكاً إليه عاملاً من عماله : « لقد كثرت شاكرك وقل شاكرك فإما اعتدات وإما اعتزلت » .

وقيل لإيأس : لا هيب فيك إلا أنك تعيل قال : أخيراً تسمعون أم شراً ؟ قالوا خيراً . قال : فالزيادة في الخير خير ، روى ذلك

وكأنك لم تحذف شيئاً ١١ وأكثر رواة الأخبار في الصحف لا يكادون يختلفون عن ذلك الرجل الذي تحدث عنه ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) إذ يقول :

« جلس إلى في بعض الأيام جماعة من الإخوان وأخذوا في مقاضاة الأحاديث وانساق ذلك إلى ذكر غرائب الوقائع التي تقع في العالم فذكر كل من الجماعة شيئاً ، فقال شخص منهم : إن كنت في الجزيرة العمرية زمن الملك فلان وكنت إذ ذاك صبياً صغيراً فاجتمعت أنا ونقر من الصبيان بالحارة الفلانية وصعدنا إلى سطح طاحون ابنى فلان وأخذنا نلعب على السطح فوق صبي منا على أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال الطاحون ففطنا أن يكون آذاه ، فأسرعنا النزول إليه فوجدناه قد وطئه البغل فخنقه خنقة حسنة لا يستطيع الصانع الخافق أن يفعل خيراً منها » .

« فقال له أحد الحاضرين : والله إن هذا عى فاحش وتطويل كثير لا حاجة إليه ، فإنك بهدد أن تقول إنك كنت صبياً تلعب مع الصبيان على سطح طاحون فوق صبي منكم إلى أرضها فوطئه بغل من بغالها فخنقه ولم يؤذ . ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة في بلد نعرفه أو لا نعرفه . ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب لم يقدح ذلك في غرابتها . وأما أن تذكر أنها كانت في الجزيرة العمرية في الحارة الفلانية في طاحون بنى فلان فإن

وتصعيد وتركيز. وذلك لا يتميا لك إلا بدوام النظر وطول التعهد ، ومهما تقلب الجثة على وجوه البيان فإنك لا محالة واجد فيها عوجا تعدله أو تتواءم أو تسويه أو فضولا تشذبه .

فيل للرئيس الأمريكي ولسون وكان من رجال الخطابة : كم تنفق من الزمن في إعداد خطبة تلقى في عشرين دقائق ؟ فقال : أسبوعين ففيل له : فكم تنفق إذن في إعداد خطبة تلقى في ساعة ؟ فقال : أسبوعا . ففيل له : فإذا طلب اليك أن تلقى في ساعتين ؟ فقال : ألقها على الفور !

والمزية الظاهرة للإيجاز أنه يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيجاز . ذلك لأنه يترك على أطراف المعاني ظلالا خفية يشغل بها ذهن ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلون وتتسع ، ثم تشعب إلى معان أخرى يثملها اللفظ بالتفسير أو بالتأويل . والقرآن الكريم معجزة الدهر في هذا الصدد .

وليس بسبيل الإيجاز البلاغى من يقص أطراف الخيال ويعطى ألوان الحس ويترك أسلوبه كأسلوب البرق شديد الاقتضاب والجفاف ، فإنه للكلمة الموجزة سحرا يأخذ بالقلوب وشعرا يجرى في الشعور . وقد قال فيها سيد البلغاء محمد بن عبد الله : (إن من البيان سحرا) وسماها الكلمة الجامعة وقال في مقام الفخر والشكر : أوتيت جوامع السكلم واختصر لى السكلام اختصارا .

أحمد حسن الزيات

الجاحظ وعلق عليه بقوله : د وليس الأمر كما قال إياس ، فإن للكلام غاية ، ولنشيط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ، ودعا إلى الاستئصال والملا ، فذلك الفاضل هو الهذر ، وهو الخطل ، وهو الإسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه .

كذلك كان أقطاب النثر الفرنسى من أمثال (شاتوبريان) و(فلوير) يتشددون في الإيجاز ولا يسمعون في التكرار حتى حرموا على أنفسهم استعمال اللفظ مرتين في صفحة واحدة . وقد أخذ فلوير في إحدى رسائله على شاتوبريان أنه كرر لفظ مرتين في وصفه قدوم (أودور) إلى روما في كتابه (الشهداء) . ومن كلام (بوالو) : يجب أن تعرف كيف توجز لتعرف كيف تكتب . ونفور فوايج الكتاب من الإطناب منشؤه فيهم تلك القوة البلاغية التي تحد الغاية وتريد أن تبلغها من أقصر طريق . فهم لا يبلغون لأنهم يعلنون المعنى الذى يفيد ، ولا يحشون لأنهم يعرفون اللفظ الذى يدل ، ولا يخبطون لأنهم يبصرون الأمد الذى يرام . أما الذين لا يقدرون ما يقولون أو لا يدرون أين يقصدون ، فهم كالماء الحائم على وجه المنحدر قصاره زبد وجرجرة ، أو كاللسان الخجول نطقه لفظ وثرثرة ، وثرثرة اللسان كثرثرة البطن ، أصوات تذهب مع الريح ! !

والإيجاز في البليغ قوة وروية وجه ؛ لأن الإيجاز غرلة ونخل ، وقصية وتفقية ،

التطورات التشريعية للطلاق للأستاذ محمد محمد المدني

- ٣ -

وأفتى به بعض الحنفية - حكاه أبو بكر الرازي عن محمد بن مقاتل ، وأفتى به بعض أصحاب أحمد - حكاه ابن تيمية عنه ... وجاء في نيل (الأوطار الشوكاني) أن ابن مغيث نقله في كتاب الوثائق عن محمد بن وضاح ، ونقل الفتوى به عن جماعة من مشايخ قرطبة ، كمحمد بن علي ، ومحمد بن عبد السلام ، وحكاه أيضا عن علي وابن مسعود وعبد الرحمن بن هوف ، والزبير ، ونقله ابن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس وعمر بن دينار ، كما حكاه صاحب البحر عن أبي موسى (١) .

وهناك أيضا من علماء السنة من يقول بعدم وقوع الطلاق في الحيض ، جريا مع القاعدة التي ذكرناها ، واستدلوا ببعض الأحاديث الثابتة ، وفي مقدمتهم أيضا ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ورجحه الشوكاني في كتابه (نيل الأوطار) (٢) .

وقد سلك المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر

نكملنا في المقال السابق من مذهب الشيعة الإمامية في الطلاق ، وبيننا أنهم يحكمون بعدم وقوع الطلاق الذي لم تتحقق فيه الشروط التي اشترطها الشارع ، وبأن للطلاق صيغة خاصة يشترط أن تكون فصيحة غير ملحونة ، وأن تكون مجردة من كل قيد ، حتى ولو كان معلوم التحقق ، وأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، أو بتكرار الصيغة متتابعة ، لا يقع به مع تحقق الشروط إلا طلاق واحدة ، وأن الطلاق بالكناية لا يقع ، وكذلك الطلاق بالإشارة إلا من الأخرس العاجز عن النطق ، ولا يقع بغير العربية مع القدرة على التلفظ بها ، ولا بالخلف واليمين ، ولا بالنذر والعهد ... إلخ

هذا هو مذهب الشيعة الإمامية ، وهناك من العلماء المجتهدين من اتجه هذا الاتجاه على الجملة - أي في بعض هذه الأحكام التي ذكرها الإمامية ، وفي مقدمتهم من فقهاء الحنابلة ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، فقد قروا أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة لا يقع به إلا واحدة ، قال ابن القيم : «وأفتى به بعض أصحاب مالك ، حكاه التلمساني قولا لبعض المالكية في شرح تفريع ابن الجلاب ،

(١) راجع البحوث التي كتبها المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي عن أسانيد قانون الزواج والطلاق رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ص ٧٤ .
(٢) ص ٢٢٦ ج ٦ من كتاب نيل الأوطار للطبوع بالمطبعة الثمانية في سنة ١٣٥٧ هـ .

فلو لم يأذن الله بذلك ، لكان الطلاق باطلا كله ، إلا أن يرضى الطرفان ، كما هو في سائر العقود ، فمن طلق كما أذن الله فقد صح طلاقه ووقع ، ومن طلق على غير ما أذن الله كان طلاقه باطلا غير صحيح ؛ لأنه لا يملكه وحده بطبيعة التعاقد ، وإنما يملك ما أذن الله به وما ملكه أباه ، وكان عمله هذا داخلا تحت عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من حمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد ، ومسلم في صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها .

٤ — وهذا المعنى قد أشار إلى ما يقرب منه حجة الإسلام أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن (ج ١ ص ٣٨٥) بعد أن ذكر أن آية (الطلاق مرتان) تضمنت الأسر بإيقاع الاثنين في مرتين ، فمن أوقع الاثنين في مرة فهو مخالف لحكمها ، ثم فسر بعض الآيات الأخرى في أحكام الطلاق ثم قال : (وحكم الطلاق مأخوذ من هذه الآيات ، لولاها لم يكن الطلاق من أحكام الشرع ، فلم يجوز لنا إثباته ، مسنونا إلا على هذه الشريطة وهذا الوصف ، وهو كلام جيد لولا قوله (فلم يجوز لنا إثباته مسنونا... إلخ) لأن الآيات والأحاديث لم تدل على طلاق مسنون وطلاق غير مسنون وإنما دلت على طلاق بأوصاف خاصة وشروط معينة أذن به الشارع ، فمن أوقعه على غير هذه الشرائط والأوصاف كان قد تجاوز ما أذن له

المصرى ، في كتابه (نظام الطلاق في الإسلام) مسلك ابن تيمية وابن القيم في ذلك ، حيث يقول (١) :

١ — الزواج عقد بين الزوجين ، وهما طرفا العقد ، والقاعدة العامة في العقود أنها تلزم كل طرف من طرفيها بما التزم به من حقوق في العقد وأنه لا يملك أحد منهما الإخلال بشيء من حقوق التعاقد ، وأنه لا يملك أحدهما فسخ العقد أو إلغائه أو إنهائه وحده ، إلا أن يرضى الطرف الآخر ، وهذا بين بالاستقراء التام لا يحتاج إلى دليل .

٢ — وكان العرب في الجاهلية يتزوجون كما كانوا يتعاقدون بأنواع أخرى من العقود في المعاملة ، وكان العرب أيضا يطلقون الزوجات ما شاءوا من غير قيد ولا حصر ، وجاء الإسلام فأقر كثيرا من عقودهم ومعاملاتهم مع تشريع جديد دقيق ، هذب به طقائهم من طرق التعاقد بينهم ، وأقر فيما أقر عقود الزواج ، وشرط فيها شروطا تهذيبها ، وجعلها مطابقة للعدالة التامة .

٣ — ثم شرع في تهذيب الطلاق ، وهو حل لعقدة النكاح ، يقوم به أحد طرفي العقد وحده ، وكان القياس — أو طبيعة التعاقد يقضى بالأيامك حل هذا التعاقد إلا طرفاه مما ، واقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يشرع لعباده الإذن للرجل بالافتراق بالطلاق دون المرأة ، لما في ذلك من المصلحة الظاهرة

(١) من صفحة ١٤ وما بعدها .

من نوع كذا ، وهكذا من الإيمان التي تجري بين الناس وهم في أسواقهم ومجتمعاتهم دون أن يكون لزواجهم شأن بها .

وكذلك رسم أن يكون الطلاق في طهر لم يمسه فيه ، فإذا طلقها في طهر مسمها فيه ، فإنه يكون لغواً ولا تأثير له على الحياة الزوجية ، وكذلك إذا طلقها في غير طهر ، وهكذا وضع الإسلام للطلاق الذي يقع قيوداً بالنظر إلى لفظه ، وبالنظر إلى أهلية الزوج وبالنظر إلى حالة الزوجة ، وبذلك ضاقت الدائرة التي يقع فيها الطلاق ويكون له تأثير على الحياة الزوجية التي استقرت وأخذت حظها من الوجود . . . ونريد بهذا العرض أمرين : أحدهما أن الطلاق في جميع صورته التي يقع فيها ليس إلا نوعاً من إعطاء فسحة للزوجين يتدبران فيها أمرهما ...

أما ثاني الأمرين فهو تحديد ما يقع به الطلاق وما لا يقع تحديداً بيننا وأضحاً عن طريق الفقه المأثور عن أئمتنا ، وفيه من اليسر ورفع الحرج ما يحقق سماحة الدين ، ويسر الشريعة وسيمجد المصلحون فيه متى حسن النظر والاختيار الوقاية الكافية من ظاهرة كثرة الطلاق التي يزعجهم بعض الناس بحسب ما يذكرون من أرقام — أنها كثرة تهدد حياة الأسر ، وليس للأسر ما يهددها في ظل الفقه الإسلامي الواسع إلا التزمت والجلود على مذاهب معينة ، تتخذنا يلتزم ، وقانوننا يتحكم إليه الناس فيما بينهم .

فيه ، وأتى بعمل لا يملكه إذ لم يؤذن به من الشارع ، فكان لغواً ، فلم يحز لنا إثباته أصلاً إلا على هذه الشريطة ، وبهذا الوصف « اهـ . ومن الذين سلكوا هذا المسلك الفقهاء في شأن الطلاق ، المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، وله في ذلك بحوث جيدة ، طبعت بعنوان « بحوث في التشريع الإسلامي وأسبابه وأسانيده قانون الزواج والطلاق رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ » وقد تكلم فيها عن كثير من مسائل الطلاق مؤيداً هذا الاتجاه .

وكذلك تكلم في هذا الشأن تأييداً لهذا المسلك فضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر السابق ، كما نرى في كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة » وبما قاله في هذا الكتاب (١) :

« وإذن فالطلاق الثلاث في كلمة واحدة ، لا يقع إلا واحدة ، وكما رسم الإسلام في الطلاق التفريق .. وجعل الجمع لغواً لا يقع به شيء — أي فوق الواحدة — كذلك رسم فيه أن يكون منجزاً ، أي موقعاً بالفعل ، ليس معلقاً على شيء يفعل منه أو منها ، كأن يقول إن فعلت كذا ، فأنت طالق ، وكذلك رسم فيه ألا يتخذه يميناً على شيء بفعله أولاً بفعله كأن يقول : هلي الطلاق أن هذه السلعة بكذا ، أو امرأتى طالق إذا لم تكن السلعة

يتبين مما سبق أن الفقهاء في مختلف العصور كان لهم اتجاهان مبعضهما أساسا هو النظر إلى حكم الطلاق في الأصل على أنه هو الحظر أو الإباحة .
وقد ترتب على الاتجاه الأول إلى حد بعيد كل ما يؤدي إلى التضييق في اعتبار صحة الطلاق ونفاذه ، كما ترتب على الاتجاه الثاني إلى حد بعيد أيضا كل ما يؤدي إلى اعتبار صحة الطلاق ووقوعه .
ونقول في كل منهما : « إلى حد بعيد ، لأن كلاما من الاتجاهين لم يقيم على مجرد كون الأصل في الطلاق هو الحظر أو هو الإباحة ولكن على دراسة النصوص الواردة في الكتاب والسنة وشرحها وتفسيرها على ضوء روح التشريع الإسلامي والمصالح التي يرعاها والتطبيق العملي الذي كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من بعدهم .

وإذا أردنا أن نتابع هذا النظام الدقيق الذي وضعه الإسلام للطلاق ، ونتابع التطورات التشريعية التي مرت بأحكامه ومبادئه ، على وجه التفصيل ، فإن ذلك يقتضى منا إعداد مؤلف ضخم ، ولكننا نسكتني بعرض بعض الموضوعات التي دار حولها الخلاف ، واتصل بها التشريع الحديث في قوانين الأحوال الشخصية ، لنبين كيف تناولها البحث وما الذي انتهى إليها الترجيح وقام عليه العمل قضاء وفتوى :
وموعدنا البدء في ذلك هو العدد القادم إن شاء الله تعالى .
محمد محمد المرنى

والتنهي عن الطلاق الذي يخالفها ، وكان تشريع التحكيم بين الزوجين وغير ذلك من كل ما من شأنه تعويق الوصول إلى النهاية المكروهة ، مع محاولة الإصلاح ، واقتلاع أسباب الخلاف ، وكل الفقهاء والمجتهدين متفقون على ذلك ، وإنما الخلاف بينهم في بعض الأحيان فرعى ، أو راجع إلى اجتماع فريق في الوقوف عند الحدود التي رسمها الشارع واعتبار الخروج عنها مبطلا للتصرف واحتياط فريق بالحكم بعدم بقاء حل الاستمتاع وقيام الزوجية ، باعتبار أن الزوج قد استعمل حقا من حقوقه المشروعة وهو مكلف قاصد ، فلا يعطل نفاذ تصرفه وإن كان آثما في فعله .

ولكن على دراسة النصوص الواردة في الكتاب والسنة وشرحها وتفسيرها على ضوء روح التشريع الإسلامي والمصالح التي يرعاها والتطبيق العملي الذي كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من بعدهم .

والواقع أن مجموع ذلك كله قد كون نظاما دقيقا للطلاق يضمن تمكين الزوجين من التريث في شأنه وعدم الإسراع في الوصول إلى مرحلته النهائية التي بها تنفصم هوى الزوجية ، وذلك بإيجاد عدة فرص للتدبر وتقدير الأمر على ضوء المصلحة الحقيقية البعيدة عن التأثير بالمؤثرات الوقعية ، ومن هنا كان تشريع الرجعة في الطلاق مرة بعد مرة ، وكان تشريع الطلاق الموافق للسنة

رسالة الأصول للإمام الشافعي

للأستاذ الفاضل بن عاشور

- ٣ -

المسكية ، مثل ما لغيرها من البيئات الفقهية في الأمصار ، من الخصائص الأصلية والمناهج التحريجية ، ما يعطى الفقه المستقبط فيها مظاهر مختلفة عن الفقه المستقبط في غيرها ، بما يشعر به الفقهاء يومئذ ، من اختلاف طرائق التفقه باختلاف فقهاء الأمصار ، فنشأ الإمام الشافعي بالضرورة على منهج يميّته ، سالكاً مذهبها ، منطبقاً عليها ، حتى يخرج على ذلك المنهج تخرجه الكامل ، فأصبح فقيه مكة ومفتيها ، واشتهرت نسبته إليها حتى قيل فيه « المسكي » وعظم صيته على شبابه ، وعلا نجمه ، وأصبح علم بيته فقيمة : هي البيعة المسكية ، وكان الحرم الآخر وهو المدينة داراً لمنهج فقهي ، وبيته اجتماعية هي التي يقوم عليها مالك بن أنس صاعداً بسلسلتها إلى فقهاء المدينة من الصحابة وخاصة عبد الله بن عمر ، فلم يلبث الشافعي أن نهض بعبد الطريقة المسكية حتى اجتذبت إليه الطريقة المدنية التي كانت رسالتها قد أقيمت إليه في الحرم المسكي بتلقيه الموطأ وروايته وحفظه ، من قبل أن يتصل بمالك ويعرفه ،

في منتصف القرن الثاني من الهجرة تماماً ، سنة ١٥٠ هـ ، لما كان فقه العراق قد بلغ شأوه الأقصى ، واستقرت أصوله على نحو ما أقرها عليه الإمام أبو حنيفة ، رضى الله عنه ، فانتهى دور التأسيس ، وابتدى دور التفريع على يد أصحاب الإمام أبي حنيفة .

وكان الفقه المجازي يشتد نحو غاية كماله ، قد سلك الناس فيه طريق الموطأ الذي شاع ذكره في الآفاق ، وجلب إلى مجلس مالك رواداً ، وأصدر عنه أدلة .

يومئذ استهلكت البلاد الشامية في إقليم فلسطين ، من وليد كريم ، من سلالة قرشية ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي .

ورجع الوليد المغترب ، بعد أن أتم الحولين ، إلى موطن آبائه من بني عبد مناف ببطاح مكة حول المسجد الحرام .

وكان في مكة ، كما في غيرها من الأمصار ، بيئة فقهية تكونت بالنهاة المتسلسلة للفقهاء عن أسلافهم جيلاً لجيل في مكة ، من عهد فقيها في العصر النبوي ، هب الله بن عباس رضى الله عنهما ، وتلك البيئة الفقهية ،

للدنيا وكالعلمانية للبدن ، ، واشتد تلازم
الإمامين الشافعي وابن حنبل في بغداد حتى
يروى أن الشافعي قال في ذلك :

قالوا يزورك أحمد وتزوره
قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زرتَه فلفضله أو زارني
فبفضله فالفضل في الحالتين له

هذه الاتصالات الثلاثة بمالك ومحمد بن الحسن
وأحمد بن حنبل تربينا أن الشافعي ، وإن يكن
بمذهبه أحد أئمة المذاهب الأربعة المقتدى
بهم من جمهور المسلمين ، فإنه كان محور
المذاهب الأربعة جميعها . باتصاله المتين ،
تخرجاً وتخرجياً بأئمتها ، وبما جمع بينه وبينهم
من ود واختصاص ، على الاختلاف
في الأصول والتباين في المذاهب .

وفي ذلك ما يوضح أن الشافعي بمجرد هذه
الصلات ، بله ما تكون له بعدها من صلات
أخرى ، ذات شأن في هذا المقام ، قد كان
على موقف من الاتصال بالمذاهب المختلفة ،
والممارسة للأصول المتباعدة في البيئات الفقهية
المتعددة ، مكنه من أن ينظر ويقارن
ويناقش ، حتى ينتهي إلى ما لا يمكن أن ينتهي
إليه غيره من استنباط أوجه الترابط بين تلك
الأصول ، وشعب التفريق في ما بينها ، فيخاص
من استنباطه ذلك ، إلى طريقة من البحث
تستولد السكليات من الجزئيات ، وتستخرج
القراعد من المسائل ، وتسمو بالمراس العملي

وخرج الشافعي من مكة إلى المدينة فلقى مالكا
وتخرج بفقه تخرجا جديداً ، وروى عنه
الموطأ مباشرة واختصر به ، حتى هد أحد
أصحابه ، وأقام في ملازمته حتى توفي مالك
سنة ١٧٩ ، وبعد هجرة إلى مكة ورحلة
إلى اليمن ، دخل الشافعي إلى بغداد ، فاتصل
بالبيئة الفقهية الثالثة ، التي اتضح نهجها ،
واستقرت أصولها بالإمام أبي حنيفة ، ثم قام
عليها أصحابه من بعده ، وهناك ، في بغداد ،
اتصل الشافعي بالإمام محمد بن الحسن الشيباني
صاحب الإمام أبي حنيفة ، ومدون مذهبه ،
فامتزج كل منهما بالآخر امتزاجاً وثيقاً ،
قرب به الشافعي من مذهب أهل العراق ،
وازداد فيه محمد بن الحسن قرباً من مذاهب
أهل الحجاز ، فنشأت من هذا الامتزاج
السكرام مناظرات عالية ، سما بها الفقه ،
وتحاكت فيها مذاهب أهل النظر ، ومذاهب
أهل الأثر ، ولقد طفحت كتب كل من الإمامين
الشافعي ومحمد بأثر تلك المناظرات .

وهناك في بغداد أيضاً اتصل بالشافعي
شاب فیر من أهل الفقه ، والحديث ، والزهد :
هو الإمام أحمد بن حنبل ، فاختصر أحمد
بالشافعي ، وتخرج عليه ، وفقه به ، وعد
أول تلاميذه ، وأخص أصحابه ، واتصل
بينهما حب الوداد ، موثقاً صلة الأستاذية ،
وحق كان أحمد يقول : د الشافعي كاشمس

وبهذا الاتصال الجديد زاد احتكاك الشافعي بالمذهب المالكي ، في أصوله وفروعه ، كما اتسعت دائرة اختلاطه بالمذاهب بما خلاص إليه من المذهب المصري : مذهب الليث الذي توزع ترائه بينه وبين السابقين إليه . من إخوانه الأقدمين أصحاب مالك .

وعلى رأس القرن الثالث استقر الشافعي بمصر ، وقد صفي في نفسه نظرياته الفقهية ومحورها ، فثبت على شيء . بما كان يقول به في الأدوار السابقة من حياته ، لاسبيا الدور العراقي البغدادي ، ورجع عن أشياء كثيرة من مذاهبه الأولى إلى أقوال جديدة اطمأن إليها في الأربع سنين الأخيرة من حياته التي قضاهها بمصر ، وهناك دون مذهبه الذي أصبح يمثل البيئة الفقهية المصرية ، بعد انقضاء يمثلها الأصلي ، بوفاة الليث بن سعد ، ودروس مذهبه وليس الذي يتصل بموضوعنا من حياة الإمام الشافعي أقواله الفقهية لا العراقية منها ولا المصرية ، ولكن الذي يتصل بموضوعنا من ذلك هو مراسه للذاهب الفقهية المختلفة واحتكاكها بها بما مكن له ميزته البارزة في أنه بسبب ذلك الاحتكاك ، كان أول من تكلم في أصول الفقه وهو الذي استنبط ذلك العلم برسائله التي تعد من روافد الثقافة الإسلامية .

الفاضل بهم هاشور

(تونس)

إلى البرهان النظري ، وتلك هي طريقة وضع العلوم : بجميع جزئياتها العملية ، ووضع القواعد الجامعة لها ، فلقد قرب الشافعي بين المناهج المتباعدة في الفقه ، بمجمعه بينها في نطاق معرفته إلى الحد الذي قال فيه أحمد بن حنبل : « كنا نلعن أصحاب الرأي ، ويلعنوننا ، حتى جاء الشافعي فزج بيننا » .

وفي هذه الاتصالات البغدادية التي قطعت برجمة قصيرة إلى مكة ، أنهى الشافعي عمر القرن الثاني ، وخرج في مستهل القرن الثالث إلى مصر ، وكانت مصر كما كانت المدينة ومكة والعراق ، بيئة فقهية ، لها أصولها الاجتهادية ، وطرائقها الفقهية ، التي تتعش في فقيه مصر وإمامها الليث بن سعد . وكان الليث قد توفي قبل دخول الشافعي مصر ، بخمس سنين .

وقد بدأ فقهه يتضام لما كان يقوله الشافعي نفسه ، في ما ذكر ابن خلكان ، من أن أصحابه لم يقووا به ، وكانت مصر قد أصبحت مركزا ذا بال من مراكز انتشار المذهب المالكي باستقرار طائفة عظيمة من أصحاب مالك هناك وبشهم مذهبه ، وانتصاهم للتفريع على طريقته ، فيهم ابن القاسم وأشهب وابن وهب وعبد الله ابن هبيل الحكم ، وقد اتصلوا كلهم بالليث ابن سعد ، وجمعوا ما أفادوا من علمه وفتنه ، إلى ما أفادوا قبل من علم مالك وفقهه .

نَفَاحَةُ الْقُرْآنِ

تفاوت المنازل عند الله

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

- (أ) د والعابقون الاولون : من المهاجرين ، والانصار ، والذين اتبعوهم بإحسان . آية ١٠٠ توبة
(ب) د ومن حولكم من الأهراب منافقون ، ومن أهل المدينة ، آية ١٠١ توبة
(ج) د وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، آية ١٠٢ توبة

فهذه طبقات ثلاث ... هي مجموع الاخبار من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم .

١ - طبقة أولى : سبقت إلى الإيمان من مطلع صبحه ، ثم إلى الهجرة نحو المدينة بعد هجرات إلى الحبشة ، يوم كان الكفار ذوى بطش على المؤمنين ، وكانوا يحاولون مجبروتهم أن يحاصروهم في مكة ، يستذلوم بها ، ولا يمكنونهم من تكشيم سوادهم ، وتكوين جماعتهم بعيدين عن حوزة قریش .

وقد تجعل بوصف الهجرة من خرج إلى المدينة ، قبل النبي مستأذناً ، أو بعد هجرته - عليه السلام - ... وتعتبر الهجرة شرعاً منذ بدايتها قبيل خروج النبي ... أى منذ بايعه أهل المدينة دثانياً ، عند العقبة سنة

هذا مقام من مقامات الدعوة إلى جانب الله ، والتوجيه إلى خير المسالك في الدنيا .. وأنت لا ترى في هذا السياق أمراً ، ولا نهياً ، بل فيه قصص حق عن صنيع الله بشأن عباده الاولين ، والآخريين . وربما كان القصص أقوى تأثيراً في النفس ، وأشد إيقاظاً للوعى ؛ لأنه حكاية لما نفذ به القضاء في شأن من سلف ، ومن خلف ، وفيه أن هذه عدالة الله في خلقه ، سيقت فيهم أزلاً ، وهي جارية عليهم أبداً . فلتكن لنا عبرة من هذا الواقع ... والسعيد من وهظ بغيره .

(١)

د والسابقون الاولون : من المهاجرين ، والانصار ، والذين اتبعوهم بإحسان .

وهؤلاء هم الذين أضنى عليهم ربهم لقب
الأنصار. فكان امتدادهم بذلك مكافئاً لامتداد
الطبقة الأولى: بالمهاجرين، وصارذ كرم جميعاً
عرفاً مشهوراً ومشهوداً بالمهاجرين والأنصار.

هاتان الطبقتان هم الذين ربط بينهم
الإسلام برباطه الوثيق، وامتزج بأرواحهم
ودماهم على السواء، غملوا رأيتهم،
وجاهدوا في سبيله، ثم يابعوا النبي تحت
الشجرة عام الحديبية، ومهدوا بهذه البسالة
لفتح مكة بعد.

ولقد سجل الله فضلهم هذا، فوصفهم جميعاً
بالإيمان، وأثبت لهم كريم هذه بالرضوان،
فقال: «لقد رضى عن المؤمنين، إذ
يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم
فأنزل السكينة عليهم، وأثابهم فتحاً قريباً».

٣ — وطبقة ثالثة، لم يكونوا مهاجرين،
ولا أنصار، ولكنهم كانوا على تمام القدوة
بهؤلاء في طريق العقيدة، وصلاح العمل،
والتميزه عن لومة الغفاق حتى شهد الله بقوله:
«والذين اتبعوهم بإحسان، ثم أضنى عليهم
جميعاً فضلاً يسعهم، ورفع منزلتهم عنده
إلى قصة المنازل بعد مقام النبوة رضى الله
عنهم بالجزاء الكريم - ورضوا عنه بالقبطة
لما منحهم، والشكر على ما هداهم - وأعد
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين

اثني عشرة من البعثة، إلى فتح مكة في السنة
الثامنة بعد هجرته عليه السلام.

أما ما بعد فتح مكة فلا تعتبر هجرة؛ لأن
السكفار لم يعد لهم بأس في أم القرى،
وأصبحت الشوكة للمسلمين فيها، فلا حاجة
إلى انصرافهم عنها، وهم الآن في بيئة
إسلامية... ولذلك يقول النبي - صلى الله
عليه وسلم - لا هجرة بعد الفتح، ولكن
جهاد، وعمل.

هؤلاء المهاجرون هم الذين جاهدوا
بأموالهم وأنفسهم في اعتناق الإسلام، وفي
نصرته وهم الذين يشيد بهم القرآن في كثير
من آياته، وهم الصحابة الخالصاء، ومنهم
الخلفاء الراشدون ومنهم المبشرون بالجنة.

٢ — وطبقة ثانية من أولئك التابعين
إلى الاستجابة للدعوة... وهم أبناء المدينة
الذين وفدوا على مكة في موسم الحج، والتقى
بهم النبي، وبلغهم رسالته، وتلا عليهم
قرآناً، وصدقوه، ثم بلغوا قومهم بالمدينة،
وعادوا إليه في كثرة من الرجال بلغت سبعين
وجلاً، وفيهم أسرا تان فأسلوا جميعاً وبايعوه
على الفصرة وافقاده بالتضحيات التي يفتدون
بها أنفسهم وأهليهم، بل بما هو أهر
عليهم من كل ذلك إن كان، ثم كان من
ورائهم في الإسلام أهل المدينة من الأوس،
والخزرج.

(ب)

٤ — ذكر القرآن في مقابلة السابقين
الاولين طائفة أخرى على النقيض مما عرفنا .
فقال تعالى : « ومن حولكم من الأعراب
منافقون ، ومن أهل المدينة » .

يعنى أن هناك منافقين ينتشرون في البوادي
من الأعراب الجفاة ، وفي المدينة نفسها من
أهل الحضر ، وهؤلاء مردوا على النفاق ،
منذ ظهر الإسلام بجانبهم ، وصار نفاقهم
متغلخلا في طبائعهم ، ومسالكهم حتى لم يعد
ميسوراً للنبي — صلى الله عليه وسلم — أن
يعلم شأنهم ، كما يعلم شأن منافقين آخرين ،
ولمّا يعلم الله شأن هؤلاء المفرقين في النفاق
المتأصل فيهم .

والله — سبحانه — لا يدهمهم دون ابتلاء
بالنقم . . فهم في هم ناصب ، يساورهم دائماً
من خوف الفضيحة لهم ، وخوف ما يلاحقهم
من مهانات لو تكشف حالهم بين المسلمين .

وهذا الهم عذاب في الدنيا ، ويتصل به
هوانهم عند الموت حينما تضرب الملائكة
وجوههم ، وأدبارهم ويدفعون بأرواحهم
إلى عذاب الآخرة في جهنم ، وبئس المصير .

وهذا نفاق في الدين : عرف سابقاً عن
قوم لم يتجهوا نحو الاهتمام بدعوة الرسول
وما تزال الدنيا مشغولة بمثل هذا ، وبغيره

فيها ، وذلك الفوز العظيم ، فهنا تزكية من
الله للسابقين ، ولمن تابعهم بإحسان في الدين
والعمل .

وبهذه التزكية رفع الله شأن أصحاب محمد ،
ولم يعد هناك مسامحة لتجاهل فضلهم ،
أو التشكيك في مقامهم عند الله ، ولا في
سهرتهم يوم كانوا ، فضلاً عما يحفل به كتاب
الله من الثناء والتنويه . . . وليس على الله
حرج في أن يرفع شأن عبده إلى حيث يشاء .

ولا ينقص هذا القدر ، ولا يغض من إيماننا
به أن المنافقين ملئوا دنياهم بالغمز فيمن
زكاهم الله ، وكذلك لا ينقص من هذا القدر
ولا يغض من إيماننا به أن طوائف أخرى
صحبت عن هذا الحق الأبلج ، واصطنعت
لنفسها عصبية ضالة ، فأنتكرت هذا الفضل ،
أو كثيرا منه على جماعة من السابقين الأولين .

وما ينبغي لمن يزعم الإسلام أن يقحم نفسه
في هذا المضمار الرهيب ، ويحسب أنه فيصل
في حكمه الجائر بين صحابة محمد ، وهم الذين
تكفل الله باثناء عليهم في كتابه ، وعلى
لسان رسوله الصادق ، المصدوق .

فلنترك هؤلاء المتشبعين في تورطهم للعصبية
المتطفلة ، وانحصر على توجيه القرآن نحو
القدوة بأولئك السابقين الأولين ، لنسكون
عن تبعهم بإحسان ، وعنى أن يتسع لنا فضل
الله معهم فيما أعد لهم هذه من الفوز العظيم .

واقه يقول في هؤلاء د وآخرون اعترفوا
بذنوبهم ، خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر سيئاً ،
فهؤلاء بين صلاح ، وصلاح .. وهم على أهبة
النجاح ، أو الخسار ، والبوار .

والله — سبحانه — يطعمهم في عفوه ،
فقد يتوبون ، ويقبل الله توبتهم ، والله تعالى
غفور رحيم ، وهو يفرح بتوبة عبده ، ويحب
أن يفسح له فضلاً بالإجابة إلى الله ، وليس له
حاجة في تعذيب عبده ، وإنما هي عدالة
تجرى على من أراود لنفسه سوءا ..

وهذا القدر كله جانب من القصص الواقعية
قبل أن تضيق الفرصة بالموت المفاجيء .
هـ هـير اللطيف السبكي

من ألوان النفاق الباهتة ، وما يزال الناس
يحمسون بهذه الخسائس شائعة فيهم .. حتى
في المثقفين الذين يميزون بين الخبيث والطيب
تراهم يعيرون النفاق ، وأكثرهم مغمور به ،
أو مغموس فيه .

وإذا كان الحديث عن النفاق شغل جانباً
فسيحاً في سياق القرآن فالمسلم بحاجة إلى تطهير
نفسه من تلك الشوائب ، والابتعاد عن سخط الله
جاهداً ما استطاع ، فإن ينفع المرء منا مجرد
إسلامه مع تلوثه بلوثة النفاق في قوله أو في عمله .

(جـ -)

هـ - ولدينا طائفة ثالثة ، تعتبر دون الأولى ،
وخير آمن الثانية . وهي طائفة مسلمة ، ولكنها
في قصور عن القدوة ، والحق بالاولين .

وصية عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده

قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده :

« ليسكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني لإصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ،
فالحسن عندهم ما استحسنتم ، والقبیح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم كتاب الله ،
ولا تسكرهم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيمجرّوه ، ثم روم من الشعر أعفه ، ومن
الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع
مضلة للفهم ، وتهديم بني ، وأدبهم دوني ، وكلهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل
معرفة الداء ، وجنهم محادثة النساء ، وروم سير الحكاء ، واستزدني بزيادتك أيام
أزدم ، وإياك أن تسكن على عذر مني لك ، فقد اتسكت على كفاية منك ، وزد في تأديهم
أزدك في برى إن شاء الله تعالى . »

موقف الإسلام من نظامي التبني والاعتراف بالولد

للاستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

يقصد بالتبني أن يتخذ الإنسان فرداً غير منجدر من صلبه ولداً له ، فيعامل هذا الغريب معاملة أولاده أمام القانون والمجتمع وينعم بحقوقهم ، وتقع عليه أعباؤهم وواجباتهم .

وقد عمل بهذا النظام كثير من الأمم في العصور القديمة والوسطى بشروط وأوضاع تختلف باختلاف الأمم التي أخذت به ، وكان العرب في الجاهلية يطبقونه في نطاق واسع ؛

حتى لقد كان يندر أن يوجد من بين سرااتهم وأوساطهم من ليس له ولد أو أولاد بطريق التبني . ولقد تبني الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه قبل رسالته - جرياً - على عادة العرب زيد بن حارثة مع أنه كان حينئذ معروف الأب والام (فأبوه حارثة ابن شراحيل كما في دأسد الغابة ، أو ابن شرحبيل كما في حيرة ابن هشام ، وينتهي نسبه إلى بكر وأمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن) . وأصل قصته أن أمه كانت قد خرجت به وهو طفل لم يتجاوز الثامنة من عمره لزيارة قومها بني معن فأغارت عليها خيل بني القين بن جسر وسبوا ابنها وباعوه

في سوق عكاظ بيع الرقيق لحكيم بن حزام ، وكان السبي رافداً من روافد الرق في الجاهلية ، ووهبه حكيم لعمته خديجة ، ثم وهبته خديجة لزوجها محمد بن عبد الله ، فأعتقه وتبناه قبل رسالته . ولذلك كان يدهى زيد بن محمد ، ثم زوجته بعد الإسلام بنت عمته (بنت عمه الرسول عليه السلام) زينب بنت جحش (فإن أمها أميمة بنت عبدالمطلب عمه الرسول عليه السلام) .

ولا يخفى ما يؤدي إليه نظام التبني من اختلاط في الأنساب ، وتوهين لحرمة القرابة ، وإضعاف لوشائج الدم ، وإفساد لمقومات الأسرة ، وإثارة لموامل الفتنة والضعيفة ، وإضرار لنار الحقائق والنزاع بين العشائر والأمرات .

ولذلك حرمه الإسلام تحريماً قاطعاً ، وأنكره القرآن في عبارات قوية تم على شدة تعارضه مع الدعائم السليمة التي ينبغي أن يقوم عليها نظام الأسرة الإنسانية . وفي هذا يقول الله تعالى : وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ... وما جعل أدهيائكم أبناءكم ، ذلكم قولاكم بأفواهكم ، والله يقول

تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناهما ؛ لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، (وعبرة « قضى زيد منها وطرا ، الواردة في الآية هي كفاية عن طلاقه إياها) . ويقول في آية المحرمات مؤكدا هذا المعنى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم ... وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، . أى أن الأبناء الذين يحرم على الآباء الزواج بمطلقاتهم أو بمن توفوا عنهم هم الذين يجهشون من أصلابهم لا الذين يجهشون عن طريق الادعاء والتبني الذى ألغاه الإسلام .

هذا ، ويلاحظ أن ثمة فرقا جوهريا بين « التبني » الذى نتحدث عنه ود الإقرار بالآبوة ، الذى يعتمد على الفقه الإسلامى ويعتبره دليلا على ثبوت الآبوة للبقر والبنوة للبقر له . وذلك أن « الإقرار بالآبوة » معناه أن يعترف شخص بأبوة لشخص آخر أى بأن هذا الشخص الآخر قد جاء من صلبه . ففى هذه الحالة تثبت القرابة بينهما على الوجه الذى أقرب به ويترتب عليها ما يرتبه الشرع على هذه القرابة من حقوق وواجبات ، على شرط ألا يقوم دليل على بطلان إقراره ، ولا يلقى اعتراضا من المقر له ولا من غيره ، وأن يكون الفرق بين سفيهما يجعل أبوة المقر للبقر له ممكنة من الناحية الطبيعية

الحق وهو يهدى السبيل . ادعهم لآبائهم هو أفسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم فى الدين ومواليكم ، ، ، ه من سورة الأحزاب ، والمقصود بالادعاء فى الآية الذين كان الناس يتخذونهم أولادا بطريق التبني) .

ولحرص الإسلام على القضاء على هذا النظام وإزالة جميع آثاره ، وقوة تأصله فى نفوس العرب ، لم يكتف بإلغائه بالقول بل رأى أن يحوه كذلك بطريق عملى وبفعل الرسول نفسه ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن يتزوج مطلقة زيد بن حارثة الذى كان قد تبناه قبل الرسالة (وهى زينب بنت جحش) ليبين للناس بطريق عملى أنه لا تبني فى الإسلام ، وأن الدين الجديد قد قضى على هذه القرابة المصطنعة وحل جميع آثارها ، وأحل ما كانت تحرمه ، ومن ذلك زواج الرجل بمطلقة من تبناه .

وذلك أن العرب فى الجاهلية ، لإنزالهم لدى منزلة الابن من جميع الوجوه ، كانوا يهرمون على من تبناه أن يتزوج بمطلقة وبمن توفى عنها ، كما يحرم على الأب الزواج بمطلقة ابنة من صلبه وبمن توفى ابنة عنها . فجاء زواج الرسول عليه السلام بمطلقة زيد تقريرا عمليا لإلغاء هذا النظام وما كان يترتب عليه . وفى هذا يقول الله

المدنية ، مالا يمكن أن يتحقق لأمثالهم بدون هذا الإجراء .

* * *

وأما نظام الاعتراف بالولد ، فيقتضى ألا يلتحق نسب الولد بأبيه الشرعى إلا إذا اعترف به اعترافا صريحا ورضى أن يلتحق نسبه به . وكان هذا النظام سائدا عند كثير من الأمم في العصور القديمة والوسطى فعند قدماء الرومان مثلا كان إذا ولد لعميد الأسرة أولاد أبنائه ولد من زوجه الشرعية وجب تقديمه للعميد ، وذلك بأن يوضع على عتبة حجرته ، فإن قام وضمه إلى صدره كان ذلك اعترافا منه ببنته ، وإذا تركه ملقى على العتبة اعتبر أجنبيا عنه وعن أسرته ، وكذلك كان شأن العرب في الجاهلية ، فكانت البقرة في كثير من عشائهم لا تثبى لمن يحى من الزوجة الشرعية إلا باعتراف صريح من الأب .

ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا النظام من استهانة بمحرمة الزواج ، واستخفاف بميثاقه ، واستبداد بشئون الأسرة ، وإخضاعها لأهواء الأزواج ونزواتهم ، ونيل من كرامة الزوجات ، وتمريض الأولاد للضياع ، وحرمانهم من أعز حقوق الإنسان وألزمها للحياة وتفرقة ظالمة بين الإخوة والأخوات

أو كما يقول الفقهاء ، أن يكون ممن يولد مثله لمثله ، وأن يكون المقر له غير معروف له نسب آخر (انظر بدائع الصنائع للكاساني الجزء السادس صفحة ١٩٨ وتوابها والسابع ص ٢٢٨ وتوابها) . على حين أن التبنى معناه أن يتخذ الإنسان فردا غير منحدر من صلبه ولدا له مع اعترافه بأنه غير منحدر من صلبه . ويذل الإسلام وسائل الإقرار بالأبوة في حالة اللقيط بوجه خاص ، فيقرر أن نسبه يلتحق بمن التقطه إذا أقر بأبوته له أى اعترف أنه ولده جاء من صلبه ، أو يلتحق بأى شخص آخر يعترف بذلك إذا لم يدعه الملتقط نفسه (وإذا اعترف ببنته الملتقط وشخص آخر غيره فإن الملتقط يكون أولى به) وذلك على شرط أن يكون اللقيط غير معروف النسب ، وأن يكون ممن يولد مثله لمثل من اعترف بأبوته له .

فيصح اللقيط بعد هذا الاعتراف من أولاد المعترف ويعامل معاملتهم من جميع الوجوه — ويلحق باللقيط كل شخص غير معروف النسب ، فإن الإسلام يذل كذلك وسائل الاعتراف ببنته ، ويقرها بالشروط السابق بيانها . وقد قصد الإسلام بذلك أن يشجع الناس على حماية اللقطاء ويجبولى النسب وأن يحقق لمولود وأولئك من رعاية الأسرة وألفة القرابة والتنشئة الصالحة ، والحقوق

إجراءاتها وصيغتها في أول سورة النور .
(آيات ٦ - ٩ من سورة النور) فيطلب إليه
أن يقسم أربعة أيمان يقول في كل يمين منها
« أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما رميتها به ،
ويقول في الخامسة « لعنة الله عليه إن كان
من الكاذبين فيما رماها به » ، ثم تشهد المرأة
بعده على نفسها أربع مرات كذلك تقول
في كل مرة منها : « أشهد بالله أنه لمن الكاذبين
فيما رماي به » ، وتقول في الخامسة « غضب الله
عليها إن كان من الصادقين » ، وبعد أن يحلف
كلاهما هذه الأيمان المغلظة ، وتجري بينهما
الملاعنة على هذا الوجه ، يفرق القاضي بينهما
ويعتبر الولد الذي أجريت بسببه هذه
الخصومة أجنبيا عن الزوج ويلحق بأمه
وحدها .

وإن تأملا يسيرا في هذا الإجراء ،
وما يحيط به من مراسم وطقوس ، وفي صيغ
الإيمان المغلظة التي يحلفها الزوج ، وتكرارها
عدة مرات ، إن تأملا يسيرا في كل هذا
لكاف في الدلالة على أن الإسلام ينظر
إلى هذه الحالة على أنها حالة استثنائية شاذة
لا يجوز للزوج أن يلجأ إليها إلا عند الضرورة
القصوى حينما يقوم لديه الدليل القاطع على
صدق دعواه ، ومن ثم يمكن اعتبار هذا
الإجراء نفسه من بعض وجوهه وسيلة لحماية

وزلولة عفيفة لدعائم النظام العائلي ومقوماته
على العموم .

ولذلك حارب الإسلام هذا النظام في جميع
مظاهره ، ولم يأل جهداً في القضاء عليه ،
وقرر أن « الولد للفراش » ، (وهذا نص
حديث نبوي شريف) ، أي أن من يجيء
من الأولاد ثمرة لفراش شرعى يلتحق نسله
بالزوج من غير حاجة إلى اعترافه به اعترافاً
صرحاً ، وأخذت الشريعة الإسلامية بهذا
المبدأ حتى في الحالات التي يبسند فيها تعذر
اتصال الزوج بزوجه ، كما إذا عقد مشرقى على
مغربية ، وظل كل منهما مقبلاً في بلده ، ولم
يعرف بين الناس اتصاله بها ، ثم جاءت
الزوجة بولد ، فإنه يثبت نسبه من الزوج
بدون حاجة إلى اعترافه به اعترافاً صريحاً .
(انظر بدائع الصنائع للكاساني ، الجزء
الثاني ص ٣٣٢) .

ولم تستثن الشريعة الإسلامية من ذلك
إلا حالتين :

(الحالة الأولى) : إذا ثبت لدى الزوج
أن زوجته قد خانت أمانته وهلقت من غيره
أو جاءت بولد من غيره ، ووجه إليها هذا
الاتهام صراحة ، ورفعت الزوجة أمرها
للقضاء اقتدافاً لإيائها ، أو رفع هو أمره للقضاء
ولم يكن له شهود على ادعائه ، ففي هذه الحالة
يجرى القاضي بينهما « الملاعنة » المبينة

آية ٣٢ من سورة النور . والفعل في الآية من الرباعي أى زوجهم . ويقول : د ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيما نكح من قتيانكم المؤمنات ، واهه أحلم بإيمانكم بعضكم من بعض ، فأنكحوهن بإذن أهلن وآتوهن أجورهن بالمعروف آية ٢٥ من سورة النساء . والمراد بأهلن في الآية أسيادهن) :

فكان من العدالة إذن ألا يلتحق نسب ولدها به إلا بأدعائه أى باعترافه اعترافا صريحا بمعاشرته إياها وبأن الولد من صلبه وقد كان السيد ملزما ديانه ، أى فيما بينه وبين ربه ، أن يعترف بالولد الذى يجىء من معاشرته لجاريته . هل أنه إذا اعترف مرة بولدها فإن من تجبىء به بعد ذلك يثبت نسبه منه بدون حاجة إلى اعترافه به اعترافا صريحا لأن الاعتراف الأول يعد دليلا على أنه قد اختار هذه الجارية لغراشه . هذا إلى أن ما ذكرناه هو مذهب أبى حنيفة ؛ وفي مذاهب أخرى لا يشترط الاعتراف الصريح في المرة الأولى ، وإنما يكفي أن يكون السيد قد اتخذها فراشا له وسكت من الولد الذى جاءت به .

وكتور على هيم الوامر وافي

الانساب من الاختلاط وتخليصها من شوائب الريبة .

هذا إلى أن الإسلام قد أعطى الزوجة في هذه الحالة فرصة لتبرئة نفسها إن كانت تعتقد براءتها ، ولتنكذب زوجها فيما اتهمها به ، ودور العقوبة هنا ، وذلك بأن تقسم الأيمان الخمسة المبيغة فيما سبق ، فيقضى الأمر في نتائج العملية إلى اعتبار كل منهما صادقا فيما يتعلق بمسئولياته والتزاماته : فلا يلحق الولد بالزوج ، ولكن لا تعد الزوجة آثمة ولا توقع عليها عقوبة ما .

(والحالة الثانية) هي حالة الولد الذى تجبىء به الجارية غير المتزوجة في بيت سيدها ، فإن نسب هذا الولد لا يلحق بسيدها إلا إذا اعترف به اعترافا صريحا ، والسبب في ذلك أن صلة الجارية بمولاهما ليست صلة زوجة بزوجها ، بل صلة بمملوكه بمالكها ، وأن هذه الصلة ليست قائمة على ميثاق وتعاقد بل قائمة على ملك البعين ، وأنه ليس مفروضا دائما أن يعاشر السيد جاريته ويستمتع بها كما هو شأنه حيال زوجته ، بل يجوز له ذلك ويجوز له أن يقصرها على شئون الخدمة والعمل ، ويجوز له أن يزوجهما لرفيق مثلها أو لحر .

(وفي هذا يقول الله تعالى : د وأنكحوا الأيماى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ،

صدقة الفكرة بين شلتوت والرسالة

للأستاذ محمد رجب البيومي

الرسالة لا تنفك تذكر الأزهر في معرض الإصلاح والنهضة ، وما الأزهر في رأى أكثر الناس إلا متحف آثار ومقبرة أفكار وطلل مذاهب ، وقولى فيما تقول : إن الشرق لا ينهض إلا بالدين وأن الدين لا ينهض إلا بالأزهر وأريد الأزهر الجديد الذى يضع لثقافة الشعب أساساً من الدين يقوى بقوة الله ، ويثبت بثبوت الحق ، ويدوم بدوام الدنيا ثم يقيم عليه من القواعد والنظم والأوضاع ما يقره العقل ويؤيده العلم ، ويتقبله العصر ، الرسالة (٤٤٤) . وهذا الكلام الواضح تحديد مركزها لتبغى الرسالة من دعوتها الأزهرية ، وهو يؤكد ما ذكره الدكتور البهى من انتهاء هذه الدعوة إلى مدرسة الإمام ، وسنحدث الآن عن دور الأستاذ شلتوت فى الإصلاح الأزهرى على صفحات الرسالة ، لنعرف كيف جمعت صدقة الفكرة المخلصة بين إمام كبير هو الشيخ الراحل وكاتب هادف هو الأستاذ الزيات !!

كانت الرسالة فى مبدأ حياتها متبرمة بمحمود شيخ الأزهر وعفاده ، فلما تهيأ الأمر للأستاذ المراعى استقبلته فرحة مسرورة ، ونشرت صورته مع ترجمة موجزة لحياته ،

يقول الدكتور البهى وزير الأوقاف السابق فى خطاب للأستاذ الزيات نشر بمجلة الأزهر جمادى الآخرة سنة ٨٣ : « وإن مدرسة الرسالة لتمثل فى تاريخنا المعاصر تجديداً أدبياً فكرياً وروحياً قومياً تلمس جذوره وأصوله فى مدرسة الأستاذ الإمام . »

وهذه العبارة الموجزة تحدد لنا سر الصداقة العميقة التى نشأت بين الرسالة ، وزعماء الإصلاح الدينى فى مصر ، بل تفسر لنا سر الاهتمام المخلص المشاير بالأزهر على صفحات الرسالة حيث لا يكاد يخلو مجلد من مجلداتها الأربعين من نقاش متصل متتابع يدور حول الأزهر ، يبدؤه الزيات ثم تنفرج شفته إلى أبعاد مترامية ، حتى نشأ بين كتاب الرسالة رهط يصدق أن نسميه رهط الإصلاح الأزهرى ، وفى مقدمته الأساتذة محمود شلتوت ومحمد البهى ومحمد المدنى ومحمود الشرقاوى ومحمد يوسف موسى من رجال الأزهر ، عدا الآخرين من غير أبنائه وكثير ما هم ! وقد تحدث الأستاذ الزيات عن سر هذا الاهتمام البالغ بالإصلاح الأزهرى فقال : لعلك تقول لنفسك ما بال

الوئام في الداخل حالت بين الشيخ وبين ما يريد ، الرسالة (٦٣٤) .

لذلك كله نرى الرسالة تتجه إلى الأستاذ شلتوت ، وتدفع به مع جماعة الشيخ عبدالمجيد سليم إلى أداء الدور الهام في معركة الإصلاح وإن الأستاذ الزيات ليعلم ذلك صريحا حين يقول بالعدد ٤٠٦ ص ٥٣٣ ما نصه : « نعتقد الرسالة أن الأستاذ شلتوت لسان صادق من ألسنة الإصلاح الديني في هذا العصر فإذا أيد الرسالة في دعوتها الإصلاحية بقلبه ولسانه كسبت منه ما كسبته الدعوة الكبرى من عمره ، ومنفذ هذه الكلمة والأستاذ شلتوت يتسنى مكانه في أوج الرسالة والزيات يتابع جهوده الإصلاحية بالتزكية والتعضيد وكان يجهد لمقالاته الأولى بالرسالة تمهيدا للصديق المؤيد ، على قلة احتفاء الزيات بتقديم الكاتبين ، مما ربط بين شلتوت وصاحبه بأقوى رباط في معركة الإصلاح والتجديد ! ومن العمل الميسور لمن يريد أن يؤرخ كفاح شلتوت في نهضة الأزهر أن يرجع إلى أعداد الرسالة ، فقد سائرته في دعوته مسيرة نشيطة ، وقسمت صفحاتها لمن يحللون مواقفه ، ويباركون حركته ، والحق أن الأستاذ محمد المديني كان في طليعة هؤلاء وقد حماسه ، وإذ كان غيرة ، إذ كان العضد الأول للشيخ في دعوته يبسطها على صفحات الرسالة شارحا ، ويهاجم خصومها ناقدا ، مما تسجله له حركة الإصلاح بإعجاب وتقدير .

وما زالت توليه المودة والتقدير ، ونخصه بكتابة اقتراحات الأعداد الهجرية الممتازة واثقة أنه سيواصل جهوده في معركة الإصلاح ، إذ أن المراسي في رأى الزيات إذ ذاك ، إمام هذا العصر بأعداد من الله تعالى في فهمه الدقيق لرسالة دينه وإدراكه الصحيح لحاجة عصره وعلبه الراسخ بطبيعة قومه ، وملكته السليمة في أدب لفته وأفقه الرحيب لاقران المشكلات الاجتماعية فيه تحت ضوء من الفكر الثاقب يبدد عنها ظلام الإشكال فترجع إلى طريقها الواضح من الدنيا أو الدين ، الرسالة (٣٥٦) .

وقد دافعت عنه بحاراة حين قدم بعض المغرضين عريضة شاكية إلى الدوائر المستولة ، فكتب الأستاذ ابن عبد الملك بالعدد ٢٩٥ كلمة تؤيد الرجل في مهب العاصفة وكان المظنون بالشيخ أن يعضى بالإصلاح إلى وجهته ولكن أمورا شائكة اهترسته وقد تحدث عنها الأستاذ الزيات في معناه إذ قال :

« وكان الظن بالفقيد الكريم وقد ورث أكثر خصائص الأستاذ الإمام أن يؤدي رسالة الإصلاح على الوجه الذي يرتضيه العلم ، ويقتضيه العصر ، ويرتجيه الناس ولكن الأسباب المعوقة من مهادنة السياسة وممانعة المعارضة ، ومماطلة الحسزم ، واضطراب السلام في الخارج ، وانقطاع

لدى المسئولين ، نرى بعض من يحرفون الكلام عن مواضعه يفسرون اقتراح الأستاذ شلتوت بأنه مهاجمة للشيخ المراغى ، وتدور الدسائس المغرضة مداراً يدعو الشيخ الأكبر إلى الإغضاء عنه فلا يمدد الأسباب لتنفيذه على ضرورته الملحة وخطره الكبير .

وكان من أثر مقالات الرسالة المتتابعة ، وجهود جماعة الشيخ عبد المجيد سليم على صفحاتها ما أوجم الأستاذ المراغى بأن الزيات يشير عليه الشوائب ، وبخاصة حين ظهرت الرسالة تحمل مذكرة شهيرة كان الإمام المراغى قد أهداها أثناء ولايته الأولى على الأزهر بسط بها وجوه الإصلاح كما يرثيها .

ثم تولى الأمر بعد ذلك ففسى ما اقترح أو تناساه ، وقد مهد لها الأستاذ الزيات بمقدمة جريئة قال فيها الرسالة ١٢٤ « دو الأستاذ المراغى قد وضع هذه المذكرة لتكون برنامجاً في سياسة الأزهر ثم أقرتها الحكومة وارتضتها الأمة فلم يبق عليه إلا أن ينفذ ما وضع ، ويطبق ما شرح ، ولكن أزهري المراغى لا يزال كأزهر الطواهي يغير في الشكل ولا يغير في الموضوع ، ويستعير هيكل الجامعة الحديثة ، ويحفظ بروح الجامع القديم فهل يستطيع كاتب من الكتاب أن يبين الحوائل ويشرح الأسباب ؟

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة

فإن فساد الرأى أن تترددا

لقد تقدم الأستاذ شلتوت باقتراح إلى هيئة كبار العلماء بجلته الرسالة بالعدد (٤٣٧) وهو يدعو إلى إنشاء مكتب على دائم للجماعة تكون مهمته ما يأتي :

(أ) معرفة ما تهاجم به الأديان عامة والدين الإسلامى بخاصة في عصرنا الحاضر مع الرد عليه .

(ب) بحث ما يحصل فيه الاختلاف بين علماء العصر من جهة أنه بدعة يجب تركها أو ليس كذلك ووضع الأصول الكيفية بتمييز ما هو بدعة مما ليس بدعة .

(ج) العمل على وضع مؤلف يحتوى على بيان ما في كتب التفسير المتداولة من الإسراءيات التي دس على التفسير وأخذها الناس على أنها من معاني القرآن .

(د) بحث المعاملات التي جددت وتجدد في العصر الحاضر من جهة حكم الشريعة فيها .

(هـ) تنظيم طرق الوعظ والإرشاد والاتصال بالهيئات المعدة لذلك .

(و) إحياء الكتب النافعة في مختلف العلوم والإشراف على مجلة الأزهر وإصدار الفتاوى في ما يطلب من الاستفتاءات .

هذا ملخص الاقتراح ، وقد بسطته الأقسام بالرسالة بسطاً واضحاً ، حتى كتب عنه الأستاذ المدنى كلبتين مسميتين والأستاذ السبكي مقالا جيداً ، وأشار الزيات إلى جسدوا في مقال افتتاحي ، وبدل أن يكون لذلك تأثيره النفاذ

ومن ذلك الحين والرسالة سافرة الخطأ
تحتضن أنصار الإصلاح ، وتقيم بينهم علائق
المودة على نهج واضح ومذهب مبين ، فلا
غرو أن وقفت مع شلتوت وجماعته لا تحيداً
لقد كان أبرز مواقف الأستاذ شلتوت في
هذه الحقبة المجاهدة ، محاضرته الشهيرة عن
السياسة التوجيهية العلمية في الأزهر ، إذ
كانت ثورة قوية على تردد الأستاذ الأكبر
في تنفيذ برنامجه الإصلاحى وقد احتشد لها
من السامعين صفوة ممتازة يحملون مراکز
هامة في الدولة من الأزهرين وغيرهم وفي
مقدمتهم وكيل الأزهر ومفتى الديار المصرية
وكان المحاضر الثائر يقاطع بالتصفيق الحساد
والهتاف المسدوى كما ذكر الأستاذ المدنى
بالرسالة (٥١٢) إذ قال : ولما انتهى منها
هنا فضيلة الأستاذ الكبير مفتى الديار المصرية
وعاقبه فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر
مقبلاً بين عينيه على ملاء من الناس أجمعين ،
وهلا التصفيق والهتاف لهذا المظهر الرائع
وأبى الطلاب إلا أن يحملوا فضيلة المحاضر
على أعناقهم إلى فناء الكلية ، فتم لهم ما أرادوا
وكان يوماً في الأزهر عظيماً !

ولم نحاول أن نقرب للناس ولا لأنفسنا
هذه الكتب ، ولم نحاول أن نأخذ النافع
منها لنعرضه عرضاً يروج عند أهل العصر .
ولم نزل نتفق أوقاتنا في المناقشة اللفظية
وفي خدمة نصوص المتون وعبارات
المؤلفين ، ونحن لا نقرأ من المقررات إلا نسباً
ضئيلة تافهة لا تكون ملكة ولا تعد تحصيلاً .
وإن العامل الذى وقف بالأزهر هذا
الموقف لا يرجع إلى الطلاب ولا إلى الأساتذة
ولا إلى المناهج وإنما يرجع إلى أن الإصلاح
لم ينفذ بالروح التى وضع بها ، ولم يتعهد حتى
يؤتى ثماره وإلى أن تحدث هذه الخطوة
الجريئة سيبقى الأزهر في عزائه عن الأمة
لا يسهفها بمحاجتها ولا تنقده في وجوده ولو
سن له ألف قانون (تلك نقاط من هذه
المحاضرة التى أيدتها الرسالة ونشرت مقالات
هامة في تحليلها ، فنهبت القراء إلى ما يزال
الأزهر يملكه من المماحكات والقشور
وأصبح الشيخ شلتوت من يومها فى الإصلاح
المرتب تمتمد نحو الأعناق فى تطلع حتى
أتيح له فيما بعد أن يتولى مشيخة الأزهر ويتم
التطوير التجديدى على يده فيستريح .

وقراء الرسالة يذكرون للإمام الراحل
— غير محاضرته السابقة — مقالين
رناثنين دوى صداهما دويّاً شديداً ، أولاهما
مقالته عن رفع هيسى إذ نشر بالعدد (٤٦٢)
فتواه السيدة بهذا الشأن مؤيدة بالحجج

أما عناصر المحاضرة فنشير إليها من نقاط
سجلها الأستاذ المدنى بالرسالة (٥١٥) وأهمها
ولم نزل كتبنا هى الكتب المعقدة التى لها
طريقة خاصة فى التأليف ، لا يفهمها كل من
يعرف اللغة العربية .

مسجل في كتبه الهادمة !! وما حاج هائج هؤلاء المفسرين أن علما قاديانيا أفتى بما أفتى به الشيخ شلتوت ، فتوهموا هذه الموافقة مدعاة للريب الآفك والظن الاتيم ! وفاتهم - وهم العلماء - أن صاحب الإفتاء يصدر عن اجتماعه دون نظر إلى موافق أو مخالف ، وقد اضطر الأستاذ شلتوت أن يدافع عن رأيه في سلسلة من المقالات الفقهية الأصولية بالسنة الحادية عشرة من الرسالة فتحدث في بحوث ضافية عن آيات الكتاب في المسيح ، وعن الإجماع ومعناه وحقيقته وثبوته وعن السنة والاستدلال بها وعن آراء ابن حزم ومحمد عبده ورشيد رضا والمراغي في هذا الموضوع ! وجاءت سلسلة بحوثه آية في استواء المنطق ، وصحة الاستدلال وقوة التعليل ، وقد جمعها فيما بعد في بعض كتبه التي طبعت أثناء مشيخته للأزهر ! بعد أن نشرها الزيات في بضعة أعداد .

أما المقالة الثانية فبحثه الهام بها عن الهجرة وشخصيات الرسول بالعدد ٤٤٩ من الرسالة إذ ذهب فيه إلى أن للرسول شخصيات متعددة شخصية الرسول وشخصية الإمام العام وشخصية المفتي وشخصية القاضي وأعطى لكل شخصية حكمها في منطق التشريع ! ومع استناد الرجل إلى أدلته الواضحة فإن خصومه المفرضين قد ملثوا المجلات الدورية بمهاجمته دون أن يفهموا كلامه على وجهه الصحيح ، ولغظ

والأسانيد وخلاصتها الموجزة تشير إلى أنه ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض .

إن كل ما تفيده الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفى ولم يصلبه ولكن وقاه الله أجله ورفع له إليه . إن من أنكر أن هيمى قد رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي فيها إلى الآن وأنه سينزل منها آخر الزمان لا يكون بذلك منكرا لما ثبت بدليل قطعي فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه بل هو مسلم مؤمن .

هذه الفتوى الجريئة لم تسكد تظهر بالرسالة حتى حاج عليها من يدافعون عن الإسلام بالسباب والشتائم ، ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ، وقد تورط بعضهم فاتصل بعضهم في مجلس النواب ليثير المسألة في البرلمان ! ووجه آخر خطابا مفتوحا إلى رئيس الوزراء لمحاكمة الأستاذ ! وقام شيخ إسلام تركيا السابق بما عرف عنه من تهجم وتبرمج حتى حكم بالكفر والزيف على الإمام المجتهد ! وأذكر من باب الفكاهة أيضاً أنه حكم على شخصي الضعيف بالكفر أيضاً لمقال نشرته بالرسالة عن الرصافي وزاد فالحق الأستاذ الزيات بي في حكمه ، وذلك منشور

الأستاذ الزيات لأنني كتبت عنه مقالا مسبها بالعدد (١٠٢٠) من مجلة الرسالة ١٩/١/١٩٥٢ ومن أراد أن يقف عليه فليرجع إليه : أو إلى مقالات الزيات نفسها في الرسالة متقبعا ما دار حولها من نقاش طويل اشترك فيه الأستاذة العقاد والمحدث والغمراوي وغيرهم بما يصبه قراء الرسالة ولا يزالون يتحدثون عنه ذاكرين .

ولم ينقطع الأستاذ شلتوت عن التحرير في الرسالة حتى توقفت ، بل إن الأستاذ الزيات قد دعى إلى تحرير مجلة الأزهر حين أسند الأمر إلى الشيخ عبد المجيد سليم فقام بواجبه ، وظهرت الرسالة إذ ذاك تبشر بالإصلاح وتتفادى بالبعث ، وأخذ اهتمام الكتاتين بتجديد الأزهر يتزايد على صفحاتها أثناء ذلك ، لولا أن الشيخ الأكبر قد انسحب من الميدان فجأة على غير إرادته ، وترك الأستاذ الزيات مجلة الأزهر ، ليعود إليها من جديد وقد انقضت السحب المستكاثفة ، وتمهد السبيل الواضح وأصبح الأستاذ محمود شلتوت شيخ الأزهر وداعية الإصلاح ورجل البعث الجديد ...

أما جهاد الأستاذ الزيات في مجلة الأزهر فيبعد عن عنوان هذا المقال وإن دعا إليه أطراد الحديث .

محمد رجب البيومي

بعض خطباء المساجد منه بما زينته له الجهل والغرور والادعاء ، ولو كان لدى هؤلاء مسكة من عقل لعرفوا أن الشيخ مجتهد ! وله أن يبدي الرأي ولغيره أن يحصه بالجدل السديد ! ولا أذكر من يجادلني في هذا الموضوع عالما بمحنة ناقش الرأي بالرأي غير الأستاذ الأكبر محمد الحضر حسين فقد أفرد لفظة الرسالة وحدها مؤلفا بمفرده وكان من النزاهة والحيدة مضرب المثل في حجاج الراسخين من أولى العلم ، ولست أنا من القوة المقنعة بحيث أحكم لأحد الرجلين على صاحبه وكلاهما إمام كبير ، إنما أريد أن أقول إن الأستاذ شلتوت قد تقبل نقد صاحبه ببشر وارتياح ، وظن الصغار من الضعفاء أنه يحمل له حزاوة حارة في صدره ، وتوقعوا أن يقف في وجهه حين تقدم لجامعة كبار العلماء ولكن الشيخ شلتوت قد أبدى ترحيبه الصاد وقال قولته الشهيرة : من أسقط الحضر فقد أسقط نفسه ! وباله مثلا رائعا في النزاهة والإنصاف ، لو اقتدى به العلماء !

مضت الرسالة بعد ذلك في دعواتها المخلصة للإصلاح الديني ، وقد اتجهت إلى حل حاسم لمشكلة الأزهر نشر على صفحاتها بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٩٤٦ وهو في لبايه يقترب كثيرا من قانون الأزهر الجديد الذي تم به التطوير التقدمي أخيرا على يد الإمام الراحل ولا أريد هنا أن أوجز الحل الحاسم كما رسمه

ذكرى ونحبة :

شاعر الإسلام والقوة والنصون

للأستاذ محمود الشرقاوى

على أبيه ، ثم دخل د الكتاب ، لحفظ القرآن وبعد ذلك دخل مدرسة أجنبية تبسيع الإسلامية الاسكتلندية في سيلاكون ، وكان يرعاه في هذه المدرسة أستاذ قدير في اللغتين العربية والفارسية وآدابهما ، وهو في نفس الوقت صديق أبيه ، هو السيد / أمير حسن . وأتم إقبال دراسته في هذه المدرسة الخاصة حتى تخرج منها بدرجة د ممتاز ، والتحق بعدها بجامعة لاهور وكان من أساتذته فيها مستشرق كبير هو السير : د توماس أرنولد . ومن هذه الجامعة حصل على درجتين علميتين وانتقل بعد ذلك مدرساً للتاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية بلاهور ، ثم لتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية في الجامعة التي تخرج منها ، وفي سنة ١٩٠٥ انتقل إقبال إلى بيئة جديدة ودراسات جديدة مكملت لدراساته في الهند : سافر إلى إنجلترا فالتحق بجامعة كمبردج ، ثم إلى ألمانيا فالتحق بجامعة هيدلبرج ، وقال منها الدكتوراه في الفلسفة هـ :

في ليلة من ليالى الربيع - ربيع القاهرة ذى النسيم الرقيق المنعش - اجتمع في نادى خرمي الجامعات المصرية صفوة من المثقفين لإحياء ذكرى عظيم من عظماء الإسلام والشرق ، كانت صفوة قليلة العدد ولكنها كبيرة القيمة . وكان من أسماء الخطباء الذين دهبنا لسماهم اسم رجل من رجال الأزهر - الغير الرسميين - ولكنه لم يتكلم ولم يحمي . فافتقدنا بذلك عنصرأ كان يجب أن يشارك في تحية شاعر ظل طول عمره يتغنى بأعجاد الإسلام ويسعى لتجديد قوته والبعد بمعتقديه عن الخرافات وعن المذلة والهووان . وقد كان سعادة سفير باكستان من شهود الحفل ، تقديرأ لشاعر الإسلام العظيم .

* * *

حياة إقبال وثقافته :

في سنة ١٨٧٣ ولد محمد إقبال لأسرة تعمل بالزراعة في مدينة د سيلاكون ، بولاية البنجاب في الهند ، وكانت الأسرة تقيم قبل ذلك في كشمير . وتلقى أول دروسه

الدراسات الدينية الجادة ، والدراسات المدنية الجامعية .

نشاطه في الإصلاح والسياسة :

كان لإقبال نشاط مزدوج ولكنه يكمل بعضه بعضاً : نجد من تنوع نشاطه السياسي أنه كان أول داعية لفصل مسلمي الهند عن غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى في دولة مستقلة ، وهي الفكرة السياسية الدينية التي دعا إليها بإيمان تام وناضل في سبيلها نضال الأبطال ، وتلقفها من بعده الزعيم محمد علي جناح حتى انتهت ، كما فعلم ، بتأسيس دولة « باكستان » مستقلة منفصلة عن الهند في أغسطس سنة ١٩٤٧ ، وكان هذا أبرز عمل سياسي قام به ، وأعظم مشاريعه السياسية الناجحة ، بل هو من أعظم الأعمال السياسية التي تمت في عالمنا الحديث .

ومن نشاطه السياسي أنه كان عضواً في المجلس النيابي لولاية « البنجاب » ورئيساً لحزب مسلمي الهند - قبل إنشاء باكستان - ومراقباً لمؤتمر « الله آباد » ، ورئيساً لجمعية « حماية الإسلام » ، التي كانت تشرف على طائفة من المؤسسات ، وأنه اشترك في مؤتمر « المائدة المستديرة » الذي عقد في لندن سنة ١٩٣١ و ١٩٣٢ .

وكان نشاطه الإصلاحى قائماً على تجديد الفكر الدينى وإيجاد « المسلم » الواعى القوى

« تطور الفكرة العقلية في إيران » كما وضع رسالة في القانون .

ثم دعى بعد ذلك لإلقاء محاضرات في مدن الهند الكبرى : « مدراس » و « والله آباد » و « حليكة » فتتكون من هذه المحاضرات فكرته ودعوته لإصلاح أحوال المسلمين وتقويم المناهج لدراسة الإسلام وفلسفته . وهي المحاضرات التي نقلها إلى العربية المرحوم الأستاذ عباس محمود بعنوان : « تجديد التفكير الدينى في الإسلام » .

ومن ذلك نعرف أن محمد إقبال ، مزيج رائع من ثقافات مختلفة متباينة ، ووراثات مختلفة أيضاً أما الوراثات المختلفة التي شاركت في تكوين شخصيته المفكرة القوية الشاعرة فقد جاءت من أصله السلالي الذى يردده إليه بعض دارسى حياته ، هذا البعض الذى يقول إن أجداده كانوا من البراممة ، وإن بعض أجداده اتصل بصوفي مسلم صادق الإيمان فتلقي عنه الإسلام وأسلم على يديه ، فإقبال بأصله البرهمى ، ودينه الإسلامى ، ونزعة أسرته الصوفية ، ثم بدراساته المتنوعة بعد ذلك - كان حقاً خصباً مفكراً وقلباً شاعراً ذا نزعة إصلاحية خاصة ، كانت أبرز سماتها الجرأة والحذر معا . ولكنها ، في كل حال ، عميقة الإخلاص .

وكانت ثقافته - كما رأينا - تجمع بين

بل كانت صوفيته صوفية التطلع والاندماج
وصدق الإدراك وسعة الشمول وعمقه .
وهذا كله مزاج ليس غريباً عن الهند ،
حيث ولد وحاش ، وطن الفلسفات القديمة
والصوفية الشاملة والاندماج بالحس والروح
في الكائنات والحياة المتجددة . كما أنه ليس
غريباً عن الإسلام : دين التطلع والبحث
عن الإدراك والفهم والعمق .

وعلى هذا الأساس أقام دعوته الإصلاحية
وفكرته لتجديد الفكر الديني ، لم تكن
دعوته تلك ولا فكرته هذه صوفية مطلقة
ولا عملية مطلقة . بل كانت مزيجاً من الاتجاهين
حتى يبدو أحياناً - لبداهة النظرة الأولى -
أن في دعوته شيئاً من التناقض ، ولكنه
عند التعمق لم يكن كذلك .

كان له في فهم القرآن إدراك صوفي مختلف
عن تفاسيره التي نعرفها للتصوفة . امتزج
فيها إحساسه الصوفي الرقيق الخاص وشفافية
روحه بعقل العالم العصري . وفي بعض هذه
الآراء جرأة يسترها ذلك الثوب الشعري
الرقيق الذي صيغت فيه ، كما يسترها الإخلاص
الواضح للفكرة والعقيدة .

كان يرى تخلف الحياة الإسلامية المعاصرة
عن مسيرة العصر والحياة العامة في العالم ،
ويرى تخلف المسلمين في الهند وغيرها
عن اللحاق بغيرهم من الذين سيطروا - بقوة

المعارف بحقائق عصره وأهدافه . وكان
في ذلك يدعو إلى «صوفية» بعيدة عن التراخي
والتواكل والسلبية قائمة على « قوة للنفس »
وصلاية الإيمان وإقرار حرية الفرد وكرامته
كما أمر القرآن ، وعدم الخضوع لمغريات
الحياة : المال والشهوة والمجد .

كان تجديد الفكر الديني هند إقبال
- كما يقول الأستاذ الزيات في الرسالة « العدد
١٠٦٣ » : قائماً على (فهم الإسلام على حقيقته
التي أنزلها الله ، وعلى رسالته التي بلغها
الرسول ، وعلى سياسته التي طبقها الصحابة ...
فهمه على أنه حمارة الدارين بالعمل الصالح ،
وسعادة الحياتين بالإيمان الحق ، وقوة
المشرقين بالوحدة الجامعة) فقد كان إقبال
من دعاة الوحدة الإسلامية الشاملة .

ومن هذا النشاط المزودج ندرك أن الشاعر
الفيلسوف محمد إقبال كان يمزج بين أهدافه
السياسية لمسلمي الهند وبين الدعوة الدينية لهم
ولبقية إخوانهم المسلمين جميعاً . شأنه في الجمع
بين الدين والسياسة شأن الشيخ جمال الدين
الأفغانى في الشرق .

مزاجه الصوفي :

كان إقبال ذا مزاج صوفي ، ولكنه لم يكن
صوفياً من المعتزلين الحاربيين المستدبرين
للحياة القانعين منها بالنصيب الأقل والمنزل
الدون .

من الزيوف التي لا يقول بها الإسلام ، بل هو يشكرها ويحاربها . وقد كان إقبال يحاربها بمثل هذا الصدق وهذه الحرارة وهذا الإخلاص ، كان - كما يقول أستاذنا الزيات - : (... يقطع الشعر حسرات على دين أحاله الجهل والضعف في نفوس أهله إلى شعائر من غير شعور ، ومناسك من غير نسك ، وينعى على المصلين الاتهام الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، وهلى المازكين ألا تظهرهم الزكاة عن الأثرة والشح ، ويقول لأولئك الألوف الذين يذهبون كل عام إلى الحجاز وهم لا يدركون سر الحج ولا معنى الجماعه في بيت من شعره الشاعر الساخر :

أما يسأل أحد أولئك العائدين من حج البيت المحرم : ألم يجدوا هناك ما يهدونه إلينا غير قارورة من ماء زمزم ... ؟

فقد كان إقبال يحارب الأشكال والمرامم والطقوس التي لا توصل إلى نتيجة ولا ثمرة وكان يفهم الإسلام على أنه حقيقة وجوه . الفرد والمجتمع :

ودعوة إقبال لتجديد الفكر الديني وتصحيح المفاهيم عن العقيدة والشريعة ، وفكرته لإصلاح المجتمع الإسلامى عن طريق هذا التجديد للتفكير والتصحيح للمفاهيم ، وهذه الدعوة لإصلاح المجتمع تقابلها - أو تسايرها وتسبقها وتكملها دعوة أخرى لهذيب الفرد

العالم ، وقوة الخلق ، وصلابة العزيمة - على الحياة الإنسانية الحاضرة كلها . فيجد أسباب هذا التخلف كلها أساسها سوء الفهم للعقيدة ، ليس في العقيدة نفسها ما يمكن أن يكون سبباً لتخلف أصحابها عن غيرهم . ومع أنه معجب بالحياة الأوروبية وما فيها من نشاط وجرأة وتفوق ، لا يرضى لأهل دينه أن ينتقلوا إلى هذه الحياة ، أو يقللوا إلى مجتمعهم هذه الحياة التي يدرك - كما يدرك كثير من الأوروبيين أنفسهم - ما فيها من شر وفساد وخطر على الحياة الإنسانية كلها . وما فيها كذلك من إهدار لقيمة الفرد وكيانه ومثله التي يحرص عليها ، والتي تقوم - أو يجب أن تقوم - على النصفاني بين البشر جميعا ، والمودة بين الأجناس جميعا ، والحرص على الحياة الروحية التي تدعو لها كل الأديان ، والتي هى العاصم والملاذ للبشرية من نزوات الحضارة الأوروبية ومفاسدها . (وخاصة تلك التجربة التي تجرى وتستقر على مقربة من ملسى آسيا) .

ويحذر من أخطارها على الدين والحضارة والقيم الإنسانية جميعاً . الحقيقة والجوهر :

ولكن هذا الدفاع الحار الصادق عن الدين والعقيدة لم يكن إقبال ينكر معه أن في تفكير المسلمين الآن وعقولهم وقلوبهم كثيراً

وأن الدولة الإسلامية الكبرى يجب أن تكون قوة بين قوى العالم العظمى التي يقام لها حساب ووزن . وكان شاعر التصوف : يرى أن الصوفية التي يدعو لها الإسلام هي - كما أشرنا - صوفية الاستعلاء عن المغريات والاقتحام لتحقيق مثل أعلى والكفاح ، والصبر في سبيل هدف كريم . صوفية إيجابية قائمة على خلق متماصك شجاع ، لا صوفية سلبية خائفة قاذفة .

ثلاثة رجال :

ولا نستطيع أن ننهي هذا الحديث عن إقبال ودعوته دون أن نذكر ثلاثة رجال كان لهم فضل تقديمه والتعريف بدعوته في المشرق العربي ، ولولا جهدهم المشكور لظل إقبال ودعوته محجوبين عنا نحن أبناء هذا الشرق : أول الثلاثة المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام الذي كان له فضل السبق والريادة في تقديم إقبال وترجمة كتبه إلى العربية ، وبخاصة كتابيه : « رسالة الشرق » و « ضرب السكيم » وثانيهما المرحوم الأستاذ عباس محمود الذي ترجم له كتاباً من أجود كتبه هو : « تجديد التفكير الديني في الإسلام » . والثالث الأستاذ الشيخ الصاوي شعلان ، الذي نقل إلى اللغة العربية شعراً كثيراً من قصائد إقبال وتأملاته الصوفية .

محمود الشرفاوي

وتربيته . وهنصرنا هذه الدعوة الأساسية هما : الشجاعة الذاتية في مواجهة الحياة ، وحرية الفكر والاختيار والعمل . والمجتمع والفرد أساس حياتهما - كما يرى إقبال - يجب أن يكون قائما على الدين والعقيدة ، كما يفهمهما هو .

وحرية الفرد من أعظم ما يدعو إليه إقبال ويجعله أساساً لإصلاح المجتمع الإسلامي ، والحرية قرينة للاختيار رهينة به ملازمة له . ومن أجل ما نقرأ لإقبال في حرية الاختيار هذه الكلمات : (... وعمل الخير لا يمكن أن يكون قسراً ، بل هو خضوع عن طوعية للمثل الأخلاقي الأعلى خضوعاً يفضأ عن تعاون الذات الحرة المختارة عن رغبة ورضى . والكائن الذي قدرت عليه حركاته كلها كما قدرت حركات الآلة لا يقدر على فعل الخير . وعلى هذا فإن الحرية شرط في عمل الخير) (١) .

* * *

كان إقبال شاعر الإسلام : يرى أن فهمها سلباً عميقاً جريئاً للإسلام - كما فهمه هو - يمكن ، بل يجب ، أن يحقق للفرد حياة سوية ، وللمجتمع حياة سعيدة متماسكة قوية . وكان شاعر القوة : يرى أن المسلم الحق يجب أن يكون قوياً في خلقه ، وجسده ، وروحه ،

(١) الترجمة للمرحوم الأستاذ عباس محمود في كتاب : « تجديد التفكير الديني في الإسلام » .

التفسير الباطني : نشأته وأسبابه

للأستاذ عبد الجليل شلبى

في المذهب والعقيدة يسوغ لنا الظن بأنهم لم يغفلوا في تأويل المعاني الباطنة كما فعل الشيعة الآخرون ، وليس من السهل علينا أن نستخرج من كتب التفسير الشيعية ما قال به الفاطميون دون غيرهم وما شاركوا فيه إخوانهم ووافقوهم عليه - وعمدة التفسير الشيعي الآن هو التفسير الذي كتبه القمي والناظر فيه وفي المجالس المستنصرية التي يحوى آراء داعي الدعاة يجد تباينا بعيدا في الآراء والمعتقدات .

ومن المعروف أن الشيعة جميعاً يشترطون الإيمان بإمام موجود ظاهر أو مستور ويزعمون أن العمل بالشريعة وحدها لا يجدي مالم يصبح به الإيمان بهذا الإمام كالإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام ولا يشذ عن هذا اسماعيلية أو إمامية وكل ما هناك أن الفاطميين ينفقون انتقال الإمامة على الأبناء دون الإخوة والإمام يعين خليفة من أبنائه قبل أن يموت واتخذوا جميعاً من الآية وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلمهم يرجعون ، مستنداً لهم بأن الله لا يخل الأرض من إمام عادل من نسل علي وقد يكون ظاهراً مكشوفاً وقد يكون

ظهر هذا اللون من التفسير في مصر في عهد الفاطميين - وكان غربياً على المصريين فلم يلبوا عليه وقام الدعاة الفاطميون بنشره ولكنهم مات في مصر بموت الدولة الفاطمية .

هذا المذهب الغريب بعيد عن ذوق المصريين ناب عن طبيعتهم - فهو يحمل اللفظ معنى خفياً غير الذي يدل عليه تركيبه ومعناه الوضعي ، ويسمى ذلك عندهم المعنى الخفي أو المعنى الباطن فالمعنى الذي يفهم من ظاهر النص معنى قريب يناسب العامة أما الخاصة فهم الذين يطلعون على المعنى الباطن ويدركونه .

ليس من شك أن هذا المذهب نشأ ونضج قبل أن يظهر على يد الفاطميين في مصر وهو أيضاً ظل حياً نامياً في أماكن أخرى وعلى يد شيعة آخرين بعد أن انتهى عهدهم وعمره بما وأكبر الظن أيضاً أنه ناله بعض التهذيب في العهد الفاطمي - فالفاطميون أكثر اعتدالاً في تشييعهم لم يؤهلوا علياً والأئمة كما فعل غلاة الشيعة ولم يقولوا بغيبة الإمام المنتظر الذي سيعود إلى الأرض ليملاها عدلاً بعد أن مائت جوراً وظلماً ... هذا الاعتدال

أم نجعل المتقين كالفجار ، فسروا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمتقين ، بأنهم على وأصحابه أما المفسدون في الأرض والفجار فهم أعداء علي : أبو بكر وعمر وعثمان .. ومن القادر أن يذكروا بأسمائهم وإنما يكونون عنهم فيقولون حبه وزريق ونعل - وحبه هو أبو بكر لقصره وزريق هو عمر لزرقه عينيه ونعل هو عثمان لطول لحيته .

وفي الآية د والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ... إلخ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه .. إلخ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .. فسروا الظلمات بأنها معاوية وقتلته التي أثارها ضد علي ، وفسروا النور بأنه الإمام من نسل فاطمة ومن لم يجعل الله نورا يعنى إماما في الدنيا فما له من نور أى ليس له إمام يهديه للجنة يوم القيامة .

وهناك آيات كثيرة جعلوا المراد منها تعظيم آل البيت وبيان مناقبهم وهي بعيدة كل البعد عما يقصدون ، وقد عني ابن حجر بتفنيد رأيهم في هذا كما رد باطنيتهم هذه كل من الغزالي وابن تيمية على ما بين الغزالي الصوفي وابن تيمية السني من خلاف بعيد .

هذا التفسير ككل جوانب العقيدة الشيعية التي بنى عليها ليس وليد خرافة خالصة وإن كان يبدو فيه كثير من الخرافات . وإنما هو يرجع في الأصل إلى ديانات وفلسفات وقديمة تغذى بها واستفاد منها ولكن الشيعة

خفياً مستترا - ومعروف أيضاً أنهم جعلوا علياً شديداً بالنبي وشريكاً له في الدعة وأنهم قالوا بعصمة الأنبياء والأوصياء والأئمة ويخصون علياً بأنه صاحب تأويل القرآن فإن الله تعالى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه الظاهر للناس ولكن عرّفه بجانها أسراراً باطنية وهذه خص النبي بها علياً وحده ثم خص بها علي أبناءه وخص أبناءه بها ذريتهم وهكذا وعلى هذا الأساس حملوا الآية : وكذلك يجتهدك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك . إلخ ، معنى يخص علياً وذريته أما الآية د هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر مقشاهات إلى قوله تعالى : وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ، فقد فسروا فيها الراسخين في العلم بأنهم الأنبياء والأوصياء والأئمة .

هذه الأسس من قواعد العقيدة الشيعية تهدينا إلى الطريق التي يؤولون بها آي القرآن ويضمنونها معاني تناسب هذه العقيدة - يضاف إلى ذلك أن كراهيتهم أبا بكر وعثمان وعمر وعائشة ومعاوية والأمويين بوجه عام وجهتهم إلى جعل هؤلاء هم المعندين بالفاظ كثيرة جاءت وصفا للكفار في القرآن الكريم - مثل الظالمين والمفسدين والفجار وما إليها .. في الآية د أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض

فمن قديم جداً فسر البراهمة وعلماؤه البوذيين نصوص الفيديدا تفسيراً باطنياً يعطى معنى غير المعنى الظاهر من الألفاظ — وفي مدرسة الإسكندرية ، وعمادها الفلسفات التي قام عليها مذهب الفاطميين — فسرت الكتب المقدسة هذا التفسير .

ففيقول اليهودى وكان وثنياً قبل أن يهود فسر التوراة تفسيراً باطنياً وعلماؤه المسيحية أمثال أوغسطين وأرجينوس — فسروا الإنجيل تفسيراً باطنياً وذهب اكليمنطس في هذا مذهباً أوسع فقد وضع شروطاً للتفسير منها أن كل لفظ من الإنجيل لا بد أن يكون له معنى مجازى بجانب معناه الحقيقي . وهؤلاء جميعاً كانوا من مدرسة

الإسكندرية ومن هنوا بالفلسفة اليونانية بوجه عام وبفلسفة أفلاطون بوجه خاص وعملهم هذا إنما هو تطبيق لنظرية المثل . وليس بعيداً عن هذه النظرية ما تمسكت به الكنيسة المصرية من أن المسيح هو كلمة الله المتجسدة وأن له طبيعة واحدة هي الطبيعة اللاهوتية — وقد سببت هذه النظرية العداء المعروف بين الكاينيين واليعاقبة وبين اليعاقبة والنساطرة ولقي المصريون بسببها سريرة العذاب — وهى تعنى أن المسيح مع مظهره البشرى وتجسده أمام الناس هو في واقعته روح الله وأذن فبشريته مثل وراه بمثل .

وقد استفادت الفاطمية من المسيحية ،

جعلوا عليها وآل البيت مركزاً لتبولوجياتهم ومحوراً لكل استفادوا من الديانات السابقة ولما انتقلت نظرياتهم الفلسفية من الخاصة المفكرين إلى العامة السذج سادتها الخرافة وطغت عليها المبالغات .

وأشد أنواع الفلسفة تأثيراً في المذهب الباطنى والعقيدة الشيعية هو فلسفة أفلاطون والأفلاطونية الحديثة والفيثاغورية ولهذا نجد نظريات المثل والقبض والإشراق والعدد تحتل جانباً واسعاً من عقيدتهم وتفسيرهم . ونظرية المثل ... وإن كانت تنصب دائماً لأفلاطون . أفيدم منه بكثير ولكنه هو الذى وضحاها وأشاعها فنسبت إليه .

يجعل أفلاطون هذه المخلوقات التي نحسها جميعاً مثلاً لحقائق أخرى لا يصل إليها حسنا ويجعل الباطنيون لكل شيء ظاهراً وباطناً وهذه المخلوقات كلها إنما هي ظواهر لأخرى خفية تدل هذه عليها الظواهر ولا قيمة لها بدونها وكما أن أجسام الحيوانات لا قيمة لها بغير أرواحها كذلك هذه الظواهر لا قيمة لها بغير بواطنها . والسذج العوام ينعون بهذه الظواهر ويجهلون ما وراءها كما ينعون بأجسامهم ويفترون تربية أرواحهم — أما خواص الناس ومفكرهم فهم الذين ينعون بما وراء الظواهر والقرآن كذلك بطبيعة الحال له ظاهره وباطنه . إذا نحن رجعنا إلى الورا وجدنا هذه الفكرة في كثير من الديانات السابقة .

وهذه كلها ترد إلى نظرية المثل التي نادى بها أفلاطون ونجد لهذه النظرية ظلالاً فلسفات الهند والصين وليس أفلاطون أول من نادى بها ولكنه هو الذي وضّحها ووسع دائرتها وأشاعها حتى نسبت إليه .

ولم يوجد هذه النظرية في بلاد شرقية قبل أفلاطون نجد أن بعض البراهمة والبوذيين فسروا الفيدا بمثل هذا التفسير فجعلوها ذات معاني ظاهرة وأخرى باطنة ، وقد حاول هذه المحاولة قيلول اليهودي وتلاميذه في تفسير نصوص التوراة وليس من شك أن هذا نتيجة لدراستهم الفلسفية في مدرسة الإسكندرية وكانت تقوم على الفلسفة الأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة بنوع خاص .

وهذه الفكرة تبدو في المسيحية بوجه أظهر في جعل المسيح كلمة الله المتجسدة وقد أصرت كنيسة الإسكندرية على أن له طبيعة واحدة هي الطبيعية اللاهوتية فهو في مظهره البشري ليس إلا مظهراً - مجرد مظهر لسر لاهوتي ، أو بعبارة أخرى إنه مثال للمثل غير مرئي وهي نفسها نظرية أفلاطون .

وقد شاع عند الفاطمية والشيعة بوجه عام تطبيق المثل والمثال . ولكننا لا نجد هذه الفكرة تظهر إلا في وقت متأخر وتوضيحها بوجه خاص كتب داعي الدعاة . ومال المرحوم الدكتور محمد كامل حسين إلى أنها لم تظهر إلا بعد عصر الترجمة في عصر المأمون

من غير شك ، بل أن عقيدة الفاطميين مجموع من الديانات والفلسفات القديمة مزجت كلها ودارت حول محور معين كما قلنا ، وقد ذكر المرحوم الدكتور محمد كامل حسين أمثلة مما استفادته من ديانات المصريين القدماء وهولم اليونان وفلسفاتهم ومن الزرادشتية والعبرية والبابلية وغيرها .

ومن الأفكار المشتركة بينهم وبين اليهود والمسيحيين فكرة المنقذ المخلص من الشرور . فاليهود ينتظرون المخلص من ذرية موسى أو طائفة اللاويين ، والمسيحيون يؤمنون بعودة المسيح ليلاً الأرض سلاماً وعدلاً والشيعة يؤمنون بالمهدي المنتظر .

وإذن فهذا اللون من التفسير سر لتلك الفلسفة والفاطميون ليسوا بدعاً في هذا - فالفكر الفلسفي في كل مكان لون الأديان وترك فيها أثراً باقياً في عقائدها وقوانينها ، وإنما الغريب لدى الفاطميين والشيعة أيما كانوا هو الغلو في الفكرة وتحميل النص معاني بعيدة كل البعد عن ألفاظه ولا يمكن أن يحتمله تركيبها بوجه من الوجوه فالسير في هذا الطريق يجعل القرآن غير عربي الأسلوب ويسمح لكل مفسر أن يضمن النصوص ما يشاء من المعاني من غير قانون ولا حساب . ويبدو أن هذا التفسير ، شأن كل المذاهب الأخرى ، بدأ مبسطاً ساذجاً خالياً من الغلو .

غير قانون ولا حساب . ويبدو أن شأن هذا التفسير كشأن كثير من الأفكار تبدأ ساذجة بسيطة ثم يدخلها الغلو والتعقيد فهو فيما يظهر قام في أول أمره على فكرة تضمين النص .

ثم زاد غلوه وكثرت خرافاته . فالمذهب النحوي نفسه كان أول أمره بسيطاً يقف عند حد المطالبة بحق علي في الخلافة ورمى الخلفاء الآخرين بالكفر لا يخرج المذهب إلى جانب بعيد عن الفكر الإسلامي وقد عفت طائفة السكيسانية المتفقة على ربهيم بالكفر .

ومنذ عصر الترجمة وبعد أن نقلت للمسلمين ألوان من التراث العقلي والديني لم يكونوا قد اطلعوا عليها من قبل بدأ المذهب الشيعي يتعقد وتدخله آراء وفكرات بعيدة عن تفكير السنيين وغير السنيين من المسلمين - ولعل دعاة الفاطمية قبلوا خرافات العامة استكشارا للاتباع وتأبيداً للحكام وأغضوا عما في هذه الخرافات من بعد عن سنة المسلمين - وقد انتقل الفكر الفاطمي إلى اليمن وأسكنه تحور هناك وبعد كثير أعما كان عليه دعاة الفاطميين .

وأهم مستند نعتد عليه في هذا هي محاضرات داعي الدعاة الباقية في المجالس المؤيدية والمجالس المستنصرية وهي تبين ما عليه الزيدية من اليقين؟

عبد الجليل شامي

عضو المكتب الفني بمجمع البحوث الإسلامية

فمنذ القرن الثالث الهجري اطلع المسلمون على ثقافات وديانات كانت شائعة قبل الإسلام وكانت لا تزال لها بقايا في البقاع التي فتحها المسلمون من ناحية ونقلتها اليهم الترجمة من ناحية أخرى ومع أن الإسماعيلية اتخذوا طريقه التأويل مذهبا لهم لإمعاناً في شرف علي وآل البيت لم يستطيعوا أن يخلصوا عقيدتهم من نظريات الفلسفات الأخرى فاعتادهم عليها في التأويل جعلها تدخل ضمن عقيدتهم ولهذا كانت عقيدة الفاطميين مزيجاً من ديانات ومذاهب متعددة - ففيها أقباس من ديانات المصريين القدماء وفيها من علوم اليونان وفلسفاتهم أفلاطونية وأفلاطونية حديثة وفيثاغورية ورواقية كما نجد فيها زرادشتية وعبرية وبابلية وهكذا ... وقد ذكر الدكتور كامل أمثلة لهذا كله تؤيد فكرته وتوضح كلامه .

وإذن فهذا اللون من التفسير ظل لهذه الفلسفة - والفاطميون ليسوا بدعا في هذا فالفكر الفلسفي في كل مكان لون الأفكار الدينية وترك أثراً في قوانينها وعقائدها ولكن الغريب لدى الشيعة هو الغلو في الفكرة وتحميل النص معاني لا يمكن أن نجد بينها وبين الألفاظ أية صلة أو ارتباط . فالسير في هذا الطريق يجعل القرآن غير عربي ويسمح لكل مفسر أن يضمن النصوص ما يريد من

غزوة أحد بين القرآن والشعر

د. ساذ الكثر أحمد عبدوي

- ٢ -

يصلين ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج
أبو هزة يسير في تهامة ، ويدعو بني كنانة ،
ويقول :

أيها ، بني هبذ مناة الرزام
أتم حماة ، وأبوكم حام (١)
لا تعدوني نعركم بعد العام
لا تسلبوني ، لا يحمل لإسلام
ومضى مسافع بن عبد مناف إلى بني مالك
ابن كنانة يحرضهم على حرب الرسول ويقول:

يا مال ، مال الحسب المقدم
أنشد ذا القربي ، وذا التذم (٢)
من كان ذا رحم ومن لم يرحم
الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم
وكان لهذا الشعر أثره ؛ فاستجاب له
كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا مع قريش
إلى أحد .

(١) الرزام : جمع رازم ، وهو : من يثبت ،
ولا يرح مكانه وحام : أى الحامى .
(٢) مال : مرخم مأك . وذو التذم : من له
ذمة وعهد .

أما الشعر فقد اشترك في معركته من الفريقين
زهة عشرين شاهراً ، وكثيراً ما كان الشاعر
يتحدث عما يجول بنفسه إزاء تلك الغزوة ،
ثم ينهض شاعر يرد عليه من الفريق الثانى ،
وأكثر ما كان ذلك من ناحية المشركين ،
يفخرون بما أوتوه من نصر على المؤمنين ،
فينهض من هؤلاء شعراء يردون على أولئك .
وقد لعب الشعر فى هذه المعركة كثيراً
من الأدوار .

فهو مرة يقوم بدور المحرض على حرب
الرسول ، فهذا أبو عزة عمرو بن هبذ الله
الجبلى قد من عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ،
وكان فى الأسارى ؛ فقال للرسول : دلى
فقير ذو عيال وحاجة قد هرقتما ؛ فامن على
فن عليه الرسول ؛ فقال له صفوان بن أمية
يا أبا هزة لآنك اسرف شاهراً ؛ فأعنا بلسانك
فاخرج معنا ؛ فقال : إن يحدا قد من على ،
فلا أريد أن أظاهر عليه ؛ قال : بلى ، فأهنا
بنفسك ؛ فلك الله على إن رجعت أن أغنيك
وإن أحببت أن أجعل بناتك مع بناتى ،

عن قصة هذا اللواء وما كان له من أثر
في شعر هذه المعركة .

وإذا كانت قد أغرت بى عبد الدار فإنها
قد عادت تغرى جند المشركين جميعا ،
وتصفهم بأنهم حماة قومهم ، وتحثهم على
الزحف ، حتى يصلوا إلى هدومهم ، ويضربوه
بسيوفهم الباترة .

ومى في الرجز الثاني تغريهم بالقتال وتعدم
إن صدقوا فيه ، بهجة القلوب والأجسام ، أما
إن فروا فلن يكون نصيبهم إلا البغض
والفراق .

وكما كان الشعر يحرض المحاربين على القتال
اتخذ الشعراء وسيلة لتحريض أنفسهم عليه
ويتخذون من لغاته وموسيقاه ، ومن معانيه
الحماسية مشجعا لهم على استقبال الموت
لا يهابون ؛ فهذا أبو دجانة يخرج إلى القتال
وهو يقول :

أنا الذى طاهدنى خليل
ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر فى الكيول (١)

أضرب بسيف الله والرسول
ولعل الخليل الذى عاهدته هو سيفه ، ولعله
ذكر النخيل هنا كأنه يجعله شاهدا على هذا
العهد حتى لا يخيس به ، ولا ينقضه ، ولعل الفعل

(١) الكيول : آخر صفوف الجيش في الحرب .

ودعوة صفوان بن أمية لأبى حزة
أن يساعد قريشا بشعره يدل على ما كان
للشعر من قوة آسرة في هذا المجال .

فلما التقى الفريقان كان الشعر أثره
في التحريض على القتال والاستماتة فيه ،
فهذه هند بنت عتبة مع النسوة اللاتي معها
يأخذن الدفوف ، ويضربن بها خلف الرجال
وتنثى هند الشعر تحرض به ؛ فكان
مما قالت :

ويها ، بى عبد الدار
ويها ، حماة الأدبار
ضرباً بكل بتار (١)

وكان مما قالته أيضا :

إن تقبلوا نعانق
ونفوس النمارق (٢)
أو تدبروا تفارق
فراق غمهم وامق (٣)

وإذا كانت في الرجز الأول قد خصت
بى عبد الدار ، فلأنهم كانوا حملة لواء
المشركين يوم أحد ، ولثبات حامل اللواء
أمر كبير في نفوس الجند ، وسوف تتحدث

(١) حماة الأدبار : من يحمون الجيش من اللفظ
والبتار : القاطع .

(٢) النمارق : جمع نمرقة ، وهى : الوسادة
الصغيرة .

(٣) الوامق : الحب .

المضارع جاء هنا مجزوما ساكن الآخر دلالة على ما في قلبه من الجزم والتصميم .

وهذا أبو زعنة بن عبد الله يقول يوم أحد:
أنا أبو زعنة يعدو به الهزم (١)

لم تمنع الخيـزة إلا بالآلم (٢)
يحمي الدمار خـزرجي من جشم (٣)

وهذا الجندي شاهر بمرارة القتال ،
ولكنه يقدم عليه ، ليدفع عن نفسه العار
والخزي ؛ وإذا كان قد نسب نفسه إلى قومه
وقبيلته فكأنه بذلك يجعل حماية الدمار
ديناً هؤلاء القوم وشيمة تلك القبيلة .

وهذا لدرجز آخر من المسلمين
أيضاً يتحدث عن إقباله من بعيد يقطع
المهامه والقفار ، بين السيوف والرماح ،
يريد أن يحمي رسول الله ، فيقول :

لا هم ، إن الحارث بن الصمة
كان وفيّاً ، وبنا ذا ذمة
أقبل في مهامه مهمة
كـليـلة ظباء مدلهمة (٤)

(١) الهزم : الذي يسمع صوت جريه

(٢) يريد أن العار لا يرد إلا بذل المرء جهوداً مؤلّمة

(٣) الدمار : كل ما يلزم المرء حمايته .

(٤) المهامة : جمع مهمة ، وهو : القفر ، وكـليـلة :
لا يستطيع البصر أن يحقق ما يراه فيها ،
ومدلهمة : شديدة الظلام .

بين سيوف ورماح جمة (١)
يبغى رسول الله فيما ثمه
وحديثه عن المهامة المظلمة المدلهمة ربما
فهم منه أنه أقبل من بعيد ، ولم يكن من
أبناء المدينة .

وكذلك يقول هكرمة بن أبي جهل ، من
جنود المشركين في ذلك اليوم ، بحث جواده
على الإقدام ، ويصف نفسه بالرئيس العظيم ،
وكأنه بهذا الوصف يشمر نفسه بما ينبغي
أن يكون للرئيس من صفات الشجاعة
والبساطة ، فيقول :

كلهم يزجره ، أرحب هلا (٢)
ولن يروه اليوم إلا مقبلاً
يحمل ربحاً ورئيساً جحفلًا (٣)

وعثمان بن أبي طلحة يحمل لواء المشركين ويقول:
إن على أهل القواء حقاً
أن يخضبوا الصعدة (٤) أو تنقدا
فهو يرى من واجب قومه أن يحاربوا
حرب المستميت ، حتى يخضبوا الرماح بدماء
أعدائهم ، أو يحطموها في صدرهم .

وشداد بن الأسود يرى حنظلة بن أبي عامر
يعلو أبا سفيان بسيفه يريد قتله ، فقتل شداد
حنظلة ، وهو يقول :

(١) جمة : كثيرة

(٢) مما يزجر به الحبل .

(٣) رئيس جحفل : عظيم القدر

(٤) الصعدة : القناة المستوية المستقيمة .

وما انتميت إلى خور ولا كشف
ولا لثام غداة البأس أو راع (١)
بل ضاربين حبيك البيض إذ لحقوا
شم العرائين عند الموت لذاع (٢)
شم بهاليل ، مسترخ حائلهم
يسعون للموت سعيًا غير دعداع (٣)
وقد نفر عمرو بن العاص بانتصاره على
أهل المدينة ، وتحطيم آمالهم :

تمنت بنو النجار جهلا لقاءنا
لدى جنب سلع (٤) ، والأمان تصدق
فراعهم بالشر إلا فجأة
كراديس (٥) خيل في الأزقة تمرق
أرادوا الكما يستبيحوا قبائنا
ودون القباب اليوم ضرب محرق
وكانت قبايا أومنت قبل ما ترى

إذا راعها قوم أبيضوا ، وأحنقوا (٦)
وظهر في نخر المشركين القشقي والفرح

(١) الخور : الضعفاء ، والكشف : جمع
أكشف ، وهو من ينهزم في الحرب .
(٢) البيض : السيوف والحبيك : طرائفها .
وشم : مرتفعة . والعرائين : جمع عرين . وهو
الأنف . ولذاع : يضربون ضربا لا ذعا .
(٣) البهائيل : جمع بهلول ، وهو : السيد .
والاسترخاء : حائل السيف كناية عن طولهم
ودعدع : إركض متباطئا .
(٤) سلع : اسم جبل .
(٥) كراديس : جمع كردوسة ، وهي : الطائفة
للمظيمة من الخيل
(٦) أحنقوا : أغضبوا .

لأحسين صاحبي ونفسي
بطعنة مثل شعاع الشمس
ولا بد أن يكون هناك رجز كثير غير
هذا الذي حفظه التاريخ ، قاله كثير من
الجنود ، يقولون به روحهم المعنوية ،
ويدفعهم إلى القتال دفعا .

* * *

وكان نصر المشركين في هذه المعركة إجمالا
نخر شعرائهم ، يسجلونه ضمن ما يسجلون من
مآثرهم ؛ فنرى هبيرة بن أبي وهب يعد بين
ما يعد لقومه من المآثر أن كان لهم دور كبير
في معركة أحد ، إذ يقول :

نحن الفوارس يوم الجر (١) من أحد
هابت معد ، فقلنا : نحن نأنيها
هابوا ضرابا وطلعنا صادقا خذما (٢)
ما يرون ، وقد ضمت قواصمها (٣)
ثمت رحنا كأننا طارض برد (٤)

وقام هام بنو النجار يبيحها
وضرار بن الخطاب يفتخر بشجاعة قومه
يوم أحد ، فيقول :

(١) الجر : أصل الجبل .
(٢) خذم الشيء : قطعه بسرعة .
(٣) قواصمها : جمع أقصى ، وهو الأبعد . أي
اجتمع في الحرب ما تفرق .
(٤) العارض : السحاب . والبرد : ما فيه برد .

ويقول ضرار بن الخطاب الفهمري :
 فياليت عمراً وأشياعه
 وعتبة في جمعنا السورج (١)
 فيشفوا النفوس بأوتارها (٢)
 بقتلى أصليت من الخزرج
 وقتلى من الأوس في معرك
 أصيبوا جميعاً بذى الأضوج (٣)
 ومقتل حمزة تحت اللواء
 بطرد مارن مخرج (٤)
 بأحد ، وأسيافنا فيهم
 تلهب كاللهب المرهج (٥)
 ويقول أبو سفيان :
 وسلى الذي قد كان في النفس أنفى
 قتلت من النجار كل نجيب
 ومن هاشم قرماً كربما ومصعبا
 وكان لدى الهيجاء غير هيب (٦)
 ولو أننى لم أشف نفسى منهم
 لكانت شجاً في القلب ذات ندوب (٧)

بالانتقام ، والأخذ بشار الذين قتلوا يوم
 بدر ، بل ظهر التشفي بالتمثيل بمجثم حمزة ،
 يقول عبد الله بن الزبيري :

فسل المهراس من ساكنه
 بين أقباف وهام كالحجل (١)
 ليت أشيأى يبدر شهدوا
 جزع الخزرج من وقع الأسل (٢)
 حين حكمت بقاء بركاها
 واستحر القتل في عبد الأشل (٣)
 ثم خفوا عند ذاكم رقصا
 رقص الحفان يعملو في الجبل (٤)
 فقتلنا الضعف من أشرافهم

وعدلنا ميل بدر ، فاعتدل
 وابن الزبيري في هذا الشعر يفتخر بكثرة
 من قتلوا من المسلمين ، ويشير إلى المهراس ،
 وما فيه من هام بترت عن الأجسام ، ويتمنى
 أن لو استطاع أشيأه الذين قتلوا يبدر أن
 يروا كيف أخذ بشارهم في تلك المعركة التي
 قتل فيها الكثير من أشراف المدينة ، حتى
 انتقموا المعركة بدر التي هزموا فيها ، وكان
 عليهم ، أن يغسلوا عن أنفسهم بأحد طار
 هزيمتهم في بدر .

(١) المهراس : اسم موضع والأقباف : جمع
 قحف ، وهو : المعظم القى فوق الدماغ ، والهام :
 جمع هامة ، وهى : الرأس والحجل : طائر .

(٢) الأسل : الرماح
 (٣) البرك : الصدر . واستحر القتل : اشتد .
 (٤) رقص : اضطرب والحفان : صغار النعام .

(١) السورج : المنقذ .
 (٢) الوتر : الانتقام .
 (٣) ذو الأضوج : موضع .
 (٤) المطرد : الرمح للمستقيم . والمارن : الابن
 في صلابه ومخرج : ضارب .
 (٥) أرهج : أثار الغبار .
 (٦) الثرم : السيد العظيم ، والمصعب : الفحل .
 والهيجاء : الحرب .
 (٧) الشجاء : الحزن ، والندوب : جمع ندب ،
 وهو أثر الجرح .

أذهبت هنى ذاك ما كنت أجد
من لذعة الحزن الشديد المعتمد^(١)

والحرب تعلوكم بشؤبوب برد^(٢)
تقدم لإقداماً عليكم كالأسد
وهذا شعر يصورها مهتاجة المواعظ ،
متأججة الحزن ، حتى كأنما خرجت من
طبيعة الإنسان إلى طبيعة الوحوش الكاسرة .
ماذا كان موقف شعراء المسلمين إزاء هذا
الفخر والقتلى ؟

لقد حاول بعض شعراء المسلمين أن يقلل
من قيمة ما يدعيه المشركون من المفاخر ؛
وأظهر ما كان ذلك فى أمر لواء المشركين ؛
فإن التاريخ بروى أن أباسقيان قائد جيش
المشركين قال لأصحاب اللواء من بنى عبدالدار
وكان لهم اللواء والحجابه ودار الندوة يحرضهم
على القتال : يا بنى عبدالدار ، إنكم قد وليتم
لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم وإنما
يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت
زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن
تخلو بيننا وبينه فكيفكموه ، فغضبوا ،
وقالوا : ستعلم غدا إذا الثقيما كيف نصنع ؛
وهكذا نجح أبو سفيان فيما أراد .

(يتبع)

دكتور أحمد أحمد بروى

ويريد بالقرم الكريم من بنى هاشم حمزة
عم الرسول .

أما هند بنت عتبة وزوج أبى سفيان
فقد اتخذت من آذان الرجال وأنا فهم خلخالاً
وقلائد ، وأهبطت خلخالها وقلائدها وقرطها
وحشياً قاتل حمزة ، وبقرت عن كبده فضغمتا
فلم تستطع أن تدينها فلفظتها ؛ ثم علت على
صخرة مشرفة فقالت :

نحن جزيناكم يسوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سمر^(١)

ما كان هن عتبة لى من صبر
ولا أخى ، وعمه ، وبكرى
شفيت نفسى ، وقضيت نذرى

شفيت وحشى ، غليل صدرى^(٢)
فشكر وحشى على عمرى

حتى ترم^(٣) أعظمى فى قبرى
ويحس الفارى بأن شكرها الوحشى نابع
من صميم فؤادها ؛ لأنها أدركت ثأرها على
يديه ، فشفى نفسها ، وقضى نذرها .

وتتحدث هن تمثيلها بحمزة فتقول :
شفيت من حمزة نفسى بأحد

حتى بقرت^(٤) بطنه عن الكبد

(١) السمر : الجنون .

(٢) الغليل : الحقد وحرارة الحزن .

(٣) ترم : تبلى .

(٤) بقرت : شققت

(١) لذعت النار الشئ : أحرقتة . والمعتمد :
الذى يعتمد إليه القلب .

(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر . والبرد :
ذو البرد (بفتح الراء) .

مِنْ نَحْوِ تَجْمَعِ الْجَوَاشِ

مِلْكِيَّةُ الْأَفْرَادِ لِلْأَرْضِ وَمَنَافِعُهَا فِي الْإِسْلَامِ لِدُكْتَانِ مُحَمَّدِ السَّائِسِ

الشخص وما يملكه كثيرا ما يطلق على الشيء المملوك .

وحصر ما يملك من الأشياء في ثلاثة :
١ — الأعيان وهي الأشياء المحسة من عقار أو منقول .

٢ — المنافع وهي ما يقصد من الأعيان .

٣ — الحقوق المتعلقة بالمال كحق المرور مثلا أو بغيره كحق الحضنة . وقسم الأعيان بالنسبة لقابلية التملك إلى ما لا يقبل التملك أو التملك بحال وهو ما كان خاصا بالمنافع العامة ما بقيت له صفة العموم وما يقبله بمسوخ شرعي كالعين الموقوفة إذا زادت نفقاتها على ما تنفع . وما يقبله بلا قيد وهو ما عدا النواحيين ثم قسم الملك إلى : تام : وهو ما يقع على الشيء ومنافعه جميعا : وإلى ناقص : وهو ما يقع على أحدهما العين أو المنفعة ووضح خصائص النوع الآخر من كونه يقبل التغيير بالزمان والمكان والصفة . ولا يقبل التوارث الخ هذه

موضوع البحث الذي تقدم به فضيلته الدكتور في دورته الأولى . وقد مهد له ببيان الحكمة من اختلاف الله الإنسان على الأرض وهي تعميره لها . الأمر الذي كان لا يمكن أن تقوم له قائمة بغير تعاون أفراد الجماعة الإنسانية على النواحي بأعبائه الثقيلة مع ما بين هؤلاء الأفراد من اختلاف في القوى والميول والمشارب قضى ألا تسقط حياة هذه الجماعة بغير دستور يحدد حقوق أفرادها وواجباتهم . فكان الدستور الإنساني العام بمبادئه الخمسة . حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال : الذي أقرته جميع الشرائع السماوية والوضعية . والذي من المبدأ الأخير فيه تولدت نظرية الملكية

ثم بين الملكية في حرف اللغويين والقانونيين والفقهاء بما لا يخرجها عن كونها : اختصاص إنسان بشيء على وجه يمكنه من التصرف فيه دون غيره إذا لم يوجد مانع من ذلك : وهذا الملك كما يطلق على العلاقة النسبية بين

الأرض ومنافعها مع بعض ما أورده من الأحاديث والآثار التي تؤيد هذه الملكية .

المالك التام خصائصه وأسبابه :

١ - من تعريف المالك التام السابق يثبت للمالك مطلق التصرف في العين ومنافعها بكافة التصرفات المشروعة من بيع وإجارة وإعارة وغيرها . وهذه الحرية المطلقة للمالك لا تقتيد إلا بأمرين : الأول عدم الإضرار بغيره فردا كان ذلك الغير أو جماعة ، الثاني أن يكون تصرفه في نطاق الأوامر والقرارات التي تصدرها السلطات الحاكمة تحقيقا للمصلحة العامة ويشمل ذلك نزع الملكية للمنفعة العامة والاستيلاء المؤقت على العقار في حالة حصول غزو أو قطع جسر وقيود المفروضة لصالح الأمن أو الصحة العمومية كالقيود المختصة بالتنظيم وإنشاء العزب والزرائب والمحلات المقلقة للراحة والمضرة بالصحة والخطرة وإقامة الآلات الرافعة وتركيب الآلات البخارية والقيود المفروضة لصالح الزراعة المزمع اتباعها مالكو الأرض المجاورة للترع والمصارف ونحوها .

والقيود الموضوعة لحفظ وإنماء الثروة الأهلية كالقيود الخاصة بالمناجم وحماية الآثار التاريخية وتحريم بعض المذروعات .

الخصائص كما وضع الأسباب التي بها يتهتم هذا النوع من الملك وذكر أن من الملك الناقص حق الارتفاق : وهو الحق المقرر على عقار لمنفعة عقار آخر يملكه لغير مالك العقار الأول : كحق الشرب والمرور وبين أيضا ما يثبت به هذا الحق . من الشركة العامة كما في الطرق والأنهار . ومن النقص عليه في عقد المعاوضة إلى غير ذلك .

وختم هذا التمهيد ببيان خصائص الملك التام وأسبابه . وموقف الإسلام من حرية الملك عامة .

ثم انتقل بعد ذلك إلى بحث ملكية الأفراد للأرض ومنافعها في الإسلام . فأورد النصوص القرآنية التي تثبت أن ملكية الأرض كانت موزعة بين الأفراد في جميع العصور ولدى جميع الدول وفي الديانات المتعاقبة ، يقبضون ملكيتها ويتوارثونها حسبما تقضى به شرائعهم ونظمهم . وأتبعه بإيراد بعض الأحاديث والآثار الدالة على أن الأرض كانت مملوكة للأفراد يفتنحون بها بكل وجوه الانتفاع . ثم ساق بعض نصوص فقهاء المذاهب الأربعة المتعلقة بهذا الموضوع .

* * *

وإليك جزء هذا البحث الخاص . بأسباب الملك التام وخصائصه . وموقف الإسلام من حرية الملكية عامة وملكية الأفراد

والوصية تحصل الخلافة من الميت حتى كأنه
حي لا الانتقال حتى ملك الوارث الرد بالعيب
دون المشتري أى المشتري من المورث الذى
مات . فالأسباب ثلاثة مثبتة للملك وهو
الاستيلاء ونقل للملك وهو البيع ونحوه
وخلافه وهو الميراث والوصية ومن هنا نعلم
أن أسباب الملك التام ثلاثة :

١ - الاستيلاء على المال المباح .

٢ - العقود الناقلة للملكية من بيع
وهبة مثلاً .

٣ - الخلافة : أن يقوم شخص مقام شخص
فما كان يملكه ويحفظه فيه كما فى الإرث
ولا تعتبر الشفعة وهى حق تملك العقار جبراً
على المشتري بما قام عليه لأنها هى حق التملك
وليست هى التملك .

وحقيقة التملك إنما تكون بالترضى
أو بقضاء القاضى ومردء إلى انعقد بإقامة
القاضى مقام الممتنع المجبر وكذلك لا يعتبر
التولد من المال المملوك سبباً جديداً لإفادة
الملك فى التولد أو المستفاد من المملوك لأن
من خصائص الملك التام كما قدمنا أن يكون
المال بمنافعه وثمراته المتصلة والمنفصلة ملكاً
لصاحبه مقصوداً عليه لا يشاركه فيها أحد
فيعكون ملك ما تولد ثابتاً بالسبب الأول
الذى ثبت به الملك فى أصله فمن ملك حيواناً
بعقد أو يارث فإنه يملك ذاته وما ينتج منه

٢ - للمالك حق الانتفاع بالشيء المملوك
بأى وجه من وجوه الانتفاع غير متقيد
بزمان ولا مكان ولا بشكل معين ما لم يكن
ذلك محرماً شرعاً كأن يجعل دأره نادياً للفرار .

٣ - أن هذا الملك غير مؤقت ؛
فلا ينهى إلا بهلاك العين المملوكة أو بانتقاله
إلى غيره بالوراثة إذا مات المالك أو بتصرف
شرعى ناقل للملكية كالبيع والهبة .

٤ - أن ملكية الأعيان لا تقبل الإسقاط
لأنه لا سائبة فى الإسلام .

أسباب الملك التام :

من المفيد هنا أن ننقل ما جاء فى البحر
نقلاً عن كتاب الحاوى للقدسى ونصه :

الملك : الاختصاص الحازم وأنه حكم
الاستيلاء لأنه به ثبت لا غير إذ المملوك
لا يملك لأن اجتماع المالكين فى محل واحد
محال فلا بد وأن يكون المحل الذى ثبت فيه
الملك خالياً عن الملك والخالى عن الملك
هو المباح والمثبت للملك فى المباح الاستيلاء
لا غير وهو طريق الملك فى جميع الأموال
لأن الأصل الإباحة فيها وبالبيع والهبة
ونحوها ينتقل الملك الحاصل بالاستيلاء إليه
فمن شرط البيع شغل المبيع بالملك حالة البيع
حتى لم يصح فى مباح قبل الاستيلاء ومن شرط
الاستيلاء خلو المحل عن الملك وقته وبالإرث

يدخل في ملك يحترمه الشارع ولم يوجد ما يمنع شرعاً من تملكه ومال هؤلاء غير محترم في نظر الإسلام في حالة الحرابة .

والناقل للملكية هي العقود والخلفية فإن هذين لا يثبت بهما ملك الشخص إلا إذا كان المال الذي ورد عليه العقد أو الميراث مملوكاً من قبل فالمال المباح لا يكون محلاً لعقد من العقود كما لا يكون ميراثاً لأحد .

وبهذا يظهر أن أول أسباب الملك وجوداً الاستيلاء هل المباح ثم بعد ذلك يحى النقل بالعقد أو الإرث . وتنقسم ثالثاً إلى فعلية وقولية واعتبارية شرعية — والاستيلاء سبب فعلى لا يتحقق إلا بالفعل ولهذا يصح من ناقضى الأهلية كالعبيد والمحجور عليه فإذا استولى صبي ولو غير بمنزلة أو محجور عليه أو مجنون على مباح استيلاء حقيقياً صحيحاً ملكه مع أن العقود الصادرة من هؤلاء قد تكون باطلة أو موقوفة على إذن الولي .

والعقد سبب قولى في غالب صورته لأن الأصل فيه أن يكون بالقول وقد يتحقق بالفعل نيابة عن القول كما في الكتابة أو الإشارة وشرط إثباته الملك أهلية العاقد الكاملة .

والإرث يثبت الملك من غير فعل ولا قول من الوارث أو المورث فهو سبب

في المستقبل لأن النتائج حين وجوده يكون كالجزء المنفصل فلا يحتاج إلى سبب جديد . ثم إن لهذه الأسباب أوصافاً مختلفة تنقسم باعتبارها ثلاثة تقسيمات ، فتقسم أولاً إلى اختيارية وجبرية أما الاختيارية فهي الاستيلاء على المال المباح والعقود ، والجبرية هي الخلفية التي تتحقق بالميراث فإن هذا السبب يثبت الملك فيه جبراً على كل من المورث المالك السالف والوارث الخليفة عن المورث فإن الشارع جعل الوارث يحل محل المورث في ملكه المنتهى فالمملك الجديد امتداد للملك القديم ولهذا لا يشترط قبوله ولو رده لا يرتد بالرد والذي يثبت فيه الملك بهذا السبب هو المال الباقي بعد تمييز الميت وسداد ديونه وتنفيذ وصاياه وهى هذا تكون الخلافة في ملك الباقي فقط وليست خلافة في كل شئ ؛ فلا يلزم الوارث بسداد دين الميت في ماله الخاص إذا لم تف تركته بديونه .

وتنقسم ثانياً إلى ما هو منقضى للملكية وناقل لها من شخص إلى شخص آخر فالمقتضى للملكية هو الاستيلاء على المال المباح فإن المال المباح لا يوصف قبل الاستيلاء عليه بالملوكية ويدخل في هذا السبب الاستيلاء على الغنائم الحربية ؛ لأن أموال الحربيين تعتبر مباحة لأن المال المباح هو الذى لم

لأحد مباحة والمباح لا يحتاج في تملكه إلى إذن من الإمام . ولأن الحديث الذي بين الطريق التي تملك بها الأرض المباحة لم يقيد ذلك بالإذن . ونفظة كما جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أحرر أرضاً ليست لأحد فهي له) . ويرى أبو حنيفة أن الملك لا يثبت بمجرد الإحياء بل لابد من إذن الإمام أو نائبه . لأن الأرض وإن كانت مباحة إلا أنه قد يتزاحم الناس عليها فتقع الشجنا بينهم . فمنعنا لهذا يشترط إذن الإمام ، لأنه بما له من الولاية العامة يستطيع قطع أسباب الخصام فلا يأذن إلا بما ليس فيه ضرر . ويشهد له حديث : ليس البر إلا ما طابت به نفس الإمام . والخلاصة أن الاستيلاء على الأرض المباحة كاف للتملك إن لم تكن هناك مظنة تنازع أو تزاحم ولم يكن هناك منعه عام من الإمام وأنه لابد من إذن الإمام إن خيف التنازع والخصام . وعلى ذلك فليس في مصر الآن أرض موات بالمعنى الذي هناك الفقهاء ؛ لأن أراضيها غير المملوكة للأفراد أو الشركات والموقوفه مملوكة للدولة ولها وحدها حق تملكها لمن تشاء بعوض أو بغير عوض . ونسوق بعد ذلك كلمة في احترام الشارع للملكية بوجه عام وتقريره لحريتها وحرمتها .

اعتباري جعله الشارع موجباً للملك من غير أن يكون لأحد دخل فيه ؛ لذلك يثبت للصغير والكبير والمميز وغير المميز بل يثبت للجنين في بطن أمه .

هذا وموضوع البحث وهو ملكية الأفراد للأرض ومنافعها يقتضي أن نخص السبب الأول وهو المثنى للملكية بالبحث لأن نشأة الملكية للأرض منذ بدء الخليقة ترتبت عليه فإن الله سبحانه وتعالى امتن على عباده بأن جعل لهم الأرض جميعاً أى الأرض وما فيها بأن يراد بالأرض ناحية السفلى بدليل المقابلة بالسماء دشم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، واللام للملك والاختصاص وقال تعالى : ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون .

وقد استدل العلماء بالآية الأولى على إباحة الأشياء قبل ورود الشرع والملك في الحقيقة لله سبحانه ولكن الله الغنى تفضل على عباده المحتاجين للاقتناع بمخلوقاته من الأرض وغيرها بإباحتها لهم وتمليكها لهم إن أحيوها واستولوا عليها على ما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم : (الأرض أرض الله والعباد عباد الله من أحياء أرضاً مواتاً فهي له) والإحياء يكفي أن يكون وحده حياً للملك بدون حاجة إلى إذن السلطة الحاكمة ؛ لأن الأرض الغير مملوكة

حرية الملكية :

من الضروريات الخمس التي أجمعت الشرائع السماوية على وجوب حفظها وقررت احترامها وحرمتها المال ، ففي الحديث : كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه - لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه .

وقد كفل الإسلام حرية الملكية بأحكام شرعها :

فأولاً : جعل التراضي والرضا أساساً للبياعات المالية فكل ما شرعه الله من التصرفات التي تفيد نقل ملكية العين أو منفعتها من بيع وإجارة وإعارة جعل أساس صحتها ونفاذه حرية المتصرف ورضاه واختياره قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض مكم .

ثانياً : نهى الله ورسوله في مواضع هذة عن التعدي على مال الغير وأخذه من ماله بغير حق قال تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون . وقال : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً .

ثالثاً : ضمانا لحرية الملكية وتأميناً للناس

على أموالهم قررت الشريعة عقوبة السارقين وتضمن الغاصبين . قال تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم .

وفي الحديث (لا يحل لأحد أن يأخذ متاع أخيه لاعبا ولا جادا فإن أخذه فإيرده عليه) وفي حديث آخر على اليد التي أخذت أن ترد .

ومما يؤيد حرمة الملكية قوله صلى الله عليه وسلم لمن كان يغبن في البياعات إذا بايعت فقل : لا خلافة ولي الخيار ثلاثة أيام . ونبيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر ، فإن في شرعية الخيار والنهي عن بيع الغرر ضمانا لتحقيق رضا المالك بالتبادل وعدم خروج الملك من ماله وفي نفسه شبهة قهراً أو خداع له وكذلك تقرير حق الشفعة دفعا للضرر عن الجار أو الشريك ، مما يؤيد احترام حق الملكية وإحاطة المالك بما يدفع عنه الضرر ، وتقرير حقه في الانتفاع بملكه على أحسن الوجوه ، وصيانتة مما يتوقع من إضرار . وقد آن لنا أن نتقل بعد هذا التهيد إلى بحث ملكية الأفراد الأرض وضايفها في الإسلام .

(للبحث بقية)

محمد السابحي

الملكية الفردية وتحديداتها في الإسلام

للأستاذ علي الخفيف

- ٣ -

إلى أنه صلى الله عليه وسلم قد حسم النقيض لهذا الغرض فكان للمسلمين عامة وكذلك أشرنا إلى أن هذا الأثر يدل على أنه كان لجماعة المسلمين من الخيل التي يحملون عليها ما اقتضت المصلحة أن يحتمي لها من الأرض . وكذلك كان شأن الملكية في الفئ والغنائم قبل قسمتها في الناس إذ كان الملك فيها حينئذ لجماعة المسلمين مما كان يسوغ لبعض الصحابة أن ينهته بأنه مال الله وليس يريد إلا أنه مال المسلمين جميعا وهذا هو المعنى الذي تمسك به أبو ذر رضي الله عنه وحمل معاوية بن أبي سفيان وهو أمير الشام يومئذ من قبل عثمان رضي الله عنه على إظهاره وذلك حين سمعه يقول : إن المال مال الله فقال له : لا تقل ذلك وما الذي يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ فقال له معاوية يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ما له ؟ فقال أبو ذر : لا تقل ذلك (١) وأصر على رأيه مخافة أن يتخذ قول معاوية ذريعة إلى احتجاز هذا المال عن أصحاب الحقوق فيه من المقاتلة والجند وإلى استبداد ولي الأمر بالتصرف والتدبير فيه بحسب

(١) الطبري ج ٣ (٢٢٠) .

موقف الشريعة الإسلامية من النوعين :
لعلنا فيما مضى من بيان قد تبيننا أن الإسلام حين ظهر بجزيرة العرب أقر الملكية بنوعها الفردية منها والجماعية فأما إقراره الفردية منها فهو بما يصح أن يقال فيه إنه مما يعلم من الدين بالضرورة ومعنى ذلك أن إقراره أياها يتجلى فيما نزل من آيات وفيما فرض من فرائض وفيما نذب إليه من صدقات وهكذا على وضع يزول معه كل شبهة وريبة وأما إقراره الملكية الجماعية فهو ظاهر في المساجد إذ جعلها لله تعالى وليس معنى ذلك إلا أنها لجماعة المسلمين يؤدون فيها عبادتهم وشعائرهم وظاهر في الوقف حين شرعه لتوجه غلاته ومنافعه إلى سبيل الخير العام أى إلى مصلحة عامة لجماعة المسلمين ، وظاهر فيما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من قسمته غنائم خيبر نصفين جعل أحدهما للزرائب والوفود التي تغد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق . وظاهر فيما حماه صلى الله عليه وسلم من الأرض لخيال المسلمين التي يحملون عليها حين يغزون في سبيل الله . وقد أشرنا فيما مضى

من أن تكون رعايتهم لهذا المال قائمة على أنه مال الجماعة أو مال الله دون ملاحظة حق لكل فرد فيه - وهذا ما يحل معنى الملكية الجماعية في نظر الإسلام وأنها للأفراد مشتركين لا للهيئة بوصف أنها هيئة لها شخصية اعتبارية ولها ملك هذا المال ولها حقوقه . ولم تجعل الشريعة الإسلامية لكل من هذين النوعين نطاقاً لا تتجاوزه بل كان كل مال في نظرها صالحاً لأن يكون ملكاً لفرد أو ملكاً لجماعة وذلك ما تدل عليه الآثار التي أوردناها فيما سبق وقد استثنى من ذلك الماء والكلاء والنار وكذلك الملح وذلك لحديث أبي خراش أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المسلمون شركاء في ثلاثة في الماء والكلاء والنار) رواه أحمد وأبو داود ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وفي رواية (الناس شركاء في ثلاثة في الماء والكلاء والنار) وقد دل على أن الناس شركاء في جميع أنواع الماء من غير فرق بين المحرز وغيره ولكن هذا العموم مخصوص بالإجماع إذ قد قام الإجماع على أن الماء المحرز ملك لمحرزه وكذلك دل على شركة الناس في الكلاء وهو النبات رطبه ويابس وشركاء في الاستضاءة بالنار والانتفاع بلهبا وأما الشركة في الملح فلحديث بهية عن أبيها أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء الذي لا يحل منعه فأجابه : (الملح) رواه أحمد وأبو داود (١)

رأيه دون مساءلته في ذلك من أحد وليس الأمر كذلك بل المال مال المسلمين لكل منهم فيه حق وله أن يسأل الخليفة أو ولي الأمر عنه بناء على هذا الحق . وذلك ما كان عمر رضي الله عنه يقرره إذ كان يقول : ما أحد من المسلمين إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه (٢) . ويقول من أراد أن يسأل عن ذلك المال فليأتني فإن الله تبارك وتعالى جعلني له خازناً وقاسماً (٣) .

وهذا ما يدل على أن الإسلام حين أقر هذه الملكية الجماعية إنما أقرها على أساس أنها ملكية لجماعة مكونة من أفراد تتعلق بمال لكل منهم حق فيه يخول له ضرباً من القيام عليه يظهر في طلب المحاسبة عليه وقسمه ورعاية وحفظه كما يفرض عليه أن يقوم على رعايته وحفظه ما وجد إلى ذلك سبيلاً . ولذا كان عمر رضي الله عنه يوصي رجاله الذين أقامهم على حفظ هذا المال أن يلاحظوا أنه مال للمسلمين لكل منهم فيه حق ويقول فيما رواه زيد بن أسلم عن أبيه : لا يترخص أحدكم في البرذعة أو الحبل أو القتب فإن ذلك للمسلمين ليس أحد منهم إلا وله فيه نصيب فإن كان لإنسان واحد وآه عظيماً وإن كان لجماعة المسلمين ارتخص فيه (٤) بهذا يحذرهم

(١) الأموال لأبي عبيد (٢٢٣) .

(٢) الأموال لأبي عبيد (٢١٣) .

(٣) الأموال لأبي عبيد (٢٦٨) .

(١) نيل الأوطار ٥ (٢٥٧) ، (٢٥٨) .

ليس لمثل هذا طلبت الأرض أو ملكك وعلى ذلك يكون أمرها إلى الإمام يستعملها بعالمه لمصلحة المسلمين إن رأى المصلحة في ذلك أو يقطعها من شاء إقطاع انتفاع مؤقت بمدة أو بحياة من أقطعها نظير مال يصرف في مصالح المسلمين فإذا انتهت المدة رد الأمر فيها إلى الإمام لا فرق في ذلك بين ما يوجد في أرض مملوكة وما يوجد في أرض غير مملوكة ولا بين نوع ونوع وجاء في منح الجليل الشيخ عايش أن أساس هذا الحكم هو المصلحة العامة إذ أنها تقتضي ذلك .

أما ما يحتاج إلى عمل ومشونة في إظهاره واستخراجه فإن منفعته تكون لمن كان ذلك منه بما استجدته من ماله (الأم ٣٠٣/٢٦٥) . ومن هذا يتبين أن مجال الملكية الجماعية في الأموال لا تحده حدود في الشريعة الإسلامية وأن مجال الملكية الفردية بناء على ما ذكره الشافعي رضي الله عنه لا يتناول من الأموال ما كان قائماً في محله بادياً لكل من قصد إليه بحيث لا يتطلب في الحصول عليه نفقة ولا جهداً ولا عملاً ومنفعته عامة تتطلبها مصالح المسلمين . ويجب أن يلاحظ مع هذا أن عدوان إحدى المملكتين على الأخرى محظور محرّم فلا يجوز أن يملك الفرد ما كان ملكاً للجماعة خصصاً للنافع العامة إلا إذا خرج عن ذلك بالاستغناء عنه فعند ذلك يجوز تملكه بعرضه على أن يقوم بهذه المبادلة ولي الأمر متحريراً

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال : (الملح والماء والنار) ، رواء ابن ماجه وألحق الشافعي رضي الله عنه بذلك ما يوجد في الأرض مما ترى منفعته بادية وفي متناول من يطلبها دون جهد منه أو عمل من كل معدن ظاهر كالذهب والتبر وغيرهما والنبات والماء مما لا يملكه شخص معين ولا يحتاج في إظهاره وإدراكه إلى مشونة فإن الناس جميعاً يكونون في ذلك سواء لا يختص به واحد من الناس بإحياء أو إقطاع من ولي الأمر بل يكون شأنه شأن الماء والكلا والنار والغاصد إليه شريك فيه كشرκτη في الماء والكلا الذي ليس في ملك أحد - قال الشافعي ومثل هذا كل عين ظاهرة كنفط أو قار أو كبريت أو حجارة ظاهرة في غير ملك لأحد فليس لأحد أن يحتجزها دون غيره ولا لسلطان أن يمنعهما لنفسه ولا لخاص من الناس (١) .

ويرى المالكية في أشهر أقوالهم أن ليس شيء من المعادن في محالها د مناجها ، مالا مباحاً حتى يتملكها من يستولى عليها وإن كان استيلاؤه عليها لم يحدث إلا بعمل قام به أو بنفقة أنفقها في سبيله وإنما هي ملك للمسلمين جميعاً نتيجة قيامهم على ما وجد فيها من الأرض قيام ولاية وحماية ولا تعد تابعة لأرضها مملوكة لصاحبها نتيجة لملك أرضها إذ

(١) الأم ٣٠٣ (٢٦٥) وما بعدها إلى (٢٦٦) .

على بعضهم وبذلك يشترك كل قادو في دفع ما ألم بالامة مما يجب دفعه .

الملكية وظيفتها اجتماعية:

جاء القرآن الكريم بما يدل على أن لله مافي السموات وما في الأرض له ملك ما فيهما ونص على ذلك في آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى : **د** ألا أن لله مافي السموات والأرض ، (يونس ٥٥) وقوله : **د** قل لمن السموات والأرض قل لله ، (الأنعام ١٢) وقوله : **د** ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، البقرة (١٠٧) فدل بذلك على أنه سبحانه وتعالى مالك لجميع مصادر الثروة ومالك للثروة نفسها ومالك لها على ظهر الأرض من مال أيا كان نوعه . ولم يخلقه ويملكه لحاجته إليه فاقه هو الغني عما سواه وإنما خلقه وجعله للإنسان قال تعالى : **د** هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، (البقرة ٢٩) وقال : **د** ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ، (الحج ٦٥) وقال : **د** ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، (لقمان ٢٠) فكان للناس جميعهم كل منافعه وكان فيهم سداد هوزهم وقيامهم وكان اختصاص الإنسان به وانتفاعه بشماته صورة تمثل الملكية العامة الشائعة التي أسس عليها عمل الفرد فيه وانتفاعه به

ألا يكون فيه غبن كما لا يجوز لولى الأمر أن يعتدى على ملك فرد من الأفراد فليس له أن يجهل في منفعة عامة يملوكا لجماعة المسلمين إلا إذا تطلبت مصلحة المسلمين ذلك فيأخذه الإمام عن رضا أو عن قهر يبده دون غبن على صاحبه وذلك لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة وذلك ما حدث في توسعة المسجد الحرام حين ضاق على الناس في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد كانت دور الناس محدقة به من كل جانب عدا قتمحات يدخل منها الناس إليه فاشترى عمر دورا منها وأبى عليه أصحاب الدور الأخرى فأخذها منهم قسرا ووضع قيمتها بخزانة السكينة وأدخل الجميع المسجد وظلت القيمة بالخزانة إلى أن أخذها أصحابها ثم كثر الناس في عهد عثمان وضاق عليهم المسجد مرة أخرى فأراد توسعته فاشترى من قوم وأبى عليه آخرون فأخذ دورهم جبرا وعزهم ؛ لأنه ليس للمالك أن يأبى حين يدعو إلى بيع مملكته داعى المصلحة العامة فإذا أبى كان إباؤه ظلما فيدفع . وليس يجوز أن يؤخذ ملك لإنسان بلا عوض لمصلحة عامة بل يجب تعويضه من بيت مال المسلمين فإن لم يكن فيه ما يقوم بذلك كان لولى الأمر أن يفرض على القادرين من الوظائف المالية ما يقوم بحاجة الدولة ويدفع ما نزل بها بالقسط المستقيم فيعم بذلك جميع القادرين كلا بقسطه ولا يقصره

فأنفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الإنفاق كأيهمون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن فيه وقوله تعالى : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » (النور ٣٣) وقوله تعالى « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (آل عمران ١٨٠) وقوله تعالى « وإذا قال ربكم للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون » (البقرة ٣٠) وكان بناء على ذلك نائباً في ملكه أميناً فيه خازناً لثمراته جعل له التصرف فيه في الحدود المشروعة وهي حدود قصد بها خيره ونفعه ومصلحة مجتمعه فليس له أن يتجاوزها فإذا تجاوزها كان ذلك خروجاً عنه عن خلافته وولايته واستوجب بذلك الجزاء بالحجر عليه وغل يده ومن دلائل هذه النيابة رجوع مال من يتوفى عن غير وارث إلى بيت المال باعتباره خزانة لأموال المجتمع فأليه كل مال لا يظهر له مالك .

ومن ذلك يتبين أن الملكية وبخاصة الفردية وظيفه اجتماعية : المالك فيها أمين وخازن فيما يحوزه من مال الله تعالى أو من مال مجتمعه . فإذا ما تجاوز ما وضع له في القيام عليه من حدود قتل جرثومة الفساد ومصدر ما يأتيه الناس في أموالهم من مظالم

فانتفع الناس به جميعاً في البداية بلا اختصاص وكان انتفاع الفردية على هذا الوضع . ثم ظهرت بعد ذلك الملكيات الفردية فأقرها المجتمع ولم يعارضها إذ كانت أمراً شائعاً في الناس دعت إليه حاجتهم وغريزتهم وكان قيام أصحابها بها بعد الإباحة العامة برضا الناس وإقرارهم قيام خلافة ونياية عن المجتمع بهذا الاعتبار وكان الفرد على هذا الأساس عاملاً في مال الجماعة نيابة عنها وقد كلفه الله سبحانه وتعالى بالعمل فيه قال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (التوبة ١٠٥) ولهذا التكليف وجب عليه أن يعمل في نطاق إرادته ومواهبه وقوته وكان سلطانه في عمله هذا وولايته فيه ممتداً بامتداد مواهبه وقدرته وكانت ثمرة عمله بحكم ذلك ثمرة استخرجها من مال الجماعة فكان له فيها حق كما أن تلك الثمرة من ناحية أخرى هي لله تعالى آتاه إياها واستخلفه فيها بدليل قوله تعالى : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (الحديد ٧) وفي بيان معناها يقول الزمخشري : يعنى أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلفه وإنشائه لها وإنما هو أهلك إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاءه في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب

وطغيان وفساد - وأن هذا المعنى ليسمو
هند بعض الأفراد ويستولى على النفس حتى
يرون حرجا في تخير ما ينفقون وفي تقدير
ما يبذلون كما حدث ذلك لبعض أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فظفّقوا يسألونه ماذا
ينفقون ، مما أشار إليه القرآن الكريم
في أكثر من موضع مثل قوله تعالى ويسألونك
ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير ففلو الذين
والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ،
البقرة (٢١٥) وقوله تعالى : د ويسألونك
ماذا ينفقون قل العفو ، البقرة (٢١٩) .

ونبابة الفرد في هذا القيام على ماله نيابة
تقوم على أهليته لذلك العمل بما منحه الله فيه
من عقل ونظر كما قدمنا ، فوجب أن يكون
عمله فيه موجها إلى الخير ووضعه موضعه وإنفاقه
في وجوهه وإنما به بالطرق المشروعة ، ولذا
جاءت الشريعة بإخراجه من هذه الولاية وغل
يده إذا أساء التصرف فيها لسفه أو غفلة
أو أصابته آفة أعجزته أن يقوم بذلك . وفي
ذلك نزل قوله تعالى : د ولا توتوا السفهاء
أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، (سورة
النساء هـ) ولهذا المعنى أضاف القرآن الأموال
في حديثه عنها إلى الله سبحانه وتعالى وإلى
جماعة المخاطبين كما يرى فيما ذكرنا من الآيات
سابقا ، وكما يرى في قوله تعالى : د ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام

لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم
تعلمون ، (البقرة ١٨٨) وقوله تعالى : د يا أيها
الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، (النساء
٢٩) وقوله تعالى : د وأكلهم أموال الناس
(النساء ١٦١) وقوله : د وما أموالكم
ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى ، (سبأ
٣٧) وقوله : د واهلوا أنما أموالكم وأولادكم
فتنة ، (الأنفال ٢٨) وغير هذه كثير وعلى هذا
الأساس حاج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
من حاجه في الحى قائلا : حيث بلادنا قاتلنا
عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام فقال
عمر : د البلاد بلاد الله وتحمى لنعم الله ويحمل
عليها في سبيل الله ، الأموال لأبي عبيد ٢٩٩ .
إقرار الملكية الفردية وحمايتها :

المواطن مختلفة اللسان متغايرة في العادات
والثقافات منقطعة الصلة فيما بينها في بعض
الأحوال مما يدل على أنها كانت أثرا لطبيعة
من طبائع الإنسان وغريزة من غرائزه وأنها
نظام قد واهم فطارته وسائر تطوره واتسق
مع ما انتهت إليه مجتمعاته من أوضاع
ونظام وتقاليده .

ولقد استمر قيام هذا النظام وانتشاره
وشموله إلى أن ظهر الإسلام فكان له من نظره
ما كان لغيره من الأنظمة والعادات والتقاليده
التي واجهها الإسلام هند ظهوره وهو نظير

الإسلام إلى إقرارها مع الإصلاح لأنها كانت هي النظام العام الذي قامت عليه حياة المجتمعات على تعددها واستقرت عليه نظمها الاقتصادية على اختلافها . ولم يكن من إقرارها بدخلى يستمر للحياة الإنسانية سيرها ويستقر لها وضوحها واتجاهها إلى غايتها وحتى يحصل الناس منها على ما يرغبون من منافعها ويسعون إليه من ثمراتها وحتى تظمن نفوسهم ويمضون بحماس إلى أهدافهم بجميع ما لهم من قوة .

من هذه الناحية كانت الملكية الفردية ضرورة اجتماعية أقرها الإسلام لذلك وأضفى عليها حمايته ثم كان في غنى عن أن يأمر بها وأن يحض على التزامها وعلى الاستمسك بنظامها وأن يجعلها واجبا دينيا يجب إليه السعي قصداً فتركها على ما هي عليه أمراً مباحاً تهدي إليه الطوائف البشرية ولا بد أن يوجد ويقوم نتيجة للفرائض التي فطر الإنسان عليها فعنها يحصل الإنسان على ما يقيم به حياته والحصول عليه واجبا تجنباً للهلاك وبعداً عن الغناء . ولقد أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه بالعمل فقال : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » التوبة ١٠٥ ، وأمر بالسعي فقال : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، (الجمعة ١٠) ، وقال : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها

يهدف في واقعه العام وفي غرضه الأساسي إلى الإصلاح والتهديب لا إلى الهدم والنقض إلا أن يكون الشر خالصا والخير غائرا الجذور والفساد لا يشوبه صلاح فعند ذلك يعتمد إلى النقص والهدم والتجريم والمنع .

ولم تكن الملكية الفردية مع كفالتها بتوفير الحاجات وموافقتها لسليم الطباع ومع تأسيس النظام القائم عليها وبقائها على مرور الزمن وانقضاء العصور دعامة من دعائم الحياة الاجتماعية بالأمر الخير الذي لا يخالفه شر ولا بالشر المحض الذي لا يرى فيه خير بل كانت كغيرها من النظم نظاما فيه النفع وفيه الإصلاح وفيه الشر والإثم إذ قد يؤدي في أحوال إلى تزيق المجتمع بقسمته إلى طبقات متصادمة كما قد يتخذ ذريعة إلى شرور وفساد وتمال واستعباد وإهدار الحقوق واكتناز للأموال .

لذلك حمد الإسلام إلى أن أقرها مع الإصلاح والتهديب بما يحول دون أن تتخذ مصدر لاضطراب وفساد وتنازع وصدام ، وسبيلا إلى جعل المجتمع طبقات متنازعة متنافرة ودون أن تتخذ ذريعة إلى إشباع الشهوات والانغماس في الترف والملاذات وطريقا إلى التسلط والظغيان . وذلك بما سنه لها من نظام وشره لها من أحكام ودعا إليه فيها من فضائل وحض عليها من بذل ومواساة ، وعمد

(٦٥) وقوله تعالى : « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . في سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ، (الواقعة ٤١ إلى ٤٥) كما جعله باعنا على الظلم والإجرام فجاء فيه قوله تعالى : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » (هود ١١٦) .

وفي سبيل تحريم التبذير والإسراف جاء قوله تعالى : « ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (الإسراء ٢٦ ، ٢٧) .

وفي تحريم الاعتداء جاء قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض مضمك » (النساء ٢٩) وقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم » (البقرة ١٨٨) وأمر بقطع يد السارق فقال : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا تنكالا من الله » (المائدة ٣٨) وبذلك وأمثلة صيغت الملكية الفردية من أن تمس إلا بحق فيها أو بواجب فرضته الشريعة الإسلامية في أموال الناس لتعطيهم وتزكيتهم وتدفع عنهم وتقويهم بما يرهب أعداءهم . (للبحث بقية)

على الخفيف

وكلوا من رزقه وإليه النشور » (تبارك ١٥) والأمر يتجنب الهلكة أمر بما به تجتنب ولا طريق إلى تجنبها في مجال الافتيات ، إلا بالملكية الفردية فكان ذلك أمراً بها في هذا النطاق أى في سبيل المحافظة على الحياة وضرورتها — عليه تكون هذه الملكية واجباً بقدر ما به يدفع الضرر وهو ما يعرف في الإسلام بمراعاة الضرريات ووجوب المحافظة عليها لأن الوسيلة إلى الواجب تعد واجبة بوجوبه أما الوسيلة إلى غيره فلها حكم ما تقضى إليه من مندوب أو مكروه أو محرم . وعلى ذلك تكون الملكية الفردية بالنظر إلى ما سبق مما يعتريه الأحكام الشرعية وهى الوجوب والندب والإباحة والكراهة والتحريم وذلك بحسب ما تقضى إليه من ذلك شأن كل مباح يفضى إلى شيء من ذلك .

واقعد أضنى عليها الإسلام حمايته كما أشرنا إلى ذلك آنفاً فصانها من العبث بها إذ حرم اتخاذها وسيلة للترف الممقوت والفسق البغيض والميلذات الرخيصة والإسراف المردول والاعتداء الظالم والأكل بالباطل . ففي سبيل تحريم الترف جعله القرآن سبباً لنزول العذاب بأصحابه وحرماتهم من نصر الله لجاء فيه قوله تعالى : « حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم لأنكم منا لا تنصرون » (المؤمنون ٦٤)

الحرية السياسية والقيادة الجماعية في الإسلام

درستاز حسن فتح الباب

— ٢ —

٢ — نظام الشورى :

وهو الصورة الثانية التي تجسدت فيها الحرية السياسية في الإسلام ، ويقصد به مشاورة رئيس الدولة ذوى الرأى والثقة فى كل ما يجرى أو يدعو إلى السؤال .

ولقد نص على هذا النظام الديموقراطى فى قوله تعالى :

« وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله » .

« وأمرهم شورى بينهم » .

وهذه الشورى هى ما يعبر عنه فى مصطلحنا الحديث بالقيادة الجماعية ، وهى أسبى مدارج الديمقراطية التى انتهى إليها المشرعون المعاصرون لما تحققه من حرية سياسية للأفراد فى ظل المساواة ، وما يترتب عليها من تقدم ورخاء للجمتمع ، وصلاح للعالم بأسره .

شواهد وبيّنات .

ويجفل الكتاب الكريم والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامى بأروع الآيات والصفحات فى تطبيق هذا النظام ، الذى جاء به الإسلام ليعمل به قاده وأئمة ضمنا لسلامة العقيدة

وسياجا للأمة يحميها من شر انفراد الحاكم بالسلطة ، وإساءة استعمالها أو تجاوز الحدود التى بينها الشريعة ، فتصان حرية الشعب وينطلق فى تحقيق آماله فى الحياة الحرة الكريمة .

وترتكز تلك القيادة الجماعية على روح الوحدة والجماعة التى بثها الدين الحنيف فى نفوس المؤمنين - قادة ومواطنين - عملا بقوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .
« هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يد الله مع الجماعة) .

(عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو مع الاثنين أبعد من أراد بحبوحه الجنة فعليه بالجماعة) .
والهدف الذى يتوخاه الإسلام من حث

(إذا أراد الله بالأمير الحاكم، خيراً جعل له وزير صدق، إن نسى ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسى لم يذكره، وإن ذكر لم يمهله).

روح الجماعة في العبادات :

كما تتجلى روح الوحدة والجماعة في الفرائض الإسلامية، فمن المكروه في الصلاة أن يؤم المصلين رجل لا يحبونه، فإذا أهمهم رجل مختار وجب عليه أن يلتزم بالشروط المتفق عليها للصلاة، والتي يؤمن بها الكافة، ولو زاد الإمام في الصلاة أو نقص ذكره المصلون قائلين له :

« سبحان الله ... »

وإذا توقف الإمام في تلاوة التنزيل الحكيم فتح عليه أحد المصلين بالآية التي توقف فيها، وإذا نسي آية ذكره بها أحدهم، وإذا أخطأ في آية صححت له، وإذا اضطرب الإمام إلى ترك الصلاة أو ضعف عنها استخلف في الإمامة من ينوب عنه من المصلين، وهكذا كما شرعه الله. والحج إلى بيت الله، هو المؤتمر الذي تقبلور فيه الروح الجماعية في الإسلام، إذ يتشاور فيه أبناءه فيما بينهم في مسائل الدين والدنيا. كذلك تبدو تلك الروح في فريضة الصوم والزكاة، فيلتقي المسلمون في مواقيت واحدة في صيامهم وإفطارهم وتوزع الزكاة على المستحقين كما يجمع عليهم أهل الشورى.

ومن ثم يتجلى الدور الرئيسي الذي تقوم

أبنائه على التمسك بروح الجماعة هو كبح جماح الأنانية البغيضة، وتربية عادة التشاور الجميدة، ذلك أن تبادل الرأي هو الطريق إلى المعرفة الصحيحة من خلال استعراض وجهات النظر المختلفة وتحليلها، واختيار الأصلح منها للعمل به، وهو الضمان الحقيقي من خطأ الفرد عن قصد أو حسن نية والأمان من الزيف والانحراف.

« والعصر إن الإنسان لثي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. »

ويقول النبي الكريم :

(الدين النصيحة .. قالوا : لمن يا رسول الله، قال : لله ولرسوله ولكتابيه ولأئمة المسلمين وعامتهم).

ولقد اتبع الأنبياء قبل محمد - صلى الله عليه وسلم - مبدأ المشاورة، فاستمعوا في إبلاغ رسالتهم بمن توسعوا فيهم الحكمة وصواب الرأي، ومنهم موسى عليه السلام إذ يقول كما جاء في القرآن الكريم : « واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخى ، أشد د به أزرى ، وأشركه في أمري ، كي نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً إنك كنت نبأ بصيراً. » واستجاب الله سبحانه لهذه الدعوة . « قال قدأوتيت سؤالك يا موسى . »

وفي فضل المشاورة الصادقة والمنافحة الأمانة يقول الرسول :

- على ما حباه الله من رجاحة الفكر - أن يأخذ برأى الحباب بن المنذر في غزوة بدر حين أشار إلى مكان غير الذي نزلوا فيه أول الأمر، ثم بتغيير الآبار وبناء حوض للشرب لا يصل إليه المشركون، فقد قبل الرسول هذه المشورة، وكذلك الأمر حينما نصح سلمان الفارسي بحفر الخندق عند المنفذ الذي خيف أن يهجم منه الأعداء على المدينة، فأمر النبي بحفر الخندق وشارك المسلمين في ذلك. والآنخذ بمشورة الاتباع المخلصين من الرعية من أسس القيادة الحكيمة، مما يطلق عليه في معيشتنا الوطني العودة إلى القواعد الشعبية لاستطلاع رأيها. وبفضل هذا المبدأ تتحقق ديمقراطية الحكم وتنشأ قيادة من التفكير الجماعي القادر على صد نزعات التحكم الفردي واستبداده.

وقد اقتدى بالرسول الكريم في هذه السياسة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فجرت خطتهما على الإصغاء إلى النصيح والعمل بالقويم من الآراء، وآية ذلك أنه استشهد كثير من حفاظ القرآن في حروب الردة وخيف على من بقي منهم أن تأتي عليهم حروب أخرى، فأشار عمر رضي الله عنه على الخليفة أبي بكر أن يجمع القرآن، فتردد في بادئ الأمر وهو يقول: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟ ثم انشرح صدره لما أشار به عمر، وأمر بجمع القرآن وتدوينه في المصاحف.

به العبادات في إرساء القيادة على أساس التخطيط الجماعي الذي يصهر الأفراد والجماعات معاً في قالب واحد ويجمعهم على شعار واحد وغاية مشتركة، فلا سمعة، ولا رياء، ولا جاه، ولا سلطان. بل الواحد للكل والكل للواحد.

ولقد أرشد النبي المسلمين بالقول والعمل في حياته إلى أصول الحكم الصالح الذي يقوم على جماعية القيادة، حتى تتأصل فيهم الديمقراطية السليمة، وتكون لهم نبراساً في مستقبل تاريخهم يرسمون في ضوءه قواعد حضارتهم الإنسانية السامية، بل إن اختيار الله سبحانه وتعالى لرسالاته الخالدة، رجلاً من أبناء الشعب عرف اليتيم وذاق مرارة الفقر، هو أروع مثل يضرب للناس أجمعين كي يقتدوا به في تصريف شئون حياتهم، وليست سياسة الحكم إلا منجى من مناحي الحياة المختلفة، وفي ذلك يقول النبي لرجل أصابه وجل عند لقائه:

(رويدك يا هذا، إنما أنا بشر: أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد).

وكانت الأمثلة التي ضربها المعلم الأعظم في الأخذ بالمشورة الصالحة آية في عظمة القيادة ونضج السياسة، فمن الحكمة أن يقتنع القائد الرشيد مهما بلغ من قدرة على رسم الخطط بتجارب الخبراء من أتباعه، وأن يشهد لرسالاته ما استطاع من سداد الرأي وكال الإدراك. ومن ذلك أنه عليه السلام، لم يأنف

(٣) مبدأ الإجماع :

ومن خلال الممارسة العملية لنظام الشورى نشأ مبدأ الإجماع في الإسلام ، وقد توطد هذا الركن الأساسي من أركان السياسة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين .

فقد كان أبو بكر إذا احتكم إليه المتخاصمون نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به ، وإن لم يجد في الكتاب وهلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا ، فهل هلتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ؟ » فرما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر فيه عن رسول الله قضاء ... فإن أعياه أن يحدد فيه سنة عن رسول الله جمع رموس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع رأيهم على شيء قضى به .

وكذلك كان يفعل عمر رضي الله عنه ، فإن أعياه أن يحدد في القرآن أو السنة نظر هل كان فيه لأبي بكر قضاء ، فإن وجد بأبكر قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رموس الناس فإذا اجتمعوا على أمر قضى به .

وفي قول آخر : إن عمر كان يستشير الصحابة على فقهه ، حتى كان إذا رفعت إليه حادثة قال : ادعوا لي علياً ، وادعوا لي زيداً ... فكان يستشيرهم ثم يفصل بما انفقوا عليه . كما روى عنه أنه كانت ترفع إليه القضية

على أن مبدأ الشورى - كسائر المبادئ - ليس مبدأ مطلقاً في الإسلام ، فللخليفة حق الاستقلال بالرأى حين تكون التبعية فيه تبعته هو دون غيره ، وحين تختلف وجهات النظر فيطلب منه الرأى الفصل ، ومثال ذلك استقلال أبي بكر برأيه في اختيار الخليفة من بعده بعد أن شاور الصفوة من المسلمين فقوضوه في الأمر ، وذلك أنه جمع إليه نخبة من أهل الرأى ليختاروا من يشاءون ، وقال لهم فيما قال : (... وقد أطلق الله إيمانكم من بيعتي ، وحل عنكم عقدتي ، ورد عليكم أمركم ، فأسروا عليكم من أحببتهم ، فإنكم إن أصرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا من بعدي) . فلم يجمعوا على رأى وعادوا إليه يقولون : (إن الرأى يا خليفة رسول الله رأيك) فاستمهلهم حتى (يظن الله ولدينه ولعباده) ، ثم استقر رأيه على استخلاف عمر بعد مشاورة عبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان وسعيد بن زيد وأسيد بن الحضير . وأمل أبو بكر كتاب العهد على عثمان ابن عفان فكتبه وختمه وخرج به مختوما ونادى في الناس : أتبايعون من في هذا الكتاب ؟ وقيل إن أبا بكر أشرف من كوته فقال : يا أيها الناس إني قد عهدت عهداً أفترضونه ؟ فقالوا : رضينا يا خليفة رسول الله . فكانت البيعة التي أجمع عليها المسلمون .

وصواب ورشد في العاجلة والعاقبة ، فهون ذلك على ما كان دخلني من الكراهية قبل ذلك لتحواسكم ، وقد سألتى رسولكم المدد لكم ، وإنى بمدكم قبل أن يقرأ عليكم كتابي هذا

وقد روى عن الخليفة علي بن أبي طالب قوله : دقلت يا رسول الله ، الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ولم تمض فيه عنك سنة ، قال : اجمعوا له العالمين أو قال العابدين من المسلمين فاجعلوه شوري بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد ، .

صفوف القادة :

وبفضل هذه الآيات البيّنات والمثل الرفيعة ثبت مبدأ القيادة الجماعية في نفوس المسلمين ، فنفروا من الفردية والاستبداد ، وتمرسوا بالتفكير الجماعي فألفوه وأقادوا منه في دينهم وديارهم ، وتكون في ظل هذا التفكير صف ثان من القادة ، ثم صف ثالث ، وهكذا توالى الصفوف مؤمنة ببعيدتها معبدة عن إرادة الأمة الإسلامية مناضلة في سبيل سيادتها وتحقيق أهدافها الإنسانية .

وكان الصف الأول من قادة الإسلام - في عهد الرسول وبعده - يتألف من مجموعة من وجوه الصحابة وصفوة المسلمين الذين أطلق عليهم « أهل الحل والعقد » وهم الذين صاروا موضع الثقة ومبعث الخبرة بما قدموه

فربما تأمل في ذلك شهراً ويستشير أصحابه . وفي ذلك يقول عمر لأحد ولاته : (أن أقض بما استبان لك من أئمة المسلمين ، فإن لم تعلمه فاجتهد برأيك ، واستشر أهل العلم والصلاح) .

وليس أدل على إعمال الخليفة الثاني لمبدأ الإجماع رغم ما اتصف به من الفطنة والحكمة ، من أنه كان يعارض الرأي في بعض الأمور ، واسكنه حين يعلم أن مصدره الإجماع يعدل عن معارضته ، اعتقاداً منه أن الخير في رأى الجماعة ، وآية ذلك أنه علم أن جيش المسلمين بالشام قرر الانتقال من حمص إلى دمشق فكتب إلى قائده أبي عبيدة الجراح يقول :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، والمجاهدين في سبيل الله ، سلام عليكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإنه بلغنى توجعكم من أرض حمص إلى أرض دمشق وترككم بلاد قد فتحها الله عليكم ، وخليتموها أعدوكم وخرجتم منها طائعين ، فكرهت هذا عن رأيكم وفعلكم ، وسألت رسولكم : أعن رأى من جميعكم كان ذلك ؟ فزعم (قال) إن ذلك كان من رأى خياركم وأولى النهى (العقل) منكم وجماعتكم ، فعلبت أن الله عز وجل لم يكن ليجمع رأيكم إلا على توفيق

(أقام النبي صلى الله عليه وسلم هذا الركن في زمنه بحسب مقتضى الحال ، من حيث قلة المسلمين واجتماعهم معه في مسجد واحد في زمن وجوب الهجرة التي انتهت بفتح مكة فكان يستشير السواد الأعظم منهم ، وهم الذين يكونون معه ، ويخص أهل الرأي والمكانة من الراشدين بالأمور التي يضر إفشاؤها .
وقد جاء في كتاب « عبقرية الصديق » الأستاذ عباس العقاد في شأن هذه الصفوة من أولى الرأي : (وقد آثر أبو بكر أن يبقى عنده نخبة الصحابة في المدينة ، فلا يقسمهم في الولايات ولا يفرقهم بين الأقطار ؛ لأنهم أحق الناس أن يستشيرهم ويرجع إليهم ويشركهم معه في رقابة العمال والولاة ، وسئل في أهل بدر لم لا يوليهم حملا فقال : أكره أن أدنسهم بالدنيا ، ولعله يريد بالتدليس تعرضهم لفتنة الدنيا وشهوة الحكم وغواية المال والمتاع .

ولا ندرى على التحقيق أى صاحبين - أبو بكر وعمر - كان صاحب الفكرة الأولى في هذه السياسة التي اتفقا عليها ولم ينحرفا عنها قط في عهديهما ، إلا لضرورة نادرة . ونعني بها سياسة الإقلال من إسناد الأعمال إلى كبار الصحابة .

جماعية القيادة في الميثاق :

ينص الميثاق على القيادة الجماعية كبداً

من آيات الصدق والوفاء والتفاني في سبيل الصالح العام وما تحملوا به من مناقب الذكاء والسداد .
ومما يجدر بالذكر في هذا المقام قول الباحث الإسلامى الهندى أبو الأعلى المودودى عن هؤلاء القادة :

فما كان أهل الحل والعقد في عهد الخلافة الراشدة منقسمين إلى أحزاب متفرقة ، وما كانوا متقيدين من الضوابط البرلمانية بمثل ما تكون المجالس التشريعية متقدمة في هذا الزمان ، وما كانوا يحضرون مجالس الشورى بعد أن يعقدوا مؤتمرات الحزبية ويضعوا لها خطة العمل والسياسة ، بل كانوا كلما دعوا للشاورة يأتون المجلس بقلوب ملؤها الإخلاص ، وكان الخليفة بينهم يعرض عليهم الأمر ، ويدلى كل واحد منهم برأيه ، إما مؤيداً أو معارضاً له ، حتى تصير جميع نواحي المسألة متجلية واضحة . ثم يوازن الخليفة بين الحجج الموافقة والمعارضة ، ويعرض عليهم ما عنده من الدلائل ويبين رأيه ، وكان هذا الرأي في عامة الأحوال رأياً يسلم به أعضاء المجلس كلهم .

وكان الرسول يقصر مشورته على هذه الصفوة من المسلمين ، أو يوسع الدائرة حتى تشمل السواد الأعظم وفقاً لمقتضى الحال وفي هذا المعنى جاء في (تفسير المنار) عن ركن الشورى في الإسلام :

ما يمكن أن توفر لهذه الجماهير من قدرة على فرض إرادتها على الحياة . ويقول :
« إن الديمقراطية هي تأكيد السيادة للشعب ووضع السلطة كلها في يده ، وفكر يسها لتحقيق أهدافه » .

وفي سبيل خلق صفوف من القادة ينشقون من القاعدة الشعبية ليلتحقوا حول قيادة القمة في سبيل العمل الوطني المشترك عن طريق القيادة الجماهيرية يؤكد الميثاق .

إن حركة النضال الثوري قد استوجبت من العمل الثوري أن يمتد نطاق القيادات الشعبية من القاعدة إلى القمة حول القيادة الطليعية .

ويقرر في فصل (الديمقراطية) أيضا :
« إن الديمقراطية السياسية إذ تقوم على مبدأ سيادة مجموع الشعب لا يمكن أن تتحقق في ظل سيطرة طبقة بذاتها من بين طبقات المجتمع » .

ويقول أيضا :

« وتمثل القيادة الجماهيرية الشعبية - على جميع مستوياتها ، ضمانا آخر لدعم الديمقراطية السليمة ، فهي إذ تعصم من الانحرافات الفردية ، تؤكد التعامل الديمقراطي بحكم قيامها على المناقشة وتبادل الرأي » .

عسى فتح الباب

ماجستير في العلوم السياسية

أساسي للديموقراطية ، لا غنى عنه في تثبيتها والانطلاق بها لتحقيق أهداف الشعب في ظل الدفع الثوري ، وضمان وطيد يحول دون إساءة استعمال السلطة أو استغلالها لتحقيق أهواء ذاتية أو أغراض قفسية أو الانحراف بها نحو الحكم المطلق والاستبداد بمقدرات الأمة .

وقد جاء في الباب الخامس من الميثاق - الخاص بالديموقراطية السليمة :

(إن جماعية القيادة أمر لا بد من ضمانه في مرحلة الانطلاق الثوري . إن جماعية القيادة ليست عاصما من جموح الفرد فحسب وإنما هي تأكيد للديموقراطية على أعلى المستويات ، كما أنها في الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد ،

وفي تحليل حتمية القيادة الجماعية بوصفها تجسيدا لروح الثورة واستجابة لشعبيتها ، وعاصما من الجموح ، وسبيلا لتحقيق إرادة الجماهير في بناء الاشتراكية ، يقول الميثاق :
« إن الثورة ليست عمل فرد ، وإلا كانت انفعالا شخصيا يائسا ضد مجتمع بأكمله ، والثورة ليست عمل فئة واحدة ، وإلا كانت تصادما مع الأغلبية ، وإنما قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها ومدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة ، ومدى ما تعبته من قوى هذه الجماهير لإعادة صنع المستقبل ، ومدى

الذوق الأدبي

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

لك الصراف إنه ردىء ، هل ينفعك استحسانك له ؟

ومعنى ذلك أن الحكم الأدبي مرجعه إلى ذوق الناقد الخبير البصير بأساليب الكلام ، ولفظة « النقد » توحى إلى ذلك كله ... وفى ذلك يقول ابن سلام أيضاً : « الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات »^(١) . ويؤكد ابن سلام ضرورة الماران والدربة فى تكوين الذوق فيقول (٢) : « إن كثرة الممارسة لتمدى على العلم » . والذى قرره ابن سلام هو ما انتهى إليه الغربيون فى حقيقة النقد

الأدبي ، يقول « لانسون » عميد النقد الموضوعى فى فرنسا : « إذا كان النص الأدبي يختلف عن الوثيقة التاريخية ، بما يشهد لدينا من استجابات فنية وعاطفية ، فإنه يكون من الغرابة والتناقض أن ندل على هذا الفارق فى تعريف الأدب » ، ثم لا نحسب له

ما أكثر ما يرجع الأدب والناقد إلى حكم الذوق الأدبي ، أو يستدل به فى قضايا الأدب والنقد ؛ أو يجادل به حكم المخالفين لرايه وقضائه فى مشكلات الفن والنقد ... إن مرجع الأحكام فى الأدب إنما هو إلى ذوق الناقد ، فالنقد هو فن دراسة النصوص الأدبية ، والتمييز بين الأساليب المختلفة ، وأداة التمييز هو الذوق الأدبي الذى يميز بين نص ونص ، وأسلوب وأسلوب ، ولفظة ولفظة ...

فما هو هذا الذوق الأدبي ؟

لقد رجع النقاد العرب إلى هذا الذوق فى الحكم على النصوص وعلى الأدباء ؛ وإن كانوا لم يستطيعوا تحديده . يقول ابن سلام الجيى البصرى الناقد المتوفى عام ٢٣١ هـ فى مقدمة كتابه « طبقات الشعراء » : قال قائل لخلف الأحمر (توفى عام ١٨١ هـ) : إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته ، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك ، فقال له خلف : إذا أخذت أنت درهما واستحسنته فقال

(١) مقدمة كتاب « طبقات الشعراء »

لابن سلام ص ٥ .

(٢) المرجع السابق .

حساباً في المنهج ، ففي الأدب لا يمكن أن يحل شيء محل التدقيق ، (١) .
وسار الآمدي (المتوفى عام ٣٧١ هـ) في كتابه الموازنة إلى ما ذهب إليه بن سلام ، فقرر أن مرجع الأمر في الأدب إلى الدقيق وهذا الدقيق يتكون بالدربة ودائم التجربة وطول الممارسة ، وبهذا يفضل أهل الخدافة بكل علم وصناعة من سوامهم ممن تقصت قريحته ، وقلت دريته ؛ وحكي إسحاق الموصل ، قال ، قال لي المعتصم : أخبرني عن معرفة النعم وبينها لي ، فقلت له : إن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة (٢) ، ويذكر الآمدي أن الناقص لا يستطيع أن يأتيك في النقد بعلة قاطعة ولا حجة باهرة (٣) وهذا هو رأي لانسون أيضاً حيث يقرر أننا نكون أكثر تشبهاً مع الروح العلمية بإقرارنا بوجود التأثير في دراستنا ، وما دامت التأثيرية هي المنهج الوحيد الذي يمكننا من الإحساس بقوة المؤلفات وجمالها فلنستخدمه في ذلك صراحة (٤) ، وهو يعني استخدام الدقيق الأدبي في أحكامنا على الأدب ؛ وإذا كان حكم الدقيق أو النقد التأثيري هو المنهج الوحيد في الحكم الأدبي كما يرى الآمدي

ولانسون ، فإن صيغ النقد بالأحكام العلمية باقتباس النظريات المختلفة له من علم الجمال وعلم النفس والاجتماع أمر لا يمكن أن يؤدي إلى عناية ، وفي ذلك يقول لانسون ، أيضاً : إن التجربة قد حكمت بفشل تلك المحاولات (٥) وإذا فكرنا في مناهج العلوم فيجب أن يكون ذلك لإثارة ضمائرنا أكثر من أن يكون لبناء معارفنا (٦) فالنقد إذن شيء مستقل عن كل علم آخر لأن قوامه الدقيق ومنهجه هو التأثيرية ، وليس شيئاً موضوعياً على الراجح يسكون مرجعة نظريات العلوم المختلفة وأقدر الناس على النقد هم الأدباء والشعراء لا العلماء ولقد سأل عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (توفي عام ٣٠٠ هـ) الشاعر البحرى (توفي عام ٢٨٤ هـ) : مسلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال : بل أبو نواس ، فقال له عبيد الله : إن أبا العباس (أى ثعلباً المتوفى عام ٢٩١ هـ) لا يوافقك على هذا ، فقال البحرى : ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ، ممن يحيط بالشعر ولا يقوله وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه (٧)

(١) ١٣٢ المرجع السابق

(٢) ١٣٣ للرجع نفسه

(٣) ٤ وه رسالة الكشف عن مساوىء شعر اللقبى للصاحب بن هباد

(١) ١٣٠ في الميزان الجديد للدكتور مندور .

(٢) ١٧٦ الموازنة للآمدي

(٣) ١٣١ في الميزان الجديد

والمعرفة ، وحتى يكون من تحدّثه نفسه بأن لما يوصى إليه من الحسن والطف أصلا ، وحتى يختلف الكلام عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ، ويمرّ منها تارة أخرى ^(١) ، فبعد القاهر يرى أن النقد يجب أن يكون فنا طليقا ، لا يخضع إلا لحكم الذوق الأدبي السليم والمسلكات الفنية الخاصة ، وقد سبق عبد القاهر بمذهبه في النقد مدرسة الرومانسيكيين في فرنسا التي حاربت نظرية الكلاسيكيين إلى النقد كعلم له أصوله ومناهجه وقواعده ، ورجعت إلى الشعور والعاطفة والنفوس في أحكام النقد ، وإلى هذا نادى د سانت بييف ، في قوله : « ليس هناك قواعد تخلق الكاتب الكلاسيكي » ، وقوله : « النقد لا يمكن أن يصبح علما موضوعيا وسيلقى فنا دقيقا في يد من يحاولون استخدامه » ، ويقول جول ليمر : « إننا نحكم بالجودة على ما نحب ، أي أننا نرى حسنا ما نحب » ، أما تين الناقد الفرنسي فكان يعتبر النقد الأدبي علما يسير على مناهج مدرسة ، وهو في ذلك يشبه قدامة من بين النقاد العرب . . ويقول عبد القاهر أيضا في ذلك وفي الذوق الأدبي وأهميته في الحكم على الأدب والأدباء ^(٢) : إن المزايا

ورأى ابن سلام والآمدي في الذوق هو رأى القاضي أبي الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » (المتوفى عام ٣٩٢ هـ على أرجح الآراء) حيث يرى أن الذوق هو مرد الحكم في الأدب وأنه يكتسب بصمة الطبع وإدمان الرياضة ^(٣) ، وكذلك صنع ابن طباطبا (المتوفى عام ٣٢٢ هـ) في كتابه (هيار الشعر) فذهب إلى أن الذوق إذا استحسن أو استهجن فلا سبب في نفس الكلام والشعر ^(٤) .

ويقول المرزوقي (م ٤٢١ هـ) في شرحه على الحماسة : إن ما يختاره الناقد قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول :

هذا يوافق طبعي ، أو أرجع إلى غيري
من له الحرية والعلم بمثله فإنه يحكم بمثل حكمي ^(٥)
ومثل ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني (م ٤٧١ هـ) : « أعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا ، حتى يكون من أهل الذوق

(١) ص ٣١٠ الوساطة بين المتنبي وخصومه .

(٢) ص ١٤ هيار الشعر .

(٣) ص ١١٥ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي .

(٤) ٢٢٥ دلائل الإعجاز .

(٥) ٣٤٢ و ٣٤٤ دلائل الإعجاز .

٢ — هذا هو رأى القدماء فى الذوق وتحديدهم لمعناه أما المعاصرون فيذهبون إلى أن الذوق قوة يقدر بها الأثر الفنى وهو ذلك الاستعداد الفطرى المكتسب الذى تقدر به على تقدير الجمال والاستماع به ومحاكاه (١) . ويذهب أحمد ضيف إلى تحكيم الذوق العام واطراح الذوق الخاص فى الحكم الأدبى (٢) ويقسم طه حسين (٣) . الذوق إلى خاص وعام ويقول : إن هذين الدوقين هما اللذان يقضيان فى المسائل الأدبية ، وإن الحياة الفنية مزاج من هذين الدوقين .

والذوق ملكة هى مزيج من العاطفة والعقل والحس (٤) والدرس ينميه .

٣ — ويختلف الذوق باختلاف البيئة والثقافة والعصر ومقدار الترس بكلام العرب وبلاغتهم ، وبالموهبة الأدبية عند النقاد .

وقصة على بن الجهم الشاعر العباسى (٢٤٩ م) مع المتوكل معروفة ، حين جاء من البادية يمدح الخليفة بمثل قوله :

أنت كالكلب فى حفاظك للود
وكالتيس فى قراع الخطوب

التي تحتاج أن تعلمهم مكانها ، وتصور لهم شأنها أمور خفية ، ومعان روحانية ، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها ، وتحدث له عالما بها ؛ حتى يكون مهيبا لإدراكها ، وتسكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة ، يجدها فى نفسه إحساسا بأن من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة ، ومن إذا تصفح الكلام وتقدر الشعر ، فرق بين موقع شئ منها وشئ . . .

وعبد القاهر يبدأ بنظرية فلسفية فى اللغة ثم ينتهى إلى الذوق الشخصى الذى هو المرجع الأخير فى دراسة الأدب (١) وكذلك يعتمد ابن الأثير صاحب كتاب المثل السائر (المتوفى عام ٦٣٧ هـ) على الذوق ، حتى يرى أن مدار علم البيان على حكمة ، الذى هو أنفع من ذوق التعليم (٢) .

أما ابن خلدون فيفسر الذوق بمحصول ملكة البلاغة للسان ، ويقول لأنه قد استعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق (٣) . ويؤكد ابن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨ هـ) أن هذه الملكة إنما تحصل بالممارسة والاهتمام والتكرير لكلام العرب .

(١) ٣٤٧ فى علم النفس لحامد عبد القادر .

(٢) ص ٩٢ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

(٣) حافظ وشوق لطله حسين .

(٤) ١٢١ أهول النقد الأدبى للشايب .

(١) ١٦١ فى الميزان الجديد لمندور .

(٢) ص ٣ للثل السائر .

(٣) ص ٦٤٣ المقدمة لأبن خلدون مطبعة التقدم .

عام ٢٧٦ هـ) يعيب في كتابه الشعر والشعراء أبيات كثير:

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو حاسم
وشدت على دم المطايا وحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رانح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المولى الأباطح
وكذلك صنع أبو هلال العسكري أما ابن
جنى فى الخصائص وعبد القاهر فى أسرار
البلاغة فيرفعان من منزلتها فى البلاغة.

ومن مثل الاختلاف فى الحكم على الشعر
قول الشاعر المصرى إبراهيم ناجى (توفى
فى ٢٥ مارس ١٩٥٣) وذلك من قصيدة له
بعنوان «قلب واقصة» (١).

أمسيت أشكو الضيق والابسا
مستغرقا فى الفكر والسأم
فضيت لا أدري إلى أين

ومشيت حيث تجرني قدمي
فقد أعجب أبو شادى والسحرقى بالقصيدة
وبالآيات إعجابا شديدا (٢)، ولكن الدكتور
طه حسين يرى أنها من الكلام المألوف الذى
شيع منه الناس (٣)، ويقعد البيت الثانى لأنه

ولما عاش فى بغداد وتأثر بحضارتها عاد
إليه ينشده قصيدته:

عيون المهابين الرصافة فالجسر
جلين الهوى من حيث أدوى ولا أدوى
وبتأثير العصر قدر الناس الصفة البديعية
فى القرن الثالث الهجرى، كما قدرها بعضهم
الجانب الفكروى فى الشعر فى هذا القرن
أيضا، حتى انبرى البحرى للرد عليهم فقال:
كلفتونا حدود منطقكم

فى الشعر يغنى عن صدقه كذبه
وبما يدل على أثر التمرس بكلام العرب
وبلاغتهم فى الذوق وأحكامه النقدية قصة
بشار، حين أنشد بيته:

بكرا صاحبي قبل الهجير
إن ذاك النجاح فى التبكير
فقال له خلف الأحمر: لو قلت مكان
د إن ذاك النجاح بكرا فالنجاح، كان أحسن
وأليق بصنعة المحدثين.

فأجابه بشار: إنما بنيتها لإعرابية وحشية
فقلت ما قلت، ولو قالت: بكرا فالنجاح،
كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذلك
الكلام، ولا يدخل فى معنى القصيدة (١).

٤ — وباختلاف الذوق تختلف أحكام
النقد اختلافا كثيرا، فترى ابن قتيبة (الموتوفى

(١) ٣٦ ديوان وراء النمام لناجى.

(٢) ٢٠٤ الشعر المعاصر للسحرقى.

(٣) ١٧١ حديث الأربعة.

(١) ٤٥ الإيضاح للقرظوبى.

أذواق النقاد تباينا شديدا في منازلهم الأدبية أمر ظاهر الواضح . . ومن مثل اختلاف النقاد حول أدبائنا وشعرائنا اختلافهم في شوقي وحافظ اختلافا كثيرا ، فطه حسين يقول هنيئا : لأنهما لم يبلغا من التفوق ما كنت أحب لهما ، وأتني للشعر العربي الحديث ، ولكن لا ينبغي أن تلومهما في ذلك فلم يكونا إلا مرآتين صادقتين للعصر الذي عاشا فيه ، وقد أديا ما ألهمهما هذا العصر فأحسنا الأداء ، وكان يفضل (مطران) عليهما . . والعقاد يرى أن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة : أولها أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية ، فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات ؛ وثانيها أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه ؛ فالشاعر الذي لا يعبر عن نفسه صانع وليس ذا شخصية أدبية ، وثالثها أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن والقافية . وحكم العقائد هذه المقاييس الثلاثة في شاعرية حافظ وشوقي ، وتنفى عن شوقي الشاعرية ، ورأى أن حافظا أشعر ولكن شوقياً أقدر (١) .

وذهب بعض النقاد إلى أن شوقي في العصر الحديث مثل المتنبي في القرن الرابع : وفضله

لا يعجبه أسلوب دجبرني قديمي ، لأن المرء لا يجبر قدمه وهي لا تجبره ، ويرد السحرتي على هذا بأن العبارة تصوير شعري بديع للسامان المتحير الذي تجبره قدمه لشرود عقله حتى تصبح قدمه هي المسيرة له ، ويتابع عبد الوهاب حمودة طه حسين في نقد العبارة ويرد على دفاع السحرتي السابق بأنه كيف يستقيم الاستغراق في الفكر مع السأم ، ويقول : أول ما يصادفك من هذه الألفاظ الابتذال والسوقية ، ثم انظر إلى هذه الصورة التي لا تلائم شعرا ولا لغة ، فالقدم لا تجبر صاحبها وإنما تحمله ، وإنما يجبر صاحب القدم قدمه (١) ، ويدافع السحرتي عن القصيدة بأنها رائعة في عواطفها وانفعالاتها المتنوعة وفي جمال صياغتها وخفة أسلوبها ، ويقول : إن الدكتور طه تجاهل ما يشع في هذا الشعر من عاطفة رائعة وانفعالات وثابة وأسلوب فني وموسيقى ارتكازية (٢) .

والخلاف الأدبي حول مذاهب الكلاسيكيين والرومانتيكيين ومناهجهم في التعبير والأساليب والتصوير كثيرة ومتناقضة .

٥ — واختلاف أحكام النقد التي كتبت حول الشعراء المحدثين والمعاصرين ، وتباين

(١) ١٣٥ التجديد في الأدب المصري الحديث .

(٢) ٢٠٤ و ٢٠٥ الشعر المعاصر على ضوء النقد

الحديث للسحرتي .

(١) ٢٨ : ٣ قصة الأدب المعاصر .

والشعور بالجمال يعلمه علماء النفس بعلل كثيرة ، فبعضهم يرجعه إلى التأثير النفسى السيكولوجى الذى تحدثه ألوان الجمال فينا ، وعبد القاهر الجرجاني فى الأسرار والدلائل يميل إلى ذلك ؛ والبعض الآخر يرجعه إلى ما تحدثه ألوان الجمال من الأثر فى النفس من ذكريات ومسرات وأشجان حقيقة من تدهى المعانى فى العقل ؛ وآخرون منهم ينفون ارتباط الفن بالجمال لأنه مرتبط بالتعبير عن الانفعالات ، وآخرون ينفون نحو ألوان الجمال موقفا عقليا نقديا أكثر منه انفعاليا (١) .

وبعد فإن الذوق مفتحة إلمية فى نفس الأديب وموهبة متحيزة فى وجدانه ، وبه يستطيع التمييز والتفضيل والتقييم ؛ وهو وحده القاضى فى مسائل الأدب ومشكلاته ، وبدونه يتعسر الفهم ، بل يتعذر الحكم .

وحتى اليوم لا نستطيع أن نحدد هذا الذوق الأدبى تحديداً دقيقاً متميزاً ، لأن أثر الله فى الإنسان طالما يعجز الإنسان عن فهمه وتصوره وإدراكه .

محمد عبد المنعم هفاجى

بعضهم على جميع الشعراء المعاصرين .
٦ — ويصر أهل كل فن على أنه هناك حساسة سادسة تولد مع الطفل بها يدرك ما فى الصورة من جمال ، وما فى الموصيق من سحر ، كما يتذوق بها ما فى الشعر من حسن الخيال ، وجودة التصوير وهم مع هذا يرون أن التجارب الخاصة وتأثيرات البيئة ، بما قد يساعد على نمو هذه الحاسة وإرهاقها ، وللأسف فى رأيهم ناحيتان ؛ الأولى فطرية نشترك فيها جميعا إلى حد كبير ، والناحية الثانية مكتسبة وهى تلك التى تتكون فينا كنائر مباشرة لتجاربنا الخاصة فى البيئة .

وهناك فريق آخر من أهل الفن يرون أن الإحساس بالجمال أمر اعتياري شخصي تختلف فيه اختلافا بينا ، ولا نمكاد فصل فيه إلى مقاييس مشتركة ، وجعل الأمر فى الإحساس الفنى بالجمال راجعاً إلى التجربة والذكاء العام أكثر من أى شئ آخر ، لا إلى ما يسمونه بالقريظة والفطرة أرجح (١) .
وأحكام النقد على الجمال تختلف ، ولا بد أن تختلف كما يقول د برك ، مادامت الأذواق والثقافات مختلفة (٢) .

(١) ص ٥ وما بعدها موسيقى الشعر لآبراهيم أنيس

(٢) فيض الخاطر لأحمد أمهت ٧ : ٢٥٩ —

٢٦٢ ، مجلة الثقافة السنة السابقة (١٩٤٥)

العدد ٣٤٥ .

(١) ص ٦ التجديد فى الأدب المصرى الحديث

عبد الوهاب حمودة :

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي للدكتور سعد الدين الجبيلوي

- ٧ -

ملحمة « نبي الحرية »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل (١) وقد تضمنت عدة قصائد ذات صبغة دينية قصة ظلام ، جفازة الشرك ، العنكبوت ، الفارس المنقحر ، نشيد الغار ، النور المهاجر ، وقد لخص في الأولى تاريخ العقائد السابقة إلى أن انبثق النور المهدى فأضاء السكون ، وأدار في الثانية حديثاً طريفاً بين الأوثان ثم صور في الثالثة نسج العنكبوت على فم الغار وتعشيش الحمامتين ، وفي الرابعة صور خبيثة سارقة في إدراك النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الخامسة فقيده على لسان غار حراء . أما السادسة فقد صور فيها قصة الهجرة .

وبما جاء في هذه القصيدة الأخيرة : —

سار على البعيد ، هو السكون ممراه
صلى عليه ، وحييا نوره اقه
شق الصحارى ، خيته صبا سها
وأوشكت برياض الخلد تلقاه

(١) ديوان ناز وأصفاد - الأنجلو ١٩٦٠ .

سرى محمد تطوى الشمس رايته
في موكب ، قبل هذا ما سمعناه
يمشي وصاحبه الصديق وحدهما
في مهمه تفزع الأيام لقياه
هقيده جنهما الإيمان يملؤها
صفوا ، وتملا بالبشرى حفاياه
ويخطفان الثرى رطبا إلى بلد
لا خيب الله من يسعى لمغناه
ثم يختمها بما يدور في نفسه من أمان
في تحقيق آمال الشرق :

بحق من جاء يا رباه يبلغه
للخافقين ، ومن للحق أداه :

ترعى خطانا ، وتحدو القوم في سفر
للشمس ينشد فيه المجد شطاه
وتنفخ الشرق هديا في مسالكه

فصريحة الحق دوت في حناياه
ومجموعة هذه القصائد متسلسلة في فكرتها ،
ولذلك تعتبر هملا أدبيا واحدا بعنوان واحد
هو : « نبي الحرية » كما فعل محرم في إلباذته
الكبرى وطامر بحيرى ، وقد أنشئت هذه
القصائد بعد عام ١٩٥٢ ماعدا الأولى منها :

النفسية التي يحس بها حيال المجتمع وما يلقاه
من هناء وعدم تقدير بدأها بقوله :
الله . باسم الله جل جلاله
نور على نور أروء سمائي
باسم السماء نشرت قصتها وباسم
م الله سرت بها على الغبراء
لأنى سأكتب قصة فى هذه السه
ب التى كالصفحة البيضاء
وأقول - أول ما أقول - وفى يدي

قلبي ، وفى تلك الدواة دماي :
ما خطه قلم السماء على الثرى
لن يمحى أبداً من الأحياء
ثم يقول :

ما حيلتى إن لم أجد لسفيتنى
ويحاً لتدفمها برغم كفاحي
وقفت سفيتنى رغم نشر قلوها
كركود جسمي رغم نشر جناحي
إن كان لللاح قلع سفينة
فالريح ليست فى يد الملاح
حقاً لقد ملكيت دقة زورقي

لكن رياح الجو لن رياحى
وأنا امرؤ حاولت فهم طبيعتي
فعبزت عجز فى عن الإفصاح
ورأيت نفسى رغم أنى كائن
ما زدن عن شبح من الأشباح ..

وفى ديوان الشاعر مدحة نبوية أخرى
كبيرة بعنوان « هادى الظلم » وقد علمت منه
أن له ملحمة جديدة ذات اتجاه صوفي بعنوان
« رياح المغيب » ما تزال تحت الطبع أيضاً
وله ملحمتان أخريان إحداهما بعنوان
« العودة إلى الله » وأخرى بعنوان « شاطئ
التوبة » وقد حدث للشاعر هذا الاتجاه
ورجوت أن تتاح الفرصة للانتفاع بمثل
هذه الأشعار ..

ملحمة السموات السبع :

للاستاذ كامل أمين (١) وهى ملحمة
من نوع آخر جمعت قصة خلق الإنسان
الأول ، وصراعه فى الحياة وتدرج البشرية
بين الحرب والسلام والخير والشر ، وتروى
قصتها كفاح - الأنبياء من أجل الخير
والسلام ، وكفاح الأبطال من أجل خير
وطنهم ، وتقف وقفة طويلة عند حروب
« صلاح الدين » مع الصليبيين ، وحروب
الظاهر بيبرس مع التتار والصليبيين معاً (٢) .
وقد اشتملت على افتتاحية وأربعة فصول :
وتناولت الافتتاحية تصوير حالات الشاعر

(١) مطبعة الشعب كشي بالأزهر سنة ١٩٥٨
فى ١٦٠ صفحة والأستاذ كامل أمين شاعر معاصر
وأكثر شعره ذو صبغة إسلامية - وهو الآن
موظف بوزارة الأشغال .

(٢) ص « د » من المقدمة .

وتناول الفصل الرابع تفصيل حروب
التتار وبطولة الظاهر بيبرس ...
وقد استغرق الفصلان الأخيران أكثر
من نصف الملحمة التي بلغت أبياتها ألفان
وثماني مائة بيت .

وقد نسجت هذه الملحمة جميعها على بحر
واحد هو « الكامل » وجعل لكل مجموعة
من أبياتها حرف روى يختلف من مجموعة
لأخرى ، وقد يشكر حرف الروى في بعض
المجموعات ، كما فعل عامر بحيرى في ملحمة
أمير الأنبياء غير أنه لم يقسم الأبيات مثل
عامر عشرات عشرات .

وقد بدأ الفصل الأول بتصوير خلق آدم
في صورة شعرية رائعة^(١) :

كانت قديماً خلف أسوار السما
من قبل أن يحيا التراب ويعلمها
من قبل أن يرد الوجود خطيئة
ويرى بعينيه مدامع والدما
نفس أراد الله أن تحيا لأمر ما
لتسعد فيه أو تتألمها

* * *

حتى إذا قضت المشيئة ما قضت
فيه ، وشاء الله . أصبح آدم
ثم يأخذ في تصوير الجنة وما فيها من نعيم ،
وملائكة ، ثم خلق حواء وفرح آدم بها ،

ارتاد من خلف الجسوم ققوشها
وأضل حول سواحل الأرواح ..
من شاء يدرك روح لإنسان يحيا
ول نزح ماء البحر بالافداح
وبعد أن يسير في انفعال يصور هزة
نفسه ، وكيف أنه لو احترق حرفه ، أو سمح
لنفسه بأن يكون ذبلاً للكبراء .. لأثرى
ولكنه يؤثر الكرامة مع الفقر ويقول :

يا من يرابع من الذباب إذا علا
ويعيب قلة حيلة العنقاء
ما عاقى إلا جناساً باشق

لم تنسع لها الثرى كفضائى
فطواهما ضيق الدروب ، وهكذا

يعلو البغات على فقى الغبراء
كل له أجواؤه ، وأنا الذى

قعدت بنى الافدار عن أجوائى
وقد تناول الفصل الأول (النور القديم) :

قصة خلق آدم ، وما صار من أمره هو وحواء
في الجنة حتى خرجا إلى الأرض .

وتناول الفصل الثانى (معبر الأجيال) :

قصة بدء الخليقة على الأرض ومولد التاريخ ،
وصراع الأنبياء مع أمهم عبر التاريخ ،
وتوالى الأحداث إلى الحروب الصليبية
ولكن في اختصار وإشارات ملخصة .

وتناول الفصل الثالث تفصيل الحروب

الصليبية وبطولة صلاح الدين ...

ثم إغواء الشيطان لهما حتى خالفا أمر الله ،
 وكان ما كان من خروجهما .
 والذي لفت نظري في هذا التصوير دقة
 الشاعر ، وسعة إطلاعه . . . عندما عاج نقطة
 المخالفة ، وكيف أن المسئول هو الإنسان ،
 ولا ينبغي أن يمتنع بالقضاء والقدر في الخطيئة
 وهي من مسائل التوحيد ، الدقيقة .
 فبعد أن صور تأثير الشيطان على حواء ،
 ومحاولتها أخذ موافقة آدم على أكل التفاحتين
 أدار بينهما هذا الحوار^(١) :
 قالت : أرى الدنيا تضيق ، فقال : كيف
 تضيق ، ماذا جدد في دنياك ؟
 الجنة الخضراء حولينا وعين الله
 — ترعاني كما ترعاك
 عجباً أنتسكرك عينك الدنيا وكل
 سمائها ونجومها عينك
 قالت له : يوم يكرر نفسه
 في عمرنا قال : أشكركم مولاك ...
 ما كنت شيئاً ما ، فصررت بفضله
 شيئاً وأعطاك الذي أعطاك
 قالت : ولكنني أخاف من الفناء
 . ، فقال : هذا شأن من أحياك
 إن شاء أحيانا هنا ، أو شاء أفنانا هنا
 . ، أو شاء أغلق فاك

إن كان حقاً ما تقول ، فكيف تملك
 قدرة التقدير ، قال : كففاك
 الله قدر ما أراد لأنه
 قد كان يعلم قبل أن أففاك
 ما سوف يحدث منك أو مني ،
 فخذونا من الشيطان والإشراك
 واختص هذا الفرع من شجر الخطيئة
 . ، حيث تختارين سبل خطاك
 فإذا أطلعنا أو هصينا كان ذا
 ما قدمته يدان لي ويداك
 ولذلك كان الله يعلم ما ورا
 . الغيب سوف يكون حين نهاك
 ما كان من خير فنه ، وكل شركا
 ن منا ليس من مولاك
 إن اختيار المرء بين الخير والشر
 اختيار العقل والإدراك ...
 وبقدر ما تقوى وتسمدي العقول
 تجيء بالفساق والفساك
 ثم يأخذ تصوير تدخل إبليس في إقناع
 آدم إلى أن يقول على لسان آدم الذي يصر
 على مخالفة إبليس :
 فالشيء كان ، وكان قبل وجودنا
 في علمه الأزل كالموجود
 يدري متى سيكون وقت حدوثه
 فبما ، وكيف تكون فيه جهودي

وتهكمت ضحكاته في القضية الأولى
 و قال : الأرض تحتكما انزلا
 ثم اختفى ، وكأنه لما اختفى
 قال : الشقاء دعا كما فتفضلا
 ومضى اللعين إلى الظلام مباحدا
 من بعد ما أغراها وتسلا
 ثم يصور الشاعر الهبوط إلى الأرض في
 صورة شعرية موسيقية بديعة ، وما كان
 من حوار الجن في عالم الأرض عند استقبال
 آدم ، ثم تصوير قواعد الشر ، ووصايا
 إبليس للجنود في طرق إغراء بني آدم .

وبدأ الفصل الثاني بقوله :

قف بي ، فهذا مولد التاريخ في
 أرض الفناء ، ومذود الأزمان
 الليس ملتهطم العباب كأنه
 شط الظلام على الوجود الثاني
 والمهر يبدأ في طفولة عمره
 شينها يمد يدا لكل زمان
 يضع البرايا في ضمير الغيب (لنت
 وراة) و (الإنجيل) و (القرآن)
 ويكسب الأيام في (أوشيفه)
 لمعارك الإنسان والشیطان

فإذا الزمان يقول - أول ما يقو
 ل من الحياة بصوته الرنان
 بدأت حياة الأرض باسم الله إنني اسمعي
 ن به من الشيطان

ومنى سيفنى ، شأنه شأنى وشأ
 لك في وجودى هاهنا ووجودى
 ولكى يحدد خبره من شرنا
 مستقبلا فعنا ، أنى بقيود
 فأباح أشياء وحرم غيرها
 بالحق ، والناموس ، والتأييد
 حتى إذا ما حان يوم خطيئة
 وقعت حيال الشرح ، دون سدود
 فإذا اجترأت على حدود الله كما
 ن على حق جزائه الموعود
 * * *

فالاختيار هنا اختيار في حدود
 د الحق بين العبد والمعبود
 ليس اختيار رغائب الإنسان مطلقة
 ، ولكن أطلقت بقيود
 من شاء أن يختار ، فليختر ولكن له
 س يوم حسابه يبعث
 ولكن قوة آدم هذه سرعان ما تنهار بعد
 حوار وتفكير وإغراء من الشيطان حتى
 وافقاه ، وظننا الخلود في تناول هذا المحرم :
 وتناول الشيطان من أثمارها
 تفاهتين اليهما متهملا
 وتلفنا حولهما كالسارقة
 ن الخائفين ، وقال إبليس : كلا
 الخلد بين يديكما ، فتأهبنا
 والسكون في فكركما ، فتقبلا

دعوته وهجرته ... ثم ينتقل إلى الإشارة إلى
فتنة مقتل عثمان ، وقيام دولة بني أمية ثم
العباسيين ، إلى عهد صلاح الدين .

ثم يبدأ قصة الحروب الصليبية في الباب
الثالث وموقف صلاح الدين وبطولته
في تفصيل شامل ، ويصور هزيمة دريكارد ،
قلب الأسد ملك الانجليز ، وهنا نراه يربط
بين الماضي والحاضر ، ويصور موقف
حكام الأردن من القضية العربية ، ثم يفيد
ببطولة جمال عبد الناصر فيقول :

هذه الرسالة من (صلاح الدين) ما
زالت تمدد لنا الشعاع الهادي
(بجمال عبد الناصر) انطلقت فها

د به (صلاح الدين) فينا ثانياً
لن نستطيع قوى الصليبيين أن
تثنية عن أن يستعيد الماضيا

إن الخرائط بين أيدينا تر
بنا كيف ظل الغرب فينا باقياً
فلمجتمع العرب الصفوف وراءه

وليرتفع علم العروبة عاليا
أرقى الشعوب هي التي إن رددت
تاريخها مهتت عليه الغايبا

واستلهمت أحداث ماضيا لتأ
خمد منه عبرتها وتسعد ثانياً
* * *

وينتقل إلى الفصل الرابع حيث يذكر

وتناول القلم العتيق وخط أول صفح

ة ، ويداه ترتعشان
كتمبت يده : إن هذى قصة الدنيا

وتلك لإرادة الرحمن
كانت حياة الناس أول مرة

إنسانا تبسكى على الإنسان
بدأ الحياة بغربة ، وتلاقيا

في غربة ، فوق التراب الفاني
وهكذا يسير في تصوير استقبال الأرض

الناس ، ثم رحيلهم إلى باطنها جيلا بعد
جيل ، وقصة قابيل وهابيل ، ثم انتشار
بني آدم وحياتهم الأولى ، وكيف بدأ الإنسان
يتخذ الأوثان باغواء إبليس الذي أغوى
آدم من قبل . . ثم يصور ظهور الديانات
ومادار حول المسيحية من خلاقات بتفصيل
يختمه بقوله :

وإذا يكون المنطق المعقول : أن الله ،
قل : سبحانه وتعالى صمد ، وفرد لم يلد
أحدا ، ولم يولد ، ولم يخلق له أمثالا .

وبعد أن ينتقل إلى وصف حياة العرب في
الجاهلية وصور الفوضى التي كانوا يعيشون
فيها يقول مشيراً إلى بعثة محمد عليه الصلاة
والسلام :

هذا محمد بن عبد الله ، يعبد في حراء
ودونه جبريل .

ثم يأخذ في تصوير موقف قريش من

حروب التتار وبطولة الظاهر بيبرس
ويسجل معركة عين جالوت وأثرها ...

وهو هنا مصور بارع لبعض ألوان الحياة
المصرية في تلك الفترة وما يدور في الموالد
من حلقات المتصوفة ومناظر البساعة ...
ويصور كذلك موقف بيبرس من الصليبيين
وهزيمة لويس التاسع وأسرهم بالمنصورة .

وبعد فهذا عرض سريع لهذه الملحمة ،
ونلاحظ أن الروح الصوفي يسميع في كثير
من أجزائها كما أنها تدل على معلومات الشاعر
وفهمه للتاريخ فهما واعياً ، وحرص شديد
على إبراز الشخصية الإسلامية والدعوة إلى
القيم الإنسانية .

ونجده في ختام الملحمة يشير إلى أن صور
البطولة تتكرر في أشخاص وصور الحياة
تتكرر في أشخاص عبر التاريخ وأن هذا
التغير ظاهري في الأجسام أما الأدراج فهي
متناسخة ، فالبطولة التي مثلها صلاح الدين ،
« وبيبرس » يمثلها اليوم « جمال عبد الناصر » .
وطغیان قيصر يمثلها اليوم « لايدن » ،
« ونورى السعيد » :

تناسخ الأرواح ، والأجسام كالآش
سباح ، لا تخفى ولا تسحور
فهل كان الشاعر يؤمن بعقيدة التناسخ أو أنه
يذكر التناسخ على أنه يريد « التشابه » ؟ ؟ ؟ .
أما من حيل الصياغة فإن السهولة بادية

عليها في جميع أجزائها وللشاعر مقدرة عجيبة
على تطويع المسائل الدقيقة وبسطها كما رأينا
في عرض مسألة القضاء والقدر والمسئولية
الشخصية ، وكذلك على قوة التصوير ،
وربما اضطرته السهولة التي تتوخاها أن
يضمن أبياته كلمات عامية مثل :

وإذا (بأسطى) قال في أذن الامـ
سير : نخاف من عثمان حين يشور
أنظر إليه تجده يفتل شعر شا
ربه (وزقلته) هناك تشير

يا قوم هذا ما جرى من أمر بيـ
بيبرس ، ويبقى بعده عثمان
عثمان سار بأهل (بولاق) و (طو
لون) وما حشدت له (الجدعان)

كانت قيادتهم تمثل كل ما
في الشعب من فوضى ، فهم ألوان
الشيخ ، والترن ، والنجار ، والحج
سار ، والقروى ، والعجان
هذا بسكين وذاك (ببطة)

وأشد ما ادرهوا به الإيمان
وموت جموع الشعب في خمسين ألف
سار من راع قادم عثمان
ربما اضطر الشاعر إلى هذا النزول
(البقية على صفحة ٢٠٨)

ليلى الأخيلىة الشاعرة

المثل الأعلى فى الوفاء

دريشة احمد بنو الخضر ميسى

فى صدرها وطاع بها ، أسمعك منه الرائع
المتمين ، والناصح الرفيع .

كانت ذات بعل وأحبها . توبه بن الخير
(بضم ففتح وياء مشددة) شاعر إسلامي
أحد عشاق العرب المدحمين المشهورين
بذلك . أحبا حباً كان له بين جوانحه اشتعال .
فغظم فيها الشعر الرقيق العذب كنظم الدر
وتغريد البلابل ، فما بلغ منها وطراً ،
ولا ظفر أحدهما من صاحبه بمطعم
أو مغال ، ولسكنه كان الحب العف الخالص
بين الروحانيين . فى معتصمه بالإخلاص

لزوجها ، مارث وفاؤها له لحظة عين ؛
وتوبة العاشق العبد المستهمل لم يخلع فى هواه
عذارة ولا رام منها قرباً ووصالاً .
وهو القائل فيها :

ولو أن ليلى الأخيلىة سلبت

على ودوني جنسندل وصفائح

لسلبت تسليم البشاشة أوزقا

لأليها صدى من جانب القبر صائح

وأغبط من ليلى بما لا أناله

ألا كل ما قوت به العين صالح

لم توت المرأة نظم القريض . ما كان الشعر
سليقة لها وفطرة الشعراء من الرجال جم
عديدهم ، ومن النساء أقل من القليل هذا ،
ولا سبب المشهورات النابغات . ومن فلتات
الطبيعة وشذوذها ما أذاقنا طعم حلاوته
أدب العرب من منظم شعراء الجاهلية
والإسلام ، إذ نحن نملو فيه شعراً كعقود
الآلى ، ونفيس الجوهر لشاعرتين عربيتين
مطلقتين قد أبرمنا شعراً ، وجاءتا بالمطرب
المعجب ، والجزل الرصين هما الخنساء
وليلى الأخيلىة .

وهن ليلى نحن محدثوك . إنها المرأة التى
امتازت بخليتين ، وطار ذكرها بوصفين :
النبوغ فى الشعر ، والوفاء ما مثله وفاء ،
للزوج الذى تعاشره ، وللرجل الآخر الذى
استهان بحبها وفاء العفة والظفر ما مستها فيه
ريبة ، ولا لحقتها لائمة .

هى ليلى الأخيلىة بنت عبد الله بن الرحال
من بنى الأخيل ، من المتقدمات فى الشعر ،
جواله فيه صواله تبذ الرجال ، لا يتقدم عليها
فى نظم إلا الخنساء . فإذا ما تلجلج الشعر

وهو القائل :

يقول أناس لا يضيرك نأياها

بلى كل ما شفى النفوس يضيرها

أليس يضير العين أن تكثر البكا

ويمنع منها نومها وسرورها

وكانت ليلى قدمت على الحجاج وقد

أسفت ، فذكرت ما كان بينها وبين توبة ،

وكيف كان حبه لها طاهراً نزيها . ثم قالت :

غير أنه قال مرة قولاً ظنفت أنه قد خضع

لبعض الأمر فقلت :

وذى حاجة قلنا له لا تبج بها

فليس إليها ما حيت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه

وأنت لاخرى صاحب وخليل

فذلك كان وفاؤها لزوجها .

وكان توبة فارساً صنديداً . وكان قتل من

بنى عوف فارساً وابنه فقتلوه . فقالت ترميه

بقصائد من مختار الشعر الجيسد يدل على

إخلاصها ووفائها بعهدده . فمن ذلك قولها :

وتوبة أحياء من فتاة حبيبة

واجراً من ليث بخفان خادر

ونعم فتى الدنيا إذا كان فاجراً

وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر

فتى كان للولى سناء ورفعة

والطارق السارى قرى غير قاتر

ومن قولها فيه من قصيده طويلة :

أيا عين بكى توبة من حمير

يسبح كفيض الجدول المتفجر

لحبك هليله من خفاجة نسوة

بماء شتون للعبرة المتحدر

ومرت ليلى وقد أسنت بفتية حضرين

يتعاطون الراح فعاجت هليلهم التماساً للراحة ،

فسقوها من خمرهم ، فلما نال منها الشراب

وتمشت حمياً الكأس فى أعطافها قالت

أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا : نعم .

قالت : لقد ذنبن إذ ذن ورب السكبة .

وقدمت ليلى على الحجاج فأنشدته :

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضه

تدبح أقصى دأماً فشفهاها

شفهاها من الداء العضال الذى بها

غلام إذا هز القنات سقاها

فقال لها : لا تقولى غلام . قولى ممام .

ثم قال لها : أى نساى أحب إليك أن أنزلك

ههنا الليلة ؟ فقالت : ومن نساؤك أيها

الأمير ؟ قال : أم الجلاس بنت سعيد

ابن العاص الأموية ، وهند بنت أسماء

ابن خارجة الغزاوية ، وهند بنت المهلب

ابن أبى صقره العتيكية . فقالت : القيصية

أحب إلى ، تريد هند بنت أسماء ، وإني

اختارتها لأنها على ما رواء الاصفهاني

فى أغانيه ، ابنة عمها .

وكا رأيت كانت آية في الأمانة والإخلاص
لزوجها ، لقد لجأت إلى ركن ، وثيق من
فضلها وعفتها حتى تنجو من المأثم ، ويسلم
الشرف والعرض ، كما زانها الوفاء لتوبة الذي
تيممته بحبها ولعج قلبه بها ، فبقيت تلهج
بذكره ولا تنسى حبه بعد أن أمسى جنة
هامة ولا تبرح تمر بقبره وتقول : السلام
عليك يا توبة حتى ماتت : تحقيقا لما قاله
توبه في شعره فيها :

ولو أن ليلي الأخييلية سلبت

على ودوني جندل وصفائح
لسلت تسليم البشاشة أوزقا

إليها صدى من جانب القبر صائح

أحمد أبو القحضر منسى

فلما كان الغد دخلت عليه فقال : سلى
يا ليلي تعطى . قالت : أعط فثلك أعطى
فأحسن . قال لك عشرون . قالت : زد فثلك
زاد فأجمل . قال : أربعون . قالت : زد
فثلك زاد فأكل . قال : ثمانون . قالت : زد
فثلك زاد فتمم . قال : مائة : وأعلى أنها غم .
قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجود
جوداً ، وأجود مجدداً ، وأورى زهداً من أن
تجعلها غنيا . قال : فما هي وبحك يا ليلي ؟
قالت : مائة من الإبل برعاتها . فأمر لها بها ،
ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع
إلى النابغة الجعدي . فإنه كان يهاجها .

وكانت ليلي طويلة حسنة القوام دجاء
العينين ، حسنة المشية ، حسنة الشعر ،

(بقية المنشور على صفحة ٢٠٥)

الوطنية المصرية في صورة قوية واضحة ،
ثم هذه الروح المرحية في تصوير المجتمع
المصري في عصر المماليك . كل ذلك يستهوى
قارىء هذه الملحة ويجعله يحس فيها بحيوية
وتجاوب مع نفسه .

ولولا خوف الإطالة لنقلت الكثير
من النماذج فإنها مقسمة الجوانب .

دكتور محمد الربيع الجبازي

بالأسلوب لأنه يصور ثورة حينما استعد
لقتال الصليبيين ، ولكي تكون الصورة
صادقة فلا بد أن تلون بالألوان الطبيعية
المناسبة ، ولكن مقاييس الشعر الرفيع
لا تعترف بهذا .

ولئن كانت الملحة تنقصها قوة السبك
أحياناً ، أو يؤخذ عليها هذا التساهل في بعض
الألفاظ والتعبيرات ... فإن قوة العاطفة ،
ودقة التصوير وشيوع روح الإيمان وإبراز

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للاستاذ عبد الرحيم فوده

٩ — طرق الكسب والتملك

منهما بالقدر الذي فرضه الله فيهما للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ، ولا شك أن الميراث بالوضع الذي نراه في الإسلام حق وعادل ، إذ ليس بما يستقيم مع المنطق السليم أن يعمل الإنسان ما وسعه الجهد ليعول أهله وأبناءه ، ويهيئ لهم عيشاً رغداً وحياة طيبة ، ثم يكون مآل ماله إلى غير أهله وأبنائه بعد موته ، بل إن ذلك - إذا حدث - يعطل النشاط ، ويضعف العمل ، ويعزى بالكسل اليأس والخلو البليد ، أما إذا وثق الإنسان بأن عمله لنفسه ولأهله وللمجتمع من حوله . فإنه يضاعف نشاطه ، ويعبى قواه ، وتغريه الآمال بعظام الأعمال ، ومن ثم يكثُر الخير ويعظم الإنتاج ويعم الرخاء وإذا كان الولد يرث عن أبيه بعض ذاته وصفاته الجسمية والعقلية والنفسية ، وكان الأولاد كما يقول الشاعر :

ولمّا أولادنا بيننا

أكبادنا تمشي على الأرض

١ — أشرنا في مقال سابق إلى أن أطيب وجوه الكسب هي عمل الرجل بيده والبيع الذي يعود على البائع والمشتري بالبر والخير ويدخل في معنى العمل اكتساب الخبرة واستخدامها فيما ينفع الفرد وينفع المجتمع ، ولا شك أن مستوى الدخل يتفاوت بتفاوت الخبرات ويختلف باختلافها ، لأن تقدير الأجور يتوقف إلى حد كبير على قيمة ما يبذل في الأشياء المخترعة أو المصنوعة من حذق ومهارة ، فالدخل أو الربح الذي يحصل من وراء ذلك حلال مشروع مالم يصطدم بمصلحة عامة أو يؤدي إلى ضرر محقق . أو يكون ثمرة لعمل محرم ، وهناك إلى ذلك طرق أخرى للكسب الحلال ، يلاحظ فيها مظهر احترام الملكية من جانب ، ومظهر الاشتراكية العادلة الفاضلة من جانب آخر .

٢ — فالميراث إذا نظرنا إليه من جانب نجدته عبارة عن نقل ملكية المتوفى إلى أقرب الناس إليه ، وإذا نظرنا إليه من جانب آخر وجدنا فيه اشتراكية لاسبيل إلى إنكارها ، لأن التركة فيه شركة بين الأقربين يأخذ كل

الا ابنة لى واحدة ، أفأتصدق بشئى مالى . ١
قال : لاقلت : أفأتصدق بشرطه يا رسول الله ؟
قال : لا ، (الثلث والثلث كثير ، إنك أن تذر
ورثتك أغنياه خير من أن تذرهم عالة
يتكففون الناس) .

هذا إذا كان المالك غنيا يملك الكثير ،
فإذا كان فقيرا لا يملك إلا القليل كان عليه أن
يدع ماله لأمه وورثته دون سواهم ، وقد
فهم هذا من قوله تعالى : (إن ترك خيرا ، ،
وروى عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا
أراد الوصية وله هبال وأربعمائة دينار
فقال : ما أرى فيه فضلا .

٤ — والهة كالوصية فى أنها طريق من
طرق السكسب والتملك المشروع وتختلف
هنا فى أن الملكية تتم بالهوب له فى حياة
الواهب بخلاف الوصية فإن الملكية فيها تقتل
للموصى له بعد وفاة الموصى ، ولا يشترط
فى الهبة ما اشترط فى الوصية من أنها لا تكون
لوارث ولا تتجاوز ثلث المال ، لأن للمالك
حرية ، التصرف فيما يملك مادام رشيدا سليما
متمتعا بقواه العقلية ، فله أن يهب لغيره ماله
كله أو بعضه ، سواء كان وارثا أو غير
وارث ، ولا يحق له أن يرجع فى هبته ، لأن
ذلك يثير الشعور بالمرارة فى نفس الموهوب
له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : (العائد فى هبته
كالعائد فى قبته) وما يرى من مظهر احترام
الملكية ومظهر الاشتراكية فى الوصية
يرى فى الهبة فإن فيما هذين الجانبين كذلك .

فكيف يستقيم مع منطق الفطرة ومنطق
الحق ، ومنطق المصلحة حرمانهم من ثمرات
جهود آبائهم . لهذا كانت الملكية عن طريق
الإرث مبدأ مقورا تمليه شريعة الله ، وطبيعة
خلق الله .

٣ — والوصية كذلك طريق من طرق
السكسب والتملك ، ومعناها نقل ملكية هين
أو منفعتها إلى الموصى له بعد موت الموصى
بها ، فهمى من جانب مظهر من مظاهر احترام
الملكية . ومن جانب آخر لون من ألوان
الإشتراكىة التى تقوم على دعائم البر والخير ،
أما مظهر احترام الملكية فيما فلانها تتيح
للمالك حرية التصرف فى بعض ما يملك ، ثم
هى إلى ذلك نقل ملكية لا إلغاء ملكية ، وأما
مظهر الاشتراكية فيها فلانها تدخل مع الورثة
شركاء فى التركة ، وقد اشترط لصحتها ألا تكون
لوارث حتى لا يشعر أحد الورثة بظلم أو غبن
وذلك لأن إشار بعضهم على بعض بشئ من
التركة يثير بينهم الشعور بالحسد والعداوة
والبغضاء ، وذلك مما يكدر صفاء جو الأسرة
ويوهن هراها ، ثم إن الوصية مع ذلك
لا تصح فى أكثر من ثلث المال أو التركة ،
وإلا كان فى ذلك جور على حق الأقربين ،
فقد روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله
عنه أنه قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع
اشتد بى ، فقلت يا رسول الله : قد بلغ بى
الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ، ولا يرثنى

هـ - ومن طرق السكسب والتملك المشروع الإقطاع : ومعناه في العرف الإسلامي لا فيما عرف الناس من الإقطاع الظالم الآثم في أوروبا وغيرها - تملك الإمام أو ولي الأمر أرضاً لا مالك لها لإنسان يقوم بتعميرها واستغلالها ، والغرض من ذلك هو التشجيع على العمل والتعمير واستثمار الأرض لحير الفرد والمجتمع ، فإذا أهمل المالك في ذلك ، فأغفل استثمارها وتعميرها نزعت منه وأعطيت لغيره ، ولا شك أن هذا الإقطاع على طرف النقيض من الإقطاع الذي عرفه الغرب في القرون الوسطى وعرفته مصر وبعض الشعوب الشرقية في العصور الحديثة القريبة ، فإن الإقطاع الغربي كان لوناً من ألوان استعباد الإنسان لأخيه الإنسان ، إذ كان السيد يملك الأرض الواسعة ومن عليها من الفلاحين وما عليها من الحيوان ، وكان يباح له مطلق التصرف فيها وفي من فيها وما فيها دون قيد أو شرط ، أما الإقطاع الذي عرفته مصر وبعض الشعوب الشرقية فظهر الانحراف فيه سوء الاستغلال ، وطغيان رأس المال ، والتحالف مع الاحتلال الأجنبي على مصلحة الاكثية السكادحة الشعبية ، ولا شك أن هذا الانحراف يجب أن يقاوم ويقوم لتسلم البلاد من شروره وشرور القوى التي تحميها وتطغيه . وهذا ما كان في الجمهورية العربية وما سيكون بإذن الله في جميع الشعوب التي تدين بالإسلام .

٦ - بقي بعد ذلك أحياء الأرض الموت فإنه كذلك طريق من طرق السكسب والتملك والأصل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من أحيأ أرضاً ميتة فهي له وما أكلت العافية منها فهي له صدقة) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (من عمر أرضاً لمست لأحد فهو أحق بها) ، وقد اشترط أبو حنيفة لذلك إذن الإمام ، ومعنى إحياء الأرض جلب الماء إليها إن كانت خالية منه . وتحقيفها إن كانت مغشورة به ، وزراعتها أو البناء عليها . أو العمل فيها بما يحلها صالحة للاستثمار ، ولا يتسع المقام لتفصيل كل ما قيل في صفاتها وصحة ملكيتها ووسائل إحيائها ، وشروط تملكها ، فليرجع إليه من شاء في كتب الفقه .

وهناك إلى ذلك وسائل أخرى من وسائل السكسب والتملك كالقرض واستثماره فيما يحقق كسباً ومنفعة . وكالقراض . والعارية . وهي كلها مع دلالتها على احترام مبدأ الملكية تقوم على نزعات إشتراكية أصيلة في نفوس المؤمنين وفي المجتمع المؤمن المقسدين الذي يتعاون أعضاؤه على البر والتقوى ويبدو كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (المؤمن المؤمن كالبنين يشد بعضه بعضاً) ، وقوله : (مثل المؤمن في توادم وتراحيمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالنهر والحي ، ؟

عبد الرحيم فودة

الذوق الأدبي

كما يراه ابن خلدون

للأستاذ على العمّار

- ١ -

فهاه أن يتحدث العلماء عن صعوبة إدراك أسرار الإعجاز ، وأن يستقيموا إلى حكم الذوق وحده ، فوضع كتابه (دلائل الإعجاز) ليخلص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة ، واستظهارا على الشبهة ، واستقانة للدليل - كما يقول - .

ولكنه - كغيره - صفا إلى حكم الذوق ، وصعب عليه في بعض الأحيان أن يدرك سر حسن الكلمة الواحدة في موضع ، وقبحها في موضع آخر ، وكان يدلل ويعمل ، ولكنه أخيرا يستجده بالذوق ، ويحيل عليه ، وقد جاءت آخر عبارات في كتابه هكذا : (ومن الباب قول النابغة) :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته السكر والإقداما

لا يخفى على من له ذوق حسن هذا الإظهار ، وأن له موقعا في النفس ، وباعثا للأريحية ، لا يكون إذا قيل : نفس عصام سودته : شيء منه ألبته . فقرأ يحيل على الذوق ، والأريحية ، والموقع في النفس . وتلقف ابن خلدون أقوال العلماء السابقين ، ونسج على منوالها ، وكتب في الذوق الأدبي ،

تسكاد تتفق كلمة علماء البلاغة ، وعلماء النقد الأدبي على أن الحكم الفصيل في جودة الكلام وردائه ، والعامل الأول على تأليف كلام بليغ ، إنما هو الذوق السليم ، بل لقد ذهب كثير منهم إلى أن إعجاز القرآن لا يدرك حق الإدراك إلا عن طريق الذوق ، حتى لقد قال أبو يعقوب السكاكي - وهو الذي قيد مسائل البلاغة في قوانين جافة - حين كان يتحدث عن وجوه الإعجاز في القرآن ، فذكر أربعة أوجه عقب عليها بقوله : يختمها ما يجده صاحب الذوق السليم ، ثم قال : ولا استبعاد في إنكار هذا الوجه من ليس معه ما يطلع عليه ، فكيف سجننا الذليل في إنكاره ، ثم ضمنا الذليل ما إن نذكره . ويقول في موضع آخر : ومدرک الإعجاز هندی هو الذوق ليس إلا .

وحق قال الإمام الخطابي : ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى أن أوجه الإعجاز في القرآن من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها ، وصغوا فيه إلى حكم الذوق (١) . ثم جاء عبد القاهر الجرجاني إمام البلاغيين

(١) انظر رسالة صغيرة عنوائها (حول إعجاز القرآن) من وضع صاحب هذا الحديث .

ولكنه فصل حديث الملكة ، ووصل إلى بعض النتائج التي ستكون محل نظر في حديثنا هذا .

وابن خلدون لم يذكر لنا في مقدمته ، ولا في كتابه (التعريف) ثبوتا بالكتب التي دوسها في البلاغة والنقد والأدب ، ولكن يبدو واضحاً في مقدمته أنه أعجب بكتابين عظيمين ، فأثنى عليهما ، وأشاد بهما ، أولهما كتاب (العمدة) لابن رشيق القيرواني ، ومن قوله فيه ، وهو يتحدث عن صناعة الشعر : وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة ، وإعطاء حقها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ، ولا بعده مثله .

وثانيهما كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني ، فقد ذكر في كتاب (التعريف) أنه حفظ طائفة من أشعار هذا الكتاب ، ثم أشاد به في المقدمة فقال : إنه كتاب العرب ، وديوانهم ، وفيه لغتهم ، وأخبارهم ، وأيامهم ، وملتهم العربية ، وسيرتهم ، وآثار خلفائهم وملوكهم ، وأشعارهم وغنائهم ، وسائر معانيهم ، فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب . وفي كل ما كتب ابن خلدون في هذا البحث نجد أثر ابن رشيق ، وأثر العلماء السابقين ، كما نجد ذهنية الرجل الفلسفية ، ونظرته العقلية ، ومنطقته العلمية .

رأى ابن خلدون — كما رأى غيره من السابقين — أن الذوق هو الحاكم الذي

لا يرد حكمه في فهم بعض وجوه الإعجاز فردد ما قيل من أن ثمرة علم البيان إنما هي في فهم الإعجاز في القرآن وهذا الإعجاز — كما يقول — تقصر الأفهام عن إدراكه ، وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق ، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه ، ولهذا — كما يقول أيضاً — كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً في ذلك ، لأنهم فرسان الكلام وجهاً بذته ، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصح .

ورأى أن صاحب الذوق السليم لا يكاد يخرج في أسلوبه عن طريق البلاغة العربية ، ومتى سمع كلاماً مخالفاً لكلام العرب أهرض عنه ، ولم يستغف ، وربما فكر في رفض هذا الكلام ، بل ربما رفضه بمجرد أن يسمعه دون فكر أو روية ، بل رأى أن صاحب الذوق العربي يحكم بهذا الذوق ، فلو أراد أن يحيد عن بلاغة العرب ، وطريقة نظم كلامهم أهوزه ذلك ، وصعب عليه ، وخافه لسانه ، وقلبه ، لأنه لم يتعود أن ينحو غير منحنى العرب ، وقد ذكرني كلام ابن خلدون هذا بيت لأحد شعراء العصر :

من ساد ساد — لأنه لم يستطع ألا يسود وهو دائم الاحتكام إلى الذوق حين يفصل في قضية أدبية ، ولكن :

ما الذوق ؟ وكيف يتسكون ؟ وماذا رتب ابن خلدون من نتائج على آرائه في الذوق ؟ .

وأيضاً فهو - أى الذوق - وجداني اللسان كما أن الطعوم محسوسة له ، فقليل له ذوق^(١) .
ويمضى ابن خلدون يتحدث طويلاً عن الملكة التي تنتهى هذه ما تستقر وترسخ إلى الذوق :

وأول ما نلاحظه أنه جعل لكل فن ملكة واسكل صناعة ملكة ، فالبلاغة ملكة ، واللغة ملكة ، وللنجارة ملكة وللخياطة ملكة ، وهكذا بل جعل لكل فرع من فروع الكلام ملكة ، فللمعر ملكة ، والنثر ملكة .

وثانى ما نلاحظه أنه تنبه إلى أن الملكات لا تزدهم ، فعنده أنه لا تتفق الإجابة في فن المنظوم والمنثور معا إلا الأقل ، والسبب في ذلك عدم ازدحام المكات وذلك أن اللسان إذا سبقت إليه ملكة قصرت به عن تمام الملكة اللاحقة ، لأن تمام الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة الأولى أسهل وأيسر فإذا تقدمت ملكته كانت منازعة للملكة الجديدة في المادة القابلة ، وعائقة عن سرعة القبول فتقع المنافسة بين الملكتين ، وهذا مشاهد في الملكات الصناعية كما هو مشاهد في ملكات اللغات .

ويرتب على ذلك أن الأجمعي الذي سبقت له لغة لا تتحقق له ملكة كاملة باللسان العربي عن طريق التعليم ، وذلك هو السبب في أن من طلب العلم من أهل هذه الألسن يقتصر في معارفه عن الغاية والتحصيل ، وكل

هذه أسئلة نجيب عنها في هذا البحث مع التعقيب ببعض ما يعين لنا ، مؤمنين سلفاً بفضل هذا العالم الكبير على العلم^(١) .

* * *

يعرف ابن خلدون الذوق بأنه حصول ملكة البلاغة للسان ، ويشرح هذا التعريف فيقول :

فالمستكمل بلسان العرب ، والبليغ فيه يتحرى الهيئته المفيدة لذلك على أساليب العرب ، وأنحاء مخاطباتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده ، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه ، وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحنى البلاغة التي للعرب^(٢) .

ويعود فيقول : إن ملكة البلاغة عندما تستقر وترسخ تسمى ذوقاً ، فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ، ويعمل تسمية ملكة البلاغة هذه باسم الذوق فيقول :

وإنما هو - يعنى الذوق - موضوع لإدراك الطعوم ، ولكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه

(١) كنت نشرت مقالاً في العدد (١٠٤٩) من الرسالة عرضت فيه لبعض آراء ابن خلدون في الذوق الأدبي ، وهذا البحث تكملة لذلك .

(٢) المقدمة ص ٥٦٢ .

(١) المصدر السابق ص ٥٦٣ ط التجارية :

وأما أهل المنزل الكلاب من أمر الشين ، فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا ، وكتابي إليك وأنا مشتاق إليك إن شاء الله .

ووجه الغرابة في هذا الكتاب أنه من بعض الكتاب ، ومن كتاب مدينة هي من الحواضر . ثم إنه لا بد أن يكون كتابا مشهورا معروفا حتى يتصل خبره بابن خلدون وليس العيب في الكتاب في الخطأ المعنوي فحسب ، ولكنه أيضا في هذه الركة ، واضطراب التراكيب .

ولو عاش ابن خلدون إلى أوائل القرن التاسع عشر ، ورأى بنفسه لغة الكتابة في مصر ، والرسائل الديوانية التي كانت تصدر عن قصر الوالي لاضاف كثيرا من الكتب والرسائل والمقالات إلى هذا الكتاب الذي ذكر ، فهل كان السبب في ذلك هو أن المصريين في ذلك التاريخ كانوا (أذرق في العجمة) ؟

وكذلك ينبغي حصول ملكة البلاغة عن الأعاجم الداخلين في اللسان العربي ، الطارئين عليه ، المضطرين إلى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق ، وكالبربر بالمغرب ، وقصصا رام بعد طائفة من العمر أن يمتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم في المحاوراة من مفرد ومركب .

على العمارة

الذي قاله ابن خلدون مشاهد معروف ، وقد زاد هو تعليقه تعليلا علميا ، فنحن لا نعرف في العربية - مثلا - أدبا كانت إجادته في الشعر كفاء إجادته في النثر ، وهذا ما عبر عنه سهل بن هارون قديما في قوله : اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد ، وأحسر من ذلك أن تجمع بلاغة الشعر وبلاغة الكلم .

كما أنما نشاهد كل يوم الطلاب الوافدين من البلاد التي لا تتكلم العربية فلا ترى فيهم واحدا نبغ في اللسان العربي ، ولا في علومه كمثل زميل له من الأعاجم نشأ وربى بين أهل اللسان العربي .

ولا يفوت ابن خلدون أن يستدل على حكمه بالواقع المشاهد فأهل إفريقية والمغرب - على عهد - لما كانوا أذرق في العجمة ، وأبعد عن اللسان الأول قصرُوا في حصول ملكة اللسان العربي بالتعليم ، وكانت أشعارهم نازلة عن الطيقة ، ولهذا ما كان بأفريقية من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق ، وابن شرف وأكثر ما يكون الشعراء طائرين هليها

ويسجل ابن خلدون في هذا الفصل كتابا لطيفا يستدل به على قصور ملكات أهل المغرب في الكتابة ، وهو من بعض كتاب القيروان إلى صاحب له ، ونفسه : يا أخي ، ومن لا عدمت فقهه ، أعلنني أبو سعيد كلاما أنك كنت ذكرت أنك تكون مع الذين تأتي ، وعاقنا اليوم فلم يتهيا لنسا الخروج ،

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٥ —

مراحل الثقافة وطرقها :

نحن نعرف للتعليم والتثقيف ثلاث مراحل أساسية ، هي المرحلة الأولى الابتدائية ، والمرحلة الثانية الثانوية ، والمرحلة الثالثة الجامعية ؛ والمسجد عرف خلال تاريخه الطويل هذه المراحل الثلاث ، فقد كان للصبيان معلون في بعض المساجد ، وهذا التعليم للصبيان يقابل المرحلة الابتدائية ، وكان الطالب بعد أن يئود واجانباً من التعليم ، بأن يعرف القراءة والكتابة ، ويحفظ ما يستطيع من القرآن الكريم ، يحضر حلقة تدرس بعض الكتب السهلة مع شيء من التوسع في الإقحام أو الشرح ، وهذه المرحلة تقابل المرحلة الثانوية في الدراسة النظامية .

وبعد هذه المرحلة ينتقل الطالب إلى دراسة كتب واسعة مبسولة ، فيها تحليل وتفصيل واعتراضات ومناقشات ، ويدرس كل كتاب منها عالم متخصص في مادته ، ومتخصص أحياناً في دراسة كتاب بعينه ، وهذه المرحلة تقابل المرحلة الجامعية في الدراسة النظامية .

ونستطيع أن نقول بتعبير آخر : إن

التلميذ في المسجد كان يحفظ امتون في المرحلة الابتدائية ، ويطالع الشروح في المرحلة الثانوية ، ويدرس الحواشي والامهات في المرحلة الثالثة الجامعية ١ .

* * *

وقد عرف المسجد أنماطاً عدة من طرق التدريس ، ومنها طريقة الحلقة ، أي تحاق الطلاب أو التلاميذ حول شيخهم ومدرسهم ، ونظام الحلقة كان معروفاً على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روت لنا كتب الحديث الامهات عن أبي واقد الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد ، والناس معه ، إذ أقبل ثلاثة نفر (رجال) فأقبل لثلاثين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب واحد .

فوقف الإثنين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما أحدهما فرأى فرجة (مكاناً خالياً) في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، أي رجع ولم يجلس معهم ، فلما فرغ الرسول من حديثه قال : (ألا أخبركم من النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله (لجأ إليه))

كان الطلاب ينظمون في الحلقة قبل بحج الشيخ ، فإذا أقبل بدا عليهم سرورهم بحبيته وألقى عليهم السلام فردوا التحية بأحسن منها ، ثم أخذ في درسه ، فهو لما أن يمل ويلقى ، ولما أن يشرح ويفسر ، ولما أن يصحح ويقوم ، ولما أن يجيب على الأسئلة ولما أن يسأل ويناقش ، ولما أن يطالع الكتاب بعد الشرح ولما أن يطالع فقرة فقرة ويشرحها ، ولما أن يسمع من طلابه يطالعون .

والطالب يعرف الدرس الذي يتلقاه اليوم ولذلك هو يطالعه في الكتاب قبل بحبيته إلى الحلقة ، ويحاول بمفرده أو مع بعض زملائه أن يفهم منه ما يستطيع وقد يطالع الطالب كتاباً آخر في الموضوع فوق الكتاب المقرئ أو المدروس ، والشيخ المدرس يعلم هذا ، ويعلم أن من طلابه أذكياء ، وأنهم طالعوا الدرس قبل بحبيتهم ، وأخذوا عنه فكرة عامة ومنهم من يكون قد فهم فيه أشياء كثيرة ، ومنهم من يكون قد طالع أكثر من كتاب .

فلا بد للشيخ إذن من الاحتياط والاستعداد وكثرة التحصيل ، ولا بد له أن يرجع إلى كتب أكثر من الكتب التي رجع إليها الطلاب قبل سعيهم إلى الدرس ، أو إلى الكتب التي رجعوا إليها على أقل تقدير ، ولا بد له أن يتذكر جيداً

فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه) ، وراه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

ولقد اشتهر نظام الحلقة ، في المساجد ، وهو نظام ثقافي ديمقراطي عميق ، فالحلقة تضم الجميع بلا تفرقة ، وكل مكان منها صالح لأن يجلس فيه أي طالب دون أن يصد عنه ، وفي الحلقة معنى البساطة والتواضع ، فالكل جلوس على الأرض ، والاستاذ على مقعد أو مكان مرتفع قليلاً ، أو يجلس مثلهم على الأرض ، وهو يمثل واسطة العقد بينهم ، فالأنظار متجهة إليه ، والاسماع مصغية نحوه ، والقلوب معاقة به ، والعقول تفكر فيما يقول .

وإذا كان نظام الحلقة مشهوراً في مختلف المساجد التعليمية الكبرى في تاريخ الإسلام فإنه أكثر شهرة وذبوع صيت في تاريخ الجامع الأزهر الشريف ، حتى كان المسلم يتمنى أن يولد له ولد ، وأن يتعلم ثقافة الإسلام حتى يصير عالماً ، ويغدو صاحب عمود ، وصاحب حلقة ، في الأزهر الشريف ، أي يصير مستحقاً لأن يستند إلى عمود من أعمدة الأزهر الشريف ، وتلتف حوله حلقة الطلاب ليدرس لهم ، فذلك يجد هريق ومكان ملحوظ .

التالى ، ثم ينهى مجلسه بالكلمة العظيمة :
« والله أعلم ، ! » .

وفى نظام الحلقة كان بعض الشيوخ يختص ببعض الأعمدة المعينة ، حتى يشتهر به ،
فقال : « هذا عمود فلان ، ، أو
فلان صاحب العمود الفلانى فى الجامع ،
وقد يجلس الشيخ إلى عمود واحد طيلة
حياته لا يفتقل عنه ، كما حدث من إبراهيم
ابن نفلويه الذى جلس فى مسجد الأنباريين
إلى عمود معين فيه طيلة خمسين سنة ! ! » .

وإذا تعود شيخ الجلوس إلى عمود معين
كان أولى به من غيره . ولذلك يورد الماوردى
فى « الأحكام السلطانية » ، هذه العبارة :
« وإذا ارتسم بموضع بجامع أو مسجد
فقد جعله مالك أحق بالوضع إذا عرف به ،
والذى عليه جمهور الفقهاء أن هذا يستعمل
فى حرف الاستحسان ، وليس بحق مشروع ،
وإذا قام عنه زال حقه منه ، وكان السابق
إليه أحق ، .. »

وجاء فى الجزء الثانى من كتاب « تاريخ
التمدن الإسلامى » ، هذه الجملة : « كانوا يسمون
التلامذة المجتمعين حول أستاذ يتقنون علما
من علوم (حلقة) ، وتفرعت العلوم بتوالى
الآعوام ، واتسعت دوائرها ، حتى أصبح
للعلم الواحد هدة حلقات .

والغالب أن تنسب الحلقة إلى أستاذها ،

أن الطلاب يسألون وسيناقشون وسيوجهون
اعتراضاتهم بحسن نية غالبا ، وبسوء نية
فى بعض الأحيان ، كأن يريد أحدهم أن يتعالم
أو يعاند ، أو يعاكس ... الخ

ويمضى الشيخ فى درسه ، ويشرح النقطة
الأولى أو العنصر الأول منه ، فإذا اطمان
إلى أنه قد بلغ من هذا الشرح مبلغا يحسن
السكوت عليه والانتقال منه إلى عنصر آخر
يقول للطلاب مستفهما أو متأكدا :
« مفهوم ، ؟ » . فإذا ردوا قائلين : « مفهوم ،
جاز للشيخ الانتقال والاكتفاء بما قال ،
وإذا قيل من قليل منهم أو كثير : « غير
مفهوم ، عاد الشيخ إلى شرح المسألة مرة
ثانية وثالثة حتى يفهم الجميع ! ! » .

وهذا نمط فى التدريس والتعليم والتثقيف
وتوسيع الأفق وتمحيص المسائل نادر المثل !
وكان الأستاذ فى الحلقة يستند عادة إلى أحد
أعمدة المسجد ، وهو على وضوء ، ويستقبل
القبلة ، ويتطيب تكريما لمجلس العلم ،
وقد يسبق الدرس تلاوة جانب من آيات
القرآن الكريم ، ويبدأ الشيخ درسه بالبسملة
والحمدلة والصلاة والسلام على الرسول والآل
والصحابة والتابعين ، ويدعو لشيخوخه
وطلابه ونفسه ، وإذا انتهى من الدرس
ختمته بمثل هذا الدعاء ، وقد يقرأ فاتحة
الكتاب ، ويعين لطلابه موطن الدرس

«الإسناد»، وهو تبيان نسبة الأقوال إلى أصحابها بدقة وأمانة، ولذلك يقول الإمام السيوطي في كتاب «التدريب، هذه العبارة:

«حقيقة الرواية نقل السنة ونحوها، وإسناد ذلك إلى من عزى إليه بتحديث وإخبار وغير ذلك، وشروطها تحمل راويها لما يرويه بنوع من أنواع التحمل: من سماع أو عرض أو إجازة ونحوها، وأنواعها الاتصال والانعطاف ونحوهما، وأحكامها القبول والرد، وحال الرواة العادلة والجرح... إلخ.

وبعد أن كانت الرواية شبه مقصورة على الحديث النبوي والمصنوع الدينية امتد سلطانها إلى اللغة وبقية الكلام، ولعل السبب في ذلك أنهم كانوا ينظرون إلى هذه العلوم على أنها خادمة للدين، فيجب أن تحظى بمزيد من العناية والتحقيق

ومن طرق التدريس في المساجد «السماع»، وكان السماع في الماضي طريقاً أساسياً من طرق التثقيف لقلة الكتابة، ونذرة الورق، وصعوبة التقييم، وهدم الطباعة، فكان المؤلف إذا أراد نشر مؤلفه بين مجموعة من الناس أسمعههم إياه، وإذا حدث وسجل السماع شيئاً من كلام الشيخ دون على ما يسجله اسم الشيخ وتاريخ السماع، ويسمى ما يكتبه «سماعاً»!

فيقولون مثلاً: حلقة أبي إسحاق الشيرازي في جامع المنصور، أو نحو ذلك.

ومن طرق التدريس في المساجد «الرواية»، وهي إلقاء المدرس أو الأستاذ لما يحفظه من ذاكرته، سواء أكان هذا المحفوظ حديثاً أو قفياً أو أدباً أو شمرًا، والرواية لها شأنها الجليل في تاريخ الإسلام عامة وتاريخ المساجد خاصة؛ ولا ننسى أن العرب هم أمة الإسلام الأولى، وهي أمة تعتمد في أول تاريخها على الحفظ والرواية، لا على التقييم والمطالعة، حتى إنه كان لكل شاعر مشهور راوية، ثم كان للحديث النبوي رواية ورواة، وكان لأيام العرب وقصص السابقين رواية، وهكذا شهدت ساحات المساجد ألواناً وألماً من روايات هؤلاء الرواة.

ووضعوا للرواية قيوداً وشروطاً ونظماً، ويروى أن محمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة أربع وعشرين ومائة للهجرة، والذي جمع حديث النبي بأمر خامس الراشدين الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز - كان أول من قرر شروط الرواية، وتبعه شعبة ابن الحجاج المتوفى سنة ستين ومائة، إذ كان أول من تحدث عن «الجرح والتعديل» في الرواية.

وكذلك صدر من لوازم الرواية

بعد ، أما من لم يسمع إلا المبلغ فلا يجوز له روايته عن العمل إلا أن يبين الحال ...

ويستنصت المستمعي الناس بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن ، ثم يبسم الله ويحمد الله تعالى ، ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتحرى الأبلغ فيه ، ثم يقول للحدث من : (أو ما ذكرت رحمتك الله ، أو رضيت عنك) ، وما أشبهه .

وكما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الخطيب : ويرفع به صوته ، وإذا ذكر صحابياً رضي عليه ، فإن كان ابن صحابي قال : رضي الله عنهم ، ويحسن بالمحدث الثناء على شيخه حال الرواية بما هو أهله ، كما فعله جماعات من السلف ، وليعتن بالدعاء له فهو أهم ولا بأس بذكر من يروي عنه بلقب أو وصف أو حرفة أو أم عرف بها .

ويستحب أن يجمع في إملاته جماعة من شيوخه مقدماً أرجحهم ، ويروي عن كل شيخ حديثاً ، ويختار ما علا سنداه وقصر مكنه ، والمستفاد منه ، وينبه على صحته ، وما فيه من علو فائدة وضبط مشكل ، وليتجنب ما لا احتمله عقولهم وما لا يفهمونه .

ويختار الإملاء بحكايات ونوراد وإنشادات بأسانيداً ، وأولاهما ما في الزهد والآداب ومكارم الأخلاق ، وإذا قصر المحدث أو اشتغل عن التخرج للإملاء استعان

وأول ما حدث نظام السماع خاف الآخر ، إذا سمى إلى حماد الراوية وطلب منه أن يسمعه - وكان حماد ضعيفاً بأدبه - ففعل حماد ، واستمع إليه خلف .

ومن طرق التدريس في المساجد الإملاء ، والإملاء نتيجة طبيعية الإسماع ، لأن من سمع شيئاً وأعجبه عنى بتسجيله ، والتسجيل يكون عن طريق الإملاء . ويختلف الإملاء عن السماع ، بأن المدرس في أثناء إسماعه تلاميذه لا يحرص على أن يكتبوا ما يسمعه لهم ، ولسكنه عند الإملاء يحرص على تقييدهم ما يملئ ، ولذلك يضبط المدرس كل كلمة يعلمها والتلميذ يقيدها كل كلمة يسمها .

وإذا رجعنا إلى تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى وجدناه يعني ببيان طرق التدريس في هذا المجال ، وينقل أوصافاً لمجالس إملاء مختلفة فالنوروى مثلاً في كتابه « التقريب » يقدم إلينا صورة لمجلس من مجالس إملاء الحديث النبوي وآداب هذا المجلس فيقول :

يستحب للحدث العارف عقد مجلس الإملاء للحديث ، فإنه أعلى مراتب الرواية ويتخذ مستملياً محصلاً متيقظاً ، يبلغ عنه إذا كثر الجمع على عادة الحفاظ ، ويستعمل مرتفعاً وإلا قامساً ، وعليه تبليغ لفظه على وجهه ، وفائدة المستملي تفهيم السامع على

يطالعها الطلاب في مراحل دراستهم المتوالية ، وهذا نظام فيه فوائد من جهة ، ولكن فيه مضرة الاقتصار على كتب بعينها ، كما أن الكتب المقررة كانت في أول الأمر واسعة مبسطة ، فتقاصرت عنها هم البعض فعمدوا إلى تلخيصها في ملخصات وتختصرات فيها بتر حيناً ، وغموض حيناً آخر .

وهذه الملخصات والتختصرات تذكرنا بأمر آخر يتصل بمادة الدروس في المساجد ، فقد كانت هذه المادة تنقل في مراحل تبدأ من الصغير وتنتهي إلى الأكبر ، وقد تعودت تنتهي من الأكبر إلى الأصغر .

قد تكون مادة الدرس أحد المتون ، التي تمتاز بالاختصار والتركيز ، ثم يأتي شخص فيفسر هذا المتن ، ويفك عبارته ، ويوضح معانيه ، فيسمى هذا الإيضاح « شرحاً » ، ثم يقبل شخص ثالث فيزيد في هذا الإيضاح ، ويوسع في ذلك الشرح ، ويسمى هذا التوسيع « الحاشية » ، وقد يقبل رابع فيكتب زيادات على هذه الحاشية بالموافقة أو المراجعة أو التمهيج ، فسمى هذه الزيادات « تقريراً » ، وقد يقبل خامس فيتناول هذا التقرير ، بشيء من النظر أو البحث ، ويسمى ذلك « تعليقاً » ، ١ ...

أرأيتم ؟ ... لقد بدأت السلسلة من أقل شيء وهو المتن ، ثم جاء الشرح للبتن ،

ببعض الحفاظ ، وإذا فرغ الإهداء قابله وأقننه .

وهذا هو السيوطي في كتاب « المزهرة في علوم اللغة » ، يصف لنا طريقة إهداء اللغة ، فيقول :

« يكتب المستملى أول القائمة : مجلس أملاء شيخنا فلان في جامع كذا في يوم كذا . ويذكر التاريخ ، ثم يورد المعلى بإسناده كلاماً عن العرب والفصحاء فيه غريب يحتاج إلى التفسير ، ثم يفسره ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده ، ومن الفوائد بإسناد وغير إسناد ما يختاره . »

وبمجموع ما يمليه الأستاذ يسمى « الأملى » ، أو « المجالس » ، وناريخنا الأدبي يعرف « الأملى » ، لأبي علي القالي التي أملاها بمسجد الزهراء بقرطبة ، و « الأملى » للشريف المرتضى ، كما يعرف « مجالس ثعلب » في اللغة وغيرها .

ومن طرق التدريس « القراءة » ، وهي أن يطالع الأستاذ أو المدرس شيئاً عالياً من عمل غيره ، وهي الطريقة التي تسمى عند المحدثين بطريقة « العرض » ، وقد يقرأ الأستاذ وقد يقرأ الطالب ، وقد أدت هذه الطريقة إلى ذبوع البيت لبعض الكتب التي نالت رواجاً عند قراءتها ، حتى بلغ الأمر بالمرين أن يعدوا قوائم بأسماء الكتب التي

ثم جاء د شرح الشرح ، وهو الحاشية ،
ثم جاء د شرح شرح الشرح ، وهو التقرير ،
ثم جاء د شرح شرح شرح الشرح ،
وهو التطبيق .
وقد يقبل شخص على الكتاب الواسع
الضخم فيلخصه ، وقد يقبل بعده ثاب
فيختصره ، وقد يقبل ثالث فيزيده اختصارا
وقد يقبل رابع فيزيدي الاختصار ، وهكذا
حتى يبلغ الكتاب الكبير الضخم بعد توالى
الاختصار والتلخيص مرتبة د المثنى .
قد يكون في هذه التقلات عيوب ولكنها
مهما قيل فيها — تقتضى حركة ذهنية
ومرانا عقليا ، وتعرض الطالب لآلوان
من مواد الدراسة تثير فيه نزعة الحفظ حينما
ونزعة الشرح حينما ثانيا ، ونزعة الاعتراض
حينما ثالثا ، ونزعة التعليق والحكم حينما
رابعا ... الخ

ولقد شهدت المساجد كذلك وسائل
مختلفة لتحصيل العلوم والمعارف ، فكانت
هناك طريقة د الحفظ ، التى تعتمد على
اختزان النصوص فى الذاكرة ، وطريقة
د الدراية ، أى الفهم ، وهى الطريقة المقابلة

طريقة د الرواية ، فى التدريس ، فإذا
اعتمدت د الرواية ، على الحفظ ، فإن
د الدراية ، أساسها الفهم والإدراك ولذلك
كانوا يعدون الجمع بينهما غاية سامية لا يبلغها
إلا همالة الرجال ، فإذا بلغها أحدهم قالوا
فى تمجيدته إنه د يجمع بين الرواية والدراية .
ولقد قال الزنخشرى المفسر المشهور : د العلم
مدينة أحد بابيها الدراية ، والثانى الرواية ،
وأشاد أبو حيان التوحيدي بمسكنة القاضي
أبى حامد المرودى فقال عنه : د كان غزير
الرواية لطيف الدراية . ولقد قال أبو بكر
الحافظ لأبى زكريا بن الخطيب : د أنت
تريد معنى الرواية ، وأنا أريد منك الدراية .
ومن وسائل التحصيل التى عرفتها المساجد
وسيلة السؤال والمناسبة لأن الحقيقة بنت
البحث ، ولأن السؤال مفتاح لباب أساسى
من أبواب العلم .

أحمد الشرباصى

الحقيقة الضائعة

للأستاذ محمد محمد خليفة

ولا تتوانى عن الكدح في توطيد جوانبه حين يدعوها العمل .

كانت حقيقة المسلم تزحف مع الفائد عقلا يفكر ، ورأيا يدبر ، وحكمة تسيطر ، وقوة تقاقل الشر لتنفذ الخير وهي لا تظنى حين تظفر ، ولا تستغل حين تغتم ، ولا تتذأب حين تحكم ، ولكنها تنشر شريعة الإنسانية ، وتشد في ظلها خير تلك الإنسانية فلا يلبث الذين كانوا ينكرون الإسلام حين يعرفون حقيقته إلا أن ينسلخوا من باطلهم وباطل دنياهم لينعموا في ظلال الإسلام بحقيقته التي تربط أرواحهم وأسرم ويجمعهم كله برباط تعجز يد الشيطان عن حل عروته أو صدع وحدته .

وكانت تلك الحقيقة تعيش في قلوب المحاربين قوة وعزة ونكرانا لذات الفرد وحسبه ونسبه ، وعصبية القبيلة ، وبأسه في الجلال ، وسبقه في الإسلام ، ومكاته من الرسول .

فكبار المهاجرين والانصار جنود يعملون تحت إمرة أسامة بن زيد لا تضجرهم أمارة الاسود ، ولا تززع نفوسهم حادثة سنه .

لأنها حقيقة النفس المسلمة التي كانت تتمزج بروح الإسلام فتتكشف لها أسرارها ، ثم تتفاعل بتلك الروح مع مجتمعها ، وتمتد فيه منسابة بفضائلها كما تنساب الغدران الرقراقة في الوديان المجدبة فتعمل فيها وتنفي عنها ماشاء تربتها حتى تبدلها بعد حين إلى جنات أكلها دائم وظلها .

تلك هي حقيقة النفس المسلمة حقيقة هادية للجمع تبث فيه من إشراق فضائلها إشعاعات تبدد ظلمات الرذائل التي تضطرب في المجتمع أمواجه .

وهي مع ذلك حقيقة محاربة تحارب في المجتمع ما كان يعيش فيه ويعيش له من مادية كانت تستذله ، وغرائز كانت تستبد به وأطاع كانت تنهب ضعافه .

حقيقة النفس المسلمة التي عرفها فجر الإسلام كانت تعيش في قلب الراعي إيمانا بكل حقوق الرعية وإحساسا بمشاهرها فإن حض الجوع فقيرا في بادية العراق اتفضت خوفا من الله روح الراعي في المدينة ، وكانت تعيش في قلوب الرعايا قوى خلافة بناء لا تخمد هزماها عن التفاني في بناء المجتمع ،

يؤثرون بعضهم على نفوسهم ولو كان بهم
عري أو خصاصة .

فإذا دوى النفس تراحوا على الموت
بالمناكب يتمنون الشهادة في ظلال السيوف ،
وهم حين تضمهم جوائح البيت قلوب مؤلفة
ونفوس نظمها الحب والوفاء والاحترام .

وكانت حقيقة النفس المسلمة في الأسواق
لا تعرف الاحتكار ولا يطغها الشره
في ساعة العسر بل هي حينذاك أكثر
ما تكون جودا تؤدي الزكاة المفروضة
من خير ما تملك ، وتخرج غير المفروضة
من طيبات ما كسبت ، لا تصيخ إلى ما يعدها به
الشيطان من الفقر وإنما تصيخ إلى ما وعددها
الله به من الفضل ، وهي تخرج عن نصف
ما ملكت أو كل ما ملكت للدولة في الحرب
تعي به الجيوش وتشتري به السلاح والحمل
والرواحل ، فليس للنفس المسلمة مال حين
تفتح لها رحي القتال ، وإنما كل ما تملك
فه وفي سبيل الله .

وكانت حقيقة النفس المسلمة في المجتمع
أخوة تنقسم لأخوة وحباً في الله يمانق حبا
لوجه الله وصدقا في الصداقة يقابل الأخلاء
بوجه ليس كجلد الحرباء .

ولم تكن حقيقة تلك النفس فردا يعيش
لنفسه أو لامرته الصغيرة بل إنسانا سميت

وخالد بن الوليد يتلقى هزله من إمارة
الجيش وهو يقود المعركة العاتية فيتحول
راضياً إلى جنسدى يحارب بالروح التي كان
يقود بها المعركة دون أن يمس هوى السلطان
قلبه الكبير فينشئ أو يتوانى عن الكفاح
في سبيل المجد الذي يعمل له كل مسلم .

وكانت حقيقة النفس المسلمة في قلوب الحكام
رقة تتجاوب دموها مع دموج اليقاي
والأراذل ، وتدرأ عن المظلوم بطش الظالم
وكانت أملاً يلبي البائس في هدأة الليل ،
وخوفاً من الله يتدفق دموها في الأسرار ، وقضاء
يقيم موازين العدالة في الضحى ، وعلما يهدي
إلى الحق وإلى صراط العزيز الحميد في الأصائل
وهي بين كل هذا للناس ومع الناس لا تحجبها
عنهم الاستتار ، ولا تصدم عن لقاءها
الأسوار .

وكانت حقيقة النفس المسلمة في البيت رحة
حكيمه ينشرها الأب ، وحناناً صادقا تبثه
الأم بالقسطاس بين فيها فشاعرها نحوم
تتدفق ولا تفرق حتى لا يحقد كبير على
صغير ، ولا يشمخ صغير بنصيبه من الحنان
على كبير ، وهم جميعاً يعملون حين يقدرون ،
يؤلف بينهم حب لا تكدر صفوه الانانية ،
وكفاح في سبيل العيش لا يعرف التواكل
ولا الإهياء بالأهواء ، ولا يفسد قلوبهم
الاستئثار بما هي من المهود أو المضاجع

إن هؤلاء، وأولئك تتضافر عقولهم وأقلامهم وألسنتهم، لينعتقوا للناس تلك الحقيقة ويوجههم إلى السبل التي تنتهي إليها لعل بين الناس من لم تطفح له بصيرته غشاوة المادة، فيراها في نفسه إشراقاً وتفاعلاً وامتزاجاً، ونراها نحن فيه مرآة تعكس إلينا الماضي البعيد الحبيب، وقوة فيها معنى الشمس في الهداية والانقشار، والحرارة التي تتففع وتحرق؟ ليتنا نجد في دنيانا بين المحارب أو الأكواخ أو ضجيج المصانع، أو أزيز النواحر أو بين المعاهد والمدارس أو بين إلى الله، يعيشون بحقيقةهم المسلبة فوق حقيقة دنيانا الزائفة، ويجذبون إلى عالمهم الطاهر الساسى طامنا المحتلل من القيم الروحية.

وليس هل الله بعزيز أن يعيد تلك الحقيقة الضائعة إلى وجودنا في نفوس ملايين من المسلمين ليقودوا الدنيا كما قادها أسلافهم إلى خير الإنسانية والسلام؟

محمد محمد خليفة

إنسانيته عن الذاتية الفردية والعصبية الإقليمية، وانطلقت تعمل في مجال الإنسانية الواسع لتحقيق لها الكمال الذي آمنت بمعانيه في نفوس الرسل والأنبياء.

ولم تكن تلك الحقيقة مظهراً وصوراً تعيش بين الميائيم واللحى أو تسايح ونهايل ترتعش لها الشفاه ولا تأخذ طريقها إلى القلوب لتربطها بخالقها فاطر السموات والأرض، وإنما حقيقة النفس المسلبة فسكر يسبح في ملك الله وإيمان يصل الأرواح برب الأرواح.

أين المصلحون وأين رجال الدين والتربية والاجتماع والأخلاق والصوفية ينشدون في هذا الوجود حقيقة النفس المسلبة التي ضاعت في متاهات الزمن، واجتاحتها هوافف الهوى والشيطان فعاش المسلمون في وجودهم هياكل إسلامية جوفاء رسورا تتحرك بين المحارب في وكومها وسجودها وليس فيها روح الحقيقة المؤمنة العامة؟

النقود التاريخية

في عهد حكم المسلمين في الهند

للأستاذ محي الدين الألواني

والتعقيب في هواسم الأمم السالفة مثل أئينا ،
ومصر ، وبابل ، والهند وغيرها .
أما النقود التي عثر عليها في مصر ،
في منتصف القرن الثامن عشر فأصبحت
نقوشها وصورها وماتق تدل على كيفية
وأشكال حكومات قدماء المصريين . واستطاع
المؤرخون الوقوف على مجريات الصور
الوسطى للتاريخ البشرى والتطورات العالمية
بفضل النقود الأثرية .

وأما النقود التي عثر عليها الباحثون
في « يورشليم » فهي التي ساعدت علماء الآثار
على معرفة لهجات ولغات الفينيقيين وكذلك
العادات والعقوس المنتشرة في عهد استيلاء
الآريين على اليونان . وكما أن النقود الأثرية
التي وجدت في حفريات هارباموه وجودارو
قد فتحت ديرة جديدة في تاريخ الهند الحديثة
ومنها النقود التي تدل على ثقافات « سيندوا »
التي كانت لها أدوار هامة في خلق تاريخ الهند
وأصبحت هذه المتحف التاريخية نبراسا
للباحثين عن الثقافة الآرية ودورها في صفحات
تاريخ العالم عامة وتاريخ الهند خاصة . والأستاذ

النقود التاريخية لها قيمة عظمى ، ومكانة
كبرى في البحث التاريخي والوصول إلى أنباء
الماضى وأخبار الأمم السالفة كالتماثيل ،
والمنحوتات ، والمخطوطات سواء بسواء .
ونرى من خلالها أنباء الأباطوريات
المهارة وآثارها الثقافية . وتثير الطريق
إلى اكتشاف بقايا الآثار القديمة والعثور
على تراث الأمم الماضية والمعالم التاريخية
للهوادث الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ
البشرى وأول من بدأ سك النقود واستعمالها
هم القدماء اليونانيون . وكان ملك بابل
المعروف باسم نابانيسيس يحتفظ في مكتبته
بنقود الملوك القدماء . وكان من هواة جمع
النقود الأثرية فوق أن كان مؤرخا كبيرا .
وهو الذي اكتشف تاريخ اعتلاء الملك
اليوناني المشهور « سارغون » على عرشه بعد
أن كان مشار منافسات هدية واختلافات
شديدة بين المؤرخين والباحثين . وكان ذلك
الاكتشاف بطريق النقود التاريخية التي كان
يحفظها في مكتبة قصره ويتكهن علماء الآثار
أن يعمروا على نقود تاريخية بطريق الحفر

المشهورة في جنوب الهند منذ القرن الثالث للميلاد . ونقشت عليها الحروف البرهمية . واستطاع المؤرخون بفضل هذه النقود أن يكتشفوا عدة أمور عن الثقافتين : الآرية ، والدراودية ، اللتين لها صفحات مليئة بالأحداث العظام والتطورات الهامة في تاريخ الهند القديمة . واكتشفوا أيضا كيفيات الحكم وأنواع الحكومات القائمة في شتى أنحاء الهند خلال الفترات الماضية بين القرن الرابع قبل الميلاد والثالث بعده ، هذا بواسطة حوالي ثلثائة حملة تاريخية عثروا عليها في مختلف أنحاء الهند .

وبدأ الهنود البحث عن النقود الآثرية في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي . وكان من ضمن الآثار التاريخية التي اكتشفت في عاصمة كيرله القديمة أي مدينة كدنگلور قبل سبعة قرون عدد من النقود السائرة في أنحاء البلاد في العصور الغابرة . وأهدى ملك كدنگلور نقودا أثرية نقشت عليها الحروف الرومية إلى الأجانب الكبار على سبيل التكريم . وساعدت المؤرخين مساعدة كبيرة على التمكن عن جهود الملوك الهنود تلك النقود الآثرية المكتشفة في واجبوتانا التي يبلغ عددها أكثر من ألفي قطعة ذهبية . وإنما عرفت العظمة المدفونة تحت التراب والهبة المخفية تحت الانقاض

د كيل هون ، الذي بذل مجهودات جبارة في سبيل اكتشاف تاريخ الهند بطريق النقود التاريخية والمنحوتات الآثرية والصفائح النحاسية يقول : إن النقود القديمة لمراة الماضي . ومحتوى شعارها وتاريخها وأوقافها على أنباء الماضي . وأنها لسان حال الأمم القديمة وحكوماتها الغابرة . وتخطب هذه النقود أبناء المستقبل عن أجيال العهد البائد بلسان طلق لا غموض فيه ولا خفاء . وتحمل هذه النقود الصغيرة الأحجام في طياتها صورا لثقافات عظيمة وحكومات جبارة وأمم قومية التي طوتها الأزمان في زواياها . وهذه النقود الآثرية لنعمة كبرى للعصر الحديث لأنها تعطينا فكرة عامة عن الحروب والسلم والنزاع والنضال في مختلف الأزمنة والأمكنة بين الأمم والشعوب . ولا يجد الباحث العلمي شيئا أقوى وأحسن من هذه النقود لتحقيق أمنيته والوصول إلى مآربه الخاص . ويجب أن يجد علم النقود مكائمه اللاتقة في علم التأريخ ولدى المؤرخين .

ويقول د كرنل تاد ، العلامة في تاريخ النقود : د إن النقود العشرية المصنوعة من النحاس كانت منتشرة في الهند قبل عهد الإمبراطور د أشوكا . وقد عثر علماء الآثار على النقود التاريخية الجارية في عهدى أشوكا وجندركبثا . وكذلك عثروا على النقود

وبعد نبش القبور لعظماء الملوك وخص القلاح
لجبايرة الحكام في بنغال ، وراجبوتانا ،
وباتنا وغيرها من المدن التي كانت هواصم
الاباطرة العظام . وتنبه كثير من الحكام
الانجليز إلى أهمية النقود التاريخية وبدءوا
يدرسونها بدقة وتحقق للوصول إلى ما أخفته
الأيام من عبر وعظات وسير وحكم تنير
الطريق إلى بناء مستقبل موطن الأركان
ومدمع الأساس . وأدرك المؤرخون السكبار
مثل كنفهام بأن النقود الأثرية لم تفتح
البحث التاريخي ونبراس علماء التاريخ
وانهمك آر . دي . بانرجي في بحث النقود
التاريخية ، واكتشف عظمة المهنة التي حكمها
موهن جودارو وتيكشيل . وقدم أمام العالم
كله ثقافات الهند القديمة وحضاراتها العريقة
وتفليدها القيمة في مختلف الميادين مستدلا
بنقوش تلك النقود الأثرية ومستنيرا بملك
التوقيعات والحروف المسجلة في جنباتها ،
وقال : « إن بلادنا الهند بلاد الساسة المهرة
والعلماء المفكرين . وفيها حضارة تفوق
حضارات جاراتها وشقيقاتها من البلدان
والأمم » .
وبذل القائمون بالإشراف على الهيئة
الاسوية بمجهودات جبارة في النهوض
بقسم النقود الأثرية الهندية . وقام « تيوبولد »
بدراسة المعادن التي ضربت بها النقود ومزايها

وخاصيتها بينا انهمك « واسن أسمت »
في دراسة طبيعة نقوشها وحروفها . وقضى
العالم الأثرى سبونر عدة سنوات في وضع
قائمة خاصة منظمة للنقود التاريخية التي حفر
عليها في نواحي رجبوتانا وتكشيل . والشئ
الذي أتعب جميع المؤرخين الباحثين هو
تهديد التواريخ بدقة ووضوح . وأما العثور
على بضعة نقود فألقى النور على عدة قرون
في تاريخ الهند بعد أن كانت في غياهب الظلام
وقام دركا برشاد وردى بمساعي جليسة
في سبيل اكتشاف تواريخ ملوك بلوا
وحكوماتهم وعاداتهم وطقوسهم من هواش
النقود الأثرية . ولهم صفحات مجيدة في هذا
المضمار الخطير ، ولا يزال العلماء الأثريون
يحاولون أن يكتشفوا مزيداً من المعلومات
من تلك المجموعة القيمة من النقود التي هثرت
عليها في تكشيل ، وليفهموا تلك الحروف
والنقوش التي عليها . ومن ضمن تلك المجموعة
نقود على شكل مربع وهي جانب منها حروف
رومية قديمة وعلى الآخر حروف اللغة
الهنداوية السائدة في جنوب الهند من الزمن
القديم . ومنها استنبط بعض المؤرخين بأنه
كانت في الهند حضارة مزدوجة وثقافة مخلوطة
في تلك الأيام ثم تطورت وتقلبت حسب
تقلبات الزمن . وقال المؤرخون السكبار :
كوديليان ، وأغسطين ، وباتني في كتبهم :

وكانت لقبيلة شاخن وقبيلة هونن يد طول
في نشر النقود الجديدة .

ومن أهم المراكز لضرب النقود ، مدينتا
مكدها وبتالي بيرا . وتسربت تطورات
بسيطة إلى هيئات النقود وأشكالها بعد الفتح
البوذي . وكذلك أدخل الأمباطور أشوكا
عدة تعديلات في النقود لتسهيل التبادل
الخارجي مع البلاد التي كانت تتاجر
مع الهند .

وانتشرت الدنانير في جنوب الهند منذ
قدوم الفرس إليه والتجارة فيه ، كما انتشرت
النقود الرومية مع مجيء التجار الروم إليه .
فيختلف ختم الدولة على النقود باختلاف
صور الحكم فيها وعقلية الحكم وتقاليدهم .
ومعظم النقود في ذلك الزمن كان مزوجا
من عدة معادن . وكانت للوزن قيمة تذكر
أكثر من جمال الشكل وحسن المنظر .
وأصبح كل هذا وذاك منذ الدخول إلى خفايا
تلك الدول وخباياها ، كما أنه معيار قيم
للقوف على مدى حضارتها ، ومدنيتها ،
وعصورها ، وبيئاتها . ويوافق المؤرخ
الأثري الكبير بهناركر هلي رأى الدكتور
سوكار في هذه المسألة موافقة كاملة .

ويوجد نقش التاريخ في ناحية ، وشعار
الدولة في الناحية الأخرى في جميع النقود
الشائعة في عهد كنفك . وكانت لجان خاصة

أن النقود الرسمية كانت شائعة في الهند منذ
عهد «يجورويد» ، وقد حاول الحكماء نقش
صور ثلاثة وثلاثين من الآلهة التي جاء ذكرها
في رجويد على صفحاتها . وكذلك جاء ذكر
علم النقود وفيها في الملاحم الهندية القديمة مثل
أرتشاسترم ، روبشادام ، وراجرمكشي ،
وأشدهام وغيرها من الملاحم الهندية
المشهور . ويتضح من الكتب العلمية بأن
ضرب النقود كان شائعا في الهند منذ عهد
بالغة في القدم .

ويعرف في اللغة البالية نوع من النقود
باسم كاشي بنم . ويستعمل الباحثون الجدد
النقود المعروفة باسم «بنج ماركي» في بحوثهم
التاريخية . ويهتم الأثريون في جميع بقاع
الأرض بهذا الصنف من النقود وكان الملوك
في جنوب الهند يهتمون جداً بضرب النقود
الحكومية في هذه أشكال . واستعملوا الفضة
والنحاس لهذا الغرض بتوسيع بالغ وتحدث
الدكتور ج . ن . سوكار عن مساهمة نقود
جنوب الهند في فن النقود والبحث التاريخي
حديثا مستوعبا في محاضرات ألقاها في دراسة
النقود الهندية القديمة .

وأما النقود الجديدة فكانت تأتي
إلى الأسواق العامة في المناسبات الخاصة
وفي عهد الملوك «بلوا» خصوصا بمناسبة
الاعتلاء على العرش والتتويج لملك جديد .

نقودها على ذلك الطراز . وتقدمت الهند
تقديماً ملحوظاً في هذا الميدان
في عهد السلطنة رضية . وعثر الآثريون على
عدة أنواع من النقود الرضية ، ومن ضمنها
نقود ذهبية خالصة . وكانوا يستعملون النقود
في نشر دعوة التوحيد ، وفي ناحية منها
كتبت وصايا السلطنة . ووزع السلطان
محمود غزنوى حوالى أربعة عشر نوعاً
من النقود الرسمية ، وكتبت في ناحية منها
ألفاظ ما معناها : الله أحد ، والذين
لا يذكرون الله القوي المتين هم الخاسرون .
واتبع الأمباطور همايون ، والأمباطور
شاهجهان النظم الفارسية في ضرب النقود
وتحديد أشكالها واختيار كيفياتها ونحت
الأمباطور أكبر شعار مذهبه الجديد
« دين إلهي ، أى الدين الإلهي على نقود
دولته . وكان الأمباطور جهانكير يهدى
نقوده التي تحمل توقيعها الخاص إلى الأمراء
وأعيان المملكة . وقام كل واحد من الحكام
المغول بالنهوض بمصلحة النقود الحكومية ،
وأدخلوا تعديلات خاصة في هيئاتها وطرازها
إن النقود التي ضربت في عهد المغول لمن أغلى
النقود قيمة ، وأحسنها شكلاً ، وأروعها
منظراً في تاريخ النقود الهندية . واكتشفت
عدة أنواع من النقود المغولية ويبلغ تعدادها
أكثر من ألف نوع .

في عهود ملوك كبتا تقوم بمهمة ضرب النقود
وتحديد أشكالها . وتحتوى تلك اللجان
على أشخاص بارزين من السياسة والآداب
والفنانين ، لأنها أخطر اللجان في تقرير مصير
اقتصاديات البلاد .

وكانت النقود التي شاعت في عصر فلكامترن
من المعادن التي لا تتكسر أبداً ولا يعلوها
البلل والتلف بطول الأمد وقدم الأزمان .
وتوجد صور الثور والأشجار في النقود
المسكشفة في مقاطعة بنجاب وشمال الولايات
الحدودية . ويظهر من النقود الأثرية أن أيام
حكم جندر كبتا كانت أيام الغنى والرخاء
في البلاد كلها . وضرب سجون نوعاً من النقود
الذهبية في ذلك العهد في أشكال مختلفة ومقاييس
متعددة ونقشت في إحدى نواحي تلك النقود
علامات أخرى والهاء . وأشاع وشنو كبتا
نقوداً تحمل صورة قريبته المحبوبة وإسمها .
ودخلت تغيرات عديدة في النقود الهندية
أيام حروب جنكيز خان . وضرب النقود
بقطع من الحديد الخفيفة . ونقشت مناظر
الأنهار الجارية وحروب الفرسان على النقود
التي ضربت في عهد هونس مع أنها كانت
خفيفة الأوزان .

وفي عهد حكم المسلمين انتشرت في الهند
نقود ضربت على الأشكال المعروفة في بلاد
الشرق الأوسط ثم بدأت الهند نفسها تضرب

أما النقود الأجنبية فلها انتشار واسع في بلاد الهند منذ القدم لأن العملة الأجنبية كانت تستعمل للتبادل التجاري بينها وبين البلاد الخارجية ، فطارت النقود الرومية ، والصينية ، والتونسية ، والفارسية إلى المراكز التجارية في الهند ، ويتضح هذا جيدا من كتابات السواح الصينيين والمؤرخين البرتغاليين .

ويحمل المؤرخ المشهور الإيطالي بينرود بلاولي (١٦٢٧-١٦١٤) في مذكرات رحلاته بأن النقود الرومية ، والعربية ، والصينية كانت شائعة ومستعملة بتوسع كبير في سواحل الهند الغربية .

أما السلطان لاري الذي كان يحكم بلاد الشرق الأوسط سنة ١٥٣٣ م ، أرسل النقود اللارية للأغراض التجارية إلى جنوب الهند وجزيرة سيلان وحاول نشرها في تلك البقاع . والنقود اللارية هي التي كانت تقود الحركات التجارية في ذلك الزمن . وفي أيام غارات البرتغاليين كانت النقود اللارية تستعمل بكثرة في موانئ كاليكوت وكوتشين وفي الأسواق التجارية الكبيرة . وكثر استعمالها أيضا في التبادل التجاري .

وأما النقود التي كانت شائعة في ولاية ترافسكور بجنوب الهند إلى همد قريب باسم جكرم فهي صورة مشوهة لنقود لاري

ولمسترد كنفهم ، بيان رائع في كتابه (الهند المغولية) عن ذلك العهد المغولي الذي له دور خطير في تغيير مجرى التاريخ الهندي فيقول : ابتداء العصر الذهبي في الهند بعد أشوكا في أيام حكام المغول . ونرى قوة خيال المغول ومقدرتهم الفنية من خلال الأحجار الأثرية والمعادن المنقوشة والأبنية التي تهر العقول ، وتبهج القلوب ، وإذا استقينا بعض الأخطاء الشخصية من بعض السلاطين المغول فنجد أن عصرهم في الهند هو العصر الذهبي في تاريخها المجيد ، وحكمهم لمن أهدل الأحكام وأنصفها وأخلدها أثرا في صفحات التاريخ الهندي ، وتدل شعائر نقودهم والنقوش المنقوتة فيها على مظاهر الحب الخالص والمودة الصادقة والإخلاص المتين ، كما أن المجلس العلوي لأمبراطور أكبر ومجلس الدولة لجها نكير كان يهتم اهتماما بالغا بمسألة نقود الدولة ورسومها وأشكالها وأهدافها ، وتتجلى من صفحات هذه النقود موهبة المغول الفنية وشغفهم بالفنون الجميلة وجمال الطبيعة ، ونحتوا وصايا الحق والعدل والصدق في النقود باللغة الفارسية والسانسكرتية وأثبتوا شعار الحجة والمساواة في جنباتها في هاتين اللغتين ، ونرى الآن قلوب سلاطين المغول الصافية ، وصدورهم الواسعة وعقولهم المتنورة من خلال هذه النقود الأثرية .

وانزل أمراء الولايات نقوداً خاصة خفيفة الأوزان لمبالغ صغيرة إلى جانب النقود الانجليزية ، واستطاع الانجليز توحيد النقود نوعاً ما ، ولكن لم يدخلوا تعديلات تذكر في تلك النقود .

وبعد أن تحررت الهند من نير الاستعمار الأجنبي ، تطرقت تعديلات خاصة إلى النقود الحكومية وها هي الآن نفذت الهند النظام العشري في النقود الرسمية أسوة بالنقود السائرة في البلدان الأخرى ، وتسهيلاً للعمليات الاقتصادية وفوق هذا وذاك أن هذا النظام العشري لينزل عن طامة الشعب التكاليف التي يتحملها في الحسابات وفي التبادل التجاري خصوصاً مع البلاد الخارجية والعملة الأجنبية ؟

نحي البرى اللوائى

لذى لا تختلف منها إلا اختلافا بسيطاً يتعلق بالرموز والحروف . والعمالت الماسكة في جنوب الهند مثل جولاً ، وبانقيا نقود خاصة . وفيها الفيل ، والسمك والنمر ، والقوس ، والقرس ، وغيرها . ووصلت إلى مليبار نقود سنهالية خفيفة الوزن خلال أهوام ما بين ٨٥٠ — ٩٦٠ ، وفي نفس الوقت كانت تجري في ترافنسكور نقود خاصة مثل جندرا كتنش ، وايزوركاش وغيرها . وفي ولاية مليبار كانت تلسكن بن ، وسلطان ولي ، وروماشلى وغيرها من النقود الشائعة — (ملبار للديكتور شمس الله قادري) وجاء ذكر هذه النقود في الأغاني الشعبية والفصص المحلية .

وبدأت النقود الانجليزية تنقشر في الهند شيئاً فشيئاً منذ تأسيس شركة الهند الشرقية ،

« لا تتعجل بالحكم »

قال الشعبي : كنت جالسا عند شريح القاضى ، إذ دخلت امرأة تبكى بكاء شديداً وتشكو زوجها ، وكان غائبا ، فقلت أصلحك الله ، ما أراها إلا مظلومة ، قال : وما أهلك ؟ قلت : لبكائها ، قال : لا تقطع بظلمها ، فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءا ويكون ، وهم ظالمون ...

تصنيف العلوم عند الغزالي

للأستاذ فوزي عرفة

مهما كانت زيادته فيما هو كال ذلك الشيء كما يقال : الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة السكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة ، والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فإنه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء ، على أن القاعدة العلم فضيلة ، لا تدل على تفاضل بين العلوم فقط ، وإنما مفهومها الصحيح أن يوجد ذلك التفاضل الذي يترقى في مدارج حتى يصل إلى ما هو أرفع وأشرف ، ودليل ذلك نظرة الغزالي إلى الفضيلة إذ يقول : « الفضيلة نسبية واستحقاقنا للصياغة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن ما نزل من الرتبة القصى ساقط القدر ، ومعنى هذا أن العلوم يمكن أن تتدرج من أدنى إلى أعلى مع اشتراكها جميعا في الفضل إلا أن هناك ما هو أكثر فضلا من غيره ، ودليل ذلك - فيما يرى - أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى :

- (١) ما يطلب لغيره .
 - (٢) ما يطلب لذاته .
 - (٣) وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا .
- وما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره .

يعد موضوع تصنيف العلوم من الأمور الهامة في كل فكر إنساني إذ بحسب قدرة العقل على جمع شتات الموضوعات يتحدد منهجه لدراستها وطريقته للتحدث عنها ، وقد عرف عن المسلمين شديد عناية بإحصاء العلوم ويشتهر لديهم في هذا المجال كتاب « إحصاء العلوم » للغزالي ، والفهرست لابن النديم ، ومقدمة ابن خلدون وغير ذلك من المجلدات الضخمة التي تستوعب بطون الحكمة وتجمع بين دفتيها فنون المعارف وشتى العلوم .

وقد لجأ الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » إلى مثل هذا الضرب من التصنيف للعلوم إلا أن ما يعطى لتصنيفه أهمية في تاريخ الفكر أنه مشتق من روح التصوف وينبوع الباطن . الأمر الذي يجعل لتصنيفه طعما خاصا ومذاقا يختلف عن غيره من التصنيفات ، ونحسب أن الحديث فيه يطالع القراء على لون إسلامي طريف مبدع ، ويفتح عيونهم على منحنى جديد من مناحي التصنيف والإحصاء .

يقدم الغزالي لتصنيفه بمقدمة يراها ضرورية لتوضيح المذهب الذي سيسلكه فيقول : « فضيلة العلم مهتقة أساسا من الفضل وهي الزيادة ، فإذا تشارك شيان في أمر واختص أحدهما بزيادة يقال فضله ، وله الفضل عليه

٣ — سياسة العلماء بدين الله : وهم ورثة الأنبياء ولهم الحكم على الباطن فقط وهذا الخاصة .
٤ — سياسة الوعاظ : وحكمهم على بواطن العوام فقط .

هذه المقدمات أساسية في النظر إلى العلوم فالعلوم - على هذه التقسيمات - تنقسم إلى نوعين : علوم محدودة ومحدومة ، وعلى الرغم من تواتر الآراء بين عشرين رأياً حول معنى العلم إلا أنه يرى أن العلم ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة ، والعلم المفروض على المسلمين في قول الرسول (طلب العلم فريضة على كل مسلم) : هو علم المعاملة الذي ينقسم إلى ثلاثة : اعتقاد ، وفعل ، وترك .

والاعتقاد يبدأ بإقرار الشهادتين ، والفعل بأن يتعلم الطهارة والصلاة والزكاة والحج . والترك . فيكون بحسب ما يتجدد من الحال .

والعلم الذي هو فرض كفاية : هو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب وما إلى ذلك ، والمعلوم منه هو علم السحر والطلسمات والشعوذة والتلبسات والمباح هو علم الأشعار التي لا يخفى فيها ، أما العلوم الشرعية فكلها محدودة إلا ما يتطلبها ويظن أنها شرعية ، والعلوم المحدودة منها هي : أولاً : الأصول . وهي كتاب الله وسنة الرسول وإجماع الأمة وآثار الصحابة .

ثانياً : الفروع . وتنقسم إلى :

(١) ما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقهاء والمتكفل به الفقهاء .

ثم ينظر الغزالي في مقاصد الخلق ليرتبها في درجات يعلو بعضها على بعض وتتفاوت في الأهمية وإجابة المطالب حتى يربط بينها وبين تصنيف العلوم فيرى أن هذه المقاصد مجموعة في الدين والدنيا ، ولا ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : (١) قوام العالم : وهي الزراعة والحياكة والبناء والسياسة .

(٢) حزم السابقة : كالحدادة التي تستخدم الزراعة والحلاجة والغزل ... الخ .

(٣) تميم الأصول : كالطحن والتخزين والعصارة والحياطة وهي التي تتم بها سابقةها . هذا بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي وهي ثلاثة أيضاً :

(١) الأصول : كالقلب والكبد والدماغ من الإنسان .

(٢) والخادمة : كالعمدة والعروق والشرابين والأعصاب والأوردة .

(٣) والمتمة للأصول : كالأظافر والأصابع والحاجبين .

وأشرف هذه الموضوعات السياسة التي تنقسم إلى أربع مراتب وهي :

١ — السياسة العليا : وهي سياسة الأنبياء في حكمهم على ظاهر العامة والخاصة وباطنها .

٢ — سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين : وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم .

(ب) ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب .

ثالثاً : المقدمات . مثل علم اللغة والنحو وهي تسهل فهم الأصول .

رابعاً : المهمات . وهي :

(١) القراءات وغارح الحروف في القرآن من حيث اللفظ .

(ب) ما يتعلق بالمعنى كالتفسير .

ونستطيع أن نلاحظ على هذه القسمة للعلوم ما يأتي :-

١ - ألحق الغزالي الفقه بعلم الدين لأن الفقه يقوم الدنيا بما فيها من شهوات ويقضى على كبوات السلطان ، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات - ولعمري أنه متعاق أيضاً بالدين - ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين وأصل السلطان حارس . . ولكن ليس معنى هذا أن علم الفقه يشبه أى علم آخر يتعلق بالدنيا وإنما هو يمتاز عليها جميعاً لثلاثة أمور . أولها : أنه علم شرعى . وثانيها : لا يستغنى عنه أحد من سلكي الطريق إلى الآخرة . وثالثها : أنه يجاوز علم طريق الآخرة أى علم المكاشفة .

٢ - أنه ينحى على الفقهاء لإهمالهم لعلم الباطن على الرغم من تواتر الأحاديث بفضل علماء الباطن ويصح ذلك عند ترتيبه للعلوم بأنها علوم الأبدان والأديان ثم الباطن ، والأولان مقدمة ومدخل تدريجي لعلم الباطن .

٣ - أنه يجعل العلم مقدمة للتصوف ويستدل على ذلك بقول الجنيد رحمه الله : قال لي السري شيخى يوماً : إذا قت من عندي فن تجالس ؟ قلت : المحاسبي ، فقال : نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ، ثم لما وليت سمعته يقول : جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث . أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ، ومن تصوف قبل العلم خاطى بنفسه . .

٤ - أنه لم يذكر من هذه العلوم - علم الكلام والفلسفة لأن ما يشتمل عليه علم الكلام مذكور في القرآن والأخبار مشتملة عليه وما عدا ذلك فهو مشاغبة وبدع مذمومة وأما الفلسفة فليست علماً برأسها وإنما هي :

- ١ - الحساب والهندسة وهما مباحان .
- ٢ - المنطق وهو داخل في علم الكلام .
- ٣ - الإلهيات وهو داخل في علم الكلام أيضاً .

٤ - الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق .
فوزى عرفة

التكبير عند ختم القرآن للأستاذ أحمد علي منصور

نزل الوحي بعد انقطاعه عنه حينما من الدهر وردا على ادعاءات المشركين، واغتباطا بنعم مولاه عليه، وسرورا بهذا الوعد العظيم، الذي تضمنه قول الله تبارك وتعالى في هذه السورة الجليلة: «ولسوف يعطيك ربك فترضى»، وصدر عنه، صلى الله عليه وسلم، الأمر بالتكبير من الضحى مع نهاية كل سورة، حتى يختم التنزيل الحكيم تعظيما للعلو القدير، وقياما بشكر أنعمه، وفرحا بختم كتابه الحكيم.

والقد روى هذا التكبير عن الرسول الأعظم، صلوات الله وسلامه عليه، وعن الصحابة والتابعين، وذهب رجال الحديث إلى أن حديث التكبير رفعه البرزى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ورواه غيره موقوفا على ابن عباس وجاهد، وهذا التكبير عام داخل الصلاة وخارجها، قال البرزى قال لى الإمام الشافعى رضى الله عنه: «إن تركه التكبير فقد تركت سنة من سنن رسول الله، صلى الله عليه وسلم».

وروى البخارى عن أبى محمد القرشى، أنه صلى بالناس التراويح خلف المقام بالمسجد

أرسل الله الصادق الأمين، بالهدى ودين الحق، بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا، وأنزل عليه القرآن العظيم من فوق سبع سموات، بلسان عربى مبين، في صورة بلاغية يعجز عنها الخلق، وأقوى حجة تخضع لها العقول النيرة، وضمنه من القواعد والأحكام ما يكفل سعادة الناس في الدنيا والآخرة، يهدى به الله من اتباع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بأذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم..

وفي صدر الإسلام تأخر الوحي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مدة من الزمان فكان لذلك أثر بالغ في نفسه، وقال قاتل من كفار مكة زورا وبهتانا: «إن رب محمد ودهه وقلاه فدحض الله مفترياتهم، وكذب قولهم، وأنزل على رسوله الكريم قوله عز هلاه والضحى والليل إذا سمعا ما ودهك ربك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى، وما أن أتم أمين الوحي جبريل هذه السورة الشريفة، أمام خير الورى ورحمة الله العالمين، حتى قال «الله أكبر، شكر الله على ما أولاه، من

جبريل عليه السلام من قراءة سورة والضحي عليه ، كما مر في صدر مقالنا هذا ، ثم قرأها صلوات الله وسلامه عليه ، ولا يعلم إلا الله سبحانه ، هل كان تكبير نبيه لقراءة نفسه ، أم لحتم قراءة أمين الوحي جبريل ؟ والذي عليه الأكثرون أن تكبيره عليه الصلاة والسلام كان لحتم قراءة جبريل ، فذهبوا إلى أن بدئه من ختام الضحي إلى ختام الناس . ويرى هذا الفريق أن تكبير الرسول صلى الله عليه وسلم كان لقراءة نفسه ، فبدء التكبير عندهم من أول الضحي ونهايته أول الناس .

وبعد : فينبغي العمل بهذه السنة المأثورة عن أشرف الأئمة ، وتلاوة التنزيل الحكيم بترتيل وخشوع ، والتدبر في آياته ، والعمل بأحكامه ، وتسريح النظر طويلا في رياضه ، والإلمام العام بالمعقبات من آيه ، حتى لا ينسى شيء منه ، ولا يلحق في بعض سورته ، والرغبة إلى الله جل جلاله ، أن يوفقنا لما يرضيه ، ويبعدنا عما يغضبه ، ويهدينا الصراط المستقيم .

اصحح على منصور

الحرام ، فلما كانت ليلة الحتم كبر من خاتمة والضحي إلى آخر القرآن في الصلاة فلما سلم إذا بالإمام محمد بن إدريس الشافعي قد صلى وراءه ، وقال للقرشي لقد أحسنت وأصبت السنة . والأفضل أن يكون التكبير في الصلاة سرا ، سواء أكانت الصلاة سرية أم جهرية ، حتى لا يسبق إلى أذهان العوام في الجهرية أن التكبير من القرآن العظيم .

وصيغة التكبير عند الجمهور : الله أكبر ، ويرى بعض العلماء زيادة التهليل قبله والتحميد بعده ، فتصير صيغته على هذا لا إله إلا الله والله أكبر والله الجدد ، وجرى عمل الشيوخ والقراء قديما وحديثا ، على الأخذ بذلك ، لأن المقام مقام إطالة وتلذذ بذكر الله جل جلالته ، عند ختم قرآنه الكريم . وابتداء التكبير هفند الأكثرين من أول سورة والضحي ، وانتهأوه على رأيهم عند أول سورة الناس . وذهب فريق إلى أن ابتداءه من آخر والضحي ، وانتهأه عند آخر الناس .

وسبب هذين الرأيين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : الله أكبر ، عند فراغ

العوامل الضرورية في بناء الجماعات وإقامة الدينيات للأستاذ عباس طه

الاقتصادية الكلاسيكية والحديثة مسترشدين بهدى الفرقان الذى أنزل هدى للإنسان حتى لا يندوهؤلاء الذين يعملون المنابر في المساجد والجماعات فاصحين بما يخالف الدين ويخرج عن صن النظرية الاقتصادية والاجتماعية في إنهاض الشعوب من ربة الأفكار البالية .

العوامل الباهتة لحركات الجماعات :
(القوى الديناميكية)

الحاجة الحيوية التى يشعر بها الإنسان هى العامل الوحيد الباهت للحركة المعاشية فى العالم وهى بهذا الوصف أساس علم الاقتصاد السياسى .

كل كائن حى لاجل أن يصل إلى كاله الشخصى مضطرب لأن يستعين بالعالم الخارجى وأن يستمد منه عناصر يحيا بها حياته المقدرة له . وهو مضطرب لبذل مجهود للحصول على حاجاته لأن حصوله عليها يدفع عنه ألهما والحرمان منها يوقعه فى أذى .

ولحاجات الإنسان طبائع مختلفة عظيمة الخطر ، ولكل طائفة منها قوانين اقتصادية خاصة بها تلخص فيما يلى : —

يخيل لمن لا بصيرة له فى العلوم الاجتماعية أن تقليل الحاجات المادية فى الأمم يحفظ عليها عاها ويكفل لها استقلالها ويجعلها أقل احتياجاً إلى سواها ، فترى كل ممة متجهاً إلى مكلفة ما لا فائدة له فى نظره من الكماليات رجاء أن ينشئ شعباً لا تتعدى مطامعه ما يقيم صلبه ، ويكسو جسمه ، لينصرف بكلمته إلى الكمالات الروحية ، والترقيات المعنوية . وهذا خطأ بين يقع فيه كل من يتصدر صفوف الجماعات ويعلمو منابر التوجيه والإرشاد . لقد تسببت هذه النظرة العابرة التى لم تبين على قواعد علمية اقتصادية واجتماعية خلال العصور فى إهلاك جماعات دانت لهذه النظرة الخاطئة والرأى الفطين فلم تلبث أن انحلت ورايتها وفنيت فى أجساد أمم أخرى ومنها جماعات لم تصادف مزاحماً لها فى الحياة بقيت على ما كانت عليه قروناً كثيرة فى حالة تخلف وجود .

لذلك - حفزنا أن نكتب فى هذا الموضوع عن الحاجات الإنسانية وأمرها فى بناء الجماعات وإقامة الدينيات نقتبسه من صميم النظريات

بمقدار بقيا لفح الشمس ، فبشرها بالجلاء العاجل غن هذه الأرض التي لم تستطع الاستفادة منها مع ما منعت به من القوى والقدرة التي تبلغ بها أرقى مراتب الوجود المسمى والمعنوي .

هنا يمكن أن يقول قائل : هل ترقى الإنسان في الاحتياج خير له أو شر عليه ؟ الجواب : إن الحاجات التي تنشأ للإنسان هي عوامل تحفزه للعمل ، وتظهره للابتكار والاختراع وهذا يدفعه للترقى في العلم فإذا أردنا أن نعمل على تقليل هذه الحاجات كننا دافعين إلى خوف هذه العوامل فتقل الجهود العقلية ويهبط مستوى الثروة العامة وهذه الحاجات الاقتصادية ليست مجردة من نتائج أدبية عالية وذلك أن كل حاجة منها هي بمثابة رابطة جديدة تزيد انضمام الناس بعضهم إلى بعض لأن نيلها لا يتأتى إلا باشتراك مجموعهم في إيجادها .

ومن هنا ينمو في البشرية الشعور بالتضامن والرفاد ، فالرجل القليل الحاجات لا يحتاج لغيره ، ولكن يكتفى بنفسه ، وهو ما لا يجب أن يكون بين النوع الإنساني الذي عليه ترقى أفراد على التعاون الاجتماعي .

ثانيا : الحاجات الإنسانية محدودة في مقاديرها . وهذه من الأصول الهامة التي تركز

أولا : الحاجات الإنسانية غير محدودة العدد . وهذا ما يميز الإنسان عن الحيوان ، وهو في الوقت ذاته الباعث على المدنية بأوسع معانيها .

وحاجات النوع الإنساني تتدرج في نوعها وقيمتها بقدر تقدمه في الحضارة . وحياته من هذه الناحية كحياة الطفل من نوعه . فإنه في المهد لا يتطلب أكثر من الغذاء المناسب ثم يتدرج في توفير حاجاته من الأغذية المختلفة والملابس والألعاب المروضة ، ولا تكاد تمضي عليه سنة حتى تنشأ له حاجات جديدة . كذلك الحال في الجماعات البشرية ، فإننا اليوم وقد قطعنا أشواطا في المدنية نجد أنفسنا في حاجة ماسة إلى كل ما يتعلق بالصحة والنظافة والتعلم والسياحة وتلك لم تكن معروفة لأصولنا . وما لا مشاحة فيه أن أحفادنا سيشفرون باحتياجهم لأكثر منها ، ولو أتيج لنا أن نقف على خبر كائن في بعض السكواكب لأنسنا عصفه احتياجات جملة لأمر لم نتخيلها نحن الآن ولا تمر في خاطرنا .

لكن ما الحكم على الأمم التي تقنع بالقليل من الحاجات ولا تمتد مطامعها إلى ما يبعد عن الدائرة التي حصرت نفسها فيها ؟ هذه الأمم إذا بقيت مكنتية من الغذاء بشيء من الفاكهة والحضر واللبن ، ومن المأوى

فحاجة الإنسان للتغذية من الأغذية تتعاضد وحاجته لنوع آخر منها ، ولكنها تألف مع حاجته للخوان والكرسى والمنشفة والسكين الخ .

خاصا : ميل الحاجات الإنسانية إلى عادات راسخة ، وكما يقال طبيعة ثانية . وهذا له أثر كبير بالنسبة للأجور — ذلك أن الإنسان متى ارتفع إلى مستوى من العادات صعب عليه أن ينحدر فجأة عنه . فلقد مضى ذلك الزمن الذى كان لا يلبس منه العامل الملابس البيضاء ولا ينتعل حذاء ، ويتعاطى القهوة والتبغ ولا يأكل اللحم وخبز القمح ، ولكنه الآن أصبح أسير هذه الحاجات بحيث يهلك إذا لم يستطع توفيتها . ففعلا أن العادة متى مر عليها فى الأمة أجيالا متعاقبة رسخت فى الأذهان ففحرت الحواس بضروبتها الأمر الذى لا يمكن الاستغناء عنها أو التقليل منها .

سادسا : زوال العادات وظهور عادات على أنقاضها أرفع أو أخطر منها . هذا فاموس طبعى فى ترقية الأمم بإنشاء حاجات جديدة لها خصال سامية وأغراض شريفة وتقويتها بحيث تصبح فيها عادة أو طبيعة ثانية ومتى تم ذلك سارت الأمة إلى أوج السكال والشرف مدفوعة بموامل وبواهب ذاتية لا أثر للتصنع فيها وكان حظ الجماعة من ورائها عظيم للغاية .

ههنا النظريات الحديثة فى علم الاقتصاد السياسى . ومقدارها أن لكل حاجة يفرع بها الإنسان مقدارا خاصا لا تتجاوزه الرغبة مثال ذلك أن الإنسان يحتاج إلى المواد الغذائية ولكن احتياجه إليها يقف منها عند حد لا تتجاوزه خلافا لحاجاته الصناعيه أى الإجتماعية ، فلا تكاد تجد لها حدا تقف عنده فإنك لا تستطيع أن تدرك مقدار المال الذى يشبع نهمة الرجل المتمدن .

ثالثا : الحاجات الإنسانية متعارضة ، ومعنى ذلك أن الحاجة من الحاجات لا تحصل إلا بملازمة حاجة أخرى أو امتصاصها ، وهذا مبدأ اقتصادى يقوم عليه إمكان إصلاح الأمة عن طريقه وذلك بأخذ احتياجات مالية للأمة لتبديد احتياجاتها المنحطة الرديئة . وقد شوهد أنه يمكن الإستعاضة عن عادة مادية بمادة عقلية ، فيمكن إحلال التردد على النوادى محل التردد على الملاهى العامة ،

رابعا : الحاجات الإنسانية متألفة . هذا فاموس يبدأ بآدى ذى بدء متناف للتقدم وليس هو كذلك فالناس من ناحية العمل ألبسوا متزاحمين ومتآلفين فى وقت واحد ؟ فالمتخالف يوجد بين الحاجات التى تطلب لغرض واحد ، لا بين الحاجات التى تطلب لحاجات متعددة وأغراض شتى .

يعلون ، . وفي الحديث (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) .

وقد آتسنا اعتراضا من بعض الجماعات على هذه الرخصة زاعمة أن مهمة الدين الحث على الزهادة والاختيشان ، وتكريمه الناس في متع الحياة ولذاتها فكيف يبيحها الإسلام إلى حد أن ينزل فيها قرآنا وإلى لاطن أن القراء قد فقهوا الآن بعد ذكرنا المكان الحاجات من شئون الاجتماع أن هذا التنويه وراه حكمة ما لا يستطيع أن يسكره إلا متعنت ، فلو كان الإسلام قد سام أهله الاختيشان في المعيشة والقفاعة من المصنوعات مما يسد الحاجة منها وزهدهم في الدنيا حتى كرهوا كل متعها ولذتها لما قامت لهم جماعة ولا انظمت لهم حياة ولا ازدهر لهم علم ولا فلاآت لهم مدنية ، ولكنهم كانوا يملون من الأرض بعد جيل أو جيلين من قيامهم غه تاركين وراهم إلا ما تركه كل جماعة لم تنتفع بوجودها ولم يستفد من مواهبها .

لذلك علم الله ما سيقال في ترخيصه في نعم الحياة وزخرفها وزيفتها من الاعتراضات التي مشارها قصر النظر فذيل الآية بما يشعر بأن هذا الأمر سوف يدركه الذين يعلون الحقائق ويذيعونها بين الناس مضية في به إلى معجزات القرآن معجزة جديدة فقال تعالى :

وكذلك نفصل الآيات لقوم يعلون ، ؟

هباس طه

بسطنا هذه البدهيات التي يغفل عنها هؤلاء الذين يخلعون على أنفسهم ألقابا في التوجيه والإرشاد فلا يقدررون مدى العلاقة الوثيقة بين الحاجات الاقتصادية وبين الشئون الاجتماعية ، فالذي يتعذب لترقية نفسية آمنة لا يجوز له أن يقوم بهذه المهمة إلا إذا لم بأطراف هذه الأصول المقررة لئلا تكون تعاليمه ضارة بالمجتمع الذي يعيش فيه فالملاحظ على أكثر دعاة الإصلاح في هذه الأيام كما تسعيهم الصحف أنهم يسعون لتقليل حاجات الأفراد وتبسيط معيشتهم توهمها منهم أن ذلك يحفظ على الشعب صحته وأبدانه ويحصر همته في وجهة واحدة هي الترقى ماديا وأديا ، فلو قدرنا لهؤلاء المصلحين نجاحا رأينا أنه قد إبتنى عليه فساد اجتماعي كبير تظهر آثاره في تدهور الصناعات والمخاطات الفنون والنتيجة الطبيعية لهذا قلة الأعمال وانتشار البطالة واشتداد القافة على الطبقة الأخيرة من الأمة ومتى جاءت انصرفت إلى التلصص والسلب وارتكاب الجرائم .

من هنا يدرك الناس حكمة الإسلام في إباحته منع الحياة ما دامت في حدود الاعتدال بعيدة عن المآثم والعدوان ، قال تعالى : قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم

مِنْ وَحْيِ الْمَهْدِيِّ "قَصِيدَةً"

لِلْإِسْتَاذِ هَسَنٍ فَتْحِ الْبَابِ

ألا ليتنى يوما شددت رحالها فأنف إذا من العزاء عزائيا
ووفيت نذرى أن أزورك جائيا ولأنك نور فوق أفق حياتيا

فأقضى حقوقا ند عنى قضاؤها * * *

وأرخص دمعاً في رحابك غالباً أحسن إلى آل النبي وصحبه
وأورى غليلاً من حنين ولطفه ولهبق تحناني إليهم دعاتيا
إليك وأشقى من شجونى ما بيا أغنى بهم هيمان مستلهما هوى
واستشفع الذات الكريمة خاشعاً عفيفاً شريفاً صادق العهد وافيها
لغفران ذنب قد تحبته ذاتيا وينصرهم بين الورى لى مقول
أنى كل يوم أرتجيك لزورة لعلمهم أن يرتضوني موالياً
أعود وأشواقى إليك كما هيا ؟ أغنى بمدحهم وأشدو بذكرهم
وكيف وإنى فى رحابك آمن وأستلهم المعنى الرفيع القوافيا
وفى ظلك الممدود أهدو رجائيا ؟ وأجهد أن أزعجى إليهم روائعا
عفوت عن الجاني وإنى موحد لعلى ملاق بعض ما كنت راجياً
أدين بإيمانى وما كنت جانيا روائع من ذرب الفؤاد بديها
وقفت على التوحيد هلياً قصائدى أمين بما يوحى إليه فؤاديا
وأرسلتها فى العالمين سواريا صناع إذا صاغ المعانى أبية
فهل لى فى الغفران آمال ضارع مطاع إذا راض القوائى عواصيا
وهل أرتجى لى مقعداً منك دانيا ؟ بحبهم فى الكون هام مغرداً
وأطلق آيات المدايح شاديا

شفي من سقام النفس ووحا مريرة
ونضر قلبا كان بالأمس ذاربا
وقوم معقولا وسدد نهية
وناصر مخذولا وأيقظ غافيا
فسكانت ترانيم أجدت مباحي
وكان نعم رد هني شقائيا
نبي الهدى عمت بشارك الدني
رياضا جنميات وبيدأ فيافيا
طلعت على الأيام كالنور غامرا
وأشرقت في الليلات كالمدر هاديا
فهلت على وجه الوجود أمتلاقة
كما غمرت شمس الوجود الروايا
ورفت على ثغر البرية بسمه
تفيض شعاعات حسانا زواها
تفرق كالأمواه في كل جدول
تدفق من قلب الروابي هواميا
وتهفو على الآفاق أجنح نشوة
تواسى شجيا أو تسامر غاليا
وشاغت بأعطاف الطبيعة هوة
ترد الحزين الجمهم جذلان ساليا
وشعت بأرجاء السماء كواكب
تقبل بالنور العميون الجواريا
وأقبلت الغبراء أنضر ما بدت
تضاحك في الزرقاء شمها دراريا

نضت من قتام الشجر عنها غلاثلا
كما غيض الشاجي دموعا هواميا
أفادت عليها طلعة البشر رونقا
فرفت جبينها واستضاءت حواشيا
وأقبلت الأيام غمرا حميدة
على الدهر تزمي ضحوة ولياليا
لها - ماسرت في الكون - خفقة ملهم
يحن إلى الآتي ويذكر ماضيا
بشائر من فيض السماء تتابع
فصهرت الدنيا عيونا روائيا
وأشرق في الآكوان يدهو إلى الهدى
رسول قلبت كلهن المناديا
إذا خير اختار الجهاد رسالة
فقد رجحت شمسا وبدرا تصاميا
إذا وضعا في راحتيه لينثني
عن العزم منه كان للنور قاليا
فقد وهب للنور الذي هو ساطع
على النور فأنجباب الدجى عنه عانيا

* * *

رسول الهدى ما أطيب الذكر مسعدا
وما أروع الإيمان للشعر هاديا
(البقية على صفحة ٢٤٨)

الكتاب

١ — إيجاز القرآن :

للاستاذ عبد الكريم الخطيب

هذا الكتاب الأول في الموضوع الذي اختاره المؤلف لدراسته من إيجاز القرآن ، ويقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد قصر البحث فيه على الإيجاز في دراسات السابقتين . المؤلف في مقدمته يكشف عن منهجه في البحث ، فهو يذكر أن بحثه لا يمدو أن يكون نظرات في كتاب الله تتمثل فيها مفاهيم المسلمين للقرآن على اختلاف وجهات نظرهم وتغاير أزمانهم وثقافتهم .. كما يذكر أنه ربما كان من عيوب هذا البحث أو من حسناته ، أنه لم يواجه الموضوع مواجهة مباشرة ، بل جمل يطوف حوله ، - مدانيا ومباهدا - تطوفا طويلا ، استنفد كثيرا من الوقت ، وكثيراً من الجهد ، الأمر الذي ربما يكون قد تحيف الموضوع الأصلي وأدخل الضيق عليه .

وقد قسم المؤلف البحث أربعة أقسام ، بعد أن قدم بمدخل كان بمثابة طرقات خفيفة استفتح بها الباب الذي يصل القارئ

بكتاب الله ، ويهيئ كيانه للوقوف على موارده .

كان الباب الأول ، نظرة في كلام الله وكلام الناس ، وكان الباب الثاني ، المعجزة ، ما هي ؟ لماذا تعددت واختلفت ؟ وهل المعجزة لازمة للرسول ؟ موقف الناس من المعجزات ، المعجزة الحادثة ، زمان المعجزة ومكانها ، ثم وقفة مع الشعر الجاهلي ، وموقف الإسلام منه ، وكان الباب الثالث ، مباحث وآراء في الإيجاز ، استعرض آراء الجاحظ والخطابي والباقلاني وعبد الجبار ، والجرجاني ، والقاضي عياض وابن عطية والرافعي وأبي حيان التوحيدي ، والراغب الأصفهاني والسكاكي ، والفخر الرازي وفريد وجدي . أما الباب الرابع فكان ، شجاعت ودعوى ومفكرات ، ناقشا المؤلف ، منها خلق القرآن ، والنسخ في القرآن ، ومعارضة القرآن .

الحق أن هذا الموضوع شائك للغاية ، وليس في حاجة - وحسب - إلى سعة اطلاع ، ودقة تفكير ودرجة كبرى ، من الأسقيعاب ، بل إنه في حاجة أيضا إلى جرأة في الرأي ،

ولا يرى التعارض بين الآيات التي تختلف أحكامها في الأمر الواحد، إذ كل حكم له حال تخصه، وهلة تدور معه وجوداً وهداماً، فكل أمر يجب امتثاله في وقت ما لعله توجب ذلك الحكيم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إذ أن النسخ معناه الإزالة، حتى لا يجوز امتثاله أبداً. الواقع أن الأستاذ عبد الكريم الخطيب كتب دراسة على جانب من الأهمية والخطورة معا، فجاءت جديرة بما تليق به من تقدير.

٢ — مؤتمر سياسة الحروب :

للهرثي صاحب المأمون هذا الكتاب من التراث الإسلامي، حققه الأستاذ عبد الرؤوف هون، وراجعته الدكتور محمد مصطفى زيادة، وقد اعتمد المحقق على نسخة مخطوطة فريدة، حصل عليها من معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية من مكتبة د. كوبريللي، بالاستانة.

وواضح أن الكتاب مختصر لكتاب آخر، أما هذا الكتاب الآخر فهو الحيل في الحروب، للهرثي أيضاً ألفه للخليفة المأمون، ولا وجود له الآن، ويرى الحق أنه ربما فقد فيما فقد من الكتب أيام فلكية بغداد بالغزو التركي المعروف.

وقد أعجبنى رأى المؤلف مثلاً في المعجزة، فبعد أن أورد كلام السيوطي في الإتيان وملخصه أن أكثر معجزات بنى إسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة الإسلامية عقلية لفرط ذكائهم وكال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليرامها ذوق البصائر. بعد أن أورد المؤلف رأى السيوطي هذا عقب بقوله: ونحن نقول: إن معجزة الرسول هي القرآن، وليست له معجزة غيرها، وإن كان كل آية من آيات القرآن معجزة، بل معجزات..

هذا رأى المؤلف، ولكن القليلين من المثقفين من يقنعهم هذا الرأى، وما أجدره لو أنه قال رأيه في المعجزات المادية المنسوبة إلى الرسول في الأحاديث الصحيحة التي ارتبطت بأذهان العامة من المسلمين عقيدة في صدورهم، وناقشها مناقشة علمية، ولا أظن أن قوله فيما بعد أنها لو صحت لا تكون شيئاً إلى منزلة الرسول ولا تقاس إلى القرآن الكريم، لا أظن أن مثل هذا القول وحده يحدد موقفه من القضية.

وعلى العكس فرأى المؤلف في قضية النسخ واضح وقائم على استيعاب لشعاب القضية، فهو يبنى أن يكون قد وقع نسخ في القرآن،

أنه كان يتمثل كل هذه وهو يسجل أفكاره التي هي على جانب من الأهمية .

٣ — قاهر التتار

للاستاذ لبيب البوهي .

هذا الكتاب الجديد للؤلف نشرته الدار القومية ضمن سلسلة الكتاب الماسر وصفحاته تزيد على ثلثمائة صفحة من القطع الكبير . والمؤلف من أحرزت مؤلفاتهم القصصية وغيرها كشمس من الجوائز في وزارة التربية ووزارة الثقافة والمجلس الأعلى للفنون . وكتابه هذا قصة طويلة من التاريخ في أسلوب قصصي يمثل جزءاً ذا أهمية في تاريخ العروبة والإسلام ، مليئاً بالآلام والمفاسد ، ويقصد المؤلف بقاهر التتار الأمير قطز في معركة عين جالوت ويذكر في مدخل بحثه أن القصة تصور فترة حاسمة من الفترات التاريخية التي تمت فيها الوحدة في تاريخ النضال العربي فغارات التتار التي حطمت بغداد وأحرقها بقيادة هولاكو ، ثم احتلت الشام وأخذت تهدد مصر ، لم يوردها على أعقابها ناكسة ، ولم يوهنها ويحطم قواها ، ويكسر شوكة غورها إلا وحدة بين شعوب العالم العربي بنزع إشعاعها يومذاك من القاهرة .

القصة في ثلاثين فصلاً ، بدأت منذ أن

كما يذكر الختق في مقدمته أن الهرثمي هو أبو سعيد الشعراني كما في فهرست ابن النديم وليس بالمراجع التي رجح إليها شيء من ترجمة اللؤاف ، ولكن يبدو أن الهرثمي قد يكون منسوباً بالولاء إلى هرثمة بن أعين الحليل الذي كان من أبرز قادة الرشيد وقائد جيوش المأمون بعد ذلك ، وكانت وفاته في عصر الخليفة المتوكل .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب صغير في حجمه ، إلا أنه تضمن أربعين باباً ، استوعبت على وجه التقريب كل ما يتصل بسياسة الحروب على ضوء الإسلام وتعاليمه ، فنظام الأمر في الحرب تقوى الله والعمل بطاعته ، ومقتضيات الحرب تتطلب حسن سياسة الرئيس أحبابه ، والحذر وسوء الظن ، والأناة والرفق ، والاستشارة وترك الاستبداد بالرأى ، والتعبئة عند وقوع الخوف في المصير ، والتحرز عند النزول والمقام ، وهكذا يناول الكتاب أصاليب الحرب وفنونها وجسدارتها ، وأموراً شتى من أحوالها في عبارات موجزة أشبه ما تكون بالاصطلاحات والمواد القانونية أو الدستورية . وإذا كان المؤلف - منعا للإسهاب - كثيراً ما يتجنب الاستشهاد بالآية القرآنية أو بالحديث النبوي ، أو بالكلمة المأثورة عن السلف ، إلا أنه من الواضح

إنما دعا إليها علماء الدين باسم الإسلام .
واعتمد المؤلف في مدخل قصته على الرؤيا
والنبوءة ، وهما عنصران يجب أن لا يعول
عليهما في أحداث التاريخ .

ويمكن أن نقول بعد ذلك : إن المؤلف
كتب قصة تاريخية قيمة ، تمت من خلال
صفحاتها الحياة في كل شخصياتها ، وجعلنا
نعيش مع كل أحداثها .

* * *

٤ - حول القاط والفصح على السنة

الكتاب :

الأستاذ أحمد أبو الخضر منسى

هذا السكتيب - على صغر حجمه - بعيد
الأثر ، وعلى الرغم من أنه بضعة بحوث
نشرت في الصحف منذ عام ١٩١٥ م
إلى عام ١٩٥٠ ، إلا أن لضم هذه البحوث
في كتاب له قيمته ، فنحن محتاجون دائماً
إلى أن نستذكر أخطاءنا اللغوية في حياتنا
الأدبية على الأقل .

المؤلف يذكر في مقدمته أنه يسلك مسلك
العلامة اللغوي الشيخ إبراهيم اليازجي الذي
أنفأ إذ استوطن مصر عام ٨٩٤ م مجلة
البيان ، ثم أخرج بعدها مجلة الضياء
عام ٨٩٨ م ، فسكتب بحوثاً متتالية تحت
عنوان « لغة الجرائد » .

تولى الأمير قطز مهام منصبه الجديد - منصب
نائب السلطان في القاهرة والسلطان يؤمّن
صبي لم يتخط الخامسة عشرة من عمره . إنه
المنصور هلى بن عز الدين أيبك التركمانى ،
الذى تولى السلطة بعد مقتل أبيه وانتهت هذه
الفصول بعودة قاهر التتار إلى القاهرة بعد
انتصاره في معركة عين جالوت ، ولكن
البطل المنتصر لم يقدر له أن يصل إلى القاهرة
لأن بعضاً من المماليك هاجموا في مدينة
الصالحية وأرادوه على الاعتراف بالملك
ليبرس ، ولم ينته الجدل إلا بقتله ليعود
يبرس إلى القاهرة ملكاً متوجاً على مصر .

الحق أن القصة بفصولها الثلاثين تصوير
دقيق لفترة حاسمة من تاريخنا ، نجح المؤلف
في إبراز صور الخيانة التي تسلك إلى كثير
من أحداثها ، وفي إبراز الشجاعة الأدبية
لبعض العلماء وفي مقدمتهم عز بن عبد السلام
وقد حرص المؤلف على أن يتنقل بنا من
بغداد إلى الشام إلى القاهرة حيث تقع أماكن
القصة ، ولكن دون مراعاة للترتيب الزمني
للأحداث نفسها ، حتى لتكاد القصة تبدو
في الفصول العشرين الأولى منها مفككة
الأوصال .

كما أن المؤلف أهمل قليلاً الدين كأقوى
عامل من عوامل الانتصار ، وهذه الوحدة
التي حققتها الحاجة بقيادة قطز الرشيدة ؛

عضو في مجلس كذا - على الرغم من أو على
رغبه - تخرج في جامعة كذا - جاء في الشرط
الأول - مهازل أو مقايح .

وبعد - فإن القضية أكبر من أن نستهن بها
مادعنا نرى أن لغتنا العربية من أبرز مقومات
عروبنا ، وإذا كانت الصحافة أصبحت
مصدر هذه الاستهانة بلغتنا العربية اليوم ،
فمن عن طريقها يمكن أن تستقيم لغتنا ،
ولكن حين يوكل أمرها إلى كتاب أدباء ،
وليستوا من محترفي الكتابة الصحفية ،
أو من المشتغلين بمرقة الأدب دون اهتمام
باللغة الفصحى وهي عصب الأدب
نفسه ؟

محمد عبد الله السوان

كما يذكر المؤلف أن منهجه في كتابه
هو تعقب الأخطاء الواردة على السنة الكتاب
إما جهلا وإما سهوا ، وتقييد شاربها
وواردها وتمييزه شعارين : منها ما هو خطأ
لا ريب فيه ، ومنها ما ذكره بعض النقاد
على خطأ وليس بخطأ .

الحق أن تصويب أخطائنا اللغوية أمر
ليس بالعسير ، لو صدقت نياتنا ، كما أورد
كتاب الأستاذ مفسى مثلا من الأخطاء
المشهورة :

تعرفت بفلان - عضوة في مجلس كذا -
بالرغم عن - تخرج من جامعة كذا - جاء
في البند الأول - مهازل .
ولا فطن أن تصويب مثل هذه الأخطاء
ما يشق علينا فقلنا : تعرفت إلى فلان -

(بقية المنشور على صفحة ٢٤٣)

طلعت على الصحراء أظلال وحة	بسطت على الأكوان كف سماحة
فقرت قفارا واستكانت بواديا	ففضرت مجرودا وزينت حاليا
وآسيت محروما وأغخت معدما	تأيت أن نجشو لأصنام مكة
وبجدت مغمورا وأرشدت غاوبا	وكنت لمن شاد العموات جائيا
جلوت عن المـكروب آثار كربه	وكنت عن الإقذاء والفكر قاصيا
ورويت صديان الجوانح ظاميا	فأصبحت من ورش المهيمن دانيا
	من فتح الباب

انبثاء وآراء

حروب الإسلام حروب فتح

وإنما كانت حروباً لتحرير الشعوب من ظلم المستعمرين وطفغياتهم ، وضرب مثلاً لذلك . بحروب الإسلام في مصر والشام وشمال أفريقيا ، وقال : إن كل هذه الحروب كانت لتحرير هذه الشعوب من طغيان الرومان الذين استعمرُوا هذه البلاد زهاء ستة قرون . وهذا كلام قد يستوى العامة ، وأشباه العامة ، ولكنه لا يرضى الحقيقة ، ولا يرفع من قدر الإسلام .

الإسلام حارب في كل بلد دخلة لغاية نبيلة هي نشر دعوته في هذا البلد ، فحارب في مصر ليفشر الإسلام في مصر وحارب في فارس ليفشر الإسلام في فارس .

ولا عيب على الإسلام ، ولا تلحقه أية مذمة أن يكون قصده نشر دعوته ، فالمسألة كلها ترجع إلى حقيقة واحدة ، متى سلم بها كل ذى عقل كان كل ما يأتي تبعاً لها طبيعياً : دإن الدين عند الله الإسلام ، هذه هي القضية ، فإذا كانت صحيحة - وهي لا شك صحيحة نتيجة للأدلة الحاسمة التي قامت على صحتها - كان كل تصرف بعد ذلك يهدف

ليقل من شاء ما شاء فإن الإسلام سيظل دين الإنسانية الخالد ولن ينال منه الطاعنون في أصوله ، أو في سلوكه حيال الأمم التي أنعم الله عليها بنشر تعاليمه فيها ، إلا ما ينال النمل من أركان ثلثان على حد قول الشاعر .

ومن واجبتنا أن ندفع عن الإسلام كل طعن يوجه إليه ، وأن نكشف كل شبهة تحوم حوله ، وأن نرشد كل قلب يريد أن يهتدى إلى الحق . ولكن علينا أن نمحذر مجازاة أحد أو تملق

الأنفهام والعقول القاصرة ، فإن شريعتنا ليست في حاجة أكثر من بيان تعاليمها على وجهها الصحيح .

ربما تجذبنا بهارج المعاصرين ، وتحملنا اصطلاحاتهم التي يقشدقون بها على أن بخارى تفكبرهم القاصر وغبية في ردم من عداوتهم للإسلام ، أو طمعاً في أن نقر في نفوسهم المزعزعة تعاليم الإسلام ، ولكن ذلك التهاون لن ينجي بغيره لا للإسلام ، لا لهؤلاء .

ذكرت كل ذلك حين سمعت فضيلة الشيخ محمد الغزالي يذيع في التليفزيون فيقول في حديثه المعروفة ، وفي إخلاصه المعهود ، إن حروب الإسلام لم تكن حروب فتوح ،

فتحا ميينا ، ، وقد وردت كلمة (الفتح) في آيات من القرآن بمعنى الانتصار في الحرب والاستيلاء على البلد المحارب : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ، . » الذين يقرءون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنمكم من المؤمنين فأنه يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، . « إذا جاء نصر الله والفتح ... ، إلى غير ذلك من الآيات .

وجاءت كلمة الفتح في وصايا كبار رجالات الإسلام ، وهم يدعون جيوشهم ويوصونهم أو يكتبون لهم ، كما جاءت على ألسنة الرسل الذين كانوا يجيئون من لدن الجيوش يبشرون المسلمين في عاصمة الخلافة بفتح قطر من الأقطار ، أو بلد من البلاد ، ولا أذكر - على قدر ما قرأت في كتب التاريخ الإسلامي أن كلمة التحرير جاءت في وصية أو كتاب . ونحن نفخر بشريعتنا التي كان من أهم أهدافها أن تفسر دعوها السليمة الصحيحة النافعة في كل أقطار الأرض ؛ فهي لم تحارب لتكسب مالا أو جاها ، أو لتستعبد شعوبا وإنما حاربت لتكون كلمة الله هي العليا .

على العمري

إلى سيادة الإسلام تصرفا صحيحا وواجبا . وإذا قلنا : إن الإسلام حارب في البلاد التي كان يستعمرها الرومان لتحريرها من طغيانهم ، فماذا نقول عن حروبه في الأندلس وفي فارس وفي غيرهما من البلاد التي لم تكن مستعمرة لأحد ؟ .

هل أراد أن يحرر الفرس من حكم القياصرة مثلا ؟ لو كان غرض الإسلام هذا كان عليه أن يرسل من هذا القطر بمجرد القضاء على نفوذ هؤلاء الحكام ، ولكن الإسلام لم يفعل ذلك - كما هو معروف - بل أقام في كل بلد فتحه ، وعمل على نشر تعاليمه ، ونشر لغته ، وظل فيها إلى يومنا هذا .

وليس معنى ما أقول أن الإسلام انتشر بالسيف ، وأن العرب المسلمين أكرهوا الناس على قبول دينهم ، لأن الإسلام كان يفتح البلاد ، ويترك أهلا على دينهم إذا أرادوا ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ولا يرغمهم على قبوله ، بل كان يحمي كنانتهم ويجمعهم ويعاملهم في عامة شئونهم كما يعامل المؤمنين به ، وإنما معناه أن السيف كان ضروريا لحماية الدعوة الإسلامية ، وتبليغها ، والتبشير بها ، ورد كيد أعدائها .

وكيف تنفي كلمة الفتح عن حروب الإسلام والله سبحانه وتعالى مخاطب برسوله الكريم في سورة من سور القرآن : « إنا فتحنا لك

فتاوى سحنانة

نقدبم : ابراهيم محمد الرصيل

(الجواب مقارنا بأجوبة مماثلة للأستاذين الراحلين الشيخ محمود شلتوت ، ويوسف الدجوى)

والصلاة لا تشعر ثمرتها من النهى عن
الفحشاء والمنكر ، واقتلاع بذور الشر من
النفس إلا إذا كانت ذات خشوع
وترجته كامل .

والله العليم بطبائع ما خلق ، علم عصر
الخشوع القلبى على الإنسان ، وهلم أن شرود
الفكر عنده ، غالب عليه ، فاجتزأ منه
فى صحة الصلاة ، وخروجه من عهدتها ، أن
يؤديها تامة الشروط والأركان ، وأن يتجه
إليه بالتكبير قاصداً وجهه ، مستشعراً
عظمته . ثم رغب إليه أن يحارب ما يغلب
عليه من الشواغل القلبية والخطرات النفسية
التي تحول بينه وبين الشعور بلذة الصلاة
الروحية ، وأعليه على لسان رسوله بأن
اشتغال الفكر أثناء الصلاة بغير جلال الله ،
من وسوسة الشيطان وزعزعة النفس ، وعدم
الصبر فى مكافئة هذه الخطرات .

وقد صور الرسول هذا المعنى أبلغ
تصوير ليس فى الصلاة فقط ، بل فيها
وفى تلبية نداءها ، والإسراع إليها وذلك فيما

طرد الوساوس والى
المصل أثناء الصلاة :

السؤال :

تطراً على فى الصلاة وساوس وأفكار
فى شئون الدنيا ويتناهى بعد هذا ألم والحزن
خشية أن يذهب هذا بثواب الصلاة ؟ فأرجو
توضيح حكم هذا على صفحات المجلة .

عبد العزيز هيد

كلية طب القصر العينى

الجواب :

طلب الله من المؤمنين الصلاة ، وحث فيها
على الخشوع ، وكال التوجه إليه سبحانه :
« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقوموا لله قانتين » .

وفسرت الصلاة الوسطى بالصلاة الفضلى ،
وهى ذات الخشوع والتوجه الكامل إليه
سبحانه ، وربط الله بالصلاة ذات الخشوع
فلاح المؤمنين : « قد أفلح المؤمنون ،
الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .

هذا وقد علم أن من خواص النفس البشرية أنها لا تتجه في وقت واحد إلا إلى شيء واحد ، وأنها إذا حصرت في دائرته لا يصل إليها غيره ، وأن الحواس متى ربطت بمواقع معينة تبعها التفكير وانحصرت في دائرتها .

ومن هنا قال العلماء الذين حاربوا الوسوسة فغلبوها : ينبغي المصلي أن ينظر إلى موضع سجوده وهو قائم وإلى قدمه وهو راجع ، وإلى أرنبة أنفه وهو ساجد ، فيربط حواسه بهذه المواقع ، ويحصر فكره في تدبر ما ينطق به من تكبير وتسبيح وقراءة ، وبذلك تسكلم للسلام صلاته ويحظى فيها بلذة السمو الروحي ، وقرة العين التي كان يجدها الرسول في الصلاة .

حكمهم إمامته من يزاول مربيته ثلاث
مربيته ، وعن هناك منه هو أعلم
منه ، ومنه ينفذ الناس :

السؤال :

ما حكم : إمامة من يعمل في مهنة ثلاث
ملايحه كالدباغة ؟

عبد الوارث أحمد

الورديان — اسكندرية

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله خصاص - كناية عن النفرة التي تصم الآذان - حتى لا يسمع الآذان ، فإذا قضى الآذان أقبل ، فإذا ثوب بالصلاة ، أقيمت ، أدبر ، فإذا قضى التشويب أقبل حتى يخطئ بين المراء ونفسه ، يقول : أذكر كذا ، أذكر كذا ، لمسلم يكن يذكر حتى يضل الرجل أن يدري كم صلى ، فإذا لم يدر أحدكم أنلاثا صلى أم أربعا فليسجد سجدتين وهو جالس ، يريد سجدة السهو ، .

وقد أرشدنا الحديث إلى أن حديث النفس في الصلاة بما يصرف القلب عن الموقف عمل من عمل الشيطان مما يجب على المسلم مكافئته في صلاته وفي حياته . وأرشدنا رحمة بنا ، نظراً لعمرة الموقف إلى صحة الصلاة التي استوعب التفكير جزءاً منها . فعلى المسلم إذن أن يذكر إذا وقف بين يدي الله وكبر للصلاة أن الشيطان واقف له بالمرصاد فليعتصم بذكر الله ، وليتدبر ما يجريه على لسانه من تكبير إذا قام أو ركع وتسبيح وحمد إذا رفع أو سجد ، وقراءة إذا قرأ . عليه أن يروض نفسه على ذلك . المرة بعد الأخرى حتى يسد على نفسه مسالك تلك الوسوسة التي تسلبه إذا استمرت روح الصلاة ، وتجعلها صورة جافة لا تصعد بالنفس ، ولا تزكى الروح .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا ضرر ولا ضرار) .

وعن الثاني إمامة الجاهل فيها تفصيل : فإن كان جهله يؤثر في صحة صلاته بأن كان لا يحسن قراءة الفاتحة أو لا يحسن الوضوء أو الاغتسال من الجنابة ، أو ترك فرضا من فروض الصلاة كالعلماء بنية فصلاته باطلة فعلا عن إمامته ، وإن كان جهله لا يؤثر في صحة الصلاة فصلاته وإمامته صحيحتان ولو لم يميز الفرائض من السنن إذا كان يعتد أن في الصلاة فرائض وغير فرائض ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما رأيتموني أصلي) فتى كانت الصلاة مستوفية لجميع ما يعتبر في صحتها شرعا فهي صحيحة والاقتداء أيضا صحيح نعم الفقيه أحق بالإمامة من الجاهل الذي تصح إمامته .

وهن الثالث . إمامة من يكرهه أهل بلده فيها تفصيل أيضا : فإن كانت الكراهة لأمر ديني في إمامته مسكروة حيث كرهه الفقير اليسير الذين ليسوا من ذوى الفضل والعلم فإن كرهه أهل البلد كلهم أو أكثرهم أو كرهه أهل الفضل وإن قلوا حرمت إمامته لقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله من أم قوما وهم له كارهون) .

تقدم للإمامة رجل وفي القوم من هو أعلم منه فما حكم الصلاة وراءه ؟

متولى إسماعيل - سوهاج
في قريبنا شخص ذو لجة بغضت فيه الناس فهل تصح الصلاة وراءه وفي نفسى منه شيء ؟
غانم أحمد غانم - درشابة

الجواب :

عن الأول أن الدباغ ونحوه من أصحاب الممن التي لا تخلو عن مباشرة النجاسة يعني مما يصيب ثيابهم منها متى كانوا يجتهدون في دورها لعسر التحرز ، وقد يشهد لذلك قوله تعالى : وما جعل عليكم في الدين من حرج ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (بعثت بالحنيفية السمجة) ويستحب لهم لإعداد ثوب خاص للصلاة به . وعلى ذلك فصلاة الدباغ بثيابه التي يباشر فيها المهنة صحيحة والنجاسة معفو عنها . وأما إمامته فمسكروة لمن ليس مثله ، أما مثله من ذوى الأعداء المقتضية للعفو عن النجاسة فلا يكره أن يكون إماما له ، وأما رائحة ثيابه فهي مانعة من حضوره الجماعة متى كانت تؤذى غيره . فعليه أن يخلعها قبل الذهاب إلى المسجد وإلا حرم عليه دخوله فضلا عن أن يكون إماما للناس ،

بَيْنَ الصُّفَى وَالْكَتَبِ

للأستاذ عبد الرحيم فودة

مكانة النبي

صلى الله عليه وسلم

١ - أو المنبأ من الله وإن كانت من النبوة أو النبوة - وهي المسكن العالي - كان معنى النبي ، الرفيع المسكن العظيم الشأن . ولا شك أن وضع النبي بين قومه كوضع الربوة العالية الحالية بالذهب والشجر والزهر والثمر فهم يتلقون من الله فيوض الوصي كما تلقى الربوة فيوض الغيث فتتهز وتنبت وتزهر وتثمر .

٢ - والنبوة كما قيل : (هبة الله لا تنال بالكسب) ، لكن حكمة الله وهداه تفضيل بأن تمنح للمستعد لها القادر على حملها : الله أعلم حين يحمل رسالته ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أهد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه ، أحرره وأسوده لأنه وجنه ، وأعد لأن يحمل أكل رسالة وأكل دين ، ولأن يحتم به الأنبياء والرسل ، وليكون شمس الهداية وحده إلى أن تنفطر السماء ، وتنكسر النجوم ، وتبطل الأرض غير الأرض

١ - لا شك أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هم القمم العالية في المجتمع والمنابر الهادية أمام الناس ، والمنابر الداهية إلى الحق والخير ، وقد جعلهم الله في مقدمة الذين أنعم عليهم كما يفهم من قوله تعالى : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » (١) ، وكما يفهم من قوله سبحانه بعد أن ذكر زكريا ويحيى وإسماعيل وإسحاق وإبراهيم : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً » (٢) ، ثم إن كلمة النبي في أصل وضعها تشير إلى شرف وضع الأنبياء فإن كانت من النبأ - وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم - كان معنى النبي ... المنبأ عن الله

والسموات ، (١) ، وتظهر رعاية الله بإعداده وتربية استعداده لحمل رسالته العظمى فيما يفهم من قوله له : « ألم يجدك يتيماً فآوى ،

ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى » (٢) ، فإنه يفهم منه أنه سبحانه هو الذى آواه وهداه وأغناه كما يفهم من قوله له : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعليك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » (٣) ، أنه كما قال فيه القائل : كففاً بالعلم فى الآسى معجزة

كيف ترقى رقيق الأنبياء
يا سماء ما طساوتها سماء

فإن معنى قوله تعالى : « دأمة وسطاً » أن أمة خير أمة ، لأن خير الأمور الوسط ، وذلك يفهم صراحة من قوله تعالى : « وكنتم خير أمة أخرجت للناس » (٤) ، وقوله سبحانه :

« هو اجتبأكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبىكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليسكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس » ، فإذا

كان المسلمون شهداء الأنبياء على الناس ، وكان صلى الله عليه وسلم شهيداً على هؤلاء . كانت منزلته بمثابة السماء التى لا تعساؤها سماء ، ولعل ذلك بعض ما يفهم من عهد الله إلى الأنبياء حيث يقول الله : « وإذا أخذ الله ميثاق النبیین لما آتیتمكم من کتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلکم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » (٥) .

٤ — هذا إلى أن عموم رسالته للناس ، وبقاء معجزته على الزمن وسعة الدين الذى بعث به لكل نواحى الحياة ، واحتجابته

فى الجاهل والتأديب فى الیتم
٣ — أما مكانته صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء فتبدو واضحة جليلة فى قول الله فيهم وقوله فيه : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ، يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » (٦) ، فإنه مع ما يفهم من قوله : « ويوم نبعت فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء » (٧) ، وقوله فيه وفى أمة : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون

(١) الشيخ المرافى فى مقدمة كتاب عمده .

(٢) ٨٦٧ ، ٦ الضحى .

(٣) ١١٣ النساء .

(٤) ٤١ ، ٤٢ النساء .

(٥) ٨٩ النحل .

(١) ١٤٣ البقرة .

(٢) ١١٠ آل عمران (٣) آل عمران .

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (١) يشعر أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان استجابة الله لهذه الدعوة المباركة ، وأن مولده كان نجرا يرتقب الوجوه ظهوره ونوره .

٦ — أما مكانته اللاتقة به بين المؤمنين فلا يرقى إلى تصورهما غير قول الله فيه : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وقوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ، وقوله سبحانه : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ، وقوله جل شأنه « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وارحم محمد وآل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

عبر السريهيم فوده

من مجلة لواء الإسلام

لكل حاجات البشر في كل زمان ومكان ، بما يفسر به قول الله فيه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، وقوله فيه « إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله يأذنه وسراجا منيرا » (١) وقد بشرت التوراة والإنجيل به وبالنور الذي أنزل معه كما يفهم من قول الله : « ورحمته وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » (٢) .

٥ — بل أن المتأمل في دعاء إبراهيم وابنه اسماعيل حين كان يرفعان قواعد البيت ويقولان ما يحكيه القرآن « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التوب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » (٣) ثم قول الله فيه

(١) ٤٥ ، ٤٦ الأحزاب .

(٢) ١٥٧ الأعراف .

(١) ٢ الجمعة .

بدل الاشتراك

٤ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خراج الجمهورية
وللمدنيين والطلّاب
تخفيض خاص

مجلة الزيات

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
لعل نواف
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى

الجزء الثالث - السنة السادسة والثلاثون - جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ هـ - أكتوبر ١٩٦٤ م

السلامة والسلامة والسلامة

المذاهب الأدبية المنحرفة

بقلم : أحمد حسن الزيات

فرضت الطبيعة التطوير ، ويدلون بركب
الخليقة في طريق الحياة المهم إلى النهاية التي
حددتها الفن والأدب والعلم بالجمال والتخير
والحق .

كان الأدباء العالميون يهجون هذا التهج
القويم حتى أصاب العالم في النصف الأول
من هذا القرن حربان عامتان زلزلتا الأرض
وبلبلتا الأنفس ودمرتا الحضارة وخلقتا
الشك والتهمة في القيم والمبادئ ، وأشاعنا
الخوف والقلق في الفرد والجماعة ، وكان
من أثر ذلك في الأدب أن ظهرت فئة
من الكتّاب ضلوا السبيل فأنكروا العقل
وجافوا البيان وطاروا الواقع وزعموا

ما دام المخطط قانوناً للهـكر ، واللغة أداة
للبيان ، والوضوح طبيعة للأسلوب ، والغدوق
حكما على الفن ، فإن الكتّاب يكتبون ليصيب
والقارئ يقرأ ليفهم ، والناقد يبحث ليجد ،
ولا يجرى الأمر على خلاف ذلك إلا إذا
فسدت الطباع وانقلبت الأوضاع فيصبح
المخطط خطلاً وفهامة ، واللغة لغواً وثورة ،
والكتابة معايية وشعوذة ، والفن كله هبثاً
ومهزلة

ولقد كان الأدباء : كتبهم وشعراؤهم على
سواء الطريق حين كانوا يسرون في ضوء
العقل ، ويهتدون بأعلام الحق ، فيجددون
إذا اقتضت الحال التجديد ، ويطورون إذا

أطراف الدولة وبدو ثمار الحضارة ودنو العربية من الفارسية ، ومذهب ابن المقفع الذى ظهر في فجر الحضارة العربية كان طوره الثانى دعا لى اتساع الخلافة وتنوع الثقافة وشدة اختلاط العرب بالفرس .

ثم كان طوره الثالث مذهب الجاحظ الذى اقتضاه نقل العلوم الأجنبية وازدهار المدنية العباسية وانتشار المغالات الإسلامية وتعدد الحياة الاجتماعية واقتباس الآراء الفلسفية . ثم أترف المسلمون وتقلبوا في أعطاف النعمة وتأنقوا في مظاهر العيش فظهر طوره الرابع في مذهب ابن العميد المسجوع المنعق .

ولى هنا كان التطور في النثر الفنى تطوراً طردياً يسير من الضيق إلى السعة ومن الجزالة إلى الرقة ومن الترسل المتوازن إلى الصنعة المطبوعة ، فلما ضعفت الخلافة وصار الأمر إلى غير أهله جرت على الكتابة أعراض الفساد والوهن ، فكثرت الزيف وانتشرت الصنعة وكان من ذلك مذهب القاضي الفاضل وهو الطور الخامس من أطوار الأسلوب العربى غلا فيه أصحابه حتى أفسدوا الفكرة وشوهوا الصورة ، ومن هنا كان رد الفعل بظهور مذهب ابن خلدون إذ رغب عن السجع وزهد في البديع وسار باللفظ وراء المعنى ، ثم تطور هذا المذهب بتأثير الحضارة الأوروبية ونقل الآداب الأجنبية إلى الأسلوب الذى يكتب به الكتاب الموهوبون اليوم .

* * *

أن الحياة المجردة سخف وعبث ، وأن القيم المقررة إفك وزور ، وأن محاولة فهم الحياة أو تفسيرها عناء وباطل ، فما عليهم إلا أن يعيشوها على علاتها ، ولا عليهم أن يعالجوها بإصلاح فاسدها وحل مشكلاتها . ثم جعلوا مسرحياتهم صوراً لهذه الحياة التى تخيلوها ، فلا عقل يقيده ولا منطق يعصم ولا علم ينير ولا خلق يربط ولا دين يهدى ولا حق يقبع ولا شرف يراهى ولا غرض يرى ، ولا أمل يحفز ولا مطعم ينال ولا لغة تعبر ، حطموا كل أوائلك فخطموا معه الإنسان نفسه .

بدأ ذلك الانحراف بعد الحرب الأولى الفوضوية والداديون والسراليون ، وتبعهم بعد الحرب الثانية اللامعقوليون ؛ فبلغ د بيكت ، ود أونسكو ، ود آدموف ، بالعبث المسرحى الغاية التى يحتلظ عندها حوار الممثلين بهذيان المحموم وكلام النائم ، وإذا شئت مثلاً على ذلك فاقرأ لعبة النهاية ، لصمويل بيكت ، ود الكراسى ، لأوجين أونسكو ، ود ياطالع الشجرة ، لتوفيق الحكيم .

نشأت المذاهب الأدبية القويمة عند العرب والفرنج إما مرحلة لتطور مذهب تقدم به مبتدعوه ، وإما رد فعل للمذهب غلا فيه متبعوه ، فذهب عبد الحميد بن يحيى كان الطور الأول للأسلوب العربى الضيق الموجز دعت إليه مقتضيات المجتمع الجديد من تشعب

الكتاب في الحرية واتحد الفن بالطبيعة ومبط الفنان إلى الشعب حتى كان من أثر الاستخفاف بالقواعد والإسراف في معاداة الواقع والانسكا على عمل الخيلة والالتجاء إلى أثر الحساسة أن قل الوضوح وأهوزت الدقة وأبعد الخيال وطفى الشعور ، ومن ثم كان للاتباعية رد فعل من جهتين : جهة الإفراط في الخيال نشأ عنه المذهب الواقعي وجهة الإفراط في الحس نشأ عنه المذهب البرناسي وورجعة إلى الاتباعية من بعض نواحها ، ولكنه لا يعنى عنايتها بالخوالج النفسية ، ولا يصطبغ صبغتها بالألوان الارستقراطية ، وإنما يلاحظ الطبيعة وينقلها نقلا موضوعيا محايداً أميناً لا يتدخل الفنان بشعوره الشخصي فيه ، ولا يحفل بإظهار السمات الجمالية به ، ولا يقصد إلى استنباط المغزى الخلقى منه . فهو بهذا الاعتبار مذهب علمي يعتمد على الحقائق والوثائق لا على الفروض والاختيالة .

وأما المذهب البرناسي فيبغض الشعر العاطفي ويحب الجبال المصنوع ، ويغنى الصورة على حساب الفكرة ، ويؤثر جانب الصنعة على جانب الطبيعة ، ويشدد في طلب القافية المحكمة والفقرة الموقفة والتعبير الفخم والتركيب الجزل والوصف التمام والوشى المعجب ، فتمره أشبه شيء بالتمائيل المنحوتة من جميل المرمر ، فما العقل والعرو و تبيين الملاح وتعيين الحدود ولكن فيها كذلك الصلابة والجفاف والعلى والبرود .

كذلك كانت نشأة المذاهب الأدبية في أوروبا ففي فرنسا مثلاً كانت اللغة وآدابها خاضعة لسلطان الإغريقية واللاتينية على أثرا نبعاث الروائع اليونانية والرومانية في إيطاليا ، فالألفاظ يكثر فيها العالى والدخيل ، والتركيب يعطى عليها هوميروس وأفرجيل والنظم والفنر يجران على المحاكاة الشكلية ، والموضوعات تؤخذ من الأساطير الوثنية ، فكان لا بد لهذه العبودية الأدبية من محور يكسكف شرها وينظم فوضاها ، فظهر المذهب الاتباعي في أوائل القرن السابع عشر وهو يقوم على تقليد اليونان والرومان تقليد التليذ لمعلمه لا تقليد المصور لمثاله ، ثم طهروا اللغة من الدخيل والعالى ، ووسعوا دائرتها بالوضع والاشتقاق ، وجعلوا للعقل السلطان المطلق على الأدب ، فلا يكادون يلقون بالهم إلى الخيال والعاطفة ، ثم قيدوا الفنون الشعرية والقصصية بقيود من القواعد الصلبة وأخذوا أنفسهم بها حتى انفرجت الحال بينهم وبين العامة ، وانقطع السبب بينهم وبين الطبيعة ، وكان رد الفعل الطبيعي لذلك ظهور المذهب الابتداعي الذى عزف عن المحاكاة الأجنبية ، واستمد موضوعاته من أسرار المسيحية وهود الفروسية ، وقدم الخيال على العقل والشعور على المنطق والفردية على الجمعية والذاتية على الموضوعية . ثم أطلق الفن من القيود التى كبله بها الاتباعيون فأمعن الشعراء في الخيال وأوغل

فأنت ترى أن المذاهب الأدبية الأوروبية كانت سلسلة متصلة الحلقات من ردود الفعل ، كما رأيت أن المذاهب الأدبية العربية نشأ أكثرها من أثر التطور وأقلها من رد الفعل . ولذلك لا نجد في منطق الأشياء ولا في واقع الأمر ما يسوغ لأحد أن يسمى هذا الانحراف الذي أصاب الأدب في الغرب والشرق مذهبا جديدا من مذاهب الكتابة ؛ لأنه لا يكون كذلك إلا إذا كان نتيجة لتطور أو أثر لرد فعل ؛ ومن المحال أن تكون السريالية أو اللامعقولية وأمثالها من أهواء العقل واحداً من هذين ؛ لأن التطور يقتضى أن يكون هناك تخلف وهذه استعجاله ، أو نقص وهذه استكمال ، ورد الفعل يستلزم أن يكون هناك جور وهذه قصده ، أو فساد وهذه صلاحه ؛ وهذا لا يسلم به إلا إذا سلموا أن العلة خير من الصفة ، والخطأ أولى من المنطق ، والسلب أجدى من الإيجاب ، والهدم أنفع من البناء والعدم أصلح من الوجود ، والقبح أحسن من الجمال ، والعجمة أفصح من البيان ، والعامية أبلغ من الفصحى ، والثروة أفضل من الفن ، وهم لن يسلموا ببعض ذلك إلا إذا سلموا ملكة التمييز وحرموا نعمة العقل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

أحمد حسن الزيات

ومن إسراف البرناسيين في الوضوح والصراحة والتعيين والتبيين حدث رد الفعل الذي نشأ منه المذهب الرمزي وهو يدهو إلى التعبير بالإيماء والإيحاء والتكنية والمحسن والميوعة ليدع للقارى نصيبا إيجابيا في تكميل الصورة وتوسيع الفكرة وقوية العاطفة بما يضيفه إلى المعاني من توليد فكره وتجديد شعوره . قال الشاعر د عالميه ، زعيم الرمزية الثاني : د إن البرناسيين يتناولون الشيء كله ويظهرونه كله فيفقدون بذلك سحر الخفاء ويسلبون الذهن نشوة الطرب التي يفسحها فيه اعتقاده بأنه يخلق . إن الشاعر إذا سمى الشيء باسمه فقد أفقد القصيدة ثلاثة أرباع المتعة ، وما هذه المتعة إلا أثر السعادة التي يشعر بها القارى وهو يضرب رويدا ورويدا في أودية الخدس ، وذلك هو الحلم ؛ فالشعر الرمزي يذكر الواضح وينقر من المحدد ويطلب المتخيل ويبحث عن المشقة ويحملك على أن تحمل لا على أن تفكر ، فاللغاط عند الرمزية لم تعد تدل على الأفكار أو الصور التي وضعت لها وإنما تدل كما تدل الرموز على مناسبات بعيدة ومشابهات مهمة .

وقد وقع الرمزيون فيما وقع فيه البرناسيون فأخذوا من الموسيقى الغموض والاختلاط ، كما أخذوا أولئك من النحت الوضوح والتحديد .

التطورات التشريعية للطلاق للأستاذ محمد محمد المدني

— ٤ —

تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا ممّا أتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، » .

(الآيتان ٢٣٩ ، ٢٤٠ من سورة البقرة)
قالوا : دلت الآية على أن الطلاق المشروع بعد الدخول نوطان :

١ — الطلاق الذي لا يملك الرجل فيه الرجعة ، وهو ما دل عليه قوله تعالى : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، » .

٢ — والطلاق الذي يملك الرجل فيه حق الرجعة ، وهو ما سبق هذه الطلقة ، وقد شرعه الله مرتين ، ولا يفهم العرب من كلمة (مرتين) ونحوها إلا الحصول متعاقباً دفعة بعد دفعة (١) .

وقال ابن القيم بعد أن ذكر أن الله تعالى جعل الطلاق مرة بعد مرة :

(١) ص ١١١ من مقارنة المذهب للأستاذين : شلتوت والإسكندر

موضوع هذه المسألة قول القائل لزوجته : أنت طالق ثلاثاً ، وفي حكمه أيضاً من قال لها : أنت طالق اثنتين أو أربعاً أو أكثر ، ولذلك يعبر عنه بعضهم بقوله : « الطلاق المختزن بعدد ، » .

وقد اختلف العلماء فيه من قديم :
١ — فمنهم من يقول : لا يقع به شيئاً أصلاً (١) ، وذلك تمشياً مع القاعدة التي تقرر أن كل طلاق خالف ما رسمه الشارع لا ينعقد ولا يقع به شيء ، وهذا قد خالف قوله تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، » كما أنه ينطبق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . « من حمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ، » .

٢ — ومنهم من يقول : « لا يقع به إلا واحدة رجعية ، » (٢) ، واستدلوا بقوله

(١) ذهب إلى ذلك بعض الإمامية ، وحكى عن بعض الثابطين وها ابن عليه ، وحشام بن الحكيم ، وبه قال أبو عبيدة ، وبعض أهل الظاهر .

(٢) ذهب إلى ذلك الزيدية من الشيعة ، وابن تيمية وتلميذه ابن القيم من الحنابلة وغيرهم من فقهاء المذاهب والمصنابة والتابين — انظر كتاب مقارنة المذاهب للأستاذين الشيخ محمود شلتوت ، والشيخ محمد السائيس ص ١٠٦ .

وقد كرر ابن القيم هذا المعنى في كتبه الأخرى مستدلًا به على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع به إلا واحدة (١).

واستدلوا أيضاً بما رواه طاوس عن ابن عباس قال : « كان الطلاق الثلاث عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر : طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعملوا في أمر كانت لهم فيه أئمة ، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم . »

قالوا : « إن عمر رضى الله عنه فعل ذلك اجتهداً منه وقد وافقه عليه كثير من الصحابة منهم ابن عباس - على رواية - وسبب هذا هو ما وجدتم عليه من مخالفة الكتاب ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب لهذه المخالفة ويقول : « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم . » فخرم عليهم الرجعة إلا بعد زوج آخر ، والرجعة مباح من المباحات ، وليست بواجبة ، فهو لم ينه الناس عن واجب ، وإنما ينههم عن مباح للصلحة ، وهي ردهم إلى ما كان عليه الناس زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي ألزمهم بالثلاث حتى يردم إلى ما كان عليه الناس في عهد رسول الله

« وما كان مرة بعد مرة لم يملك المسكف إيقاع مراته جملة واحدة كاللعان (٢) ، فإنه لو قال : أشهد بالله أربع شهادات أنى إن الصادقين ، كان مرة واحدة ، ولو حلف في القسم (٣) وقال : أقسم بالله خمسين يمينا أن هذا قاتله كان ذلك يمينا واحدة ، ولو قال المقر بالزنا : أنا أقر أربع مرات أنى زنت ، كان مرة واحدة ، فمن يعتبر الأربع لا يجعل ذلك إلا إقراراً واحداً ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر . فلو قال : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يحصل له هذا الثواب حتى يقولها مرة بعد مرة ، وكذلك قوله : « من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحده ثلاثاً وثلاثين ، وكبره ثلاثاً وثلاثين ، الحديث لا يكون عاملاً به حتى يقول : « ذلك مرة بمدة مرة ، لا يجمع السكك بلفظ واحد ... » (٣) . »

(١) هو ما يحدث حين يقسم الزوج زوجته بالزنا وليس له بيئة على دواء ، ولا تصدقه الزوجة باعترافها على نفسها ، وهو المقرر بقوله تعالى : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين » الآيات ٦ - ٩ سورة النور .

(٢) هي الأيمان التي تتوجه على لائنهم بالقتل في حالات خاصة مذكورة في الفقه .

(٣) أملاهم الموقعين لابن القيم ص ٢٧ ج ٢ .

(١) انظر (زاد المعاد - لابن القيم ص ٥٥

ج ٤) و (إغائة المفان) له أيضاً ص ١٥٥ .

قالوا : فلو أنه لم يقع أصلا ، أو وقع واحدة رجعية لمأحرمتها السكنى والنفقة ، إلى غير ذلك .

وقد جرت بين الفريقين مناقشات كثيرة ، ومن أشهر الكتب التي هزيت بذكرها وتفصيلها كتب ابن القيم : (أعلام الموقعين) و (زاد المعاد) و (إغاثة الملهان) وإلى هذه الكتب غالبا يرجع كل من كتب في هذا الموضوع عن ألفوا حديثا .

وقد استعان بها واضعوا د القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، بتعديل بعض أحكام الأحوال الشخصية في مصر ، والقوانين المماثلة التي شرعت في البلاد العربية الأخرى .

ما أخذت به القوانين الحديثة لأحوال الشخصية في مصر وغيرها من البطلان العربية في طهرى السموت :

كانت المحاكم الشرعية بمقتضى القوانين السابقة على القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المشار إليه ، تحكم في مسألة الطلاق الثلاث في لفظ واحد ، بمذهب الجمهور ، أى بإيقاعه ثلاثا ، وكذلك فيمن قيد الطلاق باثنتين فإنها تحكم فيه بوقوع اثنتين .

وذلك أن القضاء كان يجرى على الراجح من مذهب الحنفية إلا فيما نص فيه بمقتضى القوانين على غير ذلك .

نعم إنه صدرت قبل قانون سنة ١٩٢٩

صل الله عليه وسلم من تحاشى الإقدام على هذه الصيغة غالبا (١) .

وهناك أدلة أخرى استدلت بها أصحاب هذا الرأى واستنادا بصدد الاستقصاء .

٣ — وجمهور الفقهاء يقول بوقوع الطلاق ثلاثا في لفظ واحد ثلاث طلاقات ، فتبين الزوجة به بينونة كبرى ، ولا يحل لها أن تعود إلى زوجها إلا بعد أن تسكح زوجها غيره . وعلى هذا الرأى أئمة المذاهب الأربعة المشهورة وغيرهم في مختلف العصور ولهم أدلتهم على ما رأوه :

ومنها من القرآن أن آيات الطلاق وردت مطلقة لم تفرق بين الواحدة وغيرها ، وأن غاية ما تدل عليه آية الطلاق مرتان ، أن الطلاق الذى يكون الرجل فيه أحق برد زوجته ما كان مرتين ، فإن طلقها الثالثة فلاس أحق بها ، وهذا لا يقتضى أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة لا يقع أصلا أو يقع به واحدة ، وإنما يرجع في ذلك إلى السنة .

وتسكلموا في حديث ابن عباس : واستدلوا بعدة أحاديث منها حديث فاطمة بفت قيس ، طلقنى زوجى ثلاثا ، فلم يعمل لى رسول الله سكنى ولا نفقة .

(١) ص ٨٤ من « بحوث في التفسير الإسلامى وأساسه » قانون الزواج والطلاق ، للدكتور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى .

لتخلف شرط من شروط العقد، وإذن فالطلاق الثلاث الذى نطق به هذا الزوج قد ورد على نكاح فاسد، فلا حبرة به، وهذه حيلة للتخلص من إيقاع الثلاث والتفريق بين الزوجين) - ومنهم من يلجأ إلى المحلل، وهما أمران أحلاهما مر، ومفاسد التحليل لا تخفى على أحد، وقد كتب فيها ابن القيم وشيخه فصولاً طويلاً، فإذا ورد الناس إلى ما كان عليه الأمر زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما يفيد حديث ابن عباس نزول هذه المفاسد أو تقل، وقد راعت الشريعة الإسلامية منتهى الحكمة في جعل الطلاق على ثلاث دفعات، وذلك ليحرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية، ويروضها على احتمال الصبر والأذى، حتى إذا لم تفده التجارب ووقعت الثالثة علم أنه ليس في البقاء خير، وأن الانفصال البات بينهما أحق وأولى، والقول بوقوع الثلاث دفعة واحدة مبطل لهذه الحكمة. (١)

ولهذا جاء في المادة الثالثة من القانون المصرى رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ما يأتى :
(الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة) .

(١) المصدر السابق ص ٨٢ .

قوانين تعتمل على أحكام كثيرة عدل فيها عن مذهب أبى حنيفة، مثل قانون (يوليو سنة ١٩٢٠) الذى أخذ كثيراً من مذهب مالك، وقانون ١٩٢٣ الذى يحدد سن الزواج بشماني عشرة سنة، بالنسبة للزوج وست عشرة سنة بالنسبة للزوجة، وقد أخذ فيه برأى ابن شبرمة، وهشام البتّى وأبى بكر الأصم من غير فقهاء المذاهب الأربعة .

ولكن موضوعات الطلاق ظلت في هذه القوانين خاضعة لأحكام الفقه السائد على مذاهب الجمهور، ثم جاء القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فأخذ في الطلاق الثلاث برأى الشيعة الإمامية وابن تيمية وابن القيم ولم ير الإبقاء على ما حكمت به المذاهب الأربعة في هذا الشأن .

وفي ذلك يقول المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى :

ولقد كثرت المفاسد في هذا الزمان من القول بوقوع الثلاث بكلمة واحدة، فن الناس من يلجأ إلى القول بفساد العقد (أى فيتحايل لمن ينطق بالطلاق ثلاثاً بكلمة واحدة، حتى لا يفارق زوجته وأولاده، بأن ينظر إلى العقد الذى تم بين الزوجين فلهذا يرى أنه لم يكن عقداً صحيحاً، وبذلك يقول: إن الزواج الذى وقع بين هذا الرجل وهذه المرأة لم يقع صحيحاً، وإنما وقع فاسداً

ويرى بعض العلماء المعاصرين أن هذه المادة وإن كانت قنناً جديداً ، وقد رفعت من الناس كابوس الطلاق الثلاث ، لكنها لم تمنح حيل المحتالين المحتالين من المأذونين في إثبات الطلاق الثلاث بالإشهادات التي يكتبونها ، فيتحيل المأذون بأن يكتب على لسان المطلق أنه اعترف بأن هذا الطلاق مسبق بطلقتين قبله ، ثم يكتب بذلك بانته منه بينونة كبرى ، ؛ لأن بعض المأذونين لا يقتنع بصحة هذه المادة من القانون ، ويعتقد أن الطلاق وقع ثلاثاً باللفظ الواحد ويثدين بوجود التحيل لإثباته ، ويقدم بذلك على جريمة التزوير ، ثقة منه بأن إثباتها عليه غير يسير (١) .

ويقترح لإصلاح ذلك أن ينص على ما يأتي :

(المعتدة لا يلحقها الطلاق) .

(وذلك لأن الأدلة الشرعية قائمة على بطلان الطلقتين التاليتين للطلقة الأولى في العدة) .

محمد محمد المرنى

(١) راجع ص ١١٤ وما بعدها من كتاب (نظام الطلاق في الإسلام للمرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر)

وجاء في مدونة الأحوال الشخصية المراكش ما يأتي :

(الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة أو كتابة لا يقع إلا واحداً) .

وجاء في المادة الثانية والسبعين من قانون حقوق العائلة الأردني ما يأتي :

(الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة) .

وجاء في الفقرة رقم (١) من المادة السابعة والثلاثين من القانون العراقي لأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ مثل هذا النص أيضاً .

وكذلك الأمر في قانون الأحوال الشخصية السوري .

وبذلك نرى أن القانون المصري حمى الخلاف في هذا الأمر ، منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وأن أكثر البلاد العربية قد أخذت بما أخذ القانون المصري في ذلك ، بل ذكر الأستاذ علاء الدين خروقة قاضي مدينة البصرة في كتابه (شرح قانون الأحوال الشخصية العراقي) : أن كافة القوانين العربية قد أخذت بما أخذ به القانون المصري ، ولم يخالف منها أحد (انظر ص ٤٥٥ من الجزء الأول من الكتاب المشار إليه) .

حول أزمة الإيمان

للأستاذ محمد الغزالي

أما المؤمن ، فالصدق عنده طاعة لله الذي قال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكونوا مع الصادقين » .

فهو يصدق أولاً إيماناً بالله ، ثم هو يرتفع بإيمانه هذا إلى فضيلة الصدق ...

إن الأعمال الصالحة كلها ، نفسية كانت أو اجتماعية عند ما تكون جزءاً من تعاليم الدين ، أو جزءاً من سلوك المؤمنين ، تأخذ طريقها في الحياة مقترنة بهذا اليقين السامع ، أو مصطبغة بهذه الصبغة الإلهية ، فيكون الإيمان بالله هو الباعث على العمل ، وتكون تقواه جل شأنه إحساساً دائماً مصاحباً .

ونحن بهذا الكلام نلفت الأنظار إلى خطورة ما شاع من مسالك بشرية مجردة تجعل الناس يتواضعون على أهراف وتقاليد قد تكون حسنة أو لا تكون ، ثم يرون في الوفاء لهذه الأعراف والتقاليد الخير والفضيلة .

مع أن صلتها بالإيمان مقطوعة ، بل ربما لم يفكر صاحبها في الله لحظة ...

وهذا الفريق من الناس قسم الدين قسمين : فإما كان من عقائد وعبادات طرحه جانباً وازورعه .

وما كان من معاملات ونظم احتقن به وروجه وأكثر من الحديث عن قيمته !!

معرفة الله والخضوع له ، والإهداء للقائه والرهب من عقابه ، هي لباب الدين وروح شرائعه .

نعم ؛ في تعاليم الدين نظم خلقية واجتماعية كثيرة ، تتناول الحياة الخاصة والعامة من القاع إلى القمة .

لكن هذه التعاليم كلها بناء دعائمه العقيدة . أو هي أعمال غايتها وجه الله ؛ فإذا انهارت الدعامة ، أو اختفت الغاية فقدت هذه النظم الخلقية والاجتماعية طابعها المميز ، وقيمتها النفسية وصارت شيئاً آخر له قيمة أخرى . كما تفقد الأوراق المالية قيمتها إذا فقدت رصيدها الذهبي .

الدين قبل كل شيء : « شعور بوجود الله .

واعتراف بحقه في حكم عبادته ، ووضع المبادئ التي بنطلقون منها ، والحدود التي يقتضون إليها .

ومقتضى هذا الشعور الباطن ، والاعتراف

الظاهر ، أن نفعل ما يوعينا الله به ، لا على

أنه خير فقط ، بل على أنه « انقياد لله - وقيام

بحقه ... إلى جانب ما فيه من خير ذاتي ، ...

لأن الوجود قد يرى الصدق فضيلة

في المعاملات التجارية وغيرها ...

ولكنه لا يعبد الله حين يصدق مع غيره ؛

فهو لا يعرف الله ، ولا يؤمل فيما عنده !!

المعروف في دراستنا النظرية أن الدين عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات ، وأن الصلة بالله هي القائد الأول لبقية الشرائع ، وأن صحة هذه الصلة ضمان للنجاة وإن قلت حظوظ المرء من بقية التكاليف الشرعية ... ونريد أن نتوقف قليلا لنناقش هذا التفكير ، فلا نجور على أصل الإيمان ، ولا نجور على مجموعة الأعمال المرتبطة به ، والناشئة عنه .

من حق علمائنا الأقدمين أن يهدروا كل خير يصنعه الكافر ، وأن ينوهوا بشغل كلبة التوحيد في ميزان الصالحات .

لأن وجهة نظرهم واضحة فإن الذي يرتكب في عصرنا جريمة الخيانة العظمى ، تعصف جريمته بكل خير فله من قبل .

ويوم يقال : فلان خان وطنه وباعه للأعداء فلن ترى إلا الازدراء والمقت والإجماع على استحقاق أقصى العقاب .

ولو قيل : إن هذا الشقي كان براً بأمه ، أو كريماً مع خدمه ، أو لطيفاً مع أصدقائه ؛ فإن هذه الخصال جميعاً تطوى في صفح ، وتزم دونها الشفاه !! ولا تغنى عن حكم الموت المبادئ والأدبي الذي يستحقه هذا الخائن . والواقع أن سلفنا نظروا إلى الكافر بأنه نظرة العصر الحاضر إلى الخائن لأمته ، ورفضوا الاعتراف أى خير يفعله ، أو الإقرار بأى ميزة له .

والكافر - في نظرنا - أهل لهذا الهوان .

وقد علمت أن أى عمل أمر الله به ، فإنما الجدوى من فعله ابتداء طاعة الله والقيام بحقه . أما إتيانه دون نظر إلى وجه الله فلا قيمة له ، وإن صلحت به إلى حين بعض شئون الدنيا . إن الإيمان بالله ليس نافذة قط في المجتمع المؤمن . إن تسبيحه وتحميده جل جلاله ، يجب أن يكونا شغلا للناس ، وشارة لحياتهم بالغدو والآصال .

وقد يضحك البعض من الحديث عن الآخرة ، والجنة والنار ، ويظن ذلك كلاماً فات أوانه ، أو كلاماً يتهامس به بعض الرعايا في مواكب الموت .

والحق أن الدين يذوب ويتلاشى يوم يكون الحديث عن الآخرة مجوناً أو لغواً

إن قوافل الأحياء يجب أن تمشى بلباقة وجسد ، أن عقيدة الجزاء الأخير ليست هزلاً ، وأن البعد بنشاط الحياة عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، بعد من الصراط المستقيم . وجرى وراء سراب خداع ...

ونحن المسلمين ، يجب أن نشوب نشاطنا كله بمعالم هذا الإيمان الحق ، ولا نجرقنا تيارات الحضارة المادية التي تسود الشرق والغرب ، تلك الحضارة التي ذهلت عن الله ، وتجاهلت وحيه ، وآثرت أن تحيا وفق هواها ، وأن تأخذ من دينه ما لا يصادم هذه الأهواء ... ثم تطرح جانباً أم شعب الإيمان .

قائمة على الخشوع والإخبات ، وهو صلة
بالنفس قائمة على التأديب وال ضبط ، وهو
صلة بالاجتماع قائمة على العدل والرحمة - وهو
صلة بالسكون قائمة على السيادة والارتفاق .

ذلكم هو الإيمان الجدير بالإعظام وحسن
المآب وهو إيمان غلاب منتصر لا يثيب
الإلحاد أمامه في معركة ولا يقاس به في مفاضلة .

إنما يرى بالإيمان أن يكون علاقة
مفتعلة برب العالمين لا تبعث على كمال
ولا تصون من نقص تدارى هوانها بصور
العبادات المفروضة ، ولا تحقق في صاحبها
ولا فيها حوله خلقا عظيما ، أو سلوكا ناضرا .

ومثل هذا الإيمان الصوري - وما أشيعه
بين الناس - لا يرفع رأسا ولا يكسب نصرا .

وهل انتفخ الإلحاد ، وتحركت وساوسه
إلا في ميدان لقي فيه هذا الإيمان الزائف ؟

وهل رفع رايته وفرض شارته إلا بين
مؤمنين من هذا الطراز الممين .. ؟

لأننا نرفض رفضا باتا أن تعيش الخليقة
بغير دين يصلح بالها ، ويذكر أحوالها ؛
ونرفض كذلك أن تعيش الخليقة بدين تأوى
إليه الخرافة وتمزم فيه الخصائص الإنسانية
العليا ، وتتأخر في ظله الحياة الدنيا ، وتذبل
ملكات الابتكار والإبداع والتجمل .

إن المعنيين بالتربية الدينية قد يسبون
إلى الإيمان حين يتصورونه منديلا يمسح فيه
الخطاؤون عيوبهم ، فهم يعثرون والإيمان
ينفخ ، ويكسرون والإيمان يجبر .

والجاهد لوجود الله ، الخائن لنعمته ،
المنكر لقائه ؛ يرتكب بهذه الخلال أشنع
جرائم الحياة العظيمة ، وليس له ما يدفع عنه ،
مهما صنع : « ومن بين الله فانه من مكرم » .
إلا أن هذه الحقيقة تولد عنها خطأ شائع ،
الحق بالإيمان وأهله ضرراً بليغا .

فقد فهم العامة أن حسن الصلة بالله -
وهو فضيلة ييقين - قد يجبر النقص في بقية
الواجبات المفروضة .

ثم تدرج هذا فهم إلى أن هذه الواجبات
يمكن أن تتلاشى ويغنى الإيمان المجرد عنها .
وانضم إلى هذا الوضع أن الذين انخرقوا
عن الإيمان الحق ، ونسوا الله ، اتقنوا
طائفة من الأعمال الإنسانية ، والفنون
الحيوية وسبقوا بها سبقا بعيدا .

وعندما قام في العالم هذا التناقض ، اهتزت
قضايا الدين ، وتحذلت صفوف المؤمنين
ونجمت في أرجاء الدنيا فتن عاصفة .

والامر بحاجة إلى أولى الألباب يتداركونه
بصدق الفهم ؛ ولطف العلاج .

وعليها معشر المؤمنين أن يصلح شأننا
قبل أن نطالب غيرنا بتغيير نفسه وفكره
إن الإيمان أعظم الفضائل في هذا الوجود ،
وهو عنصر غال ، ما دخل في شيء إلا زانه ،
ولا نزع من شيء إلا شانه ...

بيد أن الإيمان الذي يستحق هذه
النفوت له نواحي جديدة ، فهو صلة بالله

فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول : يارب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ! فقال : فإنك لا تظلم . فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء) ...

هذا حديث مثير للدلالة ، وهو لو أخذ على ظاهره يضع عن الناس شق التكاليف الإلهية ويبطل قوله تعالى : (إن الله لا يصلح عمل المفسدين . ويحیی الله الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون) .

وعندى أن هذا الحديث - إن استقام سنده - إنما يصح في شخص مشرك ، قضى حياته في الفساد ، ثم آمن قبل أن يحين أجله بقليل ، فلم يستطع بعد إسلامه أن يبقى مدة يصلح فيها ما مضى ، والحديث بهذا ينوه بما لحقامة الإيمان من قيمة ، وما لتوحيد الله من منزلة . أما إطلاق هذا الحديث وأشباهه بين العوام أو بين الناشئة دون وعى فهو هدم للدين كله ، وهو الأساس لتكوين طوائف من المتدينين ، تحط من قدر الإيمان وأثره .

إن العالم اليوم فقير إلى الإيمان الذي يصله بربه صلة وفاء وبر ، ويربطه بالحياة رباط إنتاج وجد ، والا فال مستقبل حافل بالندر .

محمد الغزالي

وكثير من أتباع الأديان السماوية ظنوا التمسك بأصل الدين كافياً في النجاة مما صنعوا . وقالوا : (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانهم ...) .

وقد فند القرآن التكریم هذه المزاعم ، ورسم طريق النجاة الحقيقي ، وهو مزيج من الإيمان الحی ، والإحسان فی العمل والإخلاص لله . (قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . یلی : من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وبعض الوعاظ القصار النظر قد يعمون على آثار دينية محدودة المعنى والجمال ، فيسيئون فهمها وتطبيقها ، ويتجاهلون بها جملة الكتاب والسنة ، بل طبيعة الإيمان نفسه . تلك الطبيعة التي تخلق من الموات حياة ومن الغرضى نظاما .

خذ مثلاً ، حديث البطاقة الذي رواه الترمذی عن عبد الله بن عمرو من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تعالى سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له قسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر . ثم يقول : أتتذكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب) .

فيقول تعالى : یلی : إن لك عندنا حسنة ،

رسالة الأصول للإمام الشافعي

للأستاذ الفاضل بن عاشور

— ٤ —

من الاستقراء والتنظير أن يتبين مسوره الأدلة وأصنافها ومراتبها ، وأن يتعرف إلى اختلاف طرق سلوك الفقهاء للاستدلال بسبب اختلاف مراتب الأدلة وأصنافها ، ثم بحسب اختلاف مذاهب المجتهدين ، وهذا الوصف الموضوعي هو الذي كان نتيجة المراسم القوي للشافعي ، بالمذاهب المختلفة والبيئات الفقهية العديدة ، وهو العمل الذي ما كان ليصدر عن غير الشافعي في عميق دراسته للمذاهب ، وشديد اتصاله بأئمتها السابقين والتالين ، وبذلك كانت رسالته في أصول الفقه وضعاً لعلم أصول الفقه ؛ لأنه وجد عملاً في الاستدلال والاستنباط ، يأخذ به الفقهاء ومنهجاً يسرون عليه بدون أن يبحثوا عن ماهيته ، ولأن يضبطوا اختلاف عوارضه ، وتعدد صورته وأصنافه فجاء هو يبحث عن ماهية العمل ويضبط اختلاف صورته ، وتعدد أصنافه وتفاوت مراتبه فكان بذلك واضع علم جديد ، لا مكوناً للواقع الذي يتعلق ذلك العلم بوصف جواهره وأعراضه ، فكأن أن واضع النحو لم يعلم أهل اللغة كيف يركبون كلامهم ، ولكنه وصف ذلك السكيف ، وعدد أراضه

كأنوا قبل الإمام الشافعي يتسكمون في مسالك أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة ، وفي كيفية معارضتها وترجيحاتها فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ووضع للخلق قانوناً كلياً ، يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع ، فثبت أن نسبة الشافعي ، إلى علم الشرع ، كنسبة أرسطاطاليس ، إلى علم العقل .

بهذا الوصف الدقيق الضابط كشف الإمام غر الدين الرازي في كتابه مناقب الشافعي عن ماهية العمل الذي قام به الإمام محمد ابن إدريس في وضع علم أصول الفقه . فلم يكن الشافعي في رسالته معلماً الفقهاء قواعد الاجتهاد ولا موجههم إلى مسالك الاستدلال ولكنه وجدهم يتفقهون ، ويجهلون ويستدلون ، فتبجحهم ، واستقرأ مناحي نظارهم ومسالك اجتهادهم ، وفطر بين بعض تلك المناحي والمسالك وبعض ، حتى خلاصه له من الاستقراء والتنظير ، نتاج علمية موضوعية صورت له ، في وضوح معنى عمل المجتهد ، في استنباط الحكم من دليله ، فتوصل بذلك التصور الواضح الذي حصل له

فلقد كانوا يعرفون الأفراد من الفقهاء خصوصياتهم في المناهج الاجتهادية ، ويعرفونهم بها ، حتى لقب ربيعة ابن أبي عبد الرحمن فقيه المدينة ربيعة الرأي ، وكانوا يعلمون حتى العلم أن ما يقوم دليلا عند واحد من المجتهدين على إثبات حكم شرعي ، لا يقوم دليلا عند غيره ، حتى تناظروا في حجية أنواع من الأدلة ، كما تناظر مالك والليث بن سعد في حجية عمل أهل المدينة هل ما يرى مالك ، وهدم حججته على ما يرى الليث بن سعد ، في الرسالتين اللتين دارتا بينهما وأثبتنهما العلامة ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين .

وأمام هذا العمل العميق الغور ، البعيد المدى ، الذي يضطلع به الفقهاء ، كانت طائفة من أهل الأثر الذين عرفوا بالعلم ولم يعرفوا بالفقه تقف حائرة مبهوتة من سبب اختلاف هؤلاء الفقهاء ودرجة تصرفهم في ما يستخرجون وما لا يستخرجون من الأدلة وما يقبلون وما يردون من الأخبار ، وكان الشافعي قد نشأ بين هؤلاء العلماء ، ثم فارقه فأتصل برجال الفقه ومارس أساليبهم وتخرج باجتهاداتهم وتميز بالفقه بعد أن تميز قبل بالأثر . فكان من الضروري أن هذه الطائفة من أهل العلم والحفاظ التي كانت مستشفقة إلى ما يفعل هؤلاء الفقهاء ، حريصة على فهم

وضبط صوره ، وأن واضع علم الاجتماع لم يكون في البشر روح المدنية الذي به يترابطون ، ولكنه كشف بالتعبير عن حقيقة ، ما كان الناس يعيشون به ولا يجدون للتعبير عن وصفه طريقا ، وكذلك واضع كل علم ، ليس إلا واصفا لواقع ، ومسجلا لظواهر ومعمما بالحكم السكلي ، صور الجزئيات الداخلة تحت الاستقراء حتى قيل في شأن واضع علم العروض قد كان شعر الوري صحيحا من قبل أن يخلق الخليل ، وكذلك كان الفقهاء قبل الشافعي في أمصار الإسلام ، يسير كل منهم على طريقة في الاجتهاد تتفق مع الطريقة التي يسير عليها غيره في أشياء ، وتختلف في أشياء أخرى ، وكانت الأحكام الفقهية الناشئة عن تلك الطرائق تتفق وتختلف وتتقارب وتتباعده ، والفقهاء يدركون ما بين الأحكام التي تقررت باجتهاد هذا ، والتي تقررت باجتهاد ذاك ، ويشعرون بأن مرجع ذلك الاختلاف إلى اختلاف في الطرائق ، فكان أهل الأثر يشعرون بما بينهم وبين أهل الرأي من اختلاف منهجي ، وأهل الحجاز يشعرون بما بينهم وبين أهل العراق من اختلاف ليس حاصلًا في الأحكام الفرعية فحسب ، ولكنه راجع إلى اختلافهم في ما تنفرع عنه تلك الأحكام في أصول إجمالية

فيها . . ويقول : « وكل ما أنزل الله في كتابه جل ثناؤه ، رحمة وحجة ، علمه من علمه وجهله من جهله ، لا يعلم من جهله ولا يعلم من علمه ، والناس في العلم طبقات موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به . »

ومن هنالك ابتداء يقسم أصناف معاني البيان للأحكام في القرآن العظيم بما يرجع إلى ما هو مسمى الآن عند علماء الأصول بأقسام الدلالة ، ثم أفاض في الكلام على نسبة الأدلة بعضها من بعض بين القرآن والسنة بما يرجع إلى المجمع والمبين ، والناسخ والمنسوخ ، سالكاً في ذلك مسلك العرض التعليلي والوصف الموضوعي ، متسكباً طريق النقاش والجدال .

أقبل الشافعي ، في رسالته إلى عبد الرحمن بن مهدي يبين أن مرجع استفادة الأحكام الشرعية إلى القرآن ، من طريقتين : هما طريق النص ، وطريق الاستنباط ، قائلاً . « إن من أدرك علم أحكام الله في كتابه ، نصاً واستدلالاً ، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه ، فاز بالفضلية في دينه ودنياه ، وانتفت عنه الريب ، ونوت في قلبه الحكمة ، واستوجب في الدين موضع الإمامة . »

ثم أخذ يشرح اختلاف طرق الاستفادة من القرآن : نصاً واستدلالاً فسمى لإفادة القرآن ذلك « البيان » وابتدأ بعنوان : « باب

ما يتصرفون به في الأحكام وأدلتها » تجمد في ريبها الذي انتقل من حجر العلم إلى حجر الفقه ، مرجعاً تستكشف دخيلة هذا العمل الذي يستغرق فيه الفقهاء ويسمونته « اجتهاداً » . وعلى ذلك نجد أن علماء من أعلام رجال الحديث ، وحافظاً من مشاهير الحفاظ ، هو عبد الرحمن بن مهدي ، اتجه إلى الشافعي بعد أن اتصل الشافعي بالمذهبيين الحجازي والعراقي وخبرهما ، فكتب إليه من بغداد ، وكان الشافعي في مكة ، على ما يظهر في هودته إليها قبل سفره عنها إلى مصر ، يرجوه أن يضع له كتاباً في معاني القرآن وقبول الأخبار وحجة الإجماع والناسخ والمنسوخ ، فأجابه الشافعي بكتاب يتضمن ما يريد ، وجهه إليه من مكة إلى العراق ، ولذلك سمي هذا الكتاب « رسالة » ، لأنه صنف جواباً ، هن سؤال ورد بالمراسلة ، وصدر هن مكان إلى مكان موجها ومرسلاً به .

ومن هنا يدرك الناظر في رسالة الشافعي وجه ما ابتدأها به من التنويه بشأن رجوع الأحكام الشرعية كلها إلى كتاب الله ، وأن الانتباه إلى ما هو راجع إليه مما يظن أنه غير راجع إليه على حسب تفاوت طبقات الناس في العلم به ، والغوص على معانيه ، إذ يقول : « فليست تنزل بأحد من أهل دين الله ، نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبل الهدى

بالسؤال عن الوجه والتطلب للدليل ، إيجاراً واقتضاباً ، يتبعه ببيان طويل للكشف عن وجه السؤال . ثم لما وصلت نوبة الكلام إلى حلل الأحاديث ووجه الأخذ ببعضها وترك بعض ، واعتبار بعضها راجحاً وبعضها مرجوحاً ، هنالك أصبح يذكر الأسئلة على وجه الوقوع والثبوت ، لا على وجه التقدير والافتراض ، فيقول : قال لي قائل ، ولا يقول كما كان يفعل في أول الكتاب : فإن قال قائل ، . ثم يفيض في بيان ذلك القول مطناً في أدلته ووجوه توقعه ، ثم يجيب عنه مبتدئاً بقوله : قال الشافعي ، ويتردد في البيان والتفصيل والتعليل وضرب الأمثال ثم لا يقطع سياق المحاور فيستمر موزداً أسئلة المعارض واستكشافاته من قوله : وما هو ، وقوله : فثل لي كل صنف مما وصفت مثلاً تجمع لي فيه الإتيان على ما سألت عنه ، وقوله : فقل عن النبي رواية بما قطعتم ، وهكذا يستمر في هذه الطريقة من الحوار الجدلي المسترسل ، يورده أولاً بين طرفين ، ثم كأنه يصف دخول ثالث في الحوار ، إذ ينصرف عن قوله : قلت فقال ، أثناء الموضوع بعينه ، فيقول فقال لي قائل ويستمر يجيب القائل الثاني : ثم يعيد أسئلة القائل الأولى مبتدئاً استئنافاً بقوله قال الشافعي : قال ، يعني السائل

كيف البيان ، فقال : إن البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول ، متشعبة الفروع ، وبين أن وجوه البيان عديدة ، وعقد لكل وجه منها باباً : مما جاء بيناً بنص القرآن فلم يحتاج إلى بيان ، وما احتاج فيه بيان القرآن إلى ما يكمله من السنة ، أو ما يبينه ، أو ما انفردت ببيانه السنة ، وما فتح فيه القرآن باب الاجتهاد والقياس بما يتوقف عليه ذلك من معرفة ، وعلى الأخص بفنون اللغة العربية ، عقد بعد ذلك أبواباً متتابعة لاختلاف الدلالة بالعموم والخصوص ، وضماً واستعمالاً وأصلالة ولحوقاً ، منتهياً إلى أن السنة تخصص ما جاء في القرآن عام الدلالة ، ومتخلصاً من هنالك إلى ما للسنة من أثر في تبيين الأحكام ، مفيضاً في هذا المعنى بياناً واستدلالاً وبسطاً لمسألة علاقة السنة بالقرآن ، من حيث النسخ والمنسوخ والمجمل والمبني ، والمخصص ، يضرب الأمثال لذلك من عديد أبواب الفقه . وبعد أن بلغ الشافعي هذا المبلغ من البيان ، على طريقة من البسط ، والبيان المطرد ، بدون استحضار نقاش ، ولا افتراض جدال ، ولا إجراء للكلام مجرى الجواب والسؤال ، ابتداء بعد ذلك يتعرض للسؤال والاعتراض والاستكشاف على طريقة الافتراض والتقدير : بقوله : فإن قال قائل وابتدأ هذا الأسلوب أولاً

الأول. حتى ينتهي إلى منقطع الحديث ليستأنف
جمدلاً آخر حول استدلال آخر. وهكذا
يستعرض على هذا النحو مباحث النسخ،
والتخصيص والأمر، والنهي، وأخبار
الآحاد، على منهج يتجه إلى بيان أن للسنة
أثراً في وضع الحكم الشرعي بالاستدلال، على
نسبة من القرآن، يختلف باختلاف الصور
والأماكن. ثم لما أفضت نوبة الكلام إلى
الأصول الأخرى، غير الكتاب والسنة:
وهي الإجماع والقياس جعل المحتاج دائراً
على أن دلالة الكتاب والسنة هي المثبتة على
الإجمال لحجية الأصلين (الإجماع والقياس)
مع كونهما أصليين منفصلين عن المسموع
من الكتاب والسنة، لكن في الكتاب
والسنة ما يشهد للإجماع والقياس: بأن كلا
منهما عامل في استنباط الأحكام الشرعية.
ولما أثار البحث في القياس بحثاً في أنه يخطئ
ويصيب، وقد يكون حقاً في الظاهر والباطن
وقد يكون حقاً في الظاهر فقط، فيكون حقه
مقصوراً على قائله دون غيره وبفناً من ذلك
الاختلاف بين القائلين، مع سقوط المخرج
والاثم عن كل منهم، أثار البحث على ذلك
الوجه في حجية القياس، مسألة الاجتهاد.
فإذا المحاور يسأل عن أصل تجويز الاجتهاد
والشافعي يجيب بالإثبات متمسكاً بما جاء في
القرآن العظيم. مما يقتضي لإعمال الدلائل

لأداء أصناف من العبادات، مع أن تلك
الدلائل قد تصيب وقد تخطئ، وقد يعرف
بها إنسان غير ما يعرفه غيره، فيبني كل منهما
على ما عرف وإن اختلف ما أتى به كل منهما
عما أتى به الآخر. ويلج المحاور في طلب
الدليل على جواز الاجتهاد من الحديث،
فيروى الشافعي له حديث: «إذا حكم الحاكم
فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد
ثم أخطأ فله أجر»، فيجري الحوار حول
الصواب والخطأ وتنهض حجة الشافعي على
ما أراد بأن الأجر على الخطأ يقتضي على الأقل
أنه يسع الإنسان أن يخطئ في الاجتهاد غير
آثم، ويلخص حجته في الاجتهاد، بقوله:
«إن الله جل ثناؤه من على العباد بمقول
فدلم بها على الفرق بين المختلف وهذا هو
السيبل إلى الحق: نصاً ودلالة ولما سأله
صاحبه مثلاً على ذلك، ضرب له المشل
باستقبال القبلة وما خلق الله للناس من
أدلة كونية يهتدون بها إلى جهة البيت
الحرام قائلاً: «وكان عليهم تكلف الدلالات
بما خلق لهم من العقول: التي ركبها فيهم
ليقصدوا قصد التوجه العين التي فرض عليهم
استقبالها. فإذا طلبوها مجتهدين بعقولهم
وعليهم بالدلائل، بعد استعانة الله والرغبة
إليه في توفيقه، فقد أدوا ما عليهم».

الفاضل بن عاشور

تونس

(للبحث بقية)

فتح القلبي

العهد : مسئولية دينية والوفاء به : غاية حتمية للأستاذ عبد اللطيف السبكي

- (أ) « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ، ولنكونن من الصالحين .
(ب) فلما آتاهم من فضله بخلوا به ، وتولوا ، وهم معرضون .
(ج) فأعقبتهم نقابا في قلوبهم إلى يوم يلقونه ، بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . »

إني أراك تعمل عمل أهل النفاق !! فقال :
يا رسول الله : إن لي ثوبا واحدا يصلح
للصلاة ، وأنا أسرع إلى زوجتي لتلبسه ،
وتدرك به الصلاة في أول وقتها .. فادع الله لي
أن يرزقني مالا ...

فاستشف النبي ببصيرة النبوة أن العسر خير
لهذا الرجل من اليسر ، وقال له : يا حاطب
قليل يكفيك خير من كثير يطغيك .

فأعاد الرجل سؤاله مرة ، ومرة : وفي
كل منهما يسمع نفس الجواب ، ثم قال معاها
ربه أمام رسول الله وأصحابه : لئن آتاني الله
مالا لأعطين كل ذي حق حقه .

وكان في هذا العهد جاهلا بحقيقة نفسه ،
وظانا أنه يغلب الدنيا ، فلا تنال من دينه ،
ولا تفتنه عن هده .

(أ) وردت هذه الآيات في رجل من
المسلمين ، كان في طبيعة الصحابة ظاهراً
وكان يلزم الرسول في حضور الجماعات
بالمسجد ، ثم فتنته الدنيا فخرج من الإسلام
كما خرج إبليس من الجنة ... وتبين للناس
من قصة حاطب بن ثعلبة هذا أن الوفاء
بالعهد شعبة من شعب الإيمان الحق ،
فالأخذ بعهدته وأصل إلى جنات ربه ،
والناك بعهده فإنما ينكح على نفسه .

كان حاطب هذا يخرج من صلاة الجماعة
خلف الرسول مهرولا إلى بيته ، كالكاره
للبقاء في موضع الصلاة ، أو في معية الرسول
عليه السلام .

فقال له صلى الله عليه وسلم : يا حاطب !!

في وجه الوافد عليه من جانب الرسول ،
صلوات الله عليه وسلامه .

تزعزع يقينه بإغراء المال له واستعبده
دنياه ، فقطعته عن صحبة الرسول ، وأصحابه
إلى هشة الأغنام ، والإبل ، والأبقار .

ثم نفث من حقه على الدين ما كان خافيا
عليه من أمر نفسه ، حينما تعلق بالمال ، وألح
بؤاله للرسول أن يدعو له باليسر بدل العسر .
وكان طغيان دنياه أنساه أن الله الذي
أعطاه قادر على أن يسلبه هذا العطاء ،
أو يسلبه ما هو فيه من هذا العطاء ، وإن
تضاعف حظه .

وقد كان في هذا شقاؤه ، وكانت نعمته نعمة
عليه . . . إذ نزل فيه قول الله سبحانه : « ومنهم
من طاعوا الله ، والآيات السابقة .
وحين نزولها أخبر بها الرسول أصحابه ،
وقال لهم : أتدرون فيمن نزلت هذه الآيات ؟
نزلت في حاطب بن ثعلبة التميمي .

ففزع الصحابة لذلك الحدث ، ولما أصاب
حاطبا من مروق من الدين ، وبغية على نفسه
وفزع إليه أخوه ، وأخبره بما نزل في شأنه
من نذير القرآن .

وهناك تشعبت ضلالتة ، وعظمت ندامته
وبادر إلى الرسول يعتذر ، ويستعيب ،
ويستأذن في تقديم زكاته التي ضن بها على العامل
وتسكر له طاعفا في تشريع الله .

ومن شأن النبي صلى الله عليه وسلم —
أن يحكم بالظاهر ، ولا يتعلق بالغيب في شأن
كهذا لا يعتبر حكما تشريعا ينتظر فيه
الوحي ، أو يجتهد فيه .

فدعا ربه لحاطب أن يرزقه مالا ...
ومن هنا جرى على حاطب قدر من الله
لم يكن يتخيله ، ذلك أن ماله كثر وكثر .
حتى ضاقت المدينة ، وضاق ربضها
بالأغنام ، والأبقار ، والإبل لحاطب صاحب
الثوب الواحد .

وكان كلما كثر ماله يتخلف عن الرسول
وعن الصلاة معه شيئا فشيئا ، حتى انقطع
لماله دواما .

ولما افتقده النبي ، وسأل عنه أخبروه
بشأنه ، وانقطاعه لما شيته بعيدا في جنبات
الوادي ، فأرسل إليه الرسول عامل الصدقات
يحيى . منه بركة أمواله التي كانت مصداق
عهده ، وكانت دعوة الرسول إلى ربه .

فاستبدت به الدنيا ، وغلبته على عهده ،
ونسى ما كان يدعو إليه من قبل ، وراوغ
مع عامل الصدقات مرة وأخرى . . ثم قال له
أخيرا : ما هذه إلا جباية . . يريد أن الزكاة
تحصيل للمال بالإكراه ودون استحقاق
مشروع .

فانظر إلى الرجل : ما بين عشية وضحاها ،
يتعرد على دينه ، ويكفر بنعمة ربه ، ويتبجح

زكاة أمواله ، فلم يقبلها منه ، وقال له :
ما كان لي أن أقبل شيئا لم يقبله رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

ثم حاول كذلك في عهد عمر ، فقال له
مثل ما قال أبو بكر ... وانتهت حياة حاطب
ابن ثعلبة ، وخلف دنياه لغيره ، وخرج
منها على نفاق أرداه في جهنم خالدا فيها مع
الخالدين المعذبين .

ولو أن الرجل كان وفيا بعهد الله لكان
في مقام غير هذا .

ولكن الله أعقبه نفاقا في قلبه إلى يوم
يلقى ربه بسبب ما كان من خلفه لوعده الله ،
ومن كذبه على رسول الله ، فيما طمعه عليه ،
فانظر إلى قيمة الوفاء بالعهد ، وإلى خطر

الغدر فيه !!

* * *

هذا - وقد يماهر التاريخ عن العرب
أكثر مما هرف عن سواهم في صيانة العهد
من الخيس فيه ، حتى لو اقتضاهم الوفاء بالعهد
تضحية بالأموال ، والأنفس .

غير أن العرب في جاهليتهم أسرفوا
في تشبثهم بالوفاء ، إذ توسعوا في مفهومه ،
حتى جعلوا منه عصية للقبيلة ، أو للحليف
في غير اعتدال ، واستباحوا إراقة الدماء ،
وفاء بالعهد كما زعموا - ولو دون سبب
للقتال .

(ح) ولكن النبي أبي أن يقبل منه شيئا ،
بعد أن حكم الله في قضية هذا المارق
« والله يحكم لا معقب لحكمه » .

ولماذا لم يقبل الله توبة هذا الخاطيء ؟
ولم يقبل الرسول منه معذرتة وزكاته ؟ مع أن
الله غافر الذنب ، وقابل التوب .

يبدو أن طوية هذا الرجل من أول أمره
كانت غير مظهره ، وشاء الله أن يكشف له
حقيقة نفسه ويكشف للرسول وللؤمنين
ما خفي عليهم في واحد من أقرب الناس إليهم .
وليضرب الله المثل به في فضيحة المتصنعين
للإسلام ، وأن في الناس من يعبد الله على
حرف ، حتى إذا أصابته فتنة انقلب على
وجهه وخسر دنياه وآخرته .

ولعل من حكمة الله في رفض المعذرة ،
والإعراض عن توبته لدى الرسول أنها
لم تكن توبة من قلبه ، وإنما هي كذلك
مخادعة أمام القوم ، حتى تخفف عنه اللائمة
والمذمة نوعا ، ولا يكون معرة لذويه ، كما
يكون الحال في شأن من لم يحاول تدارك
خطيئته ، ولو رياء .

وفي هذا عبرة للؤمنين الصادقين ليتحاشوا
غرور الدنيا ، ويكونوا على شكر الله أحرص
من التعلق بالمال ، والرضى به في سبيل الله ،
الذي يهب لمن يشاء ، ويمنعه من يشاء .

حاول الرجل في عهد أبي بكر أن يقدم

بلى ، شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ، ١١

فيكون من مقتضى الفطرة الإنسانية المعتدلة أن نستجيب لما ذكرنا الله به ، وأن نفي به حبا في الله ، وتقديراً لفضله ، وخشية منه ، والتماساً لرضوانه ، ومؤازرة لدعوة رسله . ٢ - ولكن الإنسان ظلوم لنفسه ، جهول

بمستوليته ، إنا عرضنا الأمانة ، تكاليف الدين ، على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها .

لم تنهياً تلك المخلوقات العظيمة لقبول التكاليف ، وقصرت طبيعتها مع ضخامتها عن الصلاحية لحل أمانة الدين .

وكان هذا إباء وخوف من التقصير فيما عهد الله به إليها ، وحملها الإنسان ، بفطرته المتهمة ، ومواهبه المستعدة ، وبما عرفه من طريق الرسالات النبوية ، ثم تخلف عن تمام الوفاء بهذا العهد ، فكان ظلوماً لنفسه ، جهولاً بمستوليته .

٣ - وعهد ثالث - قطع الله على نفسه للجهادين في سبيل الله - بأموالهم وأنفسهم : ما استطاعوا - أن يكون جزاؤهم الجنة في سعة من محبة ربهم ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح - هناء الجهاد -

وكانوا يفاخرون بذلك في ندواتهم ، وفي قصيدهم ، وخطبهم .

ولما جاء الإسلام متكفلاً بصلاح دنيائنا ، وتهذيب أخلاقنا كان طبيعياً أن يختار من معاني الوفاء ما يلائم وجهته ، ويندج في منهجه وأن يعتبر هذا الوفاء المعتدل بالعهد النافع أصلاً من أصول الأخلاق .

بلى وكنا من أركان العقيدة ، ينهض عليه قوام الدين الحق .

فإن إيمان المرء بالله ، وبما أنزل على رسله لا يمدوا أن يكون وفاء بما عهد الله إلى عباده من توحيد ، والأخذ بأحكامه ، وأخلاقه ، وسائر توجيهاته في حياتنا الدنيا . وتركوا لبداً الوفاء بالعهد بين شعب الإيمان .

عنى القرآن كثيراً بذكر العهد ، وبالدعوة إلى صيافته من الغدر به ، وبالثناء المستطاب على الموفين بعهدهم إذا عاهدوا .

وانظر تجميد القرآن بسطة في بيان العهد التي يعنيها ، ويقرها في تشريعه .

١ - عهد أزل ، أخذه الله عباده ، حين كانت الإنسانية في عالم الأرواح ، أن يدينوا له وحده بالربوبية ، ويذكرهم به بعد وجودهم ليكونوا على علم بما سلف ، وعلى وفاء بما علوا وهم في عالم الأشباح . ولما أخذ ربك من بني آدم : من ظهورهم ، ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا :

أن الناكث للعهد لا يعتبر من أهل العهود ، يريد أهل الإيمان .

وقد تعهد الله في تشريعه لنا أن يأخذ كل ناقض للعهد بحريته ، كما صفع مع اليهود فيما حرف عنهم كثيراً حتى سجل عليهم لعنته ، وكرو تهديدهم بغضبه ، فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية .

إلى كثير من آياته التي تشير الرعب لدى كل ذى قلب يعي ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه . . ولا يحقيق المسكر السيء إلا بأهله .

ومع ما تبين من شأن العهد وخطره عند الله فإن بعض الأئمة يفرق بين العهد ، والوعد وينظر إلى ما في العهد من توثيق والزام كعقود المعاملات مثلاً وإلى ما في الوعد من هوادة لا تبلغ مبلغ التوثيق والاستيثاق ، وجعلوا إنجازه الوعد مستحباً لا واجباً ، وخلف الوعد مكروهاً لا محرماً .

فإذا وعدت صديقك بالزيارة فالوفاء بمثل هذا مروءة تليق بالمسلم ، والخلف مدين لا يبلغ مبلغ الإثم ... وهذا كلام مقبول فيما يكون نادراً وغير متعمد .

أما إذا كان دأباً للرد أن يخلف وعده فهذه هي نقيصة المنافق التي حذرنا منها الرسول في قوله - وإذا وعد أخلف .

وليس من العهد المطلوب وفاؤه ، ولا من

ومتأهب الطاعة - للذين أحسنوا منهم ، وانتقوا ، أجر عظيم ، . إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وهذا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به - بعهديكم ، ووفائكم مع الله بما عهد إليكم - وذلك هو الفوز العظيم ، . ولقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة - في بيعة الرضوان يوم الحديبية سنة ست من الهجرة - فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً .

فذلك عهد بين الله وعباده ، والله يتعهد لخلقها فيها بالوفاء ، جزاء على وفائهم .

وفي مجموعها يقول الله تعالى : « وأوفوا بعهدي ، أوف بعهديكم ، وإياي ، فارهبون » .

وقد اتسع مفهوم العهد المنشود في تشريع الله حتى جعل منه كل عهد صالح نلتزمه فيما بيننا « وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » . « وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسؤولاً » .

وكذلك تقرر سنة النبي صلى الله عليه وسلم أن من علامات الإيمان في المؤمن إذا وعد أوفى وأن من علامات النفاق في المرء أنه إذا وعد أخلف . وأنه لا عهد لمن لا وفاء له : أى

الإسلام ... وما يُفتَى عليه

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

هناك ظاهرة تكاد تكون حقيقة واقعة ، وهي أن القضايا التي تتحرك بالدين ، وتتمسح بشريعته وأحكامه ، يدخل عليها كثير من الضعف والوهن ، على حين يقدر أولئك الذين يذهبون بها هذا المذهب ، فيلقون عليها ظلالاً من الدين ، ويضعون بين يديها دجواز مرور ، مختوم بخاتم الدين ،

موسوم بأحكامه وآماله - هؤلاء يقدرون أن ذلك شفيع لا يرد عند الناس ، وأنها بهذا الشفيع ستغزو القلوب ، وتمسك الناس من مقاوهم ! ولكن الأمر يجيء أبداً بعيداً عن هذا التقدير ، بل وأخذاً بجهاها مضاداً له في أغلب الأحوال ... وذلك أن للنفس البشرية نفرة بطبيعتها من كل أمر يلقاها

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الوهد المقتضى للصدق أن يكون في باطل ، أو إضرار بالغير كالتمهد بالعدوان على الغير أو التحالف على مساس بالوطن أو الاتفاق على ارتكاب جريمة خفية أو المشاركة في أي نقيصة يشكرها الدين ، أو يأبأها عرف الناس ، ومروءتهم .

والأردلون من الناس يحسبون التعاهد على شيء من هذه المنكرات يقتضيه الوفاء به في هوف الأبطال والرجولة ، والصدقة .

وهذا خلط كخلط أهل الجاهلية فيما سلف وهي خسائس دينية ، يأبأها الإسلام على أهله وغير أهله ... كما يحرص على الوفاء الجدى بين أهله ، ومع غير أهله وأنت ترى في قصة حاطب التي تعلق بها آيات الموضوع أخذاً

له بالشدة ، وحرماناً من قبول الرجل في عدل المسلمين ، وتسجيلاً لبشاعة موقفه وتلاعبه بما وعد الله ورسوله ليكون الوفاء بالعهد وبالخير دائماً نصب أعيننا وسياجاً لحياتنا ومظهراً لإنسانيا لجماعة المسلمين أكثر من سواهم ، فهم أولى بذلك الكمال ، كما قرر الرسول في قوله إنا قوم لا يصلح في ديننا الغدر .

حق أو شئنا نقض عهد مع غير المسلمين وجب أن نخبرهم من قبل وألا نأخذهم على غرة ، فإن ذلك من تمام الوفاء واحترام العهد ، حتى في ساعة نقضه لسبب ما د ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء - فاطرح لهم هدم على علم - إن الله لا يحب الخائنين .

عبد المظيف العسكي

عقلك وقلبك .. حتى إذا طرقت أمراضا معه عقلك ، أو حار فيه رأيك ، طلبت الرأي والنصيحة هئدمن تتوسم فيه الرأي والنصيحة ؟ فأى الحالين حالك ؟ وأى الواقعين واقعك ؟ وانظر أى الرجلين أنت .. وتفقد وجودك ، وتعرف على ذاتيتك فى كلا الحالين هذين . وليست بك حاجة إلى من يدلك على أنك تنظر فى الرجل الأول إلى إنسان آلى ، منزوع الإرادة ، مسلوب التفكير ، ضائع الشخصية ، يعيش فى ظل غيره ، ويتحرك بإرادة سواه .. وهيات أن يكون فى الناس إنسان على تلك الصفة ، وإن يكن هناك كثير من الناس على اللون الغالب فيها .. فإن أدنى الناس شأنا ، وأقلهم عقلا ، له رأى ، وله إرادة ، على أية صورة من صور الرأى والإرادة .. فإن يكمنه فهو إنسان فقد وجوده ، وأهدر آدميته ، ودخل فى عداد الجانين والمعتوهين !

أما مع الرجل الآخر فإنك منه فى حضرة إنسان يحمل مسؤولية الحياة كإنسان ، ويتحمل تبعاتها كرجل .. إنسان جدير بأن يؤثر أثره فى الحياة ، وأن يكون أهلا لإرث هذا القاب الكريم : « خليفة الله » فى هذا الكوكب الأرضى ! ثم إنه لا فرق بين أن يكون ذلك السلطان الذى يملك وجود الإنسان ، ويشل إرادته - سلطا مادنيا ، أو اجتماعيا ،

على غير الوجه الذى ، وترقبه منه .. فهو مثلا .. تنفر من الهزل فى مواقف الجدى ، وتمتزز من الجدى يلقاها فى مواطن الهزل .. ! وليس كالهزل بالدين - وأمره كله جد - حين تجرى بين يديه تفاهات الحياة كلها ، وحين يتحرك على مسرحه صغير الأمور وسفاسفها . صنيع أولئك الذين يعرضون الدين فى كل سوق ، ويبيعونه بكل عرض ، وبأى ثمن ! وحسن أن يلتفت الناس إلى الدين ، وأن تعلق أبصارهم وقلوبهم به ، وأن يعرضوا أنفسهم وأهملهم عليه ، وأن يردوا موارد أمورهم ومصادرها عليه .. فهذا من شأنه أن يقيم فى النفوس وازعا ، وأن يجعل للدين فيها سلطانا ، فتعتصم به من أن تضل ، أو تضعف ، أو تسقط .. إذا فازتها شهوة ، أو تسلطت عليها فتنة !

ولكن ماذا يرد إلى الدين من أمور الناس ؟ وماذا يستقى فيه الدين من شئونهم ؟

ولك أن تأخذ الجواب على هذا من نفسك حين تسألها هذا السؤال : ماذا ترد من أمورك أو تعرض من شئونك على ذوى الرأى والنصيحة من ثقاتك وخلصائك ؟

أتراك تجىء إليهم فى صغير أمرك وكبيره ؟ وأتطلب الرأى عندهم فى ظاهر شئونك وخفيها ، وفى جليلها وحقيرها ؟ أم تراك تواجه الحياة برأىك ، وتصحبها بما يدلك عليه

وإذا ذكرنا أن الديانات - والديانات
الساوية خاصة - إنما جاءت لتفك الإنسان
من أسر العبودية بجميع صورها وأشكالها
عبودية - الأوهام والخرافات - عبودية الجهل
والهوى - عبودية الجبابة والطفة من ملوك
وسلاطين - عبودية الفقر والحاجة - وذلك
لتقيم في الحياة إنساناً سوى الإنسانية - حر
الإرادة ، مستنير العقل ، سليم الوجدان ،
صحيح العقيدة ، مستقيم الطريقة - إذا ذكرنا
ذلك من أمر الدين ، ومن رسالته في الحياة ،
ومقامه في الناس - كان لنا أن نذكر كل ما يحل
إلى الناس باسم الدين ، ليسوقهم حوق الأنعام
إلى مغارات وكهوف ، وطبة مظلمة ، لا يرون
فيها إلا قطع الظلام ، تتحرك في أحشائها
المفرعات من الأشباح والخيالات !

وإذا صح ما يقال من أن القانون للإنسان ،
وليس الإنسان للقانون . . أو كما يقول
السيد المسيح : « إنما السبب للإنسان ،
وليس الإنسان للسبب » - فإنه يصح -
بل يجب - أن يقال : إن الدين للإنسان ،
وليس الإنسان للدين . . فالدين - في صميمه -
إلا قانون سماوي ، لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه . . تنزيل من حكيم حميد . .
غايته حماية الناس من أنفسهم ، ومن عدوان
بعضهم على بعض . . فهو الرحمة الراحمة

أوسياسيا ، ما دامت آثارها واحدة ،
في ضمور الشخصية ، وفي اغتيال ذاتية الإنسان ،
وقتل المعالم الأصلية فيه .

وليس هناك من سلطان أقوى وأقدر
من سلطان الدين في أخذ النفوس إليه
وحملها على الولاء له ، والانقياد لحكمه ،
والاستسلام لسلطانته . . ومن هنا كان الدين ،
رسالة الأنبياء ، الذين تخبرهم الله من عباده ،
واصطفاهم لأداء هذه الرسالة السريمة الخطيرة ،
التي لو لم تمسك بها يد حكيمة موجهة بحكمة الله
وقدرته لتحول نورها الوضئ إلى نار ،
لا تبقى ، ولا تذر . . فما أكثر ما أحرقت
الديانات السابوية - بله غير السابوية - أهلها ،
بعد أن ذهب رسولها ، وقام عليها من بعده
أقوام لا تتسع نفوسهم لحقيقة الدين ،
ولا ترتفع مداركهم إلى مطالع جلاله ، وبهائه
وحكمته ، حيث تتمثل حقائق الدين
في خواطنهم ، وتتشكل في عقولهم ، أمساخا
شائمة من القوى المستبدة المتألمة ، مضروبة
بالجهل والهوى ، أو مدموغة بالكيد
والتضليل ، وبهذه الحبال المفقولة باسم الدين ،
والمضنوة على حسابه يمسكون بخناق الناس ،
ويفرضون عليهم باسم الدين سلطاناً قاهراً
مستبداً ، يحصى عليهم أنفاسهم ، ويسلبهم
إرادتهم ، ويشل حركات عقولهم ، فلا يملكون
- مع الدين - من أمرهم قتيلاً ، ولا قطميراً !

أو سهو ، أو إكراه ، وما أهدر آثامها إلا لأنها وقعت على غير إرادة الإنسان ، وإلا لأنها جاءت بعيدة عن مشيئته ، وعلى غير تقديره وتفكيره !!

وسيرة نبي الإسلام كلها قائمة على بناء المجتمع الإسلامى على هذين الأمرين : العقل والإرادة ... العقل السليم ، المصنوع من شوائب الهوى والاضلال ، والإرادة الحرة المنطلقة من هذا العقل السليم المدرك ... فلقد عاش الرسول الكريم حياته كلها بين أصحابه بإنسانيته كلها ، وببشرية جميعها ، يستشير ويشار عليه ، وليس ذلك إلا ليقم في المجتمع الإسلامى هذه الحقيقة ، وهى أن يعيش الناس بمعقولهم ، وبإرادتهم ، وألا يتخلوا عنهم لأحد . حتى ولا لى . فإن المسلم لمطالب حين ينزل على أمر النبى أن يصحب معه عقله وإرادته ، لى يكون لتعليمه بما سلم به - مفهوم عنده ، وأثر عامل فى كيانه ، ليقوم لهذا الأمر بما ينبغى له من احتفاء ووفاء . وهو وقف صمر بن الخطاب رضى الله عنه فى صلح الحديبية ، أشهر من أن نذكره .

نقول هذا القول فى وجه تلك الوجوه التى تقف بساحة الدين ، مستجيبة ، ملححة فى الاستجداء ، لتحمل عليه كل أمر من أمور الحياة ولتضع بصماته ، على كل شأن من شئون الناس ... !

التي تنزل من السماء كما ينزل الغيث على الجديب فيهنز ويربو ، وينبت من كل زوج بهيج . والإسلام - بحق - هو دين الإنسان ... الإنسان فى أكمل كلالته ، وأكرم منازلته .. والإنسان عقل وإرادة . وتعاليم الإسلام كلها قائمة على العقل والإرادة معاً ... عقل الإنسان العاقل ، وإرادة الإنسان المرید ... فعلى مقاييس العقل السليم ، وعلى منطقها جاءت أحكام الإسلام ، وأحكمت تعاليمه ، وعلى الإرادة الحرة ، والاختيار المطلق قدرت أوامره ونواهيه ...

ومن أجل هذا كانت النية ، مقطع كل قول أو عمل ، يصدر من الإنسان المسلم ... وفى هذا يقول النبى الكريم : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى) .. فلا حساب فى الإسلام عن قول أو عمل إلا بالنية التى تصحبه ... وليس للنية منطلق إلا من إرادة حرة مختارة ... وليست الإرادة إلا عن عقل يدرك ، ويقدر ... ولهذا يقول النبى صلوات الله وسلامه عليه : د رفع من أمقى الخطأ والفسيان ، وما استكروا عليه ، ... وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة فى قوله تعالى ، وقد دنا - سبحانه - إلى أن ندعوه به : د ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ... فسا أسقط الإسلام هذه الأعمال والأقوال التى تقع عن خطأ

له من الدين بشاهد ودليل ... وإذا بالدين
ينطلق من بين أيديهم في كل اتجاه ويندفع
في كل سبيل ... وإذا به يلمث وراء رواد
الفضاء من روس وأمريكان ، وإذا به يتعلق
بأذيال المراكب المصعدة إلى الكواكب ،
يفقى سكانها فيما أحل الله وما حرم ... وكأن
الأرض قد ضاقت فلم تتسع لعلهم فراحوا
يبدلون - بلا مقابل - لسكان السماء .

* * *

وبلية ليس يعد لها بلية أن يزوج بالدين
في هذه الشئون التي هي من خاصة شأن
الناس ، وخاصة أمورهم ، والتي هي داخلة
في اختصاص الوظيفة ، الإنسانية ، بل
في صميم هذا الاختصاص ، الذي لا يسمح الدين
لنفسه أن يتدخل فيه ، أو يقتصب شيئاً منه .
فلقد خلى الدين - والإسلام بصفة خاصة -
بين الناس وبين الحياة ، يعالجون شئونهم بما
عندهم من ذكاء واستعداد ، وليس للدين
في هذا المجال الفسيح الذي يسع الحياة كلها
إلا قولة واحدة : هي أن يتحرك نشاط
الناس في غير بنى ولا هوان .

وعن هذا الإيمان بحق الإنسان في الاستقلال
بوجوده ، والحياة مع ذاته ، وفي الانتفاع
السكامل بعقله ، وخبراته ، وتجاربه - من
هذا الإيمان كان قول الرسول الكريم لصحابته
من أهل المدينة : (أنتم أعلم بشئون دنياكم) :

فلقد استهوى هذا البدع كثيراً من النفوس
الصغيرة ، التي تحسب أنها بهذه الوظيفة ،
تكون شيئاً ، وأن هذا التطفل يجعل لها سلطاناً
على الناس ، وتقيم لها وزناً في الحياة ، وحتى
كأن الناس لا يتحركون إلا بإشارتهم ،
ولا يأخذون أو يدعون إلا عن أمرهم ...
وهؤلاء لو علموا حقيقة وجودهم ، وواقع
حالمهم لراوا أنهم أهون هواناً من دتم ، ..
تلك القبيلة التي رماها الشاعر بقوله :

وبفضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأذنون وهم شهود
فما كانت الحياة تنتظر إشارتهم ،
أو تصمع لقولهم ! .

ولا تحسب أن هذه الظاهرة هي وليدة هذا
العصر أو أنها من دعوة من الأحداث الكثيرة
التي نجمت فيه ، بل هي قائمة في كل عصر
وفي كل أمة ، وفي محيط كل دين ... فلكل
عصر أحداثه وجديده ، ولكل عصر علماءه
وأدعيائه وطفيليوه ١١ .

ولكن الذي يلفتنا من هذه الظاهرة اليوم هو
أنها قد اتسعت دائرائها ، وكثر المتنافسون
فيها ، والمناهل الكون عليها ... من كل جماعة
ومن كل قبيل ١١ فما يبرز في أفق الحياة شيء
الاتداهى له الأدهياء ، وإلا تلقاه مهم بالغم
وباليدنين - من يحسن ومن لا يحسن ... كل
يحاول أن يجره إلى الدين جراً ، وأن يحجى .

إليها قسراً ، ويقحم فيها إقحاما ، دون أن يكون له في كثير منها ناقة ولا جمل - كما يقولون: وقل أن كان الدين يدخل معركة من تلك المعارك ثم يخرج منها صليبا معافى ، بل كان دائما أبدا يخرج مشخنا بكثير من الجراح ، فلا يراه الناس - في غبار تلك الفتن ، لإشائه الوجه ، مغبر الأديم . . إذ يرون ما يبينه الدين بأيدي رجاله المحسوبين عليه ، يهدمه الدين بأيدي رجاله والمضافين إليه أيضاً ! حيث يتجه به بعضهم يمينا ، على حين يتجه به آخرون شمالا ، ويدينا يذهب به بعضهم شرقا ، يذهب به آخرون غربا ، أو شمالا ، أو جنوبا . وبين هذه الاتجاهات المختلفة يمدش المسلم زائغ البصر ، كثير التفتت ، لا يدري أى اتجاه هو الصحيح . . القائم على سمت الشريعة ، المستقيم مع وجهة الدين !

وتعظم المصيبة ، ويتضاعف البلاء حين ينجلي غبار هذه المعركة ، بعد زمن - طويل أو قصير - ثم يتلفت الناس فلا يجدون للدين مكانا فيما نشب فيه الخلاف ، ودار حوله القتال . . إذ لم يكن للدين موقف تقتضيه طبيعته ، وتستدعيه شريعته فيما اختلف فيه المختلفون ، وتقاتل عليه المتقاتلون ، وإنما هي أمور من حساب الحياة خاصة . ومن شئون الناس خالصة لهم !

ولمن لا يعرف حقيقة الدين ، ولا يعلم

وكان صلوات الله وسلامه عليه قد أشار عليهم بتأبير النخل على صورة آما ، فامثلوا أمره فيه ، وكان ذلك جاريا على غير عادتهم ، وكانت نتيجة هذا أن جاء الثمردون ما اعتادوا وفرة ، وجودة

وما نحسب هذا الحدث إلا عن تدير من السماء ، ليتأكد حق الناس في ضروب من الاستقلال في التفكير والعمل ، لينخطوا حيناً ويصيبوا أحيانا ، وهم في خطتهم وصوابهم بمسكون بزمام الحياة ، ماثون أيديهم منها . ومن وجودهم فيها .

وفي كل مرة كان يدخل الدين فيها على الناس من غير باب ، وفيما ليس له كان يقع البلاء ، وتعظم الفتنة ، وتتحول أحوال الناس ، وتنقلب أوضاعهم ، ويضطرب تفكيرهم ، وإذا هم في وجه عاصفة هوجاء ، وهلى ظهر حيرة لا يدرون معها ما يأتون وما يذرون .

وتاريخ الإسلام يحدثنا حديثاً طويلاً حزيناً عن تلك الممارك التي أشعل فتيلها أصحاب الأهواء والفتن ، باسم الدين ، وشبوا ضرامها تحت رايتيه ، فأكلت ما أكلت من قوى المسلمين ، المادية والمعنوية ، وخلفت وراءها دخانا كثيفاً ، ظل منعقداً في سماء الإسلام قرونا هداداً ولا تزال بعض آثاره قائمة إلى اليوم .

وفي هذه الممارك جميعها كان يساق الدين

هذه جزئية صغيرة من جزئيات الحياة ، كان لها هذا الأثر المزلزل المدمر في الحياة الروحية للجمتمع الإسلامى ، ولا زال كثير من الناس وفى قلوبهم مرض منها إلى اليوم ! لأنها - على صغرها - أشبه بالجرثومة الخبيثة تفسد فى جسم سليم فتهدمه هداما ، وتأتى على بنيانه بين عشية وضحاها .

وهل تفعل هذه الجرثومة فعلها فى هذا الكائن العظيم إلا لأنها غريبة عنه ، مناقضة لطبيعته ؟ كذلك تلك الهنات الصغيرة من هوارض الحياة حين تندس على الدين ، وتحرك فى كيانه . لأنها أشد فتكا به ، وتضييعا له من تلك الجرائم الخبيثة ، التى تقلسط على الأجسام الحية القوية ، فتفسد نظامها ، وتبطل عملها .

وانظر قضية السفور التى اضطرب المفتون فيها كثيرا وأمر الدين فيها لا يخرج عن الدهوة إلى العفة ، وعدم التبذل ، والظهور فى مظهر الفطنة والإغراء . . .

وليست قضية السفور وحدها هى التى صدعت رءوس المسلمين زمانا ، وأصابهم منها ما أصابهم من دوار ، وذبول عن الدين وتخوف منه ، بل إن لهذه القضية أخوات كثيرات ، ولدى فى هذا العصر ، حيث كثرت واردات أوروبا وأمريكا من مخترعات العلوم ، ومحدثات الفنون ... فكان هناك

حدوده ، وهو يحسن الظن بحملة البخور ، فى محارب الدين ، وينظر إلى هذه القضية من جميع أطرافها - له أن يدهش ويعجب ثم لا عليه إذا هو اختنق بهذه المقولات المتناقضة فى أمر واحد ، وضاق بها صدره ثم لا عليه إذا هو جعل يسأل نفسه أو يسأل الناس : أى دين هذا الذى تقوم فيه المتناقضات ، وتعيش فى ظله المتضادات ؟

ما هذا ؟ وماذا يفعل المتدين فى مثل هذا الموقف إذا هو أراد أن يأخذ بأمر دينه ، ويستقيم على شريعته .. فى أهله وولده .. ؟ . . . لأنها حيرة . أو قل كانت حيرة فى يومها ، انتهت بكثير من الناس إلى أن يعضوا البصر عن الدين فى هذه القضية لا يأخذون بحلاله أو حرامه فيها . لا استخفافا به ، وإنما هو إسقاط لتلك الحجج المتضاربة ، وعدم التحويل على أى منها بل لقد اندفع بعض الناس إلى أكثر من هذا فصرفوا النظر عن الدين فى كل أمر ، وفى كل شأن ، ولو كان من صميم الدين إذ تزعمت عقيدتهم فيه ، وساء رأيهم فى موازين أحكامه ، حين امتحنوه فى هذا الأمر لجاء إليهم المفتون ، بهذه المتناقضات المتدافعات من الآراء . . .

الدين من هذه الدنيا ، ويعيشون مع دنياهم
بلا دين !

ولما أن يكون الدين - كما قلنا - إشارة
مضيئة من السماء تكشف الناس معالم الطريق
وتقيمهم على الجادة ، فلا يتصادم الناس
في موكب الحياة ، ولا يتقاتلون ! وفي هذه
الحال يمكن أن يجتمع الدين والدنيا على
وفاق ، وأن تهتف الحياة بالدين حين تعمى
على الناس السبل ، فتجد في أضوائه الهدى
والنجاة !

ثم ماذا ؟

لا شيء إلا كلمة ألقي بها في آذان أولئك
المتناقضين المتهاككين على التحكك بالدين ،
الضاربين في وجهه بكل شيء - أن دعوا الناس
والحياة ، فهم أعلم بشئونهم ، ولا تزحوا
طريقهم إلى دين الله الخالض وإلى حقائقه
المشرقة الصافية بهذا الغشاء الذي تسوقونه
إليهم باسم الدين ، وتحملونه على ظهره ...
فهم بفطرتهم أهدى سبيلا ، وأقوم طريقاً
إلى دين الله ، وإن يكن ضنكم في هذا المقام
خير تقدمونه لهم فهو الصمت ، والصمت
الطويل ... ورحم الله امرأ قال فقم ،
أو سكنت فسلم ؟

عبد الكريم الخطيب

في دائرة الدين أحاديث كثيرة متشعبة عن
كل جديد ... في « السينا » و « الراديو » ،
وفي التصوير والنحت والتمثيل وغيرها حتى
ما يتصل بألوان الطعام والشراب وأدواته ،
والزى وأشكاله ... ففي كل شيء من هذه
الاشياء وأمثالها كان لأصحاب « الفتيا » وقفة
حادة صارمة ، تدفع الناس دفعا عن هذا
البدع الجديد ... ثم لا يلبث التيار الجارف
أن يكسر هذا السد الوهمي ، ويفغر السهول
والوديان ، ويجرف فيما يجرف هؤلاء
« المفتون » ، بغير علم ، ويدخل عليهم ديارهم
من كل باب ونافذة !

وتصور المسألة على أن معارك قد كانت
بين الدين وبين هذه الأمور ... ثم قدر بعد
هذا ما يبق في قلوب الناس وفي مشاعرهم
من جلال الدين وهيبته ، بعد أن يشهدوا
رواياته تسقط واحدة بعد أخرى في كل معركة
يخوضها مع الحياة !

أمران لا ثالث لهما يمكن يفسر عليهما
هذا الوضع بين الدين وبين الحياة !

لما أن يكون الدين شيء ، والحياة شيء
آخر ... كل منهما يسير في اتجاه ، لا يلتقيان
فيه أبدا ... وإذن فلا بد من أن يستمر بينهما
هذا الصراع إلى أن يقتصر أحدهما ، فيبتلع
الدين الناس ودنياهم معا ، أو أن يجهل الناس

المرونة في اللغة العربية

للأستاذ عبد الحميد حسن

باسم (رد الابنية بعضها إلى بعض) أى تغيير ضبط الكلمة كما فى عنق وشعير ووعيف بكسر الراء ، ونجد غير ذلك من مظاهر المرونة اللفظية .

وإلى جانب ذلك نجد مرونة معنوية كالضمين والتغليب ونياحة حروف الجر بعضها عن بعض والجاز والاستعارة وغير ذلك .

وهناك ظاهرة أخرى فى اللغة نشأت عن اختلاف لهجات القبائل ، فقد تفاعلت هذه اللهجات وامتزجت ونشأت عنها مرونة لغوية تقسم بألوان من النطق وأنواع من الضبط الإعرابى وتحديد صيغ الكلمات وضبط حروفها فى الفعل الثلاثى ومضارعه ومصدره ، وفى جموع التكسير ، ويشيع فيها أن يكون للكلمة الواحدة ألوان من المعانى التى قد تبدل إلى حد واضح . والذى ساعد على كل ذلك هو اختلاط القبائل بعضها ببعض وتجمعها فى مواسمها وأسواقها الخاصة والعامة . وقد نشأ عن هذا التجمع امتزاج اللهجات واستقرار أسسها نطقاً

سأعرض فى هذا الموضوع بإيجاز لخصائص اللغة العربية وما فيها من مرونة ومسايرة للتجديد . وأتابع فى هذا العرض مراحل اللغة العربية فى نشأتها ونموها واتساع نطاقها وتسجيل قواعدها وتدوين كلماتها .

(المرحلة الأولى) فى العصر الجاهلى :

وقد نشأت اللغة العربية ، فى هذه المرحلة ، فى كنف الفطرة وفى رحاب الصحراء الممتدة الآفاق ، وتابعت الخطا فى النمو والتهديب والاستقرار فى حرية وبعد عن القيود التى تحسد من حركة الفكر ، أو تقييد الجهاز الصوتى فى انطلاقه ، مع تجنب ما عسى أن يعترض النطق من عورة الحروف أو تزاحمها بسبب تقاربها أو تباعدها ، فقد أرسل العرب منطقهم على سجيته فتغلب على هذه الصعاب بشتى الظواهر اللغوية . ولذا نجد فى اللغة العربية الإدغام والإعلال والإمالة وامتزاج الحروف المتماثلة أو المتقاربة والنحت والتقريب بين الحركات فى مثل (الحمد لله) بضم الدال أو كسرهما ، ونجد أيضاً ذلك البحث المعروف فى علم الصرف

فقد نزل القرآن الكريم مسيراً لما شاع في هذه اللهجات من مظاهر ، وذلك تيسيراً على الناطقين حتى تجد كل قبيلة ما يطاوع لسانها . وفي الحديث الشريف (أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) والمراد بالأحرف أوجه مختلفة من الأداء تساهل ما درج عليه العرب ، وتجتلي فيها خصائص اللغة العربية ولهجات العرب وأصاليهم في النطق وفي طرائق التعبير ، وهي التي نجدها في وجوه القراءات التي سجلتها الروايات الصحيحة المتواترة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي مطابقة لقواعد اللغة العربية ، فإن هناك شروطاً ثلاثة يجب أن تتحقق في القراءات القرآنية وهي :

١ — أن توافق اللغة العربية ولو من وجه .

٢ — وأن توافق رسم أحد المصاحف العثمانية .

٣ — وأن يصح سندها .

فالقراءات إذن سجل للغة العربية الصحيحة التي يمكن أن نختزنها . وهنا يبرز سؤال وهو : هل لنا أن نقيس على وجوه القراءات القرآنية في أي وجه من شيعوها ؟ وسنرى الرأي في هذا حيناً ننظر فيما وصل إليه علماء اللغة من أصول القياس وقواعده حيناً يسجلوا للغة وقواعدها ومفرداتها وطرائق الاشتقاق

وأصلها مأخذاً وأخفها على . الالسنه والاسماع . ونجم عن ذلك ما يشبه اللغة المشتركة التي حوت كثيراً من خصائص اللهجات مما اتخذ منه العلماء فيما بعد معايير اتسمت بالمرونة في ضبط الكلمات والعبارات ضبطاً نحوياً وصرفياً وفي تحديد معانيها لغوياً .

ونجد في إطار هذه المرونة مرونة أخرى تختلف درجاتها في الشيوع والكثرة والقلة ، ولكنها جميعاً مما ارتضاه العرب أو فريق منهم ، أو بما ورد على لسان أحدهم . ولقد كان للعلماء الذين دونوا اللغة وقعدوا لها القواعد في هذه الناحية ، مواقف تشعبت فيها آراؤهم واختلف موازينهم وتباينت طرائقهم .

وإن الخصائص التي نراها في هذه المرحلة هي المرونة والتنوع في الكلمات والعبارات لفظاً ومعنى ، ولكنها تلتقي جميعاً عند غاية واحدة هي التي تتحكم في كل ذلك ، وهي المعنى والوصول إليه ، فالعربي يقصد إلى المعنى أولاً ، ولا يضيره أن يختلف النطق أو تنوع الوسائل أو تشعب الطرائق في الضبط والتعبير .

(المرحلة الثانية) بعد الإسلام ونزول

القرآن الكريم :

وفي هذه المرحلة نجد استقرار الأوضاع اللغوية وإقرار الصافي من لهجات العرب ،

بضبط كتاباته وعباراته وتفسيرها . وقد دعاهم هذا إلى أن يتتبعوا كلام العرب في شعرهم ونثرهم وأن يتبينوا خصائصه وما يمكن أن تخضع له من قواعد وأصول صرفية ونحوية ولغوية .

وحين نظروا في هذا التراث اللغوي وجدوا أنه يختلف في خصائصه كثرة وقلة : فنه المطرد والغالب والكثير والقليل والافتقار والنادر والشتاذ . وقد وقفوا أمام كل هذا يقبلون وجوه الرأي ، وكانوا في ذلك طوائف ، فمنهم :

١ - البصريون الذين يقسّدون في القياس ولا يجيزون قاعدة إلا إذا توافرت الدواهد التي تدعّمها ، وكانوا لهذا يؤولون الدواهد التي تحمّد بها اطرد أو كثر ، أو يخطّونها .

٢ - ومنهم الكوفيون الذين كانوا يكتفون بالشاهد الواحد فيستنبطون منه القاعدة ، ويجيزون اتباعها والقياس عليها . وكان بعض رجال هاتين الطبقتين البصرية والكوفية يؤيدون رجال الطبقة الأخرى في آرائهم في كثير من المسائل .

وقد استمرت هذه الطبقات تستكمل القواعد النحوية والصرفية واللغوية ، ويضيف اللاحق إلى ما جاء به السابق ، حتى أتمت الطبقتان مباحث على النحو والعرف ، وكان ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري ، والذين

وتفرع الكلمة إلى صيغ مختلفة . وحسبنا هنا أن نقول : إن قراءات القرآن الكريم هي صورة صادقة من لهجات العرب ومن مظاهر المرونة التي نستطيع أن نتخذ منها أساساً للتيسير التطبيقي في اللغة ، وسنداً لها ننشد من سعة في الذخر اللغوي ومرونة في التعبير .

وهناك حقيقة ثابتة ولها دلالتها في استعداد اللغة العربية لسكل جديد يوافق ما وصل إليه العلماء من آراء ، وهي أن الإسلام قد امتدت رقعته ، وشملت أقطاراً واسعة ، وأن العرب بعد الإسلام قد خرجوا من جزيرتهم إلى آفاق فسيحة واختلطوا بشعوب لها طرائقها في التفكير وفي مظاهر الحياة ، ومع ذلك كله لم تقف اللغة جامدة أمام هذا الجديد ، بل سارت الحياة مسيرة طبيعية ، واتسعت للمعاني الجديدة الشرعية والفقهية وللأصطلاحات اللغوية والنحوية وغيرها ، ونظرة عابرة في اللغة بعد الإسلام توضح هذا .

* * *

(المرحلة الثالثة) وهي مرحلة التعليل والقياس والاستنباط والتسجيل :

وقد بدأت هذه المرحلة حين اهتم الباحثون بدراسة القرآن وتعرف أساليبه والاهتمام

المسكتبات في أنحاء العالم ، ومنها ما تقبه الباحثون والعلماء في نهضتنا الحاضرة إلى قيمته ومكانة مؤلفيه فشرعوا في إعداد العدة لتحقيقه ونشره ، وسيكون لهذه الكتب شأن في التحقيق والتحصيل ، وربما كان لها أثر في التغيير والتعديل .

والذي أريد أن أبرزه في ميدان البحث هو أن هذه السكثرة من آراء علماء اللغة هي سند قوى لما فنشد من مرونة تساعد على التوسع والتجديد ، ولما تنطلع إليه من تيسير يعين على فك الأغلال عن كثير من الكلمات والعبارات ، وعلى رد الاعتبار لطائفة من مفردات اللغة تعيش على حافة الحياة اللغوية أو بمعنى منها وهي تلتبس القبول وترقب أن يطلق سراحها ويرخص لها بالدخول في الإطار اللغوي ، لكي تأخذ طريقها في خدمة الفكر والثقافة ، وتكون دليلاً على مرونة لغتنا العربية التي أثبتت على توالي الأحقاب وتباين الماطقين بها ، أنها وسعت صدرها للجديد الذي يوافق ذوقها وتعززها الأشباه والنظائر من كلام العرب ، وتسانده خصائص اللغة وآراء علماءها ولهاجات قبائلها ؟

(للبحث بقية)

عبد الحميد حسن

جاءوا بعد ذلك لم يضيفوا إلى هذا التراث جديداً في أصوله الأساسية .

وفي خلال تدرج هذه الطبقات البصرية والكوفية ظهر المذهب البغدادي حين أنشئت بغداد في صدر الدولة العباسية ، وأصبحت مقراً لحلفائها ، وعكف رجال هذا المذهب على البحث في اللغة وقواعدها ، وعلى النظر في آراء البصريين والكوفيين وترجيح بعضها على الآخر ، وكانت لهم في ذلك آراء كونوا منها مذهبا أخذ مكانه بين غيره من المذاهب .

وفي خلال ذلك أيضا نشأ مذهب رابع في ذلك القطر العربي الجديد في الأندلس وإلى جانبه المغرب ، وكان لعلماء هذين القطرين كذلك آراء في اللغة وقواعدها لها وزنها والاعتداد بها .

وبهذا كان التراث اللغوي الذي خلفه علماء هذه المذاهب اللغوية تراثا حافلا بأنواع كثيرة من الآراء التي تنطق بالمرونة وتثبت دعائمها ، وقد سجل الباحثون فيه كل صغيرة وكبيرة ، ولم يتركوا رأيا إلا سردوه مفصلا تفصيلا دقيقا وذكروا منه ما اتفق فيه العلماء وما اختلفوا فيه وما انفرد به أحدهم وما يقرأح بين القول والرفض أو بين الإجازة والمنع . والكتب التي بحثت في اللغة وقواعدها لا حصر لها ، ومنها ما أتت عليه أحداث الزمن ومسته أيدي الضياع ومنها ما لا يزال في زوايا

جماعة الإخوان الصفا

للأستاذ محمد غفراني الخراساني

أثرهم في تطوير القصة على لسان الحيوان

نمبر :-

أولاً : قبل أن نتحدث عن الدور الذي لعبه إخوان الصفا في تطوير القصة على لسان الحيوان في اللغة العربية وإخراجها من المضامين الأخلاقية والاجتماعية التي تتمثل في حكايات كتاب دكيلة ودمنه ، إلى مضامين فلسفية في كتابهم رسالة الحيوان ، نقف برهة للنقي نظرة عابرة على تاريخ نشأة هذه الجماعة والأهداف التي كانت تدعو إليها من طريق نشر رسائلها في البيئة الإسلامية في القرن الرابع الهجري تلك الرسائل التي أحدثت دويهاً ثلثاً في توجيه التيار الفكري الإسلامي مدة هذه الحقيقة من التاريخ .

١ - أصل اسم «إخوان الصفا» وهل

اقتبس من « دكيلة ودمنه » :

وقد وردت لفظة إخوان الصفا في اللغة العربية من قديم في شعرها ونثرها ، فن العصر الجاهلي ورد شعراً قول أوس بن حجر يذم طفيل بن مالك الملقب بملأب الأسنة :

لعمرك ما آمى طفيل بنفسه

بني طمر لاذ ثابت الخيل تدمي

وودع إخوان الصفا بقرزل

بمر كمرخ الوليد المفزع

ومن ذلك أيضاً قول أبي حناك البراء بن

ربيع الفقيسي :

أبعد بني أمي الذين تتابعوا

أرجى الحياة أم من الموت أجمع

بشمانية كانوا ذؤابة قومهم

بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع

أولئك إخوان الصفا رزتهم

وما الكف الا إصبع ثم إصبع

وقد روى أبو حيان في كتابه « الأدب

والإنشاء » في الصداقة والهديق ، البيت الأخير

وجعله ثالثاً لبيتين آخرين لم يذكرهما أبو تمام

ولم يذكر أبو حيان كذلك اسم الشاعر فقال :

وقال شاعر :

لعمرك إني بالخليل الذي له

على دلال واجب للجمع

في قصة الجماعة المطوقة سبباً في تسمية جماعة إخوان الصفا فإن إخوان الصفا جرت عادتهم على أن يأتوا بالمثل لكل فكرة يعالجونها ويعرضون لها بالبحث في رسائلهم ويفسر هذا سرائرهم بقصة الجماعة المطوقة التي سردوها في الرسالة الثامنة من القسم الثاني من رسائلهم ، وإن أريد هذا الفهم إذ أن التركيب (إخوان الصفا) قديم وقد سبق الشـراء الجاهليون ابن المقفع إلى استعمال التركيب (إخوان الصفا) كما أسلفنا وكل ما هنالك أن جماعة إخوان الصفا حينما نقلوا قصة الجماعة المطوقة في رسائلهم وتصرفوا في مغزاها استأنسوا بهذا التعبير الذي ورد في هذه القصة فاتخذوه رمزاً للاتحاد والتعاون والاتفاق .

تلك المفاهيم التي كانت تربط بعضهم ببعض برباط وثيق من المحبة والإخاء وتحوطهم بسياج متين من السرية والسكران وإذا قلنا إن تركيب إخوان الصفا في قصة الجماعة المطوقة هو الذي أوحى لهم باختياره اسماً لجماعتهم فعلياً إذن أن نلتزم لكل تركيب يرادف هذا التركيب في المعنى أصلاً اقتبسنا منه كلمات إخوان الصدق وإخوان الوفاء وإخوان الحفاظ وكلها وردت في اللغة العربية نثراً وشعراً غير أنهم لم يقل أحد بذلك ومهما كان من أمر فإن ما ذكرته في هذا

وإن بالمولى الذي ليس نافع ولا ضار ففقدانه لممتنع أولئك إخوان الصفاء رزقهم وما الكف إلا لصيغ ثم لصيغ وجاءت كلمة إخوان الصفا أيضاً في نصوص غير جاهلية شعراً ونثراً فن الشعر ما أنشده الزيدى :

إلا أن إخوان الصفاء قليل فهل لي إلى ذاك القليل سبيل فس الناس تعرف غثهم من سمينهم

فشكل عليه شاهد ودليل وورد نثراً قول عبد الله بن المقفع في باب الجماعة المطوقة من كتاب كيلة ودمنه : وقال ديفليم الملك لبديبا الفليسوف حدثني أن رأيك إخوان الصفا كيف يبتدىء تواصلهم ويستمتع بعضهم بعضاً ، قال الفليسوف : إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئاً فالإخوان هم الأعداء على الخمر كله والمؤاسون عند ما يغوب من المسكروه ومن هنا اختلف الباحثون في صلة هذه التسمية ؛ د كيلة ودمنه ، لابن المقفع فذهب فريق ومنهم المستشرق الانجليزى د جولد زهر ، إلى أن هذا الاسم قد اقتبس مما جاء في قصة الجماعة المطوقة .

وفريق آخر ومنهم الباحث العربى أديب هباسى يننى أن يكون ورود هذه الكلمة

وهو « فيلو » ، وكلية « صفا » ، تقابل الشطر الثاني من الكلمة وهو « سوفيا » ، وعلى ذلك يكون معنى الاسم (محبو الحكمة) وهو رأى يقوم على الحسد والخيال ويقول الباحث العربى أديب عباسى معلقا على رأى المستشرق دى فو : « إن هناك رأيا آخر لإخوان الصفا أنفسهم فى أصل التسمية فقد جاء فى الجزء الرابع من رسائلهم ما يأتى :

« وإِنَّمَا سَمِينَا وَسَالَتْنَا هَذِهِ رِسَالَةُ السَّحَرِ لِيَسْتَدِلَّ إِخْوَانُنَا عَلَى الْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ وَلِيَسْكُونُوا إِذَا بَلَغُوا مَعَالَى الْعُلُومِ ذَوَى غَى عَنْ الْحَاجَةِ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَةِ الدُّنْيَا فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ صَحَّ لَنَا أَنْ نَسَمِيَهُمْ بِإِخْوَانِ الصِّفَا » .
ويقول أديب عباسى « فإخوان الصفا كما يعرفون أنفسهم فى رسائلهم هم جماعة حذقوا علوم الدين والدنيا معا واستغنوا بها عن الحاجة إلى من سواهم ، وهذا الرأى قد يكون أقرب إلى الحقيقة وتؤيده نصوص كثيرة وردت فى رسائل إخوان الصفا فنها قولهم « ينبغى أن نبين كيف يكون تواصل إخوان الصفا وكيف تكون معاونة بعضهم بعضا فى طلب معيشة الدنيا ومنها أيضا قولهم فهكذا ينبغى أن يكون تعاون إخوان الصفا فى طلب صلاح الدين والدنيا وذلك أن معاونة الأخ ذى المال للأخ ذى العلم

المجال ما هو إلا مجرد فروض علمية على دراستى لرسائل إخوان الصفا وخلاصة ذلك كله أن التركيب (إخوان الصفا) معروف فى اللغة العربية من العصر الجاهلى ولكن اتخذ هذا التركيب اسما لجماعة معينة لها أهداف خاصة هو الجديد فى الأمر وهذا لا يبنى أنه غير مألوف فى التعبير اللغوى ولا أنه مقبوس من مصدر معين مثل كلية ودمنه .

٢ — سر تسمية إخوان الصفا :

لفظ الصفا فى اللغة السريية يدل على التصافى والمودة والمحبة وجاء فى لسان العرب الصفرة والصفاء بالماء فقيض السكر وصفرة كل شئ خالصة من صفوة المال وصفرة الإخاء والصفوة بالسكر خيار الشئ وخلاصته وما صفا منه « وعلى ضوء التخريج اللغوى يكون إخوان الصفا هم الأصداقاء الذين تجمعهم المودة والإخاء ويقول المستشرق الانجليزى « جولدزير » : (إن أخا الصفا حسب الاصطلاح العربى تعنى الذى صفت نفسه وخلاصت سريره كقولهم « يا أخا المروءة وهو رأى محمل وإن كان ليس قاطعا ويقول المستشرق الفرنسى « دى فوها » لهذه التسمية صلة بكلمة « فيلسوف » ، التى ترد فى اصطلاح الفيلسوف غوربين فى كلمه « أخ » ، تقابل الشطر الأول من كلمة « فيلسوف » ،

لفظ البناء فتوهم أنه بمعنى المسكان في حين أن ابن تيمية يقصد من قوله د قريبا من بناء القاهرة د قرب الزمان لا قرب المسكان إذ من المعروف أن مدينة القاهرة قد بدأ في بنائها جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي في عام ٣٥٨ هـ د فتسكون جماعة إخوان الصفا قد قامت قبل ذلك أو بعد ذلك بقليل .

٤ — زعماء إخوان الصفا .

اختلف المؤرخون في أسماء مؤسسى هذه الجماعة . وقد ذكر أبو حيان التوحيدى في كتابه د الإمتاع والمؤانسة ، أسماء خمسة منهم وذلك في معرض الحديث عن سيرة زيد بن الرقاعة وهو أحد زعماء هذه الجماعة فيقول : د وقد أقام بالبصرة زمانا طويلا وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة منهم أبو سليمان محمد بن معسر البسى ويعرف بالمقدسى وأبو الحسن هلى بن هارون الزنجانى وأبو أحمد المهرجاني والعرقي وغيرهم فصحبهم وخدمهم .

وعلى الرغم من ذلك فإن الغموض لا يزال يكتنف شخصية زعماء د إخوان الصفا ، بحيث كان من الصعب الوصول إلى معرفة أسمائهم والاعتماد إلى معرفتهم .

٥ — طبقات جماعة إخوان الصفا :

تتسكون جماعة إخوان الصفا من أربع طبقات وهى فى ذلك ذات صبغة صوفية واضحة

بماله ومعاونة الأخ ذى العلم للأخ ذى المال بعلمه فى صلاح الدين والدنيا جميعا كمثل رجلين اصطحبا فى الطريق فى مغارة أحدهما بصير ضعيف البدن معه زاد ثقيل لا يطيق حمله والآخر أسمى قوى البدن وليس معه زاد فأخذ البصير بيد الأعمى يقوده خلفه وأخذ الأعمى ثقل البصير فحمله على كتفه وتواصيا بذلك الزاد وقطعا الطريق ونجوا وخو هذا رأى أن إصفا من صفاء السريرة ونفوذها إلى دقائق العلوم والحكم والآداب وتختلف ألوان الثقافات ونسقتج من هذه النصوص أيضا أن مذهب جماعة إخوان الصفا كما يدل عليه اسمهم بنى على المواساة والأخوة وتعاون بعضهم مع بعض فى أمر المعاش والمعاد .

٣ — د نشأة إخوان الصفا ،

أجمع المؤرخون على أن جماعة إخوان الصفا قد نشأت فى أواخر القرن الرابع الهجرى فى مدينة البصرة ويقول أديب عباسى د الغريب أن ابن تيمية دون باقى المؤرخين الذين وقفنا عليهم يذكر أن رسائل إخوان الصفا صنفت قريبا من بناء القاهرة فإذا صح هذا الزعم فإنه يرجح أن يكون مركز هذه الجماعة القاهرة وتتكون جماعة البصرة فرعا منها .

ويبدو أن الباحث العربى قد التبس عليه

الطبقة الأولى :

نيف على الحسين من عمره ينخرط في سلك الموجودات المجردة ، ويرتق إلى مقام العلين وعالم الشهود فيرى حقائق الأشياء على ما هي عليه كالملائكة المقربين وفي هذا المقام يكون الإنسان في رأى جماعة إخوان الصفا قد بلغ فوق الطيبة والشرعية والناموس .

٦ - نظام جماعة إخوان الصفا

في مجالسهم :

كان إخوان الصفا يعقدون اجتماعاتهم سرا لا يعرف مكان انعقادها ولا زمانه إلا أعضاء الجماعة فقط ويقولون في ذلك ينبغي لإخواننا أيدهم الله حيث كانوا من البلاد أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه أوقات معلومة لا يداخلهم فيه غيرهم يتذاكرون فيه علومهم ويتحاورون فيه أسرارهم وينبغي أن تكون مذاكرتهم أكثرها في علم النفس والحس والمحسوس والعقل والمعقول والنظر والبحث في المكتسب الإلهية ويستفاد من كلام إخوان الصفا أنهم كانوا لا يسمحون للغير بالدخول في محافلهم إلا بعد التأكد من أحواله وسيرته وذلك عن طريق الاختبار ويقولون

في ذلك ما نصه :

« ينبغي لإخواننا أيدهم الله حيث كانوا في البلاد إذا أراد أحدهم أن يتخذ صديقا

وهي تتألف من شبان تتراوح أعمارهم ما بين خمسة عشرة سنة وثلاثين سنة تنشأ نفوسهم على الفطرة وهم الذين يدعون في الرسائل بالإخوان الأبرار حيث إنهم في مرحلة النشأة والتعليم ويجب عليهم الانقياد لأساتذتهم والانصياع لأوامرهم دون مناقشة أو جدل .

الطبقة الثانية :

وهي تتألف من رجال أعمارهم بين الثلاثين والأربعين يتلقون الحكمة ومهمتهم رعاية الإخوان ومساعدتهم وهم الذين يطلق عليهم في الرسائل بالإخوان الأخيار الفضلاء .

الطبقة الثالثة :

وهي تتألف من أفراد تتراوح سنهم بين الأربعين والحسين ويسمح لهم بمعرفة النواميس الإلهية وشرائع العالم المقدسة معرفة تطابق درجاتهم وأنهم أصحاب الأمر والنهى وهم الذين يسمون في الرسائل بالإخوان الفضلاء الكرام وكان لهم الدور الرئيسى في تأليف الرسائل والعمل على نشرها .

الطبقة الرابعة :

وهي الذين تزيد أعمارهم على الحسين وهي أعلى مراتب السلوك التي يمكن الوصول إليها إذ يعتقد إخوان الصفا أن الرجل إذا

وسموا رسائل د إخوان الصفا وخلان الوفاء وكتبوا أسماهم وبشواها في الوراقين وذهب قوم إلى أن إخوان الصفا ينحدرون من نسل علي بن أبي طالب عليه السلام وكانوا يدعون إلى مذهب التشيع وقال آخرون إنهم من متكلمي المعتزلة في العصر الأول إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تزال ماثراً للبحث والنقد لدى الباحثين ولكل دليل يؤيد وجهة نظره على ضوء ما استنبطه من آراء إخوان الصفا في رسائلهم ويقول المستشرق بارتولد في وصف هذه الجماعة : إن إخوان الصفا جماعة من المفكرين الأحرار ظهرُوا في البصرة في القرن الرابع الهجري وأن اتحادهم يشبه بالجمعية الماسونية .

وقد قوبلت دعوة إخوان الصفا بهجوم عنيف من قبل مخالفيهم من المفكرين المسلمين من أمثال أبي سليمان محمد بن بهرام المنطقي الهجستاني من معاصريهم الذي يصفهم بقوله : « تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا وحاموا وما وردوا وغنوا وما أطربوا ونسجوا فهللوا ومشطوا ففلفلوا ... ومن أمثال الإمام الغزالي الذي جاء بعدهم وطعن في مذهبهم ، وغيره من الفلاسفة والعلماء ؟

محمد غفراني خراساني

المدرس بجامعة الأزهر والإسكندرية

مجدداً مستأنفاً أن يختبر أحواله ويتعرف أخباره ويجرب أخلاقه ويسأله عن مذهبه واعتقاده ليعلم هل يصلح للصدقة وصفاء المودة وحقيقة الأخوة أم لا ؛ لأن الناس أقوام طبائعهم متغايرة خارجة عن الاعتدال وعاداتهم رديئة مفسدة ومذاهبهم مختلفة حائرة .

٧ — أهداف إخوان الصفا :

اختلفت الآراء وتضاربت الأقوال حول مذهب إخوان الصفا والهدف الذي كانوا يرون إليه من دعوتهم بين قاصد ومادح وليس هنا مجال استعراض تلك الآراء ومناقشتها وإنما نشير إلى بعضها لنعطى للقارئ صورة إجمالية عن جماعة إخوان الصفا وأهدافهم والغاية التي أنشأوا جماعتهم من أجلها .

وقد كشف أبو حيان التوحيدي عن غاية إخوان الصفا بقوله : « كانت هذه العصاية قد تألفت بالعشرة وتضافت بالصدقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز بوضوان الله والمصير إلى جنته . وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علمياً وعملياً وأفردوا لها فهرستا

مِنْ نَحْوِ ثَمَجَمِ الْجَوْشِ

مَلَكَيةُ الْأَفْرَادِ لِلْأَرْضِ وَمَنَافِعُهَا فِي الْإِسْلَامِ لِلْمُؤَسَّسِ مُحَمَّدِ السَّائِسِ

وفي سورة الدخان في شأن فرهون وقومه:
«كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ . وَزُرُوعٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانْكَبِينَ .
كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ .

فلما كان الفتح الإسلامي ودخل الناس في
دين الله أفواجا لأنهم وجدوا شريعة سمحة
مصدقة لما بين يديها من الشرائع السابوية
بانية لا هادمة فأقرت نظام الملكية وضمنتها
واحترمتها بما شرع من الأحكام التي جاءت
لحفظ الأموال وحرية الملكية وأصبحت
الأرض بعد الإسلام بخصلة من خصال .

لما أرض أسلم عليها أهلها فهي مبقاة على
ملكهم الأول لا ينازعهم فيها أحد وإما
أرض فتحت صلحا فهي على ملك أهلها
وعليهم دفع ما تقضى به شروط الصلح
في رقابهم وأرضهم .

وإما أرض فتحت عنوة ومن على أهلها بها
في أرض مكة فهي باقية على ملكهم .

وإما أرض فتحت عنوة وقسمت بين
الغنائم فهي ملك لهم خاصة بهم وبذراريهم
من بعدهم كأرض خيبر .

عما لا يمتري فيه أحد أن الأرض كانت
ملكيتها موزعة بين الأفراد ، في جميع
العصور ، مع اختلاف الدول والديانات ،
يتوارثونها ويتبادلون الملك فيها ، حسبما
تقضى بذلك شرعهم ونظمهم التي يسرون
عليها .

في سورة الكهف : واضرب لهم مثلا
رجلين : جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب
وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا .

وفي سورة نون : «لَإِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا
أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ» .

وفي سورة الأحزاب : «وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» .

وفي سورة سبأ : «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ
آيَةٌ : جَنَّاتُ مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ» .

وفي سورة الشعراء في شأن عاد : «وَاتَّقُوا
الَّذِي أُمِدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أُمِدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ
وَجَنَّاتٍ وَعَيْونَ» .

وفي شأن ثمود : « : أَلَمْ تَرَ كُنْ فِيهَا هَمَزًا
أَتَيْنَ . فِي جَنَّاتٍ وَعَيْونَ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
طَلْعُهَا هَضِيمٌ» .

وعمر وعثمان على الثلث والرابع فهو يعمل به إلى يومك هذا رواه بن ماجه قال البخارى وقال قيس بن مسلم عن أبى جعفر قال ما بالمدينة أهل بيت هجرة الا يزعمون على الثلث والرابع وزارع على عليه السلام وسعد بن مالك وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وآل أبى بكر وآل عمر قال وطامل عمر الناس على أنه إن جاء عمر بالبذر من هنده فله الشطر وإن جاءوا بالبذر فلهم كذا ه قال الشوكاني وقد ساق البخارى في صحيحه عن السلف غير هذه الآثار ولعله أراد بذكرها الإشارة إلى أن الصحابة لم ينقل عنهم الخلاف في الجواز خصوصاً أهل المدينة ثم قال واجابوا عن الأحاديث القاضية بانهم عن المزارعة بأنها محمولة على ما إذا اشترط صاحب الأرض ناحية منها معينة - وهو ما يدل عليه الحديث الآتى :-

ص ٢٢٣ منه عن رافع بن خديج قال : (كننا أكثر الأنصار حقلاً فكنا نكوى الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه فنأنا من ذلك فأما الورق فلم ينهنا أخرجاه) وفى لفظ كنا أكثر أهل الأرض مزدرعا كننا نكوى الأرض بالناحية منها تسمى اسيد الأرض قال فربما يصاب ذلك وتسلم الأرض وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك فنهيها فأما الذهب والورق

ولما أرض فتحت عنوة ولم يقسمها الإمام بين الفاتحين بل استبقاها ملكاً للدولة أو لبيت المال كما فعل عمر بسواد العراق فى رأى أئمة من الفقهاء .

ولما أرض فتحت عنوة وتركت بأيدي أهلها ملكاً لهم كما كانت من قبل على أن يدفعوا خراجها لبيت المال كسواد العراق على رأى الحنفية .

ولما أرض بقيت بأيدي ملاكها من المشركين الذين هم فى ديارهم لم يظهر المسلمون عليهم فهى على ما تقضى به نظامهم وقوانين دولهم التى تحكمهم والمتبع للأحاديث والآثار وما دونه الفقهاء على اختلاف مذاهبهم تسعفه النصوص الكثيرة التى تشهد بأن الأرض ومنافعها مملوكة للأفراد ويخرج منها باجماع عملى وقولى لم يشذ عنه أحد على مر العصور واختلاف الأمم والديانات وسنجنزىه ببعض ذلك حتى لا يطول بنا المقام ونخرج عن القصد .

الأحاديث والآثار الواردة فى هذا العدد : نكتفى هنا بالنقل من كتاب منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار لأنه محبوب على أبواب الفقه فيسهل الرجوع إليه .

جاء فى كتاب المساقاة والمزارعة ص ٢٣١ جزء خامس من نيل الأوطار : وعن طائفة أن معاذ بن جبل أكرى الأرض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر

لم يكن يومئذ . رواء البخارى . وفى لفظ قال إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما على الماذيات وإقبال الجداول وأشياء من الورع فيهلك هذا ويسلم هذا ويهلك هذا ولم يكن للناس كرى إلا هذا فلذلك زجر عنه فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس . وفى نيل الأوطار (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحاقلة والمزاينة وقال إنما يزرع ثلاثة : رجل له أرض ورجل منح أرضاً ورجل أكثرى أرضاً بذهب أو فضة) أخرجه النسائى وأبو داود بإسناد صحيح عن أبى رافع فى ص ٢٢٦ منه من سعد بن أبى وقاص بأن أصحاب المزارع فى زمن النبى

صلى الله عليه وسلم كانوا يسكرون مزارعهم بما يكون على السواقى وما سدد بالماء مما حول التبت فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختمصموا فى بعض ذلك فنهاهم أن يسكروا بذلك وقال اكروا بالذهب والفضة رواء أحمد وأبو داود والنسائى وما ورد من النهى المطلق عن المخابرة والمزارعة يحمل على ما فيه مفسدة كما بينته هذه الأحاديث أو يحمل على اجتنابها ندبا واستحبابا فقد جاء ما يدل على ذلك فروى عمر بن دينار قال قلت لرو

ت تركت المخابرة فانهم يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عنها فقال أن أعلمهم يعنى ابن عباس أخبرنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن ينهاها وقال لأن يمنع أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليها خراجا معلوما رواء أحمد والبخارى وابن ماجه وأبو داود وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحرم المزارعة ولكن أمر بأن يرفق بعضهم ببعض رواء الترمذى وصححه . وعن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كانت له أرض فليزرعها أو ليجرثها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه) أخرجاه وبالإجماع تجوز الإجارة ولا تجب الإعارة فعلم أنه أواد

الندب . ومن باب الإجارة ص ٢٤٨ من الجزء الخامس من نيل الأوطار : وعن أنس لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء فكانت الأنصار أهل الأرض والعقار فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم نصف ثمار أموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤنة - أخرجاه - قال البخارى وقال ابن عمر أعطى النبى صلى الله عليه وسلم خمير بالشرط فكان ذلك على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدر من خلافه عمر ولم يذكر أن أبى بكر وعمر جردا الإجارة بعد ما قبض النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الشوكانى وحديث أنس فيه دليل على جواز إجارة الأرض التى هى مملوكة لأفراد

قال الشوكانى وحديث أنس فيه دليل على جواز إجارة الأرض التى هى مملوكة لأفراد

أبو حنيفة لا بد من إذن الإمام وعن مالك يحتاج إلى إذن الإمام فيما قرب مما لأهل القرية إليه حاجة من مرعى ونحوه ويمثله قالت الهادية .

ومن باب النفاس شركاء في ثلاث وشرب الأرض العليا قبل السفلى إذا قل الماء أو اختلفوا فيه ص ٢٥٨ وما بعدها من نيل الأوطار . جزء خامس .

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يمتنع الماء والنار والكلاء) رواه ابن ماجه وعن أبي خراش عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلمون شركاء في ثلاثة الماء والكلاء والنار) رواه أحمد وأبو داود ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وزاد فيه وثمنه حرام .

وما سقناه من الأحاديث والآثار يدل أبلغ الدلالة على أن الأرض ومنافعها مملوكة للأفراد ينتفعون بها بكل وجوه الانتفاع يزدهونها أو يزرعون أو يعيرون حتى كان لم أن يعطلوها وإن كان ذلك مكروها لما ورد من النهي عن إضاعة المال . كان ذلك في عصر النبوة ووقع عليه إجماع الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار في جميع العصور .

محمد السادس

لأنصار كما هو نص الحديث) بنصف الثمرة الخارجة منها في كل عام .

ومن كتاب إحياء الموات ص ٢٥٥ وما بعدها من نيل الأوطار جزء خامس :

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) رواه أحمد والترمذي وصححه وفي لفظ : (أحاط حائطاً على أرض فهي له) رواه أحمد وأبو داود ولاحد مثله من رواية سمرة وعن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق) رواه أحمد وأبو داود والترمذي - قال العلماء - (والعرق الظالم من غرس ، أو زرع أو بنى أو حفر في أرض غيره بغير حق ولا شبهة) وعن أسير بن مفرس قال أنيت النبي فبايعته فقال : (من سبق إلى مالم يسبق إليه مسلم فهو له) قال : فخرج الناس يتعادون يتخاطون رواه أبو داود قال الشوكاني الأرض الميتة هي التي لم تعمر شبت عمارتها بالحياة وتعطيلها بالموت والإحياء أن يعمد شخص إلى أرض لم يتقدم ملك عليها لأحد فيحياها بالسقي أو الزرع أو الغرس ، أو البناء فتصير بذلك ملكاً كما يدل عليه أحاديث الباب وبه قال الجمهور وظاهر الأحاديث أنه يجوز الإحياء سواء كان بإذن الإمام أو بغير إذنه وقال

حق الفقراء في أموال الأغنياء

للأستاذ الدكتور إبراهيم اللبّان

التي استخدمتها الأديان السماوية كعلاج لهذه المشكلة عصوراً طويلة قبل ظهور الإسلام فهي على سبيل ما لم تستطع استئصال الفقر من جذوره بل لم تنهض بمجموع المعوزين إلى مستوى الحياة الإنسانية الكريمة ، نظراً لأن فكرة الإحسان لم ترتفع في عصر من عصورها إلى درجة الإلزام ، بل بقي الأمر فيها موكولاً إلى شعور الأغنياء في أداء ما يقضى به هذا الشعور حيال الفقراء وهو شعور يعارضه الحب الطبيعي للبال والنفور من بذله ، مما كان سبباً في عجز الإحسان عن النهوض بحل مشكلة الفقر ، فلما جاء الإسلام وفرض الزكاة ، حقاً ثابتاً لازم الأداء من أموال الأغنياء للفقراء اعتبر ذلك تطوراً في علاج مشكلة الفقر ، لوحظ فيه تلاقي أسباب النقص التي قعدت بالإحسان عن حلها ، فقد غدت الزكاة في المجتمع الإسلامي حقاً مطالباً به لأصحابه ، وأصبحت الدولة مسئولة عن تحصيله وتوزيعه ، وأصبح هذا الحق محمداً معلوماً . آثاره في علاج مشكلة الفقر ليست وقفنا على المسلمين بل تتعداهم إلى من يستظلون براية الحكم الإسلامي من غير المسلمين .

هذا البحث تقدم به سيادته لمؤتمر النجم في دورته الأولى ، وضع فيه موقف الإسلام من مشكلة الفقر والطريق الذي سلكه في علاجها ، ومدى ما كان لذلك من تأثير على تفكير الأمم الأخرى بالنسبة لعلاج هذه المشكلة في العصور التي تلت ظهور الإسلام إلى عصرنا الحاضر .

استهله ببيان نشأة مشكلة الفقر كنتيجة طبيعية لوجود طبقتين في المجتمع الإنساني ، أحدهما تحمياً في مجبوحة النعم ، والأخرى يكاد يقضى عليها شظف العيش ، الأمر الذي دفع الناس منذ أقدم العصور إلى التفكير في حل لهذه المشكلة كانت بعض صوره قاسية أما أغابها فكان يحمل طابعاً إنسانياً قوامه شعور الرحمة الذي لم يخلل ذمة الغنى من التطوع لانتشال الفقير من موة البؤس والفاقة ، إلى أن جاء الإسلام فطور هذا الحل بحيث جعل له من المقومات والأسس ما يكفل له النجاح في علاج هذه المشكلة .

ومما ذكره في توضيح ذلك قوله : إذا كانت كلمة التطور تعني الانتقال من حال إلى حال ، فلسكى تتصور تطوير الإسلام لعلاج مشكلة الفقر ، نبداً من فكرة الإحسان

رأس المال قلة وكثرة والدولة لا تملك رفع مقاديرها حتى تظل كما كانت على كفايتها في سد حاجات الفقراء المتطورة . كان لابد من التفكير في مورد آخر يساند الزكاة في مهمتها الاجتماعية . وخاصة بعد تدفق الأموال على كبريات المدن الإسلامية على أثر اتساع نطاق الفتح وظهور طبقة الأغنياء أصحاب الملايين في الوقت الذي لم يخل فيه المجتمع الإسلامي من طبقة أخرى لا يغطي دخلها كل حاجاتها . وتوجهت أنظار كثير من مفكرى المسلمين إلى أموال الأغنياء للأخذ منها زيادة على الزكاة القدر الذي يساعد على دفع غائلة الجوع والحرمان عن الفقراء بل رأى فريق منهم بزعامة أبي ذر الغفاري أن يؤخذ من هذا المال الزائد عن حاجة أصحابه لكي ينفق هذا القدر في سد حاجات الفقراء والمعوزين . وصدح أبو ذر بالدعوة لهذه الفكرة في خلافة عثمان بن عفان ، وبذل كل ما يملك من جهد في سبيل نشرها ، فاعتبرت دعوته لها أول حركة اشتراكية إسلامية . ثم جاء من بعده ابن حزم ، فحدد فكرتها تحديداً واضحاً بحيث جعلها صالحة لأن تكون تشريعاً منظماً قادراً على البقاء . واعتبر ذلك منه تشريعاً لضريبة الدخل في الإسلام

ثم عرض في كلامه لشخصية ابن حزم ومنهجه في البحث المتمعن عن منهج الفقهاء

ثم يبين أثر الزكاة في تطور التشريع الاشتراكي في الغرب ، فذكر أن الغربيين أدركوا عدم كفاية الإحسان في حل مشكلة الفقر وجرم التشريع الإسلامي للزكاة في مواردها ومصارفها ، فلجأوا إلى محاكاته ، بفرض ضريبة اجتماعية مقدرة على حسب المستويات تقوم الدولة على جبايتها وتوزيعها على المستحقين وتقوم هذه الضريبة على أساس الاعتراف بحق الفقراء في أموال الأغنياء ، وبمرور الزمن طورت فكرتها بظهور ضريبة الدخل بمعناها الواسع وقدرتها على مجابهة جرثومة الفقر ، فهذا التشريع الضريبي الذي ظهر في بريطانيا وتجاوز حدودها حتى وصل إلى أمريكا والذي يبدو في أساسه الاقتباس من تشريع الزكاة الإسلامي ، يمكننا القول بأن فرض الزكاة في الإسلام لم يكن تشريعاً خاصاً وإنما كان تشريعاً لتطوير الأوضاع الاجتماعية التي تتصل بالفقر في محيط الإنسانية ، ظهر في البيئة الإسلامية ثم لم يلبث أن تخطاها إلى العالم بأسره فأضاء نوره للفكرين الطريق إلى الأوضاع الاشتراكية الحديثة ، وبذا يكون الإسلام قد أحدث ثورة اشتراكية كبرى تأسس بها كثير من أمم الأرض في علاج مشكلة الفقر .

وتسلك عن ضريبة الدخل في الإسلام . فذكر أن الزكاة لما كانت محدودة ترتبط بمقدار

ولذلك نصوص هذه الأدلة من الكتاب والسنة والآثار مع تعقيب السيد الباحث عليها ورأيه في التجديد الذي أتى به ابن حزم وأثر هذا التجديد في العصر الحاضر . ثم النتيجة التي انتهى إليها في بحثه من أن الضريبة التي تلجأ إليها الدولة لمكافحة الفقر وتوفير المال اللازم للخدمات الاجتماعية ، تعتبر ضريبة إسلامية ، مكملة للزكاة في سد حاجات الفقراء المتنوعة . وفرض هذه الضريبة وتحصيلها من صميم دعوة ابن حزم التجديدية .

المؤلف :

ويمكن أن تنقسم الأدلة التي استند إليها ابن حزم إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : الأدلة المستمدة من الكتاب والسنة .

والثاني : الآثار المروية عن كبار الصحابة والتابعين الذين يرون هذا الرأي .

الكتاب الكريم :

يقول ابن حزم مستنداً على صحة رأيه السابق الذكر : (رمان ذلك قول الله تعالى : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ») .

وقال تعالى : « وبالوالدين إحساناً وبذي القربى والجار الجنب والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والمساكين وابن السبيل » .

فأوجب الله حق المساكين وابن السبيل وما ملكك اليقين مع ذي القربى .

الآخرين بفهمه للنصوص في حدود الطاقات الإنسانية لأنه يرى أن هذه النصوص ما جاءت إلا لتنظيم الحياة الإنسانية ، وهو حين يقرأ النص لاستخلاص حكمه تكون عينه مفتوحة على ما تعج به البيئة الإنسانية من فقر وبؤس أو غنى ويسر وغير ذلك مما له ارتباط بهذا النص . وفي ضوء هذا المنهج كانت محاولته إيجاد حل إسلامي يقضى هاتين هلي مشكلة الفقر . فعمد إلى تحديد مظاهر هذه المشكلة وحصرها في الجوع والعري وفقد المساوى (واصل عصر مستواه) .

ثم استخلص من النصوص تشريعاً يجبي بمقتضاه من أموال الأغنياء فوق الزكاة ما يساعد على اختفاء هذه المظاهر من حياة المجتمع . وجعل تنفيذ هذا من الواجبات التي تضطلع بها الدولة بحيث يصبح من مهمتها في الإسلام :

- ١ — توفير الغذاء الكافي للفقير .
- ٢ — تحقيق المسكن الضروري له .
- ٣ — ضمان حصوله على اللباس الذي يقيه برد الشتاء وحرارة الصيف . وقد أحاط هذا التشريع بكل ما يكفل له النجاح من إلقاء تبعة تنفيذه على الدولة ومن تحديد موارده المالى وأبواب إنفاقه . ثم تقدم به في شجاعة لا تتألى بما كان متوارثاً من أنه لا يجب في مال الأغنياء حق سوى ما أوجبه الزكاة . وأيده بالأدلة التي تثبت صحته ، فهو قبل كل شيء فقيه ومحدث .

ثم يروى مرة أخرى عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) .

قال أبو سعيد الخدري فذكر من أضعاف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لاحق لاحد منافي فضل .

ويعقب ابن حزم على هذا بقوله : (وهذا إجماع من الصحابة ينجر بذلك أبو سعيد) . ثم يردف مطلقاً فيقول : (وبكل ما في هذا الخبر نقول) .

ولا بد لنا هنا أن نذكر أنفسنا بحقيقة هامة لا بد منها لفهم روح ابن حزم لم يهمل الجو العام الذي تولده الأحاديث والآيات القرآنية ، بل ربما كان هذا الجو العام هو المؤتمر الأول في تفكيره والعمل الآسئ فيه . فالواقع أن مجموع الآيات والأحاديث إذا ضم بعضها إلى بعض تلتقى في روح من يقبها أن واجب المسلم أن يساهم بكل ما يستطيع في تقديم ما لا بد منه لإنقاذ أخيه من حياة الفقر والعوز وتمكينه من الحياة الإنسانية الكريمة .

الآثار :

لهذا النوع من الأدلة قيمة خاصة بالنسبة لنظرية ابن حزم فـمـ ويدل على أن ابن حزم

وافترض الإحسان إلى الأيوين وذى القربى والمساكين والجار وما ملكك اليمين - والإحسان يفترض كل ما ذكرناه . ومنعه إساءة بلا شك .

وقال تعالى : د ما سلكتكم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، . فقرن تعالى طعام المسكين بوجوب الصلاة .

وينبغي أن تنبه إلى أسلوب ابن حزم في فهم الكتاب والسنة فهو لا يقبل الفهم الضيق ويصر على أن نفهم الكتاب والسنة فهما متحرراً غير مثقل بالقيود والشروط التي قد تضيق الأفق وتخفي روح الشريعة أو تحول دون تحقيق مقاصدها

وبهذه الروح يتجه ابن حزم إلى الحديث يستخلص منه الأدلة التي تظاهر دلالة الكتاب الكريم .

السنة :

يروى ابن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من لا يرحم لا يرحم) ويعقب على هذا بقوله : (ومن كان على فضلة من المال ورأى أخاه جائعاً هريان ضائعاً فلم يغثه فإرحمه بلا شك) .

ويروى أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم أخو المسلم لا يظله ولا يسله) ، ويقول معلقاً على هذا : (من تركه يجوع ويعرى - وهو قادر على إطعامه وكسوته - فقد أسله) .

ابن حزم يورد بعدما رأيا مفصلا يحدد
المقدار الواجب والغاية التي يستخدم فيها
وصاحب الرأي هو علي بن أبي طالب رضي
الله عنه فقد روى عنه ابن حزم أنه قال :
(إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر
ما يسكنى الفقراء فإن جاعوا أو هــروا
فيمنع الأغنياء حق على الله أن يحاسبهم
يوم القيامة ويعذبهم عليه) .

المال المفروض إذن هو ما يكتفي الفقراء
لا الزكاة وحدها والذي يكتفي الفقراء يتناول
ما يسد حاجة الجوع والعري ويوفر لهم
الغذاء والكساء .

هذا هو الرأي الذي يقرره ابن حزم
وابن حزم في الواقع لم يقرر إلا ما قرره
على بن أبي طالب ولم يزد على بن أبي طالب
عما روى عن غيره إلا التفصيلات التي لم
تظهر في كلامهم ، أما المبدأ العام فمشارك
بين الجميع .

قيمة هذا التجديد :

وتظهر قيمة هذا التجديد إذا فكرنا في الهدف الذي ترمى إليه شريعة الزكاة وفي مدى ما تستطيع أن تحققه الزكاة من هذا الهدف .

واعلم من الواضح أن الزكاة شريعة اجتماعية يقصد بها القضاء على الفقر وشروحه في المجتمع الإسلامي .

لم ينفرد برأيه أن في حق الفقراء في أموال الأغنياء يتجاوز حدود الزكاة وأنه (بعد استنفاد الزكاة) يشمل كل المال الضروري لرد عادية الفقر عن المسلمين بل الواقع أن ابن حزم إنما بنى على أساس وضع في عهد الصحابة والتابعين وأثره في الأمر لا يعدو التفريع والتحديد والتدعيم .

ولن نورد هذه الآثار كلها وإنما نجتزئ
منها بما له أثر بين تدعيم هذه النظرية
وتوضيح معالمها .

وأول ما ينبغي أن نلاحظه أن بعض هذه الآثار يقرر المبدأ في صورة بحجة فقد روى ابن حزم عن ابن عمر أنه قال : (في مالك حق - سوى الزكاة) ، ثم قال (وصح عن الشعبي ومجاهد وطاوس وغيرهم كلهم يقول في المال حق سوى الزكاة) ثم أردف هذا بقوله : (ما نعلم عن أحد منهم خلاف هذا إلا عن الضحاك ابن مزاحم فإنه قال : (نسخت الزكاة كل حق في المال) .

ثم أعرّب ابن حزم عن رأيه في الضحاك فقال :
وما رواية الضحاك بحجة فكيف رأيه .

ولا ينبغي أن يفوتنا أن نلاحظ أن بين هذه الأسماء صحابياً جليلاً وهو ابن عمر وبقيتهم من التابعين .

وهذه الآراء كلها بحجة كما قلنا من قبل
فهي تقرر المبدأ في صورته العامة ولكن

والغرض حتى يستطيع أن يواجه جميع الظروف وبكف للفقراء صد حاجاتهم الضرورية ولا يعجز عن الوفاء بها إذا ما زاد عدد الفقراء في المجتمع . يجب في الواقع أن تقدر هذه الضريبة الجديدة على أساس إحصاء الفقراء وتحديد احتياجاتهم وتقدير قيمتها المالية حتى تستطيع الضريبة الجديدة منضمة إلى حصيللة الزكاة أن تسد حاجات جميع الفقراء في المجتمع كله .

وهذا في الواقع هو أساس هذه الفكرة التي ظهرت في عهد الصحابة والتابعين ثم تبناها بعد ذلك ابن حزم فالقصور تأسيس ضريبة مرنة تنضم إلى الزكاة وتعاون معها على تحقيق الهدف الإسلامي العظيم وهو محو الفقر من المجتمع .

مغزى هذه الفكرة في العصر الحاضر .

يجب أن نلاحظ أن ابن حزم لم يرد على أن قرر أن الحاكم بل عليه أن يضرب ضريبة أخرى غير الزكاة تتعاون وإياها على محو الفقر . ولكن ابن حزم لم يبين لنا كيف تضرب هذه الضريبة فهل تضرب على رأس المال كالزكاة أم تضرب على نحو آخر .

والذي يبدو لنا أن المهم هو ضرب الضريبة لتحقيق الهدف أما طريقة فرضها على الأغنياء فأمر ثانوي وليس ثمة ما يمنع من ضربها على الأرباح ما دامت حصيلتها كافية لتحقيق الغرض . وطبيعي أن تدرج صاعدة مع مقدار الربح .

ولكن هل تستطيع الزكاة وحدها في كل الظروف والأحوال أن تقضى على الفقر . وهل في طبيعتها ما يكفل ذلك . وإذا كانت تعجز في بعض الظروف عن الوفاء بهذه المهمة فهل في الشريعة الإسلامية وسيلة أخرى تساعد على ذلك وتتم عمل الزكاة في هذا الميدان ؟

والحقيقة الواضحة أن الزكاة وإن كانت تهدف إلى مكافحة الفقر فإن مقاديرها لم تقم على هذا الأساس مباشرة . فالزكاة الواجبة لا تحدد على أساس حصر الفقراء وتقدير احتياجاتهم ثم تحصيل ما يسد هذه الحاجات ولكنها وضعت على أساس آخر . فهي نسبة معينة من رأس المال تزيد إذا زاد رأس المال الذي تجب عليه الزكاة وتنقص إذا نقص . دون انحاء مباشرة إلى توفير المقدار الدقيق الذي قد يحتاج إليه الفقراء ، ومن ثم كان من المتوقع أن تجد أحوال لا تفي فيها الزكاة بكل حاجات الفقراء وإذا تذكرنا أن هدف الشريعة في هذا الميدان هو محو الفقر والعوز من المجتمع كان من الطبيعي أن تتوقع أن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تقف فيما تفرضه للفقراء عند حد الزكاة . فمعضلة الفقر تحتاج إلى مورد آخر متمم للزكاة ومعين لها على أداء مهمتها .

وواضح أن هذا المورد الذي يلخبط حدود الزكاة يجب أن يكون مرنا قابلا للزيادة

وفي هذه الحالة تتكون هذه الضريبة المتحدة
الغرض من قسمين .

القسم الأول الزكاة :

والقسم الثاني ضريبة الدخل المتبعة لها .
وغنى عن البيان أن هذا يتطلب العودة
إلى الوضع الأساسى الأصلى وهو أن تجبى
الدولة الزكاة وتقوم بتوزيعها على المستحقين .
ابن حزم والعصر الحاضر

ونحب أن نختم كلمتنا هذه بملاحظة خاصة
عن مستوى الحياة الذى اقترحه ابن حزم
فقد وضعه تحت تأثير الجو الفكرى للعصر
الذى كان يعيش فيه ، وقد تغيرت الأفكار
الآن بالنسبة لمستوى الحياة الضرورى الذى
يجب أن يبلغه كل فرد فى المجتمع فأتسع مداه
وانفسح مجاله ، وأصبح يشمل عناصر أخرى
كانت من قبل تعد من الكماليات فصارت
تحتسب الآن من الضروريات ، وذلك كالتعليم
والعلاج وغيرهما فمن الخير أن ندخل كل
ذلك فى نطاق مستوى الحياة الذى تطلبه الفقير
فى العصر الحاضر ، وأن نقدر ضريبة الدخل
الإسلامية على أساس هذا المستوى الجديد ،
وبهذا نصل إلى حل إسلامى لمعضلة الفقر
أسمى مما وصل إليه التفكير للحل فى أمريكا
وأوروبا فى الوقت الحاضر .

ابراهيم الدياب

عضو مجمع البحوث

وقد آن لنا هذا أن نكشف الستار عن
طبيعة النتيجة التى انتهى إليها البحث . وهذه
النتيجة هى أن الطريقة الحديثة التى تلجأ إلى
ضريبة الدخل لمساخنة الفقر والقيام بالخدمات
الاجتماعية المختلفة هى طريقة إسلامية . فإنها
هى الطريقة التى نادى بها ابن حزم منذ عهد
بعيد ومرة أخرى ضريبة الدخل التى تعرض
لمساخنة الفقر والقيام بالخدمات الاجتماعية هى
صميم دعوة ابن حزم ودعوته التجديدية .

تبقى بعد ذلك نقطة هامة تتصل بطريقة
تقدير هذه الضريبة ليست ضريبة مستقلة
ولكنها ضريبة تكملية تسد النقص الذى
يتخلف عن ضريبة الزكاة ، ومن ثم كان من
الطبيعى أن نتساءل كيف تقدر ؟ .
والذى يبدو أن الوضع الإسلامى
والمعقول هو :

١ — أن نبداً فنقدر تقديراً إجماعياً عدد
الفقراء وحاجاتهم .

٢ — ثم نقدر قيمة الزكاة الواجبة على
المسلمين فى المجتمع ونوازن بينها وبين قيمة
احتياجات الطبقة الفقيرة .

٣ — تحدد ضريبة الدخل الإسلامية
على أساس الفرق بين قيمة الزكاة وقيمة
احتياجات الطبقة الفقيرة .

وربما كان من الخير أن توضع ضريبة
واحدة للقيام بحاجات الفقراء وخدماتهم .

الملكية الفردية وتحديداتها في الإسلام

للاستاذ علي الخفيف

للناس أن يملكوا ما وسعهم أن يملكوا وأن يمتصوا في تملكهم الأموال إلى حيث يشاءون ما دام ذلك في غير ما حرم الله لأن ذلك هو ما يتفق مع ميوهم التي يجب أن يحسب لها حسابها في إقامة نظام المجتمع ومع مصلحة الجماعة في إغراء أفرادها على بذل أقصى جهودهم لتحسين أحوالهم وتنمية أموالهم وفي ذلك صلاح المجتمع وثراؤه — ولذا كان لهم الخيرة في مقدار ما يملكون — ولقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان واسع الثراء إلى درجة تجاوزت ثراء غيرهم من الصحابة بمسافات بعيدة ومقادير كبيرة ولم تكن ثرواتهم هذه مع عظمتها مثار إنكار عليهم من الرسول صلى الله عليه وسلم أو من أصحابه ولا مصدرا لاتهمهم بأنهم قد خالفوا عن أمر الله تعالى وعن هؤلاء : عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان بن عفان وغيرهم — ولقد يرى في حديث القرآن الحكيم عن المهر في قوله تعالى : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحداهن قطارا

تغيير الملكية الفردية وتحريرها : إن حب التملك والرغبة فيه غريزة فطر الإنسان عليها وهي في قوتها واندفاعها تفوق غيرها من الغرائز إلا غريزة حب البقاء والحياة وسر الحركة الدائبة في هذه الحياة ومصدر النشاط الذي تتمثل فيه صورة الوجود وبه قيامه وهي القوة الدافعة في كل ميدان من ميادين الفكر والعمل إلى حيث الأمل المرجو والغاية المطلوبة والإنسان مطبوع على الاستجابة لغرائزه وإشباعها بالعمل لها والحصول على ما يرغب فيه ولذلك يرى كادحا ساعيا إلى جمع المال — والاستكثار منه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو كان لابن آدم واديان من المال لا يفتي ثلثا ولا يملا جوف ابن آدم ، إلا التراب) رواه مسلم ج ٣ ص ٩٩ ويقول : (يهرم ابن آدم وتشب معه اثنتان : الحرص على المال والحرص على العمر) رواه مسلم ج ٣ ص ٩٩ وإلى هذا لا يرى في كتاب الله ولا في سنة رسوله ما يدل على تقييد الملكية الفردية بمحد تنهى إليه فلا تتجاوز بل أباح

وتكاثر في الأموال والأولاد ، الحديد .
ويقول : د زين للناس حب الشهوات من
النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث
ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن
المآب ، (آل عمران) ، ويقول : د أنما
أموالكم وأولادكم فتنة ، (التغابن ١٥) ،
وتكاد تكون غريزة حب التملك وراء كل
بني وعدوان فيما بين الأفراد والأمم فما
رأينا أكثر الخصومات بين الأفراد إلا نتيجة
خلاف على مال أو نزاع فيه وما كانت الحروب
هذه القدم في غالب الأحوال إلا طلبا لزيادة
التملك وسعة الملك والثراء .

هذا وليست الحاجات العارضة من مطالب
الإنسان في نطاق ما يقيم به حياته من طعام
ونحوه هي التي تغري الإنسان وحدها بطلب
المال والاستكثار منه بل وراء ذلك آمال
وأحلام تمحיש بها الصدور وتنحس إليها
الأنظار ويدفع إليها حب التنافس والتفاخر
تلك أحلام التعالي وأمانى السيادة والسلطان
ومطالبها لا تنتهى وفي سبيلها تهون الصعاب ،
والبسكية الفردية سيئات عديدة تنظمها
الأحوال الآتية :

الحال الأول : أن تجمع الأموال لا لإنفاقها
في سبيلها المشروعة ، بل تضن بها النفوس
ويقبض أربابها أيديهم أن ينفقوا منها في سبيل

فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتاناً وإثماً
مبيناً ، (النساء ٢٠) إشارة إلى إباحة التملك
لا إلى حد لانه إذا جاز أن يكون المهر
يصدقه الزوج لزوجته فقطارا فكيف يكون
مقدار ثروته وقد كانت هذه الإباحة متسقة
مع النظام القائم المنتشر في المجتمعات يوم
ظهور الإسلام ولا تتعارض والإصلاح
المأمول والتطور المنتظر .

هذا والبال مغافحه التي لا تخفى في إقامة حياة
الإنسان وحياة أسرته وتوفر هذه وسعادتهم
وإنفاقه في سبيل الخير المتعددة المحتاجة وله آثامه
في اكتنازه مع الشح به وفي إتهاقه في مطالب
الهوى والشهوات وبجالي الترف والفسوق
ومظاهر العلو والتفاخر والطغيان وهو مع
ذلك أداة طيعة خاضعة لمشئته الإنسان إن شاء
كان له نعمة وفضلا ينال به الطيبات ويبني به
الدار الآخرة دون أن ينسى نصيبه من الدنيا
وإن شاء كان نقمة يبغى بها الفساد في الأرض
ويبغى فيها على قومه وعلى نفسه غير أن ميل
النفوس إلى رغائبها ولذاتها أشد وتوليها
إلى هذه الوجهة أقوى فكانت كثرة الأموال
أقرب أن تتخذ وسيلة إلى الآثام منها
إلى المنفعة والخير العام لئلا الله تعالى :

د كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ،
سورة اقرأ ويقول : د اعلوا أنما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم

الخير فلا يكون فيها مواساة فقير ولا سد حاجة محتاج ولا صلة لقريب ولا تفريج لكربه ولا مساهمة في عمل بر فيتحلوا بها على الناس أو عليهم وعلى أنفسهم وفي مثل هذه الحال يقول الله تعالى : «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» (التوبة ص ٣٥) .

وأرباب هذه الأموال هم البغيضون المعقوتون تسلفهم الناس بالسنة حداد فبدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر . وربما أدى ذلك إلى الثورة عليهم فسلبهم الناس أموالهم وأذاقوهم حنتهم .

الحال الثانية : — أن يكون المال وسيلة إلى تلويث صاحبه وتدنيس نفسه إذا ما مد له في ملكه فاستكفر منه واتخذ وسيلة لنيل مآربه وملذاته وشهواته ومظاهر ترفه ولهو وشيوع مثل هذا في الأمة يمزق وحدتها ويوهن قوتها وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذا أردنا أن نملك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الإسراء ص ١٦) .

الحالة الثالثة — أن يسمى المالك استعمال حقوقه فيما يملك فيجاوز فيها الاستعمال

المشروع تجاوزا يضر بغيره أو يكون من نتائج استعماله ضرر ظاهر بغيره حين يكون له من ذلك منجاة وسعة إذ لم يكن استعماله لحقه بالأمر الضروري له الفنى ليس له منه بد في سبيل منفعة مشروعة مطلوبة له في تركها ضرر يفوق ما يلحق غيره من ضرر .

الحال الرابعة — أن يسوء توزيع الثروة العامة فتحثاز الأموال ويختص بوافر الثراء فئة قليلة من الأمة دون باقي فئاتها فتتقسم الأمة طبقات متباغضة متنافرة متحاسدة يشيع فيها الاضطراب والتفرق والفساد فتشتعل نيران الفتن والثورات فيها ولقد راعى الإسلام ما للملكية الفردية من هذه المساوئ والأضرار إذا لم يكن للخلق الوشيد والضمير الخالص عليها قيام يخفف من سيئاتها وحده من غلواتها بما شرع لها من تنظيم ووضع لها من قواعد وأسباب تقوم عليها نشأتها واستقرارها واستثمارها واستعمالها وتوجيهها وجهة صالحة تنفي خبثها وتزكي آثارها وينعم الناس بشمراتها — وبما قيدها به من قيود ووضع لها من أغلال تحول بينها وبين سوء استعمال وآثارها وحقوقها نفذى إلى الحد من تعظيمها وبما حملها من حقوق لتسكين النفوس الشائرة وكبت الرغبات الحاقدة وتوجيهها وجهة الخير والمصلحة الجماعية .

منفعة يستغل بها غيره ضرب الشارع على يديه وبناء على ذلك منع احتكار الطعام وما في معناه ومنع رفع أثمان الضروريات إلى حد إرهاب الناس فلا يجوز مجاوزتها حدود الاعتدال في الربح وذلك بقسعرها بالسعر الذي لا يضر ويحقق الربح المعتدل المعروف بين الناس على ما يراه كثير من العقهاء كما منع مالك العقار أن يتصرف فيه تصرفاً يؤذي جاره ويضره ضرراً فاحشاً وأن يأبى عليه أن ينتفع بعقاره بما جرى به عرف الناس من غير ضرر به وكذلك منع المالك السلاح أن يبيعه لأهل البغي والفساد والفتنة ومنع الموصى في ماله أن يضر بوصية وراثته وهكذا وبناء على ذلك قرر المبدأ القاضى بمنع صاحب الحق من إساءة استعمال حقه .

ومن أدل الآثار على ذلك ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره) رواه أحمد وابن ماجه وما روى من قضاء عمر للضحاك بن خليفة الأنصارى بامداد الخليلج في أرض محمد بن مسلمة وذلك حين أراد الضحاك أن يشرع خليجاً من القرية « واد بالمدينة » إلى أرضه لتروى منه فلم يقدر إلا أن يمر في أرض محمد بن مسلمة فأبى عليه محمد ذلك فقال له الضحاك لا تمنعني وهو لك منهجة تشرب منه

ففي سبيل نشأتها واستقرارها واستثمارها بين أسباب اكتسابها واستثمارها واستعمالها على التراضي ومنها أن تقوم على باطل أو خداع أو غرر أو تدليس وأن يكون منها اعتصاب أو سلب أو أكل مال بلا عوض لاعن طيب نفس حتى لا يكون منها ما كان عن إكراه أو استغلال لضرورة محتاج أو ضعف عقل وتمييز وفي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه » « البقرة ٢٦٧ » دلالة على وجوب تجنب الملكية كل ما فيه خبث يرجع إلى طريقة تملكه أو إلى فساد فيه إذ أن غاية الاتفاق منها وإذا امتنعت الغاية وحرمت لم يكن للوسيلة محل ولا اعتبار .

هذا وفي تحديد وسائل اكتسابها وسلامتها على الوضع الذي شرعه الإسلام حائل دون تضخم الثروات عادة إلا ببطء فلا تقسع الفوارق فيها بين الأفراد إلا قليلاً وفي سبيل الحيلولة دون إساءة استعمالها قيدها بعدم الإضرار بالناس كافة وهدم الإضرار بالأفراد كالجار وغيره إلا إذا كان الضرر أقل مما يصيب المالك من منعه وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) رواه أحمد وابن ماجه وعلى ذلك إذا ابتغى المالك بملكه

أولا وأخرا ولا يضرك فأصر على إباته فرفع الضحك أمره إلى عمر رضى الله عنه فدها محمد ابن مسلمة فسلمه وأمره أن ينخل سبيل ابن عمه يمر الماء فأبى فقال له عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهولك نافع تسقى أولا وأخرا وهو لا يضرك؟ فقال محمد لا والله فقال عمر والله ليمرن ولو هلى بطنك وأمر عمر الضحك أن يمر به ففعل (الموطأ ج ٦ ص ٤٧ والخراج ليعحي بن آدم (١١١) وبمثل ذلك قضى عمر أيضا لعبد الرحمن ابن عوف فقد روى عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه أنه كان في حائط جده وبيع «ساقية» لعبد الرحمن بن عوف فأراد عبد الرحمن بن عوف أن يحوله إلى ناحية من الحائط هى أقرب إلى أرضه ففعله صاحب الحائط فسلمه عبد الرحمن بن عوف عمر في ذلك فقضى لعبد الرحمن بتحويله غير أنه بمنع صاحب الحائط ، للبستان ، إذ لم يرد بمنعه إلا الضرر «الموطأ ج ٦ ص ٤٧» .

وفي سبيل الحد من ضخامتها وتسكين النفوس الحاقدة الشائرة لحرمانها والرغبات الطامعة المتطلعة إليها أوجب الصدقات والصلوات فجعل منها ما هو واجب في المال ومنها ما هو أمر مرغوب حض عليه ولم يصل به إلى مستوى الأسر الواجب المفروض - ففرض الزكاة وجعلها ركنا من أركان الدين وأوجبها في النعم السائمة وفي الذهب والفضة وفي أموال التجارة على اختلاف أنواعها عقارا كانت

أم منقولا وفي الثمار والزرع وأوجب الخس في الغنائم والإتفاق على الأهل والولد وذرى القرى وأوجب الخراج على الأرض الخراجية وأوجب المساهمة في نفقات ما يعرض للأمة من ضرورات وما ينزل بها من نوازل وما تتطلبه من مصالح وما يجب لها من عده للدفاع أو لحفظ الأمن والنظام والمساهمة في إطعام الجائع وإغاثة الملهوف وفك الأسير وعلاج المرضى من الفقراء المعوزين إذ لم يكن في بيت المال ما يكفي لذلك وقد أشهر إلى هذا في قوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة) «البقرة ١٧٧» وكذلك أوجب قرى الضيف عند الحاجة على ما ذهب إليه بعض الفقهاء لآثار وردت في ذلك «المحلى ج ٩ ص ١٧٤» ، وإلى ذلك كله حض على التصديق والإتفاق في سبيل الله وكانت آيات القرآن في هذه الفضيلة كثيرة العدد مختلفة الأساليب فمنها آيات آمرة مثل قوله تعالى: (أو نفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) «البقرة ١٩٥» وآيات مرغبة مثل قوله تعالى: (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) «التوبة ٣٦» ومثل قوله: (قلوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين)

أولا وأخرا ولا يضرك فأصر على إباته فرفع الضحك أمره إلى عمر رضى الله عنه فدها محمد ابن مسلمة فسلمه وأمره أن ينخل سبيل ابن عمه يمر الماء فأبى فقال له عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهولك نافع تسقى أولا وأخرا وهو لا يضرك؟ فقال محمد لا والله فقال عمر والله ليمرن ولو هلى بطنك وأمر عمر الضحك أن يمر به ففعل (الموطأ ج ٦ ص ٤٧ والخراج ليعحي بن آدم (١١١) وبمثل ذلك قضى عمر أيضا لعبد الرحمن ابن عوف فقد روى عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه أنه كان في حائط جده وبيع «ساقية» لعبد الرحمن بن عوف فأراد عبد الرحمن بن عوف أن يحوله إلى ناحية من الحائط هى أقرب إلى أرضه ففعله صاحب الحائط فسلمه عبد الرحمن بن عوف عمر في ذلك فقضى لعبد الرحمن بتحويله غير أنه بمنع صاحب الحائط ، للبستان ، إذ لم يرد بمنعه إلا الضرر «الموطأ ج ٦ ص ٤٧» .

وفي سبيل الحد من ضخامتها وتسكين النفوس الحاقدة الشائرة لحرمانها والرغبات الطامعة المتطلعة إليها أوجب الصدقات والصلوات فجعل منها ما هو واجب في المال ومنها ما هو أمر مرغوب حض عليه ولم يصل به إلى مستوى الأسر الواجب المفروض - ففرض الزكاة وجعلها ركنا من أركان الدين وأوجبها في النعم السائمة وفي الذهب والفضة وفي أموال التجارة على اختلاف أنواعها عقارا كانت

(المسألة ٤٤) إلى غير ذلك من الأساليب .
 ذلك ما يرجع إلى ما جاء به الكتاب العزيز
 أما ما جاء في السنة فهو من الكثرة بحيث
 أن نشير إلى مثل قوله صلى الله عليه وسلم
 (يقول العبد مالى مالى وإنما له من ماله ما أكل
 فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأفنى وما سوى
 ذلك فذاهب وقاركة للناس) رواه مسلم .
 وعلى الجلة فتوجيه الإسلام في ذلك يرى إلى
 عدم ترغيب الناس في اكتناز المال وحبسه
 وإلى أن الحخير لهم في إنفاقه في سبيل الله
 وفي ذلك ما رواه أبو ذر إذ يقول (خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً نحو أحد
 وأنا معه فقال : يا أبا ذر قلت : لبيك
 يا رسول الله فقال : ألا كثرون هم الأفلون
 يوم القيامة إلا من قال كذا وكذا عن يمينه
 وعن شماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال
 يا أبا ذر ، قلت : نعم يا رسول الله بأبي
 أنت وأمي ، فقال : ما يسرني أن لي مثل أحد
 ذهباً أنفقته في سبيل الله ، أموت وأترك
 منه قيراطين قلت : أو قنطارين يا رسول الله
 قال : بل قيراطين . ثم قال : يا أبا ذر أنت
 تريد الأكل وأنا أريد الأقل) . رواه
 الشيخان : وهذا عندما يكون الاتفاق حال
 الحياة . أما فيما يوصى به الإنسان بعد الوفاة
 فإن الخير له أن يبقى من أمواله لورثته ما يدفع
 عنهم أن يكونوا عالة على غيرهم . وفي ذلك
 يقول صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص

وهو مريض يريد الوصية : (الثلث والثلث
 كثير . إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير
 من أن تتركهم عالة يتكففون الناس) رواه
 الشيخان ومما تقدم يرى أن الشارع حين أقر
 الملكية الفردية لم يقرها مطلقة في آثارها
 بل أقرها مقيدة بقيود عديدة أريد
 بها تخليصها من شرورها وأخبائها وتوجيهها
 الوجهة السليمة التي تعطي معها فتكون خيراً
 محصاً لصاحبها وصالحاً لمجتمعها . وذلك
 ما يتسق مع ما قدمناه من أنها نوع من
 الخلافة يقوم فيها الفرد خليفة عن مجتمعه
 أو عن الله سبحانه وتعالى وذلك ما يستوجب
 مساءلته مساءلة الوكيل أمام موكله وإلزامه
 بألا يحيد عما قيد به وعما أوجبه عليه من
 واجبات أراد بها الخير لخلق الله والصالح لهم
 وذلك هدف الشريعة وغايتها كما يدل على ذلك
 مثل قوله تعالى : **ديريد الله بكم اليسر ولا يريد
 بكم العسر** ، (البقرة ١٧٥) وقوله تعالى :
**وما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن
 يريد ليطهركم . وليتم نعمته عليكم ولعلكم
 تشكرون** ، المائدة ١ وقوله تعالى قل إنما حرم
 ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم
 والبغى بغير الحق ، (الأعراف ٣٣) ولهذا
 الغرض قيدت الملكية الفردية لتخلص من
 آثارها وسيئاتها وينعم الناس بخيرها .
 (للبحث ببقية)

على التحفيف

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده
الاستغلال الحلال للمال

- ١٠ -

بيان ذلك في مقال سابق ، وهذا يستتبع أن تكون حرية التصرف فيه بالقدر المناسب الذي لا ينشأ عنه ضرر أو ضرار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار ، وقامت أحكام الإسلام كلها على هذه القاعدة الشرعية العامة المرعية ، ومن ثم كان حق الشفعة وحق الارتفاق ، وحق الفقراء في أموال الأغنياء ، وحق ولي الأمر في أن يفرض من الضرائب ما شاء ليحقق بها مصلحة عامة ، أو يسد بها حاجة مهمة للأمة كان ذلك كله ، وما إليه من مظاهر النسبية في الملكية الفردية ، والنسبية في حرية تصرف المالك ، ومعنى ذلك بعبارة أوضح أن الملكية الفردية ليست مطلقة ، وأن حرية تصرف المالك فيما يملك ليست مطلقة ، وعلى هذا الأساس كان استغلال المال محدودا بالحلال ، ومعناه أن يكون بالطرق التي أحياها الله وبينها كتابه وسنة رسوله :

معنى استغلال المال استخدامه فيما يعود على صاحبه بالفعة ، وهي المنفعة أو الثمرة أو الأجرة ، وحق المالك أن يستغل ماله وينمي به بالطرق التي يرى فيها مصلحته مادامت لا تتعارض مع المصالح العامة ، ولا تؤدي إلى ضرر يحيق بغيره ، ولا تنحرف به أو ينحرف بها إلى مآثم أو محرم ، لأن حرية تصرف المالك فيما يملك هي معنى الملكية أو النتيجة الطبيعية لمعنى الملكية ، ولكن الحرية لا يقصد بها السفه أو البله أو إطلاق العنان لنزوات الشيطان ، أو تعدى حدود التقصد إلى البخل والطغيان ، ولهذا أمر الله بالحجر على السفهاء كما يفهم من قوله تعالى : « ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » وذكر أن المبذرين كما يقول سبحانه « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » .

١ - فالتجارة طريق مشروع من طرق الاستغلال الحلال كما يفهم من قول النبي

ثم إن ملكية الإنسان للمال إنما هي ملكية نسبية ناقصة لا ملكية حقيقية تامة كما سبق

كل منهما في الربح والخسارة ، النصف أو الثلث أو الربع أو أقل من ذلك أو أكثر أما الاتفاق على نصيب محدد مضمون لصاحب المال لا يزيد بزيادة الربح ولا ينقص بنقصه ولا يتحمل المال نصيبه في الخسارة إن أصيب المشروع بخسارة ، فهذا مما لا يبيحه الإسلام بل يجعل هذا النوع من الاستغلال الحرام ولا شك أن استغلال المال في هذا النوع السليم من المعاملة يفتح له مجالات واسعة ، في شركات الأسهم المتنوعة .

٣ — وإذا كان المال أرضا زراعية فلصاحبه أن يستغله بعدة طرق ، كأن يتعهدها بنفسه فيصلحها ويجلب الماء إليها ، ويتولى زرعها وسقيها ورعايتها حتى تخصب وتؤتي أكلها ، وله أن يعطيها لمن يزرعها بآلته وبذره وحيوانه على أن يكون له نسبة مما يخرج منها كالنصف أو الثلث أو الربع حسبما ينمقد عليه اتفاقهما ، وهذا النوع من الاستغلال يسمى مزارعة أو مساقاة أو مخابرة ، والأصل فيه عمل النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين ، فقد عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من زرع وثمر ثم عمل به الخلفاء الراشدون من بعده وعمل به أهل المدينة حتى قيل إنه لم يبق من المدينة أهل يبيع إلا عمل به ، أما إجارة الأرض بنقد معين معلوم فقد أجازها كثير

صلى الله عليه وسلم : الجانب مرزوق ، والمحتكر ملعون ، ولكن التجارة في الإسلام مشروطة بالتراضي بين البائع والمشتري ، فإذا خرجت من ذلك إلى استغلال الحاجة واختزان السلع ليشهد الطلب عليها ويرتفع سعرها ، وتباع بثمان مرتفع ، دخلت فيما يفهم من قوله تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، ودخل أصحابها في مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم : والمحتكر ملعون ، وقوله عليه السلام : لا يحتكر إلا خاطيء ، وقد بين صلى الله عليه وسلم حال المحتكر بقوله : (بئس العبد المحتكر إن سمع برخص ساءه وإن سمع بغلاء فرح) ومن ثم كان على الدولة أو ولي الأمر أن يتدخل لمنع الاحتكار والتلاعب بالأسعار ، تطبيقا لقاعدة لا ضرر ولا ضرار وتحقيقا لمصلحة المجموع التي تقدم على مصلحة الأفراد .

٢ — والقراض أو المضاربة من طرق الاستغلال الحلال ، وهو نوع من التعاون على أساس عادل بين العمل ورأس المال ومعناه أن يشترك صاحب المال بماله مع العامل بعمله أو بحظه من ماله وعمله في مشروع من المشروعات الصناعية أو الزراعية أو التجارية ، فإذا ربح المشروع الذي تعاقدوا عليه اشتراكا في الربح وإذا خسر اشتراكا في الخسارة حسبما اتفقا عليه من نسبة

لها والخسارة عليهما ، وقد أجزى هذا النوع من الشركة بطريق القياس على الشيء الموهون فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الظاهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا ، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا ، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة ، وقد علق الأستاذ يوسف القرضاوى على هذا الحديث في كتابه القيم « الحلال والحرام » فقال : في هذا الحديث جعل النبي صلى الله عليه وسلم النفقة على الحيوان مقابل ركوبه إذا كان ذا ظهر يركب أو مقابل لبنه إذا كان ذا در يحلب ، وإذا جاز هذا في الرهن لحاجة التعامل واستيثاق الناس بعضهم من بعض — مع أن قيمة النفقة على الحيوان قد تكون أقل أو أكثر من قيمة ما ينتفع به من ركوبها أو درها — فلا بأس أن نجيز مثل ذلك في شركة الحيوانات التي ذكرناها لحاجة الناس إليها وهذا الذي استنتجناه من هذا الحديث رأى خاص لنا ، أرجو أن يكون سداداً .

وأما الاشتراك في العجول الصغيرة التي لا ينتفع فيها بعمل ولا لبن على أساس أن يكون الثمن من جانب . والنفقة من جانب . فإن قواعد الإسلام تأتي بإباحة ذلك . لأن الطرف المنفق يفرم وحده دون مقابل يعود عليه من عمل أو لبن ، والطرف

من الفقهاء ، ومنهم آخرون ولكل وجهة لا يتسع المقال للحديث عنها وتفصيل القول فيها ، ولا شك أن أفضل الطرق التي تتبع في استغلال الأرض بصفة عامة هي منحها لمن يزرعها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه وعن جابر رضى الله عنه قال : كننا نخابر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنصيب من القصرى ^(١) ومن كذا ، وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه وإلا فليدعها . ٤ — وإذا كان المال حيواناً . فاستغلاله بالتربية والتغذية لاقتاج اللبن أو الصوف أو التسمين أو إنصال العجول لحلال مشروع ويحجموز كراء الدواب في مختلف الأعمال التي يحتاج فيها إلى الدواب من حرث أرض ونقل أمتعة وإدارة آلة كالساقية ونحوها ، وقد قيل كلام كثير حول الشركة في تربية الحيوان والمواشى ، ولم يجد بعض العلماء بأساً في هذه الشركة ، إذا دفع أحد الطرفين ثمن الحيوان أو الماشية على أن يقوم الطرف الثاني بالنفقة عليها ورعايتها ويقتفع في مقابل ذلك بلبنها أو عملها في حرثه ثم يكون الربح

(١) القصرى بضم القاف أو كسرهما بمدودا ما يبقى من الحب في نشره أو شبايله بعد الدرس أو الدوس .

في الاستغلال - أن يتدخل لمنعه ورده إلى حده الذي يجب أن يقف عنده ولا يتعداه وهكذا نرى استغلال المال بالطرق التي ذكرناها حلالات لا إثم فيه ، وليس معنى ذلك حصر الاستغلال في هذه الطرق ، فشراء الآلات الزراعية والصناعية والسيارات وما إليها واستخدامها فيما يحقق لأصحابها الخير والمنفعة ويحلب لهم مزيداً من الربح والكسب كل هذا حلال مشروع ما لم يخرج إلى أكل أموال الناس بالباطل واستغلال حاجتهم ، والثراء على حسابهم .

وبلاحظ مع كل هذا أن استغلال المال واستثماره في الوجوه المشروعة النافعة قد رود الأمر به حتى لا تأكله الزكاة ، ثم هو إلى ذلك سبيل إلى أداء ما فرضه الله علينا من العبادات المالية ، وما أكثرها في شريعة الإسلام وما أجدرها بأن تشرف بها القيم الفاضلة للاشتراكية العادلة ؟

عبد الرحمن فودة

الآخر هو المستفيد الغانم على حساب هذا ، وليس ذلك من العدل الذي يتحراه الإسلام في كل صور المعاملات .

ويظهر أن الأستاذ غفل عن جانب من الصورة الأخيرة كان ينبغي ألا يغفله أو يهمله ، فإن صاحب المال قد يفرم المال كله إذا نفق العجل والمجول التي اشتراها ولا يتحمل الطرف الثاني من الغرم إلا ما أنفق أو بذل من عمل في التربية والتغذية ، وقد تكون خسارته في هذه الحال ضئيلة قليلة بالنسبة إلى خسارة صاحب المال ، ومع هذا فإنني لا أسمح لنفسي بالحكم على هذا النوع من الشركة . وقد يكون حكم الأستاذ الفاضل أقرب إلى الورع منه إلى العدل والإنصاف ، ولعلنا نسمع كلمة مجمع البحوث في هذا الموضوع .

أما استغلال المال في بناء المساكن والانتفاع بتأجيرها فلم يقل أحد بمنعه ، ولكن لولى الأمر - متى رأى جوراً

وما المال والأهلون إلا ودائع

ولا بد يوماً أن ترد الودائع

ليد ،

الذوق الأدبي

كما يراه ابن خلدون

للأستاذ على العمّاري

- ٢ -

به الملسكة من شعر على الطبقة ، وجميع متساو في الاجادة ... حق مسائل اللغة والنحو ، وأيام العرب ، وأنسابهم ، وأخبارهم العامة ، كل ذلك قصد بدراسته الاستعانة على فهم كلام العرب ، وأساليبهم ومناحي بلاغتهم ؛ لأن الملسكة - كما يقول ويردد - لا تحصل من حفظه إلا بعد فهمه ، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه .^(١)

والملسكة تقبّع نوع المحفوظ ؛ لأن النفس وإن كانت واحدة في حيلتها - تختلف في الناس بالقوة والضعف في الإدراكات ، واختلافها إنما هو باختلاف ما يرد عليها من الإدراكات ، فالملسكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، وملسكة الكتابة بحفظ الأسجاع والكلام المرسل ، والملسكة العلمية تنشأ من مخاطبة العلوم والإدراكات والأبحاث . والفقهية من مخاطبة الفقهاء ، وتنظيم المسائل ، وتخرج الفروع على الأصول ... وهكذا .

ولطرق تعليم الناشئة أثره في تربية الملسكة أو تعطيلها ، وعند ابن خلدون أن حفظ القرآن وحده لا ينشأ عنه - في الغالب - ملسكة

ويعنى ابن خلدون في حديثه عن الملسكة فيرى أن كل ملسكة تحتاج إلى أمور : ممارسة العمل ، وتكرار هذه الممارسة ، ثم طبع سليم يساعد على تكوين الملسكة .

فلا بد لتكوين ملسكة البلاغة من حفظ كثير من جيد الكلام العربي ، شمره وخطابته ، ورسائله ، وتفهم هذا الكثير ، ثم لا بد أن ينصرف المتأدب - بعد ذلك - في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم ، وتأليف كلامهم ، وما وطاه وحفظه من أساليبهم ، وترتيب ألفاظهم ، وكلما ازداد حفظه واستعماله ازدادت الملسكة رسوخاً وقوة ، هل أنه يحتاج - مع ذلك - إلى سلامة الطبع ، والتفهم الحسن لمناسخ العرب وأساليبهم في التراكيب ، ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال .

وعندما يتحدث ابن خلدون عن علم الأدب لا يرى له ثمرة إلا تربية الذوق ، ذلك الذوق الذي به يدرك إعجاز القرآن ، وفهمته عند أهل اللسان الإجابة في فني المنظوم والمنثور فهم يجمعون من كلام العرب ما عساه تحصل

وليس ذلك لانه كان يلزمهم أن يحتذوا
فصرفوا عنه ، وإنما ذلك لأن الاحتذاء
لكل أثر أدبي احتذاء نأما يجعل عمل المحتذى
ساقطاً .

وابن خلدون يرى أن الذي يقتصر في
حفظه على القرآن لا نشأ عنده ملكة ،
وبذلك يعلل قصور أهل أفريقيا والمغرب
عن ملكة اللسان جملة باقتصارهم على دراسة
القرآن ، ويقول إن أهل أفريقية أخف في
ذلك من أهل المغرب ، لأن هؤلاء يخلطون
في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم ، وأما
أهل الأندلس فقد أفادهم التفنن في التعليم ،
وكثرة رواية الشعر والترسل ، ومدارسة
العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا
بها أعرف في اللسان العربي ، وقصروا في سائر
العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث .

وقد وقفت طويلاً عند هذه العبارات
لابن خلدون ، فقد سبق هذا الكلام بقليل
قوله : « وأما أهل الأندلس فذهبهم تعليم
القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو
الذي يراعون في التعليم ، إلا أنه لما كان
القرآن أصل ذلك وأساسه ، وضيع الدين
والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم ، فلا يقتصرون
لذلك عليه ، بل يخلطون في تعليمهم الولدان
رواية الشعر في الغالب ، والترسل وأخذهم
بقوانين العربية ، وحفظها ، .

وعلى ذلك بأن البشر مصروفون عن الإيمان
بمثله ، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال
على أساليبه ، والاحتذاء بها .

هذا رأيه ، وهذا تعليله . ولو أننا
تفاضلنا عن رأيه في صرف العرب عن
الإيمان بمثل القرآن لأن هذا موضوع طويل
الذيول لكان لنا أن نقول إنه ليس معنى
الملكة الاحتذاء الكامل لأسلوب من
الأساليب ، وإن أسرف ابن خلدون في
التمسك بهذه النظرية ، وأكثر من ترديدها
حتى هذه المتنبى وأبا العلاء خارجين عن
أصول الشعر العربي لأنهما لا يجران على
أساليب العرب في نظمهم ، وإنما معنى الملكة
أن دراسة الكلام الجيد تمكن الكاتب
صاحب الطبع الموهوب أن ينشئ كلاماً
جيداً ، ولا يلزمه أن يحتذى في كل خصائص
الكلام ما درسه ، وتخرج عليه ، فليس يحتم
— مثلاً — لمن أطال النظر في كلام الجاحظ
أن يكون أسلوبه كأسلوب الجاحظ حذو
القذة بالقذة ، وإنما قد يساعده هذا على
تكوين ملكة ، فيكتب بأسلوب لعله ما كان
في العربية إلى عهد الجاحظ ، كما تشهد ذلك
في كثير من كتابنا الذين استقرت لهم
أساليب عرفوا بها .

والذين حفظوا القرآن من شعراء العربية
وخطبائها وكتابها لم يحتذوا أسلوب القرآن ،

أو الهاد الإصم - انى لزول طبقة هؤلاء من أولئك (١).

وعنده أنه نهياً للإسلاميين من حفظ الكلام الجيد مالم يتهماً للجاهليين، فالإسلاميون حفظوا من القرآن والحديث ومن كلام أهل الجاهلية في حين أن هؤلاء لم يحفظوا هذا كله، ورتب على ذلك أن الشعراء الإسلاميين من أمثال عمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجريير والآخرين وحسان بن ثابت وبشار أرفع طبقة في البلاغة من الشعراء الجاهليين أمثال النابغة وغنتره وزهير؛ وكلام الإسلاميين في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصن رونقاً، وأرصف مبنى، وأعدل تثقيفاً من كلام الجاهليين، ثم يحتكم أخيراً إلى الطبع والذوق فيقول: والطبع السليم، والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة، ويعود فيقول: وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والبصر بالبلاغة، ويذكر أنه حدث بذلك شيخه أبا القاسم قاضي غرناطة لهده، وكان - كما يقول - شيخ هذه الصناعة، استبحر في علم اللسان، وجاء من وراء الغاية فيه، قال: سألت يوماً، ما بال العرب الإسلاميين أهل طبقة في البلاغة من الجاهليين؟ ولم يكن ليستنكر ذلك بذوقه، فسكت طويلاً، ثم قال لي: واقع، ما أدري،

فرايته - فيما بدا لي - يرجع عما قاله، ثم رجعت إلى نفسي فقلت لعله أراد - أولاً - من جعل القرآن أصلاً، ومن تعلم القرآن من حيث هو تحفيظه للولدان دون دراسة شيء من علومه كالتفسير والبلاغة والنحو، وهو ما أراده في عبارته الثانية، وأياً ما كان فأهل الاندلس - في الحقيقة، وكما يرى ابن خلدون - أهل أدب بارع، أو مقصر، على حسب اختلاف الدراسة والطبع.

ويظهر من كلامه أن هناك تعليمياً أولاً، وهو تعليم العبي، وتعليمياً ثانياً، وهو تعليم الولدان في عصر الشيبية، وربما فسر لنا ذلك بعض ما يترامى من التناقض بين بعض عباراته.

ويسلمه المنطق، والتحديد العلى. والخضوع إلى التعليقات النظرية البحتة إلى قضية أبدى رأيه فيها بكل صراحة ووضوح.

فقد أصل هذا الأصل، وهو أن جودة المملكة بجودة المحفوظ ارتفاعاً وانخفاضاً، فهو يرى - مثلاً - أن من كان محفوظه شعر حبيب أو العتابي ومن في طبقتها، أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هارون ومن في طبقتها تكون مملكتهم أجود وأعلى مقاماً ورتبة في البلاغة ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن النديم أو ترسل البيهقي

فالمعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى) وهو بالطبع تابع في ذلك للأفظةين من أمثال الجاحظ وأبي هلال وابن رشيق ، وقد ردد كلمة الجاحظ ، المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها المعنى والعربي وإنما الشأن في إقامة الوزن . . إلخ .

وثاني هذه الملاحظات أن آخر عباراته يدلنا على هذا الخلق الذي كان يسيطر على ابن خلدون ، والذي ظهر في كثير من كتاباته عن نفسه ، وخاصة في كتابه (التعريف) وهو خلق الإعجاب بالنفس ، فشيوخه قاضي غرناطة أنثى ثناء مستطابا على رأيه هذا ، وكان بعد ذلك يؤثر محله ، وهو يلقى أول درس في مصر بالمدرسة القمحية ، ويصف هذا الدرس ويقول في ختام وصفه : وانفض ذلك المجلس ، وقد سبقتني العيون بالتجلة والوقار .

وكذلك يقول حين يتولى كرسى الحديث في مدرسة صرغتمش ، ويلقى أول درس فيها ، ويختم حديثه قائلا : وانفض ذلك المجلس وقد لاحظتني بالتجلة والوقار العيون ، واستشعرت أهليتي للناسب القلوب ، وأخلص في ذلك الخاصة والجمهور .

وكان لهذا الخلق مظهر آخر تحدث عنه ابن حجر فقال : كان ابن خلدون يتمسك

فقلت : أعرض عليك شيئا ظهر لي في ذلك ، وله السبب فيه ، وذكرت له هذا الذي كتبت ، فسكت معجبا ، ثم قال لي : يا فقيه^(١) ، هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب ، وكان من بعدها يؤثر محلي ، ويصيح في مجالس العلم إلى قولي ، ويشهد لي بالنباهة في العلوم .

وقبل أن تناقش هذا الرأي نجب أن نسير إل بعض ملاحظاتنا على كلام ابن خلدون هذا .

فأول ما نلاحظه أن مدار البلاغة عند ابن خلدون على اللفظ ، فقد جعل وجه التفصيل بين الجاهليين والإسلاميين الديباجة الحسنة ، والرواق الصافي ، ويدخل في هذا ما يشير به إلى الصنعة من مثل المبني المرصوف ، والتثقيف المعتدل ، وهذه الكلمة الأخيرة واضحة الدلالة على أن ابن خلدون يؤثر الصنعة على الطبع ، فالتثقيف والتهديب للشعر أعدل عند الإسلاميين .

وهو يصرح في موضع آخر بأن فضيلة الكلام ترجع إلى اللفظ حيث يقول في أول الفصل السابع والأربعين : (اعلم أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ، وإنما المعاني تتبع لها) ويقول بعد أن يسير قليلا في هذا الفصل : (وأيضا

(١) كان لقب الفقيه عند أهل الأندلس أعلى الألقاب العلمية .

خدش وجهه ماسكتته ، تلك التي استعد لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب .

ولعل ذوق شيخه أبي القاسم لا يسمو كثيراً عن ذوقه .

وليس يقف المحفوظ مهما جاد وكثر أمام الطبع الصافي ، وقد انفتحت كلية التقاد على أن أحسن أشعار الأمم ما قالته أيام بداوتها ، وأن السر في ذلك هو صفاء الطبع وسلامته ، وقد قالها الناقد العربي الأصيل واضحة قوية ، ذكر الاموى في كتابه (الموازنة بين العائنين) أن (الذي يورده الأعرابي ، وهو محتذ على غير مثال أحلى في النفوس ، وأشهى إلى الأسماع ، وأحق بالزيادة ، والاستزادة مما يورده المحتذون على الأمثلة) . . . وقد أخذ هذا الكلام من الجاحظ حيث يقول : ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آفق ، ولا ألد في الأسماع ، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة من حديث الأعراب العقلاء الفصحاء والعلماء البالغاء ^(١) .

ومن عجب أن ابن رشيق - ولعل ابن خلدون نظر إليه - يفضل الصنعة على الطبع ، فيرى أن البيت المصنوع إذا كان في جودة المطبوع كان أفضل ، ويقول : ولستنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعاً في غاية الجودة ، ثم وقع في

بزيه المغربي ، ويأبى أن يرتدى زى القضاة لا لشيء سوى حبه المخالفة في كل شيء .

قلت : ولعل رأيه في الجاهليين والإسلاميين من هذا ، من حبه المخالفة في كل شيء .

وثالث هذه الملاحظات أنه فضل الإسلاميين جملة ، هؤلاء الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين ، والذين عاصروا الدولة الأموية ، وصعدوا من الدولة العباسية ، على الجاهليين جملة ، فكل واحد من أولئك يفضل كل واحد من هؤلاء . فبشار - مثلاً - أعلى طبقة في البلاغة من أي شاعر جاهلي . . . وهكذا .

ورابع هذه الملاحظات أن ابن خلدون اعتمد - في حكمه - على شيئين ، طبقة الجودة في المحفوظ وكثرته ، ثم الذوق السليم .

ثم نعود بعد هذه الملاحظات إلى مناقشة رأي ابن خلدون فنرى أنه وقع في أخطاء .

أولها : اعتاده على ذوقه ، وهو ذوق أدبي متهم لأن الرجل خلط محفوظه من الشعر والنثر بكثير من قوافين العلوم ، فقد حفظ - كما حدث عن نفسه - قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءات ، وتدارس كتابي ابن الحاجب في الفقه والأصول ، وجل الحرنجي في المنطق ، وبعض كتاب التسهيل ، وشهد هو بأن ذلك المحفوظ من قوافين التعليم الذي امتلأت به ذاكرته قد

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٥ ط هارون.

معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه السكفة ، ولا ظهر عليه التعمل كان المصنوع أفضلهما (١) .

ولنأخذ على سبيل المثال بعض أبيات من قصيدة الصمة بن عبد الله القشيري :
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحي
وقل لنجد عندنا أن يودعا
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمترعبا

بسكت عيني أيسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبيلتا معا
وأذكر أيام الحى ثم أنثى
على كبدي من خشية أن تصدعا

فأين أبيات مولى ابن رشيق الساذجة من هذا الشعر الرائع المطبوع ، كبده مجروحة من فراق الأحبة ، وقد تمنهم شوقا إليهم وصبوة ، عسى الله أن يحقق لها أمنيتها ، وعينه جفاها النوم ، واعتادها البكا ، وإذا حضر ذكر الوطن استهلت ، إن كل هذه المعاني البسيطة الساذجة لا تعدل كلمة واحدة من شعر الصمة ، وأين استهلال العين بالبكاء إذا ذكر القيروان بما أبدع به الصمة في البيت الأخير ؟

أنا لا أنهم ابن رشيق بالتعصب لذلك المولى ، ولكني أنهم ذوق ابن رشيق نفسه في هذا الموضع على الأقل .

وهو كلام غريب ، ولا يعتقده - في رأيي - إلا الأدباء الذين غلبت الناحية العلمية على أذهانهم ، أما أصحاب الأذواق الأدبية الخاصة فلا يؤثرون على الطبع شيئا ، في أي فن من الفنون المسموعة أو المنظورة .

ويؤيد اتجاه ابن رشيق هذا أنه أورد ثلاثة أبيات لبعض الرؤساء يتشوق فيها إلى أهله ، وقال إن أحدا إن يزيد عليها شيئا ولو كان أعرابيا يتشوق إلى نجد ، وكأنه شعر بأنه منهم في حكمه ، ولكنه - أي ابن رشيق - رأى الحق فعرفه ، وهذه هي الأبيات :

ولى كبدي مسكومة من فراقكم
أطامتها صبرا على ما أجننت
تمتمتكم شوقا إليكم وصبوة
عسى الله أن يدنى لها ما تمننت
وعين جفاها النوم واعتادها البكا
إذا عن ذكر القيروان استهلت

وقد أكثر شعراء العرب من الحنين إلى نجد ، وجاء في ذلك بأشعار غاية في الرقة والطبع ، ولن يسع صاحب الذوق السليم إلا أن تعاربه هذه الأبيات التي زين بها

على أن المعاني الجاهلية في دقتها ووضوحها لا تقل روعة عن المعاني اللاحقة بها ، ولأوائك فضل السبق حين يشترك المعنيان أو يتقاربان ، ولا نقول - في المحدثين - كما كان يقول أبو عمرو بن العلاء : (ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ، ليس النقط واحدا ، ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسح ، وقطعة نطع ...)^(١) .

بل نقول : إن الشعراء في كل عصر من المعاني الجديدة ما لا يخطر لمن سبقه على بال . وقد وقف الشاعر هند معنى لأبي نواس ، وأشاد بشعر هذا الشاعر ، ووصفه بمجودة السبك ، وجودة الطبع ، والحنق في الصنعة ، وقال : إن الذي لا يخضع لعصبية يفضل أبا نواس ، فإن اعترضته العصبية لا يبصر الحق من الباطل .

والمعنى الذي وقف عنده الجاحظ هو وصف أبي نواس لكلاب الصيد بأنهم (يرفعن ما لم يقع ، وهو معنى جميل - ولا شك - ولكن الذي أعجب الجاحظ - كما هو واضح من كلامه - إنما هي الناحية اللفظية ، ولا اعتراض لنا على ما قاله في أبي نواس ، ولكن ، أليس وصف امرئ القيس أفرسه بأنه (مكر ، مفر ، مقبل ،

وثاني أخطاء ابن خلدون أنه لم يعر المعنى أية حناية ، وجعل الشأن كله للفظ في حين أنه لو نظر إلى المعاني ، وفاضل بين الجاهليين والإسلاميين فيها لوجد مجال القول أمامه مقسما ، فقد كان يمكن أن يقول - مثلا - إن الإسلاميين وجدوا من اتساع الحياة أمامهم ، ومن تغير نظام المعيشة ، ونظام الحياة السياسية والاجتماعية ما يسر لهم من المعاني ما لم يعرفه الجاهليون ، كان يمكن أن يقول شيئا مثل هذا فيجد من يصيخ إلى قوله ، ويؤمن على حكمه .

لكنه وقف عند اللفظ ، وجاء بقشبيه غير سليم حين شبه المعاني بالماء والألغاز بالأوانى التي منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، فالجودة تختلف في الأوانى المعلوذة بالماء باختلاف جنسها باختلاف الماء ، لأنه واحد ، وقاس على ذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال فإنها تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، والمعاني واحدة في نفسها .

وأنا - واقع - ما أدري ، كيف يذهب عن هذا العبقرى النابغة أن المعاني تختلف أيضا ، وأن الذي يوضع في الأوانى ليس نوعا واحدا من السوائل ، وإنما يوضع فيها الماء والخمر والزيت والنفط ، وما إلى ذلك .

(١) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٥٧ ط أولى .

أصدق طبعاً ، والطبع مقدم على الصنعة
في كل فن ، وأن لمعانيهم وقعا في القلب ،
ولهم فضل السبق بها ، وأن من جاءوا بعدهم
ربما فضلهم باتساع المعاني وجدتها ،
وبذلك يبدو لنا ضعف الحسك الذي ذهب
إليه ابن خلدون .

وسواء التفتنا إلى المعاني أم لم نلتفت
إليها فإن هذه المدرسة التي أنشأها الجاحظ ،
وكان من تلامذتها العسكري ، وابن رشيقي ،
وابن خلدون يرون أن المولد (أرق حوكا ،
وأحسن ديباجة) .

وثالث أخطاء ابن خلدون أنه ذكر في
الشعراء الإسلاميين الذين فضلهم على الجاهليين
سيدنا حسان بن ثابت ، والنقاد يكادون
يجمعون على أن شعر حسان نفسه كان في
الإسلام أضف منه في الجاهلية ، فكيف
يفوق حسان من سبقوه ، وهو لم يفق - وهو
مسلم - نفسه ، وهو جاهلي .

رابع هذه الأخطاء أن ابن خلدون
لم يجعل لغير المحفوظ دخلا في المفاضلة ،
وهو تحجير واسع ، لأن النبوغ الشاعر
وتقدمه أسباباً كثيرة غير نوع المحفوظ لعل
في مقدمتها ما منحه الشاعر من طبع ،
وما يفاض عليه من أسرار .

على العمارة

مدبر ، معا) لا يقل روعة ودقة ، وحسن
أداء عن معنى أبي نواس ، وإن كانت كلمة
أبي نواس - عندي - أحلى .

نعم ، للحدثين معان كثيرة لا ترى لها
شبهاً في الشعر الجاهلي ، ويحضرني منها الآن
وأنا أكتب هذا البحث معنى جميل لإبراهيم
ابن العباس الصولي في وصف قصر ليلة من
من ليالي السرور :

وليلة من الليالي الزهر

قابلت فيما بدرها بيدري

لم تك غير شفق وفجر

حق تولت وهي بكر الدهر

فقد تفنن الذين سبقوه في وصف أيام
السرور ولياليه بالقصر ، ولكن واحداً منهم
- فيما أعلم - لم يقع على هذا المعنى (لم تك
غير شفق وفجر) .

وقد يكون هذا وجهاً من وجوه تفضيلهم
على الجاهليين ، ولكن ابن خلدون وسلفه
ومشايعه لا يرون لأحد فضلاً عن طريق
المعاني ، مع أن ابن خلدون انساق مع
الطبقة حين حكم على شعر الربانيات
والنبويات بأنه قليل الجودة لأن معانيها
متداولة (١) .

والذي أريد أن أؤكد هنا أن الجاهليين

غزوة أحد بين القرآن والشعر

للمؤلف الدكتور أحمد عبد الباقى

- ٣ -

حمل بنو عبد الدار اللواء ، وقد رأينا
هند امرأة أبى سفيان تحرضهم على الثبات
فى الميدان ، ورأينا أحدهم يرتجز موطننا
نفسه على صدق القتال .

كان ذلك ، بدون ريب ، مجال نشر المشركين
لجاء حسان ، وحاول أن يجد منفذا يقاتل به
من شأن هذا الفخر ؛ فرة يعترف لبنى
عبد الدار بالشجاعة والشهامة والصبر على
القتال حتى ماتوا ، ولكنهم يعير قريشا
بأنهم لم تستطع حماية اللواء ولا حمله بعد أن
سقط من يدي بنى عبد الدار ، بل مضوا
من الميدان يفرون فى خفاء ؛ وقد كان ذلك
فى أول المعركة عند ما كان النصر فى جانب
المسلمين ، واستمع إليه يقول متحدثا
عن صبر بنى عبد الدار ، وانهم لم يبنوا غزوم :
ولى البأس منكم إذ حضرتم

أسرة من بنى قصي صميم
تسعة تحمل اللواء ، وطارت
فى رعاى من القنا مخزوم
لم يولوا حتى أبيدوا جميعا
فى مقام ؛ وكلهم مدموم

وحافظ بنو عبد الدار على اللواء ، إذا
سقط فى المعركة قتيل ، قام مقامه آخر يحمل
اللواء ، حتى قتل تسعة منهم ، قتل حمزة
واحدا ، وقتل على آخر ، ويظهر أنهم كانوا
مثال الثبات ؛ لدرجة أن قتل على لواحد منهم
هو طلحة بن أبى طلحة دفع أحد الشعراء
إلى مدح على بقوله :

فه أى مذهب عن حرمة
أعفى ابن فاطمة المعمر الخولا
سبقت يداك له بما جل طعنة
تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة بأسل ، فتركهم
بالجر إذ يهون أجدل أجدلا

وكان آخر من حمل اللواء صواب ، وهو
غلام لبنى عبد الدار حبشى ، أخذ اللواء ،
وقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ،
فأخذ اللواء بصدوره وعنه حتى قتل عليه ،

وكان قتل أصحاب اللواء بحال نحر لكعب
ابن مالك ؛ لأن حملة اللواء يكونون سادة
الناس وأشرافهم ، إذ يقول :
أبلغ قريشاً ، وخير القول أصدقه
والصدق عند ذوى الأبواب مقبول

أن قد قتلنا بقتلنا سرائكم
أهل اللواء ، ففينا يكسر القليل
أما نحر المشركين بمن قتلوا من المسلمين
يوم أحد فقد قابله شعراء المسلمين بنحر مثله
بمن أصابوا من المشركين يوم بدر ، فالجرب
دول ، ويوم ييوم ، وإذا كانوا قد أصابوا
يوم أحد من المسلمين ، فقد أصاب المسلمون
منهم كذلك في تلك المعركة ؛ فلتسمع حسان
يرد على نحر ابن الزبيرى ، ويقول له :
إن هذا الفخر مصدره ما ذهب بلبه من وقعة
بدر التي تفعل هذه المعركة ، وتدل على بسالة
المسلمين وشجاعتهم ، ولقد كان انهمر لنا
في أول المعركة ، حيث فررتهم أمام قوة بأسنا
قال حسان :

ذهبت بابن الزبيرى وقعة
كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتهم ، ونظنا منهم
وكذلك الحرب أحيانا دول
نضع الأسياف في أكتافكم
حيث نهوى عللا بعد نهل
إذ تولون على أهقابكم
هربا في الشعب أشباه الرسل

بدم عاتك ، وكان حفاظاً
أن يقيموا ، إن الكريم كريم
وأقاموا حتى أزيروا شعوباً
والقنا في نحرهم عطوم
وقريش تلوذ منا لوأذاً

لم يقيموا ، وخف منها الخلوم
لم تطق حملة العواتق منهم
إنما يحمل اللواء النجوم
وهكذا وجد حسان في ترك اللواء ملقى
لم يحمله رجل من قريش بعد أن سقط من يدي
بنى عبد الدار بجالا للفض من قريش ، كما وجد
في مرهم في أول المعركة بجالا للحط من شأنهم
وإضعاف ما افتخروا به من الثبات
حول اللواء .

وحينا يجد حسان في حمل « صواب » اللواء
بجالا للذم لا للفخر ، إذ يقول :
نخرتم باللواء ، وشر نحر
لواء حين رد إلى صواب
جعلتم نخركم فيه لعبد

من الأم من يطا هفر القراب
أقر العين أن عصبت يدها
وما إن تعصبان على خضاب
أما الحارثية التي رفعت اللواء بعد
« صواب » ، ففضلها عليهم لا ينكر ، فلولاها
لاصبحوا أرقاء يباعون عبيداً في الأسواق .
فلولا لواء الحارثية أصبحوا
يباعون في الأسواق يبيع الجلائب

قريش يفتخرون على حزة فها هو ذا كعب يهدد
 بعض من أصابوه يوم بدر ، كما فعل حسان
 أيضا ، وهو يرد على أبي سفيان ، ويقول :
 ذكرت القروم الصديد من آل هاشم
 ولست لزور قلته بمصيب
 أتعجب أن أقصدت حمزة منهم
 نجيبا ، وقد سميت به بنجيب
 ألم يقتلوا همرا ، وعتبة وابنه
 وشيبة ، والحجاج ، وابن حبيب
 غداة دعا العاصي عليا ، فراه
 بضربة غضب به بمخضب
 ويفخر كعب بن مالك بأنهم قد انتصروا
 بالملائكة في يوم بدر :
 ويوم بدر لقيتمنا كما لنا مدد

فيه مع النصر ميكال وجبريل
 ويذكر حسان أنهم في معركة أحد أيضا
 قد قتلوا بعض صناديد الشرك ، كما قتل بعض
 صناديد المسلمين ، إذ يصف جند الرسول
 قائلا :

بأيديهم بيض إذا حمش الوغى
 فلا بد أن يردى لمن صريع
 كما غادرت في النقع عتبة ثاويا
 وسعداً صريعا ، والوشيج شروع
 وقد غادرت تحت العجاجة مسندا
 أيا وقد بل القميص نجيع
 بكف رسول الله حيث تنصبت
 على القوم مما قد يثرن تقوع

إذا شددنا شدة صادقة
 فأجأناكم إلى سفح الجبل
 رجال لستم أمثالهم
 أيدوا جبريل نصراً فنزل
 وعلونا يوم بدر بالتقى
 طاعة الله ، وتصديق الرسل
 وقتلنا كل رأس منهم
 وقتلنا كل حجاج رقل
 وتركنا في قريش هورة
 يوم بدر ، وأحاديث المثل
 ويتحدث عبد الله بن رواحة عن بدر ،
 وعن سقط صريعا من رؤساء المشركين
 فيقول :

وقبل اليوم ما عرفوا ، وذاقوا
 وقائعنا بها يثقي الغليل
 نسيتم ضربنا بقليب بدر
 غداة أتاكم الموت العجيب
 غداة ثوى أبو جهل صريعا
 عليه الطير جاثمة تجبول
 وعتبة وابنه خيراً جميعاً
 وشيبة عضه السيف الصقيل
 ومتركنا أمية مجلعبا
 وفي حيزومه لسن نبيل
 وهام بنى ربيعة سائلوها
 فني أسياقنا منها فلول
 فاذا كان أبو سفيان وغيره من شمراء

رمام بها المشركون ، فهذا ضرار بن الخطاب
يتحدث عن مصرع حمزة ، وأنه كان عندما
سقط في الميدان كأنه :

حوار ناب ، وقد ولى صحابته

كما تولى النعمان الهارب الشرذ
وحسان يرد على ذلك بأن الحق سوف
يتضح ، فتتهار أمامه هذه الدهوى الكاذبة ؟
لأن الأوس والخزرج ثبتوا في الميدان ،
ودافعوا دفاعاً مجيداً ، وما كان منهم جبان
ولا هيباب ، وذلك إذ يقول :

وقل : إن يكن يوم بأحد بعده

سفيه فإن الحق سوف يفيج
فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم

وكان لهم ذكر هناك رفيع
وحامى بنو النجار فيه ، وصابروا

وما كان منهم في اللقاء جزوع
ولذلك أكثر شعراء المسلمين من وصف
شجاعتهم التي ورثوها عن آبائهم ، وسيورثونها
أبنائهم من بعدهم ، يقول كعب بن مالك :

فإن كنت عن شأننا جاهلاً

فسل عنه ذا العلم بمن يلينا
بنا ، كيف نفعل إن قلصت

عوانا ، ضروسا ، عضوضا ، حجونا
السنا نشد عليها العصا

ب ، حتى تدر ، وحتى تلينا

أولئك قوم سادة من فروعكم
وفي كل قوم سادة وفروع
فكأنه يقول لهم : إن أصبتم منا في معركة
أحد فقد أصبنا منكم فيها .

وافتحى شعراء الإسلام بالصبر في الحرب
وبأنهم يتحملون نتائجها في شجاعة وثبات ،
فلا يستطيع شيء أن يفت في عضدهم ، يقول
كعب بن مالك جليلاً هيباً بن أبي وهب :

ونحن أناس لا نرى القتل سبة

على كل من يحمى الذمار ويمنع
جلاد على ريب الحوادث لا نرى

على هالك عينا لنا الدهر تدمع
بنو الحرب ، لا نعيأ بشيء نقوله

ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش

ولا نحن من أظفارها نتوجع
والشاعر بذلك يؤكد الأعداء أنهم

يستقبلون الهزيمة من غير أن ينهار لهم هزم ،
أو تتضعض لهم إرادة ، بل إنهم يستعدون
لجولة جديدة ، مطمئنين إلى النصر فيها ،
يقول عبد الله بن رواحة :

ألا من مبلغ عنا لؤيا

فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا

وقائعنا بها يشفى الغليل
وعنى شعراء المسلمين برد تهمة الحرب التي

ويوم له رهج دائم شديد التهاول حامى الأدينا
تخال الحكاة بأهراضه ثمالا على لذة منزينا
تعاور أيمانهم بينهم كئوس المنايا بعد الظبينا
شهدنا ، فكنا أولى بأسه وتحت العاية والمعلينا
وعلنا الضرب آباؤنا وسوف نعلم أيضاً بنينا
خديث شعراء المسلمين عن الشجاعة يدفعون به تهمة الفرار من ميدان القتال .
وظهر الفخر بالعقيدة الجديدة عند شعراء المسلمين ؛ فرأينا حسان بن ثابت يعرف
بنصرة رسول الله ، ويعير قريشاً بكفرهم ، ويعلم أن الكافر والمسلم ليسا سواء ،
فيتحدث عن الأوس والخزرج ، وأنهم . أمام رسول الله ، لا يخذلونه
لهم ناصر من ربهم وشفيع وفوا إذ كفرتم يا سخطين بربكم
ولا يستوى هبدي ومضيع كما يذكر لهم أن قتلى المسلمين في الجنة ،
وقتلهم في النار : فلا تذكروا قتلى ، وحمزة فيهم
قتيل ثوى لله ، وهو مطيع فإن جنان الخلد منزلة له
وأمر الذى يقضى الأمور سريع

وقتلناكم في النار أفضل رزقهم حميم معاً في جوفها وضريع
ويقول كعب بن مالك : وأشياح أحمد إذ شايخوا
على الحق ذى النور والمهج فما برحوا يضربون الحكاة
ويمضون فى القسطل المريج وكذلك حتى دعاهم مليك
إلى جنة دوحة الموج أولئك ، لا من ثوى منكم
من النار فى الدرك المريج بل ظهر أثر العقيدة الجديدة فى الترحيب
بالموت فى سبيل الله ، يقول : إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا
والقتل فى الحق عند الله تفضيل ويقول أيضاً مخاطباً المشركين :
خزتم بقتلى أصابتهم فواضل من نعم المفضل
خلوا جنائنا ، وأبقوا لكم أسوداً تحامى عن الأشبل
فهو يرى القتل فضلاً يمنحه الله من يستشهد فى سبيل دينه ، وذلك أثر العقيدة الجديدة
التي جاء بها القرآن الكريم ، للبحث بقية ،
دكتور أحمد أحمد بدوي

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة للأستاذ أحمد الشرباصي (تتممة البحث)

ومع أن تعليم المجموعات الكبيرة من الصبية أو الفتية قد انتقل من المسجد إلى المدرسة ، فقد ظل الارتباط بين المسجد والمدرسة قائما ، بحيث نجد العادة تجري بأن تلحق بالمسجد مدرسة ، وظل التشابه بين المسجد والمدرسة قويا ، فهناك مدرسون يعينون في المساجد ، وهناك أئمة أو مؤذنون يعينون في المدارس ، فكانت المدرسة مسجد وكان المسجد مدرسة .

يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في كتاب « الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » هذه العبارة :

« إن التعليم عند المسلمين كان غريبا أمره يكاد يكون خفيا سره : مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد ، يجلس فيها للتدريس الفقيه والمتكلم والمحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس ، ينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ، ومن مجلس الحديث إلى مجلس الأدب ، وإذا وقعت مذاكرة بينهم في مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع

بين المسجدين والمدرسة :

تنقل التعليم في المجتمع الإسلامي في أماكن متعددة ، فهناك « الكتاب » أو « المكتب » الذي بدأ منذ عهد بعيد لتعليم القراءة والكتابة ، وتحفيظ القرآن الكريم ، وهناك قصور الخلفاء والأمراء ومنازل العلماء ، وهناك حوانيت الوراقين ، وهناك المساجد والجوامع والزوايا والخلاوي ، ثم كانت هناك المدرسة .

وقد بدأ التعليم في المسجد ، ثم انتقل إلى المدرسة ، وذلك لمنع الضجيج الذي يحدث في أثناء التدريس ، وللحفاظ على وقار المسجد وإبعاده عن حدة المحاور والمناقشة ولكي يجتمع المعلمون في المدارس وظائف يحترفونها ويرتفون منها ؛ لأن التعليم في المساجد يقوم على التطوع والاحتمساب ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يحسب حين يعلم ويثقف الناس في المساجد ، والصحابة اقتدوا به في ذلك ، وكذلك التابعون وكان الصحابة يرون أن أخذ الأجر على تعليم القرآن أمر مكروه .

وهناك المدرسة القمحية التي أنشأها صلاح الدين سنة ست وستين وخمسمائة بجوار جامع عمرو . ومسجد الإمام الشافعي كان أصله مدرسة تسمى بالمدرسة الصالحية ، بناها صلاح الدين سنة خمس وسبعين وخمسمائة بجوار قبر الإمام الشافعي .

وهناك المدرسة الأقباقية الملحقة بالجامع الأزهر الشريف ، وقد أنشأها الأمير علاء الدين أقباق سنة أربعين وسبعائة ، وهناك المدرسة الطبرسية الملحقة أيضاً بالجامع الأزهر الشريف ، أنشأها الأمير علاء الدين طبرس الخازنداري سنة تسع وسبعائة . وهاتان المدرستان تشغلها الآن المكتبة الأزهرية ، الموجودة على يسار الداخل من باب الجامع الأزهر الشريف ، وية ول كتاب و تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، ههما :

د وهاتان المدرستان تمثلان تطوراً في حياة المسجد والمدرسة معاً ، فقد أصبح المدرسة هي المعهد العلمي المفضل ، وهي تمثل أيضاً نوعاً جديداً من الجامعات يتحد فيها المسجد بالمدرسة ، وقد أكد هذا من صفة الأزهر العلمية ، وأصبح مسجداً تعليمياً دائماً ، تعاون في عمله كليتان ملحقتان به ، وهو أمر لم يكن معروفاً في المسجد من قبل .

ويحدثنا التاريخ عن المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق في مصر ، وكذلك المدرسة القمحية وكانت خاصة بفقهاء المالكية والمدرسة الصرغتمشية الملاصقة للجامع ابن طولون بناها

والإلزام ، وسقطت قيمة الغسل في التعبير ، وأخذ التسامح بينهم مأخذه .

وينبغي أن نلاحظ هنا أن المدارس بصورتها النظامية قد تأخر إنشاؤها في المجتمع الإسلامي ، وأول مدرسة منظمة - وهي المدرسة النظامية ببغداد المنسوبة إلى الوزير نظام الملك من السلاجقة - أنشئت وتمت سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فكان المسجد ظل هذه القرون السابقة لهذا التاريخ يقوم بواجب التشييف والتعليم .

ولقد قلت : إن المدرسة كانت تقوم بجوار المسجد في العادة ، وعلى ذلك عشرات من الأدلة والأمثلة فهناك المدرسة المستنصرية ببغداد التي أنشئت بهن عامي ٦٢٥/٦٣١ هـ كان فيها إيوان لكل مذهب يوجد به المسجد وموضع التدريس ، وهناك مسجد ديوريكي ، ومدرسته في تركيا ، تم سنة ست وعشرين وستمائة ، ومعه مدرسة وتعلو جميع أروقة الجامع والمدرسة قبوات . وتقع المدرسة خلف جدار المحراب ، وبناؤها من طراز بناء الجامع . وهناك مدرسة صيرت جالي بقونية ، بتركية ، أسست سنة أربعين وستمائة ، وتتألف هذه المدرسة من إيوان لبيت الصلاة ، به محراب تحف به قاعتان لكل منهما قبة . وهناك مسجد إينجه ، ومدرسته بقونية في تركيا ، وهناك مدرسة وجامع قرامين ، من العصر السلجوقي في إيران ، تم سنة ثلاث وعشرين وسبعائة .

بنائها أن الأمير حسن الظاهري من أمراء المماليك كان قد بنى المدرسة القديمة للملك الظاهر خشقدم ، ثم بعد وفاته سأل الملك الأشرف قايتباي قبولها ، فقبلها منه ونسبها إليه ، ورتب لها شيخا وصوفية وفقهاء ، وصرف لها المعاليم .

ثم حضر الملك الأشرف قايتباي إلى القدس في سنة ٨٨٠ هـ فلم تعجبه ، وهدمها وأنشأ أخرى مكانها أوسع مساحة وأخف بناء .

ومما أنشئ حول المساجد من المدارس المدرسة الناصرية التي سميت فيما بعد بالغازلية لإقامة الإمام أبي حامد الغزالي بها . وقد أعاد إنشاؤها الملك المعظم عيسى الأيوبي ، وجعلها زاوية لقراءة القرآن ، ووقف عليها كتباً من جملتها إصلاح المنطق لابن السكيت ، وذلك سنة ٦١٠ هـ . قال مجير الدين المقدسي : « وقد دثرت الزاوية المذكورة في عصرنا ولم يبق لها نظام ، وتوفي المقدسي هذا سنة ٩٢٨ هـ - فتلک إذن حالها في مطالع القرن العاشر الهجري .

والمدرسة المنحوية على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة إلى الغرب ، بناها الملك المعظم عيسى الآنف الذكر ، وكان بناؤها سنة ٦٠٤ هـ .

والمدرسة التنسكزية ، واقفها الأمير تنسكز الناصري نائب الشام في العصر المملوكي ، وهي مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بنائها - كذا يقول المقدسي .

والمدرسة السكريمية ، بناها كريم الدين

الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، ومدرسة السلطان حسن كانت مدرسة وجامعا ، وهي التي تسمى الآن جامع السلطان حسن ، ومدرسة الظاهر برقوق ، كانت تستخدم كمدرسة وخانقاه ، ثم صارت تستخدم مسجدا للصلاة .

وهناك مدرسة الصهرنج بفاس ، بناها الأمير أبو الحسن بن أبي سعيد ، وموضعها غربي جامع الأندلس من حضرة فاس ، والمدرسة العظمى أو مدرسة العطارين بفاس ، بإزاء جامع القرويين ، أشرف على إنشائها الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ، والمدرسة العظمى بمراكش قبل جامع ابن يوسف .

وهناك المدرسة المصباحية بفاس ، التي أنشأها السلطان أبو الحسن سنة ثنتين وأربعين وسبعمائة ، وموضعها جوف جامع القرويين وسميت بهذا الاسم نسبة للفيقيه أبي العشاء مصباح بن عبد الله الياسوتي الذي كان يتولى التدريس بها ، وتسمى أيضا مدرسة الرخام .

ويتحدث كتاب « تاريخ الجامعات الإسلامية » عن المسجد الأقصى وتاريخه ، ثم يسرد المدارس التي أنشئت حوله بقوله : « وفي العصرين الأيوبي ثم المملوكي أنشئت بداخله وحوله عدة مدارس أكدت صبغته العلمية ، وجعلت منه جامعة إسلامية كبرى ، أهمها المدرسة الشريفة السلطانية الأشرفية داخله ، بالقرب من باب السلسلة ، وسبب

عرفت نظام المكتبات منذ عهد بعيد ،
والمكتبة منبع ثرار عظيم للثقافة والحضارة
وقد جاء في الجزء الثالث من كتاب تاريخ التمدن
الإسلامي ، ما نصه : « وكانوا يجمعون في كل
جامع خزانة كتب للطلالة أو الاستنساخ » .
ولو أردنا أن نأخذ صورة متكاملة عن
رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة لكان
من واجبنا أن نتتبع الجهود التعليمية التي
صدرت عن المساجد الكبيرة المشهورة التي
يعد كل منها جامعة وهي : المسجد الحرام ،
والمسجد الأقصى ، والمسجد النبوي بالمدينة
والمسجد الأموي بدمشق ، والمسجد الجامع
بالبصرة ، والمسجد الجامع بالسكوفة ،
والمسجد الجامع بالفسطاط (جامع عمرو)
وجامع الزيتونة بتونس ، والمسجد الجامع
بالقروان ، وجامع المنصور ببغداد ، والجامع
الاعظم بقرطبة ، وجامع القرويين ، وجامع
ابن طولون ، والجامع الازهر الشريف ،
وقبة علي بالنجف بالعراق ، وغيره مما غاب
عن الذاكرة .

إن هذا الموضوع طريف وواسع ونافع
حين تقبعه وتجميع كل ما يتعلق به ، وإذا
كنست وضعف على طريقه فتديلا متواضعا ،
فاني آمل أن تتابع من خلفه فتاديل وثریات
تضوء وتثير ، وتمتع وتفيد ، وعلى الله
قصده السبيل .
أحمد التمر باصی

عبدالكريم من رجال الدولة المملوكية بالقرب
من باب يسمى باب حطة .

ولا شك أن ارتباط المساجد بالمدارس ،
على هذا النحو الذي قدمنا له عشرات من
الأمثلة ، يدل على ارتباط رسالة المساجد
برسالة المدارس ، كما يدل على أن كلا من
المسجد والمدرسة كان يؤثر في الآخر ويتعاون
معه ويكمل رسالته ، وبخاصة في مجال التوعية
والتوجيه والتنشيط الديني والديني .

ولقد كان للمسجد تأثير آخر في لون من
ألوان الحضارة وهو المعمار ، فإن المساجد
قد اتخذت أشكالا وأنماطا من الهندسة والبناء
والزخرفة والتصميم والتزيين ، وهذه الأشكال
صارت قدوة عند الكثيرين في الأبنية المختلفة
وفي القرن التاسع للهجرة - كما يبين بعض
المؤرخين - غلب تصميم المدرسة على المسجد
فأنشئ على طرازها مساجد كثيرة ، ولكن
تصميم المسجد ظل سائدا جنباً إلى جنب مع
المدرسة ، وزيد على المسجد إلحاق « السبيل »
و « الكتاب » به .

ونستفيد من هذا فائدتين : الأولى أن
المسجد كان له تأثير حضاري من ناحية المعمار
والزخرفة ، والأخرى أن المسجد كان يرتبط
بالمدرسة حتى في هذه الناحية ، مما يدل على أن
المسجد كان يسير جنباً إلى جنب مع المدرسة
ينشران الثقافة ويبثان ألوان الحضارة .

ويتصل بالموضوع الذي نعالجه أن المساجد

نظرات في الأدب والتصوف :

مناجاة الخالق

للأستاذ محمد إبراهيم الجبوشي

من تقدير ، وما تتمتع به من أثر فعال
في ترقية الأحاسيس ودفع النفوس إلى السمو
والصفاء في الخلق والروح .

وهذه هي الوظيفة الأصلية الأولى للأدب ،
وهل كان الأدب في يوم ما إلا عاملاً
من عوامل سمو الخلق وعلو النفس ، وهذا
هو الذي دفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إلى أن يقول : (رووا أبناءكم ما حسن
من الشعر ، فإنه يعلم مكارم الأخلاق)
وما روى عن خلفاء الأمويين في هذا المعنى .

وقد يتبادر إلى الظن أن في هذا تعالياً بقيمة
الأدب الصوفي ، وإلباسه ثوباً فضفاضاً ،
ويكفي لدفع هذا الظن أن نقف على آثارهم ،
ونزق معاهذه النماذج العالية ، حين نلقى
بأسماعنا إلى هذه الترنيمة السايوية الرائعة ،
ثم نتحسس نفوسنا حين تتلى لئلا نرى إن كانت
لا زالت على الأرض أو ارتقت إلى السماء ،
يقول ابن عطاء الله في حكمه مناجياً مستهتماً .

إلهي : أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون
فقيراً في فقرى ؟

المناجاة من الأغراض التي انفرد
الصوفية بها ، فلم يطرقها غيرهم ، ولم ينسج
صليلها سواهم ، فهم فرسان حليتها ، وآباء
هذرتها وأبناء بجدتها ، لأنها تعبير
عن إحساساتهم الرقيقة ، ومشاعرهم السامية ،
وعواطفهم الزاكية ، وأرواحهم الصافية ،
وقلوبهم المتصلة بنور الله ، ترى عظمتها في كل
موجود ، وتحس قدرته في كل ما يقع
بين أيديهم ، وتمت أبصارهم .

والأدب الحي وليد الإحساس المرهف ،
وصدى الانفعالات النفسية الصادقة ، وبقدر
ما يهبها لهذه المشاعر والأحاسيس من صدق
وتجارب مع ما تحس به ، بقدر ما يكون رقى
الأثر الأدبي الذي يعبر عنها ، وما يمتاز به
من علو ، وما يحفل به من رؤى شعرية
سامية ، ونماذج فنية تكون قدوة تحترى ،
وأمثلة تراعى .

ومن أبدع ما أثر عن الصوفية من هذه
الألوان مناجاتهم لخالقهم وتوسلاتهم لبارئهم ،
فهى غنية بالقوى الجبارة ، والذخائر الحية ،
وإن قوبلت بالإهمال ، ولم تحظ بما تستحق

إلهي : أنا الجاهل في علمي ، فكيف لا أكون جهولا في جهلي ؟

إلهي : وصفت نفسك باللطيف والرافق بي قبل وجود ضعفي ، أئتمنعتني منهما بعد وجود ضعفي ؟

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق بكرمك .

إلهي : إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ، ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوي فبعدمي إلى ولك الحاجة علي .

إلهي : كيف يستدل عليك بما هو فيه وجوده مفتقر إليك ؟ أبكون لفهمك من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟

إلهي : كيف أشكو إليك حالي وهي لا تخفى عليك ؟

إلهي : أم كيف أترجم لك بمغالي ، وهو برز إليك ؟ أم كيف تخيب آمالي ، وهي قد برزت إليك ؟ أم كيف لا تحسن أحوالي ، وبك قامت ؟ (١)

إلهي : أم كيف أتري معي أن هذه الفقرات معبرة أصدق تعبیر عن الفكرة الصوفية القائلة بأن الخير كله في نسيان الذات ، فهو يرى أن من لعبت الشكوى إلى عالمها ، ثم يرى

إلهي : منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك ، فاهدني بنورك إليك ، وأقني بصدق العبودية بين يديك .

تراه في هذه الفقرات يتلفه على الوصول إلى الله ، ثم يتحاور متفلسفا فيقول :

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق بكرمك .

إلهي : إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ، ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوي فبعدمي إلى ولك الحاجة علي .

إلهي : كيف يستدل عليك بما هو فيه وجوده مفتقر إليك ؟ أبكون لفهمك من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟

إلهي : كيف أشكو إليك حالي وهي لا تخفى عليك ؟

إلهي : أم كيف أترجم لك بمغالي ، وهو برز إليك ؟

إلهي : أم كيف تخيب آمالي ، وهي قد برزت إليك ؟ أم كيف لا تحسن أحوالي ، وبك قامت ؟ (١)

إلهي : منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك ، فاهدني بنورك إليك ، وأقني بصدق العبودية بين يديك .

تراه في هذه الفقرات يتلفه على الوصول إلى الله ، ثم يتحاور متفلسفا فيقول :

إلهي : منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك ، فاهدني بنورك إليك ، وأقني بصدق العبودية بين يديك .

إلهي : منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك ، فاهدني بنورك إليك ، وأقني بصدق العبودية بين يديك .

إلهي : منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك ، فاهدني بنورك إليك ، وأقني بصدق العبودية بين يديك .

إلهي : منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك ، فاهدني بنورك إليك ، وأقني بصدق العبودية بين يديك .

(١) غيث المواهب الدنية على شرح الحكيم للمطائبة ص ٨٧ ج ٢ .

بعدلك فلم تدع لى رجاء ، فليت شعرى كيف
أرى إحسانى مع إحسانك ؟ أم كيف أجهل
فضلك مع عصيانك ^(١) .

إخالك بعد قراءة هذا الدعاء قد وثب إلى
ذهنك الأثر النبوى الشريف ، المؤمن بين
مخافتين ، وقد سبج فكرك كيف استطاع
الصوفية أن يتغلغلوا إلى أحماق هذه الجوامع
النبوية فيحللوها تحليللا فلسفيا أدبيا دقيقا
رائعا يأخذ بالألباب ويستهوى الأفئدة .

وهذا توسل آخر لذى النون المصرى :

(إلهى : وسيلتى إليك نعمك لى ، وشغيبى
إليك إحسانك لى) .

(إلهى : أَدعوك فى الملا كما تدعى الأرباب ،
وأدهوك فى الخلا كما تدعى الأحباب) .

(أقول فى الملا : يا إلهى ، وأقول فى الخلا
يا حبيبى ، أرغب إليك ، وأشهدك بالربوبية
مقرا بأنك ربى ، وإليك مردى ، ابتدأتنى
برحمتك من قبل أن أكون شيئا مذكورا ،
وخلقتنى من تراب) .

وقوله : (إلهى ، ما أصغى إلى صوت حيوان
ولا حفيف شجر ، ولا خرير ماء ، ولا قرنم
طائر ، ولا تنعم ظل ، ولا دوى ريح ، ولا
قمقعة رعد ، إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك
دالة على أنه ليس كمثلك شيء ، وأنتك غالب

إلهى : تقدر رضاك عن أن يكون له علة
منك ، فكيف يكون له علة منى ؟

أنت الغنى بذاتك عن أن يصل إليك
الشفع منك ، فكيف لا تكون غنياً عنى ؟

إلهى : إن رجائى لا ينقطع عنك ، وإن
عصيتك ، كما إن خوفى لا يزالنى وإن
أطعتك .

(إلهى : هذا ذلى ظاهر بين يديك ، وهذا
حالى لا يخفى عليك ، بك أستنصر فانصرنى ،
وعليك أتوكل فلا تنكلى ، وإياك أسأل فلا
تخيبنى ، وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى ،
ولجنا بك أنتسب فلا تبعدننى ، وبيا بك
أنف فلا تطردنى) .

خبرنى بربك ، ماذا أنت شاعر به من
المعاني والأحاسيس والانفعالات بعد أن
تتلو هذا التوسل الفريد ؟ هل كنت ترى
بعد هذا مجالا لإبداع ؟ أو تجد قولاً لقائل ؟
اللهم لا . غير هؤلاء الصنف من الناس الذين
سمت أرواحهم فأت هذا الضرب من الإعجاز
فى البيان .

وإليك توسلا آخر لآبى العباس المرسى :

(إلهى : معصيتك نادتنى بالطاعة ، وطاعتك
نادتنى بالمعصية ، فنى أيهما أخافك ؟ وفى أيهما
أرجوك ؟ إن قلت بالمعصية قابلتنى بفضلك
فلم تدع لى خوفاً ، وإن قلت بالطاعة قابلتنى

(١) التصوف الإسلامى ج ١ ص ١٥٧ .

لا تغلب ، وعالم لا تجهل ، وحليم لا تسفه ،
وعادل لا تهوّر ، وصادق لا تكذب .

إلهي ، فإنني أعترف لك اللهم ، بما دل
عليه صنعك ، وشهد لك فعلك ، فهب اللهم
طلب رضاك برضائي ، ومسرة الوالد لولده ،
ووقار العظماء نذرة ، وقطب العزيمة إليك ،
لأن من يشبعه الولوع باسمك ، ولم يروه من
ظلمته ورود غدران ذكرك ، ولم ينسه جميع
الهموم رضا عنك ، ولم يلهه عن جميع
الملاهي تعداد آلائك ، ولم يقطعه عن الأنس
بغيرك مكانه منك كانت حياته ميتة . وميقته
حسرة ، وسروره غصة ، وأنسه وحشة .

إلهي ، عرفني عيوب نفسي ، وافضحها
هندي ، لا تضرع إليك في التوفيق للتنزه
عنها ، وأبطل إليك بين يديك خاضعا ذليلا
في أن تغسلني منها ، واجعلني من عبادك الذين
شهدت أبدانهم ، وغابت قلوبهم بحسول في
ملكوتك ، وتتفكر في صنعك ، ترجع
بفوائد معرفتك ، وعوائد إحسانك ، وقد

ألبستهم خلع محبتك ، وخلعت عنهم لباس
العزيز لغيرك .

إلهي ، لا تترك بيني وبين أقصى مرادك
حجابا إلا هتكته ، ولا حاجزا إلا رفعته ،
ولا وعرا إلا سهلته ، ولا بابا إلا فتحتة ،
حتى تقيم قلبي بين ضياء معرفتك ، وتذيقني
طعم محبتك ، وتبرد بالرضى منك فؤادي ،
وجميع أحوالي حتى لا أختار غير ما تختاره
وتجعل لي مقاما بين مقامات أهل ولايتك ،
ومضطربا فسيحا في ميدان طاعتك .

إلهي ، كيف أسرزق من لا يرزقني إلا
من فضلك ، أم كيف أسخطك في رضى من
لا يقدر على ضرى إلا بتمكينك ، فيا من
أسأله أيناسا به ، وإيحاشا من خلقه ، ويا من
إليه التجأ في شدتي ورجائي ، أرحم غريبي
وهب لي من المعرفة ما أزداد به يقينا ، ولا
تسكنني إلى نفسي الأماراة بالسوء طرفة عين .

ابراهيم الجيوشي

يظلمني وأرحمه

قال أحمد الشعراء :

إني وهبت لظالمي ظلي ورأيت أمدى إلى يدا
وغيرت ذاك له على علي لما أبان بجهله على
ما زال يظلمني وأرحمه حتى وثبت له من الظلم

الهندوكية

للاستاذ محيي الدين الألواني

هو ما سمي به الركفيدا^(١) ، وهو أقدم الكتب من الآريين الذين نزحوا إلى الهند منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ، وحاربوا سكانها الأصليين من الجنس الدرافيدي ، وقد غزواهم من الشمال ، واستقروا على مقربة من كشمير ، وأفغانستان أولا ثم اتوا إلى الجنوب ثم استعمروا في الانتشار حتى بلغوا مقاطعات الهند الوسطى ، واستطاع بعضهم أن يعبروا الجبال والأنهار ويهبطوا إلى الجنوب ، أما كثرتهم فلم تستطع ذلك ، ولهذا بقى الجنوب في الغالب موطن الدرافيديين ، سيما في منطقة مدراس .

بعد انتهاء العصر الفيدي بالهند ظهر ما يسمى بعصر الملاحم لأن الملحنتين الكبيرتين الهنديتين رامايانا والمهابهاراتا اللتين تقصان علينا وقائع الأبطال العظيم ، والحرب العظمى قد كتبتا فيه ، وتفرع من الركفيدا ثلاث من الفيدات وهي د ساما ود يجر ، ود أثر ، والتحقيق العلمي يدل على أن أطوار الركفيدا من مراحل الابتدائية إلى دور تكمله ، بعد أن توطدت أركان

الديانة الهندوكية ، أو الهندوسية ، أقدم ديانات الهند ويدين بها الآن ٨٠ ٪ من مجموع سكانها ، والهندوكية لا ترجع بأصلها إلى نبي معين ، ولا إلى كتاب واحد ، بل نمت على مر السنين ، واستندت إلى عدد من الكتب التي تحمل وتجمع فلسفة الحكماء القدامى ومعرفتهم وتعاليمهم ، التي تحتوي على أنكار عالية وقصص ذات عظات وعبر ، استلهموها خلال تأملاتهم العميقة المصحوبة بإفكار الذات والتفاني في سبيل معرفه الحق . وأقدم الكتب التي تضم المبادئ الهندوكية وفلسفتها ونظامها د الفيدا^(٢) ، وربما هو أقدم الكتب في الدنيا ، ومعنى كلمة د الفيدا ، المعرفة لأنها تتضمن المعرفة التي نالها حكماء العصور القديمة والذين كانوا يسمون د ريشيس^(٣) ، و د مونيس^(٣) ، وقد كتبت في لغة سنسكريتية بالاناشيد والأغاني التي اعتاد الآريون القدماء أن يتغنوا بها ، ويعرف العصر الذي دونت فيه د الفيدا ، بالعصر الفيدي ، وأولها أو أسبقها وجوداً

VEDA (١)

RISHIS (٢)

MUNIS (٣)

إلى الآلهة مع ترتيب الأناشيد الدينية ،
والأدعية ، وربما تصحبها الرقصات ،
والطقوس المعينة المبينة في الركفيدا ،
وتتحدث الفيدا عن نظام التشكيلات الإدارية ،
والسياسية ، في البلاد كما يلي :

- ١ — كرها (الأسرة) .
- ٢ — كرام (القرية) .
- ٣ — ديش (المقاطعة) .
- ٤ — جنا (الشعب) .
- ٥ — راشترا (الدولة) .

وأما الأسرة فوحدة تتألف من بضعة نفر
يعيشون تحت رئيس حائلي ، إما هو الأب
أو الأخ الأكبر ، في مكان تحيط به مزارع
الأسرة ومرعى مواشها . والقرية عبارة
عن مجموع عائلات تقطن في منطقة معينة
مع ما فيها من المزارع والبيوت والمواشي ،
ويكون على رأسها كبير يشرف على شئونها .
وأما المقاطعة فتشكل عدة قرى مجاورة
مع حدود معينة تفصلها عن شقيقتيها
الأنهر أو الجبال أو الخطوط الوهمية المعلقة
بعلامات ظاهرة .

وذكر الركفيدا بأن الدولة التي يحكمها
ملك في بلاد معينة ذات حدود ودفاع تدعى
راشترا . وإذا لم يكن فيها ملك أو محافظ
فيضطر الشعب لانتخابه من بينهم لمواجهة
العدو تحت قيادة منظمة ، وعليه أن يقود

الفيدات الأربعة كانت تتطلب قرونا عديدة ،
وقد أكد كثير من العلماء الباحثين أن تاريخ
الفيدا ، الذي يسبق البوذية بآلاف السنين ،
لمن أقدم التواريخ المتعلقة بالجنس البشري .

يحتوي الركفيدا على ثمانين ألف بيت
مع أن خمسة آلاف منها مكررة ، ويقول
الزهم الهندى الراحل جواهر لال نهرو
في إحدى رسائله عن الهند القديمة : د لعل
هذه السكت لم تدون في أول الأمر ،
ولمّا حفظت عن ظهر قلب ، وبقيت
محفوظة في صدور الحفاظ من حكماء تلك
العصور ، يتذقونها باللسان والمشافهة جيلا
بعد جيل ، وبعد انتشار نظام السكتابة
كتبت الفيدا الأربعة في اللغة السنسكريتية
الكلاسيكية وسمى المجموع د ستهتا ، أى
د الديوان المجموع .

والفلسفة الهندوكية الفيدية تثبت وحدة
العالم في النهاية ، كمخلوق للخالق الواحد الذى
يقسم إلى جميع المظاهر المختلفة ، وإليه
مصير السكون كله ، ويدعوه الروح الأعظم ،
أو الله الأولى . وتهم كثيرا بالتقدم
الفكرى والروحى ، ويبدو من الأدعية
الواردة في الركفيدا مثل الدعاء المسمى باسم
د كيانتري متغرام ، أنها تحتل عبادة الآلهة
العديدة التي يرجى منها البركة والإحسان ،
وتدعو إلى تقديم القرابين والتضحيات

البلاد إلى أقصاها ، وورد في بعض الكتب المقدسة الهندوكيين أن الهند أى بهارت بمثابة الجنة على الأرض بسبب بيئتها المحركة للروح . وتقول تلك المصادر أيضاً بأن الأم والوطن يفوقان الجنة في العظمة .

والديانة الهندوكية تقسم حياة الفرد إلى مراحل مختلفة :

- ١ — براهما جارى : أى مرحلة طلب العلم .
- ٢ — كراهستا : أى الحياة المنزلية .
- ٣ — بايراستا : أى دور العبادة .
- ٤ — سفاسى : أى مرحلة ينصرف فيها المرء إلى التأمل والزهد في الدنيا .

وعندم أعمار خاصة لكل من المراحل المذكورة . فمرحلة العبادة مثلاً تبدأ والمرء في الخمسين من عمره وهو العمر اللائق — في نظر الهندوكية — لصاحب الأمل والبيت أن ينزع قليلاً عن متاعب الدنيا ، وينصرف للعبادة ، والمراد بالمرحلة السنيمائية الاستعداد للانتهاء من علائق الدنيا القانية

وكما يكون نظام المراحل في حياة الفرد مطلوباً في الطريقة الهندوكية ، أصبح المجتمع الهندوسى مقسماً إلى أربع طبقات بحكم الولادة في الحياة الاجتماعية وهى : البراهمة ، وتشترين وويسيان ، وشودران وفي كل منها توجد طبقات وطوائف عديدة .

جيش الدفاع بنفسه في وجه الأعداء ، معرضاً نفسه للخطر . وكان يلقى بمقابل خدماته طاعة الرعية والحراج والهدايا والتحف من القبائل ، وأعيان البلد ، مكافأة على إشرافه على كرامة الدولة .

وحسب تعاليم الفيدا يرث الولد أباه ولا ترثه بنته إلا إذا كانت وحيدته ، وتعترف بحق الملكية ، وتبيح التملك في الممتلكات المتقلة كالمواشى والخيول والذهب والحلى ، وينص دعاء من الأدعية المروفة الهندوكية على أنه يجب لكل هندوسى أن يتذكر صورة وطنه دائماً ، بل ويعبدها بصفة كونها مجموعة من الأنهر السبعة المقدسة ، وهى :

جنجا ، ويمنا ، وكوداورى ، وسراسوتى ، ونرمدا ، وسند ، وكاويرى ، وبمجموع مساحة الأراضي الهندية مقسمة فيما بين هذه الأنهر السبعة الكبيرة . وكما أن دعاء آخر يفرض على الهندوكى أن يتصور موطنه بمجموعاً للبدن السبع المشهورة وهى :

أيودھيا ، ومتهرا ، ومايا ، وكاش ، وكنجى بورام ، وأوجين ، ودواركا ، والمطلوب من كل هندوسى أن يزور ولو مرة في حياته ، هذه المدن المقدسة التى هى جزء من معتقداته . وما يزيد هذه الزيارة نفعاً أن هذه الأماكن واقعة في مختلف أنحاء البلاد ، فالذى يقوم بها ينتقل من أقصى

الطبق قد بلغ إلى درجة أن بعض الناس يخافون من لمس غيرهم أو مؤاكتهم ، ولأنه لمن دواعي الغبطة أن هذه البرهة قد بدأت تقل وتخف حدتها شيئا فشيئا في عصرنا الحاضر .

وله أيضا بيان طريف عن فكرة تقديس الأماكن في الهند القديمة فيقول : « كان الآريون مفرجين بهلال القمر ولهذا اعتبروا كل الأماكن التي على شكل هلال أماكن مقدسة . وكثير من مدنها الكبرى مثل مدينة (بناراس) كانت على شكل هلال وأن نهر « الجنج » المعروف يبدو عند مدينة الله آباد على شكل هلال حيث تلتقي الأنهر الثلاثة المقدسة لدى الهندوكيين وهي الجنج ، ويمنا وسراسوتى .

وكانت الهند الآرية ممتدة من جبال الهمالايا إلى سلسلة جبال فيندهيا بشكل هلال ، ومن ثم سموها في كتبهم القديمة (آريا فارتا) أى أرض القمر ، فلفظة الهند تعنى القمر ، وهكذا كانت آريا فارتا أرض الهند .

ويقول الفيدا في معرض بيان طريقة أداء القرابين للآلهة التي يرجى منها البركة والإحسان إن الحق واحد يتحقق بطرق شتى ، فلا مانع من عبادة آلهة كثيرة ، وتقديم التضحيات لها ، بقصد التقرب إلى الروح الأعظم ولو اختلفت مظاهره ، وأما أنواع القرابين التي يحث عليها الركفيدا المذكور فتقديم اللبن

ويقول نهرو - ومن المعلوم أنه ينتمى إلى طبقة البراهمة من الهندوكية - في معرض الكلام عن معتقدات الآريين في الهند : « ولفظة الآرى تعنى الرجل الشريف أو إنسانا من نوع أرقى وأهل ، وكان الآريون يحبون الحرية والعزة ، وعلقوا أهمية عظمى على الزراعة ومن ثم قدروا كل شيء من شأنه أن ينهض بالزراعة .

وقد رأوا أن الأنهار الكبرى أمدهم بالماء ولهذا أحبوها ونظروا إليها نظرهم إلى الأصدقاء والمحسنين الكبار ، والثور والبقرة ساعدهم أيضا مساعدة كبيرة في الزراعة وفي حياتهم اليومية ، كما أعطتهم البقرة كذلك من لبنها غذاء ، وقد اعتنوا بهذه الحيوانات وتغنوا ببركانها عليهم .

ثم مر على ذلك العهد زمن طويل أنسى فيه الناس في الهند السبب الحقيقي في هناية قدمائهم بالبقرة ، ولهذا بدأوا يعبدونها كأن في ذلك نفعا لهم .

ولعجب الآريين بأنفسهم واعتزازهم بعنصرهم دفعهم إلى التخوف من الاختلاط بغيرهم من سكان الهند ، ومن ثم سنوا من القوانين والقواعد ما يحول دون هذا الاختلاط وما يجعل زواج الآرى من غير عنصره أمرا متعذرا ، وقد تطور ذلك فيما بعد إلى ما يسمى الآن بنظام الطبقات . وما يضحك أن الاعتزاز

البالغة بدرجة لا تفسدها أى صلة مادية .
تقول السكتب المقدسة الهندوسية عن خلق
العالم : إنه كان من قبل أن يوجد شيء ما ،
بيضة كونية تسميها الأساطير « براكرتي » ،
أى الطبيعة ، وتطورت هذه البيضة تطورات
كثيرة فى مختلف الدهور حتى تحولت إلى بيضة
ذهبية ، واستكن سيد الكون فيها ، وكانت
البيضة عائمة فوق سطح البحر المحيط ، ومن
تلك البيضة خلق العالم الحاضر ، وجاء فى
أسطورة « تارايين » عن خلق الكون : أن
الخليقة انبعثت من دموص (براجاباتى) .
فلما جاء (براجاباتى) إلى الوجود من العدم
بكى ، فلما سالت دموعه تحولت إلى الأرض
وما منها منها تحول إلى السماء ، . وجاء
فى ترنيمة تارايين المشهورة فى وصف إله
الكون وحده وثنائه :

يا روح الأرواح ! أنت الذى بسطت
المسكان فى جميع الجهات .

وبسطت الزمان الذى لا نهاية له ، فأنت
الموجود قبل وجود السماء والأرض ، فأنت
استويت على الأرض . إلى أن قالت :
ولكن لا أرى الآن شئاً ، ولا هوالم ،
فإنى أرى الله فقط ، وأحمده فقط ! .

وترد الأساطير الهندوكية وحدة الكون
إلى (كلبا) أى إلى يوم من زمن (براهما)
الحالق فكان براهما يخلق فى الصباح العوالم

والحبوب والسمن واللحوم ، وكذلك أنواعا
من المرطبات الممزوجة من عصير الفواكه
والنباتات ، إلى جانب ترنيل الاناشيد الدينية
والأدعية الفيدية ، تصحبها رقصات وحركات
تعبدية .

والرقص جزء أساسى من الشعائر الدينية
يستمد وحيه من التعبيرات والابتهالات التى
تلازم الحفلات الدينية المقامة حسب التعاليم
الفيدية والموسيقى الهندية شأنها فى ذلك شأن
الرقص مصحوبة بحركات تعبيرية ، من ثم كان
الرقص الهندى الكلاسيكى خليطاً من الفن
والدين والفلسفة ، بل وكانت نشأته الأولى
فى المعابد الهندوكية ، حيث يستمد على حركات
رمزية تعبيرية أمام الآلهة ، ثم تدرج منها
الرقص الهندى إلى الأسلوب القصصى والرمزى ،
يقص الحوادث والوقائع ، ويرمز إلى مظاهر
الحياة ، ولذا نرى الهندوكية تنظر إلى الرقص
الكلاسيكى الهندى نظرة تقدير وتقديس .

وتمتد الفلسفة الهندوكية فى حياة بعدالمات
فى عالم يسيطر عليه (ياما) ، وتقول بضرورة
انتهاء جميع العلائق بالمادة لتحقيق النجاة
الأبدية ، وبعبارة أخرى تقول الهندوكية :
إن النجاة الأبدية . . . لا تتحقق إلا بالفناء
الكلى ، ولهذا تدعو الأفراد إلى القيام برياضات
شاقة ، مثل رياضة اليوجا والإمعان فى ترويض
النفس على التقشف والزهد ، والروحانية

وأما نظرية الفيديا عن العالم فتقول بوجود الأرض والسماء ، ولكن لها آراء مختلفة عن هيئة الأرض الأصلية فترى تقول إن الأرض إذا اتحدت بالسماء تكونا بهيئة كأسين وضعاً وجها لوجه . ومرة أخرى شبهت الأرض والسماء بدولابين على طرفي محور ، وتقول لمحمدي الأساطير الهندوكية : إن الأرض يحملها أربعة من العفاريت فوق أكتافهم ، وأن الزلزال تقع في الأرض حينما يعترهم التعب ويقفلونها من كتف إلى آخر .

ولذا ثبت من التاريخ أن البوذية ترعرعت في الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، فلا بد أن تكون الحضارة البرهمية ، والثقافة الهندوكية قد وطدت أقدامها فيها قبل البوذية ؛ لأن الكتب القديمة البوذية تذكر عنهما ، وكما أن الحضارة البرهمية قد اكتملت بعد مدة طويلة بعد العهد الفيدي ، لأن الأدب البرهمي المتشكل من أربعة مصادر رئيسية : سوترا ، وأرنياكا ، وأبانيشد ، وبرهمناس قد تم ترتيبه بعد الركفيدا بزمان طويل ، يمكن أن يقال بصورة قاطعة إن تاريخ الثقافة الهندوكية المبينة على الفلسفة الفيدي يرجع إلى قرون عديدة قبل الميلاد .

في المربع الأول

الثلاثة الأرض والجنة والنار ، وتنتشر في الليل هذه المواقم الثلاثة فتسير الأيام والليالي بأحداثها وتطوراتها ، وتدل النظرية الهندوكية نحو الحياة على أنها نظرية الارتقاء التدريجي ثم إلى الانحطاط ، وقد أوردت كتب « بوراناس » الهندوسية صورة أخرى عن كيفية انتهاء السكون فتقول : إن الإله « وشنو » سيظهر على صورة إله كالي ، بطلا مسلحاً وراكباً على حصان أبيض له جناحان مجليان بالمجوهرات محمكا بيده من فوق رأسه حسام الدمار والحرب ، حاملاً في يده الأخرى قرصاً ضخماً ، ويرفع حصانه قدمه اليمنى الأمامية ، والدنيا واقفة على رأس أفقى جالسة على ظهر سلحفاة وعندما يضرب الحصان بقدمه على الأرض تسقط السلحفاة في الهاوية ، وتتخلص من الثقل العظيم ، وبذلك جميع خبيثات العالم ، وورد في كتاب كيتا عن نهاية العالم : الغيوم تمنع عن المطر لمدة مائة عام ، فلا يجد الناس طعاماً يأكلونه ، فلما يشتد الجوع بهم يضطرون لأكل بعضهم بعضاً ، وهكذا يلقون بأيديهم إلى التهلكة والفناء .

ومناك وصف آخر عن نهاية العالم : طوفان خفيف يحيط بالأرض ، وشموس ملتهبة في السماء تمتص مياه الطوفان ، ثم تهب على الأرض ريح من نار تأكل جميع الأشياء وهكذا يحترق العالم بأسره .

سوق وتاريخ العرب والإسلام

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

— ٢ —

وهنا نتحدث عن آراء شوقي وآياته الخالدة ، في كتابه « دول العرب وعظماء الإسلام » ، الذي نظم في منفاه بالأندلس ، إبان الحرب العالمية الأولى ، والذي قصره على الحديث عن تاريخ الإسلام وبطولات أعلامه الخالدين ، وقد طبع الكتاب لأول مرة في القاهرة عام ١٩٣٣ بعد وفاة شوقي بعام ... وكله من بحر الرجز العذب المستساغ يقول شوقي في مقدمة هذا الكتاب أو الديوان على حد سواء ، مشيراً إلى الحرب العالمية الأولى ، ويذكر تأليفه لهذا الديوان في منفاه :

لما رمى الله بهذي الحرب
على بني الشرق وأهل الغرب
تحركت سواكن الأقدار
واطردت عوامل الأكدار
وحكم الله بهجرة الوطن
وطالما ابتلى بها أهل الفطن
فكنت أستعدي على الموم
بنات فكر ليس بالموم

— ١ —

كان شوقي صاحب بيان ، أنصّر الله به صفحة الأدب ، ولغة العرب ، وحفظ به تراث الإسلام والمسلمين . كان صوتاً قوياً من أصوات العروبة ، وسيفاً مجلواً ينتضى للزيادة عن العرب ، والدفاع عن الإسلام . كان حبه كله لبلاده ، وإخلاصه كله لدينه . وقصائد شوقي وفرائده ، في الإسلام وتاريخه ومآثره ومفاخره ، وفي الاعتزاز بكتابته الخالدة ، وبلغته المبهنة الفصيحة ، ورسائله في القديم والحديث ، ظلت وستظل منهلاً عذباً ينهل منه الواردون والظالمون ، ويأخذ الحكمة منه السابقون بمن أتوا بعده واللاحقون ...

إن أمير الشعراء سبق جميلنا في الدعوة إلى بناء الحاضر الممتد لشعوب الإسلام على أساس قوى من تراث العربية وثقافتها وماضيها ، وفي المناداة بوحدة الشعوب الإسلامية والعربية وإخائها ، وفي تعظيم شأن العرب وقوميتهم ، وفي الدعوة إلى اشتراكية الإسلام السمحة ، بما تحتمى عليه من حب وعدل ومساواة وإخاء ومثل عالية رفيعة .

شوقي واللغة العربية :

يحتوى الديوان على قصيدة عن العربية
 هنوانها « لغة العرب ، مجد فيها شوقي لغة
 القرآن وعدوبتها وفصاحتها ، وأشار إلى
 أطوار تهذيبها ، ونزول القرآن بها ، وحلها
 لرسائله وثقافته وحضارته ، واستعارتها
 من فارس واليونان ما استعارته من معرب
 منقول ؛ ودعا الشباب العربى منها إلى التزود
 من ثقافات العرب والعربية بكل جليل ومفيد
 داعياً إلى ترك الزيف من دعوات الداهين
 لهدم تراثنا ، والانقضاض على قديمنا ؛ وإلى
 الأخذ بطرف من كل جديد مفيد ، وإلى
 الإقبال على القرآن والحديث لإقبال المستفيد
 المسترشد لما فيها من حكمة وأدب وبلاغة .
 يقول شوقي - فيما يقول - من هذه القصيدة :

اسانك الأول في الكفاب

ولغة الصبوة والعتاب

نفض عباب فقهه وسره

وغصص على صحيحه وحره

لا ترض منه مبلغ الرعام

وحصة الأهمى من الشعاع

واقراً علوم السلف الأعلام

فإنها معالم الكلام

وب قديم كشماع الشمس

ابن غد واليوم وابن أمس

حتى أراد الله أن نظمت

من سير الرجال ما استعظمت

واخترت بهراً واسعاً من الرجز

قد زعموه مركباً لمن عجز

برون وأباً وأرى خلافه

السكاس لا تقوم السلافة

وقيمة اللؤلؤ في النحور

بنفسه وليس بالبحور

شعر لزمت فيه ما لا يلزم

وتركه ألقى بي وأحزم

وهو هنا يشير إلى بجل منهجه في هذا

الديوان من حيث الموضوع والشكل ؛ وإن

كان لم يستطع الإفصاح كل الإفصاح عن قيمة

أعماله الفكرية أو الأدبية ، أو الفنية على

السواء ، وقد يكون مبعث ذلك أن الشاعر

غير الناقد ، وأن حديث الشاعر عن شعره

قلما يكون ذا قيمة نقدية كبيرة وعلى الجملة

فطلاوة ديباجة شوقي ، وهذوبة أسلوبه هنا

أكبر من مغزى كلامه ومعناه .

— ٣ —

ولسوف نتناول بعض آراء شوقي في هذا

الديوان بالدراسة والتحليل والنقد ، لأهميتها

ولأهمية الديوان معا ؛ إذ أنه من أروع

ما يمكن أن يكتبه شاعر ليقرب التناويع

إلى عقول الناس ، وليتخذ منه مادة لأدبه ،

وموضوعاً لشعره .

وخل ما زبفت الليالي
 وما نفت مصارف الأجيال
 ولا تضع من الجديد كله
 يفتك وضع الشيء في محله
 رب جديد عنده الممول
 ورب كنز لم يثره الأول
 إن طريق العقل لا يسد
 ومذهب الأفكار لا يجد
 وما أعظم ما رسم شوقي هنا من منهج
 قوى يحافظ على العربية ، وإن كان لا يتذكر
 للتجديد المقبول الذي يقره أئمتها سواء
 في مفرداتها أو قواعدها ، إن شوقي في هذه
 القصيدة كان يصدر عن عقل حصيف ،
 وتجربة حكيمة ، وفكر مضى ... وقد دعا
 شوقي إلى تسجيل تاريخ العرب بالشعر ،
 وفضل الشعر التاريخي والنثر التاريخي
 على كتابات المؤرخين ، الذين يسجلون
 الأحداث خصب ؛ وذلك في قصيدة له في هذا
 الديوان ، عنوانها « التاريخ » ، ويشير
 شوقي في قصيدته الوطن إلى سيادة العرب
 والعربية بعد الإسلام ، فيقول :

البيت المحرام :

وقصيدة شوقي في الديوان عن البيت المحرام
 تنبئ بحبه للعرب والعربية والإسلام وكتابته
 لغته ويده العتيق ، وقد تحدث فيها عن
 قداسة البيت وعظمته وتاريخه وسدنته من
 قريش أبناء إسماعيل ، ومن العرب
 الميامين الذين انتشروا في كل صقيع .

انتشروا قبائل على الزمن

ملء الحجاز والشام واليمن
 وبختم القصيدة ببيان أهمية البيت المحرام
 وجلالته حتى في الجاهلية ، حيث يقول :

وأنجز الله النبي وعده
 وساد قومه الزمان بعده
 فورثوا قيصر في المشارق
 وأخذوا الغرب بسيف طارق

يتحدث عن بطولات المسلمين وتاريخهم
وسير أعلامهم .

وهنا نشير إلى أن اتحاد شوقي القصيدة
العربية موضوعا لتسجيل التاريخ كما يبدو
في هزيمته في الجزء الأول من ديوانه ، وفي
هذا الديوان ، كان عملا كبيرا في تجديد الشعر
وفتح الأبواب أمام الشعراء ، وإمداد الشاعر
بطاقات كبيرة من المعاني والأفكار والأخيلة
والحكم الأصيلة ، ولا شك أن ذلك كان
خطوة من خطوات التجديد الشعرى عند شوقي ،
وكان مقدمة لكتابة شوقي رواياته التاريخية
التي عدت فتحا كبيرا في الشعر العربي الحديث .

ونحن لا ننكر أن شعراء العربية القدامى
سبقوا (شوقيا) في هذا المضمار ، من مثل
ابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) الذي نظم
تاريخ الخليفة المعتضد العباسي (٢٧٩ -
٢٨٩) وكما فعل ابن عبد ربّه (٣٢٨ هـ)
في نظم تاريخ الناصر الخليفة الأموي الذي
حكم الأندلس خمسين عاما (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ)
ولكننا لا نتجاهل أن شوقيا قد جدد الشعر
العربي بنظمه لأحداث التاريخ الإسلامي
وبطولاته وسير أعلامه وجمدد طريقة
الأقدمين في كتابة السيرة ، وتسجيل
تاريخ الإسلام منذ بدا فجره بضيء في آفاق
الدنيا وأرجائها .

رحمك الله يا شوقي في الخالدين ؟

محمد هببر المنعم ففاعة

لا ينطق الهجر به والإفك
ولا يحمل للدماء سفك
وما أروع ما قال شوقي في البيت الحرام .

شوقي والسيرة :

وإذا كان شوقي قد حلق في قصيدته النبوية
« البردة » ، فقد حلق هنا في هذا الديوان
في مطولته الرائعة « السيرة النبوية » ، التي
تحدث فيها عن الرسول حديثا عجبا جامعا ،
في طفولته وشبابه ورجولته ، وفي بعثته
ورسالته ودعوته وهجرته وغزواته ...
صلوات الله عليه .

تاريخ العرب - ملخص في الديوان :

ويمضي شوقي في الديوان في تسجيل
تاريخ الإسلام تسجيلا رائعا في قصائده :
الخلفاء الراشدون ، خلافة أبي بكر ، خلافة
عمر ، عمر وخالد بن الوليد ، مقتل عمر ،
خلافة عثمان ، الخنصان ، أمير المؤمنين علي ،
معاوية ، عمرو بن العاص ، خالد بن الوليد ،
دولة بني أمية ، خلافة عبد الله بن الزبير ،
البيعة للسفاح ، أبو مسلم الخراساني ، الدولة
العباسية ، أبو جعفر المنصور ، صقر قريش ،
دولة الفاطميين .

ففي هذه القصائد يسجل تاريخ الإسلام
وملوكه وخلفاء المسلمين ، تسجيلا صادقا
واعيا ، ويصور الأحداث تصويراً قنياً
عاليا ، وينطق الزمن حتى لكأن الزمن

توضيح وتصحيح لتفسير آية

للأستاذ عباس طه

لذلك ، فنزلت ، وما أرسلنا من قبلك من رسول ، الآية ، ويكون معناها على هذا : ما من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألا يكون من الوحي ما ينفر منه قومه ألقى الشيطان في أمنيته : أى أجرى الشيطان على لسانه كلاماً من تأليف الشيطان كالذى أجراه على لسان الرسول من قوله : تلك الغرائيق إلخ . هذا ما يقوله المفسرون في سبب نزولها ، وفي تفسيرها .

ولما قبل أن تناقشهم فيما يمس صميم الدين وأصوله من جراء هذا التأويل ، تناقشهم في أمور دون ذلك .

وأول ما تناقشهم فيه من هذا هو أن ذلك التأويل يقتضى أن كل نبي قد تمنى ألا يكون فيما يوحى إليه من ربه ما ينفر قومه كما يقتضى أن كل نبي أجرى الشيطان على لسانه غير ما أنزل إليه من الله ، فهل يمكن لأحد من الناس أن يثبت ذلك لإثباتاً صحيحاً أو قريباً من الصحيح ؟ إنا موقنون أن لأجواب لذلك سوى التنبى البات .

وثانى ما تناقشهم فيه : أنه بناء على هذا التأويل فإن النسبة تنقطع كل الانقطاع بين الآية وبين ما سبقها من آيات ، إذ الآيات السابقة كلها عزاء للرسول صلى الله عليه وسلم بذكر ما كان من تكذيب الأمم السابقة لرسولهم ، وكما ترى ليس بين (أن كل رسول

يقول الله تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم ، . يذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية وجهين :

أحدهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجرى في نفسه شئونا أخروية فيخطر الشيطان بنفسه خواطر دنيوية ، ويسوقون للاستشهاد على ذلك حديث (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة) فنزلت الآية تعزية للرسول ، ويكون معناها على هذا : أنه ما من نبي ولا رسول إلا كان إذا اتجه بنفسه إلى شئون الآخرة أثار الشيطان في نفسه خواطر الدنيا .

وثانى الوجهين : أن الرسول كان قد تمنى ألا ينزل عليه من الوحي ما ينفر قومه من تحقير معبوداتهم ، وتسفيه أحلامهم ، ثم كان أول ما نزل بعد تردد هذه الأمنية بنفس الرسول سورة : والجم إذا هوى ، فلما بلغ في قراءتها أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، أجرى الشيطان على لسانه : تلك الغرائيق العلاء ، وإن شفاعتهم الزتمى . فنزل جبريل فأخبره الخبر ، فاعتم

ما ينكره الدين وينكره الواقع ، فإنه ليس للشياطين من صلة بالناس إلا أن يوسوسوا لهم بالكفر والعصيان ، وحق هذا أيضا نرى الله قد اسقنى منه عباده المخلصين ، وليس من ريب في أن الأنبياء الرسل هم صفوة المخلصين .

وثالث ذلك : ما يستلزمه حديث الغرائق من اقتلاع الثقة من النفوس بسكل ما جاء به رسول الله من أصول وأحكام ، فما من أصل ولا حكم إلا ويجوز بحين أن يكون بما أجراه الشيطان على لسان النبي إن كان قولاً ، وهلى جوارحه إن كان فعلاً .

من هذا يتبين للقارىء أنه يجب وجوباً لا مراء فيه أن يسلك في تفسير الآية الكريمة وجهار غير هذا الوجه ، وسبيلاً غير هذا السبيل . وإليك ذلك :

لأننا نعلم أنه ليس للرسل والأنبياء من غاية في هذه الحياة يحاولون تحقيقها ولا من أمل منها يتحملون من أجله أهول المشاق وأعظمها ، إلا شئ واحد هو : أن يستجيب لهم قومهم ويؤمنوا برسائهم فتلك مهمتهم في هذه الحياة وأمنيتهم التي لا يرجون سواها ، ولا يمكن أن يخطر ببالهم غيرها . نعلم إلى ذلك أيضا أنه ما من أمة دعيت على لسان رسول إلى خير ورشاد ، وإصلاح ونظام إلا صدم الشيطان ووسوس إليهم وزين لهم الشر والكفر ، وقبح في نظرهم الخير والإيمان ، وأثار حول أدلة الرسول وإرشاداته شبهات

قد سلط عليه الشيطان . وملك عليه لسانه فأجرى به ما شاء لا ما شاء الله ، وبين تكذيب الأمم (رسلهم) مناسبة ما .

وثالث ذلك : أنه إذا كانت أمنية رسولنا الكريم هي ألا يكون في الوحي ما ينفر قومه لا يكون لإجراء (تلك الغرائق العلا) على لسان الرسول من قبيل الإلقاء في الأمانة بل هو تيسير أصيغها ، ومحاولة لتحقيقها .

أما ما نريد أن نناقشهم فيه مما يمس صميم الدين ويهدم أسسه وأصوله فأول ذلك : أننا نعلم أن أساس الرسالة هو دعوة الناس إلى توحيد الله بالإعظام والتقديس والرجاء ، وإفراده بالعبادة والهدى ، فلا مناص - والأمركذلك - عن حجاجهم في معبوداتهم وبناء الأدلة والبراهين على بطلان عبادة غير الله ليتخلصوا دينهم لله ، فلو جاز أن يكون مثل هذا المتعنى نبياً أو رسولاً لكان معناه أننا نجيز على الأنبياء أن يجاملوا في دينهم ويلائقوا في رسالتهم ، وذلك الذي طالما هبناه على العادى من الناس فضلاً عن الرسل والأنبياء .

وثانى ذلك : ما يستلزمه حديث الغرائق من أن يكون للشياطين من السلطان المهادى ما يصل في قوته وهيمته إلى حد أن يملكوا على الأنبياء ألسنتهم ، فيجروا عليها الكفر والصراح والشرك الهادم ، واللازم البين لذلك أن يكون ما يملكون على الناس من غير الرسل والأنبياء أكبر من هذا وأفطع ، وذلك

وبذلك ترى بين الآية وبين الآيات السابقة صلة تامة واضحة .

وثالثا : ماتراه من العدول عن سلوك سبيل الحقيقة فيما أسنده إلى الشيطان ، إذ لم يقل بدل (ألقى الشيطان في أمنيته) طاق الشيطان أمانهم بالوسوسة إلى قومهم ، بل سلك سبيل المجاز فكان ماترى من إيجاز هو أكثر شمولا وفائدة عما في أسلوب الحقيقة من تفصيل ، ثم هو إلى ذلك الإيجاز قد أبرز وساوس الشيطان وما يوحى من شبهات في صورة الأشواك والصخور تلقى في الطريق المعبود فتقف بالسائرين عن مواصلة السير إلى غاياتهم : ذلك أن الإلقاء من خصائص الماديات ، فلما أسند الإلقاء إلى الشيطان والشيطان لا يكون منه إلا الوسوسة والتخييل ، كان ذلك تصويرا للوساوس إلى السامعين بالأشواك والصخور والسدود مما يزيد في نفور الناس من الشياطين ويضعف الحذر منهم .

وهنا يقف بين مواكب الجلال والجلال ما يتجلى من روائع القرآن ، ويلتصع في ثنايا الأسلوب من دقائق تحتلب القلوب ، وتملك النفوس . فإنه تعالى لما أراد تعزية رسوله بما قص عليه من تفصيل ما كان للأنبياء والرسل من أقوامهم ، وكان مهما أطال بذكر رسل وأنبياء . فإنه يبق احتمال أن يكون هناك رسل وأنبياء لم تذكر أسماءهم تكون قد تحققت لهم أمانيتهم واستجابت لهم أمهم دون أن يعوقهم الشيطان عن سرعة تحققها فلا تم التعزية مع

وشكوكا مختلفة الألوان والاتجاهات ، سفة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وهذا الصد وتلك الوسوسة هو إلقاء الشيطان في أمان الرسل ، فإنه بالصد والوسوسة وإثارة الشبه والشكوك كأنما يلقي الأشواك والصخور (في طريق الأنبياء إلى غايتهم التي هي استجابة قومهم لهم ، وإيمانهم بهم . فيكون معنى الآية على هذا : إنه ما من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى إيمان قومه واستجابتهم للخير والرشاد ، صدم الشيطان عن الإيمان وعاق الرسل عن أمانهم بما يشير من شبه وشكوك حول آيات الرسل وحججهم ، وحول ما جاء به من أصول وأحكام ، ثم ما هو إلا قليل حتى تنطفئ شفقة الباطل ، وبشفقة ودخان الشكوك والشبه التي أوحى بها الشياطين إلى نفوس المدعوين ، ثم يبدو الحق بحكم البنيان ، راسخ الأركان ، باسق الفروع .

هذا هو التأويل الصحيح ، والمعنى الحق الذي يجب أن تحمل عليه الآية .

أما أولا : فلأننا نتحاشى به باطلا لا يدانيه باطل ، وفسادا لا يساويه فساد ، ألا وهو مجاملة الأنبياء في دينهم ، وهيمنة الشيطان على ألسنتهم .

وأما ثانيا : فلأن الآيات السابقة قد ذكر فيها تكذيب الأمم الماضية لأنبيائهم بما يدل على أنهم جميعا قد عاقهم الشيطان عن غاياتهم ما زين للقوم ، وأوحى لأجهم من شبهات ،

أن الشيطان يصح أن يلقي غير الشر الذي هو الشبهات والوساوس ، وعليه فيكون عدم ذكر المتعلق بالإيدان بانحصار ما تلقيه الشياطين في الشر وأنه لا يكون عن طريقهم خير فجرد ذكر الإلقاء مسنداً إليهم مفهوم نوع ما يلقيون إلى الناس ، وفي ذلك من تقييح أمر الشيطان ما فيه .

وإلى هنا أستطيع القارىء عذراً في أن شغلت بروائع القرآن عما أنا بصده والآن سأعود ثانية إلى موضوعنا الأصلي فأقول .
إنى بعد أن اهتمت في تأويل الآية إلى ذلك المعنى راجعت تفسير الإمام الألوسى فوجدته بحمد الله قد أغفل حديث الغرائيق إغفالاً ولم يعرض له غير أنه فسر قوله تعالى (تمنى) بقرأ وفسر ما يلقيه الشيطان بما يشبه المغالطات ، ولكنى على أى حال قد سرنى كثيراً سلوك الأستاذ الألوسى هذا المسلك المشعر بأنه يرى بطلان حديث الغرائيق ، والمشعر بوجوب صيانة القرآن الكريم عن الغرعات والباطيل وما يخدش قدس الرسل والأنبياء ، ولقد أيدلنى ما اهتمت به إليه من تأويل في الآية ما أخبرنى به أحد شيوخنا الأجلاء الذين ضربوا في علوم التفسير بهم أسدً ورأى أشد وقد نحا هذا النحو إمام المحققين وقطب الواصلين سيدى عبد العزيز الدباغ أكرم الله مثواه ورضى عنه وأرضاه .

عباسى ط

هذا الاحتمال ، لما كان كذلك تراه قد أجل التسلية في أسلوب شامل مستقص في الأفراد ومستقص في الأزمان ، حتى إذا أقلت واحد من عموم الأفراد في قوله (من رسول ولانها) لا يقلت من عموم في الأزمان قوله (من قبلك) لأن (من) الأولى في الآية لا مستقصاء الأزمان ، والثانية لاستقصاء الأفراد ، وبذلك لا يبقى هذا الاحتمال ، فتمت تسليية الرسول حين يعلم أنه لم يشذ عما بينه وبين قومه نبي من الأنبياء .

وتراه ثانياً لم يذكر مفعول (تمنى) فلم يقل : إلا إذا تمنى هداية قومه ، لأن المفعول يشعر دائماً بأنه قيد في فعله وأن الفعل متعلق به هودون غيره مما يصلح أن يتعلق به ذلك الفعل ، فذكره مفهوم لا محالة أنه للاحتياط عما عداه من المفعولات ، فلو ذكر مفعول (تمنى) الذى هو هداية القوم ، لأشعر أن الرسل متمنيات غير هداية قومهم . وعلى هذا يكون إنما ترك للإيدان بانحصار تمنيهم في ذلك المطلب العالى وتلك الغاية النبيلة ، وفي ذلك من لتنويه بشأن الأنبياء ما فيه : وكذلك الشأن في (قوله ألقى الشيطان في أمنيته) إذ لم يذكر المتعلق ، فلم يقل : ألقى للشيطان في أمنيته العوائق من شبهات ووساوس ، لأن ذكر المفعول وهو - كما قلنا قيد في فعله - ، يفهم أنه للاحتياط عن مفعول آخر ، وهذا يشعر بصحة تعلقه بذلك الآخر ، فيفيد

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي للدكتور سعد الدين المجيزاوي

وصين يطرب له عشاق الأدب الكلاسيكي
وتتطلع إليه قلوب المشتغلين بالتاريخ
الإسلامي في مختلف مناحيه .

وهو لم يقتصر على سرد التاريخ بل أنه ضمن
هذه المعلقة كثيرا من أحكام الحج ، وفضل
العرب على غيرهم ، ومزايا الإسلام ...
وقد تضمنت هذه المعلقة :

١ - مقدمة :

وقد قدر لها أن تبقى ألفين من السنين ،
وهل لماذا سلك سبيل المدرسة القديمة ،
على جاهلي اللفظ بمرت آمنة
ومن لهجات العرب سمعت الأحاسنا
أيمدح بيت الله بالغث إن يكن

سمين ؟ وقد بز المسكان الأماكنا
وفي جاهلي من زمان ومسلم
حياة له تروى قديما وراهنا
وقال في « رنحة الحج » :

حجاج بيت الله

لا ثروة لا جاه

السكر في أخواه

طوبى لكم حج

« المعلقة الإسلامية : أو معلقة الكعبة ،

للأستاذ اليعربي محمد محمد توفيق ، وشرح
الأستاذ محمد أمين التيمي وقد ذكر في المقدمة
فكرة هذه المعلقة :

وقبل أن أفكر جديا في طبع هذه المعلقة
عرضتها على كثير من شعراء العالم العربي
وأدبائه ، فكان الإجماع على الإعجاب بها ،
والطرب لها ، ووصفها بأنها ألياذة
إسلامية ، وكانت الرغبة في طبعها حفظا لها
من الضياع ، وكان السعي الحثيث لذلك ،
حتى تم التوفيق بإخراجها إلى العالم الإسلامي
بهذا الثوب القشيب .

فإلى أنصار المدرسة القديمة ، وإلى متذوقي
اللغة العربية ، وإلى عشاق الأدب العربي
وإلى كل مسلم يهجه الإمام بتاريخ الكعبة ،
والمسجد الحرام ، حيث يولى وجهه خمس
مرات كل يوم : أقدم هذه المعلقة الإسلامية .

وهي طراز آخر من الملاحم الشعرية
الحديثة ، إذ اتجه الشاعر فيها إلى التاريخ
لناحية هامة ، وعرض هذا التاريخ في شعر

وقد نظمت جميعها على بحر واحد هو
« الطويل » ، وقد استطاع الشاعر أن يجعل لها
جميعاً قافية واحدة جعل لها « الدال » ، روي
وقد بلغت مجموع أبياتها ثمانمائة وخسين بيتاً
ما عدا الأخيرة « خادم البيت » ، فقد جعل لها
روياً آخر هو « الراء » ، وأبياتها خمسة عشر
ومائة بيت .

ولعل الذي يسر للشاعر ذلك هو اختلاف
الموضوعات ، فهي وإن كانت متسلسلة
في أحداثها إلا أن كل عنوان منها يمكن
أن يعتبر موضوعاً مستقلاً ولكن كيف كان
الامر فإن التزام قافية واحدة في هذا العدد
من الأبيات قد اضطر الشاعر إلى التكرار
والتكلف .

وفعرض هنا نماذج قليلة منها :
يقول عند « ظهور الإسلام وتحطيم
الأصنام » :
ولما أراد الله إظهار دينه
تنزل فرقان على قلب أحمد
نبي الورى طه القريشى محتداً
وسيد أهل الأرض من سبط سيد
ثم يأخذ في وصف النبي الكريم وقيلته ،
ويبين عجزه عند إيفائه حقه مهما أوتى
من فصاحة وبلاغة . ثم يبين كيف حطم النبي
الأصنام . ويتنقل بعد ذلك إلى معالجة
موضوع دقيق وهو تحويل قبلة الصلاة

في ملابس الأحرام
دنيا من الأقوام
سام يؤاخى حام
والطرق ترنج

ذنب الورى مغفور
والنفس فيها نور
بيت هنا معمور

يعلمو به العج
يا أيها الأبرار
صلوا على المختار
في جنة لا نار
يمضى بنا فج

٢ - المعلقة : وقد تضمنت العناوين
الآتية :

لهام الكعبة - هجرة الخليل بهاجر
ولسماعيل - زمزم - رفع القواعد من البيت -
أصنام إبليس ، عبد المطلب وإعادة حفر
بئر زمزم - ذهب الكعبة والنذر - العروبة
في جاهليتها - المعلقات على الكعبة - البيت
رب محمية - إعادة بناء الكعبة - ظهور
الإسلام وتحطيم الأصنام - تحويل القبلة -
مناسك الحج - أحكام عامة وحرمان البيت -
خاتمة . خادم البيت .

وقد تضمنت هذه العناوين قصائد تختلف
طولا وقصراً بحسب طبيعة موضوعها

من بيت المقدس إلى الكعبة وما كان من موقف
اليهود منها .

لقبة دين الله خبء فصاحق
وما هذر ما قيل في نعت حمجد

وأرجو بها طبعاً لدى الخلد حالياً
فقد مر من دنياى هيشى الممدد

تماجدت لما صغت فيما ، ولم أزل
أصوغ حديث الشاعر المتمجد

وفي جهمة ، والليل بالصبح حالم
بكيت ، ومن يشهد من الحب يكبد

إلى أن يقول :

وقه شرق من جهات ومغرب
ولكننا وجه الهدى في التزود

بمسكة صلى الناس ، ثم يثرب
إلى القدس في ساكوته المتمود

بميدانه أنجاد دين وحكمة
أطلت عليه في هلا متأبد

ومن سبل ما حوله من محافل
ويرفل في زيتونه المتعمد

إليه سرى فوق البراق محمد
بعزم نبي وانبثاقة مؤجد

وبعد أن يصف بيت المقدس وأفضاله
يقول :

على أن بيت الله أول بأحمد
وإن نفس بيت الله في النسل يأمد

لديده نور ، والثواب عطاؤه
ويقبس مد نوره المتفرد

وفي نهر مد النهار بأفقه
وثم غمام كالقطيع المتسد

إلى أم بشر سار طه وصحبه
وكانت أعدت من ثمار ومعقد

وحانت صلاة الظهر والشمس جذوة
وأطرافهم بلى بماء مهد

فنص أمين الله جبريل آية
إلى المصطفى في لطفه المتشد

بها ضاء بيت الله في الدين قبة
لحل قريب في الصلاة وأبعد

وآخر صف صار للناس أولاً
ومن يك ذا حرص على الوحي يأفد

وأطلق نعت القبلتين تيمناً
على مسجد في ثرب الخير مفرد

فما يعود ، والآلى ضل وبهمم
وقبلتنا ؟ بل وبهمم في التنقد

يقولون : ما ولام عن سبيلهم
وفهم من البشرى وجيفة أكبد

ألا فليكن فيهم لها با وغصة
تثوب وإن يستقرخ عنها تزيد

١ — وقد حرص الشاعر في هذه المعالجة
على اختيار الألفاظ الفصحى وإن كانت

غريبة غير متداولة مثل : ميداء ، متأبد ،

ناحية من أيجاد تاريخ العرب والمسلمين ،
وأضافت إلى الدراسات الإسلامية سفرا
جليلًا ...

ملحمة عيد الغدير :

الشاعر اللبناني بولس سلامة نشرها
عام ١٩٤٨ ، متضمنة خلاصة لتاريخ العرب
في الجاهلية و بروز قريش بين قبائلها وظهور
النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم تاريخ الإمام
علي بن أبي طالب وتصوير المآسي التي وقعت
لآل البيت على يد الأمويين .

وهذه الملحمة في حوالى خمسة آلاف
وخمسة بيت ، وكلها من بحر واحد هو
الخفيف ولكنها قصائد متعددة القوافى ...
وقد ذكر في التصدير أن اختلاف الدين
لا يمنع أن يتناول ناحية تاريخية تصور
جزءاً من تاريخ العروبة ويتحدث عن بطل
من رجالات العرب .

ومما جاء في التصدير عن منهجه في نظم
هذه الملحمة قوله : « ومع الانطلاق الشعري
الذى حاولته ، فقد بقيت مغلول الجناحين ،
لا أستطيع أن أخلع على الوقائع من الفن
إلا بمقدار ، ذلك لأن الملاحم تدور على
الأساطير حيث يسبح الشاعر ولا رقيب
عليه إلا ذوقه . وكتابى هذا محوره التاريخ ،
والتاريخ حرام على الخيال حتى في الحوادث

مؤجد ، يأمد ، لديداه ، يأفد ، وبه ، أكبد
في هذه الأبيات القلائل .

٢ - والتزم قافية واحدة في ثمانمائة
وخمسين بيتاً ، وهذا قد اضطره إلى صوغ
معانيه صياغة خاصة تغلب فيها الحرص على
اختيار الألفاظ على السبك الشعري الذى
يحتاج إلى رنين الشعر المنبثق من الاهتمام
بالمعنى ، فالرفين المرصيق للفظ « قريب »
يقابله لفظ « بعيد » لا « أبعد » كما قال :
« لكل قريب في الصلاة وأبعد ، ولسكنه
حكم القافية .

ومن ثم فقد كان الشاعر مقيداً بأمرين
يحولان دون انطلاقه في ترقيق هذا الشعر
وهما : وحدة القافية وما يتبع ذلك من الحرص
على ألفاظ بعينها ، ثم إشاعة الكلمات العربية
المهجورة .

وهو أمر يحمد عليه الشاعر إذا قصد تسجيل
الألفاظ لإحيائها كما فعل المرحوم الشيخ محمد
عبد المطلب ، وكما فعل من قبله السيد البكرى
وغيره ، وكما دعا إلى ذلك الأستاذ أحمد حسن
الزيات في كتابه « دفاع عن البلاغة » .

ولكن هذا الأمر يقرب هذه المعلقة إلى
الشعر التعليمي ، ويجعل الإفادة منها مقصورة
على الدراسة التاريخية واللغوية .

وكيفما كان الأمر فإنها عرضت لموضوع
شائق ، يتصل بالعقائد الإسلامية ويسجل

العادية فكيف به عند ما يستند معظمه إلى الأحاديث النبوية :
ونكتفي هذا بذكر نموذج من شعر هذه الملحمة .

عما جاء في وصف شجاعة علي يوم الخندق وقتله عمرو بن ود :
ومضى حيدر يروم هصوراً يلتوى الأخشابان قبل التواءه
أيها الفسر ، دونه كل نسر ليس غير النجوم في أجوائه

د ملحمة الذكريات الإسلامية ، :
د الرسالة النبوية المحمدية ، :
لمفتشها محمد البدرى محمدين .

وأبيات هذه الملحمة خمسون وأربعاء بيت ، وقد نظمها الشاعر على طريقة المربعات واختار لها بحراً واحداً هو الرمل ، وقافية موحدة للربيع هي الهزمة .

وقد تضمنت صورة الحياة الجاهلية ثم ذكرى مولد الرسول الكريم وبعثته والإسراء والهجرة ثم الغزوات وانتشار الإسلام في أكثر بقاع العالمين :
وقد جعلها فصائد لكل منها عنوان ، وختم كل موضوع هذا المقطع : جددوا الذكرى لخير الأنبياء . ماعداً آخر بيت فقد ختمه بقوله : د خلدوا الذكرى لخير الأنبياء . قال في المطالع :

جددوا الذكرى لخير الأنبياء من لداء الشرك وافي بالدواء وبدا في ظلمات فأضاء وبه الأرض استنارت والسماء وبما جاء في قصيدة انتشار دعوة الإسلام :
شمل الله البرايا بهداه أيقنوا أن ليس معبوداً سواه خضعوا للدين والسكل اقتفاء لم يعد في العقل عن رشد غياه

* * *

وابتنى الدنيا بناء من جديد فعلا الصرح ، وحاشا أن يميد لبنات الحق أقوى من حديد وبناء الله يعلو عن فناء وتعتبر الملحمة تلخيصاً للسيرة النبوية وآثار الإسلام بأسلوب شعري بعيد عن التعقيد اللفظي ، وطبيعي أن الشاعر مقيد في خياله بالعقيدة الإسلامية كغيره من شعراء المطولات .

ملحمة الثورة :
للأستاذ علي زهران وقد رأيت الإشارة إلى هذه الملحمة لأهمية موضوعها وطولها إذا تقع في تسعين صفحة تسجل أعمال ثورتنا المجيدة من يوم قيامها إلى نهاية ١٩٥٧ .

وهي صورة لأدبنا الشعبي الجاد الذي ينبغي أن تعنى بنشوة الأذاعة والتليفزيون لأنه

وقد نظمها على بحر واحد هو البسيط
وقافية واحدة في شعر رصين يفيض حماسة
بميد هن غريب الألفاظ .

وما جاء فيها من وثبة الجيش بعد تصوير
العهد الفاجر :

وما دروا أن في مصر أشارسة
هم معقل الأصل الباقي بواديها
هم الجنود : جنود الجيش قد نهضت
بالليل في غسق الاستحار تحميها

والعدل ، والرفق ، والإحسان يديها
ورفع شأن الحمى أسى مراميها
ومما جاء في استنهاض همم العرب :

كم بالعروبة من أهوال أندلس
وكم مسأى تنالت في أراضها
فيا بني العرب : ودوا العار واقتحموا
عرائن الأسعد إن بانت عوادها
في مسمع النجم عنكم كل صالحة

وفي يمين الملا منكم هوادها
وكم لكم يا حماة الضاد من نعم
على العباد تسامت في مبانها
سودوا البرايا كما سادت أوائلكم
فأنتم الأمن للدنيا ومن فيها

سهر الميرى الجيزاوى

أجدى من كثير مما يذاع من الأغاني العاطفية
الرخيصة .

وقد نظمها مقطوعات زجلية ، ولذلك
لم أرداعيا عرض نماذج منها لأنها لا تدخل
في باب الشعر الفنى من حيث نسجها ولغتها .
أما موضوعها وأفكارها فغاية في الأهمية
ونحن الآن قد اتجهنا إلى الاعتزاز بفنوننا
الشعبية المختلفة ، ومن الإنصاف ألا نغفل
منها الفاحية الأدبية .

ملحمة الشعر التاريخية في ثورة الجيش
التحريرية :

للأستاذ محمد البندارى

وعلى الرغم من أن هذه « الملحمة »
هبارة عن قصيدة واحدة من مائة وعشرين
يدنا إلا أنها صورت فترة دقيقة من مراحل
نهضة مصر الحديثة وأثبتت لرجال الجيش
فضلهم .

وقد تضمنت ملحمة من أجداد مصر السالفة
وعظمتها في التاريخ ثم تصويرا لما كانت
عليه أحوال البلاد قبل الثورة ثم وثبة الجيش
وهزل الملك ثم زوال عهد الأقطاع وتحديد
الملكية والاتجاه إلى النهضة الكبرى ،
واستنهاض همم أبناء العروبة .

مايقال عن الاستعمار

مستشرق من اليابان
يكتب عن الله والانسان في القرآن
للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

وكان بعضها الآخر يخفي أغراضا خبيثة ،
ويستهدف غايات استعمارية .

وقد أسهم اليابانيون أخيراً في هذه
الدراسات ، قام بها أصحابها باللغة اليابانية ،
ولا سبيل لنا إلى معرفة حقيقة هذه الدراسات
لأننا لا نعرف اللغة اليابانية ، كما أنها ليست
لغة عالمية وقد تعلم في مصر كثير من اليابانيين
وبخاصة في الأزهر ، والتحق قلة قليلة منهم
بالجامعة ، وقد عرفت أحدهم وهو الأستاذ
«أوداكا» الذي نقل مقدمة ابن خلدون
إلى اليابانية .

وكتب بعض اليابانيين باللغة الإنجليزية ،
فأصبحت آراؤهم معروفة ومنشرة ، وهذا
ما فعله الدكتور «طوشييكو إيزوتسو» ، ومن
Toshihiko tzutsu من اليابان ، ومن
طاصتها طوكيو ، والأستاذ بجامعة كيو ،
وكانت رسالته التي تقدم بها لنيل درجة
الدكتوراه عن : «المصطلحات الأخلاقية
في القرآن» ، طبعت الرسالة بالإنجليزية
وصدرت في طوكيو سنة ١٩٥٩ ، وقد تسنح

كان عهدنا بالمستشرقين أنهم من أبناء
الدول الغربية ، مثل ألمانيا وفرنسا وإنجلترا
وهولندا وإيطاليا وأسبانيا ، وأقصى ما بلغه
هؤلاء المستشرقون في أوروبا هو روسيا ،
ولم يكن عددهم فيها كثيراً ، ولا بحثهم غزيراً
أما أن يبلغ الاستشراق أقصى الشرق البعيد ،
أو الشرق الأقصى حيث اليابان ، فهذا شيء
جديد فعلاً على دولة الاستشراق .

واليابان دولة عظمى ، ولها مصالح كثيرة
مع الدول العربية بدأت قبل الحرب العالمية
الآخيرة بزمان ، واستمرت بعدها حتى الآن
وهي مصالح تجارية تبلغ الملايين من الجنيهات
وقد كان الاستشراق في الدول الغربية تابعاً
لهذه المصالح ، ثم انقلب إلى استعمار سياسي
لم يكن يقدر له النجاح لولا المعرفة الوثيقة
بتاريخ هذه الشعوب وجغرافيتها وآدابها
وديانها ، وهذا ما فعله المستشرقون حين
دوسوا كل هذه النواحي دراسة منهجية
حقيقية ، وكان بعض هذه الدراسات علمياً
محضاً ليس وراءه أغراض سياسية خفية ،

وأن يطلع على أحدث ما أخرجته المطابع بالعربية ، وأن يقتنى لنفسه مكتبة غزيرة من نواذر المكتب في شتى فروع العلوم الإسلامية ، والتي بكثير من رجال الفكر واتصل بيننا حبل المودة ونعمت بصحبته وصداقته ، ورأيت أنه على خلق عظيم ، ولا غرو فهو يمت بصلة إلى الأسرة المالكة في اليابان ، ثم هو إلى ذلك يجيد عدة لغات أوروبية وشرقية خلاف الانجليزية التي يؤلف بها كتبه ، وهو الآن منتدب للتدريس بمعهد الدراسات الإسلامية بمونتريال في كندا ، وقد عين عضواً لرابطة جمع اللغة العربية بالقاهرة .

* * *

المنهج الذي يتبعه الأستاذ إيزوتسو في أبحاثه هو : « السمنية » ، أي علم المعاني أو تطور الدلالات ، ذلك أننا نعبر عن أفكارنا بألفاظ ، والألفاظ تدل على معان ، ويتغير المعنى بحسب السياق وبحسب التطور التاريخي . وقد اكتسب هذا المنهج في العصر الحاضر أهمية خاصة ، وألف كثير من المكتب في علم « المعنى » ، وفي تحليل المعاني بغية النفاذ إلى أعماق الفكر الذي تعبر عنه وقد حدد الأستاذ إيزوتسو هذا المنهج بقوله : « لانه دراسة تحليلية للمصطلحات الأساسية في لغة ما للوصول إلى معرفة نظرية قوم من الأقوام عن العالم الذي يعيشون فيه حين يستخدمون هذه اللغة أداة لا للحديث

فرصة أخرى للتعريف برسالته ، أما حديثنا الآن فيتناول آخر ما نشره وهو كتاب : « الله والإنسان في القرآن - دراسة سمنية » وقد صدر هذا العام ، ونشر في طوكيو أيضاً . ولا سبيل إلى القيام بمثل هذه الدراسات على الوجه الأكمل إلا بعد تعلم اللغة العربية ، ولذلك أنشأت اليابان معهداً في طوكيو لتعليم اللغة العربية وما يتصل بها من دين وأدب وتاريخ ، وفي هذا المعهد تعلم الأستاذ إيزوتسو العربية وقام بتقديم رسالته عن (الأخلاق في القرآن) غير أن تعلم العربية وآدابها في اليابان شيء ، وتعلمها في مملكتها شيء آخر ، ومهد العربية وقلبها النابض منذ القرن التاسع عشر بل قبل ذلك كان ولا يزال في القاهرة ، حيث الأزهر الشريف أكبر جامعة إسلامية ، وحيث جامعة القاهرة ، وحيث المجتمع الذي يتحدث بلغة الضاد آناء الليل وأطراف النهار ، ولذلك نجد أن معظم النابهين المشهورين من المستشرقين كانوا يتخذون من القاهرة قبلتهم ، يتمون فيها تعليمهم ، ويفصحون لسانهم ، ويطلعون على أسرار العربية .

فعل الأستاذ إيزوتسو كما فعل كبار المستشرقين من قبل ، وقد إلى القاهرة حيث أمضى بها طاماً أو نحو ذلك سنة ١٩٦٠ ، وتسنى له في هذه الفترة التي قضاهما أن يتصل بالثقافة الإسلامية والعربية في منابعها ،

الفصل الثالث في التركيب الأساسي للقرآن ، تحدث فيه عن الله والإنسان ، الجماعة الإسلامية ، عالم الغيب وعالم الشهادة ، الدنيا والآخرة ، بعض السمعيات .

الفصل الرابع من د الله ، لفظة الله ، معنى هذا اللفظ في الجاهلية ، وعند اليهود والنصارى ، وعند الخنفاء .

الفصل الخامس في العلاقة الانطولوجية (الوجودية) بين الله والإنسان ، وتقتل على مفهوم الخلق ، ومفهوم البحث .

الفصل السادس في العلاقة الاتصالية بين الله والإنسان ، وفي هذا الفصل يبحث الاتصال بغير طريق اللغة ، أى آيات الله ، والهدى ، والعبادة سبيلا إلى الاتصال بالله .

وفي الفصل السابع يبحث الاتصال عن طريق اللغة ، كلام الله ، والوحى ، والصلاة .

الفصل الثامن عن الجاهلية والإسلام ، ويبحث عن الإسلام ومفهوم الطاعة والخضوع ثم الحلم الذى كان شعار الجاهلية فانتقل إلى الإسلام ، ثم مفهوم الدين باعتبار أنه الطاعة .

وفي الفصل التاسع يبحث عن العلاقة الأخلاقية بين الله والإنسان ، وعن إله الرحمة ، والوعد والوعيد .

وقبل أن تقدم نماذج لهذا البحث السمنى نقول : إن المصطلحات القرآنية أو الدينية بوجه عام ، ليس من اليسير تحديدها تحديداً

والتفكير فقط بل لتصور العالم الذى يعيشون فيه وفهمه . إن السمنى على هذا النحو نظرة إلى العالم ، وهى إلى حد ما نظرة فلسفية والكتاب الذى تقدمه الآن وهو د الله والإنسان فى القرآن ، يحمل عنواناً فرعياً آخر هو : دراسة سمنى للقرآن ، أو بالضبط ، دراسة سمنى للنظرة القرآنية نحو العالم ، يريد بذلك أنه سيدرس المصطلحات الأساسية التى وردت فى القرآن والتى يتألف من مجموعها نظرة معينة إلى العالم .

هذه المصطلحات التى نجد لها تحليلاً فى الكتاب هى : عبد ، عبادة ، أجل ، الآخرة ، الله ، عقل ، عرب ، عجم ، آية وآيات ، بعث ، باطل وحق ، ضلال ، دهر دين ، دعاء ، الدنيا ، غيب ، حمية ، خفيف ، حشر ، هوى وأهواء ، حلم وحليم ، هدى لإفك ، إله ، إلهام ، علم ، إيمان وإسلام ، جهنم ، جنة ، جهل وجاهلية ، الجن السكبة ، كلام الله ، الكفر ، الخلق ، الكتاب ، نبى نجاة ، نعمة ، نزل وتنزيل ، قضاء وقدر ، رب ، رسول ، رأى ، صلاة ، شكر ، صراط ، سجد ، طاعة ، تقوى ، تصديق ، أمة ، وعد ، وحى ، وعيد ... الخ .

وقد وثب الكتاب على مقدمة وتسعة فصول ، الأول والثانى فى السمنى بوجه عام ، وتطبيقها على المعانى الواردة فى القرآن .

تلتخصمها بإيجاز بأن الله والإنسان يكونان طرفين متقابلين أحدهما في أقصى اليمين والآخر في أقصى الشمال . وكان الإنسان في الجاهلية هو المحور الذي تدور عليه جميع المعاني الأخيرة ، فهو مركز العالم ، حتى الأرباب التي كان يعبدونها فهي تابعة له . حتى إذا جاء الإسلام انعكست الآية . فأصبح الله هو مركز العالم ، وكل شيء آخر يتصل به . وهذه الصلة إما أن تكون وجودية ، فالله هو الخالق ، ووجود الإنسان مستمد منه . وإما أن تكون صلة ارتباط متبادل ، فهي من جهة الله وحى ، ومن جهة الإنسان دعاء ، ومعرفة الله تتم بالنظر إلى الآيات أو بالتجلى في الصلاة . وإما أن تكون صلة ربوبية وهبودية ، فالله هو الرب والإنسان هو العبد . وإما أن تكون صلة أخلاقية ، من جهة الله الرحمة والعدل ، ومن جهة الإنسان التقوى والشكر ، والتقوى والشكر تابعان للإيمان ، وهما يقابلان الكفر . ومن الطبيعي أن يكون بدء الحديث عن المجتمع الإسلامي ما هو ، وكيف نشأ ، وما وجه اختلافه عن المجتمعات السابقة عليه والمعاصرة له والمتأخرة عنه ، وما تركيب هذا المجتمع حقوقه وواجباته ؟

يرى المؤلف أن المجتمع الإسلامي لم يكن يسمى بهذا الاسم ، أو هذا المصطلح نعتي المجتمع أو الجماعة ، وإنما المصطلح

دقيقاً كالحال في المصطلحات العلمية . ذلك أن أي دين ، مثله في ذلك مثل الفن يختلف عن العلم ، الذي يبحث في الواقع ويمكن تحديد وقائعه بدقة وقياسها قياساً كنيا .

أما الدين - وكذلك الفن - فإنه يعتمد على معان تعتمد من قبيل « القيم » . والقيم إنسانية أساساً ، تشيع حولها جواً يحس به المرء ولكن يصعب تحديده وقياسه . ولذلك يصعب القول مثلاً بأن هذا الشخص أكثر إيماناً من ذاك ، بل يصعب القول عن الشخص الواحد إن إيمانه الآن أكثر منه قبل ذلك بوقت قليل . وإذا نحن أردنا تحليل مصطلح كالصلاة مثلاً ، فمن اليسير وصف الحركات الظاهرة ، ولكن يصعب إن لم يكن من المستحيل تحديد الإحساس الباطن الذي يغمر قلب المصلّي وهو يقف بين يدي الله . فهذا الشعور أمر لا سبيل إلى تحديده بالألفاظ .

ومع ذلك فلا بد من اتخاذ طريقة للقياس ، أي طريقة ، وإلا تعذر البحث ، ولا بأس بطريقة تحليل المصطلحات الأساسية القرآنية ، فإن هذه الطريقة ليست جديدة مبتكرة ، وقد اتبناها كثير من علماؤنا قديماً ، كل ما في الأمر أن الأستاذ إيزوتسو أضاف عند التطبيق ما وصل إليه علم السمنطية بعد تطور المنطق الحديث .

النظرية التي يذهب إليها المؤلف يمكن

ويقابل بينهما ، كما نرى في سورة آل عمران حيث جاء : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأمينين ، والمقصود من الأمينين في هذه الآية عبدة الأصنام ، وهم الذين لم ينزل عليهم كتاب سماوى .

فإذا مضينا في تحليل مصطلح الأمين أكثر من ذلك ، رأينا أنه يشمل ثلاثة أفكار متصلة به ، أنهم بغير كتاب ، وأن الله يرسل إليهم رسولا يحمل إليهم ما يوحى إليه ، وأنهم قبل نزول الكتاب عليهم كانوا في ضلال ، كما جاء في الآية الثانية من سورة الجمعة : « هو الذى بعث في الأمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، .

فالعرب الذين كانوا أميين ، أى غير ذوى كتاب سماوى ، أصبحوا بعد الرسالة « أمة مسلمة » ، وهذه الأمة المسلمة تتصف بالفسبة لأصحاب الديانات الأخرى بصفتين ، أنها خير أمة ، ، وأنها « أمة وسط » ، كما جاء في القرآن : « كفتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، . وفي قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، .

الواقع كان أهل الكتاب في الجاهلية قد انحرفوا وضلوا بحسب ما يحكيه عنهم القرآن .

القرآن والذى يعد حجر الزاوية في نظره هو « الأمة » ، وما يتفرع عنه من : أمى ، وأميون ، وأم .

والمؤلف بطبيعة الحال يرجع إلى القرآن لتأييد وجهة نظره . ففي سورة البقرة آية ١٢٨ يقول الله : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، . فالأمة المسلمة هي الجماعة المسلمة . هذه الجماعة تختلف في مبادئها وأسسها عن الجماعة في الجاهلية التي تقوم على أوامر الدم والقراية ، أما الجماعة الإسلامية - أو الأمة الإسلامية - فإن الروابط التي تصل بين أفرادها هي الإيمان الدينى المشترك لا علاقة القراية والدم . فالأصل في معنى « الأمة » ، أنها الجماعة ، وفي الآية السابقة يخاطب إبراهيم ربه يطلب أن تكون أمته مسلمة لله ، وكذلك أن يكون من ذريته « أمة مسلمة » لله .

ولما استقر الإسلام بعض الشيء ، واستقرت فكرة الأمة الإسلامية رأى المسلمون أنهم يحاطون بجماعات أخرى دينية كانت موجودة من قبل ظهور الإسلام في جزيرة العرب ، كالعبود والنصارى والصابئة ، وهذه الجماعات يسميها القرآن « أهل الكتاب » وهكذا نرى أن القرآن يقسم عرب الجاهلية قسمين أساسيين هم :

١ - أهل الكتاب .

٢ - الأميون .

إلى آخر الآية، يقول بعد ذلك : ثم أوحينا إليك - (أى يا محمد) - أن اتبع ملة إبراهيم

ولكن المستشرقين ، والأستاذ ايزتسو يتابع دراساتهم أو يلخصها عنهم ، فاتهم ذلك المعنى الذى أشرنا إليه وراحوا يتلبسون افتراض وجود جماعة من الخنفاء فى الجاهلية قبل الإسلام مباشرة ، وأن محمداً كان على صلة بهم ، وتعلم عنهم هذا الدين ، وذكروا من هؤلاء الخنفاء عدد من العرب فى الجاهلية منهم أو أشهرهم أمية بن أبى الصلت شاعر نقيف فى الطائف . وتدور حول هذا الشاعر قصص كثيرة أقرب إلى الوضع منها إلى الحقيقة . فلما أعلن محمد النبوة غضب أمية لأنه كان يطمع أن يكون هو هذا النبي .

وهذه كلها مباحث طريفة ، ولكننا نقول إذا تعارضت الروايات التى نقلت ودونت عن الجاهلية مع ما جاء فى القرآن ، فلا شك أن النص القرآنى أثبت وأيقن ، لا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والقرآن إلى ذلك مرآة صادقة للعصر الذى نزل فيه على محمد عليه السلام ، فهو إلى جانب أنه وثيقة دينية أى كتاب منزل سماوى ، فإنه وثيقة تاريخية أصدق من سائر الوثائق الموجودة بين أيدينا .

محمد فؤاد اوهوفانى

كانوا فى البداية متدينين بالدين الصحيح ، ويسبغون على الطريق المستقيم ، وأصل الدين كله هو الحنيفية ، التى كان يدين بها إبراهيم ، ثم انحرفت هذه الحنيفية كذلك . وليس الإسلام إلا الرجوع إلى الدين الأصلى المستقيم ، وتحليص الدين القائم من الشوائب التى أفسدته . ولفظ حنيف ، من الألفاظ التى يصعب تحديدها ، وكشف الستار عنها تماماً . واللفظ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإبراهيم ، فى سورة آل عمران يقول القرآن : وما كان لإبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وقد وردت عبارة ملة إبراهيم حنيفاً ، فى أكثر من آية . وهناك تقابل واضح بين الحنيفية التى تمثل الوحدةانية وبين الشرك فى الآيات القرآنية .

ولا نزاع أن العهد كان قد بعد بين إبراهيم وديانته الحنيفية وبين الديانات التى ظهرت على مر التاريخ بعد ذلك من يهودية ونصرانية ولذلك بلوح - وهذا هو الأغلب - أن الحنيفية كانت قد انقرضت . ولو أن هذه الديانة كانت باقية فى الوقت الذى ظهر فيه محمد عليه السلام ، لسجل القرآن هذه الظاهرة ، والواقع أن القرآن ينص على عكس ذلك ، فعنى على أن الله أوحى ، إلى محمد باتباع ملة إبراهيم . فى سورة النحل بعد قوله تعالى : إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً .

مَنْ وَحَى الْقُرْآنَ "قَصِيدَةً" لِلأستاذ حسن جاد

يا ساقى الأرواح من كلساته السحر كالسحر في أفضاه
روحى فذاك فهات جامك هاته والجرس أحلى الجرس في نبراته
واسكب غناءك في مسامع مهجتي أعياء العقول معانياً ومرامياً
يشد الفؤاد هلى صدى رناته ورمى فحول القول عن صهواته
رتله يا غرد السماء مفصلاً حسب النبي به دلائل حجة
تغنو النفوس إلى بليغ عظاته دكت صروح الشرك فوق مناته
يا من نداهم القلوب وراحه من كل بالغ حكمة أصنى لها
من كرمه البارى ومن جناته سمع الزمان وزفها لرواته
عطر به الدنيا ، فأية نفعه أو كل ذكر من جملة قدسه
أندى من القرآن في نفحاته ؟ وجلل الفؤاد ولج في دقاته
وأشج القلوب به ، فأية نعمة أو كل رائع قصة تأثيرها
أشجى من القرآن في نفحاته ؟ راع الجحود وهز صلب قناته
واجل النفوس به فأية جملة أو كل موعظة بكى من وقعها
أبهى من القرآن في آياته طرف العصي وتاه في هبراته
إن تسقى من كرمه تفتح لها اسمع لشدة الفشه في ترتيبه
حجب السماء عن الإله وذاته ينساب قدسياً على لهواته
* * *
هين من الفصحى ونبح هداية تحسب عصفير الربيع ترنمت
يشنى غليل الروح عذب فراته في الروض واجتمعت هلى دوحاته
* * *

قَبَسَ مِنَ الرَّحْمَنِ يَهْدِي مِنْ سِرِّي	دُنْيَا مِنَ الْجَشَعِ الْبَغِيضِ ، وَعَالَمِ
فِي ظِلْمَةِ الدُّنْيَا سَنَا مَشْكَاةِ	قَدْ ضَلَّ بِالْأَهْوَاءِ فِي غَمْرَاتِهِ
يَحْيَا بِهِ مَيِّتَ الْقُلُوبِ بِشَاشَتِهِ	لَوْ أَنَّهُ أَصْغَى إِلَى الْقُرْآنِ لَمْ
كَالْجَدْبِ أَحْيَا الْغَيْثَ مَيِّتَ نَبَاتِهِ	يَرِ مَا يَطْبُ لِدَائِهِ كَأَسَاتِهِ
تَقْنَى دَسَانِيرَ الْعِبَادِ ، وَإِنَّمَا	هُوَ طَهْرُهُنَّ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ أَوْضَارِهَا
دَسْتُورِهِ مَاضٍ إِلَى غَايَاتِهِ	وَخِلَاصِ هَذَا الْكَوْنِ مِنْ آفَاتِهِ
يَا بَاهِتًا رُوحَ السَّلَامِ بِهَيْدِهِ	وَزَكَاةِ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ أَوْزَارِهَا
ضَلَّ الْأَنَامُ عَنِ السَّلَامِ فَهَاتِهِ	وَشَفَاءَ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ عِلَاتِهِ
الْكَوْنِ مُضْطَرِبِ الْخَوَاطِرِ حَاطِرِ	وَمَشَارِعِ لِلْحَقِّ وَالْأَخْلَاقِ فِي
تَتَعَثَّرُ الْأَمَالُ فِي خَطْوَاتِهِ	أَدَابِهِ تَحْمِيهِ مِنْ عَثَرَاتِهِ
صَدَفَتْ عَنِ النُّورِ الْبَهِي عَيُونُهُ	هُودُوا إِلَيْهِ لَتَسْتَقِيمَ حَيَاتُكُمْ
فَتَخْبِطُ فِي الْوَهْمِ مِنْ ظُلُمَاتِهِ	وَخَذُوا الْحَقِيقَةَ مِنْ لِسَانِ دَعَاتِهِ
يَعْدُو الْقَوَى عَلَى الضَّعِيفِ كَأَنَّهُ	فَأَقْلَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ سَعَادَةُ
ذَنْبٌ تَرَصَّدَ فِي الْخَفَاءِ لَشَاتِهِ	لِلْعَالَمِ الْمُلْتَاعِ مِنْ وِيْلَاتِهِ

مِنْ جَاهِ مَعْنَى



الكتاب

عرض وتقديم : للأستاذ محمد عبد الله السمان

الجديد فيه ، وأشاد بالعلماء والمحققين
أن يتعاونوا على إخراج أكبر أثر للفراء ،
وهو كتاب ومعاني القرآن ، كادعا إلى إصلاح
النحو العربي لتيسيره .

والباب الأول ثلاثة فصول : في الفصل
الأول عرض لعصر الفراء ، تناول الحياة
السياسية حيث نشأ العصر الذهبي وقامت
الدولة العباسية على أكتاف الفرس
وازدهرت الفنون والاضطرابات وتناول
الحياة العقلية حيث حدث احتكاك الأفكار
وامتزاج الثقافات ، وأخيراً تناول الحياة
الاجتماعية ، حيث أطل عليها ترف وسرف
وشرار ورخاء ، وامتزج الدم العربي بالدم
الفارسي ، كما امتزج الإصلاح والفساد والهدى
والضلال ، وفي الفصل الثاني عرض المؤلف
للفارابي حياة ومكانا ، فحقق اسمه ولقبه
ونسبه ومولده ، ووفاته ، الموجود منها
والمفقود ، جملة وتفصيلاً ، كما عرض منهج

١ - أبو زكريا الفراء :

للدكتور أحمد مكي الأنصاري

أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة
هو موضوع الرسالة التي نال بها الدكتور
أحمد مكي الأنصاري من كلية الآداب جامعة
القاهرة درجة الدكتوراة في الآداب بتقدير
بمناز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية
بطبع الرسالة على نفقة الدولة تمجيذا وتقديراً
وقد اهتم المجلس الأعلى لرعاية الفنون
والآداب والعلوم الاجتماعية بفشرها ، وقام
بطبعها في ستمائة وخمسين صفحة

قسم المؤلف دراسته عن الفراء إلى بابين ،
تناول في الأول منها عصر الفراء وحياته
وآثاره ، كما تناول في الباب الآخر مذهب
في النحو واللغة ، وفي المقدمة الموجزة
للدراصة ، أشار المؤلف إلى موضوع البحث
رأهده ، ودوافعه ، ومهمجه ، ومصادره ،
وفي الخاتمة ، لخص معالم البحث وأوضح

٢ — الغزو الفكري :

تأليف : محمد جلال كشك
نشرت هذا الكتاب الجاد الهادف مكتبة
دارالعروبة بالقاهرة الأستاذ محمد جلال كشك .
والكتاب يقع في أكثر من مائة وأربعين
صفحة من القطع المتوسط . وهو في إيجاز
يناقش علاقة الإسلام بالثورة العربية ،
ويفند المفاهيم المعادية للإسلام ، ويرى أن
إسلامية الثورة الجزائرية هي الوضع الطبيعي
للثورة العربية الشاملة ، ويتصدى لبعض
النماذج المتأثرة بالغزو الفكري الاستعماري ،
كما يكشف الستار عن الحملة الجديدة في الحرب
الصليبية الأبدية بين الغرب والشرق والغرب
هو قائد هذه الحملة ، ومن بين الأمور لم يفت
الكتاب أن يهتمك ستر حزب البعث ويعرى
مفاهيمه التي لا مفهوم فيها .

في مدخل الكتاب يثير المؤلف قضيتين
مهمتين . الأولى ، قضية وجودنا ، فيرى أن
خروجنا للوطن العربي لم يكن رد فعل - حتى
ولم بدأ كذلك - بل حتمية تاريخية نابعة
من وجودنا ، جاءت في توقيتها الطبيعي ،
فنحن وبالتالي ثورتنا - ما دامت تعبر عنا -
مصريون - عرب - مسلمون ، والعدوان
العربي على بلادالعروبة منذ الحروب الصليبية
ليس إلا امتدادا لهذه الحروب الطائشة ،

الفراء في التأليف وعوامل تأثره بالمنهج ،
الفلسفي .

أما الباب الثاني فقد كان فصلين ، عرض
المؤلف في الفصل الأول مذهب الفراء
في النحو ، باعتباره المؤسس الحقيقي للمذهب
البغدادى ، وكشف عن مظاهر النزعتين
السكوفية والبصرية عنده ، وأوضح آراءه
في النحو ، وأثره في تيسيره ، وعرض
في الفصل الثاني مذهب الفراء في اللغة ،
مظاهر النزعة البصرية في مذهبه اللغوى ،
ومظاهر استقلاله وجموده فيه ، ولا سيما
الثروة اللغوية التي رواها .

وفي الخاتمة لخص المؤلف المعالم الكبرى
لنتائج البحث وبيان الجديد فيه . كما دعا إلى
ضرورة مواصلة الجهود لإخراج أكبر أثر
للفراء لإخراجا كاملا إلى حيز الوجود ،
وهو كتاب (معاني القرآن) وإلى التفكير
الجاد في إصلاح النحو العربي وتيسيره .

وبعد — فإن الجهد الذى بذله المؤلف
الدكتور الأنصارى في رسالته هذه ، استحق
بحق تقدير اللجنة التي ناقشتها حين قالت :
لقد أظفرنا هذا البحث بصورة واضحة المعالم
عن حياة الفراء ، وتحقيق مفصل لطائفة
من آثاره العلمية ، وقد أعانه استعداد أصيل
عنده ومقدرة فائقة ، ثم صبر وثقوب فكير
ومثابرة وجلد وغرام يوشك أن يكون هياما .

الأرض - ليست إلا عملاً رجعيًا معادياً للثورة ثم مسرحيته جميلة التي لم يردّها مأساة إسلامية مأساة اضطرهاد صليبي استمر مائة وثلاثين عاماً ومارسه كأثوليك وملاحدة وشيوعيون ، ولم يردّها مأساة عربية مأساة شعب عربي يحرم عليه التطور بلسانه ، لكي تمنح قوميته وهقيسته ما ، بل أوداها مأساة جواررية وكفى ...

أما الدكتور لويس عوض ، فقد سلط عليه المؤلف أضواء مشتتة حين ناقشه في مسرحيته (الراهب) وكتابه (المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي) وفي رأيه أن المسرحية والكتابات ترفضان كل قيم الأدب العربي أو الفكر الإسلامي ، لأنهما يمثلان أوضح صور الغزو الفكري الاستعماري .

الحق أن في الكتاب جرأة وعظما وتحدياً وربما لجأ المؤلف أحياناً إلى السرعة في مناقشة بعض القضايا ، ولكنه على كل حال استطاع أن يملك قناعات يتقايأون في كتاباتهم أحقادهم على العروبة والإسلام ، باستثناء عبد الرحمن الشرقاوي وقد أصابه من المؤلف ما يشتم منه رائحة الغلو والإسراف .

والعجيب أن الأستاذ أنيس منصور تناول هذا الكتاب بقسوة واتهم المؤلف بأنه قاض ينطق بالأحكام وليس تحت يديه مستندات ، بينما مستندات الكتاب واضحة في كل قضايها

وكيف ننسى ما قاله السوردي إنبي في عقب الحرب العالمية الأولى (لقد انتهت الحروب الصليبية الآن) بعد أن اطمأن إلى الفضاء على آخر معقل للإسلام ، وهو الخلافة الإسلامية ؟ بل وكيف ننسى أن وكالات الأنباء الاستعمارية خلال فضال الجزائر كانت تشير إلى أنه قتل من الجيش الفرنسي كذا ، ومن المسلمين كذا ، وأكثر من هذا - كما يذكر المؤلف - أن مقبرة خلال فضال بور سعيد عام ١٩٥٦ كتب عليها الفرنسيون (عشرون مسلماً) . أما القضية الأخرى فهي الخلاف الحضاري ، وهو في رأي المؤلف خلاف حتمي بين حضارتنا والحضارة الغربية أساسه الخلاف العقيدى .

وأبرز ما في الكتاب وأعنفه معاً مناقشة المؤلف لبعض النماذج التي وآها متأثرة بالغزو الفكري الاستعماري ، ومن هذه النماذج الدكتور مصطفى محمود لدأبه على النيل من الدين والتدين ، وعقده شغفه بإغابة المسلمين من جانب ، ومن جانب آخر لكي يبدو أمام القراء بمظهر الكاتب التقدمي ، ثم غالى شكركى الذى لا يسلك الإسلام في عداد التراث الإنسانى ، ولا يعتبر المسلمين عنصراً لا بد من إضافته في وضع قوانين عامة للجنس البشرى ، ثم عبد الرحمن الشرقاوي الذى أن أهم ادعاء له بالثورية - وهى قصة

صحيفة الاخبار اليومية ، لينشر بها أبياتاً نظمها الشاعر حافظ ابرهيم في تمريض ديوان صغير نظمه ، وقلب المرحوم المازني بعض صفحات الديوان فزعم شفتيه وهز رأسه ، ولم يكتف بأن الشعر لم يعجبه بل قال لا يستحق النقد ، وسنحت الفرصة مرة أخرى ليلقى العقاد في قهوة مثائيا بالأزبكية ويعرض عليه نماذج من شعوه المخطوط ، وكانت نصيحته له : إن الشعر شيء آخر غير الديباجة الحسنة ، الشعر أن تحس وتعبّر تعبيراً جميلاً عما تحس - وكان بما أشار به عليه أن يقرأ كثيراً من الكتب ، ويعقب الأستاذ الجبلاوي بقوله : كان المازني على حق ، ولكنه كان حقاً سلبياً ممتناً ، وكان العقاد على حق ، ولكنه كان حقاً إيجابياً مفيداً . حدثنا المؤلف عن العقاد في نشأته ، وفي المدرسة حيث كان في حياته مدرستان : مدرسة التعليم الابتدائي ليلقى التعليم على أيدي أساتذة مفروطين ، والمدرسة الأخرى مدرسة الكتاب وقد اختار أساتذتها بنفسه ، وقد كانوا جميعاً من جلة المؤلفين المشهود لهم بالسمو وحدثنا عن العقاد في الوظائف ، حيث اشتغل بوظائف الحكومة وبالة ريس ، في المدارس الأهلية ، ولكن لم يطل أمد اشتغاله بأى منها ، فكان يرى في وظائف الحكومة قيئاً وخضوعاً ،

وهيب الكتاب بعد ذلك عنايته بأمثال غالى شكري ، وهو أضعف وأهون من أن يكون الرد عليه موضوعاً في كتاب ، إلا إذا جاز لنا قد أن يصوب مدفعاً رشاشاً على ذبابة قطن في مجالاتها ، وعيب آخر في الكتاب كثرة الأخطاء اللغوية ، ولو أن هذا وذاك لم يفقد الكتاب قيمته الأدبية ، وهو يمثل وجهة نظر إسلامية وعربية معا .

* * *

في صحبة العقاد

للأستاذ محمد طاهر الجبلاوي

هذا الكتاب الذى أصدرته مكتبة الانجلو المصرية - يقع في مائتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف أقدر أصدقاء العقاد على الكتابة عنه . فقد صحبه كاتباً قوى الحجّة ناصع البيان ، وشاعراً وقيق الحس وفيسع الخيال ، وصحبه صديقا حميماً ، ولازمه في الغدوات والروحوات نيفاً وأربعين سنة ، وهو يقرر في تمهيدته للكتاب بأن كتابه إن يكون تعريفاً بالعقاد كما قد يقادر إلى الذهن ولا درساً لأدبه وحكمته ، ولكنه صفحات مطوية لعلها تفسر لأول مرة ، يسجل فيها ذكريات غاليات عن الحقبة التى لازم فيها العقاد .

حدثنا الأستاذ الجبلاوي عن أول لقاء له مع العقاد وكان ذلك في عام ١٩٢٢ ، بدار

كلية واحدة أريد أن أقولها : ذكريات العقاد مع الجبلاوى أكبر عشرات المرات من هذا الكتاب ، وربما كان عذر المؤلف أنه ليس من اليسير أن يكتب كل أسرار العقاد ، ولكن أسرار العقاد أصبحت جزءا من تاريخ العقاد ، بل جزءا من تاريخ الأدب والسياسة في مصر في أكثر من نصف قرن .

كتب جديدة

رجال مرل الرسول

للاستاذ خالد محمد خالد

دار الكتب الحديثة - القاهرة

اختار المؤلف عشرة من أصحاب الرسول السابقين إلى الإسلام ، وعرض شخصياتهم عرضا تحليليا في أسلوب أدبي رفيع ، مسلطا الضوء على مركز العظمة في كل شخصية ، منهم مصعب بن عمير أول سفراء الإسلام ، وسلمان الفارسي الباحث عن الحقيقة ، وأبوذر زعيم المعارضة ، وعبدة بن عمر المشابر الآواب ، ومعاذ بن جبل أهلهم بالحلال والحرام .

صلى أدبية الشرق والعروبة

للاستاذ محمد عبد الغنى حسن

عالم الكتب - القاهرة

يقع الكتاب في حوالى ثلثائة وأربعين صفحة ، وهو دراسات عن مدى زيادة الأدبية المعروفة ، ودورها في ميدان الأدب ، وقد (البقية على صفحة ٣٨١)

وفي وظائف التدريس فوضى وخموتا ، كما حدثنا عن العقاد رافع راية التجديد في عصر اعتمد الشعر فيه على المحاكاة وتقليد المتقدمين في استعراض الديباجة الحسنة والقوالب الرصينة قبل أن يستعرض المعاني والأحاسيس ، وعن العقاد الصديق ، ثم قدم نماذج من أشعار وأزجال تبودلت بين المؤلف والعقاد في رسائل .

كما حدثنا المؤلف عن العقاد السياسى الذى اشتغل بالصحافة لأنها عمل وطنى يفتح لصاحبه أن يدافع عن وطنه وميدان السياسة ويزود عنها أعداء الحرية والاستقلال ، وعن العقاد في بيته حيث عاش المؤلف معه في بيته لا هيا وبما صاخيا ، وراضيا عن أناس تارة وساخطا على أناس تارة أخرى ، أما المرأة في حياة العقاد فيذكر الأستاذ الجبلاوى أنه حين سأل العقاد لماذا لم تزوج ؟ فأجاب بأنه لا يكره الزواج ولا ياباه ، ولكنه طبع على أنه لا يشاركه أحد في حياته لأنه لا يطيق هذه المشاركة . ومع ذلك فلم يخل قلبه من حب المرأة فقد شغل بالحب في صباه الباكر وذاق عذوبة القرب ومرارة الحرمان ، وفي الفصل الأخير حدثنا المؤلف عن أخلاق العقاد عن شعره الذى ارتسمت فيه شخصيته وتبينت صفاته ، ومن أبرزها قوة شخصيته وصلابتها واحتمالها للشدائد .

انبثاء وآراء

الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

صدر قرار جمهوري في الأسبوع الأخير من شهر يوليو الماضي بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخاً للأزهر، ويعتبر فضيلته الشيخ التاسع والثلاثين في تعداد شيوخ الأزهر، ومن الجدير بالذكر أن منصب شيخ الأزهر شاغر منذ ١٣ ديسمبر الماضي إثر وفاة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون من مواليد عام ١٨٩٤ بحى الخليفة بالقاهرة، وظل يعمل في مناصب القضاء بمصر والسودان خمسة وأربعين عاماً، وفي عام ١٩٤١ عين قاضياً لقضاء السودان وظل في منصبه ست سنوات عاد بعدها إلى القاهرة - بعد موافقه الوطنى المعروف - رئيساً لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية، ثم عضواً في المحكمة الشرعية العليا ثم نائباً لها ثم رئيساً، وفي عام ١٩٥٥ عين مفتياً للديار المصرية خلفاً لصاحب الفضيلة الشيخ حسنين مخلوف إلى أن أحيل إلى الاستിاداع. وكان أن صدر القرار الجمهوري في أواخر شهر يوليو الماضي

بتعيينه إماماً أكبر وشيخاً للجامع الأزهر. وينص قانون تطوير الأزهر الذى صدر في يونيو ١٩٦١ على أن شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأى في كل ما يتصل بالشؤون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، وله الرئاسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية، ويرأس المجلس الأعلى الأزهر.

هذا ومجلة الأزهر إذ تهيء الإمام الأكبر بهذا المنصب الكبير تسأل الله عز وجل أن يكتب له التوفيق في رسالته الإسلامية الكبرى، فلم تزل الشعوب الإسلامية قاطبة تنظر إلى الأزهر الشريف باعتباره مناراً للإسلام ورافعاً لواءه وذاتداً عن حماه، والذي يجب أن يناط به وبعلائه الأجلال الوقوف ضد تيارات الإلحاد وموجات التشهير في معظم بلاد المسلمين، ولإثبات وجوده للإسهام في إقرار السلام العالمى إزاء هذه القلاقل الموزعة بين أركان العالم تهدد السلام وتندثر بشرح حرب عالمية ثالثة. أمد الله في حياة الإمام الأكبر وكتب للأزهر في عهد ما يرجوه من نهوض وتقدم يليقان بمكانته.

مدير جامعة الأزهر

كان لصدور القرار الجمهوري في ١٤ يوليو الماضي بتعيين العالم الأديب فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري مديراً لجامعة الأزهر هزة سرور غمرت الأوساط الأزهرية وغير الأزهرية.

والذي لا شك فيه أن الجامعة الأزهرية في تطورها الجديد - حيث أريد لها أن تدخل معترك الحياة في شتى ميادين المعرفة ، كانت في حاجة إلى عالم أديب كالشيخ الباقوري ، عرف عنه بالإضافة إلى علمه ، سعة أفقه ، ومرونة تفكيره ، وتمتعه بطاقة كبرى من الحيوية والنشاط .

ومجلة الأزهر إذ تنهى الشيخ الباقوري بهذا المنصب الرفيع ، تنهى جامعة الأزهر بآبن من أبنائها ، سيهب لها كل يملك من طاقات وجهود في سبيل النهوض بها .

* * *

مدير مجله الأزهر

سافر في الأسبوع الأول من شهر سبتمبر الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات مدير مجلة الأزهر إلى أسبانيا حيث يجري له طبيب العيون العالمي الدكتور باراكه عملية جراحية في عينه في مستشفى بيرشونة .

والمجلة تسأل أفع سبحانه أن ترافقه السلامة في ذهابه وإيابه ، وأن يكمل العملية بالنجاح .

أهزم للدريغ أم فخر بمره ؟

بمناسبة ما ينشره الدكتور محمد أحمد خلف أفع مدير إدارة المجلات التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد تحت عنوان : « التجديد الديني ، أبعث بهذا إلى قادة الفكر الإسلامي مستفسراً عن مدلول عبارة « التجديد في الدين » ، لأنها أصبحت تداهب اليوم تفكير عدد من الناس .

وهل يفهم من هذا التجديد تجديد رسوم الدين الذي أبلاه المبتدعون والمصابون بالتحول الذهني في عصور الانحطاط ، كما فعل حجة الإسلام الإمام الغزالي في إحيائه المتدفق بالروح والريحان ، ومحمد إقبال في محاولاته التجديدية ، أم هو محاولة لتفتيت الأحكام الشرعية ، المبنية على أسرار عظيمة لا يدركها إلا الذين امتزج إيمانهم بالإخلاص ؟

أظن - وليس كل الظن إثمًا - أن الحقيقة الفاصلة لا ترتبط بالآخر ، الذي يتناول به المتناولون على الإسلام :

فانظر إلى الأخوين من أدناهما شهاباً بوالده فذاك المساجد

أين الحدود من العيون نفاسة ورياسة لولا القياس للفاصد

ومهما يكن من أمر فإنني أهيب بقادة الفكر الإسلامي أن يواجهوا هذا التطاول

والأسبوعية على الأخص تعيش في راد بعيد عن حاضرنا ومستقبلنا ، فلم تزل تواصل نشر الأدب المكشوف ، وتشجع الانحلال الخلقي باسم المدنية والحرية الشخصية ... ومثل هذا الأدب الحرام - كما أسماه أستاذنا الزيات - ينخر في كيان شبابنا الذي نحن في أمس الحاجة إلى رجولته وإيمانه إن لم يكن اليوم ، فلا بد أن يكون في الغد القريب ...
محمد ربيع عبد الماجد
مدرس بأسوان

* انمقد مؤتمر القمة العربي الثاني بقصر المنزة بالإسكندرية من ٥ - ١١ من شهر سبتمبر ١٩٦٤ ، وقد تحققت هذه الدورة لإنجازات جديدة في دعم التضامن والعمل العربي المشترك .

هذا وقد اتخذ المؤتمر القرارات الكفيلة بتنفيذ الخططات العربية ، وخاصة في الجوانب العسكرية والفني ، بداية العمل الثوري في المشروعات العربية باستغلال مياه نهر الأردن وروافده ، ومنها قيام منظمة التحرير الفلسطينية دعماً للكيان الفلسطيني ، ومنها تصفية الجو العربي ، وتأييد كفاح الشعوب ضد الاستعمار ، وفي مقدمتها شعب الجنوب العربي ، ومن هذه القرارات أيضاً تأليف مجلس عربي مشترك للبحوث الفورية للأغراض السلبية في نطاق الجامعة العربية وإنشاء محكمة الدول العربية .

على شريعة الإسلام ، وقد بدرت بوادر طيبة نرجو لها المزيد .

صالح بن أحمد السنغالي
بالدراسات العليا - الأزهر الشريف
* * *

هاجتنا إلى شباب مجاز :

كما أن الأمة في حاجة إلى حكمة الشيوخ ، هي في حاجة أيضاً إلى فتوة الشباب ، ولقد كانت الأمة الإسلامية بشبابها الجاد مهيبه الجانب ، منذ فجر انطلاقتها لنشر دعوة الحق ، والوقوف إلى جانب الشعوب المغلوبة على أمرها في فارس وغيرها ، ولو شئت أن نقسم : ما السر وراء هذه الانتصارات المذهلة مع الفائق بين القوانين ، لا يفتت بأن من وراء هذه الانتصارات شباباً جاداً لم يعرف العيب في حياته ، شباباً وهب كل حياته ووجوده لاعتقده وإيمانه ...

والعروبة اليوم تقف في مفترق الطرق ، تتحدى قوى الاستعمار غير وجلة ولا هيابة ، وتصر على أن يحمل هذا الاستعمار عصاه ويرحل من كل شبر في أرض عربية ، وربما اضطرت العروبة إلى مواجهة الاستعمار مرة أخرى كما سبق لها أن واجهته في بورسعيد ، والواجب يحتم علينا أن نكون على أهبة الاستعداد ، وأن نهيم شبابنا إلى خوض المعركة ومعه رجولته وإيمانه .

ولكن المؤسف أن بعض صحفنا

بمستوى تدريس مادة الدين في المدارس بتخصيص ٢٥ ٪ من النهاية الكبرى لدرجة الدين من النسبة المخصصة لأعمال السنة اسلوك الطالب في المجالات المدرسية المختلفة بقدرها رائد الفصل وتوفير مكان لائق في كل مدرسة لإقامة الشعائر الدينية وتزويد المكتبات المدرسية بما يحتاج إليه من كتب في شتى النواحي الدينية وتنظيم مسابقات بين الطلاب في الموضوعات الإسلامية .

* * *

* من الأخبار العلمية أن البحرية الأمريكية استطاعت أن تصمم منزلا كاملا لأربعة من العلماء يعيشون داخله في أحماق المحيط حيث اتجهت الأبحاث التي تجرى الآن إلى استغلال المساحات الشاسعة ، ومن الجدير بالذكر أن المحيطات في العالم تشغل ما يقرب من ثلثي المساحة الكلية للكرة الأرضية .

* أصدرت الأمم المتحدة منذ أسابيع كتاب التعداد السنوي ، وذكر أن تعداد سكان العالم يتزايد بمحوالى ٦٣ مليون نسمة سنويا على الأقل نتيجة ارتفاع المواليد عن الوفيات ، هذا ويقدر عدد سكان العالم في الوقت الحاضر بمحوالى ثلاثة آلاف وربع مليون نسمة وسكان الصين الشعبية وحدها يمثلون ٢٠ ٪ من سكان العالم .

السوا

هذا وقد ووفق أن ينعقد مؤتمر القمة العربى في شهر سبتمبر من كل عام ، وسيكون انعاده في العام القادم في المغرب العربى إن شاء الله .

* بدأ الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر دراسة المشروعات الجديدة في الخطة الخمسية الثانية مع كبار المسئولين في إدارة الأزهر وتبلغ تكاليف هذه المشروعات حوالى خمسة ملايين جنيه ، وفي مقدمة هذه المشروعات : إنشاء مجمع جديد للأزهر على مساحة خمسة عشر فدانا بالدراسة يضم جميع الأجهزة الفنية والإدارية وإدخال التعليم الفنى الاول مرة في الأزهر ، وإقامة مبنى جديد للمعهد النموذجى للبنين ، ومبنى آخر لمعهد القاهرة ، ولأول مرة كذلك تقرر إنشاء خمسة وعشرين مدرسة ابتدائية لقبول الأطفال من سن السادسة .

* * *

* تدرس وزارة الأوقاف حاليا مشروعا يهدف إلى مساعدة الطلبة على التقدم العلمى عن طريق تنظيم دروس إضافية لطلبة الكليات العلمية بالجامعات وطلبة الثانوية العامة تبلغ ، تكاليف المشروع نحو ٨٧ ألف جنيه ويستفيد منه ٣٠٠ طالب جامعى و ٢٠٠ طالب ثانوى .

* * *

* قررت وزارة التربية والتعليم النهوض

فتاوى مخننة

نقدم : ابراهيم محمد الحصيل

(الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر)

كما يفعل الناس الآن ، وهل ورد من السنة شيء في هذا ، وهل يثاب الميت بالقراءة ؟
٧ - هل لصلاة التراويح دعاء خاص يدعو المصلي بعدها ؟

٨ - هل يجوز كتابة القرآن أو الحديث النبوي بالحروف اللاتينية ؟

٩ - ما حكم التصوير ، والمصور في الإسلام أحرام أم حلال ؟

١٠ - في حياتنا الراهنة نرى بعض المسيحيين يساهمون في بناء المساجد ويبادلهم المسلمون نفس الشعور ويساهمون في إقامة الكنائس فما حكم الدين في هذا ؟

١١ - المسلمون غزوا ميدان العمل واشتغلوا في كل شيء حتى حانات الخمر ما لكين لها أو عاملين فيها وتجاوزها البعض إلى زراعة مواد إنتاجها فما حكم الدين في هذا ؟

إسحاق أجاكسوزي الأوغندي
(الرابطة الإفريقية بالمالك)

قراءة القرآن لدى القبر - الولية - الأدعية -
هل للصلاة سورة خاصة - البيع بالمسجد -
كتابة القرآن والحديث بالحروف اللاتينية -
التصوير - الاشتغال في حانات الخمر ،
وزراعة موادها الأولية .

الأسئلة :

١ - هل يجوز قراءة القرآن حول القبر ، ما حقيقة تعقيد الميت بعد دفنه ؟

٢ - أيجوز للمسلم أن يولم كالأفريقي ، أفعى اتباع نظامهم في حفلات الرفاق ؟

٣ - هل توجد أدعية خاصة للشهور الأخرى كما في نصف شعبان ورمضان ؟

٤ - أجعل الله سوراً من القرآن خاصة للصلاة من الصلوات الخمس ؟

٥ - أصبح من المؤلف أن نرى بعض الباعة يزاولون عملهم في بيوت الله ، ما الحكم في هذا ؟ ولدينا الآن أوراق اليانصيب تباع في كل مكان فما حكم الإسلام فيها ؟

٦ - هل يجوز قراءة القرآن في المآتم

والأوقات لا مانع من استعمالها والاخذ بها متى ثبتت .

عن الرابع : نفيد بأن المطلوب قراءة السورة أو بعضها بعد الفاتحة أية سورة كانت من القرآن وتحصل بذلك السنة والأكل أن يقرأ في الصبح والظهر بطوال المفصل الذى أوله سورة الحجرات وآخره آخر النازعات وفي العصر والعشاء أو وسط المفصل وأوله سورة هبس وآخره آخر الليل ، وفي المغرب قصاره وأوله والضحي إلى آخر القرآن كما أن الأفضل أن يقرأ في صبح الجمعة بألم تنزيل وهل أتى ...

عن الخامس : عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك وإذا رأيتم من يشتد فيه ضالة فقولوا لاردها الله عليك ، وحسنه الترمذى ، من هذا يعلم أن البيع والشراء وطلب الضالة في المسجد حرام) قال تعالى : **وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، فالمساجد بنيت للعبادة .**

أما أوراق اليانصيب فإن بيعها من باب اللعب بالميسر يمنع مطلقا فإن حصل ذلك في المسجد كان أغلظ ، فإن الله تعالى حرم الميسر بنص القرآن حيث قال : **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب**

المجواب :

عن الأول : نفيد بأن قراءة القرآن للبيت جائزة شرعا ويكون ثوابها له متى كان القارى قد وهبها له ، ويكون للقارى ثواب هلى ذلك . وسواء أكانت القراءة عند القبر أو بعيداً عنه ، وهذا عند كثير من الأئمة ، كما تنفعه الصدقة والدعاء له بإجماع العلماء .

ويجوز كذلك تلقين المريض في حالة الاحتضار وتلقين الميت بعد دفنه كلبه الشهادتين وعقيدة الإيمان ويكون التلقين في حالة الاحتضار برفق ، وتلطف حتى لا يسأم المريض في هذه الحالة العصبية .

عن الثانى : نفيد بأن الوليمة في العرس مستحبة شرعا ويدعى إليها بلا تفرقة بين الأغنياء والفقراء ويجب ألا تشتمل الوليمة على شيء محرم كشراب ما يسكر أو اختلاط الرجال بالنساء أو الرقص أو نحو ذلك وإلا كانت حراما .

عن الثالث : نفيد بأن الدعاء مطلقا مشروع قال تعالى : **و قال ربكم ادعوني أستجب لكم ، وقال تعالى : و إذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، وفي الحديث الدعاء مخ العبادة .** وقد وردت أدهية مأثورة في بعض المراسم

ومساهمة الكافر في بنائها لا مانع منه ويخفف عنه بها من عذاب غير الكافر ، أما بناء الكنائس فحرام وأقضع في الحرمة أن يساهم المسلم في بنائها .

وعن الأخير : نفيد بأن صنع الخمر والاتجار بها بيعا أو شراء حرام شرعا يأثم عليه مرتكبه أما زراعة المواد التي يتخذ منها المسكر أو الخدر فإذا كانت لا تصلح إلا لذلك فزراعتها ممنوعة فإن صلحت لغير الإسكار كالعنب مثلا يتخذ الأكل كانت الزراعة مباحة .

حكم الزواج العرفي المستوفى لشروط

العقد الصحيح

السؤال :

تزوج رجل بامرأة بعقد عرفي مستوفى بجميع شروط عقد الزواج الشرعية فاحكم هذا الزواج ؟

عبد اللطيف حلیم

الجواب :

حيث تم عقد الزواج بإيجاب وقبول شرعيين وبحضور شاهدين شهدا على ذلك فقد صح العقد شرعا ووجب الصداق وترتبت عليه آثاره من لووم النفقة والحقوق النسب والتوارث بينهما - إذا مات أحدهما - إذا لم يقرن

والإزلام وجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، .

وعن السادس : نفيد بأن قراءة القرآن مطلقا عبادة يثاب عليها القاريء والمستمع فإذا كان ذلك في المأتم كما يفعل الآن فلا مانع منه ويستفح الميت بالقراءة إذا قرأ بقصده أو قرأ عنده أو وهب ثواب القراءة له .

وعن السابع : نفيد بأن صلاة التراويح كغيرها من الصلوات يدعو الله تعالى بعدها بما يدعو به بعد غيرها من الصلوات .

وعن الثامن : نفيد بأنه لا تجوز كتابة القرآن بالحروف اللاتينية وكذا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، صيانة للنصوص الشرعية عما لا يؤمن معه الخطأ في مدلولها المقصود ولا مانع من تفسير القرآن والحديث وترجمة التفسير بغير اللغة العربية للاستفادة .

وعن التاسع : نفيد بأن التصوير لغير ذى الروح من الأشجار والأزهار والمباني وغيرها جائز وكذا لغير الروح إذا كان بهيمة لا يعيش بها وإذا كان لغرض التثقيف كان أولى بالجواز فإن كان بهيمة يعيش بها كان حراما .

وعن العاشر : نفيد بأن بناء المساجد مشروع قال تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ... الآية »

عداء وبغضا مستحكين بينهما من الصغر ،
فأسقط في يده .

وأخيرا امتنعت عن تسليم نفسها لابن عمها
كما أصر هو من جانبه على ألا يطلقها فالحكم
لإختلاف آراء العلماء في جنوب الجزيرة
الربية .

أبو بكر أحمد حسين العيدوسي

الجواب :

العقد المستول عنه في هذا الاستفتاء صحيح
فإن والد الفتاة له الحق في تزويجها من غير
استئذانها باعتباره والدها المجر لها ، دون
توقف على رأيها كما هو في مذهب مالك والشافعي
وأحمد رضي الله عنهم وفوق هذا فوالدها
تابع السنة النبوية وأخبرها ، واستأذنها
في تزويجها من هذا المحاطب فأذنت بقولها
« الرأي في ذلك لوالدي » ، وذلك صريح
في الإذن والتوكيل كما هو المطلوب في مذهب
أبي حنيفة .

وهذا صارت موافقة ، وصار العقد سليما
من كل شعبة وعليها أن تسلم نفسها للزوج .
وأما ما يقال بعد ذلك من أنها على خلاف
سابق منذ الصغر مع هذا الزوج فهو غير
مانع من صحة العقد السالف لأن هذا كلام
غير جدي فيما يظهر .

وعلى فرض صدقها فيه فقد أذنت ،
وأذنها سابقا يسقط حقها في الاعتراض بعد
قوات أوانه .

ذلك بمافع شرعى غير أن عدم توثيق هذا
العقد رسميا أمام المأذون أو في محكمة الأحوال
الشخصية يجعله عرضة للإنكار إن لم يكن
عن الزوجين فيما بينهما فقد يكون ممن يطلع
على ذلك من غيرهما وإن كان قد كتب بذلك
ورقة عرفية فهذه الورقة عرضة للضياع
وعرضة لعدم الاعتراف بها أمام القضاء
خاصة إذا مات الشاهدان اللذان وقعا
على هذه الورقة هذا فضلا عما قد يقترن بذلك
من احتمال إنكار الولد وضياع نسبه إن حصل
لإنجاب ولد بينهما .

حكمهم عقد زواج البكر إذا استؤذنت
وأفادت بما يفهم منه القبول وظاهر
العكس .

السؤال :

بنت تبلغ العشرين من عمرها أراد والدها
أن يزوجه لابن عم لها فأرسل إليها والدتها
وبعض أقاربها الذمومة ليخبرنها عن ذلك
فسكران ردها « الرأي في ذلك لوالدي » ، غير
أنها أبدت بعد ذلك انكماشاً وأصبحت
تبسكى ليل نهار ، وقد حمل أهلها ذلك على
أنها عادة تعودت البنات العذارى عليها عند
ما يبلغن لمن مثل هذا الخبر .

ومضى الوالد وعقد لها على ابن عمها هذا ،
وبعد انقضاء مراسم الزواج بعدة أيام ظهر
لوالدها ما لم يكن يعلمه من قبل ، ظهر أن هناك

نعملي :

العقد - من وجهة نظر الدين بالتفصيل
الذى ذكرته لجنة الفتوى الموقرة - صحيح
ما فى ذلك شك ، غير أنه يجدر القول هنا
إن حكمة الأب عليها معول كبير ؛ إذ واجبه
يدهوه لأن يدرس - مباشرة أو بشبب -
ميول ابنته بتمعق ، فإذا وجد أن أسباب
السكرامية مما يزول مع الأيام فليتطف معها
بالقول الهادئ والنصيحة الأبوية الرقيقة
حتى قلبها أن يفتح لزوجها فتشاركه حياة
لا تقصها السعادة .

أما إذا تأكد لديه استحالة ذلك فدفعاً
للضرر وتجنباً لما قد يودى إليه مثل هذا
الزواج من مخالفات دينية أنصح بعدم إتمامه
ودين الله يسر وما جعل عليكم فى الدين من
حرج والحشية مما يصاحب فهم العقد من
أقاريل تمس الزوج وتعقد حياته - الأمر
الدافع على إصراره كما يبدو - هذه الحشية
تدفعها خشية أشد من مصائب أنكى يأتى بها
إصراره على التمسك بحياة زوجية لا تجاوب
فيها والله الموفق .

ابراهيم محمد الأصيل

(بقية المنشور على صفحة ٣٧٢)

هذه هى الطبعة الثانية من الكتاب الذى
امتاز بعرضه ألواناً من الخطب العصرية
المتصلة بحياتنا السياسية والاجتماعية ،
ثم بتقديمه نماذج لدروس الوعظ من التفسير
والحديث .

الحب عمر العرب :

للعلامة أحمد تيمور

لجنة نشر المؤلفات التيمورية

هذا الكتاب ينشر لأول مرة ، وهو من
المخطوطات القيمة التى تتناول الحب فى أرفع
معانيه وأسمى اتجاهاته ، من حقل الأدب
العربى شعراً ونثراً وقصة .

محمد عبد الله السامه

سبق للؤايف أن أصدر كتاباً عن (م) عام ١٩٤٢
إلا أن الزيادات الكثيرة التى أضافها للطبعة
الأولى جعلت كتابه الأخير هذا جديداً بحق .

يومى العرب :

للأستاذ مصطفى نهان البدرى

مكتبة دار المروبة - القاهرة

محاكاة شعرية فى تمثيلية تقع فى ثلاثة فصول
قصيرة ، وهى تصوير لمهرجان الوحدة
العربية ، وقد راجعها الأستاذ عادل غضبان .

ومى النهضة الوطنية :

فى الخطب المنبرية

للأستاذ الشيخ على رفاعى

مكتبة صبيح بميدان الأزهر

في محيط العالم الإسلامي

بغداد : محمد عبد الله السامح

بين أندونيسيا وماليزيا :

لم يزل النزاع بين أندونيسيا واتحاد ماليزيا هلى أشده ، حتى أوشك أن يهدد باندلاع السنة الحرب بينهما ، ولا سيما بعد تسلل فدائيين أندونيسيين إلى سنغافورة والملايو وهما عضوان في الاتحاد ...

وعلى الرغم من أن أمريكا نصحت بريطانيا بعدم العمل على إشعال حرب ، إلا أنه قد تحركت منذ أيام قوات وسفن وأسلحة بريطانية لمواجهة الفدائيين الأندونيسيين التي أصبحت تمتد الآن من بورينو إلى قلب الملايو .

إن حوكانو رئيس جمهورية أندونيسيا يتهم الملايو بأنها كانت تشجع الثوار ضده في سومهطره عام ١٩٥٨ . ومن الجدير بالذكر أن اتحاد ماليزيا يضم ١٠ ملايين ، ويعتبره زعماءه محاولة للوقوف في وجه الشيوعية ، وقد تعهدت بريطانيا في اتفاقيتها بالدفاع عن ماليزيا .

بين باكستان و الهند :

سافرت في الأسبوع الأول من شهر سبتمبر إلى باكستان بعثة هندية غير رسمية برئاسة نارايان ، وهو زعيم سياسي مستقل عن الأحزاب ، للعمل على تحسين العلاقات بين البلدين ، وقد اجتمعت البعثة مع الرئيس الباكستاني أيوب خان .

ومن المعروف أن مشكلة المشكلات بين الهند وباكستان هي مشكلة كشمير .

قضية عمان :

بدأت لجنة التحقيق في تطورات عمان في أول سبتمبر مهمتها في الاستماع لأراء ممثلي عمان في الشرق الأوسط وهذه اللجنة الخاسية تابعة للأمم المتحدة برئاسة عبد الرحمن بازواك مندوب أفغانستان ، وقد تنقلت من الدمام إلى الكويت إلى القاهرة هذا وقد رفضت بريطانيا السماح لأعضاء اللجنة بزيارة إمارة عمان نفسها ، مما اضطرها إلى عقد مؤتمرات في لندن .

شكل وارد جبار يعتقد أنه ذو أهمية دفاعية .

كشمير :

اعتقل باكش غلام محمد رئيس وزراء كشمير السابق بتهمة تأييد المنشقين على الحكومة ، كما اعتقل خمسة من كبار أعضاء البرلمان بمقتضى قانون الدفاع عن الهند .

وتواجه حكومة كشمير الحالية تهديدا بهزيمتها في المجلس التشريعى للولاية ، بعد أن اتخذ اثنان وأربعون من حزب المؤتمر القومى الحاكم قرارا بعدم تأييدها وقد اتخذوا هذا القرار — على حد قولهم — لأن حكومة غلام محمد صادق لا تستطيع إدارة البلاد بطريقة مناسبة .

ورئيس الوزراء المعتقل تولى رئاسة وزارة كشمير لمدة عشر سنوات خلفا للشيخ عبداقه الذى اعتقل عشر سنوات لمناهضة سياسة الهند فى كشمير ، ومن الجدير بالذكر أن كشمير ولاية يمثل المسلمون فيها ٨٠٪ .

المملكة العربية السعودية :

قررت وزارة المعارف السعودية فتح ٨٠ مدرسة لمحو الأمية بالإضافة إلى المدارس الموجودة حاليا .

وقد صرح وزير المعارف أن الوزارة حريصة على رفع مستوى جميع المعاهد والكتليات بالمملكة ، وتطورها بحيث

ومن الجدير بالذكر أن مشكلة عمان عرضت لأول مرة على الأمم المتحدة عام ١٩٥٧ عندما دعا مجلس الأمن لبحث العدوان المسلح الذى شنته بريطانيا ضد استقلال إمارة عمان ووحدة أراضيها ، وقد صرح بازواك رئيس اللجنة ، بأنه يجرى الآن إعداد دراسة كاملة لجميع المسائل المتعلقة بالقضية ، حتى يمكن للجنة أن تستعرض الحقائق أمام الجمعية العامة فى ١٠ نوفمبر القادم . أما هذه اللجنة الخاصة فتتألف من أفغانستان والسنگال ونيجيريا ونيبال وكوستاريكا .

الجمهورية العراقية :

عثر فريق بريطانى أمريكى للآثار على أنقاض مدينة حصينة فى العراق يعود تاريخها إلى عام ١٨٠٠ قبل الميلاد ، وذكر الدكتور فروليقيش ريتى رئيس متحف جامعة بنسلفانيا أن هذه المدينة تعرف باسم « قل الرماح » وتقع إلى الشرق من الموصل بشمال العراق . هذا وقد ترأس فريق الآثار المشترك المستر دافيد أوتس من مدرسة الآثار البريطانية فى العراق والدكتور كارثر من متحف جامعة بنسلفانيا .

وقد ذكر الدكتور ديبى أن الفريق عثر على قلاع مرتفعة ودهاليز داخل المدينة المبنية من الطوب ، كما عثر فى الجانب المكشوف من مدخل المدرسة على تمثال له

الأمم المتحدة أن الجمهورية العربية المتحدة والمملكة السعودية قد أسهمت كل منها بـ ٢٨٥ ألف جنيه .

* قال سوكانو رئيس جمهورية أندونيسيا الإسلامية التي يمثل الإسلام بها أكثر من ٩٥ ٪ .

« أنا شيوعي ومتدين ووطني ، :

وذلك في أثناء الاحتفال بضم وزيرين شيوعيين إلى حكومته التي يبلغ عدد أعضائها ٧٧ وزيرا .

يبلغ تعداد الحزب الشيوعي في أندونيسيا مليونين .

* قررت وزارة الأوقاف إنشاء أول مؤسسة عربية إسلامية لنشر الإسلام وتعليم العربية في آسيا وأفريقيا ، وسوف تبدأ هذه المؤسسة مهمتها بإنشاء عشرة مراكز في عشر بلاد آسيوية وأفريقية ، واعتمد لهذه المراكز مبلغ ٨٠٠ ألف جنيه ، وسيضم كل مركز مسجدا ومدرسة ووحدة صحية علاجية .

* عمر طالب ألماني يدعى هرمان تايزر في جزيرة رويجين في بحر البلطيق على قطعة من العملة العربية التي كانت مستعملة في عهد هارون الرشيد .

* تساهم الكويت بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه استرليني في بناء مركز إسلامي بلفغن .

محمد عبد الله السواد

تساير مناهجها التطورات العلمية الحديثة ، وأن الوزارة ستواصل الاستعانة بالمدرسين من الاقطار العربية الإسلامية والأجنبية .

أصبح من المنتظر أيضا أن تنتهى جميع أعمال الهدم القائمة بمكة المكرمة لإنشاء المعادين الخمسة حول المسجد الحرام .

أخبار - سبعة :

* بدأ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، محاولة ترجمة تفسير القرآن إلى اللغة الفلبينية ، وأسندت هذه المهمة إلى مجموعة من العلماء مع الشيخ أحمد بدير أحد زعماء المسلمين في الفلبين ، وسوف يطبع من النسخة المترجمة عشرة آلاف ، في الفلبين ثلاثة ملايين مسلم .

هذا وقد قرر المجلس منح المسلمين الزنوج بأمريكا هشرين منحة دراسية للطلاب المسلمين للتعليم بالأزهر الشريف خلال العام الدراسي الحالي .

* هاجمت بعض صحف نيجيريا السيد / أحمد بللو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية بسبب تأييده للعرب ضد إسرائيل ، لأنه خلال زيارته للشرق الأوسط دعا إلى إنشاء جبهة إسلامية تشترك مع العرب في تحرير فلسطين .

* تمكفت بعثة الأمم المتحدة في اليمن ٧٠٠ ألف جنيه ، وأعلن يوثانت سكرتير

choses d'Islam en Particulier nous trouverons que de essais ont été faits au cours du xixe Siècle pour extraire les Préceptes moraux du Koran. Mais le cadre de ces essais est souvent très restreint, et le contenu en est loin de répondre rigoureusement à la vraie doctrine Koranique.

Pour ce qui est du cadre, non seulement on a omis le côté théorique de la question : aucun savant Européen n'a encore essayé de dégager du Koran ses principes éthiques généraux. Mais en outre, nul d'entre eux n'a eu le souci de formuler ses règles pratiques et de les présenter sous la forme d'une loi complète. Tout leur effort réside dans ce fait qu'ils ont groupé et traduit littéralement un nombre plus ou moins grand de versets Koraniques relatifs au culte et à la conduite.

C'est Garcin de Tassy qui nous semble avoir ouvert cette série des Extraits thématiques du Koran par un opuscule intitulé : "Le Korân : Doctrines et devoirs" (Paris 1840). Il fut suivi par le fèvre qui publia

en (1850) des morceaux choisis de la traduction de Savary sous le titre : "Mahomet, lois morale, Civiles et Religieuses" puis par Barthélemy Saint-Hilaire dans "Mahomet et le koran" (Paris Didier 1865).

Quant aux défauts de fond, ce la tient soit à une traduction incorrecte, soit à un mauvais compte-rendu, soit aux deux facteurs réunis. Ceci se rencontre surtout chez Jules La Beaume dans son "Koran Analysé" (Paris maison-neuve 1878), qui est d'ailleurs l'œuvre analytique la moins incomplète.

Il nous a paru donc indispensable de reprendre le sujet et de le traiter suivant une méthode plus saine, en vue de rectifier ces erreurs, de combler cette lacune dans la bibliothèque Européenne et de montrer aux savants occidentaux le véritable visage de la morale Koranique. et ce fut en réalité notre but essentiel dans le présent travail.

(Suit)

INTRODUCTION

“ Un ouvrage nouveau doit traiter exclusivement d'une des sept questions : une chose insolite à créer, incomplète à achever, confuse à éclaircir prolix à resumer désordonnée à mettre un ordre, dispersée à réunir ou erronée à rectifier ” (1)

Ce sage précepte d'un savant azharien du XVII^e siècle garde toujours sa valeur et requièrr de chaque écrivain qu'il se conforme à sa chate.

Notre lecteur attentif aura l'occasion d'apprécier jusqu'à quel poir l'ouvrage que nous lui présentor aujourd'hui remplit ces conditions. Ce n'était pas pour perdre notre temps. Importuner nos l'ecteurs, charger nos bibliothèques, que nous avons entrepris ce nouvel ouvrage sur Le Korân ; et c'eût été le cas si notre œuvre n'apportait rien de neuf dans le monde oriental ou occidental.

I Etat an'érieur de la question.

Un regard rapide sur les traités de morale générale, écrits par des savants occidentaux suffit pour y apercevoir un vide bien large et bien profond, dû à leur silence

absolu sur la morale koranique ces traités nous entretiennent en effet plus ou moins longuement des principes moraux, tels qu'ils ont vus par le paganisme grec, puis par les religions suive et chrétienne mais une fois ces trois périodes parcourues, les voilà qui nous transmettent par un saut brusque aux temps modernes en Europe, laissant de côté tout ce qui touche la loi morale de l'Islam.

Et pourant l'apport koranique en ces matières est d'une valeur inestimable. l'histoire des doctrines éthiques y gagnera en étendue. en profondeur et en harmonie ; et le problème moral lui-même n'en oura que des profits. Pour résoudre ses difficultés, tant nouvelles qu'éternelles.

N'est-ce pas une perte immense qu'une telle doctrine soit ainsi omise et passée sous silence ?

Il est vrai que si, au lieu de chercher dans ces troites de morale générale, nous consultons les ouvrages européens qui traitent des

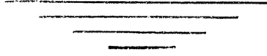
(1) Chams Ed-Dine ell Bâbili mort en 1077 de l'hégire, cité par moulla El-Mohbbi, Khoulassat el-Athr, fi Agâne el Karn El Hâdi achar T.IV.P. 41 (éd caire 1284 H)

Pourrais-je, après tout, brosser, par ce rapide aperçu, la biographie d'un homme dont les inoubliables vertus vaudraient d'être rapportées dans un livre plus détaillé où serait mis en lumière un passe glorieux d'efforts et de luttes ? Je sollicite de Dieu tout puissant l'aide dans la mise en œuvre d'un pariel projet afin que ce livre puisse voir le jour très prochainement. C'est une dette dont je veux m'acquitter et

message que je me dois de repmlir.

C'est un grand honneur pour moi de présenter aux lecteurs de la revue "AL AZHAR", un ouvrage du grand maître et camarade, le regretté Dr. Mohamed Abdullah Draz. "La morale du Korân".

J'espère avoir l'occasion d'en faire un aperçu analytique, rendant ainsi d'hommage à l'oeuvre et à l'écrivain.



Il ne se laissa jamais décourager par les lourdes charges de sa famille dont chaque membre rêvait, un avenir digne et heureux. Il n'oublia point ses obligations envers son pays et envers l'Azhar, malgré les violentes cannonades et les vomissements des bombardiers pendant toute la durée de la guerre mondiale.

Rien de tout cela ne l'empêchait de recevoir chez lui les membres des communautés musulmanes ou les visiteurs de passage venant des diverses parties du monde islamique. Il les accueillait avec aménité, les complait de prévenances et leur réservait la plus généreuse hospitalité.

Le jour où il obtint la licence, je me rappelle lui avoir posé cette question : "Quel profit avez-vous tiré de vos études à la Sorbonne?" "De la méthode dans l'enseignement et certains aspects de morale", répondit-il. "Quel serait le sujet de votre thèse?" repris-je. "La morale, fit-il, et plus précisément la morale du Korân".

Ce fut alors que j'appris que notre moniteur s'était attelé à sa thèse dès le premier jour de son arrivée à Paris. Il ne cessait de réciter le Korân, en ma présence, et je le voyais s'arrêter à chaque verset comportant un point de morale. On eût dit qu'il le confrontait avec toute théorie ou tout

système philosophique présentant une analogie en la matière.

Il croyait en la perplexité de la conscience morale dans la démonstration des diverses civilisations. Il assurait que le malheur de toutes les civilisations c'était l'absence de l'élément fondamental et véritable de cette conscience, c'est à dire de la source dont elle puise sa raison d'être, son essence et son efficience. Car, que serviraient toutes les idéologies de l'histoire et tout le génie des historiens si le monde continuait à danser sur un volcan? Et s'il était dangereux et effrayant de parler du destin, où donc trouverions-nous la sécurité morale, la tranquillité de l'esprit, la confiance en l'existence et l'optimiste foi dans la marche de l'univers?

Il affirmait que le Korân est la source de toute éducation humaine et de toute morale pratique et théorique, et que nous devrions inéluctablement y puiser le système morale auquel aspire l'humanité pour réaliser ses idéaux et parfaire son bonheur durable.

Que les peuples égarés soient donc [orientés vers les principes de morale contenus dans le Korân et que les mécréants se plient à la parole révélée,, toute de vérité et de justice.

Dr. MOHAMAD ABDULLAH DRAZ

Par : Dr. AFIFI ABDEL FATTAH

Directeur des Recherches Islamiques

Descendant d'une lignée d'hommes lettrés connus par leur attachement aux préceptes de la morale, Mohamad Abdullah Draz fut, dans son enfance, entouré par les soins paternels les plus tendres et les plus attentifs, dans une famille dont le riche patrimoine de vertus s'était transmis de génération en génération.

Je l'ai d'abord connu par ouï-dire, grâce aux nombreux éloges dont le comblaient les érudits de son temps. Ensuite, j'ai eu l'occasion de le rencontrer, de temps en temps, au cours de ses leçons qui révélaient en lui un professeur modeste, indulgent, doux, d'esprit large, d'expression élégante et de pensée profonde, abordant avec tact et sagesse les problèmes les plus ardu, pour les clarifier, par la suite, sous la forme la plus nette et la plus agréable.

Rendant gloire à ces dons qui étaient le témoignage d'une faveur divine, je nourrissais alors un seul vœu : c'était de pouvoir, avec l'aide de Dieu, entrer en rapport plus étroit avec ce grand homme.

Repondant à mon désir, le destin voulut que nous fussions choisis

tous deux comme membres de la mission de l'Azhar à Paris. Nous restâmes dans cette capitale une dizaine d'années au cours desquelles, Mohamad Draz fut pour moi et pour tous les membres de la mission, le dirigeant, le guide, le contrôleur et le protecteur. Les travaux de la mission furent, grâce à Dieu couronnés de succès et tous ses objectifs réalisés.

Avant son voyage en France, Mohamad Draz avait déjà une connaissance assez profonde de la langue française et de sa littérature. Il lui fut ainsi facile d'obtenir les titres universitaires. Cependant, animé par une curiosité pressante d'apprendre, il tint à entreprendre des études plus vastes et plus approfondies. Il se fit inscrire à la Faculté des Lettres où il suivit avec la plus grande persévérance les cours de philosophie. Il réussit à décrocher toutes les licences requises dans cette discipline, malgré les circonstances difficiles que traversaient alors les citoyens français eux-mêmes et, à plus forte raison, les étrangers vivant en France.

who would at times demand his assent to terms that were derogatory to his personal honour, even then He would accept them and act on them under all circumstances. Even before He had received the messengership, his integrity and impartiality had become proverbial. He was referred to by all, friends and foes, as "AL-AMIN", the Trust worthy. People would bring their disputes to him to be settled.

The Prophet was a living example for the spread of Justice and equality. Muslims or non-Muslims, friends or foes, high or low, all were, alike to him. Even in the treatment of his servants, everywhere he observed the same principles of equality and justice. It is reported that Anas was in the service of the Prophet Muhammad for about ten years. He said that during this long period he was not once reprimanded by him.

The Prophet of Islam enjoined the acquisition of knowledge upon all Muslims, both males and females. The Holy Qur'an says: "Whose ever is given knowledge is given in reality, much goodness." The prophet says: "Acquire knowledge even if you must go to China to find it" He is reported to have said that the pen is mightier than the sword,

and a drop of ink from the writer's quill is more sacred than the blood trickling from the wounds of a martyr." While the achievements of every great man are limited to a definite sphere, those of the Holy prophet cover the entire field of human life. He gathered to gether a people like the Arabs, split up into warring tribes, severed by generations of blood feuds. He lifted up a nation sunk low, as were the Arabs, and made of them torch-bearers of a living culture and a great civilization. His greatness is to be found in a mighty and comprehensive personality. His words inspired and His personality radiated the hearts of His companions, who were not persons of inferior standing or mental calibre, but men of high rank, wealth culture and Position. His life was the assemblage of all the virtues, human and divine. Sincerity, generosity, broadmindedness firmness and tenacity of purpose, His calmness in adversity. His meanness in prosperity, His humility in greatness, His modesty of character, His love for people, His care for animals, His bravery and magnanimity of spirit, His unbending sense of justice are the manifestations of his practical life. It would need volumes to describe the unique qualities of His Unique Personality.

MOHIADDIN ALWAYE

PROPHET MUHAMMAD

THE PERFECT EXAMPLE FOR HUMANITY

Prophet Muhammad (Allah's choicest blessings on him) belived in teaching his message by example more than by speeches and percepts. There is not a single order or rule from God that did not find complete manifestation in his own action. The Holy Prophet practised rather than preached. His actions were the virtual translation of the teachings of Quran. How can the percepts and principls, that are not practised by their own teachers, infuse into others any enthusiasm of any acceptance ? The people are not to be guided by those who only preach.

The actions of teachers far more than words should entitle them to our allegiance. Muhammad was the perfect and complete example of Quranic Principles and rules. In His own life every phase of human morals and human values found complete manifestation. His whole life was an eloquent and practical commentary on the Holy Quran. Both the records and experiences satisfy all that could be demanded of a real great leader, who came to guide the humanity to the right path, that is the path of Allah.

From childhood, Muhammad climbed to the summit of glory.

The most furious storm of hardship and calamities failed to move him an inch from his position and the mission which He prized above all things. He held fast to the verse of Quran: "Surely with difficulty Surely is ease." His spirits remained unmoved by the turns of fortune's wheel. The followings are Some of his great characters and noble qualities.

Sincerity and Simplicity were the key-notes of the character of the Prophet Muhammad. High morals were ingrained in his verynature. They were something which grew in him from his very child hood and they became the compelling feature of his character. He was not only peace-lover by nature but also a peace-maker. War was alien to his nature, He was by sheer force of circumstances, driven to take up arms. It was due to this intrinsic virtue in him that he preferred the "Peace of Hudaibiyya" to continued blood-shed, though according to terms of that Truce, the concessions obtained by Muslims were almost nil, and they were treated as conquered.

As a ruler also Muhammad entered into treaties with enemies,

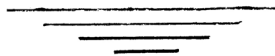
it and adorned it, and there are no gaps in it. And the earth We have spread it out, and set thereon mountains standing firm, and produced therein every kind of beautiful things in pairs. To be observed and commemorated by every servant turning to God. And We send down from the sky rain charged with blessing, and We produce therewith gardens and grain for harvests. And tall palm-trees with shoots of fruit-stalks, piled one over another. As sustenance for God's servants ; and We give new life therewith to land that is dead : thus will be the Resurrection. ”

The Holy Qur'an blames those who do not think and mind when it says :

“ And how many Signs in the heavens and the earth do they pass by ? Yet they turn their faces away from them.”

It is reported, also, that Bilal, the companion of the Prophet, went to call out for the Morning Prayer when he saw the Prophet crying. Upon asking him about the matter, the Prophet said :

“ What, should not I cry ? God revealed to me this night this verse : Behold ! In the creation of the heavens and the earth, and the alternation of night and day-there are indeed signs for men of understanding.” Then the Prophet added : “ Woe to those who read this verse and do not think deeply about it ”.



“ Those who divided their religion, and turned into sects and groups, you have nothing to do with them, their matter is to God, Who will bring them to requital ”.

QUESTION :

What is the meaning of the word “Faith” ?

ANSWER :

“Faith” is the belief in something with all your heart with no doubt or hesitation.

People are different in their faith according to whether the evidences of their faith are clear or ambiguous. Suppose, for example, that a person has heard from another truthful one that there is a country in the world called “Nigeria”, the first will believe the latter, especially if he has heard about the same fact from other truthful men. If it happened that he saw the picture of the capital of that country, his belief about the existence of that country will be stronger. And if he went actually to Nigeria, his certainty will be quite absolute, and he will harbor no doubt at all about that fact.

In this way, people are different in the grades of their religious faith. Some believe by imitation and inheritance, just because they were born to Muslim parents. Such faith is liable to doubt and suspicion.

Some others acquire their faith through thinking and deliberation which make their faith stronger. Still some others combine their thought with their obedience to God in their search after truth until its light shines in their heart. Those are described in this Holy Verse :

“To those who receive guidance, God increases the light of guidance, and bestows on them their piety and restraint from evil.”

QUESTION :

What are the basic sources of faith in Islam ?

ANSWER :

Islamic faith is based upon the Holy Book of God and the Traditions or “Sunna” of the Prophet (peace be upon him). This faith is in complete harmony with reason and scientific facts.

Therefore, God, the Almighty, honoured the reason and directed His speech to it, made it the criterion of responsibility, and called it to think and search after truth. The Holy Qur’an says :

“Say : Behold all that is in the heavens and on earth...”

And :

“ Do they not look at the sky above them ? How We have made

ANSWER :

The origin of all divine religions, as revealed from God, is one. Islam declared the unity of all these religions in their basic teachings. It has established, also, that the divine laws are based upon definite rules of faith and good work, that all the Messengers of God are inspired by Him; and that all divine books are revealed from Him. Islam announced moreover that the true believers of all nations are those sincere and faithful people, and that dissension in religion is a great sin. The Holy Qur'an laid down all these facts when it says :

“He prescribed for you of the Religion what He commanded to Noah and what We revealed to you, and what We commanded to Abraham, Moses, and Jesus : that you establish the Religion, and not be divided therein”.

The Prophet Muhammed (peace be upon him) illustrated those meaning in his Tradition :

“My parable and that of other prophets before me is like one who built a good and beautiful house except that he did not lay one brick in one of its corners. People, when looking at his house admiring its architecture, would say : Could you not complete such wonderful house

by just laying down one single brick in this empty place ? Thus I am this brick, and I am the seal of all prophets.”

A Muslim should believe in all prophets and all revelations, and should obey all divine legislation. The Holy Verse says :

“Say : We believe in God and what was revealed to us, and what was revealed to Abraham, Moses, Jesus, and what was revealed to prophets from their Lord; We do not make any distinction between any of them; and to Him we submit ourselves in Islam.”

God, the Almighty, laid a great stress upon the belief in all His messengers, in order to establish the unity of religions upon a strong basis, as He, the Almighty, says :

“Those who do not believe in God, and His messengers, and make a distinction between God and His messengers and say : we believe in some messengers and do not believe in others, wishing to make a midway in between, are the real disbelievers. We have prepared for them an humiliating punishment”.

So, if people divide in the religion and act according to their emotional desires, then, Islam has nothing to do with them, as the Holy Verse put it in clear words :

because it is a complete obedience to God and His orders. In this meaning it is the religion of humankind since Adam till the end of this world.

Everything in this universe is subject to divine and immutable law. Man, animal, plant, inanimate objects, and stars—all are working according to definite laws made by God. Therefore, all people and nations, and even all beings in the universe other than man, may be considered “Muslims” or “submitting” to God’s laws and orders. The Qur’an declares this fact when it says :

“ ... All creatures in the heavens and on earth have, willing or unwilling bowed to His will, accepted Islam, and to Him shall they all be brought back.”

QUESTION :

If all things and all men are subject to God’s laws, why people are divided into Muslims and non-Muslims ?

ANSWER :

Man has two aspects in his life:

First : He is subject to the natural law, and created by his own nature to follow that law.

Second : Man on the other hand is endowed with mind, thought and free will.

According to the first aspect, man is created by necessity submitting to God’s laws, and due to the other aspect he is at liberty to be a Muslim or non-Muslim. This free choice divides men to two kinds :

a - A man who knows his creator, believes in him, and obeys His orders willingly, after having been submitted to Him unwillingly.

b - A man who denies his natural powers, and neglects his human endowments, and, thus, lives in darkness and ignorance. Such one does not believe in God and denies his existence as the Holy Qur’an says:

“ And when it is said to them : Come to what God has revealed, come to Apostle, they say : Enough for us are the ways we found our fathers following, What even though their fathers were void of knowledge and guidance ? ”

This type of men who denies God and the mission of His messenger Muhammad can not be considered as Muslims or followers of the religion of Islam.

QUESTION :

We knew that Islam is the religion of humanity from eternity. What, then, is the difference between Islam and other previous divine religions ?

faith in the Angels, the Books of God, His messengers, the Day of Judgment, and the divine laws. The Quran says :

“The Apostle believes in what has been revealed to him from his Lord, as do the men of faith. Each one of them believes in God, His Angels, His Books, and His Apostles.”

And :

“It is not righteousness that you turn your faces towards east or west ; but it is righteousness to believe in God, the Last Day, and the Angels, and the Book, and the Messengers”.

No one is considered a Muslim if he does not believe in the existence of God, His oneness, His being exalted above similarity to, or discendancy in, others, His being distinguished by disposal and management of the Universe, and His being the only one deserving worship. He will not be counted among Muslims who does not believe in the messages of God to His servants through His messengers and Books, or does not believe in what is implied in these books, or makes a distinction between any of God's messengers and believes in some of them and disbelieves in some others. Nor is he a Muslim who does not believe in the life hereafter, and that the other life is

the life of requital and eternity, or who denies the laws of God, His orders and His prohibitions.

QUESTION :

Why was Islam named by this word ?

ANSWER :

All other religions are named after a certain man or a certain nation. Christianity and Buddhism were named after their founders “Christ” and Buddha.

Zoroastrianism is ascribed to Zarathustra, and so on.

Islam, however, is not ascribed to any person or nation. The word Islam, however, is not ascribed to any person or nation. The word “Islam” indicates that nobody or no nation established Islam.

It is the natural religion of all people from eternity, as the Holy verse says :

“... The pattern on which He has made mankind; no change in the creation of God. That is the standard religion. But most among mankind understand not”.

QUESTION :

What is the meaning of the word “Islam” ?

ANSWER :

“Islam ” means “submission”,

Principles of Islam

By : Abdul Wadood Shalaby

What are the basic creeds of Islam ?

ANSWER :

The basic creeds which should be believed in by Muslims are : First : the existence of God, His oneness, His being distinguished by the disposal and management of the universe, His being exalted over partnership of others with Him in power and glory or His similarity to anything else in being or attributes, and His deserving of worship solely. No creator but He, no partner to Him, and nobody is asked for help or mercy save Him. The Holy Quran says :

“ Say: He is God, the One and the Only. God, the Eternal, the Absolute. He begets not, nor is He begotten. And there is none like Him.”

Second : to believe that God chooses from among His servants some messengers to convey His messages, through divine revelation, to His servants, and to call them to right faith and good action. Therefore, a Muslim should believe in all the prophets and Messengers of God from Noah down to Muhammad (peace be upon them all).

Third : to believe in the Angels who are the agents of God to carry His revelation to His messengers. And to believe in the divine Books of God.

Fourth : to believe in what is called for in the different missions of the messengers of God, such as the belief in the Day of Judgment, and the divine laws and legislation.

QUESTION :

How are these creeds realized by the one who wishes to be a Muslim ?

ANSWER :

These creeds are realized by the “shahada” or the witness that God is One and that Muhammad is His servant and His messenger. To witness that “There is no god but God and Muhammad is the Messenger of God” is the key of Islam.

The belief in the oneness of God demands complete faith in Him as the Only diety, and the sole Cherisher of humankind. Thus He is the Only One Who is distinguished by worship.

The belief in the messengership of Muhammad calls for complete

the female, and made you nations and tribes so that you may know each other, but the most righteous of you is the most respected before God.”

“The members of the human family are similar to the teeth of a comb and there is no superiority for the Arabs over the non-Arabs except on the basis of piety.”

“All of you from Adam, and Adam was from dust.”

Islam declared a non-stop war against slavery which prevailed all over the world in those days and it gave equal status to men and women in rights and duties.

Then Islam declared the freedom of belief. The Qur'an says: “There is no compulsion in religion the right has become evident from the wrong. If thy lord willed all those on earth would believe. Would you then compel the people to believe?” It shows full respect to all religions and guarantees freedom of worship, peaceful life and justice.

Islam also declared the freedom of thinking and expression. It rejected blind faith, and despotic rule. Islam calls its followers to ponder the kingdom of the heaven and the earth and to adopt way of generosity

liberality and forgiving. The law of Muhammad guarantees freedom to all minority communities for preaching their faith and ideas and teach them in schools temples etc. without any kind of interference. It also approves the right of ownership with some suitable conditions in the general interest of the community and the state. These are the main natural rights which Islam guaranteed to all people without any consideration of colour, race, language or religion. The prophet Muhammad declared these rights fourteen hundred years ago, at a time when everywhere ignorance, error and tyranny reigned supreme. Then Muhammad lit the torch of truth before the erring humanity and showed mankind right path. And he freed them from the bonds of Fanaticism, selfishness and Materialism. Through this way he promised the world prosperity, peace and happiness

Alas ! what a pity for the mankind of to-day who are misled by these hypocrites who are to-day preaching these human rights and at the same time they are continuing the colour war against the black skinned people and practicing the law of discrimination.

colour has its own value and every religion has its own place. But the test of weight and value depends on man's ability and his disability not on his humanity and dignity. While knowledge, wealth and power are the means of sovereignty, ignorance poverty and weakness will lead to slavery. Sovereignty is a fundamental unconditioned right. Incontrary slavery is a duty without any right.

Muslims alone can understand "man" in its true sense because they are followers of Muhammed. Muhammed declared human rights in its true form clearly and openly by the inspiration of God who sent him as the messenger of peace and mercy to the whole world.

God send him as the messenger of mercy to the persecuted people who face suppression, or weakness and poverty in this world. He removed class distinction, established social justice, freed the slaves and declared the law of equality, and brotherhood between man and man

The message of Muhammed was not directed to a particular race, nation or country, but God sent him as His messenger of peace and mercy to the whole of humanity. In the law of Muhammad there is no distinction or preference between man and man on the basis of colour,

language, race, religion, Social or political Considerations. This universal message brings together the people who dwell on the surface of this earth, under one law that is the law of God and one banner that is the banner of truth. Arabs, Romans, Turks, Indians, Chinese, Africans, Europeans and Negros stand side by side with equal statues before the law of Muhammad.

Islam honours no one on the basis of colour or Social position and it does not allow the sons of Adam, to bow their heads before any one save God Almighty as the Quran Says : "Indeed we have honoured mankind".

The Jews pretended that they were the sons of God and His select people ; the Romans Said that they were his servants ; the Arabs were claiming that they were the masters of eloquence ; and the Hindus believe that God created the Brahmans from His head, Rajput from His hand and the untouchablar from His feet.

In one way or the other, the Social Statues of man was counted on the basis of race, creed, wealth or power, and this state of affairs continued until Muhammad came and declared before the world that "the believers are brethren". "O people ! God created you from the male and

MAN IN THE LAW OF MOHAMMAD

(in the context of Racial discrimination)

BY : A. H. EL-Zayyat

EDITOR - IN - CHIEF

The Leaders of Europe and America pretended that they had proclaimed in December 1949, the charter of human rights in the United Nations Organisation and they promised to the people prosperity, happiness and peace.

Before that the leaders of French Revolution also had proclaimed these rights in 1789 and they made it a preface to their constitution consisting of 17 articles. The policy of discrimination prevailing in certain parts of America and Africa, the inhuman treatment which the coloured people are facing at the hands of the white men who have pretended that they are the pioneers of human rights has left one to ask himself what the Europeans and Americans mean by the word "human" and to whom they have proclaimed these rights ?

Whether he is some man whom God created from different races, lands, and colours or he is the

white man who Comes from the Latins, Saxons or Tutons ? It appears from their present policy and behaviour that they mean only the white man, because black and red people have all duties but no rights.

The deprived existence of the people in the land of liberal democrats is the worst fib in the constitution of democracy in Washington and the biggest mockery of the statue of liberty in Newyork. But the coloured people of Asia and Africa in the eyes of Europeans are like the animals which are born to be trained to work or like the raw materials to be used in the industrial production. They are usually a matter of dispute during the time of peace and a bone of contention in war time among the big powers. Because of this fault in the interpretation of the word "man" the basis of rule and law has been disturbed and the principles of democracy and freedom are contradicted. Every race of the human family has its own weight, and every

بدر الأشتري

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللسنة ١٩٦٤ والطلّاب
تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بقيادة من مشيختنا الأزهرية في (أول كل شهر عربي)

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

لكنوان

إدارة الجامع الأزهر

بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء الرابع - السنة السادسة والثلاثون - جمادى الآخرة سنة ١٣٨٤ هـ - نوفمبر ١٩٦٤ م

سنة ١٤٠٦ هـ

تمنى التبنى

بقلم : عبد الرحيم فودة

تحمم على الآباء . وكل ذلك وما إليه بما يتجافى
عن طبيعة الفوق والحق ويتجافى مع شريعة
الإسلام . وللتبنى قصتان مثيرتان في القرآن :
الأولى قصة يوسف مع امرأة العزيز ،
إذ قال لها زوجها : « أكرمي مثواه عسى
أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ، فإنه لما بلغ أشده
فتنت به ، وكان ما يحكيه القرآن إذ يقول
الله فيه : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله
إنه ربى أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون .
ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه
كذلك أنصرف عنه السوء والفحشاء

التبنى عادة قديمة . ومعناه أن يتخذ
الإنسان إنساناً آخر ابناً له ، ينفق عليه
في حياته ويشركه في الميراث بعد مماته ،
ويخلطه ببنيه وبناته ، ويجعل له من الحرمه
والحقوق والواجبات ما للابن الحقيقي
من حقوق وما عليه من واجبات ، فله أن يخلو
بزوجته وبنته ، لأن زوجته أمه . وبنته
أخته ، ويحرم عليه أن يتزوجها في حياة
أبيه المدعى أو بعد مماته ، لأنه يحرم
على الإنسان أن يتزوج أخته أو أمه ، ويحرم
على أبيه المدعى أن يتزوج امرأته إذا طلقها
أو مات عنها ، لأنها من حلائل الأبناء التي

صلى الله عليه وسلم . ولما خير زيد أبى أن يعود مع أبيه وعمره . وآثر البقاء . مع رسول الله فأعتقه ، وكان صلى الله عليه وسلم يغمره بعطفه وحبه ، فكان لذلك يدعى زيد ابن محمد ، وينادى بهذا الاسم والنصب قبل النبوة ، ثم نزل قوله تعالى : ما جعل الله لرجل من قبلين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم فى الدين وهو إليكم .

وبهذا القول الفصل ظهر حكم الله فى هذا الأمر ، وكان ظهوره بهذه الصورة التى لا يرقى إليها الريب ، فكما لا يكون للرجل قلبان فى جوفه ، لا تكون الزوجة أما بقول زوجها أنت على كظهر أمى . ولا يكون الدهى ولداً لمن ادعاه وتبناه ، إنه ابن لوجل واحد إذا عرف يجب أن يلحق به وينسب إليه ؛ لأنه هو أبوه الذى انحدر من صلبه ، كما يفهم من قوله تعالى : ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، فإذا لم يعرف لم ينبذ من المجتمع ولم تنقطع صلته بمن يعيشون فيه ، بل هو لهم أخ وهم له إخوة كما يفهم من قوله تعالى : فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم فى الدين ، وقوله جل شأنه : إنما المؤمنون إخوة .

إنه من عبادنا المخلصين . واستبقا الباب وقدت قيمه من دبر والقياسيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قيصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم . يوسف أهرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين .

والجانب الذى يجب ألا يغفل أو يهمل فى هذه القصة ، هو ما كان من امرأة العزيز نحو يوسف فإنها على الرغم من طول عهدها به وحبها عليه لم تشعر نحوه بعاطفة الأمومة ، بل حاولت إغراءه وإغواءه ، وغفلت الأبواب وقالت هيت لك ، ولولا العصمة التى تعهد الله بها أنبياءه لوقع يوسف فيما كانت ترجوه وكان يخشاه كما يفهم من قوله تعالى : ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء .

أما القصة الثانية فهى قصة زيد بن حارثة ، فقد سبي وهو صغير . ثم اشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة ، فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوجته ، ثم علم أبوه به ، فطلبه هو وأخوه من النبي

الصحف من حديث كان عنوانه بالخط العريض
وزيرة الشؤون تطالب بإباحة تبني الأطفال
وكا، ختامه . إن أمنيتها أن تسمح الدولة
بالتبني على أن يحمل الطفل اسم الأسرة
التي تتبناه ويكون له الحق في الميراث ...

إن ذلك إذا صح لا يمكن أن يكون تعبيراً
عن إرادة هذه الأمة التي تدين بالإسلام ،
ولا عن روح هذه الثورة التي تستلهم هدى
الإسلام وتقيم بناء الأسرة على أساس الدين
والأخلاق ، ولو تذكر الذين يتصدون
للكتابة أو الحديث في هذا الموضوع ما ذكره
الرئيس في مؤتمر القوى الشعبية ، وفي الجبوع
التي احتشدت حوله في اليمن ، وفي الميثاق
الوطني والتقرير الذي جعل مذكرة مفسرة له
لو تذكروا الجو الذي يعيشون فيه ، والبيئة
التي تحيط بهم لتريثوا في إعلان هذه الأمنية
الباطلة ولكفنا نذكرهم جميعاً بقول الله
في هذه العادة القديمة المذمومة : « ادعواهم
لآبائهم هو أقسط عند الله ، وقوله جل شأنه :
« وما جعل أديانكم أبناءكم ، ذلكم قولكم
بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهتدى
السبيل » .

هم امرهم فوره

وقد مضى الإسلام في استئصال هذه العادة
المستحكمة إلى مدى أبعد من الكلام ، فكان
بده التجربة القاسية مع النبي صلى الله عليه وسلم
إذ أمره الله أن يتزوج بزَيْنَبَ بنت جحش
بعد طلاقها من زيد الذي كان يدعى باسم
(زيد بن محمد) ليتأكد الحكم بالاهل بعد
بيانه بالقول ، ولكيلا يكون على المؤمنين
حرج في الزواج بمطلقات الأديان الذين
ادعوا أنهم أبناء ، وذلك بعض ما يفهم
من قوله : « فلما قضى زيد منها وطرا
زوجنا كها لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في أزواج أديانهم إذا قضوا منها وطرا
وكان أمر الله مفعولاً » .

هذا هو حكم الله وأمره ، وهو صريح
في أن التبنى عمل غير مشروع ، ثم هو
- مع ما فيه من الاستهتار بحرمة الأسرة
في أغلب الأحوال - يدخل ما لاحق
له في الميراث شريكاً للمستحقين فيه . فيرت
الغريب كالقريب ، وتختلط الأنساب الصحيحة
بالأنساب الزائفة ، ويمجد الشيطان مجال
الإغراء والإفواء واسمها فسيحاً فيعمل
على إفساد الأسرة وإفساد المجتمع تبعاً لفساد
الأسرة ، ومن ثم لم أصدق ما نسبته بعض
الصحف أو إحدى المحررات في إحدى

حديث هام

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر

- ١ - الخلافة الإسلامية .
 - ٢ - الإسلام والتطور .
 - ٣ - دور المرأة المسلمة في المجتمع المتطور .
 - ٤ - موقف الإسلام من المسيحية واليهودية .
- تقابل المحقق الألماني مانفرد فون يوتر تشيفسكا مندوب لإداعة
« دويتش لاندفونك » في ألمانيا الغربية بفضيلة الأستاذ الشيخ حسن
مأمون شيخ الجامع الأزهر . . وسأل فضيلته هذه الأسئلة :

- ١ - فضيلة الإمام الأكبر : توليتم فضيلتكم منصب الإمام الأكبر للجامع الأزهر العريق وهو منصب كان يتولاه الخلفاء فيما مضى . ويعتبر قوة في التشريع الإسلامي ، وبمحكم منصيبكم هذا نود أن نسأل سيادتكم : هل هناك تفكير في عودة الخلافة في المستقبل في العالم العربي ؟
- ٢ - يقال إن الإسلام لم يكن يكيف نفسه في الماضي مع التغيرات التي تطرأ على المجتمع فهو وثيق الصلة بالماضي . هل هذا صحيح ؟ كيف يكون من الممكن - في رأى فضيلتكم - أن يأخذ الإسلام بأسلوب التطور الحديث ؟ هل هناك اتجاه نحو هذا ؟ وما الذي تم إنجازه في هذا الشأن ؟
- ٣ - هل سيتأثر دور المرأة المسلمة في المجتمع بهذا التطور ؟
- ٤ - كم يبلغ عدد طلبة الجامعة الأزهرية في الوقت الحاضر ؟ وكم عدد الفتيات منهم ؟
- ٥ - هل تعتقدون أن أخذ الإسلام بأسلوب التطور الحديث سيجد تربة خصبة في جميع البلدان العربية ؟ وهل سيكون هناك أمثلهاء محتمل ؟
- ٦ - ماهو موقف الإسلام من المسيحية بمغاسبة زيارة البابا بول السادس للأردن ؟ في بداية هذا العام دار الحديث حول إيجاد علاقات أكثر قوة ووثوقاً بين الإسلام والمسيحية : علاقات التعايش القائم على التسامح والمودة - ما رأى فضيلتكم ؟ وما رأيكم

الآديان وكدين عام في الزمان والمكان تقتضيه أن يكون صالحا لكل عصر ، ملائما لكل بيئة ، وقد مر الإسلام زمن العباسيين في عصور حضارية وأجناس متعددة فانتسج صدره لكل تطور صالح ، وأرضت تعاليمه كل الأجناس التي حكمت به حتى أنهم تعشقوها وعرفوا بها النور بعد الظلام ، والإنسانية بعد الوحشية .

وإذا كان في أصول الإسلام ما لا يتغير أبدا ، فإن في فروعه ما يفسح الرأي أمام المجتهدين الذين يراعون ملاسبات الحياة ومستجد الظروف وفي أبوابه - باب المصالح المرسله - الذي لا يضيق بتطور معقول أو ارتفاع مرتن ما دام لا يصادم حكما ورد في الكتاب أو السنة .

المراة المسلمة :

المراة المسلمة أعطاهما الإسلام ما لم تكن تحلم به في عصور ما قبل الإسلام فقد أعطاهما حق التملك والتعاقد والحب والإرث ، ورأيا معتد به في كل الشئون الخاصة بها وأهمها وضاهما بالزوج ، وأعطاهما حق التعلم وجعلها تسهم في كل أمر لا يخرجها عن طبيعتها التي فطرها الله عليها .

وإذا كانت المرأة المسلمة قد منيت في بعض العصور بمن يحرمها هذه الحقوق فإن ذلك راجع إلى جهود لا يعترف به الإسلام ولا

في اليهودية كدين ؟ هل من الممكن التعايش بين العرب واليهود في العالم العربي ؟

٧ - ما دور الإسلام في الجهود التي تبذل من أجل الوحدة العربية كما تراه سيادتكم ؟

٨ - ما هي علاقة السنة بالشيعية ؟ هل الخلافات (التناقضات) بينهما تقل تدريجيا ؟ وهل تبذل الجهود لإيجاد تقارب أشمل بينهما مثل ما حدث في المجلس الديني بروما بين الرومان الكاثوليك والأرثوذكس المسيحيين ؟
٩ - كيف ترون مجالات الإسلام للتأثير ؟ هل هناك اتجاه لهذا ؟ وأين سيكون مجاله ؟
وقد أجاب فضيلة الأستاذ الإمام بما يلي :

الخطبة :

الخلافة التي يعرفها التاريخ لم تكن خلافة في العالم العربي ، ولكنها كانت خلافة في العالم الإسلامي ، وهذه الخلافة ليست مما يشغل المسلمين الآن ، وإذا كانت الخلافة تعنى توحيد الأوطان الإسلامية تحت راية واحدة ، فإن في مبادئ الإسلام ما يغنى عنها وإن تعددت الشعوب ، فقد ترك فينا الرسول صلى الله عليه وسلم ما إن تمسكنا به فإن فضل بعده كتاب الله وسنة رسوله ، فهما إذن الجامعان لكلمة المسلمين وعلى مبادئهما تتحد الصفوف والأهداف في خدمة الإنسانية كلها .

السلام والتطور

طبيعة الإسلام كدين سماوى ختم الله به

جمود ضار بالمصلحة العامة فيجب على كل مسلم أن يوعىها ويبصرها حتى تعرف أن الإسلام جاء لخير الدنيا والآخرة ، ومن فهم حقيقة الإسلام أن يعرف العالم كله أن الاستقامة على مبادئه تفتح على الناس بركات من السماء والأرض ، قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » .

سواء الأسماء :

موقف الإسلام من الأديان الكتابية موقف واضح صريح يعتمد على التسامح الكوهم فقد دعاهم إلى كلمة سواء « ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله » ، وإذا كان الإسلام قد أحل لنا طعامهم ولهم طعامنا ، وأحل لنا أن نتزوج منهم وأمرنا إذا لم يقاتلونا في الدين ولم يتعرضوا لنا في ديارنا أن نبرهم ونقتسط إليهم وجعل ذلك إحساناً يستوجب حب الله . إن الله يحب المحسنين فإن ذلك كله وغيره من الأحكام يولد معنى التسامح في الإسلام .

وهذا يشمل المسيحية واليهودية التي تقف عند الحد المرسوم في ذلك فإذا آثرت اليهودية طريق العدوان واستمرت في سياستها الصهيونية التي تبجح بإخراج الأمن من ديارهم والاعتداء على حرمتهم ومقدساتهم ، فإن

يقره ، ولهذا كان حظ المرأة من التطور الحديث أن تعطى هذه الحقوق في حيطنة تمنع من التحلل المفقوت وحسوم يعوق عن الانطلاق القديم .

إحصاء طلبة الأزهر :

آخر إحصاء لطلاب الأزهر في أقسامه المختلفة كما يأتي :

القسم الابتدائي جملة ٢٨٩٩٧ ، منه ٢٥٣٦٣ من البنين ، ٣٦٣٤ من البنات ، والقسم الإعدادي جملة ٢٢٧١٤ منهم ٢٢٤٨٩ من البنين ، ٢٢٥ من البنات ، والتعليم الثانوي جملة ١٢٣٥٧ منه ١٢٢٨٧ من البنين ، ٧٠ من البنات .

وفي الجامعة جملة الطلاب ٦٨٥١ منهم ٦٦٤٩ من البنين ، ٢٠٢ من البنات فيكون عدد البنين ٦٦٧٨٨ ، والبنات ٤١٣١ ، ومجموعهما ٧٠٩١٩ .

التطور الحديث :

التطور الحديث في صورته الفاضلة التي تعمل على ترقية الحياة ، والسمو بالقيم ، واكتشاف أسرار الله في الكون الذي سخره الله لحملته - من صميم تعاليم الإسلام ، ولا أعتقد أن أمة إسلامية فاهمة لدينها تستطيع أن تتخلف عن التسابق في هذا الميدان ، وعلى فرض أن أمة وقفت عند

مرفوز السنة بالسنة :

علاقة السنة بالشيعة علاقة الفرعين
عن أصل واحد والخلاف أو التناقضات
كما جاء في سؤالكم هو في الواقع خلاف
المتطرفين من الفريقين والذي يجمع بين الشيعة
والسنة هو الاعتدال في الأخذ من مفهومات
الملقحات وقد زال والحمد لله في هذا العصر
هذا التطرف المتعصب وأصبح التفاهم
على ما اختلفا فيه هدف العلماء من الجانبين
وبذلك تصفى الخلافات القديمة ويرجع الجميع
إلى فهم ملتبس مع الأصول الإسلامية الثابتة .

مجال انتشار الإسلام :

إن مجالات الإسلام للانتشار مجالات
واسعة تتمثل في الشعوب التي لا تعرف
عن الإسلام شيئاً أو تعرف شيئاً باهتلاً لا يمثل
مبادئ الإسلام على حقيقتها . والمسلمون
الفاهمون الواعون لا يقصرون إن شاء الله
في عرض دينهم على هذه الشعوب عرضاً
سهلاً لا يحمل في طيه التواء ولا يتخذ
له وسائل لإكراه حتى تقبل هذه الشعوب
على الإسلام لإقبال رضا وحب حين يتبين
الرشد من الغي .

من مؤمنين

شيخ الجامع الأزهر

الإسلام يطلب منا ألا نتولاهم ويطلب ردم
عن غوايتهم والعمل على إفساد مخططات
سياستهم حتى يرجعوا إلى الحق ويشوبوا
إلى الرشد ويردوا فعلاً الأرض المقتضية
لأهلها أصحاب الحق الشرعي دون غيرهم فيها .

الوحدة العربية :

رأى الإسلام في الجهود التي تبذل من أجل
الوحدة العربية رأى صريح يفصح عنه
القرآن الكريم في أكثر من موضوع فقد
بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بلسان
قومه ليقتنمهم بدعوته وجعل الله سبحانه
رسوله صلى الله عليه وسلم شهيداً عليهم
وطلب من العرب أن يكونوا بعده شهداء
على الناس فهم متحملون عنه العمل على نشر
دعوته وإظهار كلمة الله وهذا أمر يقتضي
أن يكونوا جميعاً لا أشتاتاً حتى يحققوا قول الله
تعالى : « واهتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته
إخواناً » فالدعوة إلى الوحدة إذن والعمل
على إحقاقها من صميم تنفيذ ما أمر الله به
من الاعتصام بحبله لتكون إخواناً تألفت
قلوبهم وتوحدت صفوفهم على منهج حق
إلى هدف صدق .

وحدة الوجود

لأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

قال بذلك هيراقليطس في العهد اليوناني :
واقه عنده نهار وليل ، صيف وشتاء ،
وفرة وقلة ، جامد وسائل ؛ لأنه - على حد
تعبيره - كالنار المعطرة ، تسمى باسم العطر
الذي يفوح منها ، تقديس سبحانه وتنزه
عما يقول .

والله سبحانه وتعالى ، في رأى شلى ،
في العصور الحديثة هذه البسمة الجميلة على
شفق طفل جميل باسم ، وهو هذه النسائم
العذبة التي تمنحنا ساعة الأصيل ، وهو هذه
الإشراقة المتألقة بالنجم الهادي في ظلمات
الليل ، وهو هذه الورود اليانعة تتفتح
وكأنها أبسومات شفاه جميلة ؛ لأنه الجمال أينما
وجد ، ولكنه أيضاً - سبحانه وتعالى -
القبح أينما كان : وكما يكون طفلاً فيه نضرة ،
وفيه وسامة ، يسكون جثة ميت ، ويسكون
دودة تقتذى من جسد ميت ، ويكون قبراً
يضم بين جدرانها هذه الجثة وهذا الدود ،
أستغفرك ربى وأتوب إليك .

ولوحدة الوجود أنصار في كل زمان .
ولما قال الصوفية : بالوجود الواحد ،
شرح خصومهم الوجود الواحد بالفكرة

١ - نريد أن نبدأ مباشرة بملاحظة
تزيل - بصررة غير متوقعة - حدة المناقشة
في هذا الموضوع ؛ وذلك أننا بصدد وحدة
الوجود ، ولستنا بصدد وحدة الموجود .
والموجود متعدد : سماء وأرض ، جبال ،
وبحار ، أشجار وأناس إلخ ، وهو مختلف
صلابة وهشاشة ، لونا ورائحة وطعماً ،
متفاوت ثقلاً وخفة إلخ .

ولم يقل أحد من الصوفيين الحقيقيين
- ومنهم ابن عربي والحلاج - بوحدة
الموجود .

وما كان لمؤمن ، ولا يتأتى لمؤمن ، أن
يقول بوحدة الموجود - وما كان للصوفية
وهم في القدرة من المؤمنين أن يقولوا -
وحاشاهم - بوحدة الموجود .

وقد تنسأل : من أين إذن أتت الفكرة
الخاطئة التي يعتقدها كثير من الناس : من
أن الصوفية يقولون بوحدة الموجود ؟

وتفسير ذلك لا عسر فيه : إن فريقاً من
الفلاسفة في الأزمنة القديمة وفي الأزمنة
الحديثة يقولون بوحدة الوجود ، بمعنى أن
الله - سبحانه وتعالى عن إفسكهم - هو
والمخلوقات شيء واحد .

التفتات ؛ لأنه أتفه - في منطق البحث - من أن نعيده التفتاتا ، وهو هذه الكلمات التي تناثرت هنا وهناك ، مخترعة ملفة ، مزيفة ضالة ، في معناها ، تافهة في قيمتها الفلسفية ، غريبة على الجو الإسلامي ، تنادى بصورتها ومعناها : أنها اخترعت تضايلا واقتشانا .

إنها هذه الكلمات التي يعزونها إلى الحلّاج ، رضوان الله عليه ، أو إلى غيره ، لا توجد في كتاب من كتبه ، ولم يخطها قلبه ... لقد اخترعوها ، ثم وضعوها أساسا تدور عليه أحكامهم بالكفر والضلال .

ويستكني أن يقشبت بها إنسان فيكون في منطق البحث غير أهل للثقة .

٢ - الوجود الواحد :

وهل في الوجود الواحد من شك . إنه وجود الله المستغنى بذاته عن غيره ، وهو الوجود الحق الذي أعطى ومنح الوجود لكل كائن . وليس لكائن غيره ، سبحانه الوجود من نفسه : إنه سبحانه الخالق وهو الباري وهو المصور : هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء .

ومن بعض معاني هذا التصور قوله تعالى : ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا

الفلسفية عن وحدة الوجود ، وفرق كبير بينهما ، ولكن المحسومة كثيرا ما ترضى من التزييف وعن الكذب في سبيل الوصول إلى هدم الخصم ، والغاية تبرر الوسيلة كما يقولون .

وشيء آخر في غاية الأهمية كان له أثر كبير في الخطأ في فهم فكرة الصوفية عن الوجود الواحد وهو أن الإمام الأشعري رضى الله عنه رأى في فلسفته الكلامية أن الوجود هو عين الموجود ، ولم يوافق الصوفية على هذه الفكرة الفلسفية ، ولم يوافق الكثير من مفكرى الإسلام وفلاسفته على رأيه . وهو رأى فلسفى يخطئ فيه أبو الحسن الأشعري أو يصيب ، وما مثله في آرائه الفلسفية إلا مثل غيره في هذا الميدان يخطئ تارة ويصيب أخرى .

ورأى مخالفوه : أن الوجود غير الموجود ، وأنه ما به يكون وجود الموجود ولما قال الصوفية بالوجود الواحد ، شرح خصومهم فكريتهم في ضوء رأى الأشعري ، دون أن يراهوا مذهبهم ، ولا رأيهم : ففسروا قولهم بالوجود الواحد على أنه قول بالموجود الواحد .

وهذا التفسير على هذه الطريقة يسحب الثقة في آراء هؤلاء الخصوم .

وأمر ثالث ، يجب ألا نصيره أدنى

في عبودية خالصة له ، وفي إخلاص لا يشوبه
شرك من هوى ، أو شرك من سيطرة المادة
أو الغرائز .

٣ — ونريد الآن أن نصور بعض
مواقف القرآن في هذا الصدد :

إن الله سبحانه وتعالى : يوجه نظرا
في سورة الواقعة إلى مسائل نحن عنها في العادة
غافلون .

« أفرأيتم ما تمنون ؟ » أأنتم تخلفونه
أم نحن الخالكون ؟ ، « أفرأيتم
ما تحذرون ؟ » أأنتم تزدهونه أم نحن
الزادعون ؟ ، « ... » أفرأيتم الماء الذي
تشربون ؟ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن
المنزلون ؟ ، « ... » أفرأيتم النار التي تورون
أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ؟ ، ...
وعلى العكس من ذلك : لو شاء الله لما وجد
هذا الفرد ولجعل الزرع حطاما ، ولما أنزل
الماء من المزن ، ولما أنشأ شجرة النار ،
إله سبحانه ، بيده الأمر سلبا وإيجابا ،
وبيده الخلق إيجادا وإهداما ...

أرأيت إلى هذه الرمية ترميها : إنك
ما رميت ، إذ رميت ، ولكن الله رمى ...
أرأيت إلى الانتصار في الجهاد ؟ إن هذا
الانتصار من عند الله ، أما القتل : فلم
تقتلوه ولكن الله قتلهم ، .

ورزق الإنسان هذا وطعامه ، فلينظر

المضفة عظاما . فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه
خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وصلة الله بالإنسان إذن : هي أنه سبحانه
يمنحه الوجود الذي يريده له في كل لحظة من
اللحظات المتتابعة ، فتشكل حياته في كل لحظة
بصورة أمده الله سبحانه وتعالى بها .

وصلة الله بكل كائن : إنما هي على هذا
النمط : إنه سبحانه مثلا : « يمسك السموات
والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما
من أحد من بعده ، إنه يمسكهما وجودا ،
ويمسكهما تديرا ، ويمسكهما تماصكا
وتقاصفا ... » إنه يمسك فيهما السكيف والسقم ،
وإذا ما سحب إمداده عنهما تلاشتا كما وكيفما .
إن الله سبحانه وتعالى : محيط بالكون ،
مهيمن عليه ، قيوم السموات والأرض قائم
على كل نفس بما كسبت ، وقائم على كل ذرة
من كل خلية ، وقائم على كل ما هو أصغر
من ذلك وما هو أكبر بحيث لا يعزب
عن هيمنته وعن قيوميته مثقال ذرة في الأرض
ولا في السماء .

هذه القيومية : أخذ القرآن والسنة يتحدثان
عنها في استفاضة مستفيضة لهن الإنسان
هوة عنيفة تجعله لا يخلد إلى الأرض ولا يقبض
هواه ، وإنما يرفع بصره أو يستشرف
بكلياته إلى المسأ الأعلى مستخلصا نفسه من
عبودية المادة : ليوحده الله سبحانه وتعالى

الله إلى صراطه المستقيم ، ونصرهم على أنفسهم
وعلى أعدائهم ، وأخذوا شيئا فشيئا ،
يحاولون تحقيق التوحيد : قولا ، وعقيدة ،
وتدوفا ، وتحققاً ، وأخذوا يرون في « أشهد
ألا إله إلا الله ، معان لا يتطلع إليها غيرهم .
وبدأ معنى الشرك يتضح لهم في صورة
لا تخطر على بال اللاهين الذين شغلهم أموالم
وأهلوم ، وبدءوا يحطمون الشرك : يحطمون
أصنامهم وأوثانهم : من النفس ، والهوى ،
والشيطان ، ومن الغرائز الحيوانية ،
والغرائز الإنسانية ؛ انهار الشرك حتى من
همسات الفؤاد : لقد انهار الشرك الواضح
والشرك الخفي وثبت في أذواقهم ، واستقر
في أحوالهم ومقاماتهم : أن « لا إله إلا الله ،
فأينما تولوا فثم وجه الله » .

وأينما كانوا فاقه معهم ، وهو أقرب إليهم
من جبل الوريد ، وهو أقرب إليهم من
جلسائهم ومعاشرتهم : إنه يغمر كياناتهم :
فلا يرون غيره سبحانه ، لا يرون غيره قيوم
السموات والأرض ، ولا يرون غيره مصرفا
للتافه من الأمور وللعظيم منها ، ولا يرون
غيره مالكاً للملك : يؤتى الملك من يشاء ،
وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ،
ويذل من يشاء .

لقد أصبحوا ربانيين ، وأصبح الله
في بصرهم وسمعهم وجوارحهم وفي قلوبهم ،

الإنسان إلى طعامه أنا صبينا الماء صبا .
ثم شققنا الأرض شقا . فأنتبنا فيها حبا . وعنبا
وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا .
وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم ... ،

٤ — هذه الهيمنة ، وهذه القيومية : يمر بها
قوم فلا يعيرونها التفاتا ، إنهم يمرون بها مرور
الحيوانات بما لا تدرك ولا تعقل : إن الله
سبحانه وتعالى : لا يحتمل من شعورهم درجة
أيا كانت ، وهم كل همهم مصبحين مسعين ،
إنما هو . ملء البطن ، أو كنز الذهب والفضة ،
أو النزاع على جاه ، أو العمل لتثبيت سلطان :
إنهم يمرون بآيات الله فلا يشهدونها ، وتحيط
بهم آثاره ، فلا ينظرون إليها ، وتغمرهم نعمائه
وآلاؤه فلا يوجههم ذلك إلى الحمد ولا إلى
الشكر ، إن الله سبحانه وتعالى : لا يحتمل
في قلوبهم ولا في تفكيرهم ، ولا في بيئتهم ،
ولا في حياتهم ، قليلا ولا كثيرا

والطرف الآخر المقابل لهذا : هو هؤلاء
الذين انغمسوا حقا في محيط الإلهية : سبحوا
في بحارها ، واستنشقوا نسائمها الندية ،
وغرهم لآلؤها وضياؤها ، اقد بدوا بحمد
الله وشكره على نعمائه وآلائه التي تحيط بهم
من جميع أقطارهم ، فزادهم الله نعماء وآلاء :
« لئن شكرتم لأزيدنكم ... ،

لقد اتقوا الله حق تقاته فعلمهم الله :
لقد اکتفوا بالله هاديا ونصيرا ، فهداهم

موجود : إنه يمد القائم بالقيام ، ويمد الماشى بالمشى ، والمتحرك بالحركة . . .

إنه - على حد تعبير أهل السنة والشاهرة : الذى يقطع ، وليست السكين هى التى تقطع ، وهو الذى يحرق ، وليست للنار هى التى تحرق ، وهو الذى حينما يريد ، يقول للنار كونى بردا وسلاما ، فتكون بردا وسلاما . . .

ومهما هب الصوفية ، فى هذا الميدان ، عن الوجود الواحد ، فقلوا فى ذلك ، وأسرفوا ، واشتطوا ، فإنهم : سوف لا يبلغون المدى الذى بلغته الآية القرآنية الكريمة :

« هو الأول والآخر والظاهر والباطن » . وهذه الآيات القرآنية التى ذكرناها إنما هدفها أن تدفعنا دفعا إلى الشعور بقيومية الله ، سبحانه وتعالى مهيمنة ، وهيمنته مهيمنة ، والشعور بتوجيهه سبحانه وتعالى للإنسان أن يفر إلى الله فى كل أمر من أموره وأن يسمو بنفسه حتى يتحقق بأن :

« لا إله إلا الله » .

وما فعل الصوفية أكثر من ذلك إنهم مهتدون بهدى القرآن والسنة - يريدون الإنسان : أن يكون ربانيا ، فإذا ما استمر الكثرة من الناس يخلدون إلى الأرض ، وينظرون دائما إلى أسفل ، فليس ذلك ذنب الصوفية ، فقد أدوا واجبه نحو التوجيه إلى الله تعالى ، خير أداء .

من قبل ذلك ومن بعده : يشغله كله فلا يدع فيه مكانا للأغيار .

ه - وأخذ هؤلاء الصوفية يوجهون أفراد القطيع من البشر إلى الله تعالى ، أخذوا فى محاولة جاهدة مستمرة - لانتزاع الإنسان من الإخلاق إلى المادة ليتطلع إلى السماء :

لقد حاولوا أن يوجهوا نظر الناس إلى الله ، عن طريق آلائه التى تغمرهم وعن طريق صنعه ، وقد اتقن كل شئ صنعا ، سبحانه : أخذوا يوجهون نظر الناس إلى الله تعالى : فى الزهرة تتفتح ، وفى الزرع ينبت متجها إلى السماء . وفى الشمس تشرق ، وفى القمر يتألق ، وفى مواقع النجوم ومداراتها . . .

وفى كل هذا الإبداع السارى فى الكون أخذوا يشرحون معنى تلك الآيات الكريمة « تبارك الذى بيده الملك ، وهو على كل شئ قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر غاشيا وهو حسير » .

وكانت تعبيراتهم تعبيرات متذوقين ، وليست التعبيرات الجافة لعلماء الكلام أو الفلاسفة وهم - فى تعبيراتهم - : يشرحون : أن الله سبحانه وتعالى ، هو الممد الوجود لكل

بشهود الزور ، وأن يعدوا القضاة بالمال والرقية وأن ينفذوا أهواءهم ...
فبكان ما كان من قضية ومن قتل .. والدين من كل ذلك براء والألفاظ التي ينسبونها إلى الحلّاج ليست في كتاب من كتبه ، وكتبه : وبعضها موجود - لا تسند خصومه ولا تؤيدهم . هذا ما كان من أمر الحلّاج . وبقيت كلمة :

إن المنطق الصحيح : ألا يفتي المهندس في أبحاث الأطباء ، وألا يحكم الأديب - باعتباره أديباً - في أعمال المهندسين ...
ومن العدالة - على هذا الوضع - :

ألا يحكم على هذه القمم الشاخنة : ابن عربي ، الحلّاج ، ابن الفارض . من يبلغ مداهم أو يقاربه ، لقد قيل مرة لأحد شيوخنا الصالحين الأجلاء : إن فلانا : ينتقد ابن عربي في المجلات ، فقال ، رضوان الله عليه : وهل من حق الخنافس أن تحكم على أعمال الأسد إن الخنافس لا تحكم على أعمال السباع وليس من حقها أن تتحدث فيما تفعله السباع ومنطقها دائماً منطق الخنافس

لا بد أن يبلغ الإنسان المستوى ، أو ما يقارب المستوى ، وحينئذ يقول كما قال أسلافنا الذين بلغوا المستوى أو قاربوه رضی الله عن سيدنا محي الدين ، ورضی الله عن الحلّاج ، وعن ابن الفارض ونفعنا بهم كتبهم هذا وبالله التوفيق :

عبد الحلّاج محمود
عميد كلية أصول الدين

أما إذا لم يكتف بعض الأفراد بالإخلاص إلى الأرض وبالنظر إلى أسفل ، وإنما أخذوا يهاجمون من يدعوهم للتطلع إلى السماء ، ويوجههم إلى الله ، تعالى ، فهو لاء : إنما يحاربون الله ورسوله ، وجزاؤهم معروف .
٦ - وقد نتساءل : فيم إذن حوكم الحلّاج وقضى عليه بالقتل ؟

إن أمر هذه القضية : قضية الحلّاج : معروف سرها وما كان سرها خافياً في يوم من الأيام :

لقد كان الحلّاج قوة جارفة : كان مركز للجاذبية لا يضارع ، يلتفت حوله الناس أينما حل ، ويسرون معه أينما ارتحل .

وكان - ككل صوفي - : يحب آل البيت لأنه كان يحب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وكان آل البيت إذ ذاك : يطمحون في أن تكون الدولة لهم ، وما كان بنو العباس يطمحون إلى شخصية كشخصية الحلّاج المحبة لآل البيت .

نسل رسول الله ، صلوات الله عليه ، وما دام الحلّاج دهاية قوية تسير في كل مكان ، وتتجه إلى كل بلد ، فيجب ، حفظاً على أمن الدولة وتحصيناً لاستقرارها : أن يشكل بالحلّاج . وما كان مقتل الحلّاج دينياً قط ، كلا ، وإنما كان سياسياً بحتاً . ومن السهل على الملوك المستبدين أن ينفذوا القضايا ، وأن يأتوا

بعد نجاح مؤتمر القمة العربي هذا واجب العرب فأين واجب المسلمين؟ للاستاذ حسن جاز

السكرام ما لم ينالوا بحلم الحليم ، وهم يتمثلون
قول الشاعر :

من الحلم أن تستعمل الجهل درنه

إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
وهكذا يبرز كيان فلسطين ، ويظهر لها
جيش ، وتنظم لها جبهة تحرير ؛ وهكذا
ينتفض الأسد العربي الراض بعد جمام ،
ويتحفز للوثوب بعد لبد ، ويزار زارته
الغاضبة المجاجلة ، فيصم آذان إسرائيل ،
ويذوب في ضجته بغامها الحالم ، ومواقها
الضعيف .

وهكذا تتحرك الهمم الابية الأخذ على يد
العابشين بالنهر العربي ، فلا يعيشون في مائه
الطاهر ، ولا ينتفعون بورده النير .

لقد تحول الأمل الواحد الحالم إلى حمل
حازم حاسم ، وصفح العرب بالحقيقة خيال
الكلام ؛ وقاموا بواجبهم المقدس ،
وهم يعلمون أن فلسطين قلب العالم العربي ؛
فهى بين القاهرة ودمشق ، وهى الجسر
الذى يصل آسيا العربية بإفريقيا العربية ،
وهى منفذ جزيرة العرب إلى البحر المتوسط ،

أكد نجاح مؤتمر القمة العربي الثانى بعد
المؤتمر الأول أن العرب مهما غامت سماؤهم
بالسحب العارضة ، أو وهت علاتهم
بالدسائس الواغلة ، لا يتغير طبعهم الحريق
بموارض الفن ، ولا يتأثر جوهرهم الأصيل
بغبار الاهواء ؛ يكشف الخطر الداهم
عن أصالته ، وينم الليل الداجى عن لمعانه .
فهم - كما عرفهم التاريخ - أنف أباة ،
لا يقيمون على ضمير ، ولا ينامون على مذلة ،
ولا يفضون على هوان .

هام أولاء وقد جد الجدد ، بعد أن استفحل
الخطب ، واستشرى الظلم ، وبلغت المأساة
ذروتها فى فلسطين ، وطال الأمد على قضيتها
الإنسانية ، التى هزت العوالم ، ووخزت
الضامير ، وفطرت القلوب ؛ يتسامون
عن الجراح الصغيرة ، ويتلاقون على الآمال
الكبار ، ويجمعون على الخطب المشترك ،
ويجمعون على الهدف الموحد ، ويقررون
بالعزم الواثق ، والحزم المصمم ، أن يأخذوا
بالعمل ما لم يأخذوا بالكلام ، وأن يستردوا
بالقوة ما ضاع بالسلام ، وأن ينالوا بغضبة

الذي شجع اليهود على شراء الأرض المقدسة ،
وممكنهم من التأثير على كثير من غير
الفلسطينيين وقليل من الأسر العربية ،
بالأثمان المغرية ، والعروض السخية ،
ليبيعوا ما يملكون من الأرض لهذه الفلول
الشتية من العصابات اليهودية :

باعوا البلاد إلى أعدائهم طمعا
بالمال ، لكننا أوطانهم باعوا
قد يعذرون لو أن الجوع أرغهم
واقه ما عطشوا يوما ولا جاعوا
يا بائع الأرض لم تحفل بما قبله
ولا تعلت أن الخصم خدام
أقد جفيت على الأحفاد والحق
وم عبيد وخدام وأتباع
وغرك الذهب اللعاب تسكنه

إن السراب كما تدره لماع
فكر بموتك في أرض نشأت بها
واترك لقبرك أرضا طولها باع
وظلت بريطانيا تعمل على تحقيق وعد
بلفورها الذي جاد بمالا يملك ، حتى
اقتربت قرار التقسيم ، وحملت هي ومثيلاتها
من الدول الاستعمارية التي ترتبط مصالحها
بالصهيونية على إحكام الحائمة للآساة في عام
١٩٤٨ م والجيوش العربية — إذ ذاك —
تعصف بها رياح الخيانة ، وتفتك بها أسلحة
الغدر ، فلا راية تجمعها ، ولا قائد يوحدنا ،

وشعب فلسطين شعب عريق في العروبة ؛
تحدروا من أصلاب القبائل العربية قبل الفتح
الإسلامي وبعده ؛ فالخنجر المسموم الذي
أصاب هذا القلب خليف أن يثير الألم
في نفس كل عربي ، ويستثير مشاعره ،
ويقض مضجعه ، ويقلق وجدانه .

إن الصهيونية الآثمة ليست إلا حركة
عدوانية مدسرة ضد العرب ، بل ضد البشرية
كلها . فهي إلى ما استهدفت من اتخاذ فلسطين
وطنا للدولة اليهودية التي فكرت أول
ما فكرت في إنشائها ، تستهدف تدمير
الحكومات التي لا توالي اليهود ، وتريد
السيطرة على الحكومات العالمية ، وتتوخى
التأثير على الدول القوية مثل أمريكا .

وقد استطاعت بقتلها الحفي ، ووسائلها
الدينية أن تحقق كثيرا مما تريد حتى رأينا
استهلال الغدر البريطاني بوعده بلفور المشؤم
عام ١٩١٧ م ذلك الوعد الذي قطعته لليهود
اليهودي (روتشيلد) بتأسيس وطن قومي
للإهود ، والذي تردد صداه في شعربنا العربي
فندد بهذا الذي يجود من جيب غيره :

ألا ليت بلفور أعطاكمو
بلاداً له لا بلاداً لنا
فلندس أرحب من قدسنا
وأتم أحب إلى لئدنا
ثم توالى حلقات الغدر في ظل الانتداب

تحاول جاهدة أن تنافق الدين بالتدليس الصريح ، وأن تملق المسيحية بتهود المسيح لتبرر وجودها الزائف وتدعم كيائها المزهوم فبال المسلمين - ودينهم بتاريخه وذكرياته وقبلته ومناسكه يربطهم بهذه الأرض المقدسة ويشدهم إليها - لا ينهضون باسم الإسلام لنجدتها واستنقاذها ١٩

إن الحقيقة التي تهزم الباطل القهيب بالمسلمين في شتى بقاع الأرض أن هبوا مع العرب لاسترجاع تلك البقعة السليبة من وطنهم الإسلامى .

وإن دينهم الذى شرع الله لهم ليفرض عليهم الجهاد المقدس لإيقاد هذه الأرض المفضوبة ، فليكن منهم جيش إسلامى يقف مع جيش العروبة ، وليكن لهم منظمة إسلامية تشد أزر منظمة التحرير العربية ، وليعلموا أنهم فى حق دينهم آثمون ، إن استنابوا الضيم ، واستكانوا الذلة ، وأصموا آذانهم عن صيحات إخوة لهم مشردين ، أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وغضوا أبصارهم عن أرض ترتبط بها مشاعرهم وفيها مقدساتهم ، تعيش فيها ذئاب اليهودية ونمرح بها كلاب الصهيونية ؛ وليتذكروا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ؟

مصطفى عامر حسن

مدرس بكلية الدراسات العربية
جامعة الأزهر

ولا إخلاص من ورائها . فهى تقاوم بلا سلاح ، وتحارب فى غير ميدان والشاعر العربى يتفجع لهذا المصير ويهاجم المقصرين والخائنين :

أيحرب يدري أن غد يتم أذلة
لعمري لقد سودتمو وجه يهربا
بنى العرب قد برأت منكم محمداً
فما كان إلا ثابت الجأش أغلبا

لقد تدارك أبطال العروبة اليوم ما فاتهم بالأمس ، وتعلموا من هذه المحنة القاسية أعظم درس فهم يتلافون ما شجر عن الخلاف ويطلبون لما جنته الفرقة ، وينتفضون انتفاضة عملاقة تمسح عن جباههم الكريمة تراب المذلة ، وتحمل كواهلهم الشاغرة واجب الشرف والكرامة ، وتثير فى نفوسهم العربية نحوه الإباء ، وحمة الأنفة ، لإنقاذ العروبة فى فلسطين .

ذلك واجب العرب نحو فلسطين العربية ، فأين واجب المسلمين نحو فلسطين المسلمة ؟ على تراها الطاهر راج موسى والمسيح ، وفوق روايتها الخضر اتصت الأرض بالسماء وإلى مسجدتها الذى بارك الله حوله سرى خاتم الأنبياء ، وهو ثالث المساجد التى تشد إليها الرحال ، وتعلق بها الآمال ، وتهفو المشاعر وتصوب القلوب

إن إسرائيل التى تحالف الاستعمار لتحقيق أغراضها ، وتستغل السياسة البسط سلطانها ،

الكَيَّانُ الفَلَسْطِينِي

لِلْأَسَازِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ خَلِيفَهُ

وإن واجب الفلسطينيين الذين يعيشون في البلاد العربية في ظلال الجنسيات المنحوعة أن يتخلوا عن تلك الجنسيات ، وأن يهرعوا إلى حيث يخفف لواء فلسطين ليتجمعوا في ظلاله ويحسوا بالعزة التي غاب عنهم سلطانها والوطنية التي تاه عنهم مكانها .

وإن عشرات الآلاف من المهاجرين والمهاجرات ليس مكانهم بعد ميلاد الكيان الفلسطيني في الأسواق والمتاجر ، ولا بين المدارس والمعاهد والجامعات ولا بين المزارع والحقول في فلسطين وفي غير فلسطين ، وإنما مكانهم معسكرات التدريب فيها وفي جاراتها ، وفي المصانع التي تصنع الموت لمن اغتصبوا منها الحياة .

وواجب كل ملك أو رئيس عربي أن يرغم على العودة إلى فلسطين كل من أنكر جنسيته الفلسطينية واستمرأ الضيافة ، أو استطاب الحياة في كنف الجنسية الموهوبة .

وإن منهج المعسكرات كما سيعنى بالتدريب يجب أن يعنى بالخلق والتربية والتهديب خلق الإيمان بهذا الكيان ، وخلق الاستعداد للبذل والطاقت التي اختزن ستة عشر عاماً ، ثم تربية النفوس تربية صادقة يكون قوامها حب العمل

ولد الكيان الفلسطيني بعد ستة عشر عاماً قضاها أحرار هذا الشعب في سجون الحسرة والالام تشويهم نار الغيظ ، وقضاها غير الأحرار بمن استعبدتهم حب الحياة الودعة غرباء . هن قضيتهم ، منهم من نزع وراء العيش ومتاع الحياة إلى أرض عربية أو غير عربية ، وأكثر هؤلاء لا تربطهم بفلسطين غير أطياف من الذكريات البعيدة التي تعبر خواطرهم كلما ذكرت فلسطين ، وقد يعاودهم الحنين إليها في المنأى ، ولكن حنينهم لا يلبث أن تمخض جذوته أمام العيش الناعم والحياة المطمئنة في المهجر .

ومنهم من يعيش على أرضها وقد شغلته دنيا أمرته الصغيرة عن كيان شعبه الممزق ، أو استسلم لليأس فانطوى معه لايهزه ضجيج الأحداث التي ترعد من حوله ومن أجله .

لقد ولد الكيان الفلسطيني ولكن له لن يقوى على مجابهة الأهوال والأنواء التي تواجهه إلا إذا أحس كل فلسطيني نازح أو مقيم بواجبه نحو هذا الكيان ، وآمن بأنه قوة تتفاهل وتتسائد وتتفانى في دعم هذا الكيان وفي خلق جيش يحمل أعباء الأمانة التي ألقاها على كاهله مؤتمراً القمة العربي .

وآثامه مع كل ذلك روح الطيب الحاذق
يشخص ويدأوى بعد أن يلبس الداء .

ومن ثم يجب أن يختار إلى تلك المعسكرات
صفوة منمّنة من الهداة والمصلحين الذين
يؤمنون برسالتهم ويؤمنون بالعمل وبذل
كل الطاقات لخير هذه الرسالة ، فحين ترسم
القيادة وتخطط يجب أن يوضع في حسابها
أن الموقف يستدعي قيادات روحية دينية
 واجتماعية تصلح النفوس ، وتبهي الأرواح
وتخلق فيها روح الفداية والتضحية التي حملها
الآباء العرب في الماضي الأبعد والبعيد ،
خطمت كبرياء الفرس وإباء الروم ، ووردت
هن الشرق وحشية التتار .

تلك الروح المؤمنة العالمه الباذلة هي التي
ترتقها فلسطين الجريحة في هدها الجديد .
وتلك الروح هي التي يجب أن يقسح بها
الفلسطيني قبل أن يخوض المعركة وقبل أن
يأخذ مكانه فيها .

وليس مكان الفلسطيني على الحدود يقتظر
صيحة الانطلاق ، وإنما مكانه قلب يافا
وحيفا وتل أبيب حيث ينقض صاعقة تحرق
قبل أن تحترق وتدمر قبل أن تدمر ، وتقضي
على الأخضر واليابس قبل أن تتحول إلى
رماد وتحمل الفناء لمن حرمها البقاء ، وتهدي
الموت لمن نزع منها الحياة ، وكل ذلك حين
تدوى على الحدود صيحات الزحف ، فكانه

في كل مجال يدعوهم إليه بناء الدولة الجديدة
وفسيان الفردية التي كانت تعمل من قبل
في ظل الموى الفردى ، ولا تلقى لها وجودا
في مجال العمل الشعبي وتكوين الأخوة الشعبية
التي أضعف التقسيم عراها فوهت على الزمن
أقوى رابطة لا ينكر أثرها في الخلق والقوة
حتى ليكاد يحس ابن جليل أنه لا يرتبط
بالعربي الحبي أو الرخي برباط شعبي .

وأخيرا يجب أن يعنى بهذيب تلك الطباع
التي جعل منها القشريد والحرمان في رأى
الدعائيات المفسدة طباعا حاقدة على الأصدقاء
والأعداء على السواء إن طباع المغتربين
والمقيمين أحوج ما تكون إلى الصقل والتثقيف
وإزالة الرواسب التي غيرتها وربطها بالسكان
العربي الكبير ، وخلق الإيمان بمستقبل الأمة
العربية الكبيرة قبل أن تزحف تلك القوى
إلى المعركة الفاصلة .

وهنا يبرز دور الهداة والمصلحين إلى جانب
دور القادة والمدرّبين ، وقد يكون جهد المصلح
أشق وأعتى من جهد المدرّب لأن الوصول إلى
طوايا النفوس واكتشاف خفاياها ، وإزالة
ما فيها من شذوذ قد ينحرف بها عن صراط
الحق وغرس الحب والوفاء والصدق والأمانة ،
وتعهد كل ذلك بالإيماء في ظل الأخوة العربية
قد لا يتيسر كل ذلك أو بعض ذلك إلا لمن
آثاه الله الحزم والعزم والإيمان والصبر

ليجعلوه عيداً من أعيادهم القومية .
وإن أنصار الحق والحرية في كل شبر من
العالم سينتصرون للقضية التي مل الرأي العام
الإنساني شهودها .

وإن تستطيع الصهيونية العالمية التي تتجر
بمصائر الشعوب أن تخرج من المعركة
منقصرة لأن ما لها الذي تشتري به العروش ،
وتقيم به العروش لن يحدى شيئاً حين يفض
أنصار الحق للحق ، وحين تتكشف للدنيا
الأصابع العابثة بالحكومات المتفلاحة
بالرياسات . أيها الملوك والرؤساء العرب .

لئن عشرات الملايين التي عاشت معكم
أرواحها أيام مؤتمر القمة فترجت ملاح
في وجوهكم وغيونكم من المعاني ، ثم رأت
في الجلسة الأخيرة إشرافات الأمل ، وابقسامات
المنى تشع على الوجود وترسم على الشفاه .
هذه الملايين التي سرها اجتماعكم يسرها أبداً
أن تراكم قلباً واحداً ورأياً واحداً وعزماً واحداً
وصفاً واحداً تقف وراء شعوبكم تنتظر
إشارة الانطلاق إلى بناء مجد عربي موحد
تلتقي في بنائه الأيدي والقلوب والعقول والأموال
وتعمل طاقات العرب جميعاً لحيز العرب
جميعاً وإن السكيان الفلسطينيين هو أول عمل
في صرح المجد العربي الموحد فتى ترى ملايين
العرب ذلك الصرح المنشود يطاول السماء .

محمد محمد خليفة

في معركة العودة قلبها لأن الأرض التي باعها
أبوه بثمان بخص ، والأرض التي اغتصبت من
أبيه ، والأرض التي قدم لها أبوه روحه
ودمه ثم طرد منها بنوه ، كل تلك الأرض
خليق بالفلسطيني أن يستردها بكل ما يملك
ليعرف ما بذل فيها حتى يكون حرصه عليها
أشد مما لو أهدتها إليه الجيوش العربية بعد
أن تشتريها بالمال والدم والأرواح .

وجيوش الأمة العربية كلها حين ترى
الفلسطيني في قلب المعركة لن تضن عليه بالمال
ولا بالدم وإن تمن عليه يوماً بما بذل لأن
الأخوة الصارخة في الدم تستحثها أبداً للعمل
لحق العربي ويسعدها البذل في رد هذا الحق
وإن كان غالباً ، ويسعدها أن تصون له وممه
هذا الحق ، وإن عادت في سبيل ذلك الدنيا
وإن عرضت اقتصادها للاضطراب فكل
غال حين بذله في سبيل الأخوة .

وإن أسلحة الشعوب العربية في معركة
السكيان الفلسطينيين مختلفة الألوان ولكنها
متضافرة القوى ؛ ستحارب إسرائيل في أرض
فلسطين بالمال والرجاء والعتاد ، وتحارب
الشعوب التي تقف وراء إسرائيل بسلاح
الحرمان من البترول الذي تغله الأرض العربية
ولهذا السلاح خطره على العرب ، وإن العرب
لم يرتقبون اليوم الذي يعلن فيه تنفيذ قرار
حرمان الدول المنقصرة لإسرائيل من البترول

وثنية بني إسرائيل للأستاذ علي الخطيب

أن يسألوا أجراً أو يطلبوا نفعا يقول تعالى :
د لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا
إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
- المائدة - ٧٠ .

فلم يكن المولى جل وعلا مطاعا فيهم ،
ولا كانت شريعته - وهي هدى ونور -
بسارية في أوساعهم . خرجوا على الرب ،
وفسقوا على شريعته فالتمسوا لها غير ربهم ،
ودينا يخالف شرعته وانحرفوا مبكرين إلى
الوثنية ، وموسى وهرون بين ظرائنهم .

وحسبنا أن نمر بالعهد القديم ، ونطلع
على وثنيته وتخطيطها حتى ندين في جلاء
أن القوم لم تكن لهم فلسفة في وثنيته .
وذلك لسبب بسيط هو أنهم تلبسوا الوثنية
من غيرهم ، وطلبوا خارج حدودهم . فلم
تكن للقوم وثنية تخصهم لذلك كان نزوعهم
إلى هذه الوثنية يسجل عليهم فحولة الفكر ،
ونضوب الروح ، وضيق الأفق الذي يستبدل
بمسلال الوحدةانية ، وسوء تكريمها للخلق
عبادة بشر أو حجر لا يسمع ولا يبصر
ولا يفنى عنهم شيئا . في نفس الوقت الذي

لم يكن يبدو أن الاكثية من بني إسرائيل
راضية بحال عن موسى صلوات الله وسلامه
عليه ، ولم تكن - في الوقت نفسه - تحترم
في شخصه جلال النبوة ، أو ترمي لها أدبا .
فكانت تصرح بسخطها منه وتقول موسى :
د ... أودينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد
ما جئتنا - الإعراف ١٢٩ ، وكان هرون
عليه السلام يشعر بعداوة فريق منهم له .
وهذه الروح المتمردة فيهم لا ينسكها العهد
القديم المتداول فقد سجل موقف هذا الفريق
من موسى وهرون في قولهم : د ليقنا متنا
بيد الرب في أرض مصر . إذ كنا جالسين
عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع ، فإننا
أخرجتنا إلى هذا القفر لكي تميتنا كل هذا
الجمهور بالجوع - خروج ١٦ - ٢ ، ٣ .

وتاريخ بني إسرائيل مع أنبيائهم ناطق
بهذا الجحود والذكرا حتى أسفروا في النهاية
عن مقت شديد للنبوة فأعملوا في أنبيائهم قتلا
وتذبيحا . وفي القرآن الكريم أكثر من
آية تصمهم بهذه الجريمة الذكرا ضد قوم
هزل لا يرفعون سلاحا ، ولا يملكون
إلا الكلمة الطيبة ، والدعوة المخلصة دون

إليينا موسى ، - ٩٠ ، ٩١ - ، واستضعفوا
هرون وهبوا أن يقتلوه ، فخشى أن تتفرق
كبتهم ، وتذهب وحدتهم ، وبأق موسى
فيرا هم يزقون فانتظر بعد أن ذهب جموده
سدى . وإذ رجع موسى ورأى ما فعلوه
أخذ الغضب فألقى بالألواح وأخذ برأس
أخيه يجره إليه وصاح فيه : يا هرون
ما صنعتك إذ رأيتهم ضلوا ألا تدبغني أفعصيت
أمرى قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى
إنى خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل
ولم ترقب قولى ، - طه ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ - .
« إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى
فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم
الظالمين ، - الأعراف ١٥٠ - ، فنجى موسى
ربه قائلا : « رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا
فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ، - الإعراف
١٥١ ، وقال تعالى فى أصحاب العجل : « إن
الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من
ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزي
المفترين . الإعراف ١٥٣ .

٢ - ولما قضى موسى وهرون تهادى
بنو إسرائيل فى العصيان ، وأمعنوا فى الترد ،
وجلبوا الأصنام من أحاط بهم من أمم ،
وأقاموها فى أنحاء شتى بمدنهم : فى المرتفعات ،
وعلى الطريق وأقاموا لبعضها كهنة ،
وعكفوا عليها رجالا ونساء متناسين كل نعم

أعجبت بشريعتهم فيه أمم ودانت لها
مختارة ^(١) . فما كانت هذه الوثنية فيهم
إلا حبا للخروج على ربهم والضيق بشريعته ،
ومخالفة أمره حتى لقبوا فى العهد القديم
بالبيت المتمرد (حزقيال ٣ - ٩) .

وقد تمردوا من عهد موسى حتى ظهر فيهم
المسيح عليهما السلام .

١ - فبعد أن هرب بهم موسى البحر ،
ورأوا بأعينهم قدرة الله الخارقة ، وإعجازه
المحيط ، مروا على قوم يعكفون على أصنام
لهم : فقالوا : يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم
آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون : إن هؤلاء
متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال
أغير الله أبغيتكم إلها وهو فضلكم على العالمين ،
- الأعراف ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - .

وحين تركهم للقاء ربه الذى استغرق
أرويين يوما ليتلقى ألواح الشريعة استخلف
فيهم هرون أخاه ، فاتخذ لهم السامرى عجلا
جسدا له خوار ونادوا فيما بينهم : « هذا
إلهكم وإله موسى ، ولم يعبأوا بنصح هرون
ولا بقوله : « يا قوم إنما فتقم به ، وإن
ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى .
قالوا لن نبرح عليه ماكفين حتى يرجع

(١) انظر « للسألة الصهيونية فى نظر العلم »
للككتور محمد عوض محمد - من رسالات
الجامعة العربية .

أعطوا ظهورهم للقبلة ، ووجوههم نحو الشرق
 وهم ساجدون للشمس حزقيال ٨ - ١٦ ، .
 ٣ - وقد ختمت فرقة منهم وثنياتها
 بعبادة البشر فعبدت هزيراً - عزراً - كاتب
 الشريعة التي الذي كان يحفظ التوراة عن
 ظلم قلب . ففي القرآن الكريم : « وقالت
 اليهود عزير بن الله . التوبة ٣٠ » ، وكان عزير
 في أمري بابل . وخرج بكثير منهم إلى بيت
 المقدس حين سقطت بابل تحت الحكم
 الفارسي . وقد تذلل العزير لربه أن يقبل
 توبتهم ويصفح عنهم ، فساكن من فرقة منهم
 إلا أن عبده بنظرية الحلول . تعالى الله عن
 ذلك علواً كبيراً . وعبدوا كوشان ملك آرام ،
 وعجلون ملك موآب (قضاة ٣) .

تلك صورة سريّة لوثنية بني إسرائيل
 يسدو فيها قليل من كثير مما حواه العهد
 وصدقه القرآن ، وهي وثنية واسعة النطاق
 تمثل الصابئية في عبادة الكواكب ،
 والتوتمية في تقديس الحيوانات . والمجوسية
 في عبادة النار . وبذلك ضاع بينهم منهج
 التوراة ، وتقضوا عهد الله وحرفوا شرعته
 فغضب الله عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا
 بغضبه : « لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن
 سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون » .

على الخطيب

بمجمع البحوث الإسلامية

الله وأفضاله عليهم . وقام الفسوة بحرق
 البخور لها ، وقدم الكثير منهم لها نذوراً ،
 وصرخ فيهم أنبياءهم وهددوا بالإبادة دون
 جدوى وفي سفر حزقيال ورد الإنذار :
 « وأضع جثث بني إسرائيل قدام أصنامهم ،
 وأذرى عظامكم حول مذبحكم ٦ - ٥ » ،
 لكنهم استمروا الزيادة والتوسع في ألوان
 الوثنية فعبدوا النار : « وبنوا المرتفعات
 التي في وادي ابن هنوم ليحيزوا بنهم
 وبناتهم في النار لمولك - إرميا ٣٣ - ٣٥ » ،
 ومولك - كما يبدو - هو من أوثان الفينيقيين
 الذي نقلوه معهم إلى « قرطاجنة - تونس » ،
 وكانت له ذراعان ممدودتان ذوا محور . وقد
 تحت نصبه النار . ويوضع الطفل فوق
 ذراعيه فتمبطان به فيها . فقتل بنو إسرائيل
 كثيراً من أطفالهم صفها وفيهم من ينذرهم
 بجرم ما يفعلون .

ولم يكتفوا بما نصبوا من أوثان فوق
 الجبال ، وبين الطرق فنقلوا رجسهم داخل
 بيت المقدس وملأوا بها مقاصده حتى كان
 ببعض حجراته ... « كل شكل دبابات ،
 وحيوان بحس ، وكل أصنام بيت إسرائيل
 مرسومة على دائرة ، وواقف قدامها
 سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل
 - حزقيال ٨ - ١٠ » ، وفي مكان آخر
 بالبيت كان : « هناك نسوة يبكين على تموز
 حزقيال ٨ - ١٥ » ، وفي أحد أماكن الصلاة

بمناسبة افتتاح العام الدراسي مشاكل التربية الدينية والخلقية والاحتلاط للأستاذ الدكتور على عبدالواحد وافي

امتعاناً رفيقاً لا يترتب عليه أثر ما في نجاح التلميذ ورسوبه ، أو يترتب عليه أثر ضئيل - وما كان ينتظر من السياسة الدنلوبية أن تعنى بنواحي التربية الدينية والخلقية في مصر ، وقد كان كل همها العمل على انحلال الشعب المصري ! ثم أخذت المدرسة المصرية بعد أن تحررت من سيطرة الإنجليز توجه قطعاً من عنايتها إلى هذه النواحي ، ولكنها لا تزال إلى الوقت الحاضر مقتصرة في جنبها تقصيراً كبيراً ، ولا تزال بعيدة كل البعد عما ينبغي أن تكون عليه .

ففي أحد خطط للدارس الثانوية التي يجتاز طلبتها مرحلة المراهقة والبلوغ ، وهي أدق مراحل الحياة جميعاً ، وأشد الحاجة إلى التربية الدينية والخلقية ، لا نجد إلا نحو ساعة واحدة فقط في الأسبوع للدين والتهديب ، بينما خص فيها أكثر من ثلاثين ساعة أسبوعياً لمواد كسب الحقائق وحشو الذهن بالمعلومات .

والمدرسة المصرية إذ تقصر في شئون التربية الدينية والخلقية إلى هذا الحد تعمل على إضعاف أهم دعامة من مقومات الحياة الإنسانية على العموم ومقومات الشعب المصري بوجه خاص ، وتقسط المجال لعوامل القلق والاضطراب والانحراف في التفكير والسلوك هذا إلى أن دروس الديانة والتهديب

بكثير الحديث في هاتين المشكلتين في فاتحة كل عام دراسي ، ويذهب الناس في شأنهما مذهب شقي ، ولكنهم يكادون يجمعون على أننا لم نصل بشأنهما إلى حل سليم يرضى عنه نظامنا الديني ، ويوائم تقاليدنا وعرفنا الخلق وأوضاعنا الاجتماعية العامة . بل يكاد يجمع علماءنا على أننا لم نصل في صددهما إلى حل يتفق مع ما تقرره علوم التربية .

١ - أما فيما يتعلق بالناحية الدينية والخلقية فقد قامت النظم التي وضعت للدارس الابتدائية والثانوية في عهد الاحتلال ، وهي التي وضعها دنلوب المستشار الإنجليزي لوزارة المعارف حينئذ وتعيد بها خلفاؤه من الإنجليز والمصريين ، قامت هذه النظم على إغفال ناحية الدين من التربية في المدرسة بل على محاربته من وراء ستار ومحاربة ما يتصل به من شئون التربية الخلقية والاجتماعية ، وجرباً على طريقتها المساكرة في ستر سوءاتها وذر الرماد في العيون ، فسحت السياسة الدنلوبية في هذا الصدد مجالاً يسيراً لبعض دروس في الديانة ، ولكنها أمعنت في التهورين من شأن هذه الدروس ، فوضعتها في هامش المنهج الدراسي ، وأعفت التلاميذ من الامتحان فيها ، أو قررت فيها

وتمرسهم بهذه الأمور تمرساً عملياً تحت إشراف أساتذتهم ، كل ذلك خير من ألف درس وموعظة تلقى عليهم في أهمية الصلاة وثواب فاعلها وعقاب تاركها يوم القيامة ، وتكوين جمعيات من بين الطلبة لشئون الخدمة الاجتماعية والإصلاح الاجتماعي والإسعاف والنجدة والبر بالفقراء وشئون التعاون بمختلف فروعها ، ومزاواتهم لهذه الأمور مزاوله عملية تحت إشراف أساتذتهم خير من ألف درس يلقى عليهم في فوائد التعاون والتواصي بالخير والتكافل الاجتماعي وواجب الإنسان نحو أخيه الإنسان .

وقد هنى الإسلام وعنى مفكره الإسلام أكبر عناية بتكوين العادات الصالحة عن طريق القدوة الحسنة وعن طريق أخذ النشء بمزاوله الفضائل والواجبات الدينية مزاوله عملية . قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » ، وفي الأثر الشريف : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، أى وهم فى سن السابعة) واضربوهم عايتها لعشر) أى اضربوهم على تركها إذا بلغوا العاشرة ، ويقول عربون عتبة لمعلم ولده : « ليكون أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك » ، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقيح لديهم ما تركت ، ويرى الغزالي وجوب أخذ الطفل بمزاوله الفضائل والواجبات الدينية مزاوله عملية متى بلغ سن التمييز ، وفي هذا يقول : « متى بلغ الطفل سن التمييز وجب

بالصورة التى تدرس بها فى مدارسنا لا تقوى وحدها على تحقيق الغرض من التربية الدينية والخلقية مهما كثر عددها ، حتى لو وضعت فى صلب المنهج الدراسى ، وقرر فيها امتحان دقيق فترتب على نتائجه آثار ذات بال فى نجاح التلميذ ورسوبه . فمهما بولغ فى شأنها فإنها لا تعدو أن تكون مجرد مادة من مواد كسب المعلومات وحقائق تحشى بها أذهان التلاميذ ، وليست التربية الدينية والخلقية بمواد تدرس ، ولا حقائق تحفظ ، وإنما هى نهج للسلك يؤخذ بها الطالب فى مدرسته بوسائل تربوية سليمة حتى يألفها وتصبح محبة إليه وجزءاً من طبيعته ، هى طرق عملية تنشؤه على الفضيلة وترينها فى قلبه ، وتفره من الرذيلة وتبغضه فيها ، وتكون لديه الحس الخلقى السوى الذى يستطيع بفضلها أن يميز بالبداية الخير من الشر والخير من العيب والطيب وفقاً للنظم التى يرضيها دين أمته ويقرها عرفها الخلقى ؛ هى قوالب يدرّب الطالب فى مدرسته تدريباً عملياً متواصلاً على أن يصب فيها أعماله وأفكاره المتعلقة بشئون الأخلاق وواجب الإنسان نحو ربه ونفسه وأسرته ووطنه والإنسانية جمعاء .

فبناء مسجد مثلاً فى فناء المدرسة ، وإشراك التلاميذ فى تشييده وتأثيثه وأخذهم بإقامة الصلاة فيه فى مواقيتها ، وتوزيع الأعمال اللازمة له عليهم من أذان وإمامة وخطابة وتمهيد مرافق ، وما إلى ذلك ،

الاختلاط في مرحلة التعليم الجامعي :
 فبعضهم يرى أنه ضرورة من ضرورات
 الحياة الجديدة ، وأن من شأنه أن ينمي من
 شخصية الفتاة ويشعرها بذاتها وكرامتها ،
 ويزيد من تجاربها ، ويغير من نظرتها إلى
 الجنس الآخر ، كما أن من شأنه أن يكسب
 الفتى شيئا غير قليل من الحذر والحيطة
 والصقل والوداعة في أخلاقهم وسلوكهم
 ومظهرهم وحديثهم . ويذهب هذا الفريق
 إلى أن العثرات والانحرافات التي تحدث
 بسبب هذا الاختلاط هي من الندرة والتفاهة
 بحيث لا تستحق أن تثير في نفوسنا أقل
 قلق ، كما يدل على ذلك سجل الحوادث
 والعقوبات في كثير من السكليات .
 ويذهب الفريق الآخر إلى أن هذا
 الاختلاط قد أدى إلى أضرار خلقية بالغة ،
 وأخذ يتهدد البيت العربي الإسلامي ويتهدد
 تقاليده ومبادئه بشر مستطير ، وأن
 ما يصل من عثرات هذا الاختلاط ومخالفاته
 وانحرافات إلى علم العمدة ورؤساء الأقسام
 وما يدون منها في سجل الحوادث لا يعد شيئا
 مذكورا بالقياس إلى ما يحدث بالفعل
 ولا يصل شيء من أخباره إلى علم الرؤساء
 ولا إلى أوراق الملفات . بل إن ما يصل منها
 إلى علم الرؤساء وأوراق الملفات يتمثل
 معظمه في أمور ملفقة كيدية يقصد بها إلى
 التكاية بالأبرياء لإشباع الأحقاد أو تحقيق

ألا يسأخ في ترك الطهارة والصلاة وأن يؤمر
 بالصوم في بعض أيام رمضان .
 ويؤسفنا أن نقول إن المدرسة المصرية
 في الوقت الحاضر قد أضافت إلى تفصيلها في
 تدريس الدين والتهديب تقصيرا آخر في أخذ
 تلاميذها بشئون السلوك الديني والخلق فهي
 لا توجه إلى هذه الناحية العملية من الدين
 والأخلاق ما ينبغي أن يوجه لإيها من عناية
 بل إن جوابا لا يساعد كثيرا على بث العادات
 الصالحة في النفوس .

٢ - وأما فيما يتعلق بالاختلاط بين الجنسين
 في معاهد التعليم ، فإنه يحدث لدينا في مرحلتين :
 أحدهما مرحلة التعليم الابتدائي والآخرى
 مرحلة التعليم الجامعي ، وكلا هذين النوعين
 من الاختلاط دخيل في الشعوب العربية قد
 انتقل لإيها من نظم التعليم في أمم الغرب .
 ويكاد الباحثون من العرب يجمعون على
 أنه لا خوف مطلقا من اختلاط الجنسين في
 المرحلة الأولى من التعليم ، بل لا خوف أن
 يمتد هذا الاختلاط إلى بعض سنى المرحلة
 الإعدادية مادام الأطمال دون الثالثة عشرة ،
 أى قبل أن يبلغوا سن المراهقة وتبدو لديهم
 مظاهر الغيرة الجنسية بل يكادون يجمعون
 على أن للاختلاط في هذه المرحلة آثاره
 الطيبة في حياة الجنسين واثلاثهم ومحور النظرة
 الجنسية من نفوسهم
 ولكنهم يختلفون في نظرهم إلى

في الوقت الحاضر ، وأخذ كثير منها يصاح ما أفسده الاتجاه الآحق نحو المساواة المطلقة بين الجنسين ، فأنشأ كليات خاصة للبنات يتلقين فيها مناهج تلائم طبائعهن ووظائفهن في الحياة ، وبطرق تتفق مع إدراكهن وما زودن به من استعداد .

وإذا كان للاختلاط بمعناه الحسى فوائد في حياة الجنسين كما يذهب المتعصبون له ، فإن ثمة مواطن أخرى كثيرة غير معاهد التعليم يمكن أن يتحقق فيها هذا الاختلاط ويؤتى ما ينتظرونه منه من ثمرات . وفي ميادين الحياة العامة وحياة الأسرة تتسع كبير لذلك

ولكن عيبنا أننا نقلد الغرب تقليدا أعمى في كل شيء ، حتى في الأمور التي يقوم الدليل العلمى القاطع على فسادها والتي يظهر للغرب نفسه خطؤه في السير عليها ، ويحاول أن يهدى من اندفاعه في سبيلها

ويسعدنا أن نسجل أن مصر ، بعد أن قطعت في سبيل الاختلاط الجامعى شوطاً كبيراً ، قد قطعت الآن لهذه الحقائق وأخذت تتدارك بعض أخطائها ، فأنشأت كليات خاصة للبنات ملحقة بجامعة هين شمس وبجامعة الأزهر ، وإن كانت المناهج في هذه الكليات الخاصة لا تسكاً تختلف في معظم ما أحياها من نظائرها في الكليات الأخرى .

دكتور علي عبد الوارث

بعض المتأرب . وإن نظرة إلى مظاهر التبرج والخلاعة والابتذال والميوعة التي تحيط بهذا الاختلاط اسكافية في الدلالة على مدى مخالفته لتعاليم الإسلام ومبلغ ما يمكن وراءه من ضرور .

وكلا الفريقين قد حصر انتباهه في الاختلاط بمعناه الحسى الجسمى ، وفيما يترتب عليه من نتائج من النواحي الجنسية والخلقية . وهذه ناحية تستأهل البحث بدون شك . وما يقوله الفريق الثانى بشأنها خلى بأن يستوقف نظر المشرفين على سياسة التربية الجامعية .

ولكن ثمة وجه آخر للوضوع أهم كثيراً وأجدر بالبحث ، وهو المتعلق بالاختلاط في مناهج التربية والتعليم وفيما يترتب على ذلك من النواحي العقلية ونواحي الإعداد للحياة . فإذا كان من المقرر أن كلا الجنسين يختلف عن الآخر في استعداداته الفطرية وقواه الجسمية والنفسية واتجاهات إدراكه ووجدانه ونزوعه ، وفي وظائفه

الأساسية في الحياة ، أفلا يكون من خطئ الرأي أن انقض الطرف هما بينهما من هذه الفروق ، ونوحده من هجما في التربية والتعليم ، ونجمعهما في معاهد واحدة يؤخذان فيها بطارق وأساليب متحدة ، ويعدان لمستقبل واحد ؟ !

هذه هى أهم مشكلة في الموضوع . وقد أخذت الآن تشغل أذهان العلماء والباحثين والساسنة في شعوب أوروبا وأمريكا ، وأخذت هذه الشعوب تهيم لها أكبر وزن

عناية الإسلام بالشباب

للدكتور محمد محمد أبو شنبه

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - يحرسون على أن يحضروا أبناءهم بمجالس الرسول صلى الله عليه وسلم من صغره ليتلقوا عنه الإيمان والعلم والحكمة ، ويتخلقوا بخلقه ،

ويتأدبوا بإرشاداته ، وكان النبي يداهم ويلطفهم ، ويحارل ما استطاع أن يزيل أى حرج من نفوسهم ، فهذا هو محمود بن الربيع

وهو من أحداث الصحابة يقول : دعتني من النبي صلى الله عليه وسلم بحجة مجها

في وجهي وأنا ابن خمس سنين ، . وكان الكهنيون من صفاء الصحابة وشبابهم

كالعبادة الأربعة يحرسون على حضور مجلس الرسول مع الكبار من المهاجرين

والأنصار ، روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم - دثنوي

ما هي ؟ فوق القاس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة قال عبد الله فاستحييت

فقالوا : يا رسول الله ، أخبرنا بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي النخلة .

قال عبد الله : لحدث أبي بما وقع في نفسي فقال : لأن تكون قلبها أحب إلى من أن

الشباب هم عمل نهاية الأمم في حاضرها ، وأملها المأمول في غدها ، وهدتها وحصنها يوم يحدد الجسد ، ويدعو داعي الجهاد ، فيسارعون إلى تاية النداء .

وعلى قدر إعداد الشباب وتربيته في كل أمة على قدر ما يكون مستقبلا ، وتحقيق ما تصبو إليه من تقدم ورقى ، ورفاهية ورخاء .

وقد شمرت الأمم في العصور الحديثة بأهمية الشباب ، وإعدادهم إعداداً حسنا ،

وتوجيههم توجيهاً سليماً حتى لقد أنشئت في معظم الدول وزارة تختص بشئون الشباب

وهو اعتراف صريح بما للشباب من أثر فعال في تقدم الأمم أو تأخرها ، وقوتها

أو ضعفها ، ورخائها أو فقرها ، وشتان ما بين شباب قنع لا خير فيه ، وشباب

طموح إلى المجد ومعالي الأمور ، لا يعرف الخنا والفجور ، والميوه والانحلال .

وقد هي الإسلام بإعداد الشباب إعداداً دينياً وخلعياً ونفسياً ورياضياً كما عفى بغيرهم

من الكبار وإذا كان أول من آمن من الرجال الصديق - رضي الله عنه - فأول من آمن من

الصبيان في الفتيان على - رضي الله عنه - وكان يحضر مجلس النبي الكبار والصغار ،

وجعله في المنزلة بعد الإمام العادل ، وفي الحديث الآخر : يعجب ربك من شاب ليس له صبوة ، يعني ميل إلى الأهواء والانحرافات التي يقع فيها كثير من الشباب وفي الحديث الثالث أن الله سبحانه يباهى ملائكته بعبد الشاب الصائم فيقول : « أيها الشاب المفنى شبابيه ، التارك شهوته لأجلى أنت عندي كبعض ملائكتي ، ولأنه لتكريم عظيم للشباب الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان ، وانشرحت صدورهم للإسلام ، واستقامت جوارحهم على العمل به ، وتشفقت عقولهم بمعرفة أصوله وفروعه ، وليس هذا التكريم بكثير على الشباب ، والشباب - كما قال الرسول - شعبة من الجنون .

ومن توجيهاات النبي صلى الله عليه وسلم السديدة للشباب وإرشادهم إلى ما يصرفون به أنفسهم عن الوقوع في الآثام مارواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - مؤن النكاح - فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أي عاصم له من الوقوع في الآثام ، والانسحاق في تيار الشهوات .

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم بالصوم على العبادات التي من شأنها وصل القلوب

يكون لي كذا وكذا ، ، وقد فسرناها رواية ابن حبان في صحيحه : « أحب من أن يكون لي حمر النعم ، ، وإنما استجيبا لأنه كان أصغر القوم ولا سيما أنه كان بالمجلس الشيخان أبو بكر وعمر ولم يتسكلا بالجواب .

وقد كان بعضهم كابن عباس يذهب إلى بيت خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وببيت عندها فيقتدي بالنبي في وضوئه وصلاته وتهجدته ، روى ذلك البخاري في صحيحه ، وهكذا كان شباب الصحابة يحرصون على الاقتداء بالرسول في قوله وفعله ، ويجدون في التربية المحمدية الغذاء الروحي والنفسى .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهب الخماس في نفوس الشباب إلى حب الخير والاستزادة منه بما يلقى عليهم من الهدى والوحي ، ويحيي فيهم التدين الصادق الأصيل والغيرة على الفضيلة والترفع عن الدنايا والأهواء والشهوات وقد وردت عنه صلى الله عليه وسلم لفتات كريمة في ثنايا حديثه في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة يظاهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، الحديث .. فقد أشاد بمنزلة الشاب الذي نشأ وترعرع في أحضان التدين ،

الله أن نخالفك فاصنع ما بدالك ، وما كان لنا أن نستكرهك ، والأمر إلى الله ثم إليك . وهو أدب عال من أدب صحابة رسول الله الذين ضرب الله بهم الأمثال في التوراة والإنجيل وأشادة بصلهم في القرآن يدل على أنهم ما أرادوا إلا الخير وحب الجهاد والاستشهاد في سبيل الله لا الانتصار للفكرة ولا الاستعداد بالرأى وكان جواب النبي صلى الله وسلم لهم أن قال : « ما كان لني إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه » . وبذلك طيب خاطرهم وأزال الحرج من نفوسهم .

كذلك لم تمنع حادثة السن عند الشباب الرسول صلى الله عليه وسلم من أن بكل لإيهم بعض مهام الأمور وأخطرها ليتعلموا كيف يتحملون المسؤولية ، ويضطلعون بعشئون القيادة والرياسة حتى ولو اعترض على ذلك بعض المعترضين فقد حدث الثقات من الرواة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بعد هودته من حجة الوداع بتجهيز جيش عزم إلى بلاد الهام كي يهرب أهداء الإسلام من أن يتقصوا أرضه من أطرافها وأمر على هذا الجيش أسامة بن زيد بن حارثة مولاة ، وكان في الجيش كبار المهاجرين والأنصار من أمثال الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكان أسامة يومئذ شابا حدثا لا يكاد يعدو العشرين عاما

بالله وملء الفراغ بالأعمال النافعة التي من شأنها صرف الشباب عن التفكير السيئ ، والسلوك المشين وفي معنى الصيام ملء الفراغ النفسي والزماني بقراءة القرآن والأحاديث النبوية ، وقراءة النافع من الكتب أو الاشتغال بالرياضات المفيدة ، لاملء الفراغ باللحوق ، وقراءة القصص والروايات المأجزة والاستماع إلى الأفلام المثيرة للفرات الحيوانية السكينة في الإنسان ، والمنبهة لبواعث الشر والجريمة في النفوس .

ولم تمنع حادثة سن الشباب رسول الله عليه وسلم من اتباع مشورتهم وتنفيذ رغباتهم الشريفة في الحروب حتى ولو كان ذلك على خلاف رأيه فقبيل غزوة أحد كان المسلمون على فريقين . فريق يرى المقام بالمدينة والدفاع عنها وكان يميل إلى هذا الرأي الرسول وكبار المهاجرين والأنصار وفريق يرى الخروج إلى المشركين خارج المدينة ولقاتهم بمنزلتهم وكان يمثل هذا الرأي غالب الشباب من الذين لم يحضروا بدرًا والذين حضروا وتشوقوا إلى النصر في غيرها وقد رجح النبي صلى الله عليه وسلم آخر هذا الرأي ، ودخل بيته فلملبس درعه وبيضته وتقلد سيفه وخرج متهيئا للقتال حتى لقد خشي الذين كان رأيهم الخروج للقتال أن يكونوا قد استكروا هو النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج فقالوا : « ما كان لنا يا رسول

بالأنساب والألوان وإنما التفاضل بالتقوى
« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

كما ضرب أسمى ألوان العدالة والنزاهة ،
والحزم والعزم ، والسياسة والحكياسة وقد
عرف الفاروق - رضى الله عنه - لبعض
الشباب المؤمنين العاقلين العالمين منزلتهم فكان
يدينهم منه ويستشيرهم ويحفظهم في منزلة كبار
المهاجرين والأنصار ومن هؤلاء عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما روى البخارى
في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : « كان
عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكان بعضهم
وجد فى نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا
أبناء مثله ؟ - أى فى مثل سنه - فقال : إنه
من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم
فما رؤيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهما قال
ما تقولون فى قول الله تعالى « إذا جاء نصر
الله والفتح » فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد
الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت
بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى : أكذلك تقول
يا ابن عباس . فقلت : لا . قال : فما تقول
قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أعلمه له قال : « إذا جاء نصر الله
والفتح » ، وذلك علامة أجلك فسبح بحمد
ربك واستغفره إنه كان توابا ، فقال عمر :
ما أعلم منها إلا ما تقول ، .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري

وقد فتح النبي - وهو المشرع الذى لا يصدر
فى تصرفاته عن هوى - بهذا العمل الجليل
الآفاق الواسعة أمام الشباب الصالح لمهام
القيادة والرياسة ، وأهم قد يكون عند بعضهم
من الاستعداد الدينى والخلقى والنفسى والعقلى
ما يجعله أهلا للتوجيه والقيادة حتى ولو وجد
غيره من السكبار يغنى غناه ، ويسد مسده .

وقد سار الصديق رضى الله عنه على منهج
الرسول الكريم فى تكريم الشباب الصالحين
الطامحين فكان أول عمل قام به أن أنفذ جيش
أسامه لغزو الروم وأبى الصديق أن يستمع
إلى مشورة من أشاروا بعدم إرسال الجيش
فى هذه الظروف ، كما أبى أن يستمع إلى
اعتراض بعض الصحابة الذين أشاروا عليه
أيضا بتعين قائد أسن من أسامه وأكثر منه
حنكة ودربة فى الحروب ، وبالفعل الصديق
فى تكريم القائد الشاب خرج يودعه ما شيا
على قدميه وأسامة راكب فرسه ، فقال له أسامة :
يا خليفة رسول الله لتركبن أو لآنزلن ، فقال
الصديق : والله لآنزلن ولا أركب !! وما
على أن أغبر قدمى ساحة فى سبيل الله ثم يبالغ
فى تكريم القائد الشاب فيطلب منه أن يعنى
الفاروق عمر بن الخطاب من الذهاب معه
فى الجيش ليبقى فى المدينة وزير صدق له .

وبذلك ضرب الصديق رضى الله عنه أروع
الأمثال للساواة فى الإسلام وأن لا تفاضل

وأعمالهم وسلوكهم وفق الشريعة وأخلاقهم من أخلاق القرآن ، وأدب النبوة فلا عجب أن عزبهم الإسلام وأن حنقوا خيرية هذه الأمة الإسلامية ، وأن كانوا مثلاً صادقة للشباب المسلم المناضل المسكافح ، وأن نل يذنبهم الفراغ النفسى وتحصنوا ضد الانحرافات والآهواء المضلة ، والآراء الفاسدة .

وبعد : أدامت هذه الحال ؟ أم أصيب الشباب بالفراغ النفسى حتى أضخوا كالريشة المعلقة فى الهواء ؟ ذلك ما سأحدثك عنه فى المقال الآتى إن شاء الله .

اد - تاد محمد محمد أبو حنيفة

قال : قال المهاجرون لعمر : ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس فقال : : ذا كم فى السكحول إن له لساناً سثولاً ، وقلباً عقولاً .

وقد كان العباس هم النبي يعلم ذلك من عمر فقال له : : إن هذا الرجل يريد عمر - يدنيك فلا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا يسمع منك كذبا . ولا تبتدعه بشئ حتى يسألك عنه ، وإنها لوصية كريمة من أب عاقل كريم .

لأن كان الشباب فى صدر الإسلام ، وفى عصوره الأولى قلوبهم عامرة بالإيمان وعقولهم زاكية بالعلم : علم الدين والدنيا ،

من عهد طاهر بن الحسين لابنه عبد الله

كتب طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما هذا طويلاً حكيماً . ضمنه كثيراً من درر النصائح الغالية منها :

تفقد أمور الجند ، وأدرر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم فى معاشهم ، لينذهب بذلك الله فاقهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم فى طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً ، وأقم العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ، وينتصف المظلوم ، واشتد فى أمر الله ، وتورع عن النطف (أى العيب والشر والفساد) وامض لإقامة الحدود ، وأقل العجلة ، وابتعد من الضجر والقلق ، وانزع بالقسم ، ولتسكن ربحك ، ويقر حدك ، وانتمتع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، واسدد فى منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذك فى أحد من الرعية عاباة ولا حماة ولا لوم لائم ، وثبت وتأن وراقب ، وانظر وتدبر ، وتفكر واعتبر .

نفحات القرآن

البذل في سبيل الله بيع راجح للأستاذ عبد اللطيف السبكي

نفسه وماله ، أو بذل أحدهما في مقاتلة أعداء الله فكأنه باع ذلك المبدول لله بشئ مضمون ، مريح ، تتعلق به الرغبة .

ومن نوازع الفطرة أن البائع دائما يطمح إلى عوض تطيب له نفسه غاية ما يمكن .

والله تعالى يمثل هذه التضحية من جانب عباده في صورة المبادلات المالية التي يقرن فيها المشمن بشئ .

ويسوق ذلك في صيغة مؤكدة ، ويبادروا فيها بذكر الثراء من جانبه ، ليشعرنا بأن الرغبة في هذه المعايضة من ناحيته هو - سبحانه -

فهو يتطلب من عبده أن يستجيب لرغبة علوية أبدية له ، ويعلمن عبده على استحقاقه للموضع ، دون امتنان عليه بما هو حق يستوجبه غداً به كاملاً غير منقوص .

وصورة هذا فيما يجري بيننا أن يتقدم الراغب في شيء ، ويبتدر صاحبه بقوله :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .

مر أعرابي مسلم على النبي صلى الله عليه وسلم - والنبي يتلو قول الله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - الآية » .

فقال الأعرابي : هذا بيع مريح - راجح - والله لا أقبله ، ولا نستقبله .. أي لا نرضى برفضه هليفاً من جانب الله ، ولا نعرض عن النسيك به والحرص على إنفاذه من ناحيتنا !!

ثم نشط الأعرابي من ساعته إلى الجهاد غازياً مع الجيش حيث كان .

وقد صدق الله أمنية الأعرابي ، فاستشهد في جهاده كما أحب ، وذهب من أهل الجنة كما وعد الله .

فطن الإعرابي إلى أن في هذه الآية عهداً من جانب الله لعباده المؤمنين : أن من بذل

وقبس من نفعها ، ورمى تذكاري لما هناك
في عالم الرضوان والخلود .

أليس يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -
« فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،
ولا خطر على قلب بشر » ، صدق رسول الله .
هذه الجنة : هي مصداق عهد الله الذي
رضى البيع والشراء مع المجاهدين من عباده
المؤمنين الذين نهضوا إلى دعوة الله ، ووقفوا
في مصاف جنوده « يقاتلون في سبيل الله ،
فيقتلون العدو ، أو يقتلهم العدو » .

فإذا كانت لهم الغلبة فقد نكحوا بمن كان
يتزوج الله ، ويناوى دعوته ، ويتطاول
على جبروت ربه القادر .

وإذا ما كانت عليهم الغلبة من العدو فهذا بلاء
من الله لإيمان المؤمنين : ثم ذلك في حقيقة
نبيه وإشعار للعدو بأن قه جنوداً من عباده
برخصون أرواحهم ، ودماءهم في نصره دين
الله ، مؤثرين الموت على الحياة في نصره حق
الله على باطل أعدائه ، وفي سبيل تعبيد
الطريق أمام كلمة التوحيد ، ليمتد صداها
في الآفاق .

فمؤلاء المجاهدون أنصار قه على كلتا
الحالتين : حياة ، أو موتاً .

ومن أجل هذا كان انتقالهم عن الدنيا
إلى حياة أخرى عند ربهم . لا إلى خمود
وقناء كغير المجاهدين ... ولا إلى عذاب

أنا اشتريت منك هذا بكذا . يتفاهل صاحب
الشيء بالرغبة فيما عنده قبل أن يعرضه للبيع ،
وتهش نفسه لرواج سلعته وارتفاع ثمنها .

فكذلك العبد المؤمن : حينما يسمع هذا
التعبير من كتاب ربه يطمئن إلى التقدم
بتضحيته ، ثم يستحق الجزاء الذي وعد به .
وهذا أسلوب من أساليب المعاهدة بين الله
وعباده ... والله يوفى الجزاء بغير
حساب .

وهل يكون عهد الله مجازفة : وهو القادر
على كل شيء ؟ ؟

أو يكون تفضله على عبده بما يشاء من
جزيل العطاء أمراً مريباً ؟ ومن أوفى بعهده
من الله ؟

إن الله خلق الناس ، وهو مالكهم ،
ومالك أموالهم التي منحهم إياها .

وهو مع ذلك يدعوهم إلى ترضيته ببذل
ما منحهم ... ويعدهم حقاً بحسن العوض
على هذه الترضية ، حتى كأهم متفضلون :
لامدينون قه ...

فأى إشادة فوق ذلك الشئ ؟ وما عسى
أن يكون الجزاء بعد هذا ؟ .

هو الجنة . والجنة غاية الغايات للطامحين .
وكل نعمة ترمقها العين في الدنيا ،
أو تهفو لإلها النفس في الحياة ، أو يسبح
وراءها الخيال فهي وميض من ملامح الجنة ،

والعجب لهذه المفاجأة ، وظلوا في ارتقاب
لشأن صاحبهم هذا .

ثم وقعت غزوة ، واشترك فيها البطل ،
وأصيبت ذراعه ، وتبدلت معاقبة بجانيه ،
فلم يطق ألمه ، وبادر بالتخلص من الحياة ،
فغرس حربته في الأرض على قبضتها ،
وتحامل على شفرتها ببطنه فنهذت من ظهره ،
ومات لساعته .

فكان أسف الصحابة ثانياً من قسوة لرجل
على نفسه .

وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخبروه خبره ، فصاح الرسول في نشطة ،
وقال : (أشهد أننى رسول الله ، إن أحكم
ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
وبينها إلا ذراع ، فيعمل بعمل أهل النار
فيدخلها .

وإن أحكم ليعمل بعمل أهل النار حتى
حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل
بعمل أهل الجنة فيدخلها)

ومن أول الحديث ظهر للصحابة
أن صاحبهم كان مرانياً في جهاده ، ولم يكن
صادق الإيمان كما ظنوا ولو كان صادق النية
ومحسباً جهاده لله لصبر على بلائه ، كما صبر
ويصبر غيره من المجاهدين .

وبسبب ذلك حبط عمله ، وصدقت نبوءة
رسول الله فيه .

وجحيم كاتقال الكافرين ، ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم
يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ،
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ذلك مقام الشهداء عند ربهم ، وهو عهد
سجله الله على نفسه : في التوراة ، والإنجيل
والفرقان ... وليس أحد أصدق حديثاً
من الله ... ولا أوفى بعهد من الله !

وهذا — هو قول الله تعالى : فاستبشروا
ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز
العظيم ، ...

غير أن البذل في الجهاد قد يشوبه رياء
أو مخالطة تردد ، فيكون جهاداً في ظاهره ،
دون حقيقته ولا يكون الباذل لنفسه ،
أو ماله ، معدوداً في حساب المجاهدين عند الله
كأناس أخذهم الغرور بالشجاعة ، أو استبد
بهم الرياء أو كان همهم لإدراك الغنائم فحسب
فلم يكن لهم من فضل الجهاد نصيب .

ولقد كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
رجل مغوار ، عرف بين الصحابة بالبطولة
النادرة ، إذا نزل إلى ساحة الجهاد أزعج
الأبطال ، وقتل بالكثيرين .

وحينما بلغ النبي ما بلغه من شجاعة هذا
المجاهد قال : إنه من أهل النار .

فزع الصحابة لهذا النبأ ، وأخذهم الأسف

هو خصوص القتال دفاعاً عن الدين ، وكفا
لأعداء الإسلام عن مقاومة الدعوة إلى الله ،
وذلك هو قول الله : « يقاتلون في سبيل الله »
ولكن كلمة - سبيل الله - تذكر في القرآن
وعلى لسان الرسول كثيراً .

فهل معناها قاصر على خصوص القتال
دائماً ؟؟

سبق إلى بعض الأذهان تخصيصها بالقتال
حتى جعلوا هذا المعنى هو المراد في كل مقام ،
ومن ذلك صرف الزكاة في سبيل الله ، أى
في الجهاد ، وما ذكر معه في آية الصدقات
من المصارف الأخرى كالفقراء ، والغارمين ،
وابن السبيل . الخ .

واستشهدوا لذلك بما أثر لديهم عن الرسول
صلى الله عليه وسلم في بيان هذا المصرف
بأنه خصوص القتال ولكن تفسير سبيل الله
عند جمهرة من العلماء يقسع لأكثر من هذا
الحصر .

ولذا ترجح أن الزكاة الواجبة - خاصة -
يجوز صرفها أو صرف بعضها في الجهاد كبقية
مصارفها المذكورة في الآية ، فإن سبيل الله
على لسان الشرع تصدق على كل عمل من
أحوال الخير التي يرتضيها الدين ، ويصلح
عليها شأن الأفراد والجماعة .

فإذا قرأنا مثلاً « ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ، كان

وعلى عكس هذا : من يكون بعيداً
عن الطاعة ، ثم يزداد يقينه ويخلص في عمله ،
فإنه يكون مقبولاً ، ولو كان في خاتمة المطاف
من دنياه ، ولكل درجات مما عملوا ، .

لذلك بين الله لنا أن المجاهد الموهود
بما سلف هو من كان مقسماً بسماوات الإيمان
الحق وهم المذكورون في قوله تعالى : « التائبون
العابدون - الحامدون - السائحون -
الراكون - الساجدون - الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر - والحافظون
لحدود الله ، ... »

فحينما يكون المرء على هذه المناقب :
من توبة مستمرة ، وعبادة خالصة ، وسياحة
في أفق العلم ، والتفكير في صلته بربه وما بقي
من المحامد المذكورة يكون جهاده - إن جاهد
بنفسه وماله - جهاداً حقاً ، ويكون هو المعنى
بوجه الله على أكمل ما يتعلق أمله ...

ويزيدنا طمئناناً إلى ما فهمنا : أن الله
تعالى يختم هذه الآية كلها بتأكيد وعده ،
ويجمل ثنائه فيقول : « وبشر المؤمنين » .
فإذا بقي من تأكيد وعده الله أكثر
من ذلك .

وماذا بقي من ترغيب في هطاء الله فوق
ما حفلت به آية البيع المربح كما قال الأعرابي ؟
وبعد :

فقد تبين لنا أن سبيل الله في هذه الآية

السواء ولكننا نحطاط ، ولا تنفق الصدقات الواجبة إلا في مصارفها المذكورة ونعتبر من بين المصارف خصوص القتال للكفار . وقد أثر عن الصحابة كثير من العبارات يريدون فيها التعميم في معنى سبيل الله ...

ومن ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه حينما لدغته العقرب في الغار يوم الهجرة - وكان يتحسس بيده على أرض الغار وقاية للرسول من الحشرات - كان يحمد الله على أنها لدغته هو ، ولم تلدغ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول راجزا في خطاب لإصبه .

ما أنت إلا لإصبع دمي
وفي سبيل الله ما لقيت

يريد أبو بكر أنها تضحية هينة في سبيل وقاية النبي من أذى الحشرات .

وهذا تعميم تقسع له اللغة ، والشريعة .
فليسكن عملنا للخير كله على أنه جهاد وبذل
وبناء للعالم المحمد في سبيل الله بمعناها
الواسع ؟

عبد اللطيف العسكري

القصد أن المهاجر من بلد المعصية إلى بلاد متدينة والمهاجر في تحصيل العلم ، والمهاجر في طلب الرزق ، وفي نشر الثقافة النافعة ، أو بذل النفع لقوم آخرين : كل أولئك مجاهدون في سبيل الله .

وإذا ذكر القرآن من مخازي الأحبار ، والرهبان أنهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ؛ فالقصد أنهم يمنعون الناس من إتفاق مالم في وجوه الخير عامة : لا خصوص القتال .

وإذا أنكر القرآن على الناس أن يكتنزوا الذهب والفضة ولا ينفقوها في سبيل الله كان القصد أنهم يبخلون بمالم من الزكاة ، وعن وجوه الخير عامة ؛ لا خصوص القتال .
وإذا أمرنا الله أن تنفق من أموالنا في سبيل الله كان ذلك توجيها إلى كل ناحية من نواحي البر بالنفس ، وبالأهل ، وبالوطن وبكل ما يجلب نفعا أو يدفع ضررا .

وهذا هو سبيل الله - في غير باب الصدقات الواجبة - على لسان الشريعة .

بل ذهب أكثر الفقهاء إلى أن سبيل الله في باب الصدقات تشمل القتال وغيره على

من أجل ما قيل في وصف السخاء قول زهير بن أبي سلمى :

تراه إذا ما جنته مهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١١ - استغلال المال الحرام

ذكرنا في المقال السابق الطرق المشروعة لاستغلال المال الحلال ، ورأينا من خلالها أنها كلها أو جلها يبدو فيها التعاون والتضامن بين العمل ورأس المال ، كما يلاحظ في القراض والمزارعة والمساقاة وشركات الأسهم ، وما إليها من المشروعات الاقتصادية النافعة ، غير أنه يجب أن نذكر أن المال الذي يحق له ولصاحبه أن يسهم في هذه المشروعات هو المال الحلال ، وهو الذي ينشأ من أصل صحيح وبوسائل صحيحة يعترف بها الإسلام ويقرها أساساً للتملك ، وهذه الوسائل في مجملها ترجع إلى العمل ، فإنه السبب المباشر وغير المباشر في الحصول على المال ، وعلى هذا يكون المال في الأعم الأغلب حملاً أو قيمة عمل يشترك مع عمل آخر في الإنتاج ويتقاسمان الربح والخسارة بالنسبة التي ينعقد عليها الاتفاق ويتم بها التراضي بين صاحب العمل وصاحب رأس المال .. ومن ثم كان الربا حراماً لأنه يهيئ لصاحب المال قدراً من الربح المضنون

المأمون يزيد به وخواؤه وثرأؤه . ولا يحمله قدراً من الخسارة إذا أصيب المشروع بخسارة ، فإذا كان القرض بفائدة للاستهلاك لا للإنتاج كان الإثم أعظم ، لأن فيه - مع ذلك - استغلال الحاجة وانتهاز فرص الضائقات المالية التي تلم بالمعسرين لزيادة يسر الموسرين وعسر المعسرين ، وتلك وحشية لا تقرها إنسانية ، ولا تتفق مع ما يجب على الإنسان نحو أخيه الإنسان ، فإن عليه أن ينفس عنه كرباً إذا نزل به كرب ، وأن يكون عليه خطابه إذا حل به خطب وأن يكون في عون ليكون الله في عونه ، كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .

١ - فالربا طريق من طرق استغلال

وكل ذلك وما لايه بعض ما يفهم من قوله تعالى :
وما آتيتكم من ربا ليربوا في أموال الناس
فلا يربوا عند الله ، وما آتيتكم من زكاة تريدون
وجه الله فأولئك هم المضعفون ، وقوله سبحانه :
« يمحى الله الربا ويربى الصدقات » ،

٢ - والرشوة كذلك من طرق الاستغلال
الحرام ؛ لأنها طريق إلى أكل أموال الناس
أو المجتمع بالباطل ، ثم هي السبيل إلى شراء
الذم . وفساد الضمائر وشيوع الفساد .
وخراب الأخلاق .

وليس بعامر بزيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خرابا
وكل من الراشئ والمرتشئ آثم ظالم .
كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم :
(لعن الله لراشئ والمرتشئ) فلأنهما قد اشتركا
في الجرم والظلم ، وقد قيل في تفسير قوله تعالى
« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها »
إلى الأحكام لتأكلوا فريقتا من أموال الناس
بالإثم وأنتم تعلمون ، لا يأكل بعضكم
مال بعض بالوجه الذي لم يبيحه الله ولم يشرعه
كالسرقة ، والغصب ، والغش ولا تلقوا
أمرها والحكم فيها إلى الأحكام لتأكلوا
هن طريق التحاكم إليهم بعض أموال الناس
بما يستوجب الإثم كشهادة الزور وكاليمين
الكاذبة وكالصلح أمامهم مع العلم بما ينطوي
عليه من ظلم ، وفسر كذلك قوله تعالى :

المال الحرام ، وهو - قليله وكثيره - مما نهى
الله عنه وحذر منه ، وقد توعد الذين
يصرون عليه بحرب لا قبل لهم باحتياها ،
فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين .
فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله
وإن تبتم فلنكم رس أموالكم لا تطلبون
ولا تظلمون . وإن كان ذر عسرة فغفرة
إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم
تعلمون ، وقد بلغ اهتمام الإسلام بمحاربة
هذا الاستغلال الحرام إلى حد لعنة
كل من يشارك فيه حتى الغارم المحتاج إليه ،
وحتى كاتبه وشاهده فقال صلى الله عليه وسلم :
(لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه)
وطبيعي أن يكون هذا موقف الإسلام
من الربا ، لأن هذا النوع من الكسب الحرام
يتجافى مع ما يدعو إليه من اشتراكية عادلة
فاضلة تقوم على الزكاة ، وتجعل للفقر حقا
معلوما في أموال الأغنياء ، فالربا زيادة يدفعها
الفقير المعسر للغنى الموسر ، والزكاة زيادة
يدفعها الغنى الموسر للفقير المعسر ، والفرق
بينهما هو الفرق بين الرذيلة والفضيلة .
والشر والخير ، بل هو الفرق بين مجتمع
فاضل متكافل ومجتمع منحل مختل فإن الربا
من العوامل التي تقسم المجتمع إلى طبقات
يستغل بعضها بعضا ويستذل بعضها بعضا

سعرها بما يدخل في مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من احتكر فهو خاطيء) وقوله عليه السلام : (يحشر الخاكرون وقتلة الأنفس في درجة واحدة ، ومن دخل في شيء من سعر المسلمين يغلبه عليهم كان حقا على الله تعالى أن يعذبهم في النار) .

٤ — أما الغش في المعاملة فهو أسوأ أنواع الاستغلال ، والمستغل عن طريق الغش يدخل في عهد اللصوص وفاقدى الشعور والضمير ، بل هو عن برى منهم النبي صلى الله عليه وسلم كما يفهم من قوله : (من غش فليس منا) والغش كما يكون من البائع في السلعة يكون من المشتري في الثمن ، فإن صدقا وبيننا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما ، كما يقول عليه الصلاة والسلام .

ويدخل في معنى الغش أو يلحق به النجش وهو أن يتظاهر لإنسان بالرغبة في شراء السلعة المعروضة للبيع . وبعرض لها ثمنا أكثر من قيمتها ليغري آخر بشرائها ودفع ثمن أكثر أو أكبر من ثمنها الطبيعي العادل ، وقول صلى الله عليه وسلم : (لا تاجشوا) فالكسب من هذا الطريق حرام يدخل في معنى أكل أموال الناس بالباطل ، وقد احتكم خصمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما قبل أن يحكم بينهما : (إنما أنا بشر ،

وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، على معنى لا تلقوا بأموالكم إلى حكام السوء لرشوتهم وشراء ذممهم وضمايرهم لتصلوا عن طريق ذلك إلى أكل أموال الناس بالإثم .

٣ — ومن طريق الاستغلال الحرام الاحتكار ، وقد أجملنا الحديث عنه في المقال السابق ، وقلنا إن على الدولة أو ولي الأمر أن يتدخل لمنع الاحتكار والتلاعب بالأسعار تطبيقا لمبدأ لا ضرر ولا ضرار . وتحقيقا لمصلحة المجموع التي تقدم على مصلحة الأفراد ، وسواء كان الاحتكار من أفراد أو شركات فإن على الدولة أن تضع يدها على المواد المحتكرة لتخرجها إلى الناس بسعرها المناسب أو تتولى الإشراف على إنتاجها أو استيرادها لتيسر للناس ما تعسر عليهم في ظل الاحتكار الآثم الظالم ، ولا عبرة بما قيل أو يقال في المواد التي يحرم احتكارها هل هي الأطعمة دون غيرها أو هي الأطعمة وغيرها من السلع الضرورية اللازمة كالأدوية والأكسية ، فإن باب المصالح المرسلة واسع يفسح لولي الأمر أن يتدخل لمنع الضرر أيا كان شأنه ولونه وتحقيق المصلحة متى تحقق أنها مصلحة عامة ، صحيح أنه يجوز احتكار ما لا يضر الناس كأدوات الزينة وما إليها ولا يمكن احتكار الضروريات وكل ما يحتاج إليه الناس ليرتفع

إنهم كما يقول الله : إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .

هـ - والتجارة في الحرام من سوء استغلال المال كالتيجارة في الخمر . والخنازير . والمخدرات وكل ما حرمه الله - لقد أحل الله لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث - فمفسر الطيب بالحلال والخبث بالحرام - وبذلك يكون كل كسب حرام خبيثا . وكل كسب حلال طيبا ، وصدق الله إذ يقول : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .

وصدق الشاعر الحكيم إذ يقول :

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث

عبد الرحيم فوده

وأنتم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم لبعض بالحجة من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإن ما ألقى له قطعة من نار . فبكيا . وقال كل واحد منهما حتى لصاحبه . فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اذهبا فتوخعيا . ثم استهما . ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه) وقد أنكر الله على الذين يكتزون الذهب والفضة أنهم لا ينفقونها في سبيل الله ، وأخبر أنهم سيعذبون بسبب ذلك عذابا أليما : « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، ويقال لهم : « هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكمنون ، فكيف بمن يحتالون على أكل أموال الناس ؟

والمال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وغير أملا . .

قرآن كريم

« ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغنى عنه ويذم ،
زهير بن أبي سلى

إلى أى مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟ للأستاذ بدر عبد الباسط

ولبيان هذه الحدود والمعالم لابد أن
تقسم الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام
إلى أحكام عقائدية وأخرى عملية .

فأما الأحكام العقائدية فليست محلا للتطور
والتغير ؟ كما أنها ليست محلا لاختلاف
الآراء ؛ وإذا كان في علم الكلام - وهو الذي
يبحث عن العقائد - مسائل خلافية فليست من
صلب العقيدة ؛ ولا يكفر فيها من أخذ بأى
رأى متى كان لوجه نظره حجة يعتمد عليها
مهما يكن ولو كانت ضعيفة ؛ ولكن يخطأ
رأيه بالحجة والبرهان .

وأما الأحكام العملية سواء كانت راجعة
إلى العبادات أو المعاملات أو العادات
فليست كلها قابلة للتطور والتغير بتغير
الأزمان والأحوال كما أنها ليست كلها ثابتة
على مر الدهور ؛ ولابد من النظر إلى الدليل
الذي استنبطت منه ؛ فالأحكام التي اعتمدت
على دليل قطعي في ثبوته كالقرآن والأحاديث
المتواترة والإجماع الذي توفرت شروطه
ونقل إلينا تواترا ، وقطعى في دلالاته على
معناه بمعنى أن النص لا يحتمل إلا هذا المعنى

بما لا شك فيه أن بعض الأحكام الشرعية
تغيرت بتغير الأزمان والأحوال ؛ وذلك
واضح في الأحكام المبنية على العرف ، فإنها
تختلف باختلاف العرف في كل زمان ومكان ،
والمطلوب هو بيان الحدود التي ينبغى أن
تراعى عند الفتيا أو عند وضع تشريع يلزم
الامة العمل به أو عند القضاء بين المتخاصمين
حتى لا تكون الأحكام الشرعية تابعة
للأهواء والنزوات .

وقبل الدخول في صميم الموضوع ينبغى أن
نعلم أن الأهواء مختلفة ومقاييس العقول
متباينة ؛ وليست هناك معايير ثابتة للحسن
والقبح المرجعين للثواب والعقاب فلا بد إذن
من مشرع منزه عن الأهواء والأغراض التي
تحسن القبيح وتقبح الحسن ؛ وليس ذلك
المشرع إلا الله سبحانه - ولو تركنا أمر تغيير
الأحكام لعوامل الزمن من غير أن تكون
هناك حدود ومعالم ينتهى إليها المفتون
والقضاء والواضعون للتشريعات لكان الدين
تبعاً للهوى يتلاعب به المغرضون ولزالت
من النفوس قداسة التشريع الإلهي .

وكل ما يمكن أن يرد من هذه الأحكام إلى سنة التطور هو الأخذ ببعض الآراء التي قد تكون ضعيفة من حيث الدليل ولكن فيها تيسيراً على الناس أو أقرب إلى ما انفوه ، على ألا يكون رأياً ساقطاً لا اعتبار له في نظر الشرع ؛ أو أن يكون في الأخذ به إبطال لقاعدة شرعية مقررة ، وقد اتجه التشريع أخيراً إلى الأخذ بهذا المبدأ في كثير من الأحكام . وعدم التقيد بآراء الأئمة الأربعة الذين التزم أكثر المسلمين منذ أعصار طويلة التقيد بآرائهم ، وذلك كعدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد وعدم وقوع الطلاق المعلق الذي أجرى مجرى اليقين ، كما ترك المذهب الحنفي الذي كان ملتزماً بالعمل به في القضاء أمداً طويلاً في مسائل كثيرة كما تطابق للإسار والتطليق للإضرار إلى غير ذلك .

هذا ومن النصوص التي قد تخضع لقانون التطور تلك النصوص التي تدل على أحكام معللة بعلة منصوصة وجاء زمن لم توجد فيه هذه العلة فإن هذا الحكم لا يطبق في ذلك الزمن حتى توجد العلة وذلك كآية مصارف الزكاة وهي قوله تعالى : « إنما الصدقات للمعقرات والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل » .

الواحد ؛ الأحكام التي اعتمدت على هذا الدليل أحكام ثابتة لا تقبل التغيير ولا التبديل . هما تعاقبات الأزمان وتغيرت الأحوال كقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » ، وكقوله جل شأنه : « وأحل الله البيع وحرم الربا » ، فهذه الآية قاطعة في حل البيع وحرم الربا ؛ ولكن ما هي البيوع التي أحلها الله وما هو الربا الذي حرمه الله فهذا يحل تكفلت السنة ببيانها بما أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم من حق البيان ، ومثل ذلك ما أجمع عليه علماء الإسلام من أحكام كحرمة زواج المسلمة بغير المسلم وإن كان كتابياً وكتوريث الجد والجدة عند عدم الأب والأم إلى كثير من الأحكام التي أجمع عليها ونقل إلينا هذا الإجماع نقلاً متواتراً .

وأما الأحكام التي استمدت من أدلة ظنية سواء في ثبوتها كالأحاديث التي رويت آحاداً وكالقياس فإنه ظني في حجته ، أو كانت ظنية في دلالتها كبعض آيات الأحكام ؛ فإن هذه الأحكام هي محل اختلاف أنظار العلماء منذ الصدر الأول إلى اليوم ؛ ولا حرج على مسلم أن يأخذ بأي رأى من الآراء ولكنه لا أسى هذا الاختلاف تطورا أو تغييراً لاختلاف الزمن واختلاف الأحوال ولكنه اختلاف ناشئ من تفاوت الأنهام والأنظار ؛

ظروف يبتهم ومتطلبات زمانهم تلك النصوص التي وودت عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه بوصفه إماماً لهذه الأمة وحاكماً يرعى مصالحها ولم ترد عنه بوصفه رسولاً ومبائناً عن ربه وذلك كمنظمة الجيوش واختيار الولاة واستقبال الوفود وهدم المعاهدات وتوزيع الجوائز على من أدى للدولة خدمة وإنشاء الوظائف التي تحتاج إليها الدولة ؛ فبذلك الأحكام قابلة للتطور بما يتفق مع صالح الأمة في كل عصر ومكان ؛ على أنه ينبغي الاحتياط كل الاحتياط في التفرقة بين ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه رسولاً وما ورد عنه بوصف آخر غير الرسالة والتبليغ والقرائن والملايسات هي الفصيل بين هذين النوعين من الأخبار والآثار ؛ وشأن بين أن ينهى الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن أمر مما تقع فيه العامة ؛ وبين أن يضع خطة حربية أو يقابل وفداً على هيئة خاصة أو يعقد مع قوم عهداً خاصاً .

وأما الأحكام التي مردها إلى القياس فهي - كذلك - مجال اختلاف العلماء على مدى العصور ؛ بل منهم من منع القياس ورده ، وأياً ما كان ، فالذي أدين الله عليه أن القياس - متى تحققت شروطه - باب واسع من أبواب معرفة الأحكام الشرعية ؛ ولا أسى اختلاف

فإن هذه الآية علفت إعطاء الصدقات على وصف فقر والمسكنة والعمل على جمع الزكاة وتأليف القلوب وفك الرقاب والغرم إلخ ، فإذا وجد وقت لم توجد فيه بعض هذه العلل لا يطابق هذا النص في هذا الزمن ؛ إذ المقرر عند الأصوليين أن الحكم المتعلق بمشتق يؤخذ بعلمية ما منه الاشتقاق ، وهو المصدر ؛ وقد سبق عمر رضي الله عنه إلى تطبيق هذا الأصل حينما منع أولفة قلوبهم من أخذ شيء من أموال الصدقات ؛ فإنه رضي الله عنه لم يعطل هذا النص برأيه وهواه بل طبقه أحسن تطبيق ، فإن علة التأليف لم تكن موجودة يومئذ ، فإن الدولة التي كانت تضرب كسرى وقيصر - وهما يومئذ سيدا عصرهما - لم تكن في حاجة إلى تأليف أمثال الزرقان بن بدر والأقرع بن حابس وأضرابهما ؛ وليس هذا تعطيلاً للنص بالاجتهاد ولكنه تطبيق للنص بمفهومه ودلالته ؛ ومثل هذا يقال في زماننا بعدم دفع الزكاة إلى العاملين عليها ولا في فك الرقاب لعدم وجود هذين المصرفين ؛ ولو عادت الحاجة إلى التأليف أو وجد العاملون على الصدقات أو وجدت الرقاب لعاد استحقاقهم في الصدقات .

ومن النصوص التي تخضع لسنة التطور ولا حرج على المسلمين أن يراعوا فيها

تصرف في خالص الملك وأنه لا ضرر يذكر يعود على الغير ومنعوا بعض التصرفات بحجة أنها ضارة بالغير، فمثل هذه الأحكام قابلة للنظر وينبغي أن تخضع لأموس التطور فسا غلب خيره على شره فهو جائز وما غلب شره على خيره فهو محظور؛ والذي يقدر هذا قوم ذوو خبرة وأمانة يطمئن إليهم ولي الأمر؛ وهو مسئول أمام الله عن اختيارهم وهم مسئولون أمام الله عن حسن نصيحتهم الأمة؛ فإن ظهر عليهم أو على بعضهم انحراف أو تحكيم الهوى فعلى ولي الأمر أن يعزلهم ويستبدل بهم قوما غيهم ثم لا يكونوا أمثالهم.

وأوسع الأحكام الشرعية قبولا لسنة التطور هي الأحكام المبنية على العرف أو المصالح المرسلة؛ وتفصيل ذلك يحتاج إلى مقال آخر؛ والله نسأل أن يكون هوأنا نبعا لديننا وألا يكون دينا تبعا له وأنا والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

برر المتعالي عبد البايط

الاستاذ المساعد لفقهاء المقارن

بكلية الشريعة

العلماء فيه تطورا في التشريع بالمعنى الذي يتبادر إلى الأذهان؛ ولكنني أسميه اختلاف نظر في معرفة علة الحكم؛ ويسع كل مسلم أن يأخذ من هذه الأحكام ما يتفق وظروفه ومتطلبات حياته.

ومما يمكن رده إلى القياس وهو قابل للتطور تطبيق بعض الحوادث والنوازل على قواعد شرعية ثم يتبين أن هذا التطبيق خطأ في عصر دون عصر وذلك كقواعد لا ضرر ولا ضرار فإن الفقهاء الأقدمين طبقوها على مسائل كثيرة فأفتوا بحرمها أو كراهيتها، ثم قامت الشواهد على أنه لا ضرر يعتد به أولا ضرر أصلا فينبغي أن لا يقال بالحظر أو الكراهية وذلك كراى بعض الفقهاء في التوضؤ أو الاغتسال بالماء المشمس وقد ثبت الآن أن الطاقة الشمسية يمكن أن تستغل في غلى الماء أو طهى الطعام من غير أن يكون هناك ضرر على الصحة وكراى بعض الفقهاء في تصرف الملاك في ملكهم وما قد يصيب الغير من أضرار فأجازوا بعض التصرفات بحجة أنه

« من وصية عبد الله بن الحسن لابنه »

كف الأذى، وارضض البذا، واستغن عن الكلام بطول الفكر، في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام.

رسالة الأصول للإمام الشافعى

للأستاذ الفاضل بن عاشور

د تمة البحث ،

لما لموافقة الكتاب أو السنة أو الإجماع وإما لكوننا نرجح ما بنى عليه قول الصحابي من القياس جاعلا مسنده فى ذلك أطراد وجود يخالف من أقوال الصحابة لكل ما أخذ به الفقهاء من قول واحد منهم . فالحجية حينئذ فى عضده ورجحه لا فى ذاته . وفى الرد على حجية عمل أهل المدينة يسلك الشافعى مسلك إلزام محاوره بأن مالكا يريد أن يجعل عمل أهل المدينة آيلا إلى الإجماع مع أنه لا إجماع فى ما يحكيه فى ذلك بقوله : الأمر ههنا ، والأمر المجتمع عليه ههنا ، لأن فى كل ذلك مخالفتين حتى من فقهاء المدينة . وهو يعبر عن مالك فى هذا الحوار بقوله « صاحبنا » وهو حين يطرد فى مخالفته الأئمة فى تلك الأدلة يعود به محاوره إلى الاختلاف هل يجوز بين الفقهاء ؟ فيجيب بأنه جائز فى غير المنصوص البين وهو يرد أمثالا كثيرة من الاختلاف القديم ، فى عصر الصحابة وعصر التابعين

بدأ محاور الإمام الشافعى يستكشفه عن الأصول المختلف فيها بين الشافعى ، وبين غيره من أئمة المذاهب الفقهية ، فبحث عن ثلاثة من الأصول المختلف فيها هى : الاستحسان ، وعمل أهل المدينة ، وقول الصحابي . أما الاستحسان وقول الصحابي ، فهما من أدلة المذهب الحنفى ، وأما عمل أهل المدينة ، فهو من أدلة المذهب المالكي . وقد أفصح الشافعى بأنه لا يرى حجية واحد من هذه الثلاثة ، وأنه إذا كان يرى الاجتهاد ، ويرى حجية القياس ، فإنه إنما يحصر ذلك فى الرجوع إلى أصل مسموع يحتج به المجتهد فى القياس عليه ، بالشروط المقررة لذلك . وأخذ يورد مثالا من الأفيصة ليرى أن ما تأق للمجتهد فيها من الرجوع إلى أصل يقيس عليه ، لم يأت له فى الاستحسان : قياساً على غير أصل . ويرد الشافعى على حجية قول الصحابي بأن حجيته ليست فى ذاته وإنما نأخذ به

بين أيدينا ، من الرسالة ، إنما هو تصنيفها المصري ، لأن المرجع فيها إلى أصلين خطيين أحدهما أهم بكثير من الآخر . فأحد هذين الأصلين هو أصل الربيع بن سليمان . من القرن الثالث ، وثانيهما نسخة حديثة نسبيا ، من القرن التاسع ، ترجع إلى الأصل الأول أصل الربيع بن سليمان ، وأصل آخر مما روى عن الشافعي ، بمصر أيضا ، هو أصل حرمله بن يحيى التجيبي ، من أصحاب الشافعي في القرن الثالث .

أما أصل الرسالة التي وجهها الشافعي إلى بغداد ، وتلقاها عبد الرحمن بن مهدي فلم يصل إلينا ، ومن هنا يتجهدنا طريق البحث عن سر الاختلاف في الأسلوب ، الذي وجدنا عليه نص الرسالة الذي بين أيدينا . فإذا كان الشافعي قد أعاد تصنيف الرسالة في مصر . حيث تلقاها عنه صاحبه الربيع ابن سليمان ، وغيره ، فإن معنى ذلك أنه بعد أن كان أصدر رسالة إلى عبد الرحمن بن مهدي جاء مصر وقد تكون عنده مدارك وأنظار جديدة فيما يرجع إلى ما اشتملت الرسالة عليه ، فأقبل عليه أصحابه بمصر ، يجعلون الرسالة ، السابق صدورها عن إمامهم ، مطلبا هليا ، يحيطونه بالبحوث والأسئلة والاستكشافات فجاء بذلك ما عبر عنه بالتصنيف الجديد ، المصري ، الرسالة ، فهو إعادة لما كان كتب

ومناشئته من الأمور النظرية ، وبفتى إلى أن تعدد الأصول واختلافها من طبيعته أن يحدث اختلاف الأقوال في الأحكام .

إن ما سبق عرضه وتعليقه ، من رسالة الإمام الشافعي ، في أصل الفقه ، ليوضح أن أسلوب هذه الرسالة قد اختلف : بين بيان مبتدأ منسق ، في غير حوار ولا جمدال ، وبين نقاش مبني على البحث والاستكشاف دثر على السؤال والجواب بقصد الاحتجاج للأنظار ، والبرهان على المذهب ، وفي ذلك الأسلوب المختلف ، ما يوضح ظروف تحرير تلك الرسالة وتأليفها ، وما دخل عليها ، في تحريرها وتأليفها : من أطوار .

فلقد كانت الرسالة ، على حسب ما كنا رجحناه ، محررة في مكة ، في سنة ١٩٧ لما عاد الشافعي إلى مكة قبل سفره إلى مصر ، وكانت موجهاً إلى عبد الرحمن بن مهدي في العراق ، جواباً لطلبه .

ولكن كثيرا من الذين ترجعوا حياة الإمام الشافعي . وأثبتوا ذكر كتبه يعدون هذه الرسالة رسالتين : الرسالة القديمة والرسالة الجديدة ، وقد ذكر الإمام غفر الدين الرازي : في كتاب مناقب الشافعي : د أن الشافعي ، رضى الله عنه ، صنف كتاب الرسالة قبل استقراره بمصر ، ثم أعاد تصنيفه في مصر ، والذي وصل إلينا ، وهو اليوم

مصر ، ولما أعاد الشافعي ذلك الكتاب ، استتبع لإبراده إياه ، استحضار ما سيع أو توقع أو جاش في نفسه ، من أرجح توقف موارد على ما تضمنته رسالته ، فطفق يبحث ذلك ويرده من قوله : « فان قال قائل ، وبفتح باب البحث في رسالته ، والتعليق عليها ، انفتح باب البحث لأصحابه ، بما أثار من مباحث جديدة ، ومواضيع لم تطرق في الرسالة من قبل هي المتعلقة بمحل الاختلاف بين الشافعي والمذاهب الأخرى ، مما جاء تحت عنوان « العلل في الأحاديث ، والعناوين التي نلتها مثل « خبر الواحد ، و « الاستحسان ، و « أقاويل الصحابة ، ، وذلك من مجموع سابقه ولا-قه ، هو الذي تلقاه الربيع ابن سليمان ، وغيره من أصحاب الشافعي المصريين ، وكتبوه عنه ، شاملا لما كان كتبه ، في الرسالة الأولى إلى عبد الرحمن ابن مهدي ، وما تفرع عن ذلك وتبعه : من نظر وبحث ، ويزيد هذا التقدير رجحانا ، أن الأبواب التي ذكر الخطيب : في تاريخ بغداد ، اشتغال رسالة الشافعي إلى عبد الرحمن ابن مهدي عليها ، هي الأبواب التي اشتمل عليها المقدار الذي فرضنا ذلك فيه . من نص الرسالة الذي بين أيدينا : وهي أبواب معاني القرآن ، وقبول الأخبار فيه ، وحجة الإجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ .

الشافعي إلى عبد الرحمن بن مهدي : إما باملأته من ذكره ، حكاية المعاني لا للألفاظ ، وإما بإيراد نصه عن أصل مكتوب ، وذلك هو الجزء الأول من الرسالة التي عندنا الآن أعنى الجزء المسترسل المتناسك ، الذي يسير فيه البيان متسلسلا منتحما ، موحد الموضوع وإن تعددت العناصر ، وأن كان فقيدنا العزيز ، الأستاذ المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر . يرجح أن تقرير الرسالة في مصر ، إنما كان إملأ عن ذكر ، لا استحضارا للكتاب ، ويستدل على ذلك بما ورد في أنفائها ، عند سرد أحاديث وإسنادها من الاعتذار بأن بعض كتبه غائب عنه . فإننا لا نرى وجهها للرجيح الذي أخذ به الشيخ شاكر ، رحمه الله ، ولا نرى في ما استدلل به ما يثبت مدطاه في الترجيح ، لأن الكتب التي اعتذر الشافعي بغيابها عنه ، لا يتعين كونها كتاب الرسالة . بل يرجح أنها كتبه الأولى : التي هي دواوين الأحاديث التي سمعها بدليل أنه لا يورد ذلك الاعتذار إلا في مقام الرواية والإسناد .

وكيفما كان الأمر ، فإن أصحاب الشافعي الجدد الآخرين ، وهم أصحابه بمصر ، وأولهم الربيع بن سليمان المرادى . قد تلقوا عن الشافعي ما كان كتب به الشافعي إلى عبد الرحمن بن مهدي من مكة ، قبل مقدمه

وقد خرجت هذه الفسخة من مصر إلى الشام وأقامت في الشام قروناً ثم رجعت إلى مصر في القرن الماضي ، وهي الآن درة في تاج دار الكتب المصرية . وتقع هذه الفسخة في ثلاثة أجزاء ينتهي ثالثها بإجازة الربيع بن سليمان بخطه ولذلك قلنا إن النسخة الأخرى وهي نسخة ابن جهاة ، لا تذكر إلى جنب هذه حتى تعاد لها ، وإن كانت ذات قيمة بما عليها من إسماعات ومقالات ومخطوط وإجازات الأعلام الذين تعاقبوا عليها . وقد طبعت الرسالة بمصر ثلاث مرات سابقة طبعت هادية ، ثم أعيد طبعها رابعة منذ خمسة وعشرين سنة بشرح وتحقيق العلامة الشيخ أحمد شاكر طيب الله ذكراه . فجاءت بحسن تحقيقه وإتقان تعليقه ، واعتماده مباشرة على أصل الأصول ، وهي نسخة الربيع . آية يصدق فيها قول المثل : أتى الوادى فعلم على القرى .

محمد الفاضل بن عاشور

فيكون الجزء الأول من الرسالة ، وهو الذى ليس فيه بحث ولا سؤال ، رسالة عبد الرحمن بن مهدي ، والذى تلاه هو ما خلق بها في مصر من بحث وتوسع ، وكذلك جاءت تجزئة الكتاب في نسخته العتيقة ، التي هي أم الأصلين المشار إليهما آنفاً ، وهي نسخة الربيع بن سليمان . فإن من أئمن الذخائر ، في تراثنا العربى الإسلامى ومن أم الأصول الخطية وأنفسها بلا نزاع : ذلك المخطوط الذى كتب في منتصف القرن الثالث ، من رسالة الإمام الشافعى ، بمصر برواية الربيع بن سليمان المرادى عن الشافعى ، وسواء أصبح أن النسخة بخط الربيع نفسه كما يذهب إليه الشيخ أحمد شاكر أو لم يثبت ذلك ، فإن على النسخة سطرين بخط الربيع ، في الإجازة بفسخها بتاريخ سنة ٢٦٥ وبذلك يظهر ما لهذه النسخة من القيمة العديمة النظير . بل لعلها تكون أقدم مخطوط لكتاب كامل باللغة العربية اليوم .

قال تعالى : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزنا إلىكم نوراً مبيناً . فآمنوا بالذي آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً » .

(النساء ١٧٤ ، ١٧٥)

الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ أحمد محمد الغمراوي

طعونهم في الدين ، من أمثال (جلد تسيهر)
(مرجليوث) و (ماسينيون) ، بعد
أن كانت عقاربهم محبوسة في لغاتهم الأصلية
لا تدب ولا تصل إلى جمهرة الشباب الذي
ليس له من القرية الإسلامية والتبصير بالدين
وقاية تحميه .

أما غير المسلمين من غير العرب فلن تغنى
الناحية البيانية من إعجاز القرآن شيئاً
في إقناعهم بأنه كتاب الله الذي عليهم قبوله
والإيمان به لينجوا من عذاب الله ، وليدخلوا
في رحمته . وناحية الإعجاز التشريعي
أو الفصاني أو التاريخي لم تلق بعد من الاهتمام
ما يجليها ويظهرها بحيث تصبح منها حجة لله
على الناس . ولو جليت وظهرت فإن الإقناع
بها أصعب وأعسر من الإقناع بالناحية
العلمية من إعجاز القرآن إذا جليت وأظهرت
في عصر العلم هذا بما يفنى لها من الحيلة
والدقة في البحث والاستدلال

والحيلة والدقة لازمان في كل بحث ،
لكنهما في البحوث القرآنية الزم وأوجب .

إعجاز القرآن متعدد النواحي والجوانب .
لكن أهم نواحيه في عصرنا هذا لمن يريد
أن يدهو به إلى دين الله هي الناحية العلمية .

أما الناحية البيانية فقد حملت عملها وحقت
الغرض منها بإسلام العرب أهل الفصاحة
والبيان الذين أنزل فيهم القرآن . فلما زالوا
لم يقدروا هذه الناحية قدرها إلا أهل البصر
بالغة والبصيرة في الدين ، حتى إذا قل هؤلاء
بتداول الزمن وضعف الدين في نفوس أهله
ابتلى المسلمون بمن اغتر بفصاحة ابتلاه الله
بها فأنكر حتى الثابت الواضح من الإعجاز
البياني ، مثل إبراهيم النظام في التقديم الذي
ابتدع النول بالصرفة ، وبعض أهل الأدب
في الحديث الذين توفاهم الله إلى حسابه ،
فأصبحت الناحية البيانية من إعجاز القرآن
محل نظر حتى بين المشتغلين بالأدب من شباب
المسلمين ، فكيف بغيرهم من مثقفي الشباب
الإسلامي الذين ابتلوا في هذا العصر بدعوة
الإلحاد تدعوهم إليه الشيوعية ، وبالشبهات
ينقلها إليهم من ترجم عن خبثاء المفسرين

من عند الله فهما أيضا سواء في وجوب الحسيطة والدقة في تفهيمهما ، والبحث عن أسرارهما . وليس وراء دقة الطريقة العلمية وحيطتها علمائها في دراسة الفطرة ، وراء . ومن حيطتهم أنهم لا يقبلون فرضا ولا حدسا لا يمكن اختباره عن طريق التجربة العلمية واختبار الفروض والآراء عن هذا الطريق إن هو إلا احتكام إلى الفطرة وسنن الله فيها لينظر هل يتفق الفرض والرأى معها أم يخالفها .

والفرض يفند ويرفض من باب أولى إذا ظهر من الأول أنه يناقض حقيقة ثابتة أو قانونا عاما في علم من العلوم المتعددة في ميدان العلم الحديث . فن الثابت مثلا استحالة توليد حركة دائمة بأى اختراع يخترعه الإنسان . فلو تقدم باحث يبحث يزعم أنه توصل إلى طريقة لتوليد تلك الحركة لحكم ببطان البحث من عنوانه ، ولرفض من غير نظر فيه ، فهل هناك ياترى طريق لمثل هذه الحبيطة في دراسة القرآن ، كتاب الله المنزل ، لا كتناء أسرارهِ والتماس غرائبهِ وعجائبهِ التي لا تنقضى كما جاء في الأثر الصحيح ؟ .

إن أول الطريق - ولعله آخره أيضا - العمل ببيدية استحالة التناقض بين بعض آى القرآن وبعض ، أو بينها وبين اليقيني

فالقرآن كلام الله سبحانه ، خاطب الله فيه البشرية على لسان رسوله النبي الأمي . فضمير المتكلم فيه هو ضمير الجلالة ، وضمير المخاطب فيه هو ضمير الرسالة . وتجد الضميرين كليهما ماثلين في الآيات الأولى من أول سورة فيه بعد الفاتحة :

بسم الله الرحمن الرحيم . ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للبتقين . الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وما رزقناهم بنفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون .

آيات ست ذكر الله كتابه الكريم في ثلاثتها بأوصاف ثلاثة أو بالأحرى بأوصاف أربعة بالسمو والرفعة في اسم الإشارة للبعيد ، وبأنه الكتاب لا كتاب غيره ، وبأنه لا يعلق به ريبة ولا موضع فيه للشك ، وبأنه هدى لمن يتقى . ومن التقوى الإيمان بالغيب ومن الغيب ما أودع الله في كتابه في آياته الكونية من أسرار الخلق وحقايقه التي كان يجهلها الناس حين أنزل القرآن ، والتي كشف العلم الحديث عن بعضها فكان كل كشف منها معجزة علمية ودليلا لاشك فيه على أن القرآن من عند الله فاطر الفطرة وخالق الكون . وكما استوى القرآن والفطرة في أنهما

« ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً . وسؤاله سبحانه إيانا عن السمع والبصر والفؤاد يوجب علينا استعمالها جميعاً ، وإحسان استعمالها ، وتجنب إهمال ما يؤدي إليه ذلك الإحسان من نتائج . وهو نفس الطريق الذي هدى إليه أهل العلم الحديث في ميادينهم المختلفة ، فأظهر على أيديهم من أسرار الفطرة ما أظهر ، ليقبلى الإنسانية بها كيف تستعملها وليعين أهل القرآن على إظهار جانب عظيم من جواز إعجاز كتابه ، بإحسان المطابقة بين ما أنزل فيه من آيات كونية ، وبين ما يتصل بكل منها ، أو بمجموعات منها من تلك الأسرار . وليس من تلك الأسرار ما في العلم من نظريات لا تزال محل النظر والاختبار ، فهذه لا ينبغي المطابقة بينها وبين ما يتصل بها من آيات القرآن ، اللهم إلا للحكم عليها مقدماً : أصححها هي أم باطلة ، حسب ما يظهر للبحث من موافقتها القرآن أو مخالفتها إياه .

لكن البحث القرآني له أخطاره التي ينبغي توقيها . وأول تلك الأخطار الخطأ فيه ولو عن حسن نية واجتهاد . إن حسن النية يشفع للجهت عند الله فلا يؤاخذ به بخطئه في الآخرة بل يثيبه على نيته . ولو كان المجتهد يؤاخذ في الآخرة بخطئه في اجتهداء لوقف

الثابت من قضايا العلوم المكونية التي جرى العرف بتسميتها بالعلوم الطبيعية ، هذه البديهة آتية من أن التناقض مستحيل على الله فاطر الكون ومنزل القرآن . فكل فهم في القرآن أو تفسير يؤدي إلى تناقض بين آياته ، أو بينها وبين شيء من الحقائق الثابتة في العلم ، فهو فهم خاطئ ، وتفسير باطل . ومعرفة الباطل والخطأ نصف الطريق إلى معرفة الحق والصواب . وهي على أي حال قتيماً شر قبول شيء من الباطل على أنه حق ، وهو شر مستطير . لأن القضية الخاطئة التي نتقبلها على أنها صواب تفسد علينا كل الحقائق المتصلة بموضوع القضية والتي لا بد أن تتناقض أو تتخالف معها ، ثم هي تؤدي بنا حتماً إلى نتائج فاسدة في كل قياس تكون تلك القضية إحدى مقدماته . فشرها لا يقف عند إفساد ما يتصل بموضوعها من الحقائق بل يستشري فيفسد من الحقائق الأخرى ما يمكن أن يدخل معها في قياس . ثم يتفقم الشر بنفس الصورة عن طريق كل نتيجة نشأت عنها وقبلت طبعاً على أنها صواب . من أجل ذلك حذرنا الله في كتابه من اتباع الظن فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ، ومن أن نقف ما ليس لنا به علم ، وتفضل سبحانه فأرشدنا إلى الطريق الذي يمكن أن نعلم به ما نجمل ، طريق إحسان استعمال السمع والبصر والفؤاد

صواباً كما سبق التنبيه إليه . ولا بد من التماس قواعد تعين ما أمكن على الإصابة في البحوث القرآنية ، وتوقى الخطأ فيما نحن بصدد من تحقيق الناحية العلمية من إعجاز القرآن .

وأول تلك القواعد - بعد بديهية بطلان كل فهم وتفسير يؤدي إلى التناقض بين بعض الآي وبعض أو بينه وبين الثابت من الحق - هي قاعدة تحرى المنطق الصارم في الفهم والاستنباط ، بالاضبط كما يفعل العالم الطبيعي في ميدان بحثه . لكن مهمة الباحث القرآني أشق من مهمة أخيه الباحث العلمي الذي قلما يتأثر بالعاطفة في بحثه ، وإن تأثر فسترغبه التجارب العملية على النزول على حكمها مهما خالف ميله وهواه . لكن احتمال التأثر بالعاطفة عند المطابقة بين الآيات الكونية في القرآن والحقائق التي كشف عنها العلم بعد نزول القرآن أمره عظيم قد يحمل الباحث على التراخي والتساهل في النظر والاستدلال .

رغبة في إثبات التطابق التام بين العلم الحديث والقرآن . والعاصم من هذا بعد الاستعانة بالله هو التزام المنطق الصارم في الفهم والاستنباط ، أي اتباع ما أمر الله به في كتابه من مخالفة الهوى ، وتطلب البرهان .

والقرآن الكريم مادته لغوية بيانية لها خصائصها وميزاتها ولا بد في تفهم آياته وتلخيص أسرارها من مراعاة تلك الخصائص

الاجتهاد خوفاً من عذاب الله ، وانظمت عجائب القرآن في التشريع وغير التشريع مدفونة ، لا يعتبر بها أحد ولا ينتفع بها الناس . يمكن الخطأ معناه مخالفة حكم من أحكام الله أو سنة من سنته ، ولذلك عاقبته السيفة في الدنيا قبل الآخرة . فالحياة الدنيا مبنية على سنن لا تتخلف ، وأحكام الله في الدين الذي أنزل ، على نبيه الذي أوصل ، هي تطبيق بحكم لتلك السنن التي فطر الله عليها الإنسان ، وفطر عليها السكون . فخالفتها ولو عن حسن نية لا يمكن أن تؤدي إلا إلى الضرر ، سواء في ذلك السنن النفسية في الفرد والمجتمع ، أو السنن الكونية فيما حول الإنسان . وحادث تأبير النخل وحديث أنتم أعلم بأمور دنياكم ليس إخراجاً لأمور الدنيا من الدين . ولكن تشريع من الله وتبيين أن على الناس في أمور الدنيا ، من زرع وغير زرع ، العمل بسنن الله في تلك الأمور كما تدينها وتكشف عنها التجربة . ولو شاء الله لصدق ظن نبيه ولجعل النخل يشمر من غير تلقيح . فهذا أوضح مثل للإخلاص في الاجتهاد لا يدفع عاقبة الخطأ فيه .

هاتان عاقبتان للخطأ لأن توجيان بذل الوسع لتوقيه خصوصاً في البحث القرآني لما للقرآن من قداسة : سوء العاقبة عملياً ، وفساد التفكير المترتب على اعتبار الخطأ

والمميزات التي جعلها علماء اللغة والبيان فيها قاموا به من دراسات لتبين وجوه إعجازه البياني من ناحية ، ولتنفقه أحكامه التشريعية من ناحية أخرى . ومن أجل تلك الدراسات قعدت قواعد اللغة العربية من نحوية وصرفية وبيانية ، وجمعت مادتها اللغوية ، وكل ذلك على أوسع نطاق وأدقه . فلا بد من مراعاة ذلك كله عند دراسة إعجاز القرآن من الناحية العلمية .

لابد في الألفاظ القرآنية من مراعاة معناها حين أنزل القرآن ، لا معناها الذي قد تكون اكتسبته بتطور اللغة في الاستعمال .

ولا بد في الجمل القرآنية من مراعاة القواعد

التي توصل إليها أئمة النحو عن طريق الاستقراء .
ولا بد في التعابير القرآنية من مراعاة القواعد والأصول التي أصلها وقعدها أئمة البلاغة والبيان عن طريق الاستقراء أيضا .
خصوصاً تلك القاعدة الأساسية التي تقرر أن الألفاظ والتعابير لا تنقل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت قرائن كافية في نفس الكلام تدل على أن المعنى المجازي هو المراد .

هذا هو التمهيد . والله المستعان على بيان ما وراه من الإعجاز العلمي في القرآن .

محمد أحمد الفهرراوي

جاء النديون بالآيات فانصرف

وجئتكم بحكم غير منصرم

آيات كلما طال المدى جد

يزين جلال العتق والقدم

دشوقي،

نحو حضارة مؤمنة رائدة مع الفكر المؤمن للأستاذ محمد الغزالي

فالمعرفة المادية ... لا سبيل لها إلا النظر
الصائب في الكون وأسراره وقواه .

وصلة الإنسان بربه أو بأخيه الإنسان
لا سبيل لها إلا توقيف الشارح الحكيم .

ومعنى هذا أن علوم الطبيعة والكيمياء
والفلك والنبات والحيوان والطب والهندسة
وما إلى ذلك تقوم على استقصاء الحقائق من
الواقع وحده ، ولا مكان لفروض وهمية
أو أوصاف شاعرية ، أو حدود تقليدية ،
أو سلطات استبدادية .

المجال للعقل الحر الدؤوب ، يداوم النظر
ويتابع الجهد حتى يصل إلى ما ينبغي دون
ما قيد . وإلى لأقرو في غير مخرج : أنى
كنت أطلع بعض البحوث العلمية التى هديت
إليها الحضارة الحديثة ، فأشعر كأن مؤلفي
هذه البحوث ، كانوا يستحيون - سواء
شعروا أو لم يشعروا - لقوله تعالى :
« أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض
وما خلق الله من شئ » .

إنه نداء الفطرة الإنسانية على كل حال .
وقد صم عن هذا النداء من فتحوا عيونهم

فى الحضارة الحديثة جوانب لا أجد بداً
من احترامها وتزكيتها ، بل أجدنى مسوقاً
بدوافع من دبنى إلى الإعجاب بها ،
والتبلى منها .

وأبرز هذه الجوانب إدمان النظر فى الكون
والبحت من خواص الأشياء ، والتعرف
على القوانين الدقيقة التى تسير عليها الحياة ،
وانتهاج خطة بعيدة عن الحدس والتخمين
فى تقرير شتى الحقائق .

إن أى حضارة تقرب من الفطرة فى بعض
نواحيها ، أشعر باقترابها من طبيعة الإسلام
فى هذا البعض ... ولو كانت غريبة عفى .

وإن أى حضارة تنجح إلى التكلف
أو التخرص أشعر بانحرافها عن طبيعة ديني
ولو كانت قريبة منى .

وفى ترائنا المثقفى كتابات عن عالم الغيب
لم تعتمد على الوحى .

وكتابات عن عالم الشهادة لم تعتمد على
التجربة والاستقراء .

كلتا الكتبتين واهية العلاقة بخطة القرآن
فى تكوين المعرفة الصحيحة .

في إحدى الحدائق وقد علقت عيني بزهرة
لما يكل تفتحها .

كانت دقيقة من أسفلها ، مستعرضة
من أعلاها ، والغلاف الأخضر منحصر
عن أعلاها .

إنها توشك - لو بقيت على ساقها يومين -
أن تبرز بأوراقها وألوانها جميعا .

لكنني تعجلت فض الملفوف من كنها ،
لأقف مشدوها أمام ما بدا لي منها .

كانت الأصباغ زاهية كأنما وضع المصور
ريشته الآن من رسمها ، وكانت هذه الأصباغ
موزعة في نقوش تبرز جدتها ، ويستغرب
المراء من أن الألوان المتناقضة المتجاورة
لم يسح شيء منها على الآخر .

ونظرت إلى الأرض السبخة الهامدة ،
وإلى الفلاح الساذج فوقها ، وقلت : من أبع
هذه الزخارف الرائقة واستخرجها من بين
هذه الأكوام ؟ من ؟ .

وانساب إلى قلبي شعور بالجمال الإلهي
المتألق في ألوف مؤلفة من الازهار
والأثمار ترحم القارات الخمس ، والأرض
مددناها ، وألقينا فيها روائى وأنبتنا فيها
من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا ،
فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل
باسقات لها طلع نضيد ، .

دون تدبر ، أو من استعملوا ذكاهم في بحوث
ما وراء المادة ، فعادوا منها بقبض الريح ،
أو من كتبوا في المادة نفسها فشطحوا مع
الخرافات ونظروا في كل شيء إلا في الكون
وآفاقه والعناصر وخصائصها .

إن القرآن الكريم جعل مجال الطبيعة
مدارس الإيمان ، وكلما استكثر المراء من
حصيلة المعرفة الكونية وبأيقينه ، وزادت
بالله معرفته .

وإنك لتعرف الشخص الذكي بآثاره
العملية ، ولا تفكر في معرفة ذكائه بالكشف
على تلافيف مخه .

فإذا كان التعرف على قدر إنسان نبصره
لا يتم إلا بهذا الأسلوب . فكيف بالتعرف
على من (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك
الأبصار وهو اللطيف الخبير ؟) .

إن ذلك لا يتم إلا بالتأمل في آثاره ،
ومطالعة صفاته في أرجاء خلقه الواسع .

وإدراك درسا في وظائف الأعضاء ، أو في
دوران الأفلاك ، يكون أنجح في غرس الإيمان
وأدنى إلى التعريف بعظمة الله من بعض
القراءات النظرية ، أو المقدمات الجدلية .

في الأيام الماضية مرت بي لحظتان مضيئتان :
أولاهما :

في طريقه ، يقتبه اليه بين الحين والحين أولو
الآل باب ليسبحوا بحمد الله الكبير .

* * *

قد يقال : إن حضارة الغرب التفتت بالفعل
إلى السكون الكبير ، واستكشفت من
أسراره ما فات القرون الأولى .

ولكن اهتمامها بالسكون كان لارتفاقها منه
وانتفاعها به ، لفتزود منه باليقين الواجب
والإيمان المبرور . ١١

وفي هذا الكلام قدر من الصحة غير منكور
فإن عبادة الحياة هي الدين الشائع في الحضارة
الحديثة ، تستوى في ذلك أحزاب الميسرة
المجاهرة بالحادها ، وأحزاب الميمنة المخافتة به .
والغرض من البحث السكوني الذي طلبه
القرآن الانتقال من السكون إلى المسكون ومن
المخلوق إلى الخالق .

وشتان بين منهجين : أحدهما يتعرف إلى
الله في أرجاء العالم الذي أبدعه ، والآخر
يتعرف على أسرار العالم ، ويمتسب داخلها
فلا يعرف ربه . .

والحضارة الحديثة يمكن أن تدان من
هذا الجانب ، بيد أن الأمر يحتاج إلى قليل
من التفصيل ومن يدري ؟ لعل أهل الإيمان
يدانون قبل غيرهم عندما تحدد التبعات
وتنصب موازين العدالة . ١١

أما اللحظة الأخرى :
فعل شاطئ البحر الأبيض في ليسة
من ليالى العمل .

أرسلت طرفي إلى البحر الهادر ، وكنت
أسمع ثوران الموج ولا أرى مده ، والماء
في لون الجبر ، والافق معتكر في أبعاد
غير متناهية .

ولم يجر في خاطري قول العقاد الشاعر :
ولهذا الظلام خير من النور

إذا كنت لا ترى وجه حر
ذلك لأنني لم أك مهتما بأحوال البشر وقتئذ ،
فإن طنين الموج المستمر بقوى لا تهد مع
مضى الوقت جعلني أتساءل : أما لهذا الحراك
من توقف ؟ .

وكان الجواب مزيداً من الهدير القادم
من بعيد كلما تلاشى على رمال الشط حل محله
آخر ، وهكذا دواليك .

إن البحر أضعاف اليابس على ظهر
الأرض ، وهذا الخلق العجيب عالم وحده .
وغلبني الكرى قليلاً ثم عاودتني اليقظة ،
أو الأرق والموج الموار لا يزال يزار .

إن الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وكل إلى
شعاع من قدرته أن يهز هذا الزكام الهائل من
المياه هزاً يشمل المشرق والمغرب . في الرقعة
المهندسة التي نسميها نحن بحاراً وبحيطات . .
وسواء غفونا أم صحونا فعمل القدرة ماض

ومن الغفلة أيضاً ترك الأعاجم يتعلمون
الإسلام عن طريق تراحم لم يشرف عليها
الدعاة العرب .

والمعروف أن العرب لا يزيدون عن
خمس المسلمين ، وأن المسلمين جميعاً لا يبلغون
خمس سكان الأرض .

فماذا صنع الجهاز الإسلامى الذى يعرف
عموم الرسالة الإسلامية ليخرج الناس من
الظلمات إلى النور ؟

ماذا صنع ليربط المسلمين بدينهم وليعطى
عن المسلمين فكرة صحيحة عن الإسلام ؟

* * *

لأننا لا نقول هذا الكلام اعتذاراً عن
شروع الحضارة الحديثة ، وإنكنا نقوله
اعترافاً بتصورتنا ، ووخزاً للضمائر التى
راحت في نوم طويل .

على أن حقائق الإيمان ألصق بالفطرة ،
وأقرب إلى التناول من أن يشذر عنها
بتقصير الدعاة ، خصوصاً بالذبة إلى مدينة
بلغت مكانة مرموقة من التقدم كدنية العصر
الحديث .

والواقع أن شيوع الإلحاد ، وانتشار
التحلل يرجعان إلى أسباب أخرى غير
تفريط أصحاب الدين .

من بين هذه الأسباب . الغرور بالقليل
من المعرفة ، والتذرع به إلى الزيف .

هذه نذير أن السبب الأكبر في شيوع
الإلحاد ، وهجر الدين ، هو تصرف جمهور
المؤمنين وتفكيرهم .

ما الذى يجعل الحضارة الحديثة تغالى
بالإيمان وتحمس الرحمن ؟

إذا نظرنا المسيحية التى تسود الغرب
وجدناها قبلت من الإضافات والبدع
ما يستحيل على العقل البشرى قبوله .

ومن حق هذا العقل أن يرفض التناقض
ويعتزل دعائها ويحيا بعيداً عنها ، والحضارة
الحديثة في خصوصيتها المسيحية معذورة .

وإذا نظرنا للإسلام وجدنا أهله أبعد
الناس عنه ، ومن حق الأحياء أن يطرحوا
ديننا زهد فيه أهله أنفسهم .

إن المسلمين مع تقصيرهم في جنب الإسلام
علما وعملا يلاحظ عليهم من قديم الزمان
تناقض غريب فهم مؤمنون - دون خلاف -
بعموم الرسالة الإسلامية ، وأن محمداً رحمة
العالمين ، وأن عوته تحيط بالقارات الخمس
ومع ذلك فإن سياستهم العلمية جعلت
الإسلام رسالة هربية وحسب .

فهم لم يحسنوا تمكين الروابط الثقافية بين
الأجناس الداخلة في الإسلام ، ولا بين
الأجناس التى لم تدخل فيه .

ومن الغفلة تعريب البشر كلهم ليسلوا
إسلاماً كاملاً .

لقد شق الفكر الإسلامى الأول طريقه
إلى الحياة والسيادة بقوة رائدة أمكنته أن
يتشعب مع النشاط الإنسانى دون كلال .
ونستطيع القول بأنه ترك فى الحضارة
العالمية آثاراً خالدة .

بل إننا - من غير تعصب - نقرر : أن
الحرية العقلية ولدت أولاً فى القاهرة ودمشق
والقدس وبغداد ، قبل أن تولد فى لندن
وباريس وبرلين وروما .

وأن الصليبيين الأقدمين عادوا إلى بلادهم
بهذه الحرية العقلية المحلوبة من الشرق ،
ليفسلوا بها أوصارهم ، ويجددوا حياتهم ،
ويتخلصوا من قيود هائلة ، لو بقوا بها
مانالوا قط قسطاً من تقدم أورخاء .

إن التفكير النير الحير تألق فى بلادنا
دهراً طويلاً . واستطاع فى ميدان الفسريع
والثرية وفى آفاق الحياة العامة أن يصنع
العجائب .

ومن المؤسف أن هذا التفكير الحصب
قد أحقبس تياره مع إغلاق باب الاجتهاد
وفى الفقه ومع الانحراف الذى وفدت
به علينا فلسفة اليونان وغيرها .

لكن هذه العوائق العارضة لا تبخسه حقه
الأصيل ولا قدرته على صنع مستقبل زاهر
كيف وهو مرتكز على الفطرة الراشدة
والعقل الحر . . .

وجمهرة المنكرين للدين من هذا القبيل ،
فهم يرفون أبواباً معينة من العلوم المادية
أو النظرية يبنون عليها كفرهم .
ويجهلون أبواباً أخرى أكثر وأخطر
لو أدركوها لردتهم إلى الله تائبين .

ومعظم الذين قابلسناهم أو قرأنا لهم من
أوائك الشاكين نفتبرهم أنصاف متعلمين
مهما بلغت دعاوهم .

ومن بين هذه الأسباب غلبة الشهوات
العاجلة من نفسية ومدنية .

فإن سيطرة الشهوات على أصحابها تجعلهم
يجهلون بالهوى لا بالعقل ، وبالجهور
لا بالعدل ،

وقديما كفر بنو إسرائيل بمحمد تمشياً
مع هذه النزعة ، لا لغموض الدليل أو خفاء
الدهوى .

دأفتطمعون أن يؤمنوا لكم ؟ وقد كان
فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه
من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . .

وقد أشبه اليهود بهذا عدرهم فرعون الذى
كفر بموسى هو وعلوه ، وجهدوا بها ،
واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر . كيف
كان عاقبة المفسدين . .

والبشر هم البشر فى كل زمان ومكان ،
لا يزال فيهم من يحارب الحق وهو يعرفه
لشهووات تحسكت فيه واستبدت به .

تقوم على العلوم والحرية - وهي التي أورت الحضارة المعاصرة الكشوف العلمية والروح العلمي الذي استمرت به في كشف أسرار الطبيعة . ولم تكذ تظهر رسالة الإسلام ، حتى تفردت العلوم الإسلامية بالوجود الإنساني نحو من ألف عام تهذيب وتهذيبه ...

ويقول : د وانطلق العرب بأفكارهم في مهاب الرياح الأربع حتى أصبحوا كما يقول د راندال ، يمثلون الطراز الفكري العلمي في الحياة العملية الصناعية ، التي تضفي مثلها الآن على ألمانيا الحديثة . وعلى عكس الإغريق ، لم ينصرفوا عن الاختبار المعلى والسير عليه في الطب وعلم الآليات ، .

وفي التحقيقات الفنية يلوح أنهم أخضعوا العلم لخدمة الحياة الإنسانية مباشرة .

لقد ورثت عنها أوروبا روح (يكون) التي ترمى إلى مد سلطة الإنسان على الطبيعة وتداولت العلوم العربية جامعات مونبيلي وباريس وأكسفورد ووينسيا وبادوا ، وفهرارا ، وباري ، وأنشأ الامبراطور فردريك الثاني في القرن الثالث عشر جامعة في نابولي لتقل العلوم العربية واليوم تشهد باريس صورتي الرازي وابن سينا على حوائط كلية الطب وأثر المساهمة التي شارك بها المهندسون العرب في بناء كنيسة نوتردام

إن عظمة التفكير الإسلامي تقوم على أنه يقدم للعالم إيماناً بصير الدنيا ، ويمهد للأخرى ويعد الوجود الأول والأخير وحدة كاملة .

ولا يزيد في هذه المعجالة ... التحدث في فكر العقيدة والشريعة الذي ألفه الناس بل نريد الإشارة السريعة إلى فكر الحياة نفسها ، الذي يظن البعض أن المسلمين تخلفوا فيه ، لأنه ينظر إلى أحوال المسلمين اليوم فيظنهم الصورة المثل لتعاليم الإسلام .

يقول الأستاذ المستشار / عبد الحليم الجندى ، في كتابه (توحيد الأمة العربية) تحت عنوان د ألف عام من العلوم التطبيقية والفنية ... والرفاهية د واصفاً المجتمع الإسلامي القديم .

في هذا المجتمع ازدهرت حضارة علمية أساسها العلوم التطبيقية البحتة والهندسة المعمارية والصناعات والعلوم الاجتماعية ، تعتبر الأولى من نوعها في التاريخ ، صبغت المدنية العربية بصيغة علمية وتجريبية تقوم على العلوم والفلك والطب والهندسة البحرية وما إليها ...

وفي حين كانت حضارة اليونان حضارة فلسفية ، وكانت حضارة الرومان حضارة مادية تقوم على القوة العسكرية أو على النظم الشكلية كانت الحضارة العربية أول حضارة

(الصالح) وكريستوف كولومبس (مكتشف أمريكا) من ارنيااد المحيطات والوصول إلى أطراف العالم وعثر دى بات ، فى قرطبة على النسخة الوحيدة فى العالم من مخطوط (أوسيليد) الذى ظل يلحق للطلبة فى مدارس أوروبا حتى سنة ١٥٣٣ ، وطاف كل من أفلاطون لوبيزون وفيبارناس أرجاء أسبانيا ليتزود بالعلوم الرياضضية لاسيا الجبر والتقويم والموغاريم .

بل إن الكنفيسة نفسها التتجأت إلى العرب لتجد عندهم ما يعينها على إقامة صرح الفكر المدرسى وبحث كل من د البير الأكبر ، ود توماس الأكوينى ، عن فلسفة العقيدة الكاثوليكية نفها فى بلنسية هند الفارابى وفى الوقت الذى أنشد فيه الشعراء التروبادور شعرهم على عتبة أسبانيا الربية صرح - روجير بيكون - فى اكسفورد (انجلترا) بأن وجود الفكر الأوروبى والعلم الأوروبى كان مستحيلا لولا وجود المعارف العربية - لقد دعيت أوروبا لجساة إلى الحياة بعد أن ظلمت فى ظلمات الجهل طوال خمسة قرون . وهى مدينة للعرب بكل تقدمها .

نرى ... أيعرف المسلمون قدرهم ؟ ... ويستأنفون أداء رسالتهم ؟ .

إن ذلك ما نرجوه ... وما يفتقر إليه

العالم الآن ... ؟ محمد الفزالى

(فى باريس) كما تشهد الكتابة الكوفية والعربية فى النقوش الانجليزية وأبواب الزخرفة والمعمار والنقوش العربية فى مناطق كثيرة فى أوروبا .

الصيدة علم عربى ، والكيمياء علم عربى ، والفلك والطب والميكانيكا والرياضيات والطبيعة والجغرافيا ، ما تزال تحمل الأسماء العربية المصحى ، هكذا ساد الروح العلمى الأمة العربية وقال ديورانت ، : (ربما ملك العالم احب بن هباد من المكتتب فى القرن العاشر ما يقدر حينئذ بما كان فى مكتبات أوروبا مجتمعة . وكنت تجد فى ألف مسجد منتشرة من قرطبة إلى سمرقند ، علماء لا يحصىهم العدد ، كانت تدوى أركانها بفصاحتهم) .

ويقول المؤرخ الفرنسى (روبرير پريفو) : (كانت أوروبا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر تتجه إلى العرب باحثة عما استجد عندهم من صناعات وعلوم وفنون خاصة بالملاحة ، منقبة عن كشوفهم فى علوم الرياضة والفلك والطب والكيمياء ، وكانت تبحث عندهم عن آثار أرسطو وابن سينا وابن رشد ، وكان علوؤها من أمثال ...) يلتهمون عند العرب حصاد عالم جديد من الفكر والعلم . ووجد د ريجيوموتانوس ، عندهم المعارف التى كانت هوى السلاح وفاسكودى جاما (مكتشف طريق رأس الرجاء

الليلة المباركة

للاستاذ أحمد حنفي نصار

فقل إنها سميت بذلك من القدر بمعنى الضيق لأن الأرض تضيق بكثرة الملائكة الذين ينزلون فيها أو لأن الله يقدر فيها ما يشاء من أمره في العباد إلى مثلها من السنة القابلة من الموت والحياة والمطر والرزق وغير ذلك. أو أن اسمها من القدر بمعنى الشرف لما لها من عظيم المنزلة أو لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا. أو لأن من لم يسكن له قدر وخطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا ما أحياها بالعبادة لما ينزل الله فيها من الخير وما يهب من بركة وما يتفضل به من مغفرة أو لأنه ينزل فيها ملائكة ذوو قدر وخطر أو لأن الله أنزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على أمة ذات قدر.

ويرجع هذا القول لقول الله تعالى عند ذكرها في أول سورة الدخان وحكم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا مخذرين فيها يفرق كل امر حكيم. أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين. رحمة من ربك إنه هو السميع العليم.

إن من خير ما تفضل الله به على عباده المتقين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الليلة المباركة ، كما سماها رب العالمين في القرآن الكريم ، والبركة النماء والزيادة . وذلك إشارة إلى ما يضاعف للمؤمنين فيها من الثواب وما يقدر لهم من خير كثير ولا أدل على ذلك من إنزال القرآن فيها وهو المنار الأعظم القائم والهدى الأقوم الدائم سعد به من أقبل من البشر عليه منذ أشرق نوره وفاح عبيره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إذ لا كتاب بعده ولا هدى إلا هده .

وذكر الله هذه الليلة المباركة في سورة خاصة من القرآن هي سورة القدر ، فقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر » ، كما ذكرها في أول سورة الدخان .

وقد تشعب القول في هلة تسميتها ليلة القدر

هذا ولم يفت المتصوفة أن يدلوا بدلوهم في تحديد ليلة القدر ونكتفى هنا بما ورد عن الشيخ أبي الحسن الحرالي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ فقد أرجع تحديد ليلة القدر إلى ابتداء شهر رمضان وقال إنها ليلة التاسع والعشرين إن بدأ رمضان بيوم الأحد وليلة الحادي والعشرين إن بدأ يوم الاثنين وليلة الرابع والعشرين إن بدأ يوم الثلاثاء والسابع والعشرين إن بدأ يوم الأربعاء وليلة الخامس والعشرين إن بدأ يوم الخميس وليلة التاسع عشر إن بدأ يوم الجمعة وليلة الثالث والعشرين إن بدأ يوم السبت . أى أنها تدور في الليالي الأوتار من ليلة التاسع عشر لآخر الشهر مضاعفاً إلى ذلك ليلة الرابع والعشرين ليلة ابتداء نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقل في غير هذه الليلة على أى أساس استند في هذا التحديد . وقد قيل إنه كان صاحب أحوال غريبة وحكايات عجيبة وله مؤلفات في علوم الأسرار وهو شيخ أبي العباس البوني المعروف بمؤلفاته في هذه العلوم فلعل سنده في هذا التحديد خاص به كما هو الشأن في حال رجال التصوف أصحاب الأحوال والشطحات .

والمستصفي بعد هذا الاستعراض للأقوال الكثيرة الواردة في ليلة القدر أنها باقية لم ترفع وأنها تدور مع الليالي الخمس الأوتار

وكما تشعبت الأقوال في علة تسميتها كذلك تعددت في تحديدها ف قيل إنها في الليالي الأوتار من العشر الأواخر من شهر رمضان إما ابتداء من أولها وإما ابتداء من آخر الشهر فتكون الأولى ليلة الثلاثين ثم ليلة ثمان وعشرين لأنها الثالثة وهكذا إلى ليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة ، وقيل أنها تدور في العشر الأواخر ولا تثبت في ليلة واحدة منه أى أنها تتغير من ليلة إلى أخرى في كل عام ، وقيل إنها خفية في رمضان كله أو في العام كله ، وقيل إنها ليلة النصف من شعبان وهذا بعيد لأن الله تعالى يقول : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » ويقول « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » فدل ذلك على أن ليلة القدر محصورة في رمضان قطعاً .

وذهب قوم إلى أنها رفعت وهذا قول لا يصح فإن الرفع كان خاصاً بتعيين مواعدها لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إني خرجت لأخبركم بليلة القدر وأنه تلاحى فلان وفلان فرفعت عسى أن يكون خيراً لكم » .

وقيل إنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة وكان أصحاب هذا القول استندوا إلى آية « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » وفهموا فيها أن الإنزال للقرآن وليس لللائكة .

وقد قيل كل ما جاء في القرآن مصدرا بما أدراك فقد علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء مصدرا بما يدريك فانه لا يعلمه وعلى هذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم على علم بليلة القدر على التحديد .

ثم عرفها الله فقال : « ليلة القدر خير من ألف شهر » ، والمعنى الواضح المتبادر لهذه الآية أن من قامها كتب الله له مثل أجر العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وقيل في سبب النزول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا ممن تقدم عبد الله ألف شهر فعجب المسلمون ورواوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك القدر فأعظم الله ليلة القدر وجعل ثواب العبادة فيها خيرا من عبادة ألف شهر .

وقال الإمام مالك رضى الله عنه سمعت من أنق به يقول : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أعمار الأمم قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاء الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر »

وهذا وما قبله في معنى واحد وهو أصح ما ذكر في هذا الصدد .

وروى (أن الحسن بن علي رضى الله عنهما

من العشر الاواخر من شهر رمضان من ليلة الواحد والعشرين إلى التاسع والعشرين .

وبعد هذا فالأحوط للمؤمن الحريص على ثوابها الضخم وبركانها العظيمة أن يقوم ليالى العشر كلها ويضم اليها ليلة السابع عشر والتاسع عشر وبذلك يضمن أن يصادفها فيرجع بما لا يخطر من الخير على بال .

وإن ميزة هذه الليلة الكبرى التي جعلتها بحق أعظم الليالى وأفضل الاوقات هو اختصاصها بإنزال القرآن فيها وقد قال بعض العلماء ان فيها ابتداء إنزاله على الرسول صلى الله عليه وسلم : وهذا بعيد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » .

فابتداء نزول الوحى بالقرآن على الرسول متعين بهذا الحديث وليلة القدر لم يمينها الرسول للمؤمنين كما هو معلوم ، وقال البعض الآخر إن القرآن أنزل فيها جملة واحدة من الوحى المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام بعد ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما وهذا أقرب إلى الحق قاله تعالى أسند إنزاله إلى نفسه في الموضعين اللذين ذكرت فيهما ليلة القدر في القرآن الكريم .

ويقول الله تعالى : « وما أدراك ما ليلة القدر » وهذا تضخيم لقدرها وتعظيم شأنها ،

وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام ومعه الملائكة في هذه الليلة على أهل الأرض بدليل قول الله تعالى : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » ، أى بالرحمة .

وأيا ما كان القول المختار من هذه الأقوال فإنه يدل على عظم قدر ليلة القدر وكثرة ما يجرى على المؤمنين فيها من رحمة وتكريم وإن المستفاد المقطوع به أن أهل السماء تنزل بإذن الله على المؤمنين من أهل الأرض يسلمون عليهم ويؤمنون على دعائهم فتشملهم بركات الله في تلك الليلة المشهودة المباركة التي هي سلام وخير كلها حتى مطلع الفجر .

أما علاماتها فقد قال الحسن بن علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر : « إن من أماراتها أنها ليلة سمحة بلجة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع ، كما أن من علاماتها فيما ذكر من المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير هذا أن السحاب لا تنبح فيها ونذكر في الختام ما روى من أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول قال : قولي اللهم إني أعفو تحب العفو فاعف عني ، والعفو حظ الذنوب ومن تركته لذنبه فقد فاز فوزاً عظيماً . »

أحمد منفي نهار الفوسى

هو تب حين بايع معاوية رضي الله عنه بالخلافة فقال : « إن رسول الله عليه وسلم رأى في المنام بنى أمية يزون (أى يثبون) على منبره نزوال القردة وأهله الله أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فامتم لتلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ملك بنى أمية » .

ثم كشف الغيب أنه كان منبيعة الحسن لمعاوية إلى مقتل مروان بن الجعدى آخر ملوك بنى أمية بالمشرق ألف شهر) وهذا كلام غريب عليه طابع الوضع لركا كته وفساد معناه ولا يعقل أن يكون هذا من منطق النبوة وآل البيت رضي الله عنهم لا يطلبون ملسكا ولا يرغبون في عوض عنه وإن كانوا قد قائلوا على الخلافة فلأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك لصالح الإسلام والمسلمين لا لحساب مجدهم لذائق ورغباتهم النفسية . هذا وإن ليلة القدر ليست خاصة لآل البيت وحدهم حتى تكون لهم مقابل ملك بنى أمية وإنما هي للمسلمين كافة كما أنه ليس صحيحا عند الحساب أن مدة ملك بنى أمية ألف شهر .

ثم قال تعالى : « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر » ، والروح جبريل عليه السلام وقيل الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظه على سائرهم وإن الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة وهم أشرف الملائكة يقومون صفوا والملائكة كلهم صفوا

إنسانية الحضارة العربية وإبداعاتها

الأستاذ يوسف حسن نوفل

في أفواه المتعصبين الذين حرصوا على إغفال دور حضارة الإسلام في عصر الإحياء الأوربي ولإزالة العصور الوسطى ، وإذا ما بدت الحقيقة الناصعة تجلو الدور الإنساني الخالد ، الذي حملته حضارة الإسلام في الأندلس على كاهلها ثمانية قرون ، حطمت فيها الجهل والجنود ، وبددت سحج الظلمة وعروش الاستبداد ... إذا ما بدا لم ذلك ردوا المؤثرات إلى الحضارة الرومانية .

والأقبح من ذلك أن يعتبروا العرب ضمن الأجناس المتأخرة البربرية التي شوهت مدينة الرومان !!

وكان الزمن كفيلا أن يقنع هؤلاء أن الحضارة التي بددت ظلمات العصور الوسطى بنقها أرواح وهقول ارتفعت فوق العصور والمجتمعات ، تقديرأ منها للحقيقة التي تقرر أن ثمرات التفكير البشري ملك للإنسانية ، وتكفل الزمن - أيضاً - بإقناعهم أن عصر الإحياء الأوربي - وإن كان حركة عقلية كبيرة - فقد سبقته نهضة علمية في أوربا على يد الرهبان النصاري الذين استمدوا النور من علماء الإسلام في الأندلس .

وبعد ... فكيف كان ذلك الأفق الواسع بجسالا لانطلاق شمس المعرفة الإسلامية ،

تعددت الجوانب المشرقة في تاريخ المسلمين بالأندلس ، واستحققت بذلك أن تعد أروع ما يحفل به تاريخ الإنسانية بأثرها ، لا تاريخ الإسلام فحسب .

فقد اجتاز الإسلام ساحة واسعة المدى ، مخصصة التربة من ساحات التاريخ ، وطبعها بطابع متأنق وهاج ملاجوانب الدنيا .

وحق لنا أن نقول إن التاريخ قد رسا على ضفاف الأندلس ، ليبرمججداً ، ويبارك حضارة أسس دعائمها المسلمون إيماناً منهم بامتداد روابط الحياة ، وبأن من أقدس واجبات الأجيال أن يورث كل منها من يليه أعمالا نابضة بالحق والخير والجمال ... ولهذا فقد غدت الحضارة العربية يومئذ مدونة الدنيا بأثرها وملتقى حضارات جمّة : شرقية وغربية ، ومزدهم ألوان شتى من الفنون ، فحققت بذلك شيئاً مما طمحت إليه الأمم والشعوب في ميدان التقدم ، وبلغت الحد الذي تفوقت فيه على نفسها ... وكل شيء صدر عنها كان مثلاً تخصيصاً من الخصائص الإنسانية ، ومنمياً لهيد الحضارة البشرية ، فعدت أغنية صديبة في أفواه المنصف من المؤرخين ، وغصة محرقة

من ذوى الدخل الضئيل من كان يحرم نفسه الطعام وجيد الثياب في سبيل تكوين مكتبة. ووجد من النساء من اشتمرت بذلك أيضاً ... منهن طائفة بنت أحمد بن قادم ... يقول الطبيب المؤرخ الأمريكى : « فيكتور روبنس » ، في كتاب له يعرض قصة الطب : « كان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة . »

وتبعاً لذلك كانت معرفة القراءة والكتابة أمراً عادياً في الوقت الذى كان فيه أرفع الناس في أوربا فيما عدا رجال الدين لا يعرفها وغزت المكتبات الحدائق العامة في قرطبة حيث توسطت رفوف الكتب صفوف المقاعد. وكان في قرطبة دكان نسخ استخدم مائة وسبعين وراقاً في نقل المؤلفات .

وفي ميدان التأليف والبحث العلمى تحولت قرطبة إلى « أكاديمية » عظيمة . . وانتشرت الجامعات العلمية والأدبية التى تشبه مجامع اليوم. وحدد الخلفاء والملوك جوائز للمخترعين فظهر من بين العلماء من ألف العديد من الكتب أمثال : أبو محمد على بن حزم الذى بلغت مؤلفاته نحو أربع مائة كتاب ، والمظفر الأنطلس الذى ألف كتاباً في الأدب في نحو مائة مجلد ، ومؤرخ الأندلس أبو حيان الذى ألف كتابه في ستين مجلداً .

ومدرسة تخرج فيها حملة مشعل الإحياء الأوربي ... مع الملاح القادمة ... أرجو أن أفصح في جلاء حركة ذلك الانطلاق العملاق . لقد كانت المعرفة هي الأجنحة التى ارتقت بها تلك الحضارة فلم تقتصر هواية جمع الكتب الثقافية على الخلفاء فقط بل شغف بها عامة الشعب .

ومن أخبار الوفود في عهد « عبد الرحمن الناصر » ، يخبرنا « ابن جابل » ، أن في مقدمة هدايا « أرمانيوس » ، ملك الروم إلى « الناصر » سفران قديمان أحدهما نسخة مصورة من كتاب « ديسقوريدس » ، عن الحشائش والأعشاب الطبية ، والأخرى نسخة من تاريخ العالم القديم « لأورسيوس » ، باللاتينية .

وكانت مكتبات قصور الخلفاء نواة المكتبة الأموية العظيمة التى ضمت أربع مائة ألف مجلد والتي كانت من أعظم مكتبات العصور الوسطى ، والتي كانت تحتضن نفائس الكتب من كل قطر وفي كل فن .

وعرفت النسخ الأولى من المؤلفات طريقها إلى الأندلس وكوفى عليها أصحابها ... من ذلك مكافأة الأصفهاني على « الأغاني » بألف دينار . وقد انقشر الوراقون في بغداد والقاهرة ودمشق يجمعون وينسخون .

ولست أدري هل وغب الذهب في منافسة حكاه في تلك الميزة أم أنها هواية طبيعية دفعتهم إلى اقتناء المكتبات الخاصة حتى وجد

وكان ثمرة تلك الحفاوة البالغة وتلك الخطوات الفسيحة أن برز علماء هديدون واشتهروا بالنبوغ في تخصصهم أمثال : المتصوف الكبير: ابن عربي ، والفيلسوف ابن حزم ، وصاحب الألفية ابن مالك ، وصاحب العقد الفريد : ابن عبد ربّه ، وصاحب قلائد العقيان : ابن خاقان ، وصاحب المختصر : ابن سيده ...

ومن الشعراء : ابن خفاجة ، وابن هاني ، وابن زيدون . ومن الفلاسفة : ابن رشد ، وابن طفيل ، وإمام القراء أبو القاسم الشاطبي ومن النساء : حمدونة التي لقبت بخنساء المغرب وعائشة بنت أحمد ، ولادة بنت المستكفي . ولعل خير مثال نستطيع أن نستكشف من خلاله الصورة المالية التي كانت عليها الأندلس هو خبر الهدايا المتبادلة بين الوزراء والملوك من ذلك هدية ابن شهيد المقدمة للناصر حيث وصلت إلى خمسمائة ألف مثقال من الذهب وحوالي مائتي أوقية من المسك والعنبر وثلاثين شقة من الحرير المرقوم بالذهب ومائة فرس مسرجة ... الخ .

والذي يمكن استنتاجه من هذا هو اطمئنان الناس هناك إلى ميزان المادة ، واستمتاعهم بالنعيم .

أما مجالسهم فقد اتسمت بالطابع العلمي .. وحفلت بالمتنزهات والبساتين بمجالس الشعر والزجل والغناء والموسيقى ، والفكاهة .

وعرفت تلك المؤلفات وغيرها طريقها إلى كل عقل متفتح يهفو إلى توسيع دائرته وزيادة رحابة أفقه ، فانتفع المسلمون ، ومدوا يد النور إلى الأوربيين الذين وجدوا في تلك المنابع سبل هداية ، وطرق تقدم . . يقول « إرنست رينان » : إن الآثار والأسفار المحتوية على شيء من الفنون والعلوم التي أضفها علماء الإسلام على الكون والتي نقلتها الحملات الصليبية إلى جميع بلاد الفرنجة وما تقدمها من احتكاك بين العرب وأوروبا عن طريق الأندلس . . أدى كل ذلك إلى إغناء المكتبات الأوربية الحاوية الفقهية بكنوز لا تقف من العلم الذي أنتجته قرائح العرب ، وكان من نتائجه انتشار الثقافة والترفيع العلمي في البيئة الأوربية بأسرها كإرفع مستوى شعوبها إلى أفق التمدن الذي نشاهدها عليه اليوم .

وفي هذا الميدان تتجلى ظاهرة تشهد بالنزعة الإنسانية التي اقسمت بها الحضارة العربية ، فقد وقف العلماء على اختلاف عقائدهم صفا واحدا . ولم يعرف الخلفاء التفرقة بينهم فرأينا الحكم ، لا يبالي باختلاف الدين ويؤثر الأسقف العالم (ريشوند الإلبيري) .

(ديمع بن زيد) ؛ لسعة علمه بالفللك والفلسفة وتمسكه من آداب العرب واللاتين . وتعددت مجالس البحث والمناظرة ، وحرص (محمد بن أبي عامر) على عقدها أسبوعيا .

جديد ، فلم يفكر أن يبطش أو ينظر نظرة متعالية ... هي نظرة الحاكم والمتنصر ، ولكنه مارس حقوقه محترماً حقوق الآخرين ، فأكد احترام الإسلام لقيم الإنسانية ، وحرصه على الكرامة وإزالة الفوارق بين الطبقات ، فرحب العبيد ، ورقق الأرض بذلك ، ولم يعد من المبالغة في شيء ما يشهد به الأستاذ د هاريسون ، في كتابه « العرب في وطنهم » إذ يقول :

« حيث حل الإسلام تأكدت قيمة الفرد ونهض الناس معترزين بكرامة لا تقهر » (١).

وغدا موقفهم إزاء اليهود والنصارى موقف المحترم المقساح رغم سيطرته على كل شيء ، فعلمهم كيف يكون القساح الذي هو أغلى ما يمكن أن تعز به الإنسانية في تاريخها الطويل فأباحوا للأساقفة النصارى أن يعقدوا مؤتمرات الدينية كؤتمر إشبيلية الذي عقد في سنة ٧٨٢ م ، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد سنة ٨٥٢ م ... وسبحوا لهم أن يبنيوا البيعة فواسوا معتقداتهم بحرية ولم يتخل المسلمون أبدأها التزاموه إزاء دينهم الذي يقضى باحترام العقائد والحريّة الشخصية .

أما اليهود فقد كانت الأندلس المسكن الوحيد في أوروبا الذي يتمتعون فيه بحماية الدولة ، ورعايتها فزاد عددهم ، وأسلم كثير

وقد كان من أشهر تلك المجالس ذلك الاجتماع الذي انعقد بمناسبة قدوم سفراء ملك الروم يحملين بالهدايا ، وأمر الناصر العلماء أن يخطبوا وهول المجلس أغلق عليهم القول ، ولم ينج من ذلك « أبو علي الغالي » نفسه .

يقول « منذر بن سعيد » في هذا الحفل :
وقد حدثت حول عيون أخاها

كمثل سهام أثبتت في المقاتل
لخير إمام كان أو هو كائن

لمقبل أرو في العصور الأوائل
ترى الناس أفواجا يؤمون بابه

وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فئاته

مخافة بأس أو رجاء لنائل
ولم يتخل المسلم عما التزم به إزاء دينه ،

ولم ينس أن دستور الوحي (القرآن الكريم) يشرح له فينتظم حياته بما فيها

من سلوك نحو الآخرين ، فشأت لديه تلك النزعة الإنسانية التي لا تفرق بين الناس :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن

أكرمكم عند الله أتقاكم » ... وحين تطلع بنظره إلى ما وراء أفق الصحراء ... بل

حين توطدت أقدامه في أنحاء لم يكن يحلم بارتياحها ... حينذاك أيقن أنه ليس فاتحاً ولا غزياً بقدر ما هو داع ومبشر بعهد

(١) عن مجلة المهجة . العدد ٦٨ (١٩١٢) ص ٤٤ .

كل هذا منهم ، وذلك شيء لا يحتاج إلى برهنة ، فمن المسلمين في إسبانيا تعلم الأوروبيون قوانين الفروسية . وحدث أن حاصروا في قرطبة (سنة ١١٣٩) مدينة طليطلة ، وكانت بيد النصارى ، فأرسلت إليه ملكتها د بيرانجر ، تبليغه أنه ليس من الشجاعة أن يحاصر فارس د امرأة ، فسا كان منه إلا أن أرتد عنها .

وهذا هو الكاتب الأسباني د أبانيز ، يؤكد أن الغرب لم يكن يعرف الفروسية ولا يدين بأدائها المرعية وحاستها إلا بعد وفود المسلمين على الأندلس ، وانتشار فرسانهم وأهلهم .

ويتحدث المستشرق د رينو ، عن ذلك فيرى أن قصص الفروسية ثبت في العصور الوسطى أثرأ باقيا جعل الاسم العربي يتبوأ في أوربا وفي أذهان المجتمع الأوربي مكانة عظيمة . ويضيف د ول ديورانت ، رأيه إلى رأى د ستانلي اين بول ، الذي يقول إنه : د لم تنعم الأندلس طوال تاريخها بحكم رحيم عادل كما نعمت به في أيام الفاتحين العرب ، (١) .

وبعد أن خرج المسلمون من الأندلس عاشت تلك اللغات الإنسانية في النفوس الخيرة بل لم يجد الجميع معدي من الاعتراف بأحقية تلك الحضارة الإنسانية في أن تعيش مدى الدهر ، وحين فكر الإسبان والبرتغال

من النصارى واليهود عن رغبة خالية من الإكراه فأكدوا أن الإسلام ليس دين قوة وسيف بل دين حرية ، وإلا فما بالك بخليفة كالحكم يعرف أن أحد عماله ظلم واحدا من أهل الذمة فيأتي به ويصلبه ... أية ضمانات أكثر من ذلك يمكن أن تمنح لتحفظ حقا أو لتحمي كرامة ١١ .

وشرح الجميع يعملون جنبا إلى جنب بلا أضغان ، ولا كراهية وجمعهم لغة واحدة وتقاسموا دراسات مشتركة فهذا : د أن كل الحواجز التي تفرق بين بني الإنسان قد انهارت ، وأن الجميع كانوا يسهمون متفقين في تشييد الحضارة المشتركة ، (١) .

ورغم حرص الإسلام على بسط روح الصفاء بين الجميع فقد حدث أن ثار بعض متعصبى النصارى ، ومع هذا فقد أعاد المسلمون الصفاء ليرفرف من جديد وكان لم يحدث شيء ، والعجيب في الأمر أن هؤلاء الثائرين كان يغيظهم ما يرون من المسلمين من تسامح ، وحسن معاملة ، فكانوا يتشوقون للتعذيب في سبيل دعوتهم .

ولا تصاف المسلمين بفيل الأخلاق جوانات مضيئة كثيرة ، أهمها وفقهم بالمغلوب ، واحترامهم لكلماتهم والتزامهم الصدق ، واحترامهم للبراء ، وقد اقتبس الأوروبيون

(١) قصة الحضارة - جلد ٤ ص ٢٩٢ .

(١) رينان . (الأزهر - أغسطس ١٩٦١)

وقد ضم بلاط الخليفة - بالاندلس - من النساء العالمات باللغة والأدب ، والرياضة والعلوم ، فهذه ولادة بنت المستكفي ، حميد الناصر ، ولها في الأدب والشعر شأن كبير حيث كانت تدير ما يشبه الصالونات الأدبية في العصر الحديث وهذه «ابن» ، يعتمد الخليفة الحكم بن عبد الرحمن ، عليها في كتابة رسائله الخاصة وكانت دقيقة التفكير وقامت «مريم بنت يعقوب الانصارى» بتعليم بنات الأسرة الراقية في أشبيلية ، وتخرج على يديها نساء رعات ، أما عائشة بنت أحمد القرطبية فقد كانت من عجائب زمانها ، وكانت جيدة الخط تكتب المصاحف وشاعرة ، وكانت خزانة كتبها من أثرى المكتبات الخاصة ، ولقيت حمدونه بخفساء المغرب ، وحرر الخليفة «عبد الرحمن الناصر» «راضية» ثم تنازل عنها لابنه الحكم ، ولها مات ساحت في الشرق ، وقدورها العلماء .

وهكذا كان للمرأة منزلتها الاجتماعية التي تحترمها أولا : ككائن اجتماعي يضطلع بدور كبير في بناء الأمة ، وثانيا كإنسانة تتمتع بمواهب فذة ، وكفاية حية ينبغي أن تأخذ حقها من الاحترام . ٢

يوسف موسى نوفل
خريج كلية دار العلوم

في التوسع ، ورغبوا في أمريكا الوسطى واللاتينية ... هناك تذكروا تعاليم العرب ، وعدم اتخاذهم حواجز مصطنعة بين الغالب والمغلوب ، فاختلطوا وتزوجوا بسكان البلاد الأصليين .

وقد رفع الإسلام من شأن المرأة وكفل لها مكانة اجتماعية ممتازة تحسدها عليها أختها الأوروبية إبان العصور الوسطى التي لم تنل حظها من العناية تبعاً لاتجاه المذهب الكاثوليكي الذي كان يعد المرأة مخلوقاً في المرتبة الثانية ، ولهذا فإن المرأة لم تمتح هناك في تلك الفترة شيئاً من حقوقها ووصل حرمانها إلى درجة أن حرمت من أى لون من ألوان النفوذ بما عدا المجال الضيق الذي تقطن فيه ، وهو المنزل ، كما عاملها أمراء النصارى الإقطاعيون في القرون الوسطى معاملة سيئة ، فلم تنل منهم احتراماً بل كانت ترضخ لغلظتهم حتى تعلم هؤلاء النصارى من المسلمين كيفية معاملة المرأة ، وهرفوا عنهم حقوق معاملتها من بين مبادئ الفروسية التي انتقلت إليهم ، ومن بينها احترام المرأة والمحافظة عليها .

فالإسلام بحق هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه ، وكل من أرخ لتلك الناحية من الأوروبيين لم يجد معدى من الاعتراف بذلك أمثال دغوستاف لوبون ، وسبقه «كوسان دويرونيال» ومسيو بارنتلى سان هيلر ، وغيرهم .

مفهوم التجديد الديني

للأستاذ د. عوف شلبي

ومن أمثاله تلك القضايا - في شرعنا المسلم - أصحاب دهوة التجديد الديني في الإسلام ، الذين يتعبون أنفسهم ، وأقلامهم ، في شرح مفاهيم فكرتهم بحجة سماحة الإسلام ويسره .
واقصد كان ينبغي لأصحاب هذه الدعوة أن يستعرضوا كتاب الله الكريم ، أيروا مقدار ما يكون لدعوتهم من البوار ، أو الرواج ، عندما تحدد مفاهيم التجديد الديني ، تلك القصاصة التي نقلوا عنوانها من أحداث أوربا في عهد المظلم القاسي إلى حياتنا المعاصرة في ظل الإسلام الخفيف .
وبوضوح فإن القرآن يحدد :

- ١ - وما كان يؤمن ولا مؤمنة إذا نطق الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم .
- ٢ - وأنه لا مجال للتشريع بالرأى مادام هناك نص من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقضى بذلك القرآن الكريم : « ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .
- ٣ - وأن الجهة الخاصة بالتشريع للأمة هي ما توضحها الآية الكريمة : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

منذ الحركة الداروية التي دعت إلى الإصلاح الديني - المسيحي - في أوربا ليتقبل العقل للغربي تعاليم كنيسسته التي اتمرت واختلقت في :
* تعاليم الرئسية .
* وتشريعاتها السلوكية .
* ومناسباتها الدينية .

منذ ذلك الحين ، والمفاهيم الدينية يحوطها ضباب كثيف ... حتى صارت فكرة التجديد الديني « مودة » يتعشقها المارقون على الدين ، ويقبلها السذج في العاطفة والثقافة ، والعقيدة .
ومن غير تردد ، فإن كل فكرة تدعو إلى التجديد في الدين في الشرق الإسلامي أو يكون فيها تناول على سمدته ، وعلمائه ، هي دعوة تقليدية للعمل الأوربي القديم الذي حطم كبرياء الكنيسة في ظل الثورات الدينية ، والعسكرية ، للدوافع الاجتماعية والسياسية والنفسية ، التي ربما كانت تقتضي ذلك .

وليس أدل على تفاهة موضوع ما ، يدعو به لإنسان ما ، مهم كانت قيمته العلمية من أنه يتجمل أسلوبه البغيض في زمن لا يسهفه الوضع الاجتماعي ، ولا التميمة النفسية المستقيمة لقبول منطق .
ويدعى - مغالطة - لإزالة دعوته ، وباربما استقر في عقله الباطل إشراك بما يتوهم عقله الظاهر المقلد .

ومقوم الأمة العربية ، هو الإسلام :
بأصوله ، وفقهه ، وأئمنه .

ولهذا فقد أراد المخطط الاستعماري أن يزواج
بين وسيلتي الاستعمار العسكرية والثقافية ، ذلك
أن أمر الاستعمار العسكري قريب الأجل ،
أما الغزو الثقافي فإنه يستقر في الدم ويملك
زمام العقل ، وسيسيطر على الوجدان والسلوك .
ومن هنا فقد رتب له مدارس خاصة تناهض الأمة
الإسلامية مع زحمة الحديد ، وضغط الجيوش
والمتابعون لهذا المخطط يستغلون هذا المكر
في تيارات الهدم من أبناء الشرق في حركات .
١ — الشعر الجاهلي :

٢ — أصول الحكم في الإسلام :

٣ — ولدينا دعوة جديدة هي التوأم الثالث
وهي فكرة التجديد الديني وتسقند كل ما تسقند
هذه القضية إلى مفهوم خاص في معنى الإجماع ...
وعلى أية حالة فإن دراساتها المكتتب أصول
الفقه هي دراسة المبعض المتبلس وشيجة - في
زعمه - واهية ليقطع بقية الأواصر والأوشاج .
والحق أن مفهوم الإجماع هو تنظيم الحياة
الإسلامية للأمة في حادثة جديدة ليس لحكمها
نص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم بروح الشريعة الإسلامية . بحيث
لا يكون هذا الحكم مفرغا لمشكلات أخرى
لا تتفق مع أحكام الشريعة أو تصطدم
مع المقائد الأساسية في الدين ، أو لا تتفق
مع أهداف الإسلام وأخلاقه .

فجته الشريعة ، والفتوى خصصها القرآن
بظائفة محددة : —

إنها الجماعة التي هيأ الله لها :

١ — وضوح المعرفة الدينية .

٢ — وألفقه اللغوى للعربية الفصحى ،

وإدراك سر المعاني .

٣ — والأمانة العلمية الدقيقة .

٤ — والسلوك الديني الرفيع .

٥ — والفة — مودة — على ربط الحياة
في مجرياتها ، للفرد ، والجماعة ، والأمة
بقواعد الإسلام : نصوصه ، وروحه .

وهذا النسق الأصولي للشريعة الإسلامى
مراده ربط حياة المسلمين في كل زمان ومكان
بثقافتهم التي افتتحها الله تعالى لهم بالقرآن
السكريم ، وغذاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالسنة الإسلامية المظهره .

ولذا: فكل تطاول على مفاهيم الشريعة الإسلامى
وأصوله ، وأئمنه ، هو اعتداء على الثقافة
الإسلامية الأصيلة في مجال تطبيقها على أمتها .
والمعركة دائمة منذ التوسع الإسلامية
في الأندلس ، ومناهضة البرتغال لهذه الحركة
الإنسانية ، بالاستيلاء على الموانئ الإسلامية
في بحار الشرق الأقصى - المعركة دائمة منذ ذلك
الحين - حول تعظيم الامبراطورية الإسلامية ،
ومن المفهوم جيداً أن أية أمة عظمى لا تدك
حصونها إلا يوم أن تتلاشى شخصيتها ومقوماتها .

الفضول والشواذب التي رماها بها الاستعمار
الفسكري الأوربي القديم . والحديث .
٤ — ولينشط العمل الإسلامي في حياة
الشعوب المسلمة على نظام من قواعد الإسلام
ولتوضع له الحلول في كل ما يعنى لمجتمعاتهم
من مشكلات .

ومعنى هذا : إن مجلس الأمة قد أهني
نفسه من النظر في التشريعات الدينية وأنشأ
لها جهازاً جامع فيه جهابذة العلوم الإسلامية
والقانونية والحضارة ليحقق ما انعقد عليه
من آمال .

وأخيراً نقول لأصحاب فكرة التجديد إن
الدولة في تخطيطها الشامل لميسادين الإصلاح
قد ربطت العلماء وأصحاب الفكر بأجهزة
يتوجهون إليها في كل اختصاصه .

لولا أن سنة الأجساد لا تزال تتعب
سلوك الأحفاد إذا ما سطع نور الحق ،
ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

إن هذا الشرق قد ولد على يد العقيدة
وانتشر في نهضة واسعة بعزة الإسلام وليس
لتاريخه وحضارته سند إلا هذا الدين ، فابرجع
عنه تلاميذ المخطوط الاستشرافي المعجوز
وايخلعوا قياهم الخادعة بكلمة الإسلام ،
لتظهر سوء الإلحاد فإنه لا عاصم لهم من أمر الله .
وبالله التوفيق ؟

د. دوف شلبي

ومعنى هذا : أن الإجماع الأول مفهومه
حرص دقيق على استمرار الحياة الإسلامية
مرتبطة بمفاهيم ثقافة الإسلام الأولى ، وإذن
فدهوى لإحلال مجالس التشريع المعاصرة محل
هذا الإجماع الشريف دعوة للتحلل من انتظام
حياتنا المعاصرة مع الحياة الإسلامية الأولى
ويظهر هذا التحلل ما يذكر من علة ، أن الإجماع
المعاصر شاهد مجداً من الحضارة والقانون
والعلوم ... الخ لم يشهدا الإجماع الأول .
ومعنى هذا : انتصار للثقافة الغربية في ميدان
التطبيق على الثقافة الإسلامية في عقرباها .

ومن جانب آخر : لو كان لأصحاب دعوة
التجديد الديني في الإسلام وضوح في إخلاص
النية ، لاتفهموا من فورهم بهذه الفكرة
إلى الجهاز الذي أقره د إجماعهم ، الذي
يؤمنون به في دعوته ، ويعرضون عليه
تفاصيل ما يدعون إليه .

فإن الدولة في نهضتها العربية المسلمة
قد أنشأت بالقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١
بجمع البحوث الإسلامية .

١ — لتستمر شعوب العالم الإسلامي
والأمم العربية متجهة نحو قيادة الأحرار
في مجال الدعوة الإسلامية .

٢ — ولتبعث من جديد مواردنا
الثقافية القديمة .

٣ — ولتهدب الثقافة الإسلامية من

في التجديد الديني

للاستاذ منشاوي عبود الخولي

والإجماع لا بد له من سند فيجب أن يكون لأهل الإجماع سند يستخرجون منه الحكم ويحكمون عليه لأن الاستقلال بإثبات الأحكام ليس للبشر - ولو جاز الإجماع بلا دليل انقلبت الأباطيل صوابا بالإجماع لأن الإجماع قول كل من المجتمعين وقول كل منهم بلا دليل محرم فكونه بلا سند باطل .

والسند قد يكون نصا من الكتاب أو السنة فإذا كان الإجماع على تحريم شيء . يكون التحريم في الحقيقة ثابتاً بهذا النص من الكتاب أو السنة .

وعمل المجتهدين بإجماعهم هو الاتفاق على إبراز هذا التحريم الذي دل عليه النص .

غاية الأمر أنه بعد اشتداد الإجماع يحتاج بهذا الإجماع على ثبوت الحكم الشرعي .

ولا يلزم غير المجتهدين البحث عن سنده لأنه يكفي أن يكون السند معروفاً للمجتهدين عند إجماعهم .

لذا كان من المقرر عند علماء الأصول كون الإجماع حجة شرعية يثبت الحكم قطعا .

ومن هذا يتبين أن تفرقة الكاتب في العمل

قرأت مقال التجديد الديني المنشور بمجلة الرسالة عدد ٥٩ فلاحظت عليه ملاحظات أجملها فيما يأتي :

١ - يرى الكاتب أن التحريم إذا كان بنص من الكتاب والسنة يجب الإذعان له والعمل به .

وأما إذا كان التحريم عن طريق الإجماع فلا تقرب عليه النتيجة السابقة ويعلل رأيه هذا بقوله :

(لأن الإجماع ليس إلا لونا من ألوان التشريعات المدنية التي تسود الجماعة في وقت من الأوقات والتي تحرص عليها الجماعة ما دامت محقة للمصلحة العامة وملبية لحاجة الناس) .

وهذا يدل على نقص الإدراك لحقيقة الإجماع الشرعي فإن الإجماع الذي اعتبر من أدلة الأحكام الشرعية هو :

اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في عصر من الأعصار على حكم شرعي : وللإجماع شروط كثيرة تكفلت كتب الأصول ببيانها ، ولا تتوفر هذه الشروط إلا للصفة الممتازة من أعلام الشريعة الإسلامية .

وحديث عائشة (١) في دخول « أفلق » ،
عليها فيه دليل على ثبوت حكم الرضاع
في حق زوج المرضعة وأقاربه كالمرضعة .

وقد ذهب إلى هذا جمهور أهل العلم من
الصحابة والتابعين وصائر العلماء . وقد وقع
التصريح بالمطلوب في رواية لأبي داود بلفظ
قالت عائشة : (دخل على أفلق فاستقرت
منه . فقال : أتستترين بي وأنا عمك .
قلت : من أين . قال : أرضعتك امرأة
أخى . قلت : إنما أوضعتني المرأة ولم
يرضعني الرجل . فدخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : إنه عمك
فليلج عليك) .

وروى عن عائشة وابن عمرو بن الزبير .
ورافع بن خديج . وزينب بنت أم سلمة .
وسعيد بن المسيب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ،
والقاسم بن محمد ، وسالم وسليمان بن يسار ،
وهطاء بن يسار ، وشعبي ، والنخعي ،
وأبي قلابة ، وإياس بن معاوية الفاضل أنه
لا يلبث حكم الرضاع للزوج حكى ذلك عنهم
ابن أبي شيبة ، وسعيد بن منصور ،
وهب الزاذق ، وابن المنذر .

(١) نص هذا الحديث : (عن عائشة أن أفلق
أخا أبي القيس جاسأذن عليها وعمها من الرضاعة
بعد أن نزل الحجاب . قالت : فأبيت أن آذن له .
فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته
بأنني صنعت فأمرني أن آذن له : رواه الجماعة .

بين حكم التحريم الذي ثبت بنص من الكتاب
أو السنة وبين حكم التحريم الذي ثبت
بالإجماع ففرقة لا تقوم على أساس بل تدل
على تجرد من فقه الإجماع ودواسة
مباحته .

٢ - قال الكاتب :

(إن من المجتهدين المسلمين من خالف إجماع
الفقهاء ولم ير في مخالفته بأساً) .

واستدل الكاتب على فهمه هذا بقوله :

(اتفق أجمع الفقهاء على أنه يحرم بالرضاع
ما يحرم بالمصاهرة . ولكن ابن تيمية لم يذهب
إلى هذا الرأي) .

وهذه المسألة التي يتحدث عنها الكاتب
قد بينها الفوكاني في كتابه نيل الأوطار
فقال :

قد وقع الخلاف هل يحرم بالرضاع ما يحرم
من الصهار .

وقد ذهب الأئمة الأربعة إلى أنه يحرم
نظير المصاهرة بالرضاع . فيحرم عليه
أم امرأته من الرضاعة وامرأة أبيه
من الرضاعة - ويحرم الجميع بين الاختين
مع الرضاعة - وبين المرأة وحماتها وبينها
وبين خالتها من الرضاعة .

وقد نازعهم في ذلك ابن تيمية كما حكاه
صاحب الهدى .

أن مخالفة الصحابي لما رواه لا تقدر
في الرواية .

وقد صحح عن علي القول بثبوت حكم
الرضاع للرجل - وثبت أيضا عن ابن عباس
كما في البخاري (١٠) .

من هذا يتضح أن المسألة خلافية ، وأن
القول بأنه يحرم بالرضاع ما يحرم من الصهار
رأى الأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء وقد
ظهر رجحان دليلهم

فليست هذه المسألة من مسائل الإجماع
- كما فهم الكتائب - لأنها لو كانت من مسائل
الإجماع لما ساغ لواحد مخالفة حكم الإجماع .
فصنيع الكتائب الذي أراد به أن يجعل من
هذه المسألة أساسا يبنى عليه ما أراد يعتبر
عملا مهذرا ، وأساسا منهارا لا يحقق له
ما يهدف إليه من محاولة طائشة .

٣ - قال الكتائب : لجميع مشروطاتنا
المستحدثة كغزو الفضاء . واستخدام الطاقة
الذرية في السلم تدخل في باب الإباحة
من حيث إنه لا نص في الكتاب أو السنة
على تحريمها .

ونقول له . من الذي قال بحرمه غزو
الفضاء واستخدام الطاقة الذرية في السلم ؟
إن نصوص القرآن الكريم تأمر بالنظر
في ملكوت السموات والأرض . وتعرف
سنن الله في الكون وما أودع فيه من

وروى أيضا هذا القول عن ابن سيرين ،
وابن عليه ، والظاهرية ، وابن بنت الشافعي .
وقد روى مما يدل على أنه قول جمهور
الصحابة فأخرج الشافعي عن زينب
بنت أبي سلمة أنها قالت :

كان الزبير يدخل علي وأنا أمتشط أرى
أنه أبي وأن ولده إخوتي لأن امرأته أسماء
أرضعتني فلما كان بعد الحرة أرسل إلى عبد الله
ابن الزبير يطلب ابنتي أم كلثوم على أخيه
حمزة بن الزبير وكان للكلبية . فقلت : وهل
تحمل له فقال : إنه ليس لك بأخ ، إنما إخوتك
من ولدت أسماء دون من ولد الزبير من
غيرها . قالت : فأرسلت فسألت والصحابة
متوافرون . وأمهاث المؤمنين . فقالوا : إن
الرضاع لا يحرم شيئا من قبل الرجل ،
فأنكحتمها إياه .

وأجيب بأن الاجتهاد من بعض الصحابة
والتابعين لا يعارض النص - ولا يصح
دعوى الإجماع لسكوت الباقيين - لأننا نقول
نعم نعمنع :

أولا : أن هذه الواقعة بلغت كل
المجتهدين منهم .

وثانيا : أن السكوت في المسائل الاجتهادية
لا يكون دليلا على الرضا .

وأما عمل طائشة بخلاف ما روت فالحجة
روايتها لأربابها ، وقد تقرر في الأصول

حكم الحادثة الجديدة ثابتاً بالنص الذي أثبت حكم الحادثة السابقة - فعندما يسأل رجال الدين عن حكم مسألة لا يجيبون عنها بالهوى وإنما يبحثون عن الحكم الثابت بالنص في نظيرها .

وبعد أن يطعنوا إلى المساواة في حلة الحكم بين المسألة السابقة والجديدة ينقلون الحكم الثابت بالنص إلى المسألة الجديدة ما دامت حلة الأصل متحققة في الفرع .

فللجته أن يدرج الحادثة الجديدة في عمومات النصوص - أو عمومات العلل حتى يكون حكم الحادثة الجديدة ثابتاً بالنص أو القياس . ه - يقول المكاتب (يذهب أبو يوسف إلى أن الحكم الشرعي المبنى على العادة يعطل إذا تغيرت العادة ، ولا ضير من مخالفة النصوص) .

لم يذكر لنا المكاتب المصدر الذي نقل عنه هذه القاعدة - ونستبعد أن تصح نسبة القول إلى أبي يوسف أو غيره من أئمة الإسلام بتعطيل نصوص الشريعة تبعاً لمعاداة الناس ، فإن ذلك يؤدي إلى وقوع النسخ في الشريعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ووقوع النسخ بعد عصره عليه الصلاة والسلام لا يجوز إجماعاً .

وأيضاً يجعل شريعة الله خاضعة لمعاداة الناس ، وذلك - بيل للتخلص من هذه الشريعة

خصائص وأسرار للاقتناع بها وأخذ العبرة منها ، والاستدلال بها على عظمة الخالق وإبداعه في خلقه قال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) .

٤ - قال المكاتب : (بل نستطيع أن نذهب إلى أن جميع المشروعات المستحدثة لا تحتاج إلى فتوى من رجال الدين . إذ من المسلم به أن الكتاب والسنة لم يتعرضا لها لأنها لم تكن موجودة) .

وهذا يدل على أن المكاتب لم يفقه شريعة الإسلام . فإنه لا رب أن شريعة الإسلام شريعة خالدة وأنها الدين الذي رضيه الله لعباده . وأنها تكفلت بأحكام المسكفين في جميع الحالات والأزمنة .

ولا يقبل من أحد اتباع سواها ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، فإذا وجدت حادثة معينة نص القرآن أو الحديث على حكمها . وجدت حادثة أخرى بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم فإن المجتهد بواسطة القياس ينظر في حلة الحكم للحادثة السابقة فإذا وجد هذه الحلة متحققة في الحادثة الجديدة حكم بأن النص الوارد في الحادثة الماضية وارد في الحادثة الجديدة أيضاً . ويكون حكمها ثابتاً بهذا النص - ولذا كان معروفاً بين علماء الأصول أن القياس مظهر للحكم لا مثبت له - فيكون

لقد دعا الإسلام إلى الاستعداد للأعداء بكل قوة تقسح لها طاقتنا وإمكانياتنا فقال جل شأنه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . » ولم يحدد القرآن نوع القوة التي نعدها

لتفسر في كل زمان بما يهرب أعداء الإسلام فإذا كانت الرهبة بالسيف ، كان الإعداد بالسيف ، وإذا كانت الرهبة بالقبلة والصاروخ كان الإعداد بهما وهكذا ... فكل ما يجد من آلات حربية تخيف الأعداء مأمور به في قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وهذا من الأدلة على عموم الشريعة - وصلاحياتها لكل زمان ومكان .

على أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال في تعليقه على هذا الآية (ألا إن القوة الرمي) وذكرها ثلاثاً وذلك يشمل كل ما يرمى به . وهذا من معجزات النبوة الباهرة فليس في الآية إذن خصوص الإعداد بالسيف حتى يتخذ الكاتب مطية إلى ما يريد من بني وضلال .

٧ - يوجه الكتاب إلى رجال الدين وعلما الأزهر كلية تتعلق بملكية الأراضي فيقول متحدثاً عنهم .

« إنهم من غير شك أولى الناس بتطبيق أحكام الشرع الشريف - وأحكام هذا تنفيذ أن أرضنا المفتوحة عنوة ملك للدولة

والقضاء عليها ، فإنه لا وجود لها إلا بأن تكون مهيمنة على أحوال الناس ، وأن يخضعوا لها تقاليدهم وروايتهم قال صلوات الله وسلامه عليه (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) .

٦ - بعد أن ذكر الكاتب أحكام الشريعة في الغنائم دعا إلى عدم العمل بها لأن عادات الناس تغيرت ، والأسلحة التي يجاربون بها في هذا العصر تختلف عن الأسلحة السابقة فقال ما نفسه (هذه الأحكام الشرعية وجدت يوم كانت الدنيا كلها تجري تقريبا على هذه القواعد أو على تلك العادات .

ونحن اليوم نمضي في الحرب على أسس لم تكن معروفة للسابقين من مدفعية ودبابات ثم قال : لقد تغيرت العادات وتغيرت القوانين تبعاً لها . وقال أيضاً إن تغير كل هذا قد عطل نصوص الشرع الشريف الخاصة بالغنائم ولا ضير في ذلك ولا ضرر) .

ولا ريب أن هذا قول بالغ الخطورة ، ودهوة جريئة آثمة ، ومحاولة باغية لإلغاء نصوص القرآن والسنة في باب من أبرز أبواب شريعة الإسلام ، ومن أجل أي شيء يقترف هذا الفساد والدمار ؟ من أجل اختلاف الأسلحة في عصرنا عن العصر الماضي أي منطلق هذا ؟ وأي عقل يسيغه ؟ وأي حلیم يصبر على هذا الهراء ؟

(والسواد ^(١) أرض خراج) لأنه يجوز إقرارهم على الكفر فقد وجد شرط الخراج ولأن عمر رضى الله عنه فتح سواد العراق ووضع عليه الخراج بمحض من الصحابة - وأجمع الصحابة على وضع الخراج على الشام . وكذلك وضع عمر رضى الله عنه على مصر الخراج حين فتحها عمرو بن العاص ثم قال : (وأرض السواد مملوكة لأهلها يجوز تصرفهم فيها) لما بينا أن الإمام إذا فتح بلدة قهرأ له أن يقر أهلها عليها ويضع عليهم الخراج - فإذا أقرهم عليها بقيت مملوكة لهم فيجوز تصرفهم فيها بيعاً وشراء وإجارة وغير ذلك كسائر الملاك والأملاك . ١٥

لهذا بقيت كلمة أتوجه بها إلى هذا الكاتب وأمثاله : إنه ينبغي ألا يتناول الإنسان إلى مقام على إلا بعد أن يعد له هذه دراسة شاملة . وبحيث مستنير . ونظرة فاحصة أمثالاً لقول العليم الحكيم : ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً ، ٢

مفتاوى عبود

(١) قال صاحب الباب في تفسير السواد (أى سواد العراق سمي - وأدا الخضرة أشجاره وزروعه وهو الذى فتح على عهد سيدنا عمر فأقر أهله عليه . ووضع على رقابهم الجزية . وطى أراضيهم الخراج) . ١٥

ورقف على المسلمين فهل لهم أن يعلموا أن أراضيهم التى تحت أيديهم ليست ملكاً لهم وإنما هى ملك للدولة وأنها تحت أيديهم على أنها أرض عشرية وأن ما دفعوه فيها من أموال للبائعين كانت من قبيل خلو الرجل ، وهذا كلام يعترض عليه من وجوه .

الأول - إنه يناقض رأى الكاتب فى أول المقال فإنه يرى أن التحريم لا يثبت إلا بنص من القرآن أو السنة ، وكلامه هذا يتضمن تحريم انتفاع هؤلاء بأراضيهم فأين النص من القرآن أو السنة على هذا التحريم ؟

الثانى : قوله : إن ما دفعوه فيها من أموال للبائعين كانت من قبيل خلو الرجل : يفيد هذا القول أن خلو الرجل مشروع مع أنه أمر غير مشروع إذ المال المسأخوذ فيه ليس له عوض ولا مقابل فيكون من باب أكل أموال الناس بالباطل ، وقدم حرم الله ذلك بقوله : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، .

الثالث : الحكم بأن أرض مصر غير مملوكة لأهلها حكم غير سديد لأن أرض مصر فتحت عنوة حين فتحها عمرو بن العاص . وأقر عمر رضى الله عنه أهلها عليها - ووضع الخراج على أرضها فتكون أرضاً خراجية - والأرض الخراجية مملوكة لأهلها يجوز تصرفهم فيها بيعاً وإجارة وغير ذلك : قال فى المختار وشرحه الاختيار :

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّار

تنقصهم الدراسة الواعية ، ويتملكهم الغرور المتعالي ، وتسيطر على أفلامهم ، وعقولهم (اللامبالاة) فيعرفون بما لا يعرفون ، ويعتسفون في مجاهل ليست لهم أية خبرة بشعابها ووديانها ، وقد يما قال العرب : قتل أرضاً عالمها وقتلت أرض جاهلها .

هل سمعت (حلاق القرية) في ساحة الحى حيث يجلس متعالياً متطاولاً ، وحوله أهله وعشيرته متحلقون ، يحاضر في أدق شئون الطب ، ويشخص أكثر الأمراض تعقيداً ، ويصف لها من الأدوية ما كانت تصفه المعاجز منذ قرون ؟

إذا كنت رأيت هذا المشهد الرائع العجيب ، أو سمعت به ، فاعلم أنه مثل واضح صادق لبعض أصحابنا الذين يحاضرون ، أو يكتبون ، أو يذيعون آراء يزعمون أنها لتجديد الدين ، أو لتفسيره ، أو لحل مشاكل الناس من الناحية الدينية ، وهم فيما يبدو لم يقرأوا كتاباً واحداً في أصول التشريع ، أو على الأقل لم يفهموا هذا الكتاب إذا كانت كبرياؤهم سمحت لهم فاولوا أن يمحروا بصفحاته مرور العجالي المجتهدين .

لا يكاد يمر يوم دون أن يسجل الراصد للتيارات الفكرية في أيامنا هذه تياراً منحرفاً في التفكير الديني .

فقد كثرت وسائل الإعلام ، واتسع مجالها ، من صحف ومجلات ، وإذاعة مسموعة ، وأخرى مشاهدة منظورة ، و (سينما) ومصرح ، وأندية ثقافية ... إلى أنماط أخرى تتيح للناس أن يعبروا عن آرائهم . وقد يكون من الخير أن يتذاكر الناس شئون دينهم ، وأن يعبر كل ذي رأى عن رأيه ؛ فإن الحقيقة بنت البحث - كما يقال - وأن المذاكرة تعدى على العلم - كما يقال أيضاً - .

ولكن الذى لا يبشر بخير ، أن يقول كل من أراد ما أراد دون أن يرجع إلى فقهه في موضوعه ، ودون أن يتعمق الدراسة ليحضر رأيه ، وأن يتقحم الكتاب كل موضوع دون أن يكون من أهله ، فإن أضرار هذا التقحم كثيرة ، وأولها يعود على الكتاب نفسه ، لأنه يظهره في ثوب الجاهل المتعالم ، أو الأجني المتطفل .

ولملك أيها القارىء لاحظت كما لاحظت أن كثيرين ممن يتسللون في الإصلاح الديني

ويحطب حباله ، وكان أكثر ما يقبج به حرية الرأي ، ولست أذكر أنه سمح مرة واحدة لكلمة حق أن تنشر في (يومياته) على الرغم من الكلمات الجادة ، الواضحة الحجة ، البينة المحجة التي أرسلت إليه .

ذكرت كل ذلك حين رأيتني في الأيام الأخيرة أطلع كل يوم على عجيب في مهاجمة الدين ، أو في تحريف نصوصه ، أو في تفسير قواعده وأصوله ، على طريقة (حلاق قريبنا) العالم بالطب والجراحة ، وهو لا يعرف إلا الحجامة والكي بالنار ، ونزع الأضراس (بكاشته العتيقة) .

وآخر ما قرأت من هذا مقالات في (التجديد الديني) للدكتور محمد أحمد خنق الله ، أثر بها مجلة الرسالة .

وعلى الرغم من معرفتي القديمة للدكتور من يوم أن فعل فعلته بكتابته (القصص الفني في القرآن) فقد تابعت قراءة هذه المقالات على أمل أن أجده فيها جديداً ينفع أمتنا ، وينفع المسلمين في وقتهم الحاضر ، ولكن وجدتني بعد أن أتم الدكتور مقالاته أذكر هذه القصة القصيرة :

لقي رجل صديقا له فسأله : الحسن والحسين بنتا معاوية بن أبي طالب ؟ فقال له صاحبه : راقه ، ما أدري أي أخطائك المصحح

ولعل أخطر هذه الآراء تلك التي يذيعها أناس يملكون حق النشر والطل ، فهم في الوقت الذي يملنون فيه أنهم يقدسون حرية الرأي ، ويقدرون قيمة الكلمة ، لا تسمعهم الشجاعة النفسية أن ينشروا كلمة واحدة تعاسرهم الحساب ، أو تبين لهم مدى الخطأ الذي يقعون فيه ، في الوقت الذي يذيعون فيه كل كلمة منحرفة ما دامت تسير في الطريق الذي يسرون فيه ، وتهدف إلى الغاية التي يقصدونها .

ولسنا نطلب من الدولة أن تضرب على أيدي هؤلاء ، ولا من المسؤولين الحقيقيين عن أجهزة الإعلام أن يطهرها ممن يقولون بغير علم ، ويحترثون على الحقائق منهم اكتمرات ، ويعتمدون على مقدساتنا الغير صالح أمتنا ، لسنا نطلب شيئا من ذلك ، ولكننا نطلب منهم أن تكون لهم رقابة على سير هذه الأجهزة حتى يدركوا أن اتجاهات خاصة تسيطر على بعضها ، ولا أثر لاتجاهات أخرى تحد من غلواء تلك الاتجاهات ، وتقلل من خطرهما على عقائد الناس ، وعلى أخلاقهم . لقد كان منذ سنوات كاتب كان حوريوه يصغونه بأنه من أعمدة الفكر في هذا العصر ، وكان يكتب (يومياته) في صحيفة يومية ، وكثيراً ما تناول قضايا دينية وحشد لها من المنحرفين ، وطلاب الشهرة من يؤيد آراءه

وهكذا في غفلة من العقل ، وذهول من المنطق ، وفي جرأة على الحق حكم الكاتب على (التكليف والأحكام) في شريعتنا الإسلامية الثابتة الخالدة ، بأنها غير ثابتة ، ولا خالدة .

فالصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، يناها التغيير - وير والتبديل أصولاً وفروعاً في رأى الكاتب .

وإذا كانت الصلاة - مثلاً - تختلف في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم عن شريعة إبراهيم ، ونوح ، فينبغي - كما يزعم الكاتب - أن تختلف في القرن العشرين عنها في حياة الرسول ، وهكذا يقال في كل التكليف . ولا اعتقد أن هذا جهل من الكاتب ، فهذا لا يكاد يحفل الحق فيه مسلم ، ولا غير مسلم ، فبقي أن يرجع القارىء إلى حسنه وتخمينه ليعرف ما الذى حمل كاتباً يشرف على مجلات وزارة الثقافة أن يثبت مثل هذا الكلام .

ونمضى مع المكاتب فتراه يصير على هذا الذى ارتآه ، ولكنه يبدأ بتراجع شيئاً فشيئاً ، فيرى أن نصوص الشرائع الصامدة نصوص مقدسة لا يمكن أن تكون محل تغيير ، ولكنه في الوقت نفسه يرى أن آيات الأحكام أو بعضها يمكن أن تتأثر بفعل الزمن ، هكذا (آيات) فهو لم يقل : الأحكام التى استنبطها الفقهاء من بعض

وقد مست هذه المقالات أصولاً وفروعاً في التشريع الإسلامى مساً عنيفاً .

وسأترك للمتعمقين في دراسة الفقه والأصول الرد على ما أثاره من مسائل جزئية ، وأراجعه في القضايا الكبرى التى أثارها ، والتى أظن أنها لا تخفى على من له المهام ما بالتشريع الإسلامى ، وسيتبين من هذه المراجعة أن الكاتب لم يكن يعتقد ما يقول .

١ - ابتدأ الكاتب فوضع (أصلاً) ليعنى عليه كل ما أتى به بعد ، ذلك الأصل هو أن في التشريعات الدينية عناصر ثابتة خالدة لا تتأثر بزمان أو بمكان وعناصر أخرى غير ثابتة .

ومثل الأولى بالمعتقدات الدينية الخاصة بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهى التى وصى الله بها جميع الأنبياء - كما ورد في هذه الآية التى ساقها الكاتب في هذا الموضع - : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . واعتمد - هنا - على تفسير الرازى لهذه الآية ، رخص إلى العناصر غير الثابتة ورأى أنها (التكليف والأحكام) فهى - كما يقول - خاضعة للتغيير والتبديل .

أبي يوسف في جراحة غريبة ، وتعميم عجيب من جواز ترك النص واتباع العادة .

٢ - وينسب إلى الفقهاء أنهم يقولون إن الإجماع إنما يكون حين لا يوجد نص من كتاب ، أو سنة صحيحة ، ومعنى ذلك - عنده - أن الحكم الشرعي الذي يحمي عن طريق الإجماع يكون حكماً شرعياً مستحدثاً .

وهذه غلظة سببها أن السكاتب لم يحاول أن يطلع حتى ولا على (تعريف) الإجماع . ويستطرد السكاتب فيبني على أصله هذا أن طبيعة الإجماع هي بعينها طبيعة التشريعات المدنية ، أي أنها وضع القوانين والقواعد المنظمة للعلاقات بين الناس ، وإن كانت القوانين المدنية - فيما يرى - أدق ، وأكمل تنظيماً .

وما دام سبيل الإجماع ، والتشريعات المدنية واحداً فلماذا لا نعتبر التشريعات المدنية الحديثة الخاصة بالمعاملات ، والصادرة عن الهيئات التشريعية الحديثة من قبيل الإجماع ، أنه يعتبرها كذلك ، ولا عبرة في هذا الموقف بمخالفتها لإجماع سابق ، ولو كان هذا الإجماع إجماعاً للصحابة - رضى الله عنهم - كما قال .

ونقول له :

أولاً : اعلم - وفقك الله - أن الإجماع لا بد أن يعتمد على نص ، من كتاب أو سنة (فإذا لم يكن في نازلة كتاب ولا سنة وأتى

الآيات ، وإنما قال (الآيات) كأنه يرى أن بعض النصوص المقدسة يمكن أن يتأثر بفضل الزمن .

ويضرب في همياء مظلمة ، في خبط وخلط ، راجعاً مرة إلى ابن خلدون ، وأخرى إلى ابن قيم الجوزية ، وثالثاً إلى بعض الآيات ليصل أخيراً في إعياء وإجهاد إلى بعض الفقهاء الذي يرى أن مخالفة الأحكام المأخوذة من النصوص الدينية تجوز في غير الضرورة وذلك إذا زالت علة الحكم الشرعي ، أو تغير العرف والعادة ، ويعلن هنا عن قاعدة ذهبية وآها في بعض السكاتب دون أن يتعمق في دراستها ، وينسبها إلى (الفقهاء المسلمين) هكذا بصيغة التعميم ، وهي : « إن الحكم الشرعي المبنى على علة يدور مع علقته وجوداً وعدماً » .

وأنا أترك شرح هذه القاعدة ، وبيان ما فيها لمن يناقشونه من فقهاءنا ، أو أحيله على أي كتاب من كتب أصول الفقه ليتفهم هذه القاعدة جيداً .

ويذكر هنا - مثلاً - وهو - كما يقول - تعطيل سيدنا عمر بن الخطاب لبعض النصوص القرآنية الخاصة بالمؤلفة قلوبهم ، وأحيله على أحد الشيوخ ليشرح له صنيع عمر ، فإن مثل هذا السكاتب لا يحتاج فقط إلى كتاب يقرأ فيه ، وإنما يحتاج إلى معلم يرشده

ومن هذا القبيل ما نسبته إلى الإمام

ألا يعتد بهذه الأحكام ، وهو - في هذا -
يجعل لباب علم الأصول .

ونقول له ثانيا : إن الإجماع في كل مسألة
لا يعتد به إلا إذا كان من (المتخصصين)
في هذا العلم ، وليست أحكام الدين بأقل
حرمة من قضايا الهندسة والطب والجغرافيا ،
فإذا كنا لا نقبل من أعلام الهندسة أن يفتونا
في أدق الشئون الطبية ولا في أوضحها فكيف
نقبل من رجال لم يتخصصوا في الدراسات
الدينية أن يفتونا في شئون ديننا ، وأن نعتبر
إجماعهم ملزما لنا ، بل ناسخا لإجماع الصحابة .
كيف نقبل من لجنة فيها كوهين ،
ومرئص والمستهترق فلان من أعضاء
الإسلام أن يكون حكمهم ملزما لنا في شريعتنا ،
بل ومعتلا للحكم الذي أجمع عليه صحابة
رسول الله .

لأنني مرة أخرى أجهل الغاية الحقيقية التي
يجري الكاتب خلفها ليدركها بمثل هذا الهراء .
٣ - وقريب من الإجماع اجتهاد المجتهدين .
والكاتب يرى فيه ما رآه في الإجماع ،
لأنه يرى أن الاجتهاد منفصل عن الكتاب
والسنة ، ويجعل هذا الاجتهاد قسما لها ،
فصادر التشريع عنده ثلاثة : الكتاب ،
والسنة ، والاجتهاد - ونفى هنا الإجماع -
ثم إن أقوال المجتهدين غير ملزمة لنا ؛ لأن
لنا من الحق مثل ما لهم .

ولو أن الكاتب مال على طالب أزهري

فيها السلف بفتوى ، ولم يعلم من أحد منهم
خلاف في تلك الفتوى ؛ فإن جمهور الفقهاء
يرى ذلك حجة في الدين وذلك إن اجتماعهم
لا يكون عن رأى ، إذ الرأى إذا كان
تفرق فيه .

وذلك - في الحقيقة - راجع إلى العمل
بالسنة ، واعتبار ما كان من عدم الخلاف
دليلا على وجود سنة رجعت إليها تلك
الفتوى ، وهذا قليل الوجود جداً ، فيما
اجتهد فيه العلماء (١) .

وأظن أن هذا كلام واضح لا يحتاج إلى
شرح ، فالإجماع ليس عن رأى محض ، وإنما
هو مستمد من النصوص

والاتفاق على فتوى دون أن يعلم مصدرها
من الكتاب والسنة قليل جداً .

ولعل من هذا القبيل تقسيم الكاتب
الأحكام الشرعية إلى ما كان عن آية قرآنية ،
أو سنة متواترة ، وما كان عن رأى الفقهاء ،
كأن الفقهاء يقولون من عند أنفسهم دون
أن يكون لأرائهم مستند من كتاب أو سنة ،
ووضع كلمة (متواترة) هنا بجانب السنة
يهدف إلى غاية مفكرة ، إذ من المعلوم أن
المتواتر من الأحاديث قليل ، وأن الأحكام
الشرعية المسأخوذة من الأحاديث غير
المتواترة كثيرة ، وكان الكاتب يريد

(١) تاريخ التشريع لفيخ الحضري ص ٢٠٦

الاجتهاد معجزة ، وما دام يرى أن من حق الفلاح في الحقول ، والصانع في المصنع ، والصحنى في مكتبته بتلك الجملة التي تنشر الفساد ، ما دام يرى أن من حق كل هؤلاء أن يجتهدوا ، فلا بأس ، لأنهم أعمق ثقافة من السابقين ، ولا علينا أن يجتهد في الدين . من لا يحفظ آية من كتاب الله ، ولا من لا يعرف معنى السنة . ولا من لم يدرس شيئاً في صيرة الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين ، لا علينا من ذلك مادام قد قرأ (كارل ماركس) وتهايم (لينين) ووجودية (سارتر) أليس هؤلاء أدق وأعمق ثقافة من السابقين .

٤ - ويبدو أن السكاتب (عجن ما عجن) ليصل إلى الرأى في المعاملات الحديثة ، فهو يطالعنا - أولاً - بأن السنة العملية كانت تدور أكثر ما تدور حول العبادات ، أما المعاملات فكانت عبارة الرسول عليه السلام : أنتم أعلم بأمر دنياكم .

انقد ذكرنى هذا الكلام بموقف أبى حنيفة رضى الله عنه من ذلك الرجل الذى احقرمه ، ثم تبين له .

قالوا إن أبأ حنيفة كان يدرس في المسجد ، وبينما هو جالس دخل رجل له هيئة وشارة حسنة ، وكان أبو حنيفة ماداً رجله - لعل ذلك من وجع - فلما رأى الرجل ضمه ، ثم قال أبو حنيفة : إذا أدبر النهار من هنا ،

صغير ، وسأله أن يعرف له الاجتهاد لقال له : إنه استفادة المسكف الحكم من كلام الوحي - هكذا (كلام الوحي) . ولو ظفر بطالب آخر لعرف له الاجتهاد تعريفاً آخر فقال له : هو بذل أقصى الوسع لتحصيل حكم شرعى عملي بطريق الاستنباط من الأدلة الشرعية . وربما أسعده الحسظ فلقى عالماً أزهرياً يقول له إن الاجتهاد هو الفقه ، وإن الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية ، وإذن فليست أقوال الوحي هى الأحكام وإنما هى (أدلة الأحكام) والعالم إذا وجه همه ، وبذل جهده واستخرج حكماً من هذه الأدلة سمي (مجتهداً) .

فالا جهاد - أيها السيد الجليل - ليس منفصلاً عن الكتاب والسنة ، وإنما هو معتمد عليهما ، آخذ منهما .

ويحبط السكاتب - كمادته - في موضوع الاجتهاد ، فيرى أن شروطه معجزة ، وأنه الآن أيسر منه فيما مضى للتقدم العلمى والرقى الفكرى اللذين يساهدان على المضى فى الاجتهاد دون خشية من الانحراف أو الخطأ ، ولتعدد الدراسات الذى يجعل ثقافة من يريد أن يجتهد أدق وأعمق من ثقافات السابقين .

ولا غرو ، فإدام يريد أن يقول فى الدين كل (من هب) وكل (من دب) فشرط

تجمع وتدون، كأن الفقهاء لم يكونوا يرجعون إلى هذه السنة إلا حين يجدونها في كتاب .
ومرة أخرى أقول للكتاب أرجع إلى كتاب من كتب الفقه لتعرف أن السنة كانت مصدرا مهما لكل التشريعات ، ومنها المعاملات .

ويخطو الكتاب خطوة أخرى في شأن المعاملات فيرى : أن ما وافق مصلحتنا قلنا به ، وما لم يوافق أهرضنا عنه . فالأساس في ميدان المعاملات - كما يقول - هو رعاية حاجات الناس ، والمصلحة العامة

وهذا كلام سبقه به الكتاب إسماعيل مظهر ، ورددنا عليه في حينه ، وزيد أن نوجز له القول هنا . فنقول : إن معنى هذا أن المصلحة هي التي توجه النصوص ، وتفسر الآيات ، وليس الشرع هو الذي ينظم هذه المصلحة ، ويبين ما هو مصلحة في الحقيقة ، وما ليس مصلحة ، إنما حين نخضع التشريع للمصلحة نختلف اختلافا كبيرا لأن بعض ما يراه الرأسماليون مصلحة لا يراه الشيوعيون . . . وهكذا .

ثم يخطو الخطوة الأخيرة - ولعلها الهدف الأصيل - فيرى أن جميع مشروطاتنا المستحدثة لا تحتاج إلى فتوى من رجال الدين إذ من المسلم به أن الكتاب والسنة لم يعرضا لها ، لأنها لم تكن موجودة .

وأقبل الليل من هنا أفطر الصائم ، فقال الرجل : يا هذا ، إذا أدبر النهار من هنا ، وأقبل الليل من هنا ولا تزال الشمس طالعة ، فماذا نصنع ، فقال الإمام : إذن ، أبو حنيفة يمد رجليه .

هل يصدق أحدلو لم يكن إمضاء الدكتور خلف الله مذيلا لمقاله أن مثله يقول هذا الكلام .
والمعاملات ، ليست في كتاب ، ولا سنة ، المعاملات فصل فيها النبي بقوله : أنتم أهل بشتون دنياكم ، ومن عجب أن الكتاب ذكر أن كلام النبي هذا جاء في حادثة أبر النخل .
فأولا من المعاملات البيوع والرهن ، والحجر ، والشفعة والوكالة والحوالة والكفالة وكثير غير هذه ولو قرأ الكتاب كتابا صغيراً في الفقه الإسلامي لوجد في أول كل باب من هذه الأبواب : دليل شرعيته الكتاب والسنة .

وثانيا من قال ، ومن يعقل أن (أبر النخل) من المعاملات ؟

إن الكتاب في سبيل هدفه يغفل عن أوضح الأمور ، وأبينها ، وهذا ليس شأن من يدعو إلى (التجديد الديني) إلا إذا كان الدين عندنا أهون من كلمة تكسب في صحيفة .

ومن هذا الخطب - أيضا - قول الكتاب إن الرجوع إلى السنة النظرية وبخاصة في باب المعاملات كان قليلا ، يوم أن كانت

من حقنا أن نسي النساء والأطفال ونسترقهم، وليس للجندي نصيب في الغنائم، واينذهب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من قتل قتيلًا فله سلبه، أدراج الرياح.

لماذا؟ لأن قوانين الحرب قد تغيرت، كما تغيرت العادات، وكل ذلك قد عطل نصوص الشرع الشريف الخاصة بالغنائم، ولا ضير في ذلك، ولا ضرر.

وهذا - أولاً - اجتهاد من المكاتب، وهو ليس أهلاً لهذا الاجتهاد، لأنه فيما أعرف، وفيما يبدو من مقالاته لم يدرس أية دراسة جادة لكتب التشريع الإسلامي.

و- ثانياً - إن الحكم على شرهنا بالقوانين الدوائية رفع لهذه القوانين فوق نصوص الشرع، ولا يرضى بذلك مسلم.

و- ثالثاً - على الكاتب أن يقرأ (باب الجهاد والسير) في كتب الفقه ليعرف أنه لا ضير في أن نسترق الجندي المقاتل لما إذ توفرت الشروط التي كان يسترق بها الجندي في حروب الإسلام، وأن أخذ المقاتل سلب القميل لا يمنعه مانع، ولا يعترض على هذا بأننا لا نستطيع اليوم أن نقتل من قتل القميل فهذه ليست صورة مستحدثة، وإنما كانت في العهود الإسلامية الأولى، وكان لها حكمها الإسلامي.

و- رابعاً - من قال إن بلاد الإسلام تطابق

ما شاء الله. هل يعتد الكاتب هذا الكلام حقاً؟ ألا يعرف الكاتب أن كثيراً من مشروطتنا كان في كل زمان ومكان؟ ألا يعرف الكاتب أن في التشريع الإسلامي قواعد كلية، يرجع إليها للحكم في المسائل الجزئية؟.

إن الكاتب نفسه يعنى فيذكر أن من القواعد أن الأصل في الأشياء الإباحة، وما دامت معاملتنا الحديثة لم تكن موجودة فلم يرد فيها نص بالتحريم فهي مباحة.

أليس ذلك وجوع إلى قاعدة من قواعد التشريع؟ يؤكدنا من ينكر أن يكون للتشريع الإسلامي رأى في هذه المستحدثات، وليس بين الإثبات والإنكار فاصل يجعله ينسى...

هـ - وبلغ المكاتب في رأى أبي يوسف فيما يتعلق بحكم العادة، فينسب إليه مرة أخرى القول بأن الحكم الشرعي المبنى على العادة يعطل إذا تغيرت العادة، ولا ضير من مخالفة النصوص.

وأما لا أناقش الكاتب في مدى صحة نسبة هذا القول إلى الإمام أبي يوسف، ولكنني أناقشه في المثال الذي أراد أن يطبق الحكم فيه بناء على هذا القول:

قال الكاتب: إنه ليس من حقنا اليوم أن نقتل الجندي المقاتل، أو نسترقه، وليس

ففي هذه الأحكام حتى ترضى أو لا ترضى . المتواتر ، وما هذا ذلك فأقوال فقهاء لنا أن إن الكتائب يستخدم الأمايب الخطابية في أدق العتقون الدينية ، إنه يريد أن يعطل فصوص الشرح الشريف كما يقول ، لأننا لا نسمح بتطبيق هذه النصوص علينا .

أبهذه السهولة - يا صاحب الفن القصصى - تقضى على آيات بينات محكمات في كتابنا المقدس ؟ أهذا هو التجديد الدينى ؟

لقد هزلت حتى بدا من هزالها

كلاها ، وحتى سأمها كل منلس ٦ - وأخيراً - وقد قلت إنى لا أريد أن أراجع الكتائب فى شىء من التفاصيل - أحب أن ألق معه رقيقة قصيرة فى دعوته التى ختم بها مقالاته :

لقد توجه إلى رجال الدين ، وإلى علماء الأزهر الشريف أن يطبقوا أحكام الشرع الشريف فيملنوا تنازلهم عن أراضهم التى تحت أيديهم ، لأن مصر فتحت عنوة ، والأرض المفتوحة عنوة ملك للدولة - كما تفيد نصوص الشرع فيما يرى الكتائب - .

ولست أريد أن أبين (تفاهة) هذا الكلام ، وما يحمل من سوء قصد كما أنى لا أريد أن أبين له أقوال الفقهاء فى أرض مصر .

ولنما أريد أن أوجه نظره إلى أمرين : الأول : أنه فى كل ما سبق من مقالاته يرى أن المعتبر هو نص القرآن ، والحديث

الثانى : هل يعرف الكتائب الرقعة التى كانت مزروعة فى مصر أيام فتح العرب لها ؟ إن بعض العارفين يقدر هذه الرقعة بعشر المساحة المزروعة الآن أما التسمية الأعشار الباقية فهى بما أصلحها الناس أو أصلحتها الدولة وباعتها للناس ، والنص الشرعى يقول : (من أحيا مواتا فهو له) .

أليس قول الكتائب هذا بما يؤكد له أن من الضرورى لمن يكتب فى مسألة أن يحيط بجميع ما قيل فيها ؟ وإلا كان قوله رداً عليه ، ودليلاً على أنه يقول فيما لا يعرف . إن رجال الدين ، وعلماء الأزهر الشريف - أيها السيد - كانوا وما يزالون المثل الأعلى للبازلين فى سبيل الوطن ، وفى سبيل مصلحة الأمة ، وفى مقدمة الداعين إلى أن يأخذ الفقير حقه ، ولا نعرف فيهم من استغل مركزه أو عمله فى سبيل كسب مادى ، والاحتياىل على هذا الكسب بالمشروع وغير المشروع من الأعمال والأقوال ؟

على العمارة

مِنْ نَحْوِ مَجْمَعِ الْبَحْثِ

الملكية الفردية وتحديداتها في الإسلام

للأستاذ علي الخفيف

- ٥ -

استجابة لداعي الحاجة وعلى ذلك كانت الشريعة بقدر الحاجة وعلى وفق ما تتطلبه وكانت الثروة العامة يومئذ للساكنين ضيقة الحدود قليلة المقدار في جملتها بالنسبة إلى ثراء غيرها من الأمم الأخرى المعاصرة لها وكانت أهم مصادرها ضعيفة هزيلة إذ لم تتجاوز الزراعة في مساحات ضيقة ينقصها ما تحتاجه من وفر الماء فقد كانت الزراعة في حوائط معدودات لا يزال مظهرها الضئيل ماثلاً إلى اليوم وكانت التجارة بقدر حاجتهم البدائية أما الصناعة والمصانع فلا تكاد يرى لها وجود وكان توزيع الثروة بينهم أيضاً لها قريباً إلى أن يكون متعادلاً إذ كانت موارد رزقهم لا تعدو في الغالب أن تكون هطاء من غنائم أو من زكاة تقسم بينهم وقد كانوا فيه متساوين أما ما هذا ذلك فعمل قليل لبعضهم في زراعة الأرض وأكثرهم من الأنصار أصحاب الأرض وعمل بعض الآخرين من المهاجرين والأنصار في الأسواق ولم يعرف منهم بالثراء الواسع إلا عدد قليل منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف

نعمير الملكية الفردية في مقررها : إن الإسلام حين أقر الملكية الفردية مقيدة في آثارها على ما بينا إنما أراد تجنبها أن يساء استعمالها فتتخذ وسيلة للإضرار بالناس أو بصاحبها وكثيراً ما تجعلها النفوس طريقاً إلى الترف أو المفاخرة والمسكثرة والتعالي والطفیان وغير ذلك مما ترغب فيه النفوس عادة لمتعتها وهي الأماوة بالسوء إلا من رحم الله - والنفوس هي النفوس في كل زمن وكل جيل ولذا كانت الداعية إلى العلاج قائمة في كل عصر وزمن وكان إقرار الإسلام لها على هذا الوضع استجابة لتلك الداعية الإصلاحية التهذيبية .

واقعد قامت الدولة الإسلامية الأولى في يثرب عقب الهجرة النبوية فابتدأ بقيامها عصر التشريع المالي والاجتماعي وقام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذه الشريعة على فترات زمنية تبعاً لما وقع في عهده من الحوادث ونزل من النوازل وحدثت من الحاجات فكان تبليغه للفصل فيما حدث وعلى وفق ما يتطلبه الفصل فيه

أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، الحشر .

من هذا يرى أنه لم يكن في عهد رسول الله من داعية عن مصلحة أو ضرورة تدعو إلى النظر في دفعها بتحديد الملكية في مقدارها بل كانت الحال يومئذ إلى حفز القوى وإشاعة العمل والنشاط في سبيل تنمية الثروة ، ولذا نرى في السفة كثيرا من الآثار تدعو إلى العمل والسعى في كسب المال وتنميته ، ولذا ظلت الملكية الفردية معلقة في مقدارها الإنسان أن يملك من المال ما يستطيع كسبه ، غير أن الإنسان قد فطر على حب المال والاضن به وعلى حب ادخاره والاستكثار منه ، وفي ذلك يقول الله تعالى : وإنه لحب الخير لشديد ، (العاديات) ويقول : قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لامسكم خشيعة الإنفاق وكان الإنسان قتورا ، (الإسراء ١٠٠) ويقول : وأحضرت الأنفس الشح ، ، (النساء ١٢٨) ، وذلك ما قد ينتهى به إلى الاستكثار من المال والاضن به ، وقد يفسو ذلك وينتشر في بعض طوائف من الأمة لسبب من الأسباب كالانهماك في التجارة والمضاربة في الأموال أو الإيغال في زراعة الأرض وتملكها أو نحو ذلك ، فإذا أدى ذلك إلى التفاوت بين أفراد الأمة في الثراء فتفاوتا عظيما تباعدت معه الفروق بينهم ،

والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وهم الذين أكبوا على التجارة والعمل فيها ومع هذا فقد كانت استجابة بهم لدواعى البذل والإنفاق في سبيل الله على اختلاف وجوهه وتعددتها استجابة سريعة قوية كريهة فكانوا يسارعون إلى الخروج عن جزء عظيم من أموالهم ثلثا أو نصفها بل قد يبذلونها جميعها وذلك على حسب الحاجة ومقتضى الداعية وليس لإنفاقهم في هذه الوجوه بالامر المجهول فثمان رضى الله عنه يقوم بتجهيز جيش العسرة ، ويقطع أهل المدينة في زمن أبى بكر فيصدق عليهم بألف راحة تجيئه من الشام محملة بالبر والطعام فيدفعها في سبيل الله بما تحمل وعلى مثال ذلك تروى لنا صدقات عديدة تصدق بها عبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام وطلحة - ابن عبيد الله حتى إنهم كانوا يبرمون من كثرة أموالهم ويخوفون أن يكون الله سبحانه وتعالى قد عجل لهم جزاءهم في الحياة الدنيا وكذلك نرى في الآثار المروية عن أصحاب رسول الله الكثير مما يشبه ذلك مما يدل على أن المسارعة إلى الإنفاق والبذل في سبيل الخير لم يكن من شأن المكثرين وحدهم بل كان ذلك أيضا من المقايين منهم حتى كان منهم من يؤثر على نفسه ولو كان بهم خصاصة وفيهم نزل قوله تعالى : ويؤثرون على

من أسرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء وهذا إن صح أن عمر رضى الله عنه قد قاله فليس يدل إلا على أنه وجد في هذه فقراء وأغنياء ضنوا بالفاضل عليهم وهى حال توجد في كل زمن ولم يكن لها من علاج سوى ما شرهه الله من زكاة وإنفاق وليس لعمر ولا لغيره أن يشرع ولا أن يأخذ ما لا من ماله إلا بحق ولكن له أن يجتهد ويستنبط فإذا ساءت أخلاق الناس وضعف دينهم فتركوا ما طلبه منهم خلقا وأدبا من رعاية الفقراء ومعونة المحتاجين كان من الجائز حملهم على ذلك بقوة السلطان فيفرض عليهم في أموالهم ما يقوم بسد هذه الحاجات ودفع هذه الضرورات .

إن الأمر الذى لا تصل إليه ريبة ولا شك هو كراهية الإسلام لأن يحتبس المال لدى فئة خاصة من الأمة فيتداول بينهم دون غيرهم ممن لا يجدونه ويدل على ذلك ن الله سبحانه وتعالى قد جعل ذلك حلة لقسمة ما يهيئه على رسوله من أهل القرى بين أرباب الحاجات من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وذلك في قوله تعالى : ما آفاه الله على القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى ويكون دولة بين الأغنياء منكم ، الحشر ٧

واتسعت حتى ساء بذلك توزيع الثروة العامة بينهم وانتهى الأمر بسبب ذلك إلى أن أصبحت الثروة العامة فى أيدي طائفة أو طوائف معينة محدودة العدد ومالقة فى الأمة ، أما الكثرة فقد فقدت كل شيء إلا الفقر والحاجة والاستكانة والخضوع لأرباب الثراء العريض ، الذين طفقوا يستخدمونهم بأجناس الأجور ، ويستذلونهم ويغلبونهم على إرادتهم تحت تأثير هوزم واضطراهم إلى ما يقيتهم وإلا المحقد والبغضاء لأصحاب هذا الثراء العريض الذين يرونهم دونهم دما وخلقا ومنزلة حتى اضطغنت بسبب ذلك نفوسهم فانطوت على الثورة عليهم - إذا وصل الأمر إلى مثل هذا كان من الواجب شرعا علاج هذه الحال بما يرفع هذا الضرر العام الماحق وذلك بما يراه ولى الأمر من وسائل لا يتجاوز فيها حدود ما يقتضيه دفع هذه الضرورة .

لم يحدث مثل هذه الحال ولا ما هو قريب منها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كانت تستوجب منه علاجاً بالتشريع كما لم يحدث فى عهد الخلفاء الراشدين وكل ما لوحظ أنه قد جاء ما يدل على أنه قد حدث فى عهد عمر رضى الله عنه ما استدعى تفكيره فيه والنظر فى أمر علاجه وهو وجود فقراء ووجود أغنياء ضنوا بالمال عليهم فأمسكوا أن يتصدقوا بالفاضل منه فى سداد هوزم بما دعاه إلى أن يقول بعد أن طعن تلك الطائفة التى قضى بها : لو استقبلت

لذا المعنى أن ما يفنيه الله على رسوله من أموال أهل القرى بلا إيجاف من خيل أو ركاب بل كان هن مفاوضة وصلاح هو الله ورسوله ولقد روى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل مقسوما بينهم حتى لا يكون متداولاً بين الأغنياء خاصة يتعاورونه فلا يصيب أحداً من الفقراء منه شيء وذلك ما يدل على أن تداول المال بين الأغنياء خاصة أمر كرهه بغيبض يجتنب ويجتنب كل ما يؤدي إليه . وأظهر ما يبدو فيه هذا الأمر الكرهية أن تكون الثروة العامة في أيدي طائفة من الأمة تحتازها وتمنعها فلا يصل إلى فقرائها منها شيء . إلا ما يترك لهم وهم الأكثرون في الأمة . وقد يكون فيما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً فيما أفاء الله عليه من أموال بني النضير دليل على ذلك فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قسم تلك الأموال التي تركها بنو النضير بعد إجلائهم وإخراجهم من ديارهم بين المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم إذ هاجروا بدينهم إلى المدينة وذلك لما كانوا عليه من فقر بعد هجرتهم بما اضطره إلى أن يؤاخي بينهم وبين الأنصار ليحملهم الأنصار إلى أن يرزقوا بكدهم وعملهم ولم يجعل للأنصار من ذلك المال حظاً ما عدا اثنين ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقرهما وبهذا اعتاض

المهاجرون عن بعض ما تركوه من أموال بمسكة عند هجرتهم وفي هذا نزلت الآيات من أول سورة الحشر ولقد وصلت هذه الكراهية فيما يرى أبو ذر رضي الله عنه إلى درجة الخطر والتحريم إذ كان يرى أنه يجب على المسالك أن ينفق ما فضل عن قوته وقوت أهله في سنة فيجعل ذلك الفاضل في سبيل الله ويحرم هابه ادخاره ويستند في ذلك إلى قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحصى عليها في نار جهنم فتسكوى بها جبابهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ، » التوبة ٣٤ ، ٣٥ ، كما روى عن رسول الله الحديث الذي ذكرناه في كلامنا على تقييد المسكينة ولكن هل يرى أبو ذر في ذلك ما يدل على أن لانفاق جميع ما يفضل عن قوت سنة أمر واجب فلا يجوز أن يستبقى من المال ما يستثمر في التجارة أو العمل مثلاً ؟ ذلك ما أسبقه ولا أراه فأبو ذر هو ذلك الصحابي الجليل الذي عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاصر أصحابه ورأى منهم من كان يستثمر أمواله في التجارة على مشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم دون إنكار منه واعتراض مثل أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان .

فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك)
ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة نهى عن كراء المزارع والأرض فقال :
(من كانت له أرض فليزرها أو ليعملها
وإن أبي فليمسك أرضه) ووردت في هذا
المعنى روايات أخرى صحيحة . كما روى عنه
كذلك أنه أجاز كراءها بالذهب والفضة
أو بالشيء المعلوم المضمون وأنه عامل أهل
خيبر على الشطر مما يخرج من أرضهم
ونخلهم وأن ذلك ظل باقيا إلى أن أجلاهم
عمر في خلافته كما أن الناس لم يزالوا يتعاملون
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على
كراء الأرض دون تكبير عليهم وذلك دليل
على رفع ما ورد من الحظر على كرائها وعلى
ذلك جمهور السلف والفقهاء .

وقد يبدو من هذا أن النبي صلى الله عليه
وسلم حين قدم المدينة كانت الثروة العامة
فيها بمثابة في الأرض وزراعتها وكانت يومئذ
في يد الأنصار ومنهم من كان يملك منها فوق
حاجته ومن يعيا عن زراعة جميع ما كان
يملكه منها فيؤجره لغيره فرأى أن المصلحة
تقتضى بالنهي عن كرائها وأن يشير على من
عنده فوق طاقته وحاجته منها أن يمنح الزائد
أخاه ليعتد على زراعتها لنفسه دون أجر
يؤخذ منه نظير ذلك وذلك توسعة على الفقراء
من المهاجرين بإيجاد عمل لهم يرزقون منه

وما كان لأبي ذر وقد شاهد ذلك ليرى رأيا
يخالفه فالعمل في التجارة لا يكون إلا برأس
مال يستثمر فيها وهو من غير شك مال
فاضل عن قوت سنة ولم يعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك كنزا مع ما كان يقوم به
هؤلاء من الإنفاق في سبيل الله . ولم يكن
مثل هذا ليخفى على أبي ذر . وعليه فكل
ما في الأمر أن رأى أبي ذر لم ينقل إلينا
ما يكشف عن حقيقته ويفصل لنا اتجاهاته
ومداه . ولا نظنه إلا أن يكون رأيا ينسكب
على الأشياء شحهم وضمهم بأموالهم عندما
تدعوهم الداعية إلى النفقة في سبيل الله .
ويرى ذلك مع كثرة المال أمرا محرما وإن
رآه الجمهور بعد أداء فريضته أمرا مكروها .

وقد يرى أيضاً فيما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شأن زراعة الأرض
وكرائها ما يعمل على هذه الكراهية وعلى
استحباب بذل الفاضل لمن هو في حاجة إليه
وعلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كره أن
تزيد ثروة أناس عن حاجتهم بينما يوجد
فيهم من لا يجدون حاجتهم فقد كانت المزارع
قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكرى كما يدل على ذلك حديث ابن
خديج إذ يقول (كنا من أكثر الأنصار
حقلا فكنا نكرى الأرض على أن لنا هذه
ولهم هذه فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه

خلافاً عنه وفي مثل هذا يرى الفقهاء أن لولى الأمر أن ينهى هذه الإباحة بحظر يصدر منه لمصلحة تقتضيه فيصبح ما تجاوزه أمراً محظوراً فإن طاعة ولى الأمر واجبة بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، والنساء ٥٩ ، ومن نتائج نفاذ أمر هذا عدم ثبوت ملكية المستزيد لما زاده على الحد المرسوم . والمراد بأولى الأمر الأمراء والولاة وهذا مروى عن ابن عباس وأبي هريرة ويقول الطبرى إنه أولى الأقوال بالصواب لكثرة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من إيجاب طاعتهم إلا فى معصية وهذا الإيجاب يقتضى ما يأمرون به من إيجاب مباح أو تحريمه لمصلحة تقتضى ذلك .

وقد اشترط العلماء لذلك أن يكون من يصدر منه ذلك من الأمراء والولاة مجتهداً أو قد رجع فيه إلى رأى مجتهد حتى يكون أمره هذا مستنداً إلى دليل شرعى . ومن الأدلة الشرعية المصلحة المعتبرة شرعاً . وتقدير هذه المصلحة وضرورتها مرجعه إلى ولى الأمر لأنه المنوط به إقامة الحدود وتأمين السبل وجهاد العدو وتنفيذ الأحكام والإشراف على شئون الرعية وتوفير المصلحة لهم وفى هذه الحال يكون ما أمر به حكماً شرعياً يجب اتباعه شرعاً .

إلى أن تستقر أمورهم وهذا نوع من العلاج أريد به الحض على رد ما يفضل عن الحاجة إلى من هو فى حاجة إليه . فلما استقرت الأمور ووجد الفقراء من المهاجرين لهم مرتزقا أباح لأصحاب هذه الأرض كراهها لغيرهم كما كان الحال قبل مقدمه ، وبناء على ما تقدم إذا ما تجمعت الثروة العامة فى أيدي فئة من الأمة إلى درجة أفقرت كثرتها فلم يجدوا حاجتهم فاستذلهم عزهم وألصقهم بالتراب عدمهم وساءت لذلك أحوالهم ولم يجدوا من ذوى الثراء بدأ ولا معونة واشتدت بذلك المظرة وتحققت الضرورة فان على ولى الأمر حينئذ أن يعمد إلى علاج هذه الحال دفعا للضرر وإذا لم يكن لعلاج هذه الحال من وسيلة سوى أن يهد للملكية الفردية حداً لا تجاوزه جاز له ذلك بما له من ولاية شرعية تخول له إيجاب ما فيه صالح الأمة وأن يجعل هذا حداً مطلقاً يتناول جميع أنواعها أو خاصاً فى نوع منها كملكية الأرض مثلاً إذا ما رأى أن الضرر يرتفع بذلك وقد بينا أن الشارع قد حدد لها حدوداً فى آثارها وحقوقها حين اقتضت المصلحة ذلك فإذا ما اقتضت كذلك أن تحد فى مقدارها وجب أن يحدد لها حداً كما حدد آثارها ، وقد بينا أن زيادة الملكية من المباحات قبل الإسلام وبعده ولم يرد فيها نص يجعل الحد منها

الكتابات مع حل ذلك بنص الكتاب وقال إنى لا أحرمه ولكنى أخشى الإعراض عن الزواج بالمسلات . د القرطبي ص ٣ سنة ٦٨٠ .

وبناء على ذلك فليس ما يمنع من تحديد الملكية تحديدا عاما أو خاصا فى نوع من الأنواع إذا ما اقتضت المصلحة والضرورة ذلك ولا شك أن تحديدها فى مقدارها كتحديدها فى آثارها بل ربما كان تحديدها فى آثارها أقرب سبيلا لأن تحديد الآثار يستلزم أن يسلب السبب الشرعية أثره فلا يصير سببا .

وإذا ما أقدم على الأمر على هذا التحديد للضرورة التى اقتضته فهل تنتهى عند الحد الذى رسمه كل ملكية قائمة بتجاوزه فىؤخذ منها ما زاد عليه ويعود إلى ملك الأمة ؟ وإذا أخذ منها فهل يؤخذ منها ببدل ؟

لأنه لا سبيل إلى ترك هذه الزيادة لأصحابها لأن تحديد الملكية إنما كان واجبا شرعيا اقتضاه رفع ضرر مائل فى تجميع الثروة فى أيدي فئة قليلة وفى تفارقت الفروق فيها بين أفراد الأمة إلى درجة أدت إلى الاضطراب والفتن وفى ترك هذه الزيادة فى أيدي أصحابها إبقاء على ثروتهم وفيه إهمال وترك لهذا الواجب ونقض لمقتضى الحد منها وعدم ثبوت ملكية صاحب الزيادة لها فى يديه

أما إذا لم يكن يجتهد ولم يرجع فى أمره إلى رأى مجتهد فإن طاعته حينئذ يجب باعتبار أمره أمرا يقوم عليه النظام وتضطرب بمخالفته الأحوال ويعرض مخالفته للعقاب .

ولقد كان من أعمال الخلفاء الراشدين ما يؤيد ذلك نذكر منها ما يأتى :

١ — اقتضت المصلحة فى عهد عمر رضى الله عنه أن يمنع الناس من أكل اللحوم يومين متتاليين من كل أسبوع لقلّة فى اللحوم وأما فلم تكن تكفى جميع الناس فى المدينة فعمد إلى هذا المنع فأوجبه وكان يأتى بجزرة الزبير بن العوام بالبقيع ولم يكن بالمدينة سواها فإن رأى من خرج عن هذا المنع ضربه بالدرّة وقال له هلا طويت بطنك يومين وقد فعل ذلك ليتداول اللحم بين الناس وكان منه هذا فى أمر مباح ، ترجمة عمر لأبى الفرج الجوزى .

٢ — حل عثمان رضى الله عنه الناس حين قام بجمع القرآن على قراءته على حرف واحد بعد أن كان لهم أن يقرؤوه على سبعة أحرف كانت مباحة لهم وذلك لما رأى من اختلاف الناس فى قراءته وما أدى إليه اختلافهم هذا من نزاع وخلاف بينهم خاف تفاقم شره .

٣ — منع عمر رضى الله عنه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزوج

وإذا كان بحق لم يكن اعتداء إذ لا قيام للملكية ولا لحمايتها أمام حق يطلب ولذا أخذ للجائع المشرف على الهلاك من مال غيره ما يقيم من حياته دفعا للهلاك عنه دون أن يمنع من ذلك ما للملك صاحب المال من حماية، ألا ترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بقلع نخل سمرة بن جندب دون مراعاة لحقه في حماية ملكه حين اتخذه وسيلة إلى الإضرار بغيره وأبى بيعه أو هبته لصاحب البستان الذي يقوم فيه ذلك النخل. وقد ذكرنا ذلك فيما مضى وعلى أساس ذلك كان قضاء عمر رضى الله عنه للضحاك بن خليفة الأنصارى إذ قضى له بإمرار خليج من أرض محمد بن مسلمة رغم إيمانه ذلك ولعبد الرحمن بن عوف إذ قضى له بتحويله ساقية في بستان إلى جهة قريبة من أرضه على الرغم من إباء صاحب البستان وقد ذكرنا ذلك فيما سبق فهذا وأمثاله مما يروى يدل على أنه لا حماية للملكية عند تحقق الضرر .

ولقد شاطر عمر رضى الله عنه بعض ولائه الذين وردوا عليه من ولاياتهم بأموال لم تكن لهم استجابة لمصلحة عامة تمس الولاية وهو البعد بها عن الشبهات وعن اتخاذهام مغنا ووسيلة للاستكثار من الأموال ففعل ذلك مع عتبة بن أبي سفيان إذ ولاء على كنانة فقدم عليه بمال فقال له : يا عتبة ما هذا ؟

من زيادة وعلى ذلك يجب أخذ هذه الزيادة وانتقاص ملكية صاحبها بأخذها . ولا يتم هذا الانتقاص إلا إذا أخذت بلا بدل ذلك لأن في أخذها بالبدل إبقاء على مقدار ثروة صاحبها وليس فيه إلا تغيير عناصرها وذلك بأن يسقط بدل بعنصر منها آخر يضم إليها وليس يعد هذا اعتداء على ملك محترم لأنه لا ملك بعد الهدم منها وجوب ونفاذ ذلك شرعا ومثل ذلك مثل المال يؤخذ في تجهيز الجيوش وإعداد العدة للدفاع عن البلاد ضد المعتدين عليها وذلك إذا لم يكن في بيت المال ما يقوم بذلك من الأموال فقد ذهب العلماء والفقهاء إلى أن ذلك يؤخذ كما تؤخذ الوظائف والضرائب بلا عوض والاخذ في الحاليين سواء فهو بما تقضى به الضرورة في كل منها .

وعلى ذلك يكون ما يؤخذ لهذا الغرض ملكا للأمة شأنه شأن ما يجبي من الأموال العامة كالخراج فيصرفه ولي الأمر في دفع هذا الضرر بالطرق التي يراها دافعة له .

وإذا لاحظنا أن مال المالك من حق في حماية ملكيته وعدم المساس بها إنما هو من حق مقيد كغيره من الحقوق التي منحها الشارع مقيدة بعدم الضرر وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) تبين أن ليس في أخذ الزيادة اعتداء على هذه الحماية لأنه أخذ بحق

فقال : مال خرجت به واتجرت فيه فقال له :
 لم تخرج هذا المال منك في هذا الوجه
 ثم صيره في بيت المال وكذلك فعل مع أبي
 هريرة وقد ولاء على البحرين . وإذا قيل :
 إن مرجع ذلك إلى الشك في طريق تملكهم
 هذا المال لا المصلحة التي قضت بالآخذ
 منهم فالشك في طريق تملكهم لا يرقى إلى إبطال
 ملكية تقوم على اليد والمشاهدة .
 وعلى ذلك يرى أن آخذ هذه الزيادة
 إذا ما دعت مصلحة عامة إلى أخذها بفرض
 إنقاص ملكية صاحبها إنما يكون بلا بدل
 يعطى له وعندئذ تكون هذه الزيادة ملكا
 لكافة المسلمين يوجهها ولى الأمر الوجهة
 التي من أجلها أخذت لا لوجهة أخرى وإلا كان
 أخذها اعتداء لا يستند إلى حق .
 ذلك ما انتهى إليه النظر في هذا الموضوع
 وهو رأى رأيته فإن كان صوابا فن الله
 وإن كان خطأ فلا عصمة إلا لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم فيما يشرع للناس .
 على الخفيف

متاع الغرور

إعصوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
 والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما
 وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

هذه الرسالة صرب جديد على اللغة والدين للاستاذ عبد الكريم الخطيب

عليها ، وذهب الناس مذاهب شتى في التعليل
لهذه الجهود الضائعة المضنية ، التي يبذلها
أنصار هذا البدع المنكود من القول ، وكان
أحسنهم ظنا من قدر أن هؤلاء الذين يناخون
عن الشعر الجديد إنما يزهون عن رغبة طيبة
في الإصلاح والتجديد وأن يكونوا قد أخطأوا
الطريق وضلوا السبيل ، وأنه لا بأس من أن
يتركوا وما يحاولون حتى تنقطع بهم الحيل ،
ويومها يدركون أن العود أحد ، وأن السلامة
في الإياب !

* * *

هذه حال كنا فيها مع الشعر الجديد إلى يوم
قريب .. قد غفل الناس عنه ، وعن أصحابه
وأنصاره ، وتركوه لهم ، وتركوه لهم ، يمضون
إلى حيث ينتهي بهم وبه المطاف ، ولكن
الذي حدث في هذه الأيام يجعلنا نحمل الأمر
على غير هذا الحمل ، ونقدره على غير هذا
التقدير ، فلقد تكشفت الحال عن خبايا
وخفايا ، كانت تكمن وراء هذه الدهوة
الملحاحة إلى التجديد في الشعر ، وظهر أن لهذه
الدهوة مرامي بعيدة ، ومقاصد معينة تريدها

ظهرت في السنوات الأخيرة بدعة الشعر
الجديد ، الذي خرج على أصول الشعر
في صورة مزججة ، فلتقاء الناس غير ملتفتين
إليه ، أو آبهين له ، إذ كان مبهم المعاني ،
مضطرب الأحاليب ، لا تستريح إليه الأذن ،
ولا يتجاوب معه العقل ، وكان أن ترك الناس
هذا الشعر يعضى لقدره المقدور له ، من الموات
والضياع لأول أيامه في الحياة ، إذ ما كان
لمثل هذا المخلوق الشائه أن يحيا ، وأن يمتد
عمره في الحياة . !

ومع ما يقوم بين يدي هذا الشعر
من دلالات قوية قاطعة على المصير المحتوم له ،
فإن هناك أشتاتا من الناس قد تظاهروا
على القشبت المستमित به ، وبذلوا له في سخاء
ماء وجوهم ليجدوا له أنصارا من الكتاب
والنقاد ، ولأخذوا له مكانا في الصحف
والجلات والإذاعة ، متوسلين لذلك بكل وسيلة
من وسائل الإغراء والاستجداء . !

وقد عجب الناس لهذا الإصرار العنيد
على القشبت بهذا الشعر أشد من عجبهم لهذا
الشعر نفسه ، وللصورة المسوخة التي ولد

دعوة الغيرة على اللغة ، وحمايتها من الزحف الأجنبي عليها ، على حين أنها تريد أن تقتلع هذه اللغة من جذورها ، وأن تذهب بها في مذاهب التيه والضياع !

وقد آن لنا أن نخرج من هذا التلويح إلى التصريح ، وأن نواجه الامر بما ينبغي أن نلقاه به من الدع والردع !

ولقد أشرنا من قبل إلى المشاعر التي استقبل بها الناس هذا الشعر الحديث أول عهدهم به ، وأنهم لم يلتفتوا إليه ، ولم يقفوا عنده ، وعدوه ضرباً من اللهو ، وبجلاً للعبث ويشغل أوقات الفراغ عند العابثين والفارغين .

ونقول إن هذا الوقت قد أغرى أصحاب هذه الدعوة بالكشف عن وجهها والإفصاح عن مضمونها ، والمعالجة بالغاية التي تنغيها ، فرأينا دعوة جديدة تقوم وراء هذه الدعوة ، وهي أن هذا الشعر ليس كما يراه الناس ، ألفاظاً مفككة ، وهبارات مهلهلة ومعاني هزيلة تافهة ... وإنما هو عوالم فسيحة تنموج بالصور والمعاني التي تندس في كيان الحروف والكلمات التي يتشكل منها هذا الشعر الخترع !

ومن هنا بدأت نقطة انطلاق جديدة لدعاة هذه الحركة ، وشهد الناس لهؤلاء الدعاة نشاطاً مركزاً على إقامة مفاهيم لهذا الشعر تعتمد

وتعمل لها ، لتنال من اللغة العربية مثلاً يصيبها في صميمها ، ويذهب بوجودها الذي إن ذهب ضاع بذهابها كيان الأمة العربية ، وانطمست معالم الدين الذي يدين به العرب ، وتدين به شعوب كثيرة تتلقى مصادره من اللسان العربي الذي لا مصدر لها غيره .

ولأنه ليحق لنا - وقد داخلنا هذا الشعور من جهة الشعر الجديد وأنصاره - يحق لنا أن نعيد النظر في موقفنا من هذا الشعر ودعائه ، وأن نقف من هذه الحركة موقفاً يدفع الخطر الذي يمكن أن ينال اللغة والعقيدة لو قدر لهذه الدعوة أن تمضي إلى الغاية التي تريدها ، وتعمل جاهدة لبلوغها !

وليس هذا التأكيد الذي يكاد للإسلام واللغة الإسلام أول ومية يرى بها أعداء هذا الدين في وجهه للقضاء عليه ، أو لتعويق حركته ، أو لتضليل الناس عنه ..

ففي كل دورة من دورات الحياة كان الإسلام في مواجهة عداوات ظاهرة ومستترة ، وفي مجال رميات مسمومة مسمومة . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ، ولو كره الكافرون » .

وهذا البدع الجديد لدعاة حركة التجديد في اللغة هو - فيما نعتقد - ومية من تلك الرميات الحبيثة الماكرة التي تتخفى تحت

للناس منها أنها آيات معجزات ، وروائع لا وجود للزمان بمثلها أبداً .

إن بدعة الرمزية ، هذه قد جاءت لتغطي هوار هذا الشعر الذى أراد به أصحابه لإفساد اللغة العربية ، وتضييع معالمها ، وقطع الصلات التى بين الناطقين بها ... فلما أن عرف الناس وجهه هذا الشعر ، ورموه بالازدراء والمقت ، مد إليه أصحابه حبال هذه الرمزية ، لينغذوه من الغرق ، ولينقشلوه من الهاوية التى يهوى إليها .

ثم كان من كيد أصحاب هذا البدع أن دخلوا بالرمزية ، على الأدب العربى فى مجال القصة ، فحرفوا فيها الكلام عن موضعه ، وولدوا من الانفاظ والعبارات مواليد عجيبية لم تقع فى خيال كاتب القصة نفسه ، ولم تدر بخاطره !

ومن يدري ؟ فلعل أصحاب هذه الرمزية - إن مد لهم فى هذا الطريق الذى سلكوه - أن يجعلوا الرمزية هى الحكم الذى يحتكم إليه فى لغة العلم ، كما احتكموا إليه فى لغة الفن ، ثم لا يقف الأمر عند هذا ، بل يمتد إلى لغة التخاطب أيضاً ... ويومها تفقد اللغة وظيفتها من الإفهام والفهم ، ويكون على الناس أن يتعلموا التنجيم والسحر ، ليفسكوا هذه الطلاسم وتلك المعميات ، ثم لا يكون على أحد

على الرمزية ، التى بها يمكن أن تحمل طلائمه ، وتكشف معمياته ، وتفتح مغافقه .

ومعد وقع لأنصار هذا الشعر المسيح عايتها ، حسبوا أنهم قد وجدوا لهذا الشعر ما يضمن له وجوده ، ويحفظ عليه حياته ، ويرد عنه كل ما يمكن أن يتم به من ضلالة المعانى ، واضطراب الأساليب ، وركاكة العبارات ... فى حى الرمزية تحقنى كل هذه العيوب ، ومن حاسما تطلق المعانى ، والأخيلة ، والرؤى التى يمكن العثور عليها من كل أفق ، وانتهابها من كل فن ... ثم ادعوا لها هذه الكلمات الخرساء المقيمة التى يتشكل منها جسد الشعر الجديد ، والتى كان استغلالها وصحتها آذنا بقبول كل قول يقال عنها !

ولقد استطاع دعاة الشعر الجديد أن يضعوا كلماته الخافية الخامدة أمام الناس ، ثم يطلقون من حولها المباخر ، ويرصلون فى وجهها التعاويذ والرقى ، كما يفعل السحرة والاشعوذون ، حتى إذا خيل إليهم أن الناس قد أصابهم خدر مما ترسله هذه المباخر من أدخنة ، وقد غشيهم صداد مما يلقى إليهم من تهاويل وتخريفات - أطلقوا لهم من تلك القمام أشباحا ، تقبدي فى صور شائنة لا يعرف الناس لها رأساً ولا ذنباً ، يخيلون

دلالات معمودة بين المتخاطبين ، لا يفهمها
منه غيرهما ... قال الشاعر :

منطق صائب ، وتلحن أحيا
نا وخير الكلام ما كان لحنا
وقال أيضا :

واقدر لحنت لكم لكيما تفهموا
ووحيت وحيا ليس بالمرتاب
واقدر جاء في القرآن الكريم : « الرمز ،
و « الوحي ، و « اللحن ، بهذا المفهوم ،
فقال تعالى : « قال رب اجعل لي آية قال آيتك
ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، ..
وقال سبحانه : « فخرج على قومه فأوحى
إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ، وقال :
« ولتعرفنهم في لحن القول ، ..

وهذا كله يدل على أن اللغة العربية تعرف
« الرمز ، الذي هو إيماءات وإشارات
يزداد بها المعنى ثراء ، وقوة ، ووضوحا ،
لا هذه « الرمزية ، التي يروج لها اليوم أخطا
من الناس قد اختلفت ثقافتهم ، وتباينت
مشاربهم وعقائدهم ، وجمعهم هذا البدع
الذي صمى إليه كل منهم حاجة في نفسه ،
لذا بينما أراد بعضهم لهدم اللغة وتضييعها ،
تعلق به بعض آخر ليلحق - كما قدر - بركب
المجددين المتحررين - فمذهبه « الرمزية ،
لا تأخذ معطياتها من إيماء العمل الفنى ،
ولإنما هي وساوس وخطرات تموج في صدور

منهم حرج إذا فهم غير ما سمع ، أو فهم
منه غير ما أسمع !

« والرمز ، بلا شك له مكانة في الأدب ،
وفي الفنون الجميلة كلها ... ذلك أن الفن
إنما يختلف عن العلم في أنه يمرض الحقائق
التي يعرف بها العلم في أسلوب يزاوج بين
التلميح والتصریح ، ويجمع بين الغموض
والوضوح ، وهذا لا يعطى العمل الفنى كل
ما اشتمل عليه من حقائق مرة واحدة ،
وفي نظرة واحدة ، وإنما يكون الفن على
حظ من الإصالة والجمال حين ينظر الناظرون
فيه فيأخذ كل بحظه منه ، قطرة قطرة ،
وحالا حالا ، وهذا هو الذى يضمن للأعمال
الفنية حياة متجددة مع كل نظرة ، وعند
كل ناظر !

واللغة العربية تعرف « الرمز ، بهذا
المفهوم في شعرها ونثرها ، لأنها لغة قوم
هرفوا بالذكاء ، وسرعة الخاطر ، وحضور
البديهة ، واكتفوا في كثير من المواقف باللمحة
الدالة ، والإشارة الموحية ، وقالوا : رب
إشارة أبلغ من عبارة !

وقال شاعرهم :

يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحى اللواظ خفية الرقباء
كما هرفوا اللحن ، وهو تحميل الكلام

معامله ، كما نرى ذلك في تعاليم الباطنية ، ومعتقداتهم ، وتأويلاتهم لنصوص الكتاب والسنة ، ونكتفي هنا بمثل صغير في فهمهم لقوله تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها . » فقالوا عن الشمس إنها « على » وعن ضحاها أنه « قاطمة » وعن القمر إنه « الحسن » ، وعن النهار إنه « الحسين » ، وعن الليل إنه دولة « بنى أمية » .

وهكذا يذهب الباطنية ومن إلههم هذه المذاهب الملتوية المضللة في تأويل آيات الكتاب ، ومقولات السنة ، يلورنها ليأ إلى ما يتفق وأهواءهم ، دون أن يقيموا وزناً لدلالات اللغة ومفاهيمها التي يتعامل بها أهلها .

والرمزية التي قتل برأسها اليوم أشد خطراً ، وأكثر تدميراً وفتسكاً بالشرعية الإسلامية ولسانها من جميع ما عرفت من أسلحة تهددت اللغة العربية والشرعية الإسلامية إلى اليوم ...

ذلكم أن تلك القوى المحاربة للغة أو العقيدة كانت تلتقي بهذه أو تلك في مجال محدود ، وفي قضايا واضحة ظاهرة قد استقرت في ضمير المجتمع العربي والإسلامي ، ومن هنا كان مصير هذه المحاولات كلها الاندثار ، والضعف والزوال .

أصحابها ، وتنطاق على أقلامهم بلا وهي ، وبغير حساب .

ونود أن ننبه إلى أن هذه « الرمزية » المخلقة العمياء إنما هما الأول هو الفروج لإذاحة الفوضى في اللغة ، بالتدخل من أصولها وقواعدها ، والخروج على مقررات نحوها وصرفها ، والإهدار للدولات كلياتها ، ولأنماط أساليبها وأوزان شعرها ، فذلك هو الذي يتيح لتلك « الرمزية » مجال العمل في هذه الصور الشائنة المعتمدة من صور القول ، حيث يستوى العالم والجاهل في النظر إليها ، والفهم عنها ، فكل قول يقال منها ليس غيره أولى منه بالدلالة عليها ، والتعريف لها .. إذ كل الأقوال عنها رجوم وظنون

ونود أن ننبه أيضاً إلى أن هذه « الرمزية » قد كانت سلاحاً من أسلحة أصحاب الدهوات المنحرفة ، سواء في مجال العقيدة أو السياسة ، إذ كثيراً ما شبر هذا السلاح المدمر في وجه النصوص الواضحة الصريحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فغير صورتها ، وشوه حقيقتها ، وجاء بمفاهيم ومقولات ما أنزل الله بها من سلطان ، وحسبنا أن نذكر هنا ما أثمر هذا المسكر بآيات الله وسنة الرسول من ثمر نكد ، وما أخرج من مذاهب ومعتقدات أفسدت تعاليم الإسلام ، وشوهت

ومقولاتها عنه، وتخريجاتها له، ولما موات هذا التراث وإحالاته إلى مخلفات القرون البائدة، لا ينظر الناس إليه، إلا كما ينظرون إلى ما في قبور الفراعنة من جثث، وما عليها من نقوش.

إن التجديد في اللغة - أي لغة - ينبغي أن يكون موافقا لطبيعة هذه اللغة، نابعا من أصولها، مستلهما من روحها.

وفي اللغة العربية طبيعة سخرية معطاءة لكل من ورد مواردها، ودخل عليها من بابها.

أما هذا التجديد الذي يجيئها من مترجمات باردة غير فاضحة من الغرب والشرق فهي رقع غريبة إن قلت كانت تشويها ولا شيء ورامه غير هذا، وإن كثرت غلبت على اللغة العربية وذهبت بسياثها وكانت أشبه بطيلسان ابن حرب الذي يقال إنه كان كلنا وجد رقة ألصقتها به حتى ذهب الطيلسان، وبقية المرقعات!

وبعد، فهل يتنبه، ذوو الغيرة على العروبة والإسلام لهذا السكيد الذي يكاد للعرب، وللإسلام؟ ذلك ما نرجوه ونلج في الرجاء له.

عبد الحكيم الخطيب

أما هذه «البدعة»، - بدعة الرمزية - فإنها تحمل الطابع التدميري لهذا العصر، وتعمل بأسلحته اللغوية التي لا تبقى على شيء.

فلقد جاءت هذه الرمزية مخلفة في أغلفة التجديد، والدعوة إلى احقةاذ اللغة العربية وحمايتها من أن تعطنى عليها اللغات الأوروبية، بحجة أن الرمزية هي القادرة على أن تحمي اللغة العربية من ظهور هذا النقص فيها، بما تستخرج من تناجها - أيا كان - كل معنى مبتكر، وكل خيال محلق يحمله الأدب الأوربي، ثم تخرج به على الناس منسوباً إلى هذه الأمساخ الشائنة من القول وبمثل هذا الخداع والتضليل تتخدر أعصاب كثير من الناس فيقبلون أولاً نسخ اللغة، والخروج على أصولها وقواعدها لينفصح مجال العمل للرمزية فيها، ثم يقبلون ثانياً أن تتولى هذه الرمزية إعطاء مفاهيم لهذه النصوص التي يقدمها الشعراء والكتاب الذين أطلقهم هذه الرمزية طلائع لها...

ثم ينتهي الأمر باللغة العربية وآدابها، وشريعتها التي تحملها - ينتهي الأمر إلى أحد احتمالين لا ثالث لهما:

إما قبول التراث العربي كله، ومن بينه نصوص الكتاب والسنة لحكم الرمزية فيه،

مجموعه الإخوان الصفا

للأستاذ محمد غفراني الخراساني

- ٢ -

٦ - يقول المستشرق «دى بور» ، في موضوع رسائل إخوان الصفا «وأما رسائلهم فهي أشبه ما تكون بدائرة معارف مرتبة تضم علوم ذلك العصر وتدل على أنهم أصابوا من الرقي الفكري حظا وافرا ، ويقول أيضا « لا نعرف على وجه اليقين مدى نجاح هؤلاء الاخوان في تحقيق المثل الأعلى الذي كانوا يرمون اليه » . (١) ويقول القفطى في وصف رسائلهم « هؤلاء - إخوان الصفا - جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب في أنواع الحكمة الأولى ورتبوه مقالات هدتها إحدى وخمسون مقالة ؛ خمسون منها في خمسين نوعا من الحكمة ومقالة حادية وخمسون جامعة لأنواع المقالات على طريق الاختصار والإيجاز وهي مقالات مشوقات غير مستقصاة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج وكأنها للتبنيه والإيماء إلى المقصود الذى يحصل عليه الطالب لنوع من أنواع الحكمة (٢) فنرى أن القفطى يصف الرسالة الحادية والخمسين بأنها جامعة

في حين أن رسالة الجامعة رسالة مستقلة تختلف عن مجموعة الرسائل وكلها كما يصرح بذلك إخوان الصفا أنفسهم في رسائلهم فيقولون « اعلم أيها الأخ البار الرحيم ... أنا قد جعلنا في كل رسالة من رسائلنا فصلا جعلناه من لها وغالضها إذا وفق له من فهمه ، وحمل به نال السعادة في الدنيا والآخرة . وقد لحصنا ما أوردناه في رسائلنا الإحدى والخمسين في رسالة مفردة عن الرسائل سمينها «الجامعة» ، وهي خارجة عن جملة الرسائل ، (٣) ويقولون في موضع آخر من رسائلهم : « هذه فهرست إخوان الصفا ... وهي اثنتان وخمسون رسالة في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعاني عن كلام خلاصاء الصوفية صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا في البلاد (٤) . وكلام إخوان الصفا هذا ينص على أن الرسالة الجامعة تلخيص عن مجموعة الرسائل ومفتاح لكشف غوامضها وإذن يكون من الخطأ أن يقول قائل إن رسالة الجامعة تعد

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ٢٩٠ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣ .

(١) تاريخ الفلسفة لدى بور ترجمة أبو. يدة ص ٩٨ .

(٢) أخبار الحكماء للقفطى ص ٥٨ .

هذه الرسالة على غرار كتاب كلية ودمنه من مجموعة رسائلهم وتتألف من خمسة وستين فصلا (١) وكان لهذه الرسالة أثر كبير في موضوع القصة في اللغة العربية إذ تطورت القصة على لسان الحيوان بعد تأليف إخوان الصفا رسائلهم هذه إلى صورة أخرى ذات مظهر خطير من ناحية الفكرة الفلسفية في البيئة الإسلامية فقد نقلوها من مغزاها الاجتماعي والأخلاقي إلى الميدان الفلسفي .

وتتضمن هذه الرسالة محاكمة طويلة بين

— وكتاب ضحى الإسلام ج ١ الأحدث أمين والمفالات التي نشرها أديب عباس في مجلة الرسالة (لأعداد ٣٤ و ٣٥ و ٤٠ و ٤١ عام ١٩٣٤ م في القاهرة) ، والمقدمتين العلمية والتاريخية الأولى للدكتور حـ حسين والثانية لأحمد زكي باشا لرسائل إخوان الصفا تحقيق خير الدين الزركلي طبعه القاهرة . والحضارة الإسلامية لبارتولد تـ ترجمة حـ طاهر وكتاب إخوان الصفا لعمر الدسوقي وكتاب إخوان الصفا لكل من عمر فروخ وعبد العلي الطيباري والبولسي طبعه بيروت والآخر نشر في مجموعة فلاسفة العرب وكذلك كتاب رسائل إخوان الصفا المعروف الدكتور حـ همداني بسكون الميم نسبة إلى قبيلة همدان البقية — أستاذ الأدب الفارسي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وكتاب تاريخ فلاسفة العرب لحـ لطفى حـمة غيرها من المصادر العربية والفارسية والأوربية التي عرضت لإخوان الصفا

(١) انظر الرسالة الثامنة من القسم الثاني من رسائل إخوان الصفا

من ضمن مجموعة الإحدى والخمسين رسالة بل هي زائدة عليها ، اللهم إلا أن يقال أن معنى جامعة هو شاملة فهذه اللفظة ليست اسما بل وصفا (٢) .

ولقد نالت هذه الرسائل إقبالا عظيما من الناس وحملها أحد رياضي أسبانيا إلى بلاده في أواخر القرن الرابع الهجري وفي نهاية القرن الثامن الهجري ترجمت إلى الفارسية لأحد وزراء تيمورلنك (٣) .

هذا عرض موجز لتاريخ إخوان الصفا ونشأتهم ورسائلهم (٤)

ثالثا

١ — رسالة الحيوان : ألف إخوان الصفا

(١) وتوجد نسخة مخطوطة بعنوان « رسالة الجامعة » في مكتبة المرحوم الدكتور كامل حسين أستاذ كرسى الأدب المصرى بجامعة القاهرة وهي كبيرة الحجم ولا يمكننى لم أنأ كدم من صحة نسبتها إلى إخوان الصفا وتحتاج إلى دراسة لمعرفة هل هي نفس رسالة الجامعة التي يشير إليها إخوان الصفا في رسائلهم .

(٢) الحضارة الإسلامية لبارتولد تـ ترجمة حـ طاهر ص ٤٥ .

(٣) ومن يطلب الاستزادة في ذلك فعليه بالرجوع إلى المصادر التاريخية التي تتحدث عن هذه الجامعة بشئ من التفصيل ، ومن تلك المصادر كتاب الامتاع والواسعة ج ٢ لأبي حيان التوحيدي ، وكتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين النفطى وكتاب تاريخ الفلسفة لدى بور ، ترجمة أبو ريدة .

جارية على أن نكسوا الحقائق والمفاظا وعبارات
واشارات كيلا يخرج بنا عما نحن فيه (١)
وهذا نفس الغرض الذي كان يرمى إليه ابن
المقفع من ترجمة كتاب كيلة ودمنة إذ يقول:
في باب عرض الكتاب د وكذلك يجب
على القارئ هذا الكتاب أن يديم النظر فيه
من غير ضجر ؛ ويلتمس جواهر معانيه ،
ولا يظن أن تقيجته إنما هي الإخبار عن حيلة
بهيوتين - كيلة ودمنة - أو محاوره سبع ثلث
فينصرف بذلك عن الغرض المقصود . . .
وينبغي الناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه
ينقسم إلى أربعة أغراض أحدها : ما قصد فيه
إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من
مسارة أهل الهزل من الشبان إلى قراءته
فقتبال به قلوبهم . لأن هذا هو الغرض
بالتوارد من جيل الحيوانات (٢) لقد ألف
إخوان الصفا هذه الرسالة على لسان الحيوان
تقليدا لكتاب كيلة ودمنة ليكون الجد بصورة
المقعة ، ومن ثم أخطأ بعض الباحثين حيث
زعموا أن إخوان الصفا عمدوا في رسالة الحيوان
إلى نقد الأوضاع الدينية والسياسية التي كانت
تسود المجتمع الإسلامي في تلك الآونة بأسلوب
رمزي لكي يأمّنوا بطش أصحاب السلطة ولادة

الإنسان والحيوان أمام دبير است الحكيم ،
ملك الجان . وقد أطنب إخوان الصفا في
هذه المحاكمة ليثبتوا بهادعائم مذهبهم ويدعموا
بها آراءهم الفلسفية ، ويعد أكثر الباحثين
هذه الرسالة من أقوى رسائل إخوان الصفا
أسلوبا ومنطقا .

٢ - غرض إخوان الصفا من تأليف
رسالة الحيوان .

يبين لنا إخوان الصفا أنفسهم في مقدمة
هذه الرسالة وختمها الغرض الذي دفعهم إلى
أن يعرضوا أفكارهم الفلسفية بصورة الهزل
والمتعة وذلك عن طريق تقلمها على لسان
الحيوان فيقولون في مقدمة الرسالة : لأن
الإنسان إذا كان فاضلا خيرا فهو ملك كريم
خير البرية وإن كان شريرا فهو شيطان رجيم
شر البرية ، وجعلنا يسان ذلك على ألسنة
الحيوانات ليكون أبلغ في المواظ ، وأبين
في الخطاب ، وأعجب في الحكايات ،
وأظرف في المسامح ، وأطرف في المذفع
وأغوص في الأفكار وأحسن في الاعتبار (١) ،
وبقـولون كذلك في ختام الرسالة :
د اءلم أيها الأخ أنا قد بينا في هذه الرسالة
ما هو الغرض المطلوب ، ولا تظن بنا ظن
السوء ، ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة
الصبيان ، وبخارفة الإخوان ، إذ عادتسا

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٣١٧ .

(٢) كيلة ودمنة ص ٨٣ - ٨٥ تحقيق خليل البازجي

طبعة بيروت عام ١٩٠٧ م .

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٨٢ .

لعامة الشعب يحتاج إلى أسلوب قصصى سهل بسيط مشوق ليجذب الجمهور إلى الفكرة وليبسط الفكرة له دون حاجة إلى تصوير المفاهيم والأفكار في قالب فلسفى معقد ليستطع القارئ العادى الفهم والاستنباط وهذا مما دفع لإخوان الصفا إلى صف أفكارهم في أسلوب قصصى على لسان الحيوان .

ثالثاً : موازنة بين رسالة الحيوان وبين كلية ودمنة :

وبتوضيح لنا مما تقدم أن إخوان الصفا تأثروا بابن المقفع في تأليف هذه الرسالة تأثراً كبيراً بحيث يمكن أن نعد رسالة الحيوان محاكاة لكتاب كلية ودمنة وإن لم يعترف بذلك إخوان الصفا في رسائلهم . إذ ذكروا أن موضوعات رسائلهم مقتبسة من أربعة مصادر أحدها الكتب الرياضية والطبيعية التى صنفت على أسنة الحكماء والفلاسفة ، والثانى الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والفرقان . والثالث الكتب الطبيعية التى صنف لبيان تركيب الأفلاك وحركة الكواكب وأقسام البروج والوقوف على أسرار فنون الكائنات من المعادن والحيوانات والنبات . والفنوع الرابع على حد تعبيرهم ، هو الكتب الإلهية التى لا يسمها إلا المطهرون والملائكة التى هى بأيدى سفرة كرام بررة ، وهى جواهر النفوس وأجناسها

الحكم ، ومن هؤلاء المستشرق دى بور ، إذ يقول : « وقد أخفى إخوان الصفا آراءهم الانتقادية فى رسائلهم بعض الإغفاء ، وذلك لأسباب غنية عن البيان غير أن حملتهم المجتمع وعلى الأديان الموروثة تتجلى من غير أدنى احتياط فى رسالة الحيوان والإنسان وفيها ألبسوا آراءهم ثوباً رمزياً فقالوا على أسنة الحيوان ما لو جاهر به أحدهم لثارت حوله الشكوك^(١) كما قيل مثل ذلك بالنسبة لابن المقفع كذلك فى سبب ترجمته لكتاب كلية ودمنة^(٢) . وهذا الرأى لا يخلو من الضعف وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : عندما نقرأ رسالة الحيوان ونعنى فى مضامينها العالية تتأكد من أن تلك النظر المضامين والمفاهيم الفلسفية لا تخص عصر دون عصر أو طائفة دون طائفة بل هى فكرة صالحة لكل زمان ومكان بذور نواتها إخوان الصفا فى القرن الرابع الهجرى ونشروها فى ربوع العالم الإسلامى .

ثانياً : إن إخوان الصفا كما أسلفنا يصرحون بالعرض الذى من أجله ألفوا هذه الرسالة وذلك فى مقدمتها وختامها . وخلال عرض المحاكات فإن عرض أى تفكير فلسفى

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٥ .

(٢) وقد أثبتنا بطلان هذا الزعم فى كتابنا « ابن المقفع والتيار الفارسى فى تأليفه » فى معرض الحديث من باب عرض الكتاب لكتلة ودمنة .

دعوا إليها في رسائلهم لم يستمدوها من كتاب
كليلة ودمنة وإنما أفادوا منه وخاصة
في الإطار الفني القصصي العام الذي بثوا فيه
تلك الآراء الفلسفية وقلبا استغفروا من ابن
المقفع في محاكاتهم له في سرد قصصه عن
قرب كما فعل ابن الهبارية ، وابن عربشاه
وصاحب مرزبان نامه وغيرهم من القوا
حكايات على أسنة الحيوانات محاكاة لكتاب
كليلة ودمنة ألا أن إخوان الصفا تأثروا
بإبن المقفع في بعض آرائه الاجتماعية التي
تضمنتها حكايات كليلة ودمنة فضلا عن تأثرهم
بالخصائص الفنية .

(للبحث بقية)

محمد غفراني الخراساني

وأنواعها^(١) غير أننا عند ما نقرأ رسائل
إخوان الصفاء نحس بأنهم كما قلنا سابقا كانوا
محبين بقصص كليلة ودمنة وخاصة قصة
الحمام المطوقة فمن ذلك قولهم « فاعتبر بمحدث
الحمامة المطوقة المذكورة في كتاب كليلة
ودمنة^(٢) فاذا لم يكن هنا مجال للشك بأن
إخوان الصفا قد أفادوا من حكايات كليلة
ودمنة وأمثالها في تصنيف رسائلهم وخاصة
رسالة الخيوان التي نحن بصدد هذا المقال .

وأما السبب في أن إخوان الصفا لم يذكروا
اسم كتاب كليلة ودمنة في ضمن المراجع التي
اعتمدوا عليها في تأليف رسائلهم فهو أن
الآفكار الفلسفية التي شرحوها والآراء التي

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٠٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٦٢ و ٦٣ .

يجدون كل قديم شيئا منكرا
من مات من آبائهم أو عمرا
وإذا تقدم للبناء قصرأ
« شوقي »

لا تحذو حذو عصاة مفتونة
ولو استطاعوا في الجماع انكروا
من كل ماض في القديم وهدمه

المنهج الإسلامي في الأدب ونقده

للدكتور عبد الرحمن عثمان

« الخضر، على تسامح في شكل الكلمة وتحويلها من فتحة « الحاء، إلى خفضها — يريد أن يقول لي كما قال لرفيقه : ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً .

* * *

والمنهج العربي الذي بدأته في الرسالة كان يدور حول قضية بدعية تتلخص في أن الأدب العربي يعتمد في إصالته على الإفصاح والبيان ويبرأ من الغموض والرمزية ، وكنت أدفع بهذا منهجاً دخليلاً على الأدب العربي دعا إليه كتاب لم مكافئهم في التوجيه الأدبي بما أتيح لهم من وسائل للنشر في الصحف والمجلات ووسائل الاعلام المختلفة ، وقد خشيت أن يترك ذلك أثراً في عقول الناشئة العربية تلك الناشئة التي نفقد عليها

الامل في بث الروح العربي ، وتمكين الوعي الإسلامي حين تشرق شمس الغد ويطل على الربوع العربية ذلك المستقبل الذي نعيش من أجل تحقيقه ، وتحمل لبعثه مشرقاً بساماً .

قد يكون هذا الموضوع وثيق الصلة بمجلة الأزهري ، لأنه يعرض للقراء فن القول في إطار إسلامي عربي خالص بحيث لا تشوبه شائبة من فضول المعرفة أو بهرج الثقافة مما تعج به مطبوعات تنشر كل يوم ، وليس لها حظ من المعرفة أو الثقافة إلا لحظ الجنيح الذي تدفعه الأرحام قبل أن يكتمل خلقه وتتضح قسياته .

وهذا المنهج الذي أؤثر به هذه المجلة إنما هو امتداد لما كنت أنشر في مجلة الرسالة أوائل هذا العام والعام الذي قبله والقراء يذكرون ما أثارته مقالاتي من جدل ومكابرة ، وبخاصة حول الغموض والإفصاح في الأدب العربي ، فقد تربص بي كاتب له في المجلة باب بعنوان « تعقيبات » .

وما كنت أظن أن كاتباً عربياً يفكر أن الرمزية الأوروبية لا مجال لها في الأدب العربي الأصيل ، فلما قال صاحب التعقيمين في مجلة الرسالة : إن الرمزية الصوفية لون من ألوان الرمزية الأوروبية آمنت أن

هجوماً عنيفاً حين حقر الشعر وامتحن الشعراء في قوله : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ؛ وقد دعاهم ذلك إلى الاعتقاد بأن الإسلام عدو لدود للفنون ، يصرف عنها كل مسلم ذى عاطفة ، وينفر منها كل ذى خيال وشعور ؛ وتلك قالة سوء لانجمرى إلا هلى السنة الخراصين أو الجهلاء بما فى الإسلام من رقة وسماحة ، وتوجيه الجلال الذى هو حقيقة ما فى الكون من صعود بالنفس البشرية إلى الآفاق الجنية التى تعمى بالخير والصدق والفضائل على اختلاف أنواعها .

ولهذا رأيت أن أبطل هذه الفرية وأمثالها بحقائق يقوم عليها البحث العلمى ، تاركا استخلاص النتائج إلى ذوى العقول المستقيمة وهم بحمد الله كثيرون .

* * *

إذا كان القرآن الكريم قد استحدث للعرب نظاماً جديداً ينتظم المساواة والجهاد والحب فى إله واحد لا شريك له ، وبسبب هذا النظام اختلفت أنماط الحياة من جاهلية ، وتحولت إلى ألوان إسلامية تقسم بالحب ، وتميل إلى الاستقرار ، وإذا كان القساون الساوى قد أذهل فصحاء العرب بنفسه الفريد فى جلال معانيه وحلاوة نظمه وفيهم

والداهون إلى الغموض وما إليه فى أدبنا يفكرون بنفسه عقولنا ، ويتجاهلون حكم البيئة وأثرها فى التراث الفنى كله ، وتلك قضية أوضح من أن يشار إليها لدارسى الأدب ورواد الفنون ؛ فالمعادن ، والتقاليد ، والمعتقدات ، أمور تسيطر على الفكر ، وترى طابعها الواضح على العواطف والمشاعر ومن ثم فاستعادة الأفكار والعواطف دون تمييز بين ما يصلح وما لا يصلح من الأخطار التى لا تؤمن هواقبها فى هذا المجال .

ويلحق بهذه المجازفة محاولة نقد الأدب العربى على هدى النظريات الأوربية التى قصته فى بيئتها إلى أصول غير قابلة للمنطق والاستيراد والتصدير ، لأن ما قام على حكم البيئة سيبقى حياً فى بيئته ، فأما إذا أخرج منها أصابه الذبول الذى هو أول مظهر من مظاهر الموت والفناء ؛ على أن الرجوع إلى طبيعة الأدب العربى حين يراد نقده ضرورى لا يقبل بديلاً ، لأنه نزول على منطق الأشياء وخضوع لقانون الحياة العادل .

* * *

وهناك فرية تتردد على السنة بعض المنقذين ونجمرى بها أقلام استقامت على الفكر الأوربى ودارت فى فلكه ؛ ملخصها أن الإسلام لم يشرع منهجاً عادلاً للفنون ، وأن القرآن الكريم هاجم فن القول (الشعر)

برأى يعتمد على الحجة ويقوى على البرهان :
١ - نعلم أن الحرب الشعرية - قبل فتح مكة - كانت أشدها بين المسلمين فى المدينة ، والمشرىكين فى مكة ومن ناصرهم فى البادية والقرى ؛ فشعراء الفريقين يتراشقون بالهجاء الموجه - وقد كان غرضاً له خطره فى الجاهلية - ، وهذا النوع من الشعر كان وقعه على الفريقين أشد من وقع السهام فى الحروب الدائرة بينهما ؛ وعلى هذا ، فالهجاء من الفنون الأدبية التى وجدت فى هذا الصراع العقيدى عوامل نشاطها وتنوعها ، وهو أمر لم يتج له فى العصر الجاهلى حيث الوثنية ، والإيمان بتعدد الوصياء إلى الله : ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

ولئن تخرج الرواة من رواية الشعر الذى نظمته المشركون ، لأنه يمس العقيدة الإسلامية فى جوهرها المعتمد على التوحيد والمساواة والتعاطف ، ولأنه يناول الرسول الأميين من ربه بما لا يليق أن يردده مؤمن برسائله ، ومعجب بإنسانيته كبشر عاش بينهم ثم خرج من الدنيا لا يملك من حطامها شيئاً ، وقد كان فى استطاعته أن يعيش عيشة الأكاسرة أو القياصرة ، ولكنه آثر أن يكون رءوفاً رحماً بالآخرين ، فاختار لنفسه الإيثار ، وترك الأثرة لمن يحبها ، وإن يكن نهى عنها وبغضها لمن تنزع إليها نفسه من المسلمين ؛ فإذا تخرج الرواة المسلمين من

الفصحاء المقابيل ، والشعراء الفحول ، إذا كان التنزيل المعجز قد أحدث كل هذا التحول فى المجتمع حينذاك ، فهل كان كل ذلك سبباً فى انصرافهم عن الأدب ونفده كما يرجف السذج والمغرضون ؟؟ .

ثم إذا اعتبرنا ظهور هذين الحداثين الكبيرين صارفاً للعرب من فن القول والنظر فيه ، فعنى هذا بداعة ؛ أن الأدب العربى لا مكان له فى المجتمع الإسلامى الجديد ١١ ، مع أن المعجزة الكبرى لتثبيت هذه الدعوة جاءت قرآناً عربياً غير ذى عوج بحيث يسحر القلوب بحسن تصويره ويستوى الألباب بجمال تعبيره ، وذلك إلى جانب ما عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تحدث أو خطب ، فإذا انغمز إلى هذين الأصلين اللذين لا يقبلان الجدل أصل ثالث هو أن التحدى للعرب لم يزد على مطالبتهم بشحن قرائم الصافية ليأتوا بسورة من مثله ، أو بآيات قصار تثبت على النظر وتتودد ببلاغتها إلى النفوس والأفئدة حتى تملك ذمامها أو تستثير فيها لونا من الإعجاب والقبول ؛ وكل ما قدمنا يحتاج فى إبطاله إلى كثير من الجهد ليستقيم القول : بانصراف البيئة العربية فى صدر الإسلام عن الأدب ونفده . ولا نريد المسارعة إلى التأكيد بشىء معين فى أمر يتصل بموضوعنا هذا ، حتى نستعرض أمرين لها وزنها فى هذه الفقرة ، فربما هدانا أحدهما أو كلاهما إلى الأخذ

فالرسول يقرر في هذه الرواية حكيم :
أولها : التحريض على هجم المشركين الذين
يشككون في القيم الإنسانية التي جاء بها
الإسلام ؛ وثانيها : توجيه الشر إلى الدقة
في صحة المضمون بحيث يتحرى الواقع ويعبر
عنه تعبيراً دقيقاً حتى لا يختلط الأمر على
السامع ، فالرسول من قريش ، وشاعره
حسان يهجو هذه قبيلته ، فإذا أصاب الشاعر
قريشا بما يشين أصاب النبي في أصوله أصابة
قد يألم لها وإن لم تكن من قصد الشاعر
المحب لصاحب الدعوة عليه السلام .

ومن أجل هذا نستطيع أن نقول في فقه
إن النقد بمعنى التوجيه للأديب ظهر لأول
مرة في تاريخ النقد العربي بفضل ظهور
الإسلام ؛ وليست هذه مجرد دهوى ، وإنما
هي حقيقة سترداد قوة خلال ما يساق
من الحديث .

وبمثل هذا البيان تبطل دعاوى المرجفين
في العالم العربي بأن الالتزام في الأدب إنما
هو ظاهرة أوربية ، ونظرية جديدة نادى
بها الوجوديون في النصف الأول من القرن
العشرين ؛ فالذي يعرفه كل دارس لفلسفة
المذهب الوجودي أن زعيمه دجان بول سارتو
الفرنسي أكد هذا الالتزام وفرضه على كتاب
المذهب وشعرائه وفنانيه بوجه عام ، وذلك
حين ألف مسرحياته كتطبيق عملي لإفراو

رواية كثير مما يخدش العقيدة أو يعيب
محمداً عليه السلام ، فإن الرواية الإسلامية لم
تضن علينا بما يهدينا إلى رأى في لأدب
ونقده أوائل العصر الإسلامي ، فهذا
ابن رشيق يحدثنا : « فأمّا احتجاج من
لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى :
« والشعراء يتبعهم الغاوار » ، ألم تر أنهم
في كل واد يهيمون » ، وأنهم يقولون
ما لا يفعلون ، فهو غلط وسوء تأويل ، لأن
المقصود بهذا النص : شعراء المشركين الذين
تنازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالهجاء ، وسوء بالأذى ؛ فأمّا الذين من
سوام من المؤمنين فغير داخل في شيء من
ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم عز وجل ،
ونبه عليهم فقال : « إلا الذين آمنوا وحمّلوا
الصالحات وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا
من بعد ما ظلموا » ، يريد شعراء أبي صلى
الله عليه وسلم ، الذين ينتصرون له ،
ويجيئون المشركين عنه كحسان بن ثابت ،
وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ،
وقد قال فيهم النبي الله عليه وسلم : هؤلاء
النفر أشد على قريش من نضح النبل ؛ وقال
لحسان بن ثابت أجهم - يعني قريشا - فواجهه
لهجاءك عليهم أشد من وقع السهام في غلس
الظلام ، أجهم ومعك جبريل روح القدس ،
والق أبابكر يملك تلك الهنات .

٢ - لم يقتصر الشعر في صدر الإسلام على التهاجي بين المسلمين والمشركون، بل كان نشاطه ملحوظا في باب الزمائم، ووصف الخمر على المؤلف من عادات الشعر الجاهلي، قال الشاعر ابن مقبل - فيما يروي ابن سلام الجمحي : « كان جافيا في الدين ، وكان في الإسلام يبكي أهل الجاهلية ويذكرهم ، فقبل له : أتبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم ؟ فقال : .

ومالي لا أبكي الديار أهلها
وقد زارها زوار دحك، وحيراء
وجاء قطا الأحباب من كل جانب
فوقع في أخطائنا ، ثم طيرا
والشاعران : أبو عجين الثقفي ، فارس
القادسية المشهور ، وهبدة ابن الطبيب ،
يقولان الشعر في الخمر التي نهى عنها الإسلام
وطالب على شربها ، فأبو عجين هو القائل
في الإسلام على الرغم من ذلك كله .

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في الفسلة ، فإنني
أخاف إذا ماتت ألا أذوقها
« للحديث بقية ،

دكتور عبد الرحمن هسان

نظرية الالتزام في الفنون ؛ ولعل من خير ما كتب في هذا المعنى : « اليد القذرة والغدابة والأبواب الموصدة ، أو الجلسة السرية ، . وعلى ضوء ما كتب « سارتر ، درس أدباء المذهب الوجودي مشاكل العالم على اختلاف أنواعها دراسة عميقة هدتهم إلى نتائج إنسانية رددوها في فنونهم ، ولتزموها موضوعات وأهداف يدور حولها ففهم ويهدف إليه ، فأيمانهم بحرية الإنسان مثلا ، جعلتهم نصراء لثورة الشعب الجزائري في كفاحه المشهور ضد الشعب الفرنسي الذي يقتضى لآليه « سارتر ويفديه بالروح والأهل كل فنان وجودي فصل من أصل فرنسي ، ولكن الإيمان بحرية الإنسان دفعهم مختارين إلى المجاهرة بعدوان الحكومة الفرنسية على كيان الشعب الجزائري الذي لا يطلب من فرنسا أكثر من حريته التي يؤمن بها كل فنان وجودي .

ولا أظن أن مذهب الالتزام في الأدب شيء جديد بعد ما قورناه في صدر هذا الحديث ، وبعد ما استشهدنا عليه بما كتب ابن رشيق عن الشعر المنكر ، والشعر الذي يريده الإسلام ، حين وضع له منهجا ، ومهد له سبيلا .

إلى رسول الله

للشاعر محمد أحمد العزب

ملأت فضاءها طهرا ... وكنت لليلها نجرا
وهز نداؤك المنغوم في آذانها وقرا
فغرد في روايبها الشذى إطلالة غمري
وزاحت الجوع الضوء عبر دروبها الحيرى
تود لديك معذرة ... وأنت وهبتها عذرا
فكم من شارد ضل الطريق وعانق القفرا
أناك فسكنت واحته .. سقا تهديه أو زهرا
وكم من ضائع في لجة الأحزان ما قرا
أناك فسكنت مرفأه الغنى الوادع البرا
تهدهده ... وتأسو جرحه ... وتعيده حرا
كأنك رافد ينساب حبا هائلا ثرا
نروحي أنت ... ما ألقى يمينك تمصر الصخرا
وما أحق يمينك تخطر الفيروز مفرا
ملأت فضاءها طهرا ... وكنت لليلها نجرا
وما زالت نداءاتك في آفاقها تترى
تكشفكف أدمع الباكين تمسح أعيننا هبرى
فلطير اليتيم على غصه وفك أفرع سكرى
تميس به ... ترقصه ... تهدهد روحه الحضرا
تداهب فجره المجروح ... تزرع دربه عطرا
فيضعك ملء عينيه ... ويذسى قسوة الفكرى
وكم من ساغب يطوى على الأيام أو يعرى
أضأت له ولم ترهش يداك حقيقة كبرى

: حصاد الأرض الحصاد .. لا طرقل ... أو كسرى
 وظل الدوح للعارى الذى قد ذوب العمرا
 يورع فيه أغصنه ... ويسجد تحته شكرا
 ودفع الحب للساعين فوق دروبها طمرا
 كأن جموعهم جيل يشكل عالما بكرا
 وكم من راسف في الطين يسكب دمه نهرا
 صحا ... فانهارت الأصفاذ خلف صباحه ذهرا
 وطبق عمره غز لا يشيد للنفى قصرا
 أقول - وأنت فوق مدى شعرا قلت أو نشرنا
 : زرعنا ضفافها خيرا ثريا بهر الحيرا
 لقد كانت شعاب الأرض قبوا يخلق الفسكرا
 وكانت مسرعا يفترون مأساته الكبرى
 تهاويل عنطة الروى تستغفر الدهرا
 وتابوت تعفن منزه المشلول واصفرا
 وجهه راحب شرس يغازل طفلة صفرى
 يعموه السيف والإحصار خلف جفونها قهرا
 وألف نجمة تبكى لها .. وتبرعم الشأرا
 لقد كانت حياة الناس قبلك غابة ... صحرا
 وكان الواحفون إلى ضحى قاتمهم أسرى
 فصحت بهم ائحيوا من جديد أمة أخرى
 فزقت الملايين الجريحة قيدها المرا
 وداست عارها ومضت تشق طريقها الوهرا
 وتصنع للطغاة هناك خلف المنتهى قبرا
 وتطلع في سماء السكون شرقا يفرزل السحرا
 وأنت وراءها ... تأسو الجراح ... وتلمهم الصبرا

محمد أحمد العزب

فتاوى مخنثة

نقدیم : ابراهيم محمد الحصيل

[الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر]

حكم معرفة الرسل المذكورين في القرآن عدد الرسل المذكورين في القرآن

السؤال :

هل يجب على المكلف أن يعرف الرسل المذكورين في القرآن بأعيانهم وأسمائهم بالتفصيل أم لا ؟

إلياس زين - كبوديا

السؤال :

كم عدد الرسل المذكورين في القرآن ؟ نفس السائل

الجواب :

عدد الرسل المذكورين في القرآن قد فهم من السؤال الأول ، وأولهم هو آدم عليه السلام على القول برسائلته وهو الأصح .

الجواب :

يجب على كل مكلف أن يعتقد أن لله رسلا مبشرين ومنذرين ، لا يعلم عددهم على التحقيق إلا الله ، ويجب عليه أن يعرف على التفصيل الخصة والعشرين - على الأصح - المذكورين في القرآن الكريم بأسمائهم بحيث لو سئل عن أحدهم لا ينكره ، منهم ثمانية عشر المذكورون في آية ، وتلك حجتنا ، سورة الأنعام ، والبقية الباقية هم : إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، ذو الكفل ، آدم ، محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم .

السؤال :

هل يكفر من ينكر رسالة آدم وإدريس ، وقال : إنهما ليسا رسولين ، بل آدم خليفة ونبي فقط ، وإدريس نبي فقط ، معتقداً أن الرسل المذكورين في القرآن ثلاثة وعشرون فقط ، أولهم نوح وآخرهم نبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وهناك قول بأن آدم وإدريس نبيان فقط ، وما جاء في السؤال عن معرفتهم بأعيانهم فذلك غير مستطاع ؛ لأنه يتوقف على مشاهدة أشخاصهم وذواتهم .

نفس السائل

الجواب :

قد فهم من الجواب عن السؤال الأول أن آدم وإدريس مختلف في رسالتهما وعلى ذلك فلا يكفر من يقول بنبوتهما فقط ولا حق لمن يكفره .

هل حديث أبي ذر عن الانبياء صحيح يحتاج به أم لا ؟ .

السؤال :

سأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء قال : د مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، قال كم الرسل منهم ؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد - عليه الصلاة والسلام - وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

هل هذا من خبر الآحاد أم من المتواتر ؟ وهل هو صحيح أم ضعيف ، وهل يمكن أن نحتج به ونستدل به ؟ .

نفس السائل

الجواب :

هذا الحديث من أخبار الآحاد لا يفيد القطع في العقائد ، والأولى تفويض علم ذلك إلى الله سبحانه .

حكم التلقيب :

السؤال :

هل يجوز لأحد أن يختار حكماً ما من أى المذاهب الأربعة ، فيعمل بحكم من الأحكام التى يحبها ويترك ما لا يحبها ؟ وهو التلقيب وهل له أن يقول عن الحكم الذى لا يحبه أنه خطأ أو صعب عليه ؟ .
سائل من أندونيسيا

الجواب :

يجوز للسكف أن يقلد من شاء من الأئمة الأربعة ولا يصح له أن يقول : إن الحكم الذى لا يحبه خطأ بمجرد عدم محبته له وإن صح له أن يقول إنه صعب عليه .

الاجتهاد - الخطأ فيه

السؤال :

هل توجد الأخطاء فى بعض المسائل الاجتهادية للعالم المجتهد ؟ نفس السائل

الجواب :

يجوز الخطأ على المجتهد فى بعض المسائل ويثاب على اجتهاده مع ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ما معناه إن المجتهد إذا أخطأ فله أجر واحد ، وإذا أصاب فله أجران .

السؤال :

هل يجوز لأحد فى زمننا هذا أن يخطئ العالم المجتهد فى بعض المسائل التى اجتهد فيها ؟ .
نفس السائل

الجواب :

إذا وجد من بلغ درجة الاجتهاد المطلق فله أن يخطئ من قام الدليل على خطئه من المجتهدين.

المذاهب الأربعة

السؤال :

ما حكم من نفى كل المذاهب الأربعة ويخطئ كل واحد من هذه المذاهب وهو من العوام معتمداً على الآية « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول - الآية » .
نفس السائل

الجواب :

حيث إنه من العوام وليس فيه أدنى أهلية الاجتهاد فيجب عليه أن يقلد أحد المذاهب المعتمدة ولا يرجع إلى الكتاب والسنة لجهله وعدم أهليته للأخذ منهما .
بناء المسجد على الأرض الموقوفة

السؤال :

هل يجوز بناء مسجد أو مدرسة على أرض موقوفة فيها قبر قديم أو مقابر قديمة زالت آثارها منها ؟ حيث لا توجد أرض غيرها ؟ وإن كان هناك مدفن جديد هل يمكن أن يبنى عليه المسجد أم لا ؟
نفس السائل

الجواب :

القبر موقوف على الميت مادام لم يبيل بأن

بقى من جسمه شيء فإذا بلى ولم يبق له أثر جاز الانتفاع بالقبر في مسجد أو مدرسة حيث زال حق الميت عنه حينئذ .
نعم إذا دعت المصلحة العامة للانتفاع بقبر لم يبيل ميتته نقل منه إلى مدفن آخر غيره بشرط ألا يكون في ذلك تمثيل بالميت كأن اتفجر ولم يحف صديده .

حكم صلاة الجمعة في قرية بها ثلاث مساجد

السؤال :

ما حكم صلاة الجمعة في قرية كبيرة يوجد فيها ثلاثة مساجد وبين كل مسجد مسافة كيلو متر ؛ هل صلاة الجمعة صحيحة عند الشافعي في هذه المساجد الثلاثة حيث إنه لا يمكن أن يجتمع المصلون في مسجد واحد ، إما للعداوة بين أهل كل مسجد والآخر أو لكون المسجد لا يتسع للمصلين جميعاً من أبناء القرية ؟
نفس السائل

الجواب :

بأن الراجح من مذهب الشافعية رضي الله عنهم أنه يجوز تعدد الجمعة إذا لم يكن في البلد مكان يسلمهم جميعاً أو تعذر اجتماعهم لعداوة أو نحوها والجمعة حينئذ صحيحة .

المسألة بأعراف عن القبر

السؤال :

بناء بيلدتنا حوله الأهل إلى مسجد وقد

مقصورة الولي محرمه شرعا خصوصا إذا كان القبر أمام المصلى لحديث (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ونصح هؤلاء العلماء بأن تعطى المقصورة حكم المقبرة فلا يصلى فيها وفي بقية المسجد متصلا للصلاة . وحدث أخيرا أن كنت أصلى في أحد المساجد التي بها مقصورة أحد الأولياء ووجدت مصليا يصلى بداخلها والقبر أمامه فنهضته بالحسنى وقلت له إن هذا حرام شرعا ، وتصادف أن كان إمام المسجد مارا بجوار المقصورة وسمع الكلام فقال لي : إن هذا ليس بمحرام وليس فيه شيء مطلقا فأرجو إفادتي عن حكم الشرع في هذه المسألة ؟ .

السؤال من / السيد محمد بن غالب (العراق)

الجواب :

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وفي رواية أخرى (إن من قبلكم اتخذوا قبور أوليائهم وصالحهم مساجد فلا تتخذوها إني أنهاكم عن ذلك) . وقد فهم الشارحون وبعض الفقهاء أن محل النهي إذا كان القبر في جهة القبلة واستقبله المصلى ، وعليه ذلك بأنه فيه تعظيم لصاحب القبر ، وقد يفضى إلى الافتتان المؤدى إلى الكفر والعبادة بالله تعالى .

وعلى هذا فاتخاذ المقبرة في المسجد منهي

بنى على غير القبلة ولما كانت القبلة تحدد بالنسبة لموقعه في الجنوب الشرقي فقد أقيمت القبلة بالمبنى فعلا ، ولكن بعض الأهل يصرّون على الصلاة متوجّهين إلى الجنوب حتى تساوى الصفوف وتستقيم موازيه للجدار . وقد اختلف الرأي ، ونرجو بيان الحكم الشرعي ؟ . وحكم الصلاة السابقة التي صليت على غير القبلة عن عمد ؟ .

عبد الحميد المصيلحي

ميت الخولى - دكرنس الدقهلية

الجواب :

الله تعالى تعبدنا بالاتجاه نحو الكعبة قال تعالى : قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره . .

فالواجب إذا توجه نحو الكعبة المشرفة في البيت الحرام وكل صلاة صليت عمدا إلى غير القبلة باطلة لعدم استيفاء شرطها ويجب قضاؤها .

أما عن الصفوف فهي مع هذه الحالة يمكن تسويتها وإن كان الصف الأول أقصر مما يليه ومسكنا فإن هذا لا يضر في تسوية الصفوف

الصلاة داخل مقصورة الولي :

السؤال :

سمعت من علماء كثيرين أن الصلاة داخل

راغباً في إتمام هذا الزواج كتبت البنت وكالة باسم والد الفتاة لعمها الذي تقيم عنده من غير علم والدها .

وقد عرض أخى الكبير الموكل في الزواج هذه الوكالة على القاضى الشرعى ، الذى سمح له بإتمام الزواج بناء على وكالة والد الفتاة .

وأريد أن أسأل عن حكم الشرع في هذا الزواج هل هو صحيح أم فاسد ؟ .

وهل ما قامت به يعتبر جرماً أم أنه من أحكام الضرورة ؟

محمد زين محمد صالح - أمريكا

الجواب :

إذا حصل الولي الخاص أو غاب مسافة القصر كانت الولاية حينئذ للقاضى يزوج أو يأذن لمن يزوج ، فبقى أن سبب الإذن الوكالة وهى ضرورة هل ما يظهر من خطاب السائل ، والجواب عن هذا أن سبب الإذن في الواقع النقص أو العضل وهذان لا تزوير معهما .

أما الوكالة المقول عنها فلا حاجة إليها في إذن القاضى ، وكان يكفي أن يعلم القاضى بالنقص أو العضل وقد حصل ، هل أن للبنت أن تزوج نفسها أو توكل من يزوجها متى كانت بالغة هند الحنفية ، وهذا حصل في مسألتنا فالعقد صحيح عند الشافعية والحنفية .

هذه شرعا إذا استقبل القبر بالصلاة ، أما إذا لم يستقبل فإن ذلك جائز لأشياء فيه غير أنه ينبغي أن يلاحظ أنه لا فضل للصلاة في مكان على مكان إلا الأماكن الثلاثة التى فضلها الله ، وهى : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد فسر العلماء اتخاذ القبور مساجد : بالصلاة عليها أو بالصلاة إليها واستنبطوا من ذلك أن الصلاة في المقصورة أو الضريح حرام .

فلا يجوز الصلاة في المقصورة أو الضريح خصوصا مع ما يلبس ذلك في زماننا من الاعتقاد في الأولياء ، اعتقادا يتنافى والعقيدة الإسلامية الصحيحة النقية .

الزواج على غير إرادة الوالد الغائب إذا حصل

السؤال :

لى أخ غاب عن وطنه مدة ١٤ عاما وكان متزوجا وله ولد وبنت ، الولد توفى والبنت على قيد الحياة ، وهرم الآن ١٥ سنة ، ويريد ابن أخى الزواج من هذه الفتاة ، وهى موجودة في اليمن مع عمها .

وبعد المراسلات اشترط والد الفتاة مهرأ قدره ألف دولار ، وعرض الخاطب خمسمائة فقط ، ولما كان كل من الفتاة وابن أخى

انبثاء وآراء

منافسات ... ؛

(لمسة) :

إن فكرة تبرئة اليهود من دم المسيح ،
والهناورة السياسية الخطيرة التي يقوم بها
الكردالة في أروقة الفاتيكان يجب أن
لا تمر بدون تعليق الأوساط الإسلامية
المستولة في كل بلد إسلامي ...

فصحفنا مثلاً تناقش القضية من الوجهة
السياسية فقط دون اعتبار لعقيدتنا ، وكأن
من المسلم به أن المسيح عليه السلام قد صلب
فعلاً ، وقد انحصرت القضية في تبرئة اليهود
من دمه أو الصاقها بهم .

ونحن لا يهمنا إن كانت السياسة الأمريكية
تلعب دوراً خطيراً من خلف الستار ، كما
هو واضح من المؤتمر الديني الأمريكي الذي
انعقد منذ أيام في سانت لويس ، حيث
أصدر هذا المؤتمر الواحد والستون للجلس
الأسقفي القوي في أمريكا بياناً شديداً يبرئ
اليهود من دم المسيح ويلقي اللوم على
الإنسانية جمعاء . ولكن الذي يهمنا أن
نقرر أن القضية قائمة من وجهة نظرنا على
أساس منهار .

كنا نود أن لا يتورط كتاب كبار تقرر

شهادات مواليدهم أنهم مسلمون ، ولكن
يظهر أن الاحتراف الصحفي أرفع لديهم من
العقيدة والدين والقرآن . السنان

ههنا المحيى لبس متواتر :

استمعت منذ أيام إلى حديث ديني من
أحاديث الصباح الإذاعية لعالم جليل ، يشير
فيه إلى أن حديث : وإنما الأعمال بالنيات ،
ولكل امرئ ما نوى ، حديث متواتر ،
وهذا الحديث رواه يحيى سعيد الأنصاري
عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن علقمة
ابن وقاص الليثي قال : سمعت عمر رضي الله عنه
على المنبر يقول : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : الحديث .

يقول النووي في شرح صحيح مسلم في
الجزء الثالث عشر ما مضمونه ، إن الحديث
لم يروه من الصحابة إلا عمر ، ولم يروه عن
عمر إلا علقمة ، ولم يروه عن علقمة إلا محمد
ابن إبراهيم التيمي ، ولم يروه عن محمد
إلا يحيى ، وهؤلاء الثلاثة تابعيون ، ثم رواه
عن يحيى نحو مائتين من الشيوخ ، ولهذا قال
الآئمة ليس هو متواتراً وإن كان مشهور
عند الخاصة والعامة لأنه فقد شرط التواتر
في أوله وفي طريقة من طرق الإسناد .

الحاد ، وألقى السيد وزير الشباب كلمة قيمة كان لها تأثير طيب في نفوس الحاضرين .

مؤتمر عدم الانحياز :

انعقد مؤتمر عدم الانحياز بالقاهرة من اليوم الخامس من شهر أكتوبر عام ١٩٦٤ إلى اليوم الحادى عشر فيه ، وقد حضر المؤتمر رؤساء ثمان وخمسين دولة من أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية وأوروبا .

وأذيعت القرارات التاريخية الكبرى ظهر اليوم الحادى عشر ، التى تؤيد فضال الشعوب الحرة وفى مدمتها شعوب فلسطين والجنوب العربى وأنجولا وكوبا ضد الاستعمار من كل لون .

لقد كان المؤتمر خطوة جادة من أجل تحقيق الحياد الإيجابى والتعاضد السلى . وتجنيب العالم ويلات حرب ثالثة مدمرة .

فى ذكرى العدوان الصهيونى :

أذاع فضيلة الإمام الأكبر هذه الكلمة بمناسبة ذكرى العدوان .

يستقبل العالم العربى ذكرى العدوان الثلاثى على مدينة بور سعيد قمر بخواطره بشاعة اجترأ الباطل على الحق ، وجبروت الاستعمار فى مناهضة الأحرار ، وأن هذه الذكرى لتعيد إلى الأذهان الخصائص المشرفة للإيمان فهو مهما ضعفت أعباءه ،

هذا وقد اتصلت بالاستاذ الجليل المتحدث فاقتنع ، ولم أرد بهذا النشر إلا تعميم الفائدة والله الموفق .

محمد نجيب المطيعى - العباسية

فى محيط الأزهر

العام الدراسى

افتتح العام الدراسى فى جامعة الأزهر بمؤتمر كبير حضره الاساتذة والطلاب ، وقد ألقى فيه فضيلة الإمام الأكبر كلمة قيمة وجه فيها الأذهان إلى رسالة الأزهر وصلة العلم بالدين فى علوم الأزهر ، ثم ألقى فضيلة السيد الأستاذ الباقورى مدير الجامعة كلمة أظهر فيها مكانة الأزهر فى مجتمعه وواقعه ونوه بمقدمه للإنسانية من خدمات .

اتحاد طلاب الجامعة

وأقام اتحاد طلاب جامعة الأزهر حفلا كبيرا فى قاعة الشيخ محمد عبده حضره السيد أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء لوزارة الأوقاف وشؤون الأزهر . والسيد الدكتور نور الدين طراف نائب رئيس الوزراء ، والسيد الأستاذ طلعت خيرى وزير الشباب . وقد بدى الحفل بالقرآن الكريم ثم ألقى مقرر الاتحاد تقريراً عن أعماله فى العام الماضى وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ الباقورى مدير الجامعة كلمة قبولت بالاستحسان العام والتصفيق

* أحدث الاكتشافات ، هذه الطائرات التي صممت أخيراً ، بحيث تعلق في أجفحتها عربات اللوري ، والمعدات الثقيلة ، لتوصلها إلى الأماكن القريبة من المواقع الحربية ، وبذلك يتوافر عامل السرعة في الامدادات الحربية .

الطائرة مصممة بحيث يتحمل جناحها وزن ١٣٠٠ رطل زيادة على ثقل اللوري وما تحمله الطائرة نفسها .

ترعيم مجمع البحوث :

ستتجه النية إلى تدعيم مجمع البحوث الإسلامية والتوسع في نشر وتوزيع الكتب الدينية والثقافية ، فقد استقبل الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر منذ أيام المهندس السيد أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء حيث دار البحث حول الشؤون الدينية والتعليمية للأزهر .

تقرر قبول مائة وخمسين طالبا من حملة الثانوية العامة بجامعة الأزهر على الرغم من عدم نجاحهم في امتحان القبول بالجامعة ، وقد تم الاختيار طبقا لمجموع الدرجات في الثانوية العامة مضافا إليه درجات امتحان القبول ، ومن الجدير بالذكر أنه كان قد تقدم لامتحان القبول ٤٨٠ طالبا لم ينجح منهم أحد .

محمد عبد الله السهام

لن يقتحم بابه ولا يزيده العدوان عليه إلا إغواء به ، وهكذا أبقت العدوان الثلاثي الضمير العالمي ، وجمع كلبة العرب ، وهبأ حماس المسلمين فكان ما كان من نصر الله للحق ، وغلبة الحرية على الرق ، خيا الله من الإنسانية كلها كل من أسهم في هدفه المعركة بكلمة حق أو معونة صدق ، وجزى الله بالرحمن أرواح الشهداء الذين خطوا بدمائهم خلود وفاتهم وكرمهم في عالمين مع النبيين والصديقين .

وأدام الله على الدنيا هبة هذه الذكري حتى تظل للظالمين درساً يردعهم وللمظلومين سابقة تشجعهم ، وحيا الله زعيم العروبة وجامع كلمتها يوم أن وقف على منبر الأزهر وفادى سقائل . . سقائل . . فكان نصر الله ، ولنصرن الله من بنصره ان الله لقوى عزيز .

جائزة نوبل :

انقسم عالمان ألمانيان جائزة نوبل للطب في هذا العام ، الأول كونراد بلوخ الذي حصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٤ والآخري فيودور لينين الأستاذ بمعهد الكيمياء الحيوية في ميونيخ ، وقد توصل الاثنان إلى اكتشافات عاونت الإنسانية في فضالها ضد أمراض الدورة الدموية .

الكتاب

نقد وتعريف : الأستاذ محمد عبد السلام

والتاريخية ، وتأثره بالقرآن ، ثم قدم المؤلف في نهاية الفصل نماذج متنوعة من شعره .

أثار المؤلف في الفصل الثالث شبهات حول حسان ، أولاها أنه كان جباناً خواراً ، وذكر قصته مع صفيّة بنت عبد المطلب حين دعت إلى النزول لقتل يهودى يطيف فأبى وقال : يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، وما كان منها إلا أنها أخذت عموداً ثم قتلته .

المؤلف لا يفكر القصة ولكنه لا يعتبرها دليلاً على جبن حسان ، ويراها قلّة لا يمكن أن تقوم دليلاً قاطعاً على صفة طامة في حسان ، ثم استشهد بكثير من المواقف لحسان تنفي عنه هذه الوصمة .

والشبهة الثانية : شعر حسان نفسه واتهامه بالضعف ، ويرى المؤلف أن حساناً فوق هذه التهمة التي كان مردّها السكيد للإسلام ، وإلا ما جاز لأمثال أبي عبيدة أن يقول : فضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار

١ - شاعر العرب - ممدوح حسان بن ثابت للأستاذ وليد الأخطى

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة المنار بالكويت يقع في زهاء ثلثمائة صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة أدبية تاريخية لشاعر الإسلام حسان بن ثابت الأنصارى في أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة لحسان ، نسبه ونشأته ، وكنيته وذريته ، وحياته في المدينة ، ثم بحث في شعره الجاهلى .

والفصل الثانى : تناول المؤلف فيه ظهور الإسلام ، وانقسام المجتمع العربى ، ودفاع الشاعر عن الإسلام ، ومواقفه تجاه الوفود ، ثم مدرسة حسان الشعرية .

والفصل الثالث : منزلة الشاعر عند النبي ، وشبهات حول حسان ، وموقفه من حديث الإفك ، ثم منزلته عند الخلفاء .

والفصل الرابع والآخر : تناول المؤرخ فيه مواقف حسان مع الصحابة ، وأثره في الشعر العربى ، وجهوده التجديدية ،

المذهب الإباضي جابر بن زيد وتلميذه
أبي هبيرة مسلم .

وفي الجزأين الآخرين قدم المؤلف
دراسة عن الإباضية في ليبيا ، كيف دخلت
على يد سلمة بن سعد ، وكيف قاومت الطغيان
وكالفت الظلم في ليبيا وشمال أفريقيا ، وكيف
انتشرت دعوتها وتأسست مدارسها .

وقد اشتمل الكتاب على تراجم وافية
لمعدد كبير من أعلام المذهب الإباضي ،
فسلط أضواء كاشفة على هؤلاء الأعلام
الذين نشروا مبادئ المذهب وتحملوا
في سبيل ذلك الكثير من المشاق .

إن معظم كتب التاريخ التي تعرضت للفرق
الإسلامية يعتمد إلى اعتبار الإباضية إحدى
فرق الخوارج ، ويبدل المؤلف هنا جهداً
كبيراً في إزالة هذا اللبس الذي رسخ
في الأذهان قروناً عديدة ، ويذكر أن
اشتراك طائفة مع غيرها في رأى معين
لا يعنى اشتراكها في جميع الآراء ، ومن
ثم لا يجوز أن تنتخرط هذه الطائفة في سلك
أية طائفة أخرى تشترك معها في رأى ،
وقد تسربت الشبهة لأنها تشترك - أى
الإباضية - مع الخوارج في انتقاد قبول
التحكيم ، وفي تخطئة هل في قبوله ، وتوافق
الإباضية في هذه النقطة لا يجعل الإباضية
خوارج ، كما لا يجعل الخوارج إباضية ،

في الجاهلية وشاهر النبي في النبوة ، وشاهر
اليمين كلنا في الإسلام ، . كما لا ينفي المؤلف
أيضاً أن يكون شمعر حسان في الإسلام
قد لان وضعف ، وبطل ذلك بتأثر حسان
بالإسلام ولا سيما القرآن .

أعجبني في المؤلف استعداده للدفاع عن
حسان في شبهات سلطت عليه ، لولا أن
عاطفته غلبت أحيانا على منطقته في دفاعه ،
وعلى كل فحسب المؤلف من التقدير أن قدم
لنا دراسة متكاملة عن حسان الشاعر
الإسلامي الفحل ، تعتبر بحق مرجعا محدوداً
لدارسين .

* * *

٢ - الإباضية في موكب التاريخ

للأستاذ هلى يحيى معمر

هذا الكتاب ثلاثة أجزاء في أكثر من ستائة
صفحة نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة والمؤلف
أديب ليبي ذو ثقافة ناضجة وأفق واسع ،
تناول في الجزء الأول نشأة المذهب
الإباضي ، وناقش فيه معنى الخوارج ،
والخوارج في نظر الإباضية ، وميزان الخطأ
والصواب للفرق الإسلامية ، وتكون
المذاهب الإسلامية ، ثم نشأة الإباضية
وموقفها في أسواق الجدل ، ووضعها
في قيادة الأمة ، وترجمة موجزة لمؤسس

يتناول الكتاب ماهية الحكمة وعظم قدرها ومن المستحق لبذل الحكمة وشرفها ، ثم الفرق بين الحكمة والعلم ، ومعنى قول الرسول طلب العلم فريضة على كل مسلم ، كما يتناول بيان التوحيد والتفريد على لسان أهل الإشارة من العارف والمريد ، ووصفاً للعارفين الذين وصفهم المعروف بالصفاء واليقين ، وتوضيحاً لصفة الإخلاص وطبقات المخلصين بالقلب . وإلى غير ذلك من آداب السلوك النفسى والقلبى والمعادى .

الكتاب - كسائر كتب المتصوفين - خليط من التوجيه السليم الذى يتفق ومفهوم الإسلام وواقعياته ، ومن المثالبات التى لا تصلح كقواعد عامة فى السلوك الإنسانى لانحو نفسه ولا انحور به ، لأنها تناقض طبيعة الإنسان نفسه وسن الحياة كذلك .

فى هذا الكتاب مثلاً أن أباعبد الله اشترى جارية فلما دخل داره قال : قولى وافرشى الثياب . قالت : ماذا تصنع يا مولاي ؟ قال : أنام . قالت : ألك مولى ؟ قال : نعم . قالت : وبنام مولاك ؟ قال : لا . قالت : أما تسبحى أن تمام وموك لا ينام ؟ وكانت حبيبة العدوية تقول :

عجباً للمحب كيف ينام
كل نوم على الحب حرام

وإلا فالمعتزلة والأشاعرة مثلاً يشتركون فى أصل تنزيه البارى وبعض المعتزلة والشيعة يشتركان فى نظرية حصر الخلافة فى البيت الهاشمى ، فهل معنى هذا أن كلام المعتزلة والأشاعرة فرقة واحدة ، وكذلك المعتزلة والشيعة ؟

الحق أن كتاب الأستاذ على يحيى معمر دواصة كلفته جهداً ومشقة ، وحسبه من التقدير أنه أزال كثيراً من اللبس ، وراعى الحق والعدل فى ما كتب ، وأنه بذل مجهوداً أيضاً فى استيعاب المراجع النادرة وغير النادرة ليبرى ذمته وقله وليسكون كتابه بعد ذلك مرجعاً أميناً لكل دراس باحث .

* * *

٣ - علم القلوب :

العلامة أبى طالب المسكى

حقق هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر الأستاذ عبد القادر أحمد عطا المدرس بالأزهر ، والمؤلف هو أبى طالب المسكى صاحب « قوت القلوب » المشهور ، والمتوفى عام ٣٥٨ هـ .

وهذا الكتاب مع شقيقه الذى بين أيدينا يعتبران - كما يقول المحقق - من أسس السلوك الدبنى القويم الذى تحتاج إليه فى تصحيح الأعمال والنيات والعقائد ، ويوقفنا على دسائس النفوس ومكائد الشيطان حتى تتمتع السبيل ويستقير الطريق .

التعليمية ، والحياة الصنافية التي عاصرها
أحمد الزين ، ثم ختم المؤلف دراسته
المستفيضة الجيدة بقصائد لم تنشر للشاعر
رحمه الله .

• صراع بين الحق والباطل

للأستاذ سعد صادق محمد

مكتبة أنصار السنة المحمدية

يقع الكتاب في أكثر من مائة وستين
صفحة ، وهذه تصفية الدين مما علق به
من خرافات وأباطيل لم يزل السذج
يعتقدونها عقيدة راسخة في أذهانهم والمؤلف
يحمل الصوفية معظم أوزار هذه الخرافات ،
ولا سيما فيما يتعلق بالكرامة والتوسل .

• البناء الفني للقصة العربية

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

مكتبة القاهرة بالأزهر

كتاب جديد للأستاذ خفاجي يقع
في أكثر من مائتين وسبعين صفحة من
القطع الكبير جاء في تسعة أبواب هي :
الشعر مقوماته وعناصره ، القصيدة من
المقطعات إلى المعلقات ومن المعلقات إلى الأراجيز
بعد الأراجيز ، الموشحات ، حركات التجديد
في القصيدة ، الشعر المرسل ، القصيدة
العمودية ثم الخليل بن أحمد .

كنت أود على الأقل أن يسكون للمحقق
تعليق على مثل هذا القول ، ولا سيما أنه
يذكر في مقدمته أن المكي قد خلط في كلامه
فهمجوه الناس وابتعدوا عنه ونسبوه إلى
البدع ، أما دفاعه بأن بعض الناس تعودوا
أن ينكروا ما لم يألفوه من مسائل العلم
إنكاراً كاملاً ، وتعود البعض الآخر أن يتوقف
أقرب فيما لم يألف ويسلم هلم أمرها لله ، وهو
إلى الصواب من سابقه ، فهو لا يهدم جازماً
بالخطأ بل يترك ما لا يناسب مداركه إلى من
يناسب مداركهم - مثل هذا الدفاع لا يقوم
حجة ، فالإسلام معان واضحة لا لبس فيها ،
وليس الغاذا تفرض على عقول المسلمين فرضاً .

كتب جديدة

• المجتمع في شعر أحمد الزين

للأستاذ عبد الرحمن خليل إبراهيم

المجلس الأعلى لرعاية الفنون

الكتاب يقع في أكثر من مائتين وستين
صفحة من القطع الكبير ، قدم له الأستاذ
علي الجندي بمقدمة موجزة ، وقد جاءت
هذه الدراسة في سبعة فصول ، تناول المؤلف
فيها حياة الشاعر وصلته بشعراء عصره
ومشاركته الوجدانية لهم ، والشاعر في مرحلة
ما بعد الشباب ، والحياة الاجتماعية ،
والحياة النفسية ، والحياة السياسية ، والحياة

• أضواء عربية على الحروب الصليبية

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

المكتبة الثقافية - دار القلم بالقاهرة

هذا البحث أصدرته المكتبة الثقافية التي تشرف عليها وزارة الثقافة والإرشاد القومي ويقع في مائة وعشر صفحات من القطع الصغير، وقد ناقش فيه ماهية الحروب الصليبية ووضع الصليبيين في الشام، وموقف مصر من هذه الحروب والغرب الأوربي وسياسة الحصار الاقتصادي والحروب الصليبية في شمال أفريقيا وأوروبا، ثم أثر الحروب الصليبية في الشرق والغرب.

• بطل سامع المأساة

في أخبار مجنون بن عامر

لشمس الدين الدمشقي

مكتبة القاهرة بالأزهر

هذا الكتاب الذي يقع في مائة وستين صفحة من القطع الكبير قام بتحقيقه فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي، وقد أضيف إلى الكتاب في آخره أخبار ليلي الأخيالية وتوبة، وأخبار قيس بن ذريح ولبنى، وقد قدم الأستاذ الصعيدي ترجمة لابن طولون الدمشقي وابن عبد الهادي شيخه.

عبد الله السمان



avoir ramené à l'équilibre leur balance, qui penchait tantôt d'un côté tantôt de l'autre, il les a **poussées toutes dans une même direction** et leur a insufflé un même esprit, si bien qu'on a le droit de lui attribuer en propre l'ensemble de cette oeuvre.

Plus admirable encore, et absolument original, est son côté créateur. Il ne suffit pas, en effet, pour décrire la morale Koranique de dire qu'elle a conservé et consolidé le patrimoine des anciens et qu'elle a concilié les différentes vues qui avaient divisé leurs successeurs. Il faut ajouter qu'elle a agrandi et embelli cet édifice sacré, en y joignant de chapitres tout-à-fait nouveaux et hautement progressifs, par lesquels elle a achevé à jamais l'oeuvre morale.

Dans la présente étude, nous aurons à considérer les préceptes pratiques du Koran en eux-mêmes et dans leur stade définitif. Or il suffit de feuilleter les Extraits que nous en donnons à la fin de ce volume pour se rendre compte de l'ampleur et de la beauté de cette institution.

Notre méthode d'exposer, dans cette branche, diffère assez de celles adoptées par nos prédécesseurs.

E premier lieu, n'ayant pas jugé nécessaire d'épuiser les passages ayant trait à l'action, nous nous sommes contentés d'en relever un nombre suffisamment représentatif pour établir les différentes règles de la conduite.

Ensuite, nous avons essayé, dans la mesure du possible, d'éviter les répétitions.

Enfin, au lieu de suivre l'ordre des sourates (comme Ghazâli) ou l'ordre alphabétique des concepts (comme La Beaume), nous avons adopté un ordre logique. Les textes sont groupés en chapitres, suivant le genre de rapport que la règle a pour objet d'organiser; et, à l'intérieur de chaque catégorie, nous avons distingué plusieurs petits groupes de textes, auxquels nous avons donné des sous-titres résumant l'enseignement particulier qui s'en dégage. De manière à permettre au lecteur de trouver facilement le précepte qu'il aura à chercher.

L'ensemble des textes ainsi ordonnés constitue un programme complet de la vie pratique selon le Koran. Comment l'homme doit-il se comporter en lui-même, dans sa famille, avec les hommes en général, quels sont les principes qui doivent régir les rapports entre gouverneurs et gouvernés, entre Etats ou communautés; comment faut-il rendre le culte à Dieu. Tout y est dit, de façon claire et assez définie.

Cet ordre logique, nous le trouvons chez certains savants chi'ites tel que A. M. el-Ardabîli, mort en 993 H. dans sa "Dourrat el-Ba'iane" et A. I. A. el Djazâiri en-Nadjafi, mort en 1150 H., dans ses Kalâid ed-Dourar" Mais ces deux livres, qui peuvent être considérés comme des répertoires pour les passages du Kor'an relatifs au droit islamique, ne traitent que rarement des préceptes moraux.

Ainsi, personne, à notre connaissance, n'a entrepris jusqu'ici de dégager la loi morale du Kor'an dans son ensemble et n'a essayé d'en présenter les principes et les règles sous la forme d'une structure cohérente, indépendamment de toutes ses attaches avec les disciplines voisines. Et c'est cette tâche que nous nous sommes proposé d'accomplir ici, dans la mesure de nos moyens.

II. Division et méthode.

Sous le vocable générique de *loi morale*, nous distinguons comme tout le monde deux branches différentes : *théorie* et *pratique*.

Or notre étude du texte Koranique nous a révélé, non seulement la présence dans le Kor'an de ces deux branches de la science éthique, mais encore que la formule qu'il en donne atteint un

degré de perfection qui ne laisse rien à désirer.

Aspect pratique - Dans une publication récente, nous avons considéré la morale pratique du Kor'an dans son rapport avec la sagesse ancienne, et nous avons pu en relever trois caractères, que nous rappelons ici brièvement.

D'abord, en tant que gardien et continuateur de la tradition, le Kor'an se distingue déjà par cette immense étendue dans laquelle il a embrassé toute la substance de la loi morale qui restait dispersée dans les enseignements des saints et des sages, fondateurs et réformateurs éloignés les uns des autres à travers le temps et l'espace, et dont certains mêmes n'ont laissé aucun vestige. Ce côté-là est peut-être la caractéristique la plus saillante du Koran, mais non la plus précieuse ni la plus originale.

L'originalité de cet enseignement apparaît avec plus d'éclat dans sa manière de présenter et de rapprocher ces différentes leçons de l'antiquité, de façon à en transformer la diversité en une unité indivisible, et la divergence en un parfait accord. C'est qu'il a commencé par écarter dans les lois antérieures tout ce qu'il y avait d'apparemment médiocre ou excessif ; et, après

moralité et qui n'adoptent pas toujours rigoureusement le point de vue spécifiquement moral, la théorie qu'on en donne dépend dans une large mesure, sinon des vues personnelles, du moins de l'esprit d'école de leurs auteurs, le Koran n'étant cité par eux qu'à titre complémentaire, comme illustration de telle ou telle conception déjà adoptée.

Sur le plan pratique, il est vrai, nous savons qu'Al-Ghazâli avait essayé dans son ouvrage intitulé "les Joyaux du Koran", d'analyser la substance Koranique et de la ramener à deux éléments essentiels, l'un ayant trait à la connaissance, l'autre à la conduite. Il en venait à désigner dans le premier ordre 763 versets, et 741 dans le second.

Malheureusement, cette sorte d'inventaire, qui constituait un premier pas dans la préparation des matériaux à construire, n'était pas suivie de l'élaboration nécessaire pour en élever l'édifice.

Il faut reconnaître, toutefois, que le choix de matériaux y a été fait en somme d'après une règle, et que les versets choisis dans la section pratique coïncident souvent avec l'objet de notre étude. Il n'en est pas de même des extraits faits, soit par le cadi Abou-Bakr el-Djassas, Hanafite, mort en 370 de

l'Hégire, dans ses "Ahkâme El Koran" (Stamboul 1338 H.), soit par le cadi Abou Bakr Ibn el "Arabi, Mâlikite, mort en 542 H., dans son livre intitulé également Ahkâme el-Koran (éd Sa'âda, Caire 1321 H.) soit par Moulla Ahmad Djioune, Indou, hanafite mort en 1130 H. dans ses "Tafsirât Ahmadyya fi Baîâne el Aîât ech-Char'yya" (Bombay 1327 H.) Non seulement les textes Koraniques ayant trait à la morale sont inextricablement submergés, dans ces ouvrages, par les textes relatifs aux sujets juridiques, principologiques, théologiques, cosmologiques et autres ; mais nous voyons chez les deux Cadis des versets cités à propos des questions auxquelles le texte n'a qu'un rapport lointain, ou dont il est simplement l'occasion.

En tous cas, par leur manière de grouper les passages Koraniques selon l'ordre des sourates, tous les auteurs, y compris Ghazâli, ont fait de leurs extraits un agrégat de matières éparses qu'aucun esprit de famille ne relie, et dans lesquelles n'apparaît aucune suite d'idées. Ainsi, après avoir rompu l'unité primitive de chaque sourate, ils n'ont pas pu y suppléer par une unité logique entre les fragments choisis et par un classement méthodique qu'exige la règle de l'enseignement.

“La Morale du Korân”

(2)

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

Mais, en consultant notre bibliothèque islamique elle-même, nous avons constaté qu'elle n'a connu jusqu'ici que deux sortes d'enseignement moral : ou bien ce sont des conseils pratiques, destinés à former les mœurs de la jeunesse, en lui inspirant la conviction de la haute valeur de la vertu; ou bien c'est une description de la nature de l'âme et de ses facultés, puis une définition et une division de la vertu, calquées le plus souvent sur le modèle platonicien ou péripatéticien. Et il n'est pas rare de voir les deux méthodes se succéder sous la plume d'un même auteur. Il s'agissait ainsi, dans tous les cas, d'œuvres purement humaines, où les auteurs s'efforçaient de mettre les fruits de leurs méditations et de leurs études philosophiques, et dans lesquelles le texte Koranique faisait défaut ou ne figurait qu'à titre secondaire.

Pas plus donc chez les Musulmans que chez les Islamisants, la

morale Koranique n'avait fait l'objet principal d'étude et de codification, ni du point de vue théorique ni du point de vue pratique. Afin que cette double affirmation revête un caractère rigoureux, et qu'elle soit exempte de toute équivoque, nous croyons devoir y joindre quelques précisions.

D'abord dans le domaine spéculatif, nous ne prétendons pas par nos recherches avoir à pénétrer dans un pays jusqu'ici inexploré. Les savants musulmans ont, de bonne heure, exercé leur talent sur ce sujet : les théologiens et les principologues, sur le critère du bien et du mal (ou selon leur expression, sur la question du beau et du laid) ; les jurisconsultes, sur les conditions de la responsabilité; les moralistes et les mystiques sur l'efficacité de l'effort et la pureté de l'intention. Mais, outre que ces notions sont restées ainsi disséminées dans les diverses disciplines, qui touchent de près ou de loin la

Western Writers On Islam

Before the contact of Western culture with Islam, the uncharitable and unkind writers and preachers from that part of the world poured forth torrents of abuse on the Prophet, but to say with Carlyle :

“ Muhammad is no longer an impostor, but a great reformer: He is no longer a neurotic patient suffering from epilepsy, but a man of tremendous character and unbending will. He is no longer a self-seeking despot, ministering to his own selfish ends, but a beneficent ruler shedding light and love around him. He is no longer an opportunist, but a Prophet with a fixed purpose, and a man of strong will, undeviating in his consistency.”

All this Europe acknowledged and freely, too. Carlyle and Gibbon, gifted writers, both have each in his own way, done full justice to this man, in whom merges all that is best in humanity. His whole being was permeated with Divine Love. In fact, he was so much in love with his Maker that his whole life was devoted to an uphill struggle for Truth and Righteousness. Davenport and Boswell in English, Krehl and Gremence in German and Gaetani in Italian have opened to the Western world vista s of the life of the Prophet, which demolish completely the stock arguments employed by unjust critics against this, the greatest benefactor of humanity. George Bernard

Shaw sings the following paean of praise :

“I have always held the religion of Muhammad in high estimation because of its wonderful vitality. It is the only religion which appears to me to possess that assimilating capability to the changing phases of existence which can make itself appeal to every one. I have prophesied about the faith of Mhammad that it would be acceptable to the Europe of tomorrow as it is beginning to be acceptable to the Europe of today; The medieval ecclesiastics either through ignorance or bigotry painted Islam in the darkest colours.

They were, in facet, tratined to hate the man Muhammed and his religion. To them Muhammad was anti-Christ. I have studied him—the wonderful man, and in my opinion, far from being an anti-Christ, he must be called the saviour of humanity : I believe that if a man like him were to assume dictatorship of the modern world, he would succeed in solving its problems in a way that he would bring it the much needed peace and happiness. But to proceed, it was in the nineteenth century that honest thinkers like Carlyle, Gibbon and Goethe perceived intrinsic worth in the religion of Muhammad—already, even at the present time many of our people have gone over to his faith, and Islamisation of Europe may be said to have begun.”

(THE MESSAGE)

of 10. Oxygen is the medium of life for all animals on the earth, and it cannot be procured except from air.

Oxygen is out of mixture with other gases in the space and is always found in the rate which is necessary for life. If oxygen were in the rate of 50, for example, all combustible elements in the world would burst into flame.

On the other hand, the life of all plants depends upon the tiny measures of carbon dioxide in the air. It is a scientific fact that the leaves of trees are functioning as the lungs in animals. Those leaves reduce carbon dioxide through the rays of the sun into carbon and oxygen. Plant repels oxygen and keeps carbon mixed with the hydrogen of the water which is absorbed by the plant's roots. Through these chemical processes, nature produces, through plant, cellulose, other chemicals, fruits, flowers, nourishment for plant itself ; while the repelled oxygen is inhaled by animals and humans.

So, oxygen, hydrogen and carbon dioxide, carbon, whether isolated or mixed are the basis of the principal biological processes, which are necessary for life. There is no one single chance out of millions of chances which realizes the proportion of these elements in the way that is necessary for life as

it is found actually in nature. Certainly beyond this wonderful system there is a power certifying that God, the Almighty, is the Sole Creator and Planner of this universe. The Holy Qur'an says :

" He brought down from the sky a rain for you, out of which you drink, and out of which there grows plant in which you graze your animals. Out of it He grows for you grass, olives, palm-trees grapes, and all fruits : certainly in this there is a sign for people who think. And He made subservient to you night, the day, the sun, the moon and the stars : all are made subservient by His order : in this there is a sign for people who mind. And there is a sign in what He Created in the earth of all kinds : surely, in this there is a sign for people who remember. And He made subservient to you sea, out of which you eat tender meat, and bring forth out of it ornament which you wear : and you see the ships running therein to seek God's favour thereby, so that you may thank Him. And He put in the earth mountains to make it stable, and rivers and roads to guide you. And He made the stars as guide, by which you know your way. Is He Who creates as he who does not create ? Would you not mind ? And if you count God's favours, you will not be able to do it : surely God is Forgiving, Merciful. "

and evidence. Abu-Hanifa was chosen to meet that athiest in a certain time, but Abu-Hanifa was late intentionally. When he arrived to the meeting place, he was asked by his opponent about the cause of his delay. Abu-Hanifa answered in this ways :

"Here is the cause of my delay : I had to cross the river to reach here, but the boat was on the other side of the river, and there was no boatmen to bring it over to my side. So I had to point out to the boat to move by itself until it came to me to cross me over the river. This is the cause of my delay." The athiest said amazingly : "This is unreasonable ! How a boat could move by itself ? Abu-Hanifa answered : " If you could not believe that a boat may move by itself, how possibly you want us to believe that this world is functioning with no God and Creator ? "

The athiest was at loss to answer. The present audience shouted praising. God, the Almighty, while Abu-Hanifa recited these Qur'anic Verses :

"God is He, than whom there is no other God : Who know all things both secret and open ; He Most gracious, Most Merciful. God is He, than whom there is no other God ; the Sovereign, the Holy One,

the Source of Peace, the Guardian of Faith, the Preserver of Safety, the Exalted in Might, the Irresistable, the Supreme. Glory be to God ! High He above the partners they attribute to Him. He is God, the Creator, the Evolver, the Bestower of Forms ; to Him belong the Most Beautiful Names : whatever is in the heavens and on earth declare His praises and glory ; and He is the Exalted in Might, the Wise."

QUESTION :

Is it true that there is a contradiction between the believe in God and science ?

ANSWER :

Let us take from the example of oxygen a proof for the power of God in this universe. It is a scientific fact that the air is composed of oxygen, nitrogen, argon, neon, carbon dioxide and other rare gases. Carbon dioxide in the air is in the rate of 3 out of 10,000; argon has the rate of one percent, and nitrogen the rate of 78 %, while oxygen has the preportion of 21%. The pressure of air on the ground is at fifteen pounds per square inch in the sea level. The rate of oxygen in this pressure is three pounds. The rest of oxygen in nature is in solid ground, and also in sea with the rate of 8 out

QUESTION :

How possibly, then, could we know God without understanding His Mighty Being ?

ANSWER :

If you look to the creation of the universe, its wonders and its harmony ; to the sky with its stars and planets ; to the earth with its kingdoms of animals and plants ; and to the humankind with its wonderful structure-if you look to all this you will undoubtedly come to believe that beyond this great and perfect universe there is a Perfect Creator. The power of this creator should be unlimited, and beyond the limited human mind to understand. The Almighty Being is in no need of others, while all others are in need of Him. He is the Planner of the universe, and He Himself is above all plans and laws.

Thus, you will find yourself fully convinced that the Creator of the universe is distinguished by all perfect attributes, and is exalted above all the attributes of imperfection and disability. This belief in the Existence and the Perfect Attributes of God is the natural belief of humankind from eternity, as the Holy verse states :

“ The nature of God in which He created humankind, no alteration in the creation of God. This

is the upright religion, but most of people know not. „

QUESTION :

How can we prove the existence of God through reasonable argument which is more accepted in our modern time ?

ANSWER :

If you have left your book on your desk and returned back to find that your book is in the drawer, you will be sure that someone has put in the drawer, for it is certain that the book cannot transfer itself from its place. But if you find a certain person in two different times in two situations like sitting and lying down on the ground, you will not question his movements, because he can move by himself.

Thus all things in the universe are created ; because we know from its nature and attributes that they cannot exist without a creator. Since the perfection of Godhead necessitates that God is in no need of others, we come to the conclusion that God is Existent and is no need of others to bring Him to existence.

It is said that a man denied the existence of God and assumed that this world existed by itself. He challenged the Muslim scholars to argue against him with proof

THE FUNDAMENTAL BELIEF IN ISLAM

BY

ABDUL WADOOD SHALABY

What is the first basis in the major principles of Islam which we should believe in ?

The first basis of faith in Islam is to believe that God, the Almighty, is the Creator and Manager of this universe, and that his Mighty Being is beyond human comprehension which is limited in vision and reason.

The Prophet, therefore, ordered us to think over the creation of God, but not over His Being. It is reported through Ibn Abbas that some people tried to think about the Divine Being when the Prophet told them: "Think about the creation and the work of God and not about his Mighty Being, for you could not judge God's essence." This is not an order from the Prophet against the freedom of thought and mind, but is a safeguard against misguidance and against the search after the unknown, which is beyond our minds to comprehend. If human reason could not so far understand the

essence of electricity and magnetism which are actually utilized by people, how, then, can come to comprehend the essence of God who described Himself in this Holy Verse :

"Vision comprehends Him not, and He comprehends all vision, and He is the All-Kind, All-Knowing".

Al-Shibly, the great Muslim mystic (mercy of God be upon him), said when he was asked : what is God ? : "He is the One and the Known to be beyond limits and words. "

Someone asked Yahya ibn Mu'ath : "Tell me about God, the Almighty." Yahya Said : "He is the One." "How is He ?", He was asked. "He is the Almighty", he answered. "Where is He." he was asked again. "He is watching over everything ? he answered, "Then the enquirer said : "I did not ask you about this." Yahya answered: "Nothing beyond this. The description of the created is other than the Attributes of the Creator."

He is a ideal example for the people. "Verily in the messenger of Allah you have a good example, for him who looketh unto Allah and the Last Day and rememberth Allah much." His relationship with the Belivers is as the Quran Said :

"The prophet is closer to the belivers than their selves."

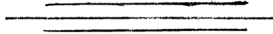
Every believer is bound to ask for God's blessing for His prophet : "Allah and His angels Shower blessings on the prophet. O ye who belive ! Ask blessings on him and Salute him with a worthy Solution."

His apostolical mission was not confined to any particular race, community, time or place. The entire teaching of the Prophet Muhammad is based on the universal path of submission to the one lord of the universe ; who created

all men alike as human beings, but divided themselves into groups and factions on the basis of race, clour, language, nationality ect ;

The Quran explains that these differences are artificial, But one Single relation ship held them to gether; that is the bond of human brotherhood. There is one Sacred bond which could unite them inspite of all differences; this is the commen worship of the one God. This is the fundamental teaching of the apostle. The Islamic faith is to follow man's orginal nature as designed by God. The Quran Says :

"Set thy purpose for religion as a man by nature upright the nature (framed God) in which He hath created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not."



into a Single brotherhood. Then God sent the prophet Muhammad with a complet and perfect system of life for the mankind, and He called to people to build a universal brotherhood. The Qur'an declared :

Say, O man kind ! I am the messenger of Allah to you all. Him unto whom belongeth the sovereignty of the heaven and the earth. There s no God Save him."

The Lord of the mankind has prepared Him and blessed Him, from his childhood, inorder to become the ideal example for humanity in all walks of life. About the God's direction and protection, the Quran Says :

"Did he not find thee an orphan and protect thee ?

Did he not find erring and direct thee ?

Did he not find thee destitute and enrich thee ?"

He is a apostle of Mercy for the world. "We sent thee not save as a mercy for the people " His position among the prophets is clear from this Quranic verse :

"O Prophet ! We have Sent thee as a witness and a bringer of good tidings and a warner, and as a Summaener unto God by His permission and as a lamp that giveth ht."

The place of the apostle amonge Prophets is clear from the following verses :

(1) But how (will it be with them) When we bring of every people a witness, and we bring thee (O Muhammad) a witness against these ? On that day those who disbelieved and disobeyed the messenger will wish that they were level with the ground, and they can hide no fact from Allah."

(2) "And (be think you of) the day when we raise in every nation a witness against them of their own folk and we bring thee (Muhammad) as a witness against these".

(3) "When Allah made (His) Covenant with the prophets, (He Said) : Behold that which I have given you of the scripture and Knowledge. And afterwards there will come unto you a messenger, Confirming that which ye posses. ye shall believe in him and ye shall help him. He Said : Do ye agree, and will ye take up My burden (which I lay upon you) in this (Matter) ? They answered : We agree. He Said : Then bear ye witness. I will be a witness with you".

What is the place of His people among other nations ? The Quran Says : "Thus we have appointed you a middle nation, that ye may be witnesses against Mankind, and that the messenger may be a witness against you".

"Ye are the best Community that hath been raised up for mankind".

THE GREATNESS OF THE APOSTLE

By : ABDUL RAHIM FUDA

The Prophets are the high peaks of the human society. They are the torch bearers of truth and guidance to the people. And they are the apostles of peace and Divine path in the world. They form the fore-line of the righteous people upon them God has showered his favour and grace. The Qur'an Says :

" Whose obeyeth God and the messenger, they are with those unto whom God hath shown favour, of the prophets and the saints and the martyrs and the righteous. The best of company are they ! "

There was a chain of apostles whom God sent, one after another, as Divine messengers. The Qur'an Says :

" We have sent a number of messengers before thee (Muhammad), among them those of whom we have told thee something and others of whom we have not told thee anything. "

The Qur'an has stressed the universality of Divine guidance and proclaimed that there have been countless prophets in various places and at different times. " For every nation there has been a messenger. " He sent every messenger with the language of people. As the Qur'an Says : " And we never sent a mes-

senger save with the language of his people that he might make (the message of God) clear for them. "

The teachings of all prophets were basically the same, and each of them was confirming the other, and the Qur'an Said :

" We have sent the book (O Muhammad !) to thee with the truth, confirming the books sent down before it. "

The Qur'an has repeatedly warned against discrimination among the prophets and the Holy books. It declared : " It is not righteousness that you turn your faces to the east or to the west but righteous is he who belives in God and the Last Day and God's angels and the book and the prophets. "

When the prophet Muhammad has come, the followers of the various apostles and books had fallen into some great errors, like religious groupism, narrow mindedness. They forgot the object of religion, ignored the fundamental teachings of it. This condition led to mutual hatred, enmity and wars. The mankind was looking forward to able guide who could sweep away all artificial differences and factions and reunite the people

Judgment or Reckoning. Man must be prepared to face the consequences of his acts, as he expects every thing else to have a known, natural and inevitable effect. Thirdly, man should expect only justice, the due result of his acts, God is neither arbitrary nor revengeful.

4 — In making submission to Him and acknowledging and seeking His help, it is not said merely that we worship Him and seek His help. It is said instead :

“Thee (alone) we worship; and Thee (alone) we ask for help.” Not only has it fixed the relationship between man and his Lord, but it has also proclaimed in unequivocal terms the unity of God, and it closes all paths to polytheism, in whatever form.

5 — The path of profit and grace is described as the straight

path. The straight path is easier to recognise and follow, and the more one deviates from it the greater the danger of one's going astray.

6 — Often, however, it is not easy to distinguish which is the straight path Man is helpless, for the answer to the question is hidden in the womb of the future, and he can but proceed on the basis of his very limited knowledge and very restricted reason. He can then but seek the grace of God and pray : O Lord, direct us on the straight path, “the path” — for I know not which it is — of those on whom thou hast bestowed thy grace, not of those who have brought upon themselves thy wrath and have gone astray.(1)

(1) The Quintessence of Islam.

BY : ASHFAQUE HUSAIN

This Sura, Al-Fateha, Sets forth these fundamentals, with incomparable effect, in words which are few and numbered and yet so precise and simple that they make a direct impact on the mind and heart of the reader. That is as it should be, for the more simply a truth is stated the more convincing it is; nature itself is simple and it is only artifice and ornamentation which make things complicated. So this sura says the simplest things in the simplest words. It addresses God by those very attributes whose manifestations surround one all the time, even if one is ignorant or negligent enough not to notice them; it proclaims submission to the Lord of the Universe; it acknowledges His help in everything; it prays for the path of rectitude, avoiding the world's temptations and pitfalls. There is apparently nothing remarkable in all this; it contains no difficult thought or novel idea or esoteric formula. Now that we have been repeating it countless times and its message has been before mankind for centuries, it appears a common place; yet, when it was presented to the world there appeared to be nothing more obscure and strange.

Very briefly, this short simple prayer, with out entering into any argument or even explanations,

sets before mankind in the clearest possible terms the following basic spiritual lessons :

1 — One of the greatest spiritual errors of man has been to conceive of God as an awesome and terrifying being rather than as Love. The Sura, therefore, begins with HAMD, adoration through praise ; there is no reference to any fearsome aspect of divinity.

2— The first attribute of God referred to is that of Rabbil-Alameen, the Cherisher, Nourisher and Sustainer of the Universe, and it contains two lessons. It tells man of God Who gives him all he needs by way of sustenance, material and spiritual, so that he may protect himself from all evil and proceed to his full development. Secondly, it tells him that God is the God of the Universe, not of any part of it. There is no room left for any narrow mindedness, prejudice and exploitation, Whether individual, tribal, communal, racial, national, religious or of any other kind, His grace and gifts are for all mankind, not for any particular group or any particular religion.

3— He is the Lord of the Day of Judgment. Firstly, He is the Supreme Judge; to none else is it given to sit in judgment upon man. Secondly, there is a Day of

The opening sura (chapter) of the Qur'an has been variously referred to as Fatehatul-Kitab (the opening of the book), Ummul-Qur'an (the most prominent in the Qur'an or, alternatively, the essence of the Qur'an), Al-Kafia (the sufficient), Al-Kanz (the treasure), etc. The Qur'an itself gives a special place to this chapter, for it refers to it thus : "we have bestowed upon thee the Seven oft-repeated and the great Qur'an" (XV : 87). The expression "Seven oft-repeated" it has been established, refers to this chapter which contains Seven verses and which is repeated over and over again in prayers and also on other solemn occasions.

The prominent place given to this chapter is due to the fact that it is not only the introduction to the Qur'an but also its essence. All that has been stated at length in the Qur'an about the fundamentals of religion has been said in the seven brief verses of this chapter. If a man is unable to read anything else of the Qur'an but can master the meaning of these few short phrases, he will have fully grasped the fundamental purpose of religion and the path to truth and self-fulfilment.

The entire sura is in the form of a prayer and its words are so

simple and telling that even an uneducated person can understand them and be moved by them. It was with this in view that this chapter was made the central piece of Islamic literature, and it is repeated several times during each prayer and on all other solemn occasions.

What are the fundamentals of true religion ?

They can perhaps be reduced to the following :

a) To have a correct conception of the attributes of God. The errors into which man has fallen in his worship of God have all emanated from his misunderstanding of God's attributes.

b) To believe in the law of just returns. Everything in the world has particular properties and a natural effect, and so man's actions also have certain properties and effects; Good actions lead to good and evil actions to evil.

c) To believe in life after death. Man's life does not end in this world; life will continue beyond it and man will continue to reap the returns of his actions.

d) To recognise the path of rectitude and grace.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

A. H. AL-ZAYYAT

JUMADA'L - UKHRA
1384 H. A.

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

NOVEMBER
1964

AL - FATEHA

The Opening Chapter of the Qur'an

BY

MOULANA ABUL KALAM AZAD

[Moulana Abul Kalam Azad was a scholarly teacher and a learned theologian. He had strong literary tastes and he was interested in the modern language and literature. While his training and upbringing had given him a great deal of knowledge of classical literature, nature had endowed him with a creative and objective mind. Thus he combined true conservatism with modernism. He did not leave everything that is old simply because it was old. And he did not accept the new merely because it was a new.

In his explanation of message of the Qur'an he warned that the principles of Qur'an could not be tested by the ever limited knowledge of man. Because the science and philosophy can lead man only to a limited extent. The ultimate guide of man must be inspiration beyond Science, faith, logic and philosophy. It is noteworthy that Moulana Azad Spent his whole life in controversial politics but his writings have no sign of any prejudice or bias.

Moulana Abul Kalam Azad's commentary of the first chapter of the Qur'an, Al-Fateha, contains all the spiritual teachings of the Qur'an, the fundamentals of Islam and it deals with several problems which have been a challenge to religious thought. This commentary will give the reader a clear idea of Islam in its true original form, as set forth in the Qur'an, by a theologian, humanist and a modern intellectual — M. Alwaye]

بدل الاشتراك

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والسنة سين والطلاب
تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسين الزيات
للفنون
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

الجزء الخامس - السنة السادسة والثلاثون - رجب سنة ١٣٨٤ هـ - ديسمبر ١٩٦٤ م

سما الله العليم

مكانة المرأة في المجتمع

بقلم : عبد الرحيم فودة

إذا خرج حاجاً أو مقتمراً أو مجاهداً حفظنا
لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، ورينا
أولادكم ، أفشاركم في هذا الأجر والخير ؟
فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه
بوجهه كله ، ثم قال : هل سمعتم مسألة قط
أحسن من مسألتها في أمر دينها .. ؟ فقالوا :
يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل
هذا ! فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها
فقال : أفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلقك
أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها
مرضاته ، واتباعها موافقة ، يعدل ذلك كله ،

١ - أنت أسماء بنت يزيد الأنصارية
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه
في المدينة فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله
أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل
بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فأمنّا بك
ويألهك ، إنا معشر النساء محصورات
مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات
أولادكم ، وإنكم معاشر الرجال فضلتم هليتنا
بالجمع والجماعات ، وهيازة المرضى ، وشهود
الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك
الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن أحدكم

بعد التوصية بهما يدل على أنها أجدر منه بالشكر، وذلك لأنها كما يقول الله: وحملته أمه وهنا على وهن وفصاله في طامين، وبذلك التوجيه من الله والتنبيه إلى مكانة الأم جاء توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد سأله رجل فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابي...؟ قال: أمك قال: ثم من...؟ قال: أمك قال: ثم من...؟ قال: أمك، قال: ثم من...؟ قال: أبوك..

٣ — أما نظرة الإسلام إليها قبل أن تكون زوجا وأما فيمكن أن نلحها من قوله تعالى: **ذهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور** أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيلا، فإن التعبير بكلمة **ذهب**، يشير إلى أن الإناث والذكر من الأولاد كلاهما نعمة موهوبة، فينبغي أن تكون محبوبة، وأن تقابل بما ينبغى للخالق الرازق من ذكر وشكر، ولهذا نعى الله على العرب وغيرهم من الكافرين أنهم كانوا كما يقول فهم **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم**. يتوارد من القوم من سوء ما بشر به أي مسكه على هون أم يدهس في التراب، ثم بين قببح حالهم هذه وسوء حكمهم هذا بقوله **«الأساء ما يحكمون»**.

٤ — وكما يراد الزرع من الحقل تراد

فانصرفت وهي تهمل حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففرحن وآمن جميعهن.

من هذه القصة تلوح مكانة المرأة من حيث هي زوجة في المجتمع الإنساني، فعملها لإرضاء زوجها، وحسن عشرتها له. وعنايتها بشئونه وشئون بيته وأولاده، وموافقته في غير ما يفضب الله يدل ما يقوم به دونها من حج وعمرة وجهاد في سبيل الله، وعلى هذا تكون المساواة في الأجر والثواب لا في نوع العمل والوظائف، وهذا هو ما يفهم من قول الله: **«فاستجاب لهم ربهم أني لا أصيبع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ببعضكم من بعض، فالرجال من النساء، والنساء من الرجال، وهما يتساويان في الأجر والجزاء وإن اختلفت وظائفهما باختلاف طبيعتهما، لأن عمل كل منهما مقيم لعمل الآخر»**.

٢ — والمرأة من حيث هي أم يجب أن تكون منزلتها أعلى من منزلة الرجل في نظر أبنائها، وذلك هو ما يشير إليه قوله تعالى: **«ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في طامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير»**. فإن تخصيص الأم بالذكر دون الأب

وقوله عليه السلام : (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر) ولا شك أن طاعة المرأة لزوجها أمر طبيعي ، وأن رياسة الرجل للأسرة مما تقتضيه الضرورة والنظام في كل مجتمع ، فإن لكل مصلحة رئيسا ، ولكل مدرسة رئيسا ، ولكل قرية رئيسا ، ولكل دولة رئيسا ، والأسرة أساس المجتمع فيجب ألا تعقد عن نظام المجتمع ، بل إن لها شأنًا أخطر وأكبر ، يجب ألا يغفل أو يهمل . . . وليس معنى ذلك أن يستبد الزوج وتأخذه العزة بالإثم . وتعيش الزوجة في جو من القهر والأسر ، فإنه ليس له عليها أى سلطان أو سبيل إذا أطاعته فيما يرضى الله كما يفهم من قوله تعالى : « فإن أطعتم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا » .

هذه هي بعض الخطوط الرئيسية التي تحدد مكانة المرأة في المجتمع ومكانها فيه ، وقد نصح لها الإسلام مجال العمل الصالح ، ووعدها بالحياة الطيبة كالرجل سواء بسواء ، كما يفهم من قوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

هبة الريحيم فوره

المرأة للنسل ، فإن ذلك هو وظيفتها الأولى ، وذلك هو بعض ما يفهم من قوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم » ، وقوله جل شأنه : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ، وقوله سبحانه : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » فالبنون والبنات لا يكونون من غير الأزواج والزوجات ، ومن في حكم الزوجات والتبني عادة مذمومة أبطلها الإسلام ، ليصون كرامة الأسرة وحرمة الأسرة وحقوق الأسرة ، وجو الأسرة ، ولا مجال لقائل بعد قول الله : « وما جعل أدياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم » ، وقوله تعالى : « ادعواهم لأبائهم هو أوسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم » .

٥ - ويفهم من قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » : أن قيام الزوج بأمر الزوجة ليس مقصوراً على الرياسة والولاية بل يشمل إلى ذلك حسن العشرة والرفاية . وما يتصل بهما من ألوان البر والخير بدليل قوله تعالى : « وعاشروهم بالمعروف » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (استوصوا بالنساء خيرا)

الجهاد

لفضيلة الإمام الكبير
الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر

هذه الحالة يكون مفروضا على المسلمين من أهل البلاد الأخرى أن يمارنوه في جهادهم بالنفس والمال وغيرهما من وسائل الجهاد حتى يظفر المسلمون برد اعتداء غير المسلمين على أى بلد من بلاد الإسلام .

وهو فرض كفاية إذا كان أهل البلد الذين نصبوا أنفسهم لرد اعتداء غير المسلمين على بلادهم من القوة والكثرة بحيث يغلب عليهم الفوز على أعدائهم من غير معونة أهل البلاد الأخرى .

الدعوة قبل الجهاد :

ولم يشرع الجهاد في الإسلام أول الأمر وإنما شرع بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلم يشرع الجهاد ولم يؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين الذين ناصبوه العداء وهو مقيم بينهم في مكة بل استمر يدعو الناس إلى الإسلام دعوة سلمية لم يمتشق فيها حساما ولم يعلن فيها حربا على أحد أكثر من ثلاثة عشر عاما .

وقد بدأ الرسول دعوته بإنذار عشيرته الأقربين أمثالا لأمر به في قوله تعالى :
« وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن هصوك فقل إني

الجهاد بوجه اللغة والتسمية :

الجهاد في أصل اللغة المشقة ، يقال : جاهدت جهادا أى بلغت المشقة .

وفي استعمال الشرع ، بذل الجهد في قتال الكفار ويستعمل أيضاً لمجاهدة النفس والشيطان والفساق .

ومجاهدة النفس تكون بتعلم أمور الدين والعمل بها ، وتعليمها لمن يجهلها وحشه على العمل بها .

ومجاهدة الشيطان تكون بعدم الإصغاء إلى وسوسته والاستعاذة بالله منه ومن شره .

ومجاهدة الفساق تكون بدفع الشبهات عنهم وما تزينه لهم شهواتهم من الأفعال والأقوال التي نهى عنها الشارع الحكيم .

وأما مجاهدة الكفار فتكون برد اعتدائهم على المسلمين باليد والمال واللسان والقلب .

ولا خلاف بين المسلمين في أن الجهاد فرض على المسلم ، وحل الخلاف هو أنه فرض عين على كل مسلم أو فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقي ، وهما قولان مشهوران في مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه .

ونختار أنه فرض عليهم إذا لم يكف من نهض به من أهل البلد المعتدى عليه ، إذ في

ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وبلال ، وهمار بن ياسر وغيرهم رضى الله عنهم .

ولم تصل هذه الدعوة إلى القلوب المتحجرة من سادات قريش الذين خشوا على سلطانهم ونفوذهم في قومهم كما خشوا على أموالهم أن ينفقوها في سبيل الله وسبيل البر والتقوى كأبي جهل ، وأبي سفيان ، وعقبة بن ربيعة وغيرهم ، فقد أهرضوا عن الدعوة وجأهروا بعدائهم لها ، وصدوا الناس عن قبول هذه الدعوة وحاولوا فتنه من أسلم منهم بإيذاء المسلمين وتجويعهم وإلحاق الضرر بهم .

الفرق بالقتال :

أمضى الرسول صلى الله عليه وسلم ، في مكة ثلاثة عشر عامًا ، بلغ فيها الدعوة إلى أهل مكة وغيرهم من الوفود ، ولقي هو وأصحابه ألوانا كثيرة من أذى المشركين وظلمهم ، فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بتآمر المشركين في مكة عليه ومكرهم به اثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه - استشرفت نفسه الشريفة أن يأذن الله له بالهجرة إلى يثرب التي بايعه نفر من أهلها بيعة العقبة الأولى والثانية على أن يمتنعوا بما يمتنعون منه أنفسهم وأولادهم ، فأذن الله له بالهجرة ، فهاجر إلى يثرب واصطحب معه صديقه أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وبعد أن استقر بالرسول صلى الله عليه وسلم المقام بالمدينة شرع يفكر في تنظيم أمور الدولة الإسلامية الجديدة ، وكان أول عمل في السياسة الداخلية مواخاة

بريء بما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم . الذي يراك حين تقوم . وتقلبك في الساجدين . إنه هو السميع العليم .

ثم انتقل بدعوته إلى أهل مكة وغيرهم ممن كان ينفذ إلى مكة للحج وغيره من أهل يثرب عمتلا في ذلك أمر ربه في قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » وأعرض عن المشركين .

وكانت طريقته - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة خلال هذه الأعوام الطويلة ما رسم له القرآن في قول الله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

وقد أثمرت هذه الدعوة السلبية ثمرات طيبة ، فأسلم عدد من المشركين وجدوا في الدعوة نورا يضيء لهم ظلمات الشرك والجهل ، وعدد من الأرقاء والخدم وجدوا فيها دعوة إلى الحرية والإخاء والمساواة ، وهو ما اقتصدوه في حياتهم حيث كانوا يعيشون خدما وأرقاء لسادتهم الذين يمنعون أنفسهم كل شيء ويحرمون أتباعهم وخدمهم من كل شيء ، وعدد من المظلومين والمعتدى عليهم وجدوا في الدعوة الإسلامية العدل والمساواة فأمنوا بالله وأجابوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبرز من هؤلاء المؤمنين الأولين أبو بكر الصديق وعمر ، وحمة ، وهن وعبدالرحمن

من ديارهم ، وثانياً بقتال المؤمنين والاعتداء عليهم في وطنهم الثاني ، فالإذن بالقتال في الآية إذن بقتال فريق معين من المشركين أرادوا أولاً صد الناس عن الدعوة بعنف وتعذيب وتشكيل وطنيان ووحشية أساسية وأكرههم بما فعلوا بهم ثانياً على الخروج من وطنهم الحبيب فراراً بدينهم إلى حيث الغربة عن أهل والعدم من المال والوحشة من الأجانب ، ولولا أنسهم بالعقيدة السمحة والدين الحق لما اتوا كذا ، وقضوا حسرة ، فالإذن بالقتال في أول آياته معه مبرراته التي تحتملها حماية الدعوة الجديدة من اجترار سفهاء يريدون لها الهوان فلو حلم المسلمون عليهم لتمردوا تمرد اللثيم ، وقد بما قيل :

وبعض الحلم عند الجبل
للذلة إذعان
وفي الشر نجاة

حين لا ينجيك إحسان
ولهذا يعتبر الإذن بالقتال رداً طبيعياً لا يحمل إكراها على الإيمان وإرغاماً على دين وصدق الله العظيم في قوله : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم..

مصعب مأسره

شيخ الأهر

بين المهاجرين والأنصار وفي السياسة الخارجية أي في سياسة الدولة نحو إعداد الدعة استعداداً لرد عدوان من يفكرون في الاعتداء على الدولة الإسلامية ، وحماية العقيدة ، وأنزل الله على رسوله في هذا الوقت أولى آيات القتال وهي قوله تعالى في سورة الحج : «أذن للمذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير المذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ،

وينقل الطبري في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى : «أذن للمذين يقاتلون... قال : «هي أول آية أنزلت في القتال وأذن للمؤمنين أن يقاتلوا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استأذنوه قبل الهجرة في قتل الكفار غيلة سرا إذ آذوهم واشتدوا عليهم بمكة فلم يأذن الله سبحانه وتعالى في القتال الذي طلبوه ، ونزل قوله تعالى : «والله لا يحب كل خوان كفور».

ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة أطلق لهم قتلهم وقتالهم أي أن الله سبحانه وتعالى أذن للمؤمنين الذين أخرجهم مشركو مكة من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله - بأن يقاتلوا المشركين الذين ظلموهم أولاً بالإخراج

التطورات التشريعية للطلاق

للأستاذ محمد محمد المدني

٢ - الطلاق غير المنجز

- ٥ -

والمثال الخامس تعليل في المعنى أيضاً ؛ لأنه بمثابة أن يقول : إن جاء أول الشهر أو أول العام فأنت طالق .

والطلاق المعلق ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : الطلاق الذي هو في معنى العيّن ، كما لو أرادت المرأة أن تذهب إلى بيت أهلها مثلاً ، وأراد زوجها منعها فهددها بالطلاق قائلاً لها : إن ذهبت إلى بيت أهلك فأنت طالق ، فهذا بمثابة أن يقول لها : والله لا تذهبين إلى بيت أهلك غير أنه أتى بالطلاق بدل الحلف بالله ؛ وليس له غرض في الطلاق ولكن غرضه أن يمنعها من الذهاب إلى بيت أهلها .

ومثله من يقول لصاحبه : إن لم تتغدى عندي اليوم فأمرأتى طالق ، فكأنه حلف عليه بالطلاق بدل أن يحلف بالله ، ليحثه على الفعل . وكذلك لو أراد أن يحث نفسه على فعل شيء ، أو هلئ ترك شيء ، كأن يقول إن شربت الدخان فأمرأتى طالق ، أو إن لم أسافر إلى الإسكندرية فأمرأتى طالق .

١ - إذا قال زوج لزوجته : أنت طالق أو أنت مطلقة ، فهذا طلاق منجز ، أى أنه ليس معلقاً على حصول شيء ، وقد قصد به إيقاع الطلاق فوراً .

وحكم هذا الطلاق أنه يقع في الحال ، إذا كان صادراً من أهله ، ووقع في محله .

٢ - وإذا قال رجل لزوجته : إذا دخلت الدار فأنت طالق أو إن لم أدفع ديني غدا فأنت طالق أو : هل الطلاق لا يخرجني من البيت ، أو إن دخلت البيت فطلاك على واجب ، أو : أنت طالق أول الشهر أو أول السنة فكل هذا طلاق معلق ، أى غير منجز ، وذلك أنه علق الطلاق في المثال الأول والمثال الثاني على دخولها الدار ، أو على عدم دفع دينه غدا .

والمثال الثالث يفهم منه التعليق وإن لم يصرح به لفظاً فكأنه قال : إن خرجت من البيت يلزمى الطلاق - والتعليق في المثال الرابع صريح في هذا المعنى الذي آل إليه المثال الثالث .

هذا الشرط وهو قوله تعالى فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا . فهو تخيير ليس فيه تنجيز للطلاق عند وقوع الشرط ، ولكن فيه وعد لمن بالتطليق إذا اخترن المتاع ، ولو كان قد قال ، قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فأنتن طوائق ، لعدل ذلك على مشروعية الطلاق المعلق لكنه عدل من ذلك ليتمكن أن يسرحهن سراحا جميلا إذا اخترن الحياة الدنيا وزينتها بأن يطلقن مستقبلات العدة تحقيقا لقوله تعالى في آية أخرى : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة ، فهذه الآية الأخيرة تبين أن الطلاق المشروع هو طلاق النساء في الوقت المشروع للطلاق ، وهو وقت استقبال المرأة العدة والطلاق المعلق على الشرط كثيرا ما يجر إلى إيقاع الطلاق في غير وقت استقبال العدة ، وما يؤدي إلى غير المشروع لا يكون مشروعا .

وهناك أحاديث نبوية معروفة تقرر أن الطلاق المشروع — المعبر عنه عند الفقهاء بالطلاق السني ، المقابل للطلاق البدعي — هو الذي يكون والمرأة مستقبلة عدتها ، ومنها ما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عمر بن الخطاب رسول الله عليه وسلم عن ذلك فقال : مره

فشكل هذه الصيغة التعليقية ، إنما هي إيمان لا يراد بها الطلاق ولكن يراد بها الحث أو المنع .

الثاني من قسمي المعلق : الطلاق على الصفة مثل أن يقول لها ، وهما بصدد التفاوض على إنهاء الزوجية : إن دفعت لي مبلغ مائة جنيه فأنت طائق ، أو إن أبرأتني من مؤخر صداقك فأنت طائق .

فهذا رجل له رغبة في الطلاق وغرض منه يرى إليه وليس مجرد تعليق يبحث به على شيء أو يمنع به من شيء ، كما يفعل الحالف بالله ، وقد اصطالحوا على تسميته (بالطلاق على الصفة) .

هذه هي أقسام الطلاق من جهة تنجيذه أو تعليقه . ويمكن إيجاز التطور التشريعي الذي مر به هذا الموضوع فيما يأتي :

١ — فهم بعض العلماء أن الطلاق الذي رسمه الشارع وأذن فيه هو ما كان منجزاً ، فإنه لم يرد في القرآن ولا في السنة نص على جواز التطليق المعاق بالشرط .

بل لعل القرآن أشار إلى أن الطلاق لا يقع إلا منجزاً حيث يقول :

« يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا ، ففي هذه الآية شرط وهو قوله تعالى إن كنتم وجواب معلق على

وما كان طلاقاً على الصفة ، حتى صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فنص في المادة الثانية منه على ما يأتي :

(لا يقع الطلاق غير المنجز ، إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير) .
وقد تضمنت هذه المادة :

١ - إيقاع الطلاق المنجز بدون قيد ولا شرط .

٢ - إيقاع الطلاق المضاف إلى زمن مستقبل مثل أنت طالق أول الشهر أو أول العام .

٣ - وإيقاع قسم من المعلق وهو الطلاق على الصفة ، مثل إن دفعت إلى مائة جنيه مثلاً فأنت طالق .

٤ - إلغاء اليمين بالطلاق ، وهو على الطلاق لأفعلى كذا ونحو ذلك .

٥ - إلغاء قسم من المعلق هو الذى فى معنى اليمين مثل إن فعلت كذا فأنت طالق وهو لا يقصد إلا الحمل على تركه ، أو إن لم تفعل كذا وهو لا يقصد إلا الحمل على فعله .

وما قرره هذا القانون من إلغاء اليمين بالطلاق هو رأى طائفة من أصحاب الشافعى كالفضال : وصاحب التتمة ، ورأى دواود وأصحابه : ورأى طائفة من المالكية فى بلاد المغرب ، وأنه كان يفتى به فى فارس والعراق والشام ومصر والجزيرة وخراسان فى زمن ابن تيمية : كما نص عليه ، وأن الذين كانوا

قليراجعها ، ثم ليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يحبس ، فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل له : قل أنت طالق إذا استقبلت العدة لأن ذلك ينافى الحسكة التى قصرها الشارع من إعطاء فرصة للزوجين فى مراحل الحيض والطهر مرة بعد مرة ، لعلهما أن يصلحا من أسرهما فلا يكون الطلاق الذى يكرهه الله . وبذلك يكون الطلاق المعلق على الشرط غير جائز ، وغير مشروع ، إلا ما دل الدليل على جوازه وصحته مثل التعليق على مال وهو الخلع .

وقد روى هذا عن على وشريح ، وطاوس وعطاء ، وأبى ثور ، وإليه ذهب أهل الظاهر ، وهو مذهب الشيعة الإمامية .

٢ - ويرى جمهور أهل المذاهب ، ومنهم الأئمة الأربعة والزيدية جواز التعليق ، على اختلاف بينهم بالنسبة لأنواعه .

ولهم على ذلك أدلتهم ، وقد ناقشهم مخالفوهم فيها ، ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى مثل كتاب (زاد المعاد لابن القيم) .

٣ - وقد كان العمل فى مصر وشقيقاتها العربيات على رأى الجمهور ، وهو اعتبار الطلاق المعلق بشرط واقعا إذا تحقق الشرط دون تفرقه بين ما كان على سبيل اليمين ،

(الطلاق المعلق على فعل شيء أو تركه لا يقع) .
وهو نص دال على التعميم في عدم الوقوع
بالتعليق أيا كان نوعه .

وجاء في المادة السبعين من قانون حقوق
العائلة الأردني ما نصه :

(لا يقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به
الحمل على فعل شيء أو تركه) .

وفي المادة الحادية والسبعون منه :

(على الطلاق ، وعلى الحرام ، وأمثالهما ،

لا يقع بها الطلاق ما لم تتضمن صيغة الطلاق
مخاطبة الزوجة وإضاقتة بها) .

وجاء في المادة التسعين من قانون الأحوال
الشخصية السوري ما نصه :

(لا يقع الطلاق غير المنجز إذا لم يقصد

به إلا الحث على فعل شيء ، أو المنع منه ،

أو استعمال استعمال القسم لتأكيد الإخبار لا غير) .

ويرى بعض العلماء الماصرين أنه يجب

تعديل المادة الثانية من القانون المصري

رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ تمديداً يؤدي إلى

تحقيق ما يأتي :

الطلاق المعلق بجميع صورته والفاظه

لا يقع به شيء أصلاً — (وهذا ما أخذ به

القانون العراقي) .

اليمين بالطلاق لغو ولا يقع به شيء .

(وأقرب عبارة لهذا هي عبارة القانون

العراقي أيضاً)

يفتقون به كثيرون من علماء المذاهب الأربعة
وغيرهم ، وإن لم يكن هو رأي جمهورهم .

وأما ما قرره من إلغاء الطلاق المعلق على

شرط بقصد الحمل على الفعل أو الترك ، فقد

بنى على أن هذا النوع من التعليق هو في معنى

اليمين ، وإن لم يكن بلفظ « على الطلاق ،

« أو ، يلزم الطلاق » وأخذ فيه برأي

الظاهرية ، والإمامية ، وما اختاره ابن القيم

وشيخه ابن تيمية .

وقد وقفت القوانين الحديثة في البلاد الشقيقة

موقف القانون المصري المشار إليه تقريباً :

لغاء المادة السادسة والثلاثون من القانون

العراقي نقول :

« لا يقع الطلاق غير المنجز ، أو المشروط

أو المستعمل بصيغة اليمين » .

وهذا النص أكثر توسعاً فيما لا يقع من

المعلق ، فقد شمل إلغاء كل معلق ، أو مشروط

أو صيغة اليمين ، بينما القانون المصري يقرر

وقوع المعلق الذي هو على الصفة ، وهو

ما للطلق فيه وطر وغرض يقصده سوى

الحمل على فعل شيء أو تركه .

وجاء في الفصل الخمسين من مدونة الأحوال

الشخصية المراكشية ما يأتي :

« الحلف باليمين أو الحرام لا يقع

به الطلاق » .

وجاء في الفصل الثاني والخمسين منها ما يأتي :

الى اى مدى تنغير الاحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للاستاذ بدر عبد الجاسط

- ٢ -

نجاسة مخففة ؛ يعنى عن مقدار ربع الثوب أو العضو الذى أصيب به ؛ ثم لما ذهب إلى بلخ ورأى اختلاط الأرواث بالطين ؛ وهموم بلوى الناس أفتى بطهارتها ؛ وقد قال فقهاء الحنفية إن الأساس الذى بنى عليه صاحبها أبو حنيفة ومها أبو يوسف ومحمد قولها فى النجاسة تغليظاً وتخفيفاً هو اتفاق العلماء على القول بالنجاسة أو اختلافهم فيها ؛ ومع هذا فقد أفتى محمد بالطهارة للعموم البلوى أخذاً برأى من يرى طهارتها كالإمام مالك ؛ ووسعه أن يخالف إمامه .

وعندى أن المفتى الدقيق فى فتواه ينبغى أن ينظر فى أحوال المستفتين ؛ ويفتيم بما يتفق وظروف بيئتهم ؛ فإذا كان المستفتى تساعده ظروف حياته على أن يتحرز عن الأرواث وما فى معناها ينبغى أن يفتى بأنها نجسة نجاسة مغلفة لا يعنى منها إلا عن النذر القليل الذى حدده الفقهاء .

وأما إن كانت ظروفه لا تساعده إلا على التحرز اليسير ؛ فإنه يفتى - حينئذ - بأن هذه الأشياء نجسة نجاسة مخففة ؛ يعنى منها عما كان دون الربع من الثوب أو العضو .

انتهيت فى المقال السابق إلى أسس ينبغى أن تكون نصب أعين المفتين والذين يضعون للأمة قوانين يلزمونها بها . وتتلخص هذه الأسس فيما يأتى :-

(١) أحكام غير قابلة للتطور ولا لاختلاف الآراء . وهى :-

١ - الأحكام الاعتقادية .
٢ - الأحكام المستنبطة من أدلة شرعية قطعية فى ثبوتها وفى دلالتها .

(ب) أحكام وقسع فيها الخلاف ، لأنها مستنبطة من أدلة ظنية فى ثبوتها أو فى دلالتها ولا يسمى هذا الاختلاف تطوراً ؛ وإنما هو اختلاف حجة وبرهان ؛ فمن ترجع عنه دليل رأى من الآراء أخذ به ؛ وكل ما يمكن أن نسلكه فى سلك التطور من هذا اللون من الأحكام هو الأخذ ببعض الآراء المرجوحة - غير الساقطة - إذا كان فى الأخذ بها توسعة على الناس ؛ ولا بدع فى ذلك ؛ فقد سبق الفقهاء المتقدمون إلى ذلك ؛ فقد روى عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة وضى الله عنها أنه كان يرى أن روث البهائم نجس نجاسة مغلفة كما يقول الإمام ؛ ثم قال : إنه نجس

كانت الزوجية قائمة فإننى أفتى بأوسع الآراء وأسهمها فى باب الرضاع كذهب الشافعى الذى اشترط خمس رضعات مشبعات متفرقات . وقد توسعت فى هذا اللون من الأحكام فى هذا المقال لأنى اقتضته اقتضابا فى مقالى السابق ، ثم هو باب واسع من أبواب الفقه التى ينبغى أن يعنى بها الفقهاء ، وأن يكونوا كالأطباء فيفتون كل شخص أو كل جماعة بما يلائمهم من أقوال الفقهاء .

ويعجبنى فى هذا المقال ما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن امرأة سألته فقالت إنا نغزل - ليلا - على ضوء مصابيح بعض الظلمة أيجل لنا ذلك ؟ فقال : من أفت ؟ يرحمك الله ، فقالت : أخت بشر الحافى فقال : من يتسكم خرج الورع ؛ أما أنت فلا .

فإن سؤال هذه السيدة سؤال عام يتناولها وغيرها ، ولكن جوابه خاص لأنه علم من حالها أنها تستطيع أن تأخذ بالأحوط والأورع ؛ فأفتاها بالخطر بالنسبة إليها فقط . (٢) أحكام هى بطبيعتها قابلة للتطور وقد أجهلتها فى مقالى السابق إجمالا وأهود فأفصلها بعض التفصيل وأحصرها - استقراء فى الأحكام الآتية :

١ - أحكام علقها الشارع على أوصاف بما يؤذن أن لهذه الأوصاف مدخلا فى تعليل الحكم كما ضربت لذلك مثلا بآية مصارف الزكاة ؛ وبينت فهم عمر رضى الله عنه لهذه الآية .

وأما إن كان مبتلى كالرعاة مثلا فإنه يفتى بطهارتها .

وقد ضربت المثل بهذه المسألة لتكون كنموذج يحتذى فى المسائل الخلافية ؛ وروح التطور فيها هو الأخذ بالرأى الأنسب لكل فرد وكل جماعة ؛ فقد يتطلب المقام الأخذ بالأحوط وقد يتطلب المقام التساهل ؛ وإذا كان البلغاء يقولون : لكل مقام مقال : فينبغى أن يقول الفقهاء : ن لكل مستفتى ظروفه وملابساته .

فلو أنى سئلت عن صحة نكاح أصول أو فروع المزنى بها ؛ وكان السائل - بعد - لم يرد علمها لأفتيته بحرمه الزواج بأصل أو فرع من زنى بها ؛ أخذاً برأى الحنفية والحنابلة وكثير من الفقهاء ؛ فليس من المروءة ولا من الآداب الإسلامية أن يطلع الرجل من المرأة على ما اطلع عليه من ابنتها أو أمها . وإما إن كان الزنى لاحقا لعقد الزواج فلا أفتى بفسخ النكاح القائم ؛ وإنما آخذ برأى الشافعية وبعض الفقهاء بإبقاء على كيان أسرة قائمة ؛ وعملا بالنصوص التى تدعو إلى الستر فى مثل هذه الأحوال ؛ اللهم إلا إذا اشتهر بها أو كان قيام الزوجية مدعاة إلى دوام تلك العلاقة الآئمة .

ولو استغفبت فى شأن الزوج بمن رضع معها أو منها ، ولم يكن الزواج وقع فعلا لأفتيت بالمنع أخذا برأى الحنفية وكثير من الفقهاء فإن ذلك أحوط وأبعد عن الندم والشك الذى يحتمل الحياة الزوجية ، وأما إن

٣ - أحكام استنبطها الفقهاء من أقوال مأثورة من بعض الصحابة ، وجعلوها في حكم الأحاديث المرفوعة بحجة أن مثل هذه الأقوال لا يقال بالرأى وإنما يقال عن توقيف من صاحب الشرع وذلك كراى الحنفية في أقصى مدة الحمل وأنها سنتان ؛ وكقولهم في تحديد أقل مدة الحيض وأنها ثلاثة أيام وأن أكثره عشرة معتمدين في ذلك على ما نقل عن عائشة رضى الله عنها مستبعدين أن يصدر عنها ذلك إلا عن توقيف ؛ مع أنه يمكن أن يكون قولها هذا عن استقراء وتبعية منها فمثل هذه الأحكام يمكن أن تعتمد فيها على استقراء ؛ ولست أغالى إن قلت إن إمكانية الإحصاء والتبعية في عصرنا هذا - في مثل هذه الأمور - أيسر ولا أرى غضاضة شرعا أن آخذ بما يثبت الاستقراء أنه الأكثر وقوعا مع الاحتياط في أمر الأبحاث والأنساب .

نعم هناك أحكام نقلت عن الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يمكن إلا أن تكون من توقيف ؛ وهذه تلتحق بالأحكام المستنبطة من السنة وتخضع لقوانين التجميع والتجريح التي وضعتها العلماء لمعرفة الصحيح المقبول من غير المقبول ؛ ثم هي بعد ذلك تخضع لقطعية الدلالة أو ظنيها على ما هو معروف عند الأصوليين ؛ وهذا - أيضاً - باب واسع من أبواب التطور في الفقه ؛ وما علينا إلا أن نأخذ في أمثال هذه الأحكام في كتب المذاهب المختلفة .

ووجه التطور في هذا النوع من الأحكام أنه إن وجدنا لوصف المملوق عليه الحكم وجد الحكم وإن عدم انعدام الحكم .

هذا إذا كانت العلة منه موصوفة أو في حكم المنصوصة ؛ وأما إن كانت العلة مستنبطة كالإسكار في الخمر أو مظنة الضرر في لحم الخنزير كما يقول بعض الناس - فإن الحكم لا يتغير فالخمر حرام أسكرت أو لم تسكر إما قلنا أو لاعتقادها الهلهم إلا إذا زال عنها معنى التحريم بأن صارت خلا ؛ لأنها - حينئذ -

ليست خمرأ ؛ ولحم الخنزير حرام مهما كان نقياً من الجراثيم والديدان ومهما بوانغ في طهيه وإعداده وتربيته إذ من الجائز إن لم يكن من المؤكد أن هذه الأشياء محرمة لذواتها ، وقد تعبدنا الله بتحريمها ليميز الخبيث من الطيب والعبد المتمرد من العبد الطائع .

٢ - الأحكام التي استنبطها الفقهاء من تصرفات الرسول صلوات الله وسلامه عليه في غزواته وسراياه وعطاءاته ومعاهداته فإن هذه الأحكام منها ما صدر عنه بوصفه رسولاً مبعوثاً عن ربه ؛ وهذا - كما قلت - لا يجوز أن يكون محل جدل ؛ أو أن يقال : إنه من الأحكام المتطورة ؛ وأما ما صدر عنه بوصفه إما ما لهذه الأمة فقد راعى فيها ظروف بيئته ومتطلبات وقته ، وبسبب الأمة أن تأخذ في مثل ذلك بما يتفق وظروفها - وكما قلت - إن الفيصل في ذلك هو القرائن .

٤ — الأحكام التي استنبطها الفقهاء من القواعد العامة للشريعة .

مثل قاعدة لا ضرر ولا ضرار، الضرورات تبيح المحظورات، درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ارتكاب أخف الضررين . لا يسأل المالك من أين ملك ، المالك يتصرف في ملكه كيفما يشاء . الحرج مدفوع بالنص . إلى غير ذلك من القواعد التي استنبطها الفقهاء من تدبیر فروع الشريعة ثم أخذوا يطبقونها على ما قد نجد من حوادث ونوازل لم يرد فيها نص .

وهذه الأحكام هي من أوسع أبواب الفقه قابلية للتطور فكم من أمور ظن المتقدمون أنها ضارة فقالوا بمنعها ثم تبين أنها لا ضرر فيها أو أن ضررها أقل كثيراً من خيرها وكم من أمور ظن - قديماً - إنها من الضرورات فأباحوا لأجلها المحظورات وكذا العكس . وكم من أمور رأوها غير ضرورية ثم بمضى الزمن تبين أنها ضرورة كبعض أنواع الإكراه الذي اعتده بعض الفقهاء لإكراهها غير ملجئ كالتهديد بهتك عرض عزيز عليه أو التهديد بإفشاء سر يؤدي إلى قتله إلى غير ذلك ؛ فإني أرى أن مثل هذا من قبيل الضرورة التي تبیح المحظور .

وباب درء المفاسد وتقدمه على جلب المصالح من أخطر المزالق التي تنزلق فيها الأقدام وذلك لأنه ليس درء كل مفسدة

مقدماً على جلب كل مصلحة ؛ وإلا لزم حظر جل الأشياء أو كلها ، فكل خير مشوب بشر ما ، وكل شر مشوب بخير ما ؛ فما بين الله حكمه تقبلناه طائعين راضين وأما الأمور التي لا نص فيها فيتطلب الأمر فيها التدقيق والتحصيل والرجوع في ذلك إلى من يظن فيهم الخير عن لهم بهذه المسائل خبرة وهلم . ولهذا المناسبة أعجبتني فتوى فضيلة الأستاذ عبد الله غويشه مفتي الأردن بتحريم بيع الأراضي في القدس أو المناطق المحيطة بها إلى الأجانب واعتبار كل بائع لأجنبي غافلاً لدينه ووطنه وسيكون مشواة جهنم .

هذه الفتوى التي نشرتها جريدة الأهرام القاهرية صباح يوم الجمعة ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٦٤ فإن هذه الفتوى روعي فيها درء مفسدة عامة على الوطن العربي المسلم ؛ ولم يرقم وزناً لما قد يجلبه هذا البيع من منافع عاجلة مهما كان قدرها . فقد زرت القدس وهلت أن الدول الأجنبية تسابق لشراء العقارات التي تحيط بالمسجد الأقصى والتي تقع بينه وبين كنيسة القيامة وأنها تبذل الأموال الطائلة في هذا السبيل لتحيط المسجد الأقصى بملك غير المسلمين واه - من وراء كيدهم - محيط ؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ولنا عودة بإذن الله .

بدر الحقوقي عبر البساط

فتح القارئ

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) د لقد جاءكم رسول من أنفسكم : عزيز عليه ما قسم
حريص عليكم ، بالؤمنين ردوف رحيم ... آية ١٢٨ .
(ب) د فإن تولوا - فقل : حسبي الله ، لا إله إلا هو ،
عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ، آية ١٢٩ سورة التوبة .

- (١) ١ - حينما قام الصحابة بجمع القرآن في مكتوب واحد على عهد أبي بكر ، وتحت إشراف عمر ، وباستراك نخبة من حفاظ الصحابة - رضي الله عنهم جميعاً - كانوا يعتمدون في الجمع والترتيب على شيتين هامتين .
- أحدهما : الحفظ الأكيد الذي كان معهوداً عند العرب ، والذي تركز عند الصحابة في هذه الناحية - خاصة - بتكرار التلقين من الرسول - صلى الله عليه وسلم .
- والثاني : الرقاع المكتوبة التي كانوا يدونون فيها ما يأتي به الوحي من القرآن ، حينما يتلقونه لساعته من الرسول ، ثم يحفظون تلك المكتوبات تحت أيديهم . صيانة لها ، واعتزازاً بها ، واقتداء بما كان يفعله الرسول
- في كتابة الوحي ، والحفاظ على هذه الوثائق تحت يده .
- ٢ - فلما انتهى عمل الحفاظ إلى الآية السابعة والعشرين بعد المائة - ١٢٧ - من سورة التوبة وجدوا أنفسهم يحفظون آيتين أخيرتين - ١٢٨ - ١٢٩ - ولم يجدوا بأيديهم النص الكتابي الذي يوثقون به حفظهم ، وجمعهم ، وترتيبهم ...
- فتسألوا عن هذا النص ، وسرطان ما تقدم به أبو خزيمة الأنصاري إلى عمر ، ومن معه . وعندئذ قطابى الحفظ الجماعي ، مع النص الكتابي لهاتين الآيتين ، وختمت بهما سورة التوبة : توقيفاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٣ - وجمهور الصحابة أو المفسرين

فهو إنسان من جنس الناس ، وليس من جنس آخر كاللائكة أو الجن مثلاً .

واتحاد الجنس مدعاة إلى الألفسة ، والاطمئنان : لا إلى النفرة والخصومة كما بدا من الكفار عامة ، ومن قريش خاصة ، وفوق ذلك : أن محمداً من نفس العرب ، وتلك علاقة أخص من علاقة الجنسية العامة .

ومحمد في قومه من ذؤابة العرب - قريش - غير منازع ... وهم أعرف به في نشأته ، وحياته ، طهرأ وسموا ...

فكان من حقه على قومه أكثر من سواهم أن ينحازوا إلى دعوته ، ويفخروا برسالته ، ويتمدحوا بشخصيته ...

فهو منهم ، ومحمد يستمد من مجده ... كما كانوا يفخرون بأبطالهم ، وشعرائهم ، وكرمائمهم ، ويتمجدون بهم .

وكل ما لديهم من المفاخر لا يبلغ شيئاً مما توج الله به رسوله محمداً بن عبد الله : من مياسيم الشرف ، والعزة ، والطهر ، والعصمة من كل شائبة أدبية ، أو نقيصة خلقية .

ولكن الغناد ، والغباء ، والجهالة ، والغرور بالباطل : طغت كلها على نفوس قريش كما طغت على سواهم ، فتهجموا للرسول ، وكذبوه ، وقالوا : دلوشاء ربنا لأنزل ملائكة ، وقالوا : دأبعث الله بشراً رسولاً ، وقالوا : دلولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ... إلخ .

بعدم يحدثونا أن هاتين الآيتين آخر ما نزل على النبي من الآيات كلها .

وهناك آثار أخرى بأن آخر ما نزل : « اليوم أكملت لكم دينكم - الآية » ، أو آية « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله . الآية » إلخ .

وتعدد الروايات في هذا لا يحس جوهر الآيات ، ولا يחדش قداستها ، فإن ذلك مجرد اعتبار تاريخي : لا أكثر ...

والتاريخ الزمني شيء ، وصدق الآية ، وقداستها شيء آخر .

والقرآن بعد تمامه ، وانتهاء الوحي منه ، أصبح وحدة : لا يتفاوت فيها نص عن نص ، سواء تقدم هذا على ذاك في النزول ، أو تأخر بالنسبة لما معها

ولا يسوغ في تشريع الله أن تقرأ الآية على غير ترتيبها في المصحف . على أن بعض العلماء قالوا بصحة الآثار كلها باعتبار كل آية مما تناوله الخلاف كانت آخر ما نزل في موضوعها الذي تتعلق به .

فآيتان المذكورتان آخر ما نزل في تعريف العرب بشأن محمد فيهم ... وفي تعريف النبي بما يفعله مع المعارضين عنه - وهكذا كل آية أخرى مما قيل فيه إنها آخر ما نزل .

* * *

٤ - وفي الآية الأولى توجيه إلى شخصية النبي من جهات عدة .

ونحن نرى في هذه الآية دعوة أخذة للعقول الواعية ، وجذابة للقلوب الحية ، والمتعدة للحياة .
وإليس بعدها عذر لمن يتبلد إحساسه ، ويتخلف ذهنه عن حسن التقدير .

٧ — هذا وإننا لفلس في شخصية الرسول وفي خصائصه نموذجاً لدعوة إبراهيم وإسماعيل يوم كانا يقومان ببناء الكعبة في مطلع التاريخ الإسلامي العربي ... ويضربان إلى الله بالدعوات البارة بهما ، وبالإسانية جميعاً .
« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريقتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناصكنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم - أي في القذرية المسلمة - رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، . الآية ١٢٩ بقرة .

وفي آية أخرى كان دعاؤهما ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياتك ، وقد استجاب الله لإبراهيم وإسماعيل دعاءهما المبكر ، وبعث في الأمة المسلمة رسولا من أنفسهم ، ختم به الرسالات والرسول .
« والله يمتحن علينا بهذا الآية التي معنا » لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، .

ولذلك لتشم من أريج الدعوة الإسلامية ومن نفحات القرآن كيفما نظرت فيه أو تلوت منه : أن شريعة محمد هي امتداد كامل لشريعة

٥ — وعن توجيهات الآية الأولى بعد الإشادة بنفسه أن فيه خصائص ذاتية تقتضي منهم أكثر مما تقتضيه الصلة النفسية العربية .
ويقول فيها الله تعالى : « عزيز عليه ما عنتم » يعني : يصعب على نفسه ما يصيبكم من مكروه وأنه لا يغض من عطفه عليكم ما يلقاه من إساءة تكلم له .

« حريص عليكم ، شديد الرغبة في هدايتكم وإيمانكم ، مع أن جزاء الطاعة محسوب لكم وعقوبة العصيان واقعة عليكم : فلا له ولا عليه فإتمام عليه البلاغ ، وقد بلغكم كل ما أوحى به إليه .
« بالمؤمنين رموف رحيم ، فرأفته تتمثل في دفعه للضار عنكم ... ورحمته تتمثل في جلب المنافع لكم .

ودفع الشر ، وجلب الخير أحب ما يناله المرء من غيره ... والرأفة ، والرحمة من صفات الله الحسنى وقد شهد الله بهما لمحمد صلوات الله عليه وسلامه .

٦ — وهذه المحامد كلها مظهر حق لأهليته للرسالة ، وجداره بالقُدوة في أقواله وفي مسلكه فإذا كان في مستوى الكمال فيما تشهدونه : أصبا ، وحرصا عليكم ، ورأفة ورحمة بكم فلماذا لا يكون موضع التقدير الأسنى عندكم .

وماذا يصدقكم من موالاته ، ويحملك على مجافاته ، مع أنكم المنتفعون به في الاهتمام ، والسلامة من العثرات . ٤٤

والعرش هو مركز التدبير الإلهي لثبوت خلقه ... وهو عظيم بعظمة الملك الواسع الذي لا يعلم محيطه غير الله .
وهو عظيم كذلك بعظمة الله الذي استوى عليه للتدبير والتصرف .

ولا يعلم حقيقة العرش في كيانه ومداه غير الله تعالى .

ولا نقول بتشيده الله في استوائه على العرش باستواء الإنسان على مقعده ، ولا نقول بتحديد جهة هايا ، أو سفلى ... ولا نتعرض للخوض في أمور الغيب كلها ، وقد أعفانا الله من البحث في هذه الجوانب البعيدة عن مستوى عقولنا ، واكتفى من عباده أن يؤمنوا بالغيب على ما يعلمه الله .

وذلك هو إيمان العجائز في هذا شأن المجهول لنا ، وكان الإمام مالك وغيره من جهاذة الأئمة يقولون : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول .

يريد - والله أعلم - أننا نفهم معنى الاستواء بالنسبة لنا ... ولكننا نجمل كيفية به بالنسبة لله ... وهذا مجال الدعاء بالإيمان البريء من التدخل ، كإيمان العجائز الذين يسلمون وجوههم إلى الله ، وهم محسنون ، فكانوا مستمسكين بالعروة الوثقى في تدينهم ؟

عبد اللطيف السبكي

إبراهيم ، كما أن شخصية محمد هي الوشيعة العطرة بين العرب وإسماعيل وإبراهيم .
ذرية بعضهما من بعض ، وصلوات الله عليهم جميعا في الأولين ، والآخرين .

* * *

(ب) ٨ - ثم جاءت الآية الأخيرة من التوبة تسلية للرسول في مجوده ، وتخفيفا من حربه ، فإن تولوا ، فقل حسبى الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ، ففيها تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم ، على أن الأمر مع هؤلاء قد بلغ مداه من العظة ، والاستنهاض فإن تولوا هناك يا محمد فيما دعوتهم إليه ، وأعرضوا عن توجيه أنفسهم نحوك فلا تشغل نفسك بهم : لأنك غير مكلف بإيمانهم ، وهدايتهم .. بل أنت مكلف بالدعوة ، والتذكير ، وقد فعلت ، وبعد ذلك است علمهم بمسيطر ، ولا جبار .

« إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » ، وقل في نفسك ، وللمناس : حسبى الله - هو الذى أعتمد عليه دون غيره .
وهو الذى يكفينى شروكم ، ويغني عن موئنتكم إياى على أمرى ، ويعفينى من منتكم على المتوازية ... فإنه لا إله إلا هو ، مالك الأمر كله .. وهو وحده رب العرش العظيم .

مفهوم الإيمان

للاستاذ المحيى عبد المجيد حاشم

التعلق بالشهادتين وهو قول . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان . وهى أعمال وهذا ما فهمه السلف ، وقال به المحدثون ، ومعهم إمامهم البخارى الذى أحاط بالسنة دراية ورواية . وفى ضوء هذا الفهم لمعنى الإيمان فسر البخارى معنى الحديث الآخر الذى كان مثار الجدل فى الاختلاف فى معنى الإيمان عند المتكلمين .

وهو ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله . وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث . قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفريضة ، وتصوم رمضان . قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .

قال أبو عبد الله البخارى لجعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله من الإيمان إذ جعله ديننا والحق أنه ملحوظ دقيق من البخارى يوحى به صراحة الحديث السابق لوفه

إن جوهر الرسالة الإسلامية السمحاء التى أشرق بها خاتم الأنبياء على الدنيا ليوجهها نحو الهداية والخير هو الإيمان .

وقد حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم مفهوم الإيمان تحديدا واضحا المعالم فبين أن الإيمان عقيدة وقول وعمل .

ففى صحيح البخارى إمام المحدثين فى باب أداء الخس من الإيمان .

عن ابن عباس أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال : من القوم ؟ قالوا : ربيعة قال : مرحبا بالقوم غير خزايما ولا ندامى ، فقالوا : يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر فرنا بأمر فعل نخبر به من وراءنا وندخل الجنة . فكان مما أمرهم به - الإيمان بالله وحده قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخس إلخ .

فقد أوضح المعلم الأول حقيقة الإيمان فى مفهوم الشرع بأنه يشمل مع التصديق

ذكره الإمام الدين عند الله الإسلام، وبهذا المعنى قال الغزالي والدواني .

« والإسلام الكامل الصحيح لا يكون إلا مع الإيمان؛ فلا ينفك عنه والإسلام الظاهري قد ينفك عن الإيمان » .

وبلغ إيمان البخاري بهذه العقيدة أنه كان لا يأخذ الحديث إلا عن قال : الإيمان قول وعمل يقول : أخذت عن أكثر من ألف رجل ثقة من أهل الحجاز، والعراق، والشام، ومصر وخراسان ما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء : الإيمان قول وعمل ، وأن القرآن كلام الله .

وهذا هو ما كان عليه السلف كما يقرر إمام من أئمة الاحناف ومن كبار محدثي الهند محمد أنور الكشميري .

يقول : الإيمان عند السلف عبارة عن ثلاثة أشياء : اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص ، وقد وفق الكشميري بين قول أبي حنيفة : وبين قول السلف في المعنى ، وحقق الخلاف بينهما بأنه في التعبير اللفظي فقط .

فقال : وإمامنا وإن لم يجعل الأعمال جزءا لكنه اهتم بها، وحرص عليها، وجعلها أصبايا سارية في نماء الإيمان بخلاف المراجعة القائلين : بأن الإيمان هو التصديق فقط وأنه لا يضر مع الإيمان معصية ؛ فإنهم حطوا الأعمال عن تربتها وعلوها، وجعلوها كالطروح وهذا جهل عظيم .

عبد القيس، بخلاف من غاير بين مفهوم الإيمان والإسلام، وتصر الإيمان على العقيدة ؛ فإنه لا يتمشى مع التعبير الصريح في إحاطة الإيمان في حديث وفد عبد القيس للعقيدة والقول والعمل ...

وإن تفسير العالم البعير بالأحاديث في أمر من أمور الدين إنما يتسم بالدقة والاعتدال حتى لا يخالف نصاً آخر .

وكما كان البخاري صاحب قدم راسخة في الحديث كان صاحب القدم الراسخة أيضا في التفسير ^(١) فهو يمتاز بتفسير القرآن في ضوء السنة الصحيحة .

وبهذه المقدرة جمع في سهولة ويسر بين النصوص التي شجعت على علماء الكلام والجدل وأناروا حولها ضجة جوفاء في مفهوم الإيمان والإسلام .

فبين أن التغاير في المفهوم إنما يكون حيث يراد المعنى اللغوي .

وأما حيث تراد الحقيقة الشرعية الكاملة فيها مترادفان .

وقد ترجم بما يوضح ذلك فقال : « باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل » .

أقوله تعالى : قالت الأصراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلنا .

فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل

(١) من مؤلفاته التفسير الكبير موجود بمكتبة فرنسا .

ويقول الخطابي في شرح شعب الإيمان :
في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم
لمعنى ذى شعب وأجزاء له ، أدنى وأعلى ، والاسم
يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلمة والحقيقة تقتضى
جميع شعبه ، وتستوفى جملة أجزائه كالصلاة
الشرعية لها شعب وأجزاء ، والاسم يتعلق
ببعضها ، والحقيقة تقتضى جميع أجزائها
وتستوفىها يدل عليه قوله صلى الله عليه
وسلم : الحياء شعبة من الإيمان ، ويقول الإمام
النووى : وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال
فتتفق عليه عند أهل الحق ، ودلالته في الكتاب
والسنة أكثر من أن تحصر قال تعالى : وما كان
الله ليضييع إيمانكم ، أجمعوا على أن المراد
صلاتكم .

وفي شرح النووى لصحيح مسلم في باب
الإيمان قول وهمل - قال عبد الرزاق : سمعت
من أدركت من شيوخنا ، وأصحابنا سفيان
الثوري ، ومالك بن أنس ، وهب الله بن عمر
والأوزاعي ، ومعمّر بن راشد ، وابن جريج
وسفيان بن عيينة ، يقولون : الإيمان قول وعمل
يزيد وينقص ، وهذا قول ابن مسعود ، وحذيفة
والنخعي ، والحسن البصري ، وعطاء ، وطاوس
ومجاهد وهب الله بن المبارك فالعنى الذى يستحق
به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه
الأمور الثلاثة التصديق بالقلب والإقرار باللسان

إلا أن تعبير المحمدين القائلين : بجزئية
الأعمال لما كان أبعد من المرجحة المنكرين
جزئية الأعمال . وكان تعبير إمامنا أبي حنيفة
أقرب إليهم من حيث نفى الجزئية للأعمال
رمى الحنفية بالإرجاء وهم عنه بريئون .

كما حقق السكسميرى الخلاف بين من قال
من الأحناف بعدم زيادة الإيمان ونقصه ،
وبين عقيدة السلف في زيادة الإيمان ونقصه فبين
أنه لا خلاف حيث إن الجهة متغايرة فن قال
بعدم الزيادة والنقصان أراد ما يؤمن به .
وأن من قال بالزيادة والنقصان أراد
الإيمان نفسه .

وفي طبقات الحنفية تحت ترجمة (إبراهيم
ابن يوسف) تلميذ أبي يوسف ، وأحمد بن عمران
د كانا يقولان بزيادة الإيمان ونقصانه ، مع
كونهما من كبار الحنفية .

ويقول ابن حبان : إن البخارى هد كل طاعة
هداها الله في كتابه من الإيمان ، وكل طاعة عداها
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان .
وروى البخارى بسنده عن أبي هريرة ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإيمان :
بضع وستون شعبة والحياء من الإيمان .

وفي شرح هذا الحديث بقول شيخ الإسلام
ابن حجر بعد عرض كلام الشراح : وقد
لخصت مما أوردوه ما أذكره وهو أن هذه
الشعب تنفر عن أعمال القلب ، وأعمال اللسان
وأعمال البدن ، .

والعمل بالجوارح ، وذلك أنه لاخلاف بين الجميع أنه لو أقرو عمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق اسم مؤمن ، وكذلك إذا أقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله عليهم أجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمناً بالإطلاق . وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمناً بالتصديق فذلك غير مستحق في كلام الله لقوله هو وجل ، وإنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا .

فأخبرنا سبحانه وتعالى : أن المؤمن من كانت هذه صفته . ويقول ابن بطال : وهذا المعنى هو مذهب أهل السنة ، والجماعة ، وقد أورد البخاري رحمه الله ، ثباته في كتاب الإيمان وعليه بوب أبو إبراهيم كلفا ، وإنما أورد الرد على المرجئة في قولهم إن الإيمان قول بلا عمل وتبيين غلطهم وسوء اعتقادهم ونحالفهم للكتاب والسنة ومذاهب الأئمة .

وقضنا الله إلى الإيمان الصحيح عقيدة وقولا وعملا ، وهذا سبيله المستقيم .

الحسيني عبد المجيد هاشم

المؤمنون حقا

، إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومنفرة ورزق كريم .

حُلاوة الإيمان

للأستاذ محمد محمد أبو زهو

أثر الإيمان الكامل في النفوس الطيبة ،
والقلوب الطاهرة المخلصة ، التي أفعمت
بمحبة الله ، وتمكن فيها الشعور بحملا
وعظمته ، فاستراحته إليه وحده ، واطمأنت
إلى حكمه العادل وقوله الصادق ، وعرفت
أنه هو - لا غيره - مصدر كل خير ، ومبعث
كل إحسان وفضل ، بيده الملك والخلق
والرزق والإنعام : خالق العالم أجمع ، ودبر
شئونه . فهو يمسك السماء أن تقع على الأرض
إلا بإذنه ، وسخر الشمس والقمر والنجوم ،
وخلق البحار والجبال ، وأرسل الرياح
مبشرات ، وأنزل الأمطار وأجرى الأنهار .
وإن في خلق السموات والأرض ، واختلاف
الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء
من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث
فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب
المسخر بين السماء والأرض . لآيات لقوم
يعقلون ، ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، ،
نعم انظر العقلاء في هذه الآيات المبثوثة
في الأنفس والآفاق ، فاعلموا أن لهم ربا

(عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) . أخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري) .

ما تزال النبوة تنفع البشرية من أسرارها
الدقيقة ، وحكمها الرفيعة . ما يعلى من شأنها ،
ويرفع من قدرها إلى ذروة المجد والسودد ،
والفوز والسعادة ، ونبوة في هديها السامى
معصومة عن الخطأ . وفي منهجها الحكيم
منزهة عن الإكثار والثثرة ، لجميع أقوالها
جوامع كلم ، وكل أفعالها تصدر بميزان
صحيح ، وحكم سليم ، لأنها في كل ما تأتي
أو تذر لا تنطق عن الهوى ، وإن هو إلا وحى
يوحى ، وكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد
عليه إلا صاحب الرسالة المشرقة صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا الحديث الشريف يصور لنا
رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه

وما حوته من أسرار فلم يجد لها سوى الله رباً ،
أن تمتلئ . نعمه حبا لله ويفعم قلبه بلذة
روحية تملك عليه وروحه وجوارحه . أجل
إن محبة أساسها النظر إلى ما أبدع الخالق
وما أفاض وما أنعم على نقطة انطلاق إلى العمل
النافع من أجل حياة فاضلة وسعادة تامة
في الآخرة .

وسواء علينا أقلنا أن اللذة المترتبة على محبة
الله تعالى حسية أم عقلية ، فإنه بما لا شك فيه
كما قرره النبي صلى الله عليه وسلم أن لذة
ما تملك على المؤمن قلبه وروحه وجوارحه
لتجعله يقطع كل صلة له بغير الله ورسوله
ويقدم وضاهما على كل ما سواه ، حتى نفسه
التي بين جنبيه ، قل إن كان آباؤكم ، وأبنائكم ،
وأخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ،
وأموال اقترفتوها ، وتجارة تخشون كسادها ،
ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي
الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ،
وقال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم :
(لآنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء
إلا نفسي . فقال : لا والذي نفسي بيده
حتى أكرن أحب إليك من نفسك . فقال
له عمر : فإنك الآن - والله - أحب إلى
من نفسي ، فقال : الآن يا عمر) .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (ثلاث

هو إليه الحق الواحد الأحد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً أحد . كامل في صفاته وأفعاله
منزه عن كل ما سواه ، ليس كمثل شيء .
وهو السميع البصير ، ، وعلوا كذلك أنه
لم يخلق العالم عبثاً ، ولم يترك الناس هملاً .
بل كما تفضل عليهم بنعم لا تحصى ، وآلاء
لا تعد ولا تستقصى أنعم عليهم بنعمة الطهر
وشريعة الإسلام الخفيف فبعث فيهم رسولاً
من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويمليهم
الكتاب والحكمة ، رسولاً بشيراً ونذيراً
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ،
فهداهم به الصراط المستقيم بل أخرج العالم
كله من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان ،
وصدق الله العظيم ، وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين ، ، وأتأمل في هذه الشريعة الخالدة
يجد أن سر خلودها نوران : كتاب لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة
مطهرة شاحرة له ومفسرة لأغراضه ،
فاكتمل بهما الدين وتمت بهما النعمة ، اليوم
أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الإسلام ديناً . فسبحان
من أجرى الحساب وأزل الكتاب .
ففي كل منهما حياة للبشر حياة لأبدانهم وحياة
لأرواحهم ، فلا عجب إذن إذا كان المؤمن
الذي جال بعقله وطاف بفكره في هذا
الملسكوت العظيم ، وتأمل في هذه العوالم

وتفسيرها بالمعنى الثانى أولى ، ويؤيده ما روى فى الصحيح أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكن أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم (أنت مع من أحببت) فقد فرق الرجل بين طاعة الله وحب الله ، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك . غير أن الطاعة من لوازم المحبة فإن من أحب أحداً سعى فى مرضاته وعمل على تحقيق رغبانه ولله المثل الأعلى فمن أحبه سبحانه عمل بطاعته وتجنأ عن معصيته وإلا فلا أحب الله من هؤلاء .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه

هذا المعنى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

الخصلة الثانية : (أن يحب المرء لا يحبه

إلا الله) أى إنه لا يحب أحداً من الناس لغرض من الأغراض الدنيوية بل لغرض واحد فقط هو رضا الله بالطاعة والعباد عن المعصية ، فتكون محبة لوالديه مثلاً لأن الله تعالى يرضى عن ذلك ، ولأنه أمر بالإحسان إليهما ودفع الأذى عنهما فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم وتكون

من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) أى خلال ثلاث من وجدن فيه وتحققن عنده وامتزجت بروحه ودمه ، وسرت فى عروقه ، وظهرت آثارها على جوارحه وانشغل بها جنانه وتحركت لها أركانه فإنه يجد للإيمان لذة روحية عقلية وفكرية يدركها بعين بصيرته ويحسها بحاسة القلب كما يحس من تعاطى شيئاً حلواً حيث يجد لذته فى فيه ، وهذا تمثيل وتصور للأمر المعقول بصورة المحسوس تقريباً له فى الأذهان .

أولى هذه الخصال : (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) أى أنه يحب الله ورسوله حباً يصلو على حبه لكل شئ مما سواهما وهذا التعبير (بما) دون (من) لإفادة العموم فيمتثل النفس والأهل والمال والولد والجاه والسلطان والدور والقصور ، وفى جمعه بين اسم الله والرسول فى ضمير إشارة لطيفة هى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما على انفراد ، فمن ادعى حب الله وحده دون رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كاذب ومن ادعى حب الرسول وحده دون الله سبحانه وتعالى كان فى ادعائه ذلك كاذباً .

هذا وقد اختلف العلماء فى معنى محبة العبد لله تعالى . فبعضهم فسرهما بالطاعة ، وبعضهم فسرهما بأنها : ميل الطبع إلى شئ ملذ ،

محبة لولده لأنه يعينه على طاعة الله ، ولأنه يكون خليفة له في الإسلام يوحده الله ويمجده ويكثر سواه المسلمين والمجاهدين في سبيل الله بالعلم والعمل والسيف والقلم وكذلك يكون بغضه للرد بسبب بغض الله إياه لانحرافه وزيفه أو عصيانه وغيره .

هذا . وانظر إلى حال المسلمين الآن وقد أصبحت محبة بعضهم لبعض على أساس مادي خالص تبعاً لأهوائهم . ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . وهذا سببه أنهم غفلوا عن مجرى الخير ومسديه ومانحه ومعطيه وهو الله رب العالمين ، كذلك غفلوا فلم يفقهوا أن جميع الخلق وسائط لا تنفع ولا تضر إلا إذا أراد الله لها النفع أو الضر وبالرغم من الحوادث والعبر التي كل ينبغي لهم أن يتعظوا بها فهم لا يعتبرون بما يقع لهم ولا يفرحون بهذا رجل يحب إذا جاء طمعا في جاهه ويفتق على هذه المحبة من النفاق والذل ، أو يعلق قلبه بذي منصب كبير رجاء الحصول على درجة أو وظيفة ، فيهن ويذل في سبيل ذلك ثم يفاجئه القدر بالموت أو العزل من المنصب لمن يعلق عليه آماله فيصبح يقلب كفيه على ما أنفق من ذل وهوان ألا إن الأمور كلها تجري حسب ما قدر الله سبحانه وعلى وفق علمه وإرادته ، فلماذا لا نطلب حوائجنا ونحن أعزاء كما أريد منا (اطلبوا

الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير) ألا إن المنافقين يطلبون العزة عند غير الله ، ويسلكون لها طريقا هو طريق المذلة والهوان فباءوا بالحقية والحذلان ، والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ،

ينبغي لنا أن نتخلع بأرواحنا إلى ما وراء المادة لنرى بعين البصيرة هذا المدبر الحكيم لتشرق العوالم علوياً وسفلياً ، ولنعلم أن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوا أحداً بشيء لم يكن إلا بما كتبه الله تعالى له ، وإن اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليه . فعلى المؤمن أن يلجأ بطلبته إلى الله قبل كل شيء فيقرع بابه ويجأر بم حاجته ، ويدم ذلك - فإن الله يحب ذلك من عباده - ثم يأخذ في الأسباب العادية سالكا طريق الدين الحنيف وهو الطلب في عزة نفس ، فلا يغفل عن مسبب الأسباب الذي هو مصدر الخيرات كلها ، وإلا أشرك العبد مع الله غيره من حيث لا يدري في الحديث الشريف (من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) .

الخلاصة الثالثة : (أن يكره أن يعود

هذا ، وإذا أمعنا النظر في الخصلتين الثانية والثالثة وجدناهما راجعتين إلى الخصلة الأولى ولازميتين لها ، فإن محبة الله ورسوله تهيب بالمرء إلى طاعة الله ، وعمل ما يرضيه ، وتجنب ما يفضبه فهي أساس لجميع الخلال الحسنة ، وفعل الخير ظاهرة وباطنة ، فمن أحب الله ورسوله عامل الخلق معاملة أساسها رضا الله ، وتكون كراهته للوقوع في الكفر مثل كراهته لأن يرى به في معظم النار وذلك راجع لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، بل إن كل خلال الخير وشعب الإيمان إذا أمعنا النظر فيها وجدناها ترجع لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنما اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على هاتين الخصلتين اهتماماً بهما لعظم شأنهما ، لأنهما أصلان لجميع شعب الإيمان وأمور الدين ، فإن إحداهما : وهي أن يحب المرء لا يحبه إلا الله تتعلق بمعاملة المخلوقين والثانية وهي أن يكره أن يعود في الكفر تتعلق بمعاملة الخالق سبحانه وتعالى ، ولا تخرج آثار المحبة لله ورسوله في سلوك العبد عن هاتين المعاملتين ، وهذا من أسرار البلاغة النبوية ، وجوامع كنهه صلى الله عليه وسلم فسبحان من علمه ، وكلمه ، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب .

في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) أي أنه يكره أن يصير ويتحول إلى الكفر كراهة تعادل كراهته لأن يقذف به في النار ويرى به فيها رمياً ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ثبات إيمانه ، وقوة يقينه ، فاقتلاع الإيمان منه بعد ذلك انتزاع لروحه من جسده بأشد أنواع العذاب وهو العذاب بالنار فكأن الكفر والنار عدلان لذا كان جزاء الكافرين يوم القيامة عذاب النار .

أجل : إن المؤمن وقد غمره الله تعالى بآلائه وأسبغ عليه من عظيم نعمائه ، وسخر ما في الكون جميعاً لمنفعته ، وارتفع به عن مرتبة العجاوات إلى مرتبة الإنسان العاقل الرشيد . فضله على كثير من خلقه ، وحمله في البحر والبحر ، ثم أكرمه بإرسال الرسل معلمين ومرشدين ليعدده حياة أعظم من هذه الحياة ينعم فيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ، في الجنة عرضها السموات والأرض إنه لا شك يدفعه ذلك إلى الحرص على الإيمان بالله ، والحفاظ عليه ، لأنه السبيل إلى النعم المقيم ، كما أنه الطريق الوحيد للنجاة من الخلود في نار جهنم . فيرى الكفر أمراً قبيحاً بشعاً ، وفاراً قلظي لا يصلحها إلا الأثقى .

ونظرة أخرى ننقلها عن الحافظ بن أبي جرة
قال رحمه الله :

(هذه الثلاثة الألفاظ ترجع إلى اللفظ
الأول منها ، وهو أن يكون الله ورسوله
أحب إليه مما سواهما . لأن من ضرورة المحبة
لله ورسوله أن يدخل ما ذكر بعد في ضمنه ،
لكن فائدة إخباره عليه السلام بدينك
الحالتين اللتين ذكرتا بعد ذلك اللفظ يريد به
أن من ادعى حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فليختبر نفسه في حب الرء لماذا يحبه ؟
وفي الإكراه على الكفر كيف يحدد نفسه
إن ابتلى بذلك لأنه قد يسبق للنفوس ادعاء
بحب الله ، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ،
فجعل عليه السلام هاتين العلامتين للتفريق
بين الدعوى والحقيقة) .

ألا إن محبة الله ورسوله هي ملاك الأمر كله
وهي طريق إلى النجى والحياتين ، وهي طلبية
التبيين والصدقين والشهداء والصالحين ،

سألها نبينا صلى الله عليه وسلم من ربه
عز وجل فقال : (أسألك حبك وحب
من يحبك وحب عمل يقربك إلى حبك)
والآن كيف نصل إلى هذه المحبة ؟ وما هي
الأسباب التي توصلنا إليها ، وما هي الآثار
التي تعود علينا وتؤثر في سلوكنا كأفراد
وجماعات ، ثم ما هي الأشراف والأمارات
التي تظهر لنا فنعلم أننا نحب الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم ، فنطعن لأننا قد وصلنا
إلى هذه المراقبة من السلوك . ثم ما مبلغ
هذا السلوك في واقع الأمة الإسلامية
في الماضى والحاضر ؟ وفي تكوين المجتمع
المثالى ؟ هذا ما نريد أن نعرض له في الكلمة
الآتية إن شاء الله تعالى حيا في الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وكشفاً عن أسرار هذه
الشريعة الخالدة ومن الله العون والتوفيق .

محمد محمد أبو زهو

المدرس في كلية أصول الدين



الفراغ النفسى عند الشباب للأستاذ محمد أبو شربة

بالروحانية الصادقة ، والمعاني الإنسانية النبيلة ، والمادية المعتدلة المقتصدة غير الجائرة ، وموطن حضارة زاهية مشرقة فرضت سلطانها على العالم أحقاباً من الزمان بأصالتها وصفاتها وإنسانيتها التي لم تفرق بين دين ودين ، ولا بين لون ولون ، ولا بين عربي وغير عربي ، والتي شملت بخيرها وبرها الناس جميعاً تلك هي حضارة الإسلام : حضارة الإيمان والأمان ، والرحمة والسلام ، والحق والعدل ، والتعاون على البر والتقوى ، والتأخى والتحاب .

وما كان لنا أن نصف الدواء لهذا الفراغ النفسى دون أن نعرض لبيان الأسباب . وفى الحق إن هذا الفراغ النفسى فى بلاد الإسلام والعروبة جاء نتيجة تأمر دول الاستعمار على شعوب الشرق الإسلامى والعربى ، هذا التأمر الذى يعتبر امتداداً للحروب الصليبية وقد مضى عليها بضعة قرون ، وكانت نهايتها انتصار الشرق الإسلامى العربى على الغرب الصليبي العربى المتعطش للدماء ، على يد الأبطال المغايرين بقيادة البطل المسلم العربى صلاح الدين ، ورجع الغرب يجرؤ أذبال الهزيمة والعار .

لقد ملى الشباب فى العصر الحاضر بشيء غير قليل من الفراغ النفسى ، وسواء فى ذلك الشباب فى الشرق أم فى الغرب ، وما نحن أولاء نرى المصلحين والغيارى على مصالح أمهم وشعوبهم فزعين من هذه الحال التى وصل إليها الشباب فى هذا القرن الأخير ، ونسمع صيحاتهم ترتفع هنا وهناك بالعلاج ، وتدارك الأمر قبل أن يستشري الداء ويعز الدواء .

وإن هذا الفراغ النفسى يتمثل فى فراغ القلب من معانى الإيمان والهداية ، وفراغ النفوس من معانى الأخلاق السكرية ، والفضائل الإنسانية السامية ، وفراغ العقول من معانى الحق والعدل والخير ، والعلم النافع الصحيح الذى يبنى ولا يدمر ، ويصلح ولا يفسد ، وينصف ولا يتجنى ويظلم ، العلم الذى يجب أن يكون رحماً بين بنى آدم جميعاً ، والذى يسرى بين الناس جميعاً لا فرق بين شرق وغرب ، ولا سائى وآرى ولا أبيض وأسود ولا بين جنس وجنس ، ولا بين شعب وشعب .

وبحسبى أن أتناول ما وصل إليه حال الشباب فى بلاد الإسلام والعروبة ، وهى مهد النبوات والرسالات السماوية التى تنسم

المغرب ، وفي البلاد الشهيذة فلسطين ، وفي الجزيرة العربية ، كما لا ننسى هذا الهجوم الثلاثي الغادر على بورسعيد ، وسيناء ، ومنطقة القنال عام ١٩٥٦ ، والذي ارتد مذهوما مدحورا بفضل تضامن الشعب والجيش ، ووقوف الحكام والمحكومين صفا واحدا لم يجد فيه العدو الغادر المتربص نفرة ينفذ منها .

ولا تزال هذه الصليبية تعمل مهيما في بلاد من بلاد العروبة كعدن والإمارات وسيقضى المجاهدون الثائرون على البغاة الحاقدين ، كما قضى على أسلافهم من قبل يأذناه ومشيئته . بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ، ولئن كان الاستعمار قد ولى ، وحمل عصاه على طائفه إلى غير رجعة - إن شاء الله - فلا تزال آثاره السيئة باقية بيننا ، متسلطة على نفوس الكثيرين منا .

لقد نجح الاستعمار أيما نجاح في إضعاف الوازع الديني من القلوب ، وقلب المعايير الخلقية في النفوس ، ومسح الثقافة الإسلامية الأصيلة في العقول ، وفي الإطاحة بمحدود الإسلام ومناراته من المجتمعات الإسلامية . وقد ساعد الاستعمار في مهمته الهدامة التخريبية فتنة رباهما الاستعمار بيديه ، وصنعهما على عينيه ، فتشبعت بآرائه وأفكاره في الدين والفكر ، والأخلاق والتعليم ، والحكم

وما زال هذا النصر جروحا في نفس الغرب لا تندمل حتى كان القرن الأخير وكان ما كان من تفرق المسلمين والعرب شيعة وأحزابا ، فوجد الغرب المغيظ المحنق الفرصة سانحة لأن يشفي ما في نفسه من غل وموجدة على الشرق الإسلامي العربي ، وبدأت فصول المأساة المحزنة تتلاحق حتى كان من ذلك ليل طويل مظلم لم يتنفس صبحه إلا بعد جهاد وكفاح مرير .

وليس أدل على بقاء الصليبية إلى عصرنا الأخير من قول اللورد اللنبي في الحرب العالمية الأولى لما دخل بيت المقدس منتصرا « الآن انتهت الحروب الصليبية ، !!!

إن الروح الصليبية - روح الغدر والحقد والقسط - لا تزال مسيطرة على دول الغرب ، وقد اتخذت طرقا شتى للوصول إلى غاياتها الدنيئة ، ومقاصدها السيئة فهي لا تزال تعمل ما استطاعت على استئصال الروح الدينية ، والقيم الخلقية من نفوس المسلمين والعرب حينا ، والغزو الثقافي ، والفكري والأخلاقي حينا آخر ، وعن طريق قمع ثورات التحرر والحرب السافرة حينا ثالثا .

ونحن لا ننسى ولا التاريخ ينسى ما قامت به دول الاستعمار من مقاومة لحركات التحرر من غير شفقة ولا رحمة في مصر ، وفي بلاد الشام ، وفي ليبيا ، وفي الجزائر ، وفي بلاد

وخصائصها الثقافية ، والأخلاقية ،
والقشرية .

واقدر ساعد على هذا الفراغ النفسى هذا
التغير والتحول الذى حدث بعد الحرب
العالمية الثانية من سيطرة المادة ، وسلطان
آلة ، وما وصل إليه العالم من تقدم كبير
فى علوم الذرة ، وغزو الفضاء ، وصناعة
الأقمار وسفن الفضاء .

فقد كان لهذا تأثيره فى زعزعة العقيدة
الإيمانية فى بعض النفوس التى لم تتل حظا
من الدين ، وفى تخلخل القيم الخلقية فى النفوس
وفى التقليل من شأن الثقافات الإنسانية ،
والعلوم النظرية فى العقول ، فأصبحنا نجد
من شبابنا من لا يهتم بشعائر دينه وآدابه
ويعتبر التدين تخلفا ورجعية ؛ ولا ينفك
عن التهمك بالدين وتعاليمه ، ومن لا يقيم للقيم
الخلقية وزنا ، ويرى الوصول إلى مآربه
وأهوائه حتى ولو كان فى هذا انتهاك الأعراض
وسفك الدماء ، واغتصاب الأموال ، ومن
لا يعرف لآبائنا المسلمين والدرب فضلا
على الحضارة الإنسانية بل يتقصصهم ويحط
من شأنهم . وتسمت الأهواء ، والمذاهب
الباطلة الشباب : فمنهم من هو ملحد ، ومنهم
من هو وجودى ، ومن هو شيوعى ، ومن
هو بهائى ، ومن هو قاديانى وو... إلخ ..
لقد كان أول من فتن بهذا التقدم العلمى

والسياسة ، وهيا لها مراكز القيادة والتوجيه
فى بلاد الإسلام والعروبة ، فسارت الأمور
فى هذه البلاد كما أراد المستعمرون ، فهم
يدبرون ويكيدون من وراء الستار ، وهؤلاء
الصنائع من أبناء هذه الشعوب ينفذون بل
ويخلصون فى التنفيذ ، ويلبسون على الناس
بأن هذا هو الإصلاح ، وقد انحدر بطواهر
هؤلاء الكثيرون ، وإن كان قد تذبذبا لآلئهم
المخلصون المحفكون ، وقليل ما هم ، وحذروا
وأندروا ، ولكن ما أطيع لهم رأى ،
وذمبت صيحاتهم أدرج الرياح ، وكانوا
كنى ينفخ فى رماذ .

وما هى ذى دول الإسلام والعروبة قد
تخلصت جميعها - نقرىبا - بفضل الله ومنته
ثم بفضل الجهاد والكفاح من كابوس الاستعمار
وأصاره ، وأغلاله وهكايده .

نعم لقد تخلصت من الاستعمار السياسى ،
ولكن آثار هذا الاستعمار من الغزو الروحى
والخلقى ، والثقافى ، والتشريعى ، والاجتماعى
لا زالت باقية بيننا ، هذه الآثار التى كانت
العامل الأساسى فى إحداث هذا الفراغ
النفسى فى نفوس الشعوب ولا سيما الشباب .
فما الذى يمننا - حكما وشعوبا -
وقد أضخى أمرنا بيدنا من القضاء على كل هذه
الآثار السيئة ، وبذلك يتحقق لنا الاستقلال
التام الصحيح ، وتعود لنا مقوماتنا الإسلامية

وأحب أن أقول لمؤلا الذين يجفلون من تقدم العلوم والمعارف ويشفقون من ذلك على الأديان : إن دين الإسلام لا يضره تقدم الكشوف العلمية والاختراعات ؛ لأنه دين العلم والمعرفة ، ودين العقل السليم ، والفعل الصحيح والمسلكون أيام أن كانوا مهتدين بهدى هذا الدين و متمسكين به عقيدة ، وعلماء وعملاء وأخلاقاً ، كانوا سادة الدنيا وعلمائها ، ورواد البحث والإبداع ، وما تختلفوا في هذا المضمار إلا لما نكصوا عن هذه الهداية ، ولم يفهموا الإسلام على وجهه الصحيح ، بل بالعكس هذه الاختراعات والعلوم وعلى رأسها غزو الفضاء يفسح عن الأسرار التي أودعها الله سبحانه في آياته الكونية ، والآنفسية ، والتزييلية وأشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أحاديثه ، فهي تزيد المؤمن إيماناً بربه وصفاته والمسلم الذي تززع عقيدته بمثل هذه الاختراعات إما أنه ضعيف الإيمان ، أو أنه لم يفهم الإسلام على وجهه الصحيح وصدق الله حيث يقول : « سنجهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ؟ بل والآن قد وضعنا الدواء وشخصنا أسبابه فبأى شيء يكون الدواء ؟

ذلك ما سنعرض له في المقال الآتي إن شاء الله ؟

المركز نور محمد محمد أبو شامة

رائد من رواد الفضاء أبت عليه يئته التي نشأ فيها ، وتعاليم هذه البيئة اللادينية أن يشكك في وجود الإله زاعماً أنه لم يره ١١١ وكان هذا الرائد الذي ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة يظن أن الله سبحانه وتقدس أسماؤه وصفاته جسم من الأجسام ، أو آلة من الآلات ، وما درى - وباهول ما جهل - أن الله لا يرى بالأبصار وإنما يرى بالبصائر وأنه لا ترى ذاته ، وإنما يرى آثاره ومظاهر خلقه ولو أنه فكر قليلاً ، وتخلص من عقيدته الباطلة لاستجاب لفطرته بمد ما رأى وعان من ملك الله وجلال خلقه ، وعظمة آثاره ، ولأيقن أن هذا الكون على سعته وعظمته لا يمكن في العقول أن يوجد بغير موجد ، وأن له إلهاً مدبراً حكماً هليماً قديراً قيوماً ، وهو الله جل جلاله .

إن سفينة الفضاء التي حمل فيها هذا الرائد لو غفل عنها العلماء الذين يسيرونها أو اختل جزء منها ، أو انحرفت عن مسارها الذي خصص لها قيد شعرة لسقطت وهلك من فيها وصدق الله سبحانه « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » وقال في أمثاله « لهم قلوب لا يعقلون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

إن هذا هو القصص

للأستاذ : حسن جاد

إذن فليسلك هؤلاء ذاك السبيل ليشتبهوا شهرة كبار المحتالين ، وليقلدوا (مرجليوث) وغيره من كل مستشرق على شاكلته ، وليتحدوا مشاهير المسلمين بالنيل من قداسة القرآن الكريم ما وسعهم ذلك ، وليشككوا في القصص القرآني الحق ، وليبلغوا من وراء ذلك ما يريدون من الشهرة ، والجاه ، والمال .

وقد صدر العدد التالي من مجلة الرسالة وليس فيه كلمة مؤمنة تصفع تلك الكلمة الكافرة ، فلم يكن بد من أن يقال كلمة عاجلة في هذا العدد من مجلة الأزهر لأن هذا الظرف ضيق تمثل فيه المجلة للطبع والظهور وأدع التفصيل إلى فرصة متسعة ، أو إلى من هم أقدر مني من العلماء على الإحاطة والاستقصاء :

تناول الكاتب موضوع (القصص القرآني) على هذا النحو الذي يقول فيه :

١ — (في قصص القرآن أحداث ومشاهد نجدها في التوراة والإنجيل ، بل أحياناً نجد مشابهة في سير بعض القصص) ، ثم يكاد ينقض هذه المشابهة أو ينقضها حين يقول : (إن الأمر لا يعدو مجرد اتفاق في أسماء ، ومشابهة في أحداث ، وإن أدنى

في العدد ١٠٨٩ من مجلة الرسالة ، بتاريخ ١٩٦٤/١١/٢٦ م كتب كاتب مقالا عنوانه (مصادر القصص القرآني) ، لا نراه إلا امتداداً لتلك الفكرة الطائشة التي أثارها من قبل نفر تعجلوا الشهرة من أقرب طريق على حساب مقدسات الدين ومقررات الأمة الإسلامية .

ولمنا ندري كيف تسلسل هذا القلم الجاح المنحرف إلى تلك المجلة التي عاشت عمرها على قداسة المروية والإسلام ، وأصبحت في رعاية دولتنا المسلمة ؟

إن هذه البرزة الطائشة من نزوات الجهل الآحق والسقطة الكابية من سقطات التقليد لأحمى ، والثمرة الحبيثة من ثمرات الخنظل الإلحادى التي دس بذورها في الأرض الطيبة بعض المحدثين والمغرورين ؛ لتدفع إليها رغبة جامحة في التماس الشهرة والظهور بالتجديد ، لتتردد أسماء أصحابها على الألسنة ، ويتجاوب ذكركم على الأسماع ، ولو بلغه اللاعنين . وأى سبيل للشهرة والذوبع أقرب من مجابهة الحق ، ومصادمة الشعور ، وإنكار الواقع الثابت ، وتحطيم القيم الشائخة ؟

تصفح القصص القرآني والقصص في التوراة مثلا ليوحى بالمخالفة بينهما) .

٢ - وينتهي من هذه المقاومة المضطربة إلى أن مصادر القصص القرآني ليست هي التوراة والإنجيل ، وإنما هي شيء آخر . ما هو ؟ هو العرب أنفسهم ، وما عرفوه من

من اليهود والنصارى ، وما انتشر بينهم من قصص التوراة والإنجيل عن موسى وأخيه ، وعيسى وأمه ، والمسيح وصلبه ، وغير ذلك مما أولعوا به وتداولوه ، بما رده الشعراء كأمية ابن أبي الصلت الذي (التقط ما هو منتطير في الجو من أحاديث وخرافات ١١ وعكسه في شعره) ، وهو هنا يردد ما تبجح به المستشرقون من تأثر محمد صلوات الله عليه بأمية ، وما نقله من قصصه الشعرى في القرآن .

وبعض الكاتب فيعيد ما رده أساتذة له من قبل ، ويضيف إلى ثقافة العرب التي استقى منها القرآن ، ما تأثروا به من الحديث المفاض عن إبراهيم ، وابنه اسماعيل ، وعن بئر زمزم ، وقصة بناء الكعبة ونحو ذلك .

ثم يقول : (وليس هذا كل الرذاذ الذي انتشر في أفق الجزيرة العربية فكون ثقافة أهلها ١١) ، بل هناك ثقافة أخرى كونتها البيئة العربية بصحرائها الرهيبة ، بلفها الليل ، وتردد فيها أصدااء الرياح ، وتلتصع هيون الشهب بالشرر ، فيوحى ذلك بالرغبة

في نفس العربي ، ويملاؤها بالآوهام ، ويخيلها بالآشباح ، فيجسد ذلك كله بالآوهام والخرافات عن الجن ، والغيلان والسماوي ، والشخصيات الأسطورية .

٣ - والنتيجة لكل هذا في رأى الكاتب العبرى الذى يندق أبواب الشهرة :

أولا : أن مصادر القصص القرآني هي تلك الخرافات ، والآوهام ، والأساطير التي استقرت في أذهان العرب ، وكونت ثقافتهم ، وأن القرآن لم يصد من وجدان العرب وقد تشبع بذلك كله ، ولم يهزأ بما يعتنجان في دلاوهم ، ، ولم يبلغ ما ألفوه من ظنون كاذبة ، وأساطير فاسدة ؛ بل جادهم في ذلك ونقل عنهم ، واستغل هذه الخرافات والأساطير في الدعاية لمبادئه ليكسب لها الرواج .

فشخصية لقمان من الشخصيات الأسطورية الشائعة ، لماذا لا يستغلها ويحملها وصاياها ومبادئه ليضمن لها القبول والنجاح ؟ وكذلك شخصية عيسى ، وشخصية موسى والحضر لماذا لا يستغلها القرآن (فيندق على نعمة تشوف العرب للجهول ومحاولتهم كشف الحجب عن طريق الجن والكهان والعرافين) ؟ . وهكذا كل شخصيات القرآن أسطورية جاري فيها الأساطير العربية ، ولم يصد من الوجدان العربى الذى ألفها .

وهلى هذا النحو قوله تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » ، وفي قصة بناء الكعبة : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ... الآية » .

والكتاب بهذا يسجل جهله الفاضح بحقيقة كلمة (الإسلام) وما تعنيه من الإذعان والقسيم لله ، وهو قدر مشترك في الأديان السماوية ، فهي تنظم كل دين يرتكز على حقيقة التوحيد والإذعان : « إن الدين عند الله الإسلام » .

وعقيدة الجن التي استقرت في نفوس العرب يستغلها القرآن كذلك في الدعاية له ، في هذا الحديث الخيالي ١١ الذي تضمنته سورة الجن ، مع أن القرآن في هذه السورة نفسه يصدد الوجدان العربي في مثل « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ... » .

ثانيا : والنتيجة الثانية التي انحرف إليها قلم الكاتب الخيالي اللاحق ، هي أن القصص القرآني إن هو إلا لون من ألوان القصص الفنى الحديث بما فيه من الرومانسية الخيالية أو اللاوعى السريالي ، أو الواقعية الجزئية التي نشهد لها عند نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم هو القصص الفنى الإيحائي .

وهو هنا قزم يحمل بضعة شموع خافتة

وهنا أسائله : إذا كان القرآن قد جرى الأساطير العربية ولم يصدد الوجدان العربي فيما ألفه ، فما باله يصدد هذا الوجدان بنفى صلب المسيح مثلاً ، مع أن ترك هذا لا يؤثر في استغلال القصة للدعاية للإسلام والتبشير به ١٢ .

ويأخذ جهل الكاتب في الظهور شيئاً فشيئاً فيكشف الثام عن حقيقته المسترة بحجاب الكلمات الخادعة عن إعجاز القرآن البياني (فالعرب يعرفون قصص الحيوان الخيالي ، فيسير القرآن في هذا الاتجاه ويجعل الهدى في قصة سليمان ينطق بمبادئ إسلامية) أى أن النمل لم يتكلم ، والهدى لم ينطق بحقيقة . والكاتب العبقري الجمل يتجاهل حقيقة المعجزة التي خص بها سليمان عليه السلام : (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علما منطلق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين) إلى آخر الآيات من سورة النمل .

ويزداد جهله وضوحاً حين يدلل على أسطورة القصة في القرآن بذكر كلمة (الإسلام) قبل أن يوجد الإسلام ، كما في قوله تعالى : « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، ويقول الكاتب في وقاحة جاهلة : « أشك أن هذا الموقف قد حدث ، فلم يكن الإسلام قد ظهر أيام إبراهيم وأبنائه ١١ » .

إن القصص القرآني - أيها المخدوع - من وحي الله لرسوله قصه بالحق ، وساقه لتأييد هذا النبي الأُمي فيما يدعوا إليه ، وتصديق ما بين يديه من الكتب ، وتصحيح ما حُرف منها ، وبيان ما داخلها من التحريف والتزييف ثم هو للعظة كذلك والاعتبار بما حدث للسايقين ، وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ آتاك رباتك المبطلون .

اقرأ في سورة يوسف : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء - وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

واقرأ ما يؤكد ذلك في سورة آل عمران ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وفي يوسف ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون .

وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، وفي هود ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ، واقرأ في هذه السورة : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » .

ثم اقرأ في سورة النمل : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه

يتطاول بها على ضوء الشمس الساطع الأشم ، فستان ما بين القصة الفنية في أحدث صورها الواقعية التي تجمع الأحداث الجزئية من هنا وهناك ، وبما وجد ، وما يمكن أن يتخيل وجوده ، وبين هذا القصص القرآني الذي يعتمد على الحقيقة الكلية الواقعة فعلاً بخلافها .

لقد قال المشركون من قبل ما حكاه عنهم القرآن الكريم . « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » . والكاتب لا يقف عند هذا ، بل يتجاوز به إلى ما سماه بالإيجاءات والمعاني الثانية إذ يقول . « لقد كان المشركون قصيري النظر حين اقتصروا على ذلك ، ولم يقنّبوا إلى ما تحويه الأساطير من معاني ثانية وإيجات ، ويستدل بقول الرازي (إنهم كتبوا سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس في هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ، ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها ، ولم يفهم الكاتب أن مراد الرازي بالأمور ما يندرج من الحكم والمواعظ التي كشف عنها أو تشير إليها القصة القرآنية وما تدل عليه من صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يبلغه عن ربه ومن أنه عليه السلام مؤيداً من الله بهذه القصص التي تعد بالنسبة إليه من المعجزات .

يقترفونه كوراد البنات، وشرب الخمر، ولعب
الميسر، وغير ذلك مما لا يتسع المقام لتفصيله ؟
لقد خلطت بين الخرافات الوهمية والأساطير
المروية وبين القصص الحق الذي جاءت به
التوراة والإنجيل والقرآن؛ وسلكت سبيل
السعالى، والغيلان، والعنفاء، والمواتف،
وأخبار الأمم السابقة، وأنبياءها فى سلك واحد،
فاشتبهت عليك المسالك، وضللت الطريق
اللاحب؛ فجعلت القصص القرآنى الذى قصه
الله على رسوله وأوحاه إليه تأييداً وإعجازاً،
وعظماً واعتباراً، من وحى العرب
ووجدانهم تملقاً واستغلالاً.

إننا نعرف هذه النعمة النشاز، ونعرف
مصادرها الخبيثة، ونعرف ما ترمى إليه،
مهما تسرت وراء الحديث عن (إعجاز القرآن
الفنى الخالد).

فالقرآن هو ذلك "طور الشاخ"، والحق
الثابت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه، تعالى عن أن يستجدى
قصصه من أفواه من يتحداهم ويسفهمهم
ويدفعهم بالحجة بعد الحجة، وتسمى عن
أن يكون خطايا أو خياليا فى دعوته الساطمة
القوية. وهو بعد ذلك أسمى من أن يتناول إلى
قصصه الحق يراع مسموم، ولا يضيره أن
يزيد عدد السفهاء الذين يشككون فيه
واحداً فى آخر الزمان؟

مصنع جاد

يختلفون، وفى طه: «كذلك نقص عليك من
أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً».
والقرآن الكريم يؤكد أكثر من مرة
أن هذا القصص حق لا مجال للشك فيه، وواقع
لا يتطرق إلى ثبوته شك أسطورى.

«واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق»،
«وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به
فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى
للؤمنين»، «ذلك هيسى بن مريم قول الحق
الذى فيه يمترون»، «وفى سورة الشعراء
ينحتم كل قصة بهذه الجملة: «إن فى ذلك لآية...»،
وهى جملة تؤكد الواقع القصصى، وتصنع
كل شيطان يسكن فى مثل رأسك بامغرور.
وبعد - أيها السكاكب الجدد - أكان يعوز
القرآن أن يتعلق أوهام العرب وأساطيرهم،
وينافق ما استقر فى وجدانهم من الخرافات،
وهو الذى قام على الإقناع المنطقى فى دعوته،
وعلى تحريك النظر، ومخاطبة العقل؟ أكان
يعوزه ليضمن نجاح دعوته، وعدم ازورار
القوم عنها، أن يستغل ما ألفوه، وهو
الذى سفه أحلامهم، وطاب ما عكفوا عليه
من خرافات وثنية وغير وثنية، وحارب
تقليد الأعمى لسنة آبائهم: «إنا وجدنا
آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون»،
«أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً
ولا يهتدون»، ونمى على كثير منهم ما كانوا

طاعة الرسل وطاعة الرسول

لأستاذ عباس متولى حمّاده

وما أرسلنا من هذا الجنس أحداً إلا ليطاع .
فاضطراد طاعة الرسل سنة الله من إرسالهم على
كلا الرأيين محقق وثابت وإن كانت المبالغة
في استغراق النفي أتم من جعلهم من ، صلة زائدة
كما قاله المفسرون ، وخاصة الإمام الرازي (١)
في تفسير قول الله تعالى : وما أرسلنا من
رسول إلا ليطاع بإذن الله .

فكل رسول أرسل إلى قوم يجب عليهم
طاعته ؛ إذ من صد عنهم وخرج عن
طاعتهم ، أو رغب عن حكمهم كان متمرداً
ومعانداً لحكمة الله المضطردة ، وسنته العامة
في إرسالهم ، ومعتلا لمهمتهم ، وغافلاً عن
الحكمة من بهتهم للناس ، ورسولنا صلى الله
عليه وسلم رسول من الرسل فهو بهذا داخل
في مضمون الحكم العام المقرر للرسل عامة ،
وتطبق عليه السنة الألفية المضطردة وهي :
إيجاب طاعته ، والالتقياد لجميع أوامره
صلى الله عليه وسلم لأنه أرسل كغيره للناس .
كما قال تعالى : قل ما كنت بدعا من الرسل
وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع
إلا ما يوحى إلي ، (٢) .

قال تبارك وتعالى : وما أرسلنا من
رسول إلا ليطاع بإذن الله ، (١) .

في هذه الآية وأمثالها يبين الله تعالى فيها أن
الغاية من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام
هي طاعتهم ، والالتقياد لأوامرهم ، والإذعان
لما يبلغونه عن ربهم بما أفاضه عليهم من علوم
ومعارف كشف الله لهم الغطاء عنها ، حتى إذا
بلغوا شريعة ربهم لم يخافوا أحداً ، ولم
يرهبوا في التبايع عنه طاغيا ، أو متجبرا ؛
لأنهم كما يقول تعالى : يبلغون رسالات الله
ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، (٢) .

فطاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام هي
الغاية من إرسالهم ، ولهذا أمر الله بطاعتهم ،
ولم يستثن من ذلك رسولا بل جعل طاعتهم
سنته العامة ، وحكمته المضطردة التي تفررت
بفضل إرسالهم للناس لا تتخلف أبداً .

وسواء أكانت من ، في الآية صلة زائدة
على رأى الزجاج ؛ ليتحقق من زيادتها عموم
تلك السنة واضطرادها . أو أن عموم القضية
استفيد من تنكير رسول ، الواقع في سياق
النفي فيفيد العموم والاستغراق . كأنه يقول :

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣ : ٢٥٨) .

(٢) سورة الأحقاف آية ٩ .

(١) سورة النساء آية ٦٤

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٩

الله عليه كتاباً يقرأ ويتلى ويتعبد به كنوح عليه السلام . فكيف يقال إن طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم تجب في خصوص ما يبلغه من القرآن الكريم فقط ، رغم أن الله تعالى يقول في كتابه الكريم : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله » .

ولقد أرسل الله رسلاً بدون كتب تنلى ، وأوجب لهم الطاعة على أمتهم ، ففي أي شيء كانوا يطيعونهم إن لم تكن طاعتهم يريد الله من الأمر بها أن تكون في جميع ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال صدرت نتيجة علمهم بما أفاض عليهم من علم اليقين ، وإنزال الوحي إليهم ؛ ليسأندهم ويرشدوهم ويأمرهم بما يطلبه الله منهم أن يبلغوه إلى الناس حتى لا يكون للناس على الله حجة . قال تعالى : « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) .

فهل من متدبر لهذا الهدى الإلهي المستفاد من الحكم العام الذي جعله الله لرسوله وهو : إيجاب طاعتهم - وخاصة ومنهم من أرسل ولم ينزل الله عليه كتاباً يقرأ ويتعبد به فله - حتى يخرج من القول في الآيات القرآنية التي جاءت بالنص على الأمر بطاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم بأن الأمر : خاص بطاعته فيما نزل عليه من القرآن الكريم !!

ورسولنا صلى الله عليه وسلم قام الدليل ودلت المعجزة على صدق رسالته فيجب أن يطاع ، وفي ذلك يقول الشاطبي (٢) : « إن العمل بالسنة ، والاعتقاد عليها إنما يدل عليه الكتاب ؛ لأن الدليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم : المعجزة . وقد حصر عليه الصلاة والسلام معجزته في القرآن بقوله : « وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، هذا وإن كانت له من المعجزات كثير جداً بعضه يؤمن على مثله البشر ولكن معجزة القرآن أعظم من ذلك كله » .

فإذا كانت طاعة الرسل واجبة ؛ بل هي السنة الإلهية العامة التي يجب ألا تتخلف عن كل من أرسله من رسله رغم أن شريعتهم كانت خاصة لطائفة ؛ بل إن بعضهم أرسله الله بمجدد شرعية رسول سابق ، وإذا كانت الطاعة مقررة للرسول مع هذا فإن الطاعة تكون أكدر وأشد لزوماً للرسول صلى الله عليه وسلم الذي أراد الله أن تكون شريعته عامة للبشرية وجعلها خاتمة الرسالات . كما قال تعالى : « إنما أنت مفذر ولكل قوم هاد » (٣) ، وقال سبحانه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

بل إذا كانت الطاعة واجبة للرسول عليهم السلام ، وفيهم من بعث لأمتهم ، ولم ينزل

(١) للواقعات (٣ : ١٢) .

(٢) سورة الرعد آية ٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٨ .

هذا ملحظي ، وقد يشترك معي فيه من ينظر في الآية الكريمة النظرة التي أنظرها ، إذ أوجه الدلالات عادة تخضع لنظرة الناظر في الدليل ، ولا يكون ملحظ شخص فيه حجة على شخص آخر .

بقي أن أقول إتماماً للفائدة في قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله » أن قوله تعالى : « بإذن الله » سواء كان الإذن : الإرادة ، أو الأوامر ، أو التوفيق أو الإعانة أو كما قال الراغب : « لازم ذلك » لأنه قال الإذن في الشيء : « الأعلام بإجازته والرخصة فيه غير ناظر إلى خلاف المعتزلة ، وأهل السنة والمرجئة في مفاهيم الإذن ومدلولاته ، بل الذي يهمني أن أثبت أن التعبير « بإذن الله » كان للـ « ترأس عما يظن أن يقال : إن الرسول يطاع لذاته بلا شرط ولا قيد » ، فقيده الله الطاعة بإذنه .

وفي هذا التقيد من الاحتراس ما فيه من الدقة حتى إنهم قالوا : إنه قيد من قيود القرآن الكريم . المحكمة ، المذهبية يظنون من يظنون أن الرسول يطاع لذاته ، إذ الله عز وجل له الطاعة لذاته وحده ، وهو إن أمر بطاعة رسول فطاعته تتحقق بإذنه وأمره لا لذات الرسل وشخصه .

ويهمني أيضاً قبل أن أعرض لما جاء في سورة الشعراء - من دلالة الآيات التي جاءت بعبارة واحدة : « هي قوله تعالى . « فأتقوا الله

ليس هذا هو الذي يباح أن يفهم ، أو يقال في عرف العقلاء لأن طاعة الرسل عليهم السلام حكم عام مضطرد . وسواء من أنزل الله عليه منهم كتاباً أو لم ينزل والأمر فيمن أنزل الله عليهم منهم كتاباً واضح ، ولكن أي طاعة يمكن أن تتحقق لمن لم ينزل الله عليه كتاباً منهم إذا لم نقل بأن وجوب طاعتهم في كل ما يصدر عنهم سواء أ كان كتاباً مقروءاً أو غير مقروء ؛ لأنهم الصفوة المختارة من خلقه التي يجب أن تتبع وتطاع ، ولا تعصى في كل ما يصدر منها ، أو يؤثر فيها لاصطفاء الله لهم بشرف التبليغ والرسالة . قد يقال إن الشافعية يقولون : ما من عام إلا وخصص وأنت شافعي . قلت إن ما سأعرضه في سورة الشعراء من تعدد الأوامر بطاعة الرسل التي حكاها الله على ألسنتهم يدفع احتمال التخصيص ويرده ، ولهذا فأنى لا أجد في نظري آية من الآيات القرآنية الكثيرة التي استدل بها العلماء على حجية السنة ، ولا يستطيع المنكر لحجيتها أن يتأولها ، أو يدفعها إذا لاحظ فيها أن طاعة الرسل حكم عام أوجبه الله على العباد سواء منهم من أنزل الله عليه كتاباً ، أو لم ينزل ، فإنها من هذا الاعتبار المقر فيها أعصى على المنكرين لحجية السنة في ردها أو تأويلها من غيرها ؛ لأن طاعة الرسل : سنة الله العامة التي أوجبه الله لرسوله على عباده بدون استثناء ، أو تأويل مقبول .

ولعلك باخع نفسك ألا يسكنوا مؤمنين^(١)..
فأبان الله جلته له ما تعرض له الرسل
عليهم السلام من قبله ، وأنهم رغم ما تعرضوا
له استمروا في التبليغ ، وأمرهم لأمرهم بطاعتهم
في جلد وصبر . قال تعالى : « فاصبر كما صبر
أولوا العزم من الرسل »^(٢) .

فهذا نوح عليه السلام وقد مكث في قومه
ألف سنة إلا خمسين عاما قص الله قصته
في القرآن الكريم ، فيقول تبارك وتعالى :
« كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم
آخرهم نوح ألا تتقون ، إني لكم رسول
أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم
عليه من أجر إن أجرى إلا هلى رب العالمين
فاتقوا الله وأطيعون »^(٣) .

فأفقه تعالى يحكى عن نوح عليه السلام أنه
قال لقومه : « إني لكم رسول أمين ، وشأن
الرسول الأمين أن يطاع ، ولكنه رغم
ذلك أعقبه بقوله تعالى « فاتقوا الله وأطيعون »
ثم يقص الله لنا أنه قال لقومه « وما أسألكم
عليه من أجر » ، ثم يعقبه بقوله تعالى :
« فاتقوا الله وأطيعون » ، إذ الشأن في الناس
الإعراض عن من يطلب هوضا ، وخاصة إن
كان يدعو إلى دين . ثم تمضى الآيات إلى نهاية
قصته بعد أن كرر الأمر بطاعته مرتين

وأطيعون ، على لسان كثير من الرسل
حكمها الله في القرآن عنهم - أن أنبه إلى
أنها وإن كانت وردت في شرائع غير شريعتنا
إلا أن ورودها في القرآن الكريم جعلها كما قال
الشاطبي^(٤) من « التعبد بأمره » يقول صرف
لا نظر فيه لاحد ، اه . لا سيما وقد ورد
في شرعنا ما يقرره ، وهو قوله تعالى : « وما
أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله » .
وتحقق وصف الرسالة بالمعجزات التي أهمها
القرآن الكريم كما ذكرت .

وأیضا فإن القصص إنما سبق في القرآن
الكريم للاعتبار به ، وليطاع الله عز وجل
ويطاع رسوله صلى الله عليه وسلم ويتبع .
وليؤمن الناس بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم

سورة الشعراء وطاعة الرسول

لما كانت سنة الله في إرساله الرسل عليهم
السلام أن يطاعوا نادى كل رسول ، ودعا
كل مبعوث قومه إلى طاعته ، وقد حكى الله
تعالى ذلك عنهم في القرآن الكريم في قصصهم
التي ذكرت في سورة الشعراء :

إذ حكى الله تعالى على لسان الرسل أمرهم
بطاعة أممهم لهم ، وذلك حينما رأى من
رسولنا صلى الله عليه وسلم تأثره من إعراض
قومه عنه ، ونحالفهم له فيما يقول ،
وإعراضهم عنه فيما يبلغ عن ربه . فقال تعالى

(١) - سورة الشعراء (٣) .

(٢) - سورة الأحقاف (٣٥) .

(٣) - سورة الشعراء (١٠ - ١١) .

(٤) (المرافقات ٣ ، ٤١)

ثم يقبها الله تعالى بقصة شعيب عليه السلام ، ويذكر فيها أنه قال لقومه مثل ما قاله من سبقه : « إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون ، »^(١) ويمضي شعيب في وصاياه إلى أن ينهى الله قصته .

ثم يقبص الله تعالى كل ذلك بما فيه العزاء والسلاوى لقلب رسولنا صلى الله عليه وسلم المتألم ؛ ليفيض عليه قوة ، ويعطيه متعة ، ويمدحه مشابة ، فيقول له قوله العزاء والسلاوى بل قوله الرضا والتفضل ؛ لينحبه ثقة ربه ، فيقول تبارك وتعالى : « ولأنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . لعلهم عربى مبین . ولأنه انى زبر الأولين ، »^(٢) .

فطاعة الرسل عليهم السلام من الامد إلى الابد واجبة على جميع من يبلغونهم سواء منهم من أنزل الله عليه كتابا ، أو لم ينزل الله عليه كتابا فطاعتهم حكم عام مقرر وسنة متبعة .

والرسل عليهم السلام نادوا منذ إرسالهم لأمتهم بطاعتهم رغم أن الطاعة كانت منطقية مع حكمة إرسالهم . ولكنها قاهرة عامة ، وسنة إلهية لا يصح أن تتخلف فكذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم يجب أن يطاع

في أولها ، ونوح عن لم ينزل الله عليهم كتابا فنى أى شئ . كان يطلب طاعته ؟ .

ثم يحكى الله قصة هود عليه السلام مع قومه عاد فيصدرها بقوله تعالى : « إني لكم رسول أمين . » ثم يعقها بقوله تعالى : « فاتقوا الله وأطيعون ، »^(٣) ثم يحكى بعض عبارات قالها لقومه لينبهم إلى مهمته ، ثم يعود سريعا فيقول لهم ما قاله في أول قصته « فاتقوا الله وأطيعون ، »^(٤) ثم تمضى الآيات إلى نهاية قصته .

ثم يحكى الله تعالى قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود فيقول لهم ما قاله كل رسول إلى قومه : « إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون ، »^(٥) . ثم تمضى الآيات حتى إذا قاربت منتصف قصته يحكى الله عنه أنه قال لقومه « فاتقوا الله وأطيعون ، »^(٦) .

ثم تمضى الآيات إلى نهاية قصته مع قومه فيردف الله تعالى قصته بقصة لوط عليه السلام مع قومه فيصدر الله تعالى قصته بما قاله لإخوة له من الرسل عليهم السلام سبقوه في دعوة أقوامهم : « إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، »^(٧) . ثم يحكى الله قصته إلى آخرها .

(١) - سورة الشعراء (١٢٦ ، ١٢٥) .

(٢) . . . (١٣١)

(٣) . . . (١٤٣ ، ١٤٤) .

(٤) . . . (١٥٠) .

(٥) . . . (١٦٢ ، ١٦٣) .

(١) سورة الشعراء (١٨٧ ، ١٧٩)

(٢) . . . (١٩٢ - ١٩٦) .

أعادها مرتين في أول قصته ، وبعضهم كررها مرتين في خلال قصته ، ومع ذلك لا يحس القارى أنها جاءت مكررة ، أو ممادة أو ثقيلة على الاسماع والنفوس ؛ لأنها في كل مرة يذكرها الله تعبر عن معنى جديد بحيث يكون لها وقع في النفوس وجرس في الاسماع . وإنما جاء هذا في القرآن الكريم ليقرر الله الحكم العام بطاعة الرسل في الأذهان وليستقر في النفوس .

ولكن أى نفوس وأى أذهان يريد الله تعالى أن يقرر لديها هذا المعنى : أن نفوس الأمم السابقة وقد مضت ؟ أم نفوس الاجيال المقبلة التى تنتظر رسالة بعد رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم . والرسالات قد ختمت برسالاته وانتهت بعثته .

ليس هذا ولا ذاك يريد الله قطعاً لمنافاته للواقع ولعارضته الأدلة القطعية ، فلم يبق غير نفوسنا وأذهاننا التى يقرر الله تعالى لها هذا الحكم العام . ويريد بهذا البيان الذى ذكره في قصص الرسل عليهم السلام بهذا النسق أن تكون طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم معلومة لدينا علماً ضرورياً لا يجوز أن يتأذى ، أو يشك فيه إنسان ، أو يجادل فيه عاقل . بصرنا الله دائماً بهدى القرآن وجنبنا الزلل والزيغ آمين .

عباس بن سري محمد

في كل ما يصدر منه ، سواء أكان قرآناً يتلى ويتعبد بلفظه ، أو غير قرآن وهى : سنته ؛ لأنه رسول قامت الأدلة والبراهين على صدق رسالته .

فهل بعد هذا يمكن أن يقال : إن طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم إنما يجب في خصوص ما يبلغه عن ربه من القرآن الكريم ؟ ١١٩ وهو كما ترى متناف مع الحكم العام المقرر للرسل عامة بدون استثناء أحد منهم من هذا الحكم العام وهو : الطاعة التى نادى بها الرسل عليهم السلام وحكامها الله تعالى لنسأ في سورة الشعراء ، وهرضها عرضاً بارحاً لا يقدر أن يأتى بمثله أحد . قال تعالى : قل لمن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (١) .

فيا الله ما أروع هذا العرض ، وما أجمل للغاية منه فهذه فقرة واحدة قصيرة فاقوا الله وأطيعوا ، يكررها الله تعالى في سورة واحدة حكاية على لسان الرسل عليهم السلام ومع ذلك ما أحسن قارى لها منا بتكرارها فيما بالنا بالعرب الفصحاء ، وكيف كان تذوقهم لهذا الهدى القرآنى الكريم الذى جاء حتى في القصص بهذا النسق البديع .

فقرة واحدة تأتى بلفظ واحد في قصص كثير من الرسل عليهم السلام ، وبعضهم

عصمة الأنبياء بين اليهود والنصارى والقرآن

لداستاند علی الخطیب

والعصمة بهذا المعنى شأن . وإنه لخطير
بين اليهود ، والنصارى ، والقرآن .

فأما اليهود : فشكل أجيالهم التي تعبدت
بالتوراة المتداولة المعروفة بالعهد القديم
مع ما ضم إليها من صحف - هؤلاء جميعاً
لا يقرون بعصمة نبي ، ولا يؤمنون بنزاهته ،
ويستوى في نظرهم هذا موسى عليه السلام
نفسه ، ومن قبله من كل أنبياء العهد ،
كما لم يسلم من تعالقاتهم من أتى بعده من
أنبياء .

فالرسول الذي نصب هادياً ومرشداً
لا يرى فيه اليهود مانعاً يمنعه أن يقتل أو يزن
أو يكذب ، فلا كرامة أنبي عليهم ،
ولا يذكرون في باب النزاعة فارقاً بين نبي
وغير نبي فالكل في ذلك سواء .

وعلى هذا المنوال نسجوا الأنبياء واحداً
بعد الآخر معصية :

نالوا من موسى عليه السلام دبراً أه
بما قالوا وكان عند وجهها ، ٦٩ الأحزاب .
ومر قبل موسى نالوا من نوح عليه السلام
فصوروه عريداً قد شرب الخمر وتعرى حتى

يختار الله الرسول من بين خلقه فيسير على
نهج يأخذه به ربه ، ويسلكه فيه فيصنعه على
هينه ، ويطبعه على طاعته ، فلا تشينه شائبة
تسقط من مروءته ، أو يفضي لها طابع
وجولته ، وتنمو مكارم أخلاقه ، وتنشط
فيه صفات القيادة ، ويوسعه ربه حلماً وعلماً ،
وهديلاً ورحمة ، وبراً وكرماً حتى إذا جاءت
الرسالة أداها بإيمان وقوة ، لا ينطق فيها عن
هوى ، ولا يتحدث فيها برأى . وهو فوق
ذلك كله معصوم من الخطأ .

وهذه العصمة شاملة .

فإذا علمنا أن ما يأمر به الرسول أو ينهى
عنه يعتبر إتيانه أو الكف عنه عبادة .

وأن ما يؤديه من صلاة أو زكاة أو صيام
أو حج يعتبر عبادة

وأن ما يشاهده في قومه فيسكت عنه
لا يعتبر معصية .

قلنا : إنه معصوم في ذلك كله لا يخطئ فيه .
لخصائصه فيه قائمة . وعصمته من الخطأ فيه
كاملة . فهو من قبل الرسالة على خلق كريم ،
ومن بعدها على خلق عظيم .

الكتبة الكاذب ، خزي الحكاء ، ارتاعوا وأخذوا ، هاقذ رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم ، إرميا ٨ - ٩ ، ١٠ ، كما قال أيضا :
 « أما وحى الرب فلما تذكره بعد ، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرقتم كلام الإله الحى وب الجنود إلهنا ، إرميا - ٢٣ ، ٣٦ » .

حين ثار إرميا عليهم ثورته اتهموه بالتجسس لحساب أعدائهم وألقوا به فى السجن كما يقص سفره ، إرميا ٣٧ - ١٥ إلى ٢١ » .

وأما سليمان عليه السلام فسلطه فى نفس التهمة التى ألصقت بهرون ورموه بالوثنية وجعلوا « عشقورث ، وملوكوم ، وكوش ، ومولك » من الآلهة التى مال قلبه إليها زمن شيخوخته « ملوك أول ١١ - ٤ إلى ٩ » .

ولم تكن حملات عيسى بن مريم عليهما السلام هيئة عليهم ، ولما لم يكن ملكا ، ولا محاربا وكان حصورا فقدوا كل أنواع التهم المتقدمة أن يلصقوها به فادهوا فيه وهو ابن البتول أنه ابن رشدة - زنا - وهى تهمة موجهة فى الواقع إلى مريم عليها السلام . فلعنهم الله « ... بكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ... » .

هذه منزلة النبوة بين اليهود ، وقد استحقوا بها لعنة داود ، وعيسى عليهما السلام فيهم « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا

ظلمت هورته ، تكوين - ٩ - ٢٢ ، ٢٥ » .
 وطغى نصيب لوط على نصيب نوح وتعدى السكر والعريضة إلى أشنع جريمة يمكن أن يسمع بها بشر فقد اتهموه فى ابنتيه وأنه نالها واحدة بعد الأخرى « تكوين - ١٩ - ٣٠ إلى ٣٧ » .

ونالوا من هرون عليه السلام فى مهمة النبوة الأولى فصوره يدفعهم إلى الوثنية ويقول لهم : « انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبناتكم ، وأتوني بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها هرون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل ، وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر » ، « خروج - ٣٢ - ٢ إلى ٤ » .

وجعلوا داود عليه السلام قاتلا فى أخبث رواية إذ صوروه يعجب بهال إسرائيلية رأها خلصة فاحتال لإبعاد زوجها « أوريا » عنها ودفعه إلى ميدان القتال ، وفى الخطوط الأمامية لى حقه ؛ فأمكنه أن يتزوجها « صموئيل ثان - ١١ - ١ إلى ١٧ » ، وهى حيلة لا تخرج بها عنها عن الإثم ، ولا تبرئته من الجريمة فالمسبب فى القتل كفعله .

وحين ثار عليهم « إرميا » النبى وسخط على الكتبة الذين يحرفون الكتاب وقال لهم « كيف تقولون نحن حكماء ، وشريرة الرب معنا . حقا . إنه إلى الكذب حولها قلم

وبعصمة البابا أصبح للبابوية لإنجيل مفتوح يستطيع أى البابوات أن يسطر فيه ما شاء ، ومع ذلك لم نر أحدهم يقدم دراسة لدفع هذه الاتهامات عن أولئك الأنبياء المصطفون الاختيار . بل إن (البابا) الراحل أمر بحذف صلوات استمر الكاثوليك يرددونها مئات السنين ، ثم تبين أنها حذفت لما فيها من لعنات على اليهود . فكان اهتمامه برفع السخط عنهم أهم بكثير في نظره من اهتمامه بالأنبياء أنفسهم ، ومضى تاركا قضية النبوة لأهواء اليهود .

ويختلف الأرثوذكس عن الكاثوليك في قضية العصمة ؛ فليست عندهم محصورة في رأس الكفيسة لأى مذهب أرثوذكسى ، وأى البابوات الأرثوذكس لا يعتبر معصوما في نظرهم ، ويقررون «العصمة» للجامع المسكونية وحدها؛ فقرارات هذه المجامع تعتبر معصومة من الخطأ ، وهذه المجامع مؤتمرات دينية تعقد على مستوى عالمي شامل للنظر في القضايا الدينية ، والشئون الكنسية وبدأ أول مجمع منها عام ٣٢٥ م وكان يأمر بعقدها الملوك المعاصرون لغوثها (١) وفي هذا الخريف دعت كنيسة الفاتيكان إلى مجمع منها . غير أن قرارات هذا المجمع تواجه من

يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، المائدة ٧٨ ، ٧٩ . وهكذا ذهب اليهود بوزرهم في الأنبياء . وجاء المسيحيون : ولما كانوا يقرون بالعهد القديم لم يقدموا حلا لتلك القضية ولم يبرئوا أولئك الأنبياء والكرام من فرى اليهود ، ورغم أن للعصمة دراسات مسببة في كهنوتهم ؛ فلم يحظ منهم أولئك الأنبياء بمكانة العصمة في حين وزعت منهم على غير الأنبياء .

فأما الكاثوليك فيرون أن «الكتب المقدسة» لم تذكر كل شيء ، ويعنى هذا أن جانباً دينياً ضخماً بقي في حاجة إلى تشريعات لذلك جعلوا من (بابا روما) مسيحاً منظوراً ورأوا أنه «معصوم من الخطأ» في أحكامه الدينية فكل ما يشرعه في جانب الإيمان ، وما يحدده في جانب العقيدة يعتبر قضايا يقينية غير قابلة للتحوير أو التبديل كما أن تقاريراته ليست بحاجة إلى موافقة الكنيسة عليها فهي صحيحة دون موافقتها ، ومن حقه أيضاً أن ينشر تعاليم إيمانياً ويحتم حفظه ؛ لأن فحص الآيات خاص به منذ أجيال ، (١) .

(١) انظر الصفحات (١٤٧ - ١٥٦ - ١٥٧) ١٥٩ - ١٦٦) من كتاب « شرح التعليم المسيحي » ج ١ لافس يوسف لويس . مطبعة البرتيرى ١٩٣٩ م . وكتاب « سلاحك أيها المسيحي » ص ٢٢٧ مؤلفه نعمة الله العنارنى المرسل البناني - جونييه - لبنان .

(١) انظر ص ٦٨ من كتاب « التعليم المسيحي الأرثوذكسى » للأغناطيوس فرزلى . مطبعة أناتولى . اسكندرية .

في العالمين ، إنما كذلك نجمي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين .

فزوج عليه السلام مؤمن بربه ، شاكر له ، محسن في طاعته ، محوط بهداية الله المقررة له فمنذا الذي يخرق عليه ما أَرادَه الله له من هداية ويسقيه خمرًا ، ومن يهد الله فلا مضل له ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

ولوط عليه السلام في جملة من فضلهم الله على العالمين فقال : د وإسماعيل ، واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين .

ويعني القرآن الكريم وحده فيقول : د ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين ، وأدخلناه في رحمته لأنه من الصالحين وهكذا يقر الله سبحانه صلاح لوط الذي جعله من المفضلين على العالمين والله سبحانه لا يستحي من الحق ، وما كان ليقرر فضل لوط وصلاحه إلا ولوط عليه السلام طاهر صالح برىء من الإثم وكفى بالله شهيدا .

ولقد أجمع رجال القانون من كل عصر وجيل أن الاعتراف سيده الأدلة ، والقرآن يسوق هذا الدليل في مسألة هرون ، فوسى عليه السلام استمع إلى شهود القضية فقرروا جميعا إثم السامري ، وقالوا : حملنا أوزارا من زينة القوم ففدناها فكذلك أتى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوارفة قالوا هذا الهكم وإله موسى .

الأرثوذكس حربا عنيفة ، ولا يبدو أنها ستحظى بالعصمة هذه المرة

والقراء في العالم أجمع يعيشون لحظات هذا المؤتمر الأخير بدوافع شتى لكن المؤلم أن مؤتمراً واحداً من هذه المؤتمرات لم يتبرع برفع وصمة اليهود عن الأنبياء .

والبروتستانتية التي حملت بعنف عاصف على (عصمة) بابا روما وقفت موقفا سلبياً من نفس القضية رغم ما اتسمت به من ثورية هادفة في قضية البابوية .

ويعني هذا أننا نخلص من المسيحية إلى قرار غريب : (قرار يرى العصمة جائزة وموجودة في غير الأنبياء ، وليست موجودة في بعض الأنبياء) فالجامع المسكونية هند الأرثوذكس ، و (بابا روما) عند الكاثوليك ذرو عصمة . بينما داود وغيره ممن هددنا من الأنبياء لا عصمة عندهم .

ثم جاء الإسلام والقرآن وحبه وترجمانه . وحصر الإسلام العصمة في الأنبياء وحدهم وقرر برأتهم جملة وتفصيلا ، ولا زال من تعاليمه لا نبأه أن يقولوا د آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وهيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ١٣٦ البقرة . ونص القرآن في نوح أنه كان عبداً مثكورا ، و نوحا هدينا من قبل ، د سلام على نوح

نفسها لعب الإنسان فيها دورا ملحوظا (١) وهذا عين ما قرره إرميا .

وأما مريم البتول صلوات الله وسلامه عليها فهي صفوة نساء العالم في طهارتها وإخلاصها لله وحرصها على رضاه ولقد أسمى الله هذه الشهادة وهي لا تزال بين الأحياء وزفتها لإليها الملائكة فقالت: يا مريم إن الله اصطفاك ، وطهرتك ، واصطفاك على نساء العالمين ، ٢٤ آل عمران . ولا عجب بعد هذا أن يكون عيسى ابنها عليه السلام (وجهها في الدنيا والآخرة ومن المقر بين) بشهادة القرآن (٥٤ آل عمران) .

وليس بين ما بقي من كتب السماء إلا القرآن يقرر - وحده - براءة النبوة ، وكال عنصرها ويصدق بالحق مغتريات اليهود ويرد كيدهم بتفصيل ، ويعيد للنبوة جلالها ، ويرفع لها كمالها ، ويكشف للعالمين جرم اليهود في حق صفوة البشر جلالاتها وكلالها ، ومن شرف القرآن ، وإعجازه المحيط أن تسطر آياته الحكيمة تلك البراءة ، وتذيعها على العالمين إلى يوم الدين بيانا بالحق ، وببصرة وذكرى لأولى الألباب ، فسحقا للفقيرين ، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ؟

على الخطيب

بجمع البحوث الإسلامية

وكر موسى على السامري قال : دفاخ عليك يا سامري ، قال بصرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي ، .

وهكذا اعترف السامري وشهد الشهود ولا بيان ببراءة هرون أنصع من هذا .

وداود عليه السلام ممن قال الله فيهم دمين هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرو ساجدا وبكيا ، وجعله سبحانه أسوة لمحمد صلى الله عليه وسلم حين كثر الأذى عليه فقال تعالى لمحمد : اصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ، ، وهل كان سبحانه وتعالى يجعل من قاتل أسوة ... ١٩ وقال الله في سليمان بأنصع عبارة وأبسطها وأسرعها فهما دوما كافر سليمان ، وبرأه الله وقال فيه د نعم العبد إنه أواب ، فلا كفر ولا زيف ولكن طاعة مستمرة وتعلق دائم بالله ، وحب خالص له .

ولم تمر حادثة إرميا بسلام فلا تزال شهادته فيهم تبعث الريب حتى في حاخامات اليهود أنفسهم ؛ وقد دفع ذلك وغيره الحاخام اليهودي المعاصر دكتور لويس جاكوبس إلى الشك في المهد كله جملة وتفصيلا .

وأثار بذلك حاصفة بين يهود بريطانيا بكتابته لدينا ما يجعلنا نؤمن ، وقرر فيه أن الكتب التي تنسب إلى موسى عليه السلام

(١) انظر الجمهورية ٢٦/٤/١٩٦٤ ص ٨١ .

الوراثة وقوانينها وقظاها الغريبة ومراعاتها في الجاهلية والإسلام د. استاذ الدكتور على عبد الواحد داني

(١٨٢٢ - ١٨٨٤) نبغ في العلوم الطبيعية نبوغاً كبيراً ، وتوفر على دراسة الوراثة في عالم النبات بوجه خاص ، ثم عمم بحوثه فيما بعد ، وقد أتيح لمكتبة شغاته في هذه الميادين الدايوع والانتشار ، فأصبحت للشغل الشاغل لجامعة الباحثين في الوراثة ، حتى لقد جعلها العلماء موضوعاً لشعبة مستقلة يندرجونها لآله فيطلقون عليها اسم «مندليسم»

ومن يرجع لإيهم كذلك فضل كبير في بحوث الوراثة العلامة الفرنسي ريبو Ribot (مزرجال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ١٨٣٩ - ١٩١٦) وقد عني بوجه خاص بدراسة الوراثة النفسية في الإنسان ، أي وراثة الاستعدادات المعنوية المتعلقة بالإدراك والوجدان والنزوع ، كالغريزة والعادة ، والإرادة ، والإدراك الحسي ، والذاكرة والذكاء ، والعواطف ، والميول... وما إلى ذلك وألف في ذلك كتاباً قيماً بعنوان «الوراثة النفسية» ، أثبت فيه بالأدلة القاطعة أن الصفات العقلية ، والخلقية لا تنتقل هي نفسها إلى الجنين

ينقل إلى السكان الحي من أصوله الخاصة القريبة والبعيدة ، ومن فصيلته العامة صفات كثيرة يتعلق بعضها بتكوينه المادي ، وبعضها باستعدادات ، وأمور نفسية ومعنوية مترتبة على هذا التكوين المادي ، وهذا الانتقال هو الذي يطلق عليه اسم الوراثة ، وهو عام في جميع الكائنات الحية : في النبات والحيوان ، والإنسان .

وقد عني الباحثون منذ عصور سحيقة في القدم بدراسة الوراثة ، وانسعت بحوثها اتساعاً كبيراً حتى أصبحت علماً مستقلاً متعدد الفروع ، واهتدى العلماء إلى الكشف عن طائفة كبيرة من القوانين التي تخضع لها ظواهرها ، فكشفوا الغطاء من قوانينها العامة التي تحكم النبات والحيوان والإنسان وعن قوانينها الخاصة بنوع من هذه الأنواع أو بفصيلة منها .

ومن أهم هذه القوانين ما اكتشفه العلامة مندل Mendel ، وهو قسيس نمسوي من رجال القرن التاسع عشر

الأولى، أو من الدرجات التالية لها، ولم تكن ظاهرة في أصله المباشر، فيخيل إلينا أنه قد ورثها من أجداده أو جداته، وأن هذه وراثته غير مباشرة، والحقيقة أن الطفل لا يرث هذه الصفات عن أصله البعيد، ولا يعقل أن يكون قد ورثها عنه، لأن هذا الأصل لم يكن له دخل في تكوينه، وإنما يرثها عن أصله المباشر نفسه الذى خلق من مائه. وذلك أن هذه الصفات مع هدم ظهورها في الأصل المباشر كانت موجودة لديه في صورة مستكنة قابلة للانتقال إلى الفروع

ومن الوراثة أنواع غريبة تظهر في بادئ الرأى شاذة، خارجة عن الأوضاع المألوفة، صعبة التفسير، ولكنها عند التأمل العميق يتبين أنها تخضع للقوانين نفسها التى يخضع لها غيرها من الأنواع الوراثية العادية، وتنبعث عن العوامل نفسها التى تنبعث عنها هذه الأنواع. ومن ذلك ما يسمونه بالوراثة المتحددة الأزمنة. وذلك أنه قد يظهر عند الأصل في مرحلة ما من مراحل حياته صفة عارضة جسمية، أو نفسية، ثم تظهر هذه الصفة نفسها عند الفروع حينما يبلغ السن التى ظهرت فيها عند أصله، مع أنها لم تكن موجودة عند الأصل في الوقت الذى علقت فيه الأم بالفروع، ويبدو هذا النوع على

الإنسانى، وإنما ينتقل إليه ما تعتمد عليه من دعائم في التكوين الجسمى والعصبى، فالوراثة في نظره ظاهرة جسمية خالصة، والصفات الجسمية وحدها هى التى تنتقل عن طريقها، أما الصفات العقلية والخلقية فلا تنتقل بطريق مباشر، وإنما تنشأ عن وراثته لبعض أوضاع مادية في الجسم والتعدد والجهاز العصبى.

ومن أم ما اكتشف من قوانين الوراثة قانون التغلب في الصفات الموروثة، وقانون الوراثة الخاصة غير المباشرة؛ أما قانون التغلب في الصفات الموروثة فيقرر أنه قد يحدث في تكوين الطفل أن تغلب صفات أحد أبويه على صفات الأب الآخر فتمسكن الصفات المغلوبة وتختفى مظاهرها حتى ليخيل إلينا عدم وجودها، مع أنها تكون في هذه الحالة موجودة مستكنة؛ وآية وجودها أنها قد تنتقل بطريق الوراثة إلى أولاد الفروع المستكنة لديه، وأما قانون الوراثة الخاصة غير المباشرة أى الوراثة من الأجداد والجدات عن مختلف الدرجات فيوضح القانون السابق وبكلمة لاذيقر أنه قد ينتقل إلى الطفل بطريق الوراثة بعض صفات كانت ظاهرة في أحد أجداده أو إحدى جداته من جهة الأب، أو من جهة الأم من الدوجة

على الإفادة منها في شئون الزوج ، وصلة الرجال بالنساء ، وإنجاب الأولاد ، وثبوت النسب ، ونسب كثير من الخيبراء في ظواهرها ، ووجوه تطبيقها .

فإن ذلك أن معظم عشائرم كانت تكره الزواج من القريبات لما أرشدتهم إليه خبرتهم في شئون الوراثة . من أن زواج الرجل بقريبتة ينتج نسلا ضاوياً (١) ضيف الجسم والعقل ، وفي هذا يقول شاعرهم :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة
خافعة أن يضوى على سليل
ويقول الآخر :

أئذ من كان بعيد المم
تزوج أولاد بنات العم
فليس بناج من ضوى وسقم
ويقول الآخر :

ألا فتى نال العلى بهمه
ليس أبوه بابت عم أمه
وتتفق آراؤهم هذه مع ما ظهر للمحدثين من قوانين الوراثة ، وذلك أن الزوجين إذا كانا من أسرة واحدة انتقل إلى أولادهما بطريق الوراثة جميع الصفات الوراثية السيئة التي تختص بها أسرتهما لوجودها في الأصلين

الآخر في صفات الأمراض والعياهات . وقد سجل له الباحثون عدة أمثلة واقعية ، منها أن بعض الأفراد قد أصيبوا بالعمى أو بالصمم لأسباب غير معلومة بعد أن بلغوا سناً معينة ، وأن بعض أولادهم قد أصيبوا بالعمى نفسها حينما بلغوا هذه السن ، مع أنهم في وقت العلوق بهم لم تكن أصولهم مصابة بشيء من ذلك . ولكن هذا النوع نفيه ، مع غرابته وخفاء أسبابه في الظاهر ، يعتمد في الواقع على الدعائم نفسها التي تعتمد عليها الظواهر العادية في الوراثة وتنفير ذلك أن الأصل في مثل هذه الأحوال كانت لديه جراثيم مرض كامنة وأوضاع واستعدادات جسمية خاصة ينتج منها بعد فترة ما فقد البصر أو السمع ، وأن هذه الأوضاع وتلك الاستعدادات التي كانت كامنة في الأصل انتقلت إلى الفرع في المادة الحيوية التي تألفت منها أجزاؤه ، وترتب على انتقالها بطريق الوراثة ظهور المادة لديه في الميقات الذي الذي يحدده ما ورثه في تكوين جسمه وجهازه العصبي . وهذه الحالات تبين أنما خمار الوراثة ودقة قوانينها ، وأن ويلاتها تحقيق بكثير من الناس من حيث لا يشعرون .

* * *

(١) ضوى الولد يضوى ضوى من باب تعب إذا صغر جسمه وهزل ، والضوى الهزال ، وأضواء غيره أى تسبب في هزاله وضعفه .

هذا ، وقد فطن العرب في الجماعية إلى حقائق لوراثة ، وقوانينها ، وحرصوا

وأن هذا العظيم كان يعتبر مجرد أداة استخدمت لإنجابه .

وكان العرب في الجاهلية يلجئون إلى الخبراء منهم في شئون لورثة لتحقيق نسب الولد في الحالات التي لا تكون ثمة دلالة أخرى على نسبه ، أو في حالة الشك في نسبه ، كما نلجأ نحن في الوقت الحاضر في مثل هذه الحالات إلى فحص فصيلة الدم ، وأكثر حالات التجايم إلى ذلك كانت في صدد أولاد البغايا ، وقد أشارت إلى ذلك السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فيما أخرجه عنها البخاري موقوفاً إذ تقول : « كان يجتمع الناس الكثيرون فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها ، ومن البغايا ، وكن ينصبن على بيوتهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضع حملها جمعوا لها ودعوا القافة ، ثم أخذوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ، ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، » (١) والقافة هم الخبراء في فن القياقة ، وهو فن كان منتشراً عند العرب في الجاهلية يستطيع الراسخون فيه أن يعرفوا الأصل الذي انحدر الولد من مائه عن طريق الشكل الخارجي لتكوين أعضائه ولون بشرته وما إلى ذلك ، وفقا لقوانين الوراثة ، والقافة أيضا الذين يعرفون آثار الأقدام ويعرفون

مما ظاهرة أو مستكنة ؛ على حين أنهما إذا كانا من أسرتين مختلفتين فإنه يندران يتحدان في صفة وراثية سيئة ، بل تكون صفاتهما الوراثة متفوعة في العادة . فيقابل نواحي الضعف في أحدهما نواح قوية في الآخر ، فيحدث بذلك التعادل فيما ينتقل عنهما إلى أولادهما بطريق الوراثة ؛ فينشأ هؤلاء الأولاد متوازي الصفات ، معتدين في نواحيهم الجسمية ، والعقلية ، والحلقية .

ومن مظاهر خبرة العرب في الجاهلية بحقائق الوراثة وحرصهم على الإفادة منها ، أن بعضهم كان يلجئ زوجته إلى ما اشترت تسميته بالاستبضاع ، وقد شرحت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها نظام الاستبضاع فيما أخرجه عنها البخاري موقوفاً إذ تقول : « كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها (حيضها) أرسلني إلى فلان فاستبضعني منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسه ، حتى يقبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها ، إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، » (١) ويظهر من هذا النص أن هذا كان يتم برغبة الزوج بل بأمره ، وأنه كان يفعل ذلك حرصا على نجابة الولد ، وأن هذا الولد كان يعتبر ولدا للزوج الشرعي ، لا للعظيم الذي جاء من صلبه

(١) المرجع السابق نفسه .

(١) صحيح البخاري في باب من قال لا نكاح إلا بولي .

هزبلا، وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال :
 « يا بني السائب قد ضويتم فانكحوا في الغرائب ،
 ومر عمر على قوم من قریش صغار الأجسام
 فقال : ما لكم صغرتهم ؟ قالوا : قرابة أمهاتنا
 من آبائنا . قال : صدقتم .

وكان الرسول عليه السلام يرتاح لآراء
 الخبراء في الوراثة ، وذوى الفراسة في شئونها .
 يروى أن زيد بن حارثة كان نائما مع ابنة
 أسامة تحت غطاء واحد لم يظهر منه إلا أقدامهما
 فمر عليهما خبير في الوراثة ، ووقع نظره
 على أقدامهما ، فقال إن صاحب هذه الأقدام ،
 مشيرا إلى أقدام زيد لا بد أن يكون أبا هذه
 الأقدام الأخرى . وكان ذلك بحضرة الرسول
 عليه السلام ، فارتاح الرسول لمقولته وصدق
 فراسته ، وخبرته في شئون الوراثة .

وأما فيما يتعلق بثبوت النسب ؛ فإن الإسلام
 لم يربطه بمظاهر الوراثة ، وآراء الخبراء
 في شئونها ، وإنما أقامه على قواعد حكمية
 تكشف استقرار الأسرة ، وتبعدها عن
 الشبهات ومظان الفتنة والريبة ، وتحصى
 أعراض نساها ؛ فقرر أن « الولد للفراش ،
 (وهذا نص حديث شريف) أى إن الولد
 الذى يحىء من فراش صحيح مشروع يلحق
 نفسه بالزوج صاحب هذا الفراش بدون
 حاجة إلى اعترافه به اعترافا صريحا ، وبقطع
 النظر عن مبلغ شبهه به من الناحية

أصحابها منها ، وأعلمهم كانوا يبحثون كذلك
 عن آثار الأقدام التى كان أصحابها يختلفون
 إلى البغى ليعرفهم تمهيدا لإلحاق الولد بأحدهم
 ولعل هذا كان من بين الأمور التى كانت
 تدهو من يغشون منازل الموصات إلى أن
 يمحروا أطراف مآزرم وراهم لتطمس آثار
 أقدامهم على الرمال حتى لا يكونوا عرضة
 لأن يلتحق بنسبهم من تجىء به البغى ،
 أو المظلة كما كانوا يسمونها ؛ لأن سفلة الناس
 وسوقهم كانوا يختلفون إلى البغى في الظلام
 يمحرون أطراف مآزرم وراهم ، ولذلك
 كان من جوامع كلهم فى المدح : « فلان
 لا يرعى لمظلة إزاره » .

* * *

وقد أقر الإسلام قوانين الوراثة ، وحث
 الناس على الإفادة من خيراتها ، واتقاء شرورها
 وفي هذا بقول عليه السلام : « إياكم وخضراء
 الدمن ! » ، قالوا وما خضراء الدمن ؟ قال :
 « المرأة الحسناء فى المنبت السوء » ، ويقول :
 « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولبناتها
 ولديتها . فاطفر بذات الدين تربت يداك » .
 وحسب الإسلام الزواج بغير القربيات لاتقاء
 الأضرار الوراثية السابق ذكرها . وفى هذا
 يقول عليه السلام : « اغتربوا لا تصنوا » ،
 أى تزوجوا بغير قريباتكم لأن زواجكم
 بالقربيات يضوى نسلكم أى يضمغه ويجعله

نسبه به بدون حاجة إلى اعترافه به اعترافاً صريحاً^(١).

ومع ذلك فإن الرسول عليه السلام قد أقام بعض الوزن لأوضاع الوراثة في حادثين اثنين يتعلقان بنبوت النصب، وإن كان قد حكم في كليهما بغير ما تقضيه هذه الأوضاع جرياً على الأصول الإسلامية السابق ذكرها.

وأحد هذين الحادثين: هو حادث وفد جاءت به جارية كانت ملكاً لزمعة صهر الرسول عليه السلام (والد أم المؤمنين سودة بنت زمعة) وجاءت به بعد وفاة سيدها. وقد تنازعه أثنان: أحدهما عبد بن زمعة (أخو سودة) الذي قرر أنه أخوه لأن الجارية كانت ملكاً لآبيه وفراشه؛ والآخر سعد بن أبي وقاص الذي ذهب إلى أنه ابن أخيه عتبة بن أبي وقاص، لأن عتبة قد اعترف له قبل موته بأنه قد اتصل بهذه الجارية اتصالاً غير مشروع وأنها خلقت منه بحملها هذا، وطلب إليه أن يضمه إليه بعد ولادته بوصفه ابن أخيه. ورفع أمرهما إلى رسول

(١) هذا هو ما يراه كثير من الفقهاء. ونذهب أبو حنيفة إلى أنه لا يثبت نسب أول ولد إلا إذا اعترف به اعترافاً صريحاً؛ أما إذا أنكره أو سكت عنه؛ فإن نسبه لا يثبت منه. ولكن إذا اعترف بأول ولد ثم جاءت بعد ذلك بولد آخر؛ فإن نسب هذا الولد الآخر يثبت منه بدون حاجة إلى اعترافه، لأن اعترافه الأول يعد دليلاً على أنه اتخذ هذه الجارية لفراشه.

الوراثية، ولا ينتفى نسبه عنه إلا إذا اتهم زوجته بأنها عانت أمانته وعلقت به من غيره وقامت لديه الأدلة القاطعة على ذلك، ورفع ظلامته إلى القضاء، ولم يكن له شهداء إلا نفسه حينئذ تجرى بينهما المسألة التي يشرحها القرآن الكريم إذ يقول: «والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويدراً عنها العذاب» (أي يدراً عنها حد الزنا) «أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين»^(١). وبعد أن يحلف كلاهما هذه الأيمان المغلظة وتجري بينهما المسألة على هذا الوجه، يفرق القاضي بينهما، ويعتبر الولد الذي أجريت بسببه هذه الخصومة أجنبياً عن الزوج، ويلحق بأمه وحدها، ولكن مع ذلك لا يعتبر ابن زنا، ولا تعتبر أمه زانية مادامت قد أقسمت على كذب زوجها، وإذا قذفها أحد بالزنا، أو قذف ابنها بأنه ابن زنا؛ فإنه يقام عليه حد القذف.

ويلحق بفراش الزواج فراش ملك اليمين فإذا تسرى السيد جاريته واتخذها فراشاً له بحكم ملك اليمين، وجاءت بولد التحق

(١) آيات ٦ - ٩ من سورة النور.

قد عقب على ذلك بما يدل على إقامته بعض الوزن للوراثه من جهة ، وعلى عظيم خبرته وحذقه في شئونها من جهة أخرى ، فقال : « إن جاءت به أصهب ، أريشح خمش الساقين فهو لهلل ؛ وإن جاءت به أورق ، جمع - دأ ، جاليا ، خدج الساقين ، سايغ الإليتين . فهو الذي رميت به ، ، فجاءت به أورق جمع - دأ خدج الساقين سايغ الإليتين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا الأيمان لكان لي ولها شأن ، (يقصد الأيمان التي أقسمتها) . قال عسكرة : فكان بعد ذلك أميراً على مصر وكان يدعى لأمه ، ولا يدعى لأب . هكذا روى هذا الحديث أبوداود . ورواه البخاري عن محمد بن بشار . . عن ابن عباس بالنص الآتي بعد أن قص خبر الملائنة : « وبعد أن مضت المرأة قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبصروها ، فإن جاءت به أكحل العينين سايغ الإليتين خدج الساقين فهو لشريك بن سحاء وهو الذي اتهمت به ، . فجاءت به كذلك . فقال النبي عليه السلام : لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن ، (١) »

ذكر نوره على عبر التوامر وافي

(١) أنظر تفصيل ذلك في تفسير ابن كثير لآيات الملائنة في أول سورة النور .

الله صلى الله عليه وسلم فنظر عليه السلام إلى الولد فإذا هو من الناحية الوراثية أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص ؛ ولكنه مع ذلك حكم به لعبد بن زمة ؛ لأنه ولد على فراش أبيه ، والقاعدة الإسلامية أن الولد للفراش ، كما تقدم . غير أن الرسول عليه السلام قد أقام في هذا الحادث بعض الوزن لأوضاع الوراثه فقال لوجه سودة احتجى منه ، أى من هذا الولد ؛ فاعتبره أجنبياً عنها فيما يتعلق بالاختلاط بها ، وحرمة النظر إليها ، وإن كان قد اعتبره أخاها من الناحية الشرعية (١) والحادث الثاني : حادث ملاعنة أجراها الرسول عليه السلام بين هلال بن أمية وزوجته التي رماها بالزنا وقرر أنه رآها بعينه متلبسة به ؛ وهذا هو أول حادث ملاعنة في الإسلام . وذلك أنه بعد أن أقمنا أيمان الملائنة السابق ذكرهما فرق الرسول عليه السلام بينهما ، وقضى ألا يدعى ولدهما لأب والابن ولدهما بأنه ابن زنا ، ولا ترمى بالزنا لأن أيمانها قد درأت عنها ، وعن ولدها هذه الهمة . وأن من رماها ، أو رمى ولدها يقام عليه حد القذف . ولكن الرسول عليه السلام

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري ، أم الولد ، وهو مسروق عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة .

بِقِطْعَةِ التَّفْكِيرِ الْأَوْ رَبِّي عَلَى صِيُوتِ ابْنِ سِرِّ لِلْأُسْتَاذِ مُحَمَّدِ بْنِ رَجَبٍ الْبَيْهَقِيِّ

ما اقتعد ذروة الأدب في تاريخ انجلترا المعاصر ومهما وجد لدى كتاب أوروبا في تصور النهضة من دسامة وقوة ففرجه إلى تعاظم الفلسفة، والصدور عنها فيما يتناولون من بحوث ١١ لذلك لا نكون مباغين حين نجزم بأن أسلوب الفلسفة في البحث قد أكسب الأدب قوة حية جعلت وجاهه زهاء نهضات، وأصحاب دعوات ١ ومن قل نصيبه منها فهو دون أصحابها استقامة سبيل واتساع أفق وارتفاع تحليق ١

و حين ترصد مهاب الفلسفة على أوروبا في افتتاح عصر النهضة، نجد ابن رشد صاحب الصوت المحجل في إيقاظ الأسماع، وتنبيه الغافلين إلى أساليب الفلسفة، ومناهجها في البحث والدراسة، ثم يأخذنا العجب كل العجب إذ نرى هذا الفيلسوف الأندلسي الملم لا يجهل حواريه في أبناء لغته ودينه من المشاركة، ولكنه يخدم في اليهود من أطباء وأحبار وفي المسيحيين من أباطرة وأساتذة وكهنة، وهؤلاء هم الذين نقلوا كتبه وشروحه

الفلسفة أسلوب ومنهج قبل أن تكون معارف وكليات، فذو الفلسفة هميق الفكرة بارع التحليل يسر الأغوار، ويرصد الأبعاد والأطوال، لذلك كان أصحاب الفلسفة يمارسون الأدب على جانب قوى من البصيرة والنفاد. يصدرون عن أصالة حية. ويتجهون بأفكارهم الخصبة وجهات جديدة صائبة، وقد أورووا الأدب في شتى فنونه المختلفة من مة لة وقصة، ورسالة، وملحمة، وقصيدة دسامة قوية حية فوجهوا الأدباء الخلف إلى العمق والإحاطة، والاستشفاف، والاحتكام إلى موازين دقيقة في المقدمات والنتائج، أما الفلاسفة الأدباء بمن رزقوا روح أفنان، وعقل الحكيم، فقد جاءت كتاباتهم نمطاً رفيعاً من الإبداع. فمقالات (بيكون) الأدبية تجمع بين العمق الفلسفي، والخيال الأدبي جمعاً رائعاً يدهش القارئ ويررعه ١ وأسلوب فولتير ذو سحر رائع لا يقاوم؛ لأن الفلسفة الصائبة تحيط به من أقطاره وتوطئ له الدعائم والأسناد، ولولا نصيب ويلز من الفلسفة

وقريباً من منهج الصحابة في الزهد والخشوع والتواضع فوافق أهواء الناس لعهده . فاعتنقوه عن إخلاص ورغبة ، ونفروا من الفلسفة نفوراً جعلها مدعاة الزندقة وباب الإلحاد وقد حاول ابن رشد أن يعيد للفلسفة مقامها لدى المسلمين بعد أن تساقطت مترنحة تحت ضربات الغزالي فألف كتابه تهافت التهافت يرد به على كتاب الغزالي الشهير تهافت الفلاسفة ، وقد قال في مقدمته : « إن تعرض أبي حامد إلى مثل هذه الأشياء على هذا النحو لا يليق بمثله لأنه لا يخلو من أحد أمرين : إما أنه فهم هذه الأشياء على حقائقها ثم ساءم على غير وجهتها وهذا فعل الأشرار ، وإما أنه لم يفهمها على حقيقتها فتعرض للقول فيما لم يحيط به علماً وهذا من فعل الجهال ، والرجل يحمل عندها عن هذين الوصفين ، ولكن لا بد للجواد من كبوة ، ثم مضى يناقش أبا حامد في كل ما تعرض له ! ولكن كتاب ابن رشد عن الغزالي لم يجد من يقرؤه في الشرق ، وظلت آراء الغزالي في الفلسفة راسخة لا تتزعزع ! حتى مطلع القرن العشرين إذ نقل الأستاذ فرح انطون فلاسفة ابن رشد إلى قراء العرب مترجمة عن (وينان) ! فبدأ الفيلسوف الأبدلي يأخذ مكانه لدى أبناء لغته ودينه ! أما أثره البعيد في التفكير الأروبي بعامة منذ فارق الحياة

وترجموا أفكاره وبحوثه ، فهدتهم إلى مفاتيح الثروة الفكرية الخالدة وأصبحوا بها أغنياء مترفين !

قدر على ابن رشد أن يأتي بعد الغزالي ، ليرى نجاحه الساحق في هدم الفلسفة بالشرق حيث حاربها أبو حامد محاربة مكثفة ظافة حاربها بأسلحتها المنطقية بعد أن خبرها ووقف على ما ظنه مقاتل مبيدة ، وقد قسم الفلاسفة إلى طوائف مختلفة ، فطائفة جمحت الصانع وقالت بعدم العالم ، وطائفة أنكرت البعث وما يعقبه من ثواب وعقاب ، وآخرون توغلوا في دراسة الرياضيات والطبيعيات والمنطقيات والإلهيات ، فأصابو مرة وأخطئوا مرات ! وقد اختلط الخطأ لديهم بالصواب اختلاطاً لا يثمر غير التخبط والارتباك ثم مضى ينقض براهين الفلاسفة بأمثالها مستعيناً بالأقضية والحج العقلية نارة ، وبالآدلة الشرعية من نصوص قرآنية ، وأحاديث نبوية نارة أخرى ، ناهجاً منهج علماء الكلام في الرد والتوهين ، وأعلن في النهاية فقدان الثقة بأقضية المنطق وبراهين الفلاسفة ورأى في التصوف منجاة الحائر ، وملجأ المسترشد ، إذ يدرك به من الاطمئنان النفسي ما لا يدرك بالحجج والأقضية :

وكان تصوف الغزالي وقام معتدلاً بعيداً عن غلاة النظريين من ذوي الشطحات

في إنسان واحد أمر عجيب يوجب تسميته
ملكاً إلهياً لابشراً ولذلك كان القدماء يسمونه
أرسطو الإلهي ، ١

وقد دفعه هذا التقدير البالغ إلى شرح
أكثر ما كتب أرسطو من المؤلفات شروحا
مختلفة منها الوجيز والمتوسط والمبسوط ،
وإذا كان ابن سينا قد خالف أرسطو
في كثير من قضاياها فإن ابن رشد قد هاجم
مخالفه ، ووقف وقفات حاسمة أمام
ما هو روض به وأصبح في نظر التاريخ
الفلسفي الشارح الأكبر لفيلسوف اليونان ،
وتعرض إلى بحث كثيرة من الحاجات العامة
حتى نفي إلى غير مرطنه ، وطرد من المسجد
حين أمه للصلاة ، ولكنه لم يتخل عن منهجه
الفلسفي بل شغل وقته بالشرح والدراسة
حتى هيات له الأسباب من قفل شروحه
 وآرائه إلى اللاتينية ؛ لتكون مصباحاً هادياً
ينير الدواصات الفلسفية . ويبرز أرسطو
في وضع جديد ١

ولا يمكننا أن نحدد أثر ابن رشد
في إنهاض الفكر الفلسفي بأوروبا إلا حين
نعرف حال الفلسفة في القرون الوسطى قبل
ابن رشد ، فقد تأكد لدى بعض الأفهام أن
الفكر الأجنبي قد زحف إلى أوروبا الغربية
مع الزحف الروماني وأن العرب بناء على
ذلك لم يضيفوا شيئاً ذا بال إلى الفلسفة

فهو ما نحاول أن نجعله في هذه السطور
لنرى كيف دق الأجراس المرنمة في عالم نائم
غافل فلفظت المضاجع على رناته المجلجلة
جنوب النائمين !

لقد جاء دور ابن رشد في المعترك الفلسفي
بعد أن تقدمه في الشرق أفذاذ نوابغ من أمثال
الكندي وابن سينا والفارابي وإخوان
الصفاء من أسهموا في البناء الفلسفي لإسهاماً
تردد صداه في كل مكان حتى وصل إلى الأندلس
فأنتج بها فلاسفة حكماء من أمثال : ابن باجه
وابن طفيل وابن زهر وكأن الأقدار
قد جعلت ابن رشد خاتمة هؤلاء ليستطيع
أن يقرأ ما كتبه سابقوه قراءة الفاحص
الناقد ثم يضع النتائج النهائية لدراسته المتأمله !
وهو بعد صاحب ذهن فلسفي بعيد المطارح ،
وقد عشق أرسطو عشقاً شديداً تمكن من نفسه
وسيطر على نزاعاته حتى عدّه المثل الأعلى
للفكر في الحياة بل ارتقى به من الحدود
البشرية إلى أن صار في اعتباره الفكر
الإلهي ، وقد قال عنه في مقدمة كتابه :
(من الطبيعيات إنه أعقل أهل اليونان
وواضع علوم المطلق والطبيعيات وما وراء
الطبيعة إذ أن جميع من أتوا بعده من
الفلاسفة لم يستطيعوا أن يزيدوا شيئاً
عما وضع أو أن ينقدوا قضية وصل إليها)
ثم قال : فلا ريب في أن اجتماع هذا العلم

بالطريف ! ودفعت بالأنظار المتطلعة إلى أفق جديد .

وقد منيت الفلسفة الإسلامية بإضطهاد أليم من الرأى الغربى العام ، لاذ توطأ أكثر الباحثين على أنها نقل وترديد لفلسفة الإغريق فهم يرددون ما عبر عنه (الفريد جيوم) فى تراث الإسلام حين قال : « إن الشعوب الناطقة بالاضداد لم تفعل شيئاً أكثر من أنها استولت على الفلسفة اليونانية التى كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سوريا والمثقفين من أهل حران والوثنيين ، ثم أضافت إليها بعض عناصر استمدتها من فارس وإلهند وإن من الحق أن نرد الفلسفة العربية فى مادتها وصورتها وغايتها إلى حضارة البلاد التى غزاها العرب وأن نعتبر الفلسفة اليونانية المعين الذى استقوا منه مذهبهم » .

وقريب منه قول (أرنست رينان) : « ومن عجائب القدر أن هذا الجنس السامى الذى استطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة فى أسمى درجاتها لم يشر أدنى بحث فلسفى خاص وبما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباساً صرفاً جديداً وتقليداً للفلسفة اليونانية ١١ » .

إلى أهمل هذين الرأيين لعشرات الباحثين

الإغريقية إذ أن ترجحات ابن رشد وشروحه لم تأت بجديد حين نقلت إلى اللاتينية ، بل كانت نسخاً مكرورة للذائع المشتهر ، وهذا خطأ ظالم مغرض ، لأن الباحث فى تاريخ أوربا خلال العصر الوسيط يرى أن السكفيسة كانت تدرس الفلسفة الأغريقية من خلال المعتقدات المسيحية فهى تدور بها فى مجال العقيدة لتؤيد ما لديها من نصوص حتى ليخيل لقارىء هذه الفلسفة أن أرسطو وأفلاطون وأضرابهم ما قد وجدوا بعد المسيح ليؤيدوا تعاليمه ويجروا فى فلسكه ، وقد حظرت البحث عن أى حل من الحلول الفسكفية لابلأثم النصوص ولايسير وراءها شعرا بشعر ، وإذا كان الفيلسوف (سانت أوجوستان) قد فطن إلى التناقض الصريح بين مسائل الفلسفة الأغريقية والدين المسيحى فإنه لم يعلن ذلك صريحاً كما ارتآه بل جعل يوفق بين الآراء فى أسلوب متكلف ينادى بالاعتمال وكان خيراً له أن يعلن أن الفلسفة الإغريقية شئ آخر غير تعاليم المسيح ! بل إن المسيح لن يكون صاحب رسالة كبيرة إذا كان جميع ما أتى به موافقاً لما سبق أن حكم به أرسطو وأفلاطون وإذا كانت الفلسفة الإغريقية تفسر على هذا الوضع السكفى فإن شروح ابن رشد وأضرابه لها قد فاجأت أوربا

لا بد أن يتمخض عنه اختلاف العقول ،
وتباين النظرات ، وهو مما يشير إلى الحرية
التامة حين نكتسح القيود والأسوار .

نستطيع بعد هذه الإلمامة أن نتابع تأثير
ابن رشد في أوروبا الغربية ، فنرى أنه برغم
قلة تأثيره في المشرق أو فقدان تأثيره على
وجه التحديد إذ ذاك ، قد نال أكبر شهرة
هذه اليهود باعتباره شارحا للكتب أرسطو
فكانت شروحه تنقل إلى اللاتينية على أنها
نصوص يقينية ، ومن أشهر مقدريه معاصره
الشهير (عوسى بن ميمون) إذ بذل أكبر جهد
في إنشاء مدرسة رشدية ونقل شروحه إلى
العبرية واللاتينية ، غير أننا نرى (باريس)
في حياة ابن رشد تتأثر بالمناهج العربية
إذ تصبح مركزاً للفلسفة المدرسية ثم تمتد
بها الأيام فتصبح في مطلع القرن الثالث عشر
حومة جدل فلسفي يهتج نهج المسلمين ، ويصل
صداه إلى الدوائر الكنسية فتصدر قراراتها
بتحريم الترجمات العربية والاكتفاء بالترجمات
القديمة ، ومعنى ذلك أن تدور الفلسفة
الارسطالية في نطاق المسيحية من جديد !
وأن تبتعد شروح العرب ذات الفكر
الاستقلالي والطابع الحر الفريد .

وكان من المصادفات أن يقبوا فردريك
الثاني امبراطورية صقلية سنة ١٢١٥ ، ومع
اشترائه في بعض الحملات الصليبية إلى الشرق

مما تفيض به صفحات القوم ، دون إحصاء
وتحقيق ، والرد عليها واضح صريح لا يستغنى
بالباحث في شعاب وعرة منقطعة تكسنفها
الأشواك والصخور ، بل يدعو إلى قراءة
ما أنتجه فلاسفة الإسلام حين تمسكوا بحرية
الفكر التي دعا إليها القرآن ونأوا عن التقليد
الفاضح الذي عابه الإسلام فناقشوا في علم
الكلام ما يتعلق بالأزل والابد وحرية
الإرادة وأفعال العباد وقدرة الله ، مناقشة
تعتمد على الدليل العقلي اعتماداً أساسياً فإذا
استندت إلى النص فذلك استئناس لا استدلال
وقد انتقلت مؤلفات أرسطو وأفلاطون
إلى الأوربيين محاطة بالفكرة الإسلامية
وبشروح المفكرين من أمثال ابن سينا
والفارابي وابن رشد وهذه الشروح أطل
العالم الأوربي على نمط جديد غير مألوف
واسيقظ من سباته يرى موقفين متضاربين:
موقف الكنيسة حين تجعل العقيدة المسيحية
مبدأ لكل بحث فلسفي ، وموقف فلاسفة
الإسلام حين يحتسبون إلى المنطق بحججه
وأقسطه مجرداً عن كل فكر سابق ١١ هذا
الموقف الجريء قد دفع بالفلسفة الإغريقية
دفعاً جديدة إذ طرد عنها شبح الكنيسة
وأصبحت بشروح العرب ذات اتجاه جديد !
وإن كان من الفلاسفة الإسلاميين من خالفوا
الجمهور في بعض الأصول فذلك شيء طبيعي

وقد عقد الأستاذ ديلاسي أولييري المستشرق
الانجليزي فصلا طويلا عن أثر الفلسفة
العربية في مدرسة اللاتينية بكتابه الشهير
(الفكر العربي ومكانه في التاريخ) ، ترجمة
(الدكتور تمام حسان) تحدث فيه عن أثر
الفلسفة الرشدية وأطوار تأثيرها حديثا
مسلسلا يؤرخ خطوات هذا التأثير على مدى
الاحقاب المتتالية حتى ينتهي بها إلى وضعها
الراهن في الفلسفة الحديثة ، فيذكر أن
القرن الثالث عشر قد أكمل ترجمات آثار
(ابن رشد) الفلسفية إلى اللاتينية جميعها .

وقد ذاعت على أيدي مؤيديه ومعارضيه
جميعا ، فالمؤيدون يبسطون ما قال الفيلسوف
العربي ، والمعارضون يحاولون تفنيد آرائه
بعد أن يبسطوها بسطاً واضحاً فقتلهم
وتذيع ، بل أن أحد هؤلاء المعارضين يضطر
إلى نقل كتاب (نهائات الفلسفة) للغزالي
محاولاً أن يفهم به آراء (ابن رشد) وكأنه
يعتصم بالافتكار الإسلامية حين أعوزه
أن يثبت للرجل الكبير ١

وقد التمت الأستاذ ديلاس أولييري إلى
نقطة عجيبة حقا حين قال ص ٢٩٣ ترجمة
الدكتور حسان : « وكأن ثمة حداً فاصلاً
بين ابن رشد الشارح الذي عومل باحترام
كبير كشارح لنصوص أرسطو وبين

فقد كان عدواً من صفوف الأصدقاء - إن
جاز هذا التعبير - فقد اتصف بصفات رائعة
قل أن تجتمع في إنسان فهو مجيد ست
لغات وينظم الشعر ، ويعجب بفنون التصوير
والنحت والموسيقى ويؤلف في علوم الحيوان
والطير ويشهد عن تزايد الكيفية فيميل
إلى التسامح الديني ويجمع في بلاطه اليهودي
والمسيحي والمسلم ، وقد عشق الشرق فعاش
عيشة رجاله يتكلم العربية ، ويناقش مفكرى
العرب وينأى عن التعصب في جراءة وثورة ،
وكان شديد الإعجاب بفلاسفة المسلمين الذين
يقرأ كتبهم في لغتها العربية ، ويظهر عطفاً
كبيراً على أساليبهم في البحث والتفكير
حتى تشيع لا أكثر ما ناولوا به من معتقدات
بما اضطر (البابا) إلى تكفيره وإعلان
مروقة ، وقد أسس في سنة ١٢٢٤ جامعة
(نابولي) وجعل مهمتها الأساسية أن تدفع
العلم العربي إلى أوروبا فوضعت المترجمات
على يد أساتذتها من العربية إلى اللاتينية
وانتدب بعض أساتذتها إلى زيارة طليطله
سنة ١٢١٧ لنقل شروح (ابن رشد) على
كتب أرسطو وترجمتها .

وقد قام الأساتذة الموفدون برسالتهم
وأعانهم على تحقيقها نفر من أحبار اليهود
من تلبذوا على آثار ابن رشد وهتفوا
بفلسفته .

أرسطو لم يتح لهم أن يجدوه من غير طريق العرب حتى أنهم حين عثروا بعد ذلك على النصوص الأغريقية الأولى في لغتها اليونانية لم يستطيعوا فهمها إلا بالشروح العربية مقارنة وتحليلاً إلى أن مضت مدة طويلة فهمت فيها هذه النصوص الأغريقية فهما تنمى معه ما ساعد على توضيحه من شروح ابن رشد

* * *

والذين يتحدثون عن أثر الأندلس في اليقظة الأوروبية في غير مجال الفلسفة من المجالات الحضارية والفنية لا يواجهون صعوبة كبيرة في توضيح دورها الكبير حيث تبدو الحقائق سافرة غير ملتبسة ، ولكم حين يتحدثون عن أثر الأندلس في مجال الفلسفة يجدون من يلبسون عليهم القول متلئين بأن قصارى جهد . فلاسفة الإسلام أنهم تراجم ناعلون ، أو شراح مفسرون أو هم يعتمدون إخفاء ما يعرفونه من الحقائق في فلسفة الإسلام إذ أن أسلوب مفكره في البحث الفلسفى قد تميز في علم الكلام تميزاً يصعب إنكاره ، فهو إسلامى الوجهة والروح والمشرى ، وإن اصطنع سبيل الفلسفة في البرهنة والاستلال فذلك بما يمس الشكل الخارجى في ترتيب الجدل ومسانه .

ابن رشد الفيلسوف الذى كانوا يعتبرونه ملحداً وتبدو المسألة كما لو كان ثمة سياسة متعمدة للوصول إلى أرسطو عن طريق التوضيح بالشرح العرب ، .

ومعنى هذا أن شروح ابن رشد على أرسطو مقبولة لأنها في وجهة نظرم تمثل الفيلسوف اليونانى ، أما آراؤه الخاصة فمرفوضة لأنها تمثل الفيلسوف العربى ، وهذا الفهم على غضاخته الخلقية ودلالته النفسية مخطئ . مضحك ، لأن شروح ابن رشد لا تمثل أرسطو وحده ولكنها تمثل في مرآة ابن رشد ، والفرق بعيد بينها وبين الترجمة ، إذ أن الترجمة نقل خالص ، أما الشرح فتفسير وتحليل وتعليل ، وكثيراً ما يفهم الشارح أقوال غيره من وجهة نظره فهو ذو شخصية واضحة منفصلة في التصور والإدراك والتعليل ١١

فالذين يحترمون ابن رشد الشارح بحجة أنهم يبحثون عن أرسطو قبل كل شيء قد أخطأهم السبيل ، وهم في حاجة إلى من يقول لهم لقد فرض عليكم الشارح نفسه مفكراً وفيلسوفاً وهذا ما تحذرون ١١

أما إذا كانت هناك سياسة متعمدة للوصول إلى أرسطو عن طريق التوضيح بالشرح العرب فإن هذه السياسة لم تتحقق على وجهها المنشود لأن هؤلاء الباحثين عن

اليونانية حتى أصبح الانفصال بين الدين والفلسفة غير ممكن بل كانت تستطیع فوق هذا أن تهضم أشياء قليلة أخرى وكان هضم الفلسفة اليونانية أسهل على العقائد الإسلامية البسيطة التي ليس فيها كثير من الآراء الفلسفية . منه على العقائد النصرانية المركبة بما فيها من فلسفة ... الخ .

وهكذا كان انتشار الفلسفة الإغريقية على يد العرب ترجمة وشرحا وتعليقا تمهيدا لقيام النهضة في النصف الأخير من القرن الخامس عشر إذ بدأت الفلسفة توثق ثمارها فتوجه العقل الأوربي توجهها جديدا يستند إلى حرية الفكر ، وشعور الإنسان لشخصيته واقتداره على التفكير الذاتي مستقلا عن غيره ، وقد ذهب في هذه الحرية إلى أبعد مدى حتى تصدى لفلسفة أرسطو نفسها فنهدها وكشف عن ثلومها ، واهتدى إلى فلسفة حديثة أنتجت مفكرين قادة وفلاسفة مصلحين ، وانتقلت بضوابطها وأهدافها إلى الأدب الخالص فبسطت آفاقه وعمقت مجراه ، وجعلته وليد تأمل دقيق وتحليل نافذ كشاف .

عمر رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلميات بالفيوم

أما حقائقه الجوهرية الإسلامية خالصة جاء بها دين يرتكز على العقل ويدعو إلى الحرية والتفكير في ملكوت السموات والأرض ، وقد استطاع الأستاذ (ت . ج . ديور) مؤلف تاريخ الفلسفة في الإسلام أن ينصف المسلمين بعض الإنصاف حين تعرض لتحديد ماسماه فضل المسلمين على الفلسفة النصرانية في العصور الوسطى فقال في ص ٢٨٦ نقلا عن ترجمة الدكتور أبي ريبة :

د أما أم أثر للعرب فهو أن النصارى بعد قراءتهم لمؤلفات العرب ولا سيما ابن رشد صاروا يرون في نظريات أرسطو رأيا عاما فاعتبروها الحقيقة العليا ، ولم يكن بد من أن يقضى هذا ، إلى تصادم بين علوم العقائد والفلسفة أو إلى إحراج بينهما بل كاد يؤدي إلى إنكار العقائد السكنتية وإذن فقد كان تأثير الفلسفة الإسلامية على تطور العقائد السكنتية في العصور الوسطى حافزا من ناحية وحاملا على الهدم من ناحية أخرى ، لأن علم الكلام والفلسفة لم يستطيعا أن يسيرا في العالم النصراني مستقلين كل هلى جاذبه لا يتعرض لصاحبه كما قد حدث عند مفكرى الإسلام ثم أن علوم العقائد النصرانية كانت في القرون الأولى من نشوئها قد أفرطت في أخذ الفلسفة

اتجاهات الثقافة في الشرق العربي للأستاذ محمود فزج العقدة

و بالهدى والعلم أرسل المرسلون ، وقام الدعاة والمرشدون ، ومضى على سننهم المصلحون . وقد خالط العلم في القديم والحديث فنون من الجدليات والأوهام موه بها على الناس الحق أقوام يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وإنه لمن أوجب الواجبات علينا معشر المربين أن نفقئ هذه الجدليات والأوهام عن ساحات العلم قبل أن نعصف بالبقية الباقية من عقول الناشئة ، أو أن تأتي عليها لإتيان النار على الحشيم .

ومن الحق علينا لهذا الشرق العربي أن لا تشغل ناشئته التي هي عقد الأمل ومناط الرجا . إلا بما هو أشبه العلوم به ، وأوفقها له ، وأهداها إلى سبله ، وأبلغها تأثيراً به ، وتأثيراً فيه . وأول ما يلاءم النظر من ذلك أنه يجتمع روحى المذاهب والمشارب ، سواى الشائى والمشاعر ، ليس عنده من الجنوح إلى المادة ، ولا الجموح مع الباطل ما عنده غيره من عباد المادة المرفقين ، وأشياع الباطل المفرطين ، وليس من خلقه أن يتخلى في سهولة ويسر عن هذه الشيم والمكارم ، والمآثر والشائى التي توارثها

إن من المسلم به أن كل إنسان مسئول بفطرته ووجدانه . إن كان ذافطرة مستقيمة ووجدان سليم . عن سعادة المجتمع الذى يعيش فيه ، ويدين له بمحاضره وماضيه . بل عن سعادة البشرية جمعاء . إن وجد إلى ذلك من سبيل وبدهى أن ذلك إنما هو بعد مسئوليته عن إسعاد نفسه في دنياه واخرته . إن كان يتصور أن بين السعادتين شيئاً من الانفصال ، إذ أن كل واحدة منهما عند التأمل الصادق ، والنظر القويم إنما هي انعكاس للأخرى أو أثرها حتى كأنهما شيء واحد أو أمر سواء .

ولا سبيل لتحصيل السعادة كالعلم ، بل لا سبيل لها سواء ، وكيف لا وهو الميزة الظاهرة للإنسان على ما سواء حتى لقد جعله الله حجة على ملائكته في استخلاف الإنسان في الأرض كما قص علينا نبأ ذلك في كتابه إذ يقول : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، إلى قوله : قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (١) »

() سورة البقرة : الآيات ٣٠ إلى ٣٢ .

والآخرة ؛ وكيف نفهم أن التعليم الديني مجرد تحصيل وتلقين ، وكتاب الله لا يزال يدعونا إلى التأمل البعيد في ملكوت السموات والأرض ، والنظر السديد فيما خلق الله من شيء بمثل قوله جل شأنه : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (١) » ، وبمثل قوله : « أولم ينظروا في ملكوت السموات الأرض وما خلق الله من شيء (٢) » ، وبمثل قوله : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق (٣) » ، إلى أن يحض على النظر في أحوال النفس ، وما فيها من عجائب الخلق إذ يقول : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٤) » ، ولأنى لأرى أن الحض على الأعمال النظر في دلائل وجود الله وقدرته في هذه الآثار حض صريح على الأخذ بما يعين عليها من شتى العلوم الكونية والطبيعية ؛ بل أرى أن هذه النظرات الصادقات فيما لله في كونه من من شواهد وآيات هي أبين تفسير لكتاب

عن آياته الميامين وأسلافه الماجدين ، وهذا نستطيع أن نعود به تارة أخرى إلى أمجاده الأولى يوم غمر الآفاق بياهر سناه الذي بدد الظلمات ، وعما الجبال ، ووصل ما انقطع بين الأرض والسموات .

فهذا الشرق العربي محتاج منا دائماً لتستقيم له الحياة - إلى الإمداد والإسعاد بالغذاء الروحاني الذي يغذو قلبه ، ويروى ظمأه ، ويذكي مشاعره ، ويجلو بصائر ، وينير له سبيله إلى كل ما يصبو إليه بفطرته من مثل وما يهدف إليه من غايات .

وليس سوى التعليم الديني الخالص من غذاء وري لهذه القلوب وتلك الأرواح ؛ وإن حرمانها من ذلك ، أو شئ منه إنما هو كحرمان الأرض الطيبة من الغيث ، أو الروض النضير من الطل ، أو السماء الصافية من الضياء .

ولا نقصد بالتعليم الديني ما يجري مجرى الحفظ والتلقين بلا تدبر ولا وعي ، وحاشانا بعد ما عرفنا من آيات الله الخاتمة على النظر والاعتبار ، والتأمل والادكار لمعرفة آيات الله في خلقه ، وسنته في كونه ، وآثار رحمته على عباده ، ومظاهر قدرته وإبداعه ؛ لفستكمل بذلك ديننا ، ونستتم به مقوماتنا ، ولنكون بعد ذلك أهلاً للدعوة إلى الله على بصيرة وبينة ، وقادة للبشرية إلى سعادة الدنيا

(١) سورة البقرة آية ١٦٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥ .

(٣) سورة النمل آية ٢٠ .

(٤) سورة النازعات آية ٢١ .

الله العظيم ، وأقوى برهان على أنه من عند الله رب العالمين ، وأعظم هاد بعده إلى مبدع الكائنات ، وفاطر الأرض والسموات .
 والله في كل تحريكه وتسكينه في الورى شاهد وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .
 ولقد سمعت من أدرك الإمام الشيخ محمد عبده من شيوخ شيوخنا رحمهم الله - أنه رأى بعض علماء الكونيات من الألمان يخرج مغشيا عليه إذا ذكر أمامه اسم الله - جل شأنه - وذلك يوشك أن يكون مصداقا لقوله تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء ، فإن سياق الآية يشير إلى أن العلم بآثار قدرة الله يؤدي إلى تلك الحال ؛ فإن هذا السياق هو قوله تعالى : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ... (١) .
 أما ما في ما يلفت النظر ، وينبغي أن يكون موضع العناية والاهتمام في هذا الشرق العربي فهو هذه العلوم الطبيعية التي تفرضها علينا أسباب الحياة والسلامة ، والقوة والمنفعة في بيئتنا التي ظاهرها المأسر والجذب ، وباطنها

اليسر والرخاء ، بل الأمل والرجاء ؛ فإن معظم كنوزها لا يزال بكر المقتض ، وعروها لم يكتب لها الجلاء ؛ وباكتشاف هذه الكنوز بأيدينا ، واستخراجها بسواعدنا نستطيع أن نسعد في بلادنا كل شقي ، ونطعم كل جائع ، ونسد حاجة كل محتاج ؛ بل نستطيع ما هو أهدى من ذلك وأغلى ، وهو أن ندفع بوثقتنا العربية الناهضة إلى مكان الصدارة في العالمين ، كما كان ذلك شأننا يوم استخلفنا الله في الأرض كما وعدنا في كتابه

إذ يقول : وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، ويوم جعل لنا السناء والرفعة فيها مصداقا لبشارة نبيه صلى الله عليه وسلم إذ يقول لبعض أصحابه : بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتكسين في الأرض ، . فحقن إذن في أمس الحاجة إلى دراسات عملية بجملة بصد الدراسات

الروحانية الحققة ؛ بوجه إليها جميع شبابنا الأكفاء في شئون استخراج المعادن ، واكتشاف المناجم ، وإدارة المصانع ، وصناعة الآلات ومن الظلم القادح لمستقبل هذا الشرق العربي وهو لم تندمل جراحه بعد من آثار مغالب الاستثمار أن تصرف هم أبناءه ومواهبهم إلى أنواع من الدراسات الأجنبية فلسفية أو أدبية لا تتصل بقوميته ، ولا تتجاوب مع

أما ما في ما يلفت النظر ، وينبغي أن يكون موضع العناية والاهتمام في هذا الشرق العربي فهو هذه العلوم الطبيعية التي تفرضها علينا أسباب الحياة والسلامة ، والقوة والمنفعة في بيئتنا التي ظاهرها المأسر والجذب ، وباطنها

تاريخ الأمم يكتب فيه بالأيام لا بالآهوام ،
وبالشهور لا بالعصور ، وأصبحت القوة فيه
أثرا من آثار الابتكار والاختراع ، ومظهرا
من مظاهر الثراء والرخاء ، وأصبح فيه أمل
الإنسانية في البقاء منوطا بالإيمان بمن بيده
وحده أن يكف البشرية عن نفسها ، ويحول
بين سكان الأرض وبين ختم تاريخها ، وطمس
معالم الحياة فيها ؟ ! وهو على ما يشاء قدير ؟

محمود فرج العقدة

المدرس بجامعة الأزهر

مشاعره ، ولا تنمى من فضائله ، ولا تعمينه على
الانتفاع بكنوزه وذخائره ، ولا تذكره
بأجاده وآثره ، ولا تجعله في منعة عقلية
أو روحية من حبال الاستعمار ومكايده ،
وشراكه ومصايد . وإنى لأتساءل متعجبا
ما وجه الحاجة إلى هذه الفلسفات الأجنبية ،
أو مذاهب النقد الأوروبية التي تلتق بأوزارها
وأثقالتها على كواهل مبادئنا الروحية وآدابنا
العربية القومية ؟ وأي لغو وعيب بعد هذا
نفع فيه أوقات أبنائنا وعقولهم ، ونضييع
فيه مواهبهم ، واستعداداتهم في زمن أصبح

لسان حال اللغة العربية

وما ضقت عن آي به وعظات
وتنسيق أسماء لمخترعات
فهل سألوا الغواص عن صدقات
حافظ إبراهيم

لم يستفد من سوام قدر ما فقدوا
أحمد الزين

وسمت كتاب الله لفظا وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
ومن أضاع تراثا من أبوته

نهضة العالم الإسلامي

للدكتور محمد مختار القاضي

وسخروه لمصالحهم المادية إلى أن أصبح خطاما، وهظاما نخرة، حتى إذا ما هم برفع رأسه هددوه بالحديد والنار والخراب والدمار.

وكان هذا العالم الإسلامي يخشى سطوة العالم الغربي وحده وفاره ويحسب ألف حساب لتهديده ووعيده.

وكان زعماء المسلمين المخلصين في حاجة إلى رأى مالك الحزين ليكشف لهم عن حقيقة قوة الثعلب الغربي، ويقنعهم بأن هذه القوة ليست سوى تهديدات لا تضر ولا تنفع.

وانتظر العالم الإسلامي زمنا طويلا دون جدوى، ولا طائل. إلى أن أعلن الرئيس العربي جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس، وأعلن الفرسان الثلاثة حرب بور سعيد سنة ١٩٥٦ وما صحبه ذلك من استيلاء مصر على القاعدة البريطانية، وبذلك قطع ذيل الأسد البريطاني فولى هاربا إلى غير رجعة، منسجبا من مصر ومن وراءه المروضة الفرنسية، واللبوة الإسرائيلية.

لقد كان هذا التاريخ نهاية عهد غامض، تكتمته الرهبة والفزع من ذلك الأسد الذي

يحضرني وأنا أكتب هذا المقال قصة وردت في كتاب كلية ودمنة، في باب الحمامة والثعلب، ومالك الحزين.

ومؤدى هذه القصة: أن حمامة كانت تفرخ في رأس شجرة، حتى إذا كبر فراخها، صار يأتها ثعلب فيقف في أصل الشجرة، ثم يصيح بها ويتوعدا لتلقى إليه فراخها فتلقاها، خشية أن يصعد إليها فيأكل فراخها، ويأكلها هي أيضا. وفي ذات يوم شككت إلى مالك الحزين ما هي فيه، فنصحها ألا تلتق فراخها للثعلب، فإذا صعد إليها، ولن يصعد أبدا، طارت هي ناجية بنفسها، وخلفت فراخها للثعلب، ولن تخسر شيئا، ففراخها مأكولة على كل حال. فلما أخبر الثعلب بمقالة مالك، لم يستطع أن يصعد، وأمنت الحمامة، وفراخها بقية أيام حياتها.

هذا بعض ماورد في كتاب كلية ودمنة، وهو قول ينطبق على قصة العالم الإسلامي وصلته بالعالم الغربي الذي استغل المسلمين واستعمر بلادهم أكثر من قرن من الزمان.

لقد استغل الأوروبيون العالم الإسلامي

الشيخ كان رجلاً صاحب دجل ، ونصاباً ذا حيل ، وأنه كان يركب الأسد ليخيف به الناس ، وهو أشد منهم خوفاً ورعباً ، فـأ أن انقطع ذيل الأسد حتى هرب ملقياً بأصحابه فى الرغام ، وما أن ظهرت للناس حقيقة قوتهم حتى بدوا يتألبون عليهم دولة فى إثر دولة وشعباً فى إثر شعب .

فهذا الانجليزى إيدن الذى أسقط ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية قد لقي مصره السياسى على يد الرئيس العربى جمال عبد الناصر .

وهذا دييجول الذى كان له شرف احتلال ألمانيا فى الحرب ذاتها ، فقد شرفه العسكرى عند ما فقد درة الإمبراطورية الفرنسية « الجزائر ، هلى يد أحمد بن بيللا .

ولست أريد أن أعدد ما فقده الانجليز والفرنسيون من مستعمراتهم الإسلامية ، فهذا يريد وقتاً أطول وورقاً أكثر مما تستوعبه هذه الصحيفة ، ولكنى أريد أن أقول : لأنه أينما تولوا فثم وجه من أوجه النهضة الإسلامية .

لقد انقشع كابوس الإستعمار ، وما بقى إلا أن يثقب أهل هذا الوطن فلوله المتناثرة وجيوبه المستترة ، وأن يمسدوا على رقبتهم وأن يأخذوه أخذ عزيز مقتدر .

وقد بدأ ذلك يحدث فعلاً ، وإن هذه

كان الاستعمار الأوروبى يخيف به الجانب الشرقى من الكرة الأرضية عامة ، والوطن العربى الإسلامى خاصة .

وكان هذا التاريخ نفسه بداية عهد جديد انكشفت فيه حقيقة التهديدات الغربية فأصبحت سافرة للعيان ، لا غموض فيها ولا لبس ، وانكشفت الأعياب الاستعمار الغربى فلم تصبح لغز فى نظر الشرق ، ولا معجزة من عند الله .

فإلى هذا التاريخ كان الناس جميعاً يعتقدون أن تحت القبة الغربية شيخاً باتعاً سره ، نافذا أمره فى جميع منطقة الشرقين : الأوسط والأقصى وأن هذا الشيخ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .

وكانت هذه للعقيدة راسخة فى عقول الناس كالطود الثابت ، تأخذ عليهم جميع تفكيرهم ثم تنتهى بهم إلى اليأس القاتل .

وكان هذا الشيخ الغربى يعوذ نفسه تارة بالإنذارات الصارمة ، وتارة أخرى بتحركات الأساطيل فى البحرين ، وثالثة بأزيز الطائرات فى السماء الصافية فى البلاد العربية والإسلامية فترجف قلوب النساء والأطفال ، وتهز عروش الأمراء والملوك حذر الموت ، أو الحرمان أو الطرد وما شابه ذلك :

ولكن حرب بور سعيد أثبتت للعالم الشرقى عامة ، والعربى الإسلامى خاصة أن هذا

وجوية يحتاج العالم الغربي أن يتحالف مع أصحابها ليظفر بالأمن والدعة ، وإن حسن استغلال هذه الموارد والسيطرة عليها يعطينا من القوة أكبر مما تعطى القنبلة الذرية والهيدروجينية ، والميكروبية ، وقنبلة الكوبلت معا ، ذلك بأرب وسائلنا هي للبناء والإنشاء ، ووسائلهم للهدم والدمار . وأما عندهم فقد كشفنا أنهم - وإن سماوا أنفسهم حلفاء في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية - فإنهم لا يملكون من صفة الحلفاء إلا مظاهر مؤقتة تدفعهم إليها الحاجة عند الحروب الكبرى ، فإذا انتهت الحرب عاد الحلفاء أعداء يترصد بعضهم لبعض ، ويكيد بعضهم لبعض وقد رسم لهم هذه السياسة ما كفافيل منذ أكثر من قرن في كتابه الأمير .

ولم يكن ما كفافيل هذا مجتهداً ، ولا مجدداً وإنما كان مؤكداً لأخلاق سبقت ، وعادات عرفت منذ الحروب الصليبية ، وإن هذه المدنية الغربية التي تفخر بالكهرباء والذرة وإخضاع البر والبحر والجو ، تعجز في الحقيقة عن تحقيق شيء من المثل العليا .

فالاستعمار ذاته هو أكبر عار في جبين المدنية الغربية ، وهذه الحروب العالمية في كل ربع قرن ، والحروب المحلية الدائمة أكبر دليل على الوحشية الغربية ، وهذا

المؤتمرات التي تعقد في الوطن الإسلامي لدليل على أن القوم عندنا قد غيروا ما بأنفسهم ، وأنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ودليل على اقتناع العالم العربي الإسلامي أن التهديد الذي كان يقع على رؤوسهم ، وهرشهم كان تهديداً لا يخفى تحته قوة حقيقية مدعاه الأركان ، وإنما كان مجرد ألعاب سحرية لا تبهر إلا الأطفال أثناء طفولتهم ، فلما كبروا عرفوا أن قوة الساحر ليست مستمدة من قوة إنس ولا جان ، وإنما هي خفة يد لم تلبث أن تبينت تحت الفحص الدقيق .

من كان يعتقد أن العالم العربي يجتمع بملوكه ورؤسائه أكثر من مرة ليرسم طرق الدفاع عن السكبان العربي ، وينفذها على الفور متحدياً أكبر الدول الاستعمارية في العالم الغربي ؟ ماذا تغير في العالم العربي ؟ أنا لا أعتقد أن قوتنا العسكرية قد وصلت أو قاربت القوة العسكرية لحلف الأطلنطي ، ولكن الذي تغير هو طريقة التفكير التي أدت بنا إلى كشف الأفكار الخاطئة عندنا وعند خصومنا

أما عندنا فقد انتهينا إلى كشف سر نجاح الشعوب ، إنه لا يمكن في القوة العسكرية وحدها ، ولكن للنجاح طرقاً أخرى غير القوة العسكرية .

إننا نملك موارد ، وطرقاً برية وبحرية

بالحياة لا تجدهما إلا فى الجانب الشرقى من هذا العالم ، وهى قيم لا تزال سليمة لم يداخلها زيف ، ولا دنس ولم يلوثها رجس المادة وأوزارها .

لقد بدأت هذه القيم الروحية دورها وهى الآن تتجمع وتشتد وتشكل ، وعندما تصل إلى منتهىها سوف تنفض لتقود البشرية إلى أمتهن العالم الغربى قرونا منذ أن تسلم قيادتها من العالم الإسلامى أواخر العصور الوسطى ، فلم يحسن هذه القيادة وألقى بالبشرية فى حالة من الاضطراب والقلق تدعو إلى الأسف المرير .

دكتور محمد مختار القاضى

التمييز العنصرى الذى تجده فى أكبر الدول الداعية إلى المساواة ، والمتبنية لحقوق الإنسان أكبر مظهر من مظاهر الردة إلى البربرية القديمة .

ما أعتقد أن هذه المدنية الزائفة سوف يطول عمرها ، لأنها قد قاربت الشيخوخة وإن تجملت بالأصبغة ، والمساحيق ، والحقن لتظهر أمام العالم بمظهر الشباب . والشباب ولى إلى غير رجعة .

سوف يتقهقر العالم المادى لأن رسالته فى الحقيقة لا تصلح لإقامة حياة سعيدة .

وهنا يجب أن يتبأ العالم الروحى ؛ ليقود ركب الحضارة ، وينير الطريق أمام بنى الإنسان وإن القيم الروحية النابضة

مصر والقضية العربية

سألقى فنان صهيونى : لماذا يهتم المصريون بمشاكل العرب... ؟

فاستغربت سؤاله ، ولم أكنتمه أنه سؤال غريب ، فعاد يعال : وما وجه الغرابة فيه . ؟

قلت : وجه الغرابة فيه أنك تفتقر الاهتمام من يهود أمريكا بجماعة الوطن القومى فى فلسطين ، وتحسبه من الأمور الطبيعية التى لا تحتل السؤال والاستفسار والى كنىك تستغرب من العرب المتجاردين أن يهتم بعضهم ببعض ، وهم مضطرون إلى هذا الاهتمام ؟

عباس محمود العقاد

ليلة الإسراء والمعراج للأستاذ أحمد حنفي نصار

عليه وسلم في ليلته الغراء - وهو دابة، أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى بصره - فركب الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وجبريل عليه السلام من حوله في سفرته . فرأى في صراء من آيات ربه ما رأى، حتى وصل إلى المسجد الأقصى المبارك فنزل عنده، ثم دخل المسجد حيث جمع الله له إخوانه الأنبياء، وقدمه جبريل عليه السلام عليهم فصلى بهم إماماً، ولا عجب فهو المحتفى به وهو خاتمهم، وأكرمهم على الله في الدنيا والآخرة، وصاحب الشريعة القائمة العامة . السكاملة الدائمة . وأمه خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان الله قد كلم موسى عليه السلام فقد كان موسى في أرض سيناء على جبل الطور عند المنجاة، ولم يرق إلى السماء ولما طلب الرؤية أخبره الله بأنه لن يراه كما يفهم من قوله تعالى : ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر

أراد الله العلي الكبير أن يمنح رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من واسع فضله وأن يكرمه بمشهد من عليه خلقه فكانت الليلة المشهودة ، وهي ليلة الإسراء والمعراج . وقد وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو في السنة الحادية والخسين من عمره المبارك ، قبل هجرته عليه السلام بنحو ثلاث سنين .

وكان الله الذي عصمه ورماه ، أراد أن يخفف عنه المتاعب النفسية التي خلفتها الأعباء الجسام التي ناء بها أكثر من عشر سنين، وهو يواجه قومه برسالة ربه مع هتفهم ولجاجهم العنيف، وأن يشرح صدره ويزيده قوة روحية، وثباتاً نفسياً، ولكي يعلنه بما يبدله على قدره عنده ، ومكانته العالمية لديه ، فتطيب نفسه، ويعلم من قلبه بما يرى من آيات ربه الكبرى .

أسرى به الله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجاءه جبريل عليه السلام ومعه البراق ؛ ليكون مطية الرسول صلى الله

لغيره من النبيين ، وناهيك بتلك المعجزة الكبرى التي غطت على كل معجزة وهي القرآن الكريم ، القائم شاهد عدل على كمال شريعته ، وصدق رسالته ، محفوظا كما أنزل بإقيا منار هدى على تعاقب الأيام واختلاف العصور إلى يوم الدين .

هذا وما استقر المقام بالرسول صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس ، حتى عرج به إلى السموات السبع فرقى فيها ، والملائكة يرحبون بمقدمه في كل سماء ، ماراً بالأنبياء على منازلهم حيث وجدوا من السموات حتى وصل إلى سدرة المنتهى .

وكثير من السادة العلماء الذين تكلموا عن الإسراء والمعراج يفرقون بينهما في أدلة الثبوت وما يترتب عليه من أحكام فيقولون : إن الإسراء قد ثبت بصريح القرآن في أول سورة الإسراء إذ يقول الله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لغريبه من آياتنا لأنه هو السميع البصير ، ولكن المعراج المنير قد ورد ذكره في السنة النبوية الصحيحة فحسب .

ولست أدري لم هذه التفرقة ؟ وكيف أغفلوا النظر في قول الله تعالى في سورة النجم : وادعنا نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى

مكانه فسوف ترائى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . .

وإذا كان عيسى عليه السلام قد طلب مائدة تنزل من السماء ؛ فاستجيب له ، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد نبع الماء من بين أصابعه ، وبارك الطعام القليل فكفى الكثير حتى شبعوا وبقي من الطعام فضل .

وإذا كان عيسى عليه السلام قد أحيا الموتى بإذن الله فلم يك ذلك خصوصية له فقد سبقه إلى مثله إبراهيم عليه السلام بإحياء الطير كما يفهم من قوله : قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيًا ، وكذلك عادت الحياة إلى قتيل بنى إسرائيل لما ضرب ببعض أجزاء البقرة بأمر الله في عهد موسى قبل مبعث عيسى عليهما السلام فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لهلكم تعقلون . .

وحقا إن ما كان للأنبياء قبل محمد عليهم السلام من معجزات ، له قدره وخطره في تأييد الله إياهم لسكن ذلك لا يرقى إلى الإكرام السامى الفريد الذى كان لمحمد صلى الله عليه وسلم بالإسراء والمعراج ؛ لأنه تشریف لذاته ، وبما أجرى الله له من معجزات أخرى حسية ومعنوية متلاحقة لم تجتمع

لأياه ، واستضراؤهم عليه . حتى إن جماعة من كانوا قد أسلخوا ارتدوا . ويؤخذ من هذا أنه عليه السلام أخبرهم : بأنها رؤية بصرية رآها في يقظته ، وإلا لما كذبه أحد ؛ لأن من يرى في المنام الخوارق ما يكذبه أحد ولا ينكر عليه .

والله تعالى قد بدأ الإخبار عن الإسراء بالتسليم ، والتسليم لا يكون إلا في الأمر العظيم الخطير ، ولو لم يكن الإسراء يقظة ما كان أمراً عظيماً . كما أنه جل جلاله قال : أسرى بعبد ، والعبد يطلق على الشخص بجزأيه الجسم والروح معاً . ولفظ العبد ورد في القرآن الكريم ، وهذا المعنى متمين له فقد قال الله تعالى : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، والكتاب أنزل عليه يقظة كما قال تعالى : وأرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ، والصلاة وقعت من الرسول يقظة ، ومن نهاه من المشركين نهاه يقظة . فيكون الإسراء على ذلك قد وقع له عليه السلام يقظة ومن هنا لابد أن يكون كذلك بروحه وجسمه معاً .

وظاهر أن هذا التكريم الإلهي من خصائص الرسول الأظم ، ومن أعلام نبوته ، وأن المقصود المتعين منه أن يريه الله من آياته الكبرى لا مجرد قطع المسافة من مكة إلى بيت المقدس

عندها جنة المأوى . إذ يغشى الصدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى . وهذه الآيات تبين لنا بوضوح أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها عند الشجرة أعلى السموات حيث ينتهى علم الخلاق ، وعندها جنة المأوى إذ يغشى الصدرة من الأنوار ما شاء الله أن يغشى . فكيف يتصور أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعجائب وهي أعلى السموات دون عروج ورقى إلى تلك الآفاق السامية ! وهل بعد هذا يمكن أن نفرق بين الإسراء والمعراج في الثبوت ، وما يبنى عليه من أحكام ، خصوصاً مع ما ورد من ذكر المعراج مفصلاً في الحديث النبوي المبسوط في الكتب الصحاح ؟

ثم عاد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد جولته في السموات إلى بيت المقدس ، ومن ثم رجع إلى مكة المكرمة بعد أن رقى أعلى المنازل ، وسما فوق كل الدرجات ودخل الجنة ورأى ما فيها ، وغشى بالأنوار ، ووقف حيث سمع صريف الأفلام ، وانحسرت عنه كل العوالم من ملك وإنس وجان .

فلما أصبح في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته ، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم

صلى الله عليه وسلم أعظم من ذلك .
ولم يحصل مثله لسليمان ، ولا لغيره من النبيين
عليهم السلام .

وبذلك يكون ما آتى الله محمداً صلى الله
عليه وسلم ليس للجن والإنس قدرة على مثله
ولا يستطيع أحد التلبس على الناس فيه .
وإنما هو تكريم إلهي كبير الدلالة على أنه
عليه السلام قد بلغ النهاية من الرعاية والحب
والرضوان ، ذلك الفضل من الله وكفى
بأهله علماً .

أحمد حنفي نصار القوصي

تعليق ...

ينبغي أن يلاحظ أن كل المعجزات التي
ظهرت على يد الأنبياء من عمل الله لا من عمل
أحد سواه . فليس لنبي يد في الخوارق التي
ظهرت على يديه ، وقهرت الخارجين عليه ،
وقد عرض شوقي لهذا الموضوع ؛ فقارن
بين القرآن ، وبين غيره من المعجزات التي
ظهرت على يد الأنبياء وقال :

جاء النبيون بالآيات فانصرفت

وجئتنا بحكيم غير منصرف

آياته كلما طال المدى جدد

يزينهن جلال العتق والقدم

« المجلة »

إذ ليس هذا في ظاهره بالأسر العجيب
المعجز ؛ لأنه يقع لمن تحمله الجن ، وقد قال
العفريت لسليمان عليه السلام : أنا آتيك
به قبل أن تقوم من مقامك ، ، وحمل عرش
بلقيس من قصرها في الثين إلى مستقر سليمان
عليه السلام بفلسطين ليس أقل من ذلك مع
فارق بسيط : هو أن الجن وإن قدروا على
أن يحملوا بعض الناس ، ويعطروا بهم
في الهواء من مكان ؛ إلى مكان فإن المحمول
لا يدري كيف حمل ، ولا يستطيع أن يدرك
شيئاً مما يمر به ، وهو محمول ، وهذا في الإسراء
في جو الأرض ، وأما المعراج : فإن الجن
لا يقدرون إطلاقاً على إصعادهم إلى السماء
وإرادتهم آيات الله فيها ، ولا حفظ حياتهم
بعد جسر الأرض المتعين بهوائه لبقاء
حياة البشر .

وكذلك قال الذي عنده علم من الكتاب
لسليمان عليه السلام : أنا آتيك به قبل
أن يرتد إليك طرفك ، وهذا أبلغ من قطع
المسافة التي بين المسجدين في ليلة أو بعض
ليلة .

ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل من الذي
عنده علم من الكتاب ، ومن سليمان عليه
السلام فلا بد أن الذي خص الله به محمداً

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للاستاذ على العمّار

- ٢ -

إن الدين عند الله الإسلام :

حين كنت في هيئة تحرير مجلة الأزهر عرض علينا بحث عنوانه (دين الله واحد) وقد أثار كاتبه أن يقدمه غفلا من التوقيع . ونظر فيه أحد الزملاء فما كاد ينتهي من قراءة المقدمة ، حتى ألقاه أمام رئيس التحرير ، وقال : إن هذا البحث كتبه مبشر جامل .

ولكن كاتب هذا المقال راق له أن يتم قراءة البحث ، حتى إذا رفض نشره كانت في يده (حبيثات الحكم) ، ثم إنه رغب أن يعرف ما يقوله هؤلاء الذين يبشرون بالمسيحية من غير أهلها ، فقد كان على يقين أنه لم يكتبه رجل من رجال الدين المسيحي ، وإنما كتبه أحد الكتاب المسلمين

وفعلا قرأت البحث بإمعان ، وكتبت على هواش النسخة تعليقات تبين ما فيه من أخطاء علمية ، وما يتضمنه من انحراف في العقيدة .

وكنيت أظن أن صاحب هذا البحث

- إذا كان معتدأ بعقله ودينه - لن ينشره حتى يصلح من أخطائه ، ثم علمت أن البحث قد نشر ، وتبين أن مؤلفه ليس مبشراً جاهلاً - كما حدس زميلنا - وإنما هو رجل مسلم يلبس العمامة ، ويرتدى الجبّة والقفطان .

وقد اعتزمت أن ألزم الصمت حيال هذا الكاتب ، فربما كان الجدل حوله أحد الأهداف التي يقصد إلها المؤلف من نشره . وسكت .

غير أن أحد الكتاب الغيورين كتب منذ أسابيع فصلاً في مجلة الرسالة أبان فيه عما رآه في الكتاب من انحراف ، ومع حرص الكاتب على التقصى ، ومقارعة الحجة بالحجة ، فقد فاتته أشياء ذات بال ، فرأيت أن الواجب يقتضي - وقد علم بعض القراء شأن هذا الكتاب - أن أكتب هذه الكلمات ، وأعتقد أن فيها فائدة للوالم - وإن لم ينتفع بما كتبت على هواش البحث من قبل - وفائدة لأولئك الذين

على شيء غير اتباع أحكام هذه الأركان ، وإقامة أصولها ، فقد حكم بأن مثل هذا فان برضوان الله - هكذا من غير تقييد بشئ .

والمسلمون يؤمنون بالله ، ورسله جميعا ، وبكل كتبه المنزلة ، وباليوم الآخر ، فهم غير محتاجين لهذا القانون الذي وضعه المؤلف واليهود غير متفهمين به أيضا لأن المؤلف نبذهم بقوله في ص ٧٦ ، (ولا يفوتنا أن نبين أن كلامنا عن اليهود - هنا - ليس على إطلاقه ، وإنما نقصد به اليهود الذين اتبعوا موسى عليه السلام بحق ، وآمنوا بتوراته الصحيحة التي أنزلها الله إيماناً صحيحاً ، وأخذوا أنفسهم بأدائها ، وأعمالها أخذاً صادقاً) .

فلم يبق إلا المسيحيون غير مقيدين بإيمانهم بما جاء به عيسى إيماناً صحيحاً ، ولا يشك من يقرأ هذا السكتيب : أن المؤلف وضعه لهذا ، فكل فصوله تدور حول هذه الفكرة الذهبية .

ولعل من أول الدلائل على ذلك أن المؤلف استشهد بكل ما جاء في القرآن مصداقاً بالإنجيل ، ولم يذكر حرفاً واحداً عن تحريف الإنجيل ، مع أن القرآن ذكر ذلك صراحة في أكثر من آية .

وقبل أن تناقش المؤلف في دعاواه التي

يشجمونه على مثل هذا البحث ، فإن في البحث تقريراً بهم في عقيدتهم ، وفي هذا البيان إرشاد إلى الطريق القويم الذي يتحتم عليهم أن يسلكوه ، حتى يكونوا عند الله من الناجين .

* * *

يقوم الكتاب على فكرة واحدة ، أهلها المؤلف في صراحة ، ثم راح يدور حولها في كل فصول الكتاب

قال المؤلف : (فكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويعمل صالحاً فهو ناج بفضل الله - إن شاء الله - ؛ ذلك بأن هذه الصفات الثلاث هي أركان الدين الأساسية على لسان كل رسول ، فمن اتبع أحكامها ، وأقام أصولها - من أي دين كان - فاز برضوان الله ، ومن أخل بشئ منها ، واتبع هواه فأمره إذن إلى الله ، إن شاء رحمه ، وإن شاء عذبه ، وهو - سبحانه - غفور رحيم لا يسأل عما يفعل) .

ومعنى هذه العبارة أن الإيمان بالرسول ، والسكتب المنزلة ، ليس ركناً من أركان الدين ؛ لأنه حصر الأركان في تلك الثلاثة : الإيمان بالله ، والإيمان باليوم الآخر ، والعمل الصالح .

والمؤلف قد جعل النجاة - أولاً - بفضل الله إن شاء ، ثم جعلها - ثانياً - غير متوقفة

القوانين الوضعية بين الفينة والفينة ... وهذا الأمر قد تركه الله للناس - كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده - وفي ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم : أتمم أعلم بأمور دنياكم .

ولا أدري ما الدافع القوي الذي يدفع بعض من يريدون أن يقحموا أنفسهم في الحديث عن التشريعات الإسلامية إلى أن يقولوا ، ويكرروا القول أن (المعاملات) لا تدخل في نطاق التشريع ، وهم - بالطبع - يريدون التشريع الإسلامي ١٩

إن (المعاملات) كلمة اصطلاحية ، وضعها فقهاء المسلمين لما يجرى بين الناس من شئون الحياة كالبيع والرهن ، والغفعة ، والهبة ... وما إلى ذلك . فهل هذه من شئون الدنيا التي تركها الرسول للناس ؟ . وهل خلا القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف من بيان أحكامها ؟ ، ليست هذه المعاملات متروكة للناس يقولون فيها بأهوائهم ، وإنما وضعت الشريعة الإسلامية أصولاً لكل هذه الأمور ، فأخرجها عن دائرة الشريعة لا يؤدي إلا إلى رفع حكم الله عنها ، وترك الناس يسرون فيها كما يشاءون .

ولذا كانت المسيحية لم تعن ببيان أحكامها ، لأنها - كما هو معروف - إنما جاءت للحد من طغيان المادية اليهودية ، فأهملت هذه

أوردتها في الكتاب نحب أن ننهبه إلى حقيقتين اثنتين في هذه الكلمة التي نقلناها في أول هذه الكلمة :

الحقيقة الأولى : كيف يتم الإيمان بالله دون أن يؤمن الإنسان بكل ما يصدر عنه ؟ .

والحقيقة الثانية : يقول : ومن أخل بشئ منها فأمره إلى الله إن شاء رحمه . . إلخ ومن هذه الثلاث (الإيمان بالله) فعنى كلامه أن من أخل بالإيمان بالله ، أى كفر به - سبحانه - فأمره إلى الله إن شاء رحمه ، وإن شاء عذبه ، وهذا يخالف لنص محكم صريح من نصوص القرآن ، وهو قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، . والمؤلف يعرف حكم من ينكر نصاً صريحاً من نصوص القرآن الكريم .

ثم نأخذ في مناقشة المؤلف في كل ما جانب فيه الحق والصواب :

فريق المؤلف بين العبادات والمعاملات ، فجعل الأولى من وظيفة الرسل ، أما القول في الثانية فلا شأن للرسل به - كما زعم - ومن ثم فلا تتعلق بها التشريعات التي جاءت بها الأديان وفي ذلك يقول : (أما أحكام الحياة ونظمها - وهو المعبر عنه (بالمعاملات) - فإنه يتغير بتغير الزمان ، وأحوال الناس ، وطرائق معاشهم ، كما تتغير

عالمًا حكميًا متصفا بما أوجب الدليل بأن يتصف به .

وكيف يقصد الشيخ محمد عبده إلى التعميم ، والله يقول : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً فمرهان مقبوضة » ، ويقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا تدابرتهم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، وهذه الآية هي أطول آية في القرآن ، وقد جمعت كل ما يتعلق بكتابة الدين ، ويقول : « وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ... الآية » .

والميراث : « هو من العبادات أم من المعاملات ؟ وغير ذلك كثير في القرآن الكريم ؟ ينبغي أن يكون عند الذين يقولون فيما يتصل بالتشريع الإسلامي شيء من الحياة .

ويرى المؤلف - وهذا هو جوهر البحث - أن لكل واحد من أصحاب الأديان أن يؤدي عبادته على الصورة التي بينها دينه ، إن في معبده أو في بيته ، أو في خلوته ، أو في أى بقعة من الأرض ، فأينما تولوا فثم وجه الله .

وهذا الكلام يحتمل وجهين :

الأول : أن يكون المؤلف قصد أن كل ذى دين من حقه أن يعبد الله على الطريقة التي نهجها له دينه ، لا حصر عليه في ذلك ،

الثنون إلهالاً تاماً - فإن الإسلام جاء للدين ، وللدنيا .

وقد استعان المؤلف في خبطه ، وخلطه بكلام الشيخ محمد عبده .

فأولاً : ليقول الشيخ محمد عبده ، ومن هو أفقه من الشيخ محمد عبده ما شاء ، فإننا لا نأخذ ديننا من هذا ، ولا من ذاك ، وإنما نأخذه من مصادره الأولى ، وهي معروفة غير مجهولة .

والمعاملات الإسلامية التي تكلم فيها الفقهاء مصحوبة بأدلتها من الكتاب والسنة ، والقياس والإجماع من صميم الشريعة ، وليست كتابير النخل ، تلك الحادثة التي ورد فيها قول الرسول العظيم : أنتم أعلم بأمور دنياكم .

وثانياً : كلمة الشيخ محمد عبده لا تعنى المعاملات المعروفة ، ولا أظن الشيخ رحمه الله خطر بباله أن يخرج المعاملات عن حكم الشريعة ، وهذه هي كلمة الشيخ : (وأما تفصيل طرق المعيشة ، والحدائق في وجوه الكسب ، وتطاول شهوات العقل إلى درك ما أعد للوصول إليه من أمرار العلم ، فذلك مما لا دخل للرسالات فيه إلا من وجه العظة العامة ، والإرشاد إلى الاعتدال فيه ، وتقدير أن شرط ذلك كله أن لا يحدث ريباً في الاعتقاد بأن للكون إلهاً واحداً قادراً

بها جواز الاستغفار لا للنصراني حسب ، بل للكافر أيضا :

فينقل - أولا - عن الحسن : قيل يا رسول الله إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال : ونحن نستغفر لهم .

وعن علي : رأيت رجلا يستغفر لأبويه ، وهما مشركان ، فقلت له ، فقال : أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه ؟

وينقل - ثانيا - عن الزخشرى في الكشف أن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ، ألا ترى إلى قوله عليه السلام لعنه : لاستغفرون لك ما لم أنه عن ذلك .

ويقول - ثالثا - إن النصراني من بني آدم ، والله يقول : « يا بني آدم أما يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

فكل من يتقى ويصالح فلا خوف عليه ، والأساس الأول هو التقوى ... هكذا قال - هداه الله - .

أما - أولا - فالمؤلف تجرأ على مسألة (استغفار النبي للمشركين) فذكر أولها ، وترك آخرها ، ولو أنه كان أميناً لاثبت هذه الآيات : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه

ولا تقييد لحريته ، وهذا أمر لا يخالف فيه ، فإن الإسلام أمرنا بأن نترك أصحاب البيع والكنائس يؤدون شعائر دينهم ، ولا نتعرض لهم فيها .

الثاني : وهو الذي يفهم مما كتبه المؤلف بعد ذلك - أن لكل ذي دين أن يؤدي عبادته على الطريقة التي رسمها دينه ، ولا يطلب منه أن يؤدي شعائر الدين الجديد ، وهو يقصد - كما هو ظاهر - أن المسيحي غير مطالب بأن يؤمن بالإسلام ، ولا أن يؤدي شعائره ، فإن قيسامه بشعائر دينه يغنيه عن ذلك .

ومعنى هذا إنكار عموم الشريعة المحمدية ، ومصادمة الآيات القرآنية الصريحة التي تدعو كل البشر إلى أن يؤمنوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبأن يدينوا بدين الإسلام .

وسنترك الكلام في هذا المقصد إلى موضعه الذي هو أليق به من حديثنا هذا .

ويسوق المؤلف (حكاية) خلاصتها أن بعض رجال الدين استنكر أن يقول أحد المحامين الشرعيين في محام قبلى مات : رحمه الله . ويفضرب المؤلف لذلك ، ويقول : إذا كان حكمكم على الكافر صحيحا ، فإن النصراني ليس بكافر ، ويمنح إلى أدلة يؤيد

إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه .

ولعل قائل يقول : إن المؤلف قد غفل عن هذه الآيات ، أو لعله لا يحفظها ، ولا يعرف مكانها في المصحف ، ولكن

لا أدري ماذا يقول هذا القائل إذا علم أن المؤلف نقل كل هذه النقول من تفسير الكشاف ، وهين في هامش صفحة ١٣ من كتابه الجزء والصفحة من كتاب الكشاف ، وفي هذه الصفحة تفسير هاتين الآيتين ١٤

والمؤلف من المؤمنين بالسيد رشيد رضا ، وهو يتكلم عليه في كثير من بحوثه إذا وافقت هواء ، والسيد يقول بالحرف الواحد : (والمراد أنه ليس بما تبيحه النبوة ، ولا الإيمان ولا مما يصح وقوعه من أهلها : الاستغفار للشركيين في حال من الأحوال ، حتى لو كانوا أولى قربى ، ويقول في نفس الصفحة - في تفسير الآيتين الكر بميتين - : (والآية

- ما كان للنبي - نص في تحريم الدعاء لمن مات على كفره بالمغفرة والرحمة ، وكذلك وصفه بذلك كقولهم المغفور له المرحوم فلان ، كما يفعله بعض المسلمين الجغرافيين الآن لعدم تحققهم بمقتضى الإيمان ، وتقيسهم بأحكام الإسلام ، ومنهم بعض المصنفين والحاملين لدرجة العالمية من الأزهري .

فما قول المؤلف في هذا الكلام الواضح ، الحاسم القاطع ؟ أعتقد أنه إذا سمح لنفسه أن يغفل بعض آي القرآن ، فلن يسمح لها أن تغفل كلام السيد رضا ، لأنه يأخذ منه في كثير من الآراء .

وصفت له فيما يأتي من حديث : أن هؤلاء الذين يطلب لهم الرحمة كفار بنص القرآن ولكن نبادر فنذكره بقوله تعالى : ولقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، وبقوله - سبحانه - : ولقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة .

وقد جاء في سبب نزول الآية (ما كان للنبي) روايات ، ومنها - كما ذكر صاحب الكشاف وصححه - أن النبي لما فتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهداً ؟ فقيل : أمك آمنة ؛ فزار قبرها بالأبواء ، ثم قام مستعبراً ، فقال : إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ، فنزلت .

وقيل في سبب النزول : قال المسلمون : ما بمنعنا أن نستغفر لآبائنا ، وذوي قرابتنا ، وقد استغفر إبراهيم لإبيه ، وهذا محمد يستغفر لعمه فنزلت .

وإن تعجب فعجب ما رواه المؤلف عن سيدنا علي كرم الله وجهه ، وحقيقة الأمر أن علياً قال : سمعت رجلاً يستغفر

إبراهيم ، فنقله المؤلف إلى حيث يؤيد به مزعما من مزاعمه .

والعجب - أيضا - كيف ساق المؤلف قول النبي (ما لم أنه) ولم يذكر أن الآية نزلت تنهيه عن الاستغفار لأحد من المشركين .

وأما - ثالثا - فاعني التقوى التي يعلم بها (النبي آدم) من الخوف والحزن ؟ .

أمن يدهى أن لله ولدا : أو أن الله ثالث ثلاثة هو بمن اتقوا وأصلحوا ؟

أمن جاءه دين من الله يدعو إلى أن يؤمن بالله وبرسوله وكتبه فضرب بكل ذلك عرض الحائط بمن اتقوا وأصلحوا ؟

ومن كل ما تقدم يدرك القارىء بوضوح أن المؤلف عمد إلى المغالطات ، وإلى اقتضاب النصوص ليدعم دعاواه .

وموعدها معه في آرائه الأخرى التي حشا بها هذا السكتيب أحاديث قادمة إن شاء الله .

على العماري

لوالديه ، وهما مشركان فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : وما كان للنبي ، .

وأما - ثانيا - فن قال للمؤلف : أن أحكام الإسلام يتحكم فيها العقل وحده ، ولكي يقين للقارىء مدى أمانة المؤلف ننقل له عبارة الكشف التي اقتضها المؤلف اقتضابا ، إن الزمخشري كان يفسر الآية الثانية ، (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) فأورد سؤالا ، وأجاب عنه ، قال : فإن قلت : كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده ؟

قلت : يجوز أن يظن : أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له ، على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يخفى الله للكافر .

فالمؤلف قد ألغى الجزء الأول من كلام الزمخشري ، واكتفى بالجزء الثاني الذي أراد به ذلك العالم الجليل أن يمتذر عن

قال تعالى :

واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون .

من سيم العلماء وسيفهم بالعالم لدستاز محمود الشرفاري

فيوتن العالم ويقدره ، ولكنه يحب العلم والحقيقة أكثر مما يحبه ، فيكشف عن خطأ زميله ونقص نظرياته ، ثم يأخذ الحياء ، ويغلبه الأدب فيكتب - بعد التصحيح والتوضيح والتسكلة - : معذرة يا نيوتن . كما أننا يجلس في مجلس سلفه وأستاذه ، فيعذر من جرأته عليه ، كما يفعل التلميذ في حضرة شيخه .

هذه قصة قرأتها ، وأعجبت بما فيها من معنى التواضع الذي هو صفة لازمة من صفات العلماء ، قرأتها وذكرت بها أشباها ونظائر من صفات أسلافنا الأئمة والعلماء وأخلاقهم ، أشباها ونظائر من تواضعهم وإخلاصهم للعلم وشجاعتهم ، وفيها تذكرة وهبة وتكريم . تواضع وكرم نفس :

١ - حكى الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، صحابي رسول الله ، وكاتب وحيه ، فدنا منه عبد الله بن عباس فأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلماؤنا فقال زيد : أرني يدك ، فأخذها وقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

٢ - وفي تاريخ الإمام الشافعي أنه كان

استحق نيوتن : عالم يسجل التاريخ اسمه واحدا من أبرز العقول التي يفخر بها البشر في صورتهم كلها ، كشف عن قانون الجاذبية الأرضية ؛ فكان هذا الكشف هاديا للعلماء في أن يعرفوا حقائق جديدة رائعة من عالمنا الأرضي ، وعن قوانين الحياة التي أبدعها الله : الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين .

وابشتين : عقل من جسارة العقول التي اختارها الله وميزها بالفهم والذكاء والقدرة والصبر ، وصل عقله المختار إلى نظرية النسبية ؛ فكانت بداية عصر جديد في تاريخ البشرية ، بنى عليها من النظريات والمخترعات ما يستطيعون به أن يجعلوا حياة الناس كلها دسلا ولبنا - إذا استعملوها في سبيل الرخاء والخير - ويستطيعون أن يشعلوا الأرض كلها حما ولهباً ودماراً إذا أرادوا بها وبالناس شرا ونكرا .

بحقق أينشتين ، نظريات سلفه د نيوتن ، باحثاً متحرراً متابعا ، وبين عصرهما قرنان من الزمان ، فن الطبعي أن يجد فيها شيئا من الخطأ والنقص ، وأينشتين العالم يحب زميله

- الذى كان يلقب « بسلطان العلماء » - إلى مصر ، توقف إمامها و عارفها الشيخ زكى الدين المنذرى ، صاحب الترغيب والترهيب ، عن الإفتاء وقال : (كننا نفق قبل حضوره ، أما بعد ذلك فالإفتاء متمين فيه) .

هؤلاء الضحابة والعلماء ، قد حملوا بقول النبي الكريم : (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لفتاروه السفهاء ، ولا لتجتروا به المجالس ، فن فعل ذلك فالنار النار) .

وقد أكبر الأقدمون صفة التواضع فى العلماء ورووا فى ذلك أمرا قول (يذبحى للعالم أن يضع الرماذ على رأسه تواضعا لله عز وجل) .

الشغف بالعلم والصبر عليه :

١- ومن صفات العلماء الشغف بالعلم والصبر على مشقاته ، وفى ذلك نجد لأسلافنا من العلماء مواقف ، وقصصا تدل على مدى هذا الشغف الذى كاد أن يلمهم عن كل شئ سوى العلم وعلى مقدار هذا الصبر الذى يتعجب المرء من قدرتهم عليه .

ومن ذا الذى لا يذكر فى هذا المجال شغف الإمام البخارى بجمع الحديث الشريف ، وصبره عليه ، حتى كان يرحل من بلد إلى بلد يسافر الأيام الطويلة ، ويلقى أعنف مشقات السفر سعيا وراء حديث يحفظه ، أو رواية حديث يقابلها ويراجعها على مسمع وحفظ ، وفى ذلك يقول

يمسك زمام البغلة التى يركبها الإمام أحمد بن حنبل ، وأن ابنه تحدث إليه فى ذلك فقال له : هكذا أمرنا أن نكرم العلماء ، وأنه كان يمسك زمام ، هذه البغلة يوما ويمشى خلف الإمام أحمد ، فحدثه فى ذلك يحيى بن معين فكان جوابه : يا يحيى لو زمت البغلة لا تنفعت .

٣ - وعلم سفيان الثورى أن الإمام الأوزاعى - إمام أهل الشام - قدم مكة فلقبه خارجها ، وعرف بعيره من القطار الذى يسير فيه الزاكبون ، فحل رأس البعير ، ووضع على وقبه ، وكان إذا مر بمجاعة قال : الطريق للشيخ .

٤ - وفى تاريخ الإمام مسلم ، صاحب الصحيح ، أنه جاء إلى شبيخة الإمام البخارى فقبله بين عينيه وقال : دعنى حتى أقبل وجليك يا أستاذ الأساتيد ، وسيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى علله .

٥ - وفى أول القرن السادس الهجرى تولى أبو بكر الشاشى ، رئيس الشافعية فى زمنه ، التدريس فى المدرسة النظامية فى بغداد ، وكان يلى التدريس فيها قبله علماء أعلام كآبى إسحق الشيرازى والغزالى ، فلما جلس للتدريس غلبه التواضع ، وألح عليه البكاء حتى أخرج منديله فوضعه على عيفيه ثم أنشد : خلت الديار فسدت غير مسود

ومن البلاء تفردى بالأسود
٦ - وعند ما قدم العز بن عبد السلام

فتود أعضائي أن لها أسماءا تنتم به مثل ما تنعمت به الآذان ، فقيل له : كيف حرصك على العلم : قال : حرص الجوع المنوع في بلوغ لذته للبال ، قيل له : فكيف طلبك له ، قال : طلب المرأة المضنة ولدها ليس لها غيره .

٤ - وفي تاريخ الإمام أحمد بن حنبل أن الإمام الشافعي نزل عليه ضيفاً ، وكانت بنت الإمام أحمد تسمع أخبار الشافعي من أبيها وغيره ، وتشأت أن ترى مظاهر صلاحه وعبادته ، فطلت ليلها ترقبه ففراه ، مستلقياً على ظهره ، وأبوها مشغول بذكره وعبادته . فلما أصبح أصبح قالت لأبيها : ما رأيت له في هذه الليلة صلاة ، ولا ذكراً . ونهض الإمام الشافعي ، فقال له أحمد : كيف كانت ليلتك . . ؟ قال : ما رأيت أطيب منها ولا أبرك ، ولا أريح ، لأنني ربت فيها مائة مسألة - رأينا مستلق على ظهري - كلها في منافع المسلمين ، فقال أحمد لابقته : قد رأيت .

٥ - وقال الربيع : - من أصحاب الشافعي - أقام الشافعي في مصر أربع سنين ، فأملأ ألفاً وخمسين ورقة ، وخرج كتاب د الام ، ألني ورقة ، وكتاب : د السن ، وأشياء كثيرة ، وكان هليلاً شديداً لعله ، وربما خرج الدم وهو راكب ، حتى يملأ سراويله وخفه ، يعني من د البواسير .

٦ - ومن ذلك ما روى عن ابن المبارك ،

البخاري عن نفسه (دخلت إلى الشام ، ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقت بالمجاز ستة أهوام : ولا أحصى كم دخلت إلى الكوفة ، وبغداد مع المحدثين) .

٢ - وسمع جابر بن عبد الله أن عبد الله ابن أنس - وكان في مصر - عنده حديث حفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصص ، قال جابر - على ما رواه السيوطي في د حسن المحاضرة : :

(غرجت إلى السوق فاشتريت بعيراً ، ثم شددت عليه رحلاً ، ثم سرت إليه من المدينة إلى مصر - شهراً - فلما قدمت مصر : سألت عنه حتى وقفت على بابه ، فسألت فخرج علي غلام أسود فقال : من أنت ... قلت : جابر بن عبد الله ، فدخل عليه ، فذكر ذلك فقل : قل له : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فخرج الغلام فقال ذلك فقلت : نعم ، فخرج إلى والنزني والزمته وعائق كل واحد منهما صاحبه ، فقال : ما جاء بك يا أخي ؟ قلت : حديث تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصص لم يبق أحد يحدث به عن رسول الله غيرك أودت أن أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت) .

٣ - ومن ذلك ما روى عن الإمام الشافعي - فيما رواه المزني - قيل للشافعي : ما شهوتك للعلم ؟ ... قال : أسمع بالحرف بما لم أسمعه

المنصور أن يأخذه ، وحاف همرو ألا يأخذه ، فقال من في المجلس له : أيجلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ... ؟ قال : لئن بحث أمير المؤمنين أيسر من أن أحنت أنا ، فهو أقدر مني على كنفارة اليمين .

ولما قام الشيخ الشجاع الزاهد قال له المنصور : هل من حاجة فأقضيها لك يا أبا عثمان ... ؟ قال : نعم ، حاجتي ألا تبعت إلى حق آتيك ، ولا تعطيني حتى أسألك ، قال المنصور : إذن والله لا نلتقي أبدا . قال له الشيخ : عن حاجتي سألتني ، وخرج الشيخ فأشدد المنصور .

كلكم يمشى رويد

كلكم طالب صيد

غير همرو بن هبيد

٢ - ومن قصص الشجاعة أن الفضل ابن الربيع - وزير الخليفة هارون الرشيد - شهد عند أبي يوسف - صاحب أبي حنيفة - فلم يقبل شهادته . وطأته الخليفة في ذلك فقال له أبو يوسف : لم أقبل شهادته لأن سمعته يقول للخليفة يوما : أنا عبدك ! فإن كان صادقا فلا شهادة للعبد ، وإن كان كاذبا فكذلك ، ومن يفعل ذلك في مجلس الخليفة لا يبالي بالكذب في مجلس القاضي ، وقبل الرشيد عذره وأكبر شجاعته .

محمد الشرفاوي

وهل بن الحسن بن شفيق الذي يقول : قص مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد ، فذا كرفي عند الباب بحديث ، وذا كرفته ، فما زال يذا كرفي حتى جاء المؤذن فأذن للفجر .

الشجاعة في الحق :

ومن صفات العلماء : الشجاعة ، قال عالم لا يكتف كلفة الحق ، ولا يخشى فيه أحدا إلا الله ، ويجهز بما يعتقد في الظالم ، ولو لقي في ذلك العذاب والمهلك ، فهو يؤمن بأن خشية الله تمنعه أن يخشى سواه ، وأن الله مانحه العزة جزاء شجاعته في الحق ، وخشيته له وحده ، والله تعالى يقول : إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور .

١ - كان عمرو بن هبيد صديقا حيا لأبي جعفر المنصور ، قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولها ابتعد عنه ، واقتصد في زيارته ، وكان المنصور يشاق أن يراه ، ويطلبه إلى مجلسه فيجىء بعد تمنع . وجاء العالم الزاهد الشجاع يوما ، بطلب من الخليفة ، فلما جلس إليه أخذ يعظه ويشدد في تخويفه وزجره وتذكيره حساب الله حتى بكى المنصور ، فقال بعضهم له : يا أبا عثمان ، أبكيت أمير المؤمنين ، قال : وماذا عليه أن يبكي من خشية الله ... ؟ وأمر له المنصور بمال فرضه وقال : ليست لي به حاجة ، خلف

جماعة الإخوان الصفا

للاستاذ محمد غفراني الخراساني

— ٣ —

قال : لأنه ليس من الطوائف الحضور هاهنا
جنس أشرف منكم معشر السباع ، ولا أسمى قلوبا
ولا أفل نفعا ، ولا أكثر ضروا ، ولا أفل رحمة
ولا أشد حرصاً على أكل الجيف وطلب
المعاش ، قال : كيف ؟ قال : لأنكم تفترون
معشر السباع هذه البهائم ، والأنعام بمخالب
حداد ، فتخرجون جلودها ، وتكسرون عظامها
وتشربون دماءها ، وتنشون ماؤها بلا رحمة
عليها ، ولا فكرة فيها ، ولا رفق بها ، قال زعيم
السباع : دمنكم تعلينا وبكم اقتدينا فيما
تعملون في هذه البهائم ، قال الإنسي :
كيف كان ذلك ؟ ... الخ ، (١) .

وهذا نفس الأسلوب الفني الذي ألف به
ابن المقفع قصص كلیة ودمنة ، فثلاً يقول
في باب الأسد والثور على لسان دمننة ،
- ابن آوى - مخاطباً دشتربة ، (٢) : فإن
من حقر عدوه اضعفه أصابه ما أصاب
وكيل البحر من الطيطوى قال شربة :

(١) رسائل اخوان الصفا ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) دمنة اسم لابن ، آوى وشربة اسم
ثور ، وكلاهما من رجال حاشية الأسد ، ومن أبطال
قصة الأسد والثور التي وردت في الباب الأول
من أبواب كلیة ودمنة .

ومهما يكن من أمر فإننا عند ما نوازن
بين رسالة الحيوان ، وبين كلیة ودمنة . نحس
أن إخوان الصفا قد نهجوا في تأليف هذه
الرسالة منهج كتاب كلیة ودمنة من ناحية
هذه الخصائص التي تمتاز بها حكايات
الكتاب . ومنها تداخل المحاكات . فإن
المحاكات في رسالة الحيوان متداخلة يخلو
بعضها بعضاً ، وتتعاقب الواحدة تلو الأخرى
دون انقطاع ، ولا أدنى مناسبة ، كما هو الشأن
في حكايات كلیة ودمنة ، ومنها طريقة التقديم
لجلسات الدفاع بجملة التساؤل والاستفهام
مثل : كيف كان ذلك ، أو كيف ذلك ،

ونورد لك نصاً لكل من رسالة الحيوان
وكلیة ودمنة ؛ لتقف على مدى تأثير إخوان
الصفا بابن المقفع من الناحية الفنية للقصة كما
قلنا آنفاً ، يقول إخوان الصفا في إحدى
جلسات الدفاع لزعيم السباع الذي كان قد
أناب عن نفسه كلیة أعادمة للترافع أمام
المحكمة : لا ، فلما بلغ زعيم السباع إلى هذا
الموضع من الكلام ، قال له زعيم الإنس :
أما أنتم يا معشر السباع فسيبلغكم أن تكونوا
وتستحقوا ، ولا تتكلموا ، قال له كلیة : ولم ذلك ؟

بتوجيه السؤال إلى أحد الخصمين المائلين أمام المحكمة - الإنسان والحيوان - ثم يقوم كل واحد منهما بالدفاع عن نفسه ، وبني جنسه وهكذا تستمر المحاكمات كحلقات متواصلة وهذا الموقف من ملك الجان يشه تماماً موقف دبشليم الملك أحد البطليين في حكايات كلية ودمنة ، حيث يدور أمامه الحوار بين الحيوانات على لسان وزيره د بيديا الفيلسوف .

فترى أن ملك الجان يعقد جلسات المحاكمة بتوجيه السؤال إلى أحد الخصمين كما يفعل ذلك دبشليم الملك عند ما يعقد جلسات السمر مع وزيره د بيديا ، ويوجه إليه السؤال ليضرب له مثلاً لما دار بين شخصين من الأحداث والخطوب ، وذلك في بداية كل قصة رئيسية من قصص الكتاب التي تسمى بأبواب الكتاب أمثال : قصة الأسد والثور وقصة "فحص عن أمر دمنة ، وقصة الحمامة المطوقة ، وقصة الأسد وابن آوى . جلسات المحاكمة في رسالة الحيوان تشبه أبواب كتاب كلية ودمنة كما أن الفصول التي تتلو كل جلسة من تلك الجلسات تشبه الحكايات الفرعية التي تتلو كل حكاية رئيسية . من كتاب كلية ودمنة ، وإن الإطار الفني الذي ألف فيه

وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة : زعموا أن طائراً من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه في ساحل البحر ، ومعه زوجة له ، فلما جاء أوان تفريخها قالت الأنثى للذكر : لو التفتنا مكاناً حريزاً فخرخ فيه فإني أخشى من وكيل البحر إذا مد الماء أن يذهب بفراخنا . فقال لها : أفرخي مكانك ... فإنه لا يفعل ذلك . فقالت له : ما أشد تعنتك أما تذكر وعيده وتهده أياك ، ألا تعرف نفسك وقدرك ؟ فأبى أن يطيعها فلما أكرت عليه ولم يسمع قولها قالت له : إن من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطيخ قال الذكر : وكيف كان ذلك .. الخ (١)

ومن الوجوه المتشابهة كذلك بين رسالة الحيوان ، وبين كلية ودمنة . طريقة عرض جلسات المحاكمة حيث تنفعد أمام رئيس المحكمة ملك الجان (٢) يعلن افتتاح الجلسة

(١) كلية ودمنة ص ١٣٠ / ٤٠ : تحقيق نائل للرصفي طبعة القاهرة .

(٢) واسمه كما مضى « بياست الحكيم » ، « للأنب بن شاه مردان - سيد الرجال - حاكم منطقة قم في جزيرة » صاغون ، « في وسط البحر الأضر مما يلي خط الاستواء وهذه الجزيرة أشبه إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة ولذلك وزير يدمى » « بياز » « ومن الطريف أن كلمة شاه مردان فارسية ومركبة من « شاه » الملك و« مردان جمع مرد » : « الرجال وتطلق الأوساط المعجبة في إيران هذا اللفظ على بن أبي طالب عليه

السلام ، وخاصة للقصة منهم كما أن هناك طائفة من المتصوفة في إيران تسمى بـ « جمية إخوان الصفا » .

إلى مصرع الثور . ونرى أيضا أن النمر في رسالة الحيوان يحتل مكانة الصدارة بين أفراد حاشية الأسد ، ويلعب دور الناصح الأمين للأسد ، ويأخذ برأيه . كما أن النمر في باب الفحص عن أمر دمنه يعتبر من أخص أصحاب الأسد ومن أقرب أفراد حاشيته إليه وهو الذى كشف عن أمر دمنه ، وبلغ أم الأسد عن المؤامرة التى كان قد دبرها دمنه ضد الأسد ، وحرصه على قتل شترية (١) .

وأما قصة تواصل إخوان الصفا ، وتعاون بعضهم بعضا فقد أشرنا إليها في مستهل حديثنا عن رسالة الحيوان ، وأن لها صلة بقصة الحماة المطوقة من حيث فسكرتها العامة في تصافى الأخوان ، وثمرة هذا الصفاء ، وأن كان إخوان الصفا قد عمقوا معنى هذا التصافى بما يتفق ومبادئهم الفلسفية المبينة على اعتدة دم في عالم الغيب ، ما وراء الطبيعة ، وقبل أن نشير إلى هذه المعانى التى انفردوا بها نورد نص هذه القصة ، ينبغى أن نبين كيف يكون تواصل إخوان الصفا ، وكيف تكون معاونة بعضهم بعضا في طلب معيشة الدنيا ، وماذا ترى كيف يكون حال من سبقته المنية قبل صاحبه . كيف يكون عيش الباقي منهم بعد صاحبه ، ذكر أن مدينة كانت على رأس

إخوان الصفا رسالة الحيوان هو نفس الإطار الفنى الذى ألف فيه ابن المقفع حكايات كلية ودمنة .

هذا وتشبه رسالة الحيوان كتاب كلية ودمنة لاني تداخل المحاكات ، وطريقة عرضها فحسب ؛ بل إنهما يتشابهان في توارد كثير من أسماء الحيوانات والأبطال الذين أسندت إليهم الأدوار في كل القصة والمحاكاة فنجد مثلا في رسالة الحيوان فصلا من المحاكاة على لسان كلية أخى دمنة مندوب الأسد - أبو الحارث - ليشارك مع سائر الوحوش في جلسات المحاكاة (٢) ، ومن المعروف أن هذين الاسمين هذيان وكان اصلهما ، كرتكا ودمنكا ، وقد دخلا في اللغة العربية لأول مرة بعد تحريمهما إلى كلية ودمنة بواسطة ابن المقفع . وكذلك يشبه الأسد في رسالة الحيوان الأسد في كلية ودمنة فالأول يلع - دور ملك السباع ويشاور من حوله من الوحوش في صفات الملك ، وفيمن يستحق أن يمثل الملك في جلسات المحاكاة مندوبا (٣) عنه كما هو الحال بالنسبة لدور الأسد في باب الفحص عن أمر دمنة ، حيث يشاور من حوله من الوحوش عند محاكاة دمنة بعد أن ثبتت إدانته بأنه كان سببا في الإيقاع بين الأسد والثور مما أدى

(١) انظر كتابة ودمنة ص ١٥٢ تحقيق : نائل المرصقي طبعة القاهرة .

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٧٦
(٢) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٠٣ و ٢٠٦ .

إلى تلك المغارات ، ويعتصمون بها من الحر والبرد ، فأنسف بهم تلك القروء ، وأنسوا بها إذ كانت أقرب أجناس السباع شبيها لصورة الناس فولعت بهم إناث القردة وولع بها من كان به شبق . وتناسلوا وكثروا وتمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وألفوا تلك الحال ونسوا ببلدهم وذمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بديانهم جعلوا يذنون من حجارة ذلك الجبل بنيانا ويتخذون منها منازل ويخربصون في جميع تلك الثمار ويدخرها من كان منهم شرها وصاروا يتنافسون على إناث تلك القروء ويغبطون من كان منهم أكثر حظا من تلك الحالات وتمنوا الخلود هنا وانتشبت بينهم الهداوة والبغضاء ، وتوقدت نيران الحرب ثم أن رجلا منهم رأى فيما يرى النائم كأنه قد رجع إلى بلده الذي خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بهجته استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة أقرباؤه فرأوه قد غيروه السفر والغربة؛ فسكرهوا أن يداخل المدينة على تلك الحال وكان على باب المدينة حين من الماء ففصلوه وحلقوا شعره وقصوا أظافره وألبسوه الجسد وبخروه وزينوه وحلوه على دابة ، وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وسفرهم

جبل في جزيرة من جزائر البحر ، مخصصة كثيرة النعم ، وخية البال مائية الهواء ، هذبة المياه - حسنة التربة كثيرة الأشجار لذيدة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات - حسب ما تقضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياهاها ، وكان أهلها أخوة وبني عم بعضهم لبعض من نسل رجل واحد ، وكان هيشهم أهنا - يش يكون بتردد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلا تنغيص من الحسد والبغى والعداوة وأنواع الشر ، كما يكون بين أهل المدن الجائزة المتضادة الطباع المتنافرة القوى المشتتة الآراء القبيحة الأعمال السيئة الأخلاق ثم أن طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسروهم المركب ، ورمى بهم الموج إلى جزيرة أخرى ، فيها جبل وهو فيه أشجار عالية ، وعليها ثمار نذرة ، فيها عيون غائرة ومياهاها كدرة ، وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضاربة وإذا عامة أهل تلك الجزيرة قردة وكان في بعض جزائر البحر طير عظيم الخلقة شديد القوة ، قد صلط عليها في كل يوم وليلة ، يكر عليهم ويختطف من تلك القردة عدة . ثم أن هؤلاء النفر الذين نجوا من الفرق تفرقوا في الجزيرة ، وفي أودية ذلك الجبل يطلبون ما يتقوتون به من ثمارها لما لحقهم من الجوع ، ويشربون من ماء تلك العيون ويستترون بأوراق تلك الأشجار يأوون بالليل

يبنوا سفينة يركبوا فيها ، ويرجعوا إلى بلدهم
فبينما هم في ذلك دائبون في قطع الأشجار
ونشر الحشب لبناء تلك السفينة إذ جاء ذلك
الطير الذي كان يختطف القروء فاخطف منهم
رجلا ، وطار به في الهواء ليأكله ، فلما أمعن
في طيرانه تأمله فإذا هو ليس من القروء التي
اعتاد أكلها فمر به طائراً حتى مر به على
رأس مدينته التي خرج منها ، فألقاه على سطح
بيته وخلاه فلما تأمل ذلك الرجل إذا هو
في بلده ومنزله وأهله وأقرباءه ، فجعل يتنق
لو أن ذلك الطير يمر في كل يوم ويختطف
منهم واحداً بعد واحد ، ويلقيه إلى بلده
كما فعل به ، وأما ألك القوم بعد ما اختطفه
الطير من بينهم فقد جعلوا يسكنون عليه
محزونين على فراقه ؛ لأنهم لا يدرون ما فعل به
الطير ، ولو أنهم علموا بحاله ، وما صار إليه
لتمنوا ما تمنى لهم أخوهم ^(١) فقد شرح لإخوان
الصفا أنفسهم المغزى الذي يقصدون إليه
من هذه القصة ، وعلقوا عليها عقب إيرادهم لها
بقولهم : فهكذا ينبغي أن يكون اعتقاد
إخوان الصفا فيمن قد سبقته المنية قبل
صاحبه . لأن الدنيا تشبه تلك الجزيرة ، وأهلها
يشبهون تلك القردة ، ومثل الموت كمثل ذلك
الطير ، ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين

وما فعل الدهر بهم ، وأجلسوه في صدر
الجلس في المدينة ، واجتمعوا حوالاه
يتعجبون منه ومن رجوعه بعد اليأس منه
وهو فرحان ، بهم وبما نجاه الله عز وجل
من تلك الغربة ، وذلك الفرق ، ومن صحبته
تلك القروء ، وتلك العيشة النكدية ، وهو يظن
أن ذلك كله يراه في اليقظة ، فلما تنبه إذا هو
في ذلك المكان بين القروء ، فأصبح حزينا
منكسر البال ، زاهداً في ذلك المكان مغتماً
متفكراً راغباً في الرجوع إلى بلده ؛ فقص
وؤياه على أخ له ، فتذكر ذلك الأخ ما أنساه
الدهر من حال بلدهما وأقاربهما وأهليهما والنعيم
الذي كانا فيه ، فتشاورا فيما بينهما وأجالا
الرأى ، وقالوا : كيف السبيل إلى الرجوع
وكيف النجاة من هنا ؟ فوقع في فكرهما وجه
لحيلة بأنهما يتعاونان ويجمعان من خشب
تلك الجزيرة ، ويبنيان مركبا من البحر
ويرجعان إلى بلدهما ، فتعاقدا على ذلك بينهما
هدداً وميثاقاً : أن لا يتخاذلا ولا يتكاسلا
بل يجتهدا اجتهد رجل واحد فيما عزم عليه
ثم فكرا أنه لو كان رجل آخر معهما لسكان
أهون لهما على ذلك ، وكلما زاد هدهما يكون
أبلغ في الوصول إلى مطلبهم ومقصدهم ، فجعلوا
يذكرون إخوانهم أمر بلادهم ، ويرغبونهم
في الرجوع ، ويهدونهم في السكون هناك
حتى التأم جماعة من أولئك القوم على أن

(١) راجع كتاب رسائل إخوان الصفا ؛

كسر بهم المركب ، ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التي خرجوا منها ، فهذا اعتقاد إخواننا السكرام في معاوتهم في الدنيا وما يعتقدون فيمن سبقته المنية قبل إخوانه .

ففرى أن إخوان الصفا قد رمزوا إلى دنيا الشهوات بالقروء ، وإلى من سقطوا في عالم الرذيلة بمن استهوتهم هذه القروء ، وكان مهمهم هو التناكح والتناسل ، وأرضاء الغريزة الحيوانية غصب ، ونسوا بلدهم الأصيل وهو العالم الآخر الذي أتت منه أرواحهم ، وأما الصفوة منهم فلم تشغلهم المادة عن المعنى ، ولم تستهزم تلك المظاهر الدنيوية بل انصرفوا إلى التفكير الاجتهادي الذي يساعدهم على راحتهم النفسية وسعادتهم الموقوتة في هذه الدار الفانية بمعاونة بعضهم بعضا ، وبث روح المحبة بين الطبقات ، والبعد عن التعصب لمذهب دون مذهب ، والتحمس لعقيدة دون عقيدة ، وهرفوا أن السعادة لا تتم الا بتضافر الجهود للخروج من عالم المادة والتوجه إلى الرقى والكمال

بأرواحهم الطاهرة ، وأنفسهم الزكية حتى تلبي دهوة ربها .
يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية .

ونستخلص من تعليق إخوان الصفا هي هذه القصة أنهم يعتبرون أن عالم الروح موطنهم الأصيل ، ودار السعادة الخالدة . ولا يمكن أن يصل أحد إلى هذا العالم إلا إذا صفت روحه وخلصت سريرته ، وتعاون مع إخوانه وأصدقائه بالإيمان الصادق الذي يقود المرء إلى العمل الصالح .

ونحن إذ نختتم مقالنا هذا لا نستطيع أن ندعي أننا قد بلغنا غاية المطاف فيما كنا نقصد إليه ؛ بل إن المجال لا يزال متسعاً أمامنا لاستخراج نتائج أخرى بالموازنة بين رسالة الحيوان ، وبين كتاب كليمه ودمته ؛ إذ سيكون لهذه النتائج أهميتها البالغة في ميدان الدراسات العلمية .

محمد غفراني القراءاني

من نثر أمير الشعراء :

« الثقة مراتب ، فلا ترفع لعليا مراتبها إلا الشريك في المرء ، المعين على الضر ، الأمين على السر ،
(الضمير النقي كالمرآة ، لو التمس فيها المرء وجه الغيب لراه)
(يستأذن الموت على العاقل ، ويدفع الباب على الغافل)

(أسواق الذهب)

مع شوقي "في مدائح النبوة"

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

وبعض الشعراء يقتصرون على ذكر السيرة النبوية ، وصفات الرسول الكريم ، ونسبه الطاهر ، وسرد الغزوات ، وهذا ملحوظ في أغلب المدائح التي قيلت إلى أوائل عصرنا الحديث ، أما في هذا العصر فلم يعد الشعراء يكتفون بذلك بل إنهم وجهوا اهتمامهم إلى الموازنة ، والربط بين الماضي والحاضر ، والدعوة إلى الاقتداء بما في سيرة الرسول من بطولات وتضحيات ، وأخذاً ببرزوان مزايا الشريعة الإسلامية ، ويدعون للعودة إليها ، ويدينون للسليين أن أهم أسباب تأخرهم ترجع إلى هزوفهم عن قرآنهم ، وسيرة رسولهم وأن المستعمرين لم يطمعوا فيهم إلا من يوم أن هجروا تعاليم دينهم . والذي وجه شعراءنا في العصر الحديث هذه الوجهة هو ما أصاب الأمة الإسلامية من نكبات بسبب الاستعمار الذي تغلغل في الأقطار الإسلامية ، وفرض سيطرته عليها ، وحاول متعمداً الغض من مبادئ الإسلام ، وتحقير كل ما هو شرقي .

وشاعرنا الكبير المرحوم أحمد شوقي عاش في فترة من الزمن شهد فيها العالم العربي

لقد ذهب الشعراء في تناولهم مدح الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه مذاهب شتى ، تناسب وشخصية الشاعر ، ولون ثقافته ، وتتأثر بالذوق الفني العام للأدب في العصر الذي قيلت فيه ، وبالظروف العامة من سياسية واجتماعية وفكرية في فترة إنشادها .

وسيرة الرسول الكريم من يوم أن بدأ دعوته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى صارت مصدر إلهام للشعراء ، وبنوها صافياً قياساً لا يعتريه نقص ، يتجدد فيضه دقاً قوياً عطراً ذكياً ، يستمد الشعراء منه أروع قصائدهم ، ويسجلون بأسلوبهم بجزايا الرسول الكريم ، ومزايا شريعة الغراء ، ويرسمون للناس أمثال الطارق الاقتداء بفيهم ، ويصورون ما تضمنته السيرة من بطولات وتضحيات ، وصبر وجهاد ، حتى أتم الله نوره وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم ، ورحم الله ابن الفارض حين قال :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه
يفنى الزمان ، وفيه ما لم يوصف

مدح الرسول الكريم في أربع قصائد كبرى تعد من عيون الشعر، حاكي في اثنين منها الإمام البوصيري : إحداهما نهج البردة ، على وزن وروي بردة البوصيري، والأخرى هي الحمزية ، أما القصيدة الثالثة فهي د سلو قلبي ، وهذه القصائد الثلاثة بالديوان ، والرابعة بعنوان: ذكرى المولد وهي منشورة بكتاب آخر عنوانه دكرمة ابن هاني ، هذا غير مقطوعة من ثلاثة وخمسين ومائة بيت ضمن أرجوزة العرب الكبرى . وكان لإنشاء هذه القصائد جميعا بين ١٩١٠ ، ١٩١٧ .

وقد تناول شوقي في هذه المدائح نواحي هدية من سيرة الرسول الكريم ، وحياته وشريعته ، وقد لا يتسع هذا المقال لعرض الموضوعات ، والتعليق عليها جميعا ، ومن ثم فإننا سنقتصر حديثنا على ما وود فيها عن مزايا الإسلام وتشريعاته ، فإن شوقي ، قد نفذ إلى عرض ذلك في خلال هذه المدائح لينفس عما يجيش ب صدره من الام سبها هيجوم المستعمرين : من أمثال هانوتو الذي نشر رسالته المشهورة عام ١٩٠٠ ، وتصدى لها الإمام محمد عبده بالتفنيد ، ثم كرومر الذي كان لا يألوا جاهدة في الطعن على الشريعة الإسلامية ، وغير هذين من المبشرين الذين كانوا يحاولون إذاعة الفتن وبليلة الأفكار لزحزحة المسلمين عن عقائدهم .

أحداثا جساما ، من احتلال أجنبي ، إلى قيام حرب عالمية ، ثم ما تلا ذلك من ثورات بغية التخلص من غير الأجانب ، وما كان يظل الأفطار الإسلامية من سلطان الخلافة الإسلامية الواهي ، وما دب بين شعوبها من فرقة وتحاذل ، وما فشا فيها من جهل وفساد في نظم حياتها السياسية ، والاجتماعية والفكرية ، ولم يكن هناك غير بصيص من الأمل في الشعور المكبوت الذي غذته دعوات المصلحين : جمال الدين الأفغاني

ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ، وقاسم ، أمين وغيرهم وأخذت تذكية قرائح الشعراء الذين أسهموا بنصيب موفور في إيقاظ الشعور في القصائد الكبرى التي ظهرت عند نهاية الحرب العالمية الأولى مثل : بكريه عبد الحليم المصري ، وعمرية حافظ ، وهلوية عبد المطلب ، التي صورت أقوى الشخصيات الإسلامية ، وأروع انتصارات المسلمين في عهدهم الزاهرة يحفزون بها هم الشباب ، ويؤججون الشعور العام .

وشعر شوقي في مجموعه يعتبر صورة حية للفترة التي عاش فيها ، بالإضافة إلى تلك الصور المخالدة التي تنطق أحداث الماضي ، وقد تناول أغراضا كثيرة ، واعتبر في بعضها من المجددين .

ومن الموضوعات الإسلامية التي تناولها

الإسلامية ، وما سببها ، ويخيل إليك أنك
تستمع إلى عالم متضلع ، وفيلسوف يحلل
ويقيم الأدلة والبراهين على فضل هذه
الشرعية الغراء . وكأنه يريد أن يقول :
إن كل ما ترى به هذه الشريعة من مطاعن
يفنى ألا يلتفت إليه ، أو يقام له وزن
مهما كان مصدره .

يقول في نهج البردة .

شريعة لك فجرت العقول بها
عن زاخر بصفوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها
كالخلى لل سيف ، أو كالوشى للعلم
غراء حامت عليها أنفوس ونهى
ومن يمد سلسلا من حكمة يحم
ثم يبين أنها صالحة لكل زمان ومكان ،
وأنها كفيلة بأن تنير السبيل أمام المصلحين
في سائر أقطار العالم على مر الزمان ، وكر السنين :
نور السبيل ، يأسس المالمون بها
تكفلت بشباب الدهر والهرم
يجرى الزمان وأحكام الزمان على
حكم لها نافذ في الخلق مرتسم
ثم يبرهن على ذلك بما كان في ماضى الأمة
الإسلامية ، بما سجله التاريخ :
لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت
مشت ممالكه في نورها التم

(١) حاشى عطف ومال .

ومن الأمور التي أذهابها المفرضون أن
الإسلام قد أقام دعوته ونشرها بجد السيف
وهم يرمون من وراء ذلك إلى الغرض من قيمة
القرآن في هداية البشر ، وقد تناول شوقي
هذه الدعوى ، وفندها منطقيا ، مستدلًا بما لقيته
المسيحية من اضطهاد في أول أمرها ...

يقول في نهج البردة :

قالوا : غزوت . ورسل الله ما بعثوا

لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم
جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفوا كل ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرا . وإن تلقه بالشر ينحسم
سل المسيحية الغراء ، كم شربت
بالصاب من شهوات الظالم العلم (١)
طريدة الشرك ، يؤذيها ويوسعها
في كل حين قتالا ساطع الحدم
لولا حاة لها هبوا لنصرتها
بالسيف ، ما انتفعت بالرفق والرحم
وهند ما يجى ذكر الشريعة الإسلامية
ومزاياها نجد الفيض الخيزر ، والمعلومات
القيمة التي تظهر في الموازنة بين الشريعة

(١) العلم : الشكر . الهاج .

مشت الحضارة في سناما واهتدى
في الدين والدنيا بها السعداء
ويقول في الموازنة :
بك يا ابن عبد الله قامت سمحة
بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد ، وهو حقيقة
نادى بها سقراط والقدماء
إلى أن يقول :

داه الجماعة من دأر سطايس ، لم
يوصف له حتى أتيت دواء
فرسمت بعدك للعباد حكومة
لا سوقة فيها ، ولا أسراء
الله فرق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاء
فهل جاء المصلحون ودعاة الديمقراطية
بما هو أسنى من ذلك ؟ وزعماء الاشتراكية :
هل سبقوا محمدا في دعوته إليها ، وتطبيقه
العمل لمبادئها ؟

الاشتراكيون أنت زعيمهم
لولا دعاوى القوم والنسوان
داويت متندا وداووا طفرة

وأخف من بعض الدواء الداء
الحرب في حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء
ثم يبين أن البر والمساعدات الاجتماعية
ليست منحا وإنما هي حقوق مفروضة نظمها
الشريعة الإسلامية :

وعلى أمة بالقدر نازلة
رعى القياصر بعد الشاء والنعم
أرايت تصويراً أدق من هذا إلى أثر
الإسلام في الأمة العربية ؟ ثم استمع إليه
حين يشير إلى نتيجة التمسك بمبادئ الإسلام
وشريعته :
كم شيد المصلحون العاملون بها

في الشرق والغرب ملوكا باذخ العظم
للعلم ، والعدل ، والتدين ما عزموا
من الأمور ، وما شدوا من الحزم
سرعان ما فتحوا الدنيا لمنهم
وأنهلوا الناس من سلاسلهم
ساروا عليها هداة الناس فيهم
إلى الفلاح طريق واضح العظم
ثم نراه يعرض بسائر المبادئ التي يحاول
المستعمرون إذاعتها لتنحية تعاليم الإسلام
ويعتبر أن شريعة الإسلام وحدها هي الصالحة :
لا يهدم الدهر ركننا شاد هدم
وحائط البنى إن تلهسه يهدم

* * *

ثم يعود إلى تكرار هذه المعاني بصورة
أخرى في الحمزية ، وهنا نجد
بين تشريع الإسلام وغيره من الشرائع ،
وينحى باللائمة على الذين يتعرضون للإسلام :
ظلموا شريعته التي نلنا بها

ما لم يتل في رومة الفقهاء

وتلفيهم حيسال المسال صما
إذا داعى الزكاة بهم أهابا
لقد كتموا نصيب الله منه
كان الله لم يحص النصابا
ثم يأخذ في بيان منافع العلم، ويدعو إلى
تعليم الفقراء؛ حتى أن يخرج من بينهم من
يكون شجاعا هبقريا ... :

أراد الله بالفقراء يسراً
وبالآيتام حباً وارتبابا
فرب صغير قوم علوه
سما، وحى المسومة العربا
وكان لقومه نفعا وغرا
ولو تركوه كان أذى وعابا.

فعلم ما استطعت، لعل جيلا
سيأتي يحدث العجب العجبا
ولا ترهق شباب الحى بأسا
فإن اليأس يخترم القبابا
ثم يعود إلى الحديث عن الاشتراكية :

يريد الخالق الرزق اشتراكا
وإن يك خص أقواما وحابا
فما حرم الحمد جنى يديه
ولا نسى الشقى، ولا المصابا
ثم يدعو إلى العمل والجد، وعدم الرضوخ
للبلذلة، ويرسم لنا الطريق واضحاً :

وكان بيانه للهدى سبلا
وكانت خيله للحق غابا

والبر عضك ذمة وفريضة
لا ممة ممنونة وجبها
جاءت فوحدت الزكاة صيله
حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالسكل في حق الحياة سواء
فلو أن إنسانا تخير ملة

ما اختار إلا دينك الفقراء
وقف قليلا عند هذا البيت الأخير : فإن
الفقراء يختارون هذا الدين؛ لأنهم يجدون
فيه الإنصاف والعدالة ضد الأقوياء المتجبرين
إذ يحدد لهم حقوقهم في أخذ أجورهم إن عملوا
بحيث لا يبخسون، ويجعل لهم نصيبا محددًا
في أموال الأغنياء إن كانوا عاجزين، ويمنحهم
حق الحياة الكريمة؛ فلا سيد ولا مسود،
ولا ظلم ولا اضطهاد، ولا سوق الأعمال
بالقهر، ولا استغلال بسبب تفاوت الطبقات.

ثم يقول في قصيدة «صلوا قلبي» :
فلم أر غير حكم الله حكاما
ولم أر دون باب الله بابا
وبعد أبيات نراه يعيب على المسلمين
حرمان الفقراء حقوقهم، وإهمالهم فريضة
الزكاة مع تأديتهم لغيرها من الفرائض :

عجبت لمعشر صلاوا وصاموا
ظواهر خشية، وتقى كذابا

وكم للحق من غاب
رسول الله ضيفه
له الغزوات لا تحصى
ولا يحصى تكريمه

ولقد كان شوقي يشهر في قرارة نفسه
بالحالة العامة للأمة الإسلامية ، ولم يكن
يملك غير الدعاء والتوسل إلى الله أن يأخذ
بيدها ، وينتشلها مما تردت فيه ، ولكن بعد
أن عرض موايا شريعة الإسلام ، وصور
عظمة المسلمين أيام كانوا مستمسكين بها أدق
تصوير ، ودعا إلى العودة إليها ، لأن ذلك هو
طريق العودة إلى المجد .

يقول في ختام نهج البردة بعد أن سرد
صوراً كريمة للخلفاء الراشدين :

يارب : هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم
سعد ، ونحس ، وملك أنت مالكة
تديل من نعم فيه ومن نعم
رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنقهم
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفا ولا تسم
يارب : أحسنت بدء المسلمين به
فتم الفضل ، وامنع حسن محتم

وعلمنا بناء المجد حتى
أخذنا إمرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتقى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال

إذا الإقدام كان لهم ركبا

ومما جاء عن وصفه للشريعة الإسلامية
ومزاياها في قصيدة ذكرى المولد ،
التي مطلعها :

به هجر يقيم
كلا جفنة يك يلمسه
هما كادا لمهجة
ومنك الكيد معظمه
قوله :

نظام الدين والدنيا
أتيح له يتممه
تطلع في بنائهما
على التوحيد يدممه
بشرح هام فيه لنا
س ماشمه وأعجمه
كضوء الصبح يبينه
وكالبقيان يحكمه
بيان جل موحيه
وعلم عز ملهمه

ويقول في ختام «سلو قلبي» :
سألت الله في أبناء ديني
فإن تمكن الوسيلة لي أجابا
والمسلمين سواك حصن
إذا ما الضرر منهم وناجا
كأن النحس حين جرى عليهم
أطار بكل مملكة غرابا
وكان جنابهم فيها مهيبا
وللأخلاق أجدر أن تهابا
وساوى الصارم الماضى قرابا
فإن قرنت مكارمها بعلم
تذلت العلا بهما صعبا
* * *

ثم يعلل أسباب الضعف، ويدعو إلى العودة
لطريق الإسلام، ومكارم الأخلاق التي
يدعو إليها :
ولو حفظوا سبيلك كان نورا
وكان من النحوس لهم حجابا
بنيت لهم من الأخلاق وكنا
نخافون الركن؛ فانهدم اضطرابا
رحم الله «شوقي»، فقد كان في «إسلامياته»،
واعيا، عميقا، ينطلق عن بحث في ماضى
الأمة الإسلامية، وخبرة في حاضرها،
وأمل في مستقبلها، وقد استوفى في هذه
المدائح الأربعة نواحي كثيرة من التاريخ
الإسلامي، ومزايا شريعته ؟
سعد الميربح الجيزاوي

قال تعالى :

«وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . وإن تطع من
في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يقبعون إلا الظن وإن وإن هم إلا يَخْصُونَ .»

الإنسان والجمال

للأستاذ محمد أحمد العزب

الجمال إجابة لإنسان يستشعر جلال الجمال ...
أجل يا صاحبي ... إن الجمال ليس قطعة
من شيء ، تمسكها بيمينك - ليس جرماً من
الأجرام تحتويه بيديك ... ليس مادة صلبة
يمكن أن تستريح عليها قدمك .

إن الجمال قيمة من القيم التي تحس
ولا تلمس ... تستشعر ولا تضغط ، وبقدر
إحساسنا بهذه القيمة ، بقدر ما نقبل على الحياة
ونعانق أفراح الوجود ... إن الجمال يشدنا
إلى الكون ويوصل علاقتنا به ... وهو من
هذه الزاوية ينهض في حياتنا برسالة ضخمة ،
ودور قيادي كبير .

حاستطرد مع الجمال من حيث هو قيمة
خلقية ، ... ، وقيمة اجتماعية ، ... ، وقيمة
دينية ، ... تؤقي العالم أخصب الثمرات ...

فهو من حيث إنه قيمة خلقية ، يفجر فينا
مشاعر الحب ، ويلهمنا نوازع السمو ،
ويرسم في حياتنا معالم التطور ، إنه يرقق
أحاسيسنا ، ويرهف أذواقنا ، ويهبنا طاقات
من الخير دافقة أبداً ... إن الإنسان الجليل
هو الإنسان الذي يكره الكلمات المشبوهة

لست في هذه السطور باحثاً يتعمق فلسفة
الجمال ، ويحاول تجليتها للناس ، ولست كذلك
فيلسوفاً يقيم الحدود والافئسة والتعاريف
لقيمة من القيم الخالدة في تاريخ البشر ، إنما
أنا إنسان - مجرد إنسان - يحاول في بساطة
واهية ، أن يلتمس أغوار حقيقة ضخمة ،
أو قل يحاول أن يجيب على سؤال يزحف
على شفاه الملايين ، كلما انبهرت أعماقهم
وأحداقهم جميعاً أمام مشهد من مشاهد
السكون ، أو خالصة من خواجج النفس .
أو انتفاضة من انتفاضات الروح والوجدان
فتساءلوا : كيف حدث ذلك ؟

أنا هنا لخصب ، لأشير إلى دور الجمال
في حياة الإنسان : من حيث هو فرد ، وحياته
من حيث وجوده في مجروح ... ولأؤكد أن
الجمال سلم مضيئة كم صعدنا عليها ، وعانقنا
فيها السماء ...

وقبل أن أسترسل - فن حقلك على أن
تسألني ... وما الجمال ؟ ولأننا اتفقنا على
مبدأ أنني لست هنا فيلسوفاً يضع التعاريف
والحدود ... فسأجيبك من خلال إحساس

وحين تمطر السماء . . . يستقبل رذاذها
بصدره هريان . . . وحين يسألونه عن سر
حفاوته بالمطر يلتفت إليهم قائلاً (إنه حديث
عهد بالسماء) .

وهو الصادح بكلماته الملهمة . . . (إن الله
جميل يحب الجمال) . . .

وهكذا كان الإنسان العظيم محمد يقدر
الجمال، ويحاول أن يرعرع غراسه في أحماق
الملايين . لأنه يؤمن بأن الجمال ركائز التكامل
الخلقى الذى لا ينحرف، ولا يبتسر، ولا يضرب
في أحشاء الظلام .

والجمال قيمة اجتماعية، يطهر علاقتنا
بالكون . . . وبأنفسنا . . . وبالأخرين . . .
أنه يطهر علاقتنا بالكون . . . لأنه يبينها على
أساس من التجاوب الصاعد الاصيل . . .
فأنت حين تستشعر الجمال في نجمة . . . أو
نسمة . . . تفتح كل مغاليق حياتك للحياة . . .
وقستقبل الوجود في صداقة وحب . . . إن
الجمال يشدك إلى دنيائك، بينما يفرك القبح
حتى من نفسك . . . وهو يطهر علاقاتنا
بأنفسنا حين يوحى إلينا نزعة التعادل العاقل
الملمهم . . . الذى لا يدمر في ارتقائه الشاق إلى
أعلا . . . ولا يسكظ في إيغاله المهرق إلى
أسفل . . . لأنه يعطيك معنى التعادل العاقل
من خلال التناسق العام في كل مشاهد الكون . . .
وكل مشاهد الحياة . . .

الملتوية - هو الذى لا يحقد . . . ، ولا يندر . . .
ولا يخون . . . ، ولا يقيم أخلاقيات على أنقاض
أخلاقيات الآخرين . . .

إن الإنسان الجميل هو الإنسان السوى
الذى يجعل من قلبه مزرعة للعواطف الطيبة
والمشاعر النبيلة، والاحاسيس المرفهة .

وبقدر ما يتوافر لدى الإنسان من كل هذه
الانماط الاخلاقية، والسلوكية، بقدر
ما يأخذ مكانه في البناء الاجتماعى الشاخ الركن .
ولقد كان الإنسان العظيم محمد
ابن عبد الله، حريصاً على أن يزرع في أحماق
أتباعه هذه الحماسة الجمالية، لإيمانه الوطيد
بأنها سبيل الترقى الإنسانى - وحافز التطور
البشرى .

لقد كان الإنسان يحاول جاهداً أن يقيم صداقة
واعية بين الإنسان والكون، حتى يتلقى عن
صديقه الكون كل مباحج الطبيعة الفاتنة،
وكل مشاعر الإحساس الجميل . . .

فها هو ذا يخرج مرة في أصحابه حتى يستقبل
الجميل، فيهتف من أعماقه صائحاً واحداً،
جبل يحبنا ونحبه . . .

وحين يطالع الهلال البازغ يرفع وجهه
إليه في جلال قائلاً ربى وربك الله .

وحين يهل الربيع على الأرض، وتبزغ
نباتاته الصاعدة، ينحن عليها في تراحم جم
ويقول (عام خمر وبركة إن شاء الله) .

الغائرة . . . واسقبت بك كراهية الجرح . . .
تصور أنك ظلمت إنسانا من الناس ، وزحف
بكل جراحاته إليك . قائلا في أسى مذبوح :
ماذا أنا ؟ ألسنت إنسانا يحيا على الأرض ؟
ومن أنت ؟ ألسنت إنسانا يحيا على الأرض ؟
إذا فمن أشقاء ؛ كلانا زاحف على الثرى
والطين . لا يستطيع التحليق والطيوان !!
لماذا إذن تظلمني ؟ ألا أنك قادر ، وأنا عاجز ؟
ألا أنك استطعت ، ولم أستطع أنا ؟ أم لأنك
حرفت فطرتك ، ومسخت طبيعتك
وانسلخت من إهابك الإنسانى ؟ ألا تدرى ؟
ألا تحس ؟ ألا تتألم ؟ ألا تعرف أنك حين
ظلمتني فقد ظلمت من ورائى أكبادا جائعة .
وأنفسا ضائعة !! إنك لست ظالمى وحدى .
إنك ظالم لا بقسامة طفل البرى . ؛ لأنها ذوت
منذ أيام !! ظالم لوشوشة الأحلام فى خيال
طفلى اللاعبة ؛ لأن أحلامها الآن لم تعد شيئا
غير الرغيف !! ظالم لكرامة الأمومة فى عيني
أمى العجوز !! لأنها - هلى تأبها - سألتنى
بالأمس ، هل من طعام ؟

تصور أنك هذا الظالم المتأله التباه ...
وأن هذا الموقف المأسوى المدمى يعربد
عن كئيب أمامك . . . فإذا أنت صانع به ؟
أوشك أن أؤكد لك - أن الجدار الثلجى
الذى شاده الظلم فى أعماقك سينهار . سينهار
حقا تحت مطارق هذه العواطف الإنسانية

وهو يظهر علاقانا بالآخرين حين يقيما
على أساس من التضامن الحلو ، والأخوة
المتكافئة ، والسلام الأرحب الخصب . . . إنه
يفريك بالعدل حين يوحى إليك أن لا شيء
أجمل من العدل ينشر أجنحة البيضاء فيحتضن
بها الملايين ، ولا شيء أو بل من الظلم الذى
هو افتيات صارخ على طبيعة الخلق فينا ،
وتشويه هابط لفطرة البراءة ، وبراءة الفطرة
وانهيار بالمستوى الأدنى إلى مستوى راكد
ورخيص . . .

وهنا أستطيع أن أقول : إن للجمال رسالة
إنسانية واجتماعية خالدة فى مسككفة القوى
العدوانية ، ومؤازرة أنصار الحياة ، فى تحريك
ما همد من العواطف الإنسانية البارة ، وإذكاء
ما نمد من المشاعر الأدمية المضيفة ، وإثراء
ما أجذب من مناطق فى قلوب الملايين . . .

ألسنت معى فى أن قلوبا آدمية كانت قاسية
وهيبة كوجه الطوفان ، ما لبثت أن تراعت
مذهولة أمام قيمة جمالية تذبج ، أو صوت
إنسانى جميل يوشك أن يبع من النداء . . .
لن أزج بالتاريخ فى هذا المشهد . . .
ولن أستشهد لك بمساضى من عصور . . .
واسكنى سأفترض موقفا من المواقف . . .
سأضع أمامك صورة من صور الجمال (الحياقي)
الذى يوشك أن ينهار ، وأهيب بك أن
تتأسك وأن تصمد مهما تنزت بك الأحقاد

« والشمس وضحاها . والقمر إذا تلامها . .
والنهار إذا جلاها . . . والليل إذا يغشاها ،
والسما وما بناها ، والأرض وما طحاها ،
ونفس وما سواها فألهمها لجورها وتقواها ،
قد أفلح من زكاه ، وقد خاب من دساها . .
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب
المسرفين . . . »

« هذا خلق الله ... فأروني ماذا خلق الذين
من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ،
إن القرآن في هذه الكلمات يتخذ من الجمال
مقدمة لقضية الإيمان ، فلا يلبث أن يتسرب
بها إلى أعماق أعماق البشر؛ لأن عاطفة الإحساس
بالجمال ألصق عاطفة بالنفوس ، والاستشارة
الإيمانية عن طريقها تختصر مراحل الطريق .
وأبدا لا أنسى هذا الربني المتأني الساذج
الذي عرف بحسه الجمالي ، وشغفه بالحوار ،
لا أنسى يوما جاءني على مشهد من جماهير قريتي
البسطاء ، وبدعتي قائلا :

« أنتم تقولون إن الله موجود ... فأين هو؟
إنني لا أؤمن إلا بما أراه . »

قلت لصاحبي : لا تؤمن إلا بما تراه ،
فأنت إذا قد رأيت القاهرة وأمريكا
وروسيا ، وباريس !

فأجابني في ذهول : أبدا . أبدا لم أر شيئا
من هذا الذي تقول .

المجروحة ، التي يوشك القبح أن يعنى على
وجهها الضاحك الجميل .

الم أقل لك : إن الجمال كقيمة اجتماعية
يعطى علاقاتنا بالكون وبأنفسنا وبالآخرين ؟

والجمال من حيث هو قيمة دينية هادفة
يعقد صداقة بين الإنسان والله . . صداقة
أساسها الفهم المتحرر الواعد الذي ينمو
على أرض جمالية . ويتفتح في ضوء جمالي ،

ويصرج إلى ربه في نغم مؤمن حالم جميل . .
وهنا لا بد أن نطيل التأمل ؛ فليست قيمة
من القيم الخالدة لقسطيع أن تقف إلى جوار
الجمال في حركة كونه معراجا إلى الإيمان .

لأن الله يتخذ منه دائما مقدمات لقضية هذا
الإيمان . . إن الله يدعو البشر للإيمان به
عن طريق الجمال المبشور في الأرض ، المبشور
في الآفاق ، « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم

كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج .
والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا
فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى
لسلك هبند منيب . . ونزلنا من السماء ماء

مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . .
والنخل باسقات لها طلع نضيد ... » !!

« والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ومنها تأكلون . . . ولكم فيها جمال حين
تريحون وحين ترحلون . »

أنا أستطيع أن أضع يدك على حقيقة وجود الله . . . ولا أستطيع . . . إن ذلك يتوقف على مدى تراحم عقلك ، وحسبك ومدى ارتفاعك معى من مستوى القياسات الثرابية الهامدة ، إلى مستوى القياسات الإلهية العليا . . . إنك إن رأيت الله واحتوت وجوده لم يكن هناك فارق بين الله ، وبين سيجارتك التى تقهق فى يدك . . . لا بد من منطقة فاصلة بين الله والأشياء . . . لا بد أن يظل الله أكبر من أن يرى . وأجل من أن يحصر . . . وأشمل من أن يحاط به . . . يكفى دائما أن نرى الله فيما يبدع ويصوغ : فى الزهرة الراحقة على غصنها والموجة السارية فى غديرها — والضوء الخائر فى أفقه ، والنسمة العافية على شواطئ العبير ١١ فى أجنحة هذه الحمامات المطوقة التى تنساب هائلة عبر الأفق هنا وهناك . . . فى هذه الأرض السمراء التى تنفخ كل يوم عن جديد . . . فيك أنت يا صاحبي . . . فى خفقات قلبك النابض . . . ومسمات ووحك الشاعر . . . ورقرات خيال المشبوب . . .

قلت للرجل هذه الكلمات . . . فإذا بشفتيه الذابيتين تحتجان فى رعدة بيضاء متعما : يا سبحان الله العظيم . . . تباركت يا ذا الجلال والجمال . . .

(البقية على صفحة ٦٢٣)

قلت : إذن فهى غير موجودة . . . لأنك يا صاحبي لم ترها .
أجاب : كلا . . . لأنها موجودة من غير شك
قلت : يا صاحبي . . . إذن فاقه موجود .
ولا يطعن فى وجوده أنك لم تره ، أستطيع أن تزعم رؤية الحياة الجارية فى الغصن الأخضر أستطيع أن تحس أو تبصر تنفس الزرع الذى ترعرعه يدك ؟ أستطيع حتى أن ترى سر الحياة الكامن فيك . . . أنت . . . والذى إذا صمت صمت بجواره الأشياء ؟

وبدا على الرجل أنه قد فهم بعض الشيء .
ولكنه بمحركة هفوية ، ربما تكون مجرد حب للحوار . . . مهمهم فى خفوت :

ولكن غيرى من الناس رأوا أمريكا .
وروسيا ، وغيرهما مما تقول ، وغيره من العلماء والأطباء قد رأوا حياة الزرع وحياة الناس .

قلت : ولكنى ألفتك إلى أن أنا كذلك قد رأوا ربهم ليس كما يحبون أن يروه . . . ولكن كما يجب هو أن يروه ، إن الرسل قد رأوه يا صاحبي وجلجلوا فى الناس : هـ لنا قد رأينا ربنا . . .

قال : فهل أستطيع أن أجلس إليك لتضع يدى على حقيقة وجود الله ؟

قلت : وأنا أعرف ما فى الرجل من حس جمالى يتعشق مظاهر الجمال . يا صاحبي .

أبي جديد هدف الغزل الجاهلي للاستاذ كامل السيد شمين

ولأنها أيضا صديقة، الذي يشركه في الاضطراب بين الدارات والمتناجع .

٢ - وأكبر الظن أن الشعراء - حاشا العشاق منهم - عندما يطالعوننا بالغزل في صدور قصائدهم ، لا يقصد أحدهم وصف حبيبته هو ، ولا يذكر وداعها هي ، ولا يريد بوقفته على الأطلال أن يريك ذاك منه وإنما هو يذكر حبيبته أنت ، ويصف حبيبته أنت ، أنت ، ويريد أن يذكرك بوقفته أنت .

فالأعشى عندما يودع هريرة لا يريد بها إلا (رمزاً) لحبيبتي ، وحبيبته ، ولا يريد بها امرأة أو فتاة خاصة بينها وبينه حب وهلة . والأعشى عندما يقول : لأنها غراء فرعاء مصقولة العوارض ، ثقيلة المشية بهيمة الطلعة ، إنما يبتغي إصابه شيء من وجوه الحسن التي تحمل الرجل على التعلق بالمرأة ، فهذا يجب فتاته لأنها صافية اللون ، وضاحة الجبين ، وهذا يحبها لأنها جزلة الشعر ، سابعة الفرج ، وهذا يعشق منها نفرا واضحا ، كشعاع الشمس في القيم سطع . . فهو إذن يبحث عن مجال الهوى من أسباب الحسن . . ليصيب الصامع ويبعثه على الإصغاء .

١ - كانت العرب تبدأ قصائدها في الكثير الشائع بالغزل ، لما أن الحب من العواطف العامة التي تستصحب الفتى ، وتهز قلب الرجل ، وتثير ذكريات الشيخ ، ومن ثم كان موقعه من النفس جالبا للذة والارتياح .

ولما كان هم الشاعر أن يشير فضلك ، ويحملك على الإصغاء ، ويجذب قلبك إليه كان أحسن المداخل أن يهز عاطفتك بأنغام تستهويك . وليس أقدر على ذلك من تحريك قلبك بالغزل ، وذكر العصابة ، وموادة النساء . ولما كان ذلك يتصل في أكثر الأحيان عند العرب الجاهليين بذكر الرحلة ، من حيث لأنهم قوم نجمة وارتياح ، وتقلب بين الأماكن الصالحة ، وكانت الرحلة ضربة شتات بين أليفين اتصلوا زمنا وتجاوبت منهما القلوب . . كان لابد من ذكر التعريج على أماكن الصبوة والخلوة ، لما أرادها من إثارة حبيبة ، وذكر جياشة بأحر العواطف .

ومن هنا كان ذكر الأماكن في مطالع القصائد ، وذكر ملاقاته العاشق من هنئ . . وربما كانت ناقة الشاعر مجالا طيبا لوصفه ، لأنها أدانة إلى معاهد الحب ،

فهذا هو الذى دفع الجاهلى لسلوك هذا الطريق ١

ولعلك تقول : فالغزل الجاهلى زيف كله ، لأنه افتراضى فلا أصل له ، ولا صدق فيه . وإذا كان الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية فهذا ليس أدبا لأنه لم يقم على تجربة حقيقية . فلنتج الغزل الجاهلى عن ميدان الأدب بهذا الاعتبار .

ونحن نؤمن بأن الغزل الجاهلى - إلا أقله - لا يقوم على التجربة الشخصية ، وليس مستمداً من واقع الحياة ، ولكن من قال : إن الأدب لا يكون أدبا إلا إذا قام على تجربة شخصية تابعة من الواقع ؟ ومن قال : إن معايير الصدق والكذب قد وقفت عند حدود التجربة الشخصية ؟ بلى . إن الأديب قد يبلغ بخياله الخصب ، وملاحظته الدقيقة إلى حدود تكون أعمق صدقا ، وأكثر غنى من واقع الحياة ١ .

وإن الأديب ليستمد من تجارب غيره رؤى تكون لها ملامح الحياة وخصائصها ، وهو لم يعيش تلك التجارب ولم يعانها .

ومن ذا الذى يستطيع أن يزعم أن الأديب لا يمكن أن يصدق فى وصف آلام المخاض لأنه لم يعان التجربة ولم يعيشها ؟

ومن ذا الذى يستطيع أن يدعى أن أديبا مثل شوقي ، قد عاش حياة المنحون وكلوبرة وعلى بك الكبير ، وقبير ، وطاش كذلك

ولعل هذا الارتياح لأسباب الإغراء والهووى هو الذى صبغ الغزل الجاهلى بهذا اللون المادى التكشف ، فظنه - من لا يعرف - إسفافا ونهما شهويا ، وتلذعا بهذه المفاتن . وليس ذاك ، وإنما هو استهواء السامع واجتماعه ، وترغيبه فى الاستماع .

وأية ذلك : أن الشاعر لا يذكر حبيبة واحدة ، وإنما يذكر حبات كثرات ، وربما كن من بنات الحوانيت ، وربات الهوى ، فأولئك لاحشمة مهمن ، ولا حرج فى وصف مفاتنهن ومحاسنهن ، على حين أن الحرائر مصونات ، لا يجوز العاشق أن يذكرهن ولا أن يصف منهن . وللغيرة فى نفوس العرب سورة عجب ، فلا سبيل إذن إلى تناول المرأة وتفصيل أوصافها ، وتكشيف مفاتنها .

٣ - إذن فالغزل فى أكثر أمره - عند الجاهلى - خيال وليس حقيقة ، والغزل - فى أكثر أمره - عند الجاهلى - يتصل بأوصاف الجسد من الوجه والبسمة والظفرة ومن الفرج والخصر ، ومن الردف والساق ، ومن الجيد والهند ، وغير أولئك مما يقع عليه الخس ... وإنما ذهب هذا المذهب لأن الفتون بالجسد هو التجربة العامة عند سائر الناس ، أما ما يتصل بالعواطف من شجن وتلذع ، ومن هيام وخفقان ، ومن شقوة وإسعاد ، فهذا من التجارب الخاصة التى تنال بعض الأفراد دون سائرهم .

فأنت ترى الشاعر بحذاقته وتلفظه وإدراكه شعوره قد استطاع أن يأتي بصفة عامة مشتركة بين الخائف المذعور المتوجس من الشر يطرقة في كل حين ، وبين المحب الواله الذي يعتاده الهم فيرى الليل طويلا كأنه لا يتحول بنجوه... وهي بعد : مناسبة لبيتنا العربية القديمة التي يمد فيها الليل مصدر الهول والإفراح ، ففي الليل تكون غارات الأعداء وتسلسل الوحوش ، وسرقة الهوام ، وإضلال الماء ، واسقهاط الطرق ، مما يلقى الرهبة في نفس البدوي .

ولقد تجد دلالة الغزل على روح القصيدة في مطلع دريد بن الصمة عندما قتل أخوه عبدة ، فقد جاء به غزلا نائحا مؤذنا بالانفراق والانقطاع ، وانتهاء المودة ، فقال :

أرث جديد الحبل من أم معبد

بعاقبة ، أم أخلفت كل موعد
فلا وصل بينه وبين أم معبد إذ رث
حبلها ، ولا لقاء بينه وبين أم معبد إذ هم بخلفة
كل مواعيدها ... وإنما قال ذلك وهو ناظر إلى أنه بسبيل تفجع على فراق لا وصل بعده ، وانقطاع لا أمل معه في لقاء .

ولقد لمح ذلك الدكتور طه حسين عند تناوله لقصيدة المثنى العبدى ، التي يغلظ فيها العتاب لعمر بن هند ، ويخيره بين المودة الصريحة ، أو العداوة الصريحة . فجاء بهذا المطلع مغلظاً لصاحبه فاطمة :

حياة الست هدى ... بما في هذه الحيوانات من تدله ، ومكر ، وغدر ، وجبرية ، وسفح للدماء ، ورغبة في الرجال .

ولو صح أن نقف عند حدود التجارب الشخصية ، وأعطيناها صفة الصدق دون التجارب الخيالية والتاريخية والاصطورية والاجتماعية ، لضيقنا مجال الأدب ، وأنضنا مشاعره ، ولوجب على كل أديب أن يندفع إلى حيوات الانحلال والعردة والجريمة ليكتسب التجارب الشخصية التي تحقق له الصدق ...

٤ - ولم يكن ابتداء الجاهلي بالغزل مسألة استقصاء واستمالة خصب ، بل هناك خاصية في الغزل ليست ميسرة في غيره من الفنون .

فأنت تستطيع أن تطوع الغزل لسائر الفنون ، فيكون غزلك غزلا مبتهجا فرحا ، ويكون غزلك غزلا غابيا زاريا ، أو يكون غزلا خائفاً مذعورا ، أو يكون صارما مدابرا ، باكيا حزينا .

ولقد تنبه القدماء والمحدثون لهذا الأصل وأدركوا أن الشاعر يضع غزله مناسبا لغرضه من القصيدة .

وقد عد صاحب الصناعتين من أبرع المطالع قول النابغة في إحدى قصائده الاحتذارية :

كفى لم يا أميمة ناصب
ليل أفاويه بطيء الكواكب

ثم هو ينتقل من الطلب الملح ، والتشدد المشفق إلى الوعيد والنفير ، فهو لا يرضى من صاحبه هذا المطلب ، ولا يحب منها هذا الخلاف ، وهو قد صبر وصابر على قلة حبه لهذا النحو من الصبر والمصابرة ، فلو أن إحدى يديه خالفته كما تخالفه قاطمة هذه لها وصل بها يده الأخرى ، بل لقطعها قطعاً وإقال لها : إذ هي إلى غير رجعة ؛ فإنى أكره من يكرهنى ، وأتحول عن يتحول عنى .
ثم قال :

ولابد أن نصف الشاعر ، فهو ينشئ قصيدته فى العتاب ، وهو يفكر من غير شك فى صاحبه الذى سيعاتبه حين ينتهى إليه ، أكره ما يفكر فى صاحبه الذى يطلب إليها المتاع . فإذا تحدث إلى حبيبته بهذه اللهجة القاسية الغليظة ، ووجه إليها هذا النذير الغليظ الحشن ؛ فهو خلق إذا تحدث إلى صاحبه أن يكون حازماً صارماً ، ومتشديداً قاطعاً ، لا يحب المودة ولا اللين (١)

هـ — وظل الشعراء يتبعون هذا النهج حتى كانت دعوة أبى نواس إلى اطراح التغزل جملة فى مطالع القصائد ذهاباً إلى أن هذه بلاغة القدم الجاهل .

أو كانت هذه الدعوة من أبى نواس جهلاً بالغرض الذى كان يقصد إليه الشعراء

أفظم : قبل بينك متعيني
ومنعك ما سألت كأن تبيني
فلا تعدى مواعد كاذبات
تمر بها رياح الصيف دونى (١)
فانى لو تخالفنى شمالي
خلافك ما وصلت بها يميني
إذا لقطعتها ، واقلت : يبنى .
كذلك أجتوى من يجتويني
قال الدكتور طه حسين :

هـ فهو منذ البيت الأول قليل الرفق بصاحبه ، حريص على أن تمتعه قبل وحيلها بالنظر والحديث والتحية ، ولكن لا يطلب إليها ذلك فيما ينبغي أن يكون عليه العاشق من الرفق والإلحاح الذى لا غلظة فيه ولا صنف — وإنما هو يطلب إليها ذلك فى شيء من الجدال المنطوق العنيف ، ألسنت تراه يزعم لها أنها إن منعت ما سألها فكأنها قد ارتحلت عنه ، وكأنما انقطعت يديها ويده الأسباب ؛ فقر بها منه وجوارها له لا يغنيان عنها شيئاً إذا لم يصحبها الوصل . وصاحبنا متعجل ملح مشفق من خيبة الأمل ، لا يطمئن إلى الوعد ، ولا يستريح إلى الأمل :

فلا تعدى مواعد كاذبات
تمر بها رياح الصيف دونى

(١) خمس رياح الصيف لأنها تأتي بالغيبار والعجاج ، فلا خير فيها .

لو دعا أبو نواس إلى أطراح هذه المقدمات
التي لا تهز ولا تثير؛ لأنها استغفدت أغراضها،
ولم تعد ذات شأن وأثر... لصح أن تكون
دعوة متقبلة.

ولكنه يريد أن يستبدل مقدمة بمقدمة
أخرى.. يريد أن يحول بين الناس وبين
ذكر الطلول، ليدعوم إلى وصف ابنة الكرم:
صفة الطلول بلاغة القدم

فاجعل صفاتك لابنة الكرم
تصف الطلول على السباع بها
أفدو العيان كانت (١) في الحكم
وإذا وصفت الشيء متبعاً

لم تخل من خطأ ومن وهم
يريد أن يحول بينهم وبين ذكر الجبابب،
وأن يحولوا ذكرهم للحمراء الحبيبية المشرقة:
لا تبك ليلى، ولا تطرب إلى هند

واشرب على الورد من حمراء كالورد
ويصخر من هذا الذي يذكر الوقوف
على الديار والأطلال:

قل لمن يبكي على ربيع درس
واقفاً، ما ضر لو كان جلس
فتورة أبي نواس هذه جديرة بالتقدير
من ناحية أن في متابعة الأقدمين على اختلاف

(١) هذا من أبي نواس خروج أيضاً على المواضع
اللغوية، فإن حرف الجر لا يجوز أن يدخل على ضمير
الرفع والصواب أن يقول (مثلك) في الحكم..
ولكنه أبو نواس!

حين يستفتحون قصائدهم بالغزل، وعدم
فطنة إلى المرمى الحقيقي له من الاستنباط
والاحتصاء..

أكبر الظن أن أبا نواس كان يقصد الخروج
على المواصفات، فقد كان لهجاً بالسخرية
من كل ما يتلقاه الناس بالقول والإذعان،
فهو ناثر على الأوضاع الدينية، ناثر
على العرب، ناثر على نظام القصيدة، ناثر
على اللغة.. وعلى الجملة فإنك لا ترى مواضع
اتفق الناس على إنزالها منزلة الجلالة
إلا هاجمها أبو نواس.

والذي يعني أن ننظر: أكان أبو نواس
على حق فيما دعا إليه من هجر الغزل واستبداله
بالخر؟

أما إن أبا نواس لو دعا إلى هزل المقدمات
جملة، وبدء القصائد بما هو المقصود،
والاستغناء عن هذا التقليد الذي ألزمه الناس
دون اعتبار لمرماه، ودون نظر إلى مناسبته،
ودون تحرر لصدقه فصاروا يذكرون رامة
واللوى والأجرح والزوراء، وصاروا
يذكرون الأطلال العافية، والدمع البالية،
دون أن يصدروا في ذلك عن أصل، ودون
أن يكون للخاطبين أنفسهم عهد بمثل هذه
المواقف يهز قلوبهم، ويشير ذكرياتهم،
بعد أن سكنوا القصور، وهرمو المدن وجعلوا
كل شيء في حواضرهم عن الرحلة والمعاهد
التي تبتل، وتحول..

الوضع ، واختلاف البيئة جناية على الصدق
صدق العمود ، وفيها تزيف صارخ للمواطف
والمواقف ، وفيها تهمة واضحة من السامع
للشاعر .

ولكنها لا قيمة لها من جهة أخرى ،
من ناحية أنه يريد من كل شاعر أن يذكر
الخمر ويتغنى صفاتها .. ومعلوم أن ليس جميع
الشعراء يحبون الخمر حب أبي نواس ،
أو يبرعون في وصفها براعة أبي نواس ..
وليس حب الخمر (كحب النساء) عاطفة
مشتركة ، تلذ الشاب والرجل والشيخ ، وربما
كان مقتهما كبيراً في النفوس الصالحة التي غلب
عليها الدين والتوقر .

إذن فلا تصلح الخمر أن تكون بديلاً من
الغزل ، إذ لا تثير ما يثير الغزل من انفعالات
مشتركة فلو اتبعنا دعوة أبي نواس لم نخل من
تزيف المشهور ، ولم نتحرر من كذب التغزل
في المرأة إلا لنقع في كذب التغزل في الخمر .

ولذلك لم يستطع أبو نواس نفسه أن يطبق
مبدأه هذا ، بل عاد إلى ذكر الغزل ، واصطناع
المرادة والمحاوراة بين جاراته وبينه ، في مدحته
للخصيب ، فذلك حيث يقول :

أجارة يبقينا أبوك غيور

وميسور ما يرجى لديك هسير
فإن كنت لا خلا ولا أنت زوجة

فما برحت دوني عليك ستور

ثم يقول :

تقول التي من بيتها خف محلى

هزير علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب

يل ؛ إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها ، واستعجلتها بوادو

جرت فجري في جريمن هجير

ذرينى أكثر حاسديك برحلة

إلى بلد فيه الخصيب أمير

وإن كان من الحق والإنصاف أن نقول :

أنه سلك في غزله طريقة مقبولة ، فلم يذكر

رحلة ناقة ولم يقف على طلل ، ولم يحاول أن

يخلق روحه الحضرية ليتقمص روحاً بدوية

كما كان يفعل الشعراء في عصره .

والرأى همدى ، أنه كان يقبض لآبي نواس

أن يسبق الغزل ، في مطالع القصائد التي

تناسب أغراضها معه ، على أن يكون على

طريقة الحضر ، لا على طريقة البدو ، فهذا

أدخل في الصدق ، وأنأى عن الزيف ، وأحق

بأن يستصحب السامع الحضري الذي لم يمارس

حياة البداوة ، ولا تثيره معاهاها ،

ولا تؤيها وأطلالها .

٦ - جملة الأمر : أن الغزل الجاهلي

- في الأعم الأشيع - كان يراد به أطباء السامعين

واستهواؤهم وأنه - في الأعم الأشيع كذلك -

إذا صلحت فإنما تصلح لأمثال الحكيم من عباد
الخمر ، ولا تقوم مقام الغزل في الإشارة
إلى الغرض الذي يقصده الشاعر ، والتهينة
لهذا الغرض يجسو مناسب له من الغزل ،
إقبالا أو إعراضا ، ألما أو نشوة ؟

طاهر السمر

لم يكن يسبر عن تجربة شخصية ، وأن ذلك
لم يخرج من دائرة الصدق ، إذ التجارب
الخيالية كثيرا ما تقوم مقام التجارب الذاتية
وأن دهوة أبي نواس إلى أطراح الغزل
ليست إلا امتدادا لمبدئه في مهاجمة اللواضعات
وأن دعوته إلى الابتداء بوصف الخمر ،

(بقية المنشور على صفحة ٦١٦)

بأموال القبح القبيح ، أغلب الظن أنها
كانت لا بد أن تتحطم وتهالك .. أو تأوى
إلى كهف بارد منطوق الآفاق والأحماق ...
إذا ... فلنبارك الجبال كعبة من هبات
السماء ... وهدية من هدايا الرب ، ولننش
هذا الجان بكل ذرة من ذرات كيانتنا الحى .
لتسكن أعماقتنا جميلة ... ولتسكن أخلاقنا
جميلة ... ولتسكن علاقاتنا جميلة ... ولتسكن
عقائدنا جميلة ... فإن هذا الجبال وحده هو
الذى يمكن أن يخضع على الحياة والأحياء
جميعا كل مظاهر الحب وكل مظاهر التطور .
وكل مظاهر الإيمان .

وما أجل أن تكون جميلة ... وأن
أكون جميلة ...

وأن تحيا الأسرة الإنسانية كلها مابدة
في محارب الجبال ؟

محمد أحمد العرب

ولست هنا أسوق هذه السطور كشهد
تمثيل أو مجرد أن أسود الصفحات ... أبدأ
فما إلى شئ من هذا قصدت .. وإنما هدفت
من وراء ذلك إلى أن أؤكد أن الجبال أنصب
مقدمة يمكن أن تفضى إلى نتيجة الإيمان
إن الرجل لم يهتز بجوارى العقل . ولا بجمل
المنطوق ... ولكنه تهاوى تحت مطارق
الإحساس الجبالى الرهيف .. لقد أحس بأن
هذه الكلمات التى يسمعها تعكس عالما بأسره
يعيش فى أطوائه وبين حناياه .. أحس بأنها
تفتح عينيه على مجالى الكون ، وأقدس
الطبيعة ؛ فتقف منها على ما لم يقف عليه من قبل
أو قل على ما كان يقف عليه فى عفوية ماذجة
بريئة ...

وبعد ...

فلسنا ندرى ماذا كانت تكون حياة
الإنسان لو أنها أقفرت من الجبال ، وزخرت

ما يقابل عن الإسلام

بين الأُمَمِ واليوم

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

يفتشر هذا الانتشار في أرجاء العالم ، وأن يقف في وجه الهجمات الخارجية على الرغم من ضراوتها .

هذا هو السؤال الكبير الذي دار في خلد الدول غير الإسلامية قديما ، والذي لا يزال يحير أذهان أصحاب المال غير الإسلامية إلى اليوم .

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر بدأت أوروبا مع النهضة الصناعية والاستعمار الجديد تجيب عن هذا السؤال بشكل جديد ، بعد أن اختل ميزان القوى بين الشرق والغرب ، وتجمد الشرق وأخذ في الضعف ، على حين نهض الغرب ، وصعد سلم القوة بسلاح العلم والصناعة والتصنيع .

ولقد اتجه البحث منذ ذلك الحين عن سر قوة الإسلام يسير في طريق علمي ، وتسلم رايته جماعة يسمون بالمستشرقين ، وقد عالجوا هذا البحث من زوايا شتى ، وهي تكون على اختلافها دراسات متكاملة ،

كان ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي ضربة قاضية على أكبر إمبراطوريتين في العالم القديم ، وهما الفرس والروم ، وانتشر الإسلام من الشرق إلى الغرب بسرعة عجيبة ، ليس لها مثيل في التاريخ حتى اليوم ، وظل الإسلام ينتشر ويمتد حتى القرن الخامس عشر الميلادي ، حين بدأ يترجع من الأندلس ، ولكنه في الوقت نفسه ، أخذ يدفع بقوة من جهة الشرق نحو أواسط أوروبا ، ومن الطبيعي أن يحدث في أثناء ذلك مد وجزر ، وأن تقع تاريخيا مواقع دامية تمثلت في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمان ، وفي غزو المغول الذي وفد من أقصى الشرق ، وانتهى بصدده وإسلام المغول أنفسهم ، وظل الإسلام ثابتا شامخا كالطود ، بل استطاع أن يفتشر في بقاع جديدة من الدنيا ، لا بجند السيف ، بل بقوة العقيدة كالحال في أندونيسيا .

فأما القوة الكامنة في الإسلام التي جعلته

الصوفية كانت المواقع الامامية للمسلمين التي يدافعون منها عن البلاد . وظل للطرق الصوفية هذا الاثر في القرن التاسع عشر ، ولكنه أخذ في التدهور شيئاً فشيئاً مع النهضة الحديثة في كافة أنحاء العالم الإسلامي ...

* * *

كان ذلك حال الدراسات الغربية عن الإسلام ، وهي التي تلخصها الاتجاهات الثلاثة السابقة ، نشر المخطوطات ، والعناية بالعلوم عند العرب ، والأبحاث في التصوف والعقيدة بوجه عام .

وقد استنفدت تلك الاتجاهات أغراضها . إذ أن معظم الكتب الهامة قد فرغ المستشرقون من نشرها ، وقد ترجم بعضها لأهميته ، كما أن المباحث عن التصوف لم يعد فيها حاجة لمستزيد .

ولذلك وجب أن تتجه الأبحاث عن الإسلام وجهة جديدة ، يمكن أن تلخص في أمور ثلاثة .

(١) الكشف عن التأثير الاجنبي في الحضارة الإسلامية قديماً ، وكيف وقع هذا التأثير ، وعلى أي نحو ، وفي أي المدن وما هي الكتب التي نقلت إلى اللغة العربية وكان لها تأثير في تلك الحضارة .

وهذا النوع من الدراسة في غاية التخصص

بدأت هذه الأبحاث بما ينبغي البدء به ، أي بنشر الأصول نشرأً علياً عمقاً مع العناية بالفهارس للاستفادة من تلك الكتب ، وهكذا نشر أعظم موسوعة تاريخية وهو تاريخ الطبري ، كما نشرت المكتبة الجغرافية التي تشمل زهاء عشرة كتب في الجغرافيا ، وكتب طبقات الأطباء وهي الفهرست لابن النديم ، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وأخبار الحكماء للقفطي .

ثم اتجه البحث ثانياً بعد نشر الكتب الخطية إلى الكتابة عن العلوم والفنون العربية المختلفة ، مثل الطب ، والهندسة ، والفلك . والموسيقى ، وغير ذلك . وأحسب أن قراء العربية يذكرون كتاب المستشرق الإيطالي د.فليبيو الذي جاء إلى مصر عند افتتاح الجامعة المصرية ، وألقى محاضرات في تاريخ علم الفلك عند العرب ، طبعت كتاباً سنة ١٩١١ . فهذا نموذج لتلك الدراسات العلمية .

ثم اتجه البحث ثالثاً إلى الكتابة عن الإسلام نفسه ، ورأى المستشرقون في ذلك الحين أن جوهر الإسلام وقوته في التصوف فتعددت دراساتهم عن هذا العلم . حقا كان للتصوف منذ القرن الخامس الهجري تأثير في المسلمين من جهة تمسكهم بالدين ، وبخاصة بعد نشأة الطرق الصوفية التي كانت تجمع بين الدين والعلم والسياسة لأن الرباطات ،

لا يزال يعمل بعض المستشرقين منذ سنوات كثيرة في إعداد مخطوطات للنشر مع موازنتها بأصولها اليونانية ، ولم تصدر أعمالهم بعد . أما الذين يستعملون ؛ فإن دراساتهم على الرغم من أهميتها تقسم بالضعف . مثال ذلك الدراسة التي نشرها الأستاذ فرانشيسكو جبريل لسكراب و تلخيص النواميس ، للفارابي . نشر النص العربي في (٤٢) صفحة ، وترجمه إلى اللغة اللاتينية ، ووضع معها بالالفاظ العربية وما يقابلها باليونانية في ثلاث صفحات تقريباً . وكان الأجدر أن يكتب مقدمة البحث بلغة حديثة كالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية بدلاً من اللاتينية ، وكذلك الترجمة . وما دام الناشر قد أثر اللاتينية ، فلست أدري لم لم يضع المصطلحات اللاتينية إلى جانب اليونانية . وليس غرضنا الآن نقد النص المنشور ، وإنما غرضنا فقط بيان هناية المستشرقين بالموازنة مع الأصول اليونانية . ومن هذا القبيل أيضاً ، على سبيل المثال لا الحصر ، كتاب علم العدد لنيقوماخوس ، والذي نشره المستشرق د كوتش ، وهذا الكتاب ترجمة عربية قديمة لكتاب في علم العدد ، من تأليف نيقوماخوس أحد الرياضيين الذين كانوا يعيشون في الإسكندرية ، وبعد من علمائها . وقد نشر المستشرق في آخر الكتاب ثباتاً

ويحتاج إلى تجميع الكتب في ترجماتها الأولى وموازنة هذه الترجمات العربية بأصولها السريانية واليونانية . فنحن نعرف أن معظم التراث اليوناني كان قد نقل في القرنين الخامس والسادس الميلادين إلى اللغة السريانية ، فلما ظهر الإسلام ، واستقبل وبدأت حركة الترجمة منذ أوائل الدولة العباسية ، واشتدت زمان الرشيد والمأمون والمتنم في بغداد ، نقلت الكتب من السريانية ، وكان يكتب بهذا النقل ، أو تراجع الترجمة على الأصل اليوناني وقد حدث عند نقل الكتب من اليونانية إلى السريانية شيء من التغيير لاختلاف اللغتين ، فلما نقلت الكتب مرة أخرى من السريانية إلى العربية وقع تغيير آخر .

ومن أحسن الدراسات الخاصة بهذا الضرب من الترجمة عن اليونانية من خلال السريانية ، ذلك البحث الذي قدمه الدكتور خليل الحبر عن مقولات أرسطو ، في أصلها اليوناني ، ثم في ترجمتها السريانية ، ثم في ترجمتها إلى العربية . وهي دراسة نال بها إجازة الدكتوراه من جامعة السربون ، في أثناء الثلاثينيات من هذا القرن .

ولما كانت هذه الدراسات في غاية الصعوبة كما ذكرنا ؛ فإنها تحتاج إلى انتطاع وزمن وتخصص ومعرفة وثيقة بعدة لغات ، ولذلك

وعلم آخر لم يدرسه المستشرقون من قبل اللهم إلا في مقدمة كتبها أحدهم بمناسبة نشر كتاب في الجغرافيا . ثم انقطع عالم مستشرق روسي ، هو د كراتشونسكي ، لدراسة هذا العلم ، وأحاط بجميع الكتب الجغرافية العربية ، والتي كانت قد نشر بعضها باسم المكتبة الجغرافية ، ثم كتب بحثاً مطولاً في مجلدين باللغة الروسية ، وقد ترجم هذا الكتاب الجليل إلى اللغة العربية عن الروسية رأساً ، وصدر منه الجزء الأول (الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، والجزء الثاني في المطبعة و سيصدر قريباً . ويعد هذا الكتاب نموذجاً للتأليف الرصين ، المحيط بكل أطراف الموضوع لإحاطة تامة ، مع معرفة وثيقة بالبلدانيات ، والتضاريس ، والأجواء ، والأفلاك ، والأدب واللغة ، لأن الجغرافيا فروع كثيرة ، وبعض هذه الفروع كان يؤخذ من كتب اللغة وقواميسها . ومن أجل ذلك جعل المستشرق عنوان كتابه ، الأدب الجغرافي عند العرب .

وقد أشرنا من قبل إلى كتاب الأستاذ د نلينو ، د علم الفلك عند العرب ، والذي صدر سنة ١٩١١ أي منذ أكثر من خمسين عاماً ، وأكبر الظن لو أن هذا المستشرق كان لا يزال على قيد الحياة ، لأصدر من كتابه طبعة ثانية معدلة تعديلاً أساسياً في ضوء

بالمصطلحات العربية وما يقابلها باليونانية . هذا الاتجاه نحو عصر الترجمة في الإسلام لاشك يحلو جانبا مهما في تاريخ الثقافة العربية ، ويثبت كيف استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة حضارة عالمية ، ولغة علم تتسع لجميع العلوم .

٢ — الانجاه الثاني نحو العلوم عند العرب .
حقاً كانت الدراسات عن العلوم بدأت منذ القرن التاسع عشر ، بعضها في الطب ، وبعضها الآخر في الرياضيات كالحساب والهندسة ، إلا أن تلك الدراسات لم تكن مستفيضة ، وكانت تحتاج إلى مزيد من العمق والإحاطة والمتابعة .

وكانت هناك علوم باكملها لم يدرسها المستشرقون في القرن التاسع عشر ، مثل علم الكيمياء الذي لم يبحث بمعنى الكلمة إلا على يد المستشرق د كراوس ، الذي وفد إلى مصر قبل الحرب العظمى الثانية ، وبقى بها إلى عام ١٩٤٥ تقريباً عندما انتحر لأسباب لم يكشف الستار عنها بعد ، لأنه كان يهودياً ، ويبدو أن إسرائيل كانت قد طالبت به بأمور عجز عن فعلها . وقد طبع بحثه عن د جابر بن حيان ، باللغة الفرنسية في مصر ، في مجلدين ، وذلك بالمجمع العلمي المصري . وكان د كراوس ، قد نشر قبل ذلك جزءاً كبيراً من رسائل جابر بن حيان .

تطوان سنة ١٩٥٥ . ومثال آخر لهذا التعاون كتاب «هنرى كوربان» ، عن تاريخ الفلسفة الإسلامية الذى ظهر هذا العام فى باريس ، بالاشتراك مع «سيد حسين نصر» ، و«عثمان يحيى» .

ولكننى أقصد إلى شئ آخر ، وهو استقلال المؤلفين العرب أو المسلمين بالتأليف باللغات الأجنبية . ومثال ذلك كتاب جليل صدر منه الجزء الأول ، والثانى فى طريقه إلى الصدور ، بعنوان تاريخ الفلسفة الإسلامية A History of Muslim Philosophy أشرف على تأليفه الأستاذ شريف من الباكستان ، وجميع الكتاب الذين كتبوا فصوله مسلمون إما من الباكستان أو الهند أو مصر والشام والعراق وغير ذلك من الدول العربية . وليس الكتاب خاصاً بالفلسفة فقط ، بل بالفكر الإسلامى بوجه عام ، إذ فيه فصول عن الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأدباء ، وقد اشتركت فى هذا الكتاب بفصلين أحدهما عن السكندى والآخر عن ابن رشد ، وهما باللغة الإنجليزية لأن الكتاب كله بهذه اللغة ، وحتى الذين كتبوا باللغة العربية فقد ترجمت فصولهم إلى الإنجليزية . والكتاب منشور فى فيسبادن بألمانيا .

٣ — الاتجاه الثالث ، وهو الأهم ، نحو

المخطوطات العربية التى كشف عنها ، وطبع بعضها . ومع ذلك لا يزال كتابه ذا قيمة كبيرة ، وإن احتاج إلى تعديل ، ففى بعض التفاصيل لا فى الهيكل الأساسى .

ولكن هناك علوم عربية كثيرة لا تزال فى حاجة إلى دراسة شاملة مثل علم النبات ، وعلم الحيوان ، وعلم الجيولوجيا ، وعلم الهندسة ، وفروع كثيرة من العلم الرياضى ، وعلم الطب ، وعلم الصيدلة والعقاقير ، وغير ذلك . وإذا كان من الصحيح أن دراسات جزئية قد تمت فى كل هذه العلوم ، إلا أن التأليف الشامل فيها ، والمحيط بها لم يتم بعد ، لا على أيدي المستشرقين ، ولا على أيدي المسلمين أنفسهم .

نقول ذلك لأن المسلمين والعرب بدوا يتلقفون السكر من أيدي المستشرقين ، فأقبلوا على التأليف فى هذه المجالات بالمنهج الحديث المنظم الذى كان يسير عليه المستشرقون . وفى بعض الأحيان يشترك مستشرق غربي ، ومسلم عربي فى إخراج دراسة واحدة . مثال ذلك كتاب «الفلاحة» لابن بصال ، الذى نشره وترجمه ، وعلق عليه اثنان ، أولهما «خوسى مياس بييكروسا» الأستاذ بجامعة برشلونة ، والثانى «محمد هزيمان» السكرتير العام لوزارة التربية بالمغرب . والكتاب من منشورات معهد

والكتاب الثاني بعنوان « البناء الاجتماعي للإسلام » ، صدر سنة ١٩٦٢ ، للأستاذ « روبن لين » . ولهذا الكتاب قصة تؤيد مآذبه إليه من تطور الدراسات الاجتماعية في العصر الحاضر بسرعة سريرة . ذلك أن طبعته الأولى صدرت في مجلدين سنة ١٩٣١ والثاني سنة ١٩٣٣ ، بعنوان « الإسلام من الناحية الاجتماعية » ، The Sociology of Islam ولكن تطور علم الاجتماع السريع اقتضى أن يعدل المؤلف من كتابه تمديداً جوهرياً ، فأصدره في طبعته الثانية المعدلة سنة ١٩٥٧ بالعنوان المذكور أعلاه ، وهو بالإنجليزية The Social Structure of Islam ومن الدراسات التي تنحو هذا المنحى ولكن بطريقة أخرى ، للكتب الثلاثة التي ألفها الأستاذ « موتيجوري » ، والتي تؤلف « ثلاثية » ، وهي على التوالي « محمد في مكة » ، « محمد في المدينة » ، « الإسلام وتوحيد المجتمع » . ولما كانت هذه الكتب الثلاثة ، أو « ثلاثية » موتيجوري ، « وات » ، في غاية الأهمية والخطر ، إذ اتبع فيها التفسير المادي للتاريخ إلى الحد الذي اتهم فيه بالشيوعية ، فهي لا ريب جديرة بالتمقيذ ، وهذا ما سوف نصنع في المستقبل إن شاء الله .

دكتور أحمد نور الله واني

الكتابة عن الإسلام من الناحية الاجتماعية والسياسية ، وقد اقتضت ضرورة العصر الاتجاه هذه الوجهة ، ذلك أن علم الاجتماع علم حديث جداً ، لم يصحح علماً بمعنى الكلمة إلا في هذا القرن العشرين ، وكذلك الحال في علم النفس ، لذلك كان لا بد أن يدرس الإسلام في ضوء هذين العلمين ، وبمناهما الحديثة دراسة جديدة ، سواء من الناحية التاريخية ، أم في الوقت الحاضر .

إن الاهتمام بالنواحي السياسية والاجتماعية والأخلاقية في الإسلام سمة مميزة لدراسات معظم المستشرقين في الوقت الحاضر ، وذلك لسببين : الأول : أن الإسلام لم يدرس من قبل من هذه الزاوية ؛ فكان لا بد أن تطبق عليه المناهج الجديدة في البحث ، وأن يفتح الباب لمثل هذه الدراسات . والثاني : أن الغرض الأساسي للمستشرقين منذ قيام الاستعمار قديماً وحديثاً هو البحث عن السر في قوة الإسلام والمسلمين . وقد اتجهت المباحث قديماً نحو الكشف عن العقيدة الإسلامية وعن العلوم عند العرب ، واليوم يتجه البحث نحو تركيب المجتمع الإسلامي .

ونضرب مثالا - على سبيل المثال لا الحصر - لكتابين أحدهما للأستاذ روزنل بعنوان « الفكر السياسي عند المسلمين في العصر الوسيط » ، طبع طبعه الأولى سنة ١٩٥٨ ، وأعيد طبعه في نشرة شعبية رخيصة سنة ١٩٦٢ .

الكتاب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السمران

خالد ، حيث تحول من دفاع عن الأوثان وذب عن تقاليد الآباء ، وسجود اللات والدمى ومناة ، إلى دفاع عن الإسلام وقيمته ومبادئه ، فكان إسلامه حادثاً خطيراً في تاريخ قريش ، اهتزت له جنبات مكة ، وارتعدت منه فرائص أبي سفيان زعيمها . وابتغل المؤلف مع خالد في المعارك التي اشترك فيها أو قادها ، إلى تبوك ، وإلى ثقيف ، وإلى البطح ، وإلى العراق والشام ، ليسجل له بطولات حفل بها التاريخ ، وعسكرية عسكرية فذة لم تزل ماثرة دهشة وعجب إلى يومنا هذا .

والمؤلف لم يكن في دراسته عن خالد مجرد مؤرخ يقتبس الروايات الصادقة في سيرة البطل ، وإنما كان باحثاً ومدققاً ومحصلاً لهذه الروايات ، وقد صنف عناية كبرى بالقضايا التي أثرت حول خالد في معاركه ، ليبين فيها وجه الحق والصواب ، وينج عنها غبار الإسفاف والافتئات معاً .

فقصة خالد مثلاً مع بني جزيمة ، قد أخذ على خالد فيها أنه تمجّل الفتك بهم ، ولم يهملهم

خالد بن الوليد والرهوة المحمديّة :

الأستاذ محمد نجيب المطيعي

هذا الكتاب الذي نشرته مكتبة الجامعات بالقاهرة تبلغ صفحاته زهاء ثلثمائة وعشرين صفحة ، مهد المؤلف له ببحث عن المقومات النفسية للعرب ، ثم أشار إلى ميلاد خالد ونشأته وحروبه في الجاهلية ، كما تحدث عن مدوني التاريخ الإسلامي ، ونشأة التدوين ، ورأى أن عبد الله بن عمر أول من حاول التدوين موجهاً همه إلى نطق النبي الكريم بين أصحابه ، إلا أنه مزق صحيفته خشية أن تختلط بالقرآن ، ثم تبعه بعض التابعين الذين تلقوا من ابن عمر ، وقد قام عروة بن الزبير بالتدوين نقلاً عن غيره بدون إسناد ، وذلك في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وولي عروته ابن إسحق المتوفى عام ١٥١ هـ مقتبساً معلوماته من عروة ، ثم يليهما ابن هشام الذي استقى معلوماته عن ابن إسحق مع أنه توفي بعده بقرن ونصف ، ثم تبعهم الوافدي ثم الطبري وهكذا .

ويشير المؤلف إلى صفحة جديدة في تاريخ

من خالد ، ويستدل المؤلف برواية لقاء متمم ابن نويرة أخى مالك مع عمر بن الخطاب ، حين سمعه يرثى أخاه فقال عمر : وهذا والله التأيين ، ولوددت أنى أحسن الشعر ؛ فأرثى أخى زيدا بمثل ما رثيت به أخاك ، فقال متمم : والله لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته . كما يستدل أيضاً بمناقشة أبى بكر لخالد حيث انتهت المناقشة ببراهنه . ويناقس المؤلف قصة دزل خالد إثر موقعة اليرموك ، بل ويشكك فى هذه الرواية إذ ليس من طبيعة عمر لحازم أن يعزل قائداً فى مثل هذه الظروف الحرجة ، وبقية تشككك على أن خالد قد اشترك فى بعض المواقع بعد اليرموك ، بل لقد وجد دينار ذهبى ضرب فى طبرية فى السنة الخامسة أو السادسة عشرة للهجرة من دفن خالد ضربت على هيئة الدنانير الرومية .

الكتاب دراسة على جانب من الأهمية ، والمؤلف بذل جهداً له تقديره فى تحليل الأحداث ، وتحقيق الروايات .

الإسماء والمعراج :

للدكتور محمد محمد أبو شهبه :

يقع فى مائة صفحة وبضع صفحات من القطع المتوسط ، مهد لموضوع الإسماء والمعراج بتمهيد فى ثلاثين صفحة عن حاجة البشر إلى الشرائع العنصرية ، وحقيقة الرسل والمعجزة ، ومعجزات الرسول الحسية ،

حتى يتبين من قبولهم الدعوة الإسلامية أو رفضها حتى يتخذ حكم الله فيهم ، والمؤلف هنا بعد أن يسرد الروايات التاريخية للقصة يرجع حمل خالد فى بنى جزيمة إلى ثلاثة احتمالات يسوق على كل منها شواهد من التاريخ :

الاحتمال الأول : أن يكون خالد رأى القوم وعليهم سلاحهم ، فظن بهم الغدر ، وأراد أن يعاجلهم قبل أن يعاجلوه .

والاحتمال الثانى : أن يكون خالد رأى تردداً فى بنى جزيمة حيال دخولهم فى الإسلام ، فأعمل فيهم السيف .

والاحتمال الثالث والآخر : أن يكون فى نفس خالد بقية من إرث الجاهلية وأحقادها ، وقد كان بين بنى جزيمة وبينى سليم قوم خالد من ناز .

ويخلص المؤلف بعد تمحيص هذه الاحتمالات إلى أن خالد قد أخطأ فى عمله هذا خطأ فدح بيت مال المسلمين بما غرقه من ديات وعضوض بأمر من الرسول كعلاج لخطأ خالد ، وقد أخذ الفقهاء من هذه القصة حكم القائد الذى يخطئ ، فيؤدى عنه ما كان من دماء وأموال من بيت المال .

وينفى المؤلف عن خالد أن يكون قد قتل مالك بن نويرة ليحظى بأمراته الجميلة من بعده ، ويرى أن فى القصة تهاكاً واقتيافاً على خالد ، وبما يرى خالد أن مالك ابن نويرة لم يمت مسلماً ، ولم يكن قتله جناية

فضائل النبي في القرآن :

للشيخ عبد الله الصديق الغماري :

هذا الكتاب الذي نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر يقع في مائة وعشرين صفحة من النقط الكبير ، تناول فيه المؤلف فضائل النبي من واقع كتاب الله في جميع السور القرآنية ، والحق بهذا الكتاب بحثاً آخر في ثلاثين صفحة تحت عنوان : « النفحة الإلهية في الصلاة على خير البرية ، ضمنه عديداً من الأحاديث النبوية التي تشيّد بفضل الرسول وعلو منزلته .

وناقش المنكرين المعجزات الحسية ، ثم انتقل إلى الموضوع نفسه ، يتكلم عن الإسراء والمعراج ونبوتهما بالقرآن والسنة ، وأكد أن الإسراء والمعراج كانا بأرواح والجسد معا ، وناش رأى المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ، وهو تصوير الإسراء والمعراج تصويراً روحياً مبنياً على فكرة وحدة الوجود ، ويرى المؤلف أن هذه الفكرة . فكرة خاطئة ومن مخلفات الفلسفات القديمة ، وقد انتصر لها وتشيع بعض المتصوفة الذين ينتسبون إلى الإسلام وكتبوا بها فكان حاقبتهم الأحاد في الله وصفاته .

المطهر البهروى

الأستاذ محمد خليفة التونسي

هذا الكتاب أول ترجمة عربية أمينة كاملة لبروتوكولات حكام صهيون ، قدم لها أستاذنا المرحوم العقاد ، كما كتب المترجم مقدمة تحليلته في مائة صفحة كشف فيها عن خطورة هذا الكتاب ، وبعض عناصر المؤامرة الصهيونية ، وذعر اليهود لفشر هذه البروتوكولات ، كما قارن بينها وبين كتبهم المقدسة وأقوال ربانهم وزعمائهم ، وأكد أن المبادئ الصهيونية شر من المبادئ الحكيما فلية ، وهذه النسخة العربية الوحيدة قام بترجمتها الأستاذ التونسي عن الطبعة الخامسة للترجمة الإنجليزية .

الشريف الإدريسي وأثره في الجغرافيا
للأستاذ مصطفى محمد كامل

هذه الرسالة إحدى حلقات « كتب إسلامية » التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، أراد المؤلف بيحه أن يكون كشفاً للنقاب عن حضارة عربية ازدهرت على يد العرب ، وإحساساً بفضل علمائنا وأثرهم في تطور العلم ، وفي مقدمتهم الخوارزمي ، واليعقوبي ، والاصطخري ، والمسعودي ، وابن حوقل ، والمقدسي ، ثم الإدريسي الذي ولد عام ٩٣٤ هـ في « سبته » بالاندلس وقت إغارة المرابطين عليها

محمد عبد الله السماوي

فتاوى نخناتة

نقدم : ابراهيم محمد الرصيل

(الإجابة لجنة الفتوى)

المرا: بحديث د اذا أقيمت الصلاة

السؤال :

فلا صلاة إلا المكتوبة :

نقل المزم — عدم التبليغ عن
الأمراض المعدية .

السؤال :

١ — ما حكم التطوع بالدم ... ؟
٢ — ما حكم عدم التبليغ عن الأمراض
المعدية ... ؟ مهندس محمد وجدى المهرى

ما المقصود بحديث النبي صلى الله عليه
وسلم : د إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة
إلا المكتوبة . لأن هذا الأمر قد استشكل

هلينا ؟
أحمد عبد الله باغوث
كينيا - ممباسا

الجواب :

عن السؤال الأول نجيب : بأن التطوع
بنقل الدم جائز بشرط أن تكون صحة المنقول
منه بوية حتى لا يتضرر بنقل الدم منه قال
تعالى : د ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ،
وأن يكون الدم خالياً من الأمراض المعدية
حتى لا تنتقل العدوى إلى غيره قال صلى الله
عليه وسلم : د لا ضرر ولا ضرار ،

الجواب :

حديث : د إذا أقيمت الصلاة ، فلا صلاة
إلا المكتوبة ، المراد منه النهى عن أن
يستغل المصلى بالنافلة إذا شرع المؤذن
في الإقامة سواء تحية المسجد وركعتا الفجر
وغيرهما من النوافل ، فإن ذلك يشغله عن
إدراك فضيلة الركعة أو الركعتين معه وصلاة
الجماعة أكد من صلاة النافلة فإنه قيل
بوجوبها بخلاف النافلة فإنه يجمع على سنها ،
فإذا فعل وشرع في صلاة النافلة عند شروع
المؤذن في الإقامة كان ذلك مكروهاً مع صحة
صلاته ، وقال بعض الأئمة : كان حراماً ولا تنعقد

وعن الثاني : نجيب بأن أخذ الحيلة في حال
الإصابة بالمرض المعدى واجب صيانة للجمعة
عن نفث الأوبئة وعدم التبليغ المصاحب
للإهمال حرام لما فيه من تعريض المجتمع
للعدوى بالأمراض الفتاك ، الأمر الواجب
على الجميع العمل على دفعه بقدر الطاقة .

السؤال :

وضع معين ميت لا فر
١ — هل يجوز إخراج عين ميت

صلاته ، أما إذا كان متلبساً بالنافلة قبل
شروع المؤذن في الإقامة فإنه يتمها إذا لم
يخش قوات الجماعة فإن خشي ذلك قطعها .

٢ — يزرع في بلادنا الفول السوداني بكثرة ، فهل يركى الفول السوداني كما يركى القمح والشعير أرجو أن تكون الإجابة على مذهب الإمام مالك ؟ .

٣ — في بلادنا فترك الزوجة مع الزوج في تكوين ثروة حيوانية أو تجارية فهل يعتبر مال الزوج أو الزوجة معا بهذه الحالة كأنه مال واحد في الزكاة أم هناك تفصيل ؟ .
عبد القادر عمر عيد — أرتيريا

الجواب :

عن الأول نفي بأن الحلوف من الحيوانات المستجنبة عادة عقد ذوى الطباع السليمة وهو أشبه بنيره من وحوش كالذئب ونحوه فلا يجوز أكله ، وإن كان هو يأكل أوراق العجر والنباتات فالخار مثلا يأكل ذلك وهو محرم الأكل .

وعن الثانى بأن الفول السودانى نجس فيه الزكاة لأنه من القطاى السبعة التى عدها العلماء مما تجب فيه الزكاة ويحصل به الاقتيات عادة .
وعن الثالث بأن الخلطة لا يعتبرها المالكية إلا فى النظم والإبل والبقر والغنم فإن الخليطين يعتبران حينئذ كما لك واحد أما فى غير النعم فكل على ما يمكنه لا زكاة عليه فى ماله إلا إذا بلغ فصا .

وكذلك الحنابلة ، أما مذهب الشافعية رضى الله عنهم فإنهم يعتبرون الخليطين كالك واحد فى كل مال يجب فيه الزكاة سواء فى ذلك المشاية وغيرها .

ووضعها لأهمى ليتفجع بها طوال عمره وهل يجوز الميت بذلك ثوبا إذا أن عينه ستصير بعد ؟ ترايا ؟

٢ — ما حكم الصلاة على مكبر الصوت ؟
عبد الله أحمد - الهند

الجواب :

نجيب عن الأول : بأن الميت يتألم بما يتألم منه الحي غير أن ضرر الحى يفقد بصره أعظم فإذا تحقق لدى الإخصائسين أن يقل عين الميت إلى الحى نافع له جاز ما دام لاسليل إلى التخفيف عنه غير ذلك تحقيقا للصلحة بارتكاب أخف الضررين ، بشرط ألا يمانع فى ذلك أهل الميت حتى لا تكون فتنة ، ويتقابل الناس وألا يكون المنقول إليه مهدد الدم كالزنى المحصن والمرتد والحربى وإلا فلا حرمة له فلا يضر الميت لأجله .

وعن الثانى : نفيد بأن الصلاة على مكبر الصوت جائزة إذا احتيج إليه لإسماع المأمومين ولم يحدث به تشويش على مصل فإن حدث به تشويش على مصل حرم ، وإن لم يحتج إليه فالصلاة بمخشوع أولى .

السؤال :

لحم الحلوف - زكاة الفول السودانى
زكاة الخليطين :

١ — فى بلادنا أرتيريا ، حيوان يسكن الخلاء والجبال يسمى د الحلوف ، ويتغذى بأوراق الشجر وبفضلات النباتات فهل هذا الحيوان يؤكل أو يحرم أكله ؟

أَنْبَاءٌ وَأَرْاءٌ

مناقشات :

الأخلاق ولغة الأرقام

مناقشات كثيرة دارت في الأيام الأخيرة بمجلس الأمة . في محاولة حل ما أسماه سيادة الرئيس د بالمعادلة الصعبة ، وتتلخص هذه المعادلة في هذا السؤال البسيط :

كيف تنخفض أسعار المواد التموينية وغيرها إلى الحد اللائق بالمستوى العادي للشعب بينما أيضا تستمر عملية بناء الوطن وتحقيق مشروعاته في كافة القطاعات .. والذي لا حظته — وأدهشني — أن سائر الحلول التي طرحت للنقاش .. هذه الحلول كلها قد أغفلت جانب الأخلاق والمثل ؛ كأنما المشكلة الاقتصادية لا تتصل من بعيد أو قريب بهذا المستوى الأخلاقي الهابط الذي تنحدر إليه أمتنا في هذف وجنون .. وأنا هنا أحب في بحالة أن التي ضروا على المشكلة الأخلاقية ومدى تأثيرها في الاقتصاد القوي .. عل الذين يناقشون مشكلة الاقتصاد يقنعون إليها على الأقل — على أنها من جملة الأطعمة التي يضعونها على مائدة البحث ..

ونحن نعرف أن الدولة عندنا - مثلا - تباع صنوفاً من المسكرات إعتقاداً منها أن هذه المشروبات تفيد الخزانة - بعدة ملايين تأخذها من التجار والشاويين كضريبة - ولكن الدولة بالطبع لم تحسب حساب آلاف الأسر، وآلاف الشبان، وآلاف الثروات التي تحطمت على صنعة هذه المسكرات وأصبحت وأصبح أصحابها عالة على المجتمع ، يعيشون كما تعيش الطفيليات في أنها لا توزع إلا الشر ولا تنشر إلا البوار، إن الذي ينفق جنيهاً في الليلة من متوسطي الدخل على الخمر والملاهي الليلية وصالات الرقص (والسكاباريات) .. هذا الإنسان لا بد أن يولول يوم يزداد كيلوا اللحم عشرة قروش مثلاً لا شيء إلا لأنه لم تترك له ألوان الضياع أى شيء لا لحم ولا لغيره .

ورب الأسرة المزمم بتوفير كل الكماليات لأسرته وإلا اتهم بالجوود والرجعية، والفتيات وأمهاتهن اللاتي تغريهن مجلات الأزياء على ملاحقة أحدث المودات و التاثيرات ، التي تظهر في عاصمة الفجور في الأرض - باريس - الماجنة .

أقول : مهما كثرت القول في المرأة وموقفها من المجتمع ، وموقف المجتمع منها ، فإننا في حاجة إلى تلك الحيدة التي لا يصدر القول فيها أحكاماً مطلقة تبعاً للهوى ، ومجاراة لتلك الدعاوى التي أصبحت سمّة الدراسات الحديثة . وإذا كان الإيمان بفكرة لا يكون إيماناً كاملاً إلا إذا تناول جزئياتها وکلياتها مع فهمنا لكل ، فإن الإيمان بما جاء به الإسلام يذنبني أن يذول جزئياته قبل أن يتناول كلياته فضلاً عما أرسله الأصوليون بـ بطلان تحليل الأحكام ، وعند ذلك بحثاً فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي ، فإذا وجد الدليل المسادي والمعنوي ؛ فإن ذلك ادعى إلى عدم الخوض في تلك المسائل أن رضى بها النفس أن لم ترض .

والذي عذب عن أولئك الذين تشرفوا نفوسهم للكلام بصدد تلك المسألة أن مناط المقارنة هو البيت ، مناط وجود الآونة التي هي إحدى المجموعات في مرض الامتنان .

محمد بدر هيد الجليل

جامعة الإسكندرية — أسرة اللغة العربية
* أخبار قصيرة :

فاز بعضوية الجمع القوي بالقاهرة السيد نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر أحمد عبده الشرباصي خلفاً للنفور له أحمد لطفى السيد ، كما فاز بالعضوية فضيلة

هؤلا وأولئك لا يمكن أبداً أن يصرخوا من زيادة قرش على سعر أية سلعة لأن السكاليات والموادات وغيرهما قد استنفدت هذا القرش وأضاعته . .

وبعد - فلسفت في حاجة إلى أن أطيل بعد رأينا الامبراطورية العجوز تهوى على يد كريستين كيلر وتنحطم - كما قال قاضيا وينتج بسبب ضياع الاخلاق فيها على الرغم من ثرائها المادى الكبير - ، ألا رحم الله شوقي : وإنما الأمم الاخلاق ما بقيت

فإن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا وليس بعاصر بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خراباً
هدى الله أمتنا وأخذ بيدها إلى
طريق الصواب ؟

عبد الحليم هيد افتتاح عويس
كلية دار العلوم

ذكرة وأثره :

تعرضت الدكتور سهر القلماوى والدكتور عائشة عبد الرحمن الحديث عن الكلمة التي ألقاها الأستاذ محمد الغزالي بال مؤتمر الوطنى ، وما ذهبت إليه الأخيرة إنكار مقارنة الرجل بالمرأة زاعمة عبث المقارنة بين أبى جهل وعائشة رضى الله عنها مثلاً

كونيك رئيس أساقفة فينا بالنمسا ، وبحثا
معا رسالة الأديان في دعم قضية السلام ،
وعدوان الصهيونية على العرب بفلسطين ،
هذا وقد وجه الكاردينال الدعوة إلى شيخ
الأزهر لزيارة النمسا وإلقاء عدة محاضرات
عن الإسلام هناك .

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر المستشرق
الفرنسي برجاناشو أستاذ التشريع الإسلامي
بكلية حقوق جامعة باريس ، والذي يزور
القاهرة بدعوة من المهندس أحمد عبده
الشرباصي نائب رئيس الوزراء لإلقاء
محاضرات في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .
أهدى الإمام الأكبر مكتبة إسلامية كاملة
مكونة من مائة وثمانين مؤلفاً في فروع علوم
الإسلام المختلفة إلى جمعية محبي الدراسات
الإسلامية التي تكونت أخيراً في فينا
عاصمة النمسا .

تقرر إهداء الشعوب الإسلامية ثلاثين
ألف نسخة من المصحف الشريف المطبوع
والمرتل بمناسبة شهر رمضان المعظم وذلك
لتوزيعها على الهيئات والأفراد والجمعيات
في البلاد الإسلامية قبل أول رمضان .

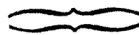
الأستاذ الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد
عميد كلية الدراسات العربية بجامعة الأزهر
خلفاً للمغفور له الإمام الأكبر الشيخ محمود
شيخ الأزهر السابق .

* فاز بجائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٦٤
كل من الأساتذة محمد فريد أبو حديد للآداب
والدكتور عبد الحكيم الرفاعي للعلوم
الاجتماعية والدكتور أحمد رياض تركي
للعلوم ، ومن الجدير بالذكر أن قيمة الجائزة
٢٥٠٠ جنيه مع ميدالية ذهبية ، وميدالية
تذكارية لعيد العلم .

* أعلن موريا عضو البرلمان الهندي
أن سلطات الأمن اعتقلت خلال الأسبوع
الأول من شهر ديسمبر أكثر من تسعة عشر
ألف عامل من أعضاء الحزب الجمهوري
ويتمنى معظمهم إلى طائفة المنبوذين ، بسبب
الاضطرابات التي قاموا بها في جميع أنحاء
الهند للبطالة بتحسين أحوالهم الاقتصادية
والاجتماعية .

في محيط الأزهر

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ
الجامع الأزهر في ١٤ ديسمبر الكاردينال



في محيط العالم الإسلامي

• اتحاد ماليزيا ... وإسرائيل :

كان من المقبول شكلا وموضوعا أن ينص دستور اتحاد ماليزيا على أن دين الدولة هو الإسلام ، لأن أغلبية شعوب السكان في الاتحاد الماليزي من المسلمين .

ولا يعتقد عاقل — بعد ذلك — أن يكون مقبولا شكلا ولا موضوعا ، تصريح رئيس اتحاد ماليزيا في البرلمان منذ أيام ، بأن الاتحاد لا يمكنه سحب الاعتراف بإسرائيل ، لأن إسرائيل دولة معترف بها في هيئة الأمم المتحدة ، وكون رئيس الاتحاد السيد تنكو عبد الرحمن يعود بعد يوم من تصريحه الأول فيؤكد أن الاتحاد لن يتبادل التمثيل الدبلوماسي مع إسرائيل ، ليس إلا لعباً بالألفاظ .

إن السيد تنكو عبد الرحمن يعلم علم اليقين أن قرارات هيئة الأمم المتحدة ليست ملزمة لجميع الدول الأعضاء في أية حالة من الحالات ولا ضرورة لأن نقول : كيف يستساغ لدولة ينص دستورها على أن دينها الرسمي هو الإسلام ، أن تعترف بدويلة معتدية باشرت أول عدوان لها على مقدسات الإسلام نفسه ، وعلى مليون مسلم عربي لتلقى بهم في متاحف الفناء ؟ لأن هذا النص

لمجرد النص واستغلاله عاطفياً في الأزمات . إن الصراع القائم بين أندونيسيا المسلمة ، واتحاد ماليزيا الذي نص دستوره على أن دينه الرسمي هو الإسلام . هذا الصراع الذي جعل الرئيس أحمد سوكارنو يصرح في البرلمان الأندونيسي بأنه مسلم ووطني وشيوعي .

ويشارك في وزارته عضوين شيوعيين ، هو الذي جعل رئيس اتحاد ماليزيا يعرض بنواجه على صداقة إسرائيل ذيل السكتلة الغربية .

* * *

• السودان الشقيق :

إن الوثبة التي قام بها شعب السودان في الشهر الماضي ، وثبة تاريخية أثبتت وجوده كشعب حي يرفض الضيم ، ويبذل من أجل حريته دماء وعرقه ، ولا شك أن الاستعمار قد أقام مأتماً لنفسه إثر وثبة الشعب السوداني الجريئة ، وقد بدأت اللطائف توجه إليه بعنف حين قررت حكومة السودان منع الطائرات البريطانية من المرور فوق السودان في طريقها إلى عدن والجنوب العربي ، والطائرات البلجيكية في طريقها إلى الكونغو .

والذي لا ريب فيه ، أن مثل هذا المشروع سيكون له أبعاد الأثر ، وبالطبع بعد أن يخرج إلى حيز التنفيذ ، فالإسلام في معظم دول آسيا وأفريقيا لم يزل بدائيا ، والعشيرة لم تزل له قوته ، وإمكاناته التي ينافس بها الإسلام الذي يجب أن يشخذ لنفسه مكانة أسمى في الأماكن الوثنية التي هي في مسيس الحاجة إلى غزو إسلامي .

لنأمل أن يهتم اهتماما بالغاً بتعليم اللغة العربية للسلمين ، حتى يكونوا وثيق الصلة بدينهم وقرآنهم ، والأحاديث النبوية ، والفقه الشرعي ، كما نأمل أن تختار هذه البقاع الكتب الإسلامية التي توضح معاني الإسلام في يسر وبساطة ، والتي تتجنب من الأفكار ما يوحى بالجدل أو الإسفاف ، كما نأمل ثالثاً أن يختار الدعاة المستقيرون واسموه الآف ، الذين سيحملون إلى جانب علمهم عقيدة وإيماناً ، وطاقة من الصبر والاحتمال .

أخبار قصيرة :

* الباكستان : اجتاحت الباكستان منذ أسابيع مظاهرات ضخمة معادية للرئيس أيوب خان ، مما اضطر الحكومة إلى أن تصدر قراراً في الأسبوع الأول من ديسمبر بإغلاق جميع معاهد التعليم الحكومية والأهلية إلى أجل غير مسمى ، ومن الجدير بالذكر

ولكن هذا الاستعمار عودنا أنه من الصعب أن يسلم بأنه قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وفي سبيل إثبات أن فيه بقية من رفق يعبث بأصابه في أضيق النوافذ ، وما هو ذا يستغل جنوبي السودان ليحرك الفتنة ، وما الاضطرابات الأخيرة إلا حركة استعمارية بغية ..

إن شعب السودان : شماليه وجنوبيه شعب واحد ، وقد وثب وثبته الأخيرة القوية الجريئة من أجل السودان بأسره ، لافرق بين شمال وجنوب . ونحن نرجو أن تتغلب الوطنية ؛ حتى تصني تلك النفوس الضعيفة التي لم تتخلص بعد من رواسب الاستعمار ، ليتفرغ السودان الشقيق لما هو أهم ، وبأخذ مكانه الصحيح بين دول العالم الحية .

* مؤسسة لنشر الإسلام والعربية :

أعدت وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة ، التخطيط الجديد لمشروع الخدمات التي ستفرضاها خلال السنوات الخمس القادمة ، وكان من أبرز المشروعات العشرين مشروع إنشاء المؤسسة الإسلامية التي ستشرف على تعليم اللغة العربية ، والعلوم الإسلامية في دول آسيا وأفريقيا ، وستتبع هذا المشروع وحدات اجتماعية مزودة بالإخصائيين ، كما ستزود كل وحدة بمسجد ومعهد ديني ووحدة صحية .

بيانا جددوا فيه مبايعة الرئيس سوكرانو لشغل منصب رئيس الجمهورية الأندونيسية مدى الحياة .

* اهتمد المهندس السيد أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء عشرة آلاف جنيه لبناء مسجد افمكبو فى شرق نيجريا بجوار مقر المركو الإسلامى هناك .

* العراق : رأت حكومة العراق اتخاذ الخطوات لتوحيد المناهج الدراسية بين العراق ومصر ، وقد طلب وزير المعارف بالعراق من مديريات الوزارة المختصة إعداد الدراسات ، والمقترحات الخاصة بالقوانين والأنظمة المعمول بها حاليا فى المراحل الدراسية المختلفة .

* المغرب : وافقت الجمهورية العربية المتحدة على تصفية المشاكل المتعلقة بينها وبين المملكة المغربية ، وقد صدر بيان بذلك فى الرباط فى شهر نوفمبر الماضى عقب المحادثات التى أجريت بين الملك الحسن الخامس والمشير عبد الحكيم عامر خلال جولته الأخيرة فى شمال أفريقيا . هذا وسبوز الملك أوائل العام الجديد القاهرة بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر .

محمد عبد الله السحمانه

أن السيدة فاطمة جناح شقيقة المغفور له محمد على جناح ، والمنافسة للرئيس أيوب خان فى انتخاب الرئاسة هى التى تقود جبهة المعارضة فى الباكستان .

* ليبيا والجزائر : بدأ الرئيس أحمد ابن ييلامحادثاته فى الأسبوع الأول من ديسمبر محادثاته مع رئيس وزراء ليبيا : السيد محمود منتصر ، وقد تناولت المحادثات مسألة تنسيق السياحة البترولية للبلدين باعتبارهما من أكبر الدول المنتجة للبترول فى أفريقيا .

* اتحاد ماليزيا : تقرر أن تزد كل من كندا والولايات المتحدة ماليزيا بالمقاتلات لمواجهة أندونيسيا فى معركةها معها . وكانت بعثتان عسكريتان فى أوائل ديسمبر : إحداهما كندية والأخرى أمريكية قد زارتا لهذا السبب كوالامبور عاصمة ماليزيا

* السودان : أذاع راديو أم درمان فى الأسبوع الثانى من ديسمبر أن قرارا صدر بالعفو الشامل عن جميع السودانيين الذين هربوا من السودان منذ يناير عام ١٩٥٥ ، والذين صدرت ضد بعضهم أحكام غيابة ، وقدم آخرون منهم للحاكمه ، ودعا الراديو جميع الذين شملهم العفو إلى العودة إلى السودان والإسهام فى بناء أمتهم .

* أندونيسيا : أصدر زعماء الأحزاب العشرة فى أندونيسيا فى ١٣ ديسمبر ١٩٦٤

pas négliger, institué des défenses, que vous ne devez point violer; mais il a omis certaines choses, non pas par oubli, mais par miséricorde pour vous. Donc, à propos de telles choses, ne cherchez pas trop." C'est dans de telles circonstances, nous dit Ibn Hibbâne, que fut révélé le passage Koranique qui dit :

"O vous qui avez cru, n'interrogez pas au sujet de certaines questions dont l'explication vous serait funeste, attendu que si vous y insistez pendant que le Koran est encore en train d'être révélé, cette explication vous sera donnée. Dieu l'a omise, car il est clément et miséricordieux. Avant vous, un autre peuple avait insisté sur des questions semblables, mais par la suite, il s'est montré infidèle à leur égard."

Cette élimination dans les règles koraniques de ce trop de comment et de combien est donc une mesure prise expressément, en vue de permettre aux hommes d'exercer différemment leur pouvoir intellectuel, physique et moral.

Voilà pour cette morale pratique et les traits généraux qui la caractérisent.

Passons maintenant à la morale théorique.

Aspect théorique — Ici également notre méthode s'écarte de la méthode commune. D'abord c'est l'aspect théologique ou juridique qui intéressait le plus nos savants. D'emblée, nous nous plaçons sur le terrain éthique, en posant chaque question dans les termes où elle se pose pour les moralistes modernes. D'autre part, c'est le Koran lui même que nous prenons pour point de départ, avec le souci constant d'en tirer la réponse par un recours direct au texte. Et c'est là précisément que réside la difficulté; car les textes relatifs à la théorie morale n'ont pas la même abondance et la même clarté que les préceptes pratiques. Mais une question préalable doit se poser.

Le Koran est-il un livre spéculatif, ou peut-on lui demander ce qu'on demande aux œuvres philosophiques ?

*choisi et révisé
par*

DR. AFIFY ABDUL-FATTAH

[Suite]

peuple sur les affaires communes. la forme de l'Etat musulman et le procédé pour établir son chef : suffrage universel, ou réservé à l'élite ? République ou Royauté ? etc..

Cette recherche excessive de la précision légale peut se manifester chez ceux qui font la loi, ou ceux qui la subissent. Dans le premier cas, elle est souvent déterminée par une défiance de la part des législateurs à l'égard des sujets à qui on confie l'application de la loi; au reste, elle tend à supprimer toute initiative, à rendre la vie commune, monotone, insupportable, à faire des membres de la société comme des exemplaires d'un même modèle mécanique. Mais il n'est pas rare de rencotrer parmi les hommes d'action eux-mêmes des gens qui souhaiteraient voir le législateur tout délimiter, tout codifier. A supposer l'entreprise réalisable, comment expliquer une telle exigence poussée à la limite, autrement que par la recherche du moindre effort intellectuel et moral ? pour ne pas dire par une abdication pure et simple de la personnalité.

Le Koran ne pèche pas par cette tendance à la quantification de toutes les règles. Il ne pèche pas non plus par la tendance opposée. Cette sage mesure, cette position

tinermédiaire où l'on se tient toujours à l'écart des deux extrêmes, a-t-elle été prise fortuitement, arbitrairement, ou bien comporte-t-elle de la finalité ? Pour se convaincre que le Koran aussi bien dans son silence que dans ses explications vise à cette sagesse législative impeccable, il suffit de se rappeler le fait suivant :

Au cours de l'un de ses discours, le prophète dit : "O Hommes, Dieu vous a prescrit pèlerinage; accomplissez le donc." Un homme s'éleva alors et demanda : Faut-il l'accomplir tous les ans ? Le Prophète s'abstint d'abord de toute réponse; mais le questionneur insista. La Prophète répondit alors, un peu courroucé : "Si je disais oui, c'est qu'il serait ainsi prescrit; or, si l'on vous obligeait à l'accomplir annuellement, vous ne pourriez point vous y conformer. Laissez-moi tranquille, tant que je vous laisse; c'est à force de questionner et de discuter auprès de leurs Prophètes que vos prédécessurs ont péri. Lors donc que je vous interdis une chose, évitez-la; mais quand je vous adresse un commandement, vous n'avez qu'à le mettre en pratique dans la mesure du possible." Dans une autre formule plus explicite, rapporté par Ibn Djarîr, le Prophète s'exprime ainsi : "Dieu a établi des limites qu'il ne faut point dépasser; a prescrit des devoirs qu'il ne faut

“La Morale du Korân”

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

(3)

Ce caractère totalisant trouve son complément dans un autre caractère, qui va lui donner sa plus haute valeur. Après avoir tracé pour chaque domaine de la vie une ligne de conduite, le Koran nous présente les cadres ainsi tracés sous la forme de cercles concentriques, susceptibles chacun de s'élargir et de se rétrécir en harmonie avec l'ensemble, au point de se pénétrer mutuellement sans empiéter les uns sur les autres.

Comment le Koran a-t-il pu produire cet effet prodigieux ? Le processus en est très simple. C'est qu'il a choisi pour l'énoncé de ses règles des formules d'une *frappe* toute particulière, formules qui se tiennent toujours à mi-chemin entre l'*abstrait*, vague et flou, et le *concret* par trop formaliste. Ainsi les cadres qu'il construit sont à la fois rigides et souples. De par sa clarté, la teneur de chaque règle forme une sorte de barrière contre le désordre et l'anarchie du

caprice; mais de par son indétermination, elle laisse à chacun le choix de la forme sous laquelle il doit adapter son idéal aux conditions données de l'expérience et concilier son devoir de l'heure avec les autres exigences de la moralité. Adaptation et conciliation devant s'effectuer par un sage effort, éloigné en même temps du relâchement et de la fougue non-contrôlée. De cette manière, la législation Koranique a pu atteindre une double perfection qui se trouve ailleurs difficilement conciliable : douceur dans la fermeté, progrès dans la stabilité, nuance dans l'unité. De cette manière, elle a permis à l'âme humaine de s'assurer un double bonheur, également antinomique : soumission dans la liberté, aisance dans la lutte, initiative dans la continuité. D'aucuns n'ont pas bien compris cette haute sagesse. C'est ainsi qu'on a parfois reproché à l'Islam de n'avoir pas précisé, par exemple, le mode de consulter le

Book Review

THE RELIGION OF ISLAM

A Standard Book, Companion and Introductory to the Quran

VOL. 11 (Third Edition)

BY : DR. AHMAD A GALWASH, M.A., Ph. D.

This book Should make an admirable introduction to Islam. It is authentic, comprehensive and highly readable. The author's analysis of the various aspects of Islam is acute and Sound. This VOL. 11 of "The Religion of Islam" is a survey of the Religion in its three sides : the devotional, the Social and the spiritual, as the reader shall find in this volume a well - informed survey of Practical Devotions, Transactions, Penal laws, Ethical basis of Social life and Moralities, Muslim Jurisprudence, Religious Defensive Warfare and Spiritual aspects of Islam.

Having explained the Muslim Prayers, with Practical illustrations, the author gives a detailed account of Zakat and Legal Alms, Fasting and Pilgrimage. The author describes with care and Sensitiveness, the various aspects of Marriage, Different forms of divorce, Legal Status

of a married woman, Law of inheritance, Owner Ship and Divisions of Property.

Dealing with the penal laws the author explains the Criminal intentional injury, Adultry, Theft and Robbery, Divisions of Punishment and Classification of Sinful acts. This book gives an adequate explanation of the basis of social life in Islam. One of the most important subjects, in this chapter, is the position of women in Islam. The author also explained the various ways contributed by Islam towards the improvement of the position of women.

On the whole, the book is a brilliant piece of work. Hence this digest of "The Religion of Islam" Shall be a useful introduction to the message of Islam, particularly for English speaking people all over the world.

(From page 5)

Becca (Mecca), a blessed place, a guidance to the people”.

It was, therefore, necessary that the celebration of the night of Ascent should remind the Muslims all over the World their connection with the Palestine and their obligation to this country whose Sons have been wrongfully driven out by a Cursed community “Those of the Children of Israel who went astray were Cursed by the tongue of David, and of Jesus, Son of Mary, that was because they rebelled and used to transgress”.

The talk on the Ascent Should call upon the Muslim world to take necessary steps for restoring the right of people of palestine. Their position is there as follows : “How Should ye not fight for the cause of Allah and of the feeble among men and of the women and the children who are crying : Our Lord ! Bring us forth from out of this town of which the people are Oppressors ! Oh, Give us from thy presence some protecting friend ! Oh, Give us from Thy presence Some defender !”

(From page 11)

form the nucleus of an Islamic Society in Portsmouth, both of which gave me much happiness. Dr. Awad of the Islamic Cultural Centre in London wns of great help with my correspondence to Al Azhar and I finally left London a few weeka ago for Cairo, where I was delighted to find Sheikh Sharkawi now back at Al Azhar. I feel very happy to be here in Egypt and at the very warm welcome and help everyone has given me, including the Rector of Al Azhar H. E. al-Sheikh H. Mamoun and the Director H. E. al-Sheikh A.H. al-Baqouri, who have been so kind as to agree to give me some personal tuition and also the Governor of

Zagazig and Dr. I. Zayed of Cairo University who were most hospitable. I am really terribly impressed by all that I find here in Cairo and I am eagerly looking forward to seeing all the wonderful things your country has to offer, not only to me but to the world.

Now with a heart full of peace my life is dedicated to the service of Allah, which can best be described by this verse from the Holy Koran “Verily, my worship and my sacrifice and my living and my dying are for Allah Lord of the Worlds, Who hath no partner”.

A.R. ANSARI (Cairo 1964).

and meditation, by this time I had become convinced of the intellectual superiority of Islam through its simplicity and logic but I desired a spiritual conviction also before embracing Islam, Then it was I had my dream and while I am conversant with the psychiatric interpretation of dreams, I am certain this dream went beyond such mundane realms. In this dream I was travelling in a caravan across the desert, it was night and I could see the stars and hear the creak of the camel harness but there was a terrible feeling of impending disaster and I felt I must escape to seek the help I knew was waiting for me somewhere in the desert; then I and three companions took our horses into the desert and rode till the sun was high when we found two Arabs sheltering in the shade of a large rock, when we asked who their leader was they replied with much reverence "Mohammad" and as I turned from them I saw a man approaching, I dismounted and as he drew near I knew this was their leader they spoke of. He came very close to me and looked in my eyes taking my hands in his, he then embraced me and as he did so my body seemed to blend into his so that I was able to see through his eyes and feel with his body. The feeling was indescribable but, for a brief moment, I knew the power and holiness of this

man and knew him to be truly the Prophet of Allah... when I awoke and knelt in prayer I felt the happiness of a heart at rest.

Shortly afterwards I went to Madras where I was most fortunate in staying with Sheikh Ahmed al-Sharkawi of al-Azhar and after long theological discussions with him, I declared my Islamic faith first at his house then at the Jamalia Mosque and in front of the Chief Khazi of Madras, when the name of Abdul Raschid was given to me, this name I took from my boyhood hero the Caliph Haroun el-Raschid of Baghdad. At this time it was suggested I should go to Egypt and study Islam at Al Azhar, but as I had already promised to go to Pakistan and study with Prof. F.R. Ansari of Karachi University it was agreed I should travel to Egypt at a later date, one of my fondest memories is of my brothers in Madras as they bade farewell to me at the airport.

After sometime with Prof. Ansari, during which I gave some lectures and wrote on Islamic affairs, I returned to England last year and devoted myself to social work until such time as I could come to Egypt. While I was in England my mother became interested in Islam and eventually became a Muslim through me, taking the name of Miriam; I was also fortunate in being able to

(See page 12)

MY EMBRACING OF ISLAM

By : ABDU'L RASCHID ANSARI

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful.

Greetings to my brothers in Islam.

“Allah is the Light of the Heavens and the Earth. The likeness of His Light is as a niche wherein is a lamp. The lamp in a glass, the glass as it were a glittering star. Kindled from a Blessed Tree, an olive that is neither of the East nor of the West whose oil wellnigh would shine, even if no fire touched it. Light upon Light, Allah guides to His Light whom He will”.

Before coming to the East in 1961 my life was one of restless roving, besides being an artist and poet I was also an actor and so my life in the theatre and artistic world was one of gaiety and fast living - a world of superficiality in which I tried to find the Light of Truth among the lights of London, for ever since I was a boy the answer to this question had fascinated me. Of God I had no doubt, but to find the true path to Him was the most precious and rare thing I desired

above all else. This search of mine had been going on for many years and in all the books I read, the people I talked with, the places I visited, the signs all seem to point to the East and I came to the conclusion that if I would find the answer I sought then I would have to leave the sophistication of the West for the spirituality of the East. Reaching this conclusion, after much doubt and soul searching delays I finally said goodbye to my friends and family and set out on the most important journey of my life, a journey I swore would not end until I find the Way. It was night when I left England and as I stood on the deck of the boat watching the dim lights of the shore fade into the darkness, I felt rather afraid and lonely at the immense task ahead of me but, as I prayed to God to hold my hand and give me strength and guidance, there came to me the feeling of the rightness of my journey and slowly my fear vanished.

My search eventually took me to India where I lived in a Kerala monastery following a life of prayer

Then the Prophet added : “ Have glad tidings, for God has forgiven you”.

It is reported also that the companion of the Prophet Abu-Dharr said to the Prophet : “ Teach me something that brings me closer to Paradise and makes me away from Hell ” The Prophet said : “ If you make bad deed, follow it with good deed, so you get by your good deed a ten-fold reward.” Abu-Dharr asked : “ Is the witness that there is no god but God is considered as a good deed ? ” The Prophet answered : “ It is the best of all ; it removes sins”. In another Tradition, the Prophet is reported to have said to His companions : “Renew your faith” “ How can we renew our faith ? ”

They asked. He said : “ Say : there is no god but God, for this word is heavier than the heaven and the earth and what is therein ”.

The Prophet Noah is said to have ordered one of his sons before his death : “ I command to you these words : ‘ There is no god but God ’ ; for if the Seven Heavens and the earth were weighed against these words ; they would over-weigh them.” Moses is reported to have called his Lord : “ O God ! Teach me something by which I remember you and call you ” God said : “ Say : There is no god but God, for if these words are weighed against the Seven Heavens and Seven Earths, They would over-weigh them.”

Say : shall we indeed call on others besides God,
Things that can do us neither good nor harm —

And turn on our heels after receiving guidance
from God? —

Like one whom the evils ones have made into
a fool

wandering bewildered through the earth
(While) his friends calling ‘come to us’
(Vainly) claiming) to guide him to the path?
Say : “God’s guidance is the (only) guidance
And we have been directed to submit ourselves
To the Lord of the worlds”.

(VI : 71)

d) Since all beings in this universe are not self-sufficient, and governed by divine immutable laws, you should come to the conclusion that there is One Being above everything, and that this Being is the Only One distinguished by the Divine Attributes. This is the meaning of "there is no god but God".

The more you study the aspects of this universe, the more you increase in your faith that really "there is no god but God".

God, the Almighty, described Himself in this Holy Verse :

"God - there is no god but He, the Ever-Living, the self-Subsisting by Whom all subsist - Slumber overtakes Him not, nor sleep. To Him belongs Whatever is in the heavens and whatever is in the earth. Who is he that can intercede with Him but by His permission ? He knows what is before them and what is behind them. And they encompass nothing of His knowledge except what He pleases. His knowledge extends over the heavens and the earth and the preservation of them both tires Him not. And He is the Most High the Great".

QUESTION

What are the proofs from the Quran and the Traditions "Sunna" which show that the declaration that "there is no god but God" is the first basic principle of Islam ?

ANSWER

It is reported that Omar Ibn Al-Khattab said : "The witness that there is no god but God is the expression of piety, sincerity and truth. For this declaration God created all creatures as He, the Almighty, said : 'And I have not created the jinn and the men except that they should serve Me'."

It is for this word of witness that God sent prophets, and revealed divine books. The Holy Quran says :

"And we sent no messenger before you but we revealed to him that there is no god but Me, so serve Me"

And :

"He sends down angels with revelation by his command on whom He pleases of His servants, saying : Give the warning that there is no god but Me, so keep your duty to Me. ?

The Prophet once heard a caller calling : "I witness that there is no god but God" when he said : "That is saved from Hell." He said also to some of his companions : "Raise your hands and say : There is no god but God." After they obeyed the prophet's order, he himself raised his hand and said : "Praise be to God. O My Lord ! You commanded me with this word, and sent me by it and promised Paradise for it. You surly will not break your promise,"

“...The creation of God who created everything in perfection.”

QUESTION :

We knew from our previous discussion that to witness that “there is no god but God” is the first basic principle in Islam. What, then, is the meaning of this declaration ?

ANSWER :

The prophet ordered Muslims that they should believe first that “there is no god but God”. This sentence is the basis of Islam. It distinguishes the Muslim from the non-Muslim. Those who declare this sentence with faith are those who are promised prosperity and happiness in this life and the life hereafter : and those who deny it, are doomed to misery.

This sentence means that nothing in this universe is deserved to be worshipped and obeyed save God, the Almighty. He is the Only King and Ruler. Everything in the universe is in need of Him. He is beyond our senses and our minds. “Vision comprehends Him not, and He comprehends all vision; and He is the all - Kind, All-knowing”

This sentence of the declaration of faith indicates such important following meanings :

a) This great universe which cannot be comprehended fully by human mind must be created by a Living God. He must be, of necessity, out of need of anything else. He must be the Most-Powerful, the Most-Wise, the Source of life and sustenance for everything and the Exalted over disability and imperfection.

b) The Attributes of Godhead must be all ascribed to one being; for the Ruler of all things must be One in His Being. Those Attributes cannot be divided among different gods : one to be the ruler, one to be the most-powerful, and so forth. The plurality of gods would necessarily bring the universe to ruin and extinction. Those Attributes, also cannot be exchanged, so one god assumes the position of godhead one time, and the other assumes it another times. For the god who could not preserve his godhead and his identity cannot grant life to others, nor can he manage and rule the universe.

c) Bearing this in mind, if you look in the universe, you find that everything you see or know cannot be described with the Godly Attributes. For all beings in the universe are not self-sufficient and are always in a state of change, and are governed by immutable laws.

The Fundamental Belief In Islam

(2)

By : Abdul Wadood Shalaby

How true is the assumption of the materialists that the world existed by chance ?

ANSWER :

The fitness of the earth to life takes different forms which cannot be explained on the basis of chance. The globe is suspended in the space running around itself, causing the alteration of day and night. It soars around the sun making one round each Year causing the alteration of the four seasons. Earth is covered with a gaseous cover composed of the gases that is necessary for life and preserving the degree of warmth which is suitable for life. The earth's cover carries water steam from sea through which rain falls and revives the ground. The size of the globe which is smaller than the sun and larger than the moon, is the secret of the preservation of life on earth. If the globe was smaller than it is now, it could not retain its liquid and gaseous cover, and the heat would be so

tremendous on the surface of the earth that it would cause death to every living being. If the globe was larger than it is, the power of its magnetism would be more than it is now by 150 times. And if the globe is nearer to or farther from the sun than it is actually situated heat or coldness will be not suitable to life on its surface.

How possibly we could believe, then, that mere chance is the cause of such wonderful universe. This is certainly an impossibility. Surely, the world is created by a reasonable mind, by the will of God the Creator of this universe. The Holy Quran says :

“Surely, We created everything in definite measurement.”

“And the earth we spread it out, and put in it mountains and grew in it every balanced thing.”

“Nothing in the universe but we have its treasures; and we bring it down in a balanced measure.”

“Everything with God is at a balance.”

If a stalwart of the Jinn was able to bring the thrown of the Queen of Sheba unto solomon from yemen before he could rise from his place and One, with Whom was knowledge of the Scripture, has done such work before solomon's gaze returned unto him, then, how it will be difficult to believe that the Lord of the worlds carried His Choicest servant and His messenger by night from Mecca to Jerusalem? The beginning of the verse by the word "Subhan" is indicating that : The Allah, Almighty, is Exalted over disability. It is a regretful thing that some people are making uproars and suspicions about this miraculous story. It is recalled that this historical event took place when the prophet and his followers were facing cruel persecutions and threats from their opponents, The story of the ascent of the prophet was a great miracle of his prophet-hood as well as a good news foretelling a victory of Muslims over their enemies. At the time of this event the prophet and his companions were passing through a very dangerous period of their cause. The opposition to his preaching had grown rigid, the prophet had little succes among 'Meccans'. After the suffering of persecution of thirteen years the prophet and his followers migrated to 'Medina'.

The "Hijrah" makes a clear division of the prophet's mission. The Muslim were promised by God to enter Mecca in full security, the Quran says : "Ye shall enter the Sacred mosque, if Allah pleases, in full security". The entry was materialised soon and the prophet entered his native city as conqueror without bloodshed and he proclaimed a general amnesty. The Holy Quran Says : "Allah hath promised such of you as believe and do good works that He will surely make them to succeed (the present rulers) in the earth even as He caused those who were before them to succeed (others); and that He will surely establish for them their religion which He hath approved for them, and will give them in exchange safty after their fear". In fulfilment of this promise the Muslim conquests extended from china to the East and to Atlantic in the west.

The event of the 'ascent' connected the Sacred Mosque of Jerusalem with the Sacred Mosque of Mecca. The Quran describes both these places as, 'blessed one'. The Holy Mosque of Mecca is mentioned in the Quran as the first house built for mankind for worship :

"Lo ! the first Sanctuary appointed for mankind was that at

(See page 12)

The 'Ascent' of the Prophet

By :

ABDUL RAHIM FUDA

There is no difference of opinion among Muslims about the story of the ascent of Prophet Muhammad, as the Holy Quran Says: "Glorified be He who carried His servant by night from the Inviolable Place of Worship (Mecca) to Far Distant Place of Worship (Jerusalem) the neighbourhood where of We have blessed, that We might show him of Our tokens ! Lo ! He, only He, is the Hearer, the Seer."

They are agreed unanimously that the prophet Muhammad (peace be upon him) was carried by night from the Inviolable Mosque of Mecca to the Sacred mosque of Jerusalem and it was to show him of His signs and wonders as the Quran testified by this sentence: "... that We might show him of Our tokens". The difference of opinion about the nature of the ascent, whether the Prophet was carried by night to Jerusalem, Whence he was caught up through the heavens, By bodily and spiritual or it was a spiritual ascent ?

What a pity ! This is a despised and inconsiderable question, because

there could not be such doubt about the ability and the command of the cherisher of the Universe. The Quran Says: "But His command, When He intendth a thing, is only that he Saith unto it: Be ! and it is. Therefore Glory be to Him in whose hand is the dominion over all things ! unto Him ye will be brought back."

Moreover, the Quran and the other scriptures narrate the miraculous story of Prophet Solomon (Sulaiman), with birds, Jinn and the thrown of the Queen of Sheba etc. It is mentioned in the story of Solomon with the Queen of Sheba that he Soid: "O chiefs ! which of you will bring me her thrown before they come unto me Surrendering. A stalwart of the Jinn Said: I will bring it thee before thou rise from thy place. Lo ! I verily am strong and trusty for such work. One with whom was knowledge of the scripture Said: I will bring it thee before thy gaze returneth unto thee. And when he saw it in his presence, (solomon) Said: This is of the bounty of my Lord, that He may try me whether I give thank's or am ungrateful."

self-reliance and independence. Thus it was that the words Rabbi and Rabbah, in Hebrew and Aramaic, and Rabu, in old Egyptian and Chaldean were used for one who brought up, he teacher and also the master.

When a child is born, it is but a help less lump of flesh and it instinctively cries for a protector and nourisher. The mother fills that role and she fulfils it with boundless love and devotion and never ceasing vigilance and care. According to its changing needs, she suckles it and gradually feeds it on different food which gives it strength and independence. She carries it in her lap, then supports it when it begins to stand and guides it as it begins to walk till it can run on its own and requires no help or guidance. This is the most perfect instance of 'nurture' or 'bringing up' that man can show. How imperfect and limited it is becomes obvious as soon as one lifts one's eye from that infinitesimal part of existence that is human life and casts it upon that vast and marvellous panorama of existence that includes countless beings and limitless forms of life and that is ever unfolded before one's eyes, if one but stops to see. With no one to teach them how to mother or nourish one finds animals, birds and insects performing those functions with greater devotion and

constancy than even a human mother. There are also creatures beyond perception that have apparently none to nourish them but nevertheless find their nourishment provided for them from the moment they come into existence.

As one reflects on this, one is struck by the fact that not only are all the necessary means of existence and nourishment to be found—that would be nature's bounty—but that they are found arranged in such perfect order that, if man does not disturb it, every thing is provided in the form, measure and manner in which it is required. Over and over again, the Quran draws attention to the order and right proportion in which every need of every being is provided for. "Verily we have created every thing in (the right) proportion and measure" (LIV : 49) Air, Water and food are the three indispensable requirements of life and not only are they found in greater quantity than any thing else but among themselves, they are to be found in a quantity which is exactly in proportion to their indispensability, water more than food and air in much greater abundance than either.(1)

(1) Quoted from "The Quintessence of Islam" by : Ashfaq Hussain.

for God; and the Quran adopted it not only because it had gained currency but also because it more suitable than any other word.

There was a stage in man's spiritual development when he bowed in adoration before various manifestations of nature; and that gradually and inevitably, led to idolworship. The number of gods grew, each representing some particular godly quality before which man bowed; and as the pantheon grew vast and bewildering, man's spirit longed and sought for one supreme god, the lord of all gods. Thus, while there were numerous names for gods, referring to their different attributes there was always a special word for the supreme Being. The basic letters of that word, in all semitic languages, were Alif (A) Lam (L) and Hay (H) and the Arabic Ilah, with the definite article (Al), became Allah.

As for the meaning of Ilah, there are various interpretations, but the Soundest appears to be that which derives the word from alha which means astonishment or wonder, (Alternatively, Ilah is said to be derived from the word walah, which also has the Same meaning). There could not be a more appropriate word for the Creator and the Lord of the universe. However much man may come to Know about Him, He

remains beyond the range of human Knowledge. The more one tries to understand that Absolute Being, the greater is one's bewilderment. The quest begins and ends in wonder and humility. No other name could therefore be used for the Supreme Being. All other names only to some particular attribute of God and, in that Sense, are restrictive; but the word Allah immediately directs our mind to a Supreme Being who is all-embracing, beyond description and beyond Cognition.

Like Ilah, Rab is also a much used root word in all the Semitic languages. It means, in the most Comprhensive sense, to bring up or, in other words, to rear and nurture some living being Whether a plant or an animal or a human being, through its different stages of growth and according to its particular condition and needs till it attains maturity, i.e. that stage of its development when it ceases to need someone to look after it and can find its own where-withal of life for future progress; and even then the function of the Rab does not cease altogether but merely becomes less intense and less constant. The interest, devotion and readiness to guide and help are still there, but they are not seen in constant play as before, because their object has attained a measure of

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

RAJAB
1384

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

DECEMBER
1964

THE QURANIC CONCEPTION OF GOD

By :

MOULANA ABUL KALAM AZAD

" Al - Hamdu L'illah Rabbil - Alameen "

praise be to Allah, Cherisher of the Worlds

The first verse of the first chapter of the Quran opens with hamd (Praise), just as the very first impress on the mind and instinct of man, when he sets out in quest of God or Truth, is that of wonder and admiration.

The Seeker after Truth is described by the Quran as one who " reflects on the Creation of the heavens and the earth (with the thought): Our Lord ! Thou didst not creat (all) this in vain" (111 : 191). As he looks around and reflects, his mind is immediately illumined by the realisation that everything within him as well as outside reveals the hand of a Creator of transcendental

wisdom and power ; the care and bounty of the Creator manifest themselves in every particle of the universe. He is filled with wonder and admiration and he proclaims it with an instinctive exclamation, phrased differently according to the individual seeker's tradition and extent Knowledge but conveying the same homage to the Creator and Sustainer of the universe ; and this instinctive tribute to the Creator saves him for ever from the fatal error of losing himself in the beauty of the Created and forgetting the Creator.

The word Allah, even before the Quran, was used as a proper noun

دلالة الاشتراك

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللسنة سين والطلاب
تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بصدور عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

للفنون

إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء السادس - السنة السادسة والثلاثون - شعبان سنة ١٣٨٤ هـ - ديسمبر ١٩٦٤ م

سماحة الأستاذ

من راحة الأندلس :

من روائع فردوسنا المفقود بقلم : أحمد حسن الزيات

وكان بيني وبين الإمام العربي حديث ، ثم
كان بيني وبين الخبر الأسباني حديث . ولم يكن
هذان الحديثان وحدهما هما اللذين جمعا بينهما
في ذهني ، وإنما كان الجامع مشابها كثيرة من
قسامة الوجه ، واستواء القامة ، وحلاوة النغمة
وبراعة الذهن ، ولطافة الحس ، وطلاقة الفكر
وخصوصية الزي ، وخلوص العقل من شوائب
التقليد ورواسب الماضي ، وخوادم الرأي .
كان آخر ما بقي في سمعي من حديث
الباقوري روايته عن أحد المفسرين الظرفاء
في تفسير قول الله تعالى حكاية عن سليمان :
« وتنفق الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان

كان آخر من ودهت في القاهرة العالم
الجليل الأستاذ : أحمد حسن الباقوري مدير
جامعة الأزهر ، وكان أول من لقيت
في برشلونة القسيس الحر : الأب أنجيلي جومز
راعي كنيسة سرقسطة ، وكان بين وداع
الأول ، ولقاء الآخر رحلة طويلة تحت
النجوم ، وفوق الغيوم ، ابتدأت على طائرة
مصرية سبعت بنا من سمائنا العربية الضاحية
إلى سماء روما المضربة في ثلاث ساعات وبعض
الساعة ، ثم انتهت على طائرة إيطالية ساحلت
بنا فوق البحر الأبيض إلى نيس ثم إلى
برشلونة في ساعتين .

من الغائبين . لأعذبه عذاباً شديداً
 أو لأذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين ، إذ
 فسر العذاب الشديد الذي توعد به سليمان
 الهدهد بأن يفتق ريشه ويهاض جناحه
 ثم يترك بين جماعة من الطير ، لا هي من أهله ،
 ولا هي من شكله ، حتى إذا تقرمه لا يجد
 الريش الذي بقى ، ولا الجناح الذي يدفع ،
 ولا المنطق الذي يبيع ، وكانت حالي وأنا بين
 المرضى في هو الانتظار من عيادة الدكتور
 (براكير) التي تضم ثلاثين طبيباً وعشرين طبيبة
 وماقى بمرضة غير الموظفين والخدم ، أشبه
 بحال الهدهد لو أن سليمان أنجز فيه هذا
 الوعيد : كنت أجلس في قوم من أشقات
 الناس والاجناس لا يتكلمون غير الأسبانية
 أو ما يشبهها ، فإذا تحدثوا لا أفهم ، وإذا
 حيوا لا أرد . نعم إنهم لم ينقرونى كما تنقر
 جماعة الطير الغريب هنا ، فان الإنسان
 من الأنس ، والوحش من الوحشة ، ولكنهم
 صدوا بوجوههم عن صدور الدمية عن الدمية
 في المتحف العظيم .

وكان من توفيق الله أن اجلس إلى جانبي
 ذلك القسيس الكريم ، ففطن إلى أننى
 لا أعرف الأسبانية ، فقلب هل أذن بعض
 اللغات حتى قال بالفرنسية : لملك من
 الجزائر ، فقلت له : أنا عربى من مصر ،
 فهش بي وأهل ثم قال فى ابتسامة رقيقة : نحن
 إذن إخوة ، أنا من مواليد (طليطلة) ولا يزال

بين أسرقى ، وبين العرب نصب شايك .
 وأن أسرقى تعرف إلى اليوم بأسرة (المولى)
 وهى لا تزال تعزب هذا النسب ، وتحفظ هذا
 اللقب ، فقلت له وأنا أطالع فى حياه سنه
 الباقورى وسمرته : لشد ما يسعدنى أن يكون
 أول من ألقى فى برشلونه وجل تنزع نفسه
 ونفسى إلى عرق واحد ، ثم أفضنا فى حديث
 العرب وما خلفوا فى الأندلس من آثار ، وفى
 حديث الإسلام وما نقل إلى الفرنج من ثقافة .
 وجاء دور القس فدعته بمرضة إلى لقاء
 الطبيب ، فقام وهو يرتب بكفه اليسرى على
 كتفى ويقول : سأرجع . ثم عاد فاستأنفنا
 الحديث الشائق العذب ، وشقهقناه إلى معاني شتى
 وكان بين دوره ودورى وقت طويل فسألته :
 ألا يزال رجال الكنيسة يعتقدون فى العرب
 والإسلام ما كان يعتقد أسلافهم من قبل ؟
 فأجاب فى غير مداراة ولا مبالاة : لقد درس
 المؤرخون المنصفون والعلماء المخلصون مآثر
 العرب ، ومبادئ الإسلام على المنهج الواضح
 والمنطق الصحيح ، والنية الحسنة ، فوجدوا
 أن خمسة عشر مليوناً من المسلمين همروا
 أسبانيا ثمانية قرون ومعهم الدين والأدب
 والفن والعلم والحضارة والعلمارة ، قد نقلوها
 من الظلام إلى النور ، ومن الفوضى إلى النظام
 ومن الهمجية إلى المدنية ، حتى أصبحت
 فى عهد الناصر والمستنصر موهى الأفتدة
 ومفتجع العقول ، وملتى الشرق والغرب

وأهم ، وحول أسبانيا الممزقة المستضعفة
الجامعة من عهد الفوضى والانحلال إلى عهد
الناصر وابن رشد ، لا يمكن أن يكون هو
الإسلام الذي زعم الجاهلون أنه قام على
السيف ، وحكم بالتعصب ، وساد بالاستعمار ،
وأن ما خلف في الأندلس من الحضارة
والعمارة والثقافة لدليل ناهض على سمو مبادئه
وبلوغ وسائله وعدالة حكمه ، وإن رأى
الكسنى ليميل اليوم إلى التوفيق بين المذاهب
المسيحية المختلفة ، ولعله يميل بعد ذلك إلى
التقريب بين الأديان جميعا . فقلت له وأنا
أنظر في عجب إلى المسح الذي يلتف على بدنه ،
وإلى الصليب الذي يتدلى من عنقه : أو يوافقك
إخوان الكنيسة على هذا الفهم ؟ فقال وهو
يهز رأسه : لا أزعج ذلك ولكل رأي .

وكان دورى في الدخول على الطبيب قد
حان فودعته وفي نفسى ونفسه أن تتلاقى
كلنا وانت الفرصة .

لبثت في برشلونة عاصمة أسبانيا بعد
مدريد تسعين يوما معصوب العينين ، مرفوع
الجنين ، أسمع ولا أرى ، وأحس ولا أمس ،
وأتحمل ولا أتمثل . فإذا سألتني همارأيت
من آثار فردوسنا المفقود قلت لك : لم أر
إلا بعض المعالم من قطلونية في أواخر أيام
العلاج بعد أن كشف عنى الغطاء ، وخرجت
من محبسى أبي العلاء ، فجلت في شوارع
برشلونة الشجر ، ووقفت في ميادينها الفيح ،

ويعتجع القيادة الروحية والمادية في أوروبا
والعالم كله . ثم أدركو أن ما أسمى المستكبرين
عن رؤيه النور إنما هو الجهل والتعصب ،
فإن الأمر يومئذ كان للكنيسة في سياسة الدين
والدنيا ، ولم تر الكنيسة في فتح العرب
للأندلس إلا استبدال دين بدين ، وشعبا
بشعب ، ولغة بلغة ، وسلطانا بسلطان ، فحاربت
الإسلام بالشبه والأضاليل ، وحاربوا العرب
بالخيانة والتفرقة ، ولوهلوا كما يعلبون اليوم
أن الإسلام طريق سماوى يؤدى إلى الله ،
وأن المسلمين إخوة مؤمنة تتعاون على الخير
لنعمت أسبانيا في ظل التمايش السلى بالنعم
الدائم ، والوحدة الشاملة .

أنا أعلم عن يقين أن الله نقطة في مركز
الكون يوصل إليها بطرق كثيرة ، مختلفة البدء
متفقة النهاية ، والاعتقاد بأن طريقا يعينه
من هذه الطرق هو وحده الذى يؤدى ، كان
مصدر الشر على الناس جميعا ، كل الطرق
تؤدى إلى روما كما يقول المثل ، وما دام
الطريق واضحاً مستقيماً تبينه حدود الله ، وتهدى
إليه أعلام الحق ؛ فهو لا محالة واصل ،
ولا يضير سالكه أن يكون هناك طرق
أخرى لسلك منها اسم ورسم ، وأنا بهذا
الاعتقاد أخدم الكنيسة التى أرفعها ،
باعتبارها أحد هذه الطرق ، لاهى أكلها
ولاهى أمثلها ، والإسلام الذى نقل البداة
الجفاة من دعاة إبل وغنم ، إلى رعاة دول

ومالأة العدو، وتلك هي أدواء زعماء العرب في كل حين، من يوم السقيفة إلى يوم فلسطين.

لم أر لأذن فراديس الأندلس، ولكنني شمتت هبيرا، ووجدت رياما في ثلاث أرائس من حسان الجنوب كن يمرضنني : أولاهن من طليطلة، وتسمى سلطانة، وثانيتين من قرطبة، وتسمى فضيلة (فاديل)، وثالثتهن من بلنسية وتسمى الثريا (الشرية) وكان هؤلاء الأرائس الممرضات قد علمنني أنني عربي من مصر، فكان يتسابقن إلى خدمتي ويتعائبن علي غرقتي، وببغتني الوسائل إلى الوقوف طويلا بجانب سريري يحدثنني عن أرومتهم العربية وما بقي منها في دماهن من الحنين إلى العرب، والنزوع إلى الشرق. فإذا حدثنني عن الإسلام - وقد كان دين أجدادهن - غمغن بالكلام المخلق، أو أبين عن الجهل المطلق.

ونشأت يفتي وبين الأرائس الجميلات على طول الأيام ودادة قلب، أو صداقة نفس، تقول لهما مواصلة القريب، أو مؤانسة الغريب أو مخالصة الحب، فكان يطمئنني على سير العلاج ويصبرني على احتمال العيش في الظلام، وطول النوم على الظهر، وضيق النفس من الآرق، ويشعرنني - بأنسهن المرح، وحديثهن العذب - أنني لائق بين أهلي، ويفضينني إلى أخبار المستشفين وبخاصة أخبار العرب النازلين به، وكان حديثهن عن العرب قصيدا من المدح

وجلس في حداثتها العن. وركب الطريق الصاعد من ساحل البحر الأبيض إلى رومة (تبادبو) وهي قطعة من الروض سقطت من الجنة، واستقرت على جبال (مالاس) و (مونت جويك)، وشقت بينهما وادي (بزيوس)، وهو متنزّه الناس في أيام الآحاد والأعياد والمواسم.

فما بين ذلك كنت أرسل طرفي العبران في الألق الضاحي فأرى الشمس التي أشرقت على قرى زها. تسعين سنة منذ فتح برشلونة موسى بن نصير سنة ٧١٣ م إلى أن استردها لويس بن شلمان سنة ٨٠١ م واستنشق الهواء الذي استنشقه أجدادي الفاتحون المعمرون لمحضور فلا راحة رئاتهم ثمانية قرون، ثم نفثوه في أنطار أسبانيا، ومهرتل وفرنسا. دينا وأدبا وعلمًا وحكماً وعمارة وحضارة، ولكنني وأسماء لا أرى الأسلام الحضرة التي تخفق، ولا لماذن الشم التي تنادي، ثم أرد طرفي إلى الأرض فأرى الشمايل العربية ولا أرى العرب، وأجد الخلائق الإسلامية، ولا أجد الإسلام وتقرأ في خيالي أطيان الأمويين والمرابطين والموحدين هائمة في الضباب، تنوح على ملك دال، وحكم زال، ومجد ذهب، وما أدا هذا الملك، وأزال هذا الحكم، وأذهب هذا المجد إلا ما أصابهم من تفرق الكلمة، وتعارض الهوى، وتحاذل القوى، وتحاسد الأنداد

وخنت . ومن اللاتي أنطقنه بهذه الآيات :
ملك الثلاث الآنسات هناني
وحللت من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها
وأطيعن ومن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى
وبه قوين أعز من سلطاني
غير أن أوانس لم يكن ممن عصيان ،
ولم يكن لي عليهن سلطان .
كذلك ذكرت أوانس (جيان) الثلاث
اللاتي وصفهن الشاعر (مانويل ماتشادو)
بقوله في قصيدته المشهورة :

ثلاث سمرات
شغلن قلبي من جيان .
عائشة وفاطمة ومريم .
ثلاث سمرات رائعات الجمال
ذهبن ليجنين الزيتون
فوجدنه قد جنى ...

ولكني لا أذكر أوانس ابن أبي ربيعة
الثلاث اللاتي اتخذنهن مجناتين بهيون القوم :
فكان يحفى دون من كنت أتقى
ثلاث شخص كعبان ومعصر

فإن الحديث برى ، وإن رمضان كريم
أما حديث الأندلس فسأهود إليه بعد أن
أهود إلى برشلونة لإتمام العلاج ، فأعيش في
رياضها مع أول بني أمية إلى آخر بني سراج !

أصغر حسن الزيات

على ما يظهرون لمن من عطف ، وما يفضلون
عليهم من كرم ؛ إلا حديثن عن عربي كبير
كان يعمل في ديوان ملك سابق ، فقد قلن : إنه
دخل المستشفى وعلى كتفه منصبه لم يحطه عنه ،
فهو يأمر وينهى كأنه في ديوانه ، ويعامل
المرضات والسعاة معاملة لجواربه وغلبانه
ولا يكاد الجرس المضى يغطف من فوق بابه
فإذا طلبوه إلى الطبيب في أسفل الدار أصر
على أن يصعد الطبيب إليه . وإذا أخبروه أن
ذلك محال نزل في بيجمته من غير رداء ،
وصمم على أن يدخل قبل دوره من غير نداء .
أما معاركه على الطعام في كنه وكيفه فهي
حديث الجيران والذم . وهو مع هذه المنهجية
كلها كز الأنازل سايط اللسان ، لا تسقط
(البيزيتة) (١) الهيمنة من كفه ، ولا تخرج
السكرلة اللينة من فيه .

زارني حين علم من المرضات أني
في المستشفى لأن من خير ما فيه أنه
يقرأ الرسالة ، فكث طويلا لا يدير بين
فكيه إلا كلاما ثقيلا اللهجة ، خطل المنطق
عن معاونة مصر لليمن . ومعاذ الله أن اغثي
فصلك بساعه وأنت صائم .

هذا لقاء القديس وحديث الأوانس .
وحديث الأوانس يتصل ولاينة قطع ، وينشط
ولا يفتر ويطول ولا يمل ، ولقد ذكرت بصحبتهن
ومودتهن أوانس الرشيد الثلاث : ضياء وسحر

(١) عملة أسبانية تساوي ثمانية مديات .

الناحية العلمية من إعجاز القرآن للأستاذ أحمد محمد الغمراوي

— ٢ —

أما طريقة العلم في دراسة موضوعه فلها ركنان : ابتغاء الحق بأبرهانه الوثيق في المجال الذي اختاره العلم الحديث لنفسه ، مجال عالم الشهادة سوى الإنسان ، وركن التجربة الصحيحة ، والمشاهدة الدقيقة اللتين لا بد منهما في الكشف عن الوقائع أولاً ، واختبار صحة تعليل الوقائع المقشبهة ثانياً . وفي الكلمة السابقة (١) بيان كاف للتطابق التام في الركنين كليهما . وهذا التطابق بناحيته من أكبر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

وليس يضعف من دلالة التطابق في الركن الأول أنه ركن ضروري في كل بحث ، علمي أو غير علمي ، فاشتركا بين الفلسفة والعلم مثلاً يقلل من دلالاته فيما نحن بصدد ما دام ضرورياً للوصول إلى الحق في العلم ، وما دام العلم الحديث ، والفلسفة لم يكونا معروفين حين نزل القرآن .

هناك جوانب عدة ينبغي أن يقناولها من يريد النظر في الإعجاز العلمي في القرآن عن طريق المطابقة بين القرآن والعلم الحديث فيما هو مشترك بينهما :

هناك جانب العلم الأساسي : جانب موضوع العلم ، وجانب الطريقة العلمية في دراسة الموضوع . ثم هناك جانب ما كشف عنه العلماء في ميادين العلم المختلفة من حقائق خاصة يسميها العلم : دقائق ، ويسميها القرآن آيات ، ومن حقائق عامة يسميها العلم قوانين طبيعية ، ويسميها القرآن سنن الله في الفطرة .

هذا الجانب الأخير هو الذي يهتم به الناس ويقع منهم في الإقناع موقعا ، وهو أنفع الجوانب وأعونها على الدعوة إلى الله إذا تبين التطابق فيه بين ما كشفه العلم ، وما نزل به القرآن . لكن لا ينبغي أن يقلل من أهمية التطابق في جانبي العلم الأولين ؛ فإنها الطريق إلى تلك الحقائق التي هي أقرب وأعجب إلى الناس .

(١) عدد جمادى الآخرة .

الناس ، وسنلقي من الله فيما نستقبل من الكلمات المثل بعد المثل مما يوضح هذا الإجمال ، وإذن فما هي الإشارة القرآنية إلى كسب المعلومات عن طريق العقل والحواس جميعا ؟ تلك الإشارة نجدها في الآية الكريمة . آية سورة النحل : « وانه أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ، » (١) هذه الآية أهم وأشمل في معناها من الشطر الثاني لآية الإسراء إذ هي تشمل حياة الإنسان كلها منذ يولد ، من حيث نمو عقله باكتساب المعلومات عن طريق السمع والأبصار والعقل جميعا ، في حين أن آية الإسراء تتعاقب بحياته بعد أن يبلغ رشاده ، وتهديه إلى طريق العلم اليقيني ، وتحمله التبعة في سلوك ذلك الطريق أحسن أم أساء .

والسمع والبصر والفؤاد ورد ذكرها في الآيتين جميعا ، إلا أن السمع ورد على صيغة المفرد في كليهما ، وورد البصر والفؤاد على صيغة الجمع في آية سورة النحل فهل لذلك من حكمة ؟

إن الفخر الرازي في موقف كهذا في تفسيره آية (إنا منجوك وأهلك) من سورة العنكبوت تساءل : لماذا قالت الرسل

على أنه إن كانت عمومية هذا الركن شبهة قد يتعلق بها منكر إعجاز القرآن من ناحية العلم ، غفيرة الركن الثاني - من وجوب استعمال الحواس تحت إشراف العقل لا اكتساب العلم اليقيني - بعيدة من كل شبهة ، ولا سبيل إلى إنكار الإعجاز العلمي فيه .

غير أن هناك دقيقة تحسن الإشارة إليها ، ودفع شبهة قد نبغى عليها ، هي أن آية سورة الإسراء : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، » لم تذكر من الحواس إلا السمع والبصر ، والعلم في طريقته يستعمل كل الحواس ، وقد يستغنى في رد هذه الشبهة بالتنبيه إلى أن السمع والبصر هما أهم الحواس ، وبدونهما لا يتيسر بحث علمي ، وبهما يتم الانتفاع ببقية الحواس ، لكن هذه البقية لم يخل القرآن الكريم من إشارة إليها ، وكثير من أسرار الكون يأتي في القرآن عن طريق الإشارة إلى سنن اللغة التي نزل بها ليحيط بالفطرة من جميع أقطارها ، ولتظل أسرارها مكنوزة فيه حتى يأذن الله في ظهورها على توالي العصور بإظهار كل عصر من آيات الله في الكون على القدر الذي يتيسر به في فهم بعض تلك الإشارات في كتابه ، ويتجدد بذلك من إعجاز القرآن ما يكون حجة جديدة على

الناس فيه من حيث القوة لا يصلح تفسيراً لجيئته على صيغة الجمع، وإلا جاء السمع بمجوعاً كذلك، لأن الناس يتفاوتون فيه أيضاً من حيث القوة، والأبصار بمعنى البصائر يغنى عنها ذكر الأفئدة فلم يبق إلا أن الأبصار جاءت بصيغة الجمع على المجاز لتدل على حواس الإدراك غير السمع الذى سبق ذكره فى الآية، مادام موضوع الآية هو تذكير الناس بفضل الله عليهم فى تمكينهم من علم الأشياء بعد أن ولدوا لا يعلمون منها شيئاً، ومن العجب ذى الدلالة أن السمع جاء دائماً مفرداً، والبصر جاء دائماً بمجوعاً فى جميع الآيات التى اقترن فيها بالسمع عدا آية الإسراء .

وآيات النظر فى ملكوت الله فى السموات والأرض كثيرة فى القرآن، بل هى أكثر من آيات الأحكام، وما ذلك إلا لأن السكون وآيات الله فيه، هو دليل وجود الله سبحانه ومظهر جلال صفاته وكأله، ولقد قام المسلمون بما أمر الله، من هذه الناحية لما استقبت لهم الملك بعد الفتوح، فكانوا هم من بدأوا عصر العلم الذى نصفه الآن بالحديث، ظناً منا أنه لم يبدأ إلا فى الغرب، وغفلة عما كان لأسلافنا من أثر فى هداية الغرب إليه لما اتصل أهل بالمدنية الإسلامية فى الأندلس وفى الشرق فى الحروب الصليبية، ثم كان

هنا دإنا منجرك، فى خطابهم لوطاً، وقالوا قبلها لإبراهيم (لننجينه وأهله) بصيغة الفعل فهل فيه من فائدة؟ وقبل أن يجيب بحجابه المذكور فى صفحة ٦٦٨ من الجزء السادس من تفسيره، قال - وهو المراد من هذا الاستعارة - : «ما من حرف ولا حركة فى القرآن إلا وفيه فائدة، ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها، ولا تصل إلى أكثرها وما أوقى البشر من العلم إلا قليلاً، ورضى الله عن الفخر الرازى، فقد أصاب بقوله هذا وجه شبه أساسى بين القرآن الذى هو من عند الله لهداية البشر على مر العصور، وبين الفطرة التى هى من خلق الله ومظهر قدرته وحكمته؛ لا يختلف فيها شيء عن قرينة أدنى اختلاف إلا كان لذلك الاختلاف مغزى عند أهله من أولى العلم، فلنلتمس الآن مغزى لجمع الأبصار - والأفئدة - وإفراد السمع فى آية النحل، فقد التمسنا ذلك عند الزمخشري والفخر الرازى فلم نجدهما تناولاه .

أما الأفئدة : فيكفى فى مجيئها على صيغة الجمع أن العقول تنشأ مختلفة فى الخصائص والقدر ليتم بعضها بعضاً فى الحياة، والسمع فى وظيفته واحد قل أن يختلف فيها بين الناس ولذلك أفرد، والبصر الذى آلته العين كالسمع الذى آلته الأذن، وظيفته بين الناس واحدة ومع ذلك فهو لم يفرد فى الآية، وتفاوت

بالذكر لما جاءهم ، ولأنه الكتاب العزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، والذكر هو الكتاب العزيز . والكتاب العزيز هو القرآن الذي أغنى التصريح به في هذه الآيات قبيل اختتام السورة عن التصريح به في الآيتين في خاتمتها ، اكتفاء بالضمير الذي يدل على مرجعه السياق طبق الأسلوب البلاغي في العربية . ولعل هذه الإطالة في إثبات أن الضمير في قوله تعالى (حتى يتبين لهم أنه الحق ، راجع إلى القرآن لم يكن لها داع لولا أهمية ما سترتب على هذا من الارتباط بين آيات الله في الآفاق التي وعد الله بإظهارها لخلقه ، وبين القرآن الكريم الذي سيقين للناس أنه الحق بظهور تلك الآيات ، وفي هذا ما فيه من الندب إلى تبين ما يمكن تبينه من تمام التطابق بين ما يكشفه الله على أيدي العلماء من أسرار الفطرة ، وبين ما أنزل الله في كتابه العزيز من آيات متعلقة بتلك الأسرار ، والسين في قوله تعالى (سنريهم آياتنا) ينبغي أن تنبهنا إلى أن المراد بالآيات في الآية الكريمة ليست هي مجرد هذه الظواهر الطبيعية البادية للناس منذ القدم ، ولكن هي أسرار مودعة فيها أو متعلقة بها إذا ظهر منها بعض على يد العلم في أي زمن كانت دليلا على أن

ما كان مما أدى إلى غفوة المسلمين ، وقعودهم عن العمل بما أمر به القرآن في هذا وفي غيره ، فسخر الله غير المسلمين في الغرب للكشف عن أسرار الفطرة ، وآيات الله فيها ليتم ما وعد الله به في قوله سبحانه :

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . والقرآن مخاطب به الناس في جميع المصور بفهم أهل كل عصر من آياته على قدر ما أتوا من الفهم ، ومن العلم . والضمير في قوله تعالى (أنه الحق) راجع إلى القرآن وإن لم يذكر في الآية المذكورة أنفا من سورة (فصلت) تشهد لذلك الآية التي قبلها : « قل أرأيتم إن كان من عند الله ، ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو في شقاق بعيد ، والشقاق الذي كان فيه مشركو العرب كان في القرآن حيث ينكرون أنه من عند الله ، وهو من عند الله ، فإن احتيج إلى بيان فوق هذا أن الضمير في الآيتين إنما يراد به القرآن كان تمام البيان في أن القرآن كان موضع الحجاج قبل الآية السابقة بنحو سبع آيات ؛ إذ يقول الله سبحانه « ولوجعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته ، ألعجمي وعربي ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ، وهو عليهم همى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ، ويقول سبحانه قبل هذه بآية : « إن الذين كفروا

كما وردت في سورة فاطر أيضا بصيغة الاسم
بمجموعا في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل
من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف ألوانها ، وغرايب سود ، ومن الناس
والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ؛
إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله
عزيز غفور ، ٢٧ ، ٢٨ ، وواضح أن العلماء
والعالمين هم الذين يعلنون ما أودع الله من
آيات قدرته وجلاله وعظمته وحكمته في هذه
الظواهر التي ذكر في هذه الآيات وفي غيرها
من كتابه ، وأن العلم بها يزيد المؤمن يقينا
بالله وخشية له سبحانه ، والعلوم التجريبية
كلها ينجزها الله للكشف عن أسرار هذه
وأشغالها في كتابه ، فلم يبق إلا أن يتعاون
أولو الكفاية في العلم والدين من المسلمين
على المطابقة في دقة واحتياط : بين آيات العلم
وآيات القرآن ؛ ليعلم من لم يكن يعلم أن
القرآن هو كتاب الله الحق ، وأن العلم
الحديث بطريقته وموضوعه وحقائقه
لا يخاف القرآن ، بل هو فرع من القرآن
أو هو علم من علوم القرآن ؟

محمد أحمد النعماني

القرآن حق من عند الله إذا وجدت من يحسن
المطابقة بينها وبين ما جاء في موضوعها من
آيات القرآن .

قال علم الحديث بموضوعه وطريقته قرآني
من غير شك ، لكن العجيب حقا أن ترد مادة
علم في القرآن الكريم متصلة بالظواهر الطبيعية
التي جعلها العلم ميدان بحثه ، وجعل دراستها
شغله الشاغل ، فكان ذلك دليلا على أن العلم
الحديث ليس بضاد الدين كما يزعم الملحدون
بل إن حقائقه في الإسلام من صميم الدين .
فهذا المعنى وردت مادة (علم) بصيغة الفعل
في قوله تعالى من سورة يونس : « هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ،
ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات
لقوم يعلمون ، الآية ٥ ، وب نفس الصيغة
أيضا وردت في قوله تعالى من سورة الأنعام
« وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات
لقوم يعملون ، الآية ٩٧ ، ووردت بصيغة
اسم الفاعل بمجموعا في قوله تعالى من سورة
الروم : « ومن آياته خلق السموات
والأرض واختلاف ألوانهن ، الآية ٢٢ ،
إن في ذلك لآيات للعالمين ، الآية ٢٢ ،

القيمة الأدبية في الأدب الصوفي

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

يجفوا هذا الأدب ، وأن يزهوا فيه ويلووا وجوههم عنه ، لأمر أو لآخر - فإن في أهناق الأدباء حقاً لهذا الأدب ، واجب الأداء ، لا تبرأ منه ذمة الأديب حتى يؤديه على الوجه الأمثل ، فيختبر هذا الأدب اختباراً عابداً ، ويدرسه دراسة خاصة خالصة للأدب ، لا ينظر فيه إلى شيء غير ما تقتضي به الأصول المقررة في فن القول : ثم ليكن الرأي - بعد هذا - في هذا الأدب ، حمداً أو ذماً ، رضا أو سخطاً ، فهو - على أي حال - رأى واجب الاحترام ، صالح للنظر فيه ، والاطمئنان إليه ، لأنه صدر من جهة اختصاص ، كما يقولون وقد كان لنا قول كهذا القول كما كتبنا في أعداد سبقت من الرسالة فأنهنا أحد الفضلاء بأننا من « المتصوفة » ، وأنه وجد ويح التصوف عالقاً فيما كتبنا ١ وعلى الرغم من أنني حددت موقفي تحديداً واضحاً منذ أول حديث لي في هذه الدراسة ، وقلت في صراحة صريحة لا تحتمل تحميلاً ولا تأويلًا :

إن هذه الدراسة للأدب الصوفي لا تمس الجانب العملي من هذا الأدب ، ولا تعرض له بخير أو شر ، إذ هي دراسة أدبية خالصة للأدب وحده - على الرغم من هذا القول

يستقبل دارس الأدب الصوفي للوهلة الأولى من النظر فيه مشاعر غامضة لا يدري معها ماذا يحمل هذا الأدب في كيانها من معطيات .. أم كلام له مفهوم ومضمون ووراءه شيء ، أم أنه تخبطات متخبطين ، وشعوذات مشعوذين ، وصيحات غابيل ومتوسلين .. لا تحمل ثمراً ، ولا زهراً ، ولا ورقاً :

ولهذا المظهر الغامض الغامض الذي يظهر فيه هذا الأدب لعيني لم يلم به إلهاً عارضاً أو يلقاه على نية مدخولة غير خالصة .

لأجل هذا كانت تلك الخطوة التي يجدها هذا الأدب من كثير من العلماء والأدباء ، الذين يعمرون به مروراً عجلاً وبلقونه أو يلقاهم هل غير قصد أو نية .. في نايها الدراسات الأدبية أو العقائدية ...

وحقيقة هذا الأدب - شعره ونثره - ليست على تلك الصفة التي تدعو إلى مجافاته وتحمل على الزهد فيه .. وأنه إذا كان لغير الأدباء وجه لأن يعتزلوا أدب المتصوفة ، أو أن يتخرجوا أو يتأثموا من الوقوف عنده والنظر فيه ، القاسم للعافية في دينهم ، والسلامة لمعتقدم - على حسب ما يظنون ويقدررون - ١ نقول : إذا كان لغير الأدباء من علماء وفقهاء ، أن

يصير بالمرء إلى حال من الاستقامة والصفاء والإشراق، ثم إنه لا يعينى بعد هذا أى اسم من الأسماء يحمله هذا الضرب من السلوك، ليكن تصوفاً، أو زهداً، أو جهاداً أو أى وصف يكون سمة للإسلام المستقيم على شريعة الإسلام، في غير انحراف أو ضعف !
وبعد، فلنعد إلى موضوع حديثنا .

ماذا في الأدب الصوفي من قيم أدبية يستأهل بها هذا الأدب أن يدرس، وأن يضاف إلى الأدب العام . ويأخذ مكانه فيه ؟ ونستطيع أن نقول للإجابة على هذا : إن الأدب الصوفي إذا جمع جماعاً سليماً، ودرس دراسة صادقة وإعنية منصفة - لو درس هذه الدراسة لتكشفت لنا منه جوانب ذات خطر في تقييم الأدب العربي وخاصة ما يتصل منه بالشعر .

إن تهمة الأدب العربي عند الغربيين هي أنه - في جملة - أدب حسي، جسدي، سطحي، يعنى بالظاهر المحسوس من الأشياء دون أن يتعمقها أو ينفذ إلى لبائها وصميمها ..

ولا أدل على ذلك - كما يقولون - من أن النفس الإنسانية - هذا العالم الرحيب وما يدور فيه - لم ينفذ إليها الأدب العربي، ولم يتعامل معها، بل ظل يلحق بما يفور على السطح من زبدتها وغشاها دون أن يقع على شيء مما في الصميم منها .. تلك تهمة الأدب العربي التي يرى بها الغربيون في وجه هذا الأدب، ويتابعهم فيها كثيرون من

الرواح الصريح فقد وقع ما خشيت أن يقع . وأبى لبعض الناس فهمهم إلا أن يحرفوا الكلام عن مواضعه، وإلا أن يجدوا في هذا القول ستاراً أستر به الدعوة أو الدعاية للتصوف من طريق الإعلان عن أدبه، والترويج له بهذه الدراسة ! وليس بين يدي من اللغة وأساليبها ما يقدرني على الإبانة أكثر مما فعلت لتحديد موقفي من هذا الأدب، والقصد الذي قصدت إليه من تلك الدراسة ! وأقولها صريحة : إنني لست صوفياً، ولا متصوفاً، وإنما أنا واحد في آحاد المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف شيعهم ونحلهم ومذاهبهم ... وإنه لو كان لي صبر على مجاهدة النفس، وقدرة على مغالبة أهوائها، وكظم نزعاتها لدخلت مدخل التصوف - كما أفهمه - ولعددت نفسي أهلاً للحق بغبار السلف الكريمين من صحابة الرسول وتابعيهم . ولكن كيف ؟ والزاد قليل، والسفر طويل، والطريق موحش، كما يقول المثل الأعلى للتصوف، على بن أبي طالب، كرم الله وجهه ؟

أنا لا أفهم التصوف الإسلامي إلا على أنه أسلوب حياة قوية نقية، مستقيمة استقامة الإسلام .. ولست أفهم التصوف على أنه طائفة، أو طوائف مرتبة المنازل والدرجات، ذات شارات وطقوس، ومراسم . كلا، فإن التصوف عندي سلوك شخصي فردي

المستغربين من مواليد العرب، وأبناء العروبة. تلك المهمة التي يجعلونها ألقائهم في الأدب العربي، ويجعلون إليها السبب الأول في تخلفه عن اللحاق بالأدب الأوروبي أو التعلق بغيره. وأحسب أن لو كان الأدب الصوفي قد أخذ مكانه في الأدب العربي، وامتزج به، ولم يزل عنه هذه العزلة المحزنة، حتى أنه ليكاد يصنف حسب من الأدب العربي ليضاف إلى المقولات المذهبية... فيما يتصل بالدين والعقيدة. أحسب لو أن هذا الأدب الصوفي خالط الأدب العربي، وأضيف إليه باعتباره عملاً أدبياً خالصاً. كما حدث ذلك في الأدب الشيعي، وأدب الخوارج. لتغير بهذا وجه الأدب العربي، ولما وجد فيه نافذ هذه التخلل الذي نسبوه إليه، وورمه به، من القول بأنه أدب حسي سطحي، ولأن كان فيما يقام من الأدب الصوفي من نظرات بعيدة حقيقة في أغوار النفس الإنسانية ما يسقط هذه التهمة من أفواههم قل أن تقع على أفلامهم. ففي الأدب الصوفي ثروة عظيمة نفيسة من الدراسات النفسية العميقة، التي فضحت في بونقة، الرياضة الصوفية، التي أساسها مراقبة النفس، ورصد التيارات المتدفقة المتداخلة فيها... من رضى وسخط، ورجاء ويأس، وأمن وخوف... إلى غير ذلك مما تنقلب فيه نفس الصوفي، وتنضج على دخانه ولهبه، حتى تصفو وتسكن.. وهيئات!

لقد أقام التصوف من النفس كأننا مستقلاً بذاتيته وبوجوده، يعيش إزاء الإنسان، بدوافعه ونوازعه، وبهذا استطاع المتصوف أن يلقي النفس لقاءً مواجهاً، وأن يكشف كل غائبة منها، وأن يتعرف على موطن القوة والضعف فيها خلال هذا الصراع الطويل المحتمل بينه وبينها، وفي أثناء تلك المراقبة الطويلة المتصلة لحركاتها ونزعاتها واتجاهاتها.. ثم كان الأدب الصوفي. وخاصة الشعر. معرضاً مصوراً لهذه المراقبة النفسية العميقة أتم تصوير وأرضى، حيث يمكن أن يعتمد على هذا الأدب اعتماداً وثيقاً إلى حد كبير كمرجع من مراجع علم النفس التجريبي، ولم أي حديث للنفس في هذا الأدب ليس من خطرات الشعراء، ولا من نظرات الحكماء، وإنما هو تجارب إنسانية ناضجة، عاشها أصحابها، ونقلوها في عبارات جرت على ألسنتهم. وهم متلبسون بهذه التجارب بل أن تبرد، ويبوخ حمياً.. فالنفس الإنسانية واقعة في عين صوفي، وفي خاطره أبداً. إن لم ترها عينه عياناً تمدّها خاطره دتناً مشخفاً، يقاربه حيناً وينابذه في أكثر الأحيان.. وبهذه المراقبة المحسنة لا تنفصلت النفس من بين يدي صوفي، ولا تنفصلت من قبضته!

ومن عجب أن بعض فقهاء الغرب يعرف للأدب الصوفي هذه الميزة، ويقدر أثرها

من الذات - حين كان دافع الخلق في الفروع
الأخرى من الأدب العربي قد أخذ يضمحل..
ونقول : إن في الأدب الصوفي دهوة قوية
جادة ، تدعو الإنسان إلى التحليق والسمو
وإلى شحذ الهمة ، واستقماض العزيمة حتى
يلو على نزعات نفسه ، ويتغلب على تيارات
أهوائه ، ثم لا يزال هكذا في مصابرة
ومجاهدة حياته كلها ... يريد أن يعلو على
هذا الوجود الأرضي ، وأن يسامت الملائكة
الأعلى ، ويحييا فيه ... ذلك أن الصوفي يدخل
التصوف ، ومعه رصيد كبير من الإيمان
الوثيق ، والامل القوي في أن ينزع وجوده
كله من هذا للعالم الترابي إلى عالم الإشراق
والنور ، وأنه سيبلغ هذه الغاية يوما ، مادام
على الطريق ، وما لم تفقر عزيمته ، أو تضعف
همته ، وسواء أصدقت الأيام آمال المتصوف
أو كذبت ، فإن هذا الامل من شأنه أن يقيم
في كيانه مشاعر الثقة بوجوده كإنسان يمكن
أن يعلو ، وأن يترقى في درجات الكمال إلى غير حد .
وكل هذه الحيوات التي يحيها الصوفي ،
وهذه الآمال والمنازع التي تملأ كيانه - كل
هذا قد صورته الأدب الصوفي - شعره
ونثره - أدق تصوير وأجمل ، وأصدق .
فالادب الصوفي - في صميمه - دعوة إلى
القوة في أتم صورها ، وأكمل مظاهرها ...
قوة تقهر المستحيل ، وتنتعل على كل
صعب ، وتستعين بكل خطب

وخطرها في الأدب العربي - على حين يأتي
أكثر علمائنا وأدبائنا على هذا الأدب
أن يحسب في الأدب العربي ، أو يضاف إليه ،
ولا ينظر أكثر هؤلاء وهؤلاء إلى الشعر
الصوفي بوجه خاص إلا على أنه من متون
النظم للعقيدة الصوفية ، كالفقيه ابن مالك
في النحو ، والشاطبية في القراءات ، وما أشبه
ذلك .. وفي هذا ظلم عظيم للأدب العربي
قبل أن يكون طلبا للشعر الصوفي نفسه .

يتحدث المستشرق (فون جي وينياوم) عن
الأسس الجمالية في الأدب العربي ويعمل
لقصور الخيال في هذا الأدب - حسب تصوره -
فيقول : « استسلم الأدب العربي إلى ما كتبت
عليه طبيعته الأصلية ، فأصبح معرضا للتنويع
في موضوعات متشابهة ، والتلذذ بالصور التي
تثيرها الكلمات لا التجارب ... وقد أفضى هذا
كله إلى ما شاع في العصر العباسي الأول من
رفاهة ودقة في الإحساس ، ومن هذه الصفة
انبعث الاهتمام بالناحية اللفظية في الأدب .
ولم يبق إلا التصوف يحدد بقاء المجادلات
العقلية ، ويؤخر انحدار الأدب العربي إلى
الافول ... إن التصوف يقوم بدور مناقض
فإن تلك النظرة الصوفية الحاضرة التي ترى
الإنسان قادراً على أن يسمو فوق ذاته ،
وأن يفصح عن مشاعره لا سيما الرموز
والصور - هي ذات الشأن الأول في استمرار
شعر التصوف ، وجعله شكلاً فامياً للتعبير

يقول ابن عربي :
لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فأصبح قلبي قابلاً كل صورة
فرعى لغزلان ، ويدت لأوثان
ودير لرهبان ، وكعبة طائف
والواح تورا ، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه ، فالحب ديني وإيماني !
ولا نحاسب ابن عربي هنا ولا نحاكمه
في ساحة الدين ... فليكن دينه أى دين ،
ولسكننا ننظر إليه كأديب وسعت نفسه
الوجود كله ، وخفق قلبه بحب كل شيء فيه .
إننا ننظر إليه هنا كشاعر يتجرع عن
عواطفه ، وليس كناظم يؤلف متناً في عقيدة
أو مذهب .

ثم لماذا لا يكون شأن ابن عربي كشأن
المصرى مثلاً ؟ لماذا لا يعد في الأدباء
أو الفلاسفة ؟ ولماذا يجره غرمانه جراً إلى
ساحة الدين ؟ ويمعدونه صاحب دعوة
ورسالة فيه ؟ لماذا لا يطلق سراجه ليكون
في جماعة الأدباء أو الفلاسفة ، فيحتمل منه
هنا ما لا يحتمل منه هناك ؟ وبذلك ينقطع
هذا الجدل الكثير المتصل فيه ، وفيمن كان
على شاكلته ؟ إنه شاعر ، وقد قبل الأدب
العربي من هم أكثر منه شطحا ، أو تجديفاً

وإذن فالقول بأن أدب التصوف أدب
انسجام من الحياة - قول لم يصدر من إدارك
حقيق صحيح لهذا الأدب ، وأهل مرد هذا
الفهم يرجع إلى ما يشيع في هذا الأدب من
استخفاف بكثير مما يهتم له الناس ، ويحفلون
به ... إذ يرى الصوفي أن ذلك دون همته ،
وأهون عنده من أن يلتفت إليه ... كما يرجع
هذا الفهم أيضاً إلى نظرة قاصرة محدودة
لا تتقح إلا على حواش المتصوفة وشذاذهم ،
من أولئك الأماسح الفارغين . أما رجال
التصوف وأعلامه وشيوخه فقد كانوا نماذج
عالية للقوة والتمتع على الشدائد والآلام .

وفي الأدب الصوفي أيضاً مشاهد رائعة معجبة
للحب المطلق . الحب لكل شيء ، الحب البالغ غاية ما
يمكن أن تحتل النفس البشرية في سبيل الحب من
مواجيد ، وحرق ، وآلام ، وظلم ، وحرمان .
وسواء أنظرنا إلى هذا الحب نظرة
صوفية ، أم أخذناه كما هو ، فإن ما فيه من
طاقات الحب لا يروى كل عاطفة ، ويخصب
كل جذيب من تلك النفوس الصلدة المتحجرة ،
لو أنه أصابها بوابل ، أو مسحها بطل منه .

وهذا ولا شك كسب كبير للأدب باعتباره
دعوة إلى تجاوز الإنسان مع الحياة وتفاهمه
مع الوجود ، وفي هذا كسب عظيم للإنسانية
بما يشيع فيها من نفوس مشرقة متفائلة
مقسامية ، متساهلة تسع الوجود كله ، وتبتسم
في وجه كل جميل وقبيح منه ...

بين الشعراء المتصوفة وغير المتصوفة ، وبين الوجود وموجوداته كلها . . .

يقول الشاعر المهجرى رشيد خورى (الشاعر القروى) :

لم يعن هذا الشعب أنى شاعر
حر يجب بلاده متفانى

بل كل ما يعنيه هل أنا مسلم
فه ، أم أنا لم أزل نصرانى

لانى على دين العروبة واقف
قلبي على سبحاتها ولساني

لأنجيلي الحب المقيم لأهلها
والذرد عن حرمتها فرقاني

يا مسلمون ... ويا نصارى دينكم
دين العروبة . . واحد لا اثنان

ويقول الشاعر المهجرى أيضا رشيد أيوب :

أصلى لموسى ، وأعبد عيسى
وأتلو السلام على أحمد

فأى فرق بين هذا وذاك ، وبين قول
ابن عربى ، الذى نقلناه آنفا ؟ أليس لنا

أن نقول إنه الحال التى كانت مسئولية على
ابن عربى وهو يقول شعره - هى حال الشاعر

ولست حال العالم ، ولا العقبة ، ولا
الصوفى ، إن ذلك هو القول الذى ينبغى أن

يقال فى هذا المقام ولا أقول غيره . ؟

عبد الكريم الخديب

أو زندقة - إن كان يرى فى أصحاب الشطح
أو التجديف أو الزندقة - كأبى نواس ، وبشار

وحامد عجمى ، ومطيع بن إياس ... ثم أبى
العلاء المعرى ١ . لماذا لا يقبل ابن عربى

وأمثاله من شعراء المتصوفة فى الشعراء كما قبل
هؤلاء ؟ أو هل أقل تقدير : لماذا لا يأخذ

الأدب حظه من شعره ونثره ، كما أخذ الدين
بنصيبه من عقيدته ومذهبه ؟ فالرجل إن يكن

رجل دين ، فهو قبل هذا رجل أدب وفلسفة
وكذلك شأن كثير من الشعراء الذين حسبوا

فى المتصوفة ، ولم يكن لهم حساب فى الأدب
وحسب شعرهم فى عداد المقولات الدينية ،

وكان عكس هذا أقرب إلى الحق وأهدى
سيلا ... لأن الشاعر إنما يصور مشاعر

وهو عاطف ووجدانات تتكون بها الحقائق
وتتخفى بين ظلالها وأطيافها .. ولهذا لم يكن

الشعر صالحا لتقرير القضايا الفقهية ، أو الحماة
العلمية - إلا أن يكون نظم متون كما قلنا -

وذلك لما يلتبس به من مشاعر ذاتية ، وما
يملق به من تمويهات الخيال وتهاويله . إن

الشاعر - أى شاعر - هو صوفى فى مشاعره
ووجداناته ، بمعنى أن كلا منهما - الشاعر

والصوفى - ملتهب العواطف ، مهتاج المشاعر
تغلى فى كيانه لهفة طاغية إلى الوجود كله ،

يريد أن يضمه إليه ، ويحويه بين جوانحه . .
ومن هنا كان هذا التعاطف القوى الوثيق

فرق مسيحية تقول بوحداية الله وموقف الإسلام منها الدكتور علي عبد الواحد وافي

وكانت هذه الفرقة تقرر شرائع موسى ،
وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدثت
عنه أسفار العهد القديم ، وتنكر ألوهية
المسيح ، وترى أنه مجرد بشر رسول ،
وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها لإنجيل
خاص مدون باللغة الآرامية لم يصل إلينا
شيء من نصوصه ، وإن كان التاريخ قد تحدث
عنه وعن بعض ما يشتمل عليه ، وقد أوشكت
هذه الفرقة على الانقراض في أوائل القرن
الرابع الميلادي ، وتم انقراضها في أواخر
هذا القرن .

٢ - وأما فرقة الشمشاطي فهم أتباع
بولس الشمشاطي Paul de Somosate
وكان بولس هذا أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٠
ميلادية ، وأنكر ألوهية المسيح ، وقرأ أنه
مجرد بشر رسول ، وقد عقد بأنطاكية
من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٢٦٩ ثلاث مجامع
للنظر في شأنه ، وانتهى الأمر بحرمته
وطرده ولكن بقي لمذهبه على الرغم من ذلك
أتباع حتى القرن السابع الميلادي قبيل بعثة
رسولنا عليه الصلاة والسلام ، ويذكر ابن حزم
في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل

كانت المسيحية في مبدأ أمرها - كما ينبغي لنا
بذلك القرآن - ديانة توحيد تدعو
إلى عبادة إله واحد ، وتقرر أن المسيح
إنسان من البشر ، أرسله الله تعالى بدين
جديد وشريعة جديدة ، كما أرسل رسلاً
من قبله ، وأن الإرهاسات التي سبقت بعثته
والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد رسالته
هي من نوع الإرهاسات ، والمعجزات التي
يؤيدها الله تعالى بها رسله ، وأن خلقه بدون
أب ليس إلا إرهاساً من هذه الإرهاسات ،
وأن أمه صديقة من البشر اصطفاها الله تعالى ؛
فنفخ فيها من روحه فحملت بالمسيح : وما المسيح
إبن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ،
وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام .

وقد ظلت بعض الفرق المسيحية محافظة
على عقيدة التوحيد ، وظل لبعضها أتباع
كثيرون حتى أواخر القرن السادس الميلادي
ثم انقرضت كلها بعد ذلك .

ومن أم هذه الفرق فرقة (إبيون) وفرقة
(بولس الشمشاطي) وفرقة (أريوس) .

١ - أما فرقة إبيون أو الإبيونيين
فإنها تنسب إلى زعيمها إبيون Ebion

الأربعة المعتمدة الآن لدى المسيحيين (أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا) من العبارات التي توهم ألوهية المسيح، ويلخص ابن البطريق مذهبه فيقول: «كان يقول: إن الآب وحده هو الله، وإن الابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب حينما لم يكن الابن...» وقد تبعه مشايعون كثيرون. فقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأي، وعلى رأسها ميلتيوس. وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين في العدد أقوياء في المجاهرة بما يعتقدون؛ كما تبعه خلق كثير في فلسطين، ومقدونية والقسطنطينية؛ وذلك على الرغم من أن كنيسة الإسكندرية لم تأل جهداً في محاربته ومحاربة آرائه، وعلى الرغم من حكمه عليه بالطرد من الكنيسة... ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقص عدداً تباعه بعد أن حكم بجمع ينيقية سنة ٣٢٥ بطريرك أريوس، وكفره وأصدر قراره بألوهية المسيح، وما يزال يضمحل ويتناقص عدداً تباعه حتى انقرض كل الانقراض في أواخر القرن الخامس الميلادي. ويظهر أن هذه الفرق كانت تعتمد في عقائدها هذه على ما اقتتل إليها من حقائق الإنجيل الصحيح الذي أنزله الله على هيسي، وعلى أناجيل أخرى من تأليف الحواريين والتلاميذ، والأتباع غير الأناجيل الأربعة التي تقرر عقيدة التثليث، وألوهية المسيح، وهي الأناجيل المعتمدة الآن لدى المسيحيين (أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا).

هن بولس هذا، «أنه كان بطريركاً بأنطاكية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن هيسي عبد الله ورسوله، كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه...» ويقول ابن البطريق (وهو مسمي من رجال القرن الثالث الهجري كان من أشهر مترجمي الخليفة المأمون وقد ترجم له كتابي الجسطلي لبطليموس وإقليدس^(١)) في بيان مذهب هذه الفرقة أنها كانت تقول: «إن المسيح إنسان خالق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم (أى إنه محدث وليس قدماً) ... ويقولون: إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد، ولا يؤمنون بالكلمة (أى بالابن) ولا بروح القدس، وهى مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية ومم البوليقيانيون».

٣- وأما الأريوسيون مهم أتباع Arius. وكان أريوس قسيساً في كنيسة الإسكندرية وكان داهياً قوى التأثير، واضح الحجج، جريئاً في المجاهرة برأيه، وقد أخذ على نفسه في أوائل القرن الرابع الميلادي مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح، وبنوته للأب، فقام بقرر أن المسيح ليس لإلهاء، ولا أبناً له، وإنما هو بشر مخلوق. وأنكر جميع ما جاء في الأناجيل

(١) أنظر الفهرست لابن النديم ص ٢٤١.

مولود من امرأة ، وعرضه لحكم الله أعيش كسائر البشر . ويقول في آخر الفصل السابع : « إن يسوع قد نظر إلى الحواريين عندما بلغه اقتتان الناس به ، وادعاهم أنه إله أو أنه ابن الله ، وطلب إليهم أن يبدؤوا بهم في ذلك ، فأجاب بطرس : لأنك المسيح ابن الله فغضب حينئذ يسوع وانتهره قائلاً : أذهب وانصرف عني ؛ لأنك أنت الشيطان . »

وينسب هذا الإنجيل للقديس برنابا ، وهو أحد تلاميذ المسيح ، وكان قبل اعتناقه للمسيحية يهودياً من اللاويين (فقهاء اليهود من قبيلة لاوي أو ليفي) ، وكان اسمه يوسف وسماه الحواريون برنابا (أى ابن الوعد والإرشاد ، لأنه كان مجلياً في هذا الميدان) . ويروى سفر « أعمال الرسل » ، لوقا ، وهو أحد أسفار العهد الجديد ، أن برنابا باع جميع ما يملكه من أرض في فلسطين ، وقدم ثمنه للحواريين ليستعينوا به في الدعوة إلى المسيحية ومساعدة فقراء المسيحيين ، وأنه هو الذي ضمن بولس أمام الحواريين ، وشهد بصحة إيمانه ، ولولا تزكيته هذه ما صدق الحواريون بولس وما قبلوا انضمامه إليهم ، وأن الحواريين قد كلّفوا برنابا عدة مهام تتعلق بالتبشير وتنظيم المجتمعات المسيحية الأولى ، فام بمساعدة إله به خير قيام .

وينسب لبرنابا - بجانب الإنجيل الذي نتحدث عنه - سفر في تاريخ الحواريين

وقد وصلت إلينا نصوص لإنجيل من هذه الاناجيل الأخرى التي تقرر وحدانية الله وبشرية المسيح ، وهو إنجيل (برنابا) فقد قرر برنابا في إنجيله هذا : أن المسيح ليس إلا بشراً رسولاً ، وأنه ليس إلهاً ، ولا ابناً لله ؛ ونص على ذلك في مواطن كثيرة من هذا الإنجيل ، فهو يقول في مقدمته : « أيها الأعزاء إن الله العظيم قد اختصنا بقبول يسوع المسيح رحمة عظيمة للعالمين ، وخصه بمميزات اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين ، فأخذوا يبشرون بتماليم ممتنة في الكفر ، داعين أن المسيح ابن الله ... » وقد ضل مع هؤلاء بولس الذي لا أتحدث عنه إلا مع كثير من الأسف والأسى ، وهذا هو ما دعاني إلى أن أسطر الحق في هذه الفنون . » ويروى في آخر الفصل الثالث والتسعين أنه قد : « قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالي الروماني والملك هيرودس ملك اليهود ، فذكر له كبير الكهنة أن مريفاً من الناس يقولون : إنه إله ، وأن فريقاً آخر يقولون : إنه ابن الله ، وطلب إليه أن يعمل على إزالة هذه الفتنة التي ثارت من أجله ، فقال يسوع : وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة ؟ وهل جنفت أنت أيضاً ؟ » ثم قال : « إنني أشهد أمام السماء ، وأشهد كل ساكن على الأرض أنني برىء من كل ما قاله هؤلاء الناس من أني أعظم من بشر ، لأنني بشر

وقوله : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، وقوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » ، وقوله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب » ، وقوله : « اسكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمِينَ الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما » ، وقوله : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون » ، وقوله : « والذين يسكنون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا ننزع أجر المصلحين » .

وفي ضوء ذلك يؤول جميع ما كتبه الشيخ محمد عبده في هذا الموضوع .

دكتور على عبد الواحد وافي

والتلاميذ ، يتفق موضوعه مع موضوع « أعمال الرسل » ، للوقا ، ويحمل الاسم نفسه الذي يحمله هذا السفر الأخير .

ومع تقدس الكنائس المسيحية الحاضرة لبرنابا ، فإنها لا تعترف بصحة نسبتهما إلى برنابا ، بل تذهب إلى إنهما مزيقان ، وأن ملفقهما قد ألقوهما ببرنابا ليروجوهما .

* * *

ولعل هذه الفرق المسيحية التي بقيت محافظة على عقائد التوحيد ، وانقرضت قبل ظهور الإسلام هي التي يعنها القرآن الكريم حينما يثنى على عقائدها ، ويقرر أن أفرادها ناجون . أما من أدرك الإسلام من أفراد النصارى على العموم فإن ، هذه الأحكام لا تصدق عليه إلا إذا آمن بالدين الجديد . ويؤكد هذا المعنى أن القرآن حينما يصدر هذه الأحكام على النصارى يقرر : أنها لا تصدق إلا على من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، أي حافظ على عقيدة التوحيد وعلى شريعة رسوله ، ومات على ذلك قبل ظهور الإسلام ، أو أدرك الإسلام وآمن به أيا كان حاله قبل ذلك . فن ذلك قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ؛

فَتَاوَيْهِ الْقُرْآنِ

دعوة (الله) إلى الإسلام
أثارت عجب المتكبرين وإعجاب المصدقين
دُرِّسَناز عبد اللطيف السبكي

أكان للناس عجباً : أن أوحينا إلى رجل منهم : أن أنذر الناس
وبشر الذين آمنوا : أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال الكافرون :
إن هذا لساحر مبين ...

وأقبل على الدعوة آخرون : مطمئنين
إلى أقدار الله في ملكه ، وفي خلقه .

أنكر الكفار أن يكون لله وحى إلى
إنسان ، وأن يكون هذا الإنسان رجلاً منهم
فلا يستسيغون أن يكون تبليغ الله إلى خلقه
محولاً على لسان بشر .

ويزداد إنكارهم لأن يكون تبليغ الإنسان
ليامهم بمنطق فوق مستواهم : وهم أهل الفصحى
ولا جرم ...

يهرم ذلك ، فيقولون كذباً عن هذا
المبعوث من بينهم ، وهم أعرف به : وإن هذا
لساحر مبين ، ! فهذه دهشة ، تثير حقدهم ،
وتهمج مشاعرهم ، فيسكون قدماً مزدوجاً
في النبي ، وفيما حدثهم به عن ربه ، فهو
ساحر ، طمع هليهم بسحره ، وما السحر
إلا شيء غريب مصطنع ... ذلك إنكارهم
وقد بدأ الله حديثه عنهم في سورة يونس

١ — حينما يجري قضاء الله بشيء جديد
في دنيانا تستقبله النفوس الخبيرة بإعجاب
المبتهج ، وتبادر إلى الإيمان به في غبطة
بما أدركت منه ... وفي شكر لله على
ما ظفرت به .

ويزداد يقينها في حسن ما صنع الله ،
وفي جميل ما أراد بخلقها .

وعلى غير ذلك نفوس ملتوية عن سبيل
الرشد ، إذ يحجبها الجهل ، والكبرياء
عن حسن التقدير ، وتغفل عن حظها فيه ،
وتقف منه موقف العجب الجاحد وتبتأى
حتى تردى في مهالكها ، وتبوء بسوء مغبتها .
كان ذلك شأن قريش حين بعث الله
من بينهم عبده محمداً رسولاً إليهم ، وإلى
الناس كافة .

فانهاز عن دهرته أناس ، وعجبوا أن يكون
هذا قضاء الله .

العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يقيم أبي طالب . ١

ثم استهانوا كذلك ، فقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟ » ،
يعنى : هلا ...

يريدون : أن محمداً لا يستحق الرسالة لو كانت حقاً كما يقول . والأولى بها عندهم : الوليد بن المغيرة عظيم مكة ... أو حبيب ابن عمرو الثقفي : عظيم الطائف .

وكلاهما من المتبوهين لضعفاء الكفار ، ومن سرائرهم ... والله سبحانه يستهين بتلك العقلية الجاحدة التي تفترض من عندها أن تكون الرسالة لواحد من صناديد كفارهم .

فينبه على أن الرسالة من عطاء الله ، ومن ملاح فضله ورحمته بخلقه ، فهو الذي يختار من يصلح لها في حكمته ، وتقديره فيقول : « أم يقسمون رحمة ربك » ، ويقول : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » . ويقول : « وربك يخلق ما يشاء ، ويختار ، ما كان لهم الخيرة » ، وفي هذا نزول بهم عن مدارج الرشد .

الإنسان حيث يفترضون ما لا قبل لهم به ، ويضعون أنفسهم فوق مستواها : دون نظر في تفاهتهم ، أو تنبه إلى هوانهم عند الله !!

٤ — وكانوا يقولون « لو شاء ربنا لآنزل ملائكة » ، يريدون أن الرسالة أمر يليق بالملائكة ولا يصلح له بشر . فهم يستكثرون على الله أن تكون له حكمة فيما يصنع .

يافكار دهشتهم ، « ونفى ما بدا منهم بقوله « أكان للناس عجباً : أن أوحينا إلى رجل منهم » ، « فذلك تبكيت لهم ، وفيه تقرير لما أنكر هؤلاء الناس ، وهم الكافرون . ٢ — وماذا ينكرون من عمل محمد ؟

أينكرون أنه ينذر الناس جميعاً بتخويفهم من عذاب الله فيهدتوا ؟

وأنه يبشر المؤمنين منهم ومن غيرهم ، بأن لهم قدم الصدق عند ربهم ، فينشطوا ، ويضاعفوا صالح عملهم .

وقدم الصدق هي : أقدام السابقين إلى دخول الجنة ؛ فإن وعد الله بها صدق ، وأقدام المؤمنين تسعى بهم إلى الفوز بذلك الوعد ... كما قيل : « إن المتقين في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

وما ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . نحن الآخرون السابقون يوم القيامة . وقوله : « إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا . وعلى الأمم ، حتى تدخلها أمتي . ووجه ذلك : أن محمداً أفضل المرسلين ... وأن أمته المطيعة له خيرامة أخرجت للناس ، لما كانت عليه من تشريع كامل ، وإيمان أفسح من إيمان سواها ، فهم لذلك أسبق دخولا الجنة ...

٣ — لم يكن هجاء الكافرين قاصراً على السحر ، بل أسرفوا في التشنيع ، فقالوا :

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس ، فالملائكة رسل الله في تنفيذ أموره بنا ، ومنهم ملك الوحي - والناس يكونون رسلا إلى أممهم ، باصطفاء الله لهم لينطقوا هن الملائكة .. ويقول : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ، ليبين لهم » .

ويقول : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم » .

وهكذا : مما يقتلع الباطل ، ويهدي إلى الحق ، لو كان القوم يفقهون .. ١١

ولكنهم تبجحوا فقالوا ذلك أو غير ذلك . فمرة يقولون : إنه كاهن ، وأخرى : يرمونه بالجنون ، وبالشعر ، وبالتلق عن رجل يهودي كان يعيش بمكة ، والله تعالى ينفي كل ذلك عن رسوله محمد ، وعن كتابه الكريم ، فيقرع أسماعهم بالثناء المستطاب ، ويكبث حقدهم بالزكية العطرة البليغة ، ويقرر لكتابته منزلة فوق المنازل .. فيقول : « وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له ، ... وما هو بقول شيطان رجيم .. وما صاحبكم بمجنون .. » إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون . ولا بقول كاهن : قليلا ما تذكرون ، وغاية ما يطمعون إليه أن يخدموا ، قام النبوة ، ويغزووا في الوحي ، وفي الكتاب ، والله سبحانه يتهى بهم ، وبكل مكابر يتعاضى عن

واقه - عز شأنه - بقيم حجته عليهم فيما دبره من شأن الرسالة قديما ، وحديثا ، فيقول لرسوله : « قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون ، مطمئنن ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ، ١١ .

ومفهوم ذلك : أن الأرض لا يسكنها ملائكة ، وأن الله استخلف فيها آدم ، وذريته فلو أرسل ملكا من ملائكته إلى محرم الناس لسكان مغايراً لهم في جنسيتهم ، وفي لغتهم ، فلا يكون التجانس بين الجانبين موفورا ، فلا يقضى للناس أن يتلقوا قبيلخ الملائكة إليهم ، لما بين الملائكية والإنسانية من تباعد .

ولإنما يختار الله من الآدميين من هيأته القدرة بالمواهب التي توهله للاتصال بعالم الروح ، ومن خصه برب بنفس زكية فوق مستوى النفوس العادية ، وأيدته القوة القدسية بمعالم الرشد اللاتفة بمن يكون وسيطا بين عالم الروح ، وعالم المادة .

فيكون هذا الإنسان هو الرسول المختار الله وتكون رسالته تبليغا عن الله إلى سكان هذه الدنيا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وهذه حكمة يفنة تدحض كل تعسف ، وتعضف بكل باطل ، وتفضح كل أفاك .

وتأييدا لما ظهر من الحكمة السالفة يقول الله تعالى :

القاطع بتكليف الجن ، ورسالة محمد إليهم . وكذلك يحكى الله عن الجن ما وقع منهم في قصة كهذه .

د قل : أوحى إلى : أنه استمع نقر من الجن ، فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا - جميلا - يهذى إلى الرشد ، فأما به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، إلى أن قال عنهم : د وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون - غير المسلمين - فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ، الخ .

ومن هذا نفهم أن للجن رسلا منهم ، كانوا مكلفين بالاستماع إلى محمد ، وبالتبليغ إلى قومهم ، وأن فيهم معلمين للإسلام ، ومنهم مخالفون له .. وأن لهم جزاء عند الله على ما يقدمون من عمل ، كبنى الإنسان سواء . على أنك تجد في القرآن خطبا با صريحا للثقلين جميعا : د يا معشر الجن والإنس : ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ، ويفذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ ، د يا معشر الجن والإنس : إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . . . ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن ، والإنس الخ ، . ٦ - وقصارى الحديث في هذا : أن رسالة محمد لعامة الخلق جميعا ، فهي رسالة تبليغ ، وتشريع ، وتكليف بالنسبة للإنس والجن جميعا .

وهي رسالة تشريف للبلائكة ، إذ الملائكة

جلال القرآن أو بشكك ، أو يشكك فيه إلى تعجيز لا قيام لهم منه ، فيقول : قل اتن اجتماع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، ثم يرميهم بهجر أخير ، فيقول عنهم : فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين . ه - ورب سائل : إذا كانت رسالة الله محمد إلى سكان الأرض ، فهل كانت إلى الجن كما كانت إلى الأنس ؟ وجواب ذلك : نعم !! وهو ما ورد منطوقا به في القرآن ، فيكون إنكاره خروجا عن الإيمان .

وانظر قول الله في هذا : د وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ، ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا : يا قومنا . إنا سمعنا كتابا ، أنزل من بعد موسى ، مصدقا لما بين يديه ، يهذى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم ... يا قومنا : أجيئوا داعى الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويحرمكم من هذاب أليم ... الخ ، ففي هذه الآيات توجيه إلى تكليف الجن بالاستماع من محمد لما يتلو ، وتصريح بأن المستمعين منهم بلغوا قومهم ، ووصفوا لهم ما سمعوا من القرآن ، ثم دعواهم إلى الإيمان يغفر الله لهم ذنوبهم ، وحذروهم التخلف عن دعوة القرآن على لسان محمد .

وهل في المقام شك بعد ذلك التخصيص

لرسالاته لم ينالوا من أبوته ، ولا من أمومته
بل لم يشكروا عراقتهم في أيجاد الأصول القبلية .
كما أنهم لم يطعنوا عليه في مسلك شخصي .
ولم يأخذوا عليه ريبة تغض من شأنه قليلا
وهم الخصوم المعاصرون له .

ولو أتيح لهم أن يلتمسوا شيئا من ذلك
لأذاهوا به ، ولا فاضوا فيه ، وأضافوا إليه
ما يشفي غلة الخصومة في نفوسهم الحاققة .
وكانهم حادوا عن اختلاق شيء من ذلك
لاعتقادهم أنه عند القوم بنجوة من الريبة في
شخصه وفي مسلكه بعامة .

وأنهم لو ابتدخوا غمزات من عندهم
لكشفوا عن حفيظتهم ، ومكنوا للناس أن
يكذبوهم في كل ما يهرفون به ، وهم يجهدون
أنفسهم في ترويح ما يفترون .
ويكاد المريب يقول خذوني .

فليكن هذا كله ترويجا غير مباشر منهم
لما تقرره نحن عن عقيدة حققة ، وليكن
إقرارا على أنفسهم بالتناقض .

ثم ليسكن تركيزا لإيماننا به ، ومزيذا
لطاقتنا لشريعته ، وتعلقا ببيوته ، والتماسا
لشفاعته في الآخرة .

صلوات الله عليه وسلامه في الأولين ،
وفي الآخرين ، وفي الملائ الأعلى إلى يوم الدين
وما بعد يوم الدين .

عبد اللطيف السبكي

ليسوا بحاجة إلى تبليغ من جانب الرسول ،
فإنهم مطبوعون على الطاعة بالجملة لا بمقاومة
الشهوة وجهاد النفس ، بل بتلقينهم التدين من
جانب الله مباشرة .

فليسوا من طينة الإنسان ، ولا من النار
كالجن ، وإنما هم من عالم النور ، وعالم النور
غير عالم المادة التي تهبط إلى السموات وتفتقر
المآثم فتحتاج إلى التهذيب .

فهم كما قال الله فيهم : « لا يعصون الله ما
أمرهم .. ويفعلون ما يؤمرون » .

وحسبهم أنهم يتشرفون بالإيمان بمحمد ،
وبتبليغ الرسالة إلى محمد ، وبالسير في معية
محمد ، ومناصرة محمد ، وهم ساقون في طاعتهم
على عهد محمد ، ولم يكن ينقصهم علم جديد ،
ولا تدين جديد .

وليس من هدفنا أن نستطرد في هذا الشأن
ولإنما هي مناسبة اقتضاها السياق لنشفي حاجة
في نفس القارىء .

٧ — هذا - وإن يكن في الدنيا من يعيش
على غير إيمان بما حدثناك : فقد تكفل الله
بتكذيبهم قديما ، وحديثا وإليه مرجعهم
جميعا ، فيوفي كلا منهم جزاءه غير منقوص .

٨ — وأنت ترى فيما ذكرنا لك من
مثالب الكفار لمحمد صلى الله عليه وسلم بعدا
عن المماس بنسبه ، وعن الغمز في عشيرته .
والنسب عند العرب مناط المجد أكثر من
أى شيء سواه . فهم على ما أسرفوا في جحودهم

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للاستاذ بدر عبد الباسط

- ٣ -

وهو ما يعرف بالمادة فالعرف القولي
كتعارفهم على إطلاق لفظ دابة على ذوات
الأربع ؛ ولفظ حيوان على ما سوى الإنسان
من أنواع الحيوانات كتعارفهم على عدم
إطلاق لفظ اللحم على السمك والكبد والكرش
ولحوم الطير ؛ فإنها لا تطلق - الآن -
إلا مقيدة فيقال لحم سمك ولحم طير كدجاج
وغیره ؛ بدليل أنه لو أمر سيد خادمه أن
يشترى له لحماً فاشترى سمكاً أو دجاجة أو كبداً
أو لحم رأس فإنه يعتبر مخالفاً لأمره .

ومن العرف العملي ما اعتاده الناس من وضع
بطاقة بسعر البضاعة فتقوم مقام الإيجاب
في عقود البيع وما اعتادوه من ترك أمتعتهم
أمام المصل فيكون هنا ودیعة يجب على المصل
حفظها حتى يعود صاحبها حتى إنه لو قصر
في المحافظة عليها كان ضامناً .

وبما تعارف الناس على تركه حتى إنه أصبح
في حكم المباح ما تساقط من السنايل عند حمل
القمح أو ما في معناه إلى البيدر وكذا ما يبقى
في الأرض بعد الحصاد ؛ وكذا ما تعارف
الناس على التساهل فيه كشمير بعض الأشجار

انتهيت في المقالين السابقين إلى تحديد
الخطوط الرئيسية للمسائل التي تقبل التطور
والمسائل التي لا تقبل التطور وقد قلت :
إن أكثر الأحكام قبولاً له هي الأحكام التي
ترجع إلى العرف أو الأحكام التي ترجع
إلى المصالح المرسله ؛ ولما كان هذان الاصلان
يحتاجان إلى تفصيل وبيان كان من اللازم
بيانها على أتم وجه ليسكون للفقهاء أو من
يتعرض للنظر في الأحكام على بصيرة من أمره
فلا ينزلق وراء تحكم الأهواء والأغراض .
وبحثنا - اليوم - في العرف ؛ في تحديد
معناه وبيان أقسامه ؛ ومدى الاحتجاج به ،
وبيان الفرق بينه وبين الإجماع ؛ وهل هو
حجة شرعية مستقلة ؟ .

* * *

معنى العرف : في اللغة - كما في القاموس -
الجود ، واسم ما تبذله (أى تجود به)
وموج البحر ؛ وضد النكر وهذا المعنى
الأخير هو أنسب المعاني للمعنى الاصطلاحي
فقد عرفه الأصوليون بأنه ما تعارف عليه
الناس أو طائفة منهم من قول أو فعل أو ترك ،

أو غير مشروع - إلى قسمين : صحيح وهو ما تعارف الناس كلهم أو بعضهم عليه ولم يدل دليل من الشارع على فساد بطلانه كالأمثلة التي ذكرتها آنفاً وقاسد كتعارفهم على أن المؤجل من الثمن يكون بفائدة متعارفة عندهم ، فإن هذا ربا ، حتى ولو لم ينص عليه في العقد ، فإن من القواعد الشرعية د أن المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً ، فتسكون هذه الزيادة ربا ، لأنها في حكم المنصوص عليها وقد عرف الربا شرطاً بأنه : فضل خال عن عوض بعقد .

ومن العرف الفاسد ما تعارف عليه الناس من صنع أهل الميت طعاماً للبعزين فقد روى الإمام أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : د كئنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة .

ومثل ذلك عمل المسآتم وإحياء يوم الأربعين من موت الميت ونقل الطعام إلى القبور في المواسم والأعياد ؛ بل إن المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير ذلك فقد ورد عنه أنه قال : د اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاءهم ما يشغلهم ، رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم ؛ هذا وما أكثر العرف الفاسد في المسآتم والأفراح فينبغى عرض هذه العادات على قواعد الشريعة

كالتواتر والجزى في بعض البلاد . كل ذلك مما تعارف الناس كلهم أو جماعة منهم عليه ؛ وهذا هو المسمى بالعرف حتى إنهم ينكرون على من خالفه ؛ ويعتبرونه شاذاً .

أقسام العرف : ينقسم العرف - باعتبار ما وقع عليه التعارف - إلى قسمين لفظى وعملى ؛ فاللفظى كأن يكون للفظ معنى في اللغة ولكن تعارف الناس على إطلاقه على بعض أفراد دون بعض كما مثلنا بلفظ دابة ، ولفظ حيوان ، ولفظ لحم .

والعرف العملى كما مثلنا بتساح الناس في ثمار بعض الأشجار ، وما تساقط من القمح وغيره . وينقسم - باعتبار ما اصطالحوا عليه - إلى قسمين : عام وخاص .

فالعرف العام : ما تواضع عليه عامة الأمة كإطلاق لفظ دابة على ذوات الأربع .

وخاص : وهو ما تواضع عليه أهل بلد أو أصحاب صناعة أو مهنة من لفظ أو عمل أو ترك كتواضع أهل مصر على تقسيم المهر إلى معجل ومؤجل وأن المؤجل يكون نصف المعجل ، وكتواضعهم على أن يكون أثاث المنزل - عادة - يكون للزوجة لا للزوج ؛ وتواضع أصحاب بعض السلع على ضمانها من التلف إلى مدد جرى بها عرفهم حتى ولو لم يذكر ذلك في العقد .

كما ينقسم العرف - باعتبار كونه مشروعاً

وهي قد نزلت بعد موقعة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة ١١؟؟

ثم ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم
لخولة بنت ثعلبة التي ظاهرها زوجها أوس
ابن الصامت : ما أراك إلا قد حرمت عليه ،
لما تعارف عليه العرب من أن الظهار تحريم
إلى أن نزل قوله تعالى : قد سمع الله قول
التي تجادلن في زوجها وتشتكن إلى الله
والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير .
الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم
إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم ولأنهم ليقولون
منكراً من القول وزوراً ، إلى آخر الآيات
التي بين فيها أحكام الظهار .

ثم ألم يعتبر الشارع ما تعارفه العرب
من اعتبار الكفاءة في النكاح ١١ ؟ وإن كان
تحديد معنى الكفاءة مما يختلف فيه العرف
بين الناس ويختلف باختلاف الأماكن
والأزمنة .

وكذلك اعتبر الشارع الدية وأوجبها
على العاقلة لما بين أفرادها من تناصر ،
ولما في إيجابها عليها من الضرب على أيدي
المفسدين ، كما اعتبر العصية سبباً للولاية
والإرث إلى كثير من الأحكام التي جاء
الشارع مقرراً فيها للعرف حتى أصبحت
شرعاً لا يجوز لنا أن نعبد عنه ؛ بل إننا
نفهم من هذه الأحكام أن الشارع جعل

فما وجدناه منها فاسداً حاربه ؛ وإلا تركناه
الناس وما اعتادوه في حياتهم .

هذه هي أقسام العرف بحسب الاعتبارات
المختلفة .

مدى الاحتجاج بالعرف :

إذا أسقطنا العرف الفاسد ؛ فإلى أي مدى
نحتج بالعرف الصحيح ؛ وهل يمكن
أن نخصص به النص الشرعي العام أو القواعد
الشرعية العامة .

وقبل الإجابة على ذلك لابد أن نعرف
الدليل على اعتبار الشارع للعرف .

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وللعرب عرف وعادات فأقرها إلى أن أبطل
الله تعالى بعض هذه العادات وأقر بعضها
فنفهم من ذلك أن عادات الأمم لما اعتبارها
ووزنها في نظر الشارع ؛ لأن النبي صلوات
الله وسلامه عليه بعث للناس كافة ؛ ألم يتبين
الرسول صلى الله عليه وسلم زيدا حتى كان
يقال له زيد بن محمد وبقي هذا التبيين وهو بمكة
وردحا من الزمن في المدينة حتى نزل قوله
تعالى : ادعواهم لآبائهم هو أقسط عند الله ،
وقوله : وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم
بأفواهكم ، ، ما كان محمد أباً أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، .

وهذه الآيات كلها نزلت في سورة الأحزاب

كقوله صلى الله عليه وسلم (لا تبيعوا الطعام بالطعام إلا مثلاً بمثل) فلفظ الطعام عام في كل مطعوم ، ولكنه في هذا الحديث لا يحمل إلا على البر وحده لأنه المتعارف عليه عند الإطلاق .

وأما العرف العملي فهل يخص به العام ؟ ذهب الحنفية إلى أنه كالعرف القولي ؛ إذ التفرقة بينهما تحكم ؛ وكل ما قيل من وجوه التفرقة بينهما تمحل وتعصب فلا استصناع عرف عملي وقد ترك به قاعدة شرعية هامة وهي أن لا يجمع بين بيع وإجارة في عقد واحد ؛ ومع هذا فهو مشروع .

ودخول الحمام مع عدم تحديد القدر الذي يستهلكه من الماء أو الصابون وعدم تحديد زمن المكث جائز شرعاً مع أنه تعاقداً فيه جهالة ولكن تعارف الناس على التسامح فيها ..

وأمثال ذلك كثير وكثير ؛ ولو عرضنا كثيراً من المعاملات التي قال الفقهاء لا قدمون بفسادها بحجة أنها مفضية إلى النزاع ولكن الناس الآن تسامحوا فيها وأصبحت ليست مثار نزاع ؛ لو عرضناها الآن - على بساط البحث لو سمعنا أن نقول بجوازها ومشروعيتها اللهم إلا أن تكون ممنوعة بالنص .

الفرق بين العرف والإجماع :

العرف كما عرفنا في أول هذا البحث

العرف وزنا واعتباراً في التشريع ، ولقد بنى الأئمة المجتهدون كثيراً من الأحكام على العرف الشائع في زمانهم ، فكثيراً ما رى صاحبى أبى حنيفة أبى يوسف ومحمد يخالفانه في الرأى ؛ ونرى عند الرجوع إلى استدلالهم أن منشأ الخلاف هو اختلاف العرف باختلاف الزمن مع تقارب ما بينهم من زمن .

ونرى الشافعى رضى الله عنه غير كثيراً من آرائه بعد انتقاله إلى مصر ، ونرى أن بعض هذه الآراء ترجع إلى اختلاف العادات بين أهل العراق وأهل مصر .

ونرى مالكا رضى الله عنه يعتبر عرف أهل المدينة مصدراً من مصادر الأحكام فعلى أهل كل مذهب من هذه المذاهب أن يعيدوا النظر في مذاهبهم فما وجدوه من الأحكام مبغياً على العرف فإنه يسعهم أن يخالفوا رأى إمامهم إن كان العرف قد تغير ، ولا يعتبرون بذلك خارجين على أصول مذهب إمامهم .

إذا عرفنا هذا فنقول : إن الإجماع منه قد على أن العرف القولي يعتبر خصصاً للنص الشرعى العام ، وللقواعد الشرعية العامة ؛ فإذا ورد عن الشارع نص فيه لفظ عام ولكن العرف خصص هذا العام ببعض أفرادها فإن هذا النص لا يحمل على كل أفرادها ، بل يحمل على ما تمورف الحل عليه ؛ وذلك

هو ما تواضع عليه الناس أو طائفة منهم من قول أو فعل أو ترك وينشأ من اتفاق الناس لا فرق بين عامتهم وخاصتهم بخلاف الإجماع فإنه - كما عرفه المحققون

من الأصوليين - اتفاق يجتهدى الأمة في عصر من العصور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم شرعى .

ولعل بهذا أكون قد بينت مكانة العرف في التشريع الإسلامى وأيا ما كان فليس العرف دليلاً خارجاً عن الأدلة الشرعية المعروفة وهى الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

والى مقال آخر نفصل فيه الكلام على المصالح المرسلة إن شاء الله تعالى .

برر المتولى عبد الباقى

وبهذا يتبين أن العامة لم تدخل في العرف دون الإجماع ؛ والعرف قد يتغير بخلاف الإجماع فإنه إن انعقد لا يجوز لمن يأتي بعدهم أن يخالفهم لأنهم ما أجمعوا إلا بعد اجتهاد وتمحيص بخلاف العرف فإنه يحصل بين أهله بمجرد الاتفاق من غير بذل جهد

القول في دين الله عن جهل

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك . وأن الله ليس بظلام للعبيد .

ويقول تعالى : وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا .

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر للأستاذ علي العمّار

— ٣ —

ويعلم أنه لا مانع : لا عربية ، ولا دينية ، ولا خلقاً أن يتمثل لإنسان بآية أو ببعض آية من القرآن إذا كان المقام يقتضي هذا التمثيل ، وهو يفهم جيداً ما أعنيه بهذه الكلمة .

فالشيخ لم يفتّر على الله ، ولم يحاول أن يوقد نار فتنة ، ولعل صاحب المؤلف الذي وصفه بأنه من (إخوانه الأقباط) هو الذي بدأ بالعدوان ، ولكن المؤلف كأنما مدب نفسه للدفاع عن (إخوانه) بدليل قوله في نفس الموضوع (وبخاصة النصاري) .

وأعتقد أن نشر هذا الحديث كما ذكره المؤلف في كتابه هو الذي يوقد نار الفتنة لا ما قاله الشيخ في جدل محصور بينه وبين أحد الناس ، فالذي حمل المؤلف أن ينشر هذه الحكاية الصغيرة في كتاب ١٩

ثم يستمر المؤلف فيذكرنا بأن القرآن وصف النصاري بأنهم أقرب الناس مودة للسلبيين ، وذلك في الآية الكريمة : « ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، ولتجدن أقربهم مودة

إن الدين عند الله الإسلام :

ثم يستطرد المؤلف إلى جدل وقع بين مسلم ومسيحي ، وقد طاب على المسلم استشهاده بقوله تعالى : « ولا تؤمنوا إلا بما نبع دينكم » ووجه العيب عنده أن الكلمة من قول اليهود ، يريد أنها لا تستعمل إلا كما قيلت ، وزعم أن الشيخ المسلم أدركه الحصر ، وأنه - أي المؤلف - قال للشيخ : حرام عليكم يا مولانا أن تفتروا على الله الكذب ، وأن تأخذوا ما في المصحف الشريف وتفهموه على ما يقضى به علمكم ، وتوقدوا بذلك نار الفتنة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب ، وبخاصة النصاري .

والمؤلف يعلم أن جميع المسلمين عالمهم وجاهلهم ، يعاملون أهل الكتاب المقيمين بينهم كما أمرهم دينهم أن يعاملوهم : (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ، ويسرون على مقتضى قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

فإننا ننقل له كلمات من كتاب عنوانه (البحث عن الدين الحقيقي) وهذا الكتاب ألف ليدرس في المدارس الأجنبية المخطئة في البلاد العربية ، وقد صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم المسيحي في باريس ، ونال رضا البابا ليون الثالث عشر - كما ذكر صاحبنا كتاب (التبشير والاستعمار) . وأما الكلمات فهي : (الإسلام في القرن السابع للميلاد .

برز في الشرق عدو جديد ، ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة ، وقام على أشد أنواع التعصب ، لقد وضع محمد سيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدم قوانين الأخلاق ، ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب ووعده الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملمات) .

ثم يقول المؤلفان الدكتوران : مصطفى خالدي وعمر فروخ : هذا النوع من التأليف هو الذي أقلق السلام بين الشرق والغرب منذ أقدم الأزمنة ، وهو الذي يهدد السلام كل يوم وخصوصا في الشرق .

وثانياً : ماذا أراد المؤلف بتعليقه في الهامش ؟ هل أراد أن يقول إن القرآن لم يشترط في المسيحيين الذين هم أقرب مودة للؤمنين أن يؤمنوا بمحمد ، وأن كل مسيحي مهما كان أمره هو أقرب الفاس مودة للذين آمنوا .

للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . .

ويكتب تعليقا في هامش الصفحة على الأوصاف الأخيرة في الآية فيقول : (لم نقل الآية : ولأنهم غير مؤمنين بمحمد ، أو لأنهم مسلمون معك !) هكذا بوضع علامة التعجب بعد هذه الكلمات .

فأولا : كيف غاب عن هذا المتحمس لإخوانه أن الدول المسيحية كانت ولا تزال تنزل بالمسلمين أقصى أنواع الاضطهاد ، وتستغلهم أسوأ أنواع الاستغلال ، وإن ينسى المسلمون أبدا ما فعلته إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول المسيحية بالعالم الإسلامي والعالم العربي ، وليس ما فعلوه مجنونا حتى نذل أحدا عليه ؟ .

وكيف غاب عنه أن كل أعمال المبشرين ، وكتاباتهم لا تعنى في الدرجة الأولى - كما هو المفروض - بنشر المسيحية وتعاليمها ، ولكن هنايتهم الأولى بتحطيم الإسلام ، ونزعه من قلوب المسلمين ، وأن أعمال المبشرين وكتاباتهم هي التي مهدت السلام بين الأمم التي تتألف من مسلمين ومسيحيين ، وهذه الكتب تفيض بالأحقاد على الإسلام والمسلمين .

وإذا كان المؤلف لم يسمع بشيء من هذا

والؤلف لا يلتزم بما التزمت به كل الشرائع ،
فن المعلوم من الأديان بالضرورة أن الإيمان
بالله وبرسوله أساس النجاة من عذاب الله ،
والله لا يغفر أن يشرك به - كما جاء بنص
القرآن الكريم - فما وجه العجب في أن يحكم
على رجل لم يؤمن بأن الله واحد ، ولم يؤمن
بأن محمداً رسول الله بأنه لن ينال رحمة الله ؟ .
المؤلف يذكر حكاية - كما يقول - على سبيل
الفكاهة ، خلاصتها أن أحد المشايخ أجاب
عن سؤال يتعلق (بإديسون) فقال إنه لا يدخل
الجنة لأنه لم ينطق بالشهادتين ، فوجب المؤلف
من ذلك أشد العجب ، ووجه للشيخ كلاماً
كأنه يؤنبه ، فقال له أولم : بعد أن أضاء
العالم حتى مساجدكم ، وبيوتكم باختراعه ؟
فأجابوه : لا ، ولو ، فعاد يسأل : ألا يمكن
أن يدخل الجنة عقلاً ؟ وقد خيل إليه أنه حج
المشايخ ، وسفه أحلامهم ، وهو - والله -
مسكين ، فما دخل العقل هنا ؟ لقد قال
الشيخ : إن الرجل الذي لا ينطق بالشهادتين
مهما أدى للعالم من خدمات فلن يغفر الله له ،
وهو كلام يوافق صريح النصوص ، فإن كان
يريد الاحتكام إلى العقل فهو يوافق العقل .
لقد أنعم الله على هذا المخترع بنعمة عظيمة ،
وهي نعمة النبوغ ، وكان مقتضى هذه النعمة
أن يعترف بوحداية الله ، وأن يصدق بكتبه
ورسوله ، ولكنه لم يحفل بذلك ، فن المعلوم ؟

إذن فما بال المسيحيين - في الغرب - منذ
الحروب الصليبية إلى اليوم لم يتركوا أية فرصة
دون أن يحاولوا ، وأن يعملوا - جاهدين -
على هدم الإسلام ؟

ثم ، لم وقف المؤلف عند هذا الحد
من الآيات الكريمة ، لعل لو أكلت له الآيات
- ولا أظنه تركها غافلاً - لسقط في يده ،
ولو وقع في عمياء لا يدرى طريقاً للخروج منها ،
لأن الآيات كاملة تجعل تعليقه صادرة عن جهل
أو خبث ، بل تغسل كتابه كله غسلاً
- لو كان يريد أن يكون من الذين يحترمون
عقولهم وأفلامهم - .

قال الله تعالى بعد الآية السابقة : **وأنهم**
إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم
تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ،
يقولون ربنا آمنا فاكتملنا مع الشاهدين ،
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق
ونقطع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
فأنا هم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ، .

ما رأى المؤلف ؟ ألا يزال يصر على أن الآية
لم تقل إنهم لم يؤمنوا بمحمد ؟ ألا يزال يرى
أن لكل صاحب دين أن يؤدي عبادته
كما وصفها دينه دون أن يلزمه الإيمان بالأديان
الأخرى وبرسولها ؟ .

يستطيعون أن يرجعوا إلى كتب التفاسير ، بل أن يرجعوا إلى القرآن نفسه ، ويضعوا آية بجوار آية ، ويطمئنون أخيراً إلى الحق .

قال السيد رشيد رضا في تفسير هذه الآية من سورة البقرة : (ولا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم) . ومع أن هذا يخالف لما قال به جمهور المفسرين في الآية ، ومع أن الإيمان بالله يقتضى في ذاته الإيمان بكل ما صدر عنه ، فالإيمان بالكتب المنزلة ، ومنها القرآن ، والإيمان بالرسول ومنهم محمد جزء من الإيمان بالله ، ولن يتحقق الإيمان بالله إلا بالإيمان بكل ذلك ، ولذلك كان الإسلام الحق ، هو الإيمان بالله ورسوله وكتبه وملائكته ، واليوم الآخر ، والمسلمون لا يفرقون بين أحد من رسله ، مع كل ذلك نرجع إلى السيد رشيد رضا نفسه لنجد أنه لا يعنى بهذه الكلمة ما فهمه منها المنحرفون .

يقول في تفسير قوله تعالى : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلکم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، : (إن من مقتضى ذلك الميثاق أن دين الله واحد ، وأن دعائه متفقون

إنه هو - ولا شك - وإذا حرم الله عليه الجنة فلأنه لم يشكر من وهب له هذه النعمة التي أضاء بها العالم ، ومع ذلك فكيف نعتكم إلى العقل والنصوص صريحة واضحة ؟

إذا كان المؤلف مسلماً ، يؤمن بأن القرآن من عند الله فهذا حكم القرآن ، وإن كان يرى أن الإسلام يتحقق دون أن يؤمن الإنسان بأن القرآن من عند الله ، وبأن محمد رسول الله ، وقد أرسل للناس كافة فالآن جاء الوقت للحديث معه في هذا الشأن .

يبدو أن قوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يبدو أن هذه الآية السريفة ، أو على وجه الدقة ، ظاهرها قد أغرى كثيراً من المنحرفين لأن يتخذوا منها برهاناً على أن الإيمان بمحمد ، وبالقرآن لا حاجة إليه في النجاة عند الله .

ولعل أول الطريق ما وقع فيه السيد رشيد رضا - عن غير قصد - فأتخذه هؤلاء سنداً وحجة ، وراحوا يقلدونه دون أن ينظروا في جملة أقواله ، بل لعلهم نظروا ، ولكنهم وجدوا في هذا الموضوع ما يسهفهم ، ويساعد على ضلالتهم فتمسكوا به ، وكانهم يجهلون أن الناس يعرفون القراءة ، وأنهم

على ذلك كثيرة من القرآن الكريم ، ومن الأحاديث النبوية الصحيحة ، وهي لشهرتها تغنى عن سردها هنا ، ولكن لا بأس أن نضع أمام المؤلف بعضها مع يقيننا بأنه لا يجمله .

قال تعالى في سورة الأعراف : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ، وقال سبحانه في سورة سبأ : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، وقال عز وجل في سورة الأنعام : « وأوحى إلى هذا القرآن لا مذكركم به ومن بلغ ، أى وأندركم به كل من بلغه من الثقلين .

وقال - وهو أصدق القائلين - في سورة الفرقان : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، .

فهل يمكن مع هذه النصوص الواضحة لإنسان محترم عقله ، ويحترم القراء أن يدعى : أن الإيمان بمحمد ، والإيمان بالقرآن ليس واحد منهما شرطا في النجاة عند الله ، وأن كل ما يطلب من الإنسان الإيمان بالله ، وباليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وهذه - كما يقول المؤلف - هي أركان الدين الأساسية .

أما تفسير الآية على وجهها الصحيح ، فيمكن أن يرجع من يريد إلى أى كتاب من كتب التفسير ليعرف وجه الحق في تفسيرها ومهما أخذت هذه الآية على ظاهرها قلن

متحدون ، فن تولى بعد الميثاق على ذلك عن هذه الوحدة ، واتخذ الدين آلة للتفريق والعدوان ، ولم يؤمن بالنبي المتأخر المصدق لمن تقدمه ، ولم ينصره كأولئك الذين يجحدون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبؤذونه فأولئك هم الفاسقون أى الخارجون من ميثاق الله ، الناقضون لعهد ، وليسوا من دينه الحق فى شئ) .

ويقول فى التفسير (ج ١٠ ص ٣٠٠) : (من قال : إنه يؤمن برسائله - يقصد محمداً صلى الله عليه وسلم - إلى العرب خاصة لا يعتد بإيمانه ، لأنه مكذب لهذه النصوص العامة القطعية بما جاء به) .

إلى أقوال آخر كثيرة مبثوثة فى تفسير المنار عند مناسباتها ، وإنما لفت النظر إلى أقوال هذا المفسر لأن المؤلف يعتمد عليه كثيرا ، ويأخذ حتى تعبيراته ، ولكنه - مع الأسف - يبتزها كما يبتز الآيات ، والأحاديث ليوم نفسه أنه وصل إلى غايته من خداع الناس ، وما خدع إلا نفسه ، وإلا الذين يظنون أنه حقق ما تم فو إليه نفوسهم المريضة .

إن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة أرسل إلى الإنس وإلى الجن ، وإلى جميع الناس ، وهو خاتم النبيين ، والنصوص

الرب الخالق للعالم بأكمل نظام المدبر لأمور العباد بالحكمة والاحتكام ونأمل تاريخ محمد لا يمكن أن يدعى أن القرآن من أمور التعاليم البشرية الكسبية .

فهل يمكننا أن نسأل المؤلف لماذا تغافل عن هذا وأمثاله ، من كلام الإمامين اللذين يعتمد علي أقوالهما : محمد عبده ورشيد رضا ؟ بل ليس لنا أن نسأل لأننا نعرف الجواب ، فإن من يجرؤ على أن يأخذ بعض الآيات ويترك بعضها لا يستغرب منه أن يأخذ من كلام الشيخين ويدع .

ولكن سوء النية هنا لا يضر المؤلف وحده ، وإنما يضع في نفوس القراء الذين لا تهمل لهم ظروفهم الاطلاع على ما كتبه الرجلان ، يضع سخابة من الشك ، فهو يسيء إلى شيخيه - كما يدعي - إساءة بالغة حين يبتز أقوالهما ، ويأخذ منها ما يدل ظاهره على تأييده في غرضه ، ولو نقل الكلام كاملا ، أو حق لو لخص رأي الرجلين بأمانة لفهم الناس رأيهما على حقيقته ، ولكن كان أمامه أحد أمرين أما أن ينقل رأيهما كاملا ، وحينئذ يلقي بكتابه في اليم ، وإما أن يتنكر للأمانة العلمية ، وحينئذ يصل - في دنيا الوهم - إلى بعض غرضه ، ولعل هذا الكسب الخيالي الصغير أحب إلى نفسه من سلوك سبيل العلماء .

علي العمري

تكون الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع الخطير ، لأن في القرآن آيات كثيرة تتعلق بصوم رسالة النبي محمد ، وتعلق بموقف الإسلام من أهل الكتاب ، ومن دعوتهم إلى الإسلام ، وليس فيه آية واحدة تبليح لهم أن يبقوا على ديانتهم الأولى معرضين عما جاء به رسول البشرية ، ولا جاء ذلك في حديث صحيح ، حتى ولا غير صحيح .

فهل نلغى كل النصوص الواضحة الصريحة لئتمسك مع المؤلف بظاهر آية واحدة أبان كل المفسرين المراد منها ، ودلت الآيات الأخرى على أنه لا يمكن حملها على ظاهرها . ومن عجب أن المؤلف أخذ ينقل من تفسير المنار ، فنقل خمس صفحات كاملات ، ولكنه تجاوز عن كل ما يتعلق برسالة محمد ومعجزته ، لأنه يثبت بما لا يدع مجالاً للشك دلالة القرآن على نبوة محمد وفيه هذه العبارة (وإن القرآن قد بلغ مرتبة السكمال في الهداية) فاهتدت به الأمم والشعوب .

فن كان يؤمن بها على علم بحقيقتها لا تقليداً لأبائه وقومه فيها لاسمه أن يؤمن بالثوراة أو الإنجيل أو الفيدا أو غيرهن من الكتب المفسوبة إلى المرسلين الأولين ولا يؤمن بالقرآن وهو أكملها في موضوعها ، وأصحها إلى من جاء به .

وفيها أيضا أن من كان يؤمن بالله وأنه

المرونة في اللغة العربية

للأستاذ عبد الحميد حسن

— ٢ —

أهمل دودع ، ودذر ، لأن في أولهما واواً وهو حرف مستقل ، فاستغنى عنهما بما خلا منه وهو دترك . ثم قال : واستعمال ما أهملوا من هذا جائز صواب وهو الأصل . ه — والكوفيون يعتدون بما ورد من الكلمات الشاذة ، ويعملون بالقياس عليها وابن مالك يوافقهم في هذا .

* * *

وعلى هذا الأساس من المرونة والتيسير رد بعض الباحثين على من تعهدوا في اللغة وقواعدها وأبوا أن يعترفوا بما هو صحيح ومنعوا ما يمكن أن يصادف القبول . فهذا هو الحريري (٣٩٥) في كتابة ددرة الغواص في أوهام الخواص ، يتعرض لمسائل كثيرة يحكم بأنها خطأ ؛ فينبهى له الشباب الخفاجي في شرحه على ددرة الغواص ، ويصحح كثيراً مما رفض لإجازته . ومن أمثلة ذلك :

اجتمع محمد مع على - دخول دأل ، على دغير ، وعلى دكافة ، - المال بين زيد وبين عمرو بتكرار كلمة بين - جمع مرآة على دمرابا ، - التعبير : دما كان ذلك في حسابي ،

إن باب القياس لا يزال مفتوحاً ، وطريق الاجتهاد لم يوصد ولن يوصد ، وإن المجال فسيح للأخذ بأسباب التجديد والمرونة على الأصل التي لا تعيد باللغة عن نهجها ، ولا تنحرف بها عن خصائصها ، ولنا لرى في آراء العلماء وفيما لهم من مذاهب سنداً لكل هذا . وإليكم بعض هذه الآراء التي تشجع على التيسير ، ومسايرة التجديد :

١ — قال أبو حيان في شرح القسطل : دكل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه . ٢ — وقال ابن جني في الخصائص : واللغات على اختلافها كلها حجة ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ .

٣ — وقال ابن جني أيضاً في الخصائص : دحكم اللغتين إذا كانت لهما - دداهما قليلة والأخرى كثيرة جداً فإنك حينئذ تأخذ بأوسعها رواية ، وأقواها قياساً ، وتنخير أشيعها ، إلا أنك لو استعملت الأقل لم تكن مخطئاً في كلام العرب .

٤ — وقال السيوطي في المزهرة : قال ابن درستوريه في شرح الفصيح : دإنما

وأن نعدل عن الظن بأن العلم بالغريب هو غاية العلم باللغة، وأن لا نبقى منه إلا ما دل على شيء لا تدل عليه الكلمة المألوفة، وهذا يستدعي معاجم حديثة من طراز يختلف في جوهره عن المعاجم القديمة كما سنبينه فيما بعد .

الشعر : من أهم مصادر اللغة العربية الشعر . وكانت للناس به عناية فائقة . وكان يكتب في التذليل على صحة معنى كلمة أو صيغةها أو صواب تركيب ما أن يقولوا قال الشاعر . والذي دعا إلى كل هذه العناية بالشعر سهولة حفظه ، وتداوله بين الناس على نحو يقرب من التدوين ؛ حين عز التدوين بالكتابة ولعلهم كانوا يرون أن نظم الشعر يدل على قدر من الذوق الأدبي يسمح بالاستشهاد به . وقيل : إن الشعر ديوان العرب . وقد يكون حقاً ديوان عاداتهم ، وأخلاقهم ، وأيامهم وما يحبون ، وما يكرهون ، ولكنه لا يصح ديواناً للغة دون تحقيق دقيق .

والشعر في اللغات كلها له أسلوب خاص وأوضاع وترتيب في الكلام يقبل من الشاعر ولا يقبل من الكتاب عادة^(١)، ولا يعد أصلاً يتبع في الشعر . بل قد يضطر الشاعر أن ينجز من نطق كلمة بعينها ليستقيم الوزن ولا يجاري

(١) قيل من كان إنجليزي متأق : أنه كان لا يعاقب أن تكون جملة نثرية في ترتيب يجعلها كالمنظومة وبعد هذا عيباً في النثر .

ويصر على أن نقول في حسابي - الألف درهم والألف كتاب ، إلى غير ذلك .

وهنا كتب أخرى لغير الحريري ممن تصدوا لتخطئة كثير من الكلمات والعبارات . ومن ذلك :

١ - كتاب ما تلحن فيه العامة ، للكسائي (١٩٢) .

٢ - كتاب إصلاح المنطق ، لابن السكيت (٢٤٤) .

٣ - أدب الكاتب ، لابن قتيبة (٢٧٦) .

٤ - ما تلحن فيه العامة ، للزبيدي (٣٧٩) .

٥ - لغة الجرائد ، لليازجي (١٩٠٦) .

٦ - تذكرة الكاتب ، لـ محمد خليل داغر (١٩٥٩) .

وقد تصدى العالم الجليل المحقق الأستاذ محمد علي النجار عضو هذا المجمع لهذه الكتب في محاضراته التي ألقاها أخيراً في معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، ولقد جال سياحته في هذه المحاضرات جولة موفقة ، ورد على طائفة مما ورد في المجموع تكون على شكل واحد للكلمة الواحدة . ويسقط احتجاج اللغويين بما ورد وما لم يرد . وعلينا أن نرفض من الألفاظ ما تعددت معانيه تعدداً معيياً ، وما اختلف تحديد معناه ،

السكلمة التي يستقيم بها الوزن موضعها من البيت إذا كان معناها قريباً ، وهو يقسم المعنى الذي يريد على السكلمة ، وإن كانت بينهما فروق يسيرة ، وضاعت بذلك دقة دلالة اللفظ على المعنى ، فالشاعر لا يقف عند الفرق بين المهجوع والنوم ، أو السير والسرى بل يختار ما يوافق النظم ، ولا نزاع في أن هذا التساهل أفسد كثيراً من الدلالات الدقيقة للألفاظ ، وكذلك صيغ التكسير وغيرها يختار الشاعر منها ما يوافق الوزن ما دام الغرض مفهوماً ، بل قد يخترع جموعاً ومصادر لم يسمها من قبل ولا يعنى ذلك أنها تصيح بمباحة لغير الشعراء .

قال الشاعر :

لو كان في قلبي كقدر قلامة
من حب غيرك قد أناها أرسل
والشعر ضعيف لا يعتد به ، ولكن النحويين درسوه ، قالوا : إن رسول لا تجمع على أرسل فإذا كان هذا صحيحاً فالشاعر أخطأ من غير شك ولكن الشعر أصل من أصول اللغة ، لا يقع فيه الخطأ ؛ فوجب التأويل ، وتخرج ابن جني لذلك أن أفعل تجوز في الجمع عند التأنيث وأن الرسل في هذه الأمور يكونون عادة من الفساد ، تخرج جميل ، ولكنه غير صحيح ؛ لأن الشاعر قال : ذلك دون أن يعنى بالقاعده جهلاً أو اضطراراً .

أحد من الكتاب الشعراء في مثل هذا . الشعر العربي لا يختلف في هذا عن الشعر في اللغات الأخرى ، وإنما زاد في صعوبته أن أوزانه محدودة محكمة ، لا تقبل إلا قليلاً من المرونة ، وقافية القصيدة واحدة بما يزيد في صعوبة النظم . ولو التزم الشعراء العرب صحة الألفاظ ، واستقامة الأسلوب ، وجودة المعنى مع هذه الأوزان القاسية ، والقافية الموحدة دون تجاوز عن بعض الصيغ وتهاون في الصرف ما استطاع أكثرهم أن يقول إلا القليل من الشعر .

على أن للنظم جمالاً يجعل هذه الانحرافات في اللغة والأسلوب مقبولة ، ولكن النحويين يخطئون حين يجعلون ذلك أصلاً من أصول اللغة يباح لغير الشعراء . وليس هناك لغة تجعل للتقديم والتأخير في الشعر قواعد خاصة تسرى على اللغة كلها ، إنما يتحكم في ذلك الوزن ، والذنب على النحويين حين يتخذون من مثل قول الفرزدق .

قفا قد هداجون حول بيوتهم

بما كان إيام عطية هودا
دليلاً على جواز قولك كان طعامك زيد
أكلاً ، وذلك كلام مقبول حسن وهذا كلام سيئ .

والشعر مهما يكن جيداً قد لا يخلو من تساهل في معاني الألفاظ ، فالشاعر يضع

وقال الشاعر :

مثلها يخرج النصيحة للقسو

م فلاة من دونها أفلاء

قال ابن سيده : أن فلاة لا تجمع على أفلاء

ولما أفلاء هذه جمع فلا التي هي جمع فلاة ،

وهذا أيضا تخرج لا يطابق الواقع ، فالحادث

ابن حنزة وجد أن أفلاء مفهومة على أنها جمع

فلاة وأنها تناسب الوزن والقافية ، فوضعها

غير عابئ بما سيقول فيه النحاة .

يقول النابتة الجعدي :

موالى حلف لا موالى قرابة

ولكن قطينا يحملون الأناويا

وهو يريد جمع أتاوة ، ولكن أتاوة تجمع

على أتاوى كهاوة وهاوى ، بعد أن تمر

بمراتب لكل مرتبة هلة فتسكون : أتااء ،

ثم أتايا كعطايا ، ثم أتااء ثم أتاوى ، ويعترف

ابن جني أن الشاعر غير في هذا الجمع لتستقيم

القافية لجعلها أتاويا ، وعلل ذلك بعلة معقدة

غاية التعقيد .

والواقع أن الشاعر لم يقصد إلى شيء من

ذلك أبدا وإنما أراد جمع أتاوة جمعا نهايته

تتفق مع روى القصيدة ؛ فقال أتاويا ، وليس

لأحد أن ينسب إليه شيئا لم يفكر فيه ،

ولا يصح أن نجعل هذا الخروج صحيحا

يستطيعه من الكتاب من لم يضطر إليه .

وقالوا : إن سواء لغة في سوى . ودليلهم

قول الشعراء من سوائنا ، ظنا أن أهل هذا

الشعر كانوا يقولون سوائنا . وهذا بالطبع

فرض لا يقوم عليه برهان ، إنما وضع الشاعر

من عنده ، وليست لغة في سوى .

فإذا كان هذا هو مسلك اللغة العربية

في ضبط الكلمات ، وفي تحويل بعض الصيغ

إلى بعض ، وفي تحميل الكلمة معاني كثيرة ،

فهل تضيق من مظاهر المرونة التي تجلت

في خصائصها وفي أساليبها ؟

إن لغتنا العربية في حاجة إلى نظرة جديدة

في مختلف نواحيها :

١ - فهي في حاجة إلى أن نسلك بها

في التوسع سبيلا نحص فيه ما لم يرد في معاجنا

في العصور المبكرة بما جد حديثا من الألفاظ

المولدة والمحدثنة والدخيلة والعامية ، ونلقى

على كل ذلك نظرة فاحصة ثم نقسح لها المجال

في المعجم الكبير ، كما وضعها المعجم الوسيط .

٢ - وهي في حاجة إلى نظرة جديدة

في قواعد الاشتقاق ، وفي أصول القياس ، وإن

فيما سجل الباحثون من آراء ملتصقا لهذا ، وفي

اللغة استعداد الاستجابة والتطوير ومسايرة

التجديد .

٣ - وهي في حاجة إلى أن تقرب

موردها للمتحدثين ، ونذل صلصاها للشايدن ،

حتى تصبح لغة الحياة في جميع المقاصد ،

ويختلف الشئون .

عبد الحميد محمد

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١٢ — العبادة المسالية

العبادة هي نهاية الخنوع لله سبحانه وتعالى مع الخوف من عقابه والطمع في ثوابه، وقد جعل العلماء الإيمان بالله وما يتصل به من ذكر وشكر رأس العبادات القلبية، وجعلوا إقامة الصلاة وما يدخل في معنى إقامتها رأس العبادات البدنية، أما رأس العبادات المسالية فهو أداء الزكاة لمستحقها من ذكرهم الله في قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعالمين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل » وقد لا أبعد عن الحقيقة إذا شبهت العبادة بالشجرة المزهرة المثمرة، وجعلت الإيمان منها بمنزلة البذرة والصلاة وما إليها من العبادات البدنية بمنزلة الجذع والفصون، والزكاة وما إليها من وجوه الانفاق بمنزلة الزهور والثمار، وإن كانت الحقيقة التي لا يرقى إليها شك هي أن الزكاة ركن من أركان الإسلام كما يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم : (بنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت

وصوم رمضان) وقد قرن الله الزكاة بالصلاة في القرآن الكريم وجعلها حقاً معلوماً للسائل والمحروم، ورأى أبو بكر رضي الله عنه أن يقاتل عليها ما نعيمها فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني حقاً لا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه . وقد روى الطبراني عن علي رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله فرض على أغنياء المسلمين بقدر الذي يسع فقرائهم ، وإن يجهدوا إذا جاعوا وعروا إلا بما صنع أغنيائهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليماً) وأنذر عليه الصلاة والسلام مانعي الزكاة بسوء الحال والمآل فقال : (وما منع قوم الزكاة إلا منعوا الفطر من السماء ، ولو لا البهائم لم يمطروا) .

وإذا كانت الصلاة كما يقول الله : « تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، فإن الزكاة كما يقول سبحانه : « تطهرهم وتزكّيهم » ، فهي تطهر النفوس من الذنوب والجبل والشح وما يتصل

فإن ذلك يحصل بالتوازن ، ويقم الموازن
والفوارق بين الطبقات ، بحق البركة ويحجب
الشر والشقاء للجميع .

ثم إن فريضة الزكاة - كما يقول فضيلة
المرحوم الدكتور محمد عبد الله دواز - بمثابة
رابطة بين الإنسان وربه من ناحية ، وبينه
وبين المجتمع من ناحية أخرى ، وكأن
الإسلام يفرضها أراد أن يلفت نظر المسلم
إلى ضرورة شكر الله على ما أسدى إليه من
نعم ، حتى يؤدي الزكاة ، وإلى أنه عضو في
مجتمع يجب أن يكون متعاوناً متسانداً ،
كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو
تداهى له سائر الأعضاء بالسهر والحي .

وقد انفرد الإسلام بين جميع الشرائع
السموية ، بإيجاب الزكاة ، وتحديد مقدارها ،
وجعله حقاً معلوماً أو ضريبة مقدسة ، تدفع
طوعاً أو كرهاً ، قد يقال : أنها كانت من دهوة
كل نبي ورسالة كل رسول من الأنبياء
 والمرسلين ، وذلك صحيح ، لأننا نجد ذلك
في القرآن حيث يقول الله عن إبراهيم وابنه
إسحق وحفيده يعقوب : « وجعلناهم أئمة يهدون
بأسرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة » . ونجد حيث يقول
عن بني إسرائيل : « وإذا أخذنا ميثاق
بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين
إحساناً وذو القربى واليتامى والمساكين

بهما من العيوب : » ومن يوق شح نفسه
فأولئك هم المفلحون ، ، وهي تزكيتها بمعنى
أنها تقضي نوازح البر والخير فيها ، وكما أنها
تطهر نفوس الأغنياء ، من الشح والبخل
تطهر نفوس الفقراء من الحسد والحقد ، ثم
هي إلى ذلك تطهر المال من الشر الذي
يشوبه بقاء حق الفقراء فيه ، وفي هذا يقول
الأنبي صلى الله عليه وسلم : (إذا أدبت زكاة
مالك فقد أذهبت عنك شره) ويقول عليه
الصلاة والسلام : (حصنوا أموالكم بالزكاة)
وهي كذلك تزكي المال بمعنى أنها تنميه ،
وتضع البركة فيه ، كما يفهم من قوله تعالى :
« وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس
فلا يربوهن الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون
وجه الله فأولئك هم المضعفون ، ، وكما يفهم
من قوله جل شأنه : « يحق الله الربا ويربى
الصدقات ، » .

أما أنها نماء وبركة وزيادة في المال ورغاء
المجتمع ، فإنه يقتضيه بها الفقير والغنى بوجه
عام ، وحسبنا أن نذكر ما يسود المجتمع من
ركود إذا احتجن الأغنياء فيه أموالهم ، ولم
يسهموا بها ، أو بجزء منها في تهيئة فرص العمل
للعاطلين ممن لا يجدون ما ينفقون ، أو إذا
عاشوا كسالى مكتفين بما تدره عليهم من فوائد
أو هوائد نتيجة استغلال الحاجة إلى المال
أو استغلال المال عند من لا يجدون المال ،

الزكاة في الأراضي الزراعية ورفعتها من المستغلات العقارية لكان ذلك ظلماً .

ويبدو أن فضيلته لم يضع في تقديره أن غلات المائت تتجمع أموالاً وتدفع منها زكاة الأموال ، أو أنه رأى من الأحوال ضبط إيراد هذه المائت وفرض الزكاة عليه وبخاصة في هذا الزمن الذي فسدت فيه الذمم والضائير . وأحضرت الانفس الشح .

وهكذا نجد الزكاة أظهر مظهر لمعنى الاشتراكية في الإسلام ، فإذا أضفنا إلى ما ذكرنا أن ما يعثر عليه في باطن الأرض كالبتروك يكون ملكاً لبنت المال - كما هو مذهب مالك - أدركنا أى مقدار يمكن أن تحصل عليه الدولة أو المجتمع من فريضة الزكاة .

أما تفصيل أنصبتها ومقاديرها وأنواعها فلا يتسع له مقال ، وهو مبسوط في كتب الفقه يستطيع أن يرجع إليه من شاء وأما إثم تاركها فقد صوره النبي صلى الله عليه وسلم بصورتين تقشعر منهما الأبدان : إذ يؤتى به وبماله يوم القيامة ، فإن كان المال الذى لم يؤد زكاته إبلاً أو بقراً أو غنماً جىء بها أكثر مما كانت وأسلم ما تكون ، ثم يوضع في مكان مستو لتدوسه فيه وتهدو عليه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، وتظل تغدو وتروح في عدوها عليه حتى يقضى الله بين الناس ويفصل بينهم بحكمه .

وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . ونجده حيث يحكى الله عن عيسى قوله : « وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً » .

ولكن هذا الأصل الذى نجده في كل دين شرعه الله وبعث به أنبياءه ، كان الأمر به مجرد وصايا بالبذل لمن يستحقون العون والفضل ، ولم يكن بالمقدار المحدد الذى أوجبه الإسلام في الأنعام والذهب والفضة والبضائع التجارية وثمار الأشجار والسكر والسكر وما يعثر عليه في باطن الأرض من المعادن والكنوز ، وقد ألحق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة الدور المعدة للاستغلال بالزروع وقال في ذلك : « إن المعروف عن جمهور الفقهاء أنهم لم يقرروا زكاة في الدور لأن الدور في صورتهم لم تكن مستغلة ، بل كانت لسد الحاجات الأصلية ، وكان ذلك عدلاً اجتماعياً في عهد الاستنباط الفقهي ، أما في عصرنا الحاضر فقد اعتبحر العمران ، وشيدت المائت والقصور للاستغلال وصارت تدرأ ضعاف ما تدره الأرضون ، فكان من المصلحة أن تؤخذ منها زكاة كالأراضي الزراعية ، إذ لا فرق بين مالك تجبى إليه غلات عمارته كل شهر ، ومالك تجبى إليه غلات أرض زراعية كل عام ، فلو أوجبنا

بأظلافها^(١) ، ليس فيها جماء ، ولا منكسر قرنها ، كلما مرت عليه أخرى عادت عليه أولاهما حتى يقضى بهن الخلق ، ولا صاحب كنز إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً^(٢) أقرع يتبعه قاتحاً فاه ، فإذا أناه فر منه ، فيناديه : خذ كنزك الذى خبأته فأنا هنه غنى ، فإذا رأى أنه لا بد له منه سلك^(٣) يده فى فيه فيقضنها^(٤) قضم الفمحل .

نسأل الله أن يعيننا على الخير وأن يقينا الشر . يوم لا ينفع مالاً ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

عبد الرحيم فوده

وإن كان هذا المال كنزاً جاءه يوم القيامة حية خبيثة تفغر له فاهاً وتتبعه كلما فر منها وتقول له خذ كنزك الذى خبأته ، ثم تطلب إليه أن يدخل يده فى فها ليأخذه من جوفها فلا يجد سبيلاً إلى الخلاص منها ، فيدخل يده لتنوشها بأسنانها وتقطعها ...

هاتان الصورتان نجدهما فيما روى عن أبي هريرة وجابر رضى الله عنهما إذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من صاحب لبيل ولا بحر ولا غنم لا يؤدى حق الله تعالى فيها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وأقعد لها بقاع قرقر^(١) ، تسنن^(٢) عليه بقوائمها وأخفافها ، وتنطحه بقرونها وتطؤه

(١) الظلف للشاة . كالحافر للفرس .

(٢) الشجاع ، الحية .

(٣) سلك ، أدخل .

(٤) القضم ، القاع بالأسنان .

(١) القاع للمستوى لانخفاض من الأرض والقرقر

الأملس .

(٢) تسنن عليه تعدو وتجرى فوقه .

الهالكون بما كسبوا

قال تعالى :

وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرهم الحياة الدنيا ، وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ، ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع ، وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ، أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا ، لهم شراب من حميم وهذاب أليم بما كانوا يكفرون .

القوم الصوفية^(١)

بقلم : أ. م. م. ماكين

ترجمة : الأستاذ فتحي عثمان

— ١ —

شفف المستشرقون بدراسة (التصوف) في الإسلام ذكراً وعملاً .
فالتصوف يرضى في نفوس المستشرقين النزوع إلى عالم الأسرار
والغوامض ، وارتباط الشرق في نظرهم ، بهذا العالم العجيب ...
ومن هنا تتابعت دراسات نيكلسون ، وماسينيون ، وآربرى ،
وغيرهم . .

وهذا أحد المستشرقين يقدم في إجمال طيب عرضاً للفكر الصوفي
والتجمع الصوفي ... اختار له عنوان (القيم الصوفية) وقد اعتمد
الكتاب (أ. م. م. ماكين) على دراسات من سبقه من المستشرقين ،
وعلى فراءاته في المراجع العربية ، كما تهيّر حواشيه وقائمة المراجع التي
وضعها في خاتمة بحثه إتماماً للفائدة ...
للترجم

التصوف : الفكر الصوفي ، والتجربة الصوفية
على السواء ، فأما الفكر فهو يمدنا بالمضمون
والمحتوى ، وأما التجربة فتعطينا شكل التعبير
العملي ، على أن دراسة طبيعة النظرية
وتطورها خارج عن نطاق هذه الدراسة ،
ولأننا سنشير إليه عند الضرورة والمحاولات
لتحديد بداية الصوفية تبرز صعوبة هائلة
بحكم طبيعتها الخاصة ، ولكن تتبع الشكل ،
الذي اتخذته الحركة يفتح لنا صورة محسوسة
بدرجة أكبر ، شأن كثير من ظواهر التأريخ

هذا تحليل موجز لتطور حركة الصوفية
منذ فجر الإسلام ، والحركة تتضمن كلا جانبي

(١) كلمة (قوم) مما يطلق على الصوفية ولقد
كان أصحاب النزعة الروحية للباطنية في الإسلام
يسمون مفرد وقت مبكر بالصوفية ، أو المتصوفة
ولكن استعمال وصف « قوم » لتمييز الجماعة
يبدو أنه يعود إلى الفترة التالية للتشيعي توفي
(١٠٧٤ م) كما تشير مراجعنا ، وهذا يدل - مهما
كانت درجة الدلالة - على تطور اجتماعي بعيد المدى
كان يحدث حين ذاك في أعماق المجتمع الاسلامي
وليس ظهور الطرق الصوفية إلا ظاهرة من ظواهر
تبلور هذا التيار العريض .

تضمنت القائمة عند أبي منصور عبد القاهر البغدادي (المتوفى ١٠٣٧ م) إلى ألف تعريف تقريبا للكلمة « صوفي » ، وكلمة « تصوف » ، وهذه التعريفات تعكس نزعات الصوفية وانجاساتهم من لحظة إلى أخرى ، لكنها لا تمثل مفهوما واحداً متكاملًا ، ولعل هذا ما جعل جب H.A.R.Gibb يرى أن « حركة الصوفية إذ لا تقدم كياناً مذهبياً عاماً تتألف من مركب من نزعات الوجدان والخيال » (١) .

ويكتب نيكلسون نتيجة بحثه للوضوح : « إن بذور الصوفية توجد في نزعات الزهد القوية المنتشرة التي قامت داخل الإسلام خلال القرن الأول الهجري » (٢) . ويرى الباحثون في نزعة الفسك Ascetis المعروفة في العربية « بالزهد » ، سابقة بين يدي الصوفية الإلهية theosophical في الفقرة التالية . ويفهم أن يفهم « الزهد » ، في هذا المقام على أنه يمثل الإدراك الروحي الموروث عن المسلمين الأوائل في مجموعة ، لا مجرد الصور السلبية للتجربة الدينية كما يؤكد الكتاب غالباً (٣) .

الأخرى ، ونمو هذه الحركة يعرض لنا أطواراً متميزة ، كل منها يمثل استجابة لعوامل تاريخية واجتماعية أعمق ، تحكم نمواً مقابلاً في المجتمع الإسلامي ...

وإن أصل كلمة (صوفي) معقد ، على أنه من المحتمل جداً أن تكون الكلمة مرتبطة بلبس المسلمين الأوائل ثياب الصوف ، وهذه العادة يمكن تتبعها إلى عهد الخليفة عبد الملك على الأقل (٦٨٥ : ٧٠٥ م) وهي أصل لإطلاق تسمية صوفي . ولكنها لم تظهر كلقب في التاريخ حتى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، والثامن الميلادي حين أطلق على جابر بن حيان (٧٧٦ م) وأبي هاشم المتوفى (٧٧٦ م) وكلاهما من السكوفة ، وقبل أن ينتهي هذا القرن كان قد شاع استعمال هذا الوصف . ومنذ ذلك الزمن فصاعد أصبحت الحركة الروحية الباطنية mystical في الإسلام تعرف بالاصطلاح العربي : « التصوف » ، الذي أعطاه الصوفية عدداً لا يحصى من التعريفات ، جميعها نيكلسون نقلا عن المراجع الأدبية حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي في ٧٨ تعريفاً للكلمة « تصوف » (١) ، بينما

(١) MW, val xxx viii, No 3, 1948 p283

Ibid, m. 304 (٢)

(٣) إن الطنابغ للعبيد للنسك ascetism في ظاهره لا يبدو مطابقاً للزهد الذي يعني في اصطلاح الصوفية الضبط الأخلاقي من داخل —

(١) Nicloson, JRAS, 1906, P 3059

Jami, Nafahat, P. 31 Ibid, PP

303 : 348.

بقدر ما كانت شيئاً يتابع آثار حنيفية لإبراهيم وإسماعيل . وعلى ذلك يكون من الصواب تماماً القول بأن النبي قد أعاد صياغة هذه المبادئ ، ونقلها إلى إطار من الثقافة الدينية يقوم على التوحيد Monotheistic مبتعداً عن فرض أية أفكار غريبة أو دخيلة .

ويمثل عهد الرسول بالنسبة لظهور الشكل المبكر للحركة الصوفية مرحلة يغلب عليها طابع العموم^(١) . وهو فترة وضعت خلالها القواعد الأساسية للبناء ، وقدمت نماذج رفيعة من التطبيق ، وكان لتعاليم محمد وشخصه أكبر تأثير على نمو الثقافة الدينية الإسلامية في مراحلها الأولى ، وبالتالي على نمو نزعة النفس في صورتها البدائية .

وقد عرض محمد عقيدة محددة في وحدانية الله Monotheistic Creed في العهد المبكى كانت تدهو من جهة إلى الإيمان بالله واحد قدير متعال ، كما تدهو من جهة أخرى إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من وعد وعيد . وقد هزز العهد المدني هذه العقيدة بطائفة من النظم الدينية وشعائر العبادة ، وكان هذا كله أساساً لازدهار الثقافة الدينية الإسلامية ولقد كان النبي في تقديم هذا الأساس يصون

ويمكن ملاحظة الروح السكامة في النزعات الصوفية منذ فجر الإسلام ، ويشير إليها بوضوح قيام (الحنفاء) الذين كانوا من مظاهر حركة الزهد في الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي . وأن ملاحظة دب ، ماكدونالد : أن محمداً كان صوفياً في طريقه إلى النبوة^(٢) . يشير إلى استعداد الروح الإنسانية الفطري للغوص في أسرار الطبيعة ، بما يتجلى في حالتنا هذه في الظروف الروحية لمجتمع الجزيرة العربية المبكر؛ تلك الظروف التي يصفها وسترمارك كعالم من « الظواهر الغريبة الغامضة التي تعزى لسبب إرادي ، وبما كان بوجه خاص شيئاً يوحى بالرهبة في القلوب »^(٣) ، ولم تكن فكرة الصوفية بالنسبة للعرب الأولين مبدءاً جديداً في العقيدة يعتبر باهتاً روحياً دائراً

— النفس ؛ والتجرد المطلق لعبادة الله ، ويشير في الكتابات المتأخرة بالطبع أحياناً إلى (الزهاد) بمعنى معين ، ولكن هؤلاء إنما كانوا قسماً من جماعة عامة تضم أصحاب البيوت الدينية الذين يوصفون كأفراد بالعباد والسامعين والفقراء — ثم إن للتفسيرى عرف الزهد في وضوح بأنه : « الأخذ بالزعة » ويمكن القياس على كلمة (فقير) وهي تدل عند الصوفية على (علاقة للمرء بربه الذي يوصف بالغي في القرآن) .

Muslim Theology, P. 227. (١)

Rityal and Belif in Marroco, (٢)

2 Vols, Londod 1926, II, 387

(١) لا أمتى بالهكل هنا الروح التي كانت تمارس الحركة ، وإنما أقصد الأسلوب الذي وجدت به كظاهرة تاريخية لها إحساس بكيانها .

من هجاب الله . ونحن نجد بيانا أوضح للتعبير
العملى عن هذه المظاهر السلبية لتجربة
الفك ، حين نسترجع صورة حياة أهل
الصفه ، الذين عاشوا متمسكين فقراء للغاية ،
محرومين من الثياب المناسبة ، ومن المأوى ،
لكن متجربين للعبادة بكامين على الخطيئة .
والاتجاه الشائع عند بعض الباحثين
المحدثين الذين ألغوا المجتمع العربى البلوتوقراطى
يفترض أن واقعية العهد المدنى سجلت بين
تأنيها تدهور نزعات الفك ، وهذا
الاتجاه يثير التساؤل عن أساس تفسير
الحركة الصوفية كليه ، وهو الذى شغل
اهتماما جديا لدى هؤلاء الباحثين على تتابع
السنين . وما أبعد العهد المدنى للإسلام
فى الحقيقة عن أن يضيق مجال النمو أمام نزعات
الفك داخليا ، إنه قد قدم مقياسا محسدا
للفضائل الدينية ، وبذلك أعطى أرضا ثابتة
وخصبة لمزيد من القوة فى التعبير عن مثل
هذه التجربة .

(للبحث بقية)

فتوى عثمان

الرمزية الدينية فى نفوس أتباعه بما لها من
قوى موروثه لأجل استثارة طاقتهم المتخيلة
مع نقلها فى إشاراتنا من إطار الإيمان بالروح
مطلقا animistic إلى إطار الإيمان بآله واحد
monotheistic .

وقد تهيأت مادة البناء من إعادة التعبير عن
المفاهيم الأولى مع إضافة النظم العملية للذكر
والصلاة ، ويعطينا الترتيب الزمنى للفرائض
الدينية ، وما يزيد عليها من تطوع صورة
كاملة لغراس التجربة الدينية ، وكان العابدون
فى تطوعهم يسمعون جاهدين كى تعلق بقلوبهم
وأرواحهم شيئا من بصيرة النبي الملهمة
وشيئا من تجربته . ومن هنا يمكن أن نقرر
آمنين أن مثل هذه الميول كانت نتيجة
طبيعية لغريزة العادات الدينية عن طريق
المسلمين الأوائل .

وكانت النتائج السلبية التى استثارها
الإسلام فى أذهان معتنقيه الأوائل ترجع
إلى عاملين فى حياة الفك ، أولهما شعور
مبالغ فيه بالخطيئة ، وثانيهما خشية غامرة



معايشة أبي العلاء للنحاة

للأستاذ كامل السيد شاهين

١ — طاب لأبي العلاء أن يعيث بالنحاة عبثاً طريفاً، شاع في رسائليه، رسالة الغفران ورسالة الملائكة.

وأبو العلاء على تعدد قدراته، ليست بضاعته النحر، وإنما بضاعته اللغة، والشعر والآثار والأخبار، فإذا منح منها منح من بئر ثراوة، لا تزيد على الاستقاء إلا فورانا.

فأما تعرضه للنحاة في رسالة الغفران فهو أشبه بالخواطر الساخرة، تلوح له في أعراض القصيدة فيسجلها عفواً من غير قصد ولا إمعان في التقصى.

وأبو العلاء مع النحاة ليس على حال واحدة.

فأنت تراه أحياناً يبدي عدم ارتياحه للرأى، دون أن يكشف عن رأيه، ودون أن يوقفنا على السبب في عدم ارتياحه... ثم يمضى تاركاً لك سؤالين تضرب في الجواب ههما ما شئت... لماذا هزى أبو العلاء بهذا الرأى؟ وما الرأى الذى ينبغى أن يصار إليه؟

ترى ذلك إذ يصور لك ابن القارح جانلاً

في الجنة محتاجاً للحديث عن الشعر والرواية والنحو فتلقي عدى بن زيد العبادى فيقول له:

لقد هممت أن أسألك عن بيتك الذى استشهد به سيديوه، وهو قولك:

أرواح مودع أم بكور

أنت، فأنظر لآى حال تسيّر

فإيه زعم أن (أنت)، يحـوز أن ترفع

بفعل مضمر يفسره قولك (فانظر). وأنا

استبعد هذا المذهب، ولا أظنك أردته.

فيقول هدى بن زيد - وقد شغل بلذائذ

الجنة وأطايها - دعى من هذه الأباطيل:

فالمعرى ههنا قد أراك رأى سيديوه وأراك

أن رأى سيديوه رأى قائل ولكنه لم بوضع

داعية رفضه لهذا الرأى، ولم يبد من لهته

رأياً يخرج عليه إعراب هذا الضمير.

وأحياناً يضيق على الشاعر المسلك، فينقض

عليه كل ما يعن من تخريج كما فعل في الحديث

مع بشار عند ما تخيله في سواء الجميم، فتج

الزبانية عينيه بكلايب من نار، ليرى هول

ما ينزل به من العذاب.

وذلك إذ يقول له بلسان ابن القارح:

لقد أعجبنى قولك فى أرجوزتك :

والحر يلجى ، والعصا للعبد

وليس للبلحف مثل الرد

بيد أنك جئت فى إحدى قوافيها
بكلمة (السبد) .

فإن كنت جعلته جمع (سبد) وهو طائر
فإن (فعلا) لا يجمع ذلك الجمع وإن كنت
سكنت الباء تخفيفا عن فتحها ، فقد أسأت
لأن تسكين الفمحة غير معروف .

فيقول بشار ، وهو فى التذيع العذاب يا هذا
دهنى من أباطيلك ، فإنى عنك مشغول ١ .

وما كان اقراض أبو العلاء هذين الفرعين
وملاحظاته لبشار فهما إلا ترديدا لتخريج
النهضة فى كلمة (السبد) وأخذنا للطريق
عليهم فى كلا التخريجين .

وقليلا ما يعنى أبو العلاء فى رسالة الغفران
بتوقيف القارىء على رأيه كما فعل حين تخيل
ابن القارح يلقى لبيدا فى هرصات الجنات ،
وفى يد لبيد يحجن من ياقوت ، فيقول له
ابن القارح فيما يقول :

أخبرنى من قولك فى ميميتك المعلاة :

تراك أممكة إذا لم أرضها

أو يرتبط بعض النفوس حمامها

هل أردت ببعض معنى كل ؟ فيقول لبيد :

كلا ! إنما أردت نفسى ، وهذا كما تقول

للرجل إذا ذهب مالك أعطك بعض الناس

مالا ، وأنت تعنى نفسك فى الحقيقة .

وظاهر هذا الكلام واقع على كل إنسان ،

وهل كل فرقة تكون بعضا للناس .

فيقول ابن القارح : أخبرنى عن قولك :

(أو يرتبط) هل مقصدك لم أرضها أو لم يرتبط ،

أم غرضك أترك المنازل أو يرتبط فيكون

(يرتبط) كالحمول على قولك : تراك أممكة ؟

فيقول لبيد : الوجه الأول أردت .

فهنا ترى أبا الصلاء يقف على رأيين

للنهضة فى إعراب يرتبط ، أهو معطوف على

أرضها مسلط عليه ما تسلط عليها من النفي ،

أم معطوف على تراك المنازل منزلة أترك ؟

فيقتصر للرأى الأول ...

ولكنه مع ذلك مقصد ، لأنه نصر الأول

بلا حجة ، وخذل الآخر بلا تفنيد .

ولقد يعتمد أبو العلاء على تصحيح رواية

والإشارة إلى فساد أخرى ، وفساد ما تبعها

من تخريج نحوى

فيتخيل ابن القارح فى المحشر بيده صك

التوبة ، فيرى شيخا له كان يدرس النحو

فى الذار العاجلة يعرف بأبى على الفارسي ،

وقد امترس به قوم يطالبونه ، ويقولون :

تأملت حليفا ... ظلمتنا !

فما إن يراه أبو على حتى يشير إليه ...

فإذا عنده طبقة منها يزيد بن الحكم الكلابى ،

وهو يقول : ويحك ! أنشدت قولى :

فليت كفاقا كان خيرك كله

وشرك هنى ما ارتوى الماء ما ارتوى

فما بعده داخل في هذا الزعم . وصار قولي :
زعم الهام ، بمنزلة قولي : قال الهام : فهذا
أسلم ، إذ كان الملك إنما يحكى عن نفسه .

٢ - ولئن كان أبو العلاء لم يمعن
في التفصيل وتشقيق القول في رسالة الغفران ،
جنوحاً إلى عدم الإملال ، وإشارة للتنقل بين
فنون الأدب ، وعدم الإنقال بالوقوف عند
ضرب بعينه ، ورغبة في سرعة العرض كما
هو شأن المسرحيات الجياد ، إن أمره لم
يكن كذلك في رسالة الملائكة .

فهو قد بناها على أمور تتملق بالصرف
وموازينه بخاصة ، وتناول فيها الزيادة
والقلب بوجه أخص ، في شيء من التفصيل
الذي يبلغ أحياناً حد الإغراق .

ولكنها كرسالة الغفران قائمة على الخيال
ومسرحها الدار الآخرة .

فعند ما يحضره ملك الموت يناقشه في وزن
(ملك) ، وفي أصله من الاشتقاق ، وهو
مالك ، ويأخذ في الاستدلال على أن به قلباً
مكانياً يجمعه على (ملائكة) ، إذ كانت
الجنوع من شيمتها أن ترد الأشياء إلى أصولها .
وعند ما يلقي منكرأ ونكيراً يحاول أن
يشغلها عن أمره فيسألها لم كان اسمها
عريين وسائر أسماء الملائكة أعجمي ، فإذا
لم يجد رقة ، حاجها بوزن موسى كليم الله
ثم سألها عما بأيديهما ، فإذا قالاً (أرزبة)

برفع الماء ، ولم أقله إلا بالنصب ! .
وكذلك رويت قولي :

تبدل خليلي بي كشكلك شكله
فإني خليلي صالحاً بك مقتوى
بفتح ميم (مقتوى) ، وأنا عدوت الضم .
وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومونه
على تأويله .

فيقول ابن القارح : يا قوم ! إن هذه أمور هينة ،
فلا تصنعوا هذا الشيخ ، فإنه ماسفك لكم دماً ،
ولا احتجن عنكم مالا ... فيتفرقون عنه .
أفلا ترى أبا العلاء يغير إلى جنوح أبي علي
الفارسي إلى التأويل ، وإلى إسرافه فيه
إسرافاً يجعله على الاعتساف ، حتى ليتخرج
به الاعتساف إلى حد لا يخطر للشاعر ببال .
وما يتصل بتصحيح الرواية أنه تحمّل
ابن القارح وقد لقيه النابغة ، فسأله ، كيف
ينشدون قولي في المتجردة :

وإذا نظرت رأيت أزهر مشرقاً ...
وما بعده ؟

فيقول ابن القارح : ينشد : وإذا نظرت .
وإذا لمست .. وإذا طعنت .. على الخطاب .
فيقول النابغة : قد يسوغ هذا ، ولكن
الاجود أن يجعلوه إخباراً عن المتكلم ،
لأنني بدأت بقولي :

زعم الهام بأن فاهما بارد
هذب مقبله شهى المورد

رسالة الملائكة على البيان الشافي وبناء رسالة
الغفران على الاستعراض الوحي .

وانتصار أبي العلاء في مواقف المجادلة ،
يقوم أحيانا على اتساع الرواية ولطافة ،
الفكر ، ولقد يكون لإمام النحاة سيويوه هو
الغرض المقصود لأبي العلاء إذا رمى .

ترى ذلك في مشهد يقوم فيه (رضوان)
دون باب الجنة ، ويجتمع لديه جماعة من
المتعاطلين للنحو والتصريف ، قصرت بهم
أعمالهم عن دخول الجنة ... فوقفوا يحتالون
لأنفسهم حتى أن تنفع الحيلة .

فمرة ينادون رضوان بقولهم (يا رضو) ،
وأخرى ينادونه (يا رضو) ، فإذا التفت
إليهم ، قالوا له : نحن نسألك أن تكون
واسطتنا إلى أهل الجنة ، فإنهم لا يستغفون
عن مثلنا ، وإنه لقبيح بالعبد المؤمن أن
ينال هذه النعم ، وهو إذا سبغ الله لحن ،
ولا يحسن بساكن الجنان أن يصيب من ثمارها
في الخلود ، وهو لا يعرف حقائق تسميتها .

ولعل في الفردوس قوما لا يدرون ،
أحرف (السكثري) كلها أصلية أم بعضها
زائد . ولوقيل لم ما وزن كثري على مذهب
أهل التصريف لم يعرفوا (فعلى) وهذا بناء
مستفكر لم يذكر سيويوه له نظيرا .

ثم يستفكر أن يصيب المؤمنون من
سفرجل الجنة ، وهم لا يعلمون كيف يكون

أعنتها بسؤالها : أمى بتخفيف الباء أم
بتثقيفها ، وهل يكون جمعها على التخفيف
أو على التثقيف .

فذلك إذ يقول في الحديث عن لقاء
منكر ونكير .

فإن غشى على من الخيفة ، ثم أفقت ،
وقد أشار إلى الإريزية ، قلت : تثبتنا
رحمكا اقه !

كيف تصفون الإريزية وتجمعاها جمع
التكسر ؟ .

فإن قالوا : إريزية ، وأرازب بالتشديد .
قلت : هذا وهم ، وإنما ينبغي أن يقال إريزية
وأرازب بالتخفيف .

فإن قالوا : كيف قالوا علاين في جمع علماء
فشددوا ؟

قلت : ليست الباء كغيرها من الحروف
فإنها وإن لحقها التشديد فيها عنصر اللين .

فإن قالوا : أليس قد زعم صاحبكم عمرو
ابن عثمان المعروف بسيويوه أن الياء إذا
شدت ذهب منها اللين ؟

قلت : قد زعم إلا أن السماع عن العرب
لم يأت فيه نحو ما قال إلا أن يكون نادرا قليلا :

فهو هنا يجادل من رأيه في جمع الإريزية
وتصغيرها بالتخفيف ، وهو هنا يفسح

الجال للمعارضة ويبدط رأى المعارضين ،
وينتهي معهم إلى موقف خاص ... لأن بناء

وأخرى أنت من دون نعم ومثلها
نهي ذا النهي لو يرهوى أو يفسر
فإن ادعى سيبويه أن أخرى معدولة
من الألف واللام ، فهلا سلك هذا السبيل
في حسنى وأخواتها ؟

— ٣ —

وبعد : فهل كان أبو العلاء يقناول هذه
القطعات الصرفية الطاريفة ، تعالما ، وذهابا
إلى الإغراب على الناس في العلم ، على شاكاة
إغرابه عليهم في اللغة والأدب والأخبار ؟
أم أن ذلك كان استجابة - كما زعم ، وكما يزعم
كل من يتعاطى التأليف - لسؤال سائل ملحف
أم أنه كان رياضة للذهن وإدلالا بالمعرفة ،
وامتحانا للسوس كما قال في مقدمة السقط ؟
مهما يكن من شيء ، فإن أبا العلاء
قد سلك في تعليم هذه الغرائب الصرفية
والنحوية والأدبية التي لا تخلو من جفاف
يفض به القارئ ، ويعي به ذهن اللقن . .
طريقة القصة الخيالية الشائقة التي تنفي الملالة ،
وتندى القارئ ، نفسه حتى يأتي على سائر
ما في الرسالة .

وهذه أمتع طريقة في التعليم ، وما كان
يظن أن تطوع هذه الطريقة حتى تستخدم
في غرائب التصريف .

ولكنه أبو العلاء ؟

كامل السير شاهين

تصغيره وجمعه ولا يدرون أمن الجائز أن يشتق
منه فعل ، أم أن ذلك من الحرام الخبيث .
وكذلك أمر (السندس) قد تجد في الجنة
من يقرشه ويعاؤه ، وهو لا يدري - بعد -
أوزنه (فعل) أم (فعمل) .

وكم من مستظل بشجرة (طوبى) ، ويجتن
ثمارها آخر الأبد ، ولا يدري أمن بنات
الوارى أم من بنات الياء ؟
ثم يطيب لأبي العلاء مناوشة سيبويه ،
فيقول :

وقد زعم سيبويه أن (الفعل) التي تؤخذ
من (أفعال منك) لا تستعمل إلا بالألف
واللام أو الإضافة . تقول هذا أصغر منك ،
فإذا رددته إلى المؤنث قلت : هذه الصغرى
أو صغرى بناتك . . ويقبح عنده أن يقال
صغرى بغير إضافة ولا ألف ولا م .

وعلى الإضافة جاء قول سميم ؟
ذهبن بمسواكى ، وغادرن مذهبا

من الصوغ في صغرى بنان شماليا
وعلى الألف واللام جاء في الكتاب
المعزى وصدق بالحسنى ، فسيسره لليسرى ،
فسيسره للمسرى لأنها أئى (أفعال منك) .

ولكن أبا العلاء يشكك على سيبويه
بقراءة بعض القراء : وقولوا للناس حسنى ،
لما أن تعذب ولما أن تتخذ فيهم حسنى ،
بغير تنوين ، وبقول عمر بن أبي ربيعة :

نسمات الأندلس في ربوع النيل

للمؤلف: الأستاذ محمد رحب البيرمي

علماء مسلمون يؤدون أشرف واجب في أظهر مسكن لهم واجب الرعاية والإجلال وبهم تزدهر المعرفة ويستفيد الطلاب .

وقد كانت الأندلس أحد هذه الجداول التي تصب في محيط القاهرة ، إذ كانت الرحلة من المغرب إلى المشرق لا تكاد تنقطع ، وفي الراحلين من يرتشف ويرجع ، ومنهم من يؤثر البقاء حيث يستريح وقارىء نفخ الطيب يقف على كثير من تراجم هؤلاء النازحين ، وهم من الكثرة بحيث يسجلون اعترافاً صارخاً بعلم المشرق وأستاذيته ، ويطول بنا القول لوعرضنا لأشهر مشاهيرهم فضلاً عن عامتهم ، ولم تكن الرحلة إلى مصر والإقامة بها مقصورة على عهد السلاطين من المماليك بل كانت من يوم أن فتحت الأندلس ولكن العصر المملوكي بالذات قد كتب له أن يشهد مغرب الأندلس وما سبقه من إرهاصات منذرة توحى بالكارثة المتوقعة ، فدعا ذلك إلى ضرورة الرحلة وجذب علماء الأندلس إلى مصر ، فلاقوا رحباً فسيحاً وسهلاً مريحاً ، ووجدوا أهلاً بأهل وإخواناً بإخوان ... ولئن اكتفى بعض هؤلاء بالإقامة في دمشق دون مصر

حفظت مصر الثقافة العربية بعد سقوط بغداد إذ كان النصر السياسي الذي اكتسبه المماليك بعد موقعة عين جالوت مدعاة إلى هجرة كثير من العلماء من شتى الأماكن شرقية وغربية إلى القاهرة . لأن قيام الخلافة العباسية بها - ولو على وجه صوري - قد جعلها تأخذ مكان عاصمة الرشيد ، فيهرع إليها الناس من كل حدب ، وقد وجد العلماء من رعاية السلاطين ما بعث فيهم الرضا والحمد ، ففي كل حي مسجد ولكل مسجد أوقاف وأحباس ، وله مدرسون وطلاب ، وكتب وأوراق ، وكتب التاريخ تحصى هذه المساجد ذات الصبغة العلمية والدينية معاً ، وتفيض في ذكر من يدرسون العلم بها على اختلاف فروعه من فقه وتفسير وحديث ونحو وصرف وبلاغة وأصول وقرائن ومنطق ، كما تتحدث عن مشاهير العلماء من أئمة القول في الدين واللغة ، ومنهم الغزنوي والصقلي والمصري والمذني والعراقي والآمدي والارزلي والمقدسي والشامي والخراساني والمغربي والطوسي والناقلي تعرفهم بأسمائهم كما تعرفهم ببلجاتهم وطباعهم إلا أنهم في نظر الحكومة المصرية إذ ذاك

فإن التأليف فيها لم يأخذ سبيلا عليا امتدا على نهج شارح إلهند الأندلسين ، وسبب ذلك أن بعض جنود المنصور بن أبي عامر كان مثقفا عالما بالقراءات ثم ولى إمارة دانية والجزائر الشرقية فبذل جهده في نشر هذا العلم تقربا إلى الله وإشباعا لرغبته العلمية فنفقت لديه سوق القراءة كما يقول ابن خلدون ص ٤٣٧ من المقدمة - وظهر بعده أفذاذ دونوا العلم على نطاق شامل ، بحيث تضاعل جواره ما سبق أن كتب عنه شرقا وغربا وأبرز هؤلاء الأفذاذ هو الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني صاحب كتاب التيسير ، وقد كان شيخ مشايخ المقرئين بالأندلس رحل إلى الشرق وتخصص في العلوم الدينية إذ ألف في الحديث والفقه والتفسير والقراءات تاركا مائة وثمانين مصنفًا كما يقول مؤرخوه ، وأحدها كتاب التيسير في القراءات السبع وقد نشره العلامة د برتزل ، أحد أعضاء لجنة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية سنة ١٩٣٤ ، وصدوره بمقدمة جيدة أشار فيها إلى منزلة علم القراءات من العربية والإسلامية وهي منزلة عالية تحتاج اليوم إلى تأكيد وقر في أذهان بعض المثقفين لدينا في هذا العصر أن هذا العلم وقف على بعض المنقطعين لتلاوة القرآن فقط وفيهم أميون حفظوه دون أن يفهموه وهذا خطأ

فقد كانت مؤلفاتهم تطير إلى القاهرة سرورا لتلقى نصيبها من الرواج فهم عنها غير بعيد كابن مالك ومحي الدين ، وإذا كانت الثقافة الإسلامية متقاربة متشابهة تأخذ منحى واحدا في التأليف والصياغة وبخاصة في عصور التقليد والمحاكاة - إلا ما ندر من أفذاذ أمثال يعدون هذا - فقد يصعب علينا أن نفرز تأثير الأندلسيين في الثقافة العربية المصرية إذ أن مؤلفاتهم في الأعم الأغلب نسخ متشابهة من مؤلفات إخوانهم سواء من رحلوا إلى مصر من المشرق أو من رحلوا إليها من المغرب ، ولكننا على الرغم من ذلك كله نلصق تأثير الأندلسيين بارزا في فروع خاصة من فروع الثقافة العربية إذ ذلك لأن جهدهم كان من الفروع والاشتهار بحيث يدل على نفسه ، وقد رزق من الخطوة والإقبال ما جعله بارزا جديرا بشير بتأثيره ، وإذا كان هؤلاء الراحلون الفضلاء قد كتبوا في كل علم تقريبا ، فإن من هذه العلوم ما تأثر بتأليفهم تأثرا واضحا بل منها ما كاد أن يصبح وقفنا على دراستهم ، هم أهل وأصحابه ، ولا يستغرب القارئ ذلك ، فعلم القراءات مثلا يكاد يكون أندلسيا إذا نظرنا إلى الكتب التي سبقت إلى تسجيله ، ثم أقاضت في شرحه ، وسنبدا بإيضاح ذلك فنقول . إن كانت القراءات سبعة أو عشرة مشرقية

لطائفة واستخراج حقائقه ثم اعتمد على القراءة الوحيدة التي يجدها أمامه دون التفات إلى غيرها فقد أغفل أمرا ذا بال .

أصبحت الأندلس إذن مركزا أساسيا لدراسة القراءات في ديار الإسلام ونشأ من أبنائها من سبقوا إلى التأليف فيها عن دراية وأحكام حتى نبغ القاسم بن فهمر بن خلف الشاطبي وكان كفيفا منذ مولده فانصرف إلى دراسة القراءات مع غيرها من علوم النحو واللغة والأدب وكان قوى الحافظة لدرجة تستغرب بحيث أصبح يصحح النسخ المكتوبة من الموطأ والبخاري ومسلم إذا تليت عليه من حفظه ثم يعقبها بشروح وافية واثقة وكان عزيز النفس بعيد الهمة عرضت عليه الخطابة بالمسجد الجامع في بلده فأنف وتأنى لأن الأحكام يلزمونه مديح الملوك والرؤساء في الخطبة الشافية وهم ظلمة لا يجوز أن يذكروا بالخير في مثل هذا الموقف الجليل ، فأظهر الرغبة في الحج ونزح إلى مصر ، وسمع بالإسكندرية على الحافظ السلفي ثم عين للإقراء في مدرسة القاضي الفاضل بالقاهرة وتصدر لدراسة القراءات والنحو واللغة فبلغ شأوا بعيداً من العظمة والمهابة حتى كان الناس يتراحمون في حلقة ازدحاما يصل إلى القشابك والتناحر حرصا على الدخول من مكانه ! وقد ترك فيما ترك

واضح ، لأن علم القراءات في العربية هو علم الإلقاء في معاهد أوروبا يتحدث عن مخارج الحروف ويميز الأصوات ووسائل النطق الصحيح ! ولو قدر له أن يأخذ دوره الطبيعي في التطور لأصبح ذا أثر هام في إعداد الخطباء والمذيعين بعد أن توضع الخصائص المميزة للترتيل والتلاوة فيما يختص بالقرآن فلا تشكو اليوم عن يميلون بالحروف عن مواضع جاهلين أو متجاهلين .

أما الأستاذ برتزل المستشرق الألماني فهى لم علم القراءات من الخطر ما وضحه بقوله في مقدمة الكتاب بتصرف - : إن البحث في مخارج الحروف والاهتمام بضبطها على وجوها الصحيحة لتيسير تلاوة القرآن على أفصح وجه وأبينه كان من أبلغ العوامل في نهاية الأمة بدقائق اللغة العربية الفصحى وأسرارها ، وكان ثمرة هذا الاجتهاد أن القراء تشربوا مزاي اللغة العربية وقواهدا ودقائقها ، وما يؤيد ذلك أن الكثيرين من قدماء النحويين كانوا مبرزين في علم القراءة كما كان الكثيرون من أئمة القراء كآبي عمرو والسكسائي بارعين في علم النحوفعل كل من يتصدى للنظر في تاريخ اللغة العربية ودرس المسائل التي تناوَلها كتب النحويين واللغويين والمفسرين أن يتبع علم القراءات والتجويد ومن شرع في درس معاني القرآن واستقصاء

في هذا الفن كان من الخلود والذويج بالحمل
الأول لم تكن مبعدين .

وتذكرنا منظومة الشاطبي بأخت لها في
النحو والصرف نالت شهرتها الذائعة في بابها
وهي ألفت ابن مالك الأندلسي المصممة
بالخلاصة فقد كان لها من التأثير العلى منذ
العصر المملوكي إلى هذا الوقت ما لم يتح
لثوائف نحوي آخر ، ولم يكن ابن مالك
مجدداً في علمه ولكن ضابطاً وحقيد وشارح
لأن كتاب سيويه في النحو لم يجد من أئمة
النحاة بعده من يشغل باله بمعارضته ،
بل أصبح إماماً يرجع إليه وهادياً يستنار به
وقصارى المؤلفين من لدنه أن يلوا
بموضوعة أو يشرحوا غوامضه ويفصلوا
بجمله ، وقد عرف باسم (الكتاب) لجلاله
وكان يقال لمن درسه لقد ركب البحر
استعظاما وإجلالا ، وقد رحل ابن مالك
من الأندلس إلى دمشق وهي يومئذ تحت
سلطنة المماليك فسمع الحديث بها وأخذ
العربية عن غير واحد واعتمد في قراءة
كتب الأقدمين على نفسه وهذا مما حير به
منافسه أبو حيان الأندلسي نزيل مصر أيضا
وصاحب التأليف الذائعة الجبهة في النحو
والتفسير ، واللغة ، والقراءات ، وقد ألف
ابن مالك كثيراً ، وعارض الشاطبي بمنظومة
في القراءات قال فيها :

منظومته الشاطبية التي يتناقلها الناس إلى الآن
مكبرين مرددين وقد قال عنها ابن خلكان
لقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهي عمدة قراء
هذا الزمان في نقلهم ولا يشتغل بالقراءات
أحد حتى يحفظها . وقد ظلت كذلك من عهد
ابن خلكان إلى وقتنا ، حتى رأينا أكثر
قراء الريف المصري يحفظونها ويسمعون
جاهدين إلى من يفك رموزها ، ويوضح
مغاليقها ، ومنذ ألف الشاطبي منظومته وهي
عمدة التأليف في هذا الفن وقد كتبت عليها
شروح مستفيضة على توالي العصور نذكر هنا
بعضها لنشير إلى أثر هذا الأندلسي الجدير
في ازدهار هذا العلم وانتشاره وأول من
شرحها تلميذه أبو الحسن السخاوي بشرح
أسماء فتح الوحيد في شرح القصيدة ثم أبو شامة
المقدسي في كتابه إبراز المعاني وبرهان الدين
الجمعي في مؤلفه كنز المعاني وشروح أخرى
لشهاب الدين بن عبد الدائم الحلبي وجمال
الدين السيوطي وشهاب الدين القسطلاني
ونفر غيرهم لا يحصون ، أشار إلى بعضهم
حاجي خليفة في كشف الظنون ، كما قام
باختصارها ابن مالك النحوي في قصيدته
حوز المعاني في اختصار حرز الأمانى وقام
بأكملها أحمد بن علي المحلى شيخ القراء بالقاهرة
 وغيره من المشاهير فإذا قلنا أن علم القراءات
كاد أن يكون أندلسيا وأن أثر الشاطبي بمصر

ولا بد من نظري قوافي تحتوي لما قد حوى حرز الأمان وأزيدا فن بين مؤلفاته : الفوائد والمستهل وسبك المنظوم وشرح مقدمة الجزولي وشرح المفصل وعدة اللاقط والتعريف وشواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح ومن بين منظوماته الكافية الشافية في ثلاثة آلاف بيت ، ونظم الفوائد ونظم لامية الأفعال والأعلام في مثلث السلام ! أما منظومته الخالدة فهي الخلاصة المعروفة بالألفية ، فقد أذاعت ذكر ابن مالك على مدى الاحقاب ، وخدمت بالشروح والخواشي والتقريرات ! ولذلك كان تأثيرها العلمي بارزا يذكر للأندلس ، وقد يكون لغير ابن مالك من مؤلفي المتن النحوية نظما ونثرا أفضل منها ، ولكن البحث هنا عن الأثر والتأثير ، والثابت المشاهد أن ألفية ابن مالك تركت دويا صاخبا في دنيا الشروح والنثا ايفالم يتركه ، فن نحوي آخر ، ومن شراحها السيوطي وابن الناطم وابن حنبل ، وابن هشام ، وابن الصائغ واكمل الدين البارق ، وماظر الجيش الحلبي وعبد الرحيم الأسنوي ! هذا غير الخواشي المستفيضة التي كتبت على كل شرح والتقريرات الهامة التي ألحقت بكل حاشية ! وكلها تدور حول ألفية ابن مالك ! وقد نظمت ألفيات أخرى لغير ابن مالك ولكن لم تحظ بمنزلتها ، وربما كان لوضوح الخلاصة وسهولة صياغتها أثر في ذلك ، ولكننا نرى منظومات ابن مالك الأخرى تشاركها هذا الوضوح ، ولم تحظ بمشارحة حظيت به بما يدل على أن الاشتهار حظ مقسوم ، ولئن كان الشاطبي وابن مالك كلاهما محافظا مقلدا في تأليفه ، وناقل صائغ في نظمه ؛ فإننا لا نبجح هنا عن الابتكار ، ولكن نشير إلى التأثير ، وقد بلغت مؤلفاتهما التقليدية في مجال التأثير والسيطرة ما لم تبلغه مؤلفات المجددين من أمثال ابن مضاء ! فوجب أن نشير إلى دورهما الكبير في الثقافة العربية فلا نبخس أحدا فضله في ميزان التقدير .

وإذا ذكر تأثير الأندلس في مجال ما من مجالات التأليف العلمي بالعصر المملوكي وما لا يسعه من قبل ومن بعد ، فلا بد أن يذكر التصوف ، إذ أن الأندلس قد أمدت الشرق بفكر كبير من أعلام المتصوفين قادوا حركات ووحية واسعة ، وشقوا شعابا رحيبة ، وتركوا مذاهب وآراء ومؤلفات تسيّر مسير الشمس في القرون المتوالية ، دون أن يغرب لها شعاع ، بل أن بلدة واحدة بالأندلس هي (مرسية) أمدت الشرق بأفئذ متصوفين رحلوا إليه فشغلوا به وشغلوه ، وحسب مرسية أن يكون من نجباتها أبو العباس المرسى ، وبجي الدين بن هري

تليذه الكبير ابن عطاء الله السكندري من ناحية ، أما مجالس وعظه فاحفظه لنا المقرئ منها في نفح الطيب ، يدل على ذوق الصوفي العارف ولطافة حسه ، رقيقة منجاء ! فهو مثلاً يقول في تفسير الحمد لله رب العالمين : **«حلم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه في أزله ، فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمده بحمده ، ويقول في تفسير إياك نعبد وإياك نستعين : إياك نعبد شريعة ، وإياك نستعين حقيقة ، إياك نعبد لإسلام ، وإياك نستعين إحسان ، إياك نعبد عبادة ، وإياك نستعين عبودية ، إياك نعبد فرق ، وإياك نستعين جمع ومن أقواله المختارة : الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة ، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا ، الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه والعارف غريب في الآخرة لأن روحه عند الله ... هذه الدقة الرفيعة اللطيفة في التأويل والتفسير كانت الملهم الأول لابن عطاء الله السكندري في الحكم بحيث شرب التليذ من روح أستاذه ، وأصبح من المنسحقين الشديد تمييز كلا الإنتاجين ونسبته إلى واحد منهما ! وقد أحدثت حكم ابن عطاء الله السكندري دويماً الشديداً فكانت مجال الشرح والتفسير والدراسة منذ تأليفها إلى الآن ، حتى كان المفتي الأكبر (الشيخ محمد بن حيت المطيعي) يلقي دروسه بجامع الحسين**

وابن سبعين ! وكل واحد من هؤلاء أمة وحده ! ومن الطريف أن أثر أبي العباس في مصر كان مضاداً من وجهته الصوفية لأثر محي الدين ابن عربي ، ولكن كليهما قاد جماعة وجدد دراسة وحدد اتجاهها ، وأحدث تأثيراً ، ولإيضاح ذلك عن أبي العباس المرسى نذكر أنه كان تليذ أبي الحسن الشاذلي وترجمان أفكاره ، وجامع صحابته وأستاذ حلقته ، وخليفته من بعده ! لم يترك أبو العباس مؤلفات قائمة بذاتها ، ولكنه ترك أقوالاً تنبئ عن معدنه ! وقد جاء دوره بعد أن عمّت آراء الغزالي في التصوف وأصبح الفقهاء من أهل السنة متصوفين بعد أن كانوا حرباً على الصوفية ! وصار الإحياء كتاب تصوف أخلاقي يهدي السبيل إلى الله بعيداً عن شطحات الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ! يقول صاحب نفح الطيب عن أبي العباس : **«إن قبره بالإسكندرية مشهور بإجابة الدعاء وقد زرته مراراً كثيرة ودعوت الله عنده بما أوجو قبوله ! ولو رجع المقرئ اليوم إلى الحياة لوجد مسجد أبي العباس أعظم مسجد بالإسكندرية . ولشاهد من تعظيمه وتبجيله في القرن الرابع عشر الهجري ما شاهد قبل ذلك حين النفس القبول لديه ! وقد ظهر أثر أبي العباس العلوي في مجالسه الوعظية من ناحية وفي مؤلفات**

أما يحيى الدين بن عربي فقد أحدث تأثيره الصوفي في الدراسات المملوكية لآرائه الحاطرة في وحدة الوجود إذ أن تصوفه الفلسفي قد قاده إلى مضائق حرجية تدق على العامة. وتهتف بالشواثر أن تهب على عقيدته !! فأفردت مؤلفات كثيرة لشرح أفكاره ما بين مؤيدة ومعارضة .

ومات الرجل والصخب لا يكاد ينقطع حوله في كل قرن ، حتى اضطر الشعراني أن يحذف من كتبه فصولا كثيرة يعتقد أنها مدسوسة عليه لأنها لا توافق ما عليه أهل السنة والجماعة من المسلمين ؛ وهذا شغل باله من الشعراني ، لأننا لو أجزنا لأنفسنا أن نحذف من كل مؤلف مالا يوافق النظرة الجماعية في عقيدة من العقائد ، لجمت كتب المذاهب العقلية والدينية نسخا متشابهة ؛ ومن يدرى لعل فيما حذف ما فهم على غير وجهه ، أو ما يجب أن يكون مثلا للتطور الذهني شاذا أو مستقبيا إذ أن من البعيد أن يكون صوفي خطير كحمى الدين ، موافقا لأهل السنة والجماعة في كل شيء ، ومن المسلم به أنه على اختلاف القوم في اتجاهه قد أمتع التصوف بأدب فذ فريد وزاد كتب الصوفية ثروة وعمقا حتى قال عنه الدكتور زكي مبارك في التصوف ١٢ ص ١٧٩ : أنه راض اللغة على الجري في شعاب مجهولة ، وانطلق يتحدث عن فروض غيبية جلاها قلبه في معارض شائقة

في رمضان شارحا لها ومفسرا ، هكذا يقول الدكتور زكي مبارك في التصوف الإسلامي ، والشيخ بخيت فقيه كبير يحفظ أقوال الفقهاء في مذهب أبي حنيفة ، ولكنه كما تشهد مؤلفاته - لم يكن ممن يستطيعون السج مع ابن عطاء ، فكيف جاز له أن يتخذ من حكمه مجالا للدراسة والتفسير ! من يدرى لعله اعتمد على شرح الرندي أو الشرقاوي أو ابن عجيبة أو أحد شروح الحكم ، وهي كثيرات تختلفات ! لقد كان من آثار أبي العباس ، وتلميذه ابن عطاء بعد جهاد الغزالي أن أصبح علماء الفقه ينتسبون إلى طريقة صوفية يحرصون على ذكرها عند التعريف بهم ، فيقولون مثلا فلان المغربي المالكي الأشعري الشاذلي ! ومعنى ذلك أن الطريقة الصوفية وجدت أتباعها من بين أعلام الفقه والقشريع ! بل إن كثيرا منهم يتحدث في مؤلفاته الفقهية عن العبادات والمعاملات والحدود ثم يختمها بأبواب صوفية تتصل بالمريد وآداب السلوك !! وقد ظل ذلك متداولا حتى العصر الحاضر ؛ إذ رأينا الشيخ محمد أمين السكردى النقشبندى سنة ١٩٠٨ يكتب مؤلفه (تنوير القلوب) فيفرد للتصوف صفحات تؤاخي صفحات علم التوحيد ، وفصول العبادات والمعاملات ، وهذا امتداد بعيد لتأثير الغزالي وأبي العباس .

العلمية أو التخریجات النحوية والصرفية أو التحلات البلاغية بما يغشى البيان القرآني بضباب يحول دون اجتلائه لإشباعا لرغبة مفسر قارئ بحاث ١ وهو لا ينقل نصا ما دون مناقشته كاشفا وجوه القول مما يجوز للمفسر أن يبديه من الرأي المؤيد بالحجة وما لا يجوز أن يتعرض له من الفروض والتأويلات القاصية ، ذا كرا ما دعت الحاجة فصومعا وإفية من أحاديث الرسول وأقوال الصحابة ومشيخة التابعين وأئمة الرأي في الإسلام ، وقد بدأ تفسيره بأبواب يراها ضرورية تتحدث عن فضائل القرآن وكيفية التلاوة وما يكره منها وما يحرم ، وجمع القرآن وترتيبه القراءات السبع ومصحف هثان ١ وأهل دار الكتب المصرية لمست الحاجة إليه في هذا العصر فبدأت بنشره مطبوعا في أجزاء قدر لها أن تبلغ السادسة والعشرين ، وقارته المعاصر لا يشعر أنه يقرأ في تفسير سابق كتب في عهد بعيد ولكنه يجد من قرب تناول وإشباع الفكرة ويسر العرض ، وسلامة الاستنتاج ووفرة النصوص والشواهد ما يجذبه إلى متابعتها ١

وإذا كان لكل تفسير وجهته العلمية ، فإن ميزة القرطبي الأولى هي اهتمامه بالأحكام الفقهية ، يكشف عن وجهها كما تؤخذ صريحة من كتاب الله دون التعصب لمذهب فقهي خاص ١ كما نقل كثيراً من آراء ابن عطية

فأصبحت وكأنها من الحديث المأثور ١ لقد هضم كل ما قرأ ووعى كل ما سمع ، وراح يهدير في لغة قوية عاتية لا يعيبها غير ما كان يقصد إليه أحيانا من الغموض ١

ولقد ظل العصر المملوكي مشغولا بأبن هربي فالفتاوى توجه للفقهاء عن معتقده ، والمؤلفون يخطون الكتب في نقده تارة وفي الدفاع عنه تارة ، وأظهر من حمل لواء الدفاع عنه سراج الدين البلقيني وجلال الدين السيوطي وهبد الهباب الشعرائي وأن مفكرا يحدث هذه السيرة في التنفيذ والتأييد لذو أثر كبير .

ولا بد من كلمة في مجال تفسير القرآن عن مؤلف أندلسي دام كان فريدا في اتجاهه إذ أن التفسيرات الذائعة لعهد وما يليه لم تكن على غراره ، كان هناك مجلدات تفسيرية بعضها مطبوع وأكثرها مخطوط لابن عربي والعز ابن عبد السلام وابن ظفر الصقلي وسبط بن الجوزي وناصر الدين الجذامي وتقي الدين السبكي والجلال السيوطي والوركشي والبلقيني وأبي حيان ، وابن قيم الجوزية ، والقفطي ، وابن كثير ، والعلمي ، ولكنها لا تغني غناء تفسير القرطبي ١ إذ كان ذا منحنى خاص يضيف الأقوال إلى قائمها ويضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين ويفصل آيات الأحكام تفصيلا شافيا ويوضحها بمسائل تسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها ، في أسلوب سلس لا يصدمك بالاصطلاحات

على نفاستها مماثلة لسائر المصنفات العربية
ذيوها وتقليدا فلا يجوز أن تدرج في موضوع
يبحث عن المصنفات المؤثرة بطابعها المتميز
أو بذيوها المشتهر المتعالم ، ونمثل بمؤلفات
المريسي السلي في التفسير وأشهرها رى الطمان
في تفسير القرآن وهو منظم يزيد على العشرين
من الأجزاء ، ومؤلفات أبي حيان الأندلسي
المتنوعة في النحو والتفسير وهي من الشهرة
بحيث يستغنى عن الإشارة إليها وابن القطاع
الصقلي في العروض والأدب والتاريخ وابن
ظفر الصقر في اللغة والنحو والأدب وعلم
السلام وأبي بكر الطرطوشي صاحب كتابي
فن سراج الملوك في السياسة والمختصر
في التفسير وحامل لواء السنة في محاربة
المستحدثات من البدع ، ولا ريد أن ننقل
هنا من فهارس المكتبات العربية ما يشبعنا
في هذا المجال بل نترك ذلك لمن يشغف
باستقصاء هذه الفرائد وهي قيد المتناول
هذا نمط يسير من القول في تأثير المقيمين
بالشرق من الأندلسيين في الثقافة العربية
أما لو أردنا الإلمام بتأثير الأندلسيين من غيرهم
كبن حزم وأضرابه فما أظن القلم يستطيع
أن يقف عند حد ، وحسبنا الآن أن نذكر
الأندلس أسهامها في إنعاش الحركة العلمية
والأدبية على ضفاف النيل زمنا غير قصيرا .

محمد رجب البيومي

الأندلسي ، وهو مفسر خطير ضاع تفسيره
الكبير ولم تبق منه إلا أجزاء مشتوية في دار
الكتب المصرية وقد أنثى عليه أبو حيان
وقال عنه أنه أجل فن صنف في علم التفسير
وأفضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير !
فكان القرطبي قد حفظ لنا من آثاره
ما حفظ ابن بسام في الذخيرة من آراء
ابن حيان المؤرخ ! وتلك إحدى مزايا
النقل الكثير في عهد الوراق والمخطوطات !
وقد قدم القرطبي إلى مصر وحاش بالصعيد
الأسطى في مينة ابن الحبيب ، دون أن نغره
أضواء العاصمة بل انقطع للعبادة والتأليف
في معتزله الهادي .

وإذا كانت الأيام قد حجبت تفسيره
كثيراً عن التداول فإنه الآن بعد أن طبع
طبعة راقية ممتازة بدار الكتب ، قد جاء
بدعا بين قرنائه حتى ليمعجب الفارسي لتأليف
مثله في منهجه الرائع واطراده السهل ،
واستقصائه المظلم في عصر يمج بالاعتراضات
اللفظية وتزدحم تفسيراته بأقصص !
الإسرائيلية ! وهو من هذه وتلك بعيد بعيد !
هذه إشارات موجزة إلى بعض المؤلفات
الرائدة ذات التأثير البعيد وبجوارها أخوات
كثيرات لآئمة الأندلسيين الذين قطنوا المشرق
في شتى فروع الثقافة الإسلامية ، وأسكننا
لم نشر إلى أحد منها عامدين ، حيث كانت

فجر الفكر الإسلامى فى مصر^{هند}

للأستاذ عبد الجليل شلبى

تقديم :

الفكر الإسلامى يشمل أنواعا متعددة من العلوم ، ولكننا نضع العلوم الدينية فى مقدمة أنواعه ، ونضع العقه وتاريخ التشريع فى مقدمة علوم الدين ، وفى فجر هذه الحركة من تاريخ الفكر الإسلامى بعامة ، والفكر المصرى بخاصة تواجهنا حلقة مفقودة ، أو على الأقل فترة غامضة . هى الفترة التى سبقت تكون مذاهب العقه وظهور الأئمة المجتهدين ، فى منتصف القرن الثانى ، أو قريبا من هذا الوقت نجد مذاهب فقهية ناضجة ونجد للقياس والاحتياط قواعد مميزة ثابتة ونجد فى جدل الفقهاء أسسا مستقرة تنبئ الحيرة وطول التردد أمام المشكلات ، وهى حالة كان مألوفاً أن تواجه الصحابة عقب وفاة الرسول .

هذه الحالة سبقت ولا شك بمحاولات عديدة أدت إلى هذا النضج ، ومهدت الأمة طريق الاجتهاد ، ولكنها فترة شديدة الغموض وهى فى تاريخ الفكر المصرى أشد غموضا كما سبق ، فى الحجاز والعراق والشام وجد

عدد أوفر من كبار الصحابة ، ومشهورى التابعين ، ورؤساء القبائل وكان لهم أثر ملحوظ فى أحداث السياسة وتطور الفكر فإذا تعرضنا لتاريخ هذه الفترة هناك وجدنا مددا أوسع من المعلومات . وقد كانت تلك الأقاليم مسرح الفتنة الكبرى ، وبجمل أحداثها وتاريخ هذه الفتنة يقدم لنا ألوانا متعددة من الجدل اعتمدت كلها على القرآن والأحاديث ، ومست من قرب تاريخ التشريع . ولكن مصر لم تشترك فى هذه الأحداث إلا من طرف بعيد فأثارت فيها حرب السيف وحمة التعصب ، ولكنها لم تثر شيئا من الجدل ولم تمس جوانب البحث فى الدين .

لهذا لا نجد أمامنا لدرس هذه الفترة من تاريخنا الفكرى غير كتب التراجم والتواريخ ، وهى لنا أن نتصيد من ثناياها ومن بين أحاديثها خيوطا نضم بعضها إلى بعض حتى نحصل بقدر طاقتنا على ما يوضح هذا الغموض .

ولا بد لنا فى هذه التوطئة أن نبين فى إيجاز أهم العوامل التى ميزت الفكر المصرى عن

بسمه محصلهم من حديث النبي ومعرفةهم بالقرآن ، وكان هؤلاء مرجع الناس في الفتيا ومعتمدهم في تعلم الدين ، وكان العرب الفاتحون أنفسهم يرجعون إليهم فيما يعني لهم من مسائل ، وما يجد في حياتهم من شئون . وكان من عادة الخليفة أن يرسل من هؤلاء العلماء قضاة ومعلمين لأن رسالة المحاربين الأولى هي نشر هذا الدين الجديد ، وإلى هذا الوقت لم يكن الحديث قد جمع ولا قواعد الفتيا قد استقرت فلم يكن كل واحد من هؤلاء يعرف كل ما قاله أو فعله الرسول ولا يلم بكل غوامض القرآن أو يعرف كل أسباب النزول . وكانت الرحلات مستمرة ما بين إقليم وآخر ليحصل كل راغب في العلم ما فاته مما لدى الآخرين . وكان كل من القاضى والوالى والمعلم يجهده في تطبيق قواعد الدين على المشكلات التى تطرأ له ، وقد يفسرها بوجه ينسكه عليه غيره وقد ينسكه هو ما رضى الآخرون ، ومن هنا بدأت شخصيات الفقهاء الأول تترك طابعها فى فتاويهم ، وتبعاً لتنوع المشكلات فى الأقاليم بدأت تظهر سمات مميزة للتفكير الفقهى فى كل إقليم .

ومعروف أن الصحابة لم يكونوا سواء فيما أوتوا من العلم ، ولا فى جرأتهم على التصرف فيما أوتوا منه ، ولا فى مدى قدرتهم على

غيره من أفكار البينات الأخرى والى لونت تاريخ التشريع والفكر الدينى بوجه خاص بلون يستحق أن يكون سمة من سمات المصريين . فهل مرد ذلك النهج الدينى إلى الصحابة الأولين الذين قاموا بمبادئ التعليم أم إلى المجتهدين الذين نبذوا ، قواعد المنهج لمن تبعهم من الباحثين أم إلى طبيعة الإقليم وما يتصف به أهله من طباع ثبتتها عوامل المناخ ، ومظاهر الحضارة القديمة ، وموروث العلوم ؟ لأنه من الحتم ، ولا ريب أن نلاحظ كل هذه المؤثرات وأن نلاحظ أيها أعمق من غيره أثراً وأكثر ثباتاً على مر السنين وهذه فيما أرى هى معالم الطريق أمام الباحث وسيمود منها ولا شك بقبس ، وسيجد على النار هدى .

وأوثر أن أبدأ بالبحث فى شخصيات الرواد الأول من الصحابة والتابعين ومن بعد التابعين لئلا تسلسل الأفكار وطرق التهدى والاستدلال وقد يحملنا هذا إلى الخروج بعيداً من مصر لئلا جذور الفكرة وينابيعها الأولى ولكن لا بأس بذلك مادامنا مشدودين إلى مركز معين تنتهى إليه فى خاتمة المطاف .

حينما تفرق الصحابة فى الأمصار بداية الفتوح ، وكان ذلك منذ خلافة أبى بكر كان فى كل إقليم أفراد يمتازون بالعلم ويشتهرون

ابن عباس كان يفسر ما غمض من ألفاظ القرآن بما يعرف من أشعار الجاهليين .

وهناك اختلاف أيضا فى الموقف أمام أعمال الرسول ترتب عليه اختلاف فى العبادات فكان عمر بن الخطاب يرى أن الرمل سنة فى الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فعل فى الحجة الوحيدة التى حجها وكان ابن عباس لا يرى ذلك ويقول : إن النبى فعل هذا لسبب معين - فقد كان القرشيون يظنون فى المسلمين الضعف ويقولون : أنهكتهم حتى يثرب فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم قوة المسلمين وإذن فهو حمل ليس له بعد ذلك ما يدور إليه . .

نظر أحدهما إلى حمل الرسول من حيث هو حمل وعبادة ونظر الآخر إلى علته والدافع إليه ، وهذا الاختلاف يبين لنا من جانب آخر سبب اختلاف المجتهدين فى نظرهم إلى عمل أهل المدينة - فهو عند بعضهم قاعدة وحجة لأنهم إما تابعوا الرسول فيه وإما أقروا عليه فله صفة السنية على أى حال وبعض آخر لا يعتد به لأنه من المباحات التى لا تقر ولا تمكر ولا بأس أن يخالف ؟ أو تتبع .

وفى مجال التحدث عن تأثير الشخصيات نجد ما يدعو إلى الحذر والاحتياط . فهناك

توليد فكر مستحدث ، وهلم جديد وهذا أمر طبيعى مرده إلى اختلاف الذكاء والطبائع والشخصيات وكان له أثره فى توجيه الاجتهاد .

اعتماد أمثال أبى بكر وزيد بن ثابت وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأمثالهم أن يتلقوا عن رسول الله فى طاعة وإخلاص وقلبا سألوه عن حكمة تشريع أو راجعوه فى توجيه أمر واسكننا نجد عمر كثيرا ما كان يقترح عليه ويراجعه حتى لقد تم حين يماته أن يكتب لأصحابه كتابا لا يختلفون عليه بعده فقال عمر : إن رسول الله قد غلبه المرض وحسبنا كتاب الله تعالى .

وأنكر حرفوص بن زهير - الذى ينتمى الخوارج إليه - على رسول الله - فى فصاح به أعدل يا رسول الله وأجابه الرسول ومن يعدل إذا أنا لم أعدل؟ وقال : منه أنه يخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يشكر أحدكم صلاته وصيامه بجانب صلاتهم وصيامهم ولم يرف فى هذه المراجعة ما يستتبع الخروج على الإسلام - وهذا التباين فى الموقف أمام عمل الرسول يلزمه التباين فى النظرة إلى النصوص .

وكان أبو بكر يتحرج أن يفسر برأيه آية لم يسمع تفسيرها من رسول الله ولكن

المدرسة كانت تتكون من سبعة مشهورين ولكن لم يكونوا كلهم سواء في قدرتهم على توجيه تلاميذهم - فقد رأينا ابن مسعود يتأثر بعمر دون غيره وكان كل من : هروة ابن الزبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر أشد تأثيراً بفقهاء حاشية - وكان الكثيرون حتى من أعضاء المدرسة نفسها يفضلون فقه زيد ابن ثابت - وعن هذه المدرسة أخذ جماعة من مشهورى التابعين هم الذين انتهى فقههم إلى مالك ومدرسته - فإذا رددنا فقه مالك إلى أفراد معروفين من مدرسة المدينة أمكن أن نقف على الجذور الأولى للمدرسة المصريين .

وقد فتحت مصر في زمن لا يبعد كثيراً عن فتح العراق ولكننا نجد في العراق وفي الكوفة بالذات مدرسة تعاصر مدرسة المدينة بينما تأخرت هذه الحركة في مصر أكثر من هاتين المدرستين - ومع ذلك نزل مصر عدد من الصحابة فهل تأخر هذه المدرسة يرجع إلى الأشخاص أم يرجع لأسباب أخرى ؟

هبة الجليل سلمي

أشخاص انتقل فقههم إلى بلاد لم ينزلوها وهناك أشخاص أقاموا ببعض الأقاليم - مع ما لم من علم وشخصية - ولم يتركوا أثراً ملحوظاً وربما لم يتركوا أصلاً .

فعمرو بن الخطاب ترك أثراً قوياً في فقه العراق ولم يبق هناك واسكن أثره كان من طريق تلميذه المخلص عبد الله بن مسعود - وعلى ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس أقام كل منهما بالعراق ولم يترك في فقهه أثراً أو ما تركه كان ضئيلاً ؛ لأن كلاهما شغل بشئون السياسة والحرب عن الفتيا والتعليم - وشيء آخر يدهو إلى الحيلة إزاء هذين الصحابين العالمين وهو ما أضيف إليهما من شيعه على وخلفاء بني العباس أو على الأصح من طاب لهم أن يتقربوا للعباسيين عن هذا الطريق - وقد انتقل من كل منهما آثار فكرية إلى مصر بحق أو بغير حق وصنواجهها في غير هذا الحديث .

وبما هو في حاجة إلى شيء من التمهيد من تأثير الشخصيات وهو أشد أساساً بموضوعنا ما يشيع من نسبة الفقه المصرى إلى مدرسة مالك ثم إلى مدرسة المدينة التي سبقت مالكاً وانتهى فقهها إليه - فهذه

في مسؤوليات الناقد المعاصر

للدكتور أحمد كمال زكي

ترجم الدكتور زكي نجيب محمود : فنون الأدب ، انتشاراتون ؛ فكان أمام العاملين في ميدان النقد شروح لبعض القواعد الرئيسية التي أثرت تجارب الغربيين الأدبية . والظاهر أن النتيجة كانت عكسية تماماً ، فقد تضخمت بحوثنا النقدية بغير طائل ، وبدأ كما لو كانت مدرسة الراجعي أكثر سداداً من المحدثين . حقاً ظهر محمد مندور ومن بعده هب القادر القط ، وحقاً كان إلى جانب هذين سمير القلعاوي ، ورشاد رشدي ومن يقرءون آثار الغربيين ويناقشونها ويقارنون بينها وبين ما يصدر عنه العرب ، إلا أن النقد ظل في حاجة إلى من يحدد مجاله كما ظل عاجزاً - حتى اليوم للأسف الشديد - عن استكشاف جمال الأدب كحقيقة قائمة من أجل البناء .

ماذا أقول ؟

بل بدا أن الناقد لم يعد يعرف مسؤوليته على الحقيقة ، وكأنما ضاع كل ما قدمه طه حسين ، والمازني ، والعقاد قبل أن يخلو الطريق لغيرهم من المجددين الشباب ، وظهرت مشكلات

طه حسين والمازني والعقاد قادوا حركة النقد ؛ وهم مسلحون بأسباب الثقافة العربية وبعد أن قرءوا الآثار الغربية في لغاتها ، وكان وقوفهم في الجانب الذي حاربه الراجعي ليدانوا بوجود الناقد الذي لا يدور في ضبابية الاصطلاحات . ويحاول - بعد المسامحة بالإنسانيات - أن يقوم الأثر الأدبي تقويماً بعيداً عن طلاس المديح المشرقة ، ونبالة المقصد ، ومعاظلة التركيب ، ووخامة المعنى ، ونحو ذلك مما لا يفيد إلا في الدلالة على تلاعب بلاغينا بالألفاظ .

وكان المنهج العلمي الذي اصطنعوه - وهو لا يحمل اللغة ونحوها وبياناتها - قد لفت إلى ضرورة تدريب الناقد العربي على الاتصال بالناقد الغربي ، وتم ذلك بنجاح بواسطة كتاب (١ . ريتشاردز) الذي وضعه سنة ١٩٢٤ باسم « مبادئ النقد الأدبي » . وإلى جانب هذا الكتاب الذي يستهدف ربط الإنتاج الأدبي في مجالات النقد بالتحليل اللغوي المباشر ، ترجم الدكتور محمد هوض محمد قواعد النقد الأدبي ، لأبركرومبي ، كما

وامتد يأس الأدباء من ناقدتهم إلى شيء آخر ، هو التفتات أغلبهم إلى نفر معين من المنشئين ، حتى إن كتاباتهم تظهر كأنها مكرسة لهم فقط أو مقصورة على شخص يتلامم لإنتاجه مع فكرتهم النقدية .

وهنا وجه الخطر ! ...

إننا بلغنا مرحلة فنية لا نقول فيها : إن مناهج القدماء والغربيين بدون فهم لا تصلح لها غرض ، ولكن نقول فيها أيضا : إن التحيز لأديب دون أديب خطر دونه خطر الأخذ بالمقاييس الغربية ، أو دونه خطر التوقف عن البحث الجذوى في قضايا الأدب العربي كله ، ولعله في الدرجة نفسها التي ترتفع إليها قاعده : أن النقد الحقيقي : هو فن دراسة الأساليب اللغوية في إطاورها الموسيقي ، وفي طاقاتها التشكيلية ؛ أو من حيث قدرتها على رسم الصور .

هكذا تتحدد مسؤولية النقاد ، عليه أن يفسر بسد أن يصل إلى مرتبة التفقه الفني ، ودن أن يتميز لأحد ، ويحمل أحدا ، مع استيعاب كامل لأعمال عصره مؤمنا بأن وراء إمكانات فهمها آفاقا بعيدة تمتع .

وتحددنا المسؤولية على هذا النحو لا يعني أن نكفر بالقديم ، فبين القديم والحديث تفاعل أكيد . ثم هو لا يدعى لها شرف الخلق ، بمعنى أنها ترسم الحياة للأديب ، وبعد

متعددة نجحت عن محاولة تطبيق القواعد الغربية في النقد العربي تطبيقا طائشا ، كما وجدت اصطلاحات تشبه في تأليسيها اصطلاحات القدماء ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر : التطهير ، ود لحظة التنوير ، ود العصاب النفسي ، ود فعل التعبير ، ود الاستجابة الفاعلية ، ود المضمون ، ود الانطبائية ، ود المعادل الموضوعي ، ود التناسب الموضوعي ، ود الالتزام ، الخ .

ولم يكن بد من ألا يعقد الأدباء أملا على ناقدتهم ، لاسيما بعد أن ظلوا على إصرارهم في احتذاء الغربيين ؛ بل في احتذاء طائفة معينة منهم يوضع على رأسها ريتشاردز والغريب أن كتاب هذا الرجل — القديم نسبيا — لا يزال إلى اليوم عندنا المنفذ السهل إلى الكشف عما للكلمات من خطورة وأكبر الظن أن بعض النقاد وجد فيه امتدادات هربية غير مباشرة بطبيعة الحال من حيث حصر المجهود النقدي في اللغة ، وفي فسيحها على نحو ما ظهر عند عبد القاهر الجرجاني ، فأصر على الإخلاص له دون أن يلاحظ تلك الهزة التي تريد أن تعصف اليوم بمدرسته كلها ، حتى تقوم أساليب أخرى أجسدى في إظهار حقيقة النص الأدبي .

«موضوعات، الأدب تعبيرية، أى أن يطرحوا ما قبل طرح المادة التى يشكلها الفن القولى كتعبير عن الذات . وفى هذه الحال لا بد من التسليم بوحدة المادة الأدبية وشكلها ، أو قل: بارتباط بنية المادة ، وصورتها الفنية ارتباطاً عضوياً ، ولا نقول بذلك الارتباط المفتعل الذى يفرض على ما يسمى الشكل والمحتوى، أو الصورة والمادة، أو الأسلوب والمعنى .

والواقع أن مسئولية الناقد تقوم فنياً على أساس أن بنية الإنتاج الأدبى تفتنى أولاً إلى معطيات الوجود قبل أن ترتبط بذات الأدب ، ولكن المهم : هو البحث عن مدى نجاح الأدب فى تشكيل الصورة التى جسدت مادة التجربة ، بمعنى أنه لا بد من التركيز على أن يكون الجهد الإبداعي هو خلق الشكل الذى يمكن أن ينفذ بالمادة إلى خبرات المتلقين . ويمكن أن يعتبر الشكل فى هذه الحالة حلقة الاتصال بين الأدب وقارئه ، والوسيلة المباشرة للتعرف على بنية الإنتاج من حيث كونه قصيدة ، أو مسرحية أو قصة ، أو أى جنس أدبى آخر .

حقاً لا يخرج الشكل - عادة - عن أن يكون عنصراً واحداً من عناصر معرفة القيمة الجمالية ، إلا أنه يلعب الدور الأول فى تحديد الملاح التى تقرر نوع التأمل ، أو تضع نقطة

ذلك تنفخها فيه . كل من الادعائين باطل ، غير أن الناقد يظل فيها مطالباً بالتوازن المطلق ، وهو يصدر عن عمليات الفهم والتذوق والمناقشة والتفسير ، وعن هذه الوسائل يتحسس الأدب طريقه ، أو يرى موضع قدمه قبل أن يخطو خطوته .

ومن هنا يصح أن نطالب بوجود الناقد الذى يزن الأعمال بميزان على نزيه ، وهذا الميزان هو الذى يتعدى - بطبيعة تكوينه - حاضر الأدب إلى ماضيه ، ويرجع الأعمال التى تفسر الحياة تفسيرها الوجداني ، وهو يقبل الفنون التى قد تبدو مناقشة دورها غريبة عند بعض المحافظين . وما أشبه صنيع هذا الناقد بما يقدمه د هربرت ريد ، وإن يكن هناك من يرى أن د بول روزنفلد ، الناقد الموسيقي الأمريكى ^(١) أحق بالذكر منه فى هذا المجال .

وفى هذا كله لا يطالب النقاد بأكثر من أن يعوا د طاقة ، الأدب إلى جانب د تقييم ، إحساسه الكامل بالمسئولية الاجتماعية ، لا يطالبون بأكثر من أن يجعلوا

(١) Paul Rosenfeld ولد سنة ١٨٩٠ ومات سنة ١٩٤٦ ، وكان من رأيه أن يتعمق الفنان ضروب الفنون كافة ، وأشهر كتبه فى هذا الموضوع By the way of Art وقد نشره عام ١٩٢٦ ، والتزم ما فيه إلى أن مات .

ولكن الحقيقة أنه لا يفعل ، وإنما يقدم الاصطلاحات الغريبة في عبارات أكثرها فيه من الجمالة ما يطمس الحقيقة ويهدر القيم . وعلى ضوء ما يمكن أن يحدث لو ألزم الجميع جادة الحق بشوارى متأدبون هم في الصورة الآن ، ويظهر أدباء لم تسلط عليهم الأضواء ، ولا يكون القاص : (عبد الحليم عبد الله) مثلاً كاتباً طليعياً يضع أيدينا على قاعليات تاريخنا وحاضرنا ، وإنما يكون واحداً من الرواد الذين قد تضعيهم مضامينهم في د بلاغيات ، العبارة ، وتزدحم مادتهم بالشعارات المهمة أو الطائشة .

أنا لا أعرض بأحد ولا أستطرد ، ولكني أرى أن النقاد في إهمالهم لمسئوليتهم وأخذهم بأسلوب الجملات ؛ قد ضيعوا الحقيقة الأدبية ، وأصبح الأدب غريباً في مجتمع تبدلت ملامحه . وفي الوقت نفسه أهدرت الخبرة السوية ، وضرب على فهم العوامل النفسية والاجتماعية وهي تخطط للجماليات ؟

دكتور أحمد كمال زكي

جامعة عين شمس

البعد للتفكير . ويظل بعد ذلك أسلوب الفنان هو الذي يطبعه بطابع متميز ، وهو النقطة التي يختلف حولها المتفلسفون من حيث هذه أساس المعرفة الفنية لأنه هو الثابت بعكس المادة (١) .

ولما كانت كل خبرة قائمة على أساس وجود تفاعل بين الذات والعالم ، وأن هذا التفاعل موجود فعلاً في المادة المشكلة ، فإن من غير الممكن أن يمنع الناقد نفسه من أن يسأل : هل ما قيل لي قصد به الأدب خبرات الآخرين قد اندمج في سياقه البشري وبني إنتاجه البناء المناسب ؟ أى يسأل : هل نجح في التعبير ؟ .

إن كل ناقد يتصور أنه يسأل هذا السؤال

(١) يجب أن نلاحظ أن التفرقة بين الشكل والمادة تفرقة ذهنية ، كما نلاحظ أيضاً أن أساس المعرفة الفلسفية على النحو المتقدم ناجم عن أن مادة الأدب أشبه ما تكون بالهيولى فهي مهوشة مضطربة وغير مستقرة ومن ثم يكون للشكل الذي سوى الصورة صفة الاستقرار والدوام . ولكن ما يهيم الناقد هو أن يفرق بين المادة التي شكلت بأسلوب قاصر ، والمادة التي شكلها الأسلوب الكامل ، دون ما نظر إلا إلى التنظيم .



الشعر الحديث

وبسائين القرآن

للأستاذ عبده بدوي

في العملية الشعرية ، وأن يتحول الإحساس الديني إلى ما يشبه د اللهب الخلقى ، الذى من وظيفته فقط ، إلقاء ضوء خافت من همس النور ، ومن الحرارة العائقة التى تؤثر على العين ولا تؤثر عند اللس .

وقد يقول قائل : وما معنى هذا ، والناس منصرفون اليوم ، ومن فترة فى قليل أو كثره عند الدين ، وأن ما يشغلهم هو أمور دنيام ولكن نظرة واحدة ترينا أن الدين يشغل الشاعر المعاصر ، وبأخذ عليه كل اتجاهاته ، ولا يتركه إلا وبه أثر منه .

فالشاعر (ت . س أليوت) يظهر فى أعماله التأثر العميق بالكاثوليكية ، وبعض النقاد يقول : إن قصيدة د الأرض الخراب ، - التى تعتبر من معجزات الشعر فى هذا العصر - يمكن ، بل يجب أن تقرأ على أنها موهظة مسيحية ، وأن د القصائد الأربع ، له يجب أن ينظر إليها على أنها تأملات دينية ، وأن د رحلة الجوسى ، يذكر هنا بعض النقاد أن هنأنا يذكر باللوحات الدينية فى العصور الوسطى ، وأن ما فيها من دفء وإشراق

أى إنسان الآن حين يتعامل مع الشعر بالإحساس ، يجد أن طيور الشعر لا تحط على بسائين القرآن ، ولا تقرب من حقيقة الرسول ، ولا تمتد أعناقها إلى التراث الإسلامى . . . وأى إنسان حين يتعامل مع الشعر بطريقة المسح والإحصاء يجد أن ما نقوله حقيقة ، وليس معنى هذا أن التجربة الدينية غير خصبة ، أو أنها تعرقل التجربة الشعرية فى قليل أو كثير ، فالتجربة الدينية مما يرى الشعر إذا أخذت على أنها ليست موعظة ، أو نظما لموقف ، أو تفسيراً أو تحليلاً لجانب من الجوانب الدينية ، أو وقوفاً عند العبادات والأشكال الخارجية للدين .

أما إذا أخذت كخيوط فى النسيج العام للتجربة ، وكرموز تعمق العملية الشعرية ، ثم أخيراً ، إذا رأيناها تتجاوز الشكل العام للدين ثم تتعمق ، وتتعمق إلى أن تكون تعبيراً وإحساساً متواتراً للجوهر الإلهى . . فإن هذا يكون هو الشعر ، مع تحقيق شرط لا بد منه ، وهو أن يكون الشعر هو الملامح البارزة

الإسلامية ، وليس لهذا معنى غير أن بعض النقاد قد حولوا الشعراء بطريقة أو بأخرى عن المواقف ، والرموز الإسلامية .

وقد يظن ظان أن القرآن والحديث والمناخ الإسلامى لا يوحى بالشعر ، ولكن النظرة المنصفه تؤكد أن هذه المناطق الثلاث مملوءة بالشعر ، وأنها يمكن أن تعطى له الحنين والخصب ، والرحيل ، والهجرة ، والبحث ، كما يمكن أن تعطى له انتفاضة المرأة للجمال ، وللحمل ، والحقد ... كما فى امرأة العزيز ، وامرأة ابراهيم ، وامرأة لوط ... واللحظة الحرجة فى إقدام إبراهيم على ذبح ابنه ، وفى وضع أم موسى ابنها فى الماء ، وفى فرحة محمد حين أتم الله دينه ، وفى حزن يعقوب على يوسف ، وإشفاق نوح على ابنه ، وفى ابتلاء أيوب ، وأصحاب الجنة !

وفى ضوء هذا نرى أن فى القرآن والسنة والتاريخ الإسلامى ما يمكن أن يثرى الشعر ويملا الشاعر ، بل لى أذهب إلى القول بأن الشعر المعاصر أصبح حائل التأثير ، وخافت الأصوات ، وليست له « النكهة الشرقية » ، لأنه يتخطى القرآن إلى الإنجيل ، ولأنه يستمع إلى أنبياء ليست لهم الملاح النفسية لأنبيائنا ولأنه لا يحول ما يحس ويرى إلى شعر ، ولكن يحول ما يقرأ إلى تجارب ستظل دائما بعيدة (البقية على صفحة ٧١٩)

يذكرنا بالفرح العظيم المتزايد ، فى الإنجيل بل إن الآيات الأولى مأخوذة من إحدى الخطب الدينية فى القرن السابع عشر للاستقف ، لانسلوث آندروز .

ويمكن أن نحس هذا عند الشاعر بيتس ، وفروست ، وجورج هيربرت ، وفرايسيس تومسون ، والشاعرة كرسيتينا روسى .

ونحن يجب ألا يذهب بنا الظن بعيدا ، فالمتتبع الشعر العربى المعاصر ، وبخاصة الشعر الحر ، يجد أن التأثير الدينى يلقى ظله عليه ، ولكن هذا التأثير الدينى ليس إسلاميا ولكن مسيحيا ، وقد أرجعت هذه الظاهرة فى مجلة الرسالة ، إلى أن الشعراء يخضعون لبعض المعتقدات الشديدة الذكاء ، أو أنهم وجدوا أن القصيدة العمودية مرتبطة أشد الارتباط بالتراث الإسلامى ، ومن هنا كان انصرافهم إلى الجانب المقابل ، وأما أن بعض القوامين على الدين الإسلامى يبالغون فى التشدد على رموزه ومواقفه .

والخطورة هنا : أن الشاعر المعاصر لا يستغنى عن تحويل بعض المواقف والرموز الدينية إلى شعر ، ولكنه ينصرف تماما عن المواقف والرموز الإسلامية ، وقد هن لى أن أقوم بعملية مسح شعرى فى الشعر الحر المعاصر ، فوجدت صدق هذه الظاهرة ، بل وجدت بعض الشعراء يسخرون من الرموز

الفراغ النفسى عند الشباب

للأستاذ محمد محمد أبو شربة

— ٢ —

غريب عن دينه وآدابه، وهذا يقتضى أن تعمم دراسة الدين في جميع المراحل الدراسية من المرحلة الأولى إلى المرحلة الجامعية، وأن يكون مادة أساسية لها وزنها في النجاح والرسوب في جميع السنوات ، وأن يكون لهذا تقديره أيضاً عند التقدم للكلية الجامعية والمعاهد العليا ، حتى يكون هذا حافزاً للشباب على أن يحصلوا على أقرب قسط من الثقافة الدقيقة .
ولأنه ليؤسفني ألا تكون دراسة الدين وشرائعه وآدابه مقصودة لذاتها ، ولكن ماذا ففعل وقد أصبحنا أمام واقع مؤلم لا مفر منه ، وهو ربط التعليم بالنجاح والرسوب ، والإعداد للأعمال والوظائف ؟ وليست هذه المشكلة بنت اليوم ، فهي تضرب في التاريخ بمجدور عميقة ، ويرحم الله الإمام الغزالي حيث قال : « طلبنا العلم لغير الله فأبى ألا أن يكون لله ، ولكن فرق ما بين النظرتين اليوم والأمس . كفرق ما بين العصرين .

نعم : إن الدين يدرس في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية ، ولكنها دراسة سطحية لا تصل الطالب إلى اللباب . فإذا ما وصل الطالب إلى الجامعة فإنه لا يرى أثراً للدراسة الدينية ، مع أن هذا الدور هو الذى يبلغ فيه الشباب درجة من

في المقال السابق بينت الفراغ النفسى عند الشباب ، وأن هذا الفراغ يتمثل في الفراغ الدينى ، والخلقى ، والعلى .
والآن سأعرض للدواء الذى سنعالج به الفراغ الدينى والروحى ، فبأى شيء نملأ هذا الفراغ .

إن دواء هذا الفراغ الروحى هو فرس تعاليم الدين في النفوس ، وتنشئة الشباب تنشئة دينية روحية سليمة ، وذلك بملء القلوب بالإيمان : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، إيماناً مبناه الاعتقاد الجازم ، والعلم الصحيح بما يجب الإيمان به ، والعمل الصالح المصدق لهذا الإيمان .

هذا الإيمان الثابت الذى يدعمه العلم الصحيح، والعمل الصالح هو ما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة ، الذى صير من سكان صحراء حكماً عادلين وخلفاء جديرين بالاستخلاف في الأرض .

لا بد أن نفشى الشباب من الصغر على تعاليم الدين وشرائعه ، وأن نلقنهم أصول الدين وأحكامه كما أنزلها الله ، وأن نعوذهم إقامة شعائره ، حتى ينشأ الناشء وهو غير

وشئ آخر أحب أن أنبه إليه ، وهو أنه يجب أن يكون القائمون بدريس الدين من المتخصصين في علوم الدين ، الفاهمين له فيها صحيحا ، ومن يؤمنون بجدوى الدراسة الدينية وأثرها في إصلاح النفوس ، وتهذيب السلوك وإلا خرج الكلام من فيه قاترا لا أثر له ، ميتا لا حياة فيه ، ولكن الأمر على خلاف هذا ، فدروس الدين كثيرا ما يراد بها تكميل جداول الدروس ، ولا يراعى فيها الرجل المتخصص ، ولا الرجل الذي يزيه سلوكه ، واستقامته .

لا يكاد يختلف منا اثنان في جدوى التعليم الديني ، وصقل نفوس الشباب به ، وخطورة الفراغ الديني في النفوس ، فما الذي يمنعنا وقد أصبحت أمورنا بأيدينا ، وتخلصنا من نير الاستعمار ودساتيره وأحاييله - من أن نجعل تعليم الدين مادة أساسية ، وأن نعلم دراسته في المراحل الدراسية كلها ، وأن نقوى من مناهجه ، ونزيد فيها ، وأن نختار لهذه الدراسة المدرس الكفء الصالح ، حتى يمكننا أن نكون شبا باؤمنين بربهم ، عاملين لأوطانهم ، مخلصين لله في أعمالهم ، لا يرتشون ولا يدلسون ، ولا يخونون ، ولا يغفلون ، ولو أن وازع الدين والاخلاق كان قويا لما كنا سمعنا عن هذه السرقات من مال الدولة الذي هو مال الشعب .

ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ثم

الاستعداد تؤهلهم لفهم حقائق الدين ، وفي هذا السن يصبح الطالب عرضة للتأثر بالمذاهب الهدامة ، والآراء الفاسدة ، والأفكار الوافدة .

وهذا القصور في الدراسة الدينية ، في الشكليات الجامعية فيما عدا الشكليات الأصلية في جامعة الأزهر ، أو التي تتغذى من ووافده ، ولا يعنى بهذا النوع من التعليم إلا بضع جامعات في العالم الإسلامي والعربي وأنا لا أنكر أنه قد وضعت كتب قيمة في التربية الدينية ، وفيها شيء غير قليل من العبادات والأخلاق ، والسيرة النبوية لكنها - والحق يقال - لا يدرس منها إلا القليل جدا ، وما يدرس منها يدرس بطريقة لا تبني عقيدة ، ولا تهذب نفساً ، ولا تقوم سلوكاً

وما منا أحد إلا وله أبناء في المدرس فلم يرجع إليهم وليسألهم ، فإن الكثير من التلاميذ لا يحفظ من القرآن ما يصحح به صلاته ، والكثير منهم لا يكاد يحسن الوضوء .

وإذا كان لبعض الطلاب ثقافة دينية ، وسلوكهم لا ينافي الدين فمرجع ذلك غالبا إلى البيئة التي نشأوا فيها ، أو إلى ظروف وملابسات كونهم هذا التكوين ، وأعدتهم هذا الإعداد والطلاب الذين ينشئون في أسر متدنية ، أو ينشئون المساجد ، وقاعات المحاضرات الدينية والعلمية والأخلاقية ، غالبا ما يكون لهذا أثر ملبوس في تربيتهم .

وقد قال أحد الباحثين : إن الشباب في العالم أصبح لديه احترام قوى وتقديس للعلم فقط وأهمل الدين ، وذلك نظرا لعدم وجود دراسات دينية ضمن التعليم في المدارس للشباب كما أثارت مندوبة بريطانيا ظاهرة التدهور الخلقي في شباب العصر الحديث ، وناشدت الحكومات ، والهيئات أن تعمل على محاربة السكتب والروايات السينائية التي تتنافى مع الآداب ، وقالت مندوبة إيطاليا : إن هناك قانونا صدر أخير في إيطاليا لمراقبة إعلانات السكتب والروايات التي تعلق بطريقة مثيرة في الشوارع حيث يراها الصغار ، وقالت : إن جميع الإعلانات تعرض الآن على قاض للوافقة عليها ...

وإذا كانت الأديان تدعو إلى تربية العفائف وتقويم السلوك ، والدعوة إلى الخير والفضائل ففي الذروة من ذلك الدين العام الخالد دين الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً للناس كافة إذ يقول وصدق الله : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال صلى الله عليه وسلم : تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة نبيه ، رواه الحاكم ؟

محمد محمد أبو شهبه

توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، . ولكي يفيد التعليم الدينى في معاهد العلم ويشمر ثمرته يجب أن تحافظ الأسر على القيم الروحية ، والتعاليم الدينية فإذا أخذ الوالدان أنفسهم بالتدين الصحيح والتحلل بالأخلاق السكرية كان ذلك درساً نافعا ومفيدا للأبناء .

ومن العجيب أن الدارسين لنفسية الشباب في الغرب دعو إلى ما دعونا إليه من إحياء معاني التدين في النفوس ، وإليك ما جاء في صحيفة الأهرام (١) عن نتائج مؤتمر الأسرة والطفولة الذي عقد في مدينة « ميونيخ » في ألمانيا . قالت مندوبة مصر : « لقد تضمن جدول المؤتمر أكثر من فكرة وموضوع تهم الأسرة والشباب ، وأهمها في رأى المناقشات والأبحاث التي دارت هن أهمية المحافظة على القيم الروحية في الأسرة وذلك حتى ينشأ الطفل في جو أسرى متماسك ، فالأسرة هي التي تتكون فيها شخصية الطفل من الناحية الروحية والعقلية ، حيث يتعلم من خلالها الحب ، والتضحية ، والحرية ولقد كان من آثار عدم الاهتمام بالقيم الروحية تفكك الروابط الأسرية في المجتمعات الصناعية ، حيث ينساق الأفراد أمام التقدم المادى فقط ، بينما مازالت الدول النامية محافظة على تماسكها ، وقوتها .

(١) الأهرام الصادر في ١٢ / ٩ / ١٩٦٤

طرائف لغويّة : الواو الزائدة في الأساليب العربيّة للاستاذ طه الزينى

قلت ها قى نولينى تمايلت
على هضم^(١) الكشح^(٢) ربا المخلخل^(٣)
وقال الشاعر :

حتى إذا امتلات بطونكمو
ورأيتمو أبناءكم شجوا
وقلبتمو ظهر المجن^(٤) لنا

أن اللثيم العاجز الحب^(٥)
والناظر في هذه الآيات والأبيات ، يرى أن
المعنى مع وجود الواو كالمعنى مع عدمها ، ففى
الآية الأولى لو أسقطت الواو فقول : د فتحت
أبوابها ، كان المعنى صحيحاً ، ومؤدياً للطلب
وفى الآية الثانية لو قيل : د نادينا ، بدون
الواو كان المعنى صحيحاً ، ومؤدياً للطلب
كذلك . وفى الآية الثالثة لو قيل : د أرحمنا
إليه ، بدل وأوحينا . كان المعنى صحيحاً
ومؤدياً للطلب كذلك ، وفى الآية الرابعة

قال الله تعالى عن المؤمنين عند دخولهم
الجنة : د حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال
لهم خزنتها سلام عليكم ، ، وعن أبى الأنبياء
إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حينما
أسلما أمرهما إلى الله ورضيا بذبح إسماعيل :
د قلنا أسلما وتله للجبين ، ونادينا أن يا إبراهيم
قد صدقت الرؤيا ، ، وقال عن يوسف عليه
السلام حين اتفق إخوته على جعله فى غيابة
الجب حتى لا يعود إلى أبيه : د قلنا ذهبوا به
وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب ، وأوحينا
إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ، ، وعن
يأجوج ومأجوج : د حتى إذا فتحت يأجوج
ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقرب
الوهد الحق ، ، وقرئ . قوله تعالى عن
احتجاز يوسف عليه السلام لأخيه : د قلنا
جهنم بجهنم ، وجعل السقاية فى رحل
أخيه ، ، بزيادة الواو قبل جعل .

وقال امرؤ القيس :

فلما أجزنا ساحة الحى واتحى
بنا بطن^(١) خبت ذى قفاف^(٢) عقتل^(٣)

(١) واد معروف ببلاد العرب .

(٢) الحجارة . (٣) متسع عظيم .

(١) ناحلة (٢) الخاصرة

(٣) مكان وضع الخنخال فى الساق و د ربا ،

معناه ممثلة

(٤) الترس الذى يدفع به المحارب السلاح
من نفسه .

(٥) الحداد بصيغة اللبالة وهى بفتح الحاء
وكسرهما .

مشتعلة على الوعد والوعيد .
 وذهب الكوفيون والآخرش^(١) إلى أن
 الواو في الأساليب السالفة زائدة ، واستدلوا
 لمذهبهم بعدم وجود الجواب فيما ، وبأنه
 لا ضرورة لتقدير الجواب ، وما لا يحتاج
 إلى تقدير أولى مما يحتاج إليه ، وبأن المعنى
 ظاهر كل الظهور على اعتبار الواو زائدة .

وقال بعض النحويين إن الواو للحال ، وقد
 مقدرة قبلها في الآيات الأربع والتقدير :
 وقد فتحت أبوابها ، وقد نادى به ، وقد
 أوحينا إليه ، وقد اقترب الوعد الحق ،
 وفي الآيات الواو عاطفة على محذوف
 وليست بزائدة ، والتقدير : فلما أجزنا ساحة
 الحى أجزناها ، وانتهى بنا بطن خبت ؛
 وظهر غدركم وقلبت ، والجواب مقدر على
 هذا رأى أيضاً .

وأجاز ابن عصفور زيادة الواو في الشعر
 فقط كالأبيات السابقة .

ووافق الرضى شارح الكافية البصريين
 في عدم القول بزيادة الحرف متى أمكن
 تخريج الكلام على عدم لزادة فقال ص ٣٦٩
 ٢ من شرح الكافية في قوله تعالى : حتى
 إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت
 وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من
 الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، وهذه

(١) نسب ابن يعيش في الفصل رأي الآخرش
 هنا للبغداديين

لوقيل : « اقترب الوعد الحق ، بدون واو
 كان المعنى صحيحا ، ومؤدبا للطلب أيضا ،
 وفي بيت امرئ القيس ، والذي بعده لوقيل
 (انتهى بنا بطن) و (قلبتمو ظهر المنجن)
 كان المعنى صحيحا ، وإذا كان المعنى عند ذكر
 الحرف ، وعدم ذكره صحيحا ، ومؤدبا للغرض
 منه حمل ذلك على التفسير في كونه زائداً ،
 فهل هذه الواو أمثالها في الأساليب
 العربية زائدة أو ليست بزائدة ؟

اختلف النحويون في ذلك :

فالبصريون يرون أن الواو أصلية ، وليست
 بزائدة ، وحجتهم في ذلك : —

أن الحرف وضع لمعنى فلا يجوز جملة
 زائداً ما أمكن ذلك ، ومعنى الواو عندهم
 هنا العطف ، ويعملون جواب (إذا) و (لما)
 محذوفاً في الآيات والآيات ، فيقولون
 في الآية الأولى : حتى إذا جاءها صادفوا
 الثوب الذي وعدوه ، وفي الثانية : فلما
 أسلما وتله الجبين كان هناك ما لا يوصف من
 الطافه تعالى ، وفي الآية الثالثة : فلما ذهبوا
 به ، وأجمعوا حفظه الله ، وفي بيت امرئ
 القيس : فلما أجزنا ساحة الحى حدث
 ما أتمناه ، وفي البيت الذي بعده : حتى إذا
 امتلأت بطونكم ، ورأيت أبناءكم شبوا
 ظهر غدوكم ، ويزيدون على حججهم السابقة
 أن حذف الجواب في الوعد والوعيد يبلغ
 من ذكره ، والآيات ، والآيات السابقة

فهى كالسابقة. وكذلك بقية الآيات والآيات أجوبتها فيها ، ولا داعى إلى تقديرها .

وأما جعل الواو حالية مع تقديره قد، فهو خلاف الظاهر مع قلة تقديرها في القرآن بالنسبة لإظهارها ، ومع الحاجة إلى تقدير الجواب وفيه ما تقدم من الاهتراض على رأى البصريين .

وأما جعلها عاطفة على محذوف فالأصل عدم الحذف مع ظهور ركازة الاصلوب في تقديرهم في بيت امرئ القيس (أجزناها وانجى) .

وتقدير الرضى الجواب في آية التوبة تغافل عن المعنى ، وما يتطلبه ، وعن الأصل الذى هو عدم الحذف والتقدير ، ولا شك أن المعنى في آية التوبة ظاهر جسدأ هل أن التوبة هى

الجواب ، والأصل دتاب عليهم ، بدون دثم ، وإن كان لثم معنى آخر غير المعطف سأذكره قريباً ، وأما إلهام الإنابة من الله فقد حصل قبل أن تضيق عليهم الأرض بما رحبت ، وهى لم تضيق عليهم إلا بسبب إنبابهم وخوفهم من الله .

وأما تخصيص ابن عصفور الزيادة بالشعر فتحكم لادليل عليه ، فقد وقعت الزيادة في القرآن الكريم ، وهو في أعلى مراتب البلاغة .

بقيت مسألة تتصل بهذا البحث وهى كيف نقول بزيادة الواو في الآيات السابقة ، وهل تقع الزيادة في القرآن ؟ وليبيان ذلك أقول :

١ — المراد بالزائد ما كان زائداً من جهة الإهراء ، لا من جهة المعنى ، فالواو في قوله تعالى : « وقتحت أبوابها » ليست للمعطف

الآية قد استدل بها الاخفش على زيادة ثم ، ولا منع من ارتكاب حذف المعطوف عليه أى المهمم الإنابة ، ثم تاب عليهم ، وكل ما جاء من أمثله فإن أمكن الاحتذار منه فهو أولى ، وإلا فليحكم بزيادة الحرف (اهـ) . ووافق ابن السراج أيضاً البصريين في عدم زيادة الحرف ، وزاد عليهم بأن منع وجود الزيادة في كلام العرب جملة ، فقال : ليس في كلام العرب زائد لأنه تكلم بغير فائدة وما ورد منه في كلام العرب يحتمل على التوكيد .

ووافق ابن جنى ابن السراج فقال : « كل حرف في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .

وبعد سرد آراء المنحويين في الأساليب السابقة أرى : أن البصريين جامدون ، ومؤولون لما لا ضرورة لتأويله ، فإن الظاهر في آية الجنة والله أعلم . كون الفتح جواب إذا ، بدليل الآية الأخرى الواردة في أهل جهنم ، وإن كانت زيادة الواو في آية أهل الجنة لمعنى آخر غير المعطف ، وسيأتى بيانه ، والفتح هو السبيل إلى الثواب الذى وعدوه ، بل هو جزء منه ولا داعى إلى استبدال الجواب الموجود في الآية بمجواب آخر يماثله في المعنى ويمثله في اللفظ فراراً من زيادة الواو ، وكذلك الآية الثانية آية الفداء الجواب فيها هو النداء ، لأنه منع من الذبح وإخبار بالفداء وهو نفس الالطاف التى قدرها البصريون

الطرطوسي في العمدة : زعم المبرد وتعلب ابن جني : إن كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى ، فكأنه قيل : فتحت أبوابها فتحت أبوابها ، وكذلك بقية الآيات ، ومنها آية التوبة التي زيدت فيها (ثم) .

٢ - اختلاف العلماء في وقوع الوائد في القرآن : فقليل منهم منعه ، والكثيرون أجازوه ، قال صاحب البرهان في علوم القرآن في الجزء الثالث : (وقد اختلف في وقوع الوائد في القرآن ، فمنهم من أنكره ، قال

الطرطوسي في العمدة : زعم المبرد وتعلب ابن جني : إن كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى ، فكأنه قيل : فتحت أبوابها فتحت أبوابها ، وكذلك بقية الآيات ، ومنها آية التوبة التي زيدت فيها (ثم) .

٢ - اختلاف العلماء في وقوع الوائد في القرآن : فقليل منهم منعه ، والكثيرون أجازوه ، قال صاحب البرهان في علوم القرآن في الجزء الثالث : (وقد اختلف في وقوع الوائد في القرآن ، فمنهم من أنكره ، قال

طه الزيني

دكتوراه في النحو والصرف

(بقية المنشور على صفة ٧١٢)

عليه أن يحول الدين الى شعر ، لا أن يحول الشعر الى دين .

تلك هي الدعوة التي ندهو إليها ، بعد أن قننا بزيادة كافة القواوين المعاصرة ، دون أن تقع أعيننا ونفوسنا على شيء يذكر بالشرق والإسلام ، بينما تدق الأجراس ، فوق رموز الخلاص بالحب ، والخلاص بالموت ، والصلب ، والجلجلة ، والخطيئة .

فما نقوله الآن ليس وليد لحظة عاطفية ، وليس وليد لحظة تعصب لأننا ندعو إلى الانتفاع بكافة الأديان ، ولكنه وليد لحظة علمية ، تشهد عليها عملية الإنتاج الشعري المعاصر على الصعيد العربي ، ومن هنا نرفع صوتنا إلى الشعراء ثم نقول لهم : د إلى أين ،

هبة بديوي

عن أحاسيسنا ، وغير ملتصقة بوجداننا .
وليس هناك من أمل سوى أن يميل هؤلاء الشعراء إلى أنفسهم ، وأن يستخرجوا ما بها من لآلئ دون خوف من رجال الصاغة ، وأن يدمنوا القرآن ، لا لأن بعض النقاد دعا إلى إدمان قراءة الإنجيل للشعراء أخيراً ، ولكن لأنهم سيجدون ما يعمق تجربتهم بالقرآن .

وليس معنى هذا أننا نريد حبس الشعراء في الأجواء الإسلامية ، ولكننا فقط ندهوم إلى زيارتها ، من الحدائق التي « سرقوا » إليها ، بل إننا ندهوم إلى أن يخلقوا في كافة الأجواء الدينية ، وألا ينسوا التحليق على ما في أنفسهم . . وما في أنفس قومهم . . وما في الشرق ! !

على أن يظل الشاعر دائماً متذكراً أن

حول مقال الأستاذ سلام وما يفتى عليه للأستاذ على البولاقى

ردية الخبر من «واردات أوربا» ، تلقفها مستغربون من مستشرقين وروجها مبشرون استعماريون في ظل ما روجوه باسم «الأحرار المفكرين» .

ويصوغ الأستاذ كاتب المقال هذه الفكرة في أساليب شتى ، خلاصتها : أن شئون الحياة وحوادثها يجب أن تترك لعقول الناس وإراداتهم إذ لا علاقة للدين بها ؛ فلا يفتى الدين فيها أحداً ، وقد مثل لهذه الشئون بالسفور والسينما والتصوير والفحش والتثيل وألوان الطعام والشراب وأدواتهما والزى وأشكاله . وهذه دهورى خطيرة لو سلبت له لكان معناها قصر الدين على العقائد والعبادات والأخلاق وبعض المناهى لأن ما عدا هذه الأمور يمكن اعتبارها من شئون الحياة وعلى هذا تلغى من الفقه الإسلامى أبواب المعاملات والأطعمة والأشربة والألبسة والأحوال الشخصية وغيرها ، وتلغى من السنة النبوية جميع الأحاديث التى تتناول بالتفصيل أحكام هذه الأبواب ونحوها ، بل تلغى من القرآن نفسه أحكاما كثيرة كتحريم الربا ، وإيجاب ضرب المرأة الخمار

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ «عبد الكريم الخطيب» ، فى عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ من مجلة الأزهر — مقالا حاداً صارخاً ، وألحق بمن يهاجمهم — وهم علماء الدين جميعاً ، ألقاباً لاذعة مثل : «حمة البخور فى محارب الدين» ، والذين يعرضون الدين فى كل سوق ، ويبيعونه بكل عرض ، وبأى ثمن ، وشتم بهم حيث أقفوا بتحريم بعض الأمور ؛ فجرهم تيارها ، ودخلت عليهم من كل باب ونافذة ، واستهزأ بهم حيث وصفهم بأنهم صغار النفوس ومطفلون ، وأنهم يظنون أنفسهم شيئاً مع أنهم أهون هواناً من «ديم» ، بل استهزأ بالصدر الأول كله حيث جعلهم أقواماً لا تنفع نفوسهم لحقيقة الدين ، وإنما تفشل فى عقولهم أساخ شائنة مضروبة بالجهل والهوى ، أو مدموغة بالسكيد والتضليل . وأكثر فى مقاله من كلمات — العقل — الإرادة — عقل الإنسان العاقل — إرادة الإنسان المريد — التفكير — الشخصية — الإنسانية — الضمير ، فى عبارات تتراحم لتزف إلى القراء فكرة زائفة بهيجة المظهر

ويقول الأستاذ «بيولا كازيلي، في مجلة «مصر العصرية، السنة الثمانية عشرة ص ١٩٥ :
«لأنه يجب على مصر أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية، وهي أكثر اتفاقاً من غيرها مع روح البلد القانونية».

ولعل كثيراً من القراء على ذكر من أن المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي عقد بمدينة لاهاي في أغسطس ١٩٣٧ م قرر أن الشريعة الإسلامية لها ذاتيتها، ولا تمت إلى القانون الروماني بصلة، ولا إلى أية شريعة أخرى، وأن المؤتمر يعتبرها مصدراً رابعاً للقانون المقارن (ومعلوم أن القوانين الثلاثة التي اعتبرت مصادر من قبل هي القوانين الفرنسية والألمانية والانجليزية).

دعائم الفكرة ومناقشتها :

دعم الأستاذ فكرته بدعائم وأهمية لا تنفى من الحق شيئاً، بيد أنه صاغها في عبارات فضفاضة تحتوي على تكرار كثير، ولهذا أكتفى بملخص بعض منها مع مناقشته فيما يلي :
١ — أن القضايا التي تتحرك بالدين كثيراً ما تؤدي إلى نفرة للناس لأن النفس البشرية بطبيعتها تنفر من كل ما يلقاها على غير الوجه الذي ترقبه منه (ص ٢٨٠).

وهذه الدعامة أو هي من خيط العنكبوت فإن نفور الناس من أمر يخالف عاداتهم الجارية أو لا يتفق مع أهوائهم وشهواتهم لا يدل على بطلان ذلك الأمر الذي نفروا

على جميعها، وتحريم الخنزير وما أهل لغير الله به ونحو ذلك من شئون الحياة التي يشير إليها الكتاب، ويرى أن ترك العقول تخطئ تارة وتصيب أخرى، وألا يزج بالدين فيها؛ لئلا يخرج منهزماً في مراكمه معها، ولا شك أن هذه الفكرة يفرح بها أولئك الذين استبدلوا بالقوانين الشرعية القوانين الوضعية المحتملة من دول الغرب، ولو خالفت نصوص كتاب الله وسنة رسوله.

وكان الأستاذ يريد بهذه الفكرة أن يسلب من الإسلام ميزته الكبرى، وهي أنه دين جمع بين شئون الدنيا والآخرة؛ فكان قانوناً شاملاً واسعاً صالحاً لكل زمان ومكان بما جعل بعض علماء القانون من غير المسلمين ومن غير العرب يشيد بما للشريعة الإسلامية من تفوق على القوانين الأوروبية.

يقول الدكتور «أنريكو أنسباتوا»، في كتابه «الإسلام وسياسة الحلفاء»، ص ٩٤ :
«إن الإسلام إذا كان محدوداً غير متغير في شكله فإنه مع ذلك يسير ما تقتضيه الظروف، فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضائل مع مرور القرون ويحفظ بكامل حيويته ومرونته ولا يجوز أن تهدم يد الخلافة هذا المصراع العظيم من العلوم الإسلامية، أو أن تغفل، أو أن تحسه بسوء؛ فقد أوجد للعالم أرواح الشرائع نبأها : الشريعة الإسلامية، وهي تفوق في كثير من التفاصيل الشرائع الأوروبية».

لا يجدون محيصاً عن تنفيذها ، ولو أوا أنها تخالف المصاحبة أو العدالة في بعض الظروف .
وقول السيد المسيح : « إنما السبب للإفسان وليس الإنسان للسبب » ، إن صح فهو إشارة منه إلى نسخ السبب ، وبيان انتهاء حكمه ، فقد كان السبب مقدساً ، ويجرم فيه الصيد ونحوه فلما بعث المسيح عليه السلام ، وقام بشفاء المرضى يوم السبت أنكروا عليه ، فأشار بكلمته إلى أن هذا التقديس قد انتهى ، وأصبح السبت يوماً عادياً كسائر الأيام ، فهو الآن للإنسان يقوم فيه بما شاء من المصالح ، وليس الإنسان له ؛ فلا يمتنع فيه من القيام بأي أمر يريد .

فمن العجب أن يؤخذ من هذين القولين أن الدين للإنسان ، وليس الإنسان للدين ، وقد جاء في كلام الكاتب ما يستفاد منه المراد من الشطر الثاني من هذه القولة وهو ألا يترك الناس سلطان الدين يملك وجودهم ، ويشل إرادتهم (ص ٢٨١) ، ومعلوم أن الدين ليست له هذه الصفة ، فالإنسان مأمور بأن يتق الله ما استطاع ، ولا يتوقف عن امتثال الأوامر ولولم يعلم الحكمة في بعضها - مادام مستطيعاً - فإن التكليف قد يكون للابتلاء ، ولو أخذ برأى الكاتب لساغ للناس أن يمتنعوا عن التيمم بالصعيد استقذاراً له ، إلى غير ذلك مما لا يدري كثير منهم حكمة مشروعيته ، وقد قال تعالى :

منه ، ولقد لقي الرسل الكرام من أقوامهم إنكاراً واستهزاءً ونفرة ، فهل منهم ذلك أن يصدعوا بقولة الحق ١٩

٢ — أن تحكيم الدين في شئون الحياة كلها يؤدي إلى ضهور الشخصية ، واغتيال ذاتية الإنسان وقتل المعالم الأصيلة فيه (ص ٢٨٢) .
وهذه الدعامة من نسج الخيال فإن شئون الحياة كما تستفتى جميع أرباب العلوم الطبيعية والطبية والزراعية والصناعية وغيرها ، كلا فيما يختص به ، كذلك تستفتى علماء الدين فيما يختصون به كالحل والحرم وموافقة الفصوص الشرعية ومخالفتها ، وهذا يؤدي إلى اتساع أفق الإنسان ، ودعم حياته المادية بحياته الروحية ، فلو صح ما يقوله الأستاذ لوجب إغلاق جميع المدارس والجامعات ، وأن يترك الناشئة ليصلوا بتجارهم إلى ما وصل إليه الأولون حتى لا تضمر شخصيتهم وهذا خطأ شنيع بلا - .

٣ — أنه كما يقال : « القانون للإنسان وليس الإنسان للقانون » ، وكما يقول السيد المسيح عليه السلام « إنما السبب للإنسان وليس الإنسان للسبب » ، كذلك يصح بل يجب أن يقال : « إن الدين للإنسان وليس الإنسان للدين » ، فالدين لإقانون سماوى (ص ٢٨٢) .
وهذه الدعامة من أوهى الدعائم فأهل القانون أنفسهم يتكلمون إلى نصوصه التي

ولهذا قال : ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق عساقه كلامي الذي تسكنت به حين رجوت أن يسكون هذا خيرا ، (السيرة الحلبية ج ٢٧/٣) فهل يقتدى بعمر في أمر استغفر الله منه ، وقام بأداء طاعات كثيرة رجاء تكفيره ؟ ولم لا يقتدى بأبي بكر - رضي الله عنه - في موقفه من هذا الصلح مع أن عمر نفسه قال : « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر » .

بقي أن يقال له : ما معنى اصطحاب الإنسان إرادته ؟ إن الكاتب يقصد بهذه الكلمة - كما يتبين من سياق المقال - أن يكون حرا مختارا راضيا ، وهذا يناقض الآية التي ذكرناها والتي تنفي الخيرة ، ويخالف أيضا لسيرة الأنبياء والصدّيقين وجميع الصالحين .

فهذا سيدنا إسماعيل يقول لأبيه إبراهيم عليهما السلام : « يا أبت أقول ما تؤمر ، حين قال : « إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ » فلم ير إسماعيل لنفسه خيرة في هذا الأمر وبادر بامتثاله وصبر على هذا الابتلاء العظيم . وقد نعى الله على من لم يبادر بامتثال الأوامر الإلهية ، ولو كانت شاقة على النفس مكروهة لها قال تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقضوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشدّ تثبيتا » . فما موقف الكاتب إذا أمره الدين بقتل نفسه

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلّالا مبينا » (الأحزاب / ٣٦) .

٤ - أن المسلم مطالب حين ينزل على أمر النبي أن يصحب معه عقله وإرادته ليكون لتسليمه بما سلم به مفهوم عنده وأمر طام في كيانه ليقوم لهذا الأمر بما ينبغي له من إحتفاء ووفاء ، وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه - في صلح الحديبية - يشهد لذلك (٢٨٣) .

وهذه مغالطة ، فالمسلم مطالب بأن يصحب معه عقله ؛ ليفهم ما كلف به وليمتثل به بقدر ما يستطيع ، لا ليفرق بين ما هو من شأن الآخرة ، فيتمثل فيه الأوامر ، وما هو من شأن الدنيا فيرده ويزعم أن عقله كفيف بمعرفة ما هو أصح له ، فالتفرقة تخالف صريح القرآن كما في الآية السابقة .

واستشهاده بموقف عمر - رضي الله عنه - في صلح الحديبية مرد ؛ فإن من يتبع القصة يعلم أن عمر رضي الله عنه لم يخالف في أمر ولا نهى ؛ بل حينما سأل عن الحكمة في قبول الشروط الجديدة أخبر بأن هذا أمر من الله فلم تسليما .

وعلى الرغم من ذلك فإنه رضي الله عنه رأى أن ما صنعه في هذا اليوم كان من العظام

وما قاله من : إنه ليس الدين في هذا المجال إلا قولة واحدة ، هي أن يتحرك نشاط الناس في غير بنى ولا عدوان : : هو إنكار صارخ لصرائح الكتاب والسنة الناطقة بالتفصيلات العديدة في أكثر شئون الحياة .

واستدلالة على دعواه بمحدث النخل مغالطة صريحة ، ولفظ الحديث هكذا (أنتم أعلم بأمر دنياكم) وليس فيه « بشئون دنياكم » كما في المقال ولا « بأمور دنياكم » كما في كتاب « الإسلام وأصول الحكم » ، وليس بصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار بتأبير النخل على صورة رآها كما زعم الأستاذ ، وليس بصحيح أيضا أنهم امتثلوا أمره ؛ فليس في الحديث أمر ولا نهى ، وكل ما فيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ما أظن يغنى ذلك شيئا » ، يعنى أنه حينما مر على قوم يؤبرون النخل بنقل طلع الذكر للأنثى ولم يكن يعلم ذلك من قبل ، قال لهم : ما أظن أن ذلك التأبير يزيد في جودة الثمرة . فهذا من النبي لإخبار عما جال بخاطره في شأن من شئون الحياة ، وقد صرح فيه بالظن الذى يدل على أنه ليس وحيا ، وليس فيه أمر ولا نهى ولا مشورة ، غير أن القوم حينما سمعوا هذه القولة تركوا التأبير ، فكانت النتيجة أن جاء النخل بشمر ردى ، وليس هذا أمثالا لأمر ولا أقباطا لمشورة ، والذى يظهر أنهم

أو الاستسلام لمن يقتله ؟ أيصطب معه أرادته فيقول : « سمعنا وعصينا » أم يصبر ويقول : « سمعنا وأطعنا » ؟

هـ - أن الدين - والإسلام خاصة - خلى بين الناس ، وبين الحياة يعالجون شئونها بما عندهم من ذكاء واستعداد ، وليس للدين في هذا المجال إلا قولة واحدة : هي أن يتحرك نشاط الناس في غير بنى ولا عدوان ، وعن هذا الإيمان بحق الإنسان في الانتفاع الكامل بعقله وخبراته وتجاربه كان قول الرسول الكريم لصحابته من أهل المدينة : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ، وكان صلوات الله وسلامه عليه قد أشار عليهم بتأبير النخل على صورة رآها ، فامتثلوا أمره فيه ، وكان ذلك جاريا على غير عادتهم ، وكانت نتيجة هذا أن الثمر دون ما اعتادوا وفرة وجودة (ص ٢٨٥) .

ويقال : إن سلمنا أن ديننا من الأديان السابقة خلى بين الناس وشئون الحياة ، فلن نسلم أن الإسلام خلى بينهم وبينها فإن الإسلام تحدث عنها جميعا ، وجاء في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، نصوص في البيع والإجارة وسائر المعاملات ، والأكل والشرب والسكاح والطلاق ، والجنايات إلى غير ذلك ، مما جعل أحد اليهود يتعجب ويقول لأحد الصحابة ما معناه : « إن نبيكم يعلمكم كل شيء حتى الجلوس لقضاء الحاجة » .

التأثير صيا لجودة الثمر، وهذه السببية متيقنة معلومة مجزوم بها مطابقة للواقع مأخوذة عن دليل وهو المشاهدة والتكرار فعلا وتركاً فإن سلمنا أن شأن الدنيا الذي علم عن دليل لا يتدخل فيه الدين فكيف نعلم أن الدين لا يتدخل في شئون الدنيا التقليدية التي لم يدل عليها تكرار، ولا مشاهدة ولا برهان كالأمثلة التي هي منشأ ثوره الكاتب على علماء الدين وهي السفور وما جاء عن الغرب من السفينة والراديو والتعشيل والنحت والتصوير وغيرها ؟ فهذه الأمور إذا أريد التعبير عنها فإنما يعبر بمفردات هي إموزوعات صالحة للحكم عليها؛ بأنها محرمة أو غير محرمة ولا مناص من أحد هذين الحكمين، وكلاهما من الدين، فإن العقل لا يمكنه أن يهتدى إلى أن هذا الأمر محرم يستحق فاعله العقاب من الله تعالى، أو غير محرم فلا يستحق ذلك.

هذا وقد ساق الكاتب حديث د رفع عن أمي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، ولم يرد بهذا اللفظ في كتاب من كتب الأحاديث وصحته، وإن الله وضع عن أمي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، (أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس . برفعه، وكذا ابن حبان وصححه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين)

وقال الأستاذ في تعليقه على الحديث : د فاسألت الإسلام هذه الأعمال والأقوال التي

لم يجربوا ترك التأبير من قبل ؛ فخطر ببالهم أن يجربوه حينما سمعوا هذا القول من الرسول صلى الله عليه وسلم، فربما صادف ظنه الواقع، فلما جاء الثمر ردينا علموا أن الظن لم يوافق الواقع، واستفادوا بهذا فائدتين :

الأولى : أنهم علموا بالتجربة شيئاً لم يكونوا علموا به من قبل، والتجربة أصل جميع الاختراعات والاستكشافات .

الثانية : أنهم علموا أن ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الظن، لا يلزم أن يتفق مع الواقع؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم : د إن كان ينفعهم ذلك فليصنعه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به ؛ فإني لن أكذب على الله عز وجل ، ، (انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ / ١١٦) .

وهذا يرشدنا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال في شئون الحياة قولاً عن الوحي وجب الأخذ به خلافاً لما قرره وكرره كاتب المقال من أن الإسلام خلى بين الناس والحياة يعالجون شئونها .

على أن قوله صلى الله عليه وسلم : د أنتم أعلم بأمر دنياكم، يفيد صراحة أن المقصود بأمر الدنيا الأمر الذي تعلق به العلم . وهو الجزم المطابق للواقع عن دليل، ويبيان هذا أن أمر الدنيا الذي ورد عليه الحديث هو كون

الحادة التي كانت بين الكنيسة وأعدائها في القرون الوسطى ، والتي انتهت بردهم وفصلهم العلم عن الدين ، فإن من الحجج التي تذكروا بها أن رجال الكنيسة تدخلوا باسم الدين في شئون الدنيا مع أن المسيح عليه السلام لم يجر لهمارتها ولا للبحث في شئونها بل قال كما نقل عنه : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، فمن العجب أن تنقل هذه الفكرة من المسيحية إلى الإسلام الذي يمتاز بأنه دين شريعة عامة شاملة لأمور الدنيا والآخرة .

وقد ختم الكاتب مقاله بقوله « وإن يكن منكم في هذا المقام خير تقدمونه لهم فهو الصمت ، والصمت الطويل ، وكان أولى به أن ينصح نفسه أولاً بهذه النصيحة فلا يستهزئ بخيار الأمة من أجل فكرة تخاف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين وما هو معلوم من الدين الإسلامي بالضرورة فليستغفر الله وليتذكر قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويقبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جم' ليهجاء مصيرا ، .

وأختم مقالى هذا بقوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ، رواه الشيخان .

على حصة البوروفس

تقع عن خطأ أو سهو أو إكراه ، وما أهدر آثارها ؛ إلا لأنها وقعت على غير إرادة الإنسان ، أو لأنها جاءت بعيدة عن مشيئته ، وعلى غير تقديره وتفكيره (ص ٢٨٣) ويقال له : إن الإسلام إنما أسقط المؤاخذه في الآخرة على هذه الأعمال ، ولم يهدر آثارها كما يزعم ويمكن أن نصير إلى الآية الكريمة « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة .. الآية .

وبعد ، ففي المقال خلط بين الأحوال وخطط بين المفاهيم ، وتناقض واعتراف بديانات غير سماوية ، واعتراف بأن لها رسلاً ، وفيه كذلك إباحة للردة ، وإنكار الدين لمن يطلق على اختلاف المفتين فيقول : أى دين هذا الذى يأتى بالمتناقضات ؟ وفيه أيضاً قول غير لائق في حق الأنبياء عليهم السلام حيث قرر أن الإنسان ليس له أن ينزل عن عقله وإرادته ولا لنبي ، وفي هذا تجريد للنبي عن العصمة وتحرير لاتباعه على العصيان ، إلى غير ذلك من الهنات التي لو ذهبت أتبعها وأتبعها بالمناقشة لما كفت فيها مقالة ولا مقالتان .

لهذا أدعها لفظنة القارئ الكريم بعد أن كشفت له عن فكرة الكاتب الأساسية التي سبقه إليها مؤلف كتاب « الإسلام وأصول الحكم ، منذ تسعة وثلاثين عاماً وليس من العسير على من يتتبع الأحداث التاريخية أن يعلم أنها مستقاة من الخصومات

التراث الإسلامى والحضارة الأوربية للدكتور محمد مختار القاضى

غبنا فاحشا ، وإذا كان المصلوبون سادة هذا العالم فى العصور الوسطى .

وكان الدين الإسلامى هو الدين الأوحيد الذى لم يداخله لزيغ والدين السكامل الذى شرع لكل أمور الدنيا ، ولزم القصد بين الشدة واللين ، وحض على الأخذ بأساليب العلم ، وصنوف المعرفة ، إذا كانت هذه صفات الدين الإسلامى فالمنطق يقضى بوجوب ارتفاع شأن المسلمين فى كافة العصور ، ولكن الذى نراه أن المسلمين تخلفوا عن ركب الحضارة ، فهل هذا صحيح حقا ؟ ، وما هى أسبابه وما هى طرق علاجه ؟ : هذا ما أديم التفكير فيه ، وأنا الآن أفضى لك بما وصلت إليه بعد طول التفكير والتأمل .

لقد انتهيت وأنا أحلل عناصر الحضارة الإسلامية التى بلغت الذروة فى العصور الوسطى إلى أن هذه الحضارة كانت تقوم على نوعين من العلوم : أولها العلوم الطبيعية ، ويدخل فيها الكيمياء والطبيعة والمهندسة والطب ، والثانى علوم اجتماعية كعلم

دعانى إلى كتابة هذا المقال الموجز أمر أوانى دائم التفكير فيه لأنه موجب للعبارة البالغة ، والجواب منه قد يفتح باب العلاج ، ولا شك فإن الأمر الذى أنا بصدده يحمل علة ليس من السهل الكشف عنها ، وبالتالي ليس من السهل برؤىها ، فهل أنا مستطيع فى هذه العجالة أن أكشف عن هذه العلة وأصف لها علاجا مناسبا ؟ أنا أدعى ذلك ، ولكنى لا أستطيع أن أظفر بما يحبه الإجماع على صحة هذه الدعوى .

أما هذا الأمر أو هذه العلة فهو ذلك التناقض الوضع بين تلك العظمة الخالدة والمجد الشاخ الذى جاء به الإسلام للعالم فى العصور الوسطى وبين ما آل إليه حال المسلمين فى العصر الحديث . فالعالم الغربى لا ينظر إلى المسلمين نظرة كريهة ، ولا يرى فى بلاد المسلمين إلا أنها مزارع وحقول تمدد بالطعام والشراب والمواد الأولية اللازمة للصناعة . وهو لا يريدنا مجانا أو على الأقل بثمن بخس يغيب فيه أصحابها

وكان في أوروبا كثيرون يجيدون العبرية
لإجاده تامة .

لقد مرح إلى مدينة طليطلة هؤلاء المترجمون
من الإنجليز والألمان والعطليان والفرنسيين
واليهود لينقلوا إلى بلادهم كنوز المسلمين
في الهندسة والطبيعة والفلسفة والطب
وفي التاريخ الطبيعى . وكذلك فعل هؤلاء
الغربيون في جزيرة صقلية التي كانت تزهر
بالعلوم الإسلامية الرفيعة . وما أن تعلم
الغربيون هذا التراث الإسلامى المجيد حتى
أخذوا يعملون فيه عقولهم ويطورونه تطويراً
سريعاً ، وقد ساعدتهم على ذلك ما كانوا يرونه
أو يسمعون به من آثار المدينة الإسلامية
في كل البلاد التي فتحها المسلمون ، وكذلك
انتشار المسلمين في كافة بقاع الأرض سواء
في الصين والهند أم في روسيا وإيطاليا
وفرنسا وأسبانيا وجزر البحر الأبيض
المتوسط ، فقد كانت أضواء المدينة
الإسلامية تهر الناظرين ، وكانت شهرتها
تقرع أسماع هؤلاء الأوروبيين الذين تنحوا
أن يكونوا في مستوى المسلمين ، ولكن
مفتاح الحضارة لم يكن بأيديهم حتى استله
الأسبان من أمراء الأندلس المسلمين وطوفوا
به في أنحاء أوروبا .

هذا ما فعله الأوروبيون بالعلوم الطبيعية
حيث هذبوها وقدموها بها حتى دانت لهم

الأخلاق والشريعة والأخلاق والاقتصاد
السياسى .

وقد برز المسلمون في العصور الوسطى
في كافة هذه العلوم بنوعها . فأما العلوم الطبيعية
فقد كان مركز الإشعاع الإسلامى لها في
الأندلس وبخاصة في مدينة طليطلة حيث كان
يهبط إليها المترجمون من كافة أنحاء أوروبا
وقد أصبحت هذه المدينة بعد أن استولى
عليها ألفونسو السادس عام ١٠٨٥ المركز
الذى انتشرت منه الثقافة العربية إلى نواحي
أسبانيا وأوروبا . وخلال حكم ألفونسو
الصابع (١١٢٦ - ١١٥٧) لجأ إليها نفر
من اليهود فاجين بأنفسهم من اضطهاد أول
خلفاء الموحدين لهم ، عبد المؤمن بن علي ،
وتولى زمامة التراجمة الأسقف (رايوندر)
وشهر منهم (دومينيكوس جوند يسالني)
(جوندالين) و (يوحنا بن داود الأسباني) ،
وكان يهودياً ثم تنصر ، (وابن جبرول) ،
(جيراردو القرموني) و (ميكل سكوت)
الإنجليزى ، و (أندويا) اليهودى و (هرمان)
الألماني وغيرهم . وكان المترجمون من اليهود ،
ومعظمهم من الأندلس يقومون بترجمة
الآثار الإسلامية إلى العبرية ثم ينقل غيرهم
النص العربى إلى لغته الأصلية ، ذلك بأن
هؤلاء اليهود بحكم إقامتهم في الأندلس كانوا
يجيدون اللغة العربية إلى جانب العبرية

المنبتة من القرآن والسنة ، وكيف يفعلون ذلك ولو فعلوه لاهتبروا مسلمين من حيث لا يشعرون ١٩ .

واقف صادف عهد النهضة الأوروبية انحلالاً خلقياً متعدد الجوانب ، والأسباب فى البلاد الأوروبية التى تدين بقعالم المسيحية ، وإذا كان الدين المسيحى الأصل الذى جاء به عيسى عليه السلام ديناً قوياً يسقند إلى مبادئ عتيقة ، إلا أن البابوات ظلوا يقسطلون على رعاياهم باسم السماء ، ويحكمون الناس بأحط أنواع الفرائز البشرية طوال العصور الوسطى فهم الذين كانوا يبيعون صكوك الغفران لعباد الله ، وهم الذين كانوا يجردون سيف الحرمان على هؤلاء المستضعفين فى الأرض فلا يدخل المحروم منهم أرض الجنة ، ولا يعرف ربحها ، وهم الذين جعلوا من أنفسهم طبقة ممتازة تعلو على طبقة المساكين ، وإن لم تتعال عن استغلالهم .

وإذا كانت هذه المعتقدات الزائفة قد ذهبت بكثير من غياهاها شمس الحرية الإسلامية التى انبتت من الاندلس وغير الاندلس ، فإن كثيراً من المبادئ اللاخلاقية بقيت ، بل وازدادت شدة . لقد قام مارتى لوتر بتحرير المعتقدات الدينية من صكوك الغفران ، وقرارات الحرمان متأثراً بالحرية

الأرض ، وظنوا أنهم قادرون عليها ، ثم بدأوا يغزون السماء ، وظنوا أيضاً أنهم قادرون عليها وقد أطعمهم فى ذلك أنهم أنطقوا الحديد ونقلوا الصور والنغم هرب البحار وأخضعوا الذرة والكهرباء ، وبالجملة تقدموا بالعلوم الطبيعية التى نلقوها من الأساتذة المسلمين ، ثم زادوا عليها وتصرفوا فى فنونها .

ولكن التعصب الدينى حال بين الأوروبيين وبين العلوم الاجتماعية الإسلامية حيولة تامة فى بعض الأحوال ، وتكاد تكون كذلك فى بعض الأحوال ، الأخرى . فالمبادئ الخلقية التى جاء بها الإسلام لم يأخذوا شيئاً منها وأخذتهم العزة بالاثم ، ذلك بأن الأخلاق مرتبطة عند المسلمين بالدين ، عكس العلوم الطبيعية ، لا يرتبط بمجها بالدين .

وكذلك لم يأخذوا بالعلوم الشرعية الأخرى كنظام المعاملات والزواج والطلاق والحدود وغيرها فلقد هز على هؤلاء المسيحيين أن يأخذوا شيئاً من غير رؤسائهم الدينيين ، وكيف يأخذون بتعاليم الإسلام فى الأخلاق والقانون والعلوم الاجتماعية الأخرى وهم لا يزالون مذكرون تلك الهزائم التى نزلت بملوكهم فى الحروب الصليبية على يد الأمراء المسلمين ، لا بأس إذن بأن يفيدوا من العلوم الطبيعية الحرية وينبذوا فى نفس الوقت العلوم

هذه هي حال الأوروبيين قريبا من نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث ، وأنا لا أتطوع بهذا الاستنتاج ولكنه يشهد عليه شيخ أدباء فرنسا في القرون الثامن عشر وهو جان جاك روسو ، كتب هذا السيامي الأديب بحثين : أولهما عام ١٧٥٠ تحت عنوان : هل أدى تقدم العلوم والفنون إلى تقويم الأخلاق ؟ ، والثاني عام ١٧٥٤ وعنوانه : د الأسس التي يقوم عليها عدم المساواة بين الناس ، وقد قدم هذين البحثين لى جامعة ديجون وانتهى فيهما إلى النتيجة الآتية ، وهي أنه على الرغم من تقدم العلوم والفنون ازدادت الأخلاق فساداً ، أما حال المسلمين فقد كانت عجبا ، فعند ما سلوا خلفائهم للغرب كانت حالتهم السياسية قد تدهورت تدهوراً ملحوظاً ، وسقط آخر معاقلمهم فى الأندلس فى نهاية القرن الخامس عشر .

وإذا كان المسلمون قد بقوا فى الأندلس بعد سقوط دولتهم طوال القرن السادس عشر ، فإن بقاءهم فيها كان محل اضطهاد من المسيحيين مثله تماما مثل الاضطهاد الذى يعاينه العرب الذين بقوا فى إسرائيل بعد استيلاء اليهود فى عصرنا هذا ، ولم يأت أول القرن السابع عشر حتى طرد المسلمون من الأندلس بطريقة لا يقرها دين سماوى ، ولا وثنى ، فأغرق منهم

الإسلامية التى نشرت فى سماء أوروبا ، فإن (ماكيافل) ضرب فى كتابه الأمير أسوأ مثل للأخلاق الإنسانية وخاصة فى العلاقات الدولية .

ولقد زاد الطين بلة أن الأوروبيين فى سبيل الوصول إلى التقدم العلمى لم يبالوا بالتضحية بأى مبدأ من المبادئ الخلقية فى سبيل هذا التقدم فخذوا نساءهم مع رجالهم ، وأصبح الزوج عديم مجرد وسيلة لإنجاب الأطفال وقد أدى ذلك إلى انحلال الأسرة انحلالاً غريباً ، وإذا كانت مظاهر هذا الانحلال لا تظهر لكثير من الناس فذلك لسببين :

الأول : انتشار التعليم عندم ، فإن التعليم يخفف من مضاعفات الأمراض الاجتماعية .

والثانى الثروة التى هبطت على الأوروبيين من إفريقيا وآسيا وأمريكا . ومع ذلك فإن الحروب المتكررة التى مرت بها أوروبا كحرب الثلاثين ، وحرب السبعين والحرب العالمية الأولى والثانية ، كل أولئك يدل على أن الحكمايانية تغلفت فى الأخلاق الأوروبية تغلفاً ينذر العالم بفناء قريب ، وبعد أن كانت العلوم الطبيعية بعيدة التأثير والتأثير على الأخلاق أصبحت هذه العلوم وسيلة من وسائل إنسان الأخلاق .

عليه وعلى غيره من خلفاء الإسلام باهتبار هذه العلوم وحسب لا تقسم ، وأخذ علماء المسلمين ، وخاصة فى الجامع الأزهر يدرسون فلسفة ابن رشد إلى جانب علم التوحيد ، وفقه القرآن ، والسنة ، ومنطق رافوفوريوس فى كتابه إيساغوجى ، وما عليه من تعليقات المناطقة المسلمين ، إلى جانب السير والمغازى ، وكذلك الفلك وغيره من العلوم الطبيعية .

ظل المسلمون محافظين على تراثهم العلمى ولكن مستوى هذا التراث لم يتقدم ، لأن الأتراك الذين تسلطوا على العالم الإسلامى لم يشاءوا ذلك بسبب عدم ميلهم الطبيعى للعلوم الطبيعية . ويكفيك دليلا ، أنه فيما هذا الفارابى الذى يقال : إنه من أصل تركى لم يصف الأتراك سطرأ واحدا فى الحضارة الإسلامية . ومع ذلك فإن لإخلاص الأتراك لدينهم الإسلامى كان سببا من الأسباب التى حفظت العلوم الدينية الإسلامية على ما هى عليه إلى أوائل القرن العشرين .

غزا الأتراك أوروبا وبقوا فيها خمسة قرون وفى القرن التاسع عشر بدأ الأوروبيون يؤلبون الدويلات الإسلامية على تركيا شيئا فشيئا كما فعلوا فى شمال أفريقيا .

ولم ينتصف القرن العشرون حتى صارت الإمبراطورية التركية وما تضم من ولايات

ما يربو على نصف مليون بين رجل وامرأة وطفل ، وأحرقت المراكب التى كانت تقلهم إلى شمال إفريقيا . ومع أن الأتراك كانوا قد غزوا أوروبا من الشرق وفتحوا القسطنطينية عام ١٤٥٣ ثم توسعوا فى بداية القرن السادس عشر فأخضعوا البحر ، ووصلوا إلى فيينا ، وغزوا إفريقيا من الغرب واستولوا على الجزائر منذ القرن الخامس عشر ، وتونس فى القرن السادس عشر ، وكان فى مكنتهم أن يمدوا يد المساعدة إلى الدويلات الإسلامية المتحضرة فى الأندلس ويردوا للمسلمين كرامتهم إلا أنهم لم يفعلوا ذلك ، ولم يتقدموا لنصرة إخوانهم المسلمين الذين اضطهدوا فى الأندلس بعد سقوطها فى يد ملوك الأسبان ، ولو فعل الأتراك ذلك لتغير وجه التاريخ .

ومن الغريب أن أول العناصر التى بدأت فى هــم وحدة الأمة الإسلامية أيام الدولة العباسية كان عنصر الترك والشراكسة . وكان عملهم فى هذا إيجابيا نشيطا فلما احتجج إلى نشاطهم فى حمة الأندلس اتخذوا لأنفسهم موقفا سلبيا عاما . ولقد صادف الانحطاط السياسى للدولة الإسلامية نفس الحقبة التى بدأت أوروبا ترفع فيها رأسها . ولكن هذا الانحطاط السياسى لم يذهب بالتراث الإسلامى المكتسب فقد حافظوا

شريعة الله التي لم يدخلها زيف ، ولا شبهة ولا تحريف ، فهذا نابليون بونابرت الذي انتهك حرمة هذه الدولة الإسلامية ومسجدها العظيم « الأزهر » ، والذي أخرج من مصر هو وجنوده وحلفاؤه مذمومين مدحورين ، نابليون هذا لا يحكم مصر ويحكم طائفة أخرى من الدول العربية ، يحكمهم إلى يومنا هذا بقانون وهو قانون على ما أهرق غير صالح حق في فرنسا ذاتها ، لأنه كان سبيبا في انحلالها من الناحية الاجتماعية ، فهل لنا من رجعة لاستخلاص مدينتنا الحاضرة من الشوائب التي أصفت بها في هورد الاستعمار البغيضة ، لقد كنا في الماضي مضطرين إلى السكوت وخفض الرأس أمام هواصف أوروبا ، أما الآن فلم يعد لنا هذر بعد طرد المستعمرين وأخذهم بالنواصي والإقدام ، وبعد أن أخذت القومية العربية تبرز من جديده ولكن هذه القومية إن تصفو من شوائبها إلا إذا خلاصت من سموم المدنية الأوروبية ، فإن لم نفعل ظللنا في نظر الغرب مقلدين وظلوا أئمة ينظرون إلينا نظرة غير جديرة بالاحترام ، فهل نحن فاعلون ؟ أرجو أن يكون ذلك وإن كان الأمل لا يزال بعيدا ؟

دكتور محمد مختار القاضي

دكتوراه في الحقوق

ملكنا لانجلترا وفرنسا وروسيا وإيطاليا والبرتغال وغيرها من دول أوروبا .

هنا أبصر المسلمون أضواء أوروبا تسطع في أراضهم فأعجبوا بها كما أعجب الأوروبيون أنفسهم بأضواء المدنية الإسلامية لآثار الحروب الصليبية .

وإذن فقد رأوا التساريخ يعيد نفسه ، كما يقول أرسطو ، غير أن هناك فارقا واحدا ، وإن كان جوهريا فالأوروبيون عندما أخذوا مدنية الإسلام في العلوم الطبيعية رفضوا أن يأخذوا مبادئ الأخلاق الإسلامية لاعتقادهم أنها تعاليم بنيت على القرآن ، وهم لا يدينون به ، والحديث وهم من منكريه .

أما نحن فلم نكن كذلك ، لقد قلدناهم تقليد الأعمى في كل مناحي حياتهم ، لقد أخذنا منهم ما أضافوه إلى تراثنا في العلوم الطبيعية ، وأخذنا كذلك عاداتهم السيئة التي لا تتفق وتعاليم الإسلام ، بل ولا تعاليم المسيحية الأصلية ، لقد أخذنا منهم الراديو والتليفون والتلفزيون ، القطار والطائرة وهي من وسائل المدنية حقا لأنها تيسر على الإنسان مشقة حياته في حله وترحاله ، وأكسنا أخذنا كذلك الرقص والخمر والميسر وأخذنا ما اعتقد أنه سبب من أسباب النعمة الإلهية علينا ألا وهو الشريعة الوضعية الأوروبية ، وهم الذين رفضوا شريعتنا وهي

الإقليمية في الأدب

لدُّستاز محمد كامل الفقى

والذين يعيشون في جو الأدب ، ويتابعون أحوال الأمم المنطبعة في نفوس الأدباء المسكابين لأحوال الشعوب وقضاياهم السياسية وما ترسمه في ضمائرهم ، يعرفون حق المعرفة أن الأدباء يحجون في هذه البيئات منفصلين بها . متأثرين بشتى ظروفها . تتم آثارهم الأدبية في كلامهم المنشور أو المنظوم عن حياة هذه الشعوب واضحة ناطقة ، حتى ليخيل إليك وأنت تقرأ ل هؤلاء الأدباء ، أنك لا تسمع الحوادث بل تبصرها ، ولا تقرأ خبر الأمم بل تكابدها وتشاهدها . وليس لهذا الكلام من تفسير واضح ، إلا أن الأدباء - وبخاصة الشعراء - متأثرون حتماً بالإقليم الذى غدوا بطعاه ، وارتوا من مائه ، ولقوا فيه من رفد الخليفة أو الوالى ربا ، أو طائفاً من قبضهما وغل يديهما ما عانوا . ولا يكون من الزعم أن الأديب الأسمى ، أو الشاعر اللامع ، تنطق في نفسه صورة الإقليم ، وفيها سمات وملايح وقسمات ، فإذا لوى عنه هنائه إلى قطر آخر فعاث في ربوعه زمناً ، جدت في خواطره سمات وملايح وقسمات . وكان له في حاله الأولى تعبير ناطق معبر ، يفصح عن شخصيته وشخصية إقليمه ، ثم كان له في حاله الثانية تعبير ناطق معبر ، يفصح عن شخصيته وشخصية إقليمه .

نعنى بإقليمية الأدب أن يتم الأدب في إقليم ما ، عن طابع خاص به ، وسمة مميزة له ، وخصائص تفرده مما سواه ... من حيث لفظه ومعناه ، وأسلوبه وخياله ، ووجهة الأديب الخاضعة لأحوال في الإقليم وملابسات تهيأت له دون غيره ، من ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومن بسط كف الحاكم حيناً ، أو جمهورها وشعبها حيناً آخر .

وليس من شك في أن الأديب مرآة أهله . واللسان المعبر عن حس قومه وشعورهم ، والشاعر بوجه أخص هو المترجم الدقيق لعواطف الناس وأحلامهم ، المحقق دائماً لما يجري في نطاق أمته ، المستبطن كثيراً من رغائبهم ونوازعهم ، الذى يشرح فيما يشبه الإلهام ، ما خفى من المعاني ، ومادق من الأفهام . ولا مرما جعلوا لكل شاعر شيطاناً أو فرضوه ، فهو يوسوس إليه من خفائاه ، ويتدسس إليه بسره ونجواه . فإذا هو بخصوص بفرط من العلم ، ومزید من الحس ، وفيض من الصور البديعة . لا يدركها إلا الأذكاء والبصراء بأحوال الأمم ، العلماء بما يبنى على المقدمات من تناج ، وبما تستهدفه كل خاطرة فردية أو جماعية من معاني الخير والشر جميعاً .

الجمال . وامتجموا الكلا . وخاضوا غمار
الحروب . وكان لهم من المغامرات والمنازعات
والعصبية والجاهلية ما كان ، ليس هؤلاء مثل
الشعراء الذين عاشوا في الحياة العباسية . وفتحوا
على الحضارة أعينهم . وكرعوا مع الخلفاء
والأمراء من اللذانذوالترف وغنوا وطربوا .
وأيسروا من الشعر وكانوا ملوكا له وبه .

وليس يئس الذين وضعوا الوحش والجل
والخيل والطير . والجبل والسهل . والحرب
والسلم . كالشعراء المحدثين الذين أشرقت في أعينهم
مظاهر من الحضارة ، والعلم الحديث لم تكدر تخطر
على بال الأولين فإذا هم يصفون الطائفة والدبابة
والصاروخ والمذيع . وكل طارق جديد .

لقد كان الأدباء والشعراء في ظل المملكة
الإسلامية الموحدة خاضعين لحكم عربي تحت
في العصر الأموي ، وكانت الدولة عربية
خالصة ، يحوطها الأمويون بسياس متين ، فلم
يسمحوا لدخيل أن يقتحم صفوفهم ، وأنفوا
أن يتزوج المولى على إسلامه من عربية ، ومن
تزوجها جزأوه أن تطلق منه ، وأن يلق الجلف
عقوبة ونكالا . . . ومن ثم لم ينفذ إلى الآنق
الأدبي دخيل من فرس أو روم أو ترك أو زنج ،
وبقي المحيط العربي في أغلب الأمر نقياً من
الدوافع التي تغير وجه الحياة العربية ، فالحكم
عربي في أسلوبه ، وشتي صورته والخليقة عربي
ذواق يهتدى لمواطن الحسن في الأدب ، وينفر
من غشه ومزاوله ، ويتجافى عن الإحسان لمن

ولقد كان الشعراء والأدباء قبل تقسيم
المملكة الإسلامية في العصر العباسي ، وتوايل
أطرافها ، وتوزع سلطانتها ، يعيشون في إقليم
واحد ، بعيد الأطراف ، فسيمح الأرجاء ،
عاصمته واحدة هي بغداد ، واليد التي تطعم
وتسقي واحدة وهي يد الخليفة .

فالملاسات التي تغمر المملكة واحدة
أو متقاربة . وخصائص السلطان واحدة ،
لأنه سلطان واحد يسيطر على الأرجاء جميعاً ،
فالأدباء والشعراء يصدر عن ورد ،
ويحسون من كأس . ويرى كل بعينه مثل
ما يرى الآخر بعينه .

وإذن فلا مجال لتفاوت في حس ، ولا سبيل
إلى إختلاف في مشرب ، فالجميع أشباه
في النعمة والبؤس ، وأمثال في الرضا والغضب
وليس بين هؤلاء وأولئك من فرق إلا قدر
ما بين الحس والحس ، والجودة والقبس ،
والسبق والتخلف ، وكم الفناعة والطموح .

وبهذه المثابة كان روح الشعر والأدب
واحداً . وطابع الحياة الأدبية على نسق
متفق أو متقارب .

نعم كان للبيئة الواحة المدى . الفسيحة
الأنحاء ، المتميزة بطابع خاص دافع للشاعر
موج إليه ، أثرها الواضح في طبع صور
في إنتاجه الأدبي لا يشق على الفطن الذواق
أن يهتدى إليها ، ويجتلي خواصها وظواهرها .
فليس الشعراء الذين عاشوا في الحياة
الجاهلية ومشوا على الرمال وامتطوا ظهور

والسامانية في فارس وما وراء النهر، والزيارية في جرجان وكل منها من العنصر الفارسي .
ورأينا الفزنويين في أفغانستان والهند، وهم من الترك . ورأينا الطولونيين والأكشيديين في مصر والشام وهم من الترك .

ورأينا السلاجقة الأتراك ينهبون أنحاء شتى من المملكة الإسلامية فالسلاجقة العظام يحكمون من سنة ٤٢٩ إلى سنة ٥٥٢ هـ وسلاجقة كرمان يحكمون من سنة ٤٣٣ إلى سنة ٥٨٣ هـ ، وسلاجقة الشام يحكمون بين سنتي ٤٨٧ و ٥١١ هـ ، وسلاجقة العراق وكردستان يحكمون بين سنتي ٥١١ و ٥٩٠ هـ وسلاجقة الروم يحكمون من سنة ٤٧٠ إلى سنة ٥٧٠ هـ .

وبعد أن كانت (بغداد) وحدها العاصمة التي يأوي إليها الأدباء والشعراء ، وتزهر فيها نهضة الأدب والعلم وتختص بالشخصية الأدبية بين بلدان المملكة صار إلى جوارها (القاهرة) و (حلب) و (الرى) و (بخارى) و (نيسابور) و (سمرقند) و (فيروز آباد) و (شيراز) و (همدان) و (أصبهان) .

فليس من الممكن إذن بعد اختلاف الحكم جنسا ، وبعد تباينهم في منح الأدباء والشعراء ، أو انقباضهم عنهم ، وبعد أن صارت العواصم مشابات مختلفة تخضع لعوامل غير متحدة وإن كانت متشابهة أن يكون الطابع الأدبي في هذه الأقاليم واحداً ، وأن تكون خصائصه في كل مصر تماثل الأخرى في سمتها ووجهتها .

لم يكن من الشعراء ذا إحسان ، وللخليفة من مجالس الأدب بيئة خصبة تتطال إليها الأهناق ، وله بصير يبلغ به أن تجد من ديوان الخليفة من يقول للشعراء بيا به : من كان يحس أن يمدح الخليفة بمثل قول فلان فليدخل .
وكم كان في البلاط الأموي ، وفي صدر الدولة عباسية من حوافز تحفز الشعراء والأدباء والفنانيين والعلماء على الإحسان والتجويد .
وهذا كان الطابع الأدبي متقاربا ، والأيدى التي تمنح متشابهة ، وآثار الأدباء والشعراء في مضمار الحياة لأنهم إلا عن تفاوت يسير في حدود ضيقة .

فإذا ما انتهت الأمصار المتعددة والافتقار الكثيرة ، والأقاليم المختلفة إلى حكم عربي في بعضها ، وغير عربي في بعضها الآخر . وصار السلطان عليها بيد الفرس والترك فن الحتم أن تتفاوت المسحة الأدبية ، وتتباعد الفرقة الفنية ، وتجسد للأدب حياة في ظل دولة .
بمكافأة حكمها وولاتها ، كما تجد ذبولا وابتئاسا في ظل دولة أخرى ، باليد المغلولة . والرحم التي لم تكن موصولة بين المادح والمدح .
لقد رأينا الأندلس يحكمها الأمويون وهم عرب وبلاد المغرب يحكمها الإدارة العرب ، ورأينا مصر والشام في أسرة الفاطميين العرب ، والموصل وحلبا في سلطان الحمدانيين العرب والعراق يقنازها الفرس (البويهيون) والأتراك ، ورأينا فارس تأكلها الدلفية في كردستان ، وهم عرب والصفارية في فارس ،

ولست أشك في أن نظم الشاهنامة إنما هو من أثر العصبية الفارسية ، ولون من الغزو الثقافي ، ومحاربة لبسط النفوذ على العربية ولغتها .

ومن يدرس منازع للشعبية ومظاهرها المختلفة ، يرمن أساليبها في القرن الثالث الهجري اعتزاز الشعراء بفارسيتهم ، وغير بعيد مسلك (بشار) و (ديك الجن) و (الخريجي) ، و (مهيار الديلمي) ، و (أبي نواس) من قبل . ومن يدرسها كذلك يجد من مسالكهم أنهم عكفوا على التأليف في مناقب العجم كسعيد بن حميد البختكان الذي كان يدعى أنه من سلالة ملوك الفرس فقد ألف (انتصاف العجم من العرب) و (فضل العجم على العرب واقتخاوها) .

و (علان) الشعبي الفارسي الأصل الذي ألف كتاب (الميدان في المثالب) وغير هؤلاء كثير ... حرصوا على إبراز أداب الفرس ومحامدهم ، وحاولوا جاهدين أن يعلوا كبة الفرس وآدابهم ...

وليس من شك في أن اصطباغ الحياة الاجتماعية والأدبية بالثقافة الفارسية في البلاد التي يحكمها الفرس أضفى على الأدب فيها صبغة تبعد في قليل أو كثير عن مظاهر الأدب في الأمصار التي استعلى عليها العرب ، ونم الحكم العربي فيها عن للصبغة العربية الخاصة ؟

محمد فاضل النفقي

لقد اهتز الشعر والشاعر في كنف الولاة العرب في الدولة الحديانية بالموصل وحلب . وفي الدولة الفاطمية بمصر والشام ، واهتز الشعر والشاعر في حكم الفرس في الدولة البويهية والسامانية لبصر الفرس بالآداب وحذقهم اللغتين غالباً . وعملهم الموصول على خلق جو أدبي إذ كانوا أصحاب حضارة قديمة ، وملك بأند . وآداب عريقة تداعبهم الأحلام أن يعيشوها بعد موت وفناء .

وقد حدثت لتاريخ فيما حدثت عن الدولة السامانية التي قام حكمها في تركستان والتي تنمى إلى (سامان بن حنا) الفارسي ، وتعاقب على حكمها عشرة ملوك بين سنة ٢٦١ و ٣٨٩ هـ أن أحد ملوكها وهو منصور بن نوح الساماني ، الذي قام على ملكها بين (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) استوزر العالم الفارسي (البلهي) فترجم تاريخ الطبري إلى اللغة الفارسية .

وأعقبه ابنه (نوح بن منصور الساماني) (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ) فافتتح نظم الشاهنامة (سفر الملوك) لإيالة الفرس في الفارسية ، اقترح ذلك على شاعره (الدقيق) فنظم له بعضها . ثم قتل فأنتم نظمها (الفردوسي) من بعده بإشارة من السلطان (محمود الغزنوي) والشاهنامة تتضمن خمسة وخمسين ألف بيت أودعت ما روى الفرس من أساطير وحقائق في تاريخ ملوكهم منذ أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي .

دَوْرُ الْعَرَبِ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ فِي الْهِنْدِ لِلْأُسْتَاذِ مُحَمَّدِ بْنِ الْإِسْلَامِ

السيف الهندي ، أو الهندواني ، وكان في الهند ترحاب كبير للعرب تجاراً أو زائرين وكانت العلوم والفلسفة الهندية قد تأصلت جذورهما في بلاد العرب .

وكان العرب يفدون إلى سواحل الهند الغربية قبل قدوم الإسكندر الأعظم بقرون عديدة ، وكانت محصولات الهند تصدر إلى جزيرة العرب عبر الخليج العربي ، ومن هناك ينقلها التجار العرب إلى سوريا ومصر وأما تجار الغرب ، فسكانوا يشتررون تلك السلع من سوريا ومصر ، فيصدرونها إلى بلادهم ، وهكذا كان العرب هم الوسيط بين الهند وبين الروم ، واليونان في ميدان العلاقات التجارية .

وبعد أن لاقت الدعوة الإسلامية نجاحاً وانتشاراً منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة اهتمت مئات من قبائل العرب الدين الإسلامي خلال الأهمام التالية وقد دخل سكان اليمن وحضرموت في الإسلام أفواجا ، وكانوا جميعاً من التجار ، وقد وصلت تجارتهم حينذاك إلى قمة الرقي والازدهار ، وكانوا يشحنون البضائع إلى

قال الإمام الشهرستاني ، في كتابه الشهير (الملل والنحل) في معرض تقسيم أهل العالم حسب الأمم والشعوب : د كبار الأمم أربعة : العرب والعجم والروم والهند ، ثم زواج بين أمة وأمة ، وأن العرب والهند يتقاربان نحو مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء ، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق ، واستخدام الأمور الروحية . هذا هو الرأي الذي أبداه العلامة الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ - ١٢٥٣ م .

ومن هنا كانت الأمور في الامتين تجري على نهج واحد ، مع أن موجات من الحضارات الكبرى نشأت في كلا البلدين ، وكانت تتطور وتقبل حسب تقلبات العصور ، وهناك دلائل عديدة تدل على أن الأفكار والعقوس والعقائد والمدنيات تنقل من كلا الجانبين ، وقد كان العرب في عهد الجاهلية يعرفون محصولات الهند ومنتجاتها ، وكانت موضع اهتمامهم البالغ ، وجرت في لغتهم العربية أسماء عدة أشياء هندية مثل : الغنفل والمسك والكافور ، والتفيل ، والنارجيل ، والصندل وما إلى ذلك ، حتى كان أشهر الأسلحة عندهم

وجاء في «تحفة المجاهدين» ، للشيخ الفاضل زين الدين بن عبد العزيز المعبري المليباري ، عن بداية الإسلام في «ملابار» : «إن طائفة من اليهود والنصارى قد استوطنت في مدينة «كدهنفلور» ، أو «كرانفلور» ، عاصمة «كيرالا» ، القديمة فاعل اليهود الذين أجلاهم ملك إيران «كنخسرو» ، قد هاجروا إلى ملابار ، ووصلوا إليها بطريق الخليج العربي ثم استوطنوا في مدينة «كوتشين» .

وقال الدكتور «فورستر» ، مستنداً إلى كتاب برتغالي : «إن جماعة اليهود خرجوا من جزيرة «ميورقة» ، في الأندلس في سنة ٣٦٩ للميلاد ، وكانوا زهاء سبعة آلاف نفر ، ووصلوا إلى شاطئ «ملابار» ، واستقروا في مدينة «كوتشين» .

وأما النصارى ، فالمصادر التاريخية تشهد أن القديس توماس ، من حواري المسيح عليه السلام ، كان يبشر بالمسيحية ، في أنحاء كيرالا ومدراس ، وتبعه جماعة من الفسطوريين من الشام ومن جزيرة العرب ، وكلدان . وبعد حقة من الزمن نزلت في شاطئ «ملابار» ، فئة من التجار العرب المسلمين ، في طريقهم إلى سيلان ، ولما علم ملك ملابار خبر وصول هؤلاء ، دعاهم إليه ، واستفسر عن النبي العربي ، فأجاب رجل منهم ، وكان شيخاً كبيراً السن ، عن سيرة الرسول عليه

الخليج العربي ومصر والسند وملابار ومعبر سيلان وجاوا والصين ، وغيرها من البلدان النائية ، وفي كل بلد ينزلون فيه قاموا بالدعوة إلى الإسلام ، وينشرون تعاليمه ، بطريقة سلمية ودية ، وبهذه الطريقة وصل صوت الإسلام إلى الهند ، وسيلان ، عقب اقتباث فجره في جزيرة العرب .

ويقول «بزرگ بن شهریار» ، في كتابه عن رحلته البحرية ، الشهير باسم «عجائب الهند» ، في صدد بيانه عن جزيرة سيلان : «فلما سمع أهالي سيلان عن الرسول العربي أوفدوا رجلاً ممتازاً إلى جزيرة العرب لاستطلاع حالات دعوة ذلك الرسول الجديد ليبلغهم كما رأى وسمع ، فوصل المبعوث إلى جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (١٣ - ٢٣ هـ) فتشرف بمقابلة الخليفة ، وتحدث معه عن دعوة الرسول ، وسيرته وجمع معلومات وافية ، ثم عاد إلى سيلان ، ولكن فاجأه الموت في طريقه ، وهو في «مكران» ، وكان معه خادم هندي ، فعاد إلى سيلان ، وأبلغ أهلها عن مشاهداته وانطباعاته ، وبين لهم ما سمع من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعن أبي بكر الصديق ، الخليفة الأول ، وكذلك قدم تقريراً عن تفاصيل المحادثات التي جرت بينهما وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١) .

المسيحية ، وصالة إلى أقربائه وأحيائه ، ودلهم على عنايتهم ، وطلب منهم أن ينزلوا في دكدنفلور ، وناشدوا الأيذكروا لأحد شفيئا عن مرضه أو عن موته ، وبعد قليل توفي الملك ، ثم توجهوا مع هاتلاتهم إلى ملابار وفور ووصلهم إلى دكدنفلور ، عرضوا خطاب الملك على وزيره ، فأكرم وقادتهم ومنحهم الضيعة والحقول ، وأسدى إليهم التسهيلات للقيام بنشر دعوتهم ، وبناء المساجد ، ودور العلم ، فبنوا في تلك المدينة مسجدا ، يعتبر أول مسجد شيد في شبه القارة الهندية ، ثم طافوا في مختلف أنحاء البلاد ، داعين إلى الله ، وبانين المساجد ، وحاملين رسالة النور والعرفان .

أما الشيخ زين الدين المعبري . في روايته فلم يذكر اسم الملك الذي اعتنق الإسلام كما لم يحدد تاريخ حادثة الملك ، ولكن المؤرخ الكبير « فرشته » أثبت في كتابه : أن اعتناق الملك الإسلام ، وسفره إلى البلاد العربية ، قد حدثا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم^(١) وفي مكتبة المكتبة الهندي ، الأخرى بلفندي توجد منقوشتان عظومتان ، باللغة العربية ، وفيهما شرح واف لحادثة اعتناق الملك الهندي ، الدين الإسلامي ، وقدم المسلمين العرب إلى منطقة ملابار ، في ساحل الهند الغربي ، ويستفاد

(١) تاريخ - فرشته ، الجزء الثاني ص (٣٧)

الصلاة والسلام ، وعن دعوته ، ومعجزة شق القمر ، فصدق الملك بالنبي ، وأسلم ، وأسرى إليهم أنه سيرا فقمهم في طريق عودتهم من سيلان إلى جزيرة العرب ، لمقابلة النبي الجديد شخصيا ، ولما رجع هؤلاء من سيلان أمر الملك للشيخ المفد كور أن تعد سفينة ، نقله هو ومن معه إلى بلادهم ، ثم دعا عشيرته وأعيان مملكته ، وقال لهم : إني هربت من الكوف على عبادة الله ، والانزواء عن مشاغل الدنيا ، فلا يقتربن أحد مني ، طوال أيام الأسبوع . ثم وزع أمور الدولة على رجاله ، وكتب لهم في ذلك وثيقة لئلا ينشب الخلاف فيما بينهم في شئون الحكم .

ثم ركب هو ورفقاؤه السفينة ، ووصلوا إلى منطقة « فندرينة » فباتوا هناك ليلة ، وقضوا فيها نهاراً ، ثم أبحروا منها إلى « درمغن » ومكثوا فيها ثلاثة أيام ، ثم واصلوا السفر ، حتى وصلوا إلى « شحر » ، وهناك أصيب الملك بمرض شديد ، فأوصى الدعاة الذين عقدوا عزيمتهم على العودة معهم إلى بلاد الهند ، انشر الدعوة الإسلامية فيها ، ألا يهنوا ولا يمحرون .

وكان من بينهم « مالك بن دينار » وشرف ابن مالك ، و« مالك ابن حبيب » فقالوا للملك : إننا لا نعرف بلادك ، ولا نعرف ثغورها ومدنها ، وإنما قصدنا الغهاب إليها لأنك منعنا ، ففسكر الملك مليا ، ثم كتب لهم باللغة

والموعظة الحسنة ، ، حتى برز في أنحاء الهند رجال مثقفون في العلوم الإسلامية ، ويمتكنون في اللغة العربية ، قبل الفتح الإسلامي الأول ، الذي قام به محمد بن القاسم الثقفي ، في نحو عام ٩١ من الهجرة النبوية في مقاطعة السند في شمال شبه القارة .

وتوسع نطاق الجهود الفردية التي بدأها الدعاة المسلمون العرب ، لنشر الثقافة الإسلامية العربية ، تحت زعامة مالك ابن دينار ، في جنوب القارة الهندية إلى جميع أنحاءها في فترة وجيزة ، حتى بلغ عدد المسلمين فيها رقت تقسيمها في عام ١٩٤٧ - أكثر من مائة (مليون) مسلم ، ساهموا مساهمة فعالة في تكوين مراکز خالدة للثقافة الإسلامية ، وهم غيورون للبادئ الإسلامية ، وهم يسكنون بأهداب الدين الحنيف ، وهم يشكلون اليوم جزءاً حياً من جسم العالم الإسلامي ، الذي يربطه برباط وثيق من الدين والإيمان والأخوة الروحية ، ونرى الآن الارتباط التاريخي الوثيق بين مسلمي الهند وإخوانهم العرب الذين حملوا مشاعل الإسلام في أرجائها ورفعوا رايته في آفاقها ، موطن الأركان ومدعم الأساس ، فليسكن الماضي المجيد ، نبزاساً بضئء الطريق إلى مستقبل زاهر ميمون ؟

محبي الدين اللؤلؤي

للدروس بكلية الطب - جامعة الأزهر

من قول الدكتور (برنال) أيضاً ، أن الملك المذكور كان معاصراً للنبي العربي عليه الصلاة والسلام (١) .

وهكذا وصل صوت الإسلام إلى الهند بأيدي العرب ، وكانوا هم طليعة المسلمين الذين استوطنوا فيها ، وأثاروا الطريق لنشر التعاليم الإسلامية ، واللغة العربية ، في وجودها ، وتبعهم في هذا الميدان المسلمون الهنود الذين تشبعوا بالدهوة الإسلامية ، والآداب العربية ، ويقول الشيخ زين الدين : « إن اسقطان العرب الأول لم يكن منعصراً في منطقة ملابار فقط ، بل كانت هناك مراکز آهلة بهم في المناطق المجاورة لها ، . فلما زار (ابن بطوطة) ملابار في القرن السابع الهجري ، وجد مراکز إسلامية عديدة منقشرة في سواحل الهند الغربية ، من « جوا » إلى « كويلون » ، في أقصى جنوب القارة الهندية .

ولا يرجع فضل انتشار الإسلام ، والثقافة العربية - في طول البلاد الهندية وعرضاها - إلى الملوك أو الأباطرة الذين قاموا بفتوحات سياسية ، وأقاموا حكومات ودولا ، بل إلى دعاة مصلحين من العرب والهنود ، بطريقة سليمة ، وموعظة حسنة ، وكان رائدهم في ذلك إرشاده تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة

(١) ذكر « برنال » ، أن اسم الملك جيرمان برومال « كما أثبت ذلك خبره من المؤرخين .

من أباطيل اليهود للأستاذ محمود شبكه

على الله الكذب، وهم يعملون) واليهود في معتقداتهم وسلوكهم وسائر تصرفاتهم إنما يصدر عن كتبهم المقدسة، مثل العهد القديم، والتلمود، وأقوال زعمائهم، رغم ما في هذه الكتب والأقوال من المتناقضات والمضحكات، ولفصنع معاً بعض ما جاء في هذه الكتب، جاء في التلمود: إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة، وأنهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه، ومن يصفع اليهودي كمن يصفع الله، والموت جزاء الأيى (١) إذا ضرب اليهودي، ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض، واحتجبت الشمس وانقطع المطر، واليهود يفضلون الأيمن كما يفضل الإنسان البهيمة، والأيمون جميعاً كلاب وخنازير، ويؤثم كحظائر البهائم النجسة، ويحرم على اليهودي العطف على الأيى؛ لأنه عدوه، وعدو الله، وكل خير يصنعه يهودي مع أيى فهو خطيئة عظيمة وكل شر يفعله معه قربان لله يثيبه عليه، وأن النطفة المخلوق منها باقى الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية نطفة حصان

(١) الأيى -- الإنسان غير اليهودي .

يعتقد اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن عنصرهم من عنصره، وأنهم شعب الله المختار، كما يعتقدون: أن الله منحهم الصورة البشرية تكريماً لهم، على حين خلق غيرهم من طينة شيطانية، أو حيوانية بخسة، وقد تكفل القرآن بالرد عليهم في زعمهم هذا (وقالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه قل: فلم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر من خلق قل: يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء) وهم يزعمون أنهم أصلاء في الإنسانية بحكم عنصرهم المستمد من الله، مثلاً يستمد الابن من أبيه، وأن خيرات الأرض كلها منحة لهم من الله وحدهم وأن من عداهم من الناس خاضع لهم، وتحت سيطرتهم، وما دام هذا وضعهم مع غيرهم من الناس، فلا مانع من ارتكاب السرقة والغش والكذب وهتك العرض، وأن هذه ليست مجرائم، بل قربات يثابون عليها وقد أشار القرآن إلى ذلك في سورة آل عمران (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك، إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا: ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون

وقد غرت هذه التعاليم (موسى شاريت) فوق في (الكنيست) يقول : إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء ، ما لم تشن حرباً وقائية ضد الدول العربية ، حتى تضمن سلامتها ، وتعتمد حدودها داخل هذه الدول ، وحتى تحقق الحلم الذي طالما حلم بتحقيقه فلاسفة الصهيونية ، ألا وهو إقامة إمبراطورية إسرائيلية عمدة، الأرجاء، تفرض سلطاناً قوياً يخافه الجميع .

وفي مؤتمر عقده المحاربون القدماء لمنظمة (الأرجون الإرهابية) في ١٩٥٥/١٠/٢٨ قال (مناحم بيهن) زعيم حزب حيروت : يا بني إسرائيل ، يا شباب منظمة الأرجون إن العدو يحيط بنا من كل جانب ، وإننا إن لم نهاجمه في دياره ، ونحطم قوته الحربية قام هو وحلم دولة إسرائيل ، وعليكم يقع واجب المحافظة على دوائكم ، وتوسيع رقعتها إن قتل عربي منه إضعاف أعدائكم ، وثبتت قد أمكم ، فلا تتوانوا في قتل أعدائكم ولا تأخذكم بهم رحمة وشفقة ؛ حتى نقضي على حضارة العرب المزعومة ، ونقيم على حطامها حضارة إسرائيل .

هذه تصريحات زعماء إسرائيل ، وكلها تنطق بما انطوت عليه نفوس هذا الجنس من غدر وخيانة ، وحقد على العرب ، ورغبة ملحة في القتل ، وسفك الدماء ، وليست هذه الصفات

(تلبود أورشليم ص ٩٤) سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم (من تفسير التلمود) .

الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير (الحاخام بارانيل) .

أيها اليهود : لأنكم من بني البشر ؛ لأن أرواحكم مصدرها روح الله ، وأما باقي الأمم فليست كذلك ؛ لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة (مناحم الرومي) .

باستطاعتك أن تقتل أفضل المسيحيين (التلمود) لا تهرب وجوههم ؛ لأن الرب آلهك في وسطك إله عظيم وخوف ، واسكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً لا تستطيع أن تغنيهم سريعاً لكثرتك عليهم وحوش البرية ، ويدفعهم الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا ، ويدفع ملوكهم إلى يدك ، فتسحقوا اسمهم من تحت السماء (تلمية ج ٧ ع ٢١ - ٢٤) .

هذه طائفة من النصوص ، لا تحتاج إلى تعليق فهي واضحة الافتعال والاضطراب ، وهي على ما فيها من ركاكة ، وضعف أسلوب تصور مطامع اليهود ، وآمالهم العريضة ، وما وعدوا به من إرث ، وما أمروا به من غلظة وقسوة ، وما ينتظرهم من مستقبل حافل بالمجد ، والسيطرة على العالم كله

بجديدة على اليهود ، فلقد وصفهم كثير من أنبيائهم في كتبهم المقدسة بأنهم شعب غليظ القلب ، صلب الرقبة ، وأنهم أبناء الأفاعى ، وقتلة الأنبياء ، وما كثرة أنبيائهم إلا دلالة على دناءة أصلهم ، وخسة طباعهم ، وأن بذور الشر ، وعوامل الفساد امتزجت بلحمهم ودمهم ، فلا يفيدهم نصيح ، ولا ينفع معهم توجيه وإرشاد ، وقد سجل القرآن عليهم هذه الظاهرة في قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسول ، وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ؟ ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » . واليهود مشهورون بحب المال ، والاستغلال وأينا حلوا في بلد نراهم يحاولون التسلط عليه اقتصاديا ، فيستغلون البيوت المالية ويشرفون على الصحف والمجلات ودور النشر وشركات الأنباء ، وهم يعيشون كالأمراس الطغرافية على الشعوب وحضاراتها مما دعا هتلر إلى احتقارهم ، وفضح أساليبهم ونواياهم والتنكيل بهم ، فهو يرى : أن اليهود جنس يضطرم بالاثرة . وأنه ذكي ، ولكنه مجرد من الابتكار والعارفة ، وأنه لم يخلق لنفسه أية حضارة ، ولا يحدوه أى مثل أعلى ثم يصف الطرق التي يتبعها اليهودى في دخول المجتمعات الجرمانية ؛ فيقول : إنه يحل في أثر

الجيوش الأجنبية ، ويتقدم كتاجر ، ويشتمل بالوساطة ، والربا الخطر ، ويحتكر التجارة ويرهق الفلاحين ، ويجتمع اليهود في أحياء ومجتمعات خاصة ، ويحرصون كل الحرص على بقاء جنسهم ، وينفذون لذلك دولة داخل دولة ، ثم يتملقون رجال السلطة والأسراء ويمدونهم بالمال ، ويستظنون بحمايتهم ونفوذهم ويسيطرون على البورصة والانتاج (١) وقد استطاع هتلر أن يحطم اليهود ويحقهم أفراداً وجماعات بأقصى وأعنف الوسائل والصور ، وحافى اليهود في ظل النازية عمدة ما عرفت في تاريخهم الزاخر بالآلام والمحن والأمل قريب في أن يكون مصير يهود فلسطين مصير آبائهم وأجدادهم في مختلف العصور : من التشكيل والقشريد ، وأن تعود فلسطين لأصحابها ما دام العرب قد تجمع شملهم وتوحدت كلمتهم ، وما دامت الجمهورية العربية المتحدة قد وضعت أمام عينيها تطهير فلسطين من اليهود ، وعودتها إلى أهلها ؛ كما جاء في الميثاق (والجمهورية العربية المتحدة بالتاريخ والواقع هي الدولة العربية الوحيدة في الظروف الحالية التي تستطيع تحمل مسؤولية بناء جيش وطنى يكون بمثابة القوة الرادعة لخطط العدوانية الاستعمارية والصهيونية) .

محمود شبيكة

(١) كتاب هتلر كفاحي .

طباع... وشرائع...

للأستاذ على الخطيب

اللحم ، وأنزوج النساء ؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني) ، ونزل قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فقال القوم : اللهم سلنا واتبعنا ، وتوقفت تلك التجربة نهائيا في الإسلام .

ولأنه لمن العبث أن يطلب تشريع من الإنسان أن يضطهد طباعه ، أو يقضى على ميوله ، وأي استجابة لمثل هذا التشريع تعنى بصورة مباشرة صراعا مريرا من الكبت والحرمان ، والضيق والحقد ؛ يستحيل الإنسان بعدها إلى امرئ متعطش للعدوان ، يحتلئس اللذات في غير حق ، ويستجيب لطباعه استجابات شاذة تضربه ، وبانجتماع ، فالطبيعة ستتغلب في النهاية ، وتحقق ذاتها ، وتؤكد أنها لا تموت .

فكان حقا على الإسلام - دين الفطرة - أن يقف أمام هذه المحاولة ، ويقضى عليها ، وينذر كل مبتدع إلى يوم الدين أنه على غير سنته ، وحسابه على نفسه ، وجرم أتباعه عليه : فكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

من حق المرء على هذا الدين ألا يحبس عليه ميوله ، أو يجمع فيه فطرته ، وإنما يستجيب الإسلام لهذه الميول ، وتلك الفطر استجابة وصيئة ، تتيح للسلم بحكمته أن ينال دائما توافقا ، نظيفا بين طباعه ، والاستجابة لها ، توافقا لإفراط فيه ، ولا تفريط ، وفي اتجاه مستقيم ، ينجو من الضرر والعدوان ، وتحقيق الميول ، وتؤكد الطباع ، وتستوى الشخصية المسلبة بلا انحراف ولا شذوذ .

وقد حرص الإسلام على تأكيد هذا المعنى ، والحفاظ عليه حين شرع نهر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقاومة طبايعهم قائلين : ما حقنا إن لم نحدث عملا ؛ فإن النهارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نهم . وجلسوا في البيوت ، واعتزلوا النساء ، ولبسوا المسوح ، وحرموا طيبات الطعام واللباس ، وهموا بالاختصاص ، وأجمعوا أمرهم لقيام الليل ، وصيام النهار ١١ .

وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (ما بال أقوام يقول أحدهم : كذا وكذا . لكنني أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم ، وأكل

لنالت استحسانا وتقديرا ، لكنها أبت إلا أن تشرع وتخطط ، وتأمر وتحذر ، وتملي المنع إملاء أغرى الناس بالناس رغباتهم خفية . . وأى الناس . ؟ إنهم كهان البوذية فى اليابان ، فقد حاول الأباطرة فى عصر كيوتو ، محاولة دينية قصدوا بها أن يؤيدوا قوانين التغذية كما تأخذ بها البوذية ؛ لحرموا ذبح الحيوان وأكله ، ولكن لما رأى الناس أن الكهنة أنفسهم كانوا يخرجون على تلك القوانين خفية . أخذوا يدخلون اللحم لونا شهيا من الطعام ، ويسرفون فى أكله . ومالنا نذهب بعيدا إن بودا هو أول من عصا البوذية . وكاد يودى بحياته بعد وجبة ضخمة من لحم الخنزير .

(ج) وفى التاريخ مثال لرجلين : أحدهما أكبر ، أمبراطور الهند فى العصور الوسطى الذى أراد أن يجعل الناس كرها على اعتناق دين ، رسم هو خطوطه ، وحد حدوده ، وصوره له وهمه أن دينه يستوعب الأديان جميعا ، فانطلق - وهو الأمبراطور الذى يملك السلطة ، ويحوز القوة - يفرض عقيدته على الناس مؤملا أن يرضى طوائفهم فى النهاية ، وفى سبيل ذلك أنزل ببعض الطوائف تشريعات ضد رغباتها ، وأصاب المسلمين فى الهند من عنته شيء ، فقد حرم عليهم صيام رمضان ، وحج البيت ، وأغراه

والتاريخ شاهد صدق يؤكد عبث الخروج على منطلق (القصد والاعتدال) فى كل حالة اعتبرت (الفطرة) معصية ، و(الاستجابة) لها جريمة ؛ وقص علينا التاريخ طرائف فى هذا الباب : (١) فى الرهبنة تبين أن فريقا من رهبان (المادية) الهنود يخلصون لحياة النكس طوال العام إلا يوما واحدا ، يطلقون فيه لشهواتهم اللسان ، مقبلين فيه على لذة مفرطة يحبون فيها من كل لون وطعم ؛ كما يقول دكتور غلاب (ص ١١٥ فلسفة شرقية) . كذلك لم يمنع مركز البابوية اسكندر بورجيا أن يطلق لشهواته ألف عنان على روس الاشهاد . حتى بات معلوما للعامة أن لهذا (البابا) ستة أولاد ، أو سبعة غير شرعيين (١) ، ولم يكن عجبا أن تموت دعوة (مانى) فى مهدها . تلك الدعوة التى قضى فيها بتحريم الزواج استعجالا لفناء العالم ؛ فأت (مانى) وظل الناس يستمتعون بما أحل الله من زوج وبنين .

(ب) ولقد سلك أكثر من عقيدة تنادى بالتناسخ ، وتؤمن بالحلول ، أو بطرف منه - طريق تحريم اللحم ، وتفاوتت فيما بينها فى تشريع تحريمه ، فمنها ما حرمه أبدا ، ومنها ما قضى بالتحريم فترة ، ولو قد كانت حيا له وسطا ، ترغب فى القصد والاعتدال ،

(١) ص ١٧١ سافونارولا : دارالكتاب المصرى

فكان نهج الإسلام خير حافظ للناس ومبقي على كرامتهم ، وله في ذلك نصوص صريحة ؛ يقول تعالى :

« فلا تميّلوا كل الميل ، ١٣٩ ، النساء . .
« وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ١٤٣ ، البقرة ،
« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون ، ٣٢ الأعراف .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كلوا ، واشربوا ، والبسوا ، وتصدقوا
من غير خيلة ، ولا سرف ؛ فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده .

هذا الإطار من تعاليم الله ورسوله كفيل ببيان احترام الفطرة ، والعمل على صيانتها حتى يستوى ، التوافق ، بين الإنسان وطباعه ويتم ، الإشباع ، التنظيم بين المرء وميوله في أحضان هذه الشريعة السمحة التي وسعت الرغبة ، وحفظت الطبيعة بنهج أصيل يحقق حكمة الحياة على مدار القرون ؟

على الخطيب

بجمع البحوث الإسلامية

في ذلك فكر سقيم ، وقوة غاشمة ، وعبثا ذهبت محاولاته ، وحسقت ميته دون أن تنال روحه عزاء من أي الناس ، بينما كان قصره في المساء نفسه يتلأل بفرح إعلان امبراطور جديد وتنفس الناس الصعداء .

والثاني : الحاكم بأمر الله .

وأي الناس لم يسمع بهذا الحاكم الذي أغراه السفة ، لا بمحاولة تغيير عقائد الناس فحسب بل اتجه إلى تغيير ما درجوا عليه من عرف في العمل أو السلوك . مضطهدا طوائف العمال إذ أمرهم بممارسة عملهم ليلا ، والكف عنها نهارا ، وحد من حرية المرأة ؛ حتى حرم عليها ما أحل الله لها ؛ فأوقف كثيرا من المنتجات التي تخصها من رداء أو زينة ، ونادى بعض أتباعه في المساجد نداء أنكره المؤمنون ، وقاوموه ، ثم أتت النهاية ، فمات الحاكم هيته غامضة ، عادت الحياة بعدها سيرتها الأولى .

ولن يعدم ملتصق التاريخ حقائق في هذا الباب تؤكد جميعا حتمية النصر للطبع المعتدل والميل الشريف ، وانتصار الحياة لها .

من أجل ذلك يقف الإسلام حاميا منطق « القصد والاعتدال ، يصونه أن يعبد به أحد أو ينحرف به ضال ، حتى لا يقذف الإفراط بالطبع ، والإسراف في الميل ، إلى ضرر عارم أشد تدميرا على المجتمع من القمع والاضطهاد .

مَا يَقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

محمّد في مَكَّة
للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

في ١٩٢ صفحة . وهو من مطبوعات جامعة
اكسفورد ، ويعد هذا الكتاب الأول
في ثلاثية ، مونجومري وات .

وليس (مونجومري وات) أول من
كتب عن محمد ، إذ سبقه في ذلك كثيرون
من المستشرقين ، ومنذ زمن طويل ،
بعضهم يهاجم محمدا ، ويريه بأشنع التهم
ويطعن عليه بأقبح المطاعن التي لا تستند
إلى أي حقيقة تاريخية ، وقد انبرى للرد
عليهم جماعة من علماء الغرب أنفسهم
يبغون الدراسة النزيهة عن الهوى . ولذلك
لم يكف يشهد القرن العشرون مشقة حتى
صدرت كتب جديدة تبحث سيرة محمد
بأسلوب جديد ، وانعمة مخالفة ، وإنصاف
أكثر ، نذكر من هؤلاء اثنين يعرفهما قراء
العربية : هما (اميل درمنجم) ، والسير (وليم
مور) . ونود أن نشير إلى أن اليقظة العربية
القوية في القرن العشرين ، مع اقتران هذه
اليقظة بنهضة علمية وتقدم واسع الخطوات ،
إلى شدة الاتصال بين الشرق والغرب ، وفتح

أصدر الغربيون بشق اللغات كتباً
ودراسات متعددة عن محمد ، النبي العربي
الذي أرسله الله تعالى إلى قومه ، وأمره بتبليغ
رسالة الإسلام ، فقام بتبليغ الرسالة ، وأدى
الأمانة ، ولقى في سبيل ذلك كثيراً من
الغنت والاضطهاد ، في مكة أولاً إلى أن
هاجر إلى المدينة ، فهاجمه العرب في المدينة
وانتصر عليهم في الغزوات المختلفة إلى أن
انتهى الأمر بفتح مكة ، وخضعت بلاد
العرب للإسلام . ولكن محمدا لم يقف
برسالته عند حدود بلاد العرب ؛ بل أوفد
رسلاً بكتب منه إلى : كسرى وهرقل
والمقوقس ، يدعو الناس كافة إلى الدين
الجديد . وبذلك يمكن أن يقال : ن سيرة
محمد مرت في ثلاثة أطوار أساسية ،
في مكة ، ثم في المدينة ، ثم الإسلام وتوحيد
الجمتمع ، وطبقاً لهذا التقسيم ، أصدر الأستاذ
« مونجومري وات » ثلاث كتب يدرس
في كل واحد منها مرحلة من حياة النبي .
صدر الكتاب الأول سنة ١٩٥٣ ، ويقع

والفكرية التي بدأها ، ومع أن أولئك الذين ينكرون أن مثل تلك العوامل ، هي التي تحدد وحدها سير الحوادث ، فإنهم مع ذلك لابد أن يسلخوا بأهميتها .

فالجديد في هذا الكتاب إذن : هو العناية ببحث العوامل « الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية » ، وبيان صلتها بالحركة الدينية الجديدة التي نادى بها محمد . وهذا منهج لا اعتراض عليه ، بل لابد منه ، وقد أصبح مألوفاً في الوقت الحاضر عند كتابنا ، الذين يصورون العصر من شتى جوانبه السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية والثقافية والدينية ، قبل الشروع في الكتابة عن الشخصية التي ظهرت في ذلك العصر .

ولما كان المؤلف يكتب بالإنجليزية لطاقتين من القراء ، الطائفة الأولى - وهي الأكثر - الغربيون ، وهم - فيما يفترض المؤلف - من المسيحيين ، والمؤلف كذلك مسيحي ، فقد كان من الطبيعي أن يقرب بعض المباحث الإسلامية إلى الذهن الغربي بضرب أمثلة من المسيحية ، والطائفة الثانية - وهي الأقل - المسلمون ، وقد راعى المؤلف شعورهم ، في معظم المسائل الأساسية التي تمس الدين ، وعلى رأسها القرآن الذي يؤمن سائر المسلمين بأنه كلام الله ، المنزل من عنده تعالى على محمد . لهذا السبب أعلن المؤلف في صدر كتابه أنه لا يود أن يصدر حكماً عن القرآن ،

النوافذ على الدراسات الغربية ، كل أولئك أحدث رد فعل عنيف في مصر ، دفع مفكرينها إلى الكتابة عن محمد بأسلوب جديد يتلاءم مع العصر الحاضر ، ويتفق مع مناهج البحث العلمية . وكان ثمرة ذلك ما أصدره هيكل والعقاد وطه والحكيم وغيرهم عن محمد ، ولم يعزف كل واحد منهم على نفس القيثارة ، بل اتجه كل منهم وجهة خاصة فتعددت الأنغام تبعاً لاختلاف المناهج التي اتبعها الباحث .

فهل بقي بعد كل تلك الدراسات ، الغربية والشرقية زيادة لمستزيد ؟ وهل يمكن أن يأتي كاتب بمجديد ؟

تسائل الأستاذ دوات ، هن ذلك ، وأجاب في مقدمة الكتاب بما خفواه : أن الحاجة إلى كتابة حياة محمد - من جديد أمر شعر به طلبة البحث في الإسلام (وليلاحظ القارئ أن موتجوسرى يكتب للغربيين) وبخاصة أصحاب العقول التاريخية . ليس ذلك بسبب الكشف عن مادة جديدة ، بل لأن اهتمام المؤرخين منذ أواخر القرن التاسع عشر قد اتجه وجهة البحث عن العوامل « المادية » التي تقع في أساس التاريخ ، وهذا يعني أن المؤرخ الحاضر ، الذي يعيش في منتصف القرن العشرين يريد أن يطرح كثيراً من الأسئلة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كانت قائمة في الوقت الذي ظهر فيه محمد ، مع عدم إغفال الحركة الدينية

وكايتاني في تاريخه عن الإسلام، وغيرهم وليس أدري المؤلف يعرف اللغة العربية لماذا لم يرجع إلى المؤلفين العرب المحدثين، على الأقل إلى هيسكل في كتاب «حياة محمد»، وهو الذي نقل آراء المستشرقين وأنبرى لرد عليها بالحجة الدامغة.

أطال المؤلف في وصف حياة العرب في الجاهلية من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، واستغرق ذلك ثلاثين صفحة من جملة الكتاب البالغ عدد صفحاته مائة وتسعين. ونحن نرى أن هذه المقدمة مطولة على الرغم من أنها دراسة متمعة، ينتهي منها المؤلف إلى أن تدهور الأخلاق وانحطاط الدين واصطدام الفرس والروم وازدهار مكة تجارياً، كل ذلك كان تربة صالحة لظهور دين جديد.

ناقش المؤلف مسألة الوحي طويلاً في الفصلين الثاني والثالث، والثاني بعنوان طفولة محمد وشبابه (ودهونه إلى الإسلام)؛ والثالث: بعنوان الرسالة الأولى. وبعد أن تكلم المؤلف عن نسب محمد، ومولده وطفولته وزواجه من خديجة، شرع يتحدث عن بعثته، وبدأ بإيراد حديث لوجي عن ابن شهاب الزهري عن هروة عن عائشة، رواية الطبري في تاريخه؛ وكنت أحب لو أن المؤلف رجع في هذا الحديث إلى البخاري ومسلم وغيرهما، وبخاصة لأنه يناقشه مناقشة

فلا يذكر «قال الله...» ولا «قال محمد...» بل «جاء في القرآن...» وسنناقش هذه المسألة بعد قليل.

ويزعم المؤلف أنه أصدر كتابه أولاً، وقبل كل شيء للتورخ، لا للسياسة أو للإسلام، وبهذه الصفة، فإنه يتحري الحق وحده، ولا يتحيز. ولكنه بين حين وآخر، يعلن أنه مسيحي، وأنه مؤله، وأنه موحد، فهو بذلك لم يستطع أن يتخلص تماماً من تحيزه للعقيدة التي نشأ عليها، وأن يتحري الإنصاف كثور فقط.

وكتب المؤلف خمس صفحات عن المصادر. وفي مثل هذا البحث، لا شك أن قيمة المصادر وتقييمها ضروري. وأول مصدر يعتمد عليه هو (١) القرآن، وهو الوحي الذي تلقاه محمد (كما يعتقد) من الله، وكما يعتقد الموضوعية بين قوسين من كلام المؤلف، أي أي كما يعتقد محمد.

ثم بعد ذلك (٢) سيرة ابن هشام (٣) تاريخ الطبري (٤) مغازي الواقدي (٥) طبقات ابن سعد (٦) صحيح البخاري ومسلم، ومسند ابن حنبل (٧) أسد الغابة لابن الأثير، والإصابة لابن حجر.

هذه هي المصادر الأساسية التي يرجع ويرجع إليها كل من يريد الكتابة عن محمد، مستشرقاً غريباً، أو كاتباً عربياً. ثم يشير المؤلف إلى مؤلفات غربية مثل: كتاب السير (وليم مور)

مع ما نأخذه من سورة النجم : د والنجم
إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى .
وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي
يوحى . عليه شديد القسوى . ذو مرة
فاستوى . وهو بالافق الأعلى . ثم دنا
فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى
إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد
ما رأى . أفتتأرونه على ما يرى . ولقد وآه
نزلة أخرى هند سدره المنتهى

ويعلق المؤلف على الآيات السابقة بأن
التفسير الجارى عند المسلمين ، أن هذه الرؤى
خاصة بجبريل . ولكن هناك أسبابا تجعلنا
نظن أن محمداً فسر في الأصل أن هذه الرؤى
خاصة بالله نفسه . ذلك أنه لا يوجد أى ذكر
لجبريل في القرآن حتى نزول الوحي بالمدينة .

نقول : إن الخوض في تفسير القرآن مدعاة
لمزائق كثيرة ؛ إذا صدو عن الأعاجم الذين
يجهلون اللغة العربية ، ويتلفون عليهم
بالقرآن عن الترجمات الإنجليزية له . وفي اللغة
العربية أسرار لا يعرفها إلا أصحابها .
والقرآن يفسر بعضه بعضا . وطبقا لهذه
القاعدة ، فسر المسلمون د إن هو إلا وحي
يوحى ، عليه شديد القوى ، أى الملك ، وهو
جبريل . لأن الله يقول في موضع آخر من القرآن
(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ،
أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ؛
فيوحى بإذنه ما يشاء) فهذه قاعدة قرآنية في

هلبية . وقد قسمه اثنتى عشرة فقرة ، هى
(النص الذى نشبته هذا عن البخارى) .

(ا) أول ما بدى به رسول الله (ص)
من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان
لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

(ب) ثم حجب إليه الخلاه ، وكان مخلو بنار
حراره ؛ فيتحدث فيه الليالى ذرات العدد قبل
أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع
إلى خديجه . فيتزود لمثلها . حتى جاءه الحق
(THE TRUTH) وهو في غار حراء ، فجاءه
الملك فقال ...

وتعقبنا على رواية الحديث ، أن المؤلف
اعتمد على رواية الطبرى ، ولم يناقش الروايات
الأخرى ، مع أنه شرع ينقد الحديث ،
وسياقه ، وإسناده .

ويبدو أن الترجمة خطأ ، فالمؤلف يترجم
د الحق ، في هذا الموضع بقوله Truth ،
أى ما يقابل الباطل ، المقصود بهذه اللفظة
في الإنجليزية د الله ، . ولكن الحق ههنا
تعنى القرآن ، أو الوحي . ورواية البخارى
د جاءه الحق ، فجاءه الملك ، والملك جبريل .

يقول المؤلف ص ٤٢ : د ليس ثمة أسباب
جيدة للشك في الفكرة الرئيسية الواردة في
الفقرة د ا ، ، نعى أن تجربة نبوة محمد بدأت
بالرؤيا الصادقة . وهذا يختلف تماما عن
الأحلام ... وما جا . في الفقرة د ا ، يتطابق

وبناء على ذلك لا معنى للإصرار على أن الحق هو الله ، وأن الله هو الذي جاء إلى النبي ، أو أن النبي رآه ، ولا يحتمل حديث الوحي هذا التأويل ، ولا كذلك سورة النجم . ولا نود مناقشة التعليق على حديث الوحي فقرة فقرة ، وإلا طال بنا الكلام ، واحتاج إلى مجلدان . ولكننا مع ذلك نشير لإشارات عابرة إلى بعض أمور استوقفت أنظارنا :

يذهب المؤلف إلى أن (اقرأ ، وقرآن) ، ينتميان إلى ذلك المعجم الديني الذي أدخلته المسيحية إلى بلاد العرب ، وأن الفعل (قرأ) يدل : إما على القراءة ، أو تلاوة النصوص المقدسة ، على حين أن د قرآن ، مأخوذ من السريانية (قريانا) التي تدل على القراءة أو الدرس الديني (صفحة ٤٦ - ٤٧) . وهذا الكلام مأخوذ عن المستشرقين ، وليس جديداً ، وقد نقله عنهم كما ذكر ، والذي استوقفني حقاً أن هذين اللفظين مما أدخلتهما المسيحية ، ولماذا لا تكون اليهودية ؟ لو أن المؤلف كان يهودياً ، لزم أن اليهود هم الذين أشاعوا اللفظ ، ولست أدري لم لا تكون العربية أسبق من تلك الأصول كلها ؟ وقد كانت في بلاد العرب مدنية قديمة ، بحكم موقعها الجغرافي بين الشرق والغرب ، وقد كانت هناك حضارة في اليمن مزدهرة منذ

الوحي ، تتنافى مع قول المؤلف : إنه يعتقد أن محمداً كان يتلقى الوحي رؤياً (vision) عن الله مباشرة ، لا عن الملك . وأين هي هذه الأسباب القوية التي يزعمها المؤلف ، مع أن المصادر هي القرآن ، والحديث . ونحن نرى أن الذي ضلل المؤلف اعتماده على الحديث الذي أورده الطبري ، وإغفاله رواية البخاري ، مع العلم أنه رجع إلى البخاري في فقرات أخرى من الحديث . ولو أنه اعتمد روايه البخاري لاختلف حكمه ، لأن هذه الرواية تضعيف د الملك ، صراحة بعد قوله فجاءه الحق .

والمعجب أنني لم يخطر ببالى أبداً - وأنا أقرأ الحديث في أصله العربي - أن أفسر د الحق ، في هذا الموضع بأنه د الله ، وفهمت منه على الفور أنه الوحي ، أو القرآن . ومن المعروف أن الحق اسم في القرآن ، للقرآن . ولكن المؤلف يريد أن يوجه التفسير وجهة تتفق مع هواه ، وتختلف مع الجاري في اللغة والمأخوذ من جملة القرآن . فيقول إن د الحق ، في طريقة للتعبير عن الله . والحق يستعمل في القرآن استعمالات مختلفة ، فهو اسم من أسماء الله ، د فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ، ، أو هو القرآن د بل هو الحق من ربك لننذر قوما ... ، أو هو الحق في مقابل الباطل ،

في صدق محمد، وأمانته؛ إذا وجب أن نفهمه على الإطلاق، وإذا كان علينا أن نصصح الأخطاء الموروثة من الماضي، فلا بد أن نتمسك بأن محمداً كان أميناً صادقاً، حتى يثبت لنا العكس نهائياً، وهذا أمر عسير جداً في مثل هذا البحث.

ومن قبيل نقد المفتريات التي يلصقها المستشرقون بمحمد، قولهم: بأنه كان هرطقة لنوبات من الصرع، وأن القرآن الذي كان ينطق به هو نتيجة هذه النوبات، وقد نفى المؤلف (ص ٥٧) صحة هذه التهمة، على أساس أن الأهراس التي تذكر في كتب السيرة لا تنطبق على أعراض الصرع الذي يؤدي إلى الضعف والتهافت، على حين أن محمداً في أثناء الوحي كان ماله كالقواء كلها، ونضيف إلى ما ذكره المؤلف أن هيكلاً في حياة محمد، فقد هذه التهمة تفصيلاً، وبين بطلانها من الناحية العلمية.

الخلاصة: أن موقف المؤلف من القرآن هو قبوله، على أنه وحى إلهي أنزل على محمد، على سبيل الفرض العلمي الذي لا يمكن بدونه تفسير الحوادث التاريخية التي وقعت في القرن السابع الميلادي، في تلك الرقعة من الأرض تفسيراً صحيحاً.

وقد زلزل هذا الدين الجديد قواعد النظام الجاهلي تماماً، اجتاهيا وأخلاقيا وفكريا

قديم الزمان، ولا شك أن الكتابة كانت معروفة، وبالتالي القراءة.

غير أن المؤلف يقول في ختام مناقشته لحديث بدء الوحي (صفحة ٥٢) إنه على الرغم من وجود شكوك كثيرة حول الظروف المحيطة ببداية الوحي، إلا أن الموازنة بين الأحاديث وتصفياتها يؤدي إلى صورة عامة تبعث قدراً معقولاً من الثقة بها، حتى لو ظل كثير من التفاصيل وبخاصة عن التواريخ غير مؤكدة.

ثم يخصص المؤلف إلى مناقشة إخلاص محمد في شعوره بالنبوة.

وقد دافع المؤلف عن محمد، مقبلاً دفاعه على حجج جديدة، وأولها: أن مقالة كارليل عن محمد في كتابه «الأبطال»، جعلت الغرب يتجه نحو الثقة بإخلاص محمد.

وثانيها: أن تحمله الاضطهاد في سبيل عقيدته مع الروح العالية عند أصحابه الذين آمنوا به، إلى جانب هزيمة الدين الجديد، كل ذلك يؤكد صدقه.

وثالثها: أننا لو افترضنا عكس ذلك، وقلنا إنه لم يكن نبياً بل مدعيًا لوقعنا في مشكلات يصعب حلها.

ورابعها: أن الغرب ظل قروناً طويلة يشيع عن محمد وعن الإسلام صورة مشوهة مسرفة في البعد عن الحقيقة، وقد آن الأوان أن نعتقد

اهتم أول الأمر بتأكيد الإيمان بإله واحد ،
وبيان ما أمر به ونهى عنه على الجسلة ، مع
الوعد بشواب المؤمنين ، والوعيد بعقاب الكافر
في الآخرة ، إما بنعيم الجنة أو بنار جهنم ،
وجاء الدين الجديد بمفهوم أخلاقي جديد ،
هو التزكية ، وأمر الفرد أن يتزكى ، ثم
مع توالى نزول القرآن ، تطور هذا المصطلح
إلى مفهوم آخر مثل الإسلام ، أى
الاستسلام لله (ص ٧٦) .

إن مناقشة الأخلاقيات القديمة والجديدة
وكذلك مفهوم « الإسلام » ، وهل تطور
عن التزكية ؟ لا تكفى فيه هذه الصفحات
القليلة ، ولكننا نقول مع الإيجاز الشديد :
إن القرآن أتى بمفهوم أخلاقي ليس هو الدين
ولكنه تابع للدين ، وهذا المفهوم هو
« التقوى » ، وهو مصطلح قرآني مستمد ،
بحسب المنهج الذى يريد المؤلف اتباعه .
من أول نزول القرآن تاريخياً ، إلى تمام
كمال النزول ، فى سورة العلق ، أول ما أنزل
من القرآن ، يقول الله : « أرأيت إن كان
على الهدى ، أو أمر بالتقوى ، . وفى أول
سورة البقرة وصف للقرآن ، وأنه (هدى
الذين يؤمنون بالغيب ، ويعلمون الصلاة ،
للتقوى وبما رزقناهم ينفقون) .

ولقد جاء القرآن بحل للمشكلة الاقتصادية ،
وعلاج الحال السيئة التى انتهت إليها المجتمع

ودنياً واقتصادياً . فن الناحية الاجتماعية
اضطرب ذلك النظام بين تضامن قائم على
علاقة الدم والقرباة ، وبين تضامن قائم على
المصلحة التجارية بعد أن أصبحت مكة مركزاً
هاماً للتجارة بين الشمال والجنوب ، ولكن
هذه العلاقة الجديدة التى ظهرت فى مكة
نفخت فى نار الفردية ، واضممت الروح
الجاهلية ، بما أدى إلى زيادة غنى الأغنياء ،
وزيادة فقر الفقراء ، وهى الحال التى أطال
القرآن فى وصفها ، ولما كان الحل الجاهل
الجديد ، نفى علاقة المصالح المالية لم ينفى
عن علاقة الدم القديمة ، فقد جاء الإسلام
بحل آخر يقسوم على الدين . وما يأمر به من
صدقة وإنفاق على الفقراء (ص ٧٢-٧٣) ،
ومن الناحية الأخلاقية ، كان المثل الأعلى
الأخلاقي للعربى فى الجاهلية هو « المروءة » ،
ولم يعد هذا المثل الأعلى صالحاً فى الحياة
التجارية الجديدة ، وكان الدافع فى الجاهلية
من المروءة دفاعاً عن شرف القبيلة ، وكان
الشعراء هم الناطقين بلسان قبائلهم فى الدفاع
عن هذا الشرف حين يفخرون بالمروءة ،
لأنهم تضم بين جناحيها الشجاعة فى القتال ،
والصبر على النوائب ، والأخذ بالثأر ،
وحماية الضعيف والوقوف فى وجه القوى ،
وكانت المثل الأخلاقية التى اتخذها أهل
مكة قدوة مثلاً منهارة قاسدة فلما جاء الإسلام

(محمد والمشكلة الاجتماعية لأصول الإسلام) وقد أشار المؤلف - مونتجمري وات - في مقدمة كتابه الثالث (الإسلام وتوحيد المجتمع والصادر سنة ١٩٦١ ، إلى هذا النقد قائلاً : (لقد أكد كتاب (محمد في مكة) بوجه خاص منزلة العوامل الاقتصادية عند أول ظهور الإسلام ، وعلاقة هذه العوامل بأفكار الإسلام الأساسية . وبسبب هذا التأكيد ذهب النقاد - من أصحاب اليمين واليسار على السواء - إلى أن في الكتاب نزعة ماركسية ...) .

إذا كان هذا رأى النقاد الغربيين ، فنحن نرى خلاف رأيهم ، ذلك أنهم يصرون على هوى وعصية ضد الكثرة الشرقية . أما نحن العرب المسلمين ، فوقفنا الفكري هو أننا كثر لاغربية ولا شرقية ، لها مكانها الخاص النابع من تاريخها ومن دينها . ومن خلال هذا التراث الإسلامى ننظر إلى الأمور ، فنقول : إن مفكرينا قديما ، وحديثا ، ربطوا بين الإسلام والأحوال الاقتصادية وكيف حل الإسلام هذه المشكلة . والقرآن نفسه يصور أحوال العرب الاقتصادية في الجاهلية أبلغ تصوير ، ثم دعا الناس إلى الإيمان بالإسلام ، وما شرعه من فروض ، إذا اتبعت تحمل أزمة المجتمع والإنسان . (البقية على صفحة ٧٦٢)

في مكة ، وانفصاله إلى طبقتين متباهتين ، طبقة الأغنياء المهرفين في الغنى ، والفقراء المعدمين .

على هذا النحو من المناقشة التي تعتمد على الأصول والنصوص ، والتي يضطر المؤلف إلى ترجمتها الانجليزية لتحليلها ، والموازنة بينها ، يمتد في الفصل الرابع يستعرض أول أصل ، مع ربط هؤلاء الذين أسلموا بقبائلهم من وعشائهم ، مثل هاشم ، والمطلب ، وعبد شمس ونخزوم ، وتيم ، وزهرة ، وغيرهم . وهو تحليل مفيد ، ودراسة منهجية جيدة . ويتعلق الفصل الخامس بنمو المعارضة لدعوة محمد ، حتى إذا اشتد العرب في إيذائهم المسلمين أمرهم محمد بالهجرة إلى الحبشة . ولما شرع أهل مكة يعتدون على محمد نفسه ، ويؤذونه ، ثم قرروا التخلص منه ، أمره الله بالهجرة ، ذهب أولا زهاء سبعين من المسلمين ولم يبق في مكة سوى : أبو بكر وعلي ، وآخرها هاجر محمد بصحبة أبي بكر .

وبهذا ينتهى الكتاب الأول من ثلاثية مونتجمري وات .

وبعد صدور هذا الكتاب بالانجليزية سنة ١٩٥٣ ، تناوله النقاد بالتعليق ، فكتب عنه الأستاذ (بوسيك) في مجلة هباريس سنة ١٩٥٤ كلة بعنوان (تفسير ماركسى لأصل الإسلام) . وكتب الأستاذ (رودنسون) سنة ١٩٥٧ مقالا في مجلة (ديوجين) بعنوان

الكتب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السمره

كتاب المعراج للقشيري :

تحقيق الدكتور علي حسن عبد القادر
عميد كلية الشريعة

هذا الكتاب الذي نشرته دار الكتب الحديثة بعابدين ، يقع في أكثر من مائة وثلاثين صفحة ، ألحق بها ملاحظتان : أحدهما في تحقيق الأحاديث المعراجية ، والآخر في معراج أبي يزيد البسطامي ، لأبي القاسم العارف ، وليس لأبي القاسم الجنيد حيث نسبت إليه خطأ كما يذكر الدكتور علي حسن عبد القادر .

وقد كتب الدكتور مقدمة عن المعراج ، وآراء العلماء القدامى المختلفة ، وذكر أن تراث الإسلام الروحي قد تأثر بهذه القصة تأثيراً بليغاً ، ونعني بهذا التصوف الإسلامي الذي ألهم كثيراً من أهل الشعر والفلسفة والأدب ، وأضاف للإسلام كنوزاً ثمينة ، وآداباً إنسانية خالدة ، وحكمة شرقية ، وفناراً لها ، ثم قدم ترجمة موجزة عن القشيري الذي ولد عام ٣٧٦ هـ ، وتوفي عام ٤٦٥ هـ ، وعن مؤلفاته الموجودة والمعدومة ، والتي بلغت ثلاثة وعشرين كتاباً ، أشهرها الرسالة

القشيرية المعروفة ، ثم ختم المقدمة بكلمة عن أصل مخطوطة المعراج ، التي تطبع لأول مرة وذكر : أن أصل هذه المخطوطة محفوظ بمكتبة (بانكيبور) بالهند ، ولها صور فوتوغرافية بمكتبة المكتب الهندي بلندن وقد نقل هذه المخطوطة وأرسلها إلى الدكتور علي حسن عبد القادر الأستاذ الدكتور (آربري) أستاذ الأدب العربي بجامعة كبريدج . أما كتاب المعراج نفسه ، فقد تناول القشيري فيه شرح معنى المعراج عند أهل اللغة ، واختلاف العلماء في أحكام تفصيلية في الإسرائ والمعراج ، ومذاهبهم في المعراج وتناول اختلافهم في وقوع المعراج لغير نبينا ، وفي وقوه الأولياء ، كما تناول ما اختص نبينا في ليلة المعراج ، وما ورد في معارج إبراهيم وإلياس وموسى وهيسى عليهم السلام ، واختتم الكتاب برؤية النبي لربه ليلة المعراج ، ثم السرف في المعراج من بيت المقدس لا من مكة .

من القطع الصغير ، تناول المؤلف فيه الطب عند الأمم القديمة ، عند المصريين القدماء .

ولكنه احتمال على الله وملائكته في معراج
ويذكر القشيري: أن إبليس خرج من موضع
قدم موسى، في وقت ما كان يسمع الخطاب من
الله سبحانه، فوسوس إلى موسى، وقال له:
ما يؤمنك أن الذي يخاطبك غير ربك؟
ولكن جبريل ألقاه بعيدا، وقال: تهسر أن
تقرب منه في هذا الوقت؟ فقال إبليس: أنا لم
أبال أن أخرجت أباه من الجنة، فأبالي أن
أوسوس إليه في هذا الوقت؟
هكذا يفرقنا القشيري في جو من الأساطير،
ولا سند له في رواياته، اللهم إلا ابتكار
الخيال نفسه..

وبعد - فطبع مثل هذا الكتاب لا يقنع
أرباع المثقفين بأنه إحياء للتراث الإسلامي
المجيد الذي بعث بهادته الفنيه وأصالته، والروح
العالية في نفوس الأدباء والشعراء والحكماء
كما يذكر أستاذنا الدكتور علي حسن عبيد
من القادر، فقرأنا الإسلامي المجيد لم يكن صورا
الموس والخيال الخصب والقصص المختلفة..

كتب جديدة

الطبع والطب

تأليف: د. محمد عبد الحميد البوشي

الناشر: المكتبة الثقافية

يقع الكتاب في اثنتين وستين ومائة صفحة
من القطع الصغير، تناول المؤلف فيه الطب
عند الأمم القديمة، وعند المصريين القدماء.

لو أن القشيري اقتصر في كتابه على
الأحاديث الصحيحة الواردة في المعراج، أو
حتى على التفسيرات المقبولة للآيات القرآنية
التي اتخذت دليلا على معراج الرسول لكان
لكتابته تقديره - وكان علينا أن نتقبله
برحابة صدر.

إلا أن القشيري رحمه الله سلك طريقا في
رصد الأخبار التي لا مصدر لها إلا أفواه
بعض المتصوفين وتخيلاتهم، حتى لينخل إلى
القارئ أن القشيري أضنى على المعراج لونا
أسطوريا لعب الخيال فيه دورا رئيسيا.

فالقشيري يقول كثيرا في الكتاب: سمعت
الاستاذ أبا علي الدقاق يقول، ويقول بعض
العلماء، وقيل، ثم يعتمد هذه الأقوال التي
لا مصدر لها إلا قائلوها حجة مسلما بها.

عما ينسب إلى الرسول: فرفعت لنا سدره
المنتهى، فاتمهينا إليها، وإذا ساقها ذهب أحمر
وقضبانها لؤلؤ أبيض ومرجان وعقيان وفضة
وعلى كل قضيب سبعون ألف ورقة، ما بين
الورقة والورقة مسيرة أربعين عاما، ورقها
زمردا أخضر مثل ريش الطاووس في الحسن
الورقة منها تظل الدنيا، على كل ورقة ملك
كأن وجهه الورق، مكتوب على جباههم:
سكان سدره المنتهى..

وعما ينسب إلى إدريس عليه السلام أنه
أول من عرج به إلى السماء من الأنبياء،

صفحة من القطع الكبير ، بحث فيه المؤلف :
ما قبل خلق السموات والأرض بخمسين
ألف سنة ، ومتى خلق الله آدم ، وقصة
الصراع بينه وبين إبليس ، والمجادلة بين
روحي آدم وموسى ، وهل كان إبليس من
الجن أو من الإنسكة ، وهل الجنة التي خرج
منها آدم ، هي جنة الخلد أو جنة الأرض

وقد اعتمد المؤلف في دراسته لحياة آدم
عليه السلام على كتب التفسير المختلفة ،
وناقش كثيراً من آراء المفسرين .

مجموعنا العربي كما ينبغي أن يكونه :

تأليف : أحمد محمد جمال

الناشر : رابطة العالم الإسلامي

هذا الكتاب على إيجازه ، قدم لأمور موضوعا
على جانب من الأهمية ، فالتيارات الدخيلة
التي تسلك إلى العالم العربي ، أضفت كثيراً من
القيم التي كانت تسود المجتمع العربي ، ووجدت
أجهزة الإعلام كلها مسخرة لها في نشرها .

وبعد أن كشف المؤلف الستار عن تلك
التيارات الدخيلة ، رأى أن يقوم بمجموعتنا
العربي على أسس أربعة : هي نفس الأسس التي
قام عليها المجتمع الإسلامي : أولاً : أن الحاكم
المسلم خليفة الله في تطبيق شريعته بين خلقه ،
وثانياً : وحدة المحكومين وحريتهم ،
وثالثاً : الشورى ، ورابعاً : حرية الاقتصاد .

عند الكلدانيين ، والبابليين ، والآشوريين ؛
ثم الطب في الإسلام في مختلف عصوره ،
كما عرض المؤلف نماذج من الأطباء العرب
والمسلمين ، وما أسدوه للإنسانية والبشرية
من أباد يعض خلداهما التاريخ .

رجال حول الرسول :

تأليف : خالد محمد خالد

الناشر : دار الكتب الحديثة

صدر الجزء الثاني من كتاب : رجال حول
الرسول ، ترجم فيه الأستاذ خالد لأحد عشر
صحابياً جليلاً ، هم :

حمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله
ابن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وعمار
ابن ياسر ، وعبد الله بن الصامت ، وخباب
ابن الارت ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعثمان
ابن مظعون ، وزيد بن حارثة ، وجعفر
ابن أبي طالب ، ثم عبد الله بن رواحة .

والواقع أن المؤلف قدم لنا دراسات
مركزة عن هؤلاء الرجال الأفذاذ . امتازت
بالتحليل العميق والكشف عن قيم عليا رفيعة
كل منهم ، ويقع الكتاب في ست عشرة
وماقتى صفحة من القطع المتوسط .

حياة آدم :

تأليف : محمود شلبى

الناشر : مكتبة القاهرة

يقع هذا الكتاب في مائة وست وثمانين

فتاوى مختارة

نقدم : ابراهيم محمد الرصيل

(الاجابة للجنة الفتوى)

شرب الدخان :

السؤال :

ما حكم الشرع الخفيف في شرب الدخان ؟
حسن الرمي

الجواب :

شرب الدخان إن ترتب عليه ضرر في البدن كان ممنوعاً ، وكذا إن ترتب عليه ضرر بالمال ، إلا إذا احتيج إليه لدواء ؛ فلا يكون ممنوعاً حينئذ ، فإن لم يترتب عليه ضرر بالبدن أو المال ، ولم يحتج إليه لدواء ، كان مباحاً استصحاباً للأصل لأن الأصل في الأشياء الإباحة .

قص شعر السيدات :

السؤال :

صاحب صالون السيدات يقص شعرهن ويصبغه ويكويه ، ويقوم بتزيين العرايس وتزجييع الحواجب -
فما حكم الشرع بالنسبة لذلك ؟

عبد الرؤف عبد الرزاق

الجواب :

ما تسأل عنه من شأنه إثارة الفرائز والإيقاع في الفتنة ، ولا حاجة تدعو إلى أن يقوم به رجل ، فغيره من النساء يصلح له فلا يحل له أن يتخذ مهنة ، تسترزق منها وواجبه أن يتخذ طريقاً آخر للرزق غير هذا والمحافظة على دينه تحتم عليه أن يتخلى عن هذا العمل .

السؤال :

١ - هل يصح ذبح البقرة لإذامات والده الزوجة أو والدتها ، وإطعام الطعام عند أهلها كما هي العادة في بلادنا ؟

٢ - هل يجوز أن تغني المرأة للعروس مع ضرب الدف ، والرقص والتصفيق ؟

٣ - هل يجوز ضرب الدف مع التصفيق أو بغير التصفيق ؟

٤ - هل يجوز عمل المولد للنبي صلى الله عليه وسلم على أرض اليتامى إذا كان يتنفع منها اليتيم أو لا يتنفع منه ؟

السؤال :

في عام ١٩٠٠ اشترى (أ) من (ب) قطعة أرض مساحتها فدان بمبلغ ٤٠٠ جنيه ، وظل المشتري يماطل في أداء الثمن ، حتى تغيرت الظروف الاقتصادية ، فارتفعت قيمة الأرض فأصبح ثمنها ٨٠٠ جنيه في عام ١٩٦٠ ، وهو عام السداد .

هل يسدّد المشتري بمبلغ ٤٠٠ جنيه فقط أم يصدد بمبلغ ٨٠٠ جنيه وهو السعر وقت السداد ؟ .

فتحى محمد الشكشكي

الجواب :

المستحق هو الثمن الذي وقع عليه العقد ، وتغير الظروف وارتفعت قيمة الأرض المبيعة لا يؤثر في صحة العقد ، ولا يغير من قدر الثمن فإنها ارتفعت قيمتها ، وهي في ملك المشتري كما أنه لو انخفضت قيمتها بعد العقد فإن المستحق هو المسمى وقت البيع بدون نظر إلى ما حصل من انخفاض بعد ذلك .

السؤال :

رجل مريض بالربو ، أمره الطبيب بأن يكون دائماً في حالة دواء يخاف من استعمال الماء البارد في الوضوء أن يزيد من مرضه أو يؤخر من شفائه ، فهل له أن يقيم للصلاة عبد الدائم محمود عبد الله - الإسكندرية

هـ - هل يجوز تقديس بعض الأماكن اعتقاداً بأن ولياً عاش عليها ، أو عبد فيها الله ؟

محمد إسماعيل أبو دانيوس - أرتيريا

الجواب :

عن الأول : بأن ذبح البقرة أو غيرها حين الوفاة بقية التصديق على الفقراء وإهداء ثوابها لليت لا شيء فيه ، إذا لم يصحب ذلك حب الرياء والسمعة وكون ذلك في بيت الميت لا مانع منه .

وعن الثاني والثالث : غناء النساء في الأفراح والعروس ، وضرب الدف لذلك لا مانع منه إذا لم يقترن بمحرم من اختلاط الرجال بالنساء ، أو غير ذلك أما الرقص والتصفيق ، فغير جائز ، إذ هو من اللهو غير المباح .

وعن الرابع : بأن عمل المولد النبوي لا مانع منه ، إذا لم يصحبه محرم ، وعمله على أرض اليتامى جائز إذا لم يترتب على ذلك ضرر بهم .

وعن الخامس : بأن الأماكن التي ورد الشرع بتعظيمها كشاعر الحج والمساجد وخاصة المساجد الثلاثة لا مانع من تعظيمها ومراعاة حرمتها ، وما عدا ذلك بما لم يرد فيه نص فلا خصوصية له على غيره .

الخطر بالقطع ، أو كان الخطر في القطع أكثر من الخطر في بقاءها ، أو تساوى الخطر في القطع والترك ويعرف ذلك بقول الطبيب العدل العارف .

النذر المعبر وهل يفير معرفه ؟

السؤال :

نذره احتيج لقيمته في عمارة المسجد الوحيد الموجود بالقرية .

فهل يجوز صرف هذا النذر في عمارة المسجد ؟

وهذا النذر - عبارة عن ذبيحة تذبح كل عام يدعى لها الفقراء ليطعموا منها ، ويقيموا ذكرا كما هو معروف .

محمد أحمد سعد

الجواب :

مصرف النذر هو ما عينه الناظر بنذره ، وما دام الناظر قد جعل مصرف النذر هو إطعام الفقراء فلا يعدل بذلك إلى صرفه في عمارة المسجد .

السؤال :

١ - ما حكم الشرح في كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟
٢ - هل يجوز إمامة رجل يعلم ابنه في المدارس اللاتينية التي يدرس فيها القرآن

الجواب :

إذا تيسر له تسخين الماء من غير مشقة وجب عليه تسخينه ، والوضوء منه ، وما لم يتيسر له ذلك ، أو كان فيه مشقة عليه ، جاز له التيمم بنية استباحة الفرض ، ولا يصلى بهذا التيمم إلا فرضا واحدا ، فكل صلاة تحتاج إلى تيمم مستقل ، نعم يجوز له حينئذ أن يصلى مع الفرض تقلا بالتيمم الذي صلى به فرضا .

السؤال :

عندى طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات ملصق بإصبعه الخنصر البنى زائدة تشبه حبة حصص متدلية من آخر الإصبع ، وهذه الزائدة تكبر وتنمو معه .

وأخشى من استفحالها مستقبلا وقد عرضتها على أحد الأطباء فقرر قطعها إلا أنني شككت في أن يكون في ذلك حرمة على - لأنه مولود بها .
فما الحكم في قطعها ؟

عبد النبي أحمد غازي

الجواب :

الزائدة التي ولد بها ولدك بجانب خنصر يده البنى يجوز لك قطعها ، إذا لم يكن في قطعها خطر أو كان الخطر في تركها أكثر من الخطر ، في قطعها ، ويمتنع عليك القطع إذا اختص

وعن الثاني: بأن تعليم الولد في تلك المدارس من حيث هو تعليم. لا شيء فيه إذا كان غالبا عما يحس العقيدة والدين، غير أن مزج المناهج في تلك المدارس بمحصر تعليم القرآن باللاتينية الذي هو غير جائز، والذي لا يمكن للتلميذ أن يتخلف عنه لأنه يجب عليه أن ينتظم في سلك الدراسة مع أقرانه يجعل تعليم الولد فيها منهايا عنه إذ أن درء المفسد مقدم على جلب المصلح.

أما لبس البرنيطة فقد أصبح غير خاص بالكفار فلا شيء فيه.

وعن الثالث نفيد بأن استماع القرآن الكريم من جهاز (الرايو) لا شيء فيه؛ بل هو عبادة متى كان محافظا على آداب الاستماع، (وإذ قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون). وهذه الكيفية من القراءة (في الرايو) لا شيء فيها، بل هي من باب دوتعاونوا على البر والتقوى، لما فيها من نشر القرآن الكريم وإذاعته بين الناس لعلهم يهتدون، ولا فرق بين أن يكون ذلك تسجيلا أو من المقرئ. نفسه في الإذاعة ...

الزواج من مطلقة أبي الزوجة.

السؤال :

تزوج رجل بامرأة، وتزوج والد زوجته بامرأة أخرى؛ وحصلت مفارقة بين والد

أيضا باللاتينية، ويرضى لابنه لبس البرنيطة ما حكم الشرع في هذه المسائل؟

٣ - هل يجوز الاستماع لتلاوة القرآن الكريم من جهاز (الرايو) - وما حكم هذا في الشرع بالتفصيل؟ وما الفرق بين ما إذا كان تسجيلا أم لا؟ بعض علماء اليونان

الجواب :

نجيب عن الأول بأن اللغة اللاتينية خالية من عدة حروف توافق الحروف العربية فلا تؤدي جميع ما تؤديه اللغة العربية بحروفها فلو كتب القرآن الكريم بالحروف اللاتينية على طريقة النظم العربي كما يفهم من الاستفتاء لوقع الإخلال، والتحريف في لفظه، وتبعها تغيير المعنى وفساده، وقد قضت نصوص الشريعة بأن يمان القرآن من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف.

وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف في القرآن الكريم، يؤدي إلى تحريف في لفظه، أو تغيير في معناه. ممنوع منها باتا ومحرم تحريما قاطعا. وقد التزم الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية.

ومن هذا تبين أن كتابة القرآن بالحروف اللاتينية المعروفة لا يجوز، ومن اشتغل بهذا فهو فاسق، وإمامته مكروهه، فإن استحل ذلك كان كافرا لا تصح إمامته -

الزوجة وزوجته ، فهل يصح الزواج بين
زوج البنت وزوجة أبيها ؟

أبو سليمان محمد صالح

الجواب :

لا مانع شرعا من ذلك ، مادام لم يوجد

مانع خارج عن ذلك كرضاع مثلا أو غيره .

السؤال :

أختان مسلمتان والدهما مسيحي توفي
أخيراً هل لهما الحق في الإرث منه ؟

هدى محمد المهدي

بيع المصحف لشخص غير مسلم :

السؤال :

ما حكم الشرع في بيع المصحف إلى شخص
غير مسلم بقصد التجارة ؟

عمر عبد الله محمد - السودان

الجواب :

بمقتضى قانون المواريث رقم ٧٧
لسنة ١٩٤٣ تمنع المادة ٦ منه ، التي تنص
على عدم التوارث بين المسلم وغير المسلم ،
البتين من أن ترثا والدهما المسيحي .

الجواب :

استيلاء الكافر على المصحف إهانة له

(بقية المنشور على صفحة ٧٥٤)

الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية
والسياسية والثقافية .

أما الصحيح ؛ فإن الإسلام في صميمه
يدهو إلى نزعة اشتراكية ، تمنع استغلال
الإنسان لأخيه ، وتسوى بين الناس ،
وتلغى الفوارق بين الطبقات ، وبين الجسديات ،
وبين الألوان .

أحمد فتوح الأهراني

وليس صحيحاً أن الإسلام يمكن أن يفسر
باتجاهات ماركسية ، لأن المذهب الماركسي
وهذه المناسبة فإن كارل ماركس يهودي -
يلقى الدين أساساً ، ويقلب الأمور رأساً
على عقب ، فيجعل القيم الروحية كلها نابضة
من الماديات . أما الإسلام فإنه يعكس هذا
الوضع ، إذ يبدأ أولاً من الدين ، يثبت
قواعده في قلوب المؤمنين ، ويؤكد
الوحدانية ثم يفرع على ذلك كل الأنظمة

منافسات

انبثاء وآراء

وإن كانت بكل وضوح غير مساوية ترام متمسكين بها كأنها صحيحة ، وما لا ينكر أن كل حزب بما لديهم فرحون . . . إلا أن حزب الله هم المفلحون ، وبمجرد الخلاف النجل العام الذي يقوم بين الأديان في عالمنا كاف لأن يبعث في قلب اللبيب حب البحث والتحقيق لكي لا يفترى على الله كذبا ، والغريب أن البشر جميعا يرتأون ويقبلون ما يسلم به وجل العلوم التاريخية والرياضية وغيرها أيا كانت إلا أنه يبدو أنه من المرفوض أن ينظر إلى دينه وإلى ملاحظات وتبصرات أصحاب غير ملته فيتحقق ويتيقن ، والحقيقة ضالة المؤمن . . . فاصمحو لي أيها السيد الجليل واعتباراتي إنما صادرة من قلب سليم وعقل سليم ، هديت ولما كنتم إلى ما هو أقوم .

وملاحظة ثانية إذا سمحتم وهي تهمني كثيرا وهي أنكم حررتم في آخر الصفحة ٣٦٤ ما يلي : الواقع كان أهل السكتاب في الجاهلية قد انخرعوا وضلوا . فهل من جميل فضلكم أن تثبتوا هذا تاريخيا عدا ما يحكى عنهم

حل البريد إلى هذه الرسالة من الأب الفريد هافنيت عضو جمعية الدراسات الدينية في بيروت :

قرأت في عدد أكتوبر من مجلة الأزهر تحت عنوان : « ما يقال عن الإسلام ، للبحث العميق حول كتاب مستشرق من اليابان فكان عرضكم واضحاً وافياً للغاية في موضوع جديد مثل السمنقية فأعجبت من سعة نظركم وصحة تعليقاتكم ، إلا أنني بصفتي رجل بحث ورجل دين لا أوافق المبدأ الذي به ختمتم المقال في ثبات النص القرآني وبقينه على سائر الوثائق التاريخية ، أفلا يجدر بالباحث أن يميز بين الإيمان والتاريخ فالإيمان شيء والعلم شيء وكثيراً ما لا يتفقان ، فعند ذلك يجب إعادة النظر في الإيمان والتاريخ معاً عسى أن نجد سبب الخلاف ، والعالم المخلص وإن كان مستعداً لقبول كل ما أتى من عند الإله فعليه ألا يخشى أن يرد البحث على صحة الدين الذي ولد فيه وورثه من الآباء وقبلته البيئة التي تحيط به فأرباب الأديان كلها

غير ذلك . ونحن نعرف أن العرب كانوا أمة أمية لم يعنوا بالتدوين في كتب ، ولولا أن هذه الأمور أثبتت في القرآن ما علم بها أحد . وإنما حفظ العرب من جاهليتهم قصائد من الشعر ، وبعض الأمثال ، جرت في صفحة الزمن من جيل إلى آخر حتى دونت بعد قرن من الزمان من ظهور الإسلام . وقد شك كثير من العلماء في الشعر الجاهلي وذهبوا إلى أنه وضع وضعا بعد الإسلام . ولكن هؤلاء العلماء - وهم من المستشرقين ، لم يشكوا أبداً في القرآن ، لأن تدوينه وحفظه تم في زمان مبكر في عهد عثمان بن عفان ، وروعت في كتابة المصحف ضمانات شديدة تبعد عنه أي شك . وإذا كان القرآن نصاً صادقاً ووثيقة صحيحة ، فقد اعتمد عليه بعض المستشرقين في تصوير حياة النبي ، كما فعل الأستاذ بلاشير في كتابه عن محمد ، إذ اتخذ من القرآن نفسه أول مصدر ، يتلوه في القيمة الأحاديث . فالقرآن يصف النبي بأنه والمدثره أو المزمحل ، ويأمره بأن يقوم لينذر . وفيه وصف كذلك لإيذاء العرب له ، وبخاصة أبي لخب ، كما جاء في القرآن : تبث يدا أبي لخب وتب . وهكذا تستطيع أن تضحى من القرآن وحده فتستخرج منه صورة صادقة ، لحياة النبي ، ما دمت قد اتخذت من القرآن وثيقة تاريخية .

القرآن ؟ فهل تغير جوهر العقيدة التي تحملها الأولون من السيد المسيح ؟ .
الفريد هافنيت

يبدو أن الأب الفريد لم يقرأ العبارة التي وردت في آخر المقال عن أن القرآن وثيقة دينية إلى جانب أنه وثيقة تاريخية ، في ضوء ما سبق من كلام ، فخليل إليه أننا نخلط بين النص الديني والنص التاريخي ، ولذلك وجب أن نبرز المعنى المقصود تفصيلاً بمسألة أن أجملناه بقولنا : والقرآن مرآة صادقة للعصر الذي نزل فيه على محمد عليه السلام .

فالقرآن من جهة أنه « مرآة » لهذه الفترة التي نزل فيها منجماً في بضعة وعشرين عاماً ، يؤرخ كذلك لهذه الفترة ، لا بالذات بل بالعرض ، لأن غرض القرآن بالذات بيان أصول الدين من إثبات وجود الله ووحدة نبيه وصفاته ، ثم إثبات نبوة الأنبياء والرسول وآخرهم محمد خاتم النبيين ، ثم البعث في الآخرة .

وبيان أصول التشريع والعبادات والمعاملات والأخلاق . أما بالعرض فإن الآيات المختلفة نزلت في مناسبات ووقائع ، فكانت تصويراً للجدل بين النبي والكفار من أهل قريش أو اليهود الذين كانوا يهاجون النبي ، أو كانت تشريفاً نزل بعد غزوة أو

المسيح ، وألوهية السيدة مريم فإنهم أحرار في فهم دينهم ، وعليهم هم أن يلتزموا إلى جانب النصوص الدينية - إن وجدت - ما يثبت ذلك تاريخياً ، إن وجدت الأسانيد التاريخية في القرن الأول ، ونود أن نخيل الأب على الجامع الدينية ، مثل مجمع نيقية الذي انعقد للتوفيق بين المذاهب المختلفة ، ولم ينته إلى نتيجة ، ونخيله أيضاً إلى تاريخ آريوس ، وإلى تاريخ الزساطرة الذين كانوا يعتقدون بأن المسيح عليه السلام ذو طبيعتين وأنه كان على الأرض إنساناً ، ونخيله ثالثاً إلى الخلافات العديدة بين الملكانية وبين اليعاقبة ، وكيف كان الملكانيون في مصر يعذبون اليعاقبة ؟

دكتور أحمد فؤاد الأهواني

في محيط الأزهر

* حددت مشيخة الأزهر يوم ٢٩ من شهر أبريل القادم موعداً لانعقاد المؤتمر الثافي لعلماء الدول الإسلامية ، هذا وقد صرح الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأنه روعى في تحديد هذا الموعد أن يكون علماء المسلمين قد انتهوا من تأدية فريضة الحج ، وتفرغوا للنشاط المستمر .

فلا حاجة فالأب الفاضل لأن يدعو الباحث أن يميز بين الإيمان والتاريخ ، كما يقول ، بعد ما وضخناه . ثم إن الذي دعا إلى التمييز بين القرآن باعتباره وثيقة دينية وبينه باعتباره وثيقة تاريخية ، البحث في الحنفية والحنفاء ، والموازنة بين ما ورد من أخبار جاهلية عن هذا المصطلح وبين ما جاء في القرآن ، مما دعانا إلى ترجيح النص القرآني على الأخبار الجاهلية ، للسبب الذي وضخناه من قبل وهو صحة النص القرآني تاريخياً .

أما الملاحظة الثانية التي أوردتها الأب الفاضل عن انحراف أهل الكتاب في الجاهلية وضلالهم بصرف النظر عن حكاية القرآن عنهم ، وإثبات ذلك تاريخياً ، فالجواب أنه ليس لدينا دليل تاريخي سوى ما جاء في القرآن ، وليس مقتناً بالتنقيب عن هذه الأدلة التاريخية ، أما قوله « هل تغير جوهر العقيدة التي تسلمها الأولون من السيد المسيح فالجواب أيضاً من القرآن الذي كان يحاج أهل الكتاب : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، المائدة / ٧٣ . وفي المائدة أيضاً آية ١١٦ : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته . » . وليس لنا شأن بعقيدة المؤمنين بألوهية

في محيط العالم الإسلامي

• إيران المسلمة :

من المسلم به أنه لا يكاد يوجد عربي واحد أو مسلم واحد يستنسخ سياسة الحكومة الإيرانية ، ومجاهرتها بالعداء للقضايا العربية التي تتصل بأحقاق الإسلام نفسه ، وأقصد قضية فلسطين .

والمعروف أن إيران المسلمة التي تضم عشرين مليوناً والمسلمون بها أكثر من ٩٩٪ . كلهم من الشيعة ، ماعدا زهاء مليون سني ، تقف هذا الموقف الذي تتحدى به شعور أربعائة مليون مسلم ، دون أن تبالى بالعواقب الوخيمة .

ولعل أقرب الأمثلة اغتيال رئيس وزرائها الذي لقي حتفه برصاصات شباب مسلم متدين ، قال الشاب المسلم محمد نجماري في التحقيق : إنه أراد قتل حسن علي منصور رئيس الوزراء ، لأن سياسة حكومته مخالفة لمبادئ الإسلام .

وفي عام ١٩٥١ قتلت جماعة فدائيان إسلام رئيس حكومة إيران الأسبق علي رازمار ، وحاولت قتل حسين علاء رئيس الحكومة بعد أربعة أعوام ..

نريد أن نقول : إن الإسلام بخير في إيران ، وسوف يستطيع في القريب أن يضع حداً لطغيان شاه إيران ، وحكوماته التي يصنع منها الاستعمار أداة لتحدى العرب والمسلمين .

نيجيريا :

إن الأزمة التي بدت طلائعها في نيجيريا يجب أن نتم بها ، وأن ندرك عن يقين أن الاستعمار البريطاني يلعب دوراً خطيراً بتدبير مؤامراته على نيجيريا .

والذي لم تستوفه الأنباء حقها ، هو أن بداية الأزمة نشأت بعد أن هاجمت صحف نيجيريا الشرقية ، التي تسيطر عليها الوثنية وغيرها ، الإسلام هجوماً عنيفاً ، تصدت للرد عليه نيجيريا الشمالية . ومن الجدير بالذكر أن نيجيريا يبلغ عدد سكانها زهاء ٣٢ مليوناً يمثل المسلمون بينهم أكثر من ٥٠٪ .

وفي نيجيريا الشمالية زهاء ١٧ مليوناً يبلغ المسلمون منهم زهاء ١٢ مليوناً ، وكانت تضم هذه إمارات إسلامية ، حتى وقد عليها الاستعمار البريطاني في القرن التاسع عشر عن طريق الشركات التجارية ، ووقعت في قبضته عام

* الولايات المتحدة تعيد النظر في معونتها لاندونيسيا بسبب انسحابها من هيئة الأمم ومن المعروف أن أمريكا خصصت عشرة ملايين دولار معونة لاندونيسيا .

* اجتماعات الاضطرابات الباكستان عقب الانتخابات التي فاز فيها أيوب خان ، ومن المعروف : أن فاطمة جناح المنافسة للرئيس المنتخب هي التي تتزعم المعارضة . هذا وقد تألفت لجنة من كبار رجال الحكومة لإجراء تحقيق بشأن حوادث العنف التي وقعت في كراتشي ، وأدت إلى قتل بضعة عشر شخصا ، وجرح ٣٠٠ ، وتشريد ٢٠٠٠ شخص . ومارضت المعارضة تكوين اللجنة ، ورأت تأليفها من رجال القضاء ، وليس من رجال الحكومة .

* طلبت الصومال من الجمهورية العربية المتحدة العدد اللازم لها من خبراء التعليم للصفاى لمعهد (هارجيسا) وذلك بعد انسحاب الخبراء الانجليز بما هدد المعهد بالتعطيل .

* صرح الرئيس ابن بيسلا في مقال نشر في صحيفة (ديبولوسيون ليه ترافاي) الأسبوعية التي يصدرها اتحاد العمال الجزائريين أن الإسلام يجب أن يكون قاعدة النظام الاشتراكي في الجزائر ، إن مستقبلا يعتمد على الاشتراكية ، والعودة إلى المصادر الإسلامية التي تكشف لنا عن ثورة التقاليد ، والثقافة القائمة على العدالة والحرية والإنسانية .

* من المتوقع نجاح مباحثات البترول بين فرنسا والجزائر ، ومن المعروف أن هناك أملا في إنتاج واحد وعشرين مليوناً ونصف مليون طن من البترول سنوياً ، وتنهي الاتفاقية على أن تحصل الجزائر على نسبة أكثر من عوائد البترول ، وأن تزيد وقايتها على شركة البترول الفرنسية (ريبال) التي تمتلك الآن ٤٠ ٪ من أسهمها ، كذلك يقضى الاتفاق باشتراك فرنسا والجزائر في تنفيذ عمليات اكتشاف واستغلال آبار البترول الجديدة في الصحراء .

* ألغيت الأحكام العرفية في العراق ، على أن تحمل محل هذه الأحكام ، حالة الطوارئ . في الحالات الموجهة ، وأن تھال القضايا المعروضة عليها إلى محاكم أمن الدولة التي جرى تشكيلها .

* أذاعت وزارة الخارجية في تركيا ، أن عدد القتلى من الأتراك خلال الأزمة قبرصية هذا العام بلغ ٢١٠ قتيل ، وعدد الجرحى ٥٢٣ بالإضافة إلى ٢٠٨ من المفقودين و ٦٨٢ تم احتجازهم كرهائن أطلق سراحهم ما عدا ٢١ شخصا ما زالوا في الاعتقالات لأسباب سياسية ، ومن الجدير بالذكر أن رئيس وفد تركيا في هيئة الأمم قد صرح أخيراً : بعد أجل القوات الدولية ثلاثة أشهر في قبرص بعد مارس القادم .

زهاء عدة قرون .

الكويت :

نشر أخيرا أن حكومة الكويت تفكر في إلغاء قرار حظر بيع الخمر وتعاطيها وذلك بعد أن توفي عدد من المدمنين بسبب إصابتهم بالتسمم لتعاطيهم الخمر . وقالت صحف الكويت : إن الحكومة شكلت لجنة خاصة لدراسة مساوئ منع بيع الخمر ، وإمكان إلغاء قرار الحظر الذي صدر في منتصف عام ١٩٦٤ ، ومعظم حالات التسمم نتجت عن شرب ماء الكولونيا بدلا من المشروبات الروحية .

ونحن نرجو أن لا تتخطو حكومة الكويت المسألة : حكومة وشعبا ، هذه الخطوة ، فإباحة الخمر أقل ما يقال فيها : إنها تعدل للشرعية الإسلامية ولا أظن أن وفاة بضعة أشخاص يمكن أن يكون وسيلة لإباحة الخمر التي حرمها الإسلام وما يترتب عليها من أضرار مالية وصحية تصيب المئات والآلاف فيما بعد .

* * *

أخبار قصيرة :

هددت أندونيسيا ماليزيا بالاعتراف بحكومة ثوار ماليزيا التي يتزعمها الأزهرى إذا ازدادت حدة النزاع بينها وبين ماليزيا . والمعروف أن كثيرا من وساطات الدول لم تستطع بعد أن توفى بين ماليزيا وأندونيسيا .

١٨٥١ . واعترفت دول أوروبا بهذا الحق

في مؤتمر برلين عام ١٨٥٥ .

تركيا :

إن الأنباء التي ذاعت أخيرا من أن تركيا تنوى تعديل سياستها للتقارب نحو الدول العربية والإسلامية ، مما يسر له كل عربي ومسلم .

وقد صرح سعدى كوكار العضو بمجلس الشيوخ التركي ، ورفيق بعثة الصداقة التركية التي زارت الأردن أخيرا بأن تركيا قررت انتهاج سياسة جديدة تجاه الدول العربية تقسم بالتقارب والتفاهم ، وإقامة علاقات الصداقة ، وقد حث الدول العربية والإسلامية على تناسي الخلافات والتعاون من أجل قوة عالمية إسلامية ، كما ذكر أن تركيا ستعمل قريبا وتدرجيا على تخفيف علاقاتها بإسرائيل .

وهذا وقد زارت البعثة التركية دمشق وبيروت ، ثم القاهرة ، إننا نتمنى أن تصدق تركيا في اتجاهاتها الجديدة ، حتى تتخلص نهائيا من وصمة علاقاتها بإسرائيل ، فإن هذه النقطة بالذات هي التي تحدد نية تركيا نحو العرب والمسلمين .

تركيا الإسلامية التي يمثل سكانها ٢٢ مليوناً أكثر من ٩٨ ٪ من المسلمين ، والتي ارتبطت بالإسلام ارتباطا تاريخيا وسياسيا

et la plus détaillée qu'aucun enseignement pratique n'ait jamais fournie; mais, sous cet édifice colossale, nous le voyons jeter les assises les plus solides de la connaissance théorique. Posez-lui par exemple la question suivante : Sur quel fondement repose la loi du devoir Koranique, dans quelle source puise-t-elle son autorité ? Il vous répondra que la distinction du bien et du mal, avant d'être une législation céleste, est une révélation intérieure, inscrite dans l'âme humaine; qu'en dernière analyse la vertu tient son ascendant de sa propre nature et de sa valeur intrinsèque; et qu'ainsi Raison et Révélation ne sont qu'une double lumière révélatrice d'un même objet, une double traduction d'une seule et même réalité originelle, enracinée dans le *found* des choses.

Interrogez-le ensuite sur les caractères de cette loi et l'étendue de son pouvoir. Il vous dira que c'est une loi universelle et éternelle, qui assure à l'humanité ses légitimes aspirations, mais qui s'oppose catégoriquement à ses appétits capricieux et arbitraires.

Interrogez-le en outre sur la responsabilité humaine, ses conditions et ses limites; sur le moyen efficace d'acquérir la vertu; sur le

principe supérieur qui doit déterminer la volonté à agir, ou sur n'importe quel principe général qu'un moraliste conscient de son œuvre ne peut se passer de s'en faire une idée. Vous y trouverez à chaque question une formule précise et tranchante qui s'impose comme l'unique réponse, propre à rallier les consciences les plus éveillées et les plus équilibrées.

Et ce qui achève de capter notre admiration, c'est de voir avec quel contraste frappant les réponses à ces questions se présentent dans le Kor'an et ailleurs. Eh bien ! Tandis que, sous la lumière instantanée du Kor'an, ces vérités fondamentales sont mises définitivement au jour depuis bientôt quatorze siècles, les pensées les plus laborieuses qui les recherchent en dehors de cette lumière procèdent encore par tâtonnement, n'en découvrent quelques fragments qu'à de très longues échéances, et non sans tomber le plus souvent dans des erreurs grossières.

Corrigé

par

IBRAHIM 'M- EL ASSIL

Révisé et choisi

par

DR. AFIFY ABDUL - FATTAH

(suite)

simple, l'autre en une conviction profonde, agissante et entraînant— toujours est-il que la philosophie dans sa partie la plus élevée et la religion sous toutes ses formes ont un double objet commun : résoudre le problème de l'existence, son origine et sa destinée, et définir la manière d'agir la plus sage et la plus propre à procurer le bonheur.

Mais ce qui démontre mieux l'affinité de la matière Koranique en particulier avec celle de la philosophie, c'est qu'en exposant sa doctrine sur la vérité et la vertu, le Kor'an non seulement en appelle toujours au bon sens, incite constamment à la réflexion et à la méditation, mais il entreprend lui-même de prouver et de justifier ce qu'il avance. Bien plus ! la nature de ses arguments et la manière dont il administre la preuve son choisis de telle façon qu'elles convainquent les philosophes les plus subtils, les logiciens les plus rigoureux, en même temps qu'elles satisfont les exigences les plus réalistes, les goûts poétiques les plus raffinés, les intuitions les plus ordinaires. Il ne suffit donc pas dire que le Kor'an ne condamne pas la vraie philosophie, fille de la réflexion mûre et amoureuse de la certitude. Il ne suffit même pas de dire qu'il l'autorise ou qu'il l'encourage ou qu'il se prête volontiers à son examen

impartial. Il faut ajouter qu'il l'alimente d'une abondante matière en sujets et en arguments.

Le Kor'an, certes, ne nous présente pas ces vérités fondamentales réunies sous la forme d'un système unifié. Mais, à défaut d'un tel système tout fait, n'existe-t-il pas dans ce Livre tous les éléments nécessaires et suffisants pour le construire ?

Que le Kor'an contienne tous les éléments fondamentaux de la philosophie religieuse : origine et destinée de l'homme et du monde, principes de cause et de fin, notions d'âme, de Dieu etc. . cela ne nous paraît point douteux, et le développement d'un tel sujet mériterait qu'on lui consacrat un travail indépendant.

Mais que ce Livre se soit prononcé en même temps sur les fondements de la théorie morale, voilà la première question que nous nous sommes posée dans la présente étude, et à laquelle nous avons consacré le plus gros de notre effort.

Et nous croyons être en mesure d'annoncer, dès à présent, qu'à la question ainsi posée, nous avons trouvé une réponse claire, pleinement affirmative.

Le Kor'an ne se contente pas, en effet, d'avoir posé la règle de la conduite de la façon la plus étendue

“La Morale du Korân”

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

(4)

—La philosophie, au sens usuel du mot, est l'œuvre d'une pensée discursive, appuyée sur les seules lumières naturelles, et où l'on passe d'un jugement à l'autre avec une certaine méthode. pour arriver à établir un système capable d'expliquer les choses en général ou un certain ordre de choses. Or il est évident que cet effort intellectuel et cette démarche progressive ne cadrent pas avec la lumière d'une révélation qui, sans recherche ni attente, inonde, l'âme et lui fournit instantanément un bloc de connaissances dans lesquelles les prémisses ne précèdent pas la conclusion, ni l'antécédent le conséquent.

Le Kor'an n'est donc pas une œuvre philosophique, en ce sens qu'il n'est pas le produit d'une philosophie et n'utilise pas les procédés d'acquisition philosophique. Ajoutez qu'il ne suit pas non plus les procédés didactiques des philosophes. A leur méthode rationnelle

d'exposer (définition, division, argumentation, objections et réponses) qui est d'une cohésion incontestable, mais qui n'affecte qu'un seul côté de l'âme, sa partie intellectuelle, le Kor'an substitue sa méthode à lui. S'adressant à l'âme tout entière, il lui fournit une nourriture complète, où la raison et le cœur ont leur part égale.

Ainsi l'enseignement Koranique et l'enseignement philosophique se séparent tant à leurs sources qu'à leurs méthodes. En est-il de même de leur objet et de leur but ?

L'admettre, ce serait proclamer, sciemment ou inconsciemment que le Kor'an n'est pas un livre de religion. Car, quelles que puissent être leurs différences — que l'une prenne sa source dans le tâtonnement de la raison, l'autre dans la pleine lumière de la révélation, ou que toutes les deux se laissent guider parfois par le mirage de l'imagination; que l'une consiste en un savoir pur et

FASTING IN ISLAM

By : IBRAHIM - M - EL-ASSIL

(Islamic Research Academi)

“O you who believe! Fasting is enjoined on you, as it was enjoined on those before you, that you may ward off (evil)”.(2:183).

Fasting, the third of the five pillars of Islam, is of profound significance to Muslims all over the world. To regard it as a mere injunction ordained by God for Muslims to obey, will be to minimize its overwhelming blessing. It has in itself its own vitality, which is revealed only to the person who undergoes the exercise and experience of the fast. In its every part, fasting is never void of its quintessence which amply bespeak its greatness as a divine ordinance.

The universality and the purpose of fasting are stated and stressed in unequivocal terms in the Holy Qur'an as mentioned in preceded verse.

The institution of fasting is not peculiar to Islam,. Before the advent of Islam, fasting, was practised for the atonement of sins or for the attainment of salvation, when a man

committed any transgression, he felt that he had incurred the warth of his deity, whom he wanted to propitiate by abstaining from food.

Fasting, then, was one of the methods of self-immolation. The ancients realized well that surfeiting prevents man from making spiritual headway, so that he becomes a slave to his Carnal desires. So we find fasting to be an important part of all divine religions.

But Islam gave to humanity a new interpretation of all ancient institution. Unlike the fasting of other religions, Islamic fasting is more genuine, pure and solemn inasmuch as it is neither a penance nor a punishment. It is one of the basic rungs of the ladder that leads to Heaven. Its aim is to enable Muslims to guard against tempting evils—animal passions, wicked words and impure thoughts. It creates a remarkable degree of unity and discipline among the Muslims. Total abnegation of food and drink is the order of the day in glittering palaces and in tottering huts.

Quran and Freedom of Belief

BY : MOHIADDIN ALWAYE

لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن
يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .
(البقرة ٢٥٦)

“There is no compulsion in religion, the right direction is henceforth distinct from error. And he who rejects satan and believes in Allah grasped a firm handhold which will never break. Allah is Hearer and Knower.”

Surah 11 (The cow) verse 256.

In this verse Qur'an declares that there should be no compulsion in religion. The Qur'an has also repeated that the belief in all prophets is an essential part of Islamic faith. As the Holy Quran says : ”

إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم
ال كافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين
آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك
سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً .
(النساء ١٥٠ - ١٥٢)

“Lo ! those who disbelieve in Allah and His messengers, and Say: We believe in some and disbelieve in others and seek to choose a way in between ; Such are disbelievers in

truth., and for disbelievers we prepare shameful doom. But those who believe in Allah and His messengers and make no distinction between any of them, unto them Allah will give their wages, and Allah was ever forgiving, Merciful.”

Surah IV (Women) verses 150, 151, 152

After establishing the necessity of belief in all prophets imperatively the Qur'an declares that all believers are one community :

إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون .
فقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون .
(٥٢ و ٥٣ المؤمنون)

“And lo ! this your religion is one religion and I am your lord, So keep your duty unto Me.

But they (mankind) have broken their religion among them sects, each group rejoicing in its tenets.”

Surah XXIII (The believers) Verses 52,53

The above Quranic verses call the believers to work for communal amity and harmony. In this way Islam aims at to establish unity and brotherhood in humankind.

to this responsibility. On the Day of Judgment, God will direct His speech to both species. The Holy Verse says :

“ O community of the Jinn and men, did there not come to you messengers from among you relating to you My messages and warning you of the meeting of this Day of yours ? ...

It is noteworthy here that the Qur'an in its speech about the Jinn, did not make the belief in their existence as a basic principle in Islamic faith, as it did with regard to the Angels. The belief in the Jinn is derived only from the belief in the truthfulness of the Qur'an in its speech about them.

QUESTION :

What is the third basic principle of Islamic faith ?

ANSWER :

The belief in God and the Angels requires the belief in the messages from God to His servants through the Angels.

The divine messages are contained in the Divine Books which include the bases of faith, the ways of worship and the lawful and unlawful things.

Therefore, Islam requires faith in the Divine Books which were revealed to the Prophets of God, including the Holy Quran which was

revealed to the Prophet Muhammed, the Scriptures of Abraham, the Torah of Moses, and the Gospel of Jesus.

QUESTION :

What is the difference between the Holy Quran and previous scriptures ?

ANSWER :

This difference may be summarized in the following :

First : The original texts of the previous scriptures were lost. What remained of them were mere translations. But the Quran is the only Divine Book which is still preserved in all its original language, word by word.

Second : Other scriptures were mixed with commentaries of interpreters, so that it is difficult to distinguish in them between God's words and human interpretations. The case is not so with regard to the Qur'an.

Third : Other scriptures were not received by their followers through authentic and successive transfer from one generation to another, as in the case of the Qur'an. The Pentateuch of Moses were not all written in Moses days. Some of it were authored after him by five centuries, some by seven centuries and even some other parts by more
(See page 7)

"And surely there are keepers over you. Honourable recorders. They know what you do".

These functions of the Angels are pertaining to the world of the unseen.

As we are not told about, the reality of the Angels and how they are created, but we are ordered to believe in their existence. It is not properly religious to initiate any information about their creation. It is a disbelief if we deny their existence, since the Holy Quran told us about them. One of the clear verses about the Angels is as follow :

"Praise be to God, the Creator of the heavens and the earth, who appointh the Angels messengers having wings two, three and four,

He increases in creation what He pleases. Surely God is possessor of power over all things".

QUESTION :

What is the difference between the Angels and the Jinn ?

ANSWER :

The Jinn are other kind of creatures pertaining to the world of the unseen. While the Qur'an did not tell us about the matter out of which the Angels were created, it speaks about the matter out of which the Jinn were created. It says :

"And He created the Jinn of a flame of fire."

On the other hand, while the Qur'an states that the Angels are in honourable close relation to God, and are immune from disobedience to God, it states that some of the Jinn are good and some are bad.

The Jinn differ from the Angels in that the latter convey the revelations of God to messengers and prophets, while the Jinn receive those revelations, like human beings, from messengers and prophets. We read in the Holy Qur'an :

"And when We turned towards you a party of the Jinn, who listened to the Qur'an ; so when they were in its presence, they said : Be silent. Then when it was finished, they turned back to their people warning them. They said : O our people ! We have heard a Book revealed after Moses, verifying that which is before it, guiding to the truth and to a right path. O our people ! Accept the Inviter to God and believe in Him.

He will forgive you some of your sins and protect you from a painful chastisement".

Moreover, the Angels are not joined with human beings in the religious responsibility, while the Jinn are subject, with human beings,

FIFTH :

The belief in those words, moreover, creates in man will of power, courage and patience, for he knows that above his power there is the power of God. Thus he is not dismayed by misfortune, and he always be a follower of the way of truth.

SIXTH :

To witness that there is no god but Allah honours man and creates in him content and satisfaction, and purifies him from greed, envy and meanness. He will follow the lawful ways towards his all aims. This is because he believes that God is the Sustainer and Provider of everything.

SEVENTH :

This witness, also obliges one to act according to God's laws and orders. For he is certain that God knows everything, that He is nearer to him than himself, and that He is the All-Knowing. Thus one could not commit any bad action that is prohibited by God. He will hasten to good deeds and act according to God's commandments and orders in all situations, as the Prophet said : "Serve your God as if you see Him, if you see Him not, He sees you".

QUESTION :

What is the second basic principle of Islamic faith ?

ANSWER :

The second basic principle of Islamic faith is the belief in the Angels. The Holy Quran speaks about the Angels as unseen and immaterial creatures carrying different functions, through which they realize God's will in His universe. Some of the Angels convey God's revelation to His Messengers and Prophets, as the Quran says :

"The faithful spirit (Gabriel) has brought it (the Quran) on your heart that you may be a warner".

Some of them are directed to aid the prophets and make firm the believers, according to this verse :

"When your Lord revealed to the Angels : I am with you, so make firm those who believe".

Some others are delegated to give glad tidings to the believers who did good in this life and were abiding by God's orders. The Quran says :

"Say : the Angel of death, who is given charge, of you, will cause you to die, then to your Lord you will be returned".

Still some others are assigned to register peoples' deeds in this life so that their works are to be shown to them on the Day of Judgment. We read in God's Book :

The Fundamental Belief In Islam

(3)

By : Abdul Wadood Shalaby

What are the practical effects of the witness that "there is no god but Allah", in individuals and society?

This belief creates in man the following effects :

FIRST :

The belief in the oneness of god generates in man dignity and self-esteem. If one believes that God is One; that He is the Real Owner of this universe; that there is no harm neither benefit except through Him; that authority and power are only to Him; and that He is the One Who brings all things to life and death-if one really believes in all these he undoubtedly will have no fear from anybody, and will not be subject to any authority but God's alone.

SECOND :

The belief in those words creates humility in the soul, because who believes that 'there is no god but Allah cannot feel pride over others, and he realizes that Who gave him power and distinction can

withdraw them from him if he misuses the favours of God on him.

THIRD :

The believer in those words knows certainly that the only way to success and prosperity is the good deeds. For he knows that the approach to God, the One and the Self-Sufficient, is only through good action. Other religions teach their followers false wishes when they preach that the "Son of God" has redeemed people against sins, or that they are - as followers of those religions-the children of God or His beloved ones, and thus they are immune from punishment for their crimes.

FOURTH :

That who declares faithfully those words harbours no despair. When he believes that God owns the treasures of the heavens and the earth, he will be sure that God is Full of Mercy for His servants. Even when he is tried with misfortune or poverty, he still is hopeful in the eternal mercy of God.

your scientific Faculties, laboratories, and in the Faculty of girls, as Al-Azhar wishes you to be, that is to say the bearers of a glorious mission, and you must repay knowledge, because of its benevolence upon you, and this Country, for its kindness towards you and your university which provided for you all kinds of helps and instructions and take this opportunity of youth, before its departure and be keen in acquire knowledge, and make the book your best friend, because it is

the pleasant companion in the loneliness and a best helper in company. May God bless you!

We cannot miss this occasion, as we are receiving this new academic year, to beseech The Almighty God to protect the great President Jamal Abdul Nasser and to guide him to the path of success and victory.

Peace and God's blessing and mercy fall upon you!

(From page 11)

centuries. The case is the same in regarding the main four Gospels in the New Testament.

Fourth : The language of the scriptures were old and extinct while the language of the Quran is in the living Arabic.

Fifth : Creeds and laws of the old scriptures were pertaining to

their respective followers. The message of the Quran, however, is directed to humankind in general and in all times.

Sixth : Other scriptures were not safe from change. Some shameful deeds were falsely ascribed to some of God's Messengers and Prophets, although they are immune from committing such things.

By this, I do not mean that every one of those who received education from these schools and institutes was far from true patriotism and real nationalism, we find among the (men and women) who were bred up by these schools, some who bear high idealisms in themselves and whose behaviours are aiming at achieving good goals. And you may remember the martyr hero "Gawad Hussiny" in spite of his foreign culture and his English mother he has done his best in defending his country in "Port Said battle 1956".

I do not mean that all those who joined these schools were far away from Islamic spirit or patriotism, what I mean is that the aims of these schools and institutes could never be the Islamic teaching or patriotic training. Those who could overcome these methods, whether they were Muslims or good citizens, there is no doubt that they have good hearts and noble feelings because they were able, by the strong faith and confidence, to turned down the aims of the foreign plans and to foil the imperialistic targets through those methods and designs.

So, if the closing of doors of Al-Azhar before women, enabled many type of harmful culture to be entered to our homes, this harm has been doubled when Al-Azhar neglected

the teaching of natural sciences and laboratory arts, then, it soon finds itself isolated from the society, and does not participate, in a way or other, in agriculture, industry, commerce or anything that concerns with man's conduct on this earth for his livelihood, and AL-Azhar's work became nothing but some words in a lesson or a preaching lecture in a pulpit.

Therefore, it was necessary in the view of the revolution, which was and is eager to the welfare of the nation, to develop Al-Azhar in a way that will provide our girls the same chance, what our boys are already getting in the field of knowledge and science, and by this way, it can also connect the scientific mission of Azhar with a laboratory mission. So Al-Azhar would, also be in a active position in the material sphere, as well as its persistent efforts in the spiritual field, and it will be able to deal with religious matters in the spirit of world matters and vice versa. And this is, in the just point of view, is the only way which enables Al-Azhar to serve man in his spirit and body, and to render good services to this country and to all humanity.

Student Girls and Boys !

You are our hopes, so you should be in your Universities, in

him, so, the Almighty God answered :
“O! Zakaria you are asking me to do something for you which I did not do even for Myself”.

Gentlemen :

There is no doubt that Al-Azhar University will follow her reverend father's methods and it will work for the achievement of the same goal. It will not be deviated from its Father's way except in what the changing modern life requires in changing methods and modifying means.

God has created man, firstly from blood and flesh and then soul and spirit, and each has its own characteristics and requirements. Al-Azhar has concentrated its endeavours in taking care with the spiritual side as much it has neglected the materialistic side, in other words, which are more closer to truth, Al-Azhar was directed to do so, for we knew that when the study circles of jurisprudence and literature were moved to Court yards of Al-Azhar free from the narrow sectarianism to the freedom of opinion and thought, it was the teaching centre of astronomy, medicine, mathematics, arithmetic and other sciences and special study circles-as history says-were held in many times for women folk. Women were getting their share in Al-Azhar

circles until recently. Perhaps history has not forgotten to mention that great lady who had prepared to obtain the “Al-Azhar Alamia” Degree, and if that lady was allowed to pass the examination and if there were not some illusions in the minds of some people at that time, the system of women's education would have reached to a far and noble aim in Al-Azhar and we would have a more good society which understand the spirit of Islam and we would have saved our homes the evils of ignorance, or the evil of that knowledge, which was in many times, more dangerous than ignorance itself. Because, when Al-Azhar has shut its doors in the face of women, it opened, as much as it closed, doors to foreign schools and institutes, and our girls joined these institutes-girls are always the future mothers-so some of these schools and instituts were working to build homes and create generations which are closely connected with foreign civilization, and proud of it, because of the influence of the culture, that they have recelved through foreigners. This is not strange thing because people always believe in what thay knew and become enemies to what they donot know and the people are in resemblance with their culture more than their fathers and mothers.

where malice and hatred can hide and to be loosen from time to time to destroy the unity by differences and kill the connection by separation and to disturb the stability and peace by fear and confusion. The degree of what happend in the different ages was not more than a frivolity which was stirred and faded away, and the extend of what is going on or what will be in future is not more than an article written by a writer in a magazine or a speech delivered by a speaker from a pulpit. Even those, whose religion is different from the religion of overwhelming majority of the people of this country, the Azhar was and is still training the refractory souls to be kind to them and pave the way for peaceful existence with them in all walks of life.

The second of these two great facts represented in our country's position among other nations. Al-Azhar has done and is still doing a great deal of good deeds in this field also and is rendering valuable services to this country.

It is Al-Azhar which has filled the hearts of the enemies of this country with fear and respect as it filled the hearts of friends by love and affection. The country that have enmities, in different parts of the world, with adulation, as well as it have intimacies that bound her

with care for its benefit and goodness; No doubt that this is a strong and powerful country. It was the right of those who add or take part in making the glory of their country to be honoured and to be loved.

By this it is the right of Al-Azhar, which has added much to the glory of this country, and has provided her with means of leadership, to receive from its citizens what a cause of their progress and a pillar of their glory and dignity is already receiving, whether those are agree or disagree with it because all the citizens are taking their share in the benefit, betterment and world goodwill which Al-Azhar is trying to achieve for all the citizens of this country whether they are Christians or Muslims. If hatred denied right and malice ignored the gratitude, we find in God's reward the best recompensation.

The right and gratitude of Al-Azhar are not the first that are denied, for howmany times have people denied even their Creator and ignored His blessings and let loose their tongues to speak about Him. One of our proverbial literature says that the Prophet Zakaria (peace upon him) has asked his Lord to save him from saying people against

and useful effort, the other is based on the fanaticism with the proud of race, blood and relationship. The wisdom is keeping pace with Islam in this matter because the distinction of people must be based on possible way and man has no choice in getting his colour or race, for if so, can any black skinned man to be changed to a white? or can any indian to be a persian, or a persian to be an arabian? So the problem of blood, race and colour is one the problems which causes misery to people, a misery that they have no hope to get rid of it as long as they have not the ability of choosing.

In this way Al-Azhar, has rendered to this human society, many good things which encircle a round the helping of principles, regardless of destinies of races and colours. It made the following Quranic verse as the Axis of all meanings of distinction.

« يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند
الله اتقاكم »

“O mankind ! Lo ! we have created you male and female and we have made you nations and tribes that ye may know one another; the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct”.

By carrying this great and human mission, which is the message of the apostle, peace be upon him, Al-Azhar has done to all people these services and many like them, and by its great efforts it has taken out many people from darkness to light, and led them to the path of goodness it has, also, raised the dead alive, and made the slaves free in the broad meaning of world sphere. In this noble country the usefulness of Al-Azhar was very clear and the services of it were very valuable and perfect. Some selfish forces may be gathered on falsehood and some hearts may carry ill will and malice. Al-Azhar was unfortunately, denied its right and ignored of its credit, perhaps some of the most closest people to it have said about it what Malik has said about wine or what freedom is saying about imperialism.

But those who bear illwill and malice can not hide two big facts which gave our country, through Al-Azhar, a great deal of immortal goodness and an unforgettable glory.

The first of these facts is represented in the intellectual similarity which our citizens enjoy and this country is living, peacefully, under its shadow, even it has become impossible for any narrow religious difference to find for herself a place,

The object of Al-Azhar, in its long history, was only to be a circle in the sphere of calling to Allah and spreading the Message of Islam. It is easy to sum up this Message in three points for which all human kind are looking for to attain and trying to utilise their gains.

The first point : is to chase suspicion, perplexity and restlessness in the human society. The track down of these things means the chase of misery, for there is no misery that is more clear than the misery of perplexity when the hearts are disturbed and the beliefs are shaken.

Al-Azhar has carried the Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness and by this Faith it has paved for the people the way of spiritual tranquility and stability, and has taken away from their shoulders the burdens of perplexity, anxiety and restlessness.

The Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness, can be summed up as : that this Universe has one God, who have no partner, and His will, in reforming, in making people happy and in elevating is attached with a great messenger, the prophet Muhammad, prayers and God's peace be showered upon him who is the essence of all prophets and messengers.

The second point : can be summed up in the following : that Al-Azhar, in communicating the Message of the apostle, was always calling people to make themselves free from their tempts and passions so that they may liberate themselves from their conquerors and enslavers. A great number of forces have gathered round it (Al-Azhar) everywhere, carrying the banner of real freedom which assures that slavery to any one except God is unbearable burden, so let the humanity be liberated from all other kinds of slavery and to make it only for Allah, Lord of the worlds. Because all people are equal, and there is no superiority for Arabs on non-Arabs, except by Virtue. In this way Al-Azhar was, by a direct or an indirect way, a strong impulse in the human society to set the slaves free and to help them to regain their human dignity in many fields, in the, far and near World sphere.

The third point : the glorious Al-Azhar was always calling people to despise fanaticisms, of colour and race because all people came from Adam and Adam was from dust. If one wants to be distinct, he has to be so by his good deeds and the great services he renders to the humanity. There are two ways for seeking distinction among people, the first is based on the good work

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

SHA'BAN
1384

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

JANUARY
1965

AL - AZHAR: Its Past and Present

By :

H.E. SHAIKH AHMAD HASSAN AL-BAQOURI
Rector of Al-Azhar University

The deliberations of the Academic-year of Al-Azhar University Commenced, this year, with a Conference held in the "Shaikh Muhammad Abduh" hall of Azhar. A large number of University professors and students were present. The Rector of the University, H.E. Shaikh Ahmad Hassan Al-Baqouri delivered a speech in the Conference.

It is not far from truth when we say that this speech is a historical document, as it will give the reader a clear idea of the message and the services of this great international Seat of learning.

The following is the English Version of the Arabic text of the speech — M. Alwaye.

"... On this day, by the preparation for the teaching of medicine, engineering and agriculture in faculties of these subjects, Al-Azhar University is taking a new step in its history. The University has already taken a step that made possible for it to pursue useful studies in the Faculty of Commerce and Faculty of girls, and it will take other steps in the near or far future which will help

to begin many kinds of studies, and we do not know what or how it will be for it is still a hidden secret in the knowledge of All knowing Allah.

We beseech Almighty Allah that all the steps, which have been taken and what will be taken by Al-Azhar University should aim at achieving the noble goal which was the aim of its great and reverend father "The glorious Al-Azhar Mosque".

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل لا شتراك »
٤٠ في المبرور العربية لمخدة
٥٠ ضايح المبرورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الانهر

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنواين »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

تصديقاً عن شيخنا الانهر في لون كل شهر عيسى

الجزء السابع - السنة السادسة والثلاثون - رمضان سنة ١٣٨٤ هـ - يناير ١٩٦٥ م

السلامة العامة

أصول الفن الخطابي

بقلم : أحمد حسن الزيات

(إن في هذا جواباً عن سؤال السيد عبد الحميد صبرى
رئيس جمعية الخطابة والتبليغ بالإسكندرية) .

أصوله وقواعده ، لكلامهما قائم على إيجاد
الأفكار على نور العلم ، وتقسيقها على أصول
المنطق ، ثم أدائها على مقتضى البلاغة . وكلاهما
يختلف باختلاف الحال والغرض ، ولكن
للمسمع أسلوباً يمتاز من أسلوب القراءة بتخير
الألفاظ المنسقة ، والجل المنمقة ، والصور
البليغة ، والاختيار الشعرية ، والأساليب
السهلة الطلية والاعتدال على العاطفة والشعور
لا على العلم والمنطق ، والافتتان في تنويع
الأسلوب والقصد فيه .

عرفوا الخطابة بأنها : فن من فنون الكلام
يقصد به التأثير في الجمهور ، عن طريق السمع
والبصر معاً ، فما يدخل أثره من طريق
السمع هو الأسلوب والإلقاء والصوت ،
وما يدخل أثره من طريق البصر هو الوقفة
والهيئة والحركة والملامح ، وتلك المؤثرات
هى قوام هذا الفن وعلاكه ، وسأقول كلمة
وجيزة في كل ركن من هذه الأركان ، بقدر
ما نكشف عن سر الجمال ، والفن فيه :
فالأسلوب الخطابي كالأسلوب الكتابي في

والشعور دون العلم والمنطق ؛ فلأن العاقل في الجماعات تضطرب وتتبدد فلا يفيد لها المنطق ولا يقنعها الدليل ، فإذا اشتملت الخطبة على حقائق العلم ، ودقائق الفلسفة ، دون أن يكون لها من العواطف روح وحرارة وحركة بعثت السآمة في النفوس ، والبلادة في الطباع فيستولى على الجمهور فتور كالجمود ، وسكون كالموت . قال بوسويه : إن الأهواء والعواطف هي الخطيب في الجماهير .

وقال ميرابو : سر البلاغة الخطابية أن يكون الخطيب ملتهباً بالعواطف .

وقال أعرابي لبعض الوعاظ ، وقد سمع موعظته فلم تقح من قلبه بموضع : يا هذا إن بقلبك شراً ، أو بقلبي .

وأما الاقتنان في تنويع الأسلوب ، فلأن النفوس تسأم النغمة الواحدة ، واللذة المتكررة ، والصور المتشابهة ، والأسلوب المسوق على نمط واحد ، فلا بد إذن للخطيب أن ينوع خطبته ، ويغير لهجته ، فيسجع في مواضع التأثير ، ويترسل في مواضع الإقناع ، ويعمد إلى التشبيه في تقرير الحقيقة وإلى المجاز في تصوير الخيال ، ويرسل الفكاهة الحلوة من حين إلى حين ، ليدفع سأم النفوس ، ويجدد نشاط السامع ، ويعرف نفسية جمهوره ، فيجعل لكل مقام مقالاً ، ولكل فهم منالاً ، فيفصل ويكرر

أما تمييز الألفاظ المنسقة ، والجل المنمقة والصور البلاغية ؛ فلأن كلام الخطيب لا يصل إلى الأذهان إلا عن طريق الآذان ، وللآذن ذوق في الجمال لا بد من مراعاته ومرضاته .

وأما استعمال الأخيصة الشعرية فلأنها تستموى المشاعر ، وتسترق الخواطر ، وتملك على العقول مذاهب التفكير ؛ فلا تستطيع نقداً ولا نقضاً ولا معارضة ؛ وإنما تظل تحت سلطان الخطيب عاطلة ذاهلة ، حتى ينزلها على حكمه ، أو يسيرها على نهجه ورسمه .

وأما توخي الأساليب السهلة ؛ فلأن عقلية الجمهور السامع غير عقلية الفرد القارئ . فالقارئ لا يشوده عمق الفكرة ، ولا صعوبة العبارة ؛ لأنه يتذوق ما يقرأ بعقله ، فيقف ويتأمل ، ويعيد ويوازن ويستنتج ويحكم . وقد يترك الكتاب ليعود إليه مرة أخرى ولكن السامع سائر مع الخطيب ، مدفوع بتياره ، لا يملك التخلف عنه ، ولا الإفلات منه . فإذا كانت الفكرة أسمى من علمه ، والعبارة أقوى من فهمه ، انقطعت الصلة بينهما ، وفقدت الخطابة من التأثير بمقدار ما فقد السامع من التذوق والتأثر . وليس معنى السهولة أن يتبدل الخطيب ؛ فيستعمل ألفاظ السوق ، ومعاني العامة ، فإن الفن جميل فيل ، يرفع الجمهور إلى سمائه دون أن ينحط إلى حقارته وغبائه ، وأما الاهتمام على العاطفة

ذلك من كثرة التشنج والسعال : والاتجاه إلى جعل الاستعانة كتكرير أيها الصادة مثلاً .
ولحسن الإلقاء أثر عظيم في نجاح الخطبة ، فقد يكون أسلوبها نازلاً عن مقام البلاغة فيرفعه الخطيب القادر به صاحبة منطقته ، وأناقته لهجته ، وجهارة صوته ، فيلذ السامع ويلهيه بجمال لقائه من قبج لإنشائه .

وأما الصوت ، فهو طريق الفكرة إلى الأذن ، فلا بد أن يكون جهوري حلو النغمة صافي الرنين ، خالص النبرات ، ويجب على الخطيب أن يعنى به ويقف على قوة ارتفاعه ومدى اتساعه ، حتى لا يكلفه فوق طاقته فيضجل ويتهيج ، ويحسن مع ذلك أن يبدأ به في انخفاض وتأن ، ثم يرفعه ويبدأ ويبدأ حتى يبلغ به أقصى قوته ، ثم يردده بين الصعود والهبوط مغيراً في ميزانه ونغماته ووقفاته تبعاً للبعنى الذى يؤديه ، محاذراً أن يرسله إلى فوق ، أو يرمى به ذات العين أو ذات الشمال فيقبدد أكثره ، ويضعف أثره .
تلك هى المؤثرات السمعية ، وأما المؤثرات البصرية : فأولها الوقفة ، وشرطها أن يكون الخطيب فيها معتدلاً القائمة ، مشرف الصدر إلى الأمام مقدماً إحدى رجليه ، ليتم توازنه وينتظم تنفسه ، ويستقيم صوته ، ويحسن أن يقف قبل بدء الكلام وقفة المنتظر حتى يملك شعوره ، ويعرف جمهوره ، ويذهب أثر

ويؤكد ويوجز ويطنب ، وكل أولئك في جمال قصد ، وحسن ذوق ، وقوة بصيرة ولا توثق الخطابة إلا من طريق التطويل والحشو .

روى الجاحظ : أن ابن السكك جعل يتكلم وجارية له تسمع ، فلما انصرف إليها سألتها كيف سمعت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تكثر توداده ، قال : أردده حتى يفهمه من لا يفهمه ، قالت : إلى أن يفهمه من لا يفهمه يكون قد سئمه من فهمه .

والعرب أميل إلى الإيجاز في الخطب ؛ لتكون أهلك بالصدور ، وأذيع في المحافل فلم يطل منهم إلا الأفاذ والنوايح ، كسحبان وائل ، فقد قيل : إنه خطب أمام معارية من الظهر إلى صلاة العصر ، وسمعت المرحوم « سعد زغلول » يخطب أربع ساعات متواليات في أربعين ألفاً من الناس ، فما توقف ولا كور ولا استراح .

هذه بحمل الصفات التى يجب أن تراها وما في صوغ الخطبة ، أما ما يجب في الإلقاء : فالوضوح والطلاقة وتمثيل المعاني والعواطف بتغيير اللهجة وتنويع الصوت ؛ فهذا الخطيب ويشور ، ويبطئ ويسرع ، ويغضب ويعجب ويسأل ويحجب ، وكل ذلك مع اتقاء اللحن في إعراب الكلام ، والسكنة في إخراج الحروف ، وسلامة المنطق من العي والحبسة والفتنة والجلجلة والفأفة والتلعثم ، وما يقع

كانت الرجل العيسى هي السابقة ، وبالعيسى
إذا كان الحال على العكس .

ثم الملاح ، والغرض منها : أن تشارك
حركات اليد ، ونبرات الصوت ، فإن العيون
مرايا القلوب . وأسرار الوجه تكشف عن
أسرار الضمير ، والخطيب يستطاع أن يعبر
بعضلات الوجه ، وتغضن الجبين عن اللذة
والآلم ، والرضا والسخط ؛ والنفوس والميل
والسرور والحزن ؛ وبالعيون عن العواطف
المختلفة ؛ فيفتحها عند الغيظ والدهش والإعجاب
والخوف ؛ ويطبّقها عند التواضع والمسكنة ؛
ويديرها بمنة ويسرة عند الجزع والاشمئزاز
والرثاء ، ويرفعها إلى السماء في الآلم الشديد
والدعاء ؛ ويخفضها إلى الأرض في التفكير
والخيرة والخشوع والحياء والعار واليأس .

ثم نعود فنقول : إن الخطابة كالشعر
استعداد وطبع ، ولا بد للاستعداد والطبع
من رياضة وثقافة ؛ فالخطيب إذا لم يكن
المرانة جمد لسانه وإذا لم يمدن القراءة غضب
معينه ، وضعف بيانه .

وأخص ما يدل على استعداد الخطيب
طلاقة اللسان وقوة الحس وحضور الذهن ،
ورباطة اللسان . والصفات الأخيرتان
ضروريتان للخطيب السياسي ، والخطيب
القضائي ، لأن معارضة الخصوم ، ومقاطعة
الزملاء ، ومفاجأة الحوادث تخرج الصدر

الخطيب السابق إن كان هناك من سبقه ، وثانيها
الهيئة : من وضاعة الطلعة ، واعتدال القوام
وحسن المندام ، وجمال البزة ، وهذه صفات
كالمالية قد يغنى عنها جمال الأسلوب ، وحسن
الإلقاء ، وثالثها الحركة : وهي مساعدة الكلمات
والنبرات بالإشارات ، وهي طبيعية في الناس
منشأها ضعف العبارة ، ويجز اللغة عن تأدية
ما يجول في النفس من خواطر ومشاعر .

لذلك تجدون حركات الجسم ، وملاح الوجه
تقتد وتحتد كلما أصاب الإنسان عتّى أو
لكنة ومن ثم كانت الشعوب ذوات الخيال
القوى والإحساس الشديد أكثر الأمم حركة
وأشدّها لهجة ، وأشد ما تكون الحركات
قوة وظهوراً حين تثور النفس وتضطرم
العواطف ، فتتفجر من اللسان والجوارح
والملاح ، ولذلك كانت الحركات هنصراً من
عناصر العمل الروائي ، وجزءاً من أجزاء
الفن الخطابي ، لشدة انفعالاتهما ، وكثرة
مفاجأتها ، وإزدحامها عادة بالمواقف المثيرة
أو الساخرة ، ولكن الخطيب الموفق هو
الذي يضمها في محالها ، ويقصد في استعمالها
فلا يبالغ ، ولا يتكلف ، ولا يكذب .

وشرط الإشارة ألا تخفى الوجه ، وأن
تتفق مع المعنى ، فتبطئ وتهدأ ، وتسرع
وتثور تبعاً له ، وألا تسبق الكلام ، وألا
تأتي بعده ، وأن تكون باليد اليمنى - إذا

وانظروا إلى بديهة (لا مرتين) العجيبة ، وقد اشتد الجدل بينه وبين الجمهور الغاضب الصاخب في يوم هصيب تراجعت فيه مناكب الخطباء ، وصروح الشر باسمه بين الشعب والزعماء ، فصعد المنبر ولم يخلص إليه من شدة الدفع والجذب والزحام إلا بعدد لآي وجهد . فلما رأى نفسه أمام الثائرين وجها لوجه قال : أبناء أمتي ماذا دهمتموني ؟

أصوات : لنعرف بأى حق تمسكون الشعب ، ونعلم أنتم أهل غلول وخيانة ، أم وطنيون خليقون بهذه الثورة ؟

لا مرتين : بأى حق نحكمه ؟ بحق الدم المصفوك ، والنار التي تلتهم معاهدنا ، والشعب الذي يعوزه الرئيس ، والامة التي لا قائد لها ولا نظام ، وربما جاء العدو وليس لها قوت ، بحق الإخلاص والشجاعة ، بحق أولئك الذين يسبقون إلى التضحية جاهلين ضمايرهم هدفا للشبهات ، وردهم غرضا للشقاق ، ودماءهم هرصة للانتقام ! اتحدوننا على هذا الحق ؟ إنه لكم كما هو لنا ، ولا نهادلكم فيه كلكم أهل للتطوع في هذه السبيل ، ولا ندهي من الحقوق إلا ما يمنحه الضمير الذي يسيطر علينا ، والخطر الذي يحيق بكم ...

أصوات : لا لا بل بل إلى الحق لكم في قول الحكم . لستم من الشعب ! لم تخرجوا من وراء المتاريس .

وتثير الغضب وتهاجم الالب . فإذا لم يكن الخطيب ماسكا لمواطنه ، عليا بمواقفه . تبدد ذهنه والثبات عليه أمره ؛ فلا يعرف قبلا من دبير . قد يعارضك وأنت تخطب نائب ، أو يقاطعك مستمع ، أو يفجأك بالحجة عام أو قاض فإذا تصنع إذا لم يكن ذهنك سريعا ، وعاطرك مطيعا ، وجوابك حاضرا ؟ لقد كان دجان جاك روسو ، يقول هن نفسه : لم أستطع طول عمري أن آتي بالجواب الموفق إلا بعد ربع ساعة من الوقت الملائم . فإذا يكون حال روسو وأمثاله في البرلمان أو في المحكمة حين تقتضى المعارضة ، أو المفاجأة ، ودأ حاسما سريعا ؟ انظروا مثلا إلى حضور ذهن أبي جعفر المنصور ، فقد خطب يوما فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس اتقوا الله ... فقام إليه رجل من عرض الناس ، فقال : أذكرك الذي ذكرتنا به . فأجابه المنصور على الفور : سمعنا لمن ذكرنا بآله ، وأهوذا بآله أن أذكرك به وأنساء ، فتأخذني العزة بالإثم ، لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين . وأما أنت فواقه . ما أقد أردت بهذا ، ولكن ليقل قال وقام فقال ، فعوقب فصر وأهون بها لو كانت ! وأنا أنذرکم أيها الناس أختها ، فإن الموهظة علينا نزلت ، وفيها أنبتت . ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

ذلك اليوم يخطب بعد ما احتشد السكّام
وأهده ، فلم يسكّد يسترسل في خطبته حتى
قاطعه أهل البين بالسخرية والتنادر ، فقال
هو جو : أيها السادة : إن هذه المقاطعات
المديرة المنظمة ...

فقاطعه صوت من البين : كل ما في الأمر
أننا نضحك !

صوت آخر : ذلك جهوش هليك خطبتك
المحفوطة .

هو جو : إن الغرض من هذه المقاطعات
تشيت ذهن الخطيب .

صوت : قل حافظته ! حافظته !
هو جو : يريدون أن يسلبوا الخطيب
حرية الفكر .

صوت - حرية الحفظ ! حرية الحفظ !
فوقف هو جو أمام الساخرين لا يجير جوابا .
وهنا قال في خطبته التي هاجم بها قانون النقي .
« تأتي الثورة فجأة فيصير الأذكاء أقراما ،
أجابه نائب معارض : « ويصير الأغبياء
جبابرة ، فلم يسمعفه خاطره بالرد ؛ فأرسل
إلى الرئيس نظرات الاستغاثة .

ولتلك البديهة المتخلفة فشل هو جو
في ميدان الخطابة ، وكان تأثير خطبه
في القاريء أشد منه في السامع . فأنتم ترون
أن الخطيب السياسي ، والخطيب القضائي . إذا
لم تواتهما المعارضة الشديدة والرد الحاسم ،
والطم الرزين ، والجأش الرابط . كان

أصوات أخرى : لا ! بل هم الذين
احتجوا على الفساد ، ودافعوا عن الشعب .
لقد قلبنا الملكية ؛ فليقل لنا لا مرتين أريد
أن يعطينا الجمهورية ؟

لا مرتين : الجمهورية ! ! ومن نطق بهذا
الاسم ؟
- كلنا ، كلنا .

لا مرتين : الجمهورية ! وهل تعرفون
ما تطلبون ؟ أتعرفون ما هو الحكم الجمهوري ؟
- قل لنا اقل لنا ؟

لا مرتين : الجمهورية هي : حكم العقل ،
فهل تشعرون أنكم أهل لأن تحكموا عقولكم ؟
- نعم نعم !

لا مرتين : الجمهورية هي حكم العدل ، فهل
تشعرون أنكم تعدلون ، ولو في الحكم على أنفسكم .
- نعم نعم !

وسار لا مرتين في خطبته على هذا النمط
المعجب من الذكاء النادر ، والجواب الحاضر ،
والأخذ بكظم الجمهور ، والاستيلاء على
شعوره ورأيه من غير تحضير سابق ،
ولا تليكو ظنين .

وازنوا بين ما سمعتم ، وبين ما حدث
لفسكتور هو جو في جلسة برلمانية كانت
تدور على تعديل قانون الانتخاب ، وكان
هو جو يكتب خطبه بلغة عالية ، ويستظهرها
ثم يلقيها عن ظهر قلب . فإذا قوطع أثناء
أدائها ارتج عليه ، أو أجاب بالهذر . وقف

بها المحاضرات فهي أقوم حجة ، وأضوأ حجة ، وأهدأ بياناً وأسهل أسلوباً ؛ لأنها تقصد إلى التعليم لا إلى التأنير ، وإلى الإقناع لا إلى الإمتناع ، فلا تثير رعباً ولا رهبا ، ولا غضباً ولا راحة . تعتمد على البحث العلمي والدليل المنطقي ، والتحليل النفسي ؛ فهي درس عام ، تبسط فيه الحقائق مفصلة محللة جلية لا يبد لها استطراد ، ولا يفسدها نقص ، ولا تبهمها إحالة . فالمحاضر القدير يدرس موضوعه من جميع جهاته ، ويبحث عنه في كل مظانه ، ثم يلم أطرافه ، ويجمع متفرقه ويدنى قصيه ، ثم يؤديه بأسلوب جفاف يثير الشوق ، ويدفع السأم ؛ فإن البلاغة صفة لازمة للتكلم تلازمه في كل موضع ، وتتفجر من قلبه وذنه في كل موضوع .

هذه جملة يسيرة من أصول الفن الخطابي لا بد منها للناشئ البادئ . وقد عرضتها عليكم عرضاً في مبدأ الطريق لتجسوا منها دليلاً تتبعونه ، وفاصحاً تستشرونه . ومرجع الأمر كله إلى الاستعداد والاجتهاد ، فتأبروا وصابروا وخذوا أنفسكم بالمطالعة والمران ، وأشعروا قلوبكم الرغبة في هذا الفن ، فإن الرغبة في الشيء تسهل العصب ، وتخفف المثوونة ، وتوفق بين الوسيلة والغاية .

أحمد حسن الزيات

نجاحهما منيع الدرك ، لأن الخطب السياسية والقضائية - كما قلت - مثار الخصومة والجدل وموضع التأثير والحجة ، ولهذين النوعين وضعت القواعد ، وهما دارت مسائل هذا الفن ، وفيهما اشترى الافذاذ من رجاله . وهناك نوع ثالث يلهمها في القوة والبلاغة والآثر ، وهو الخطب الحربية ؛ غير أنها أوجز لفظاً وأحكم نظاماً ، وأحوج إلى استفزاز المواطف . كخطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس مثلاً .

وقد تغنى في هذا النوع الجملة القصيرة المحسكة عن الخطبة الطويلة المرسلة ، كقول نابليون ، وقد دارت رحى الحرب بين جنوده وجنود مصر على مقربة من الأهرام : أيها الجنود اثبتوا ؛ فإن أربعين قرناً تنظر إليكم من فوق الأهرام . وكقول أحمد القواد في حرب الفاندى : أيها الجنود : إذا أنا أقدمت فاتبعوني ، وإن أحجمت فاقتلونى ، وإن مت فأناروا لى .

بقيت الخطب الدينية ، والخطب العلمية . أما الأولى ، فمدارها الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتثقيف العقل بالحكمة والموعظة الحسنة واستعدادها من النصوص الشرعية ، والعلوم الكونية ، والفضائل النفسية وما أظن أحداً منكم يهمل نفسه لها ؛ فلتدعها إلى أهلها . وأما الأخرى ؛ وأعنى

حديث الإمام الأكبر للمسلمين في شهر رمضان

حاجة البطن ورغبة الجسد ، حتى يروض نفوسنا على الإمساك عما يحرم ، فإن النفوس إذا صدعت بأمر ربها ، فامتنعت عن المحلات سهل عليها أن تصدق طيلة أيامها عن المحرمات . وإذا كان الصيام حرمان المادة بالجوع والعطش ؛ ففيه لإشباع الروح بالشفافية والإشراق ، وعلى قدر ما في الصيام من سلبية لمقومات المادة من الغذاء ، تكون الإيجابية لمقامات الأرواح في مراقب الصفاء ، فالكشفية العينية إذا رقت تجلت اللطيفة الربانية وشفقت ، وحينئذ يكون الإنسان ملائكة الطبع ، نوراني الخواطر ، رباني السلوك ، يذوق حلوة الطاعة ، ويحس مباهج الورع ، وتنشط نفسه للخير ونواذره ، وحسبه أن أهيج بشر أن يقول - كما هلمنا الرسول - : « لاني صائم » .

وإذا حقق المسلم بصومه حكمة ربه ، صلح جسده بصلاح قلبه ، وهفت جوارحه عن محارم الله ، وتزهت أفكاره عن خواطر السوء ، واستحق أن يكون صيامه أشرف أعماله ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ؛ فإنه لي وأنا أجزي به » .

بسم الله أستفتح تهنئي لكم ، أيها المسلمون ، بإقبال رمضان المعظم ، وبالجملة ألجج على ما هدانا إليه من إيمان ، وجمعنا عليه من إسلام ، وأصلى وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين ، وجعله مسك الحتام للأنياء والمرسلين ، وأسأله سبحانه أن يهبنا من مدده ما يعيقنا على استقبال هذا الشهر الكريم على الله بما يناسب تشريف الله له ، وتكريمه لأيامه ولياليه . وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار ، لأنه يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ، فهو بما أودع في خلقه من أسرار ، يصطنى من الملائكة رسلا ومن الناس ، ويصطنى من المكان أول بيت وضع للناس يبيكه مباركا ، ويصطنى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ، ويصطنى الوادي المقدس طوى ، وقد اصطنى من الزمان رمضان ؛ لجملة خير شهر ، واصطنى منه ليلة هي ليلة القدر ، أنزل فيها القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان : « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام » .

وقد علينا الله من فضل هذا الشهر ما شاء أن نعلم ، وتعبدنا نهاره بالإمساك عما يهمل من

الفقير إلى ذل السؤال ، واجعلوا شكركم لنعم الله عليكم لطف بر ، وسباحة معونة ، حتى تكونوا أنتم ، والمحرمون في نعمة الله سواء ، وكونوا للعوizin كما تحبون لو كنتم محتاجين وبهذا تكونوا خلفاء الله بحق ، يعطى بأياديكم ، ويتفضل الله عليكم بشوايكم ، ويفرح بتعاونكم ويكرمكم بحبه فالخلق كلهم هيال الله ، وأحبهم إليه أراهم بعياله .

أيها المسلمون : إن الإيمان الذي وحد هقيدتكم في إله واحد ، ووحده اتجاهكم في الصلاة إلى كعبة واحدة ووحده دستوركم في كتاب مبين ، وسنة مبينة - وحد بينكم في الصيام ، حين تسمعون (الله أكبر) مطلع الفجر تمسكون ، وحين تسمعون (الله أكبر) غروب الشمس تفطرون ، فإله من جلال ، يحرم بكلمة ، ويحلل بكلمة ، فلو أنكم استقبلتم كل نواهي الله بالإعراض عنها ، وصدتم بأوامره ، فأقبلتم عليها لعشتم في عالم فاضل ، وجمتمع سعيد ، قوامه مشاركة في الخير وتعاون على البر وتواص بالحق والصبر ، تواجهون الأحداث بطاقات موحدة تتكامل وتتكافل وتسعى إلى نبيل الأهداف بحزم العاقل ، وهزم الغيور ، وبهذا تعيشون رحاء فيما بينكم ، أذلة على المؤمنين ، أهزة على الكافرين .

(البقية على صفحة ٧٨١)

أيها المسلمون : كل جمال الحياة في حق يقال ، ويعمل له ، والحق جماعه التقوى ، ولهذا أجل الله حكمة الصوم بقوله في كتابه الكريم : « لعلكم تتقون » .

وكل مقابح الحياة في وزر يذاع ، ويعمل به ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم قرض الزور لحكمة الصوم حيث يقول : « من لم يبدع قول الزور ، والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » ، وليس أحق ممن يحرم نفسه الطعام والشراب ، ويحرم نفسه مع ذلك من الأجر والثواب .

أيها المسلمون : لا تضيعوا على نفوسكم حكمة الصوم عند ربكم ، فتشددوا عند الإفطار ألوانا من الطعام والشراب ، تسرفون فيها كما ، وتفقتون فيها كيفاً وتجمعون ما فاتكم من وجبات ، تزحمون بها موائدكم ، وترهقون مواردكم ، فإنكم بهذا تتخمون ، وقعتادون على ما لا تقدون ، وحسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه ، وما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، ومع الجوع أى طعام مرى ، ومع العطش أى شراب هنيء وقد يما قيل : « نعم الإدام الجوع » ،

أيها المسلمون : اذكروا عند فضول موائدكم من لا يحمد كفافاً ، وتحسوا بأريجيتكم من لا يسأل الناس إلحافاً ، والمؤمن كيس فطن ، يسبق بالنوال ولا يلجى .

التطورات التشريعية للطلاق

للاستاذ محمد محمد المدني

٣ - طلاق السكران والمكره

- ٦ -

وقد استدل القائلون بعدم الوقوع، بالحديث الذي ذكرناه، قالوا : لأن العلة في عدم مؤاخذة المجنون في الحديث هي زوال العقل ، فلا يصح تكليفه ، وهذه العلة متحققة في السكران لأنه زائل العقل ، فهو غير مكلف ، وقد انعقد الإجماع على أن شرط التكليف العقل .

كما استدلوا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ، فافقه تعالى يجعل قول السكران غير معتبر ، لأنه لا يعلم ما يقول فيدل ذلك على عدم اعتبار قوله في الطلاق . واستدل القائلون بوقوع طلاق السكران بهذه الآية نفسها حيث قالوا : إنها نهى عن قربان الصلاة حال السكر ، والنهي يقتضى أنهم مكلفون حيال سكرهم ، والمكلف يصح منه إنشاء الطلاق ، وأجيب : بأن الآية خطاب لهم حال صحوهم ، ونهى لهم قبل سكرهم وفي تفسيرها يقول صاحب المنار :

إن الخطاب موجه إلى المسلم قبل السكر بأن يجتنبه إذا ظن أنه ينتهي به إلى التلبس بالصلاة في أثناءه فهو أمر بالاحتياط ، واجتناب السكر في أكثر الاوقات .

١ - في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المجنون حتى يعقل » ، وفي رواية : « وعن الصبي حتى يبلغ » ، وعن المجنون حتى يفيق . وفي رواية أخرى : « وعن الصبي حتى يحتلم » .

وهذا الحديث رواه أحمد ، والأربعة إلا الترمذي ، وصححه الحاكم ، وأخرجه ابن حبان . ويدل هذا الحديث صراحة على أن المجنون لا يصح طلاقه كما لا يصح طلاق النائم والصبي . ولذلك يقول ابن قدامة : أجمع أهل العلم على أن زائل العقل بغير سكر أو ما في معناه لا يقع طلاقه .

ثم اختلف الفقهاء في طلاق السكران بسبب المحصية - على قولين :

الأول : أنه لا يقع ، وإليه ذهب عثمان ، وجابر ، ويزيد ، ومهر بن عبد العزيز ، وجماعة من السلف ، وهو مذهب أحمد ، وأهل الظاهر . والثاني : أنه يقع ، وذلك يروى عن علي وابن عباس وجماعة من الصحابة ، وعن الهادي ، وأبي حنيفة والشافعي ومالك .

د رفع عن أمق الخطأ ، والنسيان ، وما استكروها عليه .

وهذا الرأى مروى عن علي ، وعمر ، وابن عباس ، وابن عمر ، والزيبر ، والحسن البصرى ، وهطاء ، ومجاهد ، وطاوس ، والأوزاعى ، والقاسمية ، والناصر ، والمؤيد باقه ، ومالك ، والشافعى ، كما ذكره صاحب نيل الأوطار . ومن الفقهاء من يرى أن طلاق المكره يقع ، ويستدلون على هذا ببعض الأحاديث التى لا تنهض من جهة السند ، ولا من جهة الدلالة . كالذى يروى من أن رجلا جلست امرأته

على صدره ، وجعلت السكين على حلقه ، وقالت له : طلقنى أو لاذبجنىك ، فتأشدها الله تعالى فأبى ، فطلقها ثلاثا ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا قيلولة فى الطلاق . أى : لا إقالة فيه ، فلا بد من وقوعه .

ويمقد ابن حزم هذا الخبر فيقول : إنه مروى عن صفوان ، وصفوان منكر الحديث ، وفى طريقه الغازى ابن جبلة ، وهو مخموز ، فهو خبر فى غاية السقوط .

وكذلك نقد ابن حزم حديثا آخر ، يقول : وكل الطلاق جائز ، إلا طلاق المعتوه المغلوب على عقله ، فقال ابن حزم ، هذا الخبر الثانى شر من الأول ، لأنه مروى عن (هطاء بن عجلان) ، وهو مذكور بالكذب .

ومن أدلتهم أيضا أنهم قالوا : إن الفائع بالإكراه إنما هو الرضا ، أما تعمد اللفظ ،

تفسير المنار جزء ٥ ص ١١٣ . كما استدلل القائلون بالوقوع بأدلة أخرى ناقشهم فيها مخالفوهم .

ومن ذلك يعلم أنه لم يرد نص من كتاب أو سنة بوقوع طلاق السكران ، ويعلم أن المسألة خلافية ، وقد جد الخلاف فيها فى عهد التابعين ومن بعدهم ، وليس الصحابة فيها رأى إلا ما روى عن عثمان وغيره بعدم الوقوع على ما ذكرنا ، ويوجد فى كل مذهب من المذاهب الأربعة رأيان : رأى بالوقوع ، ورأى بعدمه .

وكذلك اختلف السلف فى طلاق المكره : لجمهور العلماء يرون أنه لا يقع ويستدلون بقوله تعالى : : إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، فيقول الشافعى : إن الله لما وضع الكفر من تلفظه حال الإكراه ، فكذلك يسقط عن المكره ما دون الكفر ، ويقول هطاء : الشرك أعظم من الطلاق ، أى فإذا وضع عن المكره ، فوضع الطلاق عنه أولى لأن الأعظم إذا سقط ، سقط ما هو دونه بطريق الأولى (راجع سبل السلام ج ٣ ص ١٧٧) .

وقد أخرج ابن ماجسة ، وابن حبان ، والدارقطنى والطبرانى والحاكم فى المستدرک من حديث ابن عباس ، وحسنه النووى كما جاء فى نيل الأوطار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

التمييز من غضب ، أو مصيبة مفاجئة ،
أو كبر ، أو مرض .

* * *

وواضح أن القوانين المذكورة ، تزيد على
القانون المصري ، حالات أخرى لا يقع فيها
الطلاق ، وهي حالات : الجنون - العته -
والدهش والغضب - والمصيبة المفاجئة -
والشيخوخة . والمرض .

ولكل حالة من هذه الحالات توجهها الفقهى .
وإنما لم ينص القانون المصرى على هذه
الحالات اكتفاء برجوع القاضى إلى الفقه
في شأنها ؛ لأن معظمها يرجع التقدير فيه إلى
القضاء ، فليس الغضب في مرتبه واحدة ،
ولا الدهش ، ولا المرض ، ولا كبر السن ،
ولا المصيبة المفاجئة ، ليس شيء من ذلك
بمحدد حتى ينص عليه القانون ، فالغضب
مثلا ، كما يقول ابن القيم على ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يحصل له مبادئ الغضب ،
بحيث لا يتغير عقله ويعلم ما يقول ويقصده
وهذا لا إشكال فيه ، والثاني : أن يبلغ النهاية
فلا يعلم ما يقول ، ولا يريد ، فهذا لا ريب أنه
لا ينفذ شيء من أقواله . الثالث : من توسط
بين المرتبتين ، بحيث لم يصر كالجنون ، فهذا
محل النظر (ابن عابدين ج ، ص ٤٦٣) .

وإذا كان الأمر في الغضب على هذه المراتب
المختلفة ، فقد ترك القانون النص عليه ،

والنطق به فوجود ، وليس الرضا بشرط ،
وذلك كطلاق الهازل فإنه واقع مع أن
الرضا منه غير موجود .

ورد ذلك بأن المكره مخير بين الطلاق
وأن يصيبه ضرر لا يقدر عليه ، قد يصل إلى
الموت ، فهل يقاس بالهازل الذى يملك نفسه

وقد رجح القانون المصرى رقم ٢٤ لسنة
١٩٢٩ رأى القائلين بعدم وقوع طلاق
السكران والمكره .

لجاء في المادة الأولى منه ما نصه .

(لا يقع طلاق السكران والمكره) .

كما جاء في الفصل التاسع والأربعين من
القانون المراكشى ما نصه :

(لا يقع طلاق السكران الطافح ، والمكره
وكذلك الغضباني إذا كان مطبقا أو اشتد غضبه) .
وجاء في المادة الثامنة والستين من قانون
حقوق العائلة الاردنى ما نصه :

(طلاق السكران ، وطلاق المدهوش ،
والطلاق الواقع بالإكراه غير معتبر) .

ونصت المادة التاسعة والثمانين من قانون
الأحوال الشخصية السورى على ما يأتى :

(لا يقع طلاق السكران ، ولا المدهوش ،
ولا المكره) .

ونصت المادة الخامسة والثلاثين من
القانون العراقى على أنه (لا يقع طلاق السكران
والجنون والمعتوه والمكره ، ومن كان فاقد

هذا أهم الموضوعات التي يظهر فيها أثر التطور التشريعي ، فيما بين الفقهاء متقدميهم ومتأخريهم ، وفيما انتهى إليه التشريع القانوني المستند إليهم في عصرنا الحاضر ، ولم تقصد استيعاب كل موضوع ، ولا التوسع في ذكر التفاصيل والأدلة ، ولكن قصدنا ما يكون به التوضيح ، وبالله التوفيق ؟

محمد محمد المهدي

واكتفى في شأنه بما ورد في الفقه الذي يرجع إليه حين لا يرد في القانون نص .

ويقال مثل ذلك في الأحوال الأخرى . والقوانين التي نصت على هذه الأحوال تحتاج أيضا في تطبيقها إلى النظر والتقدير من القضاء ، والرجوع إلى الفقه ، وإلى واقع حال المطلق لضبط النظر والتقدير .

ومن ثم فلا نرى كبير فائدة في النص على ما نصت عليه زيادة على ما ورد في القانون المصري .

(بقية المنشور على صفحة ٧٧٧)

وعلى المظلوم حربا حتى يظهر العالم من جنون القساط ، وجبروت الاستعلاء ، وحتى ترفعوا تبعية المستضعفين إلى ذاتية المتحررين .
أيها المسلمون : قبل الله صيامكم وقيامكم ، وجعل لكم فيما توتلون من القرآن ، وتندارسون من السنة ، هدى ونورا يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، وفقكم الله إلى صالح القول ، وسديد العمل ، وأعاد عليكم هذا الشهر كما تحبون ، وفوق ما تؤملون ، وأيد الله قادتكم ومكن لهم ، حتى يجمعوا على سلام الإسلام كل الدنيا ، وتكون كلمة الله هي العليا ؟

حسن مأموره

شيخ الأزهر

أيها المسلمون : إن سلوككم عرض تطبيقي لمبادئ الإسلام ، فكونوا أمناء على هذا العرض ؛ لأنكم إذا انحرفتم عن الإسلام بسلوككم ، مكنتم أعداءه من التشكيك في صلاحيته ، والاجترأ عليه بوافدات الإلحاد ، وخداعات المبادئ ، فكونوا كما أراد الله : أسوة حسنة ، ومثلا إسلاميا أهلا ، يلفت الدنيا إلى محاسن الإسلام ، ويعلم المخدوعين والمفتونين بأنه لا صلاح لديننا الناس إلا بالدين .

أيها المسلمون : إنكم بصيامكم تنتصرون على نفوسكم ، وهي أهدى أعدائكم ، ومن انتصر على نفسه ، هان عليه أمر خصمه ، فخذوا من الصيام دربة فضال وطاقة كفاح ، وانفضا جهاد ، وكونوا للضعيف حزبا ،

النظام الاقتصادي في الإسلام

ووضعه بين النظم الاقتصادية الحاضرة

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

من فناء الأفراد الذين يتعطل فيهم وتجددهم جيلاً بعد جيل .

ونظام الملكية الجماعية معترف به في جميع الأمم والشرائع ؛ فليس ثمة شريعة إنسانية لا تقر الملكية الجماعية في صورة ما ، وليس ثمة أمة قديمة ولا حديثة لا يوجد فيها مظهر ما من مظاهر هذه الملكية .

ولنما الخلاف بين النظم الاقتصادية في هذه الناحية ينحصر في موقفها حيال النوع الثاني من الملكية وهو الملكية الفردية فالنظام الشيوعي لا يقر الملكية الفردية على الإطلاق أو لا يقرها إلا في أمور ليست ذات بال في الإنتاج لجميع الملكيات أو بعبارة أدق جميع الملكيات ذات الأهمية في الإنتاج ملكيات جماعية في هذا النظام ، تملكها الدولة نفسها ، وتوزع الجهد اللازمة لاستغلالها ونتاج ثمراتها على أفراد الشعب وفق ما ترضيه من نظم وأوضاع .

والنظامان الآخران ، وهما النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي ، يقران الملكية

ترجع أهم الأوضاع الاقتصادية المطبقة في الوقت الحاضر إلى ثلاثة نظم ، يطلق عليها أسماء : الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية . وتبدو أهم مظاهر الخلاف بين هذه النظم في موقف كل نظام منها حيال الملكية وأنواعها وحقوقها وواجباتها .

وذلك أن الملكية تنقسم قسمين : ملكية فردية ، و ملكية جماعية .

فأما الملكية الفردية : فهي التي يكون المالك فيها فرداً معيناً بذاته ، أو أفراداً معينين بذواتهم .

وأما الملكية الجماعية فهي التي لا يكون المالك فيها فرداً معيناً ، ولا أفراداً معينين بالذات ، وإنما يكون شخصاً اعتبارياً مفروضاً فيه الاستقرار والبقاء ، كالامة والدولة والعشيرة والقبيلة والجمعية ... وما إلى ذلك ، فحينما يقال مثلاً : إن هذه الأرض ملك للدولة أو الأمة ، يكون معنى ذلك أنها ملك للشخص الاعتباري المتمثل في الدولة أو الأمة والمفروض فيه الدوام والبقاء على الرغم

الاجتماعية انتقلها إليهم عن طريق الميراث
ففي كلا الحالين لا يعتبر هذا الانتقال تملكاً
جديداً من جميع الوجوه ، بل يعتبر بمثابة
امتداد للملك الأول ، لتحقيقه لرغبة المالك
الأصلي في حالة الوصية ولتعلقه بأفراد يمتنون
للمالك الأصلي بلحمة قرابة قوية ، تجعلهم
صورة متجددة منه في حالة الميراث . فكان
هؤلاء وأولئك يمثلون المالك الأول ، وكان
الملكية الأولى نفسها لا تزال قائمة ، وإن
لبست ثوباً آخر غير ثوبها القديم .

وأما الحق الثاني ، وهو حرية النفع : فعنه
أن يكون للمالك الفردي الحق في أن يحوز
من أنواع الممتلكات ما يشاءه وتسمح به
إمكانياته .

وأما الحق الثالث : وهو حرية المقدار ،
فعنه : أن يكون للمالك الحق في تملك أى
مقدار ، بالغة ما بلغت قيمته .

وأما الحق الرابع : وهو حرية التصرف
فعنه : أن يكون للمالك الحق في أن يفعل
في ملكه ما يشاء وفي أن يملكه ، فلا يفعل فيه
شيئاً ، فحرية التصرف لها وجهان : وجه
إيجابي ، ووجه سلبي ، ويتمثل وجهها
الإيجابي في أمور كثيرة : من أهمها استغلال
الشيء المملوك ، واستهلاكه ، وإباده وبيعه ،
وهبته ، وإعارته ، وتأجيرها ، والوصية به ،

الفردية في المنقول والعقار ، ومختلف مصادر
الإنتاج .

ولكنهما مع ذلك يختلفان في موقف
كليهما حيال حقوق هذه الملكية
وواجباتها .

وذلك أن الملكية الفردية تمنح صاحبها
مبدئياً حقوقاً كثيرة ، يرجع أهمها إلى أربعة
حقوق ، وهى : الدوام ، وحرية النوع ،
وحرية المقدار ، وحرية التصرف .

أما حق الدوام : فعنه بقاء الملكية ما بقيت
العين المملوكة ، وهذا الدوام يكون أحياناً
دواماً حقيقياً ، وأحياناً يكون دواماً اعتبارياً
فيكون دواماً حقيقياً إذا كانت العين المملوكة
قابلة للاستهلاك وأنتج لصاحبها أن يستهلكها
في حياته ، ففي هذه الحالة يصدق على الملكية
أن يدملكها بغير مسيطرة عليها طول المدة
التي استغرقها بقاءها ، ويكون الدوام
اعتبارياً إذا كانت العين المملوكة غير قابلة
للاستهلاك كالأراضي والعقار ، ويموت
صاحبها ، وهى لا تزال باقية ، أو قابلة
للاستهلاك ولم يتح لمالكها أن يستهلكها
في حياته ، ففي هذه الأحوال يتحقق الدوام
في صورة اعتبارية تواضعت عليها شرائع
الأمم التي تقر الملكية الفردية ، وذلك بأن
تنقل العين بعد وفاة مالكها إلى من يوصى
هو بانتقالها إليه أو إلى من تقرر النظم

للمالك الفردى أن يوصى بملكه لمن يشاء ولما يشاء (حق الدوام) وأن يملك أى نوع من الممتلكات ، ولذلك نسمع فى الولايات المتحدة بملوك البترول الذين يملكون حظا كبيرا من آبار البترول فى العالم ، وملوك الصلب الذين يملكون معظم مصانع الصلب وملوك السكك الحديدية ، وملوك البنوك ، وملوك الصحافة ... وهم جرا (حرية النوع) وأن يملك أى مقدار بالغة - ما بلغت - قيمته ولذلك نسمع فى هذه البلاد بأصحاب الملايين الذين يملكون ما تبلغ قيمته عدة ملايين من الدولارات ، وبأصحاب المليارات الذين يملكون ما تبلغ قيمته عدة مليارات ، أى عدة آلاف من ملايين الدولارات (حرية المقدار) ، وليس ثمة قيود يعتد بها على حرية التصرف الإيجابى والسلبى فى الملكية الفردية فى هذه البلاد ، وكذلك يحرص نظامها الرأسمالى على تخفيف الواجبات والأعباء التى يضعها على كاهل المالك الفردى ، فى ظل النظام الرأسمالى يطلق العنان لرأس المال ، فيطغى ويسيطر على شئون الإنتاج والاقتصاد على العمل ، بل قد يسيطر كذلك على شئون السياسة والاجتماع ، وتتحقق ظاهرة التراء الفاحش لبعض الناس ، وتتسع الفروق المالية بين الأفراد والطبقات نظراً لإطلاق حرية التملك ، وحقوق المالك الفردى ، مع

ووقف غلته على فرد أو أفراد ، أو هيئة ما بعد الوفاة ... وهم جرا .

هذا ولا توجد شريعة من الشرائع التى تقر الملكية الفردية تمنح المالك الحقوق السابق ذكرها فى صورة مطلقة وقهقهة من الواجبات بل إن كل شريعة منها تعتمد إلى كل حق من هذه الحقوق فتقيده فى سبيل الصالح العام وحماية حقوق الآخرين ، واتقاء الضرر والضرار ، وتفرض بجانب ذلك على المالك عدة واجبات يؤدها للدولة وللجتمعة فى مقابل ما بقى له من حقوق .

غير أن النظامين اللذين يقران الملكية الفردية . وهما : النظام الرأسمالى ، والنظام الاشتراكى ، يختلف كلاهما عن الآخر فى مبلغ القيود التى يقيد بها حقوق الملكية الفردية ومبلغ ما يضعه على كاهل المالك الفردى من واجبات وأعباء .

فالنظام الرأسمالى لا يمس الحقوق السابق ذكرها إلا برفق ، وفى حدود ضيقة وكذلك يخفف ما أمكنه التخفيف فيما يضعه على كاهل المالك الفردى من واجبات وأعباء وبالجمله يجمع إلى تغليب ناحية الحقوق فى الملكية الفردية على ناحية الواجبات ، فى النظام الرأسمالى فى الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً لا توجد إلا قيود ضئيلة على الحقوق السابق ذكرها ، وفيما عدا هذه القيود الضئيلة يجوز

المالك الفردي . وترجع أم هذه الواجبات إلى ما تفرضه من رسوم وضرائب تصاعدية على التركات والأيلولة ، والمهن التجارية ، والمهن الحرة غير التجارية ، وكسب العمل ، والإيراد العام . وترى النظم الاشتراكية من وراء ما تضعه من قيود على حقوق الملكية الفردية وما تفرضه من واجبات على كاهل المالك الفردي إلى تقليل أظافر رأس المال ، وتجريده من وسائل السيطرة والنفوذ ، واستقرار التوازن الاقتصادي ، وتحقيق تكافؤ الفرص ، وتقليل الفروق المالية بين الطبقات والأفراد ، وتقريب الطبقات بعضها من بعض ، والأفراد بعضهم من بعض ، واتقاء تضخم الثروات ، وتجمعها في أيدي قليلة :

والنظم الاشتراكية أنواع مختلفة : فمنها ما لا يبعد كثيراً عن النظام الرأسمالي ؛ ومنها ما يعمد في تقييد حقوق الملكية الفردية ، وفي إكثاره من واجباتها ؛ حتى يكاد يقضي عليها ، وبشل حركتها ؛ فيقرب بذلك من النظام الشيوعي ؛ ومنها ما هو وسط بين هذا وذاك .

* * *

هذا ، وقد وضع الإسلام في شئون الاقتصاد نظاماً حكيماً ، يقوم على الدعام الثلاث الآتية :

اختلاف الناس بعضهم عن بعض في كفاياتهم ومواهبهم ، وما يتاح لكل منهم من فرص وظروف .

على حين أن النظام الاشتراكي يسكن من القيود التي يقيد بها حقوق الملكية الفردية ، ومن الأعباء التي يضعها على كاهل المالك الفردي ؛ وبالجملة ينجح إلى تغليب ناحية الواجبات على ناحية الحقوق . ففي النظم الاشتراكية يقيسد حق المالك بقيود كثيرة في شئون الوصية والميراث ... وما إليهما (تقييد حق الدوام) ؛ ويضيق من نطاق الملكية الفردية ؛ فيستثنى منها أموراً كثيرة ، تعتمد هذه النظم إلى تأميمها أي إلى جعل ملكيتها ملكية جماهيرية للأمة (تقييد حرية النوع) ؛ وقد توضع حدود قصوى لما يجوز للمالك أن يملكه من بعض الأشياء ، أو لما يجوز أن تصل إليه قيمة ممتلكاته جميعها (تقييد حرية المقتدر) ؛ وتدخل الدولة كذلك تدخلاً كبيراً في شئون البيع ، والإجارة والهبة والاستغلال والاستيراد والتصدير .. وما إلى ذلك (تقييد حرية التصرف الإيجابي) ؛ ويحظر على المالك أن يهمل بعض الممتلكات ، ويتركها بدون استغلال ولا انتفاع (تقييد حرية التصرف السلبي) .

وفضلاً عن هذا كله ، تحصر النظم الاشتراكية على فرض كثير من الواجبات والأعباء على

فيقيدها بقيود كثيرة ، ويضع على كاهل المالك - في مقابل ما بقى له من حقوق - عدة واجبات يؤديها للدولة ، وللجنتع ، وللعموزين من الناس . ويقصد الإسلام من وراء ما يضعه من قيود على حقوق هذه الملكية ، وما يقرره من واجبات على مالكها إلى أغراض سامية . فبفضل هذه القيود ، وهذه الواجبات ، يكفل الإسلام تحقيق العدالة الاجتماعية ، وإقرار التوازن الاقتصادي ، وتقليل الفروق بين الطبقات ، وتقريبها بعضها من بعض ، واتقاء تضخم الثروات وتجمعها في أيدي قليلة ، وتجرير رأس المال من وسائل الجبروت ، والطغيان ، والسيطرة على شئون الحياة .

فقد قيد الإسلام حق الدوام بما وضعه من نظم لليراث والوصية . فوضع لليراث نظاماً حكماً يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعاً عادلاً ، ويحول دون تضخمها ، وتجمعها في أيدي قليلة ، ويعمل على تقليل الفروق بين الطبقات والأفراد . وذلك أن يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفى ، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، ويحول من جهة أخرى دون تجمع ثروات كبيرة في يد فئة محدودة من الملاك ، ويقرب طبقات الناس بعضها من بعض . فهو يورث الأبناء والبنات ، والآباء والأمهات ، والأجداد

١ - الدعامة الأولى تتمثل في : إقرار الملكية الفردية وحمايتها . فالإسلام يقر الملكية الفردية ، ويذلل أمام الفرد سبل التملك ، والحصول على المال ، ويعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، ويفصح المجال أمام المنافسة ، والعمل على التفوق . وبذلك يحقق تكافؤ الفرص بين الناس في هذه الميادين . ولا يكتفى الإسلام بإقرار الملكية ، وتيسير سبل الحصول عليها ، بل يحيطها كذلك بسياسات قوى من الحماية ، كما تدل على ذلك الحدود والعقوبات الدنيوية والأخروية التي يقررها مختلف أنواع الاعتماد على الملكية الفردية ؛ كالسرقة ، وقطع الطريق ، والغصب ، ونقل حدود الأرض ، ... وما إلى ذلك ؛ بل إن الإسلام لينهى عن مجرد النظر بعين نهمته إلى ملكية الغير ، وفي هذا يقول الله تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ... » . وفي سبيل حماية الملكية الفردية يميز الإسلام للمالك أن يدفع عن ملكه بكل وسائل الدفاع ، حتى لو أُلجأ ذلك إلى قتل المعتدى ، وفي هذه الحالة لا قصاص عليه ، وإذا قتل هو يموت شهيداً ، وفي هذا يقول الرسول عليه السلام : « من قتل دون ماله فهو شهيد » .

٢ - ولكن الإسلام مع إقراره للملكية الفردية ، وحمايتها لها ؛ يعمد إلى حقوقها

فيضار المجتمع من جراء ذلك ، وقد عد الرسول عليه السلام من هذا النوع أربعة أشياء وهي : الماء والكلاء والنار والملح ، وقاس عليها الفقهاء نظائرها ، مما تتوافر فيه صفاتها وحكمتها كالطرق والجسور والخزانات والآثار القديمة ... وما إلى ذلك . بل لقد قاس عليها (الإمام مالك) جميع ما يوجد في باطن الأرض من معادن صلبة أو سائلة حتى لو كانت الأرض نفسها مملوكة لبعض الناس ، وحجته في ذلك أن مالك الأرض إنما يملك ظاهرها دون باطنها ؛ ولأنه يملك ما تستعمل فيه الأرض عادة وهو الزرع والبناء وليس من الانتفاع المعتاد بالأرض استخراج المعادن منها ، ولأن المعادن هي ودعة الله في الأرض ، فتكون لكل خلقه لا يختص بها إنسان دون آخر ولأنها من الأمور ذات النفع العام ، فهي تخصه الأمور التي ذكر الرسول عليه السلام أنه لا يصح أن يستأثر أحد بملكيتها ، ولأنها لا توجد إلا في مواطن خاصة ، والناس جميعا في حاجة إليها ، فلو أجزت تملكها تملكها فرديا لنال الناس من جراء ذلك ضرر كبير ، ورأى الإمام مالك في هذا الصدد هو أمثل الآراء ، وأكثرها اتساقا مع روح الشريعة الإسلامية .

وقيد الإسلام كذلك حرية التصرف بقيود تحقق الأغراض السابق ذكرها ، وتسكفل

والجدات ، والأزواج والزوجات ، والإخوة والأخوات ، والأعمام وأبناء الأعمام ، وأبناء الإخوة وأولاد الأبناء ، بل يورث ذوى الأرحام أنفسهم في بعض الأحوال . فبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروة الكبيرة التي يتفق تجمعها في يد بعض الناس أن تتوزع بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس ، وتستحيل إلى ملكيات صغيرة . وهذه هي أمثل طريقة لتقليل الفروق بين الطبقات والأفراد ، وتحقيق التوازن الاقتصادي ، وعلاج ما عسى أن يطرأ على هذا التوازن من اضطراب . وقيد الإسلام كذلك حق المالك في الوصية حتى لا يتلاعب في قواعد الميراث ويحول دون تحقيق أغراضها السابق ذكرها ، فقرر أنه لا تصح إلا في حدود الثلث من الوصية (١) .

وقيد الإسلام كذلك أنواع الملكية الفردية ، فأخرج من نطاقها الأشياء التي لا يقف وجودها ولا الانتفاع بها على مجهود خاص كبير ، وتكون ضرورية لجميع الناس ، وأوجب أن تكون ملكيتها ملكية جماعية ، حتى لا يستبد بها فرد أو أفراد ،

(١) وتكون لغير وارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا وصية لوارث » وبذلك يتوزع جزء من المال على غير الوارثين فيزيد الانتفاع .

٣ - وأما الدعامة الثالثة فتتمثل في الأسس العامة التي يقيم عليها الإسلام العلاقات الاقتصادية بين الناس ، وذلك أن الإسلام لا يقيم هذه العلاقات على أسس مادية ، كما تفعل النظم الأخرى ، وإنما يقيمها على أسس إنسانية خلقية ، يتحقق بفضلها : التكافل ، والتعاون ، والتحاب ، والتواد والتراحم بين الناس بعضهم مع بعض ، ولتقواضى بالبر والخير ، والعدل والإحسان واحترام الشخصية الإنسانية التي كرمها الله فينظر كل فرد إلى الآخر على أنه غاية لا على أنه وسيلة ؛ تستخدم لجلب المنفعة ، ويجب كل فرد لغيره ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، وبذلك يضع الإسلام أمثل نظام للضمان الاجتماعي .

وفي هذه السبيل يحرم على الإنسان كل تصرف اقتصادي يخالف هذه المبادئ ، فيحرم الربا والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، والغش في المبيعات ، وإخفاء عيوبها ، وتطفيف الكيل والميزان واحتكار السلع الضرورية ، التحكم في أسعارها ، واحتفال النفوذ ، والسلطان للحصول على المال ... وما إلى ذلك من طرائق الكسب التي تنفجر عن الخلق الكريم ، ولا تتفق مع واجب الإنسان نحو أخيه الإنسان .

وفي هذه السبيل كذلك يوجب الإسلام

هدم الإضرار بحقوق الآخرين وبالصالح العام فحرم الإسلام على المالك كل تصرف في ملكه يؤدي إلى ضرر عام أو خاص أو ينطوي على اعتداء على حرية الآخرين . وذهب الإسلام في هذه السبيل إلى حد أنه يميز نوع الملكية من صاحبها إذا أساء استخدام حقه فيها . ولم يكن ثمة وسيلة أخرى لمنعه من ذلك .

ووضع الإسلام على كامل المالك الفردي في مقابل ما بقي له من حقوق واجبات وأعباء كثيرة يؤديها للدولة وللجمتمع وللصالح العام وللمعوزين من الناس كزكاة النقد والأنعام وهروض التجارة وحاصلات الزراعة والمخراج والضرائب والكفارات المالية والصدقات الموسمية كزكاة الفطر والصدقات المستحبة التي لا تكاد سورة من القرآن تخلو من الحث عليها وبيان عظيم أجرها يوم القيامة وتدل آيات كثيرة من القرآن على أن الإسلام ينظر للملكية الفردية على أنها مجرد وظيفة يقوم صاحبها بأداء حقوقها وإنفاق المال على مستحقه وينظر إلى المالك على أنه مستخلف على ثروته من قبل الله لإنفاقها في سبيله وفي هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

من وسائل الطفيان ، والسيطرة والنفوذ ، وليس من النظم الاشتراكية المتطرفة إلى اليسار ، لأنه لا يعمن في إضعاف رأس المال الفردي ، بل يفسح له المجال للقيام بوظيفته في حدود الصالح العام ، بوصفه عاملاً هاماً من عوامل الإنتاج ، وليس من النظم الاشتراكية المتطرفة إلى اليمين ، لأنه لا يمنح مثلها إلى تخفيف رقابته على الملكية ورأس المال الفردي .

وهو نظام نسيج وحده ، منقطع النظير بين النظم الاقتصادية السائدة في الوقت الحاضر ، لا يدانيه نظام منها في سموه ودقته ومبلغ تحقيقه لخير الأفراد والجماعات ، له مقوماته ومثاليته الخاصة به ، وإذا كان لا بد من وصفه بصفة من الصفات المتداول استعمالها على ألسنة المحدثين من علماء الاقتصاد فإننا نصفه بأنه نظام اشتراكي معتدل .

والنظم الاشتراكية في عمومها كما تقدم بيان ذلك نظم وسطى بين الشيوعية والرأسمالية ، تأخذ ما فيها من محاسن وتبرأ مما تنطويان عليه من مثالب ، والنظام الممتدل هذا هو أوسطها جميعاً فالنظام الاقتصادي في الإسلام هو إذن وسط وخيار من خيار ؟

وكيف يكون هذا هو الوجه والى

على الأغنياء من الأقرباء أن ينفقوا على الفقراء والمساكين والعاجزين عن الكسب من أقربائهم ، ويوجب على أهل كل حي أن يعيش بعضهم مع بعض في حالة تكافل وتعاقد ، يرق غنيهم لفقيرهم ويسد شعبانهم حاجة جائعهم ، حتى لقد ذهب جماعة من الفقهاء على رأسهم (الإمام ابن حزم) إلى مسؤولية البلد الذي يموت أحد أفرادها جوعاً فيدفع أهله القدي إلى أسرته متضامنين كأنهم شركاء في موته ويوجب في حالة الشدة والضرورة أن يعود القادر على المحتاج بما يسد حاجته ، ويحث الجار على الإحسان إلى جاره ، ولو لم يكن من أقربائه ، ولو كان على دين غير دينه ، ويوجب على بيت المال الإنفاق على الزمن وهو العاجز عن الكسب وعلى الشيخ الفاني ، وعلى المرأة إذا لم يكن لواحده من هؤلاء من يجب عليه النفقة من أقربائه ، ولا يفرق الإسلام في ذلك بين المسلم وغير المسلم .

* * *

والنظام الاقتصادي في الإسلام ليس إذن نظاماً شيوعياً لأنه يقر الملكية الفردية ويحميها ، وليس نظاماً رأسمالياً لأنه لا يطلق العنان لرأس المال ، بل يحرص على تجريده

مقومات القيادة الناجحة في الإسلام

لدستاز من فتح الباب

فهو يستمد سلطته من مصدر أعلى من الجماعة - كالتشريع - دون أن يعززه بقوة الرأي العام المنبثقة من إجماع الأفراد على احترامه وطاعته . وهو لا يتجاوب مع الجماعة ، ولا يهتم بتنميتها ؛ بل يعتمد إلى الاحتفاظ بما لديه من معلومات ، ويفخر بأنه لا يوجد قيمة متخصص سواء ، الأمر الذي يضر بالصالح العام ؛ لما يفشأ منه من سوء في العلاقات ، واقتصاد للثقة ، وسريان اليأس والنواكل في نفوس المرءوسين .

أما القائد : فهو الذي يستمد سلطاته ونفوذه من الرضاء العام ، وهو يحوز هذا السلطان طواحية من أعضاء الجماعة ، لاربهة أو خوفا من العقاب . وهو يتخذ من التعاون في سبيل تحقيق الصالح المشترك أسلوبا للعمل . ويتطلب هذا الأسلوب وعيا ومعرفة وقدرة على تعريف الأمور واتهاج السياسة المناسبة وتوثيق العلاقة بين الحاكم والمحكوم . فإذا توافرت هذه المقومات لولى أمر الجماعة ؛ فإنه يصبح معلما ومريا لها ، يرق بمسئولها ، وينقل إليها خبراته ، ويبدى لها المشورة القائمة على السند العلمي والتجارب السابقة ،

يطلق اصطلاح القيادة في علم الإدارة العامة ، على السلطة التي لها حق إصدار القرارات . والقيادة ضرورة حتمية في جميع المستويات لإبتداء من الدولة حتى أصغر قطاع في المجتمع ، وتتمثل القيادة في الأشخاص الذين ارتضتهم الجماعة رؤساء وحكاما ، سواء في المجال السياسي أو الحربي ، أو الاجتماعي ، أو الإداري .

ويرجع نجاح القيادة إلى إخلاص الرؤساء وشجاعتهم ونشاطهم وكفائتهم وفهمهم الصحيح لمستوياتهم وأهدافهم - ومن ثم كان على الجماعة أن تحسن اختيار قائدها ، فأما إذا أخطأها السداد فولت عليها من لا يصلح للقيادة فإنها سوف تجنى - بلا ريب - مغبة سوء اختيارها فتضطرب أمورها وتخف فيها موازين العدالة .

ولقد آثرنا في هذا البحث أن نستخدم كلمتي القائد والقيادة دون كلمتي الرئيس والرئاسة نظرا لما استقر عليه الباحثون في علم الإدارة من التفريق بينهما في المعنى ، فالرئيس : هو الشخص الذي يفرض إرادته بإصدار الأوامر وإلزام الأفراد بتنفيذها ،

من الوصول إلى مستوى القيادة لعدم توافر مقومات القيادة في شخصه .

واقعد انتهى الباحثون من استقراء سير العظماء والابطال في تاريخ الإنسانية إلى استنباط عدة معايير وصفات للقائد الناجح يمكن إجمالها فيما يأتي :

- * الانتماء إلى الجماعة .
- * الإيمان برسائه .
- * القدرة على تحديد الهدف .
- * الفطنة ، وقوة المعارضة ، وسعة الأفق .
- * حسن المظهر ، وقوة التحمل ، والاتزان النفسي .
- * القدرة على التأثير ، والإقناع .
- * القدرة على الحركة والنظر إلى المستقبل .
- * الإلمام بالعمل ، والقدرة على التخطيط والتنظيم .
- * القدرة على تحمل المسؤوليات ، وحسن الإدارة .
- * القدرة على اكتساب ثقة المرءوسين من طريق مطابقة قوله لفعله .
- * تدريب المرءوسين على العمل وفقاً للأصول السليمة .
- * الإشراف على المرءوسين ، ومتابعة خطوات العمل .
- * النزاهة والعدالة في المكافأة والعقاب .
- * الأمانة والحزم .

ويتعاون معها على قدم المساواة ، وهو يطرح المشكلة للبحث من حل لها يحقق الأغراض المنشودة . وبهذه الروح يضع أسلوب العمل ، ثم يبدأ في التنفيذ حتى يصل إلى خاتمة البرنامج .

وفي ضوء هذه المبادئ نستطيع أن نعرف وظيفة القيادة الناجحة بأنها : القيام بتلك الأعمال التي تعين الجماعة على تحقيق أهدافها بمعنى العمل على أن يتعاون أعضاؤها بطريقة تضمن تماسك الجماعة وتحركها في الاتجاه الملائم . ومن ثم فإن القيادة - على خلاف الرئاسة - تنبع من الجماعة ويشعر الأعضاء بالحاجة إليها ، وهي تؤمن بأهداف الجماعة وتشعر بمشاهرها ، وتستمد منها سلطاتها .

على أن التفرة بين القيادة والرئاسة لاتصل إلى حد وصفهما بأنهما تقيضان ، فالرئيس المكلف يستطيع أن يبلغ مرتبة القيادة وكثيراً ما شاهدنا رؤساء يندمجون في الإدارات التي يتولون أمورها ويتعاونون مع ساء العاملين بها فينظر الفرد إلى الرئيس أو المدير ، على أنه عضو في الجماعة ، وقائد لها في نس الوقت ، ومن هنا فإن القيادة تتعلق بشخص الرئيس نفسه ، فالرئيس الذي يشغل مناصاً صغيراً ، في مكنته أن يرتفع بمستوى رسته إلى درجات القيادة الناجحة هل حين أنشاغل المنصب الرئيسي قد يعجز

المصالحة منها بحكم تجاوبها معه نفسياً وفكرياً واجتماعياً . إذ تشع هذه العناصر أن قائدها لم يفرض عليها ، وإنما أختير من صميم مجتمعيها ، فهو قد نما وتطور في ظل الظروف والمراحل التي مرت بها ، وإن كان يمتاز عنها بصفات ومناقب خاصة تجعله أهلاً لشغل مكان الصدارة منها . ومن هنا يلتقي القائد والجماعة في بيئة واحدة ، وعلى أرض مشتركة يبدأ منها سيره نحو تحقيق أهدافه في ظل دفع مستمر ، أشبه بموجات تسري في الجماعة من تأثير القائد فيمن حوله وتأثرهم به في حلقات متصلة بغير انقطاع .

ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن فرض رئيس على جماعة لا يقتضى إلهاً هو أحد الأسباب الجوهرية التي تؤدي إلى هبوع الروح المعنوية ، وسوء العلاقات ، الأمر الذي ينعكس على العمل ، ويخلق مشاكل لا هداة لها ، إذ كثيراً ما نجد أن مثل هذا الرئيس الذي وضع في غير موضعه ، يعنى بأمور تخرج عن محيط اهتمامات الجماعة ، ولا تتصل بمصالحهم ، أو صالح العمل اتصالاً مباشراً فهو يعيش بينهم ولكنهم يظل في عزلة نفسية وفكرية عنهم ، وهو نيجة لهذا التباين في الأحاسيس والأفكار ، يجد نفسه تلقائياً مسوقاً إلى اتخاذ مركز مصلح بقيمه على أساس السلطة المفروضة وبحجة به رئاسته

* حسن اختيار معاونين ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

* إنشاء علاقات إنسانية بين الجماعة على مستوى رفيع .

* الإيمان بالقيادة الجماعية القائمة على الشورى .

* المبادرة إلى علاج ما قد ينشأ من انحرافات قبل استفحالها .

تلك هي أهم الصفات والمناقب التي يمتاز بها القائد الفذ في المجتمع فتسلكه في هداد الأبطال والرواد في تاريخ الحضارة الإنسانية .

يبدأ تاريخ القائد لم يسجل منذ نشأة الحضارات في أقدم العصور أعظم ولا أقدر على البقاء من سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وسير القادة المسلمين في العصور الأولى للإسلام .

وسوف نحاول في هذا البحث أن نتناول الجوانب القيادية في سيرة الرسول الكريم ، وذلك في ضوء النظريات والأفكار الحديثة التي قدمناها حول القائد والقيادة ، مستهلين هذه الدراسة بالحديث عن المقوم الأول من مقومات القيادة في شخصية الرسول ، ونعني به : الانتماء إلى الجماعة .

لقد أجمع العلماء المتخصصون في بحث القيادة ومقوماتها على أن القائد الذي يفتق من صميم الجماعة سرعان ما تهوى إليه أفئدة العناصر

إلى قبيلة قريش أكبر القبائل العربية ، وإلى بيت عبد المطلب أهرق بيوتها وأطهرها وأنقاها . وقد غابت هذه الحكمة عن نفر من العرب طمس الله على قلوبهم ، وأعمى بصائرهم ، فهم لا يفقهون ، فاستنكروا أن ينزل الله رسالته على بشر مثلهم ، لا يختلف عنهم في شئون الحياة . وما أبلغ الصورة التي تعبر عن هذا الموقف في قوله تعالى :

« وقالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها . وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . »

ومن قبل هؤلاء الضالين كان أسلاف لهم في العصور القديمة أنكروا على أنبيائهم ما أنكروه هؤلاء ، غير مدركين أن انتهاء الرجل صاحب الرسالة إلى الجماعة التي يتوجه إليها بهذه الرسالة سر من أسرار نجاحه ، وأن هذه الخصيصة من أهم خصائص ومقومات القائد والقيادة . يقول الله تعالى :

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، . »

وهكذا نبعت الرسالة والرسول من صميم الأمة العربية التي أنزلت عليها شريعة الحق ،

الشكلية التي تتمثل في الأثاث والرياش والعرض دون الجوهر ، تمييزاً لنفسه عن سائر أعضاء الجماعة ، دون أن يتصدى لعلاج المشكلات التي تعترض العمل والعاملين .

وهو يفعل هذا كله تغطية لقصوره في الإنتاج بأكوام من السكاليات والرسميات وبذلك تنفأ حواجز مصطنعة بين هذا الرئيس والجموعة .

كذلك فإنه ينشأ عن هدم انتهاء هذا الرئيس إلى الجماعة أن يلجأ إلى أسلوب التفرقة ويعمد إلى المحاباة والتعجيز ، فيقرب هذا ويبعد ذاك ويشغلهم بذلك عن تحقيق أهداف العمل .

وإذا أمعنا النظر في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام على ضوء هذه الأفكار ، والنظريات العلمية الحديثة ، أدركنا مدى اكتمال عنصر الانتماء إلى الجماعة في القائد الأعظم للأمة الإسلامية . يقول الله تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنت حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، . »

ذلك أن الشريعة الإسلامية قد نزلت على الأمة العربية ، فاختار الله لها نبيا من أبناء هذه الأمة ، واجتباء من مكة مدينة البيت الحرام التي هبطت فيها الرسالة والتي يعتبر أهلها أكثر العرب تمثيلا للخصائص العربية وشاء الله تعالى أن يقتضى رسوله عليه السلام

برصاته ؛ إذ اشتغل النبي في صباه وشبابه برعى الأغنام والتجارة وهما المهنتان السائدتان في الجزيرة العربية في ذلك الحين . واقتضاه ذلك الأمر الانتقال من مكان إلى آخر ، والاتصال بنماذج مختلفة من الناس في أثناء رحلاته وأسفاره . وفي ذلك يقول المرحوم الأستاذ عباس العقاد في كتابه هجرية محمد : « خير بكل ما يفتخره العرب من ضروب العيش في البادية والحاضرة .. تربى في الصحراء وألف المدينة ، ورعى القطعان ، واشتغل بالتجارة ... » .

وكما شارك الرسول الطبقة العاملة الكادحة ، والطبقة المتوسطة في مجتمع قريش في وسائل كسب العيش ؛ فلقد شارك كذلك هلية القوم ، وذوى الرأى منهم فيما كانوا يشتغلون به من شئون الحكم ، وتدير أمور المجتمع في السلم والحرب معا . فشهد الحروب ، كما شهد الأحلاف . ومن الثابت في هذا المقام أن النبي عليه الصلاة والسلام قد حضر في شبابه حلف الفضول الذي عقده بنو هاشم وزهرة وتيمم وتماهدوا فيه باسم الله المنتقم ليسكون مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ، وقال الرسول في هذا الحلف : « ما أحب أن يسكون لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم ، » .

فكان انتماء النبي إلى الجماعة التي بعثه الله لقيادتها وبعثها من الضلال إلى الهدى من أسباب نجاح الرسالة العظمى التي أوتمن عليها صلى الله عليه وسلم . إذ أتاح له هذا الانتماء أن يتحدث بلغة هذه الجماعة ويفهم شعورها باعتباره واحدا منها اصطفاؤه الله من بين أفرادها ، وأن يدرك نوازعها النفسية واتجاهاتها الفكرية في مختلف شئون الحياة والمجتمع ، الأمر الذي يشكل عاملا أساسيا في تيسير الدعوة إلى الرسالة والإقناع بها . قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، » :

ولقد اكتمل هذا العنصر القيادي - وهو الانتماء إلى الجماعة - في شخصية الرسول بتوافر بعض العوامل الأخرى التي يسهل على الباحث التعرف عليها . ذلك أن القدرة على فهم مشاعر الجماعة وأفكارها - نتيجة لانتماء القائد إليها - تتدهم وتعمق إذا كان القائد قد مارس في حياته المهنة الرئيسية للجماعة ، واختلط بالسواد الأعظم منها ؛ فأتيح له تجارب وخبرات كثيرة تعينه على أن يسهل أغوار القطاعات المختلفة في مجتمعه ، ويدرك مغزى سلوكها وتفكيرها ، وأسرار اتجاهاتها ، فيستطيع قيادتها ، ويسلس له تدبير أمورها . وقد أراد الله لرسوله الكريم أن يكتسب هذه التجارب والخبرات ليؤهله للاضطلاع

« ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نقصوا من حولك » .

« لدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

والعربي ابن البادية ، ومنها أخذ جوهر طباعه وأسلوبه في الحياة والعمل ، يميل بطبعه إلى البساطة وينفر من التعقيد ، وهو يؤثر الوضوح والصراحة في العلاقات الاجتماعية ويستنكر الغموض الجاني للفطرة السليمة ولقد بعث الرسول لهداية الناس إلى عقيدة تتفق مع الفطرة ، وكان سبيله في حق الناس على الدخول في دين الله متسقا مع تلك الغاية فهو السبيل الواضح المستقيم لا هوج فيه ولا انحراف .

فلا غرو أن يكون هذا الأسلوب الذي اتبعه النبي الكريم في نشر الدعوة ، والذي انبثق من واقع البيئة ، وطبيعة المجتمع من هوامل نجاحه عليه السلام في الاضطلاع برسالاته ، فدخل الناس في دين الله أفواجا وتكسرت كل القيود والحواجز التي كانت تقف في سبيل انتشار الدعوة في الجزيرة العربية وما حولها ؟

مقدم

مصحح فتح الباب

ومن ثم نشأ الرسول في قلب البيئة العربية وغالط جميع أوساطها ، وكان قريبا من سراتها غير بعيد عن قفرائها . فلما نزل عليه الوحي وأمر بالدعوة ، صدع بها في مجتمع ولد وعاش في كنفه . غالطا أهل سائر القبائل والبيوت طالما بظروف هذا المجتمع ، ملبا بمعتقداته وتقاليده ، خبيرا بوسائل عمله ، متقنا لغته ، واعييا أسرار تصرفاته ، وقد أتاحت هذه النشأة ، وتلك التجارب لمحمد رسول الله أن يحدد - بوحي من الله - أفضل السبل لهداية العرب إلى الدين الحق . فكان يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويدعو الرجل منهم إلى الإسلام بالأسلوب الذي يتفق مع مستواه . فهو عليه السلام بحكم معرفته بطبائع كل جماعة يستطيع أن يختار الخطوة المناسبة لإقناعها ، وهو بحكم تعمقه في فهم النفس البشرية يستطيع أن ينفذ إلى عقل العربي ، وقلبه ، ويفتح عينيه على نور العقيدة الصحيحة . إن النبي الكريم يدرك مدى اعتزاز العربي بكرامته وأفقته من التعالي عليه وتمسكه الشديد بالعزة والكبرياء ، ومن ثم فإن انتهاج أسلوب الدين في غير ضعف ، والبعيد عن كل ما ينفر المخاطب - هو الطريق القويم للدعوة ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

فتح آية القرآن

جزاؤنا عند الله قائم على عدله وفضله

للاستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) « إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ، ليجزى الذين آمنوا وعملوا
بالحلحاح بالقسط . »
(ب) « والذين كفروا لهم شراب من حميم ، وهذاب أليم
بما كانوا يكفرون . »

فيها تقرير لأن الله يبدأ الخلق ، وهذا
جانب مشهود لنا دائما : في أنفسنا ، وفي
خروج الأجنة من بطون أمهاتنا ، وفيما نراه
من مشاهد الطبيعة في تولد النبات والأمطار
والأضواء ، والرياح ، وكل شيء ينشأ عن
شيء في آفاق دنيانا .

وفي القضية كذلك تقرير لأن الله يعيد
الخلق بعد فنائهم .

والقصد إعادة الإنس والجن على
وجه التأكيد .

لأن الأعادة لغرض المجازاة ولا يجازى
إلا من كان ذا تكليف في الدنيا ... فلا حكمة
واضحة في إعادة الحيوان الأعجم ، وإن كان
بعض العلماء يذهب إلى ذلك القول .

وفي القضية تصريح بالتعليل : في قوله

(أ) ١ — من لطائف القرآن في دعوته
أن يسير عقولنا في هوادة من خطابه ،
فيذكر لنا القضية المنشودة ، ثم يسوق بها
دليلها ، وحكمتها : على نحو من الترتيب
في الذكر الحكيم .

والدينا الآن قضية خيرية : فيها تقرير لبده
الخلق ، وإعادته بقدرة الله ، والحكمة الله .
وهذه القضية تنزل من نفوس المؤمنين
منزلة العقيدة ، فلا تقبل جدلا ، ولا تقسم
لمشادة .

لجاءت هذه القضية بيانا ، وتديلا ،
وتعليلا . لا نقشال الجهلاء من جهالتهم ،
وتهذيب الكبرياء عند المستكبرين .

ولعل فيها تبصرة لأولئك المجددين الذين
زيفت لهم غوايتهم بيننا اليوم أن يقلدوا
أولئك الغابرين .

السكافرين أيضا .
وتلحظ كذلك أن جزاء المؤمنين محدود
بالقسط . والقسط هو العدل ، والوسط
بين طرفين ... فلا انحياز إلى تسامح ،
ولا انقباض عن الوفاء بما هو المستحق
في تقدير الأعمال .

وذلك هو العدل الذي يقف عنده لإنصاف
المعطي ، ولا ينبغي أن يتجاوز مطمع الطامع
فوق عمله ... وذلك أيضا هو المفهوم الحق
من قول الله : « ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، د كل أمرئ
بما كسب رهين » .

ولكن أين الفضل بالمزيد الذي ذكر
كثيرا في القرآن د من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها ... والله يضاهف لمن يشاء ا .
المقام بحاجة إلى شيء من الإيضاح الموجز
في كلمات ثلاث .

الأولى - أن في ذكر المؤمنين قبل سوام
تكريما لهم وتنويها بشأنهم ، لما أسلفوا
من إيمان صادق وعمل صالح ... وفي تبشيرهم
بذلك تشجيع لمن يحاول القدوة بهم والسبق
معههم في مجال الخير كله .

وليس في جزائهم بالقسط هضم ، وإنما
هو بداية العدل معهم .

على أن القسط المذكور هو العدل الذي
ساروا عليه في دنياهم ، وبسبه كان لهم فوق

تعالى : « ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط » .

ولنقف عند هذا التعليل فترة ، لنذكر
مفزاه في وضوح ، ولا نبعد عن نقحات
القرآن في التماس المعنى القريب .

٢ - فهنا بدء ، وإعادة ، وهنا تعليل
بقوله تعالى : ليجزى الذين آمنوا ، وعملوا
الصالحات . القسط ، فهل التعليل بالجزاء
المذكور يكون البدء ، وللأعادة جميعا ،
ذلك يحتاج إلى ملاحظة واعية هي أن
الجزاء على الأعمال التي وقعت في الدنيا
منذ بدء الخلق .

أعني التي كانت منا قبل الفناء والإعادة...
والقرآن يذكره عقيب البدء ، ثم الإعادة
لينتقل بنا صريحا إلى التذكير باليوم الآخر
وما فيه من أهوال .

وحقيقة التعليل هنا أنه متعلق بخصوص
الإعادة التي سبقتها يتم .

وأما البدء للخلق فتعليله واضح في قول الله
سبحانه « وما خلقت الجن ، والإنس
إلا ليعبدون » .

فالخلق الأول للعبادة ... والإعادة أخيرا
للجزاء (يوم توفي كل نفس ما كسبت ،
وهم لا يظلمون » .

٣ - أنت تلحظ أن الجزاء المذكور
في الآية خاص بالمؤمنين فأين جزاء

جميعا طوال العصور . فقد كانت رسالات الله هادية ، وزاجرة ... حتى لم تعد للناس حجة يتعللون بها في حياتهم ، ولا معذرة في جفوتهم لدينهم .

ولكن المعرضين لم يتعقلوا أن يسكون لله جانب شديد يخشونه ، ولا جانب رحيم يلوذون به . فكانوا قساة على أنفسهم وإن عاشوا في طواعيتها ، واستسلموا لهواها حتى تردوا في الهلاك .

وكان الحديث عنهم بعد ذكر المؤمنين لأن الكفر نزل بهم إلى المنزلة الدون .

ثم كان الحديث عنهم في غير تلطف بهم لأنهم أمعنوا في الجفاء لله ، ورسله قديما وحديثا .

والعدل مع من يسىء ويستمر في الإساءة ، ويتصلف : أن يعامل بالمثل ، أو أشد .

وهذا جانب من الحكمة في التنديد عليهم ، والتشاؤم من ذكركم ، وتأخيرهم في الذكر ، حتى كأن شأنهم في اليوم الآخر مبتور عن شأن سواهم ، وكأنهم لم يذكروا إلا لتمجيد السخط عليهم ، والحط من شأنهم ، وتوجيههم إلى المصير السيئ .

وتسكون المقابلة بين جزاء الفريقين هي مقابلة الشيء بنقيضه ، وفريق في الجنة ... وفريق في السعير .

٦ - ومع هذا كله فلم يسكن عدل الله .

العدل من الله فضل ممنوح . والمعنى ليجزى الله هؤلاء المؤمنين خيرا كثيرا بسبب اعتدالهم في مسالكهم فلم يحيدوا عما شرع الله .

أما تقدير جزائهم فلا يعلمه غير الله فقال : « وفيها ما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأهلين » وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورتتموها بما كنتم تعملون ، فذلك إطلاق غير محدود .

٤ - الكلمة الثانية أن المؤمنين الذين لم يسكنوا في المقام الأول عملا وإخلاصا لهم كذلك جزاء ملحوظ بما لهم من سابق الإيمان وإن لم تكن أعمالهم في مستوى السكال ، ولكل درجات بما عملوا ، والجنة طبقات ، وغرف من فوقها غرف ولا يستوى السابق واللاحق وذلك هو تمام العدل حتى مع التفضل بالمزيد على من ظفروا بالحسن جميعا .

(ب) ه - الكلمة الثالثة - ألا تخصيص للمؤمنين بالذكر في الجزاء كما يظن ، بل هو تقديم فقط ، وقد جاء ذكر الكافرين عقب ذلك ، في قوله تعالى : « والذين كفروا لهم شراب من حميم ، وهذاب أليم بما كانوا يكفرون ، فشرابهم للحار الشديد في جهنم إلخ نوع من الجزاء .

فإن تكن إعادة الخلق أخيرا للحساب ، والجزاء العام ، فللكافرين جانب مشوم من هذا كله ، جزاء على ما فرط منهم ،

الحجة عليهم ، ويكونوا في خزي من ربهم .
وحق يرأ بعضهم من بعض ، ويرأ منهم
جميعا الشيطان الذي أضلهم ، ويتمنوا أن
يرجمهم ربهم إلى الدنيا ليعملوا صالحا
غير الذي كانوا يعملونه .

واقه سبحانه ، يزيدهم بيانا لشأنهم ،
فيواجههم بما يعلوه عنهم : من أنهم
لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه .

ثم يكون عدل الله في تلك المواقف كلها أن
يبين لهم قسطاسه في حسابهم ليزدادوا ندما على
ما أسلفوا ، وليقتنعوا حقا بأن الله لا يظلم
الناس شيئا ، ولكن كانوا لأنفسهم ظالمين .

حتى نراهم يتنادون بأن ما ردهم الله من
هذا حق ، وذلك مبلغ ما يكون من العدل
الذي يقر بحقيقته الظالم والمدين .

هلي أن عدل الله يقوم بينهم وهم في غمرات
العذاب والحريق .

فالكفر سوى يذنبهم في المهير ، ولكن
عدل الله فرق بينهم في المستقر .

فلم يجعلهم سواء في طبقة واحدة يصلونها
جميعا - بل جعل لهم جهنم متفاوتة الدرجات ،
وجعل لها سبعة أبواب ، ولكل باب من
الكافرين جزء مقسوم يدخلون منه إلى
مستقرهم فيها حسب تفاوتهم في الكفر
والأعمال .

وأنت ترى في القرآن الكريم بيانا لهذا

مجمعا بهم في دنياهم ، ولن يتخلى عنهم
في أخراهم : لأن عدله سبحانه - صفة
ذاتية له ، ولا يصدر عنه إلا ما يليق بكاله
المطلق ... ولا يفض من عدله هذا كراهيته
لن يعصيه أو يكفر به ... بل هو يدعونا
إلى التجمال بالعدل في دنيانا حتى مع أعدائنا
في الدين .

ومظهر عدله تعالى مع الكافرين في دنياهم
أنه بين لهم الرشد من الغي ، وطاولهم بحلمه
مع تماديهم في غيهم ، ووهدهم بالغفران
إن أنابوا إليه ، وبسط لهم في نعماته ، وم
يحاربونه بها ، وقدم كثيرا من الغفر ليدركوا
فضل الله عليهم بإيمانهم ... وقرع أسماعهم
بالآيات البينات التي تجذبهم إلى ناحية الإيمان ،
فقال - مثلا - دقل يا عبادي الذين أسرفوا
على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله
يغفر الذنوب جميعا ، ، والذين عملوا السيئات
ثم تابوا من بعدها وآمنوا ، إن ربك من
بعدها لغفور رحيم ... الخ .

وذلك سياق يقنع لكثير من العقول ،
ولكن وإن هلي قلوبهم ما كانوا يكسبون
من المآثم التي اكتنفوها بحكم التقليد والتعود .

ومن مظاهر عدله في أخراهم أنه لا يأخذهم
بفتنة في الآخرة ، ولا يقصمهم في ناره إلا بعد
محاسبته لهم ، ومكاشفته لما كانوا في غفلة عنه
حتى تذلل جباههم ، وتنحن رؤسهم ، وتقوم

كله ، وتذكر من هذا التقسيم هداية الله في المعذنين ، فلم يكن أبو طالب مع كفره ، قرين أبي لهب ، ولا قرين أبي جهل . فأبو طالب كان موالياً لرسول الله وإن لم يعلن إسلامه .

وأبو لهب وزوجته ، وأبو جهل وأمثالهم كانوا ألد خصومه ، ومن أشد الناس وأما يائذاته ، كما كان المنافقون معه . وعدل الله يأبى أن يجعل هذا في مستوى ذاك ... وإن كان العذاب شتوياً على الجميع . وأظن أنه لا يجوز لمخاطر إنسان أن الله كان يحب لمبادء ذلك الشقاء ، أو كانت له غاية مرموقة فيه .

فإنه رحيم كريم ، ولطيف وحليم ، وقد حذرنا عصيانه ، وبسط لنا رضوانه ... وقال في كتابه : وما يفعل الله بعذابكم إن

شكرتم وأمتم . وقال : ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم ، وأشد ثباتاً وإذن لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ، ولهديناهم صراطاً مستقيماً .

غير أننا تجاوزنا الحدود المرسومة ، وانتهكنا حرمة يغار الله عليها ، في دينه ، فكان من حق الله في سلطانه أن يثار بمن حام حول حماه حتى سقط فيه .

وهذه مرحلة من القول في قضية من قضايا القرآن في سورة يونس عليه السلام ، ومنها تدرك تفصيلاً موجزاً لها في الآية الأولى من عجب الكفار ، إذ جاءهم رسول بوحى من الله ينذر الناس ويوثر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ؟

عبر اللطيف السبكي

خشية الله

... اعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة . وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله لإنشاء . منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السري فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحنة الناس . فلا تزهد في التحجب ، فإن النبيين قد سألوا محبتهم . وإن الله إذا أحب عبداً حبه . وإذا أبغض عبداً بغضه . فاعبر بمنزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس بمن يشرح معك في أمرك .

(عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص)

حول شعب الإيمان للأستاذ محمد الغزالي

من المهد إلى اللحد ، وأوضح السلوك المناسب بإزائها .

وبيانا لاتساع الدائرة التي يتحرك الإيمان داخل أقطارها يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وستون شعبة ، أو بضع وسبعون شعبة : أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياة شعبة من الإيمان » .

وقد قرأت رسالة أحصت هذه الشعب واحدة واحدة ، وبلغت في تسعا وسبعين شعبة ، جمعت معاهد الشريعة ، وأصول الأخلاق ، وأركان الدين ، وما ينضم إليها من آداب ونوافل ، يبلغ بها الإسلام تمامه ..

والذي أوجهه أن العدد غير مقصود ، وأن الشارح الحكيم إنما يريد إيقاظنا إلى أن طبيعة الإيمان : الهيمنة على النفس والمجتمع والدولة ، أي توجيه الحياة الخاصة ، والعامة على سواء ، وتسييرها باسم الله وفق مراده .

بحيث يكون أمر الله ملحوظا في البيت والشارع ، بين الإنسان ونفسه ، وبين الإنسان

في عصرنا الحاضر يظن كثير من الناس : أن الدين علاقة خاصة بين الإنسان وربه ، أو علاقة ما بين البشر وقوى الغيب التي لا تدركها الحواس .

وتتمثل هذه العلاقة غالباً في مراسم العبادة التي يقوم بها الفرد ، ويصطبغ بها ضميره .

لكن هذا الظن إن صح على إطلاقه في بعض الديانات . فهو غير صحيح بالنسبة إلى الإسلام .

فإن ديننا مفسع الدائرة ، مفتح العالم ، وهو يتناول العلاقة : بين الإنسان والله ، وبين الإنسان والإنسان ، وبين الإنسان والحياة كلها .

أو تستطيع أن تقول : إن العلاقة بين الإنسان وربه كما يشرحها الإسلام تتعدى الحياة الداخلية للنفس الإنسانية لتؤثر في صلة المرء بغيره من الأشخاص والأشياء ، فهو يتعامل مع هذه وتلك على هدى من ارتباطه بالله ، وولائه له ، واستمساكه بوصاياه ، وإخضاعه حركاته وسكناته لأمره ونهيه .

والوحي الإلهي الذي يقوم عليه هذا الدين تعرض لشتى الشئون التي تلتقي الإنسان

والاقتصادى ؛ فيوجه لخدمة الدين ،
وتمكن أصوله وفروعه وحياطة جوهره
ومظهره ...

وأركان الإسلام تنتظم من الحقائق ما يملأ
هذه الأرجاء جميعا ...

فالملاحة والصيام - مثلاً - ركنان في الإيمان
الشخصى ، والفرد مسئول برأسه عن القيام
بهما . وهما يوفران للنفس الإنسانية جوا
رائعا من الصفاء والإخلاص والعفة
والاستعلاء . وإلى جانب هذين الركنين
لا بد من امتداد الإيمان إلى المجتمع ،
ليصوغه في قوالبه ، ويشكل البيئة العامة
وفق مطالبه .

وقد تكفل بهذا على سبيل المثال ركنان
آخران : هما الجهاد في سبيل الله ، والحكم
بما أنزل الله .

ولإنما وصفنا هذين الركنين بأنهما
من الدوائى الاجتماعية للإسلام ، لأن الفرد
- وإن كان حامل التكليف بهما - إلا أنهما
من وظائف المجتمع الأولى ؛ فهو الذى ينظم
عدة الجهاد ، ويرسم ميادينه ، وهو أيضا
الذى ينظم القضاء ، ويختار رجاله ، وينفذ
أحكامه ...

وإذا كان الإسلام يعمر القوادى باليقين
الباعث على العمل ، والخلق بالناص من السقوط
وإذا كان يلف الحياة العامة بروابطه ، ويمسك

والناس أجمعين ، فلا تفلت وجهه للسلم
من قصد الله وإعلاء كلمته ، ولا يفلت
ميدان الحياة من الانطباع بصيغة الدين
والاتساق مع مبادئه وأهدافه ...

ولا يهمنى أن تكون شعب الإيمان هدى
لا مفهوم له ، أو هدى له مفهومه ، إنما الذى
أوده أن نحسن ترتيب التعاليم الإسلامية
ترتيباً تنازلياً ، يشبه ترتيب الجهاز الوظيفى
في الدولة ، وتسلسل القيادات التى تلقى
الأوامر وتتلقاها ، وتنهى بالواجبات
والأهياء التى توكل إليها ...

إن الإيمان يشبه الكائن الحى ، وهذا
الكائن الحى تتماهى الحياة فيه مقرونة
بأجهزة معينة ، فإذا أصيب المرء إصابة
قائلة في دماغه أو رتبه أو أمعائه أو حموده
الفقرى هلك ...

وقد يصاب المرء في أطرافه أو حواسه ،
فلا يفقد أصل الحياة ، وإنما يعيش مشوه
البدن أو ناقص الأعضاء .

كذلك الإيمان في كاله وقصانه وفي وجوده
وقدانه .

الإيمان الصحيح لا بد أن يستوهم
من العناصر ما يسيطر به سيطرة تامة .

أولاً : على النفس في بواعثها وغاياتها .

ثانياً : على المجتمع في معاملاته ونظمه .

ثالثاً : على الحياة في نشاطها العمرانى

وكذلك ما رواه مسلم أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنماً بين جبلين فأتى قومه فقال: أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطى عطاء رجل لا يخاف الفاقة، ١١
 لكن هل تألف القلوب بالعطاء صر دخولها في الإيمان؟ لا...

ويجب على ذلك الإمام المحدث... وإن كان الرجل يجيئ إلى النبي ما يريد إلا الدنيا، فما يسمى حتى يكون دينه أحب إليه، وأعز من الدنيا بما فيها، ومن التمسب للحق أن يصادق المرء من يصادق، ويخاصم من يخاصم، للبدء الذي يعتقه، لا رغبة أو رهبة.

إنما هي معرفة الناس لله، أو كرههم لله. والشهادة لهم أو هلبهم إحقاقاً للحق، وإبطالاً للباطل، لا لغرض آخر...

وهذه الشعبة من شعب الإيمان تتصل بأدب النفس، وتسلك مع العبادات الفردية، وإن كان أثرها الاجتماعي بيناً حاسماً... وقد عد البيهقي السكيب الطيب شعبة من شعب الإيمان، وذكر في ذلك الحديث الصحيح:

«يا أيها الناس إن الله تعالى طيب، لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:

«يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، واعملوا صالحاً، إنى بما تعملون عليم».

زمامها بشرائعه، فهو مع هذين يفرض سلطانه على مصادر الثروة في البر والبحر، والخصب والجسب، ويجعل من الطاقة الهادئة الامة وقوداً محركاً لرسالتها الكبرى، ومثلها العليا.

وليس في الدنيا نظام يستغنى عن هذه المصادر، أو يفرض في استغلالها، إلا إذا كان يريد التلاشي والانتحار.

وشعب الإيمان يمكن توزيعها على الأقسام التي بينها، سواء كانت محصورة، أو غير محصورة.

ونحب أن نذكر طائفة من شعب الإيمان، كما أحصاها الحفاظ البيهقي، شارحين لها على ضوء ما ذكرنا.

للحق حرمة التي تجعل المرء يغالى به ويدفع عنه ويستمسك به إلى آخر رمق.

ولتتمسك بالحق أثر الإيمان الصحيح به.

وهذه الشعبة من شعب الإيمان، يضعها البيهقي تحت عنوان «شح المرء بدينه»، حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر.

ثم يسوق في الاستشهاد لها حديث أنس

ابن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان:

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله.

وأن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع

إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه».

فأخبره أنه ورد على ماء - قد ساء - فإذا
نعم من نعم الصدقة ، وهم يسقون لخلبوه إلى
من ألبانها ، فجعلته في سقائي ، وهو هذا ...
فأدخل هريره في فمه فاستقاه ...

وعن بشر بن الحارث ، قال يوسف بن
أسباط : إذا تعبد الشاب ، يقول إبليس :
انظروا من أين مطعمه ؟

فإن كان مطعمه مطعم سوء قال : دهوه
لا تشتغلوا به !

دعوه يجهته ويتعب فقد كفاهكم نفسه .
وسئل سفيان الثوري : من فضل الصف
الأول ، فقال : انظر كمرتك التي تأكل
من أين تأكلها وصل في الصف الأخير .

وهذا من سفيان إرشاد للفرض قبل
النقل .

فإن البعض قد يظن فضل المبادرة إلى الصف
الأول مكفراً التهجم على المكاسب من أى طريق
وهذا خطأ .

والغريب أن من المصلين من يصطاد رزقه ،
كيفما اتفق ، ثم يحرص على القرب من المحراب ،
كأن هذا يغطي ذاك .

ويروى عن حذيفة المرهشى أنه نظر
إلى الناس يتبادرون إلى الصف الأول ، فقال :
ينبغي أن يتبادروا إلى أكل خبز الحلال !!
وإذا كان المباح مرفوضاً بالوسائل المريبة ؛
فكيف بالمحرم ؟

وقال : يا أيها الناس كلوا مما في الأرض
حلالاً طيباً .

وقال : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ،
يمد يديه إلى السماء : يارب يارب ، ومطعمه
حرام ، وملبسه حرام ، ومشربه حرام ،
وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب له ؟

وهذا وصف لبعض الكادحين الذين يقبلون
على الدنيا بنهمة الوحش الجاثم على فريسته ،
يطول عشاؤهم وراء عرضها ، ولكن
لا يدركون حظاً من رحمة الله لشرمهم ،
وأكلهم الصحة .

وأغلب الناس في طلب القوت يرون
أن الغاية تبرر الوسيلة ، ومعهم فهم
يوفرونه بكل حيلة ، غير مباليين بحل
أو حرمة .

وما يفعله الصغار لإدراك الرزق من أى منبع ،
يفعل مثله الكبار في طلب المناصب التي توسع
الجاء والثراء .

وأهل الإيمان برآء من هذا كله .

وقد روى البيهقي بضع طرائف لترسيخ
العفاف في النفس ، وكسب الدنيا من الحلال
وحده ، فعن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب
شرب لبناً فأعجبه ، فقال للذي سقاه : من أين
لك هذا اللبن ؟

وهم يتفاوتون قوة وضعفاً ، وغنى وفقراً
على قدر حظوظهم من هذه الخصائص ،
وإقادتهم منها ...

والسباق بين المبادئ الحقّة والباطلة
على تسلم أزمة الحياة ، يعتمد - فيما يعتمد -
على التفوق في هذا الجانب .

من أجل ذلك نحن نعد من أبواب الجهاد
- لإجادة فنون الحياة ، وحسن استخدامها
لنصرة الحق ...

وكل سبق في هذا المضمار ، فهو تحصيل
لحكمة من شعب الإيمان ، مادام وجه الله
مراداً فيه ..

ويجب أن ييأس المؤمنون من إحراز
فوز لعقائدهم ، إذا كان سهمهم في هذا المجال
ضئيلاً ...

إن الإيمان الحق يسيطر على المجتمع ،
وعلى البيئة ، ويسوقها نحو غايته ، كما يجرف
التيار في مده كل شيء إلى وجهته ...

ومن الشعب التي تسمو بها الإنسانية ،
وينضربها وجه الإسلام ، حسن الخلق .

وللبهقي كلام في هذا الموضوع ، يجعل
أن نذكره بعد ذكر النصوص التي تتصل بالمقام .

قال : حسن الخلق ، ويدخل فيه كظم الغيظ ،
ولين الجانب ، والتواضع ، لقوله تعالى :
« وإنك لعل خلق عظيم » ، « والكاظمين الغيظ ،
والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » .

عن الحكم بن هشام قال لابن له : يا بني
إياك والنميد ، فإنه قيء في شذقك ، وصلاح
على عقلك ، وحده في ظهرك ، وتكون ضحكة
لصبيان ، وأسيراً للديان .

وأنشد الحسين بن عبد الرحمن .
أرى كل قوم يحفظون حريمهم
وليس لأصحاب النميد حريم

إذا جنتهم ، حيوك ألفاً ، ورحبوا
وإن غبت عنهم ساعة فذمهم
أخوهم إذا ما دارت الكأس بينهم

وكلهم رث الوصال سئوم
فهذا ثنائى ؛ لم أقل بجمالة
ولكن بحال الفاسقين عليم

وصدق الشاعر ، فليس للسكران أعراض ،
ولعل انحلال عرا الشرف في الغرب والشرق
يعود إلى شيوع الخمر ، وإغفاء الفكر ،
واسقياظ الشهوة ، نسأل الله العافية ...

وعلاقة الإيمان بالدنيا ليست فقط ضمان
كسبها من وجهه شريف ؛ فإن التلطف
في استنباط الخير من خزائن الأرض ،
كسب هائل لعين الله ، وأبواب ذلك فوق

الحصر ...
إن النكس في الأرض ، واستثارة خيراتها ،
وإجادة أنواع الحرف ، والفق في قوى الكون
وأسرار الوجود خصائص عامة استحق بها
بنو آدم الاستخلاف في الأرض .

سمحا بحقوقه لا يطالب غيره بها ، ولو فبا يجب
لغيره عليه منها ، فإن مرض ولم يعد ، أو قدم
من سفر فلم يز ، أو سلم فلم يرد عليه ،
أو ضاف فلم يكرم ، أو شفع فلم يحب ،
أو أحسن فلم يشكر ، أو دخل على قوم
فلم يمكن ، أو تكلم فلم ينصت له ، أو استأذن
على صديق فلم يأذن ، أو خطب فلم يزوج ،
أو استعمل الدين فلم يعمل ، أو استنقص منه
فلم ينقص ، وما أشبه ذلك ، ولم يغضب ،
ولم يتفكر من حاله ، ولم يستشعر في نفسه
أنه قد جنى ، وأوحش ، وأنه لا يقابل
كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله بل إنه
لا يعتد بشئ من ذلك ، ويقابل كلا منه
بما هو أحسن . وأفضل . وأقرب إلى البر
والتقوى وأشبه بما محمد ويرضى ، ثم يكون
في إيفاء ما يكون عليه كهو في حفظ
ما يكون له ، فإذا مرض أخوه المسلم عاده
وإن جاء في شفاة شفاه ، وإن استعمله
في قضاء دين أمهله ، وإن احتاج منه إلى معونته
أعانه ، وإن استسجعه في بيع سمح له ،
ولا ينظر إلى أن الذي يعامله كيف كانت
معاملته إياه فيما خلا ، إنما يتخذ الأحسن
إماما لنفسه ؛ فينحو نحوه ولا يخالفه .
تلك نظرة عجلى إلى شعب الإيمان ، نرجو
أن نكون قد ألعننا بها إلى الإيمان كله .

محمد الغزالي

ولحديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
فاحشا ، ولا متفحشا . وقال : « إن من خياركم
أحسنكم أخلاقا » ، وفي رواية : « إن من أحبكم
إلى أحسنكم أخلاقا » .

ولحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين
أيضا أنها قالت : « ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ
أيسرهما ، ما لم يكن لإثم » ، فإن كان لإثما ،
كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنفسه ، إلا أن تنتهك
حرمة الله فينتقم الله بها .

وبه أنبأنا أبو بكر البهقي قال : ومعنى
حسن الخلق استقامة النفس نحو الأرفق
الأحد من الأفعال .

وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى ، وقد
يكون فيما بين الناس .

وهو في ذات الله هو وجل ، أن يكون
العبد مفرح الصدر بأوامر الله تعالى ،
ونواهيه يفعل ما فرض عليه طيب النفس به ،
وينتهى عما حرم عليه ، واضيا غير متعجر .

ويرغب في نوافل الخير ، ويترك كثيرا
من المباح لوجهه تعالى وتقدس . إذا رأى
أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله ، معتبرا
لذلك غير ضجر منه ، ولا متعسر به .

وهو في المعاملات بين الناس أن يكون

أُريسيمة في أدب الأندلس

للأستاذ محمد رحب البيرومي

- ١ -

يتضح فيما نشر من الكتب في عهد الطوائف وما يليه ، واتضح أثر كتاب ذائع ، تقبله الأندلسيون بارتياح ذلك الكتاب الذائع هو (بتيمة الدهر) بأجزائه الأربعة ، لأبي منصور الثعالبي رحمه الله .

وأنت حين تبحث عن سر ارتياح القوم لصاحب القيمة ، ولولعهم باقتنائه ، تجد لديك ما تقول : فالأثر العربي - لعهد الثعالبي - كان قد تطور من الطبع إلى الصنعة ، ومال به الخوارزمي والصابي ، وابن العميد ، والصاحب والمعداني إلى ضروب من التسكف . تعمده إلى الحلية الظاهرة والزينة البازرة ، وتفغل الاستشفاف ، والتبصر ، وتخطيء الإصابة اليقظة للتعليل والتحليل ! وجاء الثعالبي فتأثر بسابقه الأقربين ، وكان له من ظروف نشأته واتجاهه ما حجب هذا اللون إلى قلبه ، إذ أن بلاغة اللفظ وحدها في أضيق حدودها المتعارفة كانت هي التي تأخذ بمجامع تفكيره ونظرة إلى منحاه في التأليف . توضح هذا الاهتمام ، فكتاب فقه اللغة ، وكتاب الكنايات ، وكتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، كلها تشير إلى اهتمامه الجزئي

أكثر ما عثر عليه في التراث الأندلسي - من كتب التراجم والأخبار ، يرجع تأليفه إلى عهد ملوك الطوائف وما يليه ، وأقله يتقدم هذا العهد لأئمة من سابق الكتاب ، وأنت حين تقرأ هذا الكثير - بما صدر في العهد الأخير - تجده يكاد أن يكون متشابهاً ، فليست هناك فروق بعيدة بين كاتب وكاتب ، وكأنهم يصدرون جميعاً من مورد غير مختلف ، ولا تنكر أن لكل كاتب ما ينفرد به من السمات التي لا تخفى على البصير المتيقظ ، ولكن الطابع العام مع ذلك واحد ، فجل هذه الكتب تميل إلى المبالغة والإسراف ، وتتخذ من التراجم الإنسانية معرضاً للبديع بسجعه وجفافه ، حتى لشكك الحقائق الذاتية تختفي في طيات هذه الزركشة الشائعة ، وهي ظاهرة هامة تحتاج إلى تعليل وتحليل . لقد وفدت إلى الأندلس من الشرق كتب الأعلام من أئمة التأليف ، وتداول الأندلسيون آثار ابن المقفع ، والجاحظ ، وأبي الفرج الأصفهاني ، وأبي حيان التوحيدي ، وأضرابهم من ذوي الأسلوب الحلي والتفكير الحصب ! ولكن أثر هؤلاء الأئمة لم يسكد

أصحاب التراجم ، فإنى أعنى التراجم السياسية والأدبية معاً ، لأن أكثر حاكى الأندلس ، أدباء وشعراء ، بل كانت الوزارة فى أكثر سبلها لا يلتبس أصحابها فى غير الأدباء والشعراء ، لذلك كانت كتب التراجم من سياسية ، وأدبية متشابهة متآخية ، وقد وجد فى المشاركة من وصلوا إلى الوزارة عن طريق الأدب ، ولكنهم بالقىاس إلى أولئك نفر قليل .

إن ولوع الأندلسيين بالزينة والزخرف كسبب نفسى ترد إليه هذه الظاهرة ، هو الذى أتاح لكتاب اليتيمة أن يصبح مثالا يحتذى ، وإلا فإن شيخ مؤرخى الأندلس ، وسيد كتابها (ابن حيان) كان جديراً أن يكون رائد المدرسة التاريخية فى إقليمه ، لو وجد من تلاميذه وحفدته من يتذوقون نهجه ، أو يحاولون السير على منواله ؛ ولك أن تعجب حين ترى ابن بسام فى الذخيرة ينقل آراء الرجل وأقواله مسهباً مطبلاً ، فإذا عاد إلى نفسه تداركته عدوى اليتيمة ، ونسى الألف المشرق الذى كان ينقل من أضوائه ؛ أيسكون ابن بسام أعجز من أن يحاكي ابن حيان ؛ هو كذلك بلا شك ، ولو أنه حاكاه فى زمنه المتأخر ما وقع حديثه أطيب موقع لدى من يرفعون أسماعهم لصلصة الحلى ، ورنين الأسباج ؟

كان ابن حيان (٣٢٧ - ٤٦٩) جزل

بالترا كيب اللفظية ، وقد يكون هذا بدعة العصر أجمعه . إلا أن الثعالبي حين نقل هذا الولوع الفنى بالصنعة اللفظية من ميدان الرسائل والمقامات إلى ميدان التأليف للعلمى قد فتح الطريق إلى اتجاها جديد فى التأليف ، ومهما قيل من تسويغ هذا الاتجاه ، فليس هو الطريق المفيد .

انتقل كتاب اليتيمة إلى الأندلس ؛ فأحدث دويه ، وأرخ الكتاب يوم صدوره واحتفلوا باستقباله احتفالاً لم يقيم لأكثر الوافد من الآثار ، وتعليل ذلك الاهتمام قريب غهر بعيد ؛ فنماظر الأندلس الطبيعية ، توحى بالزينة ، وحضارة الأندلس قد أوجبت تنميق الأثاث ، وتجميل الرياض ، وتحلية القصور والأبهاء ، ثم انتقلت إلى اختراع الموشحات فى دنيا النظم ، ومن الطبيعى أن تنتقل إلى استحسان البديع فى دنيا النثر ، أضف إلى ذلك أن أكثر القائمين بكتابة الرسائل لدى ملوك الأندلس أدباء ، وفقهاء فى وقت واحد ، ولولوع هذا النوع من الكتاتيب بالبهارج اللفظية أشد وأكثر ، ولنا نذكر أن منهم أدباء خلصا ، ترنخ أهطافهم روائع الأدب الأصيل ، ولكن ماذا يصنع القليل أمام الكثير .

جاء كتاب الثعالبي فأحدث دويه ، وأخذ أصحاب التراجم يحتذونه مباحين ، وإذا قلت :

كابن سعيد ، وابن خلدون ، ويمتاز ابن حيان إلى ذلك بأسلوب ناصع ، لا يهبط إلى الزكاه ولا يقع كذلك في التفصيح والإسراف في قعاقع الالفاظ ، ورغم التزامه هذه السهولة لا يهمل جانب الجمال في أسلوبه ، ويبعث في كلامه دائماً حماسة وغنى وطابعاً غالباً من الجدة ، ونخرج من هذا كله بأننا لا نجد بين مؤرخي العرب إلا القليلين الذين نستطيع أن نقارنهم به ، ولن نجد بينهم من قدمه عليه (١) .

أجل لن نجد من مؤرخي العرب من يقارنه به إلا كاتباً كابن خلدون ؛ أما الذين أكثروا من التراجم الأندلسية من بعده ، ففقدت مواهبهم المتواضعة دون اللحاق به ؛ وفيهم من جرؤ على انتقاده ، فابن بسام يقول عنه - الذخيرة ٢/١ ص ٨٥ - :

« ومع ذلك فقد كان سهماً لا ينسى رصيه ، وبحراً لا ينكش آذيه ، ولو سكب الماء ما فقع ، أر تعرض لابن ذكاء ما سطع ، يقنأول الأحساب قدر سخط في التخوم وأنافت على النجوم ، فيضع مناوها ، ويطمس أنوارها ، بلفظ أحسن من لقاء الحبيب غب الموعد ، وأمكن من هذر الطليب عند العود ، قرب شاخ بأفقه ، ثان من هطفه ، قد مر عن كتابه بفصل جرده لوضع حسبه ، وخلده

العبارة ، شديد العارضة ، قوى الآصرة . تلمس في أسلوبه قوة وتدققاً ، وتواء نسجاً وحده في براعة التلوين ، وقوة التصوير ، فإذا نظرت إلى أحكامه شاقك أن تجد بعداً في الغور ، وبراعة في النفاذ ، ودقة في الملاحظة ، وهو جاحظي التركيب في تدقيقه وانصبابه ، وكثيراً ما ينبج من استطراد الجاحظ إلى الموضوعية المركزة المحددة ، وكان خل من هذا الطراز لا يرحب به العامة من القارئين ترحيهم بالكاتب السهل المتناول القريب الأخذ ؛ ولعل ذلك مما أضاع مؤلفاته على كثرة أجزائها وجودة منحاها ، إذ لو رزقت سواداً كبيراً من القارئ لتزايد نسخها ، ووصل إلينا منها شيء ذو بال ... ؛ لأننا لم نر الرجل حقاً إلا فيما نقله عنه صاحب الذخيرة - وما أكثر ما نقل - وإلا في ثلاثة أجزاء من كتاب « المقتبس » ، فقط ، أما بقية الأجزاء العشرة ، وأما كتاب « المقتب » ، ذو المجلدات الستين ١١ وأما كتاب « فقهاء قرطبة » ، وأما كتاب « الآثار الباقية » ، فوا أسفا !

يقول المؤرخ الهولندي (دويزي) عنه : « إنه يسوق التاريخ مساق من يبدى رأيه وحكمه فيما يعرض من القضايا ، ويبحث عن أسباب الأشياء ، ويناقشها عن علم وفهم وذكاء كما سيفعل من بعده نقادون ؛

(١) الأدب الأندلسي للدكتور هيكس ص ٣٩٣
نقلا عن تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة مؤنس ٢١١ .

أحدونه باقية في عقبه ، فبرده ورود الظمان الرنق ، ويلبسه لبس العريان الخلق ، .
فصاحب الذخيرة بأسى على لذعات ابن حيان ونقداته ، فهو يريد منه أن يذكر المحاسن ، ويغضى عن المساوىء . وقد نسي ابن بسام شيئاً هاماً ، هو أن من كان في المعية ابن حيان وقوة بصيرته ، وشول نظره ، يرى كثيراً من الهنات فيمن يقتاول ، ولا بد أن يقول رأيه مستنداً إلى تجربته الواسعة ، وخبرته الأصيلة بالنفوس . قد يكون ابن حيان أكثر من النقد ، وأسرف ، فالصفحات التي اقتبسها ابن بسام تحت عنوان (المختار من قوله) تضرب في النقد إلى مدى متناول كاد أن يكون سباباً ، حتى ليفهم القارىء أن كتابته جميعها من هذا الطراز ، ولكن متابعة ما طبع من الذخيرة ، وما تدوول من أجزاء المقتبس تفهمنا أن ابن حيان ناقد منصف ، يسجل الشر والخير معاً ، وهو ما لا يرتضيه ابن بسام ، وقد تعرض الدكتور أحمد أمين إلى الفصل في هذه القضية فقال في ظهر الإسلام ج ٣ ص ٢٧٨ :

« ونحن إلى مذهب ابن حيان أقرب ، فالمؤرخ عليه أن يتحرى الصدق في المدح والذم والنافع والضار أما اقتصاره على المدح دون الذم (كما يريد ابن بسام) . فتقصير في رواية الحق ، وقول لنصف الحق ، وليس الرجل المشهور في التاريخ ملكاً لنفسه ، بل أصبح ملكاً لشعبه ، يشرحه المؤرخ الحصيف ، كما يشرح الطبيب المريض . فنحن مع ابن حيان لا ابن بسام ، وكثيراً ما مضت ذرعا بالمؤرخين الذين لا يذكرون إلا المحامد ويغضون الطرف عن المفاصد بل قد يخلفون المدائح خلفاً وإن لم يصح نسبتها لأهم حقاً . ولو تعمقنا بواطن التأليف لدى ابن حيان وابن بسام ، لوجدنا كلا الرجلين منطقياً مع نفسه ، فابن حيان ألف كتابه ليصدو أحكامه كما يراها عقله البصير ، ويقول بعض السكتبين عنه : « لأنه لم يقصد إذاعة كتبه بين الناس ، بل جعلها مذكرات خاصة لورثته ، كي يستفيدوا منها ، وينتفعوا بعظاتها ، وأنا أستبعد هذا ولا أقبله ، لأن المؤلف الذي يكتب أكثر من مائة مجلد في التاريخ لا يفر بينه وبين نفسه أن تظل هذه الآثار الحافلة ملكاً لعشرة من القراء أو هشرين !! ولكنه يقوم بمجموده الضخم ، ليمسح الناس ما يريد وإذا كان ابن حيان قد اعترف بهذا الضن حين قال عن بعض كتبه . الذخيرة ٢/١ ص ٨٨- : « وكنت اعتقدت الاستئثار به لنفسى وخباء لولدى ، والضن بفوائده الجمة على من تنسب إحمادي به إلى ذى ومنقضى ، طويت على ذلك كشعاً ، وأمضيته عزماً ، إلى أن رأيت زفافة إلى خطبة سنية أنفق على بعد الدار ، أكرم غاطب ، وأسنى ذى هم : الأمير المؤئل يحيى بن ذى النون ، فليس لنا أن نجعل

أحدونه باقية في عقبه ، فبرده ورود الظمان الرنق ، ويلبسه لبس العريان الخلق ، .
فصاحب الذخيرة بأسى على لذعات ابن حيان ونقداته ، فهو يريد منه أن يذكر المحاسن ، ويغضى عن المساوىء . وقد نسي ابن بسام شيئاً هاماً ، هو أن من كان في المعية ابن حيان وقوة بصيرته ، وشول نظره ، يرى كثيراً من الهنات فيمن يقتاول ، ولا بد أن يقول رأيه مستنداً إلى تجربته الواسعة ، وخبرته الأصيلة بالنفوس . قد يكون ابن حيان أكثر من النقد ، وأسرف ، فالصفحات التي اقتبسها ابن بسام تحت عنوان (المختار من قوله) تضرب في النقد إلى مدى متناول كاد أن يكون سباباً ، حتى ليفهم القارىء أن كتابته جميعها من هذا الطراز ، ولكن متابعة ما طبع من الذخيرة ، وما تدوول من أجزاء المقتبس تفهمنا أن ابن حيان ناقد منصف ، يسجل الشر والخير معاً ، وهو ما لا يرتضيه ابن بسام ، وقد تعرض الدكتور أحمد أمين إلى الفصل في هذه القضية فقال في ظهر الإسلام ج ٣ ص ٢٧٨ :

« ونحن إلى مذهب ابن حيان أقرب ، فالمؤرخ عليه أن يتحرى الصدق في المدح والذم والنافع والضار أما اقتصاره على المدح دون الذم (كما يريد ابن بسام) . فتقصير في رواية الحق ، وقول لنصف الحق ، وليس الرجل المشهور في التاريخ ملكاً لنفسه ،

إن هذا المؤرخ الفذ الذى يقول عنه صادق الأستاذ على آدم أنه لا يعرف مؤرخاً من مؤرخى المشاركة يقوم له ! لم يستطع بأثارة أن يقف في وجه كتاب القيمة حين تخطى الشرق إلى الأندلس فسحر الناس ، وبهر الكتاب ! وقد توالى كتاب التاريخ من بعده أمثال : ابن الفرضى ، والحافظ الحميدى وابن بشكوال وابن الأبار ، وابن عبد البر بسام ، والفتح بن خاقان ، وابن سعيد ، والحجارى وعبد الواحد المراكشى ، وابن الخطيب ، والمقرى ، ومن يلف لفهم من المؤرخين ، فقصر واجيما عنه ، وما حاذره ! ولا نستطيع أن نخضع كل هؤلاء بالتحليل ! ولكننا نحمد إلى اثنين ممن رزقوا الخطوة فى الذبوع ، والمعاصرة فى الحياة ، لتتخذ منهما دليلاً على أثر الثعالبى فى كتابة التاريخ الأندلسى ، ثم أثرهما تبعاً لذلك فى انتقال العدوى البديعية إلى من يليهما من الكتاب ! وهما : ابن بسام صاحب الذخيرة ، والفتح ابن خاقان صاحب القلائد والمطمح ، وما أغفلنا ابن الخطيب عن انتفاص ولكن فضله ذاتع وأسلوبه مشتهر وهو بعد لاحق بهما على أنه تأثر بثلاثتهم جميعاً ، إذ قرأ ما خلفوه ! (يتبع)

نحمر رجب البيومى

هذا الاعتراف قضية مسلمة ، لئى واحد ! لأنه يخالف طبائع الأشياء ! هذا شأن ابن حيان فى تأليفه . أما ابن بسام ؛ فقد ألف الذخيرة لينصف أهل الأندلس ويقف بهم مع المشاركة فى مستوى واحد ومؤلف هذه وجهته لا يتسنى له أن يسطر ما يعرف من المآخذ ! وإلا ما استطاع أن يبلغ بمؤلفه ما يريد ! . لقد أطلنا القول شيئاً ما عن ابن حيان ! وهو كاتب يستحق الالتفات دون نزاع ، وقد أنصفه الكاتب المفضل الأستاذ على آدم حين ذكر فى معرض تبرئته من التحامل أنه وإن كان يتنصر دائماً للخلافة الأموية فهو أوسع أفقا وأكثر أمانة ، وأشد احتراماً للحق من أن يكيل لهم المسدح جزافاً ويخلع عليهم أبراد الشناء بلا حساب ، وقد عمد فى الجزء الثالث من كتابه (المقتبس) مناقب الأمير عبد الله ، وأبدع فى وصفها ، ولسكنه لم يقف عند هذا الحد ، وأضاف إلى ذلك ذكر عيوبه ونقائصه ، وأحصى عليه أخطائه وجرائمه ! ... ولا أعرف مؤرخاً من مؤرخى المشاركة يقوم لابن حيان فى قوة التصوير ، وبراعة التلوين ، مع الإصالة والطرافة . وهو فى قوة تصويره ؛ وصراحته وصراحته ، واستمسكه بالموازين الأخلاقية يذكرنى بالمؤرخ الرومانى العظيم تاسينوس ،

مجلة الثقافة عدد ٦١٤ .

أبو العلاء والصّور الشعريّة

للأستاذ كامل السيّد شاهين

١ — قد تأتيك الصورة الشعرية على حال من الاقتصاد ، تعرض عليك أثرًا من آثار عاصفة نفسية عند الشاعر ، ثم تجرد هذا الأثر من سائر الشوائب التي تخفي دلالاته ، أو نحد منها ، أو تصرف عنها ، كما تجد ذلك في قول ذي الرمة :

عشية مالى حيلة غير أنفى

يلقط الحصى والخط في القرب موالع
أخط ، وأحوى الخط ، ثم أعيده

بسكنى ، والغربان في الدار وقع
أراد أن يدلك على ما بلغه من الحيرة
والشرود وهزوب العقل عند ما شهد ربع مية .

فعرض عليك لوحة تراه فيها جالساً أمام
الربع ، يلتقط الحصى ويقذفه ، ويثبت الخط
ويمحوه ، ثم يعود فيثبته ، وترى الغربان مع
هذا جاثمات لا تنزعج ولا تفرق على ما عرف
في الغراب من الحذر . . فكأنها قد عرفت
ذهوله ، وزين بصره ، وعدم استجماع عقله
فأمنت وأطمأنت .

صورة يسيرة للحيرة ، أكدها وجلاها ،
هذا الحتام الرائع الذي يعطيك الدليل الحاسم
على أن ذهوله وبهتته قد بلغت المنتهى ، حتى
لتدركها هذه الطيور التي تؤثر الحيلة وتمدد

في الطيران إذا أدركت أن الشر منها قريب .
وتجده كذلك في قول الخاسي :
يوم ارتحلت برحلى قبل برذعق
والعقل مثله ، والقلب مخبول
ثم انبعثت إلى نضوى لأبعثه

إثر الحدوج الغواذى وهو معقول
فأنت تجد هنا رجلاً قد هاجت عواطفه ،
وذهب ضبطه ، فهو يتصرف تصرف المتوله
الموزع النفس ، فيضع رحله على جملة ، قبل
أن يضع برذعته ، ويبعث جملة الطليح في
إثر الغواوى الراحلات وهو مشدود بعقاله .
فذا نك تصرفان من التصرفات التي لا تقع
إلا من عازب اللب .

وكلتا اللوحتين جاءت يسيرة عاطلة من كل
زينة ، ملتقطة من الواقع المجرد ، وكل جهد
الشاعر أنه جاء بصورته واضحة غير غائمة ،
ولا محوطة بشيء يصرف عنها ، أو يقلل
الاهتمام بها ، فبرز لنا ما وراء الأولى من
السوم والبهتة ، وما وراء الثانية من العزوب
والخبل والالتلاء .

٢ -- وشعر أبي العلاء لا تكاد تجد فيه
هذه الصور البسيطة العميقة الأثر ، لأن هصر
أبي العلاء ، وثقافته العلمية والفلسفية ، لا تدعانه

فبكأنى ربما أرقها
وبكاهما ربما أرقى
غير أنى بالجوى أعرفها
وهى أيضاً بالجوى تعرفى
أنظر — وعاك الله — إلى موقع الفاءين
فى البيت الثانى ، وإلى رد الأبحاز على الصدور
فى الآيات الثلاثة بعده .. قتلك جملة الصنعة
فى هذه القطعة .

ولهذه القطعة نظير عند أبى العلاء ، من
حيث الغرض الذى قيلت فيه — وهو
إهاجة الشوق وبعث الحنين . فقد هاج البرق
إبله ، فمن ينازعه إلى معاطفين بالشام
فذلك قوله :

وكم هم نضو أن يطير مع الصبا
إلى الشام ، لولا حبسه بعقال
لقد زارنى طيف الخيال فهاجنى
فهل زار هذى الإبل طيف خيال
لعل كراها قد أراها جذابها
ذوائب طلح بالعقيق وضال
ومسرحها فى ظل أحوى كأنها

إذا أظهرت فيه ، ذوات حجال
فهو هنا يريك نضوه يهم أن يطير مع ربح
الصبا إلى الشام ، فلولا أنه معقول لطار .
ثم جعل يعجب من حنين إبله .. لأنه يحسن
لأن طيفها زاره . أفتمحن إبله لأن طيفها
زارتها كذلك ؟ وماذا تكون هذه الطيوف ؟
لعلها رأت فى كراها مجاذبتها لذوائب الطلح ،

يسير فى بزة البدوى ، عليه من الطبيعة آثار
ورسوم تجدها فى تلويح الجلد ، وسفحة الوجه ،
وتشق القدم ، وانتفاش الشعر .

وإنما يعطيك حصر أبى العلاء وعلمه
وفلسفته ، صورة مثقنة ، فيها تنوق ، وعليها
صنغ ، تحملك على الإعجاب بالعقل المبدع ،
وبالفن المدروس ، أكثر مما تحملك على
الانفعال الحار ، وأكثر مما تربك من
العاطفة المشبوبة .

فهو معك كالدلالة الصناع ، تأتيا العروس
فى خلقائها ، فلا تزال تقص منها وتسبل
وتدقق وتغافز ، وتكشف وتسدل ، وتهيل
وتميل ، وتسود وتبيض ، وتحمر وتصففر
حتى تبلغ بلاغها من الزينة والجمال ، وتختدع
العين ما وسعها الاختداع .

على أن الصنعة قد تجيئك منتقبة فى احتشام
وكأنها تعتذر عن وجودها ، وقد تأتيك
هريانة وقاحاً لا تستحي ...

وأيسر مثل نضبه للصنعة اليسيرة
قول الشاعر :

رب ورقاء هتوف بالضحا
ذات شجو صدحت فى فخر
ذكرت إلها ، ودهرا سالفا
فبكك حزنا ، فهاجت شجنى
ولقد تبكى ، فما أفهمها
ولقد أبكى ، فما تفهمنى

وأجزائها^(١) ومضات فكرية ، وليس مصباحاً متألّفاً .

٣ — وقد تجيء الصورة مبنية على أصل واحد ، ثم يأخذ الشاعر في حياطة ذلك الأصل ؛ لنتم الصورة بمجوانها وحواشيها وإطارها . كما ترى في قول أبي العلاء من قصيدته التي بعث بها إلى أبي حامد الاسفراييني :
يمته^(٢) ، وبودي أننى قلم

أسمى إليه ، ورأسى تحى الساعى
على نجاة من الفرصاد أيدها
رب القدوم بأوصال وأضلاع

وقد يسير إلى أبي حامد على نجاة ، والنجاة الفاقة ، ولكن نجاته ليست من لحم وعظم ، بل هي مصنوعة من شجر الفرصاد ، فهي إذن سفينة ، قد جعلها الشاعر ناقه ، وهذا هو أصل الصورة ، ثم أخذ يتناول الجوانب المختلفة ، فقال : إن لها أضلاعاً ومفاصل ولكن النجار رب القدوم هو الذى وقفها بهذه الأضلاع والمفاصل .

وإذا كانت الإبل تطفى بالقار إذا أصابها الجرب ، فإن (نجاته) تطفى بالقار على غير جرب :

تطفى بقار ، ولم تجرب ، كأن طليت
بسائل من ذفارى العيس منابع

والضال في العقيق . لعلها رأت سرحتها في ظل شجر أخضر وقت الهاجرة ، تهدلت أغصانه فسقرتها بأوراقها .

وأنت راجد في هذه الأبيات رنة الوليد ، وصناعة حبيب ، وأقف بك عند البيت الثالث لتمتلي هذا الجناس الحلو البارع (لعل كراها قد أراها) ، والجناس من الصناعات الدقيقة العسيرة ، ولكن هذه الصناعة في كف لغوى ذواق كآبى العلاء صليل ذلول . ولو أنك قرأت البيت كله لظهر لك معنى دسه أبو العلاء في أطواء الصناعة .

فهو يريدنا أن الطيف عندما يزور العاشق ، فإنه يأخذ منه بالقرون والدوائب .

أما الإبل فإنها أخذت بدوائب شجر الطلح والضال . أخذه بدوائب الطيف الطارق .

ونعود إلى الخيال ، فنجد خيالا متبدداً ،

لا يرسم لوحة شعورية متكاملة الجوانب ، على أن منه ما يدخل في الإصالة كطيران النضو إلى الشام مع ريح الصبا ، وعمقه في النفس ليس كعمق التجربة في الأبيات النونية التي سلفت .

وحلاوة الأبيات ترجع إلى الصفاء الموسيقى الذى نجد قوامه في صدى الألقات الممدودات ، وفي روعة الجناس ، وفي هذا الافتراض الساذج ، وهو أن الإبل قد رأت في الكرى أنها أخذت بدوائب الطلح والضال .

وهي الجملة ، فالصورة هنا غير متكاملة ،

(١) راجع القصيدة في السقط ج ٢ ص ٥٠

(٢) ضمير القية للأسفراييني للذكور .

إليك أبا العباس ، من دون من مشى
عليها ، امتطينا الحضرمي الملسنا
قلانص لم تعرف حينما إلى فلا
ولم تدر ما قرع الفتيق ولا الهنا .
فأبو نواس وصحبه قد امتطوا إلى
أبي العباس - دون سائر الناس - نعالهم
الحضرمية وجعلها أبو نواس (قلانص) ،
لا تحن إلى الفسلا ، ولا تعرف وثوب
الفحول ، ولم تطل بالهناء وهو القطران .
فهذه الأوصاف تعطينا وجوه المخالفة ،
وتقرب الصورة من حدود الالغاز .
كما قال أبو الطيب ذاهبا مذهب المتصالحين :
وحيت من خوص الركاب بأصود
من دارش فغدوت أمشي راكبا
١ - وخير الصور الفرضية : ما ينميه
الشاعر ويستكمل ويحقق وجوده ، ويجعل
أجزائه متكاملة قادرة على الإيحاء .
ولكن أبا العلاء في بعض صوره يضل
هذه السبيل ؛ فيأتيك بصور فرضية غالية ،
تنبو عن الصدق ، وتدخل في الإحالة ،
وربما جعلت السامع يسمي الظن به
فن ذلك قصيبته التي قيل : إنه أرتجلمها
أول بلوغه بغداد ، في رثاء الشريف
الموسوي ، والده الشريفين الرضى والمرضى .
فهذه القصيدة على ما فيها من أبيات عيون
قد تضمنت صوراً غريبة مريبة .

وإذا كانت الإبل تضيق بالحل ، وتهش
للوادي الممرح ، فإن (نجاة) ليس كذلك :
ولا تبالي بمحل إن ألم بها
ولا تهش لإخصاب وإمراع
وإذا كانت الإبل لها مبارك ومناخات ،
فإن (نجاة) عند ما بلغت القادسية أحاط
بها نفر من أصحاب السلطان . فأنأخوها
في ميناء ضيق :
والقادسية أدتها إلى نفر
طافوا بها فأنأخوها بجعباج
فهذا الاستقصاء وثق أصل الصورة ، وهو
إخراج السفينة في صورة ناقة . فقد جعل لها
ما للناقة من أوصال وأضلاع ، ومن الطلاء
بالقار ، والإناخة بالجمعاج .
وخالف بينها وبين الناقة في أنها من
الفرصاد ، وأن أضلاعها وأوصالها من عمل
رب القدوم وأنها لا تبالي بالحل ، ولا تهش
للروض المريع .
وكل من الأوصاف الأولى ، والأوصاف
الأخيرة كشف عن جوانب للصورة تتحقق
به وجوه المقاربة والمباعدة .
وإذا كان أبو العلاء قد جعل سفينته
(نجاة) من الفرصاد ، فإن أبا نواس قد جعل
نعله (الحضرمي الملسن) قلوفا ، أي ناقة ،
وأكل لها الصورة على وجه آخر ، فقال
يمدح الفضل بن يحيى بن خالد :

بنيت على الإبطاء سالمة من الإ
قواء والإكفاء والإصراف
على أن هذا الغراب الجون معجب بنفسه ،
مرهو بلباسه ، أو ليس قد أتيح له أن يتخذ
لباسا مناسبا ، وهو السواد ، أفلا يدهوه
ذلك لأن يميس ويزدهى ؟ .

بلى . وإن البزاة لتحسده ؛ لأن لباسها
البياض ، ومن لها لما نعى الشريف لها بلبس
السواد ؟ على أن الطير كلها في الحزن على
الشريف سواء ، أغربتها وبزاتها :
فذلك قوله ، والحديث عن الغراب :

جون كبنت الجون يصرخ دائما
ويميس في برد الحزين الضاف

حسدته ملبسه البزاة ، ومن لها
لها نعت لها بلبس غدا
والطير أغربة عليه بأسرها
فتخ السراة ، وساكنات لصاص

أى مذهب للحزن مع هذا الكلام ؟ ،
وكيف السبيل إلى أن نستشعر أن أبا العلاء
كان مفجوعا بموت والد الشريفين ، راغبا
لهما في العزاء والسلوان ، وهو يشغلنا بهذا
العبث الظريف ، ويجعلنا نرى الغراب يصرخ
دائما ، ويميس في برد الحزين ، أما كان
في صراخه وحزنه ما يشغله عن الميسان
في برده الأسود ؟

إننا إزاء هذا العبث لا نكتفي باقترار

ولولا أننا نعرف تاريخ القصيدة ، وأنها
سابقة على إهانة الشريف المرتضى لأبى العلاء
لقلنا - دون تردد - : إن أبا العلاء قد قصد
إلى إهانة الشريفين ، بهذه الصور المضحكة
من الرثاء .

وأشهد أنني ما قرأت هذه القصيدة إلا
ضحكت ضحكا يبلغ القهقهة في بعض الأحيان .
وأى امرئ يملك نفسه عند ما يقول له
أبو العلاء : « إن هذه الغربان النواعب ،
طاوت في الآفاق نواعبا للشريف الموسوى ،
وهي بما يهبطها من الحزن ثقيلة النهض ، هافية
على التراب .

ثم يدعو على الغراب دعاء إعجاب ...
إعجاب بنطقه ، وبقوافيه . إنه شاهر للبين ، وهو
عندما يقول : (غاق . غاق . غاق) إنما يرقى
الشريف بقصيدة على روى القاف . قصيدة
بنيت على الإبطاء ، وهو تمائل كلبة القافية
بريشة من هيوب الإقواء والإكفاء
والإصراف . . فذلك قوله :

طار النواعب يوم فاد نواعبا
فندبسه لموافق ومناف

أسف أسف بها ، وأنتقل نهضها
بالحزن ؛ فهي على التراب هوافي
لا عاب سعيك من خفاف أسسم

كسحيم الأسدى ، أو كخفاف
من شاعر للبين قال قصيدة
يرثى الشريف على روى القاف

الهفاه ؛ بل هو يحماننا - على رغم - على ضحك
يشق الاشدق .

ولا يكاد أبو العلاء يخلص من هذه الصورة
إلى أحياته الرائعة :

هلا استعاض عن السرير جواده

وثاب كل قرارة ونياف

هلا دفنتم سيفه في قبره

معه ، فذاك له خليل واف

هيات صارم للنفايا عسكرا

لا يقثنى للسكر والإيجاف

حتى تغلب عليه شقوة الإحالة ؛ فيمدنا

بصورة أخرى ليست أبعد من اللعب من

صورته الأولى . فيصف لنا الشريف في قبره

وقد زاره الموتى ، فلا يجد شيئاً يمنحهم إياه ،

إذ لا يملك - واحر قلباه - غير كفنه ،

والموتى أنفسهم لا يحتاجون إلا أكفاننا ،

فيغلبه الجود ، فيخلع عليهم أكفان أبلج

مكرم الأضياف ! .

وكان أبا العلاء أجفل حين رأى الشريف

متجردا عريانا ، بعد ما وهب أكفانه لزوره

من الموتى ، فاستدرك ذلك على عجل ، فقال :

إذا خلع الشريف حلة على ميت أرسل الله

إليه مثلها أضعافا .

فذلك حيث يقول ، والحديث عن الشريف

الموسوى :

إن زاره الموتى كسالم في البلى

أكفان أبلج مكرم الأضياف

والله ، إن يخلع عليهم حلة ،

يرسل إليه مثلها أضعاف

ثم ينتهي إلى أن الجنان ملك للشريف ،

يتصرف فيها ما شاء له أن يتصرف . فلا حظ

بعد صيرورتها إليه ، مفاتيحها منبوذة ،

ورضوان مسير بين يديه للإتحاف :

نبذت مفاتيح الجنان ، ولأعما

رضوان بين يديه للإتحاف .

والصورة التي صور بها الرواح بعد موت

الشريف مزجت بين الجمال والعبث فنحن نقبل

من أبي العلاء أن يزعم أن الزواجل قد غدت -

بعده - مضطربة المتون ، كليلة الأسنة .

ذهب الذي غدت الزواجل بعده

وعش المتون كليلة الأطراف

اسكننا نعود إلى الأقسام عندما نراها

تلعب أمامنا ، وتعطف من الأسى ، كأنها

للصلال الثائرة ونجد زجاجها متصل بلهازمها

وتعطف لعب الصلال من الأسى

فالزوج عند المزمز الرعاف

وبعد :

فليتخيل القارى الكريم معنى ، الأغربة

واقعة على منابر المساجد في بغداد ترى

الشريف بقصيدة على روى القاف . وتيس

في برد الحزين الضافي ، والبزاة مغنيظة تحسدها

على ملبسها الأسود . وليتصور الشريف واقفا

في قبره يحتمض الموتى الذين يرحبون بمقدمه

(البقية ص ٨٢٠)

فِنْ نَحْوَتْ جَمْعَ الْحَوْثِ

كتب ظاهر الرواية

للإمام محمد بن الحسن

بقلم الفاضل بن عاشور

الفقه في أوضح معانيه ، توسعا في الاستدلال ،
واستناداً إلى الرأي ، وتصرفاً في الأثر ،
هو الفقه الذي أقام معامله ، ومهد مناهجه ،
الإمام أبو حنيفة في الكوفة ، ثم انتقل به
إلى بغداد ، حيث توفي لأول همد تأسيسها
في منتصف القرن الثاني . فكان المذهب
الحنفي أول المذاهب الفقهية نشأة ، على الصورة
المذهبية الواضحة ، ذات الأصول والقواعد ،
التي وضعها له أبو حنيفة ، رضي الله عنه ،
اتفاقاً في بعضها مع المذاهب ، واستقلالاً
ببعضها لمذهبه . فاتصل محمد بن الحسن
بأبي حنيفة في السنين الأخيرة من حياته ،
وتم تكمونه الفقهى به في الكوفة ، ثم في بغداد ،
فكان فقيها عراقياً في تكمونه ، كما كان الشافعي ،
في تكمونه فقيها مكياً . وكانت المذاهب تنشأ ،
حوالي المذهب الحنفي ، بين الحجاز والشام
ومصر ، على أصول ينفرد كل مذهب منها ،
بالمجموع المكون لطريقته الفقهية ، على اشتراك
في بعضها بين مذهب أو غيره ، وانفراد
بالبعض الآخر ، فمالك بالمدينة وسفيان

إذا كان لنسب من الأنساب العربية ،
الكريمة الواضحة ، أن يهدم كل ما بنى له الشعر
من غفر ، ورفعة ذكر ، في الجاهلية والإسلام ،
ودو وائق من أن معالم المجد التي أقامها
له الإسلام ، أهز وأطول بما بنى له الشعر ،
وأن ذكره في العلم والفقه ، أتم خلوداً
من ذكره في الأيام والملاحم ، فذلك هو نسب
بني شيبان ، الذي ازدهر في تاريخ الفقه
الإسلامي باثنين من الأئمة العظام في الفقه ،
ما منهما إلا من هو سابق لأبي الصقر
في استحقاق مدح ابن الرومي الذي يقول فيه :
قالوا : أبو الصقر من شيبان قلت لهم :

كلا لعمري ولكن منه شيبان
فكم أب قد علا بابن ذري حسب
كما علق برسول الله عدنان
ذانك هما إماما بغداد في الرأي والأثر :
الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، والإمام
أحمد بن حنبل الشيباني .

ولد محمد بن الحسن بواسط ، ونشأ
بالكوفة ، ثم دخل إلى بغداد ، ولقد كان

الرأى ، إلى بيئة الأثر ، وسلك من منهج الفقه ، إلى منهج العلم ، فكان ذلك تلافياً بينهما ، واتتلافاً بين مذهبيهما ، إذ لم يكن فراق بيئة ، وأم أخرى ، بما يحدث تنافراً بين البيئتين ، ولا بما يفصل الراحل عن إحداهما عندما يتصل بالأخرى . حتى يقال في الراحل من هذه لئلك ، والراجع من تلك إلى هذه :

سارت مشرقة وسرت مغرباً
شنان بين مشرق ومغرب
ولسكن يصدق فيهما بما يكتمل لكل
منهما بما تفرق بين الناس قول أبى تمام
يفخر بنفسه :

قد سهلت منه الحجاز ورققت
منه الشام ، وهذبته المشرق
أو قول أبى الطيب فى الأستاذ ابن العميد :

ولقيت كل الفاضلين ، كأنما
رد الإله نفوسهم والأعصرا
فسقوا لنا نسق الحساب مقدما

وأق فذلك إذ أثبت مؤخرا
قصد محمد بن الحسن - وهو فقيه عراقى -

دار الفقه الحجازى بالمدينة ، واتصل بمالك
ابن أنس وروى عنه الموطأ ، تلك الرواية
التي كننا نوهنا بها فى كلامنا على الراقد الأول
من روافد الثقافة الإسلامية : وهو الموطأ .

وقصد دار الفقه الشامى ، وهى إلى فقه
الحجاز أقرب منها إلى فقه العراق ، فتخرج

ابن هيبنة بمكة ، والأوزاعى فى الشام ،
والليث بن سعد فى مصر . وكان الفقه الناشئ
فى كل مصر من الأمصار ، والفتوى الصادرة
عن كل فقيه من فقهاها ، معلوما لدى المصر
الآخر وفقيهه ، علما يستوعب جملة
من الأصول ، ثم يهتدى من استقراؤها
إلى طريقة تخالف ، فى مناهجها الأصلية
الطريقة التى يسير عليها هو فى استنباط الفقه ،
حتى لاحظ كل من الفقهاء هل الآخر ما له
من خصائص فى أصوله المذهبية ، فأخذها
عليه وناظره فيها ، بحيث أصبحت المذاهب
الفقهية معروفة أصول كل واحد منها
هند الآخر ، أكثر مما هى مشعور بها ،
هند أهلها ، وفى عقر دارها ، فكان فى ذلك
ما يثير اهتمام الناشئين على طريقة من طرائق
فقهاء الأمصار ، بالتعرف إلى طريقة الآخر ،
والاتصال بها : ذلك كان شأن الشافعى ،
وذلك هو شأن محمد بن الحسن الشيبانى
وذلك ما أخرج هذين الإمامين كما رأينا
فى ترجمة الشافعى ، قربنين قريعين فظيرين ،
ترجع خصوصية كل منهما فى الفقه إلى معنى
من الجمع بين المذاهب ، هو الذى أخرج
كلا منهما ، فقها ، محدثا ، أثريا قياسيا .

وكما خرج الشافعى من بيئة الأثر إلى بيئة
الرأى ، وسلك من منهج العلم ، إلى منهج الفقه ،
فقد خرج محمد بن الحسن بعكس ذلك من بيئة

صورة جديدة من صور العمل الفقهي : ما كان
الافق الفقهي أضواءها قبل محمد بن الحسن :
وهي صورة التفريع المختلف في الأحكام
الراجع إلى أصول متحدة : هي قوام المنهج
المذهبي . بما يبرزه في الصورة الواقعية معنى
إجمالية الأصول وتفصيلية الفروع . فكان
محمد يبرز هذه الحقيقة مبرزاً العمل التفريعي
في الفقه باختلافه عن العمل التأسيلي مع
ارتباطه به ورجوعه إليه بحيث إن ثلاثة من
الفقهاء يأخذون بالأصل الواحد فيذهب كل
واحد منهم في تطبيقه والتفريع منه مذهباً
يختلف عن مذهب الآخر ، فكان به مظهر
العمل التفريعي الذي هو اجتهاد مقيد به صح
لأهل التفريع في كل مذهب وصف المجتهدين
المقيدين ... محمد الفاضل بن عاصم

بالفقه والرواية عن الإمام الأوزاعي .
ودخل البلد الحرام ، مكة فروى عن إمامها
سفيان بن عيينة . ثم رجع إلى بغداد ، وقد
خلت من أبي حنيفة إذ كان قد توفي ، وقام
صاحبه الأكبر ، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم
الخزرجي ، مقام أبي حنيفة بجمع أصحابه ، وعلى
المسائل ، ويفرح الأحكام عن أصوله ويفتي
الناس بفقه المنقول ، أو الفقه المستنبط على
طريقته ، فأقبل محمد بن الحسن على أبي يوسف
يتم تخرجه بين يديه . ويسعى إلى مطارحته ،
ومباحثته ، بما يولد بينهما أنظاراً في وضع
الأحكام الفقهية . إذا اختلفت بينهما ، وكثيراً
ما لا تتفق ، فإنها قلباً تتفق في صورتها الفرعية
الجزئية مع ما رويهما ، أو روى أبو يوسف
لمحمد عن أبي حنيفة . وبهذا العمل : تجلت

(بقية المنشور على صفحة ٨١٧)

أوليس القارىء عاذري إذا أنا التمس
هذه القصيدة الرائية لأتروح بها ، وآنس
بعبثها الظريف ، وخيالها الشارد .
إن أبا العلاء لو قال هذه القصيدة ساخرًا
من الشريفين عابثاً بهما وبوالدهما ، مبتغياً
للإضحاك والطنز ، لكان ذلك أدخل وأشبه بما
تعطيه القصيدة من حقيقة الرثاء .

طاهر السيد شاهين

السكريم ، ويخلع عليهم أكفانه ، والأكفان
تنزل من السماء عليه . ثم هو يبذل الجنة بمجوده
ويبيع رضوان غلاماً بين يديه . وليتمثل معنى ،
الرماح تتوى ذات العين وذات الشال كأثما
الصلال ، حتى تصيب زجاجها لهازمها .
ثم ليحدثني عن لواعج الحزن وحرارة
الوجد وحقيقة اللوعة في هذه الصور الغريبة
التي لا أراها تخدم غرضاً إلا إظهار
(التلاعب) العلائية .

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده
المذاهب الاشتراكية

هرفوا الإنسان: بأنه حيوان ناطق أو مفكر فيقول في تعريف الاشتراكية: إنها القواعد والنظم والقوانين التي يتمكن بها الأفراد من الاشتراك في موارد الدولة، وبذلك تدخل كل هذه المذاهب الاشتراكية - مع اختلافها - في هذا التعريف، كما يدخل كل الناس من مختلف الشعوب والأجناس في تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق أو مفكر.

والواقع الذي لا سبيل إلى الشك فيه عند من يدينون بالإسلام أن هذا الدين القيم لوهره على حقيقته الباحثون عن الحرية. والظالمون إلى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية لوجدوا فيه ما يغنيهم عن كل هذه المذاهب، وبقية ما اقنوا بها وبالنظم الرأسمالية من مآثم ومظالم، فإنه - وهو تنزيل من حكيم عليم - قد سوى بين الناس في الحقوق والواجبات، وجعلهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أسرة واحدة، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وفرض لفقرائهم حقا

على كثرة ما قرأت من كتب وبحوث في الاشتراكية لم أظفر بتعريف واحد يحدد معناها، لأن مفهومها قد اتسع - لكثرة من المذاهب الاقتصادية المختلفة التي ترمي إلى تنظيم المجتمع، وتهدف إلى تحقيق ما يمكن تحقيقه من المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين الأفراد الذين يعيشون فيه، وقد نبئت هذه المذاهب في بيئات مختلفة، وتأثرت بواضعا وأهدافها وبرامجها ومناهجها بظروف هذه البيئات، وبخاصة الأوضاع الاقتصادية الجائرة التي سادت القارة الأوروبية في أوائل القرن التاسع عشر، ومع ذلك أطلق على كل مذهب من هذه المذاهب اسم الاشتراكية، أو الكلمة التي ترجمت بهذا الاسم، ومن ثم كان من الصعب أن يخرج الباحث بتعريف جامع مانع لمعنى هذه الكلمة التي أصبح لها ونين سحرى في نفوس الجماهير السكادحة، والقوى العاملة، اللهم إلا أن يلجأ إلى التعميم ويرتفع إلى ما ارتفع إليه علماء المنطق حين

سبحانه ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، والحاكم والمحكوم فيهم كلاهما محكوم بما أنزل الله .
 مأمور بتأدية الأمانات إلى أهلها ، والحاكم بما أنزل الله أساسه العدل كما يفهم من قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، فقد فسرت الأمانات بكل الحقوق والواجبات ، وفسر العدل بالمساواة والإنصاف . وتوخى القصد في الأمور ، والجزاء والفداء ، والمثل والنظير ، فالعدل في الحكم والعدل في القضاء والعدل في الجزاء والعدل في تقدير الأجور . والعدل في تكافؤ الفرص . كل ذلك حق يجب أن يقبض ، وأمر يجب أن يطاع .

هذا إلى أن المؤمنين كما يقول الله فيهم : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » ، وكما يقول فيهم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، وهم كما وصفهم القرآن «رحماء بينهم» . فالإخلاص والولاء والرحمة والتعاون على البر والتقوى ، يجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، ولا أعرف اشتراكية في العالم ترفع بالاجتماع إلى هذا المستوى الرفيع ، لأن الأساس الذي تقوم عليه الاشتراكية

مطلوما في أموال أغنيائهم ، وليس في طبيعته وشريعة كتابه ما يسمح بقيام الأوضاع المنحرفة التي قامت في المجتمعات الأوروبية وغيرها ، ونشأ عنها الصراع الدموي الحاد بين الطبقات الظالمة ، والطبقات المظلومة ، أو الهيئات الحاكمة والشعوب المحكومة ، وإذا كان المجتمع الإسلامي قد وقع فيما وقعت فيه المجتمعات الأوروبية من ظروف ، ونشأ فيه ما نشأ فيها من إقطاع ظالم ، ورأسمالية طاغية ، وحكومات فاسدة وفروق طبقية . فإن ذلك كله مرده إلى بعده عن الإسلام ، وتأثره بالتبعية للدول الأوروبية ، ومن ثم كان القضاء على الاستعمار وظلم الإقطاع . وطفئان رأس المال . وفساد الحكم . والنظام الطائفي عملا إسلاميا من صميم الإسلام ، فإذا سمي هذا العمل وما إليه من الأعمال الإنشائية والمشروعات العامة التي قامت بها الثورة « اشتراكية ديمقراطية تعاونية » . فإن هذه التسمية لا تبعد بها عن إطار الإسلام ؛ لأن في الإسلام أمثل ما في الاشتراكية من تضامن وخير ما في الديمقراطية من شورى وأعظم ما في التعاون من بر ، فالمسلمون « تشكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم كما يقول الله فيهم « وأمرهم شورى بينهم » ، وهم لهم يقوم على التعاون . كما يقول

منهم الله ورسوله ، وهذا الأساس هو - وحده - الذي تقوم عليه الحياة الطيبة للفرد والجماعة والأمة ، فليس المال ملكاً خالصاً للدولة حتى تهجر على الأفراد فتأكل جموعهم . وتلغى وجودهم كما هو الشأن في الشيوعية ، وليس ملكاً خالصاً للأفراد حتى يحرق لهم احتجانه واختزانه . واستغلاله بطرق آثمة ، ووسائل ظالمة كما هو الشأن في الرأسمالية ، إنما هو ملك لله ، يأخذ منه الإنسان بالوسائل التي شرعها الله كالعامل الصالح المثمر ، والإرث والهبة والوصية ، وتأخذ منه الدولة بمقدار ما يعينها على تأمين حدودها ، وتأكيد وجودها ، وتيسير أسباب الخير والحياة الطيبة لبنيتها . فالملكية الفردية مشروعة في الإسلام على أساس أنها ملكية نسبية خالصة لا ملكية حقيقية تامة ، والضرر الخاص الذي قد يقع على بعض الأفراد يجب أن يتحمل في سبيل رفع الضرر العام كما هي القاعدة الشرعية .

وهكذا نرى الاشتراكية في إطار الإسلام خيراً لا يشوبه شر ، وهذا لا يعيبه ظلم لإنها كما يقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ، كما يقول جل شأنه : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، وقد نظر إليها الرئيس جمال عبد الناصر هذه النظرة المؤمنة السليمة

في المجتمع الإسلامي يختلف اختلافاً جذرياً - كما يقال - عن الأساس الذي تقوم عليه المذاهب الاشتراكية في غيره من المجتمعات كما قلت في بعض ما كتبت وأذعت .

إنما فيه تعبير عن شعور كل فرد فيه بحق أخيه ، وهبادة مالية لا يكمل إيمان المؤمن بدونها ولا يصلح إسلامه بغيرها .

إنما فيه ثمرة طيبة بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين أبذن ربها ، وفي غيره ثمرة مرة لزاج مرير وصراع طال مداء بين العمال وأصحاب رأس المال . إنما فيه تقوم على الإيمان بالله خالق الجميع . ورازي الجميع ، وعلى أن المال لله فيجب أن يوجه لخير الجميع . ومصلحة الجميع وعلى أن المؤمنين إخوة فيجب أن يعوهم التضامن والتعاون وأن يشد بعضهم أزر بعض ، لأن بعضهم أولياء بعض .

هذا هو الأساس الذي تقوم عليه الاشتراكية في المجتمع العربي الإسلامي ، بل في ضمير كل فرد في المجتمع العربي الإسلامي ، يؤكدته النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « المسلم أخو المسلم لا يظلم ولا يخذله ولا يسلمه » ، وقوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وقوله : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جانبه طاو » ، (أى جائع) ، وقوله « أى رجل مات ضيقاً بين أغنياء فقد برى » .

الحل الصحيح في بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة . . منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدهو إلى الأخوة الإنسانية ، ويفصل مبادئ العدالة الاجتماعية على أساس من التواضع والتكافل الأخوي ، وإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة ، من غير طغيان على حرية الفرد . ولا إذلال له . وإنكار لذاتيته . إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ذلك هو النظام .

فليكتشف المفكرون والفلاسفة بما بذل من جهد ، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول آخر لمشكلة الفرد والمجتمع .

إن عندنا الحل .

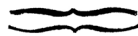
الحل الأول الذى نزل به الوحي على نبيينا منذ ألف وثلاثمائة سنة هو الحل الأخير لمشكلة الإنسانية . .

حفظه الله وسدد على طريق الخير خطاه وأعاننا وإياه على تحقيق ما نصبوا إليه من خير للعروبة والإسلام .

عبد الرحيم فودة

فقال في بعض ما كتب : (... وتعارض المذاهب وتصطرح العقول والقلوب وتنشأ الجماعات المختلفة ، تدعو كل جماعة منها إلى مذهب ، ويشغل الفلاسفة وأهل الفكر في كل أمة ليخترهوا (نظاماً) يفض المشكلة ويحل العقدة ، ثم نسمع عن الرأسمالية والاشتراكية ، والغازية والفاشية والشيوعية والفوضوية ، وعن نظم أخرى لا يكاد يبلغها الإحصاء ، وليس في واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع ، لأن مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة إنسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل إلى حلها إلا بترقية الشعور الإنساني في نفوس الجماهير ، وتوثيق أوامر الأخوة الإنسانية بين البشر .

ونقف نحن العرب المسلمين في هذا الجانب من العالم ، نشهد الصراع الذى يدور بين هذه المذاهب المادية المتبدعة ، ونزق الممارك الفاشية بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب ، فنعجب أشد العجب من تلك المذاهب والذاهبين في سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت كل المفكرين والفلاسفة في أوروبا منذ قرنين أو منذ قرون قد وجدت



تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للاستاذ علي العمّار

— ٤ —

إن الدين عند الله الاسلام

بكتابتها ، وبأصول دينها ، فالمؤلف من يصدق عليهم أنهم يعملون على إثارة الخلاف ، وبث روح التفرقة الحبيثة ؛ ذلك أنه قصر لائمه على فريق من علماء المسلمين ، وادعى في أكثر من موضع من كتابه أنهم يعملون على تمزيق الروابط ، وهذه عبارة من عباراته بنصها ، وفصها : (وإن الذي يملأ النفس أسى أن هذه الآية الكريمة - يريد قوله تعالى : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ما تزال تجري بهذا الفهم الخاطي على ألسنة كثير من مشايخ المسلمين ، وعامتهم ، وهذا - ولا ريب - له أثر بالغ في تمزيق الروابط بين المسلمين ، وبين إخوانهم الأقباط ، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم باسم الدين) . ففهم آية على غير وجهها - كما يزعم - ذو أثر بالغ في تمزيق الروابط والذين فهموا هذا الفهم الخاطي إنما هم (كثير) - هكذا - من مشايخ المسلمين ، وعامتهم ، ثم يستمر يستخر من بعض العلماء ، ويرميهم بالجهل .

ومؤلف كتاب (دين الله واحد) يزعم أنه نشر رسالته الموجزة ليكون لها ما يتمناه من أثر في العقول والقلوب والنفوس حتى يسود بين الناس السلام ، ويعم الوفاق والوئام ... وعنده أن كل من يعمل على إثارة الخلاف في البلاد ، وبث روح التفرقة الحبيثة بين الناس لا يكون مخلصاً في إيمانه الديني ، ولا صادقاً في ولائه الوطني .

ونحن معه فيما يقول ، ولكن ما الوسيلة إلى هذا الهدف الخليل ؟ ...

كان على المؤلف أن ينحى باللائمة على كل من يعمل على التفرقة ، سواء كان مسلماً ، أو يهودياً ، أو نصرانياً ، وأن يذنبه كل فريق على الأخطاء التي يرتكبها في حق الدين والوطن كما كان عليه أن يلتزم جانب الحق والصدق ، فلا يذهب بفسر نصوص دين من الأديان على ما يسوله له هواه ؛ فإن ذلك يؤدي إلى عكس مقصوده .

فليس مما يؤلف القلوب أن يعيث عاث

حقيرتها بأن فهم بعض المشايخ لآية في كتابهم - وهو فهم سليم - ذو أثر بالغ في التفرقة ؟ إن المؤلف (الشيخ) الذي يبكي لأن أحد المشايخ قال : إن رحمة الله لا تنال القبطي ، لم يذرف دمعة واحدة على ما امتلأت به كتب المبشرين ، والمتعصبين من المسيحيين من الطعن على الإسلام ، وعلى نبي الإسلام ، وعلى السابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين الذين نشروا هذا الدين ، وآزروا نبيه ونصروه .

ولذلك يحق لنا أن نقول صادقين : إن صنيع هذا المؤلف معول هدام في بناء الألفة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى .

والمؤلف يتلبس كل بارقة - ولو كان برقها خلبا - ليؤيد بها دهواه ، وهو لا يفي بمحمل النصوص فوق ما تحتل ، أو يؤمن ببعضها ويكفر ببعض .

وليس هذا الصنيع - فقط - فيما يتعلق بآي القرآن الكريم ، بل هو يفعل ذلك بأراء الذين ينقل عنهم ، فيأخذ منها ما يظن أنه يؤيد دعواه ، ويتجاهل ما ينقض عليه هذه الدعوى ، وبذلك يسمى إلهيم ، لأنه لو نقل آراءهم كاملة لرفع سوء ظن القارئ بهم .

فقد حاول المؤلف محاولة بائسة أن يوثق على قوله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) فن أول الطريق أراد أن يبعد عن الأذهان

فهل صحيح أن أحد العلماء استنكر أن يكون النصراني أهل كتاب ؟ حتى أرشده المؤلف إلى موضع ذلك من كتاب الله .

أما كان واجب الحق ، والإنصاف يقتضى المؤلف ألا يلقى المتبعة كلها على مشايخ المسلمين وعامتهم ؟ ...

وأن يقول ولو كلفة عتاب رقيقة لأولئك الذين يعملون جاهدين على هدم الإسلام من المبشرين ، والمستعمرين وأذنابهم من إخوانه (الأقباط) وأن يوجه - إن كان صادق النية - ولو كلفة رجاء إلى رؤساء الحكومات المسيحية الذين يضطهدون المسلمين الخاضعين لهم ؟ ...

إن أحدا لا ينكر حتى من أشد المتعصبين على الإسلام والمسلمين أن الأقباط في البلاد الإسلامية يلقون من التمييز ، ومن المعاملة المنصفة العادلة ما لا يظفر بشيء منه المسلمون المقيمون في دول مسيحية ، متعصبة لمسيحياتها وأن الوعاظ الذين يدعون إلى الإسلام في البلاد التي يذهبون إليها لا يسمحون لأنفسهم ولا يسمح لهم دينهم أن يلجأوا - في دعوتهم - إلى أية وسيلة من الوسائل الدينية التي يتذرع بها المبشرون ، ويعتمدون عليها .

فهل من العدل والعقل أن تصدر دهوة للاتحاد ، والاتلاف بين أهل الأديان ، ولا تشير بكلمة واحدة لكل هذه المااول التي لا تمنعاً تهدم في بناء الإنسانية ، في حين ترفع

اليهودية - الآن - دين حق ، وأن المسيحية - الآن - دين حق ، وأن دين محمد دين حق ، وهي كلها إسلام ، وهي كلها الدين عند الله ، وليس الأمر - كما يفهم المسلمون - أن الدين الحق ، هو الإيمان بالله ، وبالقرآن وبمحمد وهو الإسلام .

فأولا : هل يمكن في نظر عاقل أن يكون الإنسان مقراً بوحداية الله ، مسلم الوجه له وهو لا يؤمن بكتاب من كتبه - وهو القرآن - وبرسول من رسله - وهو محمد - وإذا كان ذلك غير ممكن ، لأن معنى الإيمان بالله الإيمان بكل ما جاء من عنده . فكيف تكون اليهودية (الدين عند الله) هكذا بطريق الحصر ، وهي لا تؤمن لا بالقرآن ، ولا بمحمد ؟ وهذا يقال في كل دين بخلاف دين الإسلام .

إن النتيجة الحتمية للإيمان بالله إيمانا صحيحا ، هي الإقرار بأن الدين الذي جاء به محمد دين حق ، وإذا أقر إنسان بذلك وجب عليه أن يلتزم التكليف التي جاء بها هذا الدين وهذا هو ما يطلبه الإسلام من أهل الكتاب ومن غيرهم ، وإذن فمن تمسك باليهودية أو بالنصرانية ، ولم يؤمن بشرعية محمد ليس مسلما ، وليس ناجيا ، ولو أخلص العمل ، ولو آمن بالله ، واليوم الآخر ، وليس من أتباع (الدين عند الله) .

أن المراد بالإسلام هو : هذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فككتب تحت هذه الآية ، وبين قوسين : أى إسلام الوجه ثم أخذ في شرح كلمة إسلام ، ناقلا ، فيقول : والإسلام مصدر أسلم ، وءـو يأتى بمعنى خضع ، واستسلم ، وبمعنى أدى ، يقال : أسلمت الشيء إلى فلان إذا أدبته إليه ، وبمعنى دخل في السلم بمعنى الصلح والسلامة ، وبالتحرريك : الخالص من الشيء ، ومنه قوله تعالى : (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سليما لرجل) .

(وأسميته دين الحق إسلاما يناسب كل معنى من معاني الكلمة في اللغة ، قال تعالى : ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) . ثم يجمىء بهذه العبارات ، ويضع تحتها خطوطا ، لينبه على أنها موضع الإقناع وقد علم بذلك أن الحصر في قوله : (إن الدين عند الله الإسلام) يتناول جميع الملل ، التي جاء بها الأنبياء ، لأنه روحها الكلى ، الذي اتفقت فيه على اختلاف بعض التكليف ، وصور الأعمال فيها ، وقد أخبر القرآن في غير موضع أن الأنبياء كلهم كان دينهم الإسلام .

ويمضى يستشهد بآى القرآن على هذا المعنى فيذكر إسلام نوح ، وإسلام إبراهيم ، ثم إسلام من في السموات ومن في الأرض . وخلاصة كل هذا - عند المؤلف - أن

أن جبريل عليه السلام سأل النبي عن الإسلام ، فأجابه : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فصدقته جبريل .

فإذا كان مشهوراً عند نزول القرآن أن (الإسلام) هو الإيمان بالله ، وبمحمد ، وبالقرآن ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وإذا كان القرآن خاتمة الكتب السماوية ، وهو يخاطب الناس جميعاً ، إذا كان كذلك كان بديهاً أن يراد بالإسلام في الآيتين : « إن الدين عند الله الإسلام » .

« ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » ، هذا الدين الجديد ، الدين الخالد ، الدين الذي كتبه القرآن ، ورسوله محمد ، والمدهور إليه الناس كافة .

وخامساً : من العجيب أن هذه السورة التي وردت فيها الآيتان السابقتان - وهي سورة آل عمران - أطال الحديث عن أهل الكتاب ، وخاطبتهم ، ووبختهم على جحودهم بنبوته محمد ، ولأنه لا يمكن قليل من الإنصاف ، ومن احترام العقول ليومن من يقرأ هذه الآيات : أن أهل الكتاب مطالبون بالإيمان بمحمد ، وأن دينهم الذي هم عليه ليس شيئاً ما لم يتبعوا هذا النبي ؟ (يتبع)

على العمري

وثانياً : المؤلف نقل كل ما أورده هنا - عن تفسير المنار للسيد رشيد رضا ، فيا ليت شعري هل أوقف المؤلف - وهو يطالع هذا التفسير عند هذه الكلمات أو استمر في القراءة ، فوجد في آخر تفسير هذه الآية قول صاحب المنار : (ولذلك كان إسلامهم - يريد أهل الكتاب - لا بد أن يستتبع اتباعك فيما جئت به ؛ لأن من كان كذلك فهو خير القلب متوجه - دائماً - إلى طلب الحق فهو أقرب الناس إلى قبوله ، متى جاءه وظهر له) .

وثالثاً : لقد أغفل المؤلف في هذا الموضع قوله تعالى : (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) - مع أنه تنقيب كلمة إسلام في القرآن - فهل صنع ذلك لأنه يعرف ؟ إن كان يعرف أن سياق الآيات في هذا الموضع ترجع تفسير الإسلام بشريعة محمد فهو يهرب من كل ما يشير من قريب أو بعيد إلى ما ينقض عليه دعواه ، وإلى ما يفيد أن أهل الكتاب ملزمون بالإيمان بمحمد وبالقرآن .

ورابعاً : أي مانع يمنع من تفسير الإسلام في الآية الأولى بدين محمد عليه الصلاة والسلام والرسول قد بين في حديث صحيح مشهور أن (الإسلام) يعني على خمس ، منها شهادة أن محمداً رسول الله ، وفي حديث ابن عمر الذي رواه عن أبيه عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما ،

القوم الصوفية بقلم : م.م.ا. ماكين

ترجمة الأستاذ فتحى عثمان

- ٢ -

تمخضت بدورها في تطورها المحتوم عن مظاهر معينة محدودة للعبادة ، وفلسفة الحياة . ولم تكن هذه في ذاتها معارضة لتعاليم القرآن وإنما كانت نوعاً من المبالغة في بعض العناصر المفردة للتعاليم ، والأخلاق الدينية . ومن ذلك الذكر والتوكل ، وأولها يرتبط بشعائر العبادة ، والثاني بالأخلاق ، وقد ظلت الأوراد الصوفية تكون العمود الفقري للوروث من الفسك القديم .

وبدا أبو ذر وحذيفة المثلثين الرئيسيين لهذا التفكيك بين صحابة الرسول . ويعتقد الصوفية في نقولهم أن حذيفة البجلي هو (صاحب السر) ، وقد اتبس رأيه في بعض أسرار الروح ، كما جرى صحابة الرسول على سؤاله بشأن فتنة العامة والخاصة .

واتسعت الآفاق الطبيعية للإسلام حتى صارت تتضمن في نهاية العصر الأموي كل جزيرة العرب من ناحية ، وكل الشام والعراق ومصر إلى حدود أسبانيا من ناحية أخرى وتوغلت عبر آسيا الوسطى إلى نهر الأندس Indus ، بما قدم أعداداً من أتباع الدين الجدد

وبوفاة النبي بدأ تطوّر الفكر الديني الإسلامي يكتسب طابعاً جديداً ، فلم يعد هناك بعد ، شيخ الأمة ، الذي يحكم حكماً مطلقاً وبحق الدين ، والذي يعتبر الإمام الروحي الوحيد المنظم للجماعة كلها . وإنما اضطلعت الشريعة الإسلامية بهذه المهمة نفسها في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وظلت دعامة لتأمين الثقافة الإسلامية . وتمثل الفترة بين وفاة الرسول ، ونهاية العصر

الأموي سنة ٧٥٠م المرحلة الثانية لنمو الحركة الصوفية ففي هذا الخلفاء الراشدين ٦٣٢: ٦٦١م استمر النمو مع اختلاط بالسلفية Orthodoxy ولكن كما يقول نيكلسون « كان محتوماً أن تؤدي القيم التي تفوق المؤلف Extra ordinary والتي تضمنتها مواضع من تعاليم محمد وتجاربه إلى إغفال لأمر أخرى يعدها المسلمون الصالحون ضرورية بنفس الدرجة ، » .

وكان صحابة محمد في حماسهم لحفظ تراث الرسول قد هملوا على تأكيد الاهتمام بصور متفاوتة — على النظم الدينية للإسلام التي

وجاءت المرحلة التالية المتميزة في نمو الصوفية في الفترة التي أعقبت تولي العباسيين للخلافة ، وفيها صارت الحركة أكثر وحيًا بذاتها شيئًا فشيئًا ، واتخذت نتيجة لذلك طابعًا متميزًا تحف تأثير عوامل التمدد الداخلي للمجتمع الإسلامي ونتيجة لرد الفعل الطبيعي والضروري للظروف السائدة . وقد تجتجت للحركة في مجرى نموها ثروة من المادة التي اكتسفتها الاختلاط والتداخل في الغالب ، والتي تقلت من القياس والتصنيف . ويمكن أن يكون على أية حال تمييز ثلاثة اتجاهات لهذا النمو : أولها تطور مذهب الصوفية بأن أخذ في التحول من مبادئ أخلاقية بسيطة كي يتضمن مفاهيم عن الحياة الباطنية *mysiical* والاتصال بالله *theosophical* مع ميل قوي إلى وحدة الوجود *peinthelstic tendencies* وثاني هذه الاتجاهات هو اتجاه طبقات الصوفية إلى الاتحاد والقراط إذ تعرضوا لمعارضة في دوائر هداة الكلام فاكتمسبوا شعور الجماعة . وثالث الملامح الرئيسية هو نقلة الاهتمام من الصوفية إلى (القوم) ، وتمخض هذا عن أداة شعبية للحركة تعرف بالطريقة ، وبها اكتسبت الصوفية تميزًا عمليًا دقيقًا في نسق المجتمع الإسلامي وقائمة محتوياته .

كان لهم طابع آخر ، وطاقت فكرية مختلفة . وغدت مدن المعسكرات العربية في الأقاليم المفتوحة حديثاً مراكز للدعوة الديفية ، وقد ظلت هذه المدن حصونا للحضارة الإسلامية بما يفيض عليها من ثروة مادية وبشرية ، وتمثل الأخيرة في الداخلين في الدين أفواجا .

ومنذ أواخر عصر الخلفاء الراشدين ، كان أكثر ممثلي نزعة النسك الإسلامية يعرفون بأسماء متنوعة : فهم زهاد أو نساك أو قراء أو قصاص أو رهبان أو بكاءون ، وقد كانوا في أول الأمر متناثرين بمنزلاتهم ، ثم أخذوا يتركزون بالتدريج في مدن العالم الإسلامي الجديدة وفي مقدمتها البصرة والكوفة ، وهما مركزان اشتهرا بنشاطهما العلمي والثقافي البالغ في القرن الثامن الهجري . ويشير جولد زيهر إلى طاقة من الناس تجردوا في بداية العصر الأموي للعبادة وسموا بالعباد . وأقدم رائد به صوفية لهم هو الزاهد المنهوج الحسن البصري (المتوفى سنة ٧٢٨ م) الذي يشير إليه المكي^(١) باعتباره أول من عبر عن هذا الفرع من المعرفة ، وقد قدم تعاليمه الصوفية إلى أهل عصره خلال عظاته التي ألقاها في البصرة .

ويرى نيكلسون أن عهد الاتصال بالله
theosophical era في الصوفية يستهل
بمعروف الكرخي (المتوفى سنة ٨١٥ م).
وهو يلاحظ أننا نميز في أقوال (معروف)
لأول وهلة آثاراً باقية للعيان لتلك الأفكار
التي ظلت حتى يومنا هذا عنصراً أساسياً
ومميزاً للصوفية.

هذه الصوفية الفلسفية الداعية إلى
الاتصال بالله Theosophical Sufism، والتي
يمثلها معروف الكرخي وأبو سليمان الداراني
(المتوفى سنة ٨٣٠ م) وذو النون المصري
(المتوفى سنة ٨٦١ م) قامت وبلغت شأواً
بعيداً من التقدم في نصف القرن الذي يشمل
في شيء من المرونة جهود المأمون والمعتصم
والواثق والمتوكل بين عامي ١٩٨ : ٨٣٤٧ /
٨١٣ إلى ٨٦١ م. وبدأت النظرية الصوفية

ويبقى القرن التالي لحجم البيت العباسي
ظلالاً على التغيير المنتظر حدوثه في تطور
الحركة. فلم يتخذ طابعها العام بعد شكلاً
محدداً. فهمي بالنسبة لقسم كبير من المهتمين
إليها لا تزال تعني التجرد المخلص للواجبات
الدينية، فإذا ما تلبسنا مفهومها أوضح وجدنا
أن ملامح الفكر الصوفي البارزة ظلت باقية
على حالها في طابعه الزهدي والتأملي
ascetic, quietistic حتى نهاية القرن الثاني
الهجري / الثامن الميلادي، وكان هذا الفكر
يجد تعبيراً إقليمياً في المراكز المختلفة للعالم
الإسلامي مثل البصرة والكوفة وخراسان
ومرو. وعلى أية حال فقد أخذ يطرأ تغيير
تدريجى على الطابع العام للمذهب الصوفي
منذ القرن الثالث الهجري / الثامن الميلادي
فصاعداً. وأخذ الاتق الصوفي يتسع من
زعات زهدية تأملية، إلى مذهب من الحياة الباطنية،

mystical والاتصال بالله theosophical
نتيجة لتزايد النشاط الفكري وطاقة
الإبداع مما يميز القرن الأول من الحكم
العباسي (١).

الأستاذ أدبى سنة ١٩٠١ أنه يبدو أن نيكلسون
قد غير رأيه بصدده هذه النظرية في أخريات حياته
وارتأى أن للمذهب الصوفي يرجع في أصوله إلى
القرآن أكثر من أية عوامل خارجية. ويخاف
لينجز Lings هؤلاء الذين يكتبون أن « الصوفية
تتألف من زهد مثالي تبرزه - الأعمار والرسائل
الصوفية والانداعات المتضاربة، في حين أنه ما من
شيء من هذا يوجد في الجيلين الأولين للإسلام،
وما من شيء من هذا يمكن أن يعتبر من الملاح
الأساسية للصوفية ».

(١) يعزى أصل المذهب الصوفي إلى مصادر
وافدة مختلفة : مثل الفيدا والأفلاطونية المحدثة
وفارس. ويرى نيكلسون أن هذه الظاهرة لا تقبل
تفسيراً مفرداً، وإن كانت تبدو نتاجاً لانحداد
الفكر الإغريقي بالفلسفة العرفية. وقد نقل إلى

النظرية الصوفية التي قد يبدو أنها تطرح جانباً مثل هذه السلطة الثابتة ، ورمى الذين عجزوا عن مسايرة العلم السلفي التقليدي حتى أضيق حدوده وتفصيله بالوصف الحاضر المعد - الزندقة ١١

ويستحق تاريخ الحركة المعارضة للصوفية بحثاً مستقلاً . ويمكن أن نقول : إن قطارف العلماء الحرفيين في التكثير على أصحاب النظريات الصوفية قد استثار تعارفاً مماثلاً في هياج هؤلاء الآخرين ، وإن كان النزاع قد جرى إلى حد كبير على المستوى النظري .

وإعان الاعتراف الرسمي بمذهب المعتزلة في عهد المأمون ، الذي انتهى بتولى المتوكل الخلافة سنة ٨٤٧ م ، على الزيادة من حدة الخلاف بين المنهج الحدسي ، intuitive والمنهج العقل rationalist في البحث الديني . وجاء ظهور صورة من السلفية المتطرفة في عهد المتوكل مؤدياً إلى تفاقم الاتساع في شقة الخلاف بين الصوفية ومعارضيه . وشن الخليفة المتوكل الذي اتخذ وضع حامى عقائد الجماعة وحملات الاضطهاد التي شملت على قدم المساواة اليهود والنصارى والمعتزلة والشيعة والصوفية ، أو بعبارة موجزة كل من انخرط عن نطاق السلفية السنية في أضيق حدودها ، وترتب على ذلك أن خرج قادة الصوفية على

أكثر روعة بجهود أبي يزيد البسطامي (المتوفى سنة ٨٧٥ م) والجنييد البغدادي (المتوفى سنة ٩١٠ م) والمنصور الحلاج (المتوفى سنة ٩٣٢ م) والحاكم الترمذي (المتوفى سنة ٨٩٣ م) وكل منهم أبرز خصائص متميزة للذهب .

وفي خلال هذه الفترة نفسها بدأ الصوفية يرون دلائل المعارضة لنزعهم من علماء الكلام . وقد تطورت هذه المعارضة ضد حركة الصوفية بالتدرج . إن صوفية النساك والأتقياء في فترة النشوء لم تكن تهدد ما ديا ما يقرره علماء الدين القدامى من أفكار intellectual system بل على العكس أعانت تلك الصوفية على استكمال المفهوم القرآني للتوحيد ، وكان الفارق بين الفريقين فارقاً في توزيع الاهتمام بين مسألة أو أخرى أكثر من أن يكون فارقاً في مضمون كل من النزعتين ، ولكن الاتساع التدريجي للحركة بما اقترن به من نمو مذهب في طيات السكتان بدأ في أعين علماء الكلام ذوى النفوذ طغيانياً غير مرغوب فيه على مجال الفكر الديني الإسلامي يستحق الاقتلاع ، وكان نفوذ القادة القدامى يستند إلى أنهم الحراس الساهرون على الجماعة الملتزمة حول الشريعة والملتزمة بها ، وهؤلاء لم يكونوا مستعدين لمجاهة

الداخلي للحركة اتجاها لتصبح ظاهرة تاريخية واعية بذاتها . وكان الهدف في ذلك الوقت أحوج ما يكون إلى الثبات والاستقرار إذا ما أريد له البقاء . وربما كانت حملة التشهير التي بلغت ذروتها في إعدام الحلاج قد وضعت هذا الدرس أمام أنظار قادة الصوفية . إن هناك حاجة عاجلة إذن - كما يقول آريوى - لرد اعتبار الحركة إذا أريد لها البقاء في تلك الفترة التي كانت أقل تمهيرا عن ذي قبل ، وأريد لها الاستمرار في أن تكون قوة لها أثرها في الجماعة . ولدت الحاجة الرجال ، وأنتج الرجال كتباً صالحة للغرض بدرجة فائقة . . وكان من نتائج ذلك أن شهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي قيام أفراد من المفكرين الخلّاقين ، وظهور طراز رفيع من أصحاب النظريات للصوفية ، وهؤلاء أنتجوا مؤلفات منهجية محكمة لدراسة الصوفية في شتى مجالاتها : النظرية والتجربة والتاريخ ، وهكذا حدد هؤلاء معالم الحركة ، وأكدوا ثراءها فيما خلفوه من تراثها . ومن أشهر مؤلفات هذه الفترة في المذهب الصوفي الجمع للسراج (المتوفى سنة ٩٦٨ م) وقوت القلوب لأبي طالب المكي (المتوفى سنة ٩٩٦ م) ، والتعرف للكلاباذي (المتوفى سنة ١٠٠٠ م) وكل هذه المؤلفات قد وصلت إلينا . أما ما كتبه في التراجم أبو سعيد بن العربي

الالتزام بعقائد الجماعة السائدة وواجهوا الفقهاء بما لديهم من أعداد تزايد باستمرار في صراع مكشوف ، بعد أن فشلت معارضة الآخرين في إسكات الصوفية رغم قهرهم لمحاكمة كبرى بلغت الذروة بإعدام المنصور الحلاج سنة ٩٢٢ م . وارتبط نمو مقاومة الفقهاء من ذلك الوقت فصاعداً عن قرب بتاريخ الحركة الصوفية ، وكان لاصطدام هذه المقاومة بتلك الحركة خلال أدوار نموها التالية دوى تردد صداه في مناقشات الأدب الصوفي إذ ظل أحد مواضع البحث الدائمة منذ ذلك الوقت فصاعداً .

* * *

وكانت أسس النظرية الصوفية Sufi rheory والتجربة الصوفية practice قد وضعت من قبل خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وغدت الحركة قرب نهاية القرن نفسه متينة البنيان بما اجتمع لها من أصول traditions تعزز جانبها . ومنذ القرن الرابع الهجري / التاسع الميلادي تقدمت الصوفية نحو شق اتجاهات جديدة ، متحوّلة وعن الركون إلى حمى الإسلام في اندفاع صوب وحدة الوجود ، واسقاط التكاليف الشرعية entinomianism ، وهي نزعة هزتها التأثير المتزايد للأفكار الفلسفية الإغريقية وبخاصة نظرية (الصدور) ، وبقابل هذا التوسع

وحياتهم العامة وأحوال قلوبهم واهتمامهم ووجودهم ومقاماتهم من البداية إلى النهاية حتى يتقوى بذلك المرید . ومن مفهوم التعبير عن الحركة الصوفية بالجماعة أيضا ما يتضمنه ذلك من الدعوة إلى الإعراف بعلم الصوفية فرعا أصيلا من المعرفة الإسلامية . وقد أبرر السراج في جراءة هذا المطلب في تقسيمه للمعرفة لثلاثة أقسام : الحديث والفقه والتصوف ، وكلها معا تؤلف علوم الدين وهو يعنى قائلا أن كل جماعة من المشتغلين بأحد هذه الأقسام الثلاثة لها مؤلفاتها ومصنفاتها وأقوالها ، ولكل فرع أقطابه من العلماء الذين يدين لهم عامة أهل العصر من طلاب المزيد من المعرفة وهو يذهب إلى أبعد من ذلك في الانفراد بتأكيده أن علم الصوفية هو من الخصائص التي لا يرجع فيها إلى غير العارفين بالصوفية . ويتردد صدى هذه الدعوى لدى كاتب متأخر هو الشعرائي (المتوفى سنة ١٥٦٥ م) عندما قرر نظرية استقلال علم الصوفية كفرع على نطاق الشريعة ، بنفس الدرجة التي يستقل بها المعاني والبيان مع دخولها في نطاق علوم اللغة .

(يتبع)
فتحي عثمان

(المتوفى سنة ٩٥٢ م) وأبو محمد الخلدی (المتوفى سنة ٩٥٩ م) فلم يكتب له البقاء ، بينما تعد طبقات الصوفية للسلاوي (المتوفى سنة ١٠٢١ م) وحلبة الأولياء للأصفهاني (المتوفى سنة ١٠٣٨ م) من الجهود البارزة في مجال التاريخ للصوفية .

وأخذ اهتمام قادة الصوفية بتأكيده طابع الحركة المستقل المتميز يتجلى للعيان بصورة متزايدة في مؤلفات الفقرة التي شهدت الصوفية كجماعة : (الطائفة الصوفية) a constituent of Muslim society وعلى الرغم من أن كيانا ككيان الصوفية لم يؤصل وجوده عضويا في ركائز المجتمع الإسلامي ، إلا أن قيام التفرقة النظرية تعكس في الحقيقة : إلى أي مدى صاوت الحركة عرضا للأفكار في وهي بالذات .

ويمكن أن يمثل هذا في رائد من أصحاب النظريات الصوفية هو القشيري (المتوفى سنة ١٠٧٤ م) الذي خاطب الصوفية في رسالته المشهورة ، فكتب أن الرسالة ، قد كتبها فقير في أعين الله هو عبد الكريم ابن هوزان القشيري إلى الجماعة الصوفية في ديار الإسلام سنة ٤٣٧ هـ وفيها تناول حياة شيخ الطريقة وطوائفهم وخصائصهم

مَحْمَدٌ رَسُولُ اللَّهِ

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

وهذه الحقائق التاريخية الصادقة عن النبيين من فجر التاريخ ، وهذه الجوانب الحكيمه الناضجة من الأحكام والشرائع ، وهذه البراج من العبادات والتكاليف . . ؟

إلها غاية لم يرتق إليها قبله أحد من قومه ، وليس لها تعليل من البيئته أو التاريخ ، فقد كانت البيئته راضية قانعة بأوضاعها ، مطمئنة إلى عقيدتها ، إلا القليل من أفراد يعدون ويعرفون ، ولم يتقدم لهذه البيئته في تاريخها أن طمحت إلى زعامة في أمر العقيدة أو طالبت فكرة الدعوة منذ إسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام .

وقد كان في العالم في ذلك الحين شعوب متحضرة ، وأمم تمسك بلواء الثقة وفي أيديهم كتب سماوية ، وغير سماوية ، وأولئك كانوا أجدر بالبحث والتفكير في مخرج من أزمة العقيدة وأزمة الخلق والحياة في ذلك العالم .

ومحمد نفسه ، ماذا كان يعنيه من أمر قومه فضلا عن أمر العالم لقد كان يملك وهو الذي نأى عن خزي الجاهلية ، أن يظل في تأملاته ويرتفع في خلوته عن كل ما يعاينه الناس ، لم يكن من الزعماء ولا الرؤساء ، ولم يكن

يعجب المسراء من موقف طائفة من المستشرقين يهرم نور الإسلام ، وتسرعى أبصارهم الجوانب الإصلاحية المتكاملة في رسالة محمد ، ولكنهم لا ينفكون من أسر العصبية ، ولا يبرأون من ضغائن التاريخ فيؤدى بهم ذلك إلى كثير من التخبط ، وأنواع من المغالطات ، حين يكتبون عن ذلك الرسول العظيم ، ويقفون أمام دعوته ، فيحتالون على التاريخ ويفترون ، ويفترضون ويقدرون ، كل ذلك ليستطيعوا التوفيق بين إعجابهم بمحمد ، مصلحاً وزعيماً ومعلماً ، وبين كفرهم برسائله وإصرارهم على أنه لم يتصل بالسماء ، ولم يتلق أمانة الوحي ، ولم يحمل المشعل الذي حمله النبيون من قبله .

* * *

وتجد لهؤلاء المستشرقين مسالك مختلفات في شأن محمد ، وتعليل رسالته .

كيف أمكن ذلك العربى في تلك الفترة المظلمة من تاريخ العالم ، وتاريخ أمته أيضا أن يخرج إلى الناس بتلك الدعوة .

من أين له تلك العقيدة عن الله وعن الآخرة وتلك الفكرة المتكاملة عن الإنسان والحياة

ولكنها شهرة الغرابة والندوة التي تجعل
مسالكهم طريقة وعجيبة .

وعلى هذا المثال كان الحنفاء من العرب .

لقد رفضوا عقيدة الجاهلية ، وكرهوا
مشاركة قومهم حياتهم الآثمة الظلمة ،
ولكنهم لم يزدوا على ذلك ، فلم يقدموا
عقيدة واضحة ولم يدعوا إليها ، ولم يبتدوا
إلى حل للظالم الاجتماعية التي تعج بها الحياة
من حولهم ، وحسبهم ذلك رشداً وهدى .

على حد قول ورقة بين نوفل ، برقي زيد
ابن عمرو بن نفيل عند ماصرع عند إيايه
من الشام وهو يبحث عن الدين الحق :

رشدت ، وأنعمت ابن عمرو ، وإنما
تجنبت تنوراً من النار حامياً
بدينك رباً ليس رب كمثل
وترك أصنام الطواغيت كما هي

وكان من هؤلاء الحنفاء . من بحث عن
مخرج من أزمة العقيدة ، وأدى به الأمر إلى
اعتناق دين من الأديان السائدة ، فتنصر ،
مثل : ورقة بن نوفل ، وعبد الله بن جحش
وعثمان بن الحويرث ، وأولئك لم يقدموا
لقومهم شيئاً ، وكفاهم أنهم ارتاحوا إلى
رأى في مجال العقيدة ، وإن كانت مشاعر
القلق لم تختف من نفوسهم ، وما زال بهم
تربح إلى ضياع يضر بجاهل الحياة والفكر .
فهم لم يزدوا شيئاً في تجارب العرب الدينية ،

متلقياً عن مدرسة ، ولا وارثاً لتعاليم
ولا متأثراً ببيئة تدوس وتفكر ، وتعالج
أمر الدين .

وإذن كيف استفاد محمد من هذه الدعوة ؟
ومن أين له عناصر تلك الرسالة ؟ .

تراث الحنفاء :

فن هؤلاء من يرى أن محمداً تأثر بالحنفاء
من العرب قبله ، وأنه واحد منهم ، نأى عن
الوثنية مثاهم ، وفكر في أوضاع قومه
المضطربة ، وأطال في ذلك التفكير ، واعتزل
قومه وخلا بنفسه ، حتى اهتدى إلى طريق
يصلح قومه . ويجمع أمرهم ، وهو الإسلام .
وتنف أمام هذا التعليل ؛ لثرى مدى
الإصناف في موقف هؤلاء ، وجانب الحق
الذي وقفوا عنده .

أى أثر تركه الحنفاء في قومهم ، وأى
تراث لهم يمكن أن يكون قد استفاد منه محمد .
في كل مجتمع ، وفي كل جيل ، يعيش أفراد
يعتزلون كثيراً من أوضاع الحياة من حولهم ،
ويرفضون كثيراً من المبادئ والقيم التي
يتواضع عليها مجتمعهم ، ولكنهم يقنعون
بذلك ، ولا يبلغون أن يغيروا شيئاً في حياة
الناس ، ولا يحملون أحداً على مشاركتهم
الطريق الذي اختاروه لأنفسهم ، إن شذوذهم
عن الناس يحطهم أفاذاً مشهورين ،

ابن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس .
ثم إنه خرج بعد ذلك ، فضرب في الأرض
حتى بلغ الرقة من أوض الجزيرة ، فلقى بها
راهبا عالما ، فأخبره بالذي يطلب ، فقال له
الراهب : إنك لتطلب ديننا ما تجد من يحملك
عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبى ، يخرج
من بلدك يبحث بدين الحنيفية .

وأما عبد الله بن جحش ، فأقام بمكة حتى
بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فاتبه .
فاذا استفاد محمد من أولئك الخفاء .
وأى صلة بين دهرته ، وبين آرائهم ؟

حقا : لقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
زيد بن عمرو بن نفيل ، وأعجب به .

ولكن الذى يبحث التأثر والتأثير بين
الرجلين عليه أن يسأل أولا :
أى شيء كان يملكه زيد بن عمرو بن نفيل
لينقله عنه محمد ؟

هقيقة التوحيد ورفض الأصنام ؟
لكنها فى حد ذاتها ملّة إبراهيم ، وعليها
كان العرب قبل أن يدخل عليهم همرو بن
لحى عبادة الأصنام .

وهو إن كان قد اهتدى بفطرته ورجاحة
عقله إلى معرفة الوحداية إلا أن العقيدة
ليست ذلك فحسب ، فكيف نعرف ذلك الإله
وكيف نعبدّه ؟ وأين جوائب تلك العقيدة

ولا تقدموا بهم خطوة فى طريق الهداية .
لقد كان لهم مجال محدود ترد فيه أفكارهم
وتسرى تطلعاتهم ، نقرأ ذلك فى أخبارهم التى
أوردتها كتب السيرة ، ونرى فيها مجال
بهمهم ومنتهى آمالهم ... البحث عن هقيقة
تطمئن لها النفس وكفى .

اجتمعت قريش عند صنم لهم ، قد اتخذوا
ذلك اليوم عيداً ، وحضروهم فى ذلك ورقة
ابن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله
ابن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، فاعتموا
لذلك ، وخلصوا نجياً ، فقال بعضهم لبعض :
تصادقوا ؛ وليكنتم بعضكم على بعض .
فقالوا : أجل .

فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمن ، والله ،
ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين
إبراهيم وخالفوه ، ما حجر تطيفون به ،
لا يسمع ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ؟
يا قوم : اتمسوا لأنفسكم الدين .

فخرجوا عند ذلك يضربون فى الأرض ،
ويسألون عن الحنيفية - دين إبراهيم عليه
السلام - فأما ورقة بن نوفل فتتصر واستحكم
فى النصرانية ، وابتغى السكتب من أهلها
وقرأ السكتب حتى علم علما كثيرا من أهل
السكتب ،

وأما عثمان بن الحويرث ، فسار إلى قيصر
فتنصر ، وحسنت منزلته عنده ، وأما زيد

فقال زيد بن عمرو : إني لا أكل مما لم يذكر عليه اسم الله .

ويحاول العلماء الإجابة عن ذلك . كيف كافه زيد بن نفيل يهتدى إلى ذلك ، وقد كان الرسول أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية؟ فيرى بعضهم : أنه ليس في الحديث الإشارة إلى أن الرسول أكل مما لم يذكر عليه اسم الله ، ويرى آخرون أن الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة .

ولكن المهم في الخبر ، كيف أن محمداً كان على بساطته لا يعنى نفسه ، ولا يتكلف البحث كمؤلاء ، بما يبعد عنه كل شبهة في أن يكون استفاد شيئاً منهم ، أو اتجه في أمر العقيدة والدين وجمعتهم .

ولو أن محمداً اقتنى آثار الحنفاء، لما جاوز في بحثه عن الحق ذلك المدى الذى بلغوه، ولما كان قصاراه أن ينتصر ، أو يقنع بنقد الأوثان ؛ واعتزال مفاصل قومه .

إن هناك قارفاً أصيلاً بين موقف محمد في دعوته من قومه ، وموقف قومه منه ؛ وبين موقف الحنفاء؛ بما يجعل المقاومة بينهما لا فصلح ولا تستقيم ؛ بل إن الفارق بينهما وبين هؤلاء الحنفاء هو الفارق بين الأرض والسماء ، للحديث بقية ،

مصطفى عبد الواحد

التي تملأ النفس وتحيطها وتوجهها في سبيل الحياة ؟ .

وهل الدين عقيدة فحسب ؟ .

إن زيدا كان من طلاب الحقيقة ، وقد كانت الحيرة تملأ قواده وهو يقول : اللهم إني لو أعرف أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلم !!

وقد صرح في سعيه إلى الدين الحق . ولذلك كان يذكره النبي صلوات الله عليه بعد رسالته ، ويقول : إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، أى أنه تميز عن قومه ، وانفرد عن جيله الفارق في الظلمات .

ولم يؤثر عن الرسول صلوات الله عليه أنه سلك مصلك أو تلك الحنفاء ، ولا اتبع طريقهم ، ولا حاور في العقيدة ، أو جادل في الدين . بل إن كتب السيرة والحديث تذكر بعض مواقف الرسول من هؤلاء ، وكيف أنه لم يكن يدور بخلافه شيء مما كانوا يعانونه من أمر الدين ، ولم يشتغل بشيء مما اشتغلوا به .

يروى البخارى : أن الرسول لقي زيد ابن عمرو بن نفيل ، وكان مع الرسول غلامه (زيد بن حارثة) فدعاه الرسول إلى أن يأكل معها ، وكان مع الرسول سفرة قدمت إليه

العِلْمُ بَيْنَ السَّلَامِ وَالْخَصَامِ

للأستاذ على الجندی

رسول سلام ، هناء الأنام	وعد فقيراً أخا عيلة
وأمهم بعض أوطاره	و د قارون ، يكبو بمضاره
ينىء إلى ظله الحائرون	فليت الورى عرفوا سره
فيسرون في نور أقداره	فلم يعد جار على جاده
هو المجد فالبس ديايجه	ولا يخزوه لقتل البرى
وكل جبينك من غاره	فأدم حمل أوزاره
تخبر - سبحانه - وصفه	فيا بؤس للعلم في عالم
به ، قدسأى بمقداره	يصير سلاحاً لأشواره
وميز بالفضل أربابه	ويا أسفا للجمال النضير
وأسنى مراتب أحباره	يحول العمى دون لبصاره
فن لم يرد صفوه لم يزل	ويا حرباً لسلام الشعوب
من الجهل يسقى بأكداره	يضام لقلة أنصاره
ومن لم يفتد به لبه	ويستقط من غير ذنب جناء
تفدى بحمأة أوضاره	ذبيحاً بسكين جزاره
ومن لم يسر تحت أعلامه	فما لابن آدم ضل السبيل
طواه الدجى تحت أكساره	فإقباله مثل إدباره
ومن لم يعز به نفسه	وراح يقيه على غيره
رماه الهوان بأحجاره	بدرهمه ، أو بديناره

وبات يصول بأنياه	وعاش على أرضه ناعماً
كوحش ، ويسطو بأظفاره	بروض يمجج بأزهاره
غوى على حال لئساره	ولكنه مولع بالخصام
حتى على حال لعساره	وإن بات يصلى لظى ناره
فلا شر يجمي بإقلاقه	وفيه هوى طام بالفساد
ولا خير يرجي بإكثاره	وإن راح يرقل فى طاره
فتحسأ له ۱۱ شقيت نفسه	هداه إلى رشده ربه
بإثرائه وبإقتاره	فلا يشعل النار فى داره
ولو شاء عز بأرائه	
ولو شاء ساد بأفكاره	على الجندي

هوى الحمى لا يضمحل

كف يحن وليس يالو	صبرا عن اللاتين ولوا
إن يضمحل هوى المها	فهوى الحمى لا يضمحل
كف يزيد ثباته	إن قيل : ذو كف يزل
وجواك يا وطنى له	بيواطن الأحشاء شعل
ذكراك يا وطن الصبي	ذكرائ أرحل أو أحل
	عبد المحسن المكاظمى
	شاعر العرب

من أعلام العرب ... ذو المروءات للأستاذ جمال الدين الألوسي

والفكر والأدب - شهرته اجتمعت له خصال
كريمة غير العلم والفقه أبرزها سماحة النفس ،
وطلاقة السكف ، والنجدة لكل ملهوف
من يعرف ولا يعرف ، كان أحد السيوف
العربية في الذب عن الوجود العربي ، وكان
الحس العربي متغلغلا في نفسه ، يملك عليه
مهاجره وأحاديثه في مائة تغلب على أهلها
الاعاجم من فرس وترك وصقلب ، تلاقى
أهدافها وتوحدت في نقطة تلاق ، هي دفع
العرب عن مراكز القيادة وإبعادهم عن الرياسة
في السياسة والجيش . وكان من خطتهم حمل
الخلفاء إلى التشكيك برجال العرب وعدم
الثقة بهم في بلاط يروج بالدساتير ، ويزدحم
بالخاقدين على العروبة وأهلها .

نصب القاضي ابن أبي دؤاد نفسه حامياً
لمصالح العرب ذاتماً عن رجالهم مبطلاً كيد
أعدائهم . صمد للكائدين ، ووقف لهم بالمرصاد ،
يفسد عليهم مؤامراتهم الدنيئة . كان مؤثلاً
للعجماء من أبناء العروبة ، يرد عنهم كل
مناوئ ، ويتلافى ما يبدر من قادتهم من أخطاء
ويتداركها هذه الخليفة ، وربما تجاوز
به الأمر إلى تعريض نفسه إلى غضب الخليفة
حياً في حفظه مراكز القادة من أبناء العرب

قد يكون من نافلة القول وبدييات الفكر
قولنا بضرورة إحياء ذكر الأعلام
من أسلافنا ، لا سيما وأننا نعيش مرحلتنا
الثورية ، وانطلاقتنا المتحررة إلى وحدتنا
الكبرى بين المحيط والخليج ؛ فنحن بحاجة
ماسة إلى انبعاث تاريخنا وتعريف ناشئتنا
أجداد أسلافهم ، ليقسم أبنائنا خطى أولئك
الميامين الذين كان لهم في ميادين الفكر
والحضارة آثار خالدة ، ونحن في ذكر
أخبارهم لا نزيد ولا نخلق كما يفعل المتعصبون
للعنصرية ، وإنما نسجل الواقع الواضح
الذي لا ينكره إلا شعوب حاقدة أو عدو
حاسد ، وما خلفوا للبشرية قائم في المكتبات
موجود في الشرق والغرب وهو بالتالي وصل
بين حاضرنا المتوثب وبين ماضيها المتألق ،
أحمد بن أبي دؤاد الأبادي :

هو ذو المروءات : أبو عبد الله ، ولي إمرة
قاضي القضاة للعتصم ، وابنه الواثق ، وجالس
من قبلهما المأمون ، وكان من أعلام الفكر ،
وأساطين المعرفة ، لم يسبق لأمير ولا زعيم
أن نال شهرة ، ونباهة ذكر ، وحرمة منزلة .
مثل ما نال ابن أبي دؤاد ، ولم يشتهر هم
من أعلام ذلك العصر - عصر النضج في العلم

إلى المعتصم . فقال له : لقد بلغت رسالة هناك ما أرسلتني بها ، ولكنني اجترأت في إبلاغها لها فيها من مصلحة أمير المؤمنين ، وقص عليه الخبر ، فقال له المعتصم : نعم ما فعلت ، وأسبغ على القاسم أبي دلف نعمته ، وخلع عليه ، وكف يد الإفشين عنه ، وزجره أن يتعرض لسيد ربيعة بسوء . وأبو دلف هو الذي يقول فيه العكوك الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلف

بين يديه وعيضة

فإذا ولي أبو دلف

ولت الدنيا على أهوه

وله موقف مشرف آخر في الدفاع عن سيف آخر من سيوف العرب ذلك هو الأمير : خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني سيد ربيعة ، وعميد بكر ، وابن الفارس بطل آل شيبان وقاهر أرمينيا ، وفارس ، والتركستان (يزيد بن مزيد) أبرز قواد الرشيد ، وقاتل طريف الشاري الذي استشرى أمره واستفحل خطره ، حتى دانت له الجزيرة ، وهدد جيوش الخلافة وتغلب عليها والذي قالت فيه أخت طريف (لا يفلح الحديد إلا الحديد (١)) . وتفصيل الخبر أن المعتصم حاول أن يتخلص من سياسة التوازن بين العرب والفرس واتبع طريقة جديدة غير السياسة التي اتبعها

(١) ورد للائل : لا يفلح الحديد إلا الحديد .

فلقي في سبيل ذلك من العناء والمكروه ما لا يحصى ، وألب عليه خصوما ألداء عرفوا بشراسة الطبع ، وغلظة القلب ، وسوء الخلق ولكنهم رغم تهديدهم ، ورغم مناوأتهم ؛ لم ين عن المعنى في خطته ، وبذل معروفه للدفاع عن بني قومه والسعى لم عند الخليفة ؛ حتى يحفظ لهم مراكرهم . يتجلى ذلك في موقفه المجيد ضد (الإفشين) ، وانتصاره لأبي دلف العجلي ، وكان من زعماء شيبان ؛ بل كان زعيم العرب وقائد كتابهم ، وكان الإفشين زعيم الجند التركي ، وكان يبغض العرب ويبغض دينهم ، ويكيد لأبي دلف ، ويدس عليه عند المعتصم حتى تغير له ، ولفق عليه اتهامات حصل بها الإفشين على موافقة الخليفة لها كتمه محاكمة صورية تنتهي بقتل أبي دلف ، وسبق إلى الجو الكبير مكبلا بالحديد ، فهرع الناس إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد ينقلون إليه الخبر المفزع ؛ تخف لثوه إلى الإفشين ، وراح يستعطفه ، ويلين قلبه ليصفو عن زعيم العرب ، والإفشين لم يزد إلا كبرا وصلفا ؛ فلما ينس منه انقلب مهددا له قال : (إني رسول المعتصم إليك . يأمرك ألا تحدث بأبي دلف حدثا ، وإن مسه سوء ، أو قتل فإنه قاتلك به ، والتفت للحاضرين ، وقال : أشهدوا أني بلغت رسالة أمير المؤمنين ، والقاسم حتى معافي) وذهب من فوره

الرشيذ ومن سبقه من الخلفاء العباسيين فاهتمد على جيش من الأتراك - أخواله - وأسقط أسماء العرب والفرس من ديوان الجند ، ولم يبق من قادة العرب (إلا القليل على رأسهم البطل الشجاع : خالد بن يزيد الشيباني ، وكان سيداً جليلاً ، وكان يقود قبيلته ، ومن حالها في المعامع التي تخوضها الخلافة ضد أعدائها ، والذي يقول فيه الشاعر (أحمد المسكي) .

علم الناس خالد بن يزيد
كل حلم وكل بأس وجود
فقرى الناس هيبة حين يبدو
من قيام وركع وسجود
وبادخال المعتصم العنصر التركي واعتياده
على الجيش الذي أحده منهم اختل التوازن
السياسي ، وضعفت كفة العرب لولا بقية
من قوة كان يمثلها خالد بن يزيد وقبيلته ؛
فأراد قادة الأتراك دفع هذا البطل وإبعاده
عن البلاط العباسي وكانوا يكيدون له لدى
المعتصم وأوغروا صدره على خالد فجلس
المعتصم لعقوبته ، وكان ابن أبي دؤاد يذود
عن هذه القبيلة ، ويناصر قاداتها ، ويرى فيهم
الكهف الذي إليه يلجأ العرب أمام طغیان
الجيش التركي واستفحال أمره ؛ فخف لنصرة
القائد العربي ونافع عنه ، واستعطف المعتصم ؛
فلم يجبه ، وألح في الرجاء فلم يلب الخليفة .
فلما انعقد مجلس الخليفة لمحاكمة سيد بني شيبان
دخل القاضي ابن أبي دؤاد ، وجلس في منزلة

دون منزلته التي اعتادها ؛ فقال له الخليفة :
يا أبا عبد الله جلست في غير مجلسك ، فقال :
ما ينبغي لي أن أجلس إلا دون مجلسي هذا
فقال الخليفة : وكيف ؟ قال : لأن الناس
يزعمون أنه ليس موضعي موضع من يشفع
في رجل فيشفع ، قال : فأرجع إلى مجلسك ،
قال : مشفعاً أو غير مشفع ؟ قال : بل مشفعاً ؛
فارتفع إلى مجلسه ثم قال : إن الناس لا يعطون
رضى أمير المؤمنين عن خالد ، فأمر المعتصم
بالخلع عليه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ،
قد استحق هو وأصحابه أعطيات ستة أشهر
فإن أمرت لهم بها في هذا الوقت . قامت
مقام الصلاة ، فقال : قد أمرت بها ، فخرج
خالد ، وعليه الخلع ، والمال بين يديه ،
فصاح به رجل من العرب : الحمد لله
على خلاصك يا سيد العرب ، فقال له خالد :
اسكت سيد العرب - واقه - أحمد بن أبي دؤاد
روى الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه
قال : كان يقال : أكرم من كان في دولة
بني العباس البرامكة ، وابن أبي دؤاد .

ولماته لحري بالعلماء والمستشارين الذين
يتصلون بالحكام أن يسيروا سيرة أحمد بن
أبي دؤاد ويتخذوا من قريتهم ودنوا منزلتهم
وسيلة لرفع مظلمة أو لإحقاق حق ؟

جمال الدين الأتوسي
عضو جمعية المؤلفين والكتاب

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للاستاذ بدر عبد الباسط

— ٤ —

لإزاء الاحتجاج بها - هل يجوز تخصيص النص بها أو نسخه ؟
وقبل الشروع في هذا البحث لابد من مقدمة لا يمكن فهم الموضوع فهما سليا إلا بذكرها .

الشريعة الإسلامية لأنها خاتمة الشرائع الإلهية جاءت كافلة لمصالح البشر على اختلاف الأعصار والأماكن وذلك لأن من أصولها دوره المفاسد وجلب المصالح ، والشاوع لم يعتبر كل مصلحة ، بل ألغى بعض المصالح لأن الشر المقارن لها أعظم من الخير المرجو منها .

والمصالح لها مراتب ثلاث :

١ - ضرورات : وهي ما لا يمكن الاستغناء عنها وهي ترجع إلى المحافظة على خمسة أمور ، وهي : الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

٢ - حاجات ، وهي ما تدعو الحاجة إليها ويمكن الاستغناء عنها بمشقة ، وتعتبر مكلة للضرورات ، والتشريع - بصدها - يرجع إلى رفع الحرج عن الناس ، وتخفيف مشاق التكليف عنهم .

انتهيت في المقال السابق إلى بيان مدى تطور الأحكام الشرعية التي لها مساس بالعرف والعادات ؛ وقبل أن تنتقل إلى الموضوع الثاني وهو المصالح المرسله أحب أن أعلق على اعتبار العرف والعادة في نظر الشرع بعبارة جامع لابن القيم الجوزية وهي : « إذا جاء رجل من غير إقليمتك يستفتيك فلا تجره على عرف بلدك ، وسله عن عرف بلده فأجره عليه ، وأفته به دون عرف بلدك والمذكور في كتبك ، ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف هرفهم وعاداتهم وأزممتهم وأمكنهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل ، اهـ .

وطبعا هذا إذا لم يكن في المسألة المستفتى عنها نص يعتمد عليه شرعا .

وقد بينا في مقالنا السابق آراء الفقهاء في تخصيص النص بالعرف .

واليوم نعرض لموضوع من أخطر أبواب استنباط الأحكام الشرعية ألا وهو موضوع (المصالح المرسله) وسيتناول بحثا فيه ما يأتي : تعريف المصالح المرسله - موقف الفقهاء

دهيتهم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبي فليستحي منكم والله لا يستحي من الحق ، .
 فاقه - سبحانه - صرح في هذه الآية بأحكام وبين وجه تشريعه لهذه الأحكام .

فقد حرم الله - جل شأنه - دخول بيوت النبي صلوات الله وسلامه عليه إلا بإذنه ، كما أوجب الخروج بعد تناول الطعام ، وحرم المكث لمجرد الاستئناس ؛ وعلل الله ذلك بقوله « إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم » ، فإيذاء النبي وصف موجب لتحريم كل ما من شأنه إيذاؤه صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن الهرة تشرب من الإناء « إنها من الطوافين عليكم والطوافات » ، فهذا الوصف اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم موجبا لطهارة ثور الهرة (٢) .

ويلحق بهذا اللون من الأوصاف تعليق الشارع الحكم على مشتق كقوله تعالى « والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ، فإن الجلد مطلق بوصف هو الزنى وهو وصف مناسب للعقوبة .

وكقوله صلى الله عليه وسلم « ليس للقاتل ميراث » ، فإن القتل وصف مناسب للحرمان من الميراث ، لكونه تعجل أمراً قبل أوانه فناسب أن يعاقب بمحرمانه .

٣ - تحسينات ، وهي ما لا يرجع إلى ضرورة وحاجة ، ولكن تقع موقع التحسين والتزيين ، والتشريع - بصدها - يراعها لما فيها من الترفيه عن الناس ما لم تعارض ضرورة أو حاجة ، وهي تعتبر - في الجملة - متممة للحاجات ، وأكثر ما يتصل بهذا اللون من التشريع يعود إلى مسكارم الأخلاق ومحاسن الشيم التي ينبغي أن يتصف بها المسلم . ثم أن المصالح - بالنظر إلى اعتبار الفاعر لها - تنقسم - في الجملة - إلى أربعة أقسام .

القسم الأول : مصالح اعتبرها الشارع وأدار الأحكام على مقتضاها ، ويسمى هذا القسم - عند الأصوليين - بالوصف المناسب المؤثر ، وعرفوه بأنه الوصف الذي رتب الشارع حكماً على وفقه ، وثبت بالنص أو الإجماع اعتبار هذا الوصف علة للحكم الذي رتب عليه ؛ كقوله تعالى « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا الأنساء في المحيض ولا يقربوهن حتى يطهرن » ، فأنت ترى أن القرآن صرح بأن الأذى هو علة تحريم قربان الحائض ، ولا يخفى عليك مناسبة هذا الوصف لهذا الحكم .

ومن ذلك قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه » (١) ولكن إذا

(١) أى غير منتظرين نفضجه .

(٢) السور : ما يتبقى بعد شرب الإسهال أو الحيوان

مثال أول لتوضيح هذا التعريف .
 الصغر : اعتبره الشارع مناسباً لثبوت
 الولاية في الأموال وهذا ثابت بالإجماع وقد
 ورد عن الشارع أنه جعل للاب ولاية تزويج
 ابنته الصغيرة البكر ؛ ولم يرد عن الشارع
 نص كما لم يرد لإجماع أن أحد هذين الوصفين
 حلة لهذا الحكم وكلا الوصفين مناسب للحكم
 ويمكن الإجماع على ثبوت الولاية في الأموال
 للصغر ، وهما من جنس واحد فكان الصغر
 أنسب لثبوت ولاية التزويج من البكارة
 وأكثر ملائمة له ؛ وهذا ما ذهب إليه
 الحنفية ؛ وذهب الحافعية إلى اعتبار البكارة
 هي حلة الولاية في التزويج لأن البكارة مظنة
 الحياة وعدم معرفة أحوال الرجال ؛ ولكل
 وجهة ؛ كما ترى .

مثال ثان : قياس القتل بمثقل على القتل
 بمحدد في وجوب القصاص فقد ثبت بالنص
 وجوب القصاص في القتل بمحدد لعله هي
 إزهاق نفس بريئة عمداً وعدواناً وهذه
 العلة نفسها موجودة في القتل بمثقل .

وهذا واضح ؛ وخلاف أبي حنيفة رضي
 الله عنه في هذه المسألة ليس لعدم وجود هذه
 العلة الموجبة للقصاص ، ولكن - كما نقل عنه
 أن المثقل لم يوضع - بطبعه - للقتل ؛ فكان
 هذا القدر شبهة يدرأ بها القصاص ولكن هل
 نسلم هذا أليست الصخرة الكبيرة من شأنها

وقد يكون الوصف معتبراً من الشارع
 وثبت اعتباره بالإجماع ، كالصغر ، فإنه
 قد قلم الإجماع على اعتباره حلة للولاية
 في الأموال ، ومثله الجنون والعته .

وهذا اللون من الأوصاف المشتملة على
 المصالح أجمع العلماء على اعتبارها في استنباط
 الأحكام الشرعية ، حتى أولئك الذين
 أنكروا القياس ، وفروا من تسميته قياساً
 إلى أسماء أخرى ، ولا يعني هذا في بحثنا
 ولكن المهم هو ما قررناه من أن هذا اللون
 من الأوصاف من أم مصادر معرفة الأحكام
 الشرعية ، وبما أجمع على اعتباره .

النص الثاني : ويعرف عن الأصوليين
 والفقهاء بالوصف المناسب للملائم ، وهو
 الوصف المناسب الذي رتب الشارع حكماً
 على وفقه ، ولم يثبت بالنص أو الإجماع
 اعتباره بعينه حلة لنفس الحكم المترتب عليه
 ولكن ثبت بالنص أو الإجماع اعتبار هذا
 الوصف حلة لحكم آخر من جنس هذا الحكم
 أو اعتبار وصف آخر من جنس هذا الوصف
 حلة لهذا الحكم بعينه أو اعتبار وصف من
 جنسه حلة لحكم آخر من جنس هذا الحكم .
 ولتوضيح هذا الوصف وهذا التعريف
 أضرب لك الأمثال ليتضح لك هذا اللون
 وطبعاً متذكروا القياس لا يعرفون هذا اللون
 من الاستنباط للأحكام .

معنويات الولد وقضاء على التشرد - كما قيل فوجب أن يباح .

وإن الفقر أو الخوف منه صالح لأن يكون هلة لتحديد النسل بعد أن ألغى الله هذا الوصف في حكم من جنسه وهو قتل الأولاد « خفية إملاق » .

وأمثله هذا القسم كثيرة ؛ وكأن كل الآراء المنحرفة التي تنادى بعدم التقيد بحكم الله تتبع هذا اللون من الأوصاف التي ألغاهما الشارع ولم يتم وزنا لها ولا لها فيها من جلب نفع أو دفع ضرر ؛ لأن ما تغطى عليه من شر أكثر وأندح .

وهذا الوصف لا يصلح أن يكون هلة التشريع ما لأنه حكم الهوى والغرض وإبطال للشرعية من أساسها ؛ فلا يجوز أن يعول عليه .

القسم الرابع :

الوصف المناسب المرسل : وهو الوصف

المناسب لأن يدار عليه حكم من الأحكام ولكن

الشارع لم يرتب حكماً على وفقه ولم يدل دليل

على اعتباره أو إلغائه ؟ فهو مناسب أى يحقق

مصلحة عامة ، ومرسل أى لم يعتبره الشارع

ولم بلغه ؛ وذلك كضرب تقود للتعامل وتدوين

الدواوين وتسجيل عقود النكاح والملكية .

وهذا القسم هو ما نريد أن فكشف اللثام

عنه ؛ في العدد الآتي إن شاء الله تعالى ؟

ببر المتولى عبد الباسط

القتل ؟ ثم ألم يرضح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس اليهودية التي رخصت رأس أخرى ؟

مثال ثالث : ثبت عن الشارع جواز جمع

الصلتين في الإقامة حالة المطر ؛ ولم يرد نص

أو إجماع أن المطر هلة للجمع ؛ وثبت أيضاً

جواز الجمع في السفر ؛ والهلة المظنونة في كل

هو أن كلا من المطر والسفر مظنة المصفة

فطنة المشقة إذن تصلح للتعليل لإدارة الأحكام

الشرعية المشقة عليها .

هذا والأمثلة كثيرة ؛ وهذا القسم من

الأوصاف المناسبة يفتح لنا آفاقاً واسعة

رحبة لتطور الأحكام وسعة فطاق الفقه

الإسلامي واستيعابه لألوان كثيرة من

الحادثات التي ليس فيها نص ولا إجماع .

القسم الثالث : الوصف المناسب الملغى وهو

الوصف الذي نظن - نحن - أن بناء الحكم

عليه فيه تحقيق مصلحة من جلب نفع ودفع

ضرر ولكن الشارع ألغى هذا الوصف وأبطل

صلاحيته لهذا الحكم أو الحكم آخر من جنسه

وأمثله هذا الوصف كثيرة كقول بعض

الناس : إن الابن والبنت يقساويان في القرابة

من الوالدين فوجب أن يقساويا في الميراث .

وأن المرأة والرجل يقساويان في الآدمية

فوجب أن يقساويا في الحقوق والواجبات

وكل التشريعات .

وأن التبني لغير أولاد الإنسان فيه رفع

شريعة الصيام بين المسلمين وغيرهم

للأستاذ على الخطيب

ولا يجوز لمسلم أن يحتاط لرمضان بصوم يوم قبله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام يوم الشك فقد عصا أبا القاسم ، كما لا يجوز صيام يوم العيد عقبه ، فقد حرمت الشريعة صيام يوم العيد ، وهكذا نجد رمضان ، شهر الصيام ، قد صار في حصن حصين ، لا تهب عليه ريح الفتنة ، أو تغوشه أغراض الهوى ، فلا يفتى فيه بزيادة ، ولا يرتخص فيه بنقص ، وتلك ميزة التشريع في الإسلام ، وإنه ليحق أن نقسأ - في معرض الصوم - من سر لإحكام التشريع فيه ... ؟ ولماذا عني القرآن الكريم بالتفصيل في أمره ؟ ولماذا أوحى إلى الرسول بتحريم صيام يوم الشك ، فما يعلق محمد صلى الله عليه وسلم عن هوى . هل كان ذلك لأن الصيام أفضل للعبادات ؟ إن أفضل العبادات الصلاة ؛ فهي أدم طويق إلى الله ، تلزم المرء ويلازمها حتى يلتقي الله . فهي خير عبادة ، وأعظم شعيرة .

فهل مرجع ذلك أن يكون الصيام شرعة في الإسلام وحده ... ؟

إن الصيام فرض على السابقين . وليس في الإسلام وحده ، والقرآن صريح في ذلك . إنما في الأمر سر يعرفه التاريخ ، وإنه

فصل القرآن الكريم أحكام الصيام تفصيلاً أحاط بخطوطه العامة فأبرزها . وتناول شرعته فجلاها ، حتى استوت وضوحاً لدى صغير المسلمين وكبيرهم ، وعالمهم وجاهلهم ، فليس بين من أدرك التمييز منهم من يجهل بين الصوم ونهايته ، أو فضله وغايته .

ففي بيان فرضه ، واحتمال البشرية له ؛ يقول تعالى مخاطباً المؤمنين برسالة القرآن : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » . ويبين القرآن وقت الصوم ، وبأسر به ؛ فيقول : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، فن شهد منكم الشهر فليصمه .

وإذ ينتهي القرآن من بيان فرضه ، وتعيين وقته ، يأخذ في بيان كيفية سالكاً في ذلك طريق صريح اللفظ ومفهومة على السواء ، فبين ما حل بليل من جماع ، وطعام وشراب ثم عقب بتحريم ذلك نهائياً إلى الليل فقال تعالى :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، ومفهوم الآية حرمة الرفث بالنهار في رمضان .

ثم يقول : « ... وكلوا واشربوا حتى يقين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ... » .

وليس الاستبدال كل ما تعرض له الكجور
فللنسيء معه شأن آخر ، ذلك أن اليهود
يعتمدون التأريخ بالشهور القمرية ، غير أنهم
يزيدون شهرا كل ثلاث سنوات قمرية ،
يسمونه « أدار الثاني » ، فالسنة الثالثة
كبيدة دائما بنسبتها ، حتى لتبلغ نحو أربعة
وثمانين وثلاثمائة يوم ، وذلك حرصا منهم
على أن يقع رأس سنتهم دائما بين شهرى .
سبتمبر وأكتوبر الشمسيين ، وبسبب هذا
النسيء استحال أن تتقدم سنتهم فتقع في
أغسطس ، أو تتأخر فتقع في نوفمبر ، وليس
هذا النسيء من تعاليم العهد ، فالعهد - حتى
المتداول - يرى أن تلك الفعلة ، والله منها
برىء براءة موسى عليه السلام ، وقد ترتب
على هذا النسيء أمران في « الكجور » :

(أ) أن يقع يوم الكجور دائما في غير
يومه من السنة القمرية .

(ب) أن يسقط يوم الكجور كلية بفضل
ما يتجمع على مدى السنين من زيادة هذا
الشهر ، وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن
ندرك أن كل ست وثلاثين سنة قمرية عند اليهود
هى في الواقع سبع وثلاثين سنة ، وتلك السنة
الزائدة يسقط فيها الكجور . وهكذا كان
هذا النسيء زيادة في الكفر بما يضييع من
طاعة ، ويسقط من فريضة ، ويضل عن
صواب ، وحجتهم فيه داحضة عند ربهم .
فليظن المسلم إلى ما فعلت يهود ، وليظن

ليمرد علينا عجبا من أمر الصيام بين أهل
الشريعتين السالفتين على الإسلام .

وفي هذا التاريخ الجواب عن سر القرآن :
صيام اليهود :

يقول اليهود : إن الله فرض عليهم صيام
يوم واحد هو : يوم الكجور ، ويسمونه
بيوم الغفران أيضا ، كما يسمى بعاشوراء
اليهود ، ويقع في العاشر من شهر « تشرى »
ويدعون أنه لا فرض سواه ، وما عداه
إنما هو نفل يتبع الرغبة ، ويناط بالاختيار .
ونحن نقول في وضوح :

إن نصوص العهد المتداولة لا تعطى نصا
يقصر « الفريضة » على يوم الكجور ، كما أن
ما ورد في ذلك العهد بسفر اللاويين (١٦ - ٢٩
إلى ٣٤) ويعتمدون عليه كدليل على فرض
الكجور - لا يحمل نصا صريحا بالصيام
مناطاً به فرض يوم واحد ، ومع هذا فلننظر
مصير يوم الغفران هذا بين يدي اليهود !
هل حافظوا عليه أم ضيعوه ... ؟
أقد أحدث اليهود فيه « استبدالا » ، كما
أحدثوا به « إسقاطا » .

فأما الاستبدال ، فقد وقع باشرطهم أن
يصوموا « الكجور » في غير جمعة أو أحد
أو ثلاثاء ، فإذا وقع العاشر من تشرى
واحدا من هذه الأيام استبدل باثنين
أو أربعا أو غير ذلك . وليس في الأسفار
المنسوبة لموسى عليه السلام ما يبين لهم ذلك .

والأرثوذكسية كلناهما رافعا ، الإنجيل ، من طريق تشريع الصيام ، واعتباره ، تشريعا كنسيا ، تحده الكنيسة بالزمان والمكان وتختار كيفيته . وتشير بيده ونهايته ، فهي « بأمره ، أدري د و ب مصلحة الأفراد ، أرعى وإليها المرجع ولما ل في أحكام الصيام . ولما كانتا كلتاهما تستقل بالتشريع اختلفتا في وقت الكف اليومي .

فقررت الكاثوليكية وقت الكف ابتداء من منتصف الليل إلى منتصف النهار .

وتركت الأرثوذكسية وقت الكف بيد الراعي أبى الاعتراف الذى يدرك حدود الانقطاع ، ويعلم مصلحة الصائم فيقرر له الوقت الصالح له من ليل أو نهار .

وختمت البروتستنتية الجسولة بإنكار فرضية الصيام ، مدفوعة في ذلك بفلسفتها الكهنوتية في محاربة البابوية وأوامر الكنيسة فأسقطت بدورها فرض الصوم عن الاتباع وناطت أمره بالرغبة وحدها وتركت وقت الكف بيد الأفراد يصومون متى أطلقوه فإن ضاقوا به تركوه ونهضت الاتباع البرقسنت من غير رجال الدين أو منهم فاتهموا لعقيدتهم بنصوص لمن بعد المسيح تدل لأهم وتسخر بصفة خاصة من الرهبنة والصيام عن الحيوان وتناجه . ومن أمثلة ذلك قول مفسوب لبولس يقول فيه :

مرائين ينطقون بالكذب ، وضائرم

بعد في كتاب عقيدته ، وليتصفح آيات الصيام في القرآن ليدرك من أسرار التفصيل والبيان إعجاز القرآن في صيانة العبادة ، وحفظها إلى يوم الدين ، فقد برئت الشهور الإسلامية من الفسء ، وبريء رمضان من السقوط والاستبدال ، بفضل تلك الآيات اليبينات التى أحكمت أمره ، وفصلت شأنه ، وجعلته هدى للناس لعلمهم يتقون .

صيام المسيحيين :

ليس من شك في أن الله فرض الصيام على أمة المسيح . ولا جدال بين أقدم طائفتين مسيحيتين في ذلك ، وقرآن شاهد صدق في القضية ، فالنصارى هم أصحاب الرسالة السالفة للإسلام مباشرة ، وقضية القرآن في فرض الصيام عليهم واضحة : « كما كتب على الذين من قبلكم ، وإذا خرج غير المسيحيين من السابقين على الإسلام من هذا الحكم بتأويل ، فإن حرفية النص قاصرة على المسيحيين في كل تفسير .

فما أمر الصيام فيهم ١٩٠٠

وإذا كان أمر الصيام قد ذكره القرآن للمسلمين جملة وتفصيلا ، فهل الصيام في المسيحية مرده الإنجيل أوه الاناجيل ، المتداولة ؟ وهل هي (صاحبة) فرضه ، ومقررة أمره ، والهادية لأحكامه ، والمشييرة بأيامه ، والقاضية بوقت الكف فيه ؟ او المانة مطعومه ومشروبه ١٩٠٠ الجواب في وضوح : لا

إن الطائفتين المسيحيتين : الكاثوليكية .

نقول : إن صيام موسى عليه السلام من العبادات التي أقرها المسيح، ولم يبلغ المسيح صلوات الله عليه كيفية صيام موسى عليه السلام ... وإلا ... فأين الدليل ؟ وبخاصة والعهد القديم - معتمد عليه في التعليم فلم تهمله أي الكنائس وهل موسى عليه السلام لم يصم في حياته غير صيام الجبل ٤٠ .

هل أن بدهية الخلو للروح وحدها وقت الصيام أنما يتم بالكف عن لذات الجسد جميعا . وتلك ميزة الصيام، ولا صيام بدونها والحجة قائمة ، والدليل موجود ، فلم المروق ... ؟ ولأنه ليحق لنا في ختام هذا البحث أن نقاسم . هل حفظ أهل الكتاب فرض الصيام ؟ أو حفظوا أحكامه ... ؟ . أو حفظوا أوقاته ؟ . أو احتراموا فيه مسلك أنبيائهم ؟ . اللهم ... لا .

لكن الإسلام ، خاتم الرسالات حفظ الأحكام والحدود ، وقام أتباعه على السمع والطاعة ، يستقبلون رمضان ، فيؤدون الصيام فيه مستبشرين ، محافظين فيه على عهد الله وأحكامه ، حتى صار زخرا لم جلب رضوان الله ورحمته ، فن صام رمضان إيمانا واحسابا بغفر له ما تقدم من ذنبه كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون .

على الخطيب

بجمع البحوث الإسلامية

مكوية، ويمنعون عن الزواج ، وعن أكل أطعمة خلقها الله ليتناولها بشكر كل من آمن وهرف الحق .

وينسب له أيضا هذا القول :

« فلا يحكم عليكم أحد في المأكول أو المشروب ، أو من قبيل هيد أو رأس شهر أو سبوت .

ولقد اعتبرت الفرق الثلاث ، والاتصال الجنسي ، غير مفسد للصوم ، وهذا العمل منهم ليس تشريعا إنجيليا أيضا ، ولا يرجع إلى العهد القديم ، وإلا فصيام موسى وعيسى عليهما السلام وهما ورادان بالعهدين لاجنس فيهما على الإطلاق .

فوسى صام أربعين يوما بالجبل قضاها منفردا عن أهله في لقاء ربه يتلقى فيها ألواح التوراة وعيسى عليه السلام صام أربعين يوما كذلك ، وكان عليه السلام حصورا .

ولئن اعتبر (العدد) ليس بفرض عليهم فسا من شك أن (كيفية صيام الرسول) يجب أن تؤخذ بالاعتبار ، وأن تكون هي النهج المعمول به لأنه قدوة التشريع وتلك الكيفية كانت امتناعا عن المأكول والمشرب والمنكح قد يقال : إن عيسى عليه السلام كان حصورا من قبل الصيام ومن بعده ، فلا يعتبر الامتناع عن الجنس قائما من أجل الصيام ؟ وبالتالي ، فالجنس لا علاقة له بالصيام ؟ .

من ذكريات رمضان

معركة عين جالوت

للدكتور محمد شمس الدين

تقف زحفهم ، وتعترض طريقهم ، وكان طبيعيا ، أن يتجه التتار بعد ذلك إلى مصر وهي آخر معقل للإسلام في الشرق وكانت مصر في ذلك الوقت تحت سلطان المماليك ، يحكمها سيف الدين ، وما لبث هذا السلطان أن تلقى من هولاكو الرسالة التالية تحمل كل معاني التهديد والاستخفاف :

« من ملك الملوك شرقا وغربا القان الأعظم .

باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء .

يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الأقليم يتمتعون بأنعامه ، ويقتلون من كان سلطانهم بعد ذلك . يعلم الملك المظفر وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال أننا جند الله في أرضه خلقنا من سخطه وسلطاننا على من أحل عليه غضبه فسلوا إلينا أموركم قسما أو قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا وقد عرفتم أننا خربنا البلاد وقتلنا العباد فلنكم هذا الحرب ولننا خلفكم الطاب فإلکم من سيوفنا خلاص : وخيولنا سوابق ، وسيوفنا قواطع

من المعارك الحربية الهامة في التاريخ معركة عين جالوت لما كان لها من آثار خالدة في حياة الإسلام والمسلمين . وذلك أن التتار بقيادة هولاكو جاءوا من أواسط آسيا ، وواصلوا زحفهم ، يخربون ويدمرون ويضربون مراكز العلم والأدب ، واستطاعوا في فترة وجيزة أن يسيطروا على أغلب أقاليم العالم الإسلامي ، واستعملوا كل أساليب التعذيب والقسوة ، وسفكوا الدماء ، وقتلوا الأبرياء وفتحوا بغداد ، وكان لسقوطها في أيديهم وقع أليم في نفوس المسلمين ، كما قتلوا الخليفة المعتصم وطائفة من آل البيت العباسي وكان في مقدور الخليفة أن يرد هذا الخطر الداهم ، والشمر الزاحف ، ولكن جو التفكك والانحلال الذي كان يسيطر على الخلافة العباسية في ذلك الوقت كان يبشر بهذا المصير المؤلم ، واستولى التتار على بلاد الروم وديار بكر وربيعة ، وأخضعوا بلاد الشام كلها ، وقد تركت هذه الانتصارات المتتالية أثرا عميقا في نفوس الناس واعتقدوا أن التتار قوم لا يغلون ، وأنه لن تستطيع أمة أن

وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين^(١) . وقد كان لهذه السمات أثرها البالغ في نفوس الأمراء ؛ فقد أثارت فيهم الحمية وملأت نفوسهم بالقوة ، ونزعته منها كل عوامل الجبن والتردد وانتظموا بدأ واحدة تحت إمرة قائدهم .

أما هولاء فقد جاءته الأخبار وهو في حلب ب وفاة (خان التتار) الأعظم فاضطر إلى العودة مسرعا إلى قلب آسيا ليشارك في اختيار الرئيس الجديد تاركا جيشه في الشام إلى قائده (كيتبا) في عشرة آلاف مقاتل . تقدم الأمير بيبرس البندقداري يتود طلائع المصريين قاصدا فلسطين بينما كانت حامية صغيرة من التتار تحتل غزة بقيادة (بايدر) فهزمها بيبرس وطاردها حتى شاطئ نهر المعاصي ، وقد سمح الفرنج في هكا للصريين بأن يعبروا أرضهم ويمونوا أنفسهم منها يقول المقرئزي :

د ثم نزل السلطان بالعساكر إلى غزة ، وأقام بها يوما ثم رحل عن طريق الساحل على مدينة هكا وبها يومئذ الفرنج فخرجوا إليه بتقادم ، وأرادوا أن يسيروا معه نجدة فذكرهم ، وأخلع عليهم ، واستحلهم الا لا يكونوا لاله ولا عليه ، وأقسم لهم أنه متى تبعه فارس أو راجل يريد أذى عسكر

وقلوبنا كالجبال وهددنا كالرمال ومن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم ، فإن أنتم لشرطنا وأوامرنا أطعتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، فقد أهدر من أقدروقد ، ثبت عندكم أننا كفرة ، وثبت عندنا أنكم الفجرة فأسرهوا إلينا بالجواب قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترميكم بشارها فلا يبقى لكم جاه ولا عز ولا يعصمكم منا جبل ولا حزن فسا بق لنا مقصد سواكم والسلام علينا وعليكم وعل من اتبع الهدى ، وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى^(٢) .

هذه هي رسالة هولاء وقد حرصنا على إثباتها كاملة لندرك منها طبيعة هؤلاء القوم ومقدار ما فيهم من توحش وغلظة وغرور واستهتار .

تسلم قطور رسالة هولاء ، وجمع الأمراء واستشارهم ، وقتل الرسل ، وعلق رؤسهم على باب زويلة ، ولقد أبدى بعض الأمراء تكاسلا وثاقلا حينما جد الجهد ، ودنت ساعة الجهاد ، فما كان من قطور إلا أن قال لهم في سخريه لاذعة :

(يا أسراء المسلمين : لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للفراة كارهون وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبني ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته فإن الله مطلع عليه

(١) السلوك للمقرئزي ج ١ ق ٢ ص ٥٢٩ .

(٢) صبح الأعشى ج ٨ ص ٦٣ - ٦٤ .

صادقة على عدوهم أسفرت بعصدها المعركة عن هزيمة التتار لأول مرة في حياتهم ، وقد استطاع المصريون أن ينتقموا منهم وينكسروا بهم ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً قارب النصف (١) وتعلق من سلم برءوس الجبال فقبضهم المسلمون وأبادوهم ، وطاردوا من فر منهم إلى أطراف البلاد الشرقية ، وقد وقع قائد التتار (كتبغا) أسيراً بعد أن قاتل بشجاعة منقطعة النظير ، وقد قال له قطز حينما مثل بين يديه : (أيها الرجل الناكث للعهد ، ما أنت بعد أن سفكت كثيراً من الدماء البريئة ، وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعود الكاذبة ، وهدمت البيوتات العريقة بالأقوال الزائفة المزورة ، قد وقعت أخيراً في الشرك) (٢) فرد عليه القائد التتري رداً فيه القوة والجرأة وعدم المبالاة بالصير المنتظر : (إني إذا قتلت على يدك فإني أعلم أن ذلك من الله لا منك فلا تتخذه بهذه المصادفة العاجلة ولا بهذا القدر العابر فإنه حين يبلغ هولا كوخان نبأ وفاتي سوف يغلي غضبه ويستطأ صنادك خيل المغول البلاد من أذربيجان حتى ديار مصر ، إن هولا كوخان ثلاثمائة ألف فارس مثل كتبغا ، فافرض أنه نقص واحد منهم. فقال له قطز: لا تفخر

المسلمين رجع وقاتلهم قبل أن يلتقي التتار (١) .

وحينما وافت الأنباء قائد التتار (كتبغا) بهزيمة (بايدر) ثارت ثائوته ، وتمسكه الغضب وعزم على الانتقام معتزلاً بقوة وكثرة جيشه .
وإسلاماه :

تجمع المصريون عند أسوار عكا ، ثم انجهموا نحو نهر الأردن ، وتقدم (كتبغا) يقود جيشه ومعه بعض النجيدات الأرمنية والتقى الجمعان عند (عين جالوت) (٢) حيث دارت المعركة حامية ، واستحرق القتال ، واستبسل المصريون ، واندفعوا نحو أعدائهم يعملون فيهم سيفوفهم ضرباً وتقتيلاً وأظهروا من ضروب الشجاعة والإقدام ، ما يجعل عن الوصف ، ولقد حدث أنساء المعركة أن اضطرب جناح من أجنحة المصريين وانتفض طرف منه ، فالتى الملك المظفر قطز خوذته من رأسه إلى الأرض وصرخ بأعلى صوته قائلاً : (وإسلاماه) فكان لهذا الصوت المدوي في أرجاء المعركة صدى العميق في نفوس المصريين ، إذ ألهم شعورهم ، وأذكى فيهم روح الحساس والتضحية ، وذكروهم بما ينبغي عليهم نحو دينهم ، فحملوا حملة

(١) اللقريزي الخطاط ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٢) أبو القدا ج ٣ ص ٢٥٤ .

(١) السلوك اللقريزي ج ١ ق ٢ ص ٣٣٠ .

(٢) بلدة بين نابلس ونيسان من أعمال فلسطين

على الإسلام حتماً مقضياً والتغير مجرى التاريخ وبخاصة أن الصليبيين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر ويتحينون الفرص للتحالف مع التتار ليكونوا جبهة واحدة ضد المسلمين ، وقد استحققت مصر بعد هذه المعركة زعامة العالم الإسلامي من جدارة ! وأصبح العالم ينظر إليها نظرات الإكبار والإجلال إذ أنها الدولة الوحيدة التي استطاعت أن تزدود عن الإسلام ، وتدفع عنه شر الصليبيين وخطر التتار ، بما يدل على أصالة هذا الشعب وعراقته في السكفاح والنضال وتعشقه للحرية وبذله النفس والنفيس في سبيلها ، وتضحيته بالأموال والأرواح في سبيل عزته وكرامته بل وفي سبيل عزة العرب قاطبة والآلة الإسلامية جمعاء .

وقد كانت هذه المعركة الموقعة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ستائة وثمان وخمسين وكما نهر الله في هذا الشهر العظيم المسلمين الأولين في غزوة بدر وأثابهم فيه فتح مكة أنعم على المصريين بالفوز والظفر في معركة عين جالوت .

(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

عماد محمد شيبك:

مدرس بالمحلة الكبرى الثانوية للبنين

إلى هذا الحد بفرسان توران فإنهم يزاولون أحماهم بالمسكر والخسداح لا بالرجولة والشهامة) .

وكانت آخر صيحة (لكتبغا) أن سب سلاطين المماليك الذين ترفهم الصدف ، ويتخذون من قتل سادتهم وسيلة للوصول إلى الملك ثم أشاد بوفاء بني جنسه ، ومدى احترامهم للقانون فقال : إني كنت عبداً للملك ما حييت ، ولست ما كراً وغادراً ، وقاتلاً لمولاه ، بادر بالقضاء على بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع تأنيبك ، فأصدر قطار على الفور أمره فأحتزت رأسه ، وطيف بها في البلاد (١) .

ثم واصل قطار سيره بالجيش حتى دخل دمشق دخول الفاتح المنتصر ، وبهذا النصر دخلت الإمارات في سوريا من الفرات حتى حدود مصر تحت حكم المماليك .

وتعتبر موقعة عين جالوت من المواقع الحاسمة في التاريخ لأنها أول هزيمة لمولاه للبرابرة المتوحشين ، ثم إنها أزال الحرافة التي استقرت في أذهان الناس ، وجعلتهم يعتقدون التتار قوم لا يغلبون ، ووقفت صداً منيعاً دون تقدم التتار إلى مصر ، لأنهم لو انتصروا في هذه المعركة لكان القضاء

(١) لقول التاريخ للكتور فيو أدا الصياد ص ٢٠٧

فجر الفكر الإسلامي في مصر

للأستاذ عبد الجليل شلبي

- ٢ -

البلاد على دينه المسيحي ، وكثيرون من أبناء
الفرس أسلموا ظاهراً وأبطنوا عقيدتهم التي
كانوا عليها - ولاسماً ما ظهرت الزندقة بقوة
في العراق دون غيره ، ونظمت فيه حركة
سرية للوالمى ، كان عمر بن الخطاب ضحيتها ،
وفي العصر العباسى كان مظهر المجون والخروج
على وقار الدين ، ولم يحدث شيء من هذا في
مصر - ومع هذا تأخرت حركة الفكر فيها .
لا يفنى في مقام التعليل لهذه الظاهرة ،
أن نعلق أهمية كبيرة على سبق الفتح - فقد فتح
الإفليان قبل مصر بأقل من عشرة أهوام ولكن
سبقهما بأكثر من ذلك بكثير في حركة الفكر .
وأهم سبب دعا إلى ذلك في نظرى هو مسألة
اللغة - فقد كانت اللغة العربية أشد غربة
على المصريين مما كانت على الآخرين .

أما الشام فكانت تشارك مصر حقاً في صفة
الحكم ، واللغة الرسمية في الإقليم هي اللغة
اليونانية حتى في العهد الرومانى كما كانت توجد
الرومانية أيضاً ، ولكن الشام كانت تتوزع
بأرضها لغات سامية هنا وهناك : السريانية
والعبرانية والآرامية ... وكانت الآرامية
أوسعها انتشاراً وهي التي كان يخطب بها المسيح

تأخرت الحركة الفكرية في مصر عن أختها
في الشام والعراق - في الوقت الذي كانت العلوم
العربية فيه نمت وقاربت الازدهار في العراق
كانت الحركة الفكرية في مصر لا تزال في بدايتها -
كانت الفسطاط بؤرة هذه الحركة وقد انتقل
منها شعاع ضئيل إلى ما حولها - ولم يظهر
شيء منه في أطراف الريف - زد على ذلك
أن حركة الفكر في العراق تنوعت فلم تقف
عنده حد الفقه والقشريع ، وإنما ظم - فيها
النحو والتاريخ والأدب وظهرت مبادئ
الجدل في علم الكلام وغيره .

وكانت الشام أقل من هذا ولكنها كانت
أسبق من مصر كما كانت الحركة فيها أيضاً
أكثر تنوعاً .

وفي الأدب بصفة خاصة تأخرت مصر
عنهما كثيراً .

وفي تاريخ مصر نجد شيئاً يدعو إلى الدهشة
أو هو هكذا في ظاهره . ذلك أن مصر
أقبلت على الإسلام ، وأسرع شعبها إلى
الدخول فيه بما لم يحدث مثله في العراق
ولا في الشام - فن ناحية تأخر هذان الإقليمان
ولم يسرعا إلى الإسلام أول ما فتحت بلادهما
ومن ناحية أخرى ظل عدد كبير من أبناء

الحيرة إمارة عربية مدة تزيد على ثلاثة قرون ونصف القرن ، وعاشت إمارة الفاسنة في (جلق) مدة أطول ، وكان لها دور مائل في التقريب بين الشعبين واللغتين .

بجانب هاتين الإمارتين كانت هناك قبائل عربية تنزح من أراسط الجزيرة فتعيش على حواشي العمران طلباً للدري وماعاف الخيرات وأحياناً للغزو ، وهذه عملية تقريب أخرى وكان كل من الفرس والرومان بسبب هؤلاء العرب وما لهم بهم من صلة يعمشون بمتاجرم إلى داخل الجزيرة حتى ليستظهر بعض مؤرخي الإنفرنج أنه كان بمكة بيوت تجارية رومانية . أما متاجر العرب التي كانت تتجه إلى الشمال فكانت تصل إلى أبلة والعقبة ، ومنها إلى غزة فتتصل بتجار البحر الأبيض ، ويرسل بعضها إلى مصر بواسطة تجار أجانب و قليلاً أو نادراً ما يكونون عرباً - فإذا قدونا ما للتجارة - من قديم - من أثر في نقل الحضارة وتقارب اللغة وتغذية اللغات بالألفاظ من هنا ومن هناك - أدركنا أن مصر حرمت عاملاً تتمتع به الإقليم الأخران .

هذا كله ونحن لا ننسى أن الهجرات البعيدة للساميين وموطنهم الأصلي هو الجزيرة ربطت بين أطراف الهلال الخصيب براطة الدم والجففس وقربت اللهجات فلم تكن كل هذه البلاد غريبة على العرب ولا لغة العرب جديدة عليهم كما هو شأن المصريين .

عليه السلام ، وهي أقرب الساميات إلى العربية فالعربية ليست بعيدة ولا شاقة على تلك البقاع . وأما العراق فكان للعرب بها صلة سفينها الآن ، ولم يكن لمصر هذا ولا ذاك ، ولهذين السبيين نجد اللغة العربية في المهد الجاهلي حوت ألفاظاً من الفارسية وأخواتها الساميات ولم تحو شيئاً أصلاً من لغة المصريين .

فاللغة العربية إذن كانت غريبة على المصريين في نطقها وتركيبها وألفاظها فشق عليهم تعلمها بما لم يشق على الآخرين . ولم تنتشر هذه اللغة في مصر إلا في القرن الثالث الهجري ، وحقاً إن اللغة في العواصم غيرها في الريف ولكن هذا التأخر في اللغة يستلزم تأخراً في الفكر على أي حال .

هناك أمر ثانوي لا يتصل بموضوعنا مباشرة ولكنه ذو صلة بتأخر اللغة في مصر ذلك أن العرب لم يكن لهم بمصر قبل الفتح صلات قوية كالتي كانت بين العراق والشام ، فقرب المكان والإمارات العربية على تخوم الإقليمين أنشأت بينهما وبين العرب نوما من المزج لم يقيس مثله للصريين ، ولم يكن من شأن هذا المزج أن يقف عند عملية الاختلاط ونقل الحضارة ؛ بل كان أبعد من ذلك أثراً حتى نجد الأمير (بهرام جور) ولي عهد الشاه ، يزدجرد ، ينشأ بين حرب الحيرة ويعلم العربية ، ويستعين فيما بعد بقوة عربها على توليه عرش فارس ، وقد ظلت إمارة

وكانت مصر مهد الرهبنة وامتد نظامها ونظام أديرتها إلى بلاد بعيدة جداً ومنها الشام والجزيرة - وإذا كانت شهرة إكليمنصو Climent وأورييجانوس من الأسماء اللامعة في تاريخ الدعوة المسيحية فيجب ألا ننسى أن تلاميذهما الذين قاموا بنشر الدعوة كانوا جنوداً يهوديين حملوا تعاليم الرهبنة وعملوا بنوع ما على مزج مصر بما حولها .

ومن تلاميذ مدرسة الإسكندرية المسيحية د. هلا ريون ، الراهب الذي استقر بغزة ولحق الرهبنة أكثر من ثلاثة آلاف تلميذ مخلص فرقمهم في الجهات التي حوله ونزل الجزيرة منهم عدد كبير - ونحن نعلم أنه كان بالجزيرة مركز للدعوة النصرانية ونعلم الدور الذي لعبه في تاريخ العرب فلنذكر أنه خلال القرن الرابع الميلادي - وهو عهد نشاط الدعوة المسيحية في مصر كان الأسقف على نصارى العرب هو الناسك موسى المصري . وفي هذه الفترة المسيحية هاجر أيضاً بعض العرب إلى مصر لسبب أو لآخر .

هذه الصلات على أي حال تعتبر صلات هيئة بجانب صلات العرب بكل من العراق والشام ، وقد ذكر السيوطي أن قبض مصر يفخرون بأن منهم من صحب النبي وهو يعنى جبر بن عبد الله القبطي الذي أرسله الخاقوقس بهديته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانظر

ولست أريد بهذا كله أن أنفي صلة مصر بالجزيرة والعرب ولعل من الأوفى أن أشير إليها لنتم بها الموازنة ، ولكن لا يدخل في حسابنا هجرة الحاميين ولا حتى الساميين الذين وفدوا على مصر واستوطنوها في تاريخها الجفسي المعروف فهذه هجرات لم يكن من شأنها أن تقيم علاقات فكرية أو اجتماعية أو تبقى على صلات بين محل إقامتها ومهدا الأول ولكننا نجد فيما حول عصر الميلاد صلات تجارية وفكرية .

وفد على مصر تجار من الجزيرة عن طريق البحر الأحمر وممالك الصحراء الشرقية وقامت لهم بصعيد مصر أسواق صغيرة أو ما يشبه الأسواق واشتهرت منها مدينة قفط ولعلها لم تكن السوق الوحيدة لتجار العرب - وربما كانت أشهر سكان وأكبره لمتاجرهم لأنها تشبه العاصمة حتى أن اليونان سمو مصر كلها باسمها فقالوا داجيبت ، وسموا المصريين Coptic وتحدث عنها المؤرخ الشهير استرابو Strabon المعاصر لهذه الفترة ٦٥٠ ق م - ٢٤ م ، فوصفها بأنها نصف هريية . ولكن ليس لدينا معلومات عن طريق التعامل ولا كيف كانت تصرف هذه المتاجر .

وأول صلات فكرية هي التي جاءت في العهد المسيحي - فقد نشطت مصر في الدعوة المسيحية ، وقام عدد من رهبانها بالكراسة خارج مصر -

مظاهر المفاظرات بين المسلمين وغير المسلمين وبين المسلمين بعضهم وبعض - من رجال الفقه والى الكلام والنحو والأدب والى السياسة - وظل قبض مصر الباقون على مسيحييتهم يجاورون من أسلم منهم ومن وفد من مسلمى العرب فى هدوء وصادقة - وبيننا فشلت العلوم التى ذكرنا هناك قام بمصر التصوف العلى لا الفلسفى - وكما كانت مصر مهد الرهينة فى العهد المسيحي كانت مهد التصوف فى الإسلام .

والعقلية المصرية تقاين عن العقلية العراقية فى طبيعتها تباينا واسعا أخصه أنهم هناك ذوو فلسفة وجدل وتعليل وتحليل ، ونحن هنا تنبو أذواقنا عن هذا النوع ولهذا لم تستطع مدرسة الاسكندرية أن تطبع فى نفوس المصريين أثرا واضحا فظلت طوال عهدها تمثل مدرسة أجنبية بين المصريين واستفاد منها الأجانب أكثر مما استفاد المصريون ، ولو أنها تركت فى نفوسهم أثرا كالأثر الذى تركته الديانة الفارسية فى عقول العراقيين لكان للحركة الفكرية عصر الإسلام شأوا كالأثر الذى كان بالعراق ولما تأخرت أيضا ولكن هذا الذى كان .

عبد الجليل سليمى

كيف يفخرون بشخص واحد ومن يشبهه فى هذا من الشام والعراق لا يحصيهم العد . وهناك شىء آخر لا يقل أهمية عما ذكرنا وهو طبيعة الإقليم وقطرة السكان فالعراق قطر نشيط مطيع مخلص ومصر إقليم متعدين متعبد . هذه الصفات لها أثرها فى توجيه الحركة الفكرية خصوصا إذا لاحظنا الحركة السياسية .

فالعراق منذ فتحه يشارك فى أحداث السياسة والعداء بينه وبين الشام مستحكما منذ زمن الفرس والرومان - فلما غلب على أمره فى ميدان السياسة وجه نشاطه إلى الحركة العلية ، والشام ظفر بمقر الخلافة ، ودار الحكم لبى أمية ، وهؤلاء لم يكن من مهمهم تشجيع الحركة الدينية فنشط هناك أدب النفاق والمدح ولم تنشط كما فى العراق حركة الفكر والمناظرات ، ولأمر ما كانت النقائض - وهى نوع من المناظرات والجدل - تلقى بالمربد والكساسة - سوقى العراق - ولم تقم مثل هذه بالشام ، ثم نجد نحو أكوفيا وآخر بصريا ولا نجد نحو دمشقيا ، أما مصر فدفعها نزعة التدين إلى العناية بعلوم الدين رغم حاجتها أكثر من أختها إلى صناعة النحو ، وتقويم اللسان .

هذه الصفات هى سبب الهدوء فى مصر والثورات فى العراق - كثرت فى العراق

النيل في مؤلف مصري قديم

لدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

إقليم مصر مشتملا على أمور عجيبة ، استخرت الله تعالى أن أجمع فيه من الغرائب ما لا ينبغي لذوى العلم إهمالها وكيف ؟ وكلهم أو أكثرهم لو سئل عن نهر النيل من أين يخرج من الأرض ، وفي أي مكان يذهب ؟.. لما أجاب عن ذلك ، وأنا إن شاء الله مبين لجميع ذلك ، قاصداً فيه الاختصار .

وفصول الكتاب تبدأ بالفصل الأول في بيان فضل النيل ، ثم يليه الفصل الثاني في المكان الذي يخرج أصل النيل منه وبيان سبب خضوته ، وبلى ذلك عدة فصول من : الأهرام ، وكورة أسيوط ، والحائط الممتد بالجانب الشرقى من النيل ، والمقاييس لمعرفة زيادة النيل ونقصانه ، والمكان الذي يذهب فيه ماء النيل ، والأنهار الأربعة وهي سيحون وجيحون والفرات والنيل ، والفرق بين البحر والنهر ، وأنواع الماء وما يستعمل في الطهارة ... وبذلك ينتهي الكتاب .

- ٢ -

والكتاب ذو أهمية كبيرة لما يشتمل عليه من حقائق علمية أكدتها الكشوف العلمية الحديثة .

الجلال المحلى المفسر المشهور ، المعروف بجلال الدين المحلى الشافعى ، عالم مصرى طاش في القرن الثامن ، وطارت شهرته فيه .

وفي عام ٧٨٠ هـ ألف كتاباً صغيراً سماه مقدمة النيل السعيد وشرح أحواله ، وذكر عجائبه وغرائب ، ومن أين يحيى وإلى أين سينتهى (ص ٢٣) .

وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة منذ أكثر من مائة عام وذلك عام ١٢٨١ هـ كما جاء في آخره ، وتم طبع ما جمعه الإمام الجلال المحلى الجليل فيما يتعلق ببيان أحوال النيل ، على ذمة الشيخ النجيب ، الشيخ اسماعيل معنوق ، الشهير بالطاهر ، بالمطبعة البهية الكائنة بخط باب الشعرية ، بتصحیح الفقير مصطفى وهبى .

وبقع الكتاب في ٣٨ صفحة من القطع الصغير ، ويشتمل الكتاب على مقدمة صغيرة وعدة فصول .

وجاء في المقدمة : روى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربعة لا تشيع من أربع : عين من نظر وأنتى من ذكر ، وأرض من مطر ، وعالم من خبر ، ولما كان

علاصة بمصر وأرضها من برها وبحرها
وأخبار ماسكها ، وأنه من صافر الأرض ،
وتوسط الممالك ، وشاهد الأمم أبيضها
وأسودها ، وأنه ذو معرفة بأنواع هيئات
الآفلاك وأحكامها . فبعث إليه ابن طولون ،
وأخلى له نفسه في ليال وأيام كثيرة ، يسمع
كلامه وإبراده وحكاياته ، فكان فيما سأله
عن طول الأجتناس وممالكهم ، قال :
لقيت من ملوكهم سنيين ماسكا في ممالك مختلفة ،
كل منهم ينازع من يليه من الملوك ، وبلادهم
حارة يابسة ، ثم سأله عن منتهى النيل
في أعلاه ، فقال : البحيرة التي لا يدرك طولها
وعرضها ، وهي نحو الأرض التي فيها الليل
والنهار مستويان طول الدهر .

٢ — ويذكر الجلال الهلي أنه حكى له
بعض من أقام بالحبشة أن النمام والمطر
يستمر عندهم في أيام زيادة النيل ليلا ونهاراً
في أعلى النيل ، وأن المطر يكثر جداً
في بعض السنين ويقل جداً في بعضها ،
فيعرفون كثرة النيل وقلته بسبب ذلك .

٣ — ويذكر الجلال أن مصر كانت وطن
الأنبياء والمرسلين والأسباط وذى القرنين
الإسكندر ، والحكماء اليونانيين ، والفلاسفة
المقدمين ، وذوى الهيئة والآلة والطلاسم
والرصد والحركات والنجومات والمناجيات والجبر
والمقابلات وغير ذلك : كهرمس ، وبقراط
وجالينوس وفيثاغورث ووالينوس وغيرهم .

١ — يذكر الجلال الهلي في الكتاب
نقلا عن الجغرافيين العرب من أمثال
السكندى والمسعودى ، أن النيل يخرج من
جبل القمر خلف خط الاستواء (١) من
هشرة عيون ، خمسة تجتمع في بطيخة (٢) ،
 وخسة تجتمع في بطيخة ، ثم يجتمع بذلك
الماءان ، فيجرى على وجه الأرض نحو
تصماتة فرسخ ، وقيل ألف فرسخ ، في عامرها
وغامرها ، من عمران وخرب ، حتى يأتي
بلاد أسوان ، من صعيد مصر ، وإلى هذا
الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر ،
وعلى أميال من أسوان جبال وأحجار يجري
النيل في وسطها ، ولا سبيل إلى جريان
السفن فيه . وهذا الموضع فارق بين مواضع
سفن الحبشة في النيل ، وبين سفن المسلمين ،
ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل
والصخور ، ثم يأتي المسطاط فيقسم إلى
خلجان : إلى بلاد تنيس ودمياط ورشيد
وإلى اسكندرية ، كل يصب إلى البحر

ويذكر أن أحمد بن طولون في سنة
نيف وستين ومائتين بلغه : أن رجلاً بأعلى
مصر من الصعيد ، له ثلاثون ومائة سنة ، من
من الأنباط ، ممن يشار إليه بالعلم ، وأنه

(١) حيث يستوى الليل والنهار وأضيف إلى القمر
لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته وقصاته بسبب
الدور والظلمة والبدو والحق (ص ١٧٥ من الكتاب)

(٢) مكان ينبطح من الأرض . والمراد بحيرة .

ويقول الجلال : إن على كور مصر ١٢٠ ألف رجل معهم المساحى والآلات ، سبعةون ألفا على الصعيد ، وخمسون ألفا لأسفل الأرض ؛ لحفر الخللجان وإقامة السدود والجسور والقناطر وسد الترع وقلع القصبان والحلفاء وكل نبت يضر بالأرض^(١) .

٥ — ويشير إلى مصب ماء النيل في البحر هند شواطئ مصر^(٢) .

٦ — وما ذكره عن الفرات ودجلة وسيحون وجيحون يشير العجب لدقته العلمية المتناهية^(٣) .

— ٣ —

والكتاب مع صغر حجمه يثير الاهتمام ، لصحة معلوماته ، وكثرة إحاطته ، ودقته تفصيله ، والمسامه بالوصف الجغرافي الدقيق للنيل ومصر وما يتصل بهما .

والجلال المحلى بهذا الكتاب جدير بأن يوضع مع الجغرافيين العرب في مكان بارز .

وهذا الكتاب جزء من تراثنا القومي الذي

نرجو أن تمتد إليه يد العناية ، وأن يلقي من الاهتمام ما يستحقه ، فينشر نشرًا علميًا محققًا ،

ليحتل مكانته في المكتبة الجغرافية العربية القديمة ؟

محمد هبيل ، منظم

وينقل المؤلف أوصافاً شعرية جميلة عن كعب الأحبار الذي يقول : من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة فليتنظر إلى مصر إذا أزهرت ، وإذا اطردت أنهارها ، وتمذبت ثمارها ، وفاضت بحارها ، وغنت طيورها ؛ ومن عبد الله بن عمر حيث يقول : من أراد أن ينظر إلى شبه الفردوس فليتنظر إلى مصر ، حين يخضر زرعها ، ويزهو ربيعها ، ويكثر بالنور أشجارها .

ويروى عن المسعودي في مصر : هي ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سيديكة ذهب حمراء ، فإن مصر في شهور أبيب ومصرى وتوت يركبها الماء ، فترى الدنيا يبعثاء ، وفي شهر بابة تنكشف الأرض ، فتصير أرضاً سوداء وتكثر فيها الزراعات ، وللأرض روائح طيبة تشبه رائحة المسك ؛ وفي شهر طوبة وأمشير وبرمات يكثر عشب الأرض وتباتها فتصير الدنيا خضراء كالزمردة ، وفي شهر برمودة وبشنس وبؤونة يبيض الزرع وينور العشب فيشبه الذهب في المنظر .

٤ — ويذكر الجلال أن مساحة أرض مصر التي تروى بالنيل عامرها وغامرها ٣٠ مليوناً من الأفدنة ... وإذا كان هذا صحيحاً في الزمن القديم حيث تقشع مياه النيل وتذهب إلى كل مكان ، فإنه غير صحيح اليوم حيث أصبح لمياه النيل حجار وفروع محدودة .

(١) ص ٩ من الكتاب .

(٢) راجع ص ٢٤ من الكتاب .

(٣) راجع ص ٢٧ وما بعدها من الكتاب .

براعة التصوير في شعر الأندلسيين لأستاذ محمد محمد خليفه

بين أقطار الخير والنمرين ، وإنه لبديع
تصويره النسمة بطائر في قوله :

يا هبة باكرت من نحر دارين

وافت إلى على بهد تحييني

مرت على صفحات النهر ناشرة

جناحها بين خيري ونمرين

وتأخذنا براعة التصوير حين نقف

على الصورة التي يقدمها الشاعر للبد والجزر

في نهر لشبيلية ونذكر حصن تعليله لها ،

وكانهما ليسا من فعل الطبيعة حين يكشف

عن معركة بين النسيم والنهر ، تلك المعركة

التي انتصر فيها النسيم فشق جيب قميص النهر

وولى هاربا وراء الشاطئ ، وخرج النهر

من شاطئيه وانفلت من قيديه ، وخرج عاريا

محتدا يطلب نأره ، فضحكت الخائم هازئة ،

فعاد بين الشاطئين ، وضم إليه إزاره خجلا

من الورق كل ذلك يبدع فيه حيث يقول :

شق النسيم عليه جيب قميصه

فانساب من شطييه يطلب نأره

فتضا حكت ورق الحمام بدوحها

هزأ فضم من الحياء إزاره

للطبيعة الساحرة التي عاش بين أحضانها

الأندلسيون أثر في تلك الصور الفنية الفاتنة

التي غنى بها الشعر الأندلسي ، فقد استلهموا

الطبيعة بدائع الصور فألهمتهم ، واستوحوا

لوحات من الفن السامى فألهمتهم آياته ، تلك

الطبيعة هي التي سحرت ابن خفاجة فعاش

مفتونا بسحرها ، يشدو بنفثاته ، ويترجم

عن لمساته ، ويغري الأندلسيين بالتمتع بجنات

الخلد التي يعيشون بينها فيهتف فيهم :

يا أهل أندلس لله دركم

ماء وظل وأنهار وأشجار

ما جنة الخلد إلا في دياركمو

ولو تخيروت هذا كنت اختار

لا نمسبوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا

فليس تدخل بعد الجنة النار

ولقد ساء كوا الطبيعة فيما قدموا من صور ،

واقتنوا فيما رسموا من ألوان ، وأعملوا

قرائعهم في إبرازها حتى لكأننا نلسها مجسمة

في الشعر حين نقرأ لابن سقر المربقي ، وهو

يتحدث عن النسمة التي هبت من (دارين)

على النهر ، ومرت على صفحته ناشرة جناحها

في هذا الجو ، ثم انتزع الصورة المعبرة
فقال :

وعلا بنا سكر أبي
إلى الإنابة للبحارم
نرى قلانسنا له

ونجر من هذب العهام
وما أروع تلك الصورة الماجنة التي يبدع
فيها ابن شهيد ، فيقدم مجلسا من مجالس الخمر
قام يرقص فيه ، وهو مشلول يتكى على عصاه ،
ويعتني لو عاد لإليه شبابه ، وراجسته عافيته
ليسير على رأسه راقصا في حضرة مليكة
ثم يتحدث عن إبريق الخمر ، وضحكه من منظره
الرائع المرتعش ، ثم يتحدث عن بكاء الإبريق
حين رأى شلله ، ولم تكن دموعه غير الخمر
التي يتعاطاها الندماء ، كل ذلك يسوقه
في قوله :

هاك شيخ قاده السكر لكا
قام في رقصته مسهلكا
لم يطق يرقصها مستثبنا
فانثني يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا
يفترس أخفى عليه فاتكا
أنا لو كنت كما تعرفني
كنت لإجلالا على رأسى لكا
فمقه الإبريق منى ضاحكا
ورأى رعشة رجلى فبكي

وفي صورة أخرى يرى الشاعر غلاما جميلا
يستحم في النهر ، وقد تعلق بزورق يسير معه
حيث سار ، فيقف مع تلك الصورة ، ومعه
قريحته يرى ثم يصور ذلك الغلام (البدر)
وهو في وسط اللجة يلعب ، وقد جعل الماء
سما له ، يسبح فيها مرتبطا بانفلك
فيقول :

انظر إلى البدر الذي لاح لك
في وسط اللجة تحت الخلك
قد جعل الماء سما له
وصير الفلك مكان الفلك
ويرى شاعر آخر صورة الشهاب ، ينقض
من السماء ، مخترقا ظلمة الفضاء فيربط بين هذه
الصورة ، ومنظر الفارس يعدو على جواده
وقد حل الإعصار عمامته البيضاء ، فطارت
من خلفه مستطيلة ، فيربط بين الشهاب وسرعته
وعمامة الفارس ، وهي في يد الريح وراء الفارس
وذلك في قوله :

وكوكب أبصر المغرب مسترقا
للسمع فانقض يذكر لإثره لجه
كفارس حل إحضار عمامة
لجرها كلها من خلفه هذبه
وفي صورة ماجنة معربة يقدم ابن شهيد
هبت السكرى ولهوم ، بعد أن فعلت الخمر بهم
ما فعلت ، ولعبت برؤس شاربها فطوحوا
قلانسهم ، وجذبوا أطراف عمامتهم ، وقد عاش

فهذى تعانق لى عودها
وتلك تقبل مزمارها
ويقف ابن شرف القبروانى أمام منظر
الفجر ، وقد اكتسى الأفق بالحمرة وتساقط
رذاذ الندى ثم يلقي نظرة على النجوم ، وهى
تختفى أمام نور الصبح ، فيصور الفجر غلاما
ظهرت حمرة الخجل فى خده ، وعشى عرق
الحياء فيه ، ثم يصور الخجل وقد تجاوز
الليل إلى نجومه فتساقطت تساقط الأوراق
فقال :

وألاح الفجر خدا خجلا
جال من رشح الندى فى عرق
جاوز الليل إلى أنجمه
فتساقطان سقوط الورق
وكتب ابن زيدون وهو فى الزهراء
(ضاحية بنهاها الناصر إلى جانب قرطبة
وكانت آية فى الفن) وقد ثار به شوقه
إلى ولادة (محبوبته) فصور لها شوقه
وذكره لها فى صحوه الجو واعتلال الأنسام
فى الأصائل إشفافا عليه ، ثم صور الروض
والماء الفضى البسام الذى يحل صدره ثم ذكر
أن منظر الماء الفضى يحكى مكان أطواقها
على صدرها حينما تحلها هنا ، وذلك ما يقدمه
ابن زيدون فى قوله :

لنى ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والأفق طلق ووجه الأرض قدراقا

ويرى شاعر مدينة بلنسية الجميلة ، وقد
حفت بالأشجار الباسقة الناضرة واحتجبت
منازلها وراء الأرواح ، فتخيل أنها الكعب
الحسناء ، وأنها ارتدت ثوبا سندسيا . وكأنها
تسترت بأكامها خجلا حتى لا تظهر للرائى
أو القادم ، إنه فعل العذارى الجميلات فى عهد
الخفر والحياء ، فاستمع إليه يقول :

كان بلنسية كاعب
وملبسها سندس أخضر
إذا جتمتها سترت نفسها
بأكامها فهى لا تظهر

وفى مجلس من مجالس الخمر والغناء يرسل
ابن حمديس الصقل (ريشته) فيرسم لوحته
الناطقة فى تلك الهالة التى تولفها رشاقه الهيف
تلوهم الوجوه القمرية ، ويتخيل ملك اللهو
وهو يرى الهموم تشور فيقتلها ، وتولى القيان
التي تعزف على أوتارها تسكين الأحزان
وهو بين معانقة عودها ، ومقبلة مزمارها
هذه صورة يقدمها ابن حمديس فى قوله :

وعدنا إلى هالة أطلعت
على قصب البان أقمارها
يرى ملك اللهو فيها الهموم
م تشور فيقتل ثوارها
وقد سكنت حركات الآسى
قيان تحرك أوتارها

وللنسيم اعتلال في أصاقله
كأنما رق لى ؛ فاعتل إشفاقا
والروض من مائه الفضى مبتسم
كما حلك عن اللبات أطواقا

أشعة الشمس في وقت الأصيل على النهر
الأيض فيبرز تلك الصورة بعد أن أضاف
فيها المشبه به إلى المشبه (ذهب الأصيل)
(لجين الماء) .

وكما صور ابن زيدون الروض ، وابتسام
الماء الفضى فيه ، أبرزه الوزير ابن همار
في صورة أخرى فشبهه في توشية الزهر له
وتساقط حبات الندى عليه بالحسنة التي لبست
نيابا موشاة ، وتقلدت بالجوهر ثم نظر
إلى صورة النهر في بياضه ، والروض يطل عليه
فشبهه بالمعصم الأبيض الصافي ، وقد أطل عليه
رداء أخضر وذلك في قوله :

ذلك ما يقدمه ابن خفاجة في قوله :

لله هر سال في بطحاء
أشهى ورودا من لى الحسناء
متعطف مثل السواد كأنه
والزهر يكتفه بحر سماء

قد رق حتى ظن قرصا مفرغا
من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها

والروض كالحسنة كساء زهره
وشيا وقلده نداء جوهرها
روض كأن النهر فيه معصم

صاف أطل على رداء أخضرا
أما إمام وصافي الطبيعة ابن خفاجة فيرجى
لنا صورة جميلة للنهر المتدفق في البطحاء
ويرسمه في تعطفه كالسواد ، ويصوره في بياضه
والزهر يحيط به بنهر المجرة (البياض الذي
يبدو في السماء) والنجوم حواليه ، ثم ينظر
إلى النهر في تعطفه ، والرياض من حوله فيرى
أنه قرص من الفضة ، وضع فوق بردة خضراء
ويلقى نظرة أخرى على الأغصان وهي تحف
بذلك النهر العافي من جانبيه فيتخيل أنها
الهدب التي تحف بالمقلة الورقاء ثم يرى انعكاس

وهذه لوحة أخرى يقدمها ابن خفاجة
ولكنها لوحة تصور قصة عاشق فيها الفاهر
ليلة طويلة خفيفة في مفاضة وقد لمع في السماء
كوكب الشمرى وكأنه في تلهبه في الظلام
دينار يلعب في كف زنجى الدجى وقد لفت
الظلة الشاعر ، وراحه فيها ذئب ألم به مع الدجى
وقد تساقط الندى لحملته ربح الصبا وبللت
فيها فروة الذئب ، فاقشعرت وفي هذه الظلماء
نظر الشاعر إلى مقلة الذئب يتطاير منها الشرر
فهاج بأسه كذلك وتقلنا الشاعر بعد ذلك إلى
الدجى ، وقد خلع عليه خلة كانت أزوارها

أضواء النجوم التي تلمع من بعد على صدره ،
 وذلك كله يقدمه ابن خفاجة في قوله :
 ومغارة لا نجم في ظلماتها
 يسرى ولا فلك بها دوار
 تلهب الشمري بها وكأنها
 في كف زنجي الدجى دينار
 قد لفتى فيها الظلام وطاف بي
 ذنب يلم مع الدجى زوار
 يسرى وقد اضح الندى وجه الصبا
 في فروة قدسها اقشعراو
 فحشوت في ظلمات لم يقدح بها
 إلا لمقلته وبأسي نار
 ورملت في خلع على من الدجى
 عقدت لها من أنجم أزار
 وهكذا نرى الشعر الأندلسي غنيا بصوره
 المحركة الفسح البديعة الألوان ، حين تصويره
 لمجالس الخمر والغناء ووقوفه على جمال الفن

وحين يشهد الطبيعة وقد وشت يدها كل شيء
 في الأندلس ؛ فبدت البلاد وكل ما فيها جميل
 يراه الشاعر نعيم الروح فيتمنى أن يعمر
 ليتمتع حياته بين أحضان ذلك النعيم ، وتلك
 هي الأمنية التي هتف بها ابن سفر
 المريني :

يا ليت لي مهر نوح في إقامته
 وأن مالى فيه كنز قارون
 كلاهما كنت أفضيه على نفوسا
 تالواح نهبا ووصل المحور والعين
 ونكاد حين نمر بالصور التي قدمها الشعر
 الأندلسي نذسى أن الزمن طواها ؛ بل عاها
 منذ خمسة قرون ، ونكاد حين تقف ساحة
 على ذلك التراث الخالد نخدع أنفسنا بأنه حى
 تشهد العيون ، وأنه لا يحمل الذكريات النائية
 بل يحمل الحقيقة التي لا تغيب .

محمّد محمد خليفة

أرفع مراتب الفن

أرفع مراتب الفن ... فن يمس إنسانيتنا بالتكريم ، ويهيم على مشاعرنا بالحب ،
 ويمسح أحايسنا بالعون ... فأية كريمة تمنحنا عيوبنا ... وآية تحث على فضيلة ... وبيت
 يغمرنا بالرفقة ... وكلية تستل السحيمة ... كل ذلك ... هو الفن ... فن الحب للحياة ...
 لحياة أفضل ... ومهل أسى ... وأخوة نبيلة .

الكتاب

نقد وتعریف : محمد عبد الله السمان

تختلف الآراء والمذاهب ثم يرجح ما يلتقي مع روحها منه في جسارة الحق لا تعرف موارد أو جمعة فالكتاب من هذه الناحية (ثقة) يعتد به . وما بالقليل أو الهين الشأن أن يكون الكتاب صادقاً وأميناً .

استهل الأستاذ الجليل كتابه بالفتوى بضرورة الرأي العام ، فالإسلام (جاء لإيجاد مجتمع فاضل تتعاون فيه كل القوى بحيث لا يظن فريق على فريق وأول مظهر للمجتمع الفاضل في الإسلام ، هو وجود رأي عام فاضل يتعاون على الخير ودفع الشر ...)

وإن الرأي العام له رقابة نفسية فإذا صلح هذب الآحاد والجموع ، وإذا فسد وتقاوس فسد المجتمع . (وأن الجماعة كلها تكون آئمة إذا رأيت الشريسي رافعا رأسه وسكنت عنه . وأن الأمة كلها تعتبر مشتركة مع الآئمين إذا رأيت الإثم ولم تعمل على منعه ، ولقد ذم القرآن الكريم بني إسرائيل لأنهم أسدوا مجتمعهم بترك الآئمين يرتعون في إثمهم من غير أن ينهزم . . . لعن الذين كفروا

النظام الاجتماعي في الإسلام : تأليف الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة عرض وتقديم : الدكتور نجات أحمد فؤاد هذا هو موضوع كتاب اليوم أو خط هريض من خطوط الشريعة الإسلامية . كتاب (التكافل الاجتماعي في الإسلام) لمؤلفه الأستاذ الجليل الشيخ (محمد أبو زهرة) تعميق لمفهوم التضامن الاجتماعي على ضوء الشريعة الغراء بأسلوب علمي ، فمك من كتب عاجلة الاشتراكية ، ولكنه علاج مرسوم بمعنى أن أصحابها عندهم فكرة جاهزة يريدون سنداً لها من الدين أو تطبيقاً سابقاً . وهنا يضطرون إلى اقتعال التخريج والتفسير مع أن الاشتراكية الحققة معنى إنساني نبيل إذ تستهدف تحرير الإرادة الإنسانية من رق الاستغلال والاضطرار والقهر والتبعية ، ولكن الشيخ (محمد أبو زهرة) أستاذاً لمادة الشريعة الإسلامية يعرف جوهرها وسماتها وأسرار حكماتها ، فهو يعرفنا بها تعريف المتمكن المصدق ويناقش على هديها

الوضعي الذي قد يوجد في النفس ما يبرر مخالفته . فإذا لم تحقق العبادات هذا الهدف البعيد غدت قشوراً بلا جوهر وزيفاً خادعاً . .

وفي ضوء هذا الفهم العميق مضى الشيخ محمد أبو زهرة يتحدث عن أركان الإسلام من صلاة وصوم وحج وزكاة وتطرق من هذا إلى حكمة الإسلام في السكفارات التي هي في جوهرها تكافل اجتماعي .

ثم تحدث عن الحرية الفردية التي تكيدها نفس صاحبها بقيود الواجب قبل أن تقيدها قيود خارجية ، وشعوره بحق الناس ووجوب مراعاة مشاعرهم . فإذا لم يتوافر القيسدان الداخليان تدخل القانون لا لتقييد الحرية ولكن لتقييد الفهم الخاطيء لها . . لتقييد الانطلاق فيها بغير مراعاة حقها فإن الإطلاق المطلق مقيد للحرية العادلة .

ثم تحدث عن الملكية باعتبارها (حق أعطاه الله تعالى وحده لعباده في قيود وحدود) ، ولهذا يحترم حق صاحبها فلا تنزع منه .

وقد ناقش المؤلف العالم ، الرأي القائل بأن الملكية وظيفة اجتماعية فأقر هذا التعبير على أن يعرف أنها (بتوظيف الله تعالى لا بتوظيف الحكام ، لأن الحكام ليسوا دائماً عادلين) .

من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . .

وسيلة الإسلام إلى إيجاد مجتمع فاضل : الحياء ، والاستتار . فالحياء قيد اجتماعي نفسي ، والاستتار حصر للشر . (قد تكون العقوبة علنية ، ولكن الجريمة يجب ألا يعلم أمرها إلا مع عقوبتها لأن إعلانها يفسد الجو الخلقى . للمجتمع .. ولذلك اعتبر الإسلام من يرتكب جريمة ويعلمها قد ارتكب جريمتين : جريمة الارتكاب ، وجريمة الإعلان) .

ثم تكلم عن الفردية والاجتماعية في الإسلام على ضوء النظامين السائدين في العالم الآن (لا يأخذ بأى النظامين جملة أو تفصيلاً ، فهو لا يحو حرية الإنتاج الفردى ولا يمكن تلك الحرية من كل شيء) .

حرية الإنتاج ، والحرية الشخصية بكل ضروبها ، وحرية الملكية الفردية كلها كفلها الإسلام للفرد على ألا يضار الغير وإلا قيد الحق تقييداً مدينياً .

والعبادات في الإسلام وإن كانت في ظاهرها علاقة العبد بربه إلا أن الإسلام قصد بها فيما شرعت له ، تربية الضمير الاجتماعي الذي يحكم الميول والانزعات قبل أن يحكمها القانون

قوى ، لا تغنى فيه قوة في قوة أخرى) ص ٢٦ .
 ثم فصل المؤلف البيان في الأموال التي يجوز امتلاكها والتي لا يجوز فيها الامتلاك وهو تفصيل طويل مدعم بالأسانيد الفقهية وهو مع التدعيم بإقش ورجح . ثم يتكلم بتفصيل آخر عن ملكية الأراضي ومقدار قوة اليد عليها أي يد اختصاص أم يد ملكية تامة .
 وقد رجع بأصول هذا الموضوع إلى عصر النبوة والفتح . وأبان وجوه الرأي فيه بعد النبي من خلفاء وفقهاء . ثم تحدث عن طرق كسب الملكية الأربعة من زرع وأحياء موات الأرض ، وعمل ، ومخاطرة للكسب والخسارة ورابعها : الانتظار . ووضح كلامنا حكم الإسلام فيها وهو حكم إقرار فيما يتعلق بالثلاثة الأولى ، ومنع للرابع أي الانتظار لتعارضه مع التكافل الاجتماعي غاية الإسلام الأولى .
 ثم أنشأ فصلا مستقلا عن قيود الملكية المسماة مثل الضرر المؤكد الوقوع والضرر الذي يغلب على الظن وقوعه ، والضرر الكثير غير الغالب . أما إذا كان الضرر الناجم عن الحق الخاص قليلا (فالحق باق على أصل المشروعية ، لأن ضرر المنع ضرر مقطوع به بالنسبة لأصحاب الحق ، وهو صاحب الإذن الخاص فلا يلتفت إلى الضرر القليل . . والشرع الإسلامى فى مقرراته اعتبر غلبة المصلحة ولم يعتبر ندرة الضرر أو قلته) ص ٦٦ .

ولكن ولى الأمر العادل (له أن يتدخل لتقرير القيود على الملكية إن لم يلاحظها المالك ، وقد أئثر عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه تدخل ففزع بقاء الملكية عند المضارة مع تعويض) ص ٢٤ .

وضرب المؤلف مثلا : واقعة سمرة ابن جندب مع الانصارى فى حضرة الرسول وقصة الضحاك ومحمد بن مسلمة فى مجلس عمر . كما أوضح المؤلف نقطة هامة هى أن الملكية مع ما كفل لها الإسلام من ثبوت واحترام فإن الحقوق التى تجب عليها تزايد فى الظروف القاهرة كالفقر أو المجاعة بما يقرب من إشاعتها وتعميمها تحقيقاً للتكافل الاجتماعى الذى يستهدفه الإسلام فى أحكامه وعباداته على السواء . وهنا ضرب المؤلف مثلا (سنة الرمادة) فى عهد عمر بن الخطاب) .

إن ملك الرأى فى الملكية أنها حق الآحاد فى الحدود التى أشار إليها الدين ، وهى بهذا (من قبيل احترام الشخصية الإنسانية ، حتى لا يكون الآحاد كالجماد ، ويكون البناء الاجتماعى كالأحجار بعضها بجوار بعضه من غير إرادة إنسانية .

إن الإسلام لم يحسب لتنظيم الدولة فقط ، أو فرض سلطانتها فى كل شىء ، بل جاء ليمجد مجتمع تتلاقى فيه الإرادات الإنسانية الحرة نحو هدف واحد وهو إقامة مجتمع سليم

ومن قبله في هذا الباب أنه حين عرف من تهب عليه النفقة بأنه ذو اليسار الكسوب ، لم يشترط أن يكون الولد بالنسبة لأبويه متيسراً لكي يجب أن يمينها في شيخوختهما بل الشرط فقط القدرة على العمل فن لا يسوغ التأفف منهما لا يجوز تركهما جائعين .

ومن لفئات التقنين الإسلامى أن قضايا النفقات تكون من غير رسوم تدفع كما هو المقرر في الفقه الإسلامى .

وكما أوجب الإسلام النفقة للعاجز على ذوى الفضل من أسرته فقد أوجبه على الأسرة الكبرى وهى المجتمع ممثلاً فى الدولة إذا لم يكن فى القرابة قاصياً ودانها من يستأجى الاتفاق على الفأير العاجز . وهنا يقول المؤلف العالم .

(وإذا لم تقم الدولة بواجبها فى ذلك فإن القضاء يحكم عليها ويلزمها كما قرر الفقهاء وذلك مبدأ لم يسبق به الإسلام) ص ٧٦ . ثم فصل الحديث عن (الزكاة) التى شرعت فى الإسلام فى السنة الثانية من الهجرة وبين مصادرها وأحكامها ومصارفها وهى ثمانية قال الإمام الشافعى بتوزيع الزكاة بينها بنير إعقال . وفى كل ناحية لا بد للفقه الإسلامى من لفظة . وافقته فى باب الزكاة أنها (تصرف فى البلد الذى جمعت فيه ، ولا تنقل إلى غيره من بلاد الدولة الإسلامية إلا بما يفيض عن

وقد استند المؤلف فى هذا إلى كتاب (المواقف) للشاطبى .

ثم تسلم الأستاذ الشيخ أبو زهرة من ميراث الملكية فأبان أن (الحقوق فى الشريعة الإسلامية تورث ما دامت قابلة لأن تنتقل من ذمة إلى ذمة ، وتختلف ذمة أخرى فى الأموال) ص ٦٧ . وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم (هد المارث نصف العلم الإسلامى) ص ٦٧ .

كما أبان حكمة الشارع الإسلامى فى جعل الوراثة فى الأسرة بجمعة مع أولية بعضها على بعض وهى حكمة أجل وأكرم من نظرية الشيوعيين ونظرية الأفراديين وكلاهما أطراح للأسرة .

ثم تحدث الشيخ الجليل عن عدالة التوزيع الإسلامى لليراث ومنطقه فيه ... والأفانتمسك بالإسلام .

ثم انتقل الكتاب إلى الحديث عن التعاون لدفع أضرار العجز فالإسلام دين التكافل الاجتماعى عالج العجز فى الأسرة بإلزام الوارث بالنفقة ، ومن إنسانية الإسلام وجوب النفقة مع اختلاف الدين إذا كانت نفقة الأصول والفروع (المذهب الحنفى) .

ومن أصالة الإسلام فى هذا الباب أن أوجب النفقة على الأسرة أو الدولة لطالب العلم ذى الموعدة التى (تمكنه من السير فيه إلى أقصى مراحل لأن المواهب يجب أن تظهر) ص ٧٤ .

تتجاوز الحدود المرسومة من الشارع ، ثم كان فيها التأمين الاجتماعى على أوسع مدى من غير إرهاب (لأحد) ص ١٠٥ .
وحسب الإسلام قدرة وصلاحية تأصيله هذه القواعد كلها على هدى الفطرة السليمة النقية وعلى ضوء صالح الفرد والمجموع .
دكتورة نعمات أحمد فؤاد

* * *

كتب جديدة

العيادات

تأليف : الإمام المهدي :

الناشر : مكتبة الكمالاني - القاهرة .

قدم للكتاب السيد الصديق المهدي الخليفة الحالي بمقدمة عرض فيها الدين والإنسان والدين والأمال والآلام ، والدين والأخلاق والمعاملات ، والإسلام والحضارة الإنسانية والحياة المادية ، ثم أجاب عن هذا السؤال لماذا أصبح الإسلام غريباً ؟ أما الكتاب نفسه فهو مجموعة من الإرشادات والتوجيهات التي كان يصدرها لأتباعه الإمام المهدي قائد الثورة المهدية السودانية وقد تضمنت منشورات عميقة في ترتيب الصلاة كما بما يفسدها ويصلحها ، والصلاة في أسرار المناجاة ، ثم بحثاً تتعلق بأصول الأحاديث التي وردت في منشور المصافاة وبأقوال الأئمة .

حاجات هذا البلد وما يفيض عن المجموع بصرف في الجهاد في سبيل الله (ص ٩٥ .
وفي الصفحات الأخيرة من الكتاب تحدث المؤلف عن ألوان من التكافل في المجتمع الصغير كالبيت والحى والقرية .
فأبان حرمة الجوار في الإسلام وحب الإخاء منذ لقاء المهاجرين بالأتصار ، قرابة اجتماعية ، ثم تحدث عن المبادئ التعاونية التي أقرها الإسلام ومنها تعاون أهل كل قرية فيما بينهم في سداد الخراج وغيره وقد استنتج عصر هذه السنة في أول الفتح الإسلامى وقد أوضح المؤلف مزاي هذا النظام بل دعا إليه على أساس (إنه اختياري توجيى لا إيجاب فيه يؤدى إلى ذهاب الاحقاديين الزراع ، فلا يحرق واحد زرع أخيه لأنه زرعه ولا يقتل ماشية أخيه لشعوره بالأخوة الكريمة من غير ما إكراه) ص ٩٩ .
وفي الختام تحدث عن الكفارات والنذور وألوان من الصدقات اللازمة والصدقات المنشورة والوقف .

وخير ما يقال في الكتاب ما ختم به صاحبه القول . فهو (نظرات في التكافل الإسلامى وبلاحظ أن فيها توزيعاً لمصادر القوى في الدولة بحيث لا تطفئ فيها قوة على قوة ، وفيها تمكن الجميع من أن يعملوا بمقدار طاقتهم مع احترام الحقوق الخاصة التي لم

فتاوى نخناتة

نقديم : ابراهيم محمد الرصيل

(الاجابة لـ لجنة الفتوى)

عن ١٦ يوما تعطى للفقير والمساكين وهو من
ليس عنده مال أو كسب يكفيه ويجوز
إخراج القيمة وإعطائها للفقراء والمساكين
فالكيلة تساوى ٥٠ قرشا يخرج هذا الثمن
عن ١٦ يوما ، ويوزع على الفقراء
والمساكين .

أعظم شئ عنه الصيام

السؤال :

أفطر في شهر رمضان الماضي بعد تسعة
أيام منه للرض بعد أن أمره الطبيب بذلك
وقد لازمه المرض حتى رمضان هذا العام
فأفطر ، فماذا يجب عليه ؟

عبد الجواد شبنة / القاهرة

صوم رمضان بغير صلاة

السؤال :

يسأل عن يصوم رمضان ولكنه
لا يصل هل يصح صومه ؟ وهل يصح
الصوم لمن لم يغتسل من الجنابة أم يكون
صومه باطلا ؟

محمد بن رجب / حنابلة / الجمهورية الجزائرية

الجواب :

فرض الله تعالى كلا من الصلاة والصيام
ولم يجعل فريضة أحدهما متوقفة على الأخرى

الجواب :

الفطر للرض جائز شرعا لا إثم فيه ومن
أفطر للرض يجب عليه القضاء بمقدار
ما أفطره من الأيام بعد زوال المرض عنه
وما دام لم يقصر في القضاء لأفدية عليه ، أما
من قصر في القضاء بأن شفى من مرضه وتمكن
من القضاء ولم يقض ما فاتته حتى دخل عليه
رمضان العام الكامل فعليه فدية التأخير عن
كل يوم آخر قضاءه ، والفدية هي مد عن كل
يوم ، والكيلة بالكيل الموجود الآن تكفى

السؤال :

مريض بمرض الصدر وصف له الدكتور
المعالج (بخيخة) ليستعملها عند الأزيمة فكان
يصوم ويستعمل هذه البخيخة في اليوم
عدة مرات فما حكم هذا الصيام ؟
عبد الحميد عمر البحيري

الجواب :

إذا كانت هذه (البخيخة) تحوي مادة تصل
عند استعمالها إلى الحلق تبطل الصوم وتجعله
غير صحيح وما دام مريضاً لا يقدر على الصوم
فاقه تعالى لم يلزمه بأن يصوم بل جعل الفطر
مباحاً له فإذا شفى من مرضه هذا فعليه قضاء
ما قاته من الصيام وإن لم يستطع القضاء فعليه
عن كل يوم مضي مد من الطعام والكيله
الواحدة فيكفي عن ستة عشر يوماً .

السؤال :

نذرت أن أصوم ثلاثين يوماً ولكن
لا قدرة لي الآن على الصيام لمرضى ، ولكن
في استطاعتي أن أفدى عن هذه الأيام فهل
يصح الإطعام والفدية أم لا بسبب عدم
صيامى ؟

أبو الفتوح محمد الشريف

فن صام ولم يصل فقد فعل بعض الفرائض
وترك البعض الآخر ، يسقط عنه ما أداه
ويزال مطالباً بالآخر .

ولست الطهارة من الحدث الأكبر شرطاً
لصحة الصوم فن لم يغفل من الجنابة وصام
فصومه صحيح وإن كان مطالباً بالفصل ليمكن
من أداء الصلاة المفروضة عليه .

السؤال :

رجل مريض (بالربو) وفي الصباح يحصل
له ضيق في التنفس لأنه لم يتناول المسكن
فهل له أن يفطر ؟

محمد هبدي المجيد

الجواب :

إذا كان عدم تناول المسكن يترتب عليه
زيادة في المرض لا يحتملها وأخبر الطبيب
الحاذق بذلك جاز له تناول المسكن والإفطار
منعاً لزيادة المرض ثم إن أمكنه الصوم
في المستقبل فضى أفطره ، وإذا لم يمكنه
القضاء فإنه يفدى عن كل يوم أفطره والفدية
تكون بإخراج مد عن كل يوم والكيله
تجزئه عن ستة عشر يوماً .

الجواب :

يصح له الفدية عن كل يوم من طعام حيث
عجز عن الصوم الذى ألزمه بالنذر ولم يرج
شفاؤه وقدرته عليه ونجى الكيلة عن
سنة عشر يوما وله أن يخرج الفدية .

الجواب :

عن الأول : بأن تقبيل الزوجة أو لمسها
وهو صائم لا يفسد الصوم ومن الورع ترك
ذلك لأن من حام حول الحى يوشك
أن يقع فيه .

وأن لمس المرأة الأجنبية وهو صائم
لا يفسد الصوم كذلك ولكنه حرام
فى رمضان وفى غيره وفى رمضان تكون
الحرمة أشد .

السؤال :

١ — إذا قبل الرجل امرأته وهو صائم
أو لمسها ، أو لمس امرأة أخرى يحل له نكاحها
فهل يفسد ذلك صومه ؟

٢ — عاتق الرجل زوجته وهو صائم
فأنزل بدون جماع فهل يفسد صومه ؟

٣ — إذا وطئ الرجل امرأته ثم نزع
قبل أن ينزل فهل يجب عليه الغسل أو يجب
عليه الوضوء فقط ؟

وعن الثانى : بأنه إذا عاتق الرجل زوجته
وهو صائم فى رمضان فأنزل من غير جماع
فسد صومه ووجب عليه قضاء هذا اليوم .

وعن الثالث : بأن الرجل إذا وطئ
زوجته ثم نزع قبل أن ينزل وجب عليه
الغسل لقوله عليه الصلاة والسلام إذ التقى
الحثانان فقد وجب الغسل .

وعن الرابع : بأن الكذب حرام
فى رمضان وفى غيره ولكنه لا يفسد الصوم
وإنما ينقص الثواب فقط .

٤ — إذا كذب الرجل وهو صائم فهل
يفسد صومه ؟



أَنْبَاءُ وَآرَاءُ

قسم عال للدراسات الإسلامية والعربية

بكلية الشريعة بجامعة الأزهر

افتتح القسم العالى للدراسات الإسلامية والعربية بكلمتين للإمام الأكبر شيخ الأزهر والسيد مدير جامعة الأزهر ، وأهمية هذا القسم بما لا يحتاج إلى توضيح ، فهو كما قال السيد مدير الجامعة : إحياء للأزهر العتيق من جديد ، فالجامع الأزهر هو أبو الجامعة والجامعة بدون الأزهر يتيمة .

وهذا نص القرار :

نائب رئيس الوزراء للأوقاف وشئون الأزهر .

بعد الإطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها والقوانين المعدلة له .

وعلى مذكرة جامعة الأزهر المؤرخة

١٩٦٥ / ٢ / ٢٥ :

د قرر ،

المادة الأولى :

ينشأ في كلية الشريعة بجامعة الأزهر قسم

المادة الثانية :

يكون مقر هذه الدراسات في بناء الجامع الأزهر ويتولى التدريس فيه أساتذة الجامعة الحاليون والسابقون ، ومن يرى مدير الجامعة ندهم لهذا الغرض من المتخصصين في العلوم الإسلامية والعربية .

المادة الثالثة :

يتولى مجلس الجامعة تحديد مكافآت القائمين بالتدريس في هذا القسم والقائمين على إدارته .

المادة الرابعة :

يعين مجلس الجامعة رئيس هذا القسم ،
بعد ترشيح مدير الجامعة ، وأخذ رأى
شيخ الأزهر .

المادة الخامسة :

يقبل في هذا القسم الطلبة الحاصلون
على الشهادة الثانوية الأزهرية أو ما يعادلها
من الشهادات الأزهرية وغيرها ، وكذلك
من يستطيع متابعة هذه الدراسة من مبعوث
الدول الإسلامية بعد امتحان خاص
يجريه القسم .

المادة السادسة :

توزع برامج الدراسة في هذا القسم على
أربع سنوات ، يمنح الطالب في نهايتها شهادة
تسمى « الاجازة العالية للدراسات الإسلامية
والعربية » ويكون لصاحبها الحقوق التي تعطى
للحاصلين على درجة الاجازة العالية لللكليات
والمعاهد بجامعة الأزهر .

ويجوز لحريجي هذا القسم الحاصلين على
ثمانين في المائة من مجموع الدرجات الالتحاق
بأقسام الدراسات العليا في كليات : أصول الدين
والشريعة والدراسات العربية .

المادة السابعة :

تطبق قواعد الامتحانات في كليات الجامعة
على هذا القسم ، مع مراعاة ما يلي :

(أ) لا تحسب أعمال سنة للطلاب
في هذا القسم .

(ب) يكون الامتحان في هذا القسم على
دورين يحدد موعد كل منهما مجلس الجامعة
وللطلاب الحق في تأدية الامتحان كله أو بعضه
في أى الدورين شاء .

المادة الثامنة :

تطبق على هذا القسم قواعد التأديب الخاصة
بأعضاء هيئة التدريس وبالطلبة الواردة
في قوانين الجامعة ولوائحها .

المادة التاسعة :

إلى أن يعين رئيس لهذا القسم ، وإلى أن
توضع برامجه ونظم الامتحانات فيه في اللائحة
التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن
إعادة تنظيم الأزهر ، يتولى مدير الجامعة
إدارة هذا القسم في نطاق القواعد الواردة
في هذا القرار .

على أن يتخذ مدير الجامعة الاجراءات
اللازمة لتحقيق هذا الغرض .

المادة العاشرة :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار
ويعمل به من تاريخ صدوره .

٢٦ من شوال سنة ١٣٨٤ هـ

٢٧ من فبراير سنة ١٩٦٥ م

نائب رئيس الوزراء

الأوقاف وشئون الأزهر

(مهندس احمد عبده الشرباصى)

خطة الدراسة بالقسم العالي للدراسات

الإسلامية والعربية :

١ - يلتقى على الطلبة يومياً أربعة دروس
هذا يوم الخميس ، فيلتقى فيه درسان فقط ،
بالفصة للسنة الثانية ، ويجوز أن يزداد
عدد الدروس إلى أربعة دروس إذا دعت
الضرورة إلى ذلك وتكون هذه الزيادة بناء
على طلب شيخ القسم ، وموافقة السيد
مدير الجامعة .

٢ - مدة الدرس الواحد ساعة ونصف
ساعة .

٣ - المواد التى تدرس فى هذا القسم هى :

(أ) فقه المذاهب - وتكون الدراسة فى
فى السنة الرابعة مقارنة فى جميع المذاهب .

(ب) أصول الفقه .

(ج) التفسير وعلومه .

(د) الحديث ومصطلح الحديث ورجاله .

(هـ) الأخلاق والتصرف .

(و) التاريخ الإسلامى .

(ز) الأدب العربى وتاريخه .

(ح) النحو والصرف .

(ط) علوم البلاغة - البيان والمعاني

والبديع .

(ي) التوحيد والمعتقد .

٤ - توزيع المنهاج على السنوات الأربع .

السنة الأولى

عدد الدروس أسبوعياً ، عشرون درساً

موزعة على الوجه الآتى :

فقه المذاهب :

أربعة دروس ، منها درس واحد لتأريخ
التشريع وحكمته وأشهر الفقهاء ، ويدرس
فى بقية الدروس كتاب من أشهر الكتب
فى المذهب ، شرح الهداية للربغاني فى الفقه
الحنفى ، وشرح المنهاج للجلال المحلى فى فقه
الشافعية والشرح الكبير فى فقه المالكية
وشرح الإقناع فى فقه الحنابلة .

أصول الفقه :

درسان أسبوعياً ، يدوس فىهما مختصر :
شرح الورقات مع التقديم لها بمقدمة مختصرة
فى أصول الفقه وماهيته .

التفسير :

درسان فى الأسبوع ، يدوس فىهما كتاب
تفسير القاضى البيضاوى .

كتاب من الكتب السابق تدريسها في السنة الأولى ، دون المقدمة المنوه عنها فيها .
أصول الفقه :

أربعة دروس في الأسبوع ، المستعنى الغزالي ، والموافقات للشاطبي .
التفسير :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .
الحديث :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .
المنطق :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .
النحو والصرف :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .
علوم البلاغة :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .
التاريخ الإسلامي :

دوران في الأسبوع ، ويدرس فيهما تاريخ الأمم الإسلامية .
الأدب وتاريخه :

دوران في الأسبوع ، ويدرس فيهما كتاب النوادر لأبي علي القالي .
عدد الدروس : اثنان وعشرون درسا .

الحديث ومصطلح الحديث ورجاله :
دوران في الأسبوع ، ويقدم الأستاذ لعلم الحديث بمقدمة ، يشرح فيها مصطلح الحديث وأهم رجاله ، ثم يدرس كتاب الزبيدي .
المنطق وأدب البحث والمناظرة :

دوران في الأسبوع ، ويدرس كتاب شرح الحلي ، ويجوز أن تقرأ بعض الفصول من البصائر النصيرية ، ومبادئ المنطق الحديث .
التاريخ الإسلامي :

دوران في الأسبوع ، يدرس فيهما كتاب نور اليقين ، وتاريخ الخلفاء الراشدين الخضرى .

الأدب العربى وتاريخه :
دوران في الأسبوع ، ويدرس فيهما جزء من كتاب الكامل للبرعد .

النحو والصرف :
دوران في الأسبوع ، ويدرس فيهما كتاب شرح ابن عقيل .
علوم البلاغة :

دوران في الأسبوع ، ويدرس فيهما كتاب الإيضاح للقرطبي .
مجموع الدروس عشرون درسا في الأسبوع .

السنة الثانية
فقه المذاهب :
أربعة دروس في الأسبوع ، ويدرس فيها

وبعض فصول من كتاب إحياء علوم الدين
للغزالي .
درسان في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة
الثالثة .

النحو والصرف :

درسان في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنوات
السابقة .

علوم البلاغة :

درسان في الأسبوع تكملة للمنهاج السابق
وتلقى فيه مختارات من دلائل الإعجاز وأسرار
البلاغة والصناعات والعمدة لابن رشيق .

التوحيد والعقائد :

درسان في الأسبوع ، تكملة للمنهاج السابق .
عدد الدروس الأسبوعية عشرون درساً .
السنة الثالثة

فقه المذاهب :

أربعة دروس تكملة لمنهاج السنتين
السابقتين .

أصول الفقه :

أربعة دروس تكملة لمنهاج السنتين
السابقتين .

التفسير :

درسان تكملة لمنهاج السنتين السابقتين .

الحديث :

درسان تكملة لمنهاج السنتين السابقتين .

الأخلاق والتصوف :

درسان وتدرس فيهما الرسالة للفشيري

التوحيد والعقائد :

درسان في الأسبوع يدرس فيهما كتاب
المسيرة السالكين للمهام وبعض فصول
من رسالة الشيخ محمد عبده .

النحو والصرف :

درسان تكملة لمنهاج السنتين السابقتين .

علوم البلاغة :

درسان تكملة لمنهاج السنتين السابقتين .

السنة الرابعة

فقه المذاهب :

أربعة دروس ، منها ثلاثة تكملة لمنهاج
السنوات السابقة ودروس للفقه المقارن .

أصول الفقه :

أربعة دروس تكملة لمنهاج السنوات
السابقة .

التفسير :

درسان في الأسبوع ، تكملة للمنهاج السابق
ويضاف إليه بعض المنتخبات من كشف
الغشوى .

الحديث :

درسان في الأسبوع ، تكملة للمنهاج السابق ،
وتلقى بعض المنتخبات من صحيح البخاري
ومسلم .

الأخلاق والتصوف :

CHAPITRE I
L'OBLIGATION

Une doctrine morale digne de ce nom repose en définitive sur l'idée d'*obligation*. C'en est là l'assise la plus fondamentale ; c'est le pivot, l'élément nucléaire autour duquel gravite tout le système éthique, et dont l'absence anéantirait l'essence même et la substance de la sagesse pratique. Car, s'il n'y avait pas d'obligation, il n'y aurait pas de responsabilité, et, s'il n'y avait pas de responsabilité, il n'y aurait pas de retour de justice. D'où chaos, désordre, anarchie, non seulement de fait, mais de droit et d'après le soi-disant principe moral.

On voit dans quelle direction certains théoriciens modernes (1) tendent à nous conduire.

Comment d'ailleurs concevoir une *règle morale sans obligation* ? N'est-ce pas une contradiction dans les termes ?

Ou bien ferons-nous de la conscience un simple instrument d'appréciation artistique ? Mais n'est-il pas évident qu'*éthique* et *esthétique* font deux ?

(1) Par ex, Guyau, Esquisse d'une Morale sans Obligation ni Sanction.

Dans un sens plus profond, il est vrai, tout ce qui est *bien* est *beau*. L'inverse est-il également vrai ? Nul doute que l'idée de la vertu a sa beauté intrinsèque que les âmes goûtent quand même elle ne charmerait pas les yeux. Mais elle est encore quelque chose de plus. De par sa nature, elle est *agissant et motrice*, elle nous incite à agir pour en faire une réalité concrète. Tandis que, réduit à son expression la plus simple, le sentiment du *beau* n'a rien à voir avec l'*action* ; surtout quand son objet ne relève pas de notre volonté. Ainsi notre admiration pour la toute-puissance divine ou pour la grandeur de la voûte céleste ne nous porte pas à en créer d'autres exemplaires. Même lorsque l'artiste couçoit l'idée d'une œuvre réalisable, cette idée ne le *force* pas absolument à la mettre à exécution, mais elle l'*invite* gentiment à la réaliser quand il veut et s'il en a le loisir. Ou si elle s'impose aux uns, elle ne s'impose pas aux autres avec une égale nécessité. En tout cas, loin de contrarier les sentiments, elle les exprime. Ajoutez qu'un défaut commis dans une œuvre d'art a beau choquer les *sens*, il ne révolte pas les *consciences*. On n'est pas immoral pour cela.

“La Morale du Korân”

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

(5)

III. Etude Comparée.

Il faut avouer que le plan initial de ce travail fut conçu sous une forme restreinte, n'envisageant que l'exposé de la loi morale telle qu'elle se dégage du Koran, et éventuellement de l'enseignement du prophète, qui en est le premier commentateur accrédité. Mais M. Louis Massignon, Professeur au Collège de France et aux Hautes Etudes à Paris, nous a exprimé son désir de voir cette étude porter en même temps sur certaines doctrines des écoles islamiques célèbres; et, à cet effet, il a bien voulu mettre à notre disposition les rares et précieux ouvrages de sa bibliothèque, tant manuscrits qu'imprimés. De son côté, M. René Le Senne, Professeur à la Faculté des Lettres de l'Université de Paris, nous a suggéré l'idée de confronter la doctrine morale telle qu'elle ressort du Koran avec certaines doctrines occidentales. Nous nous sommes conformés bien volontiers à

leurs heureuses suggestions. Grâce à quoi, notre œuvre apparaît aujourd'hui sous une forme plus ample et plus considérable qu'elle ne l'eût été. C'est en quelque sorte un trait d'union, où se rencontrent les pensées éthiques de l'Orient et de l'Occident dans une comparaison intelligente et impartiale, exemptée de toute idée préconçue et de tout esprit d'école, et ayant pour unique arbitre dans chaque controverse le juste bon sens, éclairé par des documents bien établis.

Ce rapprochement entre les différentes cultures, servira-t-il de prélude, dans le domaine pratique, à une plus grande compréhension et à un humanisme élargi, dans lequel les bonnes volontés de part et d'autre se tendront les mains pour le bien de l'humanité ?

Souhaitons-le.

البلد الأمين

The land made Safe

« إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات
بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ، والله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلاً . (آل عمران ٩٧ - ٩٦)

(Lo : The first sanctuary appointed for mankind was that at Becca (Mecca), a blessed place, a guidance to the peoples, wherein are plain memorials (of Allah's guidance); the place where Abraham stood up to pray ; and who so ever entereth it is Safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither).

(From page 3)

responsibilities of motherhood. She runs hither and thither frantically searching for a place where her offspring will be safe. She delivers the kitten and forgets everything as she licks them in her joy of fulfilment. They, on theirpart, have already begun to seek the means of sustenance and blindly grope for their mother's teats. They cannot see and they cannot be helped in their quest by their mother, who cannot, like a human mother, place her nipple herself in the child's mouth. As soon as they find a teat, they suck it with all their strength, as if they knew that their very life depended upon it. Certainly no human or other being on earth taught the cat and the kitten all the varied and extremely complicated vital processes, on which the continuance of life depends.(1)

(1) The Quintessence of Islam.

(From page 12)

back to the cradle of his faith, the childhood of his Prophet ; it reminds him of the struggle between the old faith of idolatry and the new one (Islam), of the overthrow of the idols, and the establishment of the worship of the one true God. And, most of all, it bids the Muslim to remember that all his brother - Muslims are worshipping towards the same sacred spot, that he is one of a great company of believers, united by one faith, filed with the same hopes, reverencing the same thing and worshipping the same God » (1).

(1) The comment mentioned in the book of "the religion of Islam" by Dr. Ahmed-Galwash - v 11 p. 62.

TRUE RELIGION

The Holy Quran says :—

• ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمعرب
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والتبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب
وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا
والصابرين فى الأساء والضراء وحين البأس أولئك
الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون .
(سورة البقرة ، الآية ١٧٧)

“It is not righteousness that ye turn your faces to the east and the west; but righteous is he who believeth in Allah and the last Day and the angels and the Scripture and the Prophets; and giveth his wealth, for love of Him, to Kinsfolk and to orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask, and to set slaves free; and observeth proper worship and payeth the poor due., And those who keep their treaty when they make one, and the patients in tribulation and adversity and time of stress. Such are they who are sincere. Such are the God-fearing.”

The above Quranic verse has dealt fully with the essence of Religious principles. It mentions the principles of Islamic faith, Practical

Devotions, the basis of social and national life and Moralities. Islam calls man to follow his original Nature as designed by God. As the Quran says.

• فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر
الناس عليها ، لا تبدل خلق الله ذلك الدين القيم ولكن
أكثر الناس لا يعلمون .
(سورة الروم ، الآية ٣)

“So set thy purpose for religion as a man by nature upright; the nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not.”

We have seen in this verse that the true religion is to follow man's original nature. The Holy Quran gives a perfect constitution and an excellent guidance to mankind in all walks of life; as the Quran says :—
• وإن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله .

“This is my way, leading straight; follow it; and follow not other ways, they should scatter you from His (straight) Path.”

MOHIADDIN ALWAYE

Qur'an or observed by the messenger (peace be upon him) in his Pilgrimage.

In Pilgrimage the spirit of equality and fraternity reaches its climax. It is the highest manifestation of Islamic brotherhood and democracy. Nature dictates that brothers should have one common meeting ground for exchange of love and affection. Pilgrimage fulfills this object in the most excellent way as it is universal assemblage of the brethren-in-faith, in the central place of monotheism represented by the Holy Ka'aba. Not only is there uniformity of religion among the Muslims but there is also unity of dress, of living and unity of feelings in Ihram. The demonstration of equality furnished on this occasion is so complete that it is well-nigh impossible to distinguish a servant from a master. The whole of Muslims assume one aspect and one attitude and thus the noblest sight of equality and brotherhood is witnessed in pilgrimage especially at the hill of Arafat.(1) The Pilgrimage, indeed, represents the last stage of spiritual advancement. Some fanatic opponents who oppose the religion of Islam assumed that : the pilgrimage is a sign of Muhammad's

tending to idolatry, and they asked how the destroyer of idols could have reconciled his conscience to the circuits of the «Ka'aba» and the veneration of the "Black Stone".

Mr. Stanley Lane Pool - a prominent Orientalist explained the subject by a famous comment which threw still more light when he said : « The fact is that Muhammad perceived (1) that the worship in the «Ka'aba» would prove of real value to the religion. He swept (2) away the more idolatrous and immoral part of the ceremonies, and retained the Pilgrimage to Mecca and the old veneration of the temple for reasons of which the wisdom is impossible to dispute. He well knew (3) the consolidating effect of forming a centre to which his followers should gather, and hence he reasserted the sanctity of the «Black Stone». He ordained (4) that everywhere throughout the world the Muslim should pray facing towards the «Ka'aba» and he enjoined (5) him to make the pilgrimage thither. Mecca represents all the influence of centuries of associations. It carries the Muslim (See page 14)

(1) See Magazine of (God is the light of the heavens and the earth) January 1959.

(1) Was really ordered by revelation.

(2) Allah ordered him to do that.

(3) Was ordered by Allah.

(4) By revelation.

(5) Was ordered by Allah.

AL-HAJJ (Pilgrimage)

An Islamic World Conference

By : IBRAHIM - M - EL-ASSIL

« وَاذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ، ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ » .

"And proclaim unto mankind the pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel; they will come from every deep ravine. That they may witness things that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days days over the beast of cattle that He hath bestowed upon them. Then eat thereof and feed therewith the poor unfortunate. Then let them make on end of their unkemptness and pay their vows and go around the ancient House".

(22/27,28,29)

« وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ »

"Perform the pilgrimage and the visit (to Mecca) for Allah".

(2/196)

The pilgrimage constitutes a religious obligation on every Muslim,

once in ones lifetime. The obligation is explicitly limited by possession of the necessary means and the physical possibility of getting to Mecca.

The times of pilgrimage are those defined by God in His words :

« الْحَجَّ أَشْهُرَ مَعْلُومَاتٍ »

"The pilgrimage is in the well-known months". (2/197).

These months are Shawwal, Dhû'l Qàda, and the first ten days of Dhû'l-Hijja.

As for the lesser pilgrimage (Umra), it is not limited to any definite time of the year. Here is one of the distinctions between the Hajj and Umra — It is said that the Prophet himself performed it once in Shawwâl and another time in Dhû'l-Qa'da, though he declared that Umra in Ramadân (the month of fasting) is equal to the Hajj in gaining God's blessing-without meaning, of course, that it would replace it. The rites of Pilgrimage were retained and prescribed in the Holy

"There is no god but Allah, and Muhammad is the Messenger of God". If one declares his servitude to the One God to the exclusion of any other thing, and if he declares that Muhammad is the Messenger of God, he will necessarily believe in the message of Muhammad. The belief in this message will, in turn, lead to the belief in what is contained therein such as the belief in the existence of God, His Attributes, His Angels, His Books, His Messengers, and the Last Day.

QUESTION :

What is the difference in Islam between faith and law?

ANSWER :

Faith is the theoretical side of the religion and it is its aspect which is required in belief before any other thing. Faith is based upon clear and unquestionable texts from the religious recourses. The meanings of these texts are agreed upon by the believers unanimously since the beginning of the religious call. The faith was the first thing the Prophet called for, and also all other Prophets of God, as the holy Qur'an clearly indicated.

We mentioned before that the basic principles of faith are the

belief in God, His Angels, His Books, His Messengers, and the last Day.

As to the law, it is the system of rules which God, the Almighty, legislated to organize the relationship between man and his Lord, and among people themselves.

The divine legislation has two aspects : The first is the aspect of worship which is a manifestation of the sincerity of the believers in their approach to God. This aspect includes 'عبادة' (Ibadat) or all kinds of worship. The other aspect is 'معاملات' (Muamalat) which deals with all worldly transactions of people in their daily life.

The aspect of worship includes Prayer, Almsgiving, Fasting, and Pilgrimage. Since these four kinds of worship show the sincerity of the believer, his obedience to God, and his preservation to the religion they were considered as the pillars of the Religion, as the Prophet said:

"Islam was built on five pillars: to believe that there is no god but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah, the Prayers, the Almsgiving, the Fasting, and the Pilgrimage for whom who can afford it".

justice. If the good actions outweigh the evil ones, forgiveness will follow, and vice versa.

e) The forgiven people will have the reward of abiding in Paradise, and the evil ones will be punished in Hell.

QUESTION :

What is the effect of the belief in the Day of Judgment in the behaviour and actions of people ?

ANSWER :

This belief has vital effect in our behaviour in this life. It is a fact that man is incited to act or not to act according to whether his action brings about benefit or harm to him in his life in this world. Those who believe in the reward and punishment in the life hereafter are not content with the actions that bring about quick results. They rather try to do good, and avoid evil, even if their action will not cause quick results. They will defend truth and do goodness for its own sake.

Those who do not believe in the Day of Judgment cannot choose the way of goodness, for they do not believe in either reward or punishment on that Day. If they are asked to give charity to the needy, they refuse, thinking that charity decreases their wealth with no apparent benefit. In this way,

they commit every sin if it brings to them a cheap benefit in this life, with no consideration to accountability for actions on the Day of Judgment.

This shows clearly how important is the influence of the belief in the Day of Judgment on the behaviour of men in this life.

QUESTION :

Is it mentioned in the Holy Qur'an that the basic principles of Islam are limited to the five ones mentioned before ?

ANSWER :

These basic principles in Islamic faith are originated in Holy Qur'an when it says :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . »

(The Messenger believes in what has been revealed to him from his Lord, and so do the believers. They all believe in God and His Angels and His Books and His Messengers . . .) And :

« ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا . »

(. . . And whoever disbelieves in God and His Angels and His Books and His Messengers and the Last Day, he indeed strays far away).

To believe in all this is summed up in these words :

Is it possible, then, to imagine that such a person who writes such things is a prophet, or a promised messiah, or even an ordinary Muslim ?

QUESTION :

What is the fifth basic principle of Islam ?

ANSWER :

The fifth basic principle of Islam is the belief in the Day of Judgment. This Day is the end toward which everyone will be returned. The Holy Quran says :

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى . »

(And that man can have nothing but what he strives for. And that his striving will soon be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward. And that to you Lord is the Goal).

The Holy Qur'an states that the life of everyone with its reward or punishment, abiding in Paradise or Hell, depend upon his course of his life in this world.

The Almighty Allah says :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . »

(So he who does an atom's whight of good will see it. And he who does an atom's weight of evil will see it.) And :

« فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هو المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى . »

(Then as for him who is inordinate, and prefers the life of this world : Hell is surely the abode. And as for him who fears to stand before his Lord and restrains himself from low desires : The Paradise is surely the abode).

Therefore, the belief in the Day of Judgment is the most vital force that incites man to perfection and elevation in this world in order to attain the highest grade in the hereafter. The Qur'an speaks about the kinds of enjoyment in Paradise and the ways of punishment in Hell in our wordly imagination ; because this is the only way we could understand. However, the conditions of life in the hereafter should be understood that they are different from those of this life. We must know these important facts about the Day of Judgment :

a) On the Day of Resurrection, God will put to extinction this world and all creatures therein.

b) God will revive all people again to another life.

c) All people will be brought to account for what they did in this life.

d) The deeds of people, whether good or evil, will be weighed in

Second : The teachings of the Prophets became by time incomplete, distorted, and partly changed. Those of the Prophet Muhammad are completely preserved, clear, and unchanged.

Third : Other messages before Islam were conveyed to people according to their conditions and abilities. It was a divine law that

God revealed His message according to the gradation of the evolution of humanity. When humanity began to reach its perfection, the prophet Muhammad was sent with the complete message. The Islamic law abrogated previous divine laws, and Muhammad was declared to be the last of all prophets.

QUESTION :

If the Prophet Muhammad is the last Prophet, how true is the claim that Mirza Ghulam Ahmad is a prophet ?

ANSWER :

It is historically an established fact that Qadiani movement was a product of English diplomacy which was very much disturbed by the movement of Islamic strife against English colonialism under the leadership of Imam Ahmad ibn Irfan in Indian Peninsula. The English realized that the Religion is an activating force in the lives of the

Muslims. They tried to find a man who sacrifices the religion to the service of English interests. Mirza Ghulam Ahmad was their man who claimed that he is the promised messiah. To serve his masters, he declared the abolition of the religious war against the colonial power. He said in one of his books :

“Since my youth, I kept striving with my speech and my pen to turn the hearts of Muslims toward sincerity to English government, and to abrogate the idea of “Jihad” or religious strife which is adopted by ignorant Muslims. He said also : “The more my followers increase, the more the number of the believers in “Jihad” decreases. To believe that I am a messiah is in itself a denial to Jihad”.

In a message to English government, Ghulam Ahmad said : “I wrote scores of books in Arabic, Persian, and urdu, in which I declared that “Jihad” is unlawful against the English government which was kind to us. It is a duty on every Muslim to obey this government sincerely. I had my books published on my own expense and distributed them in Islamic countries.

My followers are truly sincere toward the English government, and I believe that this government is a blessing for this country”.

(Then, after them, we sent Moses with Our Messages to Pharaoh and his chiefs . . .).

The message of the Prophet Muhammad (peace be upon him) is general for all mankind, until the Day of Resurrection.

QUESTION :

Are the Messengers different in their nature from other people ? .

ANSWER :

The Holy Qur'an emphasised the human nature of the Messengers in more than one verse, such as the following :

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد . »

(Say (O Muhammad) : I am only a mortal like you, it is revealed to me that your God is one God..)

« وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم »

(And We sent not before you any but men to whom We sent revelation...)

The only difference between the Messengers and other people is that the first are immune from committing sins, and that they were chosen by God to convey His messages to humankind. This in no way means that they were above the human nature. The Qur'an addresses the Prophet Muhammad by this verse in this connection :

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأتن مت فهم الخالدون . »

(And We granted abiding forever to no mortal before You. If you die, will they abide ?)

In this way, the Holy Qur'an gives its decisive position regarding those who claim the godhead of some messengers, of that they are the sons of God, or they are of both natures : human and divine. Islam is strict in its declaration that the only deity is God. The Verse says :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . »

(Say : He, Allah, is One. Allah is He on Whom all depend. He begets not, nor is He begotten. And none si like Him).

QUESTION :

What is the difference between the message of the prophet Muhammad and that of other Messengers ?

ANSWER :

We indicated before, some of the characteristics of Muhammad's message. However, we give here More details in this respect :

First : The message of the prophet Muhammad is general to all humankind in all times, while the message of other Prophets are limited to their own peoples.

not make any distinction between any of them and to Him do we submit).

Islam, also required to believe that Muhammad is the last of all prophets, and that his message is for all humankind.

The Qur'an says :

« ما كان محمد أباً أحمد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . »

(Muhammad is not the Father of any of Your men, but he is the Messenger of God and the seal of the Prophets . . .).

And :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً . »

(. . . this day I have perfected for you your religion and completed My favour to you and chosen for you Islam as a religion . . .).

Thus, the Holy Qur'an stated that the message of the Prophet Muhammad is not only the last of all divine messages and that he is the last Prophet, but stated also that his message is general to all nations till the end of this world. We read in the Qur'an as follow :

« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً . »

(Say : O mankind ! surely I am the Messenger of God to you all . . .).

« وأوحى إلى هذا القرآن لأنذرکم ومن بلغ . »
(أنعام ١٩)

(. . . And this Quran has been revealed to me that with it I may warn you and whomsoever it reaches . . .).

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٧)

(And we have not sent you but as a mercy to the worlds).

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »
(سبأ ٢٨)

(And we have not, sent you but as a bearer of good news and as a warner to all mankind),

As to other prophets, the Quran speaks about them in terms of their being sent only to their own nations. we read in the Quran :

« لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه »

(we sent Noah to his own people . . .).

« وإلى عاد أخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . »

(And to Ad we sent their brother Hud. He said : O my people, serve Allah, you have no god other than Him . . .).

« وإلى ثمود أخاهم صالحاً . »

(And to Thamud we sent their brother Salih).

« وإلى مدين أخاهم شعيباً . »

(And to Madian We sent their brother Shuaib).

« ثم بشنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملاته . »

The Fundamental Beliefs of Islam

(4)

By : Abdul Wadood Shalaby

What is the fourth basic principle of Islamic faith ?

It is the belief in all the Prophets and Messengers sent by God to bring forth humankind from darkness into light. As Islam required its followers to believe in the Angels, who are the agents of God to His Messengers, it is also required them to believe in the Prophets who are the Messengers of God to the mankind. Those who believe in one of the Messengers should believe in all of them, and those who disbelieve in one of them are considered disbelieving in all of them. God, the Almighty says in His Holy Book :

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً » .

(Lo ! Those who disbelieve in Allah and His Messengers and seek to make a distinction between Allah and His Messengers and say : We believe in some and disbelieve in

others ; and seek to choose a way in between — Those are truly disbelievers ; and we have prepared for the disbelievers an humiliating chastisement).

Therefore, Islam demanded the belief in all Messengers and what was revealed to them. The distinction in them is a disbelief in Islam. The Holy Qur'an say :

« والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » .

(And who believe in that which has been revealed to you and that which was revealed before you . . .)
And :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

(Say : We believe in God and in that which has been revealed to us, and in that which was revealed to Abraham, and Ismael and Isaac and Jacob and the tribes, and in that which was given to Moses and Jesus, and in that which was given to the Prophets from their Lord, we do

and requirements of its environment, for it is in its own environment that it must seek its fulfilment. This adjustment is brought about in two ways, which the Qur'an refers to repeatedly and describes as "taqdir" (destiny), and "hidayat" (guidance).

Taqdir means the proper assessment of something and prescribing a certain state or condition of existence for it. Nothing can move outside the limits of that fixed state. The planets cannot leave their orbit; the oceans cannot leave their bed; the birds cannot live in water and the fish cannot exist on land; the tropical plants cannot be transplanted in the polar regions and polar bear cannot survive near the Equator. That is the Destiny ordered by a wise and beneficent Maker. Every being is equipped for life within its environment, and similarly every environment is so ordered that its products and effects are according to fixed laws, so that there is stable adjustment between the environment and the beings which exist in it and life is not endangered.

Every step in life is subject to guidance, whether external or internal, of some kind and some degree. In the present context it is necessary to refer to only that aspect of guidance from the Rabbil-Alameen (Cherisher and Sustainer of the

Universe) which enables all beings to seek and obtain the means of their sustenance without which all life would cease. This guidance first comes to every being in the form of instinctive revelation and then it lights the lamps of senses and understanding which give man the illusion of power and independence and lead him to imagine that he guides himself. Man has a very short memory; he forgets that when he came into the world it was no human guidance which taught him to cry and make his lungs function or to seek his means of sustenance from his mother's breast. No man told him that his mother's nipple was his fountain of life and no man taught him to use his jaws so as to suck that nipple hard and thus to drink from that fountain.

This divine guidance, in the form of instinct, is given to every being so that life may go on. Take, for instance, a cat. It is her first experience of pregnancy and yet, without any external guidance, She knows that she is going to give birth to beings like herself and that she must not only suckle them, so that they may live, but also protect them till they are strong enough to look after themselves. As the moment of arrival of these new beings approaches, she knows that the time has come for her to assume the

(See page 14)

entire existence turns to their aid ; the Sun and the moon, the heavens and the earth, the atmosphere and the elements, it would appear, are all in attendance to help the birth of an ant or the planting of a seed that drops from a farmer's hand.

As Soon as a being comes into existence it finds that nature has already prepared the means of nourishment and sustenance for it in the quantity, form and place best suited for that being. Notwithstanding the unparalleled pain of childbearing, the mother is filled with love for the offspring which no devotion can equal ; nature has thus ensured continued existence and flowering. With an irresistible passion, the mother clasps the child to her bosom, and there the child finds its nourishment in sufficient quantity and of the right quality. The milk is at first thin because the child's stomach is weak ; but as its digestion grows stronger, the milk thickens till nature dries it up altogether and thus announces that the child is ready for other less scarce and more suitable nourishment. So it is with mother's love, which is essential for the continuance of existence. Instinctively, it is at its intensest when the new born is but a helpless lump ; it diminishes as the child grows stronger till it dies out altogether among the animals and is reduced

almost to a memory even among human beings, with their family System ;

Another striking aspect of this organisation for the continuance and fulfilment of life is its universality. The same laws apply equally to all beings, whether they are human, animal, vegetable or mineral. A piece of dry stone or a fresh fragrant rose, a tender plant or a lusty child, a humble ant or a proud elephant, an insignificant insect or a mighty man, they are all subject to the same universal cycle of helpless birth, tender infancy, strong maturity, inexorable decay and again helpless death, they disintegrate or wither or die. Different words are used but they imply the same meaning ; they are different garbs to clothe the same reality ; the same universal process of creation, sustenance, fulfilment and continued existence.

Even more marvellous than the ordered, provision of means of sustenance is nature's organisation of the inner capacity of beings to utilise those means of sustenance. But for such inherent and trained capacity, all the means of sustenance would be useless and life would come to an end. Nature has, therefore, so fashioned every being and endowed it with such capacities that it is fully equipped for the conditions

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

RAMADAN
1384

ENGLISH SECTION
EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

FEBRUARY
1965

THE QURANIC CONCEPTION OF GOD - II - Cherisher and Sustainer of all the Worlds -

BY : MOULANA ABUL KALAM AZAD

Apart from the means of existence and the quantity and proportion in which they are available, one cannot but wonder at the evident order with which the entire universe is organised. Everything appears to have been created and ordered as if with one Single object, to create life and to enable it to attain its fulfilment to its utmost capacity. The Sun is there to serve as a lamp and oven and also to lift water and store it in the heavens to be distributed when the need arises. The Sun could not, however, perform this last function without the help of the wind, which, with its cool breath, congeals that water into rolls of cloud. The Sun

then transmits heat to those clouds and makes them melt and yield water to a ready earth. The earth is there to catch that water and, with its help, to bring forth in the right form and at the right time the treasures which it ever stores in its bosom, like a woman's milk, for the furtherance of life; to every seed it offers life and to every plant nourishment, so that they, in their turn, may be the means for continuing and sustaining life so it is with every particle of existence and in every nook and corner of the Univers. Every force seeks strength and every Cause effect, and no sooner do they begin to strive for fulfilment than

مجلة الأندلس

مجلة شهرية جامعية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل لا اشتراك»
٥٠ ضاحج الجمهورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

تصدر عن شعبة النشر في أول كل شهر عربي

الجزء الثامن والتاسع - السنة السادسة والثلاثون - شوال وذو القعدة سنة ١٣٨٤ هـ - مارس ١٩٦٥ م

سما الله العليم الغني

أثر الأدب في ثورة العرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

سيل جارف يحطم الحواجز، ويقتلع الصخور ويهيئ الأرض للربيع. النهضة دعوة باللسان مادام هناك عقل مستعد، والثورة جهاد بالسيف متى تغلب على العقل هوى مستبد. النهضة والثورة قوامهما - كما قلت - واحد: هو الأدب. يكون للنهضة غذاء يجي ونوراً يهدي، كما يكون للثورة وقوداً يشعل وناراً تطهر. فإذا زالت العقبات، واستقرت الأمور، وسكنت الثورة. انفرد الأدب بالنهضة ينفخها بروحه حتى لا تضري، وينضجها بندها حتى لا تجف. وضراوة النهضة وجفافها مخاضها المادية. والمادية

لا يمكن أن تكون ثورة إلا إذا سبقتها نهضة، ولا يمكن أن تكون نهضة إلا إذا بشرت بها دهوة. والدهوة إما بعثة نبي أو رسالة مصلح. وليس للثوريين من أداة إلا أدب الوحي. ولا للمصلحين من أداة إلا وحي الأدب. فالنهضة والثورة تتفقان في المصدر، وتختلفان في المظهر: النهضة انقباض والثورة انتفاضة. النهضة علاج يوقظ الوحي الغافي، ويقوى الجسم الضعيف، والثورة جراحة تستأصل الداء، وتقي المريض النكسة. النهضة نهر فياض يتغذى بالحياة ويفيض بالخصب ويهيئ البلاد للعمران، والثورة

سنظل مؤمنين مصدقين بما قال الله تعالى
فينا : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيذاً » .

وسنعتقد دائماً : أن روح العروبة
هو الأدب ، وحدها بعد شتات في القرن
السادس ، ثم أحيائها بعد مائة في القرن
العشرين .

وفي هذين القرنين سجل التاريخ للعرب
نهضتين عظيمتين مهدت الأولى للإسلام
وكانت فتحة لعالم جديد ، ومهدت الأخرى
للسلام وستكون فاتحة لعالم أفضل .

كانت النهضة الأولى موطنها الحجاز ، ومبعثها
مكة ، ذلك لأن مكة كانت في النصف الثاني
من القرن السادس الميلادي محطاً للقوافل
التجارية الآتية من الجنوب تحمل البضائع
من الهند واليمن فيبتاعها المسكينيون ويصرفونها
في أسواق الشام ومصر ، وكانت طرق مكة
الموصلة آمنة لحرمة البيت ، ومكانة قريش ،
فكان تجارهم يخرجون بقوافلهم الموقرة آمنين
فينزلون الأسواق ويهبطون المدن فيستفيدون
بسطة في العلم ، وقوة في الفهم ، وثروة في المال
وخبرة بالحياة .

وكانوا يحكم إبلاهم رحلة الشتاء إلى اليمن
ورحلة الصيف إلى حوران ، أشد العرب

هي علة الشقاء للإنسان الحديث . أصيبت بها
المدنية الأوروبية حين وقعت الجفوة بينها
وبين الدين ، وانقطعت الصلة بينها وبين القلب
فتباعدت القربي ، وتشعبت الحاجات ،
وتنافست الأطماع ، وتكشفت الأحقاد ،
واضطرب الناس في سبيل المكسح ،
والهبتهم حوافز النهم ، حتى عجزوا بخلقهم
وطبيعتهم عن مسيرة الحضارة الخالية من
الروح والضمير والحب ، فعموا بالطائرات
وعملوا بالآلات ، ونظروا (بالتلسكوب)
وسمعوهم (بالميكروفون) . وضائق عليهم
الأرض برحبها فاضربوا في الآفاق ، واختصموا
على بلاد المستضعفين وحكوا بيدهم السلاح ،
فكانت هذه المدنية المادية أشبه بسمير
الآخرة ، تنضج الجلود ولا ترهق الأرواح
ليستمر الاضطراب ويتجدد العذاب ويدوم
للطبيعة الخداعة هذا الثوب البراق بفضل
هذا الإنسان الاحمق الذي يعمل ولا يعرف
لماذا . ويسرع ولا يدري إلى أين ! ...

لا نستطيع إذن أن نفصل بين نهضتنا
والأدب ، ولا بين حضارتنا والدين أتعاطا
بالفشل المروع الذي نكبت به الحضارة
الغربية ، وإيماننا بأن لنا نحن العرب
رسالة روحية اصطفاها الله لأدائها جيلاً بعد
جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء والأرض ،
ويدوم المدد بين الله والإنسان .

كان أثر عكاظ في نهضة العرب أشبه بأثر الجناز في نهضة الإغريق . كان الإغريق يقيمون الجناز للألعاب الرياضية في مدينة (أولمبيا) كل أربع سنين كلما حجوا معبد (جوبيتر) كبير الآلهة . وكانوا يحرمون القتال على أنفسهم مدة الحج واللعب على نحو ما كان يفعل العرب في الأشهر الحرم . ثم أصبح هذا الملعب الرياضي ميدانا لرجال الفكر والشعر والخطابة والتشيل كان له الأثر البالغ في ازدهار الأدب الإغريقي على الجملة .

على أن عكاظا كان أثره في نهضة العرب والأدب أقوى ، ومداه أبعد ، فقد كان الرواة ينصرفون منه إلى أحيائهم وقراهم ، وعلى ألسنتهم ما حفظوا من شعر ، وما سمعوا من قصص ، وما اكتسبوا من علم ، وما شهدوا من وقائع فينشرونه بين الناس في السواحل والأندية فينتفتح الوعي ، وتنشأ المعرفة .

وهكذا اجتمعت الأسباب الطبيعية لنهضة عرب الشمال قبل الإسلام من احتشادهم في هذه الأسواق واجتماعهم لأداء الحج ، واختلاطهم بأولى الحضارات والديانات من الأمم المجاورة ، واحتفالهم بقرض الشعر وتأثرهم به ، وطموحهم إلى الجود وصعيتهم له ، حتى كان من ثمار تلك النهضة أولئك الأبطال الأعلام الذين قبلوا الإسلام وفهموه وفقهوه ونصروه ونشروه وقاموا على أمره ، كما بنى بكر وهر وعثمان

اختلاطا بالحبشة في الجنوب ، وبالفرس في الشرق ، وبالروم في الشمال ، ثم كانوا على إثارة من العلم بالكتب المنزلة باليهودية في يثرب وما جاورها من أرض خيبر ونياء وبالنصرانية في الشام ونجران والحيرة .

ذلك إلى أن مكة كانت في الجاهلية كما هي في الإسلام موضع البيت المحرم ، وكان الحج المفروض فتقد إليها قبائل العرب من أقطار شبه الجزيرة يتنصرون المناسك ، ويتبادلون المنافع . وبفضل هذا الاجتماع الديني العام كانت تقوم سوق عكاظ السنوية في شهر ذي القعدة على مسافة قريبة من مكة ، فيجتمع فيها الحجاج وهم في حى الأشهر الحرم ، وهي الهدنة العامة المقدسة ، فيبيعون ويشتررون . ثم تدعو طبيعة الاجتماع إلى المقارضة بالقول والمفاوضة في الرأي والمباذلة بالشعر والمباذلة بالفصاحة . وكان الشعراء من أمثال : النابغة والأعشى ، والخطباء من أمثال : عمرو ابن كلثوم ، وقيس بن زهير ، والسكمان من أمثال : قيس بن ساعدة ، وأمية بن أبي الصلت ، يقومون في هذه السوق مقامات مشهورة للشدح والفخر والوعظ . تعرض بعض النفوس على الشر ، وتوجه بعض النفوس إلى الخير ، وتسبب للفتوة العربية خلال الجود ومناهج الجود ، وتذيع فيما تذيب وحدة الخلق والعادة واللغة والغاية .

الأدب يؤازر الثورة كما آزر النهضة ، فكان يشجع القلوب بالشعر ويحمس الجنود بالقصص ، ويريض الأمور بالخطابة ، حتى ظهر الإسلام على الدين كله وتم نوره في الشرق كله .

هذا لإجمال القول في النهضة العربية في القرن السادس ، مهد لها الأدب ، ومهدت هي للإسلام ، وأتم الإسلام الألفة بين القلوب والوحدة بين القبائل ، ثم أشعل الثورة على الوثنية والارستقراطية والفساد حتى طهر الأرض وحرر الناس ، ومدن العالم .

أما نهضة العرب الأخرى في القرن العشرين وأثر الأدب فيها فمبنى موضوع المقال التالي .

أحمد حسن الزيات

وعلى وعمره وخالد وسعد . وليس أدل على فضج العقلية العربية في ذلك الحين من هؤلاء . وكلهم من أقطاب الفكر والرأى والخطابة . ولسلطان الأدب على النفوس في هذه النهضة كانت معجزة الإسلام الوحيدة هي البلاغة وسلاحه القاطع هو التحدى ، ثم كانت من معارك الدعوة النبوية العظمى معركة الشعر . نشبت بين حسان بن ثابت ، وركعب بن مالك ، وهب الله بن رواحة من شعراء الإسلام ، وبين عبد الله بن الزبير وأبي سفيان ، وعمرو بن العاص من شعراء الشرك ، فلما اصطدمت الدعوة بالعناد ، ووضع المشركون في طريقها السيف ، أمر الرسول بالجهاد فكانت الثورة وكان الفتح وكان السلام ، واستمر

في الإسلام

د ... الإسلام يريد أن يكون الخلفاء والولاة أمناء للناس على حقوقهم ، وأموالهم ومرافقهم ، يدبرونها عن ملأ منهم ، وعن مشاورة ومؤامرة ، ويمضونها في غير تجبر ولا تكبر ، ولا أثرة ولا استعلاء ، ويدبرونها كذلك لا على أنهم صادة يمتازون من الناس بأى لون من ألوان الامتياز ؛ بل على أنهم قادة يثق الناس بهم ويطمثون إليهم ، ويرونهم كنفاء للقيام على أمورهم ، فيعهدون إليهم بهذه الأمور عن رضا واختيار ، لا عن قهر أو استكراه . ثم يراجعهم في هذه الأمور من شاء منهم أن يراجعهم فيها ، فإن أصعبان لهم أنهم أخطئوا كان من الحق عليهم أن يعودوا إلى الصواب ، وإن أصعبان لهم أنهم انخرفوا كان من الحق أن يستقيموا على الطريقة ... وهى هذا النحو ... مضى النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا اختاره الله لجوارده مضى خلفاؤه على سنته ... ، (طه حسين)

حكمة العيد وما شرع له

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون
شيخ الجامع الأزهر

وجه الإمام الأكبر فضيلة الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع
الأزهر تلك الكلمة الطيبة المسلمون في استقبال عيد الفطر المبارك :

آثار كحرية نيلت بعد فضال ، أو استقلال
استخلص من احتلال ، أو نصر مؤزر على
عدو ظالم ، وعدوان غاشم ، وكل هذه الأعياد
ترجع لسبب واحد تميزه الأهم كل عام ،
وتتكرر فكرته الواحدة على الدوام ،
واسكن أعياد الإسلام تميزت عن كل الأعياد ،
بتمجدد دواعيها ، فمع كل عيد مبررات الفرح
به والبهاشة له والافتراح فيه ، فعيد الفطر
الذي تستقبلونه اليوم يمثل الجزاء العاجل
لأن قام بالواجب ، فحق المؤمن أن يفرح
فيه لأنه أطاع أمر ربه ، فكيف نفسه عن
الشهوات ، وجاهد عاداته بالجوع لتصفو ،
وبالظم لتشوق ، وأصلح من مضغة قلبه
فكيف عن محارم ربه ، واسع طاع أن يعيش
شهرأ كاملاً صائماً النهار ، قائم الليل ، مهذب
النفس ، مثالي السلوك ، نقي السر رقيق الجهر ،
جميل الفعل ، سخي البذل يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ،
فحقه أن يفرح لأنه انتصر على النفس ، وتغلب
على الشيطان ، وأدى الواجب كما طلب منه ،
ونفذ الأمر كما وجه إليه وإذا كان هذا فرحه
بفطره . فكيف تكون فرحته بلفاء ربه .
أيها المسلمون : لأنكم بهذا تستطيعون أن

أيها المسلمون : باسم الله أحييكم ، في اليوم
الذي حياكم الله به فجعله لكم هيداً تستقبلونه
بالبهجة ، والافتراح ، وتميدونه في الزينة
والبهاء ، تتزاورون في صفاء ، وتلتقون
في ولاء ، تهادون في سناء ، وتتوادون في وفاء ،
وتتعاونون في أريحية ، وتكافلون بالعطية ،
كلكم باسم الثغر ، منطلق الأساور ، طروب
القلب ، تتجلى صفاء نفسه على جوارحه
بهاشة تلاق ، وحرارة عناق ، وعذوبة تحلب ،
ورائق مجاملات ، وهكذا يريدكم الله دائماً
كل وقت ، كلكم سعيد ، وكل يوم في حياتكم
عيد ، ولا يتم لكم أيها المسلمون ذلك إلا إذا
فهمتم حكمة العيد وما شرع له ، ورهيت سره ،
وما يقصد منه ، فالعيد في الإسلام يختلف
عن العيد في غيره : فكرة وهدفاً وحكمة
ومزية . فالأعياد في الأمم قد تكون للترفيه
المجرد الذي يمكن الناس من حرية لا تنال
في جد الحياة ، وكفاح العمل ، وقد تكون
لاستقبال أحداث جميلة تمر بالامة . فيصيدها
منها خير وبركة ونعمة وازدهار .

وقد تكون استعادة لذكريات سارة لها
في ضمير الأمم لكبار لها في حياتها من

بجمع سعيه فاضل متكامل يتوجه بكل طاقته لأجداد أمته وإعزاز ملته .

أيها المسلمون : إن هذا العيد لا يدرك فرحته ، ولا يحس البشريه إلا من قدم عليه هذا الجهاد من الصيام الحق ، والقيام الصدق والسلوك الورع ، أما من أسرف على نفسه وغالف عن أمره فإنه يستقبله بحسرة ولا تغنى ، وزد ولا يفيد ، تنقبض نفسه حين يرى انبساط المعاصي ، وتكون مظاهر السرور في عينه ، قذى وزمات الهائي في أذنيه جنادل فينكد كرباؤه ، ويحقر نفسه ، وهكذا يكون ذل العصية أمام عز الطاعة وخوى الضلال أمام جلال الامتثال ، وتحاذل البغي أمام شيوخ الهدى .

أيها المسلمون : قبل الله صيامكم وقيامكم ، وألزمكم كلمة التقوى ، وأصح منكم العن والنجوى ، وحياتكم بتحياته الطيبات المباركات ، وجعل في وقوفكم بين يديه لصلاة العبد قرعة عينكم ، وانشراح صدوركم وجعل تكبيركم له شارة حياتكم ، ورمز جهادكم فادهوه وأنتم ساجدون له : أن يوفق المسلمين في جميع البقاع ، إلى أحسن القول وخير العمل ، وأن يحقق لهم كل ما يصبون إليه من أمل ، وأن يمكن لهم دينهم الذي أرقض لهم ، وأن يوفق قادتهم إلى جمع كلمتهم حتى يتغلبوا على الأحداث ويردوا سهام أعدائهم إلى نحورهم . وختاماً أهنيكم أيها المسلمون في كل قطر وكل عام وأتم بخير ؟

فجعلوا كل حياتكم إسعاداً ، وتصيروا كل أيامكم أعياداً ، وذلكم يكون باستدامة طاعة وبكم ، والجاهدة الدائمة لنفوسكم حتى نجدوا بعد كل طاعة فرحة ، ومع كل امتثال سروراً ، وعند كل جهاد عزة ، ومع كل كرم راحة ، وبهذا تكونون أهلاً لفروضات الله الدائمة ، وتجلياته المتتابة وتصيرون أحقاء بمودة الله ، جدبرين بمعيته في كل الفشون ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

أيها المسلمون : لقد هرقت في رمضان تعالى الإيمان ، فلا قصلوا منه ، ولا ترجعوا عنه وإلا فغيرة الله على حدوده وعارمه في كل زمان ، ولا يميز بها رمضان عن غير رمضان ، فاستبقوا فضائله في نفوسكم ، وآثروه في سلوككم واجعلوا منه رياضة على التقوى طيلة عامكم فقد كرهه الله كل عام ليجدد لليقين طاقته ، ويقوى للؤمن هزيمته ، وإياكم أن تفسدوا على نفوسكم حكمة الله في العيد فتجعلوا فرحه لهواً ، وبشره لعباً ، ونيتة تفاخراً ، وإحسانه إساءة وأشعره وبفرحة العيد كل بائس ، وأدخلوا نعمة الأمل على كل بائس ، ولا تحرجوا فقيراً إلى ذل مسألة ، ولا تلجئوه إلى خجل مظهره وصلوا الأرحام التي قال فيها الرحمن : من وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ، وكونوا الأيتام أبا بالإحسان إليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ، وليجدوا المكدرودون هذلكم راحتهم . والضعفاء عندكم قوتهم ، واجعلوا شكر نعمة الله عليكم بركم بعياله ، وبهذا تنعمون

هيا إلى العيد الأكبر

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

وما ذنب هذا الغلام البري ؟

وما ذنب أمه ؟

وماذا جنى والده ، يختطف منه وقد
أناه على كبر ، وبشر به من لدن الله ،
بشر به من مع وصفه بالحلم ، والحلم سيد
الأخلاق ، فقال تعالى عنه : « وبشرناه
بغلام حليم » .

إن حكمة الله فوق كل حكمة ، وتقديره ،
سبحانه ، فوق كل تقدير . وما ذلك الأسر
في الرقيا إلا أسلوب من أساليبه ، سبحانه ،
في القربة : يخص به الذين اصطفى من عباده :
« إن الله اصطفى آدم ، ونوحا ، وآل
إبراهيم ... » .

وهذا الاصطفاء يقتضى صفاء وتصفية
وإسلاما كاملا لله سبحانه ، ولقد أسلم
إبراهيم عليه السلام ، نفسه وقلبه ، وجمع
كيانه لله سبحانه ، ونجح نجاحا كاملا ، فيما
اختبره الله به من ألا يشرك مع الله أحدا
في الحب حتى ولو كان ابنه ؛ حتى ولو كان
هذا الابن أقرى على لطفه وشوق إليه .

ما هو ذا يفرد الله بالحجة ، ويستعد

في يوم من الأيام استدعى سيدنا إبراهيم
عليه السلام ، ابنه ليسير معه قليلا ، وبينما
هما سائران ، خاطبه في صراحة صريحة قائلا :
« يا بني إنى أرى في المنام أنى أذبحك ،
فانظر ماذا ترى » .

في هذا الإقليم الذى كانت الوالدة الحنون ،
تسمى فيه محرونة حيرى ، شفقة تبحث عن
قطرات من الماء ، تحيى بها نفس هذا الغلام
الذى كان طفلا إذ ذاك - حتى لا يموت بين
يديها ظلما ..

في هذا الإقليم الذى أفتقد الله الطفل وأمه
فيه ففجر الماء نبعا صافيا : فشرب الطفل ؛
وشربت أمه وحمدت الله وشكرته .

في هذا الإقليم ، حاولت الأم جامدة أن
تحيى ابنها ، وفي هذا المكان نفسه حاول
الأب ذبحه استجابة للنداء في الرقيا .

سبحانك ربى ۱۱۱ أنفقته صغيرا ،
وتسبقيه قرة عين والديه : حتى تغفلت محبة
في القلوب ، وغمرت كيان والديه : تأمر
بذبحه ، أشد ما يكون الوالدان حرصا عليه ،
ومحبة له ؟

الذى يسجل بحفل تذبح فيه الذبائح يأكل منها البائس والفقير ، وتصنع منها موائد شهية تقدم للأكابر شكرًا لله على هذه الهداية ، وهذا التوفيق الذى كانت تتيحه : « الإسلام » .

إن هذا الدين الذى كل فى القلب نغمه بالنور ، وهذه النعمة التى أتمها الله ، وهذا الإسلام الذى رضيه سبحانه ... إن كل ذلك : لا بد له من عيد بل أعياد تعبر عن الشكر ، وعن الحمد ، وبمقدار قرب الإنسان من معنى الإسلام يكون عيده الأكبر . ولكل إنسان عيده بمقدار إخلاصه لله ، وخشيته منه ، وخضوعه له ، وعبوديته الصافية أو المشوبة .

ما هى الوسيلة الكبرى التى تنتهى بها إلى العيد الأكبر ؟ .

إن من بين الوسائل الكثيرة التى بينها الله لتنتهى بالإنسان إلى الإسلام ... ثم إلى العيد - إن أسلم حقاً - وسيلة كبرى هى : « الحج » .

وما من شك فى أن العيد هو أولاً وبالذات ، لحجاج بيت الله الكرام ، وهو على الخصوص لمن أسلم - فى الحج - لإسلاماً صحيحاً منهم ؛ وبمقدار تصحيح الدين ، وتصحيح الإسلام : يكون العيد .

وإذا كانت الأمة الإسلامية كلها :

للتضحية بابنه ، لا يتردد ، ولا يقباطاً . وإذا كان قد قال لابنه : « فانظر ماذا ترى ؟ » . فما كان ذلك تخميراً للابن ، وإنما هو رغبة من الشيخ المؤمن فى أن يستجيب ابنه : طوعاً لا كرها : فىكون الشواب والجزاء الحسن . لقد استجاب الشيخ وأسلم وجهه لله ، فكان بذلك مسلماً . فما هو موقف الابن ؟

لقد حقق الابن أمل والده ، فأجاب فى غير تردد ولا تباطؤ : « يا أبت افعل ما تؤمر » ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » .

لقد أسلم الابن : أسلم وجهه لله ، طمعاً فى رضائه . وأحب رضاه الله ، فوق حبه لنفسه ، والحياة الدنيا بأسرها ...

فلما أسلم إسلاماً خالصاً صافياً مطلقاً : جاء الفداء من الله ، سبحانه ، فناداه :

« يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا : إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا هو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم » .

هذا الإسلام منهما وإنما هو لله سبحانه وتعالى وحده ؛ وهذا هو الإسلام الذى استتبع الفداء ؛ وهذا هو الإسلام الذى يستتبع حتماً الفداء فى كل عصر ، وفى كل عصر ، وهذا هو الإسلام الذى ينطوى فيه الإنسان إنطواءً كلياً تحت الراية الإلهية فىكون فى حماية الله ورعايته ، وعنايته : هو

والآخرة ، الملك والملكوت له سبحانه ؛ لا شريك له . هذه التلبية هي شعاره الدائم ؛ هي سنته المستقرة ، ينطق بها إذا صعد ؛ وينطق بها إذا هبط ؛ وينطق بها إذا ركب ؛ وينطق بها إذا نزل ؛ إنها ذكر في كل لحظة ، فتصبح بذلك يقينا تاما .

حتى إذا ما انتهت به الأسفار إلى بيت الله الحرام ، ودخل المسجد قال هذه الكلمات التي تعبر عن التلبية بصورة أخرى وهي : « بسم الله ، وبالله ، ومن الله ، وإلى الله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ويبدأ الطواف بيسم الله ، والله أكبر ، ها هو ذا يطوف بالبيت راجيا أن ينال نظرة من رب البيت : لعل الباب يفتح ، ولعل الاستار ترتفع ، لعل الأفتحة تتكشف فتزول ، لعل نسائم الرحمة تهب ، لعل رب البيت يأذن بالدخول ، لعل الرضا الكريم يغمر الأجواء والآفاق ، لعل الله يتقبل : « ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

ويبدأ السعي بين الصفا والمروة ، يبدأ بيسم الله ، والله أكبر ؛ إنه يسعى أمثالا ، لأمر الله ، ويسعى وهو متذكر تلك السيدة الكريمة التي كانت تسعى في طلب الماء رحمة

تحتفل قرحا بالعيد ، فإن ذلك : إنما هو احتفال بهذه النخبة العاددة القليلة ، التي كمل دينها ، وتمت نعمة الله عليها ، وغمرها نور الإسلام .

أما هذه الوسيلة الكبرى للإسلام الخاص ، وبالتالي العيد - أعنى الحج - فإنها تبدأ أول ما تبدأ بالتوبة النصوح الصادقة ، ودعاء الله أن يجعل حجه خالصا لوجهه الكريم . ومنذ هذه اللحظة يقطع صلته بالماضي الآثم ليبدأ مستقبلا صالحا كريما . وتبدأ شعائر الله في الحج بالإحرام : فيغتسل الإنسان ، وينوي غسل الإحرام ، ويتم له بذلك الاغتسال الباطني بالتوبة النصوح والاعتسال الظاهري ، إنه أصبح من المتطهرين ، ونثيبنا لذلك علامة على انقطاع صلته بالماضي ، وتجردا إلى الله : يفارق الثياب المخيطة ، ويلبس ثياب الإحرام : بيضاء ، ناصعة ، ثم ينوي (الإحرام بالحج) ومعنى ذلك : أنه أصبح خالصا لله ، مستجيبا إلى ندائه الكريم بأن : لا يتجه إلى سواه ، فينطق فؤاده ، وتنطق جوارحه : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك : إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) ها هو ذا الآن قد لبى : أي : استجاب إلى الله ، ونفى الشريك عنه سبحانه وقصر الخلد عليه واستقر في كيانه : أن ما به من نعمة فن الله ؛ وأن الملك كله لله ، والدنيا

إن ربي قريب مجيب . إن ربي رحيم ودود . وإذا سألك عبادي حني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون .

أما بعد : فإن أعمال الحج في أشهر الحج : تنتهي بهذه الصورة الرائعة صورة العزم المصمم على الابتعاد المطلق عن الإثم والمعصية ممثلة هذه الصورة في رجم إبليس مصدر الشر والإثم : إن الحج ينتهي بقتل إبليس بالرجم . أو بتعبير أدق - ينتهي بقتل الشر حتى لا يتسلل مرة أخرى إلى النفس .

وأما بعد : فيقول صلوات الله عليه : (من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) فإذا ما خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه : استحق أن يحفظ بالعيد ، وأن يهنأ بالعيد ... وهانحن أولاء قد عرفنا الطريق إلى العيد فهيا بنا نسلك أيها المسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .

(اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) . وبالله التوفيق ؟

هــبـر الحليم محمود

بأنها : إنه يسمى طلباً للنبي الصافي الذي يتفجر من قلبه رحمة وإخلاصاً : إنه يسمى ليشر من الكأس التي يشرب منها الأبرار إنه يسمى ليشر من العين التي يشرب بها عباد الله ، إنه يسمى فيمتلئ قلبه بالرحمة ، فيجد العين الصافية التي وجدها كل من حقق هدف الرسالة المحمدية ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، ويجدها كل من قبل هدية الله إلى العالم ، وهدية الله إلى العالم : إنما هي سيدنا المصطفى صلوات الله عليه ، ورحمته وبركاته ، فقد قال :

(إنما أنا رحمة مهداة) .

إنه : صلوات الله عليه يمتزج بهذه الصفة الكريمة فيسكون معها وحدة ، فهو رحمة ، وهو رحمة مهداة ، قبلها من قبلها : ففاز في الدنيا والآخرة : « وبنا آتينا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً » .

(والحج عرفة) كما يقول صلوات الله عليه ، وفي عرفة تجتمع الأرواح وقد تزكت بالتوبة والإحرام ، والطواف ، والسعي : تتجه إلى الله في ضراعة . وتدهو سبحانه ، في خضوع وتقشف شاحصة يبصرها إلى السماء في خشوع طالبة من الله الرحمة العامة الشاملة ، والرحمة الخاصة المنجية .

التثليث والصلب والقيامة والفداء ونظائرهما في الفلسفة والأديان السابقة لداستان الدكتور علي عبد الواحد وافي

خاصاً ، وعهد إليهم بأمر الفصل في هذا الخلاف واتخاذ ما يرون اتخاذه من قرارات أخرى في الشئون الدينية ، على أن تصبح قراراتهم مذهباً رسمياً يعتنقه جميع المسيحيين فانتهوا إلى عدة قرارات كان من أهمها القرار الخاص بالوهية المسيح وتكفير أريوس وحرمانه وطرده من هيئة الكهنوت : (فقد كان أريوس حينئذ قسيساً بكنيسة الإسكندرية) ، وتكفير كل من يذهب إلى أن المسيح لإنسان وحرقت جميع الكتب التي تتضمن هذا الرأي وتحريم قراءتها .

وكان من أشد أنصار هذا القرار والداعين إليه بطريرك الإسكندرية

ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الرأي عقيدة رسمية للدين المسيحي ، وأخذت المعتقدات الأخرى تنقرض شيئاً فشيئاً تحت تأثير ما كان يتعرض له أصحابها من اضطهاد وهذاب ، حتى انقرضت جميعها فلا توجد أية فرقة مسيحية لا تقول بالوهية المسيح . فهم الآن يعتقدون : أن الابن أو الكلمة أصل إلهي ، وأن هذا الأصل قد تجسد في جسم المسيح ، وكل ما بينهم من خلاف في الوقت

ترجع أم الأصول التي تقوم عليها المسيحية الحاضرة إلى العقائد الآتية :

١ - - - الوهية المسيح ، وقد استقرت هذه العقيدة في المسيحية بعد مجمع نيقية الأول الذي انعقد بأمر قسطنطين إمبراطور الرومان سنة ٣٢٥ ميلادية ، وذلك أن الفرق المسيحية قبل هذا المجمع لم تكن على رأى واحد فيما يتعلق بشخصية المسيح ، فبعضها كان يقول بالوهية ؛ وبعضها كان يقول ببشريته ، وكان على رأس الفرق القائلة ببشريته أتباع أريوس ، وفي سنة ٣٢٥ ميلادية أمر قسطنطين إمبراطور الرومان بأن يعقد مجمع مسكوني ، أي مجمع يضم ممثلين لجميع الكنائس في العالم المسيحي ، يفصل أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه ، ويتخذ ما يذهبى اتخاذه من قرارات أخرى في شئون العقيدة والشرعة ، فاجتمع في نيقية ثمانية وأربعون ألفاً من الأساقفة ، ولكنهم لم يستطيعوا الإجماع على رأى ، وبظهر أن قسطنطين كان ينجح للرأى القائل بالوهية المسيح ؛ فاختر من بين المجتمعين ثمانية عشر وثلاثمائة من أشد أنصار هذا المذهب ، وألف منهم مجلساً

بطبيعة روح القدس ، فبعضها كان يذهب إلى القول بأنه حادث مخلوق .

وكان من أشهر الفرق التي ذهبت إلى القول بحدوثه أتباع مقدونيوس ، الذي كان بطريرك القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي فاجتمع من أجل ذلك في القسطنطينية سنة ٣٨١ م مجمع آخر اشتهر باسم المجمع القسطنطيني الأول ، وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفا ، وانتهى إلى إقرار الرأي القائل بالوهمية روح القدس ، وكانت كنيسة الاسكندرية من أشد الكنائس تعصبا لهذا الرأي ، كما كانت من أشدها تعصبا للرأي القائل بالوهمية المسيح .

وكان لأقوال بطريرك الاسكندرية والحجج التي أدلى بها في هذا المجمع أثر كبير في توجيهه إلى هذا القرار ، ويصف ذلك ابن البطريق (وهو مسيحي من رجال القرن الثالث الهجري) فيقول : « قال تيموثاوس بطريرك الاسكندرية في هذا المجمع : ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ؛ وليس روح الله شيئا غير حياته ؛ فإذا قلنا : إن روح القدس مخلوق ؛ لقد قلنا : إن روح الله مخلوق ؛ وإذا قلنا : إن روح الله مخلوق فقد قلنا : إن حياته مخلوق ؛ وإذا قلنا : إن حياته مخلوق ؛ فقد زعمنا أنه غير حي ؛ وإذا زعمنا أنه غير حي ؛ فقد كفرنا ؛ ومن كذبه وجب عليه اللعن ، واتفقوا على لعن مقدونيوس

الحاضر في هذا الصدد يرجع إلى فهم هذا التجسد وما أضافه إلى الطبيعة الإلهية الأولى ، فبعضهم يذهب إلى أن المسيح ليست له إلا طبيعة واحدة وعشيدة واحدة ، وهما الطبيعة الإلهية والمشيئة الإلهية ، وأن هذا التجسد لم يضاف شيئا إليه ؛ وهذا هو رأي ثلاثة كنائس أرثوذكسية وهي : الكنيسة المصرية المرقسية ، والكنيسة السريانية والكنيسة الأرمنية . وبعضهم يذهب إلى أن المسيح له طبيعتان ، طبيعة إلهية ، وطبيعة إنسانية ، أي اجتمع فيه اللاهوت والانسوت بحسب تعبيرهم ، ولكن ليست له إلا مشيئة واحدة وهي المشيئة الإلهية ، لالتقاء الطبيعتين في أقنوم إلهي واحد ؛ وهو الابن أو الكلمة ؛ وهذا هو رأي كنيسة صغيرة هي كنيسة الموارنة (أتباع يوحنا مارون) ببلبنان ، أما ما عدا هؤلاء وأولئك من المسيحيين فيذهبون إلى أن للمسيح طبيعتين ومشيتين ؛ فهو يعمل ما يشبه الإله أن يعمل في طبيعته ، وما يشبه الإنسان أن يعمل في طبيعته ؛ وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبها بمشيئتين غير متضادتين .

٢ - الوهمية روح القدس : وقد استقرت هذه العقيدة في المسيحية بعد المجمع القسطنطيني الأول ، وذلك أن الفرق المسيحية قبل هذا المجمع لم تكن على رأي واحد فيما يتعلق

انبثاق بعضها عن بعض ليس انبثاق توالد ، بل انبثاق تلازم كانبثاق الضوء عن الشمس .
 ٤ — صلب المسيح وقيامته ورفعته : يجمع المسيحيون في الوقت الحاضر وتجمع أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم ، على أن المسيح قد تأمر عليه القريسيون من اليهود والحكام من الرومان ، وساعدتهم في مؤامرتهم هذه .
 يهوذا الإسخريوطي ، الذين كان أحد حوارى المسيح الاثني عشر ، ثم خان عهده وأوشد هؤلاء إلى مكانه وإلى شخصه ، وأن هذه المؤامرة قد انتهت بالحكم على المسيح بالإعدام صلباً فصلب ثم دفن ، وأنه قام من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه (وهذا هو ما يعبر عنه المسيحيون بالقيامة ، ويحتفلون به في عيد يسمى عيد القيامة) وأنه ظل بعد ذلك مع حواريه المسيحيين وتلاميذه وأتباعه أربعين يوماً يعلمهم ويرشدهم ، ثم رفع إلى السماء وجلس على يمين أبيه ، يصرف شئون العالم ، وأنه سيقول في يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه في الحياة الدنيا .

٥ — عقيدة الفداء أو الخلاص : يجمع المسيحيون في الوقت الحاضر وتجمع أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم أن المسيح قد صلب ليكفر بذلك عن الخطيئة الأزلية ، وهي الخطيئة التي ارتكبها آدم إذ عصى ربه وأكل من الشجرة ، فانتقلت الخطيئة بطريق

فلعنوه هو وأشياعه ... وبذلك زادوا في الأمانة التي وضعها الثلثانة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية - الإيمان بروح القدس الرب المحيي .

وقد أصبح هذا الرأي عقيدة رسمية للدين المسيحي ، وأخذت المذاهب القائمة بحدوث روح القدس تنقرض شيئاً فشيئاً حتى انقرضت جميعها ، فلا توجد الآن أية فرقة مسيحية لا تقول بالوهمية روح القدس ، وكل ما بينها من خلاف في الوقت الحاضر في هذا الصدد يرجع إلى تحديد الأصل الإلهي الذي انبثق منه روح القدس ، فالكنيسة الغربية الكاثوليكية التي رأسها بابوات روما تذهب إلى القول بأن : روح القدس منبثق عن الأب والابن معاً ، بينما تذهب الكنيسة الأرثوذكسية اليوفانية التي رأسها بطاركة القسطنطينية (ويطلق عليها كذلك كنيسة الروم الأرثوذكس) إلى أنه منبثق عن الأب وحده .

٣ — عقيدة التثليث ، وبعد إقرار ألوهية المسيح وألوهية روح القدس أصبح الإله في المسيحية عبارة عن ثلاثة أقانيم أي أصول ، وهي الآب (أو الأصل) والابن (أو الكلمة) وروح القدس ، والأقنوم الثاني : وهو الابن أو الكلمة هو الذي تجسد في المسيح من التقاء روح القدس بمرمى العذراء ، وهذه الأقانيم قديمة كلها وإن كان بعضها منبثقاً عن بعض ، وذلك أن

الآب؛ والثاني : هو العقل : وهو يقابل ما يدعو المسيحيون الابن أو الكلمة ؛ والثالث : هو الروح الإلهي : وهو ما يدعو المسيحيون روح القدس .

فالتشابه ، بل التوافق ، واضح بين أقانيم أفلاطون والأقانيم المسيحية في طبيعتها ، بل في أسمائها نفسها . وكل ما بينهما من فرق ينحصر في أن أقانيم أفلاطون ليست في نظره سواء في الجوهر والرتبة ؛ بينما هي متساوية عند المسيحيين ؛ فالابن الذي يتولد من الآب لا يمكن في نظرهم أن يكون أدنى كالأمنه ، وإلا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطرارا عنه غير الكامل ، وهذا حط من رتبته ؛ وكذلك روح القدس فهو عندهم مساو للآب والابن . ومعروف أن أفلاطون قد ظهر قبل المسيح بأكثر من أربعة قرون (٤٢٩ - ٣٤٧ قبل الميلاد) ، وأن نظريته هذه كانت سائدة لدى اليونان والرومان الذين انقشروا بينهم الدين المسيحي . فكأنهم لم يعتنقوا هذا الدين إلا بعد أن طوعوه لتفكيكهم وصيغوه بألوان فلسفاتهم .

٢ - الفلسفة الأفلاطونية الحديثة : وذلك أن أفلوطين (٢٠٥ - ٢٧٠ م) زعيم مدرسة الإسكندرية ، وهي المدرسة التي تنسب إليها الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، كان يرى فيما يتعلق بالكون ومفصله أن الله هو منثنى الأشياء لا يتصف بوصف من

الوراثة إلى جميع نسله ، وكانت ستظل عاقبة بهم إلى يوم يبعثون لولا أن اقتداهم المسيح بدمه ففي صلبه كان الخلاص للأدمن .

وغنى عن البيان أن هذه العقائد دخيلة في المسيحية ويظهر أنها قد وفدت إليها من فلسفات قديمة ومن رواصب أديان ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتك بأهلها المسيحيون ومن أهم الفلسفات والأديان التي تتضمن أشباهها ونظائر هذه العقائد ويحتمل أن تكون المسيحية قد تأثرت بها كلها أو بعضها الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، والديانة البرهمية والديانة ، البوذية والديانة الإيرانية القديمة . ١ - أما الفلسفة الأفلاطونية . فكانت

تذهب بصدد الألوهية إلى أن الله تعالى قد وضع بينه وبين العالم وسيطين يمتدحان دونه وخارجين عنه ، وعلى نحو ما داخلين فيه ، أى تتضمنهما ذاته ، صادرين عنه ، دونه في الكمال ، وبذلك أصبح يمكننا ، من طريق هذين الوسيطين ، أن يصدر عن الله الواحد الكامل - البريء من التغير - هذا العالم الكثير الناقص المتغير ، وأول هذين الوسيطين العقل وثانيهما الروح الإلهي . وبذلك أصبح الإله في نظر أفلاطون ثلاثة أصول أو أقانيم : أولها : هو مصدر كل كمال ويحوى في وحدته كل الكمالات ، وهو يقابل ما يدعو المسيحيون

وصلب الإله وتقديم نفسه ذبيحة لتخليص الإنسانية من خطاياها ، أى على العقائد نفسها التي استقر عليها الدين المسيحي ، غير أن ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين في نشأة كل أقنوم من أقانيمه وعمله وصفاته ؛ ونظريتها في الخلاص والفداء تختلف كذلك بعض الاختلاف عن نظرية المسيحيين .

وذلك أنها تقرر أن الإله براهيم كان قبل الوجود ، وأنه خلق العالم وسعى نفسه الخالق ثم انبثق الإله سيففا ، وهو الإله المدرس الموكل بالخراب والفناء ، ولوترك هذا الإله وشأنه لفنيت السموات والأرض ومن فيمن . ولهذا انبثق من براهيم إله ثالث حافظ بمجده هو الإله فيشنوأ وكريشنا . وهذا الإله الأخير قد خلص بنى الإنسان بتقديم نفسه للصلب فداء عنهم . ومن ثم يصورونه مصلوبا مشقوبا أيدين والرجلين ، وعلى قيمه صورة قلب إنسان معاق فوجوه الشبه واضحة كل الوضوح بين هذه العقائد ، وما استقر عليه الدين المسيحي . فإذا لاحظنا أن البرهمية قد انتشرت في بلاد الهند وغيرها قبل ظهور المسيحية بنحو خمسة عشر قرنا ، وأن عقائدها قد تركت آثارا واضحة في كثير من الأدیان والنحل اللاحقة لها في مختلف أرجاء العالم ، ترجح ما ذكرناه من احتمال تأثر المسيحية الطارئة في عقائد التثليث والصلب والفداء باندين البرهمي القديم .

أوصاف الحوادث ، فليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكرا كفكرنا ، ولا إرادة كإرادتنا ، يتصف بكل كمال يليق به ، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود ، ولا يحتاج هو إلى موجد ؛ وأن أول شيء صدر عن هذا المنشئ هو العقل ، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه ، ولهذا العقل قوة الإنتاج ، ولكن ليس كمن يولد عنه ؛ ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح ، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ، ومنه يتولد كل شيء .

فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى . وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشرا ومعروفا قبل مجمع نيقية بأمد طويل ، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية ، وأن بطريارك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي المجمع القسطنطيني الأول كما تقدم بيان ذلك ، إذا لاحظنا هذا كله ترجح الاحتمال الذي ذكرناه : وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة .

٣ — الديانة البرهمية في أوضاعها الأخيرة : وذلك أن الديانة البرهمية قد اتقرت أوضاعها في آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة

إهلاكه . فلم يسح جويتير إلا أن يفكر في عذاب بلازمه أبد الأبد . ووكّل تنفيذ ذلك إلى ابنه هيفيستوس وإلى نسر من الفسور الجارحة . أما هيفيستوس فقد كلف عمل قطع حجارة من الحديد يغرّسها الفينة بعد الفينة في بروميتيه . وأما النسر فقد كلف أن ينقض على بروميتيه فيمزق أحشاءه بمخالبه ، ينش كبده ، فإذا ما بدل كبدا وأحشاء أخرى عاد إليه الفرسخى اليوم التالى فكرر فعلته معه ... وهكذا دو اليك حتى قبض له الإله هيركول (هرقل) فكانت قيامته ونجاته على يديه .

ولا يخفى ما بين هذه الأسطورة وأسطورة صلب المسيح من اتفاق فى كثير من العناصر . فجبل القوقاز الذى صلب فيه بروميتيه يقابل جبلجه (أو الكافير) الذى تقول أناجيلهم : أن المسيح قد صلب فيه ؛ وصلب بروميتيه فى سبيل بنى الإنسان يقابله ما يقرب المسيحيون من صلب المسيح لتخلص بنى آدم من الخطيئة الأزلية ... الخ - وقد حاول الفلاسفة من آباء الكنيسة أن يبرروا هذا التشابه العجيب بين أسطورة كانت رائدة فى عقائد اليونان قبل المسيحية بعدة قرون وما يقولونه فى صدد المسيح ، فذهبوا إلى أن أسطورة بروميتيه ليست إلى مظهر من إلهامات المسيح وتبشيرا بمجىء المخلص للعالم ألهمت به الوثنية اليونانية إلهاما .

دكتور على عبد الواهر وفى

٤ - الديانة البوذية فى أوضاعها الأخيرة : وذلك أن الديانة البوذية قد استقرت كذلك فى آخر الأمر على الاعتقاد بألوهية بوذا ، وأنه الابن الوحيد ، وأنه تجسد فى الناسوت وقدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر ، ومن ثم يسمونه : المسيح والمخلص والابن . ولا يخفى ما بين هذه العقائد ونظائرها فى المسيحية من قطابق يكاد يكون كاملا . وهذا يرجح احتمال تأثر المسيحية الطارئة فى عقائد الابن والصلب والخلاص بالديانة البوذية التى ظهرت قبلها بنحو خمسة قرون .

٥ - الديانة اليونانية القديمة : تزم الأساطير اليونانية أن الإله بروميتيه (بروميثيوس) هو إله النار وخالق الإنسان وحاميه ومؤسس حضارته وأنه صلب فى سبيله وذلك أنه لما طرده رئيس الإلهة جويتير من السماء وهبط إلى الأرض وقف حياته على العناية ببنى الإنسان ، فعدل صورهم ، وأصلح حواسهم ، ووهبهم العقل والتفكير وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون . ورأى أن النار تعوزهم فاختملسها من السماء وأهداها لهم ؛ فأصبحت حظاً مشاعاً بينهم وبين الآلهة ، وكانت مصدر حضارتهم ، وقد أمارت فعلته هذه نعمة جويتير فصلبه على صخرة فى جبال القوقاز . ولكن بروميتيه - وهو الإله قد كتب له الخلود - لم يكن الصلب بمستطيع

التطورات التشريعية للطلاق

للأستاذ محمد محمد المدني

أحكام أخرى تتصل بالطلاق

٧ - (ختام البحث)

بقى بعد ما ذكرناه في الفصول السابقة أحكام أخرى من شأنها أن تحدد من كثرة الطلاق ، وأهمها :

- ١ - إيقاع الطلاق أمام القاضي أو بعينه :
١ - الصيغة التي اعتبرها الشارع لا بد أن تؤدي مقتضياتها ما دامت قد صدرت عن يملكها مستوفية شروطها ، وهذا حكم شرعي يجمع عليه بين العلماء ، ومن بين ذلك صيغة الطلاق فإذا أوقع الزوج على زوجته طلاقاً توافرت فيه الشروط المعتبرة شرعاً ، فلا بد من وقوعه ، سواء أكان ذلك أمام القاضي ، أم كان بعيداً عنه ، وسواء أكان بإذنه أم بغير إذنه ، فالطلاق حق مباح للزوج في الحدود التي رسمها الشارع له ، وقد استعمل حقه ، فليس للقاضي ، ولا للشرح الوضعي ، أن يقول له : أنت أيها الزوج لم تستأذن في إيقاع الطلاق فلا يقع طلاقك ، أو أنت أوقعته بعيداً عني ، أو عمن هو نائب عني ، فلا يقع طلاقك : ليس له هذا ولا ذاك ، لأنه حينئذ يكون حائلاً بين أن تأخذ صيغة شرعية
- وهذا هو ما يسمى عند علماء الأصول بالحكم السببي ، وهو في قوة أن يقول المشرع : (جعلت الصيغة الفلانية سبباً في الحكم الفلاني) فإذا وقعت الصيغة وقع فلا يجوز لأحد من الناس بعد ذلك أن يقطع هذا الارتباط الذي ربطه الشارع بين السبب والمسبب لأن ذلك من شأن الشارع فقط كما أجمع عليه العلماء .
- ٢ - لكن ولي الأمر قد يلاحظ في أمر من الأمور أن الناس يسرفون في شأنه ، أولاً يتعرون الشروط التي شرطها الشرع فيه ، أو يقصفون في استعمال حقهم المأشروع تصفاً من شأنه أن يضر بالغير ؛ وقد يرى لمصلحة الأمة أن ينظم أمراً من الأمور المباحة على نحو يمكنه من تسهيل المنصرفات ودراية أحوال الناس من طريق إحصاء أحوالهم المعيشية أو الاجتماعية .

٣ - يأتي بعد ذلك ما يقال من أن إلزام الأزواج بالذهاب إلى القضاء - إذا أرادوا التطليق - سيجر إلى ذكر الأسرار ، وكشف كثير من المسائل التي يضر كشفها بالأسر ... الخ .

وهذه مسألة تنديرية تختلف فيها الأنظار ، فقد يرى بعض الناس : أن القضاء مادة هو المرجع عند الاختلاف ، وأن هناك قضايا كثيرة من قضايا الأسر تنظر أمامه ، وتكشف فيها الأسرار ، ولا مندوحة من قبول ذلك ، لأنه قد يكون أهون الشرين ، وأخف الضررين .

٢ - الأسرار على الطلاق :

وهذه المسألة لها شيء من الصلة بالمسألة السابقة وأصلها قوله تعالى في سورة الطلاق : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقوا الله ربكم ، لا تخرجن من بيوتهن ، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف ، أو فارقوهن بمعروف ، وأشهدوا ذوي عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله . »

فقوله تعالى : « وأشهدوا ذوي عدل منكم ،

فهذا أو ذاك يضع نظاما قانونيا يلزم به الناس ليحقق هذه الأغراض ، وله ذلك بشرط ألا يصادم ما هو مقرر بحكم الشرع .

ففي مسألتنا هذه يمكنه أن يشرح نظاما يلزم الناس ألا يوقعوا الطلاق إلا أمام من يمثل السلطة القضائية أو نحوها ، فيقول للأزواج : من أراد أن يطلق زوجته فلا يقدم على هذا التطليق إلا أمام القاضي ، أو بعد إذن القاضي ، ومن خالف ذلك فطلق زوجته بعيدا عن القاضي ، أو بغير إذنه ، فإن طلاقه يقع - لأن هذا هو حكم الشرع لكنني أعاقبه بالعقوبة التي يقرها قانون هذا النظام ؛ لأنه خالف أمرى ، وما هو من حق بمقتضى ولايتي .

فهو بهذا لا يكون خارجا على الشرع ، ولا معطلا لصيغة من الصيغ التي اعتبرها ، ولكنه إنما يقوم بدور تنظيمي يترتب على القيام به دفع ضرر ، أو تحقيق مصلحة .

والخلاصة : أن هناك فرقا بين أن يقول القانون : « لا يقع الطلاق إلا أمام القاضي أو بإذنه ، وأن يقول : « لا يوقع الطلاق إلا أمام القاضي أو بإذنه ، فالعبارة الأولى مصادمة لما قرره الشرع في شأن الحكم السببي ، أما العبارة الثانية فهي نهي قانوني للكلف في شأن تنظيمي .

يتعرضون في مجلس القضاء للنظر في أنهم
هدول أو غير عدول .

٣ - بطوره الطهر في الحيض .

وهذه مسألة يختلف فيها العلماء ، والمذاهب
الأربعة تحكم بوقوع الطلاق في الحيض ،
ولكن هناك كثيراً من العلماء يرون عدم
وقوعه ، ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة ،
لا نطيل بذكرها ، حيث لا يتسع لها المقام ،
وهي أدلة قوية يمكن التعميل عليها ، فيكون
من ذلك تخفيف آخر لمشكلة الطلاق .

٤ - وجود المنع تمريضا للحملقات :

١ - يقول الله تعالى في سورة البقرة :

« لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم
تمسوهن ، أو تفوضواهن فريضة ، ومتعوهن
على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره متاعا
بالمعروف حقا على المحسنين ، الآية ٢٣٦ .

« وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
إلا أن يعفون ، أو يعفو الذي بيده عقدة
النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ،
ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون
بصير ، الآية ٢٣٧ .

وهاتان الآيتان تدلان على أن المطلقة
قبل الدخول :

راجع إلى قوله : « فأمسكون بمعروف ،
أو فارقوهن بمعروف » ، أى إلى الرجعة
والطلاق كليهما والأمر فيه الوجوب لأنه
ليس هناك قرينة تصرفه عن الأصل .

فن أشهد على الطلاق فقد أتى بالطلاق
على الوجه المأمور به شرعا ، وكذلك الرجعة .
ومن طق ، أو راجع دون إظهار فقد تعدى
حدود ما أنزل الله في هذه الآية .

بذلك يقول ابن عباس ، وعطاء ، وهو أحد
قولين للأصفي ، وأحد قولين للإمام أحمد .

وذنب النسيئة الإلزامية إلى رجوب الإظهار
على الطلاق ، وأن هذا الإظهار ركن من
أركانه ، فن لم يشهد ذوى عدل على طلاقه
فهو لغو كأن لم يكن .

فلو أخذ بهذا المذهب لخفف كثيرا
من مآسى الطلاق ؛ إذ أن الغالب على الناس
أهم يتخرجون من حضور مجلس طلاق
ليشهدوا عليه ، فيكون من هذا فرصة أمام
الزوجين للريث حتى يوجد من يشهد ، فلمل الله
يحدث بعد ذلك أمراً يمود به إلى الزوجين
الصفاء .

وربما كان ذلك سبيلا إلى نقل الخلاف
إلى القضاء ليتحقق من أن الشاءدين ذوا عدل
كما شرط القرآن ، أو ليس أحدهما أو كلاهما
من ذوى العدل ، ومن ثم يحجم الناس
- إلا قليلا - عن الشهادة على الطلاق لكيلا

تعالى : « إلا أن يعفون ، أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » .

وأيدوا ذلك بحديث رواه عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دلى عقد النكاح هو الزوج » (١) .

٢ — ويقول الله عز وجل فى سورة الأحزاب :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فإلكن عليهن من هدة تعتدونها ، فتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ، الآية ٤٩ » .

وظاهر هذه الآية أن المطلقة قبل الدخول ، لها المتعة ، ولم تقيد بعدم تسمية المهر ، كما فى الآية رقم ٢٣٦ من سورة البقرة التى سبق إيرادها .

وبذلك تكون المتعة لها ؛ وإن سمي لها المهر ، فالمتعة شئ آخر غير المهر .

• فن رأى حمل هذه الآية المطلقة فى سورة الأحزاب ، على الآية المقيدة فى سورة البقرة ، حكم بأن غير المدخول بها - التى سمي لها المهر - ليس لها متعة ، وإنما حقها الواجب هو نصف المهر المسمى .

• ومن رأى حمل الآية المقيدة على الآية

(١) راجع ص ٢٢ من كتابنا « مناهج الفقه الكبير فى الفريضة الإسلامية » .

• إذا لم يسم لها المهر كان لها المتعة حسب ومسح الزوج .

• وإذا سمي لها المهر كان لها نصفه .

وفى ذلك اتجاه واضح إلى تعويض المرأة المطلقة بعد أن تهيات للزواج من رجل ثم حرمت من هذا الزوج فلم يتم دخوله بها .

بل يرى بعض العلماء أن التى سمي لها المهر يرغب الشارع فى إعطائها المهر كله ، لا نصفه فقط ، على سبيل الاستحباب ، وذلك أنه يفسر الاسم الموصول فى قوله تعالى : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » بالزوج الذى طلق زوجته ، ويقول : إن الله تعالى يريه فى أن يعفو عن حقه فى أخذ نصف المهر ، أى يتنازل عنه ويعطيها المهر كاملا . وقد يؤيد ذلك قوله تعالى : « وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم » ، فإن الأنسب أنه موجه إلى الأزواج لا إلى المطلقات ، ولا إلى أولياء الزوجات .

وقد أسند هذا رأى إلى على ، وشريح ، وسعيد بن المسيب ، واختاره أبو حنيفة ، والشافعى فى مذهبه الجديد .

وقد روى الدارقطنى عن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة من بنى نصر ، فطلقها قبل أن يدخل بها ، فأرسل إليها بالصدقات كاملا ، وقال : أنا أحق بالعفو منها - قال الله

المطابقة - أى بالعكس - قال : إن المطلقة على عمومها ، والمقيد داخل في المطلق باعتباره فرداً من أفرادها ، وبذلك حكم بأن التى سعى لها المهر : لها متعة أيضاً سوى نصف المهر . وكل ذلك في غير المدخول بها .

٣ - وقال الله في سورة البقرة :

« وللطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ، الآية ٢٤١ .

وفي سورة الاحزاب :

« يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تنهون الحياة الدنيا وزينتها ؛ فتعالين أمتعنن وأسرحن سراحا جبيلا ، الآية ٢٨ .

والآية الأخيرة تدل على المتعة للدخول بها .

والآية التي أوردناها قبلها ؛ تدل على أن

المتعة عامة لكل مطلقة .

• ولهذا يرى ابن حزم : أن المتعة واجبة

لكل مطلقة ، لا فرق بين مدخول بها وغير مدخول بها ، فيقول في كتابه « المحلى » :

« المتعة فرض على كل مطلق ، واحدة ،

أو اثنتين ، أو ثلاثا ، أو آخر ثلاث ،

دخل بها أم لم يدخل ، فرض لها صداقها أم

لم يفرض لها شيئا - يتمتعها ، وكذلك المفتدية

أيضا - أى التى طلبت من زوجها الطلاق على

مال ، أى على سبيل الخلع - ولها المتعة أيضا

ويجبره الحاكم على ذلك أحب أم كره ، برهان ذلك قول الله تعالى : « وللطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » . وقوله تعالى : « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المنتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » ، فعم الله هز وجل كل مطلقة ولم يخص ، فأوجبه حقا لها على كل متق يخاف الله تعالى .

• ويرى بعض العلماء أن المتعة واجبة

لكل مطلقة إلا التى سعى مهرها ولم يدخل

بها ، فإن نصف المهر متعة لها يغنى عن

فرض متعة أخرى ، ويجمع بذلك

بين النصوص .

وهذا هو مذهب الشافعى ، وقول لاحد ،

واختاره ابن تيمية .

بهذا يقين أنه يمكن النظر في تقرير

تعويض للطلقات استناداً إلى ما تقدم ،

فيكون ذلك جبراً للرأى المطلقة التى فرض

عليها زوجها الطلاق ، وفوت عليها الطمأنينة

في بيت الزوجية ، ولا سيما إذا كبرت سنها ،

وفات شبابها ، كما يكون في ذلك أيضاً ردع

للأزواج عن الإقدام على الطلاق إلا بحساب ؟

وقد انتهى البحث والحمد لله .

محمد محمد المرنى

نفحات القرآن

آية فيها نور للأبصار والبصائر

لؤسناء عبد اللطيف البكي

« هو الذي جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً ، وقدره منازل ، لتعلموا عدد السنين والحساب . »

٢ — وانظر قول الله : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » .

فهذا توجيه اننا إلى أمور مشهودة ، إذ لا يستطيع إنسان أن يجهل ، أو يتجاهل فضل الشمس ، أو القمر في هذا الوجود الذي تتقلب في آفاقه .

ذكر الله أنه جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً ... وهذا الإبداع مظهر لحكمته ، ومناط لمنافع خلقه ، وروعة في جمال ماسكه .

وفرق ما بين الضوء ، والنور : إن الأول أوضح سماء ، وأطول مكثاً ، وهو لمنفعة النهار ، وقد جعل الله النهار معاشاً .

وأما النور فهو أقل وضوحاً ، وأسرع نهاية ، وهو لمنفعة الليل ، وقد جعل الله الليل لباساً ، نستتر فيه للنوم ، والاستجمام . وفي هذا يقول تعالى : « هو الذي جعل لكم

١ — من عناية الله بنا أن ضاعف لنا أمارات الهداية ، وجعل من آياته المشهودة نظاماً لحياتنا ... ووسيلة إلى تعرف الأحكام في ديننا .

وأنت ترى في الآية التي معنا توجيهاً إلى ربط الدين والدنيا ، بما يدلك على أن الله - سبحانه - لم يجعل أحدهما بمعزل عن الآخر ... بل أقام الدنيا دار عمل ، وسبيل أمل ... فليس على صواب من يحسبها حياة زمنية ليس بعدها جزاء .

وايس على صواب كذلك من يبخلس الدنيا حقها ، ويحقر شأنها حتى يصورها في صورة ممقوتة ، ويفرس في الأذهان أن الاتجاه إليها مأثمة .

فإن في هذا التصوير استهجاناً لما أودع الله فيها من خير ، وتجاهلاً لما يتاح بها من نعم الخلود ...

ولا الظلمات ولا النور، ... وهذا من البداهة .

وحينما أراد الله أن يضرب لنفسه مثلاً لا تفاق بعظمته ، وتصويراً لسانه نعمه هائلاً اختار أن يصف نفسه بالنور ، فقال : « الله نور السموات والأرض » ، فذكره للنور ليس المقصد منه أنه أقل من الضوء ، بل المعنى أوسع من ذلك التحديد .

ولفظ النور أعذب منطلقاً في أسلوب الآية من لفظ الضوء .

والمراد : أن الله صاحب النور المطلق في ملكوته ، سواء : أكان النور حسياً من الشمس ، والقمر ، والنجوم ، وكل ما يستضاء به ... أم كان نوراً معنوياً بالهداية ، والتوفيق لطاعته .

فكل ذلك من معالم قدرته ، ومشاهد وجوده ، وألوهيته ... وكلها إشارات توحى إلى العقل بالطاعة ، وحسن الاستجابة .

ومن أجل هذا كان من دعوات الصالحين قديماً أن يطلبوا نوره الكاشف عن صراطه المستقيم ، والعاصم لهم من عثرات الضلال ، فكانوا يقولون : اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً ... الخ

وهذا الدعاء يترجم لنا استسلام العبد لربه واهتمامه بمحوه وقوته ، حتى لا يكون

الليل لتسكنوا فيه ، والهار مبصراً ، ، وذلك التنويع هو الأصل المفروض غالباً .

ومع ما في ضوء كل منهما من منافع حيوية لكل ذى روح في كليهما خصوصيات يصلح بها الجو ، وينمو بها الحيوان ، والنبات ، ويتوقف عليها فصح الثمار المختلفة الأنواع .

ولو تصورنا الدنيا مجردة من شمسها وقرها : كيف تكون بهجتها : « أو اقام فيها ، إنها لتكون ظلة كظلة الكهوف أو أشد ، ، ولا تكون الدنيا مأوى صالحاً لذى روح . ففضل الشمس والقمر في الحياة ، هو عنوان الحياة .

وتلك إشارة القرآن في قوله تعالى : « وسخر لكم الشمس والقمر ذابئين ... وسخر لكم الليل والنهار ، .

وقد يذكر النور دون تقريب بينه وبين الضوء .

بل يقصد منه بوجه عام أنه نعمة قدسية من جانب الله .

وعلى هذا التعميم جعله الله مورداً لتشبيه الإيمان به : « فالإيمان نور القلب ... والكفر والضلال في أى لون من ألوانه ظلمة القلب ... والقرآن حافل بالآيات في ذلك التشبيه حتى جعل الله المؤمن بنور الإيمان مبصراً ، ، وجعل الضال بظلمة ضلاله أعمى . « وما يستوى الأعمى والبصير ...

وهذا ما صرح به آية أخرى ، والقمر قدوراه منازل ، حتى عاد كالمرجون القديم ، والمرجون هو شروخ النخل ونحوه ، فإنه ينمو ، ثم يجف أخيراً بعد طوبته ويصفر بعد نضارته وخضرته ثم يتقوى بعد اعتداله وحكمة ذلك في القمر أن تتميز به الأوقات ونحتسب به الأشهر ونعرف به هدد السنين وحسابنا في موعد الصوم ، والحج والأسفار ومدة العدة للنساء ، وغير ذلك من شؤون الحياة يعرف في سهولة بالنظام القمري الميسور . فضلاً عما في أحوال القمر من أثر في حياة الزرع ونضج الثمار .. وكذلك في الشمس . غير أن عادة الناس أن يلحظوا ذلك في القمر كثيراً لدورانه بين نور في ظهوره ، وظلمة بغيا به ، فيتضح لهم أن له أثراً بينا في شأن الزرع ، كما أن للظلام نفعا في بعضها . هـ — وتوكيداً لهذه الحكم الربانية في أحوال الشمس والقمر ، يقول سبحانه : « ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، فلا عبث ، ولا هو في صنع الله ، وإنما هي أوضاع مقدورة ، وإبداع صانع حكيم .

واقه بفصل آياته ، وبرزها على صفحة الكون ، وينسقاها في كتابه ، لتكون مشار علم ، ومشرق هداية لمن تهيات إمداركم للعلم ، وتحررت عقولهم من لوثه العناد ، والإصرار على التقليد في الباطل ، والركون إلى الجهاة .

للسيطان عليه سبيل ، وقد وعد الله بذلك من ينيب إليه في إخلاص . ومن يسلم وجهه إلى الله وهو عسن : فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وإلى الله عاقبة الأمور .

٤ — ذكر الله الشمس والقمر ... والشمس هي ... والقمر يكون أول أمره هلالا .. ثم يكون قرأ بعد ثلاث ليال ... وحيفئذ يتجلى نوره ، ويتألق في سماءه ، ولهذا ذكر بلفظ القمر لاتضاح شكله ، وقوة ظهوره ، فيكون الامتنان به أوقع في السمع ، وفي النظر وفي الاقتناع ... ولم يكن القمر أثناء ظهوره لنا حبيساً في فطاق محدود ، بل هو سائر في مجراه ، وقدره الله متنقلا في منازل كما أن الشمس كذلك ليست حبيسة ، بل هما يتعاقبان ، ولا يدرك أحدهما الآخر . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ، وإنما ذكر هن القمر دون الشمس أن الله قدر له منازل ، ليفيدنا أن القمر مع سرعته بالنسبة للشمس ليس مندفعاً في انطلاقه ، بل هو سير رتيب ونظام مقدور .

ونحن ندرك نموه شيئاً ، فشيئاً ، وندرك تنقله من غرب إلى شرق حتى يكتمل تمامه ثم يكون مطلعته من الشرق إلى الغرب هكس ما بدأ ، ويختفي وريداً ، وريداً هكس ما بدأ كذلك ...

العالم تكون أصح ، وأزكى من تقوى الجاهل ومن خلال هذا ندرك أن الإشادة بالشمس والقمر ، والضوء والنور ... وأن التنبيه على اختلاف الليل والنهار : ليسا مجرد ما ذكر من ظواهر النعمة ، بل الأمر أوسع من ذلك ... وأن هنا بجالا فسيحا للبحث العلى العقلى فى منازل الشمس والقمر ، وفى ارتباط كل منهما بالآخر ، وفى تدرج كليهما فى فلسفة الخاص ، وما وراء ذلك من علم بالكواكب والنجوم : بما حدثنا الله عنه تصريرا ، أو تليها .

وحيث نذكر أن العلوم الكونية كالفلك ، والرياضة ضرورات ، لا يستغنى عنها الباحث فى توجيهات القرآن ، ولا الراغب فى المزيد من معرفة أهداف القرآن ، نعم : لم يجعل الله الاستيعاب فرضا عينيا ، وخفف هنا ، فألزمنا معرفة الأحكام ... لأنها الغاية الأولى فى تصحيح الدين والمعاملة .

ولكن التبحر فى المعرفة غاية لا تسقط فرضيتها عن الجميع ... بل هى رسالة القادرين على الاجتهاد فى كل جانب من جوانب العلم للدين ، أو للدنيا .

فإن الإسلام لا يقف بنا عند حدود معينة فى التفكيك - ولا يرضى لنا أن نظل عيالا على جهود الغير فى باب الثقافة ، والمعرفة . وكل أشاد بالعلم ، وبأهله : دون تقييد بنوع منه

وتوكيدا ثانيا - يقول الله : « إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض آيات لقوم يتقون » .

وهذا التوكيد مرة ، بعد مرة تقوم الحجة علينا فى التخلف عن دعوة الله ، فليست لنا معذرة بعد توافر الامارات على ربوبيته ، وألوهيته ، وحكمته فيما خلق ، وإبداعه فى كل ما تقع عليه العين ، ويحيط به النظر ، ويهذى إليه العلم فى جنبات الكون : علويه وسفليه ، وفسيما بين السماء والأرض من كائنات لا يحيط بها غير الله .

٦ - ولكن هذه الآيات إنما تجدى جدواها وتستلزم نتائجها عند من يوجهون أنفسهم ، ويتحللون من أهوائهم ، فيكشف الله عنهم رجز الشيطان . ويميزهم من همزاته ، ويزيدهم هدى ، ويؤاثرهم تقواهم ... كما وعد فى كتابه : « والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم » .

وانظر تجد أن آية الشمس والقمر ختمت بقوله تعالى : « آيات لقوم يعلمون » ، وأن آية الليل والنهار واختلافها طولا ، وقصرا وتعاقب كل منهما للآخر : ختمت بقوله : « آيات لقوم يتقون » ، وفى ذكر العلم أولا ، والتقوى - ثانيا - توجيه بين : إلى أن العلم مرموق ، ومطلوب وأنه سبيل إلى التقوى من يئنه ، وفهم ، وحسن تقدير ، فتقوى

وعلم الدنيا وسيلة إلى أه دافها في الحياة والحياة بحاجة إلى الكشف ، لتكون هنيئاً لنا ، ومزرعة للأخرة . فإذا اقترن بلوم الدنيا وعى صادق ، وفطنة إلى مشرق العلم ، وأنه منحة الله لمن هبأ له . كان ذلك سبيلاً إلى الإيمان والإيمان والعلم على سواء ... ولا عداوة بينهما إلا إذا كان هلبا ضاراً . أو كان بريفاً في جنابات لإنسان مغرور : فإنه هتند يحوّل بين القلب وبين الاهتداء إلى مشرقه الأول ويكون هلبا في دائرة العيش الدنيوى ولا ينهض بصاحبه إلى نعم الخلود في حياة الخلود . ذلك الذى أضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة . . . وذلك أيضا هو قول الله سبحانه عن هلبا الدنيا . « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون » ، يعنى أن جدوى العلم في الدين أقوم شأماً وأبقى نفعاً ولا يساويه علم الدنيا . وبد : فأنا نهد في الآية القصيرة كثيراً من المقاصد القدسية الهامة ... ونهد المجال الثقافى في كتاب الله فضفاضاً يتسع للاقتباس في غير تكلف وهو مهياً للأنهام .

وحسبنا ما نذكره ، والله يهديننا ، وينفعنا بالعلم ، وبالعمل . ويحفظنا من الضلال ، والجهالة .

عبدالمطيف السبكى

دون نوع . وكم فضل أهل العلم على سواهم من أصحاب الحياة ، وأرباب الأموال وكم وهدم ربهم برضوانه عنهم ، إذ اعرفوا هلبا يهديم . ومع أن الله أفاض على رسوله ما أفاض من معرفة ، فقد حشه على التعلق بالعلم في قوله « وقل رب زدنى هلبا » ، وهذا تشريع منه لحلقه عامة والمسلمين خاصة .

وما ذلك إلا لما وراء العلم من خير الإنسانية ، ولما وراءه بالذات من وصول إلى الحق ، وهداية إلى الله .

وفى ضوء هذا نجد العلم الحديث يفيدنا في فهم الكثير من الآيات الكونية كما سلف . وليس حتماً أن يكون العلم الحديث صادراً عن مسلمين ... فإن العلم هبة الله للفريق من عباده - ثم هو بعد ذلك ضوء يقدس سناء بين المسلمين وغير المسلمين .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فى ذلك ، « خذ الحكمة ، ولا يضرك من أى وعاء خرجت » ... ويقول : « الحكمة ضالة المؤمن بأخذها أتى وجدها ١١ » .

ولا جدل فى أن علوم الدين خير ما يدركه الإنسان ، وهى أكرم حصيلة ينالها من جمه فى بحشه وهى الذخيرة الباقية مع صاحبها فى أخراه ، إن كان أميناً عابها وهتديا بها فى غير تصنع ، ولا مراعاة والنبي يقول « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » .

من بحوث مجمع البحوث

كتب ظاهر الرواية

للإمام محمد بن الحسن

بقلم الفاضل بن عاشور

— ٢ —

كان يقتصر فيها على التنازل الواقعة. كما تتمثل في بسط الأحكام، وبسط انطباقها على مناهج الحكم من الصورة المفروضة بكيفية تختلف عما كان يسير عليه الإفتاء الصادر عن المجتهدين الأولين مؤسسي المذاهب من الإيجاز، والاقتصار. ولقد كان الإمام محمد بن الحسن يشعر كما يشعر الناس من حوله، بما بدا في صنيفه الجديد: من خصوصيات وميزات لم تكن للأوضاع الفقهية من قبله، فكان لسان الحال، نطق عنهم وعنه، بوصف للمنهج الذي انتهجه، فجعل ذلك الوصف علما معنونا على ما ألف محمد بن الحسن، فسمى كتابه «المبسوط»، وبقى هذه الكلمة كلمة «المبسوط»، بعد وضعها العلمي، الذي وضعت به على كتاب: محمد بن الحسن الشيباني لا تخلو عن لمح للبعث الوصفي الذي نقلت عنه بما يمثل منهجا خاصا في تدوين الفقه، فأطلق اسم «المبسوط» على طائفة كثيرة من الكتب الفقهية التي انتهجت ذلك المنهج، من أوضاع القرن الثالث والقرن الرابع والقرن الخامس.

كان الإمام محمد، صاحب أبي حنيفة، قد اقتصب لتدوين الفقه: تدوينا جامعاً للفروع مستوها للسائل، مفصلاً للأحكام على تفاصيل الصور: بطريقة لم يسبق إليها أحد قبله في تصنيف الفقه. وكان اعتياده في جميع الأحكام، المفصلة على مسائلها، المطبقة على صورها، على ما قرره الإمام أبو حنيفة: مما روى عنه محمد بن الحسن مباشرة أو ما روى عنه أبو يوسف، مما وافقه فيه معا، أو خالفه معا، أو خالفه أحدهما ووافقه الآخر.

فكان هذا المنهج الجديد في تدوين الفقه يبراد الصور مفروضة الوقوع لواقعة نازلة وتفريع الصورة من الصورة بتفريع افتراضات الإمكان العقلي لصور الوقائع، متسلسلا بعضها عن بعض، والاجتهاد في تقرير الحكم الشرعي المنطوق على كل صورة من تلك الصور المفروضة، المتسلسلة على النحو الذي تواف عليه القوانين الآن، قد أعطى التدوين الفقهية صورة جديدة من البسط تتمثل في استيعاب المسائل بطريقة افتراض، بعد أن

الذي اشتهر بمبسوط السرخسي . وقد طبع سنة ١٣٣١ هـ في ثلاثين جزءا بعناية المرحوم محمد بن ساسي التونسي . ولها كانت كتب المبسوط قد صنفت على وحدة المواضيع الفقهية ، وتحرى فيه البسط وتقليب الفروض وبيان اختلاف الرأي : بين الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وصاحبيه ، فان غرض الحرص على ضبط مذهب أبي حنيفة وتدوين قوله مفردا عن الخلاف ، قد دعا إلى وضع مصنف جديد مبني على الاقتصار في المسائل على قول أبي حنيفة والتمامه ، فألف - محمد للوفاء بهذا الغرض - كتابا جامعا لأبواب الفقه كلها على النحو المقصود وهو كتاب الجامع الصغير فجاء مشتملا على مسائل تقدم ذكرها في كتب المبسوط ، أعيدت لأجل تحقيق عزوها للإمام أبي حنيفة ، ومسائل لم تذكر قبل ذلك ولا توجد إلا في الجامع الصغير وهي الأقل ثم كأنه لاحظ أن من مسائل الفقه ما بني على قواعد - تخفى على أكثر الناس - من دقائق العربية وخفايا العلوم الأخرى ، بحيث يقاود إلى أذهانهم خلاف حكمها لغفلة عماعليه الحكم من مبنى دقيق ، فألف لها كتابا يشتمل من كل باب على مسائل معدودة يوجز في قصورها ثم في تقرير حكمها وسماء الجامع الكبير ، . ولذلك جاء هذا الكتاب صعبا يحار العقل في فهم وجوه تزييمه حتى تشرح له كما قال عنه الشيخ زاهد الكوثري . ولذلك كتبت شروح كثيرة من الجامع الكبير عد منها في كشف

سلك الإمام : محمد بن الحسن في تصنيف كتاب المبسوط . مسلك أخذ المواضيع الفقهية موضوعا موضوعا مستقلا كل موضوع منها من الآخر ، على طريقة التبويب التي درج عليها الإمام مالك في الموطأ . واعتبر كل موضوع من تلك المواضيع : وحدة جامعة للمسائل المتفرعة منه والراجعة إليه ، بحيث أصبح الموضوع قائما بذاته مفرغا في قالب مستقل ، وكذلك أصدر محمد بن الحسن ما صنفه في الفقه كتبها كتبها بحسب المواضيع الفقهية : الصلاة ، والزكاة ، والمناسك ، والعرف ، واليمن والشفعة ، والوكالة ، والإقرار ، ونحو ذلك إلى عامة أبواب الفقه ، كما أوردها ابن النديم في الفهرست . فلما جمعت تلك الكتب ، وضم بعضها إلى بعض تكونت منها مجموعة تصانيف ، محتوية على أبواب الفقه بتفاريدها وتفصيلها فأطلق على تلك المجموعة الكاملة ، الموزعة على كتب ، اسم شامل لمجموعها : هو اسم المبسوط . ولذلك فإن الفقهاء يذكرونه بهذين الاعتبارين . فرة يعتبرونه كتابا واحدا ، وأخرى يعتبرونه جملة كتب فيقولون : قال محمد في كتاب العارية أو قال محمد في كتاب الوديعة ، ويعنون بذلك كتابا من مجموعة كتب المبسوط . وقد اهتم كثير من أئمة المذهب الحنفي باختصار المبسوط وكتبت على المختصرات شروح أهمها شرح شمس الأئمة السرخسي من رجال القرن الخامس هـ على اختصار الحاكم الشهيد ، وهذا الشرح هو

قرون أو أكثر ، وقد جعل محمد بن الحسن تصنيفه للسيرة على صورتى تصنيفه للسائل فى كتبه الأخرى فجاء بكتاب شامل لما روى عن أبى حنيفة وغيره وأفرد كتابا خاصا بما روى عن أبى حنيفة من ذلك . وسى الأول وهو الشامل ، كتاب السيرة الكبير ، والثانى كتاب السيرة الصغير ، وكان هذان الكتابان آخر تصنيفه . وقد شرح كل منهما شروحا أهمها شرح شمس الأئمة المرخسى على السيرة الكبير وقد طبع بالهند فى حيدرآباد الدكن ١٣٣٦ فى أربعة أجزاء ثم أعيد طبع جزء منه من طرف معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بمصر فى الدكتور صلاح الدين المنجد وبلغت بهذه المكتبة الخمسة كتاب الزيادات الذى وضعه الإمام محمد إكبالا لها وتفرعا عن مسائلها ، وهو أيضا ذو شروح كثيرة . وتوجد نسخة خطية منه تعد فى النودار بمخطوطات المكتبة العبدية بتونس .

ومن هذه المكتبة الستة : المبسوط والجامع الكبير والجامع الصغير والسيرة الكبير والسيرة الصغير والزيادات ، يتكون المرجع الأساسى للفقهاء الحنفى من كتب محمد بن الحسن وهو ما يعبر عنه بظاهر الرواية ، لأنها المروية عنه زوايا ومقترنة بطريق الثقات احترازا من كتبه الأخرى التى نقلت من طريق أقل اشتهارا . فكتب بظاهر الرواية ، هى التى نعدّها لمقامها الأساسى فى روافد الثقافة الإسلامية .

محمد الفاضل بن عاشور

الظنون ثمانية وثلاثين غير التلاخيص والمنظومات وشروحها . وقد قامت بنشر هذا الكتاب لجنة إحياء المعارف النعمانية بالهند وكان طبعه فى سنة ١٣٧٦ هـ .

هذا وإن الأحكام الراجعة إلى موقف المسلمين باعتبارهم جامعة ، من غيرهم ، ونظام علاقتهم بهم سلبا وحربا ، وضبط حقوق غير المسلمين باختلاف أحوالهم داخل بلاد الإسلام وخارجها ، وهى المسماة : أحكام السيرة أو المعازى لما كانت ناحية من العمل الفقهى الذى يشتمل فيه المجتهدون بوضع الأحكام الموافقة للأصول الدينية المنطبقة على الأحوال الواقعية . وكان شأن هذه الناحية عظيما جدا فى بلاد الإسلام فى ذلك القرن الثانى ، ولا سيما فى الشام والعراق ، وكانت أكثر الصور التى عرضت للإمام محمد فى ما يرجع إلى تلك الأحكام قد عرضت له فى الأدوار الأخيرة من حياته بعد ولايته القضاء ، واعتباره مرجعا رسميا للدولة فى شئون علاقاتها الدولية ، فإن أكثر المسائل الراجعة إلى تلك الناحية من الفقه قد جمعها بعد أن صدرت كتبه ، ورويت عنه واشتهرت وشاعت ، فوضع لخصوص أحكام السيرة صنفا خاصا جامعاً ، استوعب فيه أحكام العلاقات فى حالتى السلم والحرب وسائل الأسرى . وحصانة السفراء والمهادنات والمعاهدات ، ويجرمى الحرب وغيرها من أدق المسائل التى لم يقتبسها إلا فى بحث فيها الباحثون فى القانون الدولى إلا بعد ثمانية

إشارات أبي العلاء للأستاذ كامل شاهين

ومن كل شذوذ عن المنهج العام للشعر في عصره
ولقد تولى مثلاً لذلك في قصيدته العينية التي
أرسلها إلى أبي حامد الإسفراييني الفقيه ،
عند دخوله (أى أبي العلاء) بغداد .

وفي هذه القصيدة يصف رحله وما عاناه
من ندرة الماء حتى اضطر للتييم ثم يشرح
التييم بنفس هادئ كأنه في حلقة درس للفقه
ويعرض لقصر الصلاة وجمعها فيقول :

ورب ظهر وصلناها على عجل

بعصرها في بعيد الورد لماع
بضربتين لطهر الوجه واحدة

ولا راعين أخرى ذات إسراع
وكم قصرنا صلاة غير نافلة

في مهمه كصلاة الكسوف شعشاع
الشاعر لم ينس أنه مقدم على فقيه ، وأن
رأى أنه لا بد أن يهره بالإشارات الفقهية ،
ثم هو لا تكفيه الإشارة بل يبسط الكلام
في راحة ، واطمئنان .

وأدعوك إلى النظر في كلمة ذات إسراع ،
لتنبيه إصراره على أن يتقضى شروط التيمم ،
وفي قوله « غير نافلة » لتعلم أنه يصر على
الاحتراس من الصلاة النافلة فإنها لا قصر فيها
وهذا ليس من شأن العصر ، ولكن رغبته

١ — لا تكاد تجد لشاعر في العربية من
الإشارات ما لأبي العلاء الممرى .

فأنت تعثر في ثنايا شعره على إشارات
مختلفة الألوان ...

تجد الإشارات العلمية ، والإشارات
التاريخية ، والإشارات الأدبية والإشارات
الدينية .. وقد تجد في القصيدة الواحدة نملطين
أو أكثر ، وقد تخلو القصيدة خلوا مطلقاً منها .

فما الذي حمل أبا العلاء على اصطلاح هذا
اللون من التعبير ، حتى يكاد يكون ظاهرة
غريبة يمتاز بها الشعر العلائقي ؟ .

أفيكون داعية ذلك إظهار المهارة ،
والتكبر بالمعرفة لأن ظروفه قضت أن يرحل
إلى بغداد ، وفي نفسه رغبة جاححة في الشهرة ،
وفي نفسه كذلك إيمان بأن شهرته لن تتسع
إلا إذا بهر العلماء ، وأنه لن يهر العلماء حق
يدخل عليهم بما لم ينالوا من حظ في معرفة
طرق التعبير ، أملاً في أن يقرأوا له بالعلم
والشعر في طلق واحد .

ذلك هو الظن بما صنع أبو العلاء في شعره
من ناحية الإشارات ، ويمكن أن يكون تفسيراً
لما صنعه من ناحية الإغراب ومن ناحية
اصطلاح الجناس ، ومن ناحية إيهام التناسب ،

من مخالطة الكلاب ، يقبل على الاسفرايين
معرفا بنفسه ، وأنه :

مؤدب النفس ، أكل على صغب
لحم النواذب ، شراب بأقشاع
وبخلص من ذلك التريف الرائع الحلو ،
إلى استفتاء الشيخ في تعاطى الربا ، ويهجم
فيزعم أنه يبيح الربا من غير أن يخرق الإجماع
على حرمة :
أرضى وأسخط إلا أنى ربما

أبيت غير مجيز خرق لإجماع
وبعد أن يبلغ هذا المدى من الإغراب ،
ولرباك السامع ، وإعاجزة أشواقه ، يقدم
إليه (حل العقدة) في قوله :

وذاك أنى أعطى الموسيقى متنجيا
من المودة ، معطى الود بالصاع
أعطى صاعا من الود ، أعطك وستا أى
ستين صاعا ... فهذا هو الإرباء الحلال .
ولأنه مع هذه النسك الفقهية المتصلة
لا يخفى قصيدته من بعض الإشارات الأدبية
وكانه يرى أن أبا حامد ليس فقيها يعجبه
هذا النحو من الكلام ليس غير ، فألم بطرف
صالح منها في مقام الحديث عن نفسه :
من قال : صادق لئام الناس . قلت له

قول ابن أسلت : قد أبلغت أسماهى
يشير إلى قول أبي قيس عامر بن الأسلت :
قال - ولم تقصد لقليل الخنا - :
مهلا ، لقد أبلغت أسماهى

في بسط نفس الفقيه الاسفرايين دعوته إلى
أن يحمل من الشعر درسا من دروس الفقه .
حتى إنه عند ما أراد أن بين اتصال الفلاة
التي اضطروا فيها إلى التيمم اختار لها تشبيها
من الفقه أيضا ، فالمهمة كصلاة الكسوف ،
وصلاة الكسوف كأطول ما تكون الصلاة
ركوعا وسجودا وقرأة (١) .

وهذا التشبيه تشبيه بمن في الغرابة ،
لا يلتقطه إلا فقيه ، ولا يستجده ويلذه
إلا فقيه .

ولم يكده يفتى من ذلك حتى مضى يقول :
إن خوف اللصوص والمغيرين في هذا المهمة
دعاهم إلى أن يصلوا سرا ، وألا يؤذنون بين
يدى الصلاة .

وما جهرنا ، ولم يصدق مؤذنتنا
من خوف كل طويل الرمح شرع
ثم أراد أن يبين هدة أصحابه ، فأصابها
في عدد الجرات التي يجمعها الحاج ليسلا من
المزدلفة ، ويرميها في منى :

في معشر كجبار الليل أجمعها
ليلا ، وفي الصبح ألقها إلى القاع
وبعد أن يحدث عن غسل طمريه سبعا

(١) عن ابن عمر رضي الله عنه : انكسفت الشمس
على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقام فلم
يسجد ، يركم ، وركم فلم يسجد ، يرفع ، ورفع
فلم يسجد ، يسجد ، وسجد فلم يسجد ، يرفع .
ثم قل في الركعة الأخرى مثل فعله في الركعة الأولى

فيقول هؤلاء : ما أفتقه شاعراً ، ويقول
أولئك : ما أشعره فقيها ..

٢ - ولقد ينصرتنا في هذا الظن أنه سلك
هذه الطريق نفسها في قصيدته التي يدعى أنه
اوتجملها عندما بلغه - عند دخوله بغداد -
موت الشريف الموسوي ، والد الشريفين
الرضي والمرتضى ، مع فرق جدير بالاعتبار ،
هو أنه أعرض عن الإشارات الفقهية إلى
الإشارات العروضية والأدبية ، وكأنه
يراعى بذلك الفرق بين الأسفرايين الفقيه
والرضي الشاعر الكبير ؛ وتكفيينا إشارته
في هذا البيت الذي يبين أن البيت (بيت
الشريف) لم يضر بموت أبي الشريفين ، هذا
البيت الذي لا ندرى ، أنفجب لمعناه كيف
التقطه أم لتشيجه الذي استند فيه إلى العروض
فأحسن الاستناد ، أم نعجب لثرة العلم كيف
تسلطت على الرجل ، فكادت تفسد لفظه
الحلو ، ونغمه المطرد ... فذاك إذ يقول :

أنتم ذوو النسب القصير ، فطولكم
باد ، على الكبراء والأشراف

والخمران قيل : ابنة العنب اكتفت
بأب من الأسماء والأوصاف

ما زاغ بينكم الرفيع ، وإنما
بالوجد أدركه خفي زخاف

فهذا البيت الذي قصر نسبه فطال ، مثله
كل الخمر غنيت بأنها ابنة العنب عن كل
وصف ولقب ... هذا البيت لا يهدمه موت

ثم يبين رأيه في الهدايا ، وأنها كرامات
لأخذها ما لم يرد بها الإغراء والإطعام وأنه
ليس عنده ما يهديه إلا قصائده ، فعل المصيب
ابن هلس :

ولا هدية هندي غير ما حملت

عن المصيب أرواح لقعقاع
وهو يشير في ذلك لقول المصيب :

فلا هدين مع الرياح قصيدة
منى مغفلة إلى القعقاع
ترد المناهل لا تزال غريبة

في القوم ، بين تمثل وسماع
ثم يتبعها إشارة أخرى في قوله :
ولم أكن ورسولي غير منهم

مثل الفرزدق في إرسال وقاع
ولقد كان وقاع غلاما للفرزدق يرسله
في الجنائيات وكرائه الأمور ، وأبو العلاء
لا يرسل رسوله إلا في الطيبات منها .

قدر أبو العلاء أن سامعي قصيدته سيظنون
فاغرى الأفواه سامهي العقول ، يتمتم الفقهاء
منهم : (بضربتين لطهر الوجه ..) في مهجة
كصلاة الكسف ! . قصرنا صلاة غير نافلة ! .

في معشر كهجار الرمي ... أبيت غير مجيز
خرق إجماع !) ، ويتمتم الأدباء منهم :

(قول ابن أسلت : قد أبلغت أسماعي . حملت
عن المصيب أرواح لقعقاع .. لم أكن مثل
الفرزدق في إرسال وقاع) .

فاتر ، ولذلك يعد هذا التشبيه غير مقبول .
ومثل هذا يقال في تشبيه ما نال الشريف
بموته ، بما نال بيت الشعر من الزحف
الخفي ... عيب لا يكاد يدرك .

وهذا أيضاً من التشبيهات ضيقة المجال ،
فإنما يحلو مثله لعشاق العروض ، أما الأدباء
المطبوعون والنحاة والفقهاء ، فلا يحلو
في آذانهم ، ولا تستطعمه أذواقهم ...

ومن هنا يعد من التشبيهات ذات اللون
الخاص ، التي يتقبلها ذوق بعينه ، ثم هو
ذوق العلماء لا ذوق الأدباء .

وكما أَرْضَى أبو العلاء الفقهاء وأَرْضَى
العروضيين ، كذلك أَرْضَى النحاة ، ولا أظن
غير النحوي يَرْضَى عن التورية في مثل قوله :
ولى حاجة عند العراق وأهله

فإن تقضيها فالجزء هو الشرط
وقوله :

فدونكم خفض الحياة فإننا
نصبنا انطاباً في الفلاة على القطع
ومن غير النحوي يَأْنَسُ إلى الجزاء
والشرط ، وإلى الخفض والنصب ، وإلى
الإتباع والقطع ، ولعل إعجاب النحاة يبلغ
مده ، إذا أنشد أبو العلاء قوله في شاعر
يسمى صريع البين :

دعيت بصارع فتداركته
مبالغة فرد إلى فاعل

من مات منكم ، لثبات قواعده ، واشتداد
معاقده ، وإنما أدركه بموت أبيكم - وإن
كان مصاباً عظيماً - مثل ما يدرك البيت من
الشعر ، إذا عرض له الزحف الخفي . فهو
لا يعيبه ولا ينقصه .

المعنى على ما ترى ، جدة وروعة ، ولكن
التشبيه بالخواف الخفي ينقلنا إلى جو آخر ،
نرى فيه الخبن ، والعلو ، والعصب ، وما إلى
ذلك مما يفسد جو الشعر ، ويكاد يذهب
بروعة المعنى .

ولكن أبا العلاء يريد أن يهر بالشعر
وبالعلم ، فيمزق الشعر بالعلم ، ليهر أهل
بغداد بهذه الإحاطة ، وهذا الشمول ، وهذا
الدخول من كل باب .

٣ - ويسوقنا ذلك التعرف على القيمة
الأدبية لهذه الإشارات .

لقد رأينا أن أبا العلاء لم يخطئ التشبيه حين
شبه المهمة المترامي الأطراف بصلاة الكسوف ،
ولسكنه على هذا شيء محدود بمحدوده ،
مقيد بمجاله ، فهو يطيب للفقهاء والمشتغلين
بصناعة الحديث والذين يعنون بإقامة السنن
على وجهها فيجدون في صلاة الكسوف
طولا بليغاً لا يجدونه في صلاة أخرى .

فإذا انتقلت من هذا المجال إلى مجال الأدباء
أو أهل الأخبار والرواية ، لم تجد لديهم
طربة لهذا التشبيه ولا هشاشة ، فتأثيره فيهم

ويذكرنا هذا بقول أبي العلاء نفسه عن
البحترى نفسه :

وقال الوليد : النبيع ليس بمشمر
وأخطأ، سرب الوحش من ثمر النبيع
فدهوى البحرى أن النبيع لا ثمر له ...
باطلة ، ألا ترى أن القسي تصنع من شجر
النبيع ، وهى تصيد السرب من الطباء والعانة
من حر الوحش . فهذا من ثمرها .
وهو يشير بذلك لقول البحرى :

وهيرتنى خلال العدم آونة
والنبيع هريان ، ما فى عوده ثمر
فها تان الإشارتان تلذان للأدباء ، ولا
يجتوونهما ، ولا يضيئون بهما ، والوزن
فى الشعر إنما هو لأربابه لا للدخلاء عليه
ولا لأرباب الصناعات الأخرى .

ولكن الإشارات قد تتابع وتختفى فيصيب
منها الشعر ما يصيبه من الإغراب اللغوى ،
أو الفلسفة الدقيقة ، وأنت واجد ذلك النوع
من التتابع والخفاء فى مثل قول أبي العلاء ،
فى إحدى درعياته :

لو أنها كانت على عصمة
فى الوقى لم يدع بالاجنم
الضمير للدرع ، يقول : لو أن الدرع
كانت على عصمة بن عاصم المازنى عند ما
ضربه شيبان بن خصفة التيمى يوم الوقى
ما قطع يده ، ولا لقب بالاجنم . ثم قال :

كما قالوا : عليم ؛ إذا أرادوا
تنامى العلم فى الله العليم

فهذا بعمل نحوى كالفرأه ويونس أشبه
منه بعمل شاعر ، وهذا يعجب النحاة
ويهرم ، لكنه يضائق الأدباء وينيطهم .
— ولعلك تسأل ، فما رأى فى الإشارات
الأدبية والتاريخية ، أمى كذلك لضيق مجالها
وخصوص لو أنها ، تعد بعيدة عن الأدب الحى
الذى تتقبله كل النفوس وترتضيه كل الأذواق .
والأمر فى ذلك يسير ، فإننا فى باب الأدب
إنما نحتكم إلى أذواق الأدباء لا إلى أذواق
الفقهاء والنحاة وأهل العروض .

ومادام أمرنا على ذاك ، فإن الإشارات
الأدبية والتاريخية تنقاس بمقياس الذوق
الأدبى ، والذوق الأدبى يتقبل مثل هذه
الإشارات فى رحابة صدر واقتناس .

فأنت تجد راحة فى قول أبي العلاء
لأهل بغداد :

ذم الوليد ، ولم أذم جواركم
فقال : ما أنصفت بغداد حوشيتنا

لئن لقيت وايدا والثوى قذف
يوم القيامة لم أهدمه تسكيتا
يعنى بالوليد : أبا هبادة البحرى ، وأراد
بذمه بغداد ، قوله :

ما أنصفت بغداد حين توحشت
لنزيلها وهى المحل الآنس

ضمائنا للنفس إحسانها

غير ضمائنا أبي ضمضم

أبو ضمضم كان يتصدق بعرضه على عباد الله، فضماها الإباحة وترك المحاماة، أما هذه الدرع فضماها إحسانها لأبصارها، والمحاماة دونها ثم قال:

ما خلت هماما لو ابتاعها

يفر من خوف أبي ضمضم

همام بن غالب هو الفرزدق، وكان قد

هجا جريرا فتوعدده أبو جهضم عباد بن الحصين

الحبطي، فقال الفرزدق:

أني قتل من كليب هجوته

أبو جهضم تغلى على مراجله

يقول أبو العلاء، لو أنها على الفرزدق إذ هدهد

عباد بن الحصين ما فرخوا قابل لثب واطمأن.

ثم قال أبو العلاء:

وحاجب لو حجبت شخصه

لم يمس في المنة من زهدم

حاجب هو ابن زرارة التميمي، وزهدم

هو ابن حزن العبسي، أدركه يوم جيلة زهدم

فانقض عليه وأسره، ثم غلبه عليه ذو الرقية:

مالك بن عامر.

فلو كانت هذه الدرع على حاجب لقاتل عن

نفسه زهدما، ولم يصبح في منة منه بركة.

فن من الأدباء يستطيع أن يتصل بهذه

الأحداث جميلة، فيعرف ما حدث لعصمة يوم

الوقفي، ويعرف ضمائنا ابن ضمضم،

أو إباحات أبي ضمضم، ويعرف فرار الفرزدق

من أبي جهضم، والمنة على حاجب من زهدم.

هذا التتابع في سوق الأحداث طريف،

ولكنه لغرابته وعدم وضوح دلالاته عند

القارئ، وحاجته إلى التنقيب والكشف،

يقل من القيمة الأدبية للنص.

وهناك فرق بين رفض الإشارات الفقهية

والنحوية وما جرى مجراها، وبين رفض

بعض الإشارات الأدبية والتاريخية.

الأولى نرفضها جملة برغم وضوحها

وانكشاف معناها، ونعدها من قبيل المبالغة

في الصناعة، أو الخداع والشعوذة.

أما الإشارات الأدبية فإننا نستعملها

ونرحب بها ما دامت واضحة الدلالة، مصدبة

موضعها، في اقتصاد وتحفظ.

ونحن نرفضها إذا حال بيننا وبين الاستمتاع

بها غيوض وهدم لإسفار أو إسراف وإلحاح

والأمران كما ترى، منزعهما شديدا

الاختلاف، وبعد:

فقد حاول أبو العلاء أن يكتسب وجاهة

عند العلماء والفقهاء والأدباء وأهل الخبر

والرواية، ولكن لم يكسب إلا الكساد

والحسد في بغداد، فعاد إلى بلده مقهورا،

وأنشأ يغني لنفسه ويسجل نظراته في الوجود

ورأيه في الحياة والأحياء في ديوانه اللزوميات

لا يرجو ولا يخاف؟

طاهر الصير شاهين

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر للأستاذ علي العمّار

— ٥ —

طبعاً - إنما هو الدفاع عن مصالحهم الشخصية ، التي لا تقوم - فيما يزعم - إلا على بذر بذور الفرقة بين الناس ، وبث روح الخلاف بين العباد ، اتباعاً لشرعية الصيد في الماء العكر . (ينبغي أن تؤمن أن المؤلف يصيد - دائماً - في الماء الصافي) .

ويرى أنه من الضروري أن يسوق - هنا - الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة - على حد تعبيره ، على أن اليهود والنصارى لا يعتبرون مشركين ، ولا كافرين !

والأدلة القاطعة التي ساقها (خاتمه) تتلخص في أن القرآن اعترف بكتبهم السماوية ، وأوجب على كل مسلم الإيمان بها ، وقد سماهم في كثير من الآيات (أهل الكتاب) ، وأن طعامهم حل للمسلمين ، والمحرمات منهم . .

كما يستدل بأن أصل دينهم الذي أنزل الله به الكتب ، وأرسل به الرسل ليس فيه شرك ، ولكنهم بدلوا وغيروا ، وابتدعوا من الشرك ما لم ينزل به سلطاناً ، فصار فيهم الشرك ، وكأنه ندم هنا أنه وصف (إخوانه) بأنهم

ويجروا المؤلف ، ويبلغ غاية التنكر للحق ، حين يحاول أن ينفي عن أهل الكتاب وصمة الكفر بالله ، مصادماً الآيات القرآنية الصريحة التي لا تحتل تأويلاً .

فهذا عنوان فصل من فصول الكتاب : (اليهود والنصارى أهل كتاب ، وليسوا بمشركين ولا كافرين) . ويبتدئ الفصل بأن الأسى يملأ جوانحه ؛ لأن هناك فكرة خطيرة أهرمت فينا ، وهي أن بعض رجال الدين من المسلمين يعتبرون اليهود والنصارى مشركين أو كافرين ، وهذا الأمر - كما يقول - مرده إلى الجهل بأصول الأديان عامة ، وبدين الإسلام خاصة ، وما شاب أهل الجهل من تعصب بمقوت ، لا تزال جذوره متأصلة في النفوس ، بغير علم ولا إدراك .

ثم يحز في نفسه - صانها الله من كل سوء - أن يكون مبعث هذه النزعة الضارة من أناس همهم في الحياة الدعوة إلى السلام والوفاق ، ولكن جرى همهم على غير ما يظن الناس فيهم ، وأن الذي دفعهم إلى ذلك - في تخريفه

الجنة) وتوعدهم بالنار، وبالعذاب الالم . ومن عجب أن المؤلف أراد أن يتعلم فيدعى أن القرآن فرق بين أهل الكتاب ، والمشركون ، واستدل بقوله تعالى : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون »... هكذا كتبها ، ثم علق عليها بقوله : فجعل المشركون غير أهل الكتاب .

ونسى - فهمه الله - أن هذه الآية تثبت الكفر لأهل الكتاب وهو ينفي في عنوان الفصل وفي كل أجزائه أن يكون أهل الكتاب كفارا . ولما أسأل المؤلف : هل يقبل من مسلم أن يقول - مع هذه الآيات - إن أهل الكتاب ليسوا كفارا ؟ وماذا يعرف حضرته عن حكم الإسلام على من أنكر آية ، بل آيات صريحة من القرآن ؟

٢ - ماذا يقول المؤلف وقد وصف القائلين بحكم القرآن في هذه المسألة بما وصفهم من جهل ، وتعصب واصطياذ في الماء العكر ، وعمل على بذر بذور الفرقة بين الناس ، ماذا يقول إذا علم أن الرجل الذي اعتمد في كتابه من ألفه إلى يائه على آرائه - بعد تحريرها - إذا علم أن هذا الرجل ، وهو السيد رشيد رضا ، من القائلين هذه المقالة .

(نرى المصلحين الذين زعموا أنهم أعادوا النصرانية إلى أصلها لم يستطيعوا أن يرجعوها إلى التوحيد الذي هو دين المسيح ، وسائر أنبياء بني إسرائيل ، ورسول الله أجمعين ،

غيروا وبدلوا ، فأراد أن يكفر عن هذه الجريمة) فقال في الهامش : وكذلك ابتدع المسلمون ما لا يتفق ، وأصول الدين ، ولم ينزل به سلطان في الكتاب المبين .

ولأن فليس (إخوانه) - كما يدعوم - بدعا ، فإذا كانوا غيروا فالمسلمون - أيضا - غيروا - هذه هي خلاصة هذا الفصل ، وسأدع المؤلف نفسه أن يحكم على خطئه بعد أن مر مرارا مرعبا على تخطئه في هذا الفصل .

١ - آيات القرآن صريحة في أن أهل الكتاب غيروا وبدلوا ، وأنهم كفروا بما أوحىوا في الدين بما يناق الوحدانية . قال الله تعالى في سورة التوبة : « وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون » . وقال سبحانه في سورة المائدة : « لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، فسام القرآن (كفارا) و (مشركين) و (ظالمين) و (حرم عليهم

رشيد رضا للاتفاق بين المختلفين في المذاهب والأجناس من المسلمين، والمختلفين في الأديان، والأجناس الأخرى، وهي: (تعاون على ما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف عليه).

قال المؤلف بعد ما ساق هذه القاعدة (الذهبية): هذا ما أدهو إياه، وأجهر به للناس كافة - على بصيرة - وقد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم فاشهد.

ولا أدري من أين نقل المؤلف هذا الكلام عن الشيخ رشيد، فإن أشك أن يكون هذا وضع هذه (القاعدة) على النحو الذي رسمه المؤلف، وقد عودنا المؤلف أن يتر النصوص ويحرف فيها ليصل إلى الهدف الاسمي، وهو إرضاء إخوانه.

فقد يكون حسنا، وجيلا أن يعذر بعض المختلفين في المذاهب بعضا فيما اختلفوا فيه، ولكن ما معنى أن يعذر أهل الأديان بعضا في هذا؟

أريد المؤلف أن نقول لليهود حين يقولون ويرددون: إن عيسى تولى من زنا، وللمسيحيين حين يقولون إن عيسى هو الله، أو هو ابن الله، أو يقول الفريقان: إن محمدا كاذب، وإن القرآن ليس من عند الله، أريدنا أن نقول لهم: لأنكم معذورون، ويكون هذا هو كل ما يطلبه منا ديننا؟

إن الذي ينبغي أن يعيه كل مسلم أن واجبا

فهم لا يزالون يقولون بألوهية المسيح، وبالتثليث ويمدون الموحد غير مسيحي كما يقول ذلك المرققان الكبيرتان الأخريان من فرق النصرانية في هذا العصر، وهم الكاثوليك والارثوذكس، فيمسيح فرق نصارى هذا العصر تقول إن الله هو المسيح ابن مريم، وأن المسيح بن مريم هو الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا).

٣ - هل يرى المؤلف أن القرآن الكريم بآياته الواضحة هذه عامل على بذور بذور الفرق وأنه يعمل ذلك ليصطاد في الماء العكر؟
٤ - ما دخل اعتراف القرآن بكتبهم، ودعوة المسلمين إلى الإيمان بهذه الكتب في موضوع وصف أهل الكتاب بالكفر؟ وقد قال وأعاد، وكرر أنهم حرفوا هذه الكتب، ولم يؤمنوا إيمانا صحيحا بما جاء فيها. أما إحلال طعامهم، وذبائحهم، فسلبه أنهم لا يعبدون صنما، ولا يذبحون باسم صنم، ولو أنهم ذبحوا ذبائحهم وأهلوا عليها باسم المسيح - مثلا - لما جاز لنا أكلها.

ويتفضل المؤلف فيوجه لنا نصيحة غالية، نقلها عن السيد رشيد رضا، قال: خير ما يتبعه المسلمون مع غيرهم من أهل الأديان الأخرى هو الأخذ بالقاعدة الصحيحة المعقولة التي وصفها العلامة الكبير السيد

أن يبلغ الإسلام على وجهه الصحيح ، وأن نذيع في الناس أن الله واحد لا شريك له ، وألا نعذر أحدا حين يكفر بالله .

ونحن نؤمن أن الإسلام هو الدين الحق ، ولادين غيره ، وأنه محمداً أرسل للناس كافة ، وأن علينا أن نجهز بهذا كله ، فكيف تؤدي ذلك إذا كان كل عملنا أن نكتفي مع المنكرين لهذا الدين ، الصادق منه ، العامين على مدمه ، نكتفي بأن (نذكرهم) ؟ ١٩

إني أكره ، بل وأحتقر كل من يجامل أحداً على حساب الدين ، وإن أمرنا بمعاملة أهل الكتاب معاملة عادلة لا معنى أن نقضى عما يفترون على الله ؛ وعلى نبيينا ، وعلى كتابنا .

والمؤلف قال : (إن خير ما يتبعه المسلمون)، فلماذا لم يقدم هذه النصيحة إلى هؤلاء الذين يحاربون الإسلام ، وتعاليمه في كل مكان ، وبكل أسلوب ؟ ١٩

أم أن هذا واجب ، فقط - في رأى المؤلف - على المسلمين دون غيرهم ؟ أم أن المؤلف يرى أن أصحاب الديانات الأخرى يسرون على تعليم هذه القاعدة ، وأن المسلمين فقط هم الذين يخالفونها ، فهو يريد أن ينهمهم إليها ، ويرغبهم في اتباعها ؟ ١٩

الحق أن المؤلف كشف عن نفسه ، ولم ينفع الذين يدافع عنهم ، وعدوا قائل خير من صديق جاهل - كما يقول المثل - .

وليقول من شاء من المستشرقين ، والمستغربين ما شاء في تعاليم الإسلام ، وليتجه دعاة التجديد إلى ما يشاءون من تفاسير لهذه التعاليم لا تتفق وطبيعتها ، فإن الذي ينبغي أن نفعله ، وأن نقوله هو أن نبين الأمور على وجوهاً الصحيحة ، والأناجيل مع أى إنسان لكي ندفع عن الإسلام تهمة مختلفة ونها ، فإننا لو ظلمنا فعل ذلك بعدنا شيئاً فشيئاً عن روح الإسلام ، وعن حقائقه .

وعلينا أن نقولها صريحة واضحة : الإسلام دين حق ، وكل تشريع جاء به حق ، وكل وسيلة اتخذها لنشر دعوته حق ، وليقل من شاء ما شاء .

والعجب أن أحداً من أهل الأديان الأخرى لا يجاملنا ، فلماذا يعمل فريق منا على أن يعطوا الدنية في دينهم ، وهم على الحق ، وغيرهم على الباطل .

ليس بمسلم هندي من تحمله الرغبة في جاء أو مال أو صيت على أن يجامل على حساب الدين ، وإن أضل المضلين أولئك الذين يحبون أن يقول الناس عنهم إنهم مجددون ، وهم لا يحبون أن يصدعوا بكلمة الحق ، إذا كانت تظهرهم بمظهر المتمسكين بالدين الصحيح . وقابل الله الدنيا ، ما دخلت في شيء إلا أفسدته .

وعلى الله قصد السبيل .

على العمادى

خِطَابٌ حَوْلَ قِصَّةِ الْفِتْنَةِ

لِلْأُسْتَاذِ مَنْصُورِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ عَوْنِ

« وحقيق أن يسجل له في القرآن الكريم :
« واتخذ الله إبراهيم خليلاً » .
وكما أن قلب الأب كبير فقلب الابن كذلك
ففي قصة الفداء ترجمة عملية لقوله تعالى :
« فبشرناه بغلام حليم » .

ومن العجيب في قصة الفداء أننا لم نجد
تردداً من الابن عند عرض الأمر عليه
بصورة فيها أدب النبوة : « يا بني إني أرى
في المنام : أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ » .
فلم يقل له إسماعيل عليه السلام وهو لم يزل
غلاماً : إني بمثل ، ولكن ألا تدعو الله
وترجوه أن يعفيك من هذا يا أبتاه ، فإذا
لم يأذن بعد الدعاء فافعل ، لم يقل إسماعيل
هذا ؛ بل كان أمره امتثالاً ، وطاعة تامة
ابتداء من أول الأمر .

وكما أن هذا هو حال الابن ، فكذلك الأب
عليه السلام ، لم يحاول أن يدعو الله بإعفائه
من هذا الأمر ، لم يقل مثلاً : ابني فلذة كبدي
فأسألك يارب عفوك ورحمتك ، وأنت أرحم
الراحمين ، وكان يمكن كبشر وكأب ، أن
يحاول محاولة عاطفية كتملك المحاولة السابقة
في الدعاء الذي لم يدع به ، ومن ناحية أخرى
يعمل على ألا يشذ عن الأمر ؛ بمعنى أن يدعو

« فلما بلغ معه السعي قال : يا بني إني أرى
في المنام أني أذبحك ؛ فانظر ماذا ترى ؟ قال :
يا أبت افعل ما تؤمر . ستجدني إن شاء الله
من الصابرين » .

إن قصة الفداء عنوان كريم للتضحية
والصبر والإخلاص لله عز وجل ، لأنها مثل
أعلى في تعلق القلب بالله تعالى ، وانصراف
العبد بكليته إلى الله ، وطرح ماسوى الله من
القلب إذا صادف أمره ، فلا شيء يحول بين
العبد وربّه ، ولو كان هذا الشيء ابناً للشيخ
كبير طالما تعاق قلب الشيخ به ، ولكن
لا يجب فالذي أمامنا نمط من أنماط القلوب
الربانية في مثالياتها العليا .

أجل فقلب الأب كبير بلغ من الصفاء
ذروته ، قلب قرب وقرب ، واتصل واتصل
قرب بالنبوة ، واتصل بالخشعة « واتخذ الله
إبراهيم خليلاً » .

فهل نعجب من خليل الله أن لا يحول
شيء بينه وبين الله ، ولو كان هذا الشيء ابنه
الذي بلغ معه السعي ، وترك مرحلة الطفولة
واستقبل مرحلة السعي والعمل ، إن إبراهيم
عليه السلام جدير بهذه الصفة السكرية

بالذبح إلى الله عز وجل تأديبا، وليترك الابن شرف الابتلاء؛ فإن امتثل كان جديرا بأن يقال هو أيضا شرف الامتثال؛ فلا يحرم من القبول والرضا. ولهذا فإن الابن فهم من أسلوب العرض أنه أمر من عند الله، وهو بجانب هذا قد بادله هذا الأدب، وبني الفعل للجمهور فقال (يا أبت أفعَل ما تؤمر مستجدي إن شاء الله من الصابرين) ولم يقل له: أفعَل ما يأمرُك به الله، تأديبا مع الله. ومن العجيب أيضا أن الأب صرح بالأسر وهو الذبح لضرورة توضيح الأمر ابتداء للابن، ولكن الابن لم يصرح بمضمون الأمر بلفظه الصريح فلم يقل له: يا أبت اذبحني ما دمت قد أمرت بذلك، بل قال: (أفعل ما تؤمر)... لأنه يرى في الذبح انتقالا إلى أن يكون في عداد الصابرين. إنه وصيلة إلى أن يقبله الله مع الصابرين في الدرجات العليا فكيف يصرح بمضمون الأمر، والأمر انتقل من أن يوصف إسماعيل بالذبيح إلى أن يوصف بالصابر، فهو يرى في الحقيقة أن الذبح امتثال لأمر الله يضفي عليه وصفا كريما خلاف ما تراه العين المجردة. خلاف ما يراه البصر المحدود، وإنما البصيرة النافذة البصيرة المشرقة المضئنة فهي تقول: إسماعيل الصابر؛ ففي الذبح - لو نفذ - حياة وأى حياة، لأنها حياة أبدية خالدة حياة الصابرين في رضوان الله ونعيمه:

الله تعالى ثم يقول: يا ربني إذا لم تستجب لي دعائي ورجائي في هذا؛ فساأفخذ أمرك حق ترضى يا ربني.

لم يكن إبراهيم عليه السلام في موقف دعاء وابتئال، لم يلجأ إلى هذا بل ترك الدعاء، وهو صاحب العاطفة في سموها، وهو الذي لم يزل لسانه وطبا بذكر الله، والدعاء والابتئال إلى الله عز وجل: «ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم. وربنا ليعقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرونا»، «رب هب لي من الصالحين». أجل ترك مقام الدعاء وانتقل إلى مقام التنفيذ، إلى مقام التضحية بأعلى ما لديه.

لأن الدعاء في هذا المقام... مقام الفداء والتضحية... ينشأ عن التردد في تنفيذ الأمر ومقام الخلّة، ومنزلة (وانخذ الله إبراهيم خليلا) لا يجتمع مع التردد في تنفيذ أمر الله تعالى، إنه يرى في أمر الله لإحكام وحكمة وخير ورحمة وإن لم يدرك العقل ذلك. إنه يرى في تنفيذه لأمر الله قربة وشرف.

وإذا كان موقف إبراهيم عليه السلام موقف الممثل لأمر الله في عرضه للأمر على ابنه إسماعيل كان مثلاً أعلى في الأدب النبوي الكريم؛ فلم يقل له: إن الله أمرني أن أذبحك لأن رؤيا الأنبياء حق - بل جاء إليه بطريق العرض منه عليه، ولم يسند الأمر

إنه أمر الله تخضع له القلوب ، وتسجد له الجباه ، وتمثل له الأرواح والأجساد . وحينما نلح العاطفة في قوله (يا أبت) نلح بجانب هذا ما يمنع انسياب تلك العاطفة انسياباً بلا حدود ولا رابط . كلا ، بل الأمر أمر والامثال امثال ، (افعل ما تؤمر) إنها كلمة وضعت حداً للعواطف ، وجعلت أمر الله فوق كل عاطفة .

وإذا كان الابن لم ينس في امثاله عاطفة البنوة فالأب أيضاً في امثاله لم ينس عاطفة الأبوة فناداه : (يا بني لاني أرى في المنام أني أذبحك) ، (يا بني) ، (يا أبت) نداء ان يترجمان عن هذا العناق العاطفي ، وتنفيذ الأمر مع وجود العاطفة أقوى وأعظم ، فلم يكن الأمر في لحظة من لحظات جفاف العاطفة ، وجذب الحياة الأسرية الرحيمة ، كلا وإنما الأمر ظهر في تلك اللحظة التي يقابل فيها كل من الأب والابن هذا الحنان وهذا الحب . وفي قوله : (ستجدني) الآية ، إعانة من الابن لأبيه على طاعة الله عز وجل . كأنه يقول لأبيه : إن في امثالي تحقيقاً لأمرك في أن أكون طائعاً لله تعالى ، ان أعوفك عن أداء أمر الله سأحقق أمرك في . ما أعظم تلك القلوب . إن الأب والابن كل منهما يتسابق في تنفيذ أمر الله عز وجل ، وفي قوله : (إن شاء الله) إنكار

إنه لو قال : يا أبت اذبحني .. ! لكان تحريكا عاطفة ، والمجال مجال أمر وامثال .

إنه لو قال : اذبحني .. ! لكان تصريحاً بصورة العمل ونظرة إليه ، ولكن العبرة ليست في تلك الصورة ؛ بل في الامثال دون مراعاة لحظ النفس في هذا الأمر ، فما أرخص النفوس لله . إنه لو قال : (اذبحني) لتوهم الاعتراض من الابن في صورة خفية دقيقة ، ولتوجه النظر إلى صورة الدم في كلمة الذبح . والنظر في روحانيته العالية لا ينظر إلى الدم في كلمة الذبح ولكن إلى الامثال في كلمة : افعل ما تؤمر . .

وإذا كان الابن عليه السلام قد لاحظ الأدب مع أبيه عليه السلام في مناداته بقوله (يا أبت) فلم يقل له مباشرة : (افعل) بدون النداء بل ناداه بوصف الأبوة كأن لسان حاله يقول لأبيه : إن ذبحك إياي لن يخرجك عن وصفك بالأبوة فليس هذا الأمر تحطياً لتلك الصلة فأنت أبي فليس الأمر شروداً وتزمتاً يقطع الصلات .

فالابن عليه السلام يقدر موقف الأب عليه السلام ، إذ الأمر أمر الله ، وتنفيذ الأمر لا مجرد الأب من أبوته ، ولا ينزع الصلة بينه وبين ابنته ، والصلة قائمة بين أبوة مثالية وبنوة مثالية ، لا مكان للحق من الابن على الأب ، ولكن الأمر فوق هذا وأكبر .

في عمله ، وارتفع بروحه بحيث لا يرى إلا الانصراف بكليته إلى الله تعالى ؛ فإن رحمة الله ترطاه ، وبأتية اليسر والخير : (كذلك نجزي المحسنين) ، ولما صدق إبراهيم عليه السلام في نيته فحى الله ابنه ، وزاده ابناً آخر فوق نجاه ابنه السكير : (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) .

وهنا نلاحظ معنى عاما في تكريم الله لصفوة عباده .

فكل ابتلاء ينجح فيه عباد الله يكون تكريمهم من الله تعالى مناسبا لنوع الإبتلاء فهنا في قصة الفداء مثلا الإبتلاء بذبح الوالد - بالنسبة للنظر المحدود - بالنسبة للنظر المحدود فيه قطع لذكر الوالد وفيه نقصان . ولما كانت النتيجة نجاحا في الإبتلاء فبالنسبة لما يترتب على الذبح من قطع الذكر فالتكريم كان (وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم) وبالنسبة للأمر الثاني : وهو النقصان ، كان التكريم ماحيا لتوهم النقصان بل محققا للزيادة في أسى صورها (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) .

وهكذا فن ابتلى بالمال وأنفق على الفقراء والمحتاجين ، فإن التكريم من الله تعالى أن يعطى المنفق أجرا من عنده ؛ فأنفق مدخره من ثوابه ، فأنفق على ما يتوهم من نقص المال بالصدقة ،

من الابن لذاته... إنه يرى في امتثاله ورضائه وصبره نعمة يسوقها الله إليه بفضل منه تعالى فتقديم روحه ، وصبره على هذا ليس إلا فضل من الله تعالى ، فهو ليس بذاته من الصابرين ، وليس بذاته محسبا ، وإنما ذلك منة من الله وفضل ، ويتوج هذا الإنكار للذات أنه حينما يهود بروحه امتثالا لأمره تعالى لا يرى نفسه قد تفردت بالتضحية ؛ بل يرى أنه في هذا إنما يضاف اسمه بفضل الله إلى من أشرق بهم الزمن من الصابرين . إذن هو ليس وحده الفريد الصابر ، وإنما يرجو من الله أن يلحق بهذا الصنف الكريم من الذين شرفهم الله بهذه الصفة صفة الصبر : (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) .

ثم ماذا ؟ إنه أمر لا شك فيه ، وتنفيذ لاتهاون فيه ، تنفيذ كله استسلام لله عز وجل وصدق ورضا ، واطمئنان قلب ، وبلوغ إلى ذروة الإيمان وتمام الإحسان في الأعمال : (قلنا أسلمنا ونلج الجبين . وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين) هنا تجلست رحمة الله الواسعة : (إن هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم) ، وسجل لإبراهيم عليه السلام ما تتناقله الأجيال وما ثبت على مر الزمن من آيات الشاء والسلام : (وتركنا عليه في الآخرين . سلام على إبراهيم) ، فمن صدق مع ربه ، وحسن

لحزن أو خوف ؟ ، ومن كان في قلبه الخوف من أهوال يوم القيامة كان له الاطمئنان والأمان والنجاة من المرهوب ، والفوز بالمرغوب : (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا : إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا هذا السموم : إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) ، (ولئن عاف مقام ربه جنتان) ، والأمانة في هذا كثيرة .

وقصارى القول : أن قصة الفداء فوق التفكير العقل ، والاستنباط الذهني ، والإدراك الفكري : تعلن أن مقام الألوهية فوق كل مقام . الرب رب ، والإنسان إنسان . فهما ترقى الإنسان في المراتب الإنسانية العليا فإثما يترقى في تحقيق مراتب العبودية لله .

تلك المراتب والدرجات تؤكد تلك العبودية لله بالطاعة لجلاله والامتثال لعظمته والخضوع لأمره في صورته المثالية الواضحة المثيرة . إننا ان نحيط بكل معاني قصة الفداء ، ولكن علينا أن نردد قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

فهكذا تكون الحلة ، وهكذا تتحقق نسبة إبراهيم عليه السلام إلى الأعمال الصالحات في تدرية مثالية وصدق الله : (إن إبراهيم كان أمة) .

منصور محمد محمد عويس

فما نقص مال من صدقة ، كما يعطى المذفق الأمان والسرور ، وينتفي عنه الخوف والحزن كيف ... ؟ ! وقد كان بنفقته مزيلًا لحوف البائس ، وحزن المحتاج . قال تعالى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قلهم أجروهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأصيلاً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قطريراً فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) ، (وما آتيتكم من زكاة تريدون وجهه الله فأواثك هم المضجعون) .

ولما كان القتال في سبيل الله قد يكون فيه استشهاد ، فإن العين المجردة ترى ذلك موتاً والموت انقطاع عن الحياة ، فمن استشهد فقد قدم روحه امتثالاً لأمر الله ؛ فكان الجزاء مناسباً ، والتكريم ملائماً ، فالناس يرون الشهداء قد فارقوهم بموت ؛ فيخبر الله أنهم تركونا إلى حياة كريمة مكرمة من الله تعالى : (ولا تحزن الذين قتلوا في سبيل الله أموالنا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله . ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . ألا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون) ، فهل بعد ذلك يكون هناك مكان

القوم الصوفية بقلم : م.م. ماكين

ترجمة الأستاذ فتحى عثمان

- ٣ -

كتب لجهوده الفوز المبين ، وعلى الرغم من أن تحوله إلى هذا المجال ، وتأيمده الجسور لقضية الصوفية الرفيعة قد جلب عليه بادية الأمر حنق الفقهاء التقليديين ، إلا أن الأمر اختلف من بعده ، فتأكد الواقع بين الصوفية المعتدلة ^(١) والتعالي السنية ، ، واتسع الأفق العقلي للجماعة الصوفية بعد مضي أكثر من قرن بدرجة فائقة ، نذيجة لما قدمه ابن العربي من عرض انتقائي تجميعي يحكم يرفض الثنائية dualist ، ولقد كان نهجه الفكري يحمل تحدياً صارخاً لأفيسة علماء الكلام المنطقية ^(٢) .

* * *

ولقد استمدت حركة الصوفيين - بكونها طاقة حية عاملة - قوة بدرجة تفوق ما استمدت من التعبير النظري ، شأن كل الحركات المماثلة في التاريخ . وأدى قيام نظرية

(١) ويمثل هذه الغزوة مدرسة صوفية على رأسها الجنيد البغدادي (المتوفى سنة ٩١٠ م) وهي تؤكد التمييز الأساسي بين الشريعة ، والتجربة الصوفية .
(٢) توصف فلسفته عادة بأنها قائمة على وحدة الوجود . وفي اصطلاحات لا تبدو دقيقة في التعبير عن نهجه .

هذا التيار المندفِع نحو مفهوم الجماعة ، الصوفية بتأكيده الطابع المتميز للعرفية الصوفية كانت تصاحبه وتسايره محارلات لتعبئة الرأي العام بأكثر مبادئ الشريعة السائدة معارضة وتشدداً ، وهذا التطور الأخير طبع الفترة التالية من تاريخ الحركة بطابع الثورة ، وعزز من الجهود النظرية لتأصيل الجماعة الصوفية منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي فصاعداً ظهور رجلاين من أقطابها الشاخصين : الغزالي (المتوفى سنة ١١١١ م) ، وابن العربي (المتوفى سنة ١٢٤٠ م) ، وفي هذا الوقت كانت موسوعة د إخوان الصفا ، قد نفذت إلى الجو الفكري للجمع الإسلامي ، وأشاعت العلم والفلسفة بين الجموع .

وقد هب الباحثون المحدثون عن الحاجة إلى إعادة تقويم دور الغزالي المحدد في الحركة الصوفية . وهكذا ظهر من الدراسات المتعمقة لطائفة منهم : أن الغزالي قد عمل على إحكام المحاولات التي بذلها أسلافه لإدخال الصوفية في النطاق القرآني للأفكار معزلاً بتجربته الشخصية في الطريق ، وقد

صوفية إيجابية محددة إلى تقديم أساس متين للحركة في مجموعها ، ولكن المجادلات حول وحدة الوجود : « على الرغم من أنها كانت مقرونة ، وحل إعجاب لدى المثقفين ، وعلى الرغم من أنها أثمرت شعراً له آثاره العميقة إلا أنها لم تكن تؤخذ مأخذ الجد من عدد كبير من أبناء الطرق الصوفية ، وهناك محاولة لها دلالتها لتأكيد الطابع العملي للطريق يشير إليها استعمال كلمة (قوم) بدلا من كلمة صوفية ، وقد جاءت كلمة « قوم ، أكثر شيوعاً وأبعد مدى في مضمونها الاجتماعي ، ووجدت الفكرة تعبيراً عنها في الكتابات النظرية المبكرة التي استعملت عبارات مثل : عبدة القوم ، سيد القوم ، طريق القوم ، أسرار القوم ، زعيم القوم ، وهي عبارات تستوعب مجموع حياة الصوفية ممتدة من أعمال العبادة ، وحضور مجالس الذكر إلى مسائل تتعلق بالمكاسب .

وكان القوم يمثلون مجموعاً من الاهتمامات لاتباع يتباينون في مواهبهم العقائدية ، لكن هناك تمييزاً دقيقاً ملحوظاً بين الدعاة إلى طريق القوم ، وطابعهم التأكيد على العمل ، وبين المنصوفة العلماء من أهل المعرفة ، ويقابلون أهل العلم بالنسبة لفقهاء الشريعة ، ويشير السكلابدى في إجمال إلى الأقطاب وأصحاب النظريات والكتابات في الصوفية بتعبير (رجال الصوفية) ، لكن مصادر (الطريقة) المتأخرة قد وضعت فيما بعد هذا التصنيف في صورة أكثر تحديداً بالمقابلة بين سادة القوم ، وبين الأقطاب المتخصصين في الموضوع الذين يطلق عليهم مثل هذه الأوصاف (١) : محقق القوم ، أهل التصوف أئمة التصوف ، وقد أوضح هذا جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ١٥٠٥ م) (٢) حين

صوفية إيجابية محددة إلى تقديم أساس متين للحركة في مجموعها ، ولكن المجادلات حول وحدة الوجود : « على الرغم من أنها كانت مقرونة ، وحل إعجاب لدى المثقفين ، وعلى الرغم من أنها أثمرت شعراً له آثاره العميقة إلا أنها لم تكن تؤخذ مأخذ الجد من عدد كبير من أبناء الطرق الصوفية ، وهناك محاولة لها دلالتها لتأكيد الطابع العملي للطريق يشير إليها استعمال كلمة (قوم) بدلا من كلمة صوفية ، وقد جاءت كلمة « قوم ، أكثر شيوعاً وأبعد مدى في مضمونها الاجتماعي ، ووجدت الفكرة تعبيراً عنها في الكتابات النظرية المبكرة التي استعملت عبارات مثل : عبدة القوم ، سيد القوم ، طريق القوم ، أسرار القوم ، زعيم القوم ، وهي عبارات تستوعب مجموع حياة الصوفية ممتدة من أعمال العبادة ، وحضور مجالس الذكر إلى مسائل تتعلق بالمكاسب .

وكانت الأهداف التي عملت لها حركة القوم منذ البداية قد ذاعت عن طريق بعض النظم مثل حلقة الذكر ، أو مجلس الذكر الذي كان اجتماعاً عاماً لترديد الذكر ، وقد اتسمت رموزها لتتضمن الجاهة كلها ، وبذلك تأكد القول : بأن الصوفية لم تكن مجرد مذهب لقلة من الناس ؛ بل طريق الحياة للكثرة ، واعتبرت أسس وسيلة لإرشاد الإنسانية بأوسع معاني كلمة (إرشاد) ، ومن هنا عرف أبو حفص

(١) ابن مفزيل : الكواكب وورقات ٩٢ أ ١٢١ ، أ ١٣٢ .

(٢) التأييد ص ١٨١ ، وانظر أيضاً المصدر السابق ص ٤٠ / ٤٠ حيث تجدد مناقشة مشرة في الرابطة بين الصوفية والقوم .

المقننين أو أهل الإباحة الذين يتذرعون بالطريقة للعبث بأحكام الشريعة .

ومن الملاح المميزة * لصورة * والطريقة ، كتجمع صوفي ظهور فكرة * القطب ، وهو الرأس الأعلى لجماعة الأولياء ، أو في الحقيقة ، الهيئة المقدسة للإدارة التي تضطلع بأعباء حكومة العالم غير البادية للعيان ، وأن الميزات والوظائف المتنوعة التي يختص بها أعضاء هذه الهيئة المقدسة تبدو بمثابة المضمون الكامل لحركة الطريقة ، وفي مصادرنا عرض بليغ للموضوع ، وتبعا لهذه النقول نجد لكل مرتبة في هذه الحكومة الدينية قطبا في حين يكون القطب الموحد الأعظم هو والغوث ، الذي ينادي الناس للنجدة في الشدائد والحوائج ، ويوصف القطب أحيانا بالخليفة و الوارث ، ، وذلك بالنظر إلى مركزه بالفسيحة للنبي ، وإن لم يكن المنصب وفقا على أهل البيت وحدهم ، وتذكر هذه المصادر هموما (الحسن) السبط (٩٦٩ م) كأول من حمل هذا اللقب ، بينما يورد جولدزهر أن بعض علماء الكلام قد أشار إلى فاطمة بنت النبي كأول من دعى بذلك ، ويبدو أن (مرجوليوث) يظن أن الكلمة استعملت في عهد القشيري تقريبا (توفي سنة ١٠٧٤ م) وهو يرجح أن يوسف الحميداني كان أول من حمل هذا الوصف ، ثم انتقلت التسمية

كتب أن خاصة القوم ^(١) هم الصوفية ، ونحن نقف على أرض ثابتة حين نذهب إلى أن هذه الاختلافات كانت داخلية الطابع ، وأنها جاءت تعبيرا عن الدرجات المتنوعة للبواب الشخصية ، ولجهود مجموعات بعينها .

وقد تربت هذه النزعة للحركة في أساسها العريض خلال العصر العباسي أعدادا من الأنواع من مختلف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، ومنذ النصف الأخير من هذا العصر تقدمت الحركة بسرعة ، مذهلة واكتسبت فكرة * طريق القوم ، أيام الغزالي تعبيرا أكثر ضبطا كأداة للتعليم الصوفي ، وتكتمل بهذا أساسا عاملان لها تأثيرهما : الشيوخ وجماعاتهم من الفقراء ، وكان الأعضاء المنتسبون لهذه * الأخوة ، من الفقراء يضعون أنفسهم تحت توجيه الشيخ بعد أخذ العهد على أن يكونوا من مريديه ، وعلى الرغم من أن القشيري والغزالي قد أيدا (الطريقة) كتنظيم اجتماعي روحي أخلاقي سليم ، إلا أنهما انتقضا بصراحة تدهورها في أيامهما وللغزالي موهظة بينه في * الإحياء ، ^(٢) .

تناول فيها العيوب التي تعرضت لها الطريقة بتأثير جماعته من الأدعياء من المشعوذين

(١) يعزو لينجز استعمال تعبير (قوم) إلى نص حديث النبي صلى الله عليه وسلم يمرض للقوم الذين لا يشقى بهم جليسهم .

(٢) ج ٣ ص ٣٤٧ / ٣٥٠ ،

على أولياء كانوا أحياء ، وهو تقليد يجري عليه العمل ويبدو سائدا حتى يومنا هذا ، وكان هؤلاء يعتبرون الممثلين الأرضيين لجماعة روحية خالدة . وقد نتج عن هذا التركيب (شيخ الفقراء) تلك الظاهرة في التطور الثوري للحركة الصوفية التي مهدت الطريق من القرن الثاني عشر فصاعدا لقيام جماعات الأخوة الدينية الكبرى التي رسخت قواعدها فيما بعد على أيدي معجبي لائحة حافطوا على تسمية وتقاليدهم الأساتذة الأصليين الذين شرحوا الطريق ، وقد أجمل (د . ب . ماكدونالد) طبيعة هذه الطرق ومجالاتها ودورها في هذا الوصف بعبارة المنسقة التالية : ولقد كان التنظيم في مجوعه متحررا من قيود المحامية ومن الدينويات ، وما يجره معها من أحاييل وهراقيل ؛ وكان المجموع - كما يمكن القول - حلما جميلا ، وكانت الطرق مستقلة ، وتعمل على ترقية نفسها بنفسها ، وكانت هناك منافسة بينها ، ولكن لا تتحكم واحدة منها في الأخرى ، ولكل منها طريقها الخاص في الاعتقاد والسلوك ، لا تحسبها إلا حدود المضمون الروحي العالمي للإسلام ، وكانت الشاذلية إحدى الطرق التي سميت باسم منشئها الشهير أبي الحسن الشاذلي (المتوفى سنة ١٢٥٦ م) .

(تم البحث)

فتوى عثمان

فما بعد إلى كل مؤسسى الطرق المعروفين ، وتشير مصادرنا بالطبع إلى عبد القادر الجيلاني (المتوفى سنة ١١٦٦ م) وأبي الحسن علي الشاذلي (المتوفى ١٢٦٥ م) كأول من تسلم هذا المنصب الإلهي ، وبين أصحاب النظريات الصوفية الأوائل قيل : إن الحاكم الترمذي (٨٩٣ م) كان أول من نشر الاعتقاد في حكومة دينية يقوم على رأسها القطب .

ويبدو لابن خلدون أن الفكرة مشتقة من النقول الإسماعيلية والشيوعية التي تذهب إلى أن الله يتمثل في الأرض عن طريق وصيه الذي يرشد الإنسانية كافة ، وعن بين الباحثين المحدثين يعزو ما نبرج هذا المفهوم في شيء من التشكك إلى صورة الإمامة عند الشيعة بينما يرجع بها (بل) بصورة أخرى إلى تراث المهدي ، ويؤثر (جب) أن يلتصق فكرة القطب والولاية ليعود بها إلى أصول مسيحية غنوسية ، وثمة حقيقة تستحق الذكر هنا : هي اللبس الواضح في معظم الدراسات المعاصرة إذ تذهب إلى أن القطب رمز غير مرئي في العالم غير المنظور لحسب في حين أن تراجم الصوفية تبين أن اللقب مع ما دونه من الألقاب مثل الإبدال^(١) قد خلع

(١) ويقال : إن الإبدال سبعة ، وهم يكونون أحد أعلام الحكومة الدينية ، وهم قوم وصلوا إلى الكمال والاستقامة في ترقهم الروحي . أنظر مثلا ابن أبياد : لآخر ص ١٣ .

الإسلام والحياة

للأستاذ محيى الدين الأثواني

العالمية ، لا يستطيع أحد أن يبدل شيئاً من القوانين الآلهية المنشورة في كتاب الله السماوى المرقوم ، فإن عناصر الخلود ، وعوامل الصلاحية ، لكل زمان ومكان متوفرة في تعاليمه التى تؤدى إلى تحقيق أسباب المجد والرقى والحضارة والرفاهية للجنس البشرى كله .

ولا تنقد القوانين في صلاحيتها وقابليتها بسبب سوء فهم الناس لها ، أو الإهمال في العمل بها ، ويعود السبب الحقيقي لانكاش الناس عن تعاليم الإسلام ، وابتعادهم عن توجيهاته إلى سببين رئيسيين ، أولاً : عدم الفهم - أو سوءه - لأساليبه وإرشاداته كما يجب أن يكون ، واتباع الأهواء والمصالح الذاتية في تطبيق قوانينه ، وتأويل أوامره ، وثانياً : هروب بعض العلماء - وأشباههم - وراء الألفاظ والكلمات ، مع غرض النظر عن الحقيقة والغايات والإكتفاء بالسطحيات والابتعاد عن القلب والروح ، وفوق هذا وذلك فإن انهيار الامبراطورية الإسلامية جعل الوهن والضعف واليأس يقترب

إن العالم اليوم ينساق - طوعاً أو كرهاً - إلى المبادئ التى أقرتها التعاليم الإسلامية ، ونادى بها الرسول الأعظم : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . قبل أربعة عشر قرناً مضت . وما السر الخفى وراء هذا الانسياق الفطرى ؟ مع أن هناك محاولات تبذل لتشويه تعاليم الإسلام الحققة ، وتزييف إرشادات القرآن الصحيحة ١١ . كما نرى أناساً من الذين يزعمون الانتماء إلى حظيرة الدين الحنيف يتعدون عن تعاليمه وإرشاداته . فأما سر هذا الانسياق فإن هذه المبادئ ، وتلك التعاليم فعارية إلهية تقضى مع تطورات العالم وبيئاته وظروفه . فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبدل الخلق الله .

فإن فطرة الإنسان ، ونوايس الطبيعة لا تتغير ولا تبدل مهما حاول المزيّفون ، وسعى المخرفون لإبعاد الناس عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها ، فالقرآن كتاب الله المرقوم ، والطبيعة الكونية كتاب الله المختوم فكما لا يستطيع إنسان كائناً من كان ، تغيير شيء من الفطريات الإلهية ، والطبائع

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، ويفهم هذا صراحة من قوله تعالى : « كُفِّمُ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » وقوله تعالى :

« هو اجبتاكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس . »

وأما عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
للعالمين جميعاً ، واستجابتها لكل حاجات
البشر في جميع مرافق الحياة فيبدو جلياً
من قوله عز وجل مخاطباً رسوله الأجل
: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وقوله
فيه : : إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً
وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

وفي ضوء كل هذا وذاك من الأدلة العقلية والنقلية لم يبق للباحثين عن حقيقة التعاليم الإسلامية ، وعن مدى قدرتها لبناء الحضارة الإنسانية الحقة ، وإقرار الأمن والعلمانية في الجنس البشري إلا الرجوع إلى كتاب الله المرقوم الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، » وهو السجل الخالد المحفوظ من كل تغيير وتبديل ، والمصون من كل تحريف وتحرif وسنة رسوله الذي قضت حكمته لأن يحمله رسالته الكبرى وجمله أسوة حسنة للبشرية

إلى قلوب ضعفاء الإيمان من العلماء والباحثين
فانخارطت قواهم العلمية والبحثية ، واكتفوا
ببعض المظاهر والتقاليد من الإسلام ، وهم
من روحه ولبه براء !

وإن كتاب الله المقدس المنزل على خاتم الأنبياء والرسل يحمل هدايه للناس كافة إلى يوم الدين فهو المكفل من رب الناس بحفظه وبقائه وخلوده : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنالنه لحافظون ، وأعد الله سبحانه وتعالى عبده ورسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لأن يحمل رسالته للعالم أجمعه : أنه وجهه ، أبيضه وأسوده ، وليكون شمس الهداية ، ومزار النور والعرفان ، فيقول الله سبحانه وتعالى في معرض بيان مكانته عليه السلام ورسالته بين سائر الأنبياء ورسالاتهم : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ، يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوقسوى بهم الأرض ، ولا يكتُمون الله حديثا ، ثم يقول : « ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للسلبيين . »

ويقول رب العباد في كتابه الحكيم عن
مكانة أمة محمد عليه الصلاة والسلام بين الأمم

والإيثار والمحبة ، لكيلا يندفع الإنسان إلى الافتتان بهذه الحياة المظلمة بالغرور والكاذب ، وبكف عن التكالب وراء حطام الدنيا العراق .

وقد شيد الإسلام صرح الحياة الناجحة على أسس الإيمان الصحيح ، والعمل الصالح فيقول القرآن الكريم : « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، فلا يكتفى الإيمان وحده لنيل الفوز والظفر في الدارين وإقرار الأمن والطمأنينة في العالم ولكن يجب أن يكون مقروفاً بالعمل الصالح . العمل الصالح لله عز وجل ، ولنفسه ولوالديه ولأقاربه ، ولوطنه وللمواطنيه وللعالم الإنساني كله ، ولا شك أن الإيمان منشأ العمل الصالح ، والعمل الصالح مظهره ، فكل منشأ مظهره ، ومن هنا صارت الأعمال الصالحة بكل معانيها ومظاهرها لازمة لسعادة الدارين ، وإقامة العدالة الاجتماعية في الجنس البشري .

وأما الإسلام فدين العقيدة والعمل ، فيجب - بمقتضى تعاليمه - على كل إنسان أن يعمل عملاً يفيد صاحبه وغيره على حد سواء ، وتظهر هذه الحقيقة النبيلة واضحة في جميع تعاليم الإسلام التي أكدت بصراحة ووضوح أن الإنسان نتيجة عمله ، وأن هذه

جميعاً ، « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً » ، لأنه رسول الإنسانية قاطبة ، : « يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » .

نظرة الإسلام إلى الحياة :

يصف الكتاب الحكيم الحياة الدنيا بأسلوب معجز ، ليس في استطاعة أى بليغ مهما أرتى من قدرة الدقة في التعبير ، وليس في مقدور أى كاتب ملهم مهما بلغت مقدرة في إجادة التصوير ، أن يحيط بوصف الحياة الدنيا الواقعية بأحسن منه إذ قال : « كما أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح » . وإن الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان لأحلام اليقظة تلعب بعقله ، وتعبث بخياله كما تشاء بل أقام له دلائل قاطعة ، وبراهين ساطعة ، على أن الحياة الدنيا مملوءة بالهن ، وسريعة الزوال ، وأودع خالق البشر والقوى فيه من الطبايع والغرائز ما يحمله على تنازع البقاء وحب السيادة ، ولكن رسالة كل فرد من الجنس البشري - في نظر الإسلام - هي القيام بالأعمال الصالحة التي تعود فائدها عليه وعلى الناس في حدود العمران والنهوض والتقدم ، مع التمسك بالتقوى والإحسان

وتوفيقه ، ونظرة من هذا القبيل إلى الحياة الدنيا تبعث في قلب الإنسان الشجاعة والصدق في العمل ، وتغرس في نفسه احترام حقوق الغير وعزته وكرامته ؛ لأن الناس سواسية أمام الله - لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وكلهم مسئولون أمامه ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

ويقرر الإسلام أن الإيمان يجب أن يكون منشأ للعمل كما يكون العمل مظهراً له ، فإنه لا يوجد مظهر بلا منشأ ، فلذا يقرن القرآن الكريم الإيمان دائماً ، بالعمل ، كما يقول في سورة العصر ، والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ، وفي سورة التين : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فبما حبذا لو تمكنت هذه الفكرة القرآنية السامية في قلب كل إنسان يتطلع إلى النجاح في هذه الحياة الدنيا فإن العمل الناشئ من صميم العقيدة الراسخة في القلب هو الذي يؤدي إلى النجاح وبلوغ المرام . »

محس العبد الأتواي

المدرس بكلية الطب - جامعة الأزهر

الحياة حياة عمل وسعى ، : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ، » فن يحمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، « وقل اعملوا فسمي الله عملكم ورسوله والمؤمنون . » ويقول الشاعر العربي :

حياة الوري حرب ، وأنت تريدها
سلاماً ، وأسباب الكفاح كثير
أبى سنة العمران إلا تطاحننا
وكدحنا ، ولو أن البقاء يسير
ويقول أمير الشعراء شوقي رحمه الله :

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً
إن الحياة عقيدة وجهاد
ويعد الإسلام الإنسان جسمياً وذهنياً لأن يواجه الحياة وهو بصير بأحوالها وخبير بشؤونها ، فإن الإيمان بخالق الكون ، ووحدايته ، وتفرد به بالعبودية ، ومنح العون الحقيقي والإيمان بالآخرة ويوم الدين يربي في صاحبه روح الاعتماد ، في الشدائد ، على الله سبحانه وتعالى فيواجهها مطمئن القلب ويقبل على أداء واجبه بخوربه ونفسه وأمه ووطنه في ثقة وإيمان ، ويعتمد في نجاحه ، بعد اتخاذ الوسائل الظاهرية على معونة الله

أثر اليتيمة في أدب الأندلس

لدُرستاز محمد رجب البيومي

- ٢ -

وظلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب ، هذا الاحتذاء المقصود دفع المعاصرين من باحثينا الأفاضل إلى موازنات مختلفة بين لرجلين ؛ فالدكتور طه حسين يقول في مقدمة الذخيرة الجزء الأول ا - ص ب د وهو يصطنع ما اصطنعه الشع لبي من السجع والتألق في تقديم الشعراء والكتاب ، والتعريف بهم ، والشاء عليهم والنقد لهم ، ولكنه بعد هذا كله يخالف الشعالي في أمر ذي خطر ، فهو أبعد منه نظرا ، وأبعد منه بصيرة وأعرق تفكيراً ، وهو على تسكفه في اللفظ لا يندفع بالرواء الظاهر عما وراءه من جودة المعنى أو ردامته ومن صواب التفكير أو خطئه ولعله أن يكون أفقه من الشعالي بالحياة الأدبية في إقليم من الأقاليم ، فهو أدق منه ملاحظة لما يكون من الصلة القوية بين طبيعة الإقليم ، وما ينتج فيه من أدب بل بين طبيعة الأجناس البشرية وما تنتج من أدب بل بين ما يكون من مجاورة الأمم المختلفة وما تنتج من الأدب الخ .

والاستاذ على آدم يقول في العدد ٦٦٠ من الثقافة : ويبدو لي أن الشعالي كان

لقد ذكر ابن بسام في مقدمة كتابه أنه اتخذ تقسيم الشعالي منهجاً له ، فهو يقسم الذخيرة أربعة أقسام كما قسم الشعالي اليتيمة أربعة أقسام ، وهذا التقسيم جغرافي كتقسيم صاحبه فلكل إقليم شعرائه مهما اختلفت منازعهم الأدبية ا فقسم لقرطبة وما يليها من وسط الأندلس وقسم لإشبيلية وماجاورها من الغرب ، وقسم لبليسية وما يليها من الشرق وقسم أخير للوافدين من المشاركة إلى الأندلس ا وهكذا سار سير الشعالي حين جعل اليتيمة أقساماً أربعة : قسم لأشعار أهل الشام وما يجاورها ، وقسم لأشعار أهل العراق ، وقسم في محاسن أشعار أهل الجبل والقسم الرابع في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر ، وهذا الاحتذاء السافر يتضمن اعتراف ابن بسام بمنهج أستاذه فهو في رأيه كما نقل صاحب الوفيات عنه > ١ ص ٥٢١ .

وكان في وقته راحي تلعات العلم ، وجامع أشبات النثر والنظم ورأس المؤلفين في زمانه وإمام المصنفين بمحكم أقرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضرب له آباط الإبل ،

منجاء وأحوجه إلى طلب ما أغفله من ذلك في سواه . .

فهو ينمى على العمالي إغفال الحوادث والنوايح ثم ينمى عليه مرة أخرى ذكر الفاحش من الأهاجي والماسجن من القول فيقول بالقسم الثاني من المجلد الأول ص ٦٢ .

والقسم الثاني هو السباب الذي أحده جرير وطبقته وكان يقول : إذا هجوتهم فأضحكوا وهذا النوع منه لم يدم قط بيتا ، ولا عيرت به قبيلة ، وهو الذي صفا هذا المجموع عنه وأعفيناه أن يكـون فيه شيء منه ، فإن أبا منصور الثعالبي كتب منه في يقيمته ماشانه وسمه ، وبقي عليه إثمه ، ونسأل بهد ذلك ،

هل تقيد ابن بسام بمنهجه ؟ أما الذي يعرفه قارئ الذخيرة - ما نشر منها - فهو أنه لم يقدروا على الإحاطة بالتواريخ والأخبار جميعها ، ولكنه بذل الجهد المستطاع ، وبقي ما بقي مما يتطلب البحث الجديد ، كما أن قارئ الذخيرة يعرف أن ابن بسام ترخص في ذكر بعض الماسجن من القول رغم حملته على الثعالبي بل العجيب أنه قبل هذه الحملة بصحيفة فقط ص ٦١ يذكر أبياتا قدرة يقول : لأنها من الكنايات المليحة التي تعرض بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب وكان له عنها حميد .

علي أن ابن بسام مع هذا لا يقارن بمعاصره الفتح بن خاقان بحال ، مهما اضطرت

على فضله وسعة اطلاعه أكثر خضوعا لأحكام القدماء من ابن بسام ، وأنه كثيرا ما يتخذه البهرج ويحسب الشعم فيمن شحمه ورم ، أما ابن بسام فإنه نافذ النظر ، سليم الذوق بارع الناقدة دقيق الملاحظة ، لا يتخذه الطلاء المموه ، ولا تضل تفكيره الألفاظ الضخمة المدوية أو الطائفة العالية .

ومن يقرأ الذخيرة يعرف أن مؤلفها يعلم كل العلم موقعه من صاحب القيمة ، فهو على اعترافه بمتابعته يعلم أن خالفه في أمرين جوهريين : الأول ما أفاض فيه ابن بسام حين قال : المجلد الأول ، القسم الأول ص ٢٣ .

وتد وعدت في صدر هذا الكتاب بأن أتخلل أشعار الشعراء ورسائل الكتاب والوزراء بما عسى أن يتعلق بأذيالها ويساير أفياء ظلالها ، من أنباء فتن ذلك الزمان البعيد - كان - طلقها ، المفرق لشمل الأمر في هذه الجزيرة نسقا ، ونلعب بفن من مشهور وقائعها ونشير بأسماء طوائف ذوابعها وتوايحها ، ليجمع هذا المجموع بين الشعر والخبر ، جمع الروضة بين الماء والزهر والزمان بين الأصائل والبكر ، فإنني رأيت أكثر ما ذكر الثعالبي من ذلك في يقيمته محذوفاً من أخبار قائله ، مبتورا من الأسباب التي وصلت به وقيلت فيه فأمل قارئ كتابه

من طريق بغيض ! ومثل ابن باجه لا يتأتى له أن يقدر سلوك الفتح وأدبه معا فهو في الأول مقبول محترف ، مع ما عرف عنه من العريضة واصطحاب الصفة وغشيان الريب ، وهو في الثاني ينمق أجماعا فارغة لا يراها الفيلسوف تهدف إلى جلاء حقيقة مطموسة ، أو تساعد على فهم ظاهرة مستهسية ! فما الذي يجذبه إليه مع هذه القبايح ! لقد هز على الفتح أن يهمل ويغفل فكاتب في القلائد فصلا عن الفيلسوف أملاء الحقد والضغينة والثأر قال في مقدمته : هو رمد عين الدين وكبد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجونا وترك مفروضا ومسئونا فإيتشرع ، وما يأخذ في غير الأخلايل وما يشرح ، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ، ولا أظهر خيلة إنابة ، ولا استنجى من حدث ولا أشجى فؤاده بتوار في جسد ولا أقر بياريه ومصوره ولا فرد بياريه في ميدان تموره ، الإساءة لديه أجدى من الإحسان ، والبهيمة هذه أهدى من الإنسان ، نظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الافلاك وحدود الآقاليم ورفض كتاب الله الحكيم ، واقصر على الهيئة ، وحكم للمكواكب بالتدبير ، واجترأ عند سماع النهى والإيعاد ، واستهزأ بقوله تعالى : إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى ميعاد .

معاصرتهما كثيرا من النقاد إلى هذه المقارنة وإن عظم تأثرهما معا بالقيمة ويكفى أن نلخص السبب في جملة واحدة هي أن ابن بسام جاد والفتح هازل ، فليس إلى إلتقاءهما من سبيل ! ومن المفيد أن نوضح وجهة نظرنا في ذلك ، فننظر إليهما رجلين وأديبين ، لنرى الفتح يندفع في استمثاره إلى ما يشين ، ثم يتناول على الناس بالحق وبالباطل معا ، وهو حين حمد إلى التأليف لم يصدر عن رغبة في اجتلاء حقائق الأدب والتأويخ ، ولكن اتخذ قلبه وسيلة للنكسب المقيت ! فهو يرسل إلى أديباء عصره ومشهورى مصره يحذثهم عن رغبته في تأليف كتاب أدبي يتحدث عنهم ، ويلتمس ما لديهم من الشعر والنثر ثم ينتظر ما يجي . فإن كان الرد مصحوبا بالبدر الثمينة والهدايا النفيسة أطلق أرسان المديح إلى أبعد الأشواط ، وإن تقاهس عنه ذوو الفهم عن يأنفون أن يكونوا لعبة في يد لاعب أو يترفعون أن يشتروا المدح الزائف بمال مقرر مفروض ! فإن الفتح يشويهم بسياطه ويستعدى عليهم الحكام والناس ، ويصدر في كل ذلك عن ذوق مريض ! لقد أرسل إلى الوزير الفيلسوف القابضة أبي بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه يسأله بعض أشعاره مع ما يطمع فيه من المال ، فالتفت إلى دعوته ، ورأى فيه وصوليا يبتز المال

حاول تقييد الحوادث وتسجيل التواريخ ما استطاع ١١ أما الفتح فقد فهم يتأثير اليتيمة من ناحية ، وطبيعة الجو السائد من ناحية ثانية أن الكتابة معارض الأناط ، ومناخ أسيح ، وتطبيقات مدرسية للجناس والطباق والقورية ١ أما أن تكشف عن حقيقة ، أو توضح فكرة ، فهذا مالا يبتغيه الفتح أو يعتده ١ ومع هذا فقد وجد من الأدباء من يقبلون تنميته ، ويرتضون تلفيقه ، فسان الدين بن الخطيب يقول عنه : « كل آية من آيات البلاغة لا يشق غباره ولا يدرك شأوه عذب الألفاظ ناصعها ، أصيل المعاني وثيقها لعباً بأطراف الكلام ، معجزاً في باب الحلي والصفات ، وابن سعيد يقول في المغرب عنه : الدهر من رواة قلائده وحلة فرائده ، طلع من الأفق الأشبيلي شمساً طبق الآفاق ضياؤها وعم المشرق والمغرب سناها وسناؤها وكان في الأدب أرفع الأعلام ، وحسنة الأيام ... وهو وأبو الحسن بن بسام صاحب الذخيرة فارساً هذا الأوان ، وكلاهما قس وسبحان ، إلا أن ابن بسام أكثر تقييداً ، وعليها مفيداً وإطناباً في الأخبار ، وإمتاعاً في الأسماح والأبصار ، والفتح أقدر على البلاغة من غير تكلف وكلامه أكثر تعلقاً وتعشفاً بالأنفس ١ ، ويحول العجب من هذين القولين حين نعرف أن لسان الدين بن الخطيب وابن سعيد

لو كان الفتح يعتقد ذلك في ابن راجه عن صدق وإخلاص لوجد العذر من الناس في تسجيل ما سطر ، وافق الحق أو جافاه ، ولكنه كشف نفسه حين تراجع الوزير عن موقفه منه كفا لشبهه فنفحه ببعض المال ، فأطفا جذوة غضبه ، واندفع إلى كتابة جديدة ملأها بالثناء الحافل ، ولم يدخر وسعاً في تنميق صفحة مضادة للأولى في كتابه مطمح الأنفس يقول فيها عنه :

« نور فهم ساطع وبرهان علم لكل حجة قاطع ، تتوجت بعصره الأعصار ، وتأرجت من طيب ذكره الأمصار ، وقام وزن المعارف واعتدل ، ومال للأفهام فننا وتمدل إذا قدح زندقه أورى بشرر للجهل محرق ، وإن ظلم بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبعد الفساد من كونها ، والتحقيق الذي هو للإيمان شقيق ، والجد ، الذي يخلق العمر وهو مستجد ، وله أدب يود عطارده أن يلتحقه ، ومذهب يتمنى المشتري أن يعرفه ، ونظم تعشقه اللبات والنحور ، وتدهيه مع نفاسة جوهرها البحور .»

هذان نصان متعارضان يكشفان عن معدن الرجل ١ وهما أيضاً يكشفان عن خصائص أدبه ، ولا يشرفانه في مجال الموازنة بينه وبين معاصره ابن بسام إذ أن صاحب الذخيرة قد تجانى عن بعض أخطاء يتيمة الدهر حين

المغربى كليهما من تلاميذة الثعالبي وهما
اليتيمة ١ وخطتهما في التأليف ترتضى الإكثار
من القول والمباهاة بالركشة اللفظية والزخرفة
البديعية ١ وذلك داء العصر ومنهجه ، فلا غرو
أن هاما بأسلوب الفتح بن خاقان ١ ولو رجع
بهما الزمن إلى هذا العصر اسمعا الدكتور
أحمد أمين يقول عن صاحب القلائد في ظهر
الإسلام ٣ - ص ٢٨٣ :
(وأسلوب الذخيرة أقرب إلى نفوسنا فهو
لا يلتزم السجع كما يفعل ابن خاقان ، وأسلوب
الفتح هذا أجوف يلعب بالألفاظ
والاستعارات لعب البهلوان ١١)
لقد شغلت منذ أعوام بدراسة الفلسفة
الإسلامية بالأندلس ، فطالعت نبذا من آراء
ابن باجه وابن طفيل وابن رشد ، وعرفت
أن هناك فيلسوفا آخر هو الفضل بن شرف
حاولت أن أقف على سيرته ، وطفقت أبحث
عنه في كتب التراجم ، حتى عثرت على قول
الفتح .
والناظم الناصر ، الكثير المعالي والمآثر ،
الذى لا يدرك باعه ، ولا يترك اقتفاؤه
وأنباعه ، إن نثر رأيت بمرآة بحر ، وإن
نظم وقد الأجياد درأ تباهى به وتفخر ،
وإن تكلم في علوم الأوائل بهرج الأذهان
والآلباب ، وولج منها في كل باب ، وقد كان
أول ما نجم بالأندلس وظهر ، وعرف بمحرك
القريض واشتهر ، تسدد إليه السهام ، وتنقده

الخواطر والأوهام فلا يصاب له غرض ،
ولا يوجد في جواهر إحسانه عرض وهو
اليوم بدر هذه الآفاق ، وموقف الاختلاف
والاتفاق ، مع جرى في ميدان الطب إلى
منتهاه ، وتصرف بين سماكة وسهاه ،
وتصانيف في الحكم ألف منها ما ألف ،
وتقدم فيها وما تخلف ، فنها كتابه المسمى
« يسر البر » ومنها الكتاب المنقوب بنجع
النصح ، وسواها من تصانيف اشتمل عليها
الأوان وحواهأ ، هذا كله ما قاله الفتح ،
وقد أخذت أضرب كفا بكف بعد قراءته ،
وأسأل نفسي : ماذا قدم لي المؤرخ الكبير غير
بديع وأجماع وزركمة وابتداع ١ ؟ وكان مما
أسعدنى أن أجد الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي
صاحب مجلة البيان رحمه الله يحار مع الفتح
حيرتى ، وينشر مقالا بالرسالة (١٤٩)
سنة ١٩٣٦ يقول فيه بعد أن نقل كلام الفتح
« وقد جرى الفتح في هذه الترجمة على
شفشتته في سائر تراجمه ، فلم يذكر اسم
المترجم له ولا اسم أبيه ولا منشأه فضلا عن
أنه أغفل تاريخ مولده ووفاته ، كذلك لم نر
لغير الفتح ترجمة لهذا الأديب الكبير يصح
أن تسمى ترجمة يعول عليها » . (هـ)
تأصلت إذن طريقة اليتيمة في المؤلفات
الأندلسية ، احتذاها الفتح شبرا بشبر ،
ووقع في بعض أخطائها ابن بسام ، ولولا

تشبهه بمؤلفات ابن حيان لجعلها هو الآخر مثالا يحتذى أما الحجازي وابن سعيد والمراكشي وابن الخطيب والمقري ، وأما أضرابهم من مؤرخي عصر الطوائف وما يليه فقد أصابهم من تأثيرها الساحر ما لا يزال نرى عقابله فيما نقرأ لم من التصانيف ، ولم يقتصر نمط اليتيمة على الأتق الأندلسي وحده ، ولكن يريقه الساطع قد جذب إليه مترجى المشاركة بمن فتنوا به ، ونسجوا على منواله ، لقد حاول أبو منصور أن يجعل اليتيمة بأجزائها الأربعة ذبلا لكتاب البارع في أخبار الشعراء الذي تقدم به هرون بن علي بن المنجم المتوفى ٢٨٨ هـ ، ثم جاء من بعد الثعالبي أبو الحسن علي بن الحسن الباخري المتوفى سنة ٤٦٧ هـ وألف كتابه دمية القصر وقد جعله ذبلا لليتيمة نهج به نهجه وقد عبارته وأبجاعه ثم جاء أبو المعالي سعد بن علي الوراق الخطيري المتوفى ٥٦٨ هـ وصنف كتاب (زينة الدهر) جاعلا إياه ذبلا على كتاب الباخري دمية القصر ثم ظهر السكاكيت الأشهر العماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فأصدر خريدة القصر وجريدة أهل العصر ... وكل هذه الذبول المطولة تنهل من مورد الثعالبي ، ونهج نهجه ١١ وهي بعد مشرقية لا أندلسية ، ثم توالى المؤلفات التاريخية تحمل الطابع البديعي وكان العصر

المملوكي في الشرق وعصور الزوال بالأندلس قد استطابت هذا اللون وارتفضته عن إجماع لا يخرج عنه إلا كاتب عبقري كابن خلدون ١١ كان أبو منصور الثعالبي يبذل جهده الحافل في جمع الأشعار البعيدة ، وسؤال من يلقام عن يرفون من الشعراء ، وإذا صادف أدبيا مصرية أو أندلسية أو فارسية فرح به وأخذ ينقل عنه ما يروى ، وأنت تقرأ بعض تراجمه للشعراء ، فتجده لا يكاد يعرف عن الشاعر شيئا إلا ما سمع من أشعار ، فيضطر اضطرارا أن يكتب له ترجمة إنشائية تنحو منحى المقامات ، وتصلح لكل شاعر ينظم الشعر ، كما تباع الملابس في المحلات التجارية ، يشتري منها الآباء لأبنائهم غيباً ما يتخالون به يتناسب ، وقد يلبس الابن حلتاه المشتراة فإذا بها ليست بما يصلح له ، ولكنه مضطر إلى ارتدائها ، كما اضطر الفارسي أن يقبل تراجم الثعالبي للشعراء في اليتيمة وإن لم تبرز قسماهم وشيأهم على اتضاح ، والحق أن صاحب اليتيمة بذل طاقة قوية في حفظ تراث الشعراء من بني عصره ، ولولاه ما استطعنا أن نعرف شيئا عن أكثر من روى لهم من الشعراء لأن المغمورين لديه أضعاف أضعاف المشتريين ١١ ولكن طريقته في السؤال عن الأدباء واستهدائهم بعض أشعارهم قد انتقلت إلى من بعده ، فكان ابن بسام يكتب لأدباء زمانه طالبا نماذج

ثم جاء من بعد الثعالبي أبو الحسن علي بن الحسن الباخري المتوفى سنة ٤٦٧ هـ وألف كتابه دمية القصر وقد جعله ذبلا لليتيمة نهج به نهجه وقد عبارته وأبجاعه ثم جاء أبو المعالي سعد بن علي الوراق الخطيري المتوفى ٥٦٨ هـ وصنف كتاب (زينة الدهر) جاعلا إياه ذبلا على كتاب الباخري دمية القصر ثم ظهر السكاكيت الأشهر العماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فأصدر خريدة القصر وجريدة أهل العصر ... وكل هذه الذبول المطولة تنهل من مورد الثعالبي ، ونهج نهجه ١١ وهي بعد مشرقية لا أندلسية ، ثم توالى المؤلفات التاريخية تحمل الطابع البديعي وكان العصر

صدق الناشر المحقق في إخراجه - أن يضع في هامش كل ترجمة ما يصل إليه جهده الباحث من أخبار صاحبها ذكرا ما وقف عليه من المراجع والمصادر فإذا اتجه أصلاء المحققين من الناشرين هذه الوجهة فلا بد أنهم سيجدون الجيد المفيد ، ولك أن تتصور معنى اليتيمة والخريدة وأضرابها وقد عولجت هذا العلاج ، فأكلت ما تيسر من النقص ؛ وأصبحت مرجعا أدبيا وتاريخيا معا ؟ ومن المحقق أن بعض من ترجم لهم في هذه الموسوعات لا نجد من المصادر المعاصرة ما يمدنا عنهم بشيء ، ولكن من المحقق أيضا أن كثيرا من هؤلاء قد كتب عنهم فهم يتطلبون نهاية المحقق واهتمامه ، إن كان كفتا لعله إذ من المقرر أن يضطلع بالنشر بحماسة مفرس ضليع قواد أما الذين يكتبون بالنشر الخاطف فهم وراقون !

لقد نشر الأستاذ الجليل أحمد يوسف نجاتي رحمه الله تسعة أجزاء من كتاب نفح الطيب عن دار المأمون قام بتحقيقها واستيفاء النقص فيما ورد من تراجمه ، فلم تتكاده عقبة ما في طريقه بل كان اطلاعه الثاقب الشامل - وإن أمرف أحيانا - يمد بجميع ما يريد ، ولو صدق حقوق التراث الأدبي صدق الأستاذ نجاتي لثلافا للنقص ، وقوموا المسائل ، ومهدوا الطريق ...

محمد رجب البيومي

قوية من أشعارهم ليضمها إلى الذخيرة ، فيغد إليه ما يريد وكل مسئول لا محالة يهدي من قوله أطيب ما يستحسن في رأيه ، وهذا حسن إذا جاء الأمر من باب ، ولكنه انقلب تسولا شائنا على يد الفتح بن خاقان بل صار أداة إرهاب وهجو واستعداد ، وأذكر أن الطيب الذائع والفيلسوف الماهر أبا العلاء زهر لم يتبل أن يجيبه على شيء ، فكنتب الفتح رسالة فاحشة في ثلثه ونقدم بها إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، محاولا أن يتهمه بالإلحاد والمروق ، كما أن طريقة الثعالبي في الاعتماد على الوافدين غير مأمونة فقد يروى أديب لشاعر ما ليس له عن قصد وعن غير قصد ولا بد أن تكون هناك نماذج كثيرة في اليتيمة والدمية والخريدة والذخيرة والفلاند والمطمح ليست لأصحابها على وجه التأكيد ، مهما يكن من شيء فنحن في معرض إنصاف الثعالبي نقرر أنه بذل أقصى ما يستطيع ، وأن هيامه بالأدب قد دفعه إلى تشييد معقل قوى من معاقله حفظ جانبا من تراث القرنين الرابع والخامس معا ؟ أما قصور تراجمه وتراجم من بعده عن أن تقدم التاريخ الحى في أكثر ما ديج ، فيواجهنا بمهمة خطيرة ، إذ ينبغي أن يحرص ناشر هذه المجلدات من علمائنا المحققين على استيفاء النقص ما أمكن ، فلا بد - إن

من سيم العلماء وسيفهم بالعالم

مؤلفه محمود الشرفاري

- ٢ -

واستمع جعفر بن سليمان ، وإلى المدينة من قبل أبي جعفر إلى كيدم فطلب إلى مالك أن يكف عن رواية هذا الحديث ، وزاد الأمر شدة وتقيدا ، كما زاد جعفر سخطا وغضبا ، أن خرج على الخليفة - في الوقت نفسه - محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية ، وأخذ يدعو لنفسه ، فأمر جعفر مالك أن يكف عن حديثه ، ولا يرويه لأحد ، ولكن مالك أبي أن يكتم حديثا تحقق روايته وثبوته عن رسول الله ، فجاء به جعفر ، وطرحه على الأرض ، وأمر بأن يضرب بالسياط ، وضرب مالك ، وشدت يده حتى انخلعت كتفاه ، ولكنه صبر على المحنة ، وأبى أن يخشى إلا الله ، وأن يخون أمانة العلم ، وتناقل الناس ما حل بمالك ، فسخطوا وبلغ سخطهم مسامع الخليفة فلما قدم للحج دعا إليه مالك ، واهتذر له بكلمات صادقة غاضبة يقول فيها : والله ما أمرت بالذي كان ولا علمته ، وقد أمرت بعدو الله جعفر أن يؤتي به على قتب : د رحل ، وأمرت بضيق محبسه والمبالغة في إتهامه ، ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه .

و إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور .

هذه الآية الكريمة كانت وما تزال وستبقى بقاء الدهر هاديا ونبراسا لكل عالم يضئ قلبه بنور الإيمان والعلم ، وتمتز نفسه ، ويوقن ضميره بأن خشية الله تمنعه أن يخشى سواه ، وأن الله مانحه العزة - والعزة لله جميعا - جزاء شجاعته في الحق ، وخشيته له وحده ، وقد رأينا أمثلة من ذلك في مقالنا السابق .

وفي تاريخ علمائنا أمثلة تفوق الحصر نستوحي منها ما يجب أن توحيه من العظة والعبرة واستلزام القدوة .

١ - قصة يعرفها مؤرخو الفقه والحديث ومؤرخو الإمام مالك على وجه خاص : خلاصتها أن مالكاً روى حديثاً عن رسول الله عليه السلام يقول : (ليس على مستكره طلاق) وكان أبو جعفر المنصور يأخذ لنفسه البيعة من الناس ويخلفون له بذلك ، وأراد خصوم مالك أن يكيدوا له فسدوا عليه بأنه يقصد بروايته الحديث بطلان الطلاق من المقسمين به : البيعة . حتى يتحطل المتمسكون من قسمهم وبيعتهم .

أفتى بذلك للسلطان من قبل ، فقال ابن دقيق العيد : إن شيخنا العز بن عبد السلام لم يفعل ذلك إلا بعد أن جمع (قطز) كل ما عنده وهند حريمه وأسرائه من الجواهر والأموال قبل أن يجمع شيئا من الشعب ، وكيف أبيع الآن لنائب السلطان أن يأخذ أموال الشعب وأنا أعرف أن الأراء يكثرون الذهب والجواهر ، وأن بعضهم كان في جهاز بنته الكثير من الذهب والؤلؤ وأواني الفضة الخالصة ، ومنهم من يضع الجواهر في (ششب) زوجته ، يريد الأمير بيمرس ، والله لا أفعل ذلك أبدا ولا أفتى به .

(٤) وكان حكام مصر ، في القرن الماضي ، من الجهل والغفلة والبلاهة بحيث يعتقدون أن (تلاوة) البخاري - مع ضعف العدد ونقص الاستعداد - تكفل لجيوشهم النصر كأنهم لم يقرءوا ولم يسمعوا قول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن وباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

كانت الحرب تدور بين مصر والحبشة ، ووقعت هزائم كبيرة على جيش إسماعيل ، وخرج هذا يوما ومعه رئيس وزرائه شريف باشا وهو ضيق الصدر لما وقع بمجيئه ، وتحدث إلى شريف في أن يرشده ويشير عليه ، فقال له شريف : إني إذا ضقت بشيء أو وقع لي مكروه دعوت العلماء الأطهار فقرءوا صحيح البخاري فتتفرج العدة . هند

ولكننا نجد ما لسا وقد سمت نفسه إلى مثل هليا كريمة يطلب إلى الخليفة أن يعفو عن جعفر لقربائه من رسول الله ومن الخليفة . وشبه هذه القصة ما جرى للإمام أحمد في المحنة المشهورة : « خق القرآن » .

٢ - وروى السيوطي أن الملك الكامل أراد أن يشهد في قضية أمام القاضي ابن عين الدولة ، فقال له القاضي : السلطان يأمر ولا يشهد ، وأخذ السلطان يجادل حتى قال له : أما تريد أن تقبل شهادتي ... ؟ قال القاضي : لا أقبلها وأنا أعرف أن المغنية « عجبية » تصعد إليك كل ليلة فتسمع غناها وتمايلها إلى الصبح ... ؟ وغضب الملك فوجه للقاضي - بالفارسية - كلمة شتم ، وأدرك الشيخ ذلك فأعلن عزل نفسه عن القضاء ، وأشهد من حضر المجلس على هذا العزل ، ونهض بعضهم إلى السلطان يخوفه عاقبة ذلك ، فقام السلطان بنفسه إلى الشيخ فترضاه وطلب إليه أن يبق في القضاء .

٣ - وعاد جيش (بيمرس الجاشنكير) و (سلا) نائب السلطان المظفر (قطز) مهزوما من إحدى وقائع القتار في سوريا لم ينتصر كما انتصر قبله جيش سابق ، وأراد الأميران أن يجمعا مالا من الشعب ليعاودا الحرب ، فوقف لهما ابن دقيق العيد وأبى عليهما ذلك ، وقال رجل من المنافيين : إن شيخ الإسلام العز بن عبد السلام

لو وضعتهم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها عن النبي عليه السلام قبل أن يجيزوا علي لا نفذتها) . كرم وسماحة :

كذلك من شيم العلماء أن يكونوا كرماء سمحة نفوسهم .

١ - ذكر القرطبي ، صاحب التفسير ، أن الإمام الشافعي كان يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية ، ومع ذلك كان يفرق ما يرد إليه من الهبات الضخمة الكبيرة هندورودها إليه ، ولا يفارق مجلسه قبل أن يفرقها .

٢ - وكان أبو حنيفة يتاجر ويجمع وجهه فيدشترى به لشيوخ المحدثين حاجتهم ثم يعطيهم ما بقى ويقول لهم : لا تحمدوا إلا الله فإنني ما أعطيتكم شيئاً من مالي ، فهو فضل الله عليكم يجزيه على يدي .

وكان - كما وصفه تلميذه أبو يوسف - لا يكاد يسأل عن حاجة إلا قضاها .

ويقول سفيان بن عيينة إن أبا حنيفة : (وجهه إلى هدايا استوحشت من كثرتها ، فشكوت ذلك لبعض أصحابي فقال : لو رأيت ما بعث به إلى سعيد بن أبي هريرة) . ويقول إنه ما كان يدع أحداً من المحدثين إلا بره برأ واسعا .

٣ - وكان الشيخ القاضي للقضاة ابن دقيق العيد ، فقيراً يصفه مؤرخوه بأنه كان يستدين ، أكثر أيامه ، وذكر المقرئ أنه - وهو قاضي القضاة - طلب من زوجته

ذلك أمره إسماعيل أن يكلم في ذلك الشيخ العروسي شيخ الأزهر واجتمع العلماء أمام (القبلة القديمة) في الأزهر يتلون صحيح البخاري ، ولكن الهزائم ظلت تتوالى على جيش إسماعيل ، فذهب إسماعيل ومعه وزيره شريف إلى مجلس العلماء ، وقال لهم وهو غاضب : إما أن هذا الذي تقرأونه ليس صحيح البخاري وإما أن تكونوا لستم من العلماء الصالحين فإن الله لم يدفع بتلاوتكم شيئاً ، فوجم الشيوخ وبهتوا ، ولكن صوتاً من آخر الصف علا وجبه إسماعيل ووزيره بقوله : منك يا إسماعيل إنا حفظنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لتأمرن بالمعروف ولنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم) .

وترك إسماعيل ووزيره مجلس العلماء واجين ، ثم طلب إسماعيل أن يرى الشيخ في قصره ، فلما دخل عليه طلب إليه أن يعيد ما سمعه منه في الأزهر ، فأعاده ، ثم أخذ يلتقي على سمع إسماعيل ما صفع من الشر والخروج على الشريعة ، ثم قال بعد ذلك : ما ذنب البخاري وما حيلة العلماء . . ؟ وكان إسماعيل يسمع ، وهو مطرق صامت لا يجيب .

هؤلاء العلماء قد استمعوا واتموا بالآية الكريمة : إنما يحشى الله من عباده العلماء ، وكانت لهم أسوة وقوة في هذه الكلمة المؤمنة الشجاعة التي قالها أبو ذر : (والله

الثالث...؟ قلت: أما...! فقال: تكذب على وتدلس...! قلت الضرورة والحاجة يا شيخني رفع الله عنك الضر، فضحك وأعطاني.

هذه الشائيل الغراء والشيم الكريمة وضعت العلماء في تلك المسكنة الساجدة والمنزلة السامية والكرامة العزيرة التي تدرك مداها من هاتين القصتين:

١ - الخليفة د المعتضد ، يطوف في بستان ، ومعه ثابت بن قرة الحراني ، وكان الخليفة يضع يده في يد ثابت وهما يسيران ، ثم جذب يده من يد ثابت فقال ثابت: ما بدا يا أمير المؤمنين ؟ وأجابه الخليفة : كانت يدي فوق يدك ، والعلم يعلم ولا يعلم .

٢ - دخل خوارزم شاه يوما قصره وهو واكب ، وكان أبو الريحان البيروني داخل القصر فطلب أن يراه . وأطأ البيروني قليلا فظن خوارزم شاه أن البيروني قد ساءه أن يستدعيه ، ونفى عنان فرسه ليذهب إليه وشاهد البيروني وهو قادم ، وهم أن ينزل من على ظهر فرسه ، ولكن البيروني سارع إليه وأقسم عليه ألا يفعل ، فأشدد خوارزم شاه :

العلم من أشرف الولايات
يأتيه كل الوري ، ولا يأتي
ثم قال : لولا رسوم الملك ما استدعيتك .
فالعلم يعلم ولا يعلم ؟

محمود الشرفقاري

دورها يشتري شمة فلم تجد ، ومن شعره
يصف حاجته وفقره :

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدة
وقعت بها في حيرة وشتات
فإن بحث بالكسوى هتكت مرهوتى
وإن لم أنج بالصبر ، خفت مما
فأعظم به من نازل بجملة
يزيل حيائي أو يزيل حياتي

ولكنه ، مع هذا الشيم وهذه الصيانة ، كان يبذل من ماله القليل في معونة المحتاجين من تلاميذه ومعارفه . يقول تلميذه القوني :
لأنه كان يعطيه في كثير من الأوقات الدراهم والدنانير . ويقول أحد نوابه في القضاء - وهو الشيخ نجم الدين محمد عتيل - إنه عندما اختاره نائبا أعطاه مائتي درهم . ومن قصص كرمه وسماحته ما تحدث به تلميذه محمد الحواسبي القوصي ، حيث يقول : كان الشيخ يعطيني في كل وقت شيئا من المال ، على قدر ما يستطيع ، وأصبحت يوما مفلسا فأرسلت إليه ورقة كتبت فيها : تليذك محمد القوصي في شدة ، فأرسل لي مالا . وفي اليوم الثاني أرسلت إليه ورقة كتبت فيها : تليذك محمد الحواسبي في شدة ، فأرسل لي مالا ، وفي اليوم الثالث كتبت له : تليذك محمد في شدة ، فأرسل يطلبني ، ثم قال لي : محمد القوصي أعرف أنه أنت ، فن هو محمد الحواسبي...؟ قلت : أنا ، فقال : ومن محمد

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟ للأستاذ بدر عبد الباسط

— ٥ —

المصالح المرسلة :

تجد أن هذه المصالح قد اكتشفنا مفسد
تربو عليها فكانت حكمة الحكيم أن لا يقيم
لها وزناً ، وهذه ما تعرف بالمصالح الملقاة .
٣ — مصالح لم يعتبرها الشارع ، ولم يلغها
بل سكوت عنها ؛ وهذه هي التي تعرف بالمصالح
المرسلة .

فأما القسم الأول من هذه المصالح من جلب
منفعة أو دفع مضرة ، فقد أجمع الفقهاء
على الاحتجاج بالمصالح التي اعتبرها الشارع
بنص أو إجماع ؛ كما احتج جمهور الأمة سلفاً
 وخلفاً بالمصالح التي شهد لها الشارع بالاعتبار
ولو في الجملة على اختلاف بينهم في التوسع
في ذلك ؛ وأنكر الاحتجاج بها نقاء القياس .
وأما القسم الثاني : فالإجماع سلفاً وخلفاً
على عدم الاحتجاج بها ؛ وإلا كان ذلك
إبطالاً للشرع ؛ وهذا لا يجوز عليه إلا مارق
عن الدين يحادده الله ورسوله .

وأما القسم الثالث : فهو موضوع مقالنا .
والبحث فيه يتناول : التعريف ، موقف
العلماء منه ، وجهة نظر كل منهم ، هل هو دليل
مستقل ؟ هل يجوز نسخ نص شرعي بمصلحة
مرسلة ؟ وهل يجوز تخصيص النص بها ؟ .

إن أوسع أبواب الفقه قبولاً لفكرة
التطور باختلاف العصور هو باب المصالح
المرسلة وإن هذا الباب هو - كذلك - أخطرها
مسلكاً وأكثرها تشعباً ويتطلب أن يكون
المقنن أو المفتي أو القاضي أو الحاكم على بصيرة
من دينه وأن يكون خبيراً بقواعد الشريعة
العامة حتى لا تضل به الأهواء .

وقد بينت في المقال السابق أن المصالح
العامة التي حرص الإسلام على حفظها
وصيانتها ؛ وتعتبر من مقاصد الشريعة في جميع
ما جاءت به من أحكام هي خمس ؛ وهي : حفظ
الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

كما بينت أن المصالح - بالنظر إلى اعتبار
الشارع - تنقسم إجمالاً إلى ثلاثة أقسام :

١ — مصالح اعتبرها الشارع وأدار عليها
الأحكام إما بالنص عليها بذاتها ، وإما باعتبارها
صالحة لأن يدار عليها أحكام من جنس الأحكام
التي نص أو أجمع على تعليل الحكم بها .

٢ — مصالح ألغاهما الشارع ولم يبق لها
وزناً كما مثلت بالربا والتبني ، وغير ذلك
كثير ، وعند تحقيق الأمر - من غير تعصب -

بها نص ، أو شهد لها الشرع بالاعتبار فيثبتون الحكم - حينئذ - بالقياس .

وذوب الغزالي من الشافعية إلى اعتبار المصالح والمرسلة إذا اجتمعت فيها ثلاث صفات وهي : أولاً : أن تكون مصلحة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها .

ثانياً : أن يكون تحقق هذه المصلحة قطعياً لا ظنياً .

ثالثاً : أن تكون المصلحة عامة للأمة لا جزئية .

وبهذا فتح باب الاستحسان في حدود ضيقة وإن تكن أوسع من الحدود التي عرفت من إمامه الشافعي رضي الله عنه ؛ فأجاز قتل جماعة من المسلمين ترس بهم الكفار ولا سبيل إلى الوصول إلى الكفار إلا بقتل هذه الجماعة من المسلمين ، ولم يجر قتل فرد لإنقاذ جماعة في سفينة ؛ لأن حياة كل من في السفينة متساوية فقتل بعضهم لإحياء الآخرين ترجيح بلا مرجح ؛ ولأن سلامة من في السفينة ليس مصدحة كلية ؛ ومثل ذلك يقول في المرأة التي امتد طهرها بعد أن رأت الدم ، فإنها إن طلقت لا تنقض عدتها حتى تبلغ من اليأس ثم تعتد بالأشهر بحجة أن هذه حادثة جزئية ، وهناك ظن بحجة أن يعاودها الحيض ، والخنفية أخذوا بالمصالح المرسلة لكن لا تحت اسم المصلحة المرسلة ؛ ولكن تحت اسم الاستحسان

وإليك بيان هذه الموضوعات .

تعريف المصلحة المرسلة : وهي مصالح من جلب خير ، أو دفع ضرر ، لم يشهد لها الشارع بالاعتبار أو الإلغاء ؛ بل سكوت عنها ؛ وهي مصالح اقتضتها البيئات والضرورات وحاجات الناس بعد انقطاع الوحي ؛ وسماها بعض العلماء : بالاستصلاح ؛ كالإمام الغزالي ، وربما سماها بعضهم بالسياسة الشرعية كابن تيمية ، وتلييذه : ابن قيم الجوزية موقف العلماء أمام الاحتجاج بهذا الدليل .

لو تتبعنا آراء الأئمة سلفاً وخلفاً لوجدناهم - جميعاً - يقيمون للمصالح المرسلة واستصلاح شأن الأمة وزناً أي وزن على تفاوت بينهم في التوسع في اعتبارها ؛ ولعل لا أكون مغالياً إذا قلت إن أطول الناس باعاً في ذلك قديماً وحديثاً هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ولقد ساعده على ذلك فقهه لمقاصد الشريعة ، وما أفاء الله به عليه من قريحة نفاذة ، وبصيرة بنور الحق مبصرة ؛ كما أن الإمام مالكاً من الأئمة المجتهدين له في هذا الباب القدح المعلن ؛ ولعل أقل الأئمة أخذاً بهذه من السلف أبو بكر رضي الله عنه ومن الأئمة المجتهدين الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ فقد نقل عنه : « أن من استحسن فقهه شرع ، والقول بالمصالح المرسلة استحسان ؛ ولذا فاشافعية لا يقيمون للمصالح وزناً في التشريع إلا إن جاء

أدلة الممانعين لحجية المصالح المرسلّة :

تنحصر أدلة هؤلاء فيما يأتي :

أولاً : إن الشريعة كملت يوم أنزل الله تعالى واليوم أكملت لكم دينكم ، فلا مصلحة إلاؤها شاهد من الشرع بأى نوع من أنواع الاعتبار الذى قررناه آنفاً ، والمصلحة التى ليس لها أى شاهد من الشرع متوهمة لا يتم لها وزن .

ثانياً : إن فتح هذا الباب يفتح باب الأهواء والأغراض فى الأحكام الشرعية ، ويمكن ذوى الأغراض السيئة من تحقيق مآربهم باسم الدين ؛ ولا يعدم هؤلاء أن يجدوا المفتى الممانع الذى يستجيب لأهوائهم إما رغبة فى السلطان أو التظاهر بالكاذب بالعلم والمعرفة وإما وهبة من سطوة بعض ذوى السلطان بمن لا دين هندم ؛ فكان الخير كل الخير أن يسد هذا الباب دفما للضرر وسداً للذرائع .

أدلة المحتجين بالمصالح المرسلّة :

ترجع كلها إلى ما يأتى :

أولاً : إن مصالح الناس وقضاياهم متجددة فلو لم تشرع الأحكام إلا على أساس اعتبار الشرع لها لعطل كثير من مصالح الناس فى مختلف الأزمنة والأمكنة ؛ وهذا لا يتفق والمقصود الأول من التشريع وهو جلب المنافع ودرء المفاسد ؛ ولو لم تعتبر تلك المصالح لأصبحت الشريعة بالجود .

فإن كثيراً من مسائله التى خرجوا فيها على القواعد العامة يمكن ردها إلى الاستصلاح (المصالح المرسلّة) قصد أجازوا المحرم على الطيب الجاهل ، والمفتى الممانع والمكاري المفلس انتقاء لشرم مع أنهم كاملو الأهلية ؛ كما قالوا : إن وسائل الارتفاق (الارتفاق) تدخل فى الوقف من غير ذكر مع أن الوقف يشبه البيع فى أن فى كل منهما نقل ملكية ، والبيع لا تدخل فيه حقوق الارتفاق إلا بالنص ؛ والذى حملهم على هذه التفرقة هو رعاية مصلحة الوقف لأن الوقف لا يتمتع به إلا بمحقق ارتفاقه .

والذى فتح باب المصالح المرسلّة على مصراعيه هو الإمام مالك رضى الله عنه فإن الأحكام التى بنيت على هذا الأصل عنده كثيرة جداً تذكر منها على سبيل المثال لا الحصر فتوى المالكية بجواز ضرب المتهم توصلًا إلى إقراره . كما أجازوا قتل الثلث لإحياء الثلثين ؛ وتوسعوا فى باب التطليق للضرر بما لم يتوسع فيه إمام من الأئمة .

وللحنابلة فى هذا الباب حظ كبير ، ولا سيما ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ؛ وإن كانوا يردون هذا إلى القياس .

ومن هذا نرى كل المذاهب تعتبر الاستصلاح (المصلحة المرسلّة) وبعد ذكر الأدلة من العارفين وتمحيصها سأبين الحدود التى يجب أن تكون سياجاً حتى لا تقع فى تحكيم الهوى والغرض .

وكذلك فإنه ووث زوجة الرجل الضار الذي طلق زوجته في مرض موته حتى لا ترثه ثم مات وهي في العدة مع أنها ليست زوجة . ومن ذلك أن علياً كرم الله وجهه حرق غلاة الشيعة الذين ادعوا ألوهيته فقد صح أن قوماً من أتباعه خرجوا عن الحد في محبته إلى أن كفروا بربههم فأتخذوه رباً وقالوا له : أنت خالقنا ورازقنا فاستتابهم وتوعدهم فلم يرجعوا فحفر لهم حفراً ودخن عليهم لعلمهم يرجعون فلم يفعلوا فحرقهم .

وهؤلاء الصحابة - رضوان الله عليهم - حرقوا من تشبهوا بقرى لوط مع أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما معناه « لا يعذب بالنار إلا خالقها » .

ثم جاء عصر التابعين فكان أن وضعت النقط على الحروف في المصاحف ولم تكن كذلك في العصر الأول ثم كان أن ابتدئ بوضع شكل علامات الإعراب على أواخر الكلمات ؛ ثم أذن للناس في جمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة ؛ وكان ذلك محظوراً ، ولو تقبّعنا ذلك لطال البحث ، وقد تقدم أن قلت : إن الأئمة المجتهدين أخذ كل منهم بنصيب من هذا اللون من الاجتهاد ، فهل يسوغ بعد ذلك أن تهدر هذه المصالح المسكوت عنها ؟

والإجابة عن هذا السؤال في المقال التالى إن شاء الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً : إن من استقرأ فتاوى الصحابة - وهم أعرف الناس بأسرار الدين - وفتاوى التابعين ومن جاء بعدهم وجد أن كثيراً منها مبنى على اعتبار تلك المصالح وأن الشارع لم يشهد لها بالاعتبار أو الإلغاء ؛ وقد ضربوا لذلك مثلاً بما يأتى : جمع الصديق الأكبر رضى الله عنه الصحف المتفرقة التي كان مدوناً بها القرآن الكريم وحفظها عند أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها ؛ وقد فعل ذلك بعد تردد كبير إلى أن شرح الله صدره له ؛ ومنها استخلافه لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وحربه لما نعى الزكاة ومن ذلك إمضاء عمر رضى الله عنه الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثاً وقد كان واحدة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته وصدر من ولاية عمر نفسه كما نطق بذلك الآثار ؛ وقد حمل ذلك بقوله : « لقد تعجلوا بذلك أمراً كان لهم فيه أناة » فيفهم من ذلك أنه قضى بذلك عقوبة وتأديباً ؛ ومن ذلك تعطيله حد السرقة في عام الرمادة وهو عام مجاعة أصاب الناس في هذه حتى أنهم كانوا يرون كأن الجو مليء رماداً لفلة المطر وشدة الجوع إلى كثير جداً جداً مما صدر من عمر ؛ ولا يمكن رده إلا برعاية المصلحة أو دواء المفسدة .

ومن ذلك أيضاً أن عثمان رضى الله عنه جمع المصحف وأمر بإحراق المصاحف الخاصة التي كانت بأيدي بعض الصحابة ؛

الإقليمية في الأدب

للأستاذ محمد كامل الفقي

- ٢ -

إذ ذاك يركب الخليفة في زى فاخر، وموكب غم وينثر الأعطية والمنح، فيكون ذلك ملمها للشعراء أن يجيدوا المدائح ويتسابقوا إليها. حتى النثر الفاعلى كان مرآة لحياة الترف الماثلة في القصور، والفن والزينة البادية فيها وفي المساجد والمدارس والمكتبات بما لا يزال في مرأى العين حتى أيامنا هذه. وليس في الإمكان أن يحيا الأديب والشاعر بمعزل عن مظاهر الفن وسماته، فإنه يعمق فيها نظره ويملا من مفاتنه هيفيه، وتشرق من خصائص الفن سمات في شعره لا يعز على الذواق أن يجتليها.

وإن ذلك ليذكرنا بما كان في العصر المملوكى إذ بدت الإقليمية في الأساليب الانشائية من هندسة اللفظ وزخرفته وتحليلته، فقد كان الشعب يروح تحت حكم غاشم، فاضطر الأديباء إلى تنميق الأساليب، وتحوير اللفاظ، وحشد ألوان الصنعة كالنثوية والاستخدام، والتلميح والإشارات والنسك، ليخفى في أستار ذلك ما في النفس من غيظ وحق على حكم لا يجسد الناس حيلة في الخلاص منه.

لعل من الإقليمية الأدب الناشئة بعد انقسام الدولة العباسية إلى دويلات، ما انطبع به الأدب العربى في عصر الفاطميين من أسلوب الهداية وفرض الشعر في تمجيد الفاطميين وحكمهم، بما هو تجارب واضح مع ارتياح الشعراء للعطاء الجزل، والمثوبة الخصبية، وما هو صدى لأعياد الفاطميين ومواسمهم، إذ أبقوا على الأعياد المألوفة من قبل، وزادوا عليها عشرات وعشرات، فلمهم مع عيدي الفطر والأضحى، عيد رأس السنة، ويوم عاشوراء، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد على كرم الله وجهه، ومولد الحسن ومولد الحسين رضى الله عنهما، ومولد فاطمة الزهراء ومولد الخليفة (الحاضر)، وأول رجب، وأول شعبان، ونصف شعبان، وغرة رمضان، وسباط رمضان، وليلة الختم وهيد الغدير، وكسوة العتاء، وكسوة الصيف وفتح الخليج، ويوم النبروز، ويوم الغطاس ويوم الميلاد، وغير ذلك، بما يدخل البهجة على الأمة، ويربط بينها وبين الحكام بأواصر وحيي للشعراء مواسم بر، وموائد كرم.

إلا بعمل جاد تكون هذه الأساليب دعوة له وتهيئة إليه .

ذلك إلى أن نفوس الأدباء انطبعت فيها مرأتى الزينة في المباني والمساجد والقصور وغيرها . فكانت تلك إقليمية في أدب الماليك لا يغرب عن الذواق أن يميزه بها من سواء من أدب العصور .

هذا ولا ننسى ما اصطبح به الشعر الفاطمى من صبغة تعليمية ، فقد استغله الشعراء في ترويج المذهب الفاطمى ، وساقوه حججا وبراهين يدعون بها رأى الشيعة ، وقد رأينا ابن هانيء الأندلسى ، يؤيد في شعره عقائد الإسماعيلية ، ويلهم الشعراء كيف يمدحون الخلفاء الفاطميين من ناحية عقائدهم ، ولعل ذلك سر إشار الفاطميين له ، واهتزازهم به ، وتعويلهم عليه ، فقد أحلوه من أنفسهم المحل الذى أدخل به كل شاعر معه ، وعظمت الفجيرة فيه ، حتى قال المعز حين بلغه خبر موته : لا حول ولا قوة إلا بالله ، هذا الرجل كنا نرجو أن نقاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك .

وابن هانيء ، هو الذى يقول مؤيداً هذه العقائد ، ومؤسسا نظرية الدعوة :
أنت الورى فاعمر حياة الورى
باسم من الدعوة مشتق (١)

(١) يقول للدوح : أنت الناس جميعا ، فاعمر حياتهم مجتمعة ، وإنك داع إلى الله يدعوهم إلى الهدى

ويقول :

قد كان ينذر بالوعيد لطول ما
أصنى إليك وهلم التأويل (١)

ويقول :

أهل النبوة والرسالة والهدى
في البيئات وسادة أطهار
والوحى والتأويل والتحريب
هم لا خلف ولا إنكار
ويقول :

ماذا تريد من الكتاب نواصب
ولما ظهور دونها وبطون
ففي الآيات التى مررت بك تأكيد من
ابن هانيء ، لعقيدة الفاطميين الشيعة
في أن للشيعة ظاهراً وباطناً ، وأن التأويل
لا يعلمه إلا الله ورسوله وخلفاؤه القائمون من
قبله إماماً في إثراء إمام ، وسائر الناس يشحذون
علم التأويل من هؤلاء كل على قدر استعدادهم .
وهو الذى يقول أيضاً في بث هذه
العقائد وإثباتها :

إذا كان أمن يشمل الأرض كلها
فلا بد فيها من دليل مقدم
ويقول :

لولاك لم يكن التفكير واعظا
والعقل رشدا والقياس دليلا

(١) الضمير في كان يعود إلى السيف ، وللمنى
كان سيفك ينذر بالوعيد ويهلم التأويل لطول
مصاحبتك واستماعه لبياناتك .

الفاطمي : إنه ربما ظهرت مصريته في ميله إلى الفكاهة .

وإذا رجعت إلى حكم السلاجقة الأتراك وأمعنت النظر في طابعه المميز . وجدت مظهر الشكوى والآنين من الشعراء . وسمعت من ثنايا الشعر أضجرهم وضيقهم بالحرمان في هذا العهد . رغم تذكيرهم بالولاة . وبسط اليد وذل السؤال . حتى لو ألقى إليك شعر دون نسبة لعصره ما شق على سمعك وعلى ذوقك رده إلى حكم السلاجقة .

هذه إقليمية في أدب الممالك الإسلامية في العصر العباسي الثاني . ترى فيها تميزاً لأدب قطر على قطر ، ولشعر مصر على شعر مصر وإن كان الشكل يجري على نطاق الدولة العربية التي تزهو حيناً وتخجل حيناً آخر .

وهذا الذي صفناه يتضح أن لكل إقليم طابعاً خاصاً في أدبه يخضع لأسلوب حياته وشتى ملابساته . وفي هذا المعنى يقول (عبد الكريم النہشلی) أحد أدباء المغرب : وقد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر . ويستحق عند بلد ما لا يستحق عند أهل غيره ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله . بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء . وحد الاعتدال . وجودة الصيغة وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل

لو لم تكن سكن البلاد تضعضعت وتزايلت أركانها تزيلا

فهو يؤسس أيضاً الدعوة ونظرية الإمامة والعصمة للأئمة ، وعلم الإمام بالحقائق ، وأنه مظهر من نور الله .

ففي هذا السلوك في الشعر الفاطمي سمات ومعالم في الشعر ، وحدود تحجزه عما سواه ، وإقليمية ترى فيها خصائص وقومية .

ولا ننسى في الحديث عن النثر الفنى في العهد الطولوني أن نقول : إن حظه كان أعظم من حظ الشعر ، وأن ذلك يتجلى كما يقول المرحوم الأستاذ (أحمد أمين) في رسائل (ابن عبدكان) ، ككتابه الذي كتبه على لسان (أحمد بن طولون) لابنه حين خرج عليه : وفيه المسحة العراقية : جمعت بين طول نفس الجاحظ ، وجزالة عمرو ابن مسعدة . مع ميل إلى السجع كثيراً ، والمزاوجة دائماً ، وإطناب في اللفظ ، وتكرار في المعنى ، فأنت ترى في النثر في بعض الأمصار مسحة عراقية ، لها سمات ومزايا ، وليس ذلك فيما نفهمه إلا إقليمية في أدب ، بمعنى أنها خاصية في أسلوب أحد الأقاليم .

وقد قيل في الحديث عن (الحسن ابن عبد السلام) الشاعر المصري في العهد

إلا بصحار ، فإن نداهم وكلامهم بالفارسية
وأكثر أهل عدن وجدة فرس ... ،

ولكن هيء للعلماء والأدباء إذ ذاك ما ظلت
الصلة به قوية بين الأمصار ، وما نهه من
حدة التفرق والتصدع ، فقد كان من مظاهر
الحركة العلمية والأدبية في هذا العصر أن
يهاجر العلماء والأدباء من قطر إلى قطر
لا يصرفهم من ذلك هناء ولا تعب ، وصار
تقليدا مرهبا بينهم أن يهرع العالم إلى بلد
أخيه يأخذ منه وينقل عنه .

وبلغ الغاية في ذلك المحدثون ، فقد كان
أحدهم يقطع الأرض جادا في طلب الحديث
والثبوت منه ، وما تطير شهرة عالم في بلد حتى
يصبح كعبة يؤمها الفصاء ، والمثل في ذلك
بالإمام البخاري الذي جاب ما بين مدن
خراسان والجبال والعراق والحجاز والشام
ومصر ، يأخذ ويناقش ويصوب ويتجوى
وهو في هذا المنهج المشكور أسوة وقوة .

فإذا ما فتحت بلد فشد ما يهرع إليها العلماء
والأدباء والفقهاء يفترون بين ربوعها العلم
والأدب والفقه ، قراها بين ومضات بيئة
خصبة تنبت وتزهر ، وآية ذلك صقلية التي
صارت مركزا من مراكز الإشعاع الفكري
حيث طار إليها العلماء والأدباء على أثر الفتح
الإسلامي لها ، فإذا هي متقبلة هذه النهضة
في حرص وانتفاع .

كثيرا في غيره . كاستعمال أهل البصرة بعض
كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادح حكاياتهم .

ويقول بعض مؤلفي الأدب المعاصرين
في الحديث عن الخواضر التي صارت بعد
الانقسام مزاحمة لبغداد ، « وكان أن توزع
الشعراء على الأقاليم أكثر مما توزع الأدباء
والعلماء فصار لشعراء كل إقليم من المزايا
والخواص ما لم يكن لسائر الشعراء » (١) .

ولنا أن نقسال بعد أن أشرقت معالم
الإقليمية إلى أي مدى كانت ؟ أكان بها تمام
التغاير في الأدب ، ونهاية التخالف والتضاد .
أم أنها كانت هيئة الشأن ، تبدو في خفى
واستحياء وتري ويرى معها السمات العربي
والأسلوب العربي في كل حال ؟

الحق أن الأدباء لم يمتثلوا من إهابهم العربي
مهما انبثوا في هذه الأقاليم ، ومهما أتيحت لهم
فرص الهجرة والانتقال . ومهما كابدوا من
من الحكم الدخيل فارسيا كان أو تركيا .

صحيح أن الأحداث التي شتتت شمل العربي
أضعفت شأن الجزيرة العربية وانتهت بها إلى
شبه عزلة أخرتها ماديا وعلميا حتى قال
المندسي ، حين وصف لغة أهل الجزيرة
العربية : « وأهل هذا الإقليم لغتهم العربية

(١) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي
الثاني للأستاذ السباعي بيومي ص ٤٢٤ .

حينما في مصر وحينما في الشام ، وطورا في العراق وطورا في فارس ، حتى صار من المسير نسبة أحدهم إلى بلد دون صاحبه ، ولهذا الوحدة أو شبهها اتجه أكثر مؤلفي التراجم إلى جمع علماء العالم الإسلامي باعتبارهم نتاج مملكة واحدة ، هي كقطر واحد .

• نعم توجد شخصية لنتاج كل إقليم كالآداب المصرية والشامية والعراق وفارس وهكذا . ولكنها شخصية غامضة خفية لا ترى إلا بالمنظار الدقيق والبحث الطويل .

وأكثر ما يظهر هذا في منابع الظاهرة العلمية والأدبية حين تظهر ، فظهورها في إقليم خاضع ولا بد لمؤثرات اجتماعية في هذا الإقليم كظهور المقامات في فارس والموشحات بالأندلس والأسلوب المسجوع المحلى بالبديع في الري وما حولها والرسائل الشاملة لفروع الفلسفة - كرسائل إخوان الصفا - في البصرة .

كل هذا له علل اجتماعية وتاريخية وإقليمية مرتبطة بهذه الظواهر ارتباط السبب بالهاسب ولكن لا تلبث بعد ظهورها أن تغلق في سائر الأمصار ولو لم تكن العلة الأصلية موجودة وتقوم هالة التقليد مقام الابتكار ، وتختفي الشخصية الأولى وراء المظهر العام للوحدة المشتركة " ؟

محمد طاهر الفقي

كذلك كان لإنشاء الطرق وتعميدها وإقامة الرباطات والأديار في الدولة العباسية بين بلد وآخر لقسميل التجارة وتنظيم البريد أعظم الأثر في تقريب أطراف المملكة الإسلامية وتذليل العقبات للمرحلين المهاجرين مما مزج بين البلاد المتناثرة ، وعبد طريق الهجرة بين العلماء والأدباء ، حتى لكأن المملكة الإسلامية وحدة متلاصقة على تعدد الملوك والحكام واختلاف أجناسهم ، فإن كلا من العلماء والأدباء والفنانين لا يبالون بالحدود التي توسمها السياسة ، ويرى أكثر هؤلاء أن اللغة والدين أقوى وأشد بأسا .

لذلك ضممت الشخصية الإقليمية وهانت الفوارق بين مصر ومصر ، فلم - نجد إلا قليلا - تميزا ظاهر لعلم مصر وأدبها على علم العراق وأدبه . أو علم خراسان وأدبه ، وما وراء النهر والسند وأدبهما .

نجدها كلها متقاربة لاتفاقهم جميعا في الدين واللغة والجنس ، ولأن رحمة العلماء وشدة الاتصال قربت بين الفروق ، وما يظهر امتياز في ناحية ما إلا استمدته الناحية الأخرى وجسودته واستغلتته ، والشعراء القائمون على أبواب الملوك والأمراء يقتفلون من بلاط إلى بلاط فيوحدون مناهج الشعر . كذلك نرى العلماء أمضوا جانبنا من حياتهم في قطر ، وجانبنا منها في قطر آخر ، فهم

الشيخ محمد عياد طنطاوي

للأستاذ محمد عبد المنعم خنجاوي

١ — لا يكاد أحد من العرب من كان له علاقة بروسيا في القرن التاسع عشر يكون شخصية طريفة كشخصية أستاذ جامعة بطرسبرج الشيخ الطنطاوي ، فالدور الذي لعبه الشيخ في تاريخ الاستعراب الأوروبي ليس ييسر^(١) . كان الطنطاوي رجلا الآداب العربية الحديثة العامل في حفل الاستعراب الروسي^(٢) ويبرز الطنطاوي في تاريخ هذا الاستعراب والآداب الجديدة في صورة فريدة لا نظير لها حتى الآن^(٣) . فشخصية هذا المستشار ، تبرز بروزا فريدا في تاريخ كرسى اللغة العربية وآدابها في مئتي قرن ونيف في جامعة بطرسبرج^(٤) .

هكذا يقول المستشرق الروسي كراتشكو فسكي عن الطنطاوي الذي كان شخصية فذة

(١) لكراتشكو فسكي دراسة عن الوأواء الممشتق ، وهذه دراسات أخرى وهو الذي نشر كتاب البديع لابن المقرب وكان كتابه عن الطنطاوي أحب كتبه إلى نفسه وتوفي كراتشكو فسكي بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن أنقذ مخطوطات مكتبة لينينجراد من القمار الذي لحق بالمدينة في الحرب العالمية الثانية

(١) ص ١١٤ حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي لكراتشكو فسكي .

(٢) ص ١٧ المرجع نفسه .

(٣) ص ١٠٨ المرجع نفسه .

(٤) ص ٩ المرجع نفسه .

تقوم بعثات دار الكتب المصرية في الخارج بتصويرها كلها أو بعضها بما له أهمية خاصة . وكان كراتشكوفسكى يكتب عن الطنطاوى مأخوذاً بروعة أعماله ، وجهاده العلمى ، ويسجل كل رأى فيه ، ويزن أعماله بميزان نقدى سليم منصف ، ويقول : لقد بدت لى فجأة شخصية شيخنا واضحة منيرة (١) .

وكان عمل المترجمة وعمل المراجعين موازياً لعمل المؤلف نفسه ؛ دقة تامة ، وأمانة علمية بارزة ، وتحرر لجميع الحقائق ، ووقوف صوفى ، كأنه الاستشراق ، أمام جميع النصوص . مما جعلنى مذهولاً حقاً أمام هذا العمل العلمى الفريد ، الذى يجب أن ينال تقدير الدولة ، وتقدير جامعاتها ، وبخاصة الأزهر ، وكى أود أن تكون أعمال الطنطاوى فى ميدان الاستشراق الحديث مادة للدراسة فى جميع معاهدنا وجامعاتنا ، وأن يطلق أستاذنا أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر اسم الطنطاوى على أحد مدرجات الجامعة ، تخليداً لذكرى رجل نشأ بين صفوفه طالبا ، وعمل فى حلقاته العلمية مدرسا ، وقدره العالم كله عالماً ومفكراً ومصدراً للحركة الاستشراقية فى العالم كله ، وأكسب وطنه مصر مجداً علمياً باقياً على مر الزمان .

(١) ١١٧ للرجع السابق .

وهى عربية فلسطينية مقيمة فى روسيا ، بترجمته إلى العربية ، وعهد إلى الأستاذين : عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغنى حسن بمراجعة النص العربى وتحقيقه والتعليق عليه ، ثم قام بنشره عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ لجامعاً سفراً نفيساً فى نحو ١٨٠ صفحة ؛ ولكنه يمثل جهادا علمياً جليلاً فى الكشف عن حياة الطنطاوى ومواهبه وآثاره وثقافته ، وفى تفصيل خدماته للاستشراق والمستشرقين فى القرن التاسع عشر .

لقد تناولت الكتاب لقراءته ، فإذا بى أمام بطولة علمية حقة ، قام بها كراتشكوفسكى ، من أجل تسجيل حياة مواطن عربى ، مصرى ، أزهرى ؛ احتراماً بفضله على الثقافة الاستشراقية فى العصر الحديث ...

وكنى أقرأ الكتاب وكأننى أمام أحداث مصورة ؛ كل الألوان والظلال والسيات ، وكل خطوة خطاها هذا العالم الأزهرى الخالد ، منذ ميلاده حتى وفاته ، وكل حدث علمى أو فكرى أسهم فيه ؛ قد أبرزه كراتشكوفسكى بصورة زاهية أمينة ، معتمداً على كثير من المصادر والمخطوطات وبيانات المستشرقين ومؤلفاتهم ؛ وعلى مجموعة الشيخ محمد عباد الطنطاوى الخطية ، التى تبلغ نحو ١٥٠ مخطوطاً عربياً ، مودعة فى مكتبة جامعة بطرسبرج ، والى نرجو أن

الطنطاوى الدراسة في الأزهر ، تحت ضغط الظروف القاسية ، وعاد إلى طنطا ، ومنحه أستاذه مصطفى القناوى شيخ المسجد الأحمدى أجازة في التدريس عام ١٨٢٨ م ، ثم عاد ودرس في الأزهر عام ١٨٣٠ م ، وكان أول من قرأ التعليقات والمقامات في حلقاته العلوية وهو في العشرين من عمره ، وظل في الأزهر عشر سنين ، وله تعليقات على مقامات الحريري وشرح الزوزنى على التعليقات .

ومن تلاميذ الطنطاوى في الأزهر : يوسف الأسير السورى (١٨٨٩) ، وإبراهيم مرزوق (١٨٦٦ م) ، وعبد الهادى نجما الأيادى .

واشتغل مع عمله في الأزهر بالتدريس في المدرسة الانجليزية بالقاهرة (مدرسة الإرسالية البروتستانتية) عام ١٨٣٥ م . وفيها اتصل بكثير من الأوروبيين الوافدين إلى مصر ، ومن بينهم جماعة من المستشرقين مثل فريزل الفرنسى (١٨٥٥) الذى ترجم لامية العرب للشنفرى إلى الفرنسية بمساعدة أستاذه الطنطاوى ، والذى علم أستاذه اللغة الفرنسية ؛ وكذلك بيرون وقيل وبرونر ، وأصبح الشيخ أثيراً عندهم ، واعتمدوا عليه اعتماداً كلياً في محوهم وتلذذوا عليه تلذذة فعليه ،

٣ - كان الطنطاوى أعظم من ضحوا من العرب في خدمة الثقافة الإنسانية ، وخدمة البحث العلمى الحر . ولقد ولد في قرية نجريد المصرية عام ١٢٢٥ هـ : ١٨١٠ م ؛ وكان أبوه تاجراً كثيراً التجول ، من محبة مرحوم بقرب طنطا ، وأمه من بلدة الصافية (١) .

وذهب إلى طنطا في سن السادسة لحفظ القرآن الكريم ، وبدأ في تلقى دروس العلم في سن العاشرة في حلقات الجامع الأحمدى . ثم رحل مع أبيه إلى القاهرة عام ١٢٣٨ هـ : ١٨٢٣ م ، ودخل الأزهر ، وفيه تتلمذ على : محمد الكوى ، ومحمد أبى النجا ، ومصطفى القناوى ، وإبراهيم الباجورى شيخ الأزهر (ت ١٨٦١ م) ، وحسن الخطار (ت ١٨٣٥ م) ، وإبراهيم السقا (ت ١٨٨٠ م) .

وكان من زملائه في الدراسة : الشاعر الشيخ شهاب الدين (١٨٥٧ م) ، ورفاعة الطمطاوى (١٨٧٣ م) ، ومحمد قطعة العدوى (١٨٦٤ م) ، ومحمد الأشونى ، وإبراهيم الدسوقى (١٨٨٣ م) ، الذى تتلمذ عليه كثير من المستشرقين .

وفى عام ١٨٢٧ م توفى أبوه ، فترك

(١) قرية تقع الآن في مركز دسوق من أعمال محافظة كفر الشيخ .

بهذه المهمة ، فأتصل بالشيخ وحبيب إليه السفر إلى روسيا لهذه الغاية ، فتردد الشيخ ، إلا أن أصدقاءه رغبوه في القبول ، وأضيف إلى ذلك إلحاح القنصل وسخاء العرض ، فوافق على السفر ليأخذ مكانه بين أساتذة اللغات الشرقية في بطرسبرج .

وقول الشيخ هناك بالحفاوة ، وجعل له مرتب سخى ، واشتغل منذ ٢ يوليو ١٨٤٠ بالتدريس في معهد اللغات الشرقية . وبالعمل في ديوان الخارجية في بطرسبرج .

كتب ساندليف - الذي صار فيما بعد من أشهر علماء الآثار ، وأحد ، مؤسسى جمعية الآثار - يرحب بالطنطاوى : وبعث بمقال له - مذيّل بتوقيعه ، بتاريخ ١٧ أغسطس ١٨٤٠ إلى جريدة (فدومستى بطرسبرج) ، ونشرت الجريدة المقال في عدد ١٨٩ بتاريخ ٢٢ / ٨ / ١٨٤٠ ، وجاء فيه :

(أنت تسألنى : من هذا الرجل الجميل ، فى لباس شرقى ، وعمامة بيضاء ، وله لحية سوداء كجناح الغراب ، وهينان تشعان بإشعاع غريب ، وعلى وجهه سمة الذكاء ، وقد لفحت الشمس بشرته ، وليست بالطبع شمس بلادنا الشمالية الباردة ؛ هو ضيف جديد من ضفة النيل ، الشيخ الفاضل محمد هياذ الطنطاوى . إن اسمه معروف لدى كل

وكتب فريزل يقول : إنه مدين للطنطاوى الشيخ المصرى الوحيد ، الذى يدرس لغته بمحبة واهتمام ، ويدرس كتب الآداب العربية القديمة .

ومن تلاميذه : موخين ، وقرين الروسيان وبسبهما سافر الطنطاوى إلى روسيا عام ١٨٤٠ .

غادر الطنطاوى القاهرة فى ٢٤ من المحرم ١٢٥٦ هـ : فبراير ١٨٤٠ م إلى الإسكندرية حيث نزل فى ضيافة قنصل روسيا فيها ومديم ، وفى ٢٦ مارس ركب باخرة نمساوية إلى استامبول ، ومنها إلى أوديسا ؛ وفى يوم ٢٩ يونيو ١٨٤٠ وصل إلى بطرسبرج .

كانت روسيا آنذاك تهتم باللغات الشرقية ، وأنشأت فى بلادها دراسات لها . وفى نحو عام ١٨٣٦ أنشأت معهدا للغات الشرقية وألحقته بجامعة بطرسبرج (بتروغراد ثم لينغراد أو لينينجراد فيما بعد) ، وخصصت كرسيًا فيه - لتدريس اللغة للعربية ، بجانب اللغات الشرقية الأخرى كالفارسية والتركية ، والمغولية والصينية ، والفضل فى ذلك راجع إلى م . بوشكين وزير المصارف الروسية آنذاك ، وأرادت روسيا شغل كرسى اللغة العربية ، فكلّمت قنصلها فى القاهرة ، ليقوم بالاتفاق مع من يعرف فيه القدرة على القيام

كان يشرف على العناية بالشيخ وزوجته المصرية د أم حسن ، ، التى ولدت له فى ١٩ مايو ١٨٥٠ ولدأ سماء د أحمد . .

وتوفيت زوجته المصرية عام ١٨٦٠ وابنه فى سن العاشرة ، ولما لم يكن الشيخ بمستطيع القيام على تربية ابنه طلب لإدخاله فى داخلية إحدى المدارس الوسطى ، ودخل أحمد جناز لارينا فى ١٩ نوفمبر ١٨٦٠ على حساب الدولة ، ولم يلبث الشيخ غير قليل حتى أحيل على التقاعد فى ١٩ / ١ / ١٨٦١ ، ثم وافاه الأجل فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٧٨ هـ : ٢٩ أكتوبر ١٨٦١ م ، ودفن فى قرية فولسكوف بجوار بطرسبرج بجوار مقبرة زوجته المصرية الوفية ؛ وكانت فى هذه القرية مقابر المسلمين . وتسمى المقابر التى دفن فى وسطها مقبرة التتر . وهين نفروتسكى خلفا له فى كرسي اللغة العربية بالجامعة ، وصرفت الدولة معاش الشيخ إلى ابنه أحمد ، واختير نفروتسكى وصياً عليه . وفى عام ١٨٧١ باع أحمد مجموعة والده الخطية إلى مكتبة الجامعة . ثم تزوج أحمد وخلف بنتا ولم يلبث كذلك إلا قليلا وتوفى عام ١٨٨١ ، ودفن بجوار أمه ، وألحقت ابنته بدار أيتام الاشراف باسم هيلانة ، وصارت مسيحية منذ ذلك التاريخ أو أريد لها ذلك ، إذ كانت

من يدرس اللغة العربية ، وكل السباح الذين اتفقوا بمحدماته والمدينين له بنجاح أبحاثهم يذكره بالسكرك ، ويكنون له المودة ، مديعين شهرته فى أوربا . فمن هنا نرى ما كسبته كلية اللغات الشرقية المحلية التى دعت الشيخ القاهرى ليحتل كرسي اللغة العربية بها . ويمكنك الآن أن تتعلم اللغة العربية بدون أن تغادر بطرسبرج وفى الأسبوع الماضى ألقى الشيخ الطنطاوى أول محاضرة له فى قاعة الجامعة حضرها ما عدا تلاميذ المدرسة بعض المستشرقين غير الملتزمين إليها .

خلف الطنطاوى فى قسم اللغات الشرقية سلفه (ديمانج) الذى توفى عام ١٨٣٩ م ؛ وقضى ما يقرب من سبع سنوات مجاهدا فى تدريس اللغة العربية ثم عين بمسئ ذلك عام ١٨٤٧ أستاذا لكرسي اللغة العربية فى جامعة بطرسبرج وعين المستشرق الروس د نفروتسكى ، مساعداً له . وظل أستاذا لهذا الكرسي طيلة أربعة عشر عاما (١٨٤٧ - ١٨٦١ م) ، وعلى يديه تتلذد كثير من المستشرقين الروس والألمان والفنلنديين الذين كان من أشهرهم د فالين . .

وفى سبتمبر عام ١٨٥٥ أصيب الشيخ بشلل فى رجليه ، وظل يغالب المرض والمرضى يغالبه سنوات مصاعبا على نفسه . وأقام فى منزله زمين المرض .

بصورة لامية ولا يزال محتفظا بقيعته العلمية إلى اليوم .

والطنطاوى كتاب عنوانه « النحو العربى » أو قواعد اللغة العربية ، وهو أول كتاب كتبه كاتب عربى باللغة العربية للتدريس فى جامعات روسيا ومعاهدها العالية ، وهو موضع اهتمام المستشرقين ، ونال شهرة كبيرة فى كل دوائر الاستشراق الأوروبى . إلى كتب أخرى ألفها الشيخ ، وأحصاها كلها كراتشكوفسكى فى كتابه القيم .

٥ — كان الطنطاوى يمجيد هذا العربية الفرنسية والروسية والفارسية والتركية واللغة التركية ، ويقول كراتشكوفسكى : إنه كان إلى جانب العربية له إلمام بست لغات أخرى ، وإن هذا أفق كان بعيدا عن مواطنه فى ذلك الحين » .

٦ — إن هذا الكتاب القيم لتاريخ حى من تاريخ مصر وأزهرها فى العصر الحديث فهو ينطق بعظمة الفكر المصرى فى أول عصر النهضة ، ويصور الحياة الثقافية فى مصر وحياة الأزهر العلمية فى القرن التاسع عشر تصويرا صادقا أميناً وهو من أجمل الكتب التى أخرجتها المطبعة العربية ؛ والفضل فى ذلك راجع إلى عمل المؤلف وعمل الترجمة

طفلة صغيرة آنذاك ، ولا ندرى من أخبارها بعد ذلك شيئاً .

٤ — ترك الشيخ آثاراً كثيرة تبلغ الواحد والأربعين مؤلفاً ، أحصاها كراتشكوفسكى ، وفى مقدمتها : تاريخ حياته وكتابه المخطوط « تحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا » ، وورد اسمه فى مرجع آخر غرر كتاب كراتشكوفسكى هكذا « هدية النجباء فى تحقيق لإقليم روسيا » ، وقد ألفه الطنطاوى عام ١٨٥٠ م / ١٢٦٦ هـ ، وأهداه إلى السلطان عبد الحميد ، وكانت كتابته فيه دقيقة ، وملاحظاته فاحصة ، وإحساسه وروحه عاليين ولم يكن الكتاب سرداً تاريخياً أو جغرافياً ، بل كان وصفاً دقيقاً حياً ييشيا لرحلته من القاهرة إلى بطرسبرج وزاراته لأقاليم روسيا ، وانفعالاته مع الإقليم والشعب فيها خلال إقامته طيلة العشر السنوات التى قضاها هناك منذ هجرته عام ١٨٤٠ حتى تاريخ تأليف الكتاب (١٨٥٠) ووصف رحلاته فى روسيا وفى دول البلطيق وفنلندا من حولها ، ويتضمن الكتاب كذلك دراسة مفصلة لتاريخ روسيا الحديث وصوراً سريعة لطبوغرافية بطرسبرج فى ذلك الحين ؛ وهذا العمل مكمّوب

(١) ص ١١٥ بين المخطوطات العربية
لكراتشكوفسكى طبع ليدن ١٩٥٣ .

في ميدان الاستشراق ، وبفهارس
للموضوعات والأعلام .

ومع ما بذلاه من عناية وجهه فقد وقعت
بعض أخطاء مطبعية في الكتاب ، ومنها :

١ — لفظه جهادى الأولى التى وردت
في التعليق رقم ٣ في الصفحة التاسعة ، وصحتها
جهادى الآخرة .

٢ — تاريخ عام ١٨٥٧ وهو تاريخ وفاة
الشاعر الشيخ شهاب الدين ، ورد في الكتاب
في صفحة ٢٣ هكذا : ١٨٧٥ .

٣ — تاريخ عام ١٨٦٠ ورد في صفحة
٧٧ هكذا : ١٦٨٠ .

٤ — لفظه يمينه في صفحة ١٥٤ وصحتها
يمينه ولا شك أن الكتاب جملة صورة
مشرقة لجهود المراجعين الجليلين .

٨ — وبعد فقد مضى على وفاة الطنطاوى
أكثر من مائة عام ، ومع ذلك لجهوده
في خدمة الاستشراق حديث الجامعات
في الغرب ، فتى تذكر الجامعات العربية
هذا الرجل الفذ ، ومتى ترد له بعض ديونه
وتعترف بقيته ما أداه للفكر العالمى والعربى
من خدمات جليلة باقية على مر الأيام ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

وعمل المراجعين الفاضلين الذى يتم عن جهد
كبير بذلاه فيه .

والكتاب مقسم إلى :

١ — توطئة أو مقدمة تحدث فيها المؤلف
عن مصادر حياة الطنطاوى وعن ظروف
قيامه بهذه الدراسة .

٢ — ثم ثلاثة فصول : الأول عن
الطنطاوى في مصر وسفره إلى روسيا ،
والثانى عن الطنطاوى في روسيا ،
والثالث عن مصنفات الطنطاوى .

٣ — ويلى ذلك ملحقات بعضها بقلم
الطنطاوى نفسه ، وبعضها نصوص أخرى
للمؤلف وغيره .

٤ — ثم رسائل من الطنطاوى إلى غوتولد
المستشرق (١٨٩٧م) والأستاذ في جامعة تازان .

٥ — ويلى ذلك كله تعليقات وتحقيقات
بقلم المراجعين كتبها شرحا أو تعليقا على
بعض نقاط وردت في الكتاب .

وفي صدر الكتاب صورة للطنطاوى
وسمها له مرتينوف عام ١٨٥٣ ، وصورة
أخرى لقبه أخذها له بعض المستشرقين
عام ١٩٢٣ ، وتقديم بقلم المراجعين الفاضلين .

٧ — وكنتم أحب للمراجعين أن يذبلوا
الكتاب بكلمة عن كرائسكوفسكى وجهوده

النَّاحِيَةُ الْعَالَمِيَّةُ

من إعجاز القرآن

للاستاذ أحمد محمد الغمراوي

— ٣ —

علمية لم تتم إلا بتعاون العلماء في الحقبة المتطاولة من الزمان .

والقرآن الكريم في كل من ميداني الخاص والعام أسلوبه الحكيم للدلالة على ما يريد أن يدل عليه من أسرار الفطرة ليسكون كل سر منها ، إذا أذن الله بالكشف عنه ، هاديا إلى الله فاطر الفطرة ومنزل القرآن ، ولما كان القرآن إنما أنزل لهداية الناس إلى من أنزله سبحانه ، فقد اقتضت الحكمة الإلهية في آياته الكونية أن ينزل بأسلوب لا يصدم المسلم البديهي عند الناس فيكذبوه ، ولا ينافي الحقيقة الكونية فيسكون ذلك داعيا إلى تكذيبه إذ أسر الله سبيل الكشف عن تلك الحقيقة فأنكشفت لأولى العلم في مستقبل العصور ، وهذا من أعجب عجائب القرآن التي لا تنقض ، ومن أدل الدلائل على أن القرآن حقا من عند الله ، فإن التعبير عن الحقيقة الكونية بأسلوب يطابقها تماما أو يدل عليها أولى العلم ثم لا يصدم الناس فيما يعتقدون ولو كان ما يعتقدونه مخالفًا لتلك الحقيقة

بقي الجانب الثالث من جوانب الإعجاز العلمي في القرآن . وهو أعجب الجوانب الثلاثة إلى الناس ، وأقربها أن يقنع كل ذي عقل : أن القرآن هو حقا من عند الله فاطر الكون . ذلك الجانب هو جانب التطابق بين يقينيات العلم الحديث في ميادينها المختلفة وما يتصل بها من الآيات القرآنية .

والآيات القرآنية الكونية أقسام : منها الخاص ومنها العام ، والخاص أعجب الاثنين إلى الناس ، لكن العام إلى العلماء أعجب ، الخاص : قضايا محددة تعبر في الظاهر عن حقيقة واحدة تقنع العوام والخواص على سواء ، أما العام : فهو وإن كان أيضا قضايا محددة إلا أنها قضايا كلية لا يقدرها قدرها إلا من يعلم أن أقصى ما يطمح إليه العلم في موضوعها هو الوصول إلى مثلها بعد استقراء طويل عريض لجزئيات كان كل منها يوما ما مجهولا حتى كشف عنه البحث العلمي الدقيق ، فالقضية العلمية الثابتة عليها هي في العلم قانون تفدوج تحته قضايا خاصة كثيرة تمثل كشوفا

للشمس وقدر مجردا هو الإله الحق الذى لا تجب عبادة إلا له ، فضلال أى ضلال أن يعبد الإنسان سواه ١ .

فانظر إلى القضية الأولى ، قضية أن الشمس تجرى . كيف انطبقت على البديهي المشاهد من حركة الشمس فى السماء من المشرق إلى المغرب فى كل مكان يعيش فيه الإنسان ، فى نصف الكرة الأرضية الشمالى وفى نصفها الجنوبى ، من قطب إلى قطب . لكن هذه الحركة إنما هى فى الظاهر . وقد فسرتها الفلسفة اليونانية أو العلم القديم بما فسرت أو فسر ، بما خطأه علم الفلك الحديث إذ أثبت أن حركة الشمس فى الظاهر حول الأرض - كما هو معروف - هى حركة نسبية راجعة فى الحقيقة إلى حركة الأرض حول محورها أمام الشمس من المغرب إلى المشرق مرة فى اليوم ينشأ عنها النهار والليل ، كما أثبت للأرض حركة سنوية حول الشمس تنشأ عنها الفصول .

فهل فقدت الآية السكرية شيئا من دلالتها بهذا الذى أثبتته العلم ؟ إن الذى جد بما أثبتته العلم هو انتقال الحركة من الشمس إلى الأرض فصار للأرض حركتان تفسران الليل والنهار واختلاف الفصول ، بدلا من حركة الشمس وحدها . والدلالة هى فى حركة الجرم العظيم حركة دائبة مقدرة تقديرا تنشأ عنه ظواهر

- هذا الأسلوب القرآنى فى التعبير عن الحقائق الكونية وفى دلالة أولى للعلم عليها أمر يعجز عنها البشر ولا يقدر عليه إلا الله الذى أنزل القرآن بالحق هدى للناس .

ولعل أوضح مثل لهذه الظاهرة القرآنية المعجبية قوله تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، الآية (٣٧) من سورة يس . وهى مسبوقه بقوله تعالى : « وآية لهم الليل ، نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، فلكلمة الشمس ، فى الآية السكرية إما أن تكون معطوفة على « الليل » فى الآية قبلها ويكون المعنى « وآية لهم الشمس ، تجري لمستقر لها ، وتكون جملة (تجري لمستقر لها) كجملة (نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) فى الآية قبلها تبياناً لوجه آية الله فى الليل وفى الشمس ؛ وإما أن تكون كلمة (الشمس) مبتدأ فى جملة مستأنفة خبره (تجري لمستقر لها) ؛ وفى هذه الحالة يكون كوحا آية لله من حيث إنها تجري مفهوما من السياق ويدل عليه فى الآية القرآنية نفسها قوله تعالى (ذلك تقدير العزيز العليم) . وعلى أى الوجهين أعربنا الآية السكرية فالقضية الكونية فيها هو أن الشمس تجرى ، وقضية أخرى أنها تجري لمستقر لها . وقد سيمت القضاياتان ليسكون فى كل منهما أو فى مجموعهما هاد إلى الله ودليل على أن الذى أجرى

العلم ، وليس له في تفهمها إلا طريقتان : طريق الحقيقة وطريق الجاز . والعدول عن الحقيقة إلى الجاز لا بدله في الكلام من قرينة تبرره وتدل على أن المعنى المجازى هو المراد . وليس في الآية السكريمة ولا فيما قبلها أو بعدها في موضعها من سورة يس ما يدل على أن كلمة (تجرى) في قوله تعالى (والشمس تجري) مستعملة في غير ما وضعت له أو أن من الممكن صرفها إلى حركة سريعة للأرض بدلا من حركة سريعة للشمس ، من باب إطلاق المسبب على السبب . فلم يبق إلا أن تكون كلمة (تجرى) في الآية السكريمة على حقيقة ما مسندة إلى الشمس حقيقة لاجازاً .

وهنا ندين عجوبة من عجائب الإعجاز العلمي في القرآن ، فقد جاء علم الفلك الحديث ، بعد نحو ثلاثة عشر قرناً من نزول القرآن ، فأثبت للشمس حركة غير هذه الحركة الظاهرة من المشرق إلى المغرب .

وأثبت أن هذه الحركة ذاتية للشمس ، وقدر سرعتها بركبتها : أى من حيث المقدار والاتجاه ، فأما المقدار فهو اثنا عشر ميلاً في الثانية ، وأما الاتجاه فهو نحو النجم المسمى « فيجا » في الإنجليزية ، والنسر الواقع في العربية .

أى أن علم الفلك الحديث أثبت أن الشمس ، على عظم كتلتها الهائلة ، تجري

كونية متكررة في العزم وفي العام تنطفي بذاتها وبعضلها وبانتظام تكررهما وتكرر آثارهما البالغة يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام ، ألا بد لها من موجد قدير حكيم قدر ودبر ولا يزال يرعاها بتدبيره وحكمته ، وهو الآله الحق سبحانه . ولا ينقص من هذه الدلالة شيئاً أن يصبح الجرم العظيم الذى له تلك الحركة العجيبة هو الأرض في حكم العلم الحديث بعد أن كان هو الشمس في رأى العين ورأى الفلاسفة اليونانية أو العلم القديم .

لكن هناك سؤال آخر لا يقل أهمية عن السؤال السابق لأنه يتعلق بالصدق كما تعلق ذلك بالدلالة . فهل فقدت الآية السكريمة شيئاً من صدقها وإن لم تفقد شيئاً من دلالتها بذلك الذى أثبتته العلم من التفسير الصحيح لظاهرة حركة الشمس من المشرق إلى المغرب ؟ إن الله سبحانه يقول عن كتابه (وإنه لمكتاب عزيز لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فستحيل أن يكون في القرآن شيء من الباطل قط لا في كونيته ولا في قصصه ولا فيما عدا ذلك مما تعرض له القرآن بعبارة أو بإشارة . بهذا نقضى هذه الآية السكريمة . والمؤمن بها الذى يحاذر أن يتفوق ما ليس له به علم ليس أمامه في الإجابة على السؤال إلا الجزم بأن آية سورة يس لا يمكن أن تفقد من صدقها شيئاً بما كشف أو يكشف عنه

من رقى في الصناعة والعلم ولا يكون في الشمس وجريها في الفضاء على ذلك الوجه العظيم الهائل دليل على وجود الله العزيز العليم سبحانه ، الذي خلق الشمس وأجراها وقدر لها مجراها في الفضاء ؟ .

ثم كيف لا يكون في إخبار القرآن بجري الشمس هذا قبل أن يؤتى الإنسان من العلم والمقدرة ما يكشفه به ، بحيث تمر القرون بعد نزول القرآن والبشرية كلها في غفلة عن جريها وجهل به - كيف لا يكون في هذا كله دليل قاطع وبرهان ساطع على أن القرآن إنما أنزله رب الشمس سبحانه ، الذي فطرها وأجراها وقدر لها ذلك المجرى ؟ . إن في ذلك لآية لقوم يعقلون .

فانظر الآن كيف أثبت العلم الحديث صدق ما ينتجه الإيمان بالقرآن من قوله تعالى (والشمس تجري) إذا اتبعت الدقة في تطبيق القاعدة البلاغية القاضية بالاعتدال — في تفهم الآيات القرآنية الكونية — هن الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية في نفس الكلام صحيح إن الاستنتاج قد وقع ونحسن أفهم أن العلم قد أثبت صدق الآية حرفياً ، لكن هذا لا ينقص شيئاً من العبرة التي ينبغى استخلاصها ألا وهي وجوب الاستمساك بما ينتجه التطبيق الدقيق لقواعد اللغة في تفهم أى الذكر الحكيم في ضوء المعروف من الحق

في الفضاء بسرعة اثني عشر ميلاً في الثانية في اتجاه النسر الواقع .

والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم . .

فأنت ترى الآن أن في قوله سبحانه :

« والشمس تجري ، معجزة علمية عظيمة لم تكن تخاطر لأحد على بال حتى كشف عنها علم الفلك الحديث ، والعلم الحديث لم يكشف عنها إلا في القرن التاسع عشر بعد أن تمها له من آلات الرصد ، وأدوات التحليل الضوئي ومن المقدرة على تفسير النتائج التي توصل إليها عن طريقها ، ما أدى به إلى الكشف عن ذلك السر العظيم : كتلة من النار قدر كتلة الأرض ٣٣٣ ألف مرة تقريباً تجري في ملكوت الله بسرعة تزيد على ضعف سرعة ما يسمونه بالقمر الصناعي في دورته حول الأرض .

لقد افتتن الناس ، أو كادوا ، بهذه الأقار أو القميرات الصناعية التي ليس للإنسان فيها إلا صنعها وإحكام إطلاقها مستعملاً في ذلك ما وهبه الله من علم ومقدرة ، أما دورانها حول الأرض فليس له فيه من فضل إذ هي إنما تدور طوعاً لسنن الله في الحركة من ناحية وفي الجاذبية بينها وبين الأرض من ناحية أخرى ، فكيف يمكن أن يكون في هذه القميرات دليل على وجود الإنسان وما بلغ

والآية الكريمة تقرر أن لها حركة ذاتية سريعة ؛ فإن الجرى لا يمكن إلا أن يكون ذاتيا ، وقد وجد التفسير الفلسفى أو الفلكى القديم طريقه إلى كتب التفسير ليس فقط فيما يتعلق بالشمس ولكن أيضا فيما يتعلق بالقمر وقد اعتبرهما فلاسفة اليونان خطأ من السيارات التى فسرُوا حركاتها عبر السماء بما فسرُوا به حركة الشمس ، فافترضوها مركزية فى أفلاك كرية شفافة بجوفة بعضها داخل بعض ومركزها جميعا الأرض فهى تدور كلها بحركات مختلفة من المشرق إلى المغرب حول الأرض التى جعلوها ساكنة لا حركة لها ، وتبهم فى ذلك فلاسفة المسلمين والمفسرون .

وقد يكون من تكليف ما ليس فى الوسع أن ينتظر منهم استنباط جرى للشمس غير هذا الذى يرونه بأعينهم كل يوم ، لكن كان من المنتظر على الأقل أن يخطئوا الفلسفة اليونانية فى قولها : إن الشمس والقمر وبقية السيارات تجرى بالواسطة لا بالذات ، اسقناداً منهم إلى قوله تعالى : « والشمس تجري » ، وقوله : « وكل فى فلك يسبحون » ، إذ لا قرينة فى الآى على أن الجرى والسبح معدول بهما عن الحقيقة إلى المجاز ؟

أحمد محمد القمراوى

والمعروف من الحق فى هذه الحالة هو أن الحركة الظاهرة للشمس من المشرق إلى المغرب راجعة فى حقيقتها إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشمس من المغرب إلى المشرق .

ثم تأمل بالغ حكمة الله سبحانه فى أن يجعل جرى الشمس حقيقة فى الفضاء يتفق خبره إذا ذكر فى القرآن مع ما علم سبحانه أن ستبدو به الشمس لعباده نتيجة لما قدره للأرض من حركة يومية حول محورها وحركة سنوية حول الشمس ، ليكون التطابق بين الخبر والجرى الظاهرى فيه عبرة وهدى للناس أثناء الحقبة المتطاولة التى علم سبحانه أن سوف نمر قبل أن يستطيع أولو العلم الكشف عن جرى الشمس الحقيقى ، حتى إذا كشفوه وسقوا بذلك صدق الخبر السكونى للقرآن فى حرفيا ، كان ذلك معجزة عليية كبرى فى القرآن تقنع كل ذى عقل لم يغلبه الهوى والعناد أن القرآن حقا من عند الله .

والمعجزة العلية الكبرى المتمثلة فى قوله تعالى (والشمس تجري) ينطوى تحتها فى الواقع معجزة أخرى ، إذ قد خطأت علم الفلك القديم حين قال فى تفسير الشروق والغروب : إن الشمس معقدة أو مركزية فى فلك مady كرى هو الذى يدور بالشمس حول الأرض ، فجعل حركة الشمس غير ذاتية

رحلات الخليل عليه السلام إلى الحج للأستاذ علي الخطيب

وسامها أن تملو عليها بالإيجاب أمة ، ولعلها ضايقت هاجر ، فإن الأخيرة حين أمر الخليل بإبداها مهجراً بمكة كانت تمشي مرتعدة وقد اتخذت (منطلقاً) لتعفى أثرها على د سارة ، زوج الخليل كما يحدث ابن عباس ورضي الله عنهما وكانت تلك أولى رحلات الخليل إلى الأرض الحرام .

يروى ابن عباس في صحيح البخاري أن إبراهيم الخليل : د وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم ... وليس بمكة يومئذ أحد ، ، ولكنها - وإن كانت فقراً - كانت الأرض الحرم الآمن فقد حرمها الله وجعلها أمناً من د يوم خلق الله السموات والأرض فهي حرام إلى يوم القيامة ، ، كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ، وضعهما إبراهيم إذن بخير بقعة في الأرض ، صادعا في ذلك لأمر ربه ، ولعله لم يستطع الغلبة على حنينه وحبه فأولاهما ظهره طارياً قلبه على شوق جارف ورحمة للأمل والوليد ليس للجلد عليهما إلا رحمة من الله .

وأما الأم البارة فقد عصمها الإيمان أن تسمى الظن بالخليل ، وهي تناديه مراراً دون أن يلتفت إليها : د أين تذهب وتركنا

بين العراق وفلسطين ومصر والحجاز سرت خطا خليل الرحمن : إبراهيم عليه السلام ؛ ينطلق إلى إحداها مدفوعاً بوحى ربه ، أو طلباً للاتفاق ، أو صلة لرحمه ، وتسجل د الأخبار الصحيحة ، أخذاً من الكتاب والسنة مما خمس رحلات له عليه السلام إلى مكة المكرمة بالأرض الحرام من الحجاز مستوعدة تفاصيلها ، ذاكرة أسبابها .

لقد ترك الخليل موطنه بالعراق حين أنكر قومه وأنكروه ، وأجمعوا أن يحرقوه فاعتزلهم مهاجراً إلى ربه ... إلى فلسطين ، ثم قدم مصر بزوجه في قحط ، وحفظ الله عليه أهله فيها ، وعاد مكرباً بسارة وزوجه ، وقد أهدى إليها من ملكها د هاجر ، فأهدتها بدورها لزوجها ، وهاجر في ذلك أخت ل د مارية ، هدية المقوقس لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فملكنا المرأتين هدية ملك إلى نبي ... وملكنا هما كانت من خيار النساء ... ولعل مارية كانت تذكر محمداً بالخليل ، فسمى ولده منها د إبراهيم ، .

وحين عاد الخليل إلى فلسطين لم يكن قد أنجب بعد ، حتى إذا سكن هاجر أنجب إسماعيل عليه السلام ، فاشتدت الغيرة بسارة ،

وتحدث هنا ابن عباس في الصحيح منوطة بأحداثها . لكن لا يغيب هنا : مقام النبوة التي هي أدعى استجابة إلى صلة الأرحام ، وإبراهيم الخليل نبي كريم ، ووالد إنسان ، ورجل حنون شفق بأهله فليس عجبا أن تتكرر زوراته ، وفي الصحيح أنه عليه السلام : « كان يزور أهله بمكة على البراق سريعا ثم يعود إلى أهله » .

وتأتى الرحلة الثانية إلى الحجاز من تلك الرحلات المفصلة التي وقعت أحداثها بمكة ، ونزل بهذه القرآن وتأتى حين شب لإسماعيل ، وأدرك الحلم ، ورأى إبراهيم في منامه أن يذبحه ، ووجد ذلك وحيا ، وأحس به أمرا فأسرع إلى تنفيذه فكان بمكة استنفيذه الذبح (١) ذلك (البلاء المبين) الذي يبصر المؤمنين بما يفرض أن يكون عليه المرء طاعة لربه ،

(١) ينبغي أن يعلم المسلمون أنه لا دليل على غير علمي بيد اليهود يثبت أن الذبيح هو إسحاق ، وإنما ذلك قصة ابتدعوها طلبا لمخالفة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اعتبر « قانونيا » من العهد يخلو من ذكر ذلك . وحسبنا الآية الكريمة بعد نصها قاطعا في الأمر : « فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » ، نقل ابن كثير : أن الذبيح إنما هو إسماعيل ، وأنه يتمتع أن يكون هو إسحاق لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده ، ووعد الله حق لا خلف فيه . فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه فتعين أن يكون هو إسماعيل ، أ . هـ .

بهذا الوادى الذي لا أنيس فيه ولا شيء ؟ ، ثم تدرك مقام النبوة فنسأله : « آله أمرك بهذا ؟ » فيجيبها : « نعم » ، فيغمرها الرضا بقضاء الله ، والأمن في ظله ؛ فتقول : « انطلق فإنه لا يضيعنا » .

وبعد تلك الهجرة بشرت سارة بإسحاق . وبشرت به في حال لم تحدث لأحد في العالمين ليس لأنها وردت على لسان الملائكة ... بل لما حوته البشارة من امتداد حياة إسحاق ، وامتداد حياتها هي حتى ترى حفيدها يعقوب « فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » وكان يمكن بعد تلك الحادثة أن تعود هاجر إلى فلسطين ... إلى قريب من مكان زوجها وقد ذهبت الحال الآلية التي آذت سارة عليها السلام ، واستوت المرأتان في منزلة الإنجاب ، وارتفعت سارة بمنزلة السيادة . لكن الله كان يريد أمرا آخر في البقعة الحرام إذ جعل للخليل فيها رسالة بعد رسالته لقومه الفاجرين ، كان عليه أن يبني البيت ، ويؤذن بالحج ، ويؤدى شعائره ، كان الله يريد أن ينشأ البيت وبجانبه « لبنة » آدمية زكية ، هي لبنة النبوة ، تصون البيت ، وتؤدى واجبه ، وتحيط به في نبوة بعد نبوة من ولد إبراهيم وذرية إسماعيل عليهما السلام ، ثم إن إبراهيم لم ينقطع عن زور أهله بمكة ... حقا ... إنما نجد زورات قد سلطت عليها الأضواء

ولم تكن تلك الزوجة تصلح لمشاركة نبي حياته
لقد كانت تلتوى أمام مشاهير النبوة العالية ،
وآدابها السامية ، واكتنف الخليل ذلك في
زيارته لإسماعيل بعد هذا الزواج ، وعرف أنها
كفود تضيق بالناس ، ولا تأف الكرم وتهوى
الشح وتنفر من الضيف ، ولا تحمد زوجها
بعد ذلك كله جهدا ، ولا تشكر له صنيعا .

ندم إبراهيم فلم يجد إسماعيل فسألها عنه
فقالت : (خرج يبتغي لنا ذهب يصيد) فلما
سألها عن حالهم كان ردها : (نحن بشر... نحن في
ضيق وشدة ...) وما كان إبراهيم عليه السلام
لينتظر منها شيئا حتى تمضى قنقص له بلاءها
ولكنها بدت امرأة لا تهتم بواجب ، وتفترط
في الانانية ، وحب الذات ، وتفرض من قدر
إسماعيل ؛ فقال لها الخليل : (إذا جاء زوجك
فاقرني عليه السلام ، وقولي له : يغير عتبة
بابه) ففعلت ، وأدرك إسماعيل فقال لها :
(ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك فالحق
بأهلك !) .

ووفق إسماعيل في الزيجة الثانية ، وتبين
ذلك إبراهيم الخليل في زيارته التالية وقد
صادف كل الظروف الأولى عدا الزوجة
السكرتود ، فإسماعيل يصيد ، وفي البيت امرأة
غير أنها تستبشر له وتدعوه إلى الطعام
والشراب ، وتحمد زوجها جهده ، وتحذره
عن الخير الذى تعيش فيه والأمن الذى تنعم
(البقية على الصفحة التالية)

وتضحية في سبيل رضاه . إن إبراهيم الخليل
لم يفاركه أحد من قبل ومن بعد موقف
إبتلاءه هذا . وحسبنا أن نعلم أن الخليل
حق لحظة الفداء ونزول الكباش ، وبعد أن
استسلم إسماعيل للذبح وهم به الخليل كان
في روعه هاية السلام أن الذبح سيتم لا محالة
ومن ذا الذى يمكنه من بغي البشر أن يصور
نفسية الخليل تلك اللحظة أو يعاين أن يتخيل
أمرها مهما أوتى من ضبط النفس وقوة
الجنان . وهل بعد ذلك تقصير في طاعة ؟
أو اقتصاد في إخلاص . ؟ إنما ذلك
الإخلاص كله ، والطاعة كلها ، وكان
إبراهيم بهما خليل الرحمن .

ونحن لا ندري كم عاشت هاجر ، لكننا
نأخذ من ظاهر خير صحيح أنها عاشت إلى
ما بعد زواج إسماعيل الأول . فقد جاور
هاجر وإسماعيل بطن أو أكثر من (جرم)
وكانوا خير جيرة لها وبينهم (...) شب الغلام
وتعلم العربية ، وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب
فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ... وماتت
أم إسماعيل (...) صحيح البخارى كتاب الأنبياء
ويعنى هذا أن إسماعيل عليه السلام متعه
الله بوالدته حتى اشتد عوده ، وأصبح بمكنته
أن يستقل بالكدح ، ويسعى لوزقه ، فانت أمه
قريرة العين ، لا تخشى عليه ضياعا ، وثق
بأفه فى أمره كله

لم تكن زيجة إسماعيل هذه بصالحة لأمره

نقد ابن تيمية لمذهب الاتحادية والقائلين بوحدة الوجود للأستاذ عبد الفتاح الديدي

- ١ -

من كل من أبي يزيد البسطامي والحلاج وأمثالهما من أصحاب الأذواق ، وأرياب الأحوال . فالنزاع بين الفقهاء والصوفية يرجع إلى زمن متقدم جدا على العصر الذي عاش فيه ابن تيمية والهجمات التي تعرض لها الصوفية إنما كانت تتوالى عليهم بصورة قوية ، حيناً ، وفاترة حيناً آخر طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين . ولئن كان ظهور الصوفية قد بدأ في منتصف القرن الثاني الهجري ، فإن النزاع الحقيقي قد بدأ

تقسام مقدما من الأسباب التي حملت ابن تيمية على هذا النقد :

إن ابن تيمية كما نعرفه ، هو رجل من أتباع المدرسة الفقهية التي أنشأها ابن حنبل في تاريخ الفكر الإسلامي لأول مرة . وقد بما حمل ابن حنبل على ذلك الفريق من المتصوفة الذي ذهب إلى حشد القول بأن الغناء في الذات الإلهية يمكن أن يتم عن طريق المجاهدة وأخذ النفس بألوان من الرياضات على نحو ما هملنا

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

بأمر ولده ، ورعايته شأنه ، والمشاركة في إصلاح أمره في حنان موصول وبر كامل . ثم أمر الخليل ببناء البيت فقدم مكة ، واتجه إلى ولده فوجد : إسماعيل يبرى نبلا تحت دوحة قريباً من زمزم ... فقال : يا إسماعيل ، إن ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتاً ، فقال : أطع ربك عز وجل . قال : إنه قد أمرني أن تعميتني عليه . فقال : لا تفعل . . . وارتفع البيت ليكون مأثرة من ملة أبينا إبراهيم وشعبيرة وطاعة إلى يوم الدين ؟

على الخطيب

بمجمع البحوث الإسلامية

به ، وقد سألت إبراهيم : ما طعامكم وما شربكم ... ؟ قالت : طعامنا اللحم ، وشربنا الماء ، قال : اللهم بارك لهم في طعامهم وشربهم ، ورحل الخليل وقد ترك لابنه وصالة ، وجاء إسماعيل وسأله : هل أنا كم من أحد ؟ قالت : نعم أنا ما شيخ حسن الهيئة ، وأنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني : كيف عيشنا فأخبرته : أنا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم . هو يقرأ عليك السلام ، وبأمرك أن تثبت عتبة بابك قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ... ، اه .

وتدل هاتان الزيارتان على مدى اهتمام الخليل

أو نقلها إلى الغير . ظل الأمر على هذا النحو حتى القرنين السادس والسابع الهجريين حينما جاء ابن تيمية ، فكان غاتمة لتلك الصراع الروحي الذي امتد طويلا بطريقة فكرية وفي بيان قوى ، وبما لا شك فيه أن الصراع لا يزال جاريا على أشده حتى يومنا هذا ولكن لم يأخذ قط بعد ابن تيمية مثل تلك الصورة القوية الغضة بحق . وهذا إن كان يدل على شيء ، فإنما يدل على أنه قد كان لنقده صيب تاريخي موروث ضمن العقيدة المذهبية التي كان يتشيع لها .

وعلى الرغم من أنه كان ينظر نظرة احترام وتقدير لبعض المتصوفة : كالغزالي وابن عربي وأبي الحسن بن سالم ، وعبد الله الأنصاري وعبد القادر الجيلاني كما يقول ماسينيون في مادة تصوف بدائرة المعارف الإسلامية ولم يصفهما كما وصف غيرهما بالمروق من الدين ؛ فإنه لم يأل جهداً في الخط من أقدار بعض المتصوفة الذين غالوا في الاتجاه المخالف لاتجاه المدرسة الفقهية التي صار في أثرها . ونحن نريد أن نكشف من هذا كله عن أثر دفين بنفسه للمذهب الذي شايعه ، وبتاريخه الطويل مما جعله يندفع في هذا الاتجاه اندفاعاً مؤيداً بالتعصب الديني ، ومزوداً بالسلاح الفكري اللازم .

أما السبب الثاني الذي كان يستوجب من

في مستهل القرن الثالث أي بعد أن اشتهر أمر مدرستي : السكوفة والبصرة وفي منتصف القرن الثالث بدأت تنشأ في العاصمة العباسية ثقافة جديدة لها طابع خاص بها يوافق الثقافة العباسية الإسلامية . وانحدرت إلى العاصمة الجديدة بعض أفكار ونزعات تصوفية كان من آثارها تكوين مدرسة بغداد الصوفية التي يمثلها المحاسبي . وهذه المدرسة قد برزت في الغالب من معظم الاتهامات التي نسبت إليها ومع ذلك فقد عاشت إلى جوارها مدرسة الحنابلة الذين فطروا بطبيعة مذهبهم المقتصد في الأمور الفقهية والكلامية على ضرب من الزهد . وهذا هو الذي أتاح فرصة مناوشة كل من الفريقين للآخر . فحمل ابن حنبل على الصوفية وقال : إنهم أصل البلية في حوادث (جهنم) . وتوالت الأزمات بين الفريقين ، ووصل الأمر بالحنابلة أن حملوا الدولة على الوقوف من الصوفية نفس الموقف الذي اتخذته بازاء الزنادقة أيام المهدي . وأفجوا في النهاية في التدخل في أمر الحلاج والقضاء بقتله لما نسب إليه من الزندقة ولم يقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل استمر النزاع متمثلاً في اعتقاد الفقهاء بأن الصوفية : أهل بواطن وقلوب وأصحاب أشواق ومواجيد مما لا سبيل إلى أن يسلم به كل إنسان . وهي في غالب أمرها ، مسائل خاصة : وتجارب ذاتية وشطحات روحية من الصعب تأييدها ،

الصالحين . فإذا اعتمد ابن تيمية على النص وأخذ بالإسناد التاريخي فيما يتعلق بمسألة الصفات فلا بد له — وهو الرجل المسلم الحنبلي — أن يدافع عن مبدأ واحد ، هو مبدأ «وحدة الذات الإلهية» ، ولا ينفى هذا بطبيعة الحال تعدد مظاهر قوته ، ولا يتعارض مع الكثرة ، أو التسلسل التدريجي ؛ فاقه واحد الذات ، متعدد الآثار في آن معا . وفي القرآن يتكلم عن نفسه أحيانا بقوله : أنا ، وأحيانا أخرى بقوله : نحن . فالذات واحدة إذن أما الصفات فكثيرة ، (ونحن) هي بعض التعظيم ، فالواحد المعظم لنفسه يستعمل نحن . وهذه نقطة حساسة جدا في فهم ابن تيمية للصفات ، وأكره شيء إلى قلبه أن يوجد من المسلمين من ينسكرك الصفات على نحو ما فعل جهنم من قبل ، أو كما يفعل القائلون بالاتحاد أو الوحدة ، وحين فضل ابن عربي على بقية أصحاب الاتحاد ، وميزه منهم ؛ لم يكن مدفوعا إلى هذا إلا لأن ابن عربي كما جاء في مجموعة الرسائل والمسائل (في ص ١٧٦) يفرق بين الظاهر والمظاهر ، وأول خطر أحسه ابن تيمية في كلام الصوفية إنما عينه من وجه النظر هذه ، صفات الله هذه هي صفات الكمال سواء بسواء إذا قيدت بالنسبة إلى الله نفسه ، أو إلى الخلق ، وهذا الكمال القدسي لا يتفق مع وجود درجات

ابن تيمية كل هذه الثروة فيتصل اتصالا مباشرا بمسألة الصفات . وهي مسألة لها المحل الأول لدى مفكر إسلامي كابن تيمية ، فضلا عن أنها كانت الأصل في كل خلاف نشأ بين الصوفية والفقهاء ، وموضع النزاع الدائم بينهما ولقد كان من المهم جداً بالنسبة إلى الإسلام أن يحدد موقفه من عقيدته في الألوهية خاصة وقد جاء ليصلح أنظاراً دينية سابقة عليه وليبين الفساد في بعض الآراء التي كانت معاصرة له . والواقع أن عقيدة الألوهية وما يتصل بها تعد من النقاط الرئيسية في كل دين خصوصاً في الأوقات التي تعمل الفاسفة على تأييده فيها بالبرهان العقلي أو الفتورات التي تفتاب الديانة فيها أزمات تدخل في صميم العقيدة وابن تيمية من هذه الناحية متعصب لتعاليم الإسلام ، ومتمسك باعتقاد النبي عليه السلام نفسه في الإله . فهو كما وصفه لاووست Laoust في كتابه المسمى باسم Essai sur les Doctrines Sociales et Politiques d'Ibn Taymia. ص ١٥٥ : يؤمن بوحدة الله وبأنه ذات تتعالى عن التحديد الوصفي ، وتسو على القياس العقلي ، وموقفه هذا مستمد من الآيتين : « قل هو الله أحد » ، « ليس كمثل شيء » ، يضاف إلى هذا : أن القرآن يصف الله : بأنه قد استوى على العرش ، ويذكر الحديث عنه أنه ينزل كل ليلة إلى سماء قريبة ؛ فيسمع صلاة

درجات المنبر قائلا « كنزولى هذا » (فن هذه الناحية يمكن أن ندخل ابن تيمية فى تلك الطائفة المسماة : بالمشية أو المجسمة . قديظن البعض أننا نتعارض بهذا مع ما قلناه : من أنه يأخذ فى مذهبه بالآية القائلة « ليس كمثلهم » ، وهو السميع البصير ، سورة الشورى (١١) ولكن نلاحظ دائما أنه كان يأخذ بهذه الآية على نحو ما فسرهما محمد بن سعدون المعروف بأبى عامر القرشى إذ يقول : « معناها ألا يمكن أن يقارب الله أحد فى الألوهية ، أما فيما يتعلق بالهيئة والصورة فهو مثلك ومثلى ، وهذا تفسير يتفق تماما مع رغبة ابن تيمية فى تصوير الله بأنه غير عاجز كما تصوره الفلاسفة ، وغير مجانس للوجود المرنى كما تصوره الصوفية .

وتتكلم الآن عن السبب الثالث الذى دفع ابن تيمية إلى اتخاذ هذا الموقف . والحق أن ابن تيمية عاش فى فترة لم يكن فيها الإسلام بخير ، ولم تكن الفرق الصوفية جديدة باعتبار واحترام . فى عهده بدأت الطرق الصوفية فى الانتشار وبدأت الخانقافات والزوايا فى الزيادة بصورة لم تحصل من قبل ، كما تعددت ألوان المنشئات الإخوانية . ولم يكن النشاط الصوفى قاصرا على المجال الجمعى وحده ، وإنما كان يمتاز فى وقته بجانب فردى تمثل فى اتخاذ بعض الأفراد خطاة خاصة فى الحياة

فى الصفات ، أو مع قول باختلاف فى قيم هذه الصفات ، ولذلك تراه يقول (ص ٢٦ ج ٤) : مذهب هؤلاء الاتحادية كابن عربى وابن سبعين والقونى والتلسانى مركب من ثلاثة مواد :

١ - سلب الجسمية وتعطيلهم .
٢ - بحالات الصوفية : وهو ما يوجد فى كلام بعضهم من الكلمات المجمة المتشابهة كما ضلت النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح فيتبعون المتشابه ، ويتركون المحكم .

٣ - وأيضا كلمات المغلوبين على عقلمهم ، الذين تكلموا فى حال السكر . فتراه من ذلك يولى مسألة الصفات جل اهتمامه ، وتعد هذه النقطة لكثرة ما تحدث فيها محل البدء فى نقده ، والواقع أنه لم يكن فى هذه المسألة مبتكرا أو فيلسوفا بالمعنى الصحيح ، وإنما كان مقلدا للدرسة الحنبلية بصفة خاصة تلك المدرسة التى قاتلت انتصارا للسنة ، وانزاما بحرفية القرآن . وما يدلك على ذلك تلك الرواية المشهورة التى جاءت فى كتاب (العقيدة والشرعية فى الإسلام) بقلم جولد تسهير (ص ٩٧ من الترجمة العربية) من أنه ذكر فى عظة من عظاته نصا يتعلق بنزول الله ؛ فعمل على نفي أن يكون النص من المتشابه ، وعلى أن يشهر عيانا فهمه لنزول الله فنزل بعض

والمعجزات على مشهد من الأمراء .
ثالثاً : تتصل الصوفية في واقع الأمر بالمبول الإسلامية الشعبية وتغذيها ، ومن ثم تمكن أصحابها من إقناع العامة بأنهم في مرتبة الأنبياء ، وأن النبي هو قائدهم الأهل ورئيسهم الأكبر . ومن هنا سادت بين الناس فكرة الاحتفال بالمولد ، وصارت مرضاة الله بين يدي الشيخ أو السيد أو الولي .

رابعاً : أدت حالات الزهد والانتقطاع بالكثيرين من الأولياء إلى تفضيل الغلمان على النساء عند الأداء الجنسي ، كما أن منهم من بقي في حال العزوبة التي تتعارض مع الدين الحنيف . (لاووست ص ٢٨) .

خامساً : يمثل التصوف على النحو الذي شاهده ابن تيمية في عصره انحلالاً ظاهراً في العقيدة الموروثة ، وفتحاً للعناصر النصرانية من جهة ، واليونانية من جهة أخرى ، أن تتدخل فيما هو من أصول الدين الإسلامي . ولم يكن بد من أن يعلن ابن تيمية سخطة على هذه الفئة التي تضلل المسلمين ، وتفسد الإيمان على أهل بحيث تسلبهم في النهاية إلى الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي تجعل منهم فريسة لكل طامع سياسي ، وذلك بعد البساطة الروحية التي احتازوا بها ، والقوة الدنيوية التي كانوا عليها . (للبحث بقيمة)

عبد الفتاح العبري

وأسلوباً معيناً في السلوك ، جعلوا به من أنفسهم صوفية من طراز متوحد .

ولقد عرف الإسلام من قبل ضروباً مختلفة من التصوف أهمها وأميزها وأقربها إلى روح الإسلام وأحبها لفعل الخير هو ذلك التصوف المنظم كما كان عند الغزالي الذي عارض الطغوس المذهبية ، والأمور الشكلية لدى رجال الدين ، واتخذ من حب الله وحده دافعاً إلى النقاوة والطهر والصفاء . ولكنه لم يعرف شيئاً من هذه الروح الحبيثة التي بدأت تندس في أنحاء مختلفة من أقوال الصوفية في عهده وأعمالهم المتصلة بجملة عقائدهم ، وتلخص أظهر المساويء التي امتاز بها تصوفهم في النقاط الآتية :

أولاً : حوروا في الأسس التقليدية للشريعة الإسلامية بصورة مزججة إذ قد كافت الشهادة على هذا النحو لا إله إلا الله ، فتحوّلت على أيديهم إلى هذه الجملة : ليس إلا الله .

ثانياً : وكان مما أثار غضب ابن تيمية أنهم مزجوا بين التصوف والخزعبلات ، كما يقول لاووست في وصف حالة الصوفية في الفترة التي عاصرها ابن تيمية (ص ٢٩) فمنهم من كان يعد الرقص أنشودة روحية تقتاد النفس إلى النشوة والسكر وتفتح للبعد سبيلاً للاتصال بالله . ومن هذه الفرق الأحمدية والرافعية واختص أهلهم في عرض المخارق

الإنسان

بين هوى النفس والشيطان

للأستاذ أحمد حنفي نصار القوصي

خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شئانهم ،
ولا تجدد أكثرهم شاكرين ، ولذا يقول
« فبعضك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم
المخلصين » .

وقد اقتضت حكمة الله ورحمته بعباده أن
يسد هذه الثغرات ، وأن يستجيب لحاجة
البشر الماسة إلى التبصرة والتذكير بين الحين
والحين ، لعلمه المحيط بهم ، وعلمه بسطوره
هدوم ، وبما هم عليه من ضعف في مقاومته
ومدافعة استغلاله لشهواتهم ، ولعنه بأهوائهم
فاصطنع لإرشادهم رسلا ينزل عليهم آيات هدايته
ليدعهم إلى الإيمان بالله ، ويرشدوم إلى
الصرراط المستقيم ، يبينوا لهم حدود الله ولثلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولتكون
مجازاة من كفر بالله ، وليلحد في آياته حقا
وهذلا ، وما كنا نعد بين حتى نبعث رسولا ، .
وقد اختار الله رسله - وهو العليم الحكيم -
من البشر ليسألهم الناس ويتيسر عليهم
الاتصال بهم والأخذ عنهم والفهم منهم لاتحاد
الجنس ، وما أرسلنا من رسول إلا بلسان

مفخذ مبط آدم عليه السلام من السماء ليكون
خليفة في الأرض يعيش عليها ، ويعمرها هو
وزرياته إلى نهاية الدنيا ، منذ ذلك الحين -
ولما يمض غير قليل - انكشفت خصائص
البشرية ، وبأن ما يكن فيها من استعداد
وقدرة على عمل الخيرات ، واكتساب السيئات
على حد سواء ، وقد ظهر ذلك جليا أول ما ظهر
في قصة ولدي آدم عليه السلام من صلبه وهما
قابيل وهابيل ، وائل عليهم نبأ ابني آدم بالحق
لذقربا قربانا فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل
من الآخر قال : لاقتلنك ، قال : إنما يتقبل
الله من المتقين ... فطوعت له نفسه قتل أخيه
فقتله ، فأصبح من الخاسرين ، .

ومنذ طرد إبليس من الجنة ، وأنزل إلى
الأرض مذهوما مدحورا لمخالفته أمر ربه
بالامتناع عن السجود لآدم عليه السلام
بدأت حربته التي لا تنقطع ولا تفتر ضد بني
آدم ، ولزم هو وجنوده حد قوله فيما يحكى
القرآن منه إذ يقول : « لأقعدن لهم صراطك
المستقيم ، ثم لأتولينهم من بين أيديهم ، ومن

فنجأ من جباله ، وأخذ طريقه إلى النصر عليه . كذا حاول منازلته ، إن الذين اتقوا إذا مسح طائف من الشيطان تذكروا ؛ فإذا هم مبصرون ، فكيد الشيطان بالنسبة لمؤلاء هباء ، ومنهم من يستجيب للوسواس ، ويخضع له أهى الشهوة ، ويغلبه على أمره هواه ؛ فيكذب برسالات الله ، ويعرض عنها وينأى بجانبه ، ويؤذى الرسول ، ويكيد له ، ويحاول تبديل كلمات الله ، ولا مبدل لكلمات الله ، فيصير من حزب الشيطان مع الهالكين .

وإذن فحزب الله رسله والمؤمنون ، وحزب الشيطان إبليس وجنوده من الجن وضلال الأنس وهما في صراع دائم وحرب مستمرة مستمرة لا تتوقف ما بقى على الأرض الأناسى والشياطين . لذلك كانت مهمة الرسل شاقة ، وطريقهم وعرا ، وكان لا بد لهم من تأييد السماء ، فكانت المعجزات على تنوعها لتصدقهم وتدعم موقفهم تجاه المضلين . وسواء منها ما كان في نوح العلم ، أو في نوح القدرة ، فهو خارج عن قدرة الأنس والجن جميعا ، لأن الجن من جملة من دعاه الأنبياء إلى الإيمان ، وأرسلت إليهم الرسل قال تعالى : يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا . ومعلوم أن النبي إذا دعا الجن إلى الإيمان فلا بد أن يأتى بآية خارجة عن مقدورهم ،

قومه ليبين لهم ، كما اختارهم رجالا ليقولوا على احتمال المكاره والمصير على الشدائد التى تصادفهم فى سبيل أداء أماناتهم بتبليغ رسالات الله ، وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم .

ولا شك فى أن الهدى فى كل زمان يضاد ما عليه الناس من الباطل ، ويصدمهم فى كثير مما يحبون ، فيعرض أكثرهم عنه لضلالهم وتمسكهم بأوضاعهم القائمة ، وعبوديتهم للعادات المتسكنة ، والآثر الذى يقدسونه جهلا وعى ؛ برغم مجافاته للعقل والرشد ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ١٢ والشيطان من وراء ذلك كله يسوقهم إلى المعصية بعصاه الخفية القوية سرقا ، ويستغل ضعفهم ، ويوسوس لهم بالتزيين والتلبيس والوعود الفاسدة ، والأمانى الكاذبة ، يدهم ويمنهم وما يدهم الشيطان إلا غرورا .

واستمر الشيطان مع الإنسان على الأرض عدوا له مدينا . فأما الشيطان فقد احتفى بخصائصه ، وبطبيعة خلقه ، وأخذ يفعل أفاعيله فى الاحتيال بعزم وقوة ، وأما الناس فقد اختلفوا وانقسموا إلى قسمين : منهم من صدق برسالة الله فاستمع الموهظة ، واعتصم بحبل الله المتين بإيمان صادق ، وإرادة قوية ، محترقا لمغريات الشيطان ؛ وأما فيه الكاذبة ،

وإذن فلا بد أن تكون آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الجن والانس جميعاً .

ومع هذا فإن حزب الشيطان لم يقف مكتوف اليدين ، بل حاول من جانبه بكل جهده أن يشوش على معجزات الأنبياء بخوارق تشابهها في الظاهر من السحر والكهانة ، وما إلى ذلك ليروهموا أنها من جنس المعجزات فيختلط الأمر على الناس ، فلا يفرقون بين الحق والباطل ، حتى أنهم أوغلوا في ذلك فألفوا الكتب في السحر ، وطرق الاتصال بالشياطين ونحو ذلك قال تعالى : واتبعوا ما تقولوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وأدركوا في بعض هذه الكتب - إيماننا في الإضلال - معروفاً لاشبهة فيه ليلبسوا الحق بالباطل كي يفهم الناس أنه جميعاً غير متكر ، وعمل مشروع . ففتن بها كثير منهم وكأنهم لم يثببنوا من قبل الحدود الفاصلة بين المعجزات وما يلحق بها وغيرها من الأباطيل .

والمعلوم أن المعجزة أمر إلهي خارق للعادة اقترن بدعوى النبوة ؛ لتدل على صدق الرسول يظهرها الله على يديه ابتداء ، أو عند التحدى ، أو يجرىها إرهاباً توطئة ، وإعلاماً بمجيء الرسول ، وكذلك تخرق العادة لأولياء الله المعروفين بالصلاح والتقوى

من أتباع الرسل عليهم السلام تأييداً لدين الله ، ودلالة على صحة ما جاء به الرسول .

وتسمى هذه كرامات التفرقة بينها وبين المعجرات ، وهي ولاشك لا تبلغ على أي حال إلى مثل معجزات المرسلين وإن شاركهم في بعض أعمالهم ، والكرامة كذلك لا تدل على عصمة الولي ، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله ، كما هو الحال مع المرسلين . وعلى ذلك فإن ما تقدم الرسول من الإرهاصات ، وما تأخر ، وجرى على يد الصالحين في أمته من بعده سواء أحدث ابتداء أو ظهر عند التحدى للدين فهو من معجزاته . ومثل هذا ما ذكر في حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة الذين تكلموا في المهدي ، وما حدث لأتباعه صلى الله عليه وسلم كخطابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سارية على المنبر مع بعد ما بينهما . وما يكون من الكتمان والسحرة والكهنة والمشركين من أهل الكتاب والضلال من غيرهم فالأنبياء والأولياء قادرون على إبطاله ، وكشف زيفه بعون الله ؛ وأوضح دليل على ذلك ما ظهر على أعين الناس مجتمعين ضد سحرة فرعون على يد موسى عليه السلام .

وعلى كل فأفعال المفسدين على اختلافها من جنس الأفعال المقصورة للخلق من الجن والانس والحيوان ليس فيها قلب جنس

في ذاتهم صادقون والكذب في حقهم مستحيل ومن العجيب المولم حقا أنه إلى عصرنا هذا - وقد بلغ العقل البشري رشده كما يقولون وعلم الإنسان بظواهر الكون قد اتسع ، وقطع شوطا بعيدا - لا تزال مثل هذه الترهات تجري في الناس ، وتأخذ طريقها إلى عقولهم ، فيؤخذ بها ضعاف الأحلام ، ويلتبس أمرها على كثير .

وكنا نظن أن علماء السلف عليهم الرضوان من أمة محمد عليه السلام - وقد تدبروا هذه المسائل من مئات السنين ، وبينوا الحدود بين معجزات النبيين وكرامات الصالحين وأفاعيل المضلين كنا نظن أنه لم يبق هناك داع للعودة إلى الكلام في هذه الأمور ، ولكن الإنسان أثبت أنه برغم رقيه وحضارته لا يزال في حاجة إلى الموعظة والنذير وإلى من يضع يده دائما على الحق . وهو كذلك - من باب أولى - في أمس الحاجة إلى التنبيه على ما يجد من مفاصد العابثين والأعياب الشياطين .

ومن هذه المفاسد وليست آخرها ألوبة الشيطان بالإنسان في خرافة تحضير أرواح الموتى ، تلك البدعة التي استحدثت وراجت سوقها من بضعة سنين وصدق بها كثير من الناس حتى من مدعى المعرفة مأخوذون بسراب من ظواهر الأمور دون نظر أو تحقيق .

أحمد عفيفي نصار القوصي

ولا مسخ ولا إبطال خاصية بخلاف ما يجري على يد الرسل فإنه من عمل الله لا يستطيعه مخلوق . فالساحر قد يمرض بسحره أو يقتل والمرض والقتل أعراض يقبلها في العادة الحيوان . وكذلك إحضار الطعام والمسال من الغيب إنما هو نقل من مكان إلى مكان تفعله الجن والإنس ولكن الجن يفعلونه وهم في خفاء عن الناس . وهذا كله ليس معجزاً لأنه في مقدور المخلوق . وكذلك الأخبار ببعض الأمور الغائبة من مثل ما تفعله الشياطين مع السحرة فهذا تلفيق لا يخلو من الكذب أبداً لأن المصدر الشيطان وهو لا بد له من الكذب على الإنس سخريه بهم . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفك أثيم ، يلقون السمع وأكثهم كاذبون ، وضع ذلك فكل ما يخبرون به فهو من جنس المعتاد للناس مما يعلم بالمناسبات وشبهها وفيه خلط وزيف وهو على أي حال ليس بالحق اليقين .

وأما أخبار الأنبياء عليهم السلام فليس فيها كذب قط لأنها من عند الله ومن غيبه الذي لا يقدر عليه الجن والإنس قال تعالى « عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ، والأنبياء عليهم السلام

ما يقال عن الإسلام

الفنون الإسلامية

لدكتور الدكتور احمد فوزي الزهراني

ولما جاء المستشرقون في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، شرعوا يطبقون المناهج الحديثة في دراسة الفنون على الفن الإسلامي ، فكانوا بذلك أصحاب الفضل في فتح هذا الباب أمام الباحثين العرب الذين تعلبوا عنهم هذا اللون من الدراسة ، وكشف في ذلك المرحوم الدكتور زكي محمد حسن كتابه عن الفنون الإسلامية معتمداً على تلك الدراسات الأجنبية .

وقد ترجم إلى اللغة العربية منذ عشر سنوات تقريباً كتاب الفنون الإسلامية تأليف الأستاذ ديماند ، وقد أحسن المترجم بقوله « الفنون الإسلامية » في العنوان بدلاً من الأصل الأجنبي وهو « الفن المحمدي » ، ومعنى ذلك أن المؤلف يضع للإسلام اسماً هو « المحمدية » . وقد فعل ذلك الأستاذ دجب ، المسماة شرق المعاصر المعروف ، حين ألف كتابه عن الإسلام وسماه « المحمدية » والراشخون في العلم لا يقولون بذلك ، بل يقولون : الإسلام ، لأن الدين عند الله الإسلام ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .

ليس الإسلام ديناً يقتصر على العقائد والعبادات ولكنه إيمان وعمل ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

ولا يمكن فهم الإسلام حق الفهم إلا بالإحاطة الشاملة الوثيقة بسائر ما كان يقوم به المسلمون في أمور معاشهم ، وما يقومون به في الوقت الحاضر ، وجماع ذلك كله يسمى بالحضارة ، فالإسلام حضارة معينة ، تشمل تلك النواحي المختلفة التي ذكرناها ، ومنها الفنون .

ولم يغيب هذا المعنى عن قدماء المفسرين في الإسلام ، غير أنهم لم يفرّدوا للفنون كتباً خاصة تنهض بدراستها ، والأغلب أن المفسرين في الزمن القديم لم تتجه عنايتهم إلى هذه الدراسات العملية ، أو الفنية ، أو التكنولوجية ، وذلك لاعتقادهم أن الفكر المجرد والنظر الخاص أسنى من العمل وبخاصة الأعمال اليدوية ، ولم يكن هذا الفصل بين النظر والعمل ، مع سمو النظر على العمل مقصوراً على المسلمين ، ولكنه ميراث طويل عن الحضارات القديمة .

يفتح الأستاذ جورج مارسيه كتابه بهذه العبارة : « تصور أنك تقوم بهذه التجربة ، إذ تمضي ساعة من فراغك تصفح مجموعة من الصور هي عبارة عن مجموعات فوتوغرافية مأخوذة عن ألوان مختلفة من الفنون : هناك تماثيل إغريقية ، يتلوها نقوش على مقابر قدماء المصريين ، ثم سواتر مزركشة على الطريقة اليابانية ، ثم تقع عينك وأنت تقلب الصور ، على لوحة من الجص المنحوت مأخوذة عن إحدى صالات قصر الحمراء ، ثم على صفحة من مصحف كتب بقلم مصري ثم على نقش محفور على إناء إيراني من النحاس ومهما تبلغ ثقافتك الفنية من الضالة ؛ فإنك ستتحقق على الفور أن هذه الصور الثلاث الأخيرة تنتمي إلى الفن الإسلامي » .

يريد المؤلف أن يقول : إن الفنون الإسلامية هي تنوعها وتطورها على مر العصور ، وتباين الأقطار الإسلامية التي نشأت فيها من الشرق الأقصى إلى أقصى الغرب ، تمتاز بشخصية ، ووحدة وخصائص تجعل الناظر إليها يدرك ، ولا يخطئ أنها إسلامية .

ويذهب مارسيه إلى أن الفن الإسلامي يتميز بصفتين أساسيتين هما : الشخصية والوحدة ، ولأمرنا في شخصية الفن الإسلامي هذه الشخصية الواضحة البارزة التي يسهل

وقد أخذ معظم المستشرقين في الوقت الحاضر بهذه الوجهة الصحيحة من النظر ، وهذا ما فعله اثنان من كبار المشتغلين بالفنون والآثار الإسلامية ، هما : « كرسويل » الإنجليزي الذي كان أستاذاً للفن الإسلامي بالجامعة المصرية ، و « جورج مارسيه » عضو الأكاديمية في باريس ، ومدير متحف الفن بالجزائر قبل استقلالها ، وعنوان كتاب كرسويل « فن العمارة الإسلامي قديماً » ، وعنوان كتاب مارسيه « الفن الإسلامي » ، أو « الفن في الإسلام » ، أو « الفنون الإسلامية » . والأغلب أن المشتغلين بهذا اللون من الفنون يسمونه إسلامياً لا عربياً ، على حين أنهم حين يتحدثون عن العلوم يقولون « العلوم العربية » ، لا الإسلامية ، وذلك لسببين : الأول أن العلم لا وطن له ، وهو دراسة مغايرة للدين ولا تخضع له ، فيكون من التناقض القول بعلوم إسلامية أو مسيحية (المقصود هنا العلوم بمناها الخاصة بالحساب والهندسة والفلك والطب وغير ذلك) . والسبب الثاني أن تسميتهم العلوم بأنها عربية نسبة إلى اللغة العربية لا إلى الدين .

صفوة القول : إن الفنون إسلامية والعلوم عربية ، وهذا في الأغلب الأعم ، اللهم إلا عند بعض المتحذلقين والمخالفين ، وهم عندنا قلة لا يحسب لها حساب ، ولا يؤخذ برأيها في هذا الباب .

دينهم وهو : (لا إله إلا الله) و (محمد رسول الله) . أو : (بسم الله الرحمن الرحيم) وغير ذلك . ونحن نعرف أن الدرهم والدنانير كان يضرب دلي أحد وجهها في الأغلب : لا إله إلا الله .

وهكذا نجد أن شخصية الفن الإسلامي تستمد كيائها من الدين . بل إن بناء البيوت على هيئة خاصة ، من وجود فناء داخلي ، ونافورة مياه ، ومشربيات تطل على الخارج كل ذلك يمكن تفسيره دينياً كما يمكن تفسيره جغرافياً .

وفي ذلك يقول الأستاذ مارسيه بعد حديثه عن العامل الجغرافي وطامل الجو وأثرهما في الفن الإسلامي ما نصه (صفحة ٨) : (ومع ذلك فإن الذي حفظ قبل كل شيء آخر وحدة الفن الإسلامي بين الأقطار المختلفة هو الإسلام نفسه ، تلك الوحدة التي يحمل كل أثر في طابعها . ذلك أن العامل الديني هو أكثر العوامل فعالية وأدومها) . هذا ولم يغب عن باله عامل آخر له أهمية عظيمة وأثر كبير في الفن الإسلام ، وهو اللغة العربية . ويقول في هذا الصدد : (إن التقارب بين الفن ، ولغة الحديث أمر لا شك فيه . ذلك أن ما يجعل من اللغة العربية - على الرغم من بعد الشقة بين الشعوب وتنوعها - لغة حديث مشتركة هو أنها لغة مقدسة ، واللسان الذي نزل به الوحي المدون في القرآن) .

الحكم على القطع الفنية على تنوعها بأنها إسلامية وقد جاءت للفنون الإسلامية هذه الشخصية من عدة عوامل على رأسها : الدين ففي ذلك العالم الإسلامي الذي امتدت رقعته من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ، كان المسلمون يخضعون لديانة التوحيد ، ويتلون كتاباً واحداً باللغة العربية هو القرآن ، ويمارسون عبادات واحدة هي الصلوات الخمس كل يوم ، ويجتمعون معاً لصلوة الجماعة في المساجد ، ومن أجل ذلك اتخذت المساجد هيئة خاصة في بنائها تستلزم وجود مئذنة للأذان ومنبر لخطبة الجمعة ، والمحراب لبيان اتجاه القبلة ، والميضأة لقضاء الحاجة والوضوء والنقوش التي تحلى بها جدران المساجد من الداخل ومن الخارج ومعظمها من الآيات القرآنية :

وقد كان القرآن وما زال وسيظل كتاب المسلمين المقدس ، يعظمونه لأنه كلام الله ، ويحفظونه في الصدور ، ويكتبونه في المصاحف بخط جميل ، وينقشون هوامش المصاحف بألوان من ازسوم الجميلة . ولم تقتصر الكتب آيات القرآنية من الساحة الفنية على تزئين جدران المساجد ، بل وضعت على كل ما يستخدمه المرء في منزله من أدوات ، بحيث يعيش المرء في داره محوطاً بالشعارات الدينية ، وعلى رأسها شعار المسلمين وأساس

ولما كانت الفنون الإسلامية عبر تاريخها الطويل قد خضعت لتأثير السلاطين والخلفاء والأمراء الذين كانوا يرعون الفنون ويشيدون المساجد والمدارس باسمهم تخليداً لذكورهم ، كان لابد من معرفة وثيقة بالتاريخ الإسلامي لمعرفة أسرار هذه الفنون .

لهذا السبب يقسم علماء الفنون كتبهم بحسب العصور التاريخية ؛ ويمهدون لكتبهم بمقدمة في التاريخ الإسلامي . وهذا ما فعله الأستاذ كرسويل في كتابه عن العمارة الإسلامية ...

أما الأستاذ ماوسيه فقد قسم بحثه إلى أربعة عصور ، أو فترات دون الإفاضة في العرض التاريخي .

الفترة الأولى : من ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الثالث .

والفترة الثانية : من القرن الرابع ، أي عصر انقسام الدولة العباسية إلى دويلات ، وازدهار الدولة في الأندلس ، وظهور الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر ، وتستمر هذه الفترة حول قرنين ونصف من الزمان . ثم في الفترة الثالثة : تبدأ الدولة الإسلامية في التميز خلال القرون : من السابع إلى العاشر ، وبرز الفن الإيراني بوجه خاص والفن المملوكي .

وفي الفترة الرابعة : يظهر التأثير التركي

ولما كانت الفنون الإسلامية تستخدم في الأغلب الكتابة العربية للحلية ، والتبرك ، والتقرب إلى الله ، فلا غرابة أن نجد هذه الكتابات على جميع الآثار من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب . وانظر معي إلى هذه النعمة الجديدة التي تبغى أن تتخذ من الأحرف اللاتينية طريقة لكتابة اللغة العربية ، وتريد ترجمة القرآن إلى لغات غير العربية ، فكيف يكون الفن الإسلامي بعد ذلك عاملاً من عوامل التوحيد ؟ إنما - ولا نزاع - لغات شاذة مغرصة تبغى هدم الإسلام عن طريق هدم اللغة العربية ، والتخلص منها . والفن لغة ، يعبر بالخطوط والألوان والظلال والصور عن روح الأمة وتاريخها . والفن من أجل ذلك حي بحياة الأمم ، يسو مع نهوضها ، وينحدر مع ضعفها ويتغير بتغير تاريخها . ولا يمكن أن يظل الفن ثابتاً خلال القرون الأربعة عشر التي مر بها الإسلام منذ ظهوره حتى الآن . والفنون الإسلامية مظهر من مظاهر التاريخ الإسلامي ، وبجل لذلك التاريخ ، وثمرة له ، كما أننا نستطيع أن نسقريء التاريخ الإسلامي من النظر إلى الآثار الإسلامية الباقية حتى اليوم ، والمحفوظة في المتاحف . ثم إن الإنتاج الفني يفترض عموماً حالة معينة من توازن المجتمع ، وازدهار الدول وقوتها .

هقب نفوذ الأتراك في العالم الإسلامي ، وهو يبحث في كل عصر الفنون على النحو التالي :
(١) العمارة الدينية - والمقصود منها المساجد أساساً ، ولكن في بعض العصور وجدت مقابر . (٢) العمارة المدنية مثل القصور والبيوت . (٣) الزخرفة بأنواعها . (٤) الفنون المتحركة أو المنقولة وهي على عكس العمارة التي تعد من الفن الثابت ، ويدخل في هذا الفن كل ما يمكن نقله مثل الأواني النحاسية ، والمصنوعة من الفخار ، والأقنعة ، والأبسطة ، والسجاجيد ، وجلود السكتب وغير ذلك .

أما كتاب كرسويل فإنه مقتصر على العمارة يتحدث فيه عن فن العمارة أولاً في الدولة الأموية ، ثم ثانياً في الدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجري .

ثم إن كرسويل لم يعرض التاريخ من حيث هو كذلك ، بل في الحدود التي تسمح بإبراز الإنتاج الفني . ولذلك استهل كتابه بقوله : لا يبدو أن بلاد العرب عند ظهور الإسلام كانت تملك شيئاً يستحق اسم العمارة ، إذ لم يستقر في الأرض سوى نسبة ضئيلة من السكان اتخذت لها بيوتاً أشبه بالمغاور .

وسمى الذين يعيشون في بيوت من الآجر أهل المدر ، وسمى البدو الذين كانوا يعيشون في خيام من الشعر أهل الوبر .

هذا المدخل إلى العمارة الإسلامية يفصح عن اتجاه واضح نحو انتزاع أي عمارة عن العرب قبل الإسلام وعند ظهوره حتى يقال : إن المسلمين نقلوا هذا الفن عن البيزنطيين بوجه خاص ، وعن الفرس . وليس لدينا سند صحيح يبين مدى ما بلغته العمارة العربية قبل ظهور الإسلام مباشرة في مكة والمدينة غير أن المستشرقين الذين يكتبون عن الإسلام ويحاولون تفسير الأسباب المادية لظهوره . يذهبون إلى أن العرب في الجاهلية بلغوا مرتبة من الازدهار ثمرة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ليس لها مثيل ، ولو أن الفارق كان كبيراً بين الأغنياء والفقراء . وجدير بمن بلغ هذا الثراء الفاحش من أهل مكة أن يتخذ لنفسه دوراً أنيقة ، يقوم ببنائها مهرة الصنائع من مصر أو اليمن أو الحبشة أو الشام ، تماماً كما هي الحال في الوقت الحاضر . مهما يكن من شيء فنحن بإزاء تفسيرين متناقضين يذكرهما المستشرقون ، الأول أن حالة العرب الجاهلية كانت في غاية التأخر حضارياً ، والثاني : أنها كانت غاية في الازدهار ، فترى بأى التفسيرين نأخذ ؟ .

على أي حال يقنأض كرسويل مع نفسه حين يتحدث في الصفحة الأولى من كتابه هقب ذلك عن تجهيد بناء السكعبة قبل بعثة

من كنائس شارك فيها المسلمون المسيحيين . ولا يمكن اعتبار بداية المساجد بمعنى الكلمة من حيث فن العمارة إلا في خلافة عبد الملك ابن مروان أو الوليد بن عبد الملك ، وقد ظل العرب بعينين عن أى مطامح في فن العمارة مدة قرن من الزمان بعد ظهور الإسلام ، ثم نقلا بعد ذلك عن الفن الساساني في العراق ، وعن الفن البيزنطي في الشام .

وقد اعتمد كرسويل في دراسته على أوراق البردي إلى جانب المصادر التاريخية المعروفة ، حين وصف بناء مسجد دمشق الذي قام به الوليد ، وشرح ، كما يقول المقدسي ، في طلب مهرة الصناع لتنفيذ غرضه ، وجاء في أوراق البردي التي عثر عليها بمصر ما يؤيد تلك الرواية ، إذ نقرأ في إحداها أمراً بدفع أجور الصناع ، وفي أخرى أمراً آخر باستبقاء أربعة صانعا (أنظر صفحة ٤٤ من كتاب كرسويل) .

والكتاب محل بالرسوم والقياسات الهندسية لشرح عمارة المساجد ، وليس غرضنا وصف العمارة الإسلامية من حيث هي كذلك ، إلا بمقدار ما تفيد في توضيح حالة المسلمين في العصور المختلفة ، ومدى تعلقهم بدينهم ، وكيفية تصورهم لهذا الدين ، من خلال الفنون الإسلامية ، وقد أسهم علماء الغرب في هذا المجال مساهمة محدودة لاشك فيها .

د. أحمد فتود الأزهراني

الرسول ، معتمداً في ذلك على رواية قدماء المؤرخين العرب مثل الأزرقى . وتذهب الروايات إلى أن قريشا جلبت الأخشاب التي بقت بها الكعبة من حطام سفينة غرقت عند الساحل ، واستخدمت نهاراً وبناء اسمه باقوم كان على ظهر السفينة ، إلى آخر هذه الرواية .

وقد كانت الكعبة بناء كبيراً نسبياً ، لأن الأصنام التي كان العرب يعبدونها كانت موجودة في داخل الكعبة ، فضلاً عن صور الأنبياء (بحسب رواية الأزرقى) .

وقد ذكرنا من قبل أن المؤرخين العرب لم يوجهوا عنايتهم نحو تسجيل العمارة وهندسة البناء بمقدار ما كان يهتمهم تسجيل الظواهر المتصلة بحياة الرسول الكريم

و خلاصة الرأي عند كرسويل فيما يختص بنشأة العمارة في الإسلام ، أن فكرة عرب الجاهلية من العمارة كانت ساذجة جداً ، وأن الكعبة ، وهي الهيكل المقدس عندهم ، لم تكن أكثر من بناء يحوطه أربعة جدران بارتفاع قامة الرجل وفي داخله بئر زمزم ولما ظهر الإسلام بنيت المساجد في غاية البساطة لتحقيق الغرض من اتخاذها مكاناً للعبادة . وأنشئ في البصرة والكوفة والفسطاط أول المساجد وكانت ساذجة بدائية إلى أقصى حد . أما في سوريا فإن أول مساجد اتخذها المسلمون لما أنها كانت كنائس ، أو أجزاء .

فتاوى مختارة

تقديم: ابراهيم محمد الحبيب

(الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر)

فهل هذه الأموال المجموعة من بلد غير
إسلامي حلال أم حرام؟ وهل يجوز بها أداء
فريضة الحج؟

نايف أحمد مفلح / ألمانيا

الجواب :

كسب الرجل من عمله حلال ، بل هو من
خير الحلال متى كان يعمل عملاً مشروعاً كما
ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكون العمل الذي يقوم به السائل في ألمانيا
أو غيرها لا يمنع من الاتفاق منه على والدته
في قيامها بفريضة الحج فإن كسبه في مقابل
عمله ، فالمال إذاً ملك حلال له .

العملانية في الحج .

السؤال :

هل يجوز شرعاً أن أجهز حاجاً لكي يحج
نيابة عن أخي أو أبي المتوفى وما هي الشروط
الواجب توافرها في هذه الحالة؟ وهل يعود
ثواب ذلك على المتوفى؟ وهل يعتبر كما لو كان
المتوفى قد حج عن نفسه؟

على لبيب عزيز

الحج ونفقة الأقارب :

السؤال :

رجل يريد الحج وعنده أقارب محتاجون
للقوت الضروري فما الحكم؟
شعبان عبد الرحمن الشبيحي

الجواب :

هؤلاء الأقارب إذا كانت نفقتهم واجبة
على من يريد الحج كزوجته وأولاده الصغار
أو الكبار العاجزين عن الكسب أو الأبوين
الفقيرين وليس عنده ما ينفقه عليهم إلا ما يريد
الحج به لا يكون الحج واجباً عليه لأنه غير
مستطيع حينئذ فإذا حج والحالة هذه كان آثماً .

الحج من مال مكتسب من بلد غير إسلامي

السؤال :

لي أم تريد أن تؤدي فريضة الحج هذا العام ،
ولاعاقتي والحمد لله إلا شيء واحد هو مصدر
الأموال المطلوبة للاتفاق على الحج . ومصدرها :
أنني أعمل في ألمانيا الغربية طول اليوم وأكسب
في الحصول على المال بعرق الجبين .

وحيث لم يتم وسلم من ركعتين فصلاته باطلة عند الأئمة الأربعة ، ويجب عليه فعلها ثانياً أداء إن أدرك وقت الصلاة وقضاء إن فاتته .

الحج وعرة الوفاة :

السؤال :

سيدة توفى زوجها بتاريخ ١٩٦٥/٢/٣ وتريد أن تؤدي فريضة الحج مع ابنها هذا العام هل يجوز لها ذلك مع الإحاطة بأنها تبلغ من العمر ٥٩ عاماً ؟ أكبر محمد

الجواب :

يجب على المتوفى عنها زوجها أن تنفي عدة الوفاة في بيت الزوجية التي مات عنها زوجها فيسه ذلك مقدم على أداء فريضة الحج التي يمكنها أن تؤديها في وقت آخر إذا فاته ولا كذلك عدة الوفاة وأيضاً في العدة حق الله تعالى فيجب مراعاته .

هل تجوز الزكاة لهويمة :

السؤال :

هل يجوز إعطاء الزكاة من المال للابن إذا كان منفصلاً في معيشته عن أبيه ومعه سراً ؟ محمد علي سيد أحمد

الجواب :

الابن إذا وجبت نفقته على أبيه بأن كان

الجواب :

يجوز للسائل أن ينيب شخصاً للقيام بالحج ممن توفي سواء أكان أباً أو أخاً .

ويجوز هذا الحج عن ذلك المتوفى وله ثوابه . ويشترط فيمن يقوم بهذا الحج أن يكون حج عن نفسه من قبل .

هل يصح ممن ذهب لأداء فريضة

الحج القصير في الصلوة :

السؤال :

أحد الحجاج بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام في صلاة الظهر وهو مؤتم بالإمام الراتب (المقيم) سلم من وكمتين على أنه مسافر وأن له أن يقصر في الصلاة فما الحكم في صلاته هذه هل هي صحيحة أم غير صحيحة وماذا كان يجب عليه لتصح صلاته على المذاهب الإسلامية الأربعة ؟ دكتور أحمد غلوش القاهري

الجواب :

الشافعية والحنفية والإمام أحمد على أن المسافر إذا اقتدى بالمقيم في جزء من صلاته ركعة أو دونها لزمه الإمام . ومذهب مالك على أنه إن أدرك ركعة فأكثر لزمه الإتمام أو دونها فله القصر .

وعلى ذلك فالمصلي في مسألتنا يلزمه الإتمام عنه الجميع لأنه صلى مع الإمام المقيم ركعتين .

فدلت الآيتان على أن الزكاة في كل ما تخرجه الأرض، خراجية كانت يدفع عليها مال حكومي، أم عشرية لا يدفع عليها مال، قليلاً كانت ما أخرجته الأرض أم كثيراً، قوتا كان كالخنطة والأرز والذرة والبقول، أم فاكهة كالعنب والرمان والتفاح، أم خضراً كالخيار والبطيخ وغيرها.

وقد بينت السنة أن زكاة الزرع هي عشر ما تخرجه الأرض إذا سقيت د بالراحة، أو نصفه إذا سقيت بالآلة، وذلك في قوله عليه السلام: «فيما سقت السماء العشر».

وزكاة الزرع هذه ترتبط بالزراعة لا بالحول، حتى لو زهت الأرض أكثر من مرة في العام الواحد وجب إخراج زكاة الزرع في كل مرة، اتحد الصنف أم اختلف.

والتعميم في زكاة الزرع على هذا الوجه - هو الذي يحقق معنى التكافل الاجتماعي الذي يقصده الإسلام من مشروعية الزكاة، والذي يقضى بعدم استئثار طائفة من الناس بنعم الأرض التي أعدها الله للزرع وامتن بها على جميع عباده.

والرأي المعتمد أن زكاة الأرض على المستأجر الذي يباشر الزرع^(١).

فقيراً وهو صغير أو مريض مرضاً يعممه من الكسب كان غنياً ينفقة أبيه فلا يعطيه حينئذ من الزكاة - أما إن كانت نفقته غير واجبة على أبيه بأن كان بالغاً قادراً على الكسب لكن كسبه لا يسكفيه فهو في هذه الحالة فقير أو مسكين يجوز لأبيه أن يعطيه من الزكاة.

زكاة الأرض المستأجرة:

السؤال:

على من تجب زكاة الأرض المستأجرة على المؤجر أم المستأجر وما مقدارها؟
عبد الفتاح سعد - كفر الدوار

الجواب:

الزكاة حق الزرع وهي نوع من الشكر على نعمة إنبات الزرع، وقد جاء أصل هذه الزكاة في قوله تعالى: «وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهة، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده»^(١)، وفي قوله تعالى: «أنفقوا من طيبات ما كسبتم، وما أخرجنا لكم من الأرض»^(٢).

(١) انظر كتاب للفتاوى لفضيلة الإمام الراحل محمود شلتوت إذ له في هذه المسألة بحث مستفيض.

(١) الآية ١٤١ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٢٤٧ من سورة البقرة.

الكتاب

نقد و تعریف : محمد عبد الله السمره

إيمانه فرعون

للاستاذ محمد محمد عبد اللطيف

من غرائب المصنفات قدم لنا الأديب المحقق الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف (ابن الخطيب) قضية «إيمان فرعون» ، وهي قضية ليست شائكة وحسب ، ولكنها على جانب من الأهمية ، إذ أنها تثير مشكلات فلسفية وعقيدية ولغوية .

يرى الأديب المحقق أنه من المعلوم عقلا وقتلا أن فرعون كان من أئمة الكافرين ، وهكذا اعتقد كما اعتقدت الأمة الإسلامية جمعاء دون أن يشذ عن هذا الإجماع واحد من المفسرين أو من غير المفسرين ، من ينسب إلى العلم أو من لا ينتسب .. ولكنه بينما كان يقرأ في كتاب «فصوص الحكيم» لمحي الدين بن عربي ، إذ به يقول قولاً جازماً بإيمان فرعون إيماناً لازماً ، فاضطر إلى أن يواصل البحث والتعقيب عليه محمد مؤيداً لابن عربي بين السابقين أو معارضاً له ، فشر على رسالة خطية للعلامة جلال الدين

الدواني تقول بما قال به ابن عربي ، وعلى رسالة أخرى للعلامة علي بن سلطان القاري أسماها «فرعون من مدعى إيمان فرعون» ، فرأى أن يسوق هذا البحث .

الرسالة الأولى دفاع عن ابن عربي وتأيد رأيه في إيمان فرعون ، وحجته الآية المشهورة : «حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين» ، وقوله تعالى : «ورحمي وسعت كل شيء» ، ودأبه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون ، «وإن الله يغفر الذنوب جميعاً» ثم أخذ في تأويل الآيات التي تدّين فرعون مثال قوله تعالى : «ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» ، وقوله تعالى عن فرعون : «فأخذه الله نكال الآخرة والأولى» .

أما الرسالة الأخرى : فهي بمثابة تعقيب على الرسالة الأولى لدحض آرائها ، وتوضيح بطلانها بالكتاب والسنة والإجماع ، وأنكرت أن يكون هناك أي خلاف بين علماء

إلى ما ذهب إليه ابن العربي ، فالزخشرى
في تفسيره يذكر أن إيمان فرعون لم يقبل
منه حيث أخطأ وقته ، وقاله حين لم يبق
له اختيار .

كنت أود أن الاستاذ المحقق لم يفته
أن يعرفنا - كما عرفنا بابن العربي - بالعلامتين
صاحبى الرسالتين ، ليقف القارى من واقع
حياتها على منهجها المذهبي ، والمعروف
أن الأول العلامة الدواني مفسح لابن العربي ،
ولد في دوان من بلاد كازرون ، وسكن
شيراز وتوفي بها عام ٩١٨ هـ في فارس حيث
ولى قضاءها ، وله عدة مؤلفات معظمها
مخطوط وعدة رسائل بالفارسية ترجم بعضها
إلى الانجليزية . وأما العلامة القارى فهو
علي بن محمد سلطان المشهور بالملا على القارى ،
فقيه حنفي ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها
عام ١٠١٤ هـ ، وله مؤلفات كثيرة ، منها تفسير
للقرآن ، ورسالة في الرد على ابن العربي
في كتابه الفصوص ولعلها التي نقلها لنا
الأديب المحقق .

دولة الفكرة

للأستاذ فتحى عثمان

ومنذ أيام ظهر كتاب جديد للأستاذ
فتحى عثمان هو عبارة عن بحث مركزى في دولة

المسلمين في تطويق فرعون بالكفر وخلوده
في النار ، كما اعتبر المؤلف كلام ابن عربى
نفسه في كتابه فصوص الحكم مدخولا
مدسوساً عليه ، وتمسك بقوله تعالى :

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ،
ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك
أهتدنا لهم عذابا أليما ، تمسك بهذه الآية
دليلا قاطعا على عدم قبول توبة فرعون . .

هذا وقد أثبت الأديب المحقق ابن الخطيب
الذى بذل مجهوداً مشكوراً في تحقيق النصوص
والتعليق عليها ، أثبت بعد الرسالتين رأى
السيوطى في ابن العربى ، ومؤداه أن لا تقطع
فيه برأى ، وأثبت أيضاً رأى ابن حجر فيه ،
فذكر أن ابن العربى لم يرد لإثبات إيمان
فرعون بدليل ما سبق عنه في الفتوحات ،
وإنما قصد أن الأدلة في كفره ليست
قطعية .

وبعد - فالقضية قضية شائكة كما قلت ،
لكن المعروف أنه لم يشذ عن إجماع علماء
المسلمين في موت فرعون على الكفر
غير ابن العربى إن ثبت عليه ما نسب إليه
في كتابه الفصوص .

وأما تأييد بعض تلامذته لآرائه فلا
يمتد به ، لأنهم على منواله ينسجون ، وحتى
المعتزلة المعروفون بالتفكير الحر لم يذمبوا

العامة وموجهاتها العليا مصدرها الله وبيانها الوحي في الكتاب والسنة ، فهي القانون الأعلى لكل من تقبل عقيدة الإسلام وأقتنع بمنطق الإيمان .

كتب جديدة

مطلع النور

تأليف : عباس محمود العقاد

الناشر : دار العروبة بالقاهرة

يقع الكتاب في مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة مدار البحث فيها على البعثة النبوية ، وما تقدمها من أحوال العالم ، وأحوال جزيرة العرب ، وأحوال الأسرة الهاشمية ، وأحوال أبويه الشريفين .

تناولت الدراسة في الفصل الأول الطوابع والنبوءات وما تضمنته الكتب الدينية السابقة من بشارات برسول الله ، وفي الفصل الثاني مقدمات النبوة ، وفي الفصل الثالث النبوة المحمدية ، وفي الفصل الرابع سيد الأنبياء . وفي الفصل الخامس الإسلام دين الإنسانية ، وفي الفصل السادس الكعبة ، وفي الفصل السابع والآخر أسرة النبي صلوات الله عليه .

الفكرة التي أقامها رسول الإسلام عقب الهجرة هذه الدولة التي يراها المؤلف حلم البشرية ، لا تقوم على حتمية ظروف الأرض أو الدم ، ولكنها تقوم على اختيار الإنسان بوعيه الكامل وإرادته الحرة ، ولقد كانت هذه الدولة التي أقامها رسول الإسلام في المدينة عقب الهجرة تجربة حية مبكرة للدولة الأيديولوجية في التاريخ ، لم تكن دولة مكة أو قريش ، ولا دولة المدينة أو الأوس والخزرج ، بل كانت دولة الإسلام المعروض على عقل كل إنسان .

في هذا البحث عرض المؤلف للبناء القانوني للدولة ، أركانها الثلاثة : الأمة والسيادة والإقليم كما عرض للمكان المعنوي للدولة الإسلامية ، وأنها كانت أرحب في آفاقها من الدم والأرض والسكان والإقليم ، وعرض لأيديولوجية الدولة المسلمة ، وأنها ترفض الولاء التقليدي ، لأنها تقوم على أمة العقل والفكر ، أمة الحجج والدليل ، أمة الحق وحده ، ثم عرض لعالمية الدولة الإسلامية ، وختم البحث بدراسة مستفيضة عن العقد الاجتماعي والتضامن الاجتماعي ، فناقش آراء الفلاسفة الذين أجهدوا عقولهم ليعيّنوا شرعة العدل ، مثل روسو وروباينوف ، وديجي ، ثم عقب بقوله : إن الفلسفة التشريعية للأيديولوجية الإسلامية في مبادئها

أَنْبَاءُ وَأَرْاءُ

حول جمع القرآن وتدوينه :

جاء في مناقشة السيد الدكتور الأماوي للأب الفريد هافنيت قوله : « ولكن هؤلاء العلماء ، وهم من المستشرقين ، لم يشكوا أبدا في القرآن ، لأن تدوينه وحفظه تم في زمان مبكر في عهد عثمان بن عفان ، وروعيته في كتابة المصحف ضمانات شديدة تبعد عنه أى شك ، وتنبأ بالحقيقة أقول :

إن القرآن الكريم كتب ودون جميعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه كان مفرقا في العصب ، واللخاف ، والاكثاف ، والوقاع ، وأنه كان محفوظا جميعه في عهد النبي حفظه عن ظهر قلب العدد الكثير الذين يثبت بهم التواتر المفيد للقطع واليقين ، وهذا أمر استفاض به النقل الصحيح الموثوق به ، فلما توفي النبي ، وحدثت موقعة اليمامة التي استشهد فيها كثير من القراء أشار الفاروق عمر على الخليفة الأول أبى بكر أن يجمع القرآن في صحف مجموعة ، وبعد مناقشة بينهما وافق الصديق على كتابة القرآن في مكان واحد بدل كتابته مفرقا ، وقام بهذا العمل العظيم الصحابي الجليل : زيد بن ثابت

أحد كتاب الوحي الأئمة بين يدي الرسول لجمعه بعد تحر وتوثق بالعين ، وقد حفظت هذه الصحف عند الصديق ، ثم عند عمر ، ثم عند حفصة حتى طلبها منها عثمان في جمع المصاحف في عهده .

فلما كان عهد عثمان واتسعت رقعة الإسلام ، واختلف بعض المسلمين في القراءات كل يزعم أن قراءته خير من قراءة الآخر ، وأى عثمان ورأى معه الصحابة أن يكتب القرآن بحرف واحد وهو حرف - لغة - قريش ، وهو أحد الأحرف السبعة التي نزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم تيسيراً على العرب آتئذ وتسهيلاً ، فندب لهذا العمل الموفق زيد بن ثابت ، ومعه ثلاثة من خيار المسلمين وحفاظهم وهم : عبد الله بن الزبير ، وصعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فكتبوا المصاحف العثمانية من حين ما كتب في الصحف التي جمعت في عهد الصديق مقتصرين على حرف قريش ، ثم ردوا الصحف إلى حفصة ، ثم وجه عثمان إلى كل قطر من الأقطار الإسلامية المشهورة بمصحف ، وأمرهم بالالتزام القراءة على ما فيه ، وأبقى

إلا تحت جنح الظلام... حتى إذا ما انبجج النور
اختفت، وتولت بالحجاب... لأن عينها
الضعيفتين لا تقويان على مواجهة النور ! .

نرى هذه « الحفافيش البشرية »، تعيش بيننا
فسادا... في بيوتنا... وفي دوائر أعمالنا .
تجارتها الوقيعة، وهدفها الوصول بأى ثمن
ولو على أشلاء الأبرياء ! ...

أشد ما يفضيهم، وينخص عليهم حياتهم ،
أن يروا الناس في صفاء... متحابين...
فيكبدون صفوهم بما يروجونه حولهم من
شائعات كاذبة، واتهامات باطلة، يفرقون
بها بين المرء وزوجه... وبين الأخ وأخيه
وبين الابن وأبيه... وبين الصديق وصديقه
حتى إذا ما نجمت خطتهم الدنيئة، طابت
أنفسهم، وقرت أعينهم، وراحوا يبحثون
عن صيد جديد... وما أكثر ضحاياهم؟ ...
ولو أن هؤلاء الذين يعيشون في الظلام
استعانوا بهذا الذكاء الخارق في نواحي الخير
والإصلاح بين الناس، لكان خير آلهم وأقوم
ولكسبوا محبة الناس وعاشوا معهم...
في النور !! ...

ولو أنهم تفقوا هذا الوقت الذي يضيعونه
في تدبير المؤامرات فيما ينفعهم، وتذوقوا
لذة الخير... لما وجدوا أطيّب منها مذاقا ! .
ليتهم يستمعون القول، فيتبعون أحسنه ! .
عيسى متولى

لنفسه مصحفا وهو ما يعرف بالإمام،
وبهذا العمل الموفق قضى على الخلاف،
ووقى الله المسلمين شر الفتنة .

ومن ثم يتبين لنا أن القرآن كله، كان
مكتوباً محفوظاً في عهد النبي، وأن ما
كتب في عهد عثمان هي المصاحف العثمانية
والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد
في الدنيا الذي توفرت له من الضمانات،
والإثبات التاريخي اليقيني ما لم يتوافر لغيره
من الكتب، فقد نقله عن النبي الجمل للغير
من الصحابة، وعنه نقله وحفظه الآلاف
وهكذا تناقله الآلاف عن الآلاف حتى
وصل إلينا كما أنزله الله سبحانه من غير
زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا تبديل
مصدقا لقول الحق تبارك وتعالى: « إنا نحن
نزائنا الذكر وإنا له لحافظون، وعسى أن
تكون لي عودة لتجلية هذا الموضوع الجليل
إن شاء الله تعالى؟

د. محمد محمد أبو شهبه

الذين يمشونه في الظلم...

لأنهم طائفة من الناس، لا يستطيعون
العيش إلا في الظلام...

في ظلام الريب والظنون... وتدبير
المؤامرات ضد الأمنين... وضد الناجحين.
مثلهم كمثل الحفافيش، التي لا تخرج

في محيط العالم الإسلامي

يقدمه : محمد عبد الله السمان

المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضا ،
وأن المسلمين يجب أن يكونوا يداً واحدة
على من سواهم ...

ولذا كانت الشعوب المسلمة قد نسيت ،
فأن علماء الدين ، وهم من الكثيرة بمكان ؟
يصيحون دائماً في الشعوب ليؤظفوا فيها
إحساساتها ، ويحركوا مشاعرنا نحو قضية
فلسطين العربية المسلمة .

هذه ألمانيا الغربية تتعدى أربعمئة
مليون مسلم أو يزيدون ، وكأننا حق على
هؤلاء الأربعمئة مليون ؟ ل الله عز وجل :
« وتحسبهم أبقاظا ، وهم وقود ، صدق
الله العظيم .

أخبار قصيرة :

« صدق الحاكم العام في غزة على قانون التجنيد
الإجباري ، بعد أن أقره المجلس التشريعي
الفالسطيني ، وأصبح بذلك نافذ المفعول .
« أصدر الرئيس الجزائري : أحمد بن بيللا
أمراً بالعفو عن عدد من المصجونين
السياسيين أثناء زيارته لسجن ناربوروس ،
بمناسبة المؤتمر الذي عقدته منظمة المجاهدين

لماذا العرب وعمرهم ؟

ليست قضية فلسطين عربية محضة لأنها
قطعة من أرض العرب ، فالحقيقة التي
لا جدال فيها ، إن فلسطين أيضاً بلد إسلامي
لما ودما ، فيها ثالث الحرمين ، وأرضها
مهيطة هديد من الأنبياء والرسل - صلوات
الله عليهم .

ولذا كانت الشعوب العربية قد عقدت
العزم على أن تنصير لقضية فلسطين ، وأن
تمحو الوصمة التي أصدقتها الصهيونية الآثمة
بجبيها منذ سبعة عشر عاماً . فسترد الأرض
السليبة ، وتستعيد كيان أكثر من مليون
لاجئ ، فليس معنى هذا إهفاء الشعوب
المسلمة قاطبة من واجب المشاركة في الجهاد
من أجل فلسطين ، فليس المجال يحل فرض
كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ،
ولنما هو فرض عين ، مادام هدوانا
ما قد وقع على أرض إسلامية كما يقول فهم أو نا .
لماذا أسهم يهود العالم جميعاً في وجود
إسرائيل ، ولم يزلوا يسهمون ، ويتقاعد
المسلمون من لصرة إخوانهم في العقيدة ؟
أنسى المسلمون أن المؤمنين إخوة ، وأن

خلال جولته في غرب الجزائر بأن : رسالة الثورة الجزائرية عربية إسلامية منبثقة من صميم واقع بلادنا .

* بلغت المساعدات الاقتصادية الأمريكية لباكستان في العام الماضي أكثر من ٤٠٠ مليون دولار، ومن الجدير بالذكر أن الصين الشعبية قدمت لباكستان، قرضا قدره ستون مليون دولار، وأن الاتحاد السوفيتي أعلن استعداداه أيضا لتقديم قرض قيمته سبعون مليون دولار .

* حث فرع منظمة الملايو الوطنية الحاكمة في أراو بشمال الملايو حكومة ماليزيا على سحب اعترافها بإسرائيل .

* زار القاهرة وفد السلام الياباني بعد زيارته للقدس ، يضم الوفد عشرين عضوا برأسهم حميد جامعة ريكيو اليابانيه ، وذلك ضمن جولة إلى بلاد الشرق الأوسط لغرض منها الدعوة إلى السلام في العالم ، ومناقشة المسائل الدينية ، قابل الوفد الامام الأكبر شيخ الأزهر ، والشيخ المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر ، الذي أوضح للوند مبادئ الإسلام ، ودورها في تدهيم السلام ودور وزارة الأوقاف في نشر المعرفة والدين والتطور الذي تم في جامعة الأزهر .

محمد عبد الله السمان

القدياء والأحياء ذكرى المعتقلين السياسيين الذين توفوا في السجن أثناء ثورة الجزائر .

* تدرس وزارة الأوقاف بالقاهرة مشروع اساهمة في إنشاء الجامعة الإسلامية الجديدة في الباكستان . جامعة تعليمات إسلامية ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الجامعة سيدرس فيها العلوم الإسلامية والعربية باللغة العربية .

* أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة تعيد النظر الآن في جميع علاقاتها بأندونيسيا ، وذلك بعد إغلاق جميع مكاتب الإعلام الأمريكية في أندونيسيا .

* أصدر المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في مقدسيو عاصمة الصومال قرارات تقضى بإنشاء هيئة استشارية للشئون الدينية الخاصة بالمسلمين الأفريقيين ، وبقامة معهد لتدريب رجال الهيئات الإسلامية ، وإنشاء سوق مشتركة بين الدول الإسلامية في آسيا وإفريقيا .

* وكذلك أصدر المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في جاكرتا عاصمة أندونيسيا بيانا دعا فيه الشعوب الإسلامية إلى التضامن في الكفاح ضد الاستعمار بشكليه : القديم والجديد ، وندد البيان بالأعمال الإمبرامية التي يباشرها الاستعمار في الجنوب العربي وعمان وفي انجولا وموزبيق ، وقرر المؤتمر تشكيل سكرتارية دائمة للمؤتمر يكون مقرها في أندونيسيا .

* صرح الرئيس الجزائري أحمد بن بيل

News From The Muslim World

By : Muhammad Abdullah El - Samman

* The Secretary general of the Islamic Researches Academy of AL-Azhar has extended the invitations to fourty (40) countries and a number of important personalities from all over the world, to attend the Second conference of muslim Scholars, to be Commenced in Cairo from the middle of May 1965. It is understood that the muslim Scholars will hold a Special Session of the Conference in Gaza Strip to discuss the Palestine problem. A large number of Palestinian Scholars and leaders, and the members of Palestine Liberation Organisation, will attend the Session.

* Just a few months ago an Islamic Conference was held in the capital of Somalia. The Conference has recommended in a resolution, to form an advisory body to look after the religious affairs of the African muslims. It also recommended to establish a training centre for muslim Scholars.

* The Faculty of Islamic law of the Al-Azhar University has started an institute of higher Studies, in the premises of the ancient Al-Azhar Mosque. It will facilitate to teach Islamic studies and Arabic literature for the foreign Students and the

obtainers of Al - Azhar Secondary certificates or its equivalent. After the completion of four year course, they will be given a certificate equivalent to the Al-Alamia degree.

* The grand Sheikh of AL-Azhar, H. E. Hassan Al-Mamoon presided a meeting of the Scholars of Islamic Jurisprudence. the meeting discussed the possibility of preparing an encyclopedia of the legal Schools of the muslim jurisprudence and to translate it into living languages; to bring nearer the different Schools of Islamic faith and provided the non-muslims with the heritage of Islamic jurisprudence and thought.

* keeping in view the historical importance of the city of Jerusalem, the Jordanian parliament has passed a bill, banning the possession of land or building in that city by foreign or Jordanian Companies and religious Societies.

* It is reported that Japan will undertake a project to build a railway line between Nigeria and Sudan to Connect the Lagos City (in the Nigeria) with port Sudan. The project will cost £ 30 million. This link will help the muslim pilgrims coming from west Africa.

Sheikh Al-Azhar Answers

H. E. Sheikh Hassan Mamoun, the grand Sheikh of Al-Azhar, received on March 21st. Mr. IB REHNE of the Danish State Radio. He asked his Eminence four questions about Islam and the message of Al-Azhar.

Q- Al-Azhar is regarded as the spiritual centre of Islamic world. Is it still so ?

A- Al-Azhar was, and is still and will be, the spiritual centre of the Islamic world for it devotes its message to the education and the preservation of Islamic heritage as prescribed in the holy Quran and the Sunna both of which are the chief source and foundations of Islamic legislation. Since the establishment of Al-Azhar up to the present day, it has undertaken the preaching of the Islamic call through out the world. Also it is the theological stronghold of Islam to which Muslims from every part of the world come to study Islamic faith and return to their countries to be the messengers of Islam.

Q- Does Al-Azhar play, a political role in the Middle East ?

A- The U.A.R. Policy in the Middle East is founded on positive neutrality and Non-alignment and the liberation and unity of the Arab and Muslim people. Besides; Al-Azhar teaches these principles to the sons of the Middle Eastern countries and others. In all this Al-Azhar conforms to the teachings of Islam and the funda-

mental principles which are enjoined by the Quran and prescribed by the Sunna on condition that they are not opposed to the spirit of the legislation stated by God.

Q- To what extent does Islam correspond with modern Arab Socialism ?

A- Arab-socialism is represented in sufficiency and justice, which are the two main aims of the Islamic faith.

Q- Does the government ask the opinion of Al-Azhar before issuing a new Socialist law ?

A- Socialist laws issued by the government aim at granting the interests of both the individual and society, at the prevailing of justice, at the eliminating of class differences and at the establishing of equality of rights and duties among the citizens. Al-Azhar approves these principles for Islam approves and promulgates them. & Al-Azhar does not hesitate to co-operate with the Government in issuing any Islamic Legislation that aims at the common Good so long as it is not contradicted to any statement in the Quran and the Sunna.

Translated By :

FATHY HAMMAD

Member of the office of Sheikh Al-Azhar

The Qur'an says :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٥٩ / ٧) .

And whatsoever the messenger giveth you, take it and whatsoever he forbiddeth, abstain (from it). (7/59)

It also says :

« وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى »
(٥٣ / ٤ ، ٣)

« Nor doth he speak of (his own) desire. It is not save an inspiration that is inspired. »

The prophet also very often emphasised the importance of tradition as a guide for his followers. He was happy at the reply of Mu'ath ben Jabal who said to him when he was appointed as an official in Yeman that he would follow his prophet's tradition if he failed to find guidance in the Qur'an.

Almost all the companions, however decided the cases with which they had to deal, on the basis of the traditions, of the prophet, if they failed to find any guidance in the Qur'an, and followed their opinions only when they could not find any tradition on the subject, but as soon as they came to know

of it, they changed their decisions if necessary and followed the tradition :

There are three kinds of traditions :

1) It may be a saying of the prophet which has a bearing on a religious.

2) It may be an action or practice of his.

3) or it may be his silent approval of the action or practice of some person.

There is an important notice in this connection that the idea at prophethood in Islam is very different from that in christianity and some other religions, as it has explained in the Qur'an at many places. In Islam the prophet is neither a God nor an angel nor a demi - god - He is a human being like other human beings, having the same needs and requirements as they have. The important difference between the prophet and other human beings is that he is gifted with a special capacity to receive inspiration from God, and possesses great keeping related to all that, self control, self confidence and great capacity for influencing the thoughts and activities of people at large, and leading them to the right path.

Tradition is the Second Source of Islamic Law

By

IBRAHIM M. EL - ASSIL
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY

The Qur'an is the first source of Islamic Law. It is considered the eternal miracle of Islam and has been revealed in parts at different times during a period of twenty three years, as necessity demanded it. The Qur'an is comparatively short, so it contains the general principles by which all matters as dogmatic, ritual legal political and social questions should be regulated.

It is therefore essential to interpret and elaborate the relevant texts.

The natural, and indeed the only possible interpreter whose judgement can be trusted is the prophet through whom they were revealed; According to the Qur'an itself this prophet was possessed not only the Qur'an but also the wisdom. Allah says :

« وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ، (٤ / ١ : ٣)

« Allah revealeth unto thee the scripture and wisdom and teacheth thee that which thou knewest not » (113 / 4)

In addition to these important sources of Islamic Law there are the other two sources, analogy

(qiyās) and consensus (Ijmaà) when a new problem, which is not covered by a clear statement in Qur'an or tradition arises, the jurists look for a case resembling it in the Qur'an or in the tradition, and by reasoning on the basis of analogy, arrive at a decision, that process called analogy and it is counted as the third source of Islamic Law.

The well-known learned men of Islamic Law, in looking for a solve to a new problem, may gather together and consult and if they agreed upon one opinion (by a majority, this process represents the fourth source of Islamic Law «Consensus of opinion) "Ijama".»

That is about the four sources of Islamic Law in general but in the following I shall confine my saying to the second source "tradition" Hadith.

The importance of tradition as an important source of Islamic Law has been laid down in the Qur'an, emphasised by the Prophet, recognized by his successors, and accepted by all the Muslim jurists.

In this way Islam achieves equality, fraternity, and sympathy amongst the individuals of the society. It does not open its breast to grudge between the members of the society, and sinks all differences to the bottom.

God has Said in his Holy book "the Qur'an" the great story of Korah whom God had bestowed richness on him, but he declared that nobody had a right in his money, and thought that he had gain it with his own efforts, and thus no body had a right to take anything from him. In the end he faced damage and was smashed.

Korah was of Moses folk but he oppressed, and behaved haughtily towards them, for God had given him such treasure that its keys would have burdened a company of men of strength, when his people said to him "exult not, for God loves not those who exult, but seek the future mansion, and neglect not your part in this world, but be bounteous to others as God has been bounteous to you, and seek not to commit excesses on the earth, for God loves not those who commit excesses. He said : It has been given me only on account of the knowledge that is in me.

Did he not know that God had destroyed before him generations

they were mightier than he in strength and has amassed more abundant wealth ? But the wicked shall not be asked of their crimes.

God imposed with the same intention to eliminate class disparities between the rich and the poor, the Zakat of the lesser bairam. God considers it a duty which complete the obligation of fast.

In this way God enables the rich to lend a hand to the poor, and leads to them a happy life, filled with felicity, and free from misery.

Thus good temper oils the wheels of life, and no hatred is born in the hearts of the poor towards the rich, and no reproaches are heaped or borne on the back of the latter. This due makes the rich friends indeed to those who are in need.

Some people do not find the opportunity to eat their fill except on the days of greater bairam.

On the day of Ashouraa alms are given to poor on occasion of these blessing days and auspicious nights

Thus Islam undertakes the rights of the poor, and grasps reciprocal responsibility to achieve justly social security amongst the people.

condition is to reach a certain limit which is considered the law portion to richness. The Muslim jurisprudents considered the wealth which is below this partition exonerated from this due.

Muhammad, the messenger says "Aim is imposed on the back of the rich".

It is paid provided that it is growing wealth in order one may pay it through one's wins. In this case his capital does not decrease. This condition is not imposed only on increasing money but also on money liable to increase and prepared to grow.

One who keeps his money in the bank, and does not fructify his wealth, and invest his money in any project must pay this due because his money is capable of being increased, but its owner declines to make use of it.

The condition which should be fulfilled to have growing money is to reach a certain portion as it was mentioned, but it should pass one year in order to wipe out any suspect of being not increased.

It must be the remainder after its owner has been satisfied, because if one is in need of money to spend on himself or on his family, or to

pay his debts one is not in any respect a rich man. Thus this one must not pay the poor due. If One is compelled to pay this due it will be taken in this case without One's free will, but forcibly.

God says in the holy Qur'an : "And they ask thee what they ought to spend, say that which is superfluous. Thus Allah maketh plain to you. His revelations that haply ye may reflect "Surah II. 219.

God wished moderation in what is paid to the poor in order to allow the poor to feel justice, and to enable the Rich to pay this due with satisfaction. One should pay two and a half percent of One's money, whether it is from gold or silver, or banknotes, or the costs of commercial goods. Four per cent of the harvests of the fields which owner irrigate them should be paid as a duty. In every twenty Ardels (unity of capacity) of cow, or barley, or rice which exceed the need of their owner, he should give half ardeb to the poor and needy.

The owner of the sheep, the cows, and the camels which pasture and graze nearly in all the year should pay a certain duty mentioned in the Islamic law.

One pound should be paid as zakat on every fourty pounds which one owns above One's necessity.

Lo ! Thy prayer is an assuagement for them. Allah is Hearer, knower.

God also says "Worship none save Allah (only) and be good to parents, and to kindred, and to orphans, and the needy, and speak kindly to mankind, and establish worship, and pay the poor due".

Thus Zakat is one of the pillars of Islam which fills the gap between the rich and the poor, and abolish loathsomeness, and hatred towards the former class.

No wonder Muhammad the messenger says "Islam is established on five pillars: the witness that there is no God save Allah, and Muhammad is the messenger of God, to establish worship, and to pay Zakat, or the poor due, to keep fast, and to visit the holy land, and go on pilgrimage to those who are capable to pay this visit.

A man from the tribe of Tamim came to Muhammad and said "Oh Messenger: I have much money, and numerous relatives, and I own a great city. Tell me, then, what can I do, and how do I spend my wealth ? The messenger addressed him : You pay the poor due "Zakat" from your money because it purifies it, intimate relations with your relatives, know the right of the indigent, your neighbour, and the medicant.

Thus Zakat is a part from the money, or the wealth of the rich which God has enacted. It is paid in eight respects which God has nominated. The alms are only for the poor, and the needy, and those who collect them, and those whose hearts are to be reconciled, and to free captives, and the debtors, and for the cause of Allah, and for the wayfarer. It is a duty imposed by Allah.

A special portion of Alms was allotted to the people of Mecca, the former enemies of Islam, who were converted en mass after the capture of the city and whose hearts are reconciled.

The alms should be given to those who are absolute paupers, those who are in some temporary distress. This due is not only an ordinance from God but also a remedy for the shattered hearts, and stillness for the puzzled souls.

When God has imposed this due he has kept in view justice in the money of the rich, and mercy on the poor. God acts to fit the intrests of the rich to the sustain of the poor, and complies with the principle of economy in spending money, and paying heed to the conditions which should be fulfilled in every just tax.

The legislator has put a condition to impose the poor due. This

Social Security in ISLAM

By : Dr. GAMAL ELDIN ELRAMADI

Amongst the Islamic principles which Islam has imposed on the Muslims to achieve social security is to urge every capable man to work and not to remain idle because idleness seems as weeds which grow apace in the heart of the unemployed. It brings mischievous thoughts, and arouses revenge towards those who can gain easily their livings and pick up the threads of a happy life.

Islam appeals to make co-operation amongst the individuals of the society. This co-operation is a protective shield against seperation and crack. It avoids the arrival of disasters, the spread of misery, indigence, and penury.

Islam has prescribed some ways to cure these maladies, and wipe out these ailments, and thus rescue the Islamic society from the perils which threaten it and lead it to damage.

The ways which Islam has surveyed to abolish these pests and nuisances open the gates to sustain the poor, and miserable.

God does not consider this help a sort of contribution or alms but a

legal right which should be paid to them. Not only God does not confine this right to the wealth of the rich but also God particularizes a special part for the poor in the revenue of the state.

We are going to explain briefly what Islam has done to combat poverty, deal with the poor benevolently, and beneficently, and we will notice clearly that Islam is without misgiving, and doubt the religion of mercy, godliness, and sympathy. If the Muslims stick to their religion, and execute its orders, they will be exceedingly happy and will abolish misery, and solve the problems of poverty.

At first, Islam has enjoined Zakat, or the poor due which is one of the pillars of Islam. God says "But if they repent and establish worship, and pay the poor-due, then they are your brethren in religion. We detail our revelations for a people who have knowledge" (Surah the Repentance IX. II.) God says also "Take alms of their wealth where-with thou mayst purify them and mayst make them grow, and pray for them"

when he was about to die. He said in his last minutes : "Keep up the Prayer. Keep up the Prayer..."

Observing the Prayer is so important in Islam that it is required to be performed in all cases : staying and travelling, in security and in case of danger. God, the Almighty; says : (Guard the Prayers and the Most Excellent Prayer, and, stand up truly obedient to God. But if you are in danger, say your Prayers on foot or on horseback. And when you are secure, remember God as He has taught you what you Knew not.)

He, the Almighty, spoke in the most threatening language about those who neglect the Prayers, in such as these Verses :

(But there came after them an evil generation, who wasted prayers and followed bad desires, so they will meet perdition).

"So woe to the praying ones, who are unmindful of their prayer".

It is reported through Abdullah ibn Amr ibn al-As that the Prophet said : "Whoever Keeps up the Prayer, it will for him a light, an evidence of security, and a cause safety in the Day of judgment. And whoever wastes the Prayer, it will not be a light for him, an evidence of security, of a cause of samety

in the Day of Judgment. Such as this will be gathered among Qarun, Pharaoh, Haman, and Obayy ibn Khalaf." The great scholar Ib Al-Qayyim commented on this saying of the Prophet in this way : "That who wastes the Prayer is either occupied too much by his money, his Kingdom, his high office, or his trade. The first will be among the company of Quran, the second among the company of Pharaoh, the third among the company of Haman, and the last among the company of Obuyy ibn Khalaf."

QUESTION

Did Islam lay special conditions in the performance of the Prayers ?

ANSWER

There are some conditions that should be realized before the performance of any Prayer, such as cleanliness of clothes, body, and place covering the private parts of the body and facing the direction of Kaaba in Mecca. There are some other immaterial conditions that are required to be realized during the performance of the Prayer, the most important as which is humility. The Prayer is not were words and movements like the quick movements of birds and animals. The accepted Prayer is the one that is performed in meditation, humility, and fear of God.

QUESTION

If prayer was common in all divine religions, what, then, is the difference between prayer in Islam and in other religions ?

ANSWER

Prayer in Islam is a perfect and organized institution. It is not mere words of appeal and call to God. It is rather both action and speech fulfilled by meditation, heart, tongue and whole body. Islam laid out some conditions in order that the Prayer be valid, that is, cleanliness, well dressing, and facing the direction of Ka'aba in Mecca. Prayer should be performed in definite times, and each prayer of a given time has special sequence. Some times the Prayer may be performed individually or with the congregation, and some times it should be performed with the congregation. It is called out for in a special manner and special words. Therefore, the Prayer of Islam has no parallel in any other religion.

Prayer in Islam includes all physical kinds of respect and veneration, such as raising hands, standing, bowing down, prostration, and appeal. People usually resort to one kind or another of these symbols of respect when they meet important personalities. But the Prayer included all known kinds of respect in

successive actions, in gratitude to the Creator, and in adoration to His Mighty Presence. Thus, Prayer begins by the declaration "Allahu Akbar" that is, God is the Greatest, accompanied by raising hands to the sides of the face, as a sign of respect. The praying one, then, stands reading "Al-Fatiha" which is known as "the Mother of the Qur'an", then he bows, and prostrates to the ground twice saying in all these movements "Allahu Akbar". The prostration in the Prayer indicates that people should venerate their Lord, Who is the Sole King and Creator, in a manner that is not allowed to be done to other than Him.

QUESTION

How important is the Prayer in relation to other kinds of worship in Islam ?

ANSWER

Prayer occupies the most important position in the Religion. The Prophet said : "The foundation of every matter is Islam; the pillar of Islam is Prayer; and the crowning end of it is the Jihad or strife in the cause of God." The Prayer is the first thing one is questioned about in the Day of judgment according to the Prophet in one of his sayings. The Prayer was commanded by the Prophet even

God, the Almighty says to Abraham and Ismail, : (Purify My House for those who visit it and those who abide in it for devotion and those who bow down and those who prostrate themselves).

The Angels called out Mary, the mother of Jesus (peace be upon him), saying in this Qur'anic Verse :

O Mary, surely God has chosen you above the women of the world. O Mary, be obedient to your Lord and humble yourself and bow down with those who bow ”.

Jesus (peace be upon him) spoke about the favours of God on him and said, according to the Qur'an :

And He has made me blessed wherever I may be, and He has enjoined on me prayer and poor-rate so long as I live.

God praises Ismail in this Verse :

(And he enjoined on his people prayer and almsgiving, and was one in whom his Lord was well pleased).

In his advise to his son, Luqman said in these Qur'anic words :

(O my son keep up prayer and enjoin good and forbid evil, and bear patiently that which befalls you.

Surely this is an affair of great resolution).

When God made a covenant with the Children of Israel, He made prayer one of the most important obligations in that covenant. The Almighty says :

“ And when we made a covenant with the Children of Israel : You shall serve none but God. And do good to your parents, and to the near of kin and to orphans and the needy, and speak good words to all men, and keep up prayer and pay the poor-rate . . . ”

And :

(And certainly God made a covenant with the Children of Israel, and We raised among them twelve princes. And God said : Surely I am with you. If you keep up prayer and pay the poor-rate and believe in My messengers and assist them and offer to God a goodly gift, I will certainly cover your evil deeds, and cause you to enter Paradise wherien rivers flow. But whoever among you disbelieves after that, he indeed strays from the right way).

From all these texts, it is evident that prayer is an old worship called for by all Prophets and all divine religions, and it was not an exclusive to Islam.

PILLARS OF ISLAM

(1)

By : Abdul Wadood Shalaby

What is the first worship obligated in Islam ?

Prayer is the first worship obligated in Islam. It was made obligatory before Hijra by about three years. The way it was made obligatory shows how important is it in the eyes of God. Prayer was legislated exclusively in heaven during the Night of Ascension "Isra'" by a direct order from God to His servant Muhammad.

It is a known fact that governments call out their ambassadors for consultation in important matters where correspondence is not sufficient. Muhammad is the Messenger of God to His service. Being called by his Lord to ascend to the high heavens to give him the order about Prayer is a great evidence of its importance. The Prophet said in his Tradition of Ascension :

"God, the Almighty, made obligatory on my people fifty prayers. I returned carrying this divine order and I passed by Moses (peace be upon him) when he said : What has God made obligatory on your people ? I said : Fifty prayers.

Moses said : Go and consult your Lord, Exalted be He, for your people could not bear it. I returned to my Lord, and He put off some of the prayers. Then I went back and told Moses who said again : Go and consult your Lord, for your people could not bear it. When I returned to my Lord, He said : They "the Prayers" are five "in number" and fifty "in reward". No change there will be to My order. When I went back to Moses and he asked me to consult my Lord again I said : I am ashamed of my Lord, Exalted be He".

QUESTION

Is Prayer an exclusive worship of Islam, or it was also practiced in other divine religions ?

Prayer is one of the oldest kinds of worship in all religions. When Abraham (peace be upon him) migrated with his family to the barren valley of Mecca, he said what is reported in the Holy Qur'an :

"Our Lord, that they may keep up prayer ; so make the hearts of some people yearn towards them, and provide them with fruits ; so that they may be grateful".

mercy and prosperity, He is the owner of life and death.

This belief creates in soul of man courage and bravery, because he will have no fear of any power and will not be subject to any one but the cherisher of the worlds. Also this belief creates in him humility, for he knows that there is no power and distinction except from God. He can not feel pride over others because he realizes that there is no distinction between man and man except through good actions.

This faith also creates in him will of power for he is not dismayed by misfortune nor despair. He knows that the power of God is above all the powers. Those who believe in the supreme authority of God will be free from greed, envy, and he will follow the way of truth in his all actions because he is sure that his creator knows every thing. He is nearer to him than himself. The prophet Muhammad commanded :

« اعبد ربك كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك .

(Serve your God as if you see him, if you see him not he sees you)
The belief in the existence of God and His oneness obliges one to act according His Laws and orders and he will hasten to do good Services and actions, for the benefit of all human kind.

The belief in the Day of Judgment is another vital force that incites man to elevation in this life.

It is a basic principle of Islamic faith. This Day is the end toward which every one will be returned. The holly Quran says :

« وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى . »
(النجم : ٣٩ - ٤٢)

(And that man can have nothing but what he strives for. And that his striving will be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward. And that to your Lord is the Goal.

The Holy Quran States that the life of everyone, with its reward or punishment, abiding in paradise or Hell, depend upon the course of his life in this world. The Almighty Allah Says :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . »
(الزلزلة - ٧ ، ٨)

(So he who does an atom's weight of good will see it; And he who does an atom's weight of evil will see it).

« فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى . » (الانزعات ٣٧ ، ٤١)

(Then as for him who is inordinate, and prefers the life of this world; Hell is Surely the abode. And as for him who fears to stand before his Lord and restrains him self from lust the Paradise is surely abode).

The Effects of the Belief in the Oneness of God

By : A. M. MOHLADDIN ALWAYE

The first basic principle of Islam is faith. The basis of Islamic faith is to believe in the existence of God and his oneness. This faith is realized by the first sentence of "shahada" of the witness : **لا إله إلا الله** (there is no god But Allah.) The belief in the oneness of God is the key of Islamic faith. The Holy Quran Says:—

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد . »

(Say : He is Allah, the one ! Allah, the eternal, the absolute, He begets not, nor was begotten. And there is nonelike Him.) He is the creator of this universe. And there is no creator but He, no partner to Him. He is the onlyone who is distinguished by worship and he is the sole cherisher of human kind.

Nobody is asked for help or mercy save him. His mighty being is beyond limited human comprehension. He is the All Kind, All Knowing, He Knows all things both secret and open. He is Merciful and Beneficent, He is the Source of peace and safety. Quran describes attributes of Almighty, Allah, in this verse :

الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم . له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء . وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .

(Allah ! There is no god but He, The ever-living the self subsistent by whom all subsist. Slumber overtakes Him not, nor sleep. To Him belongs what ever is in the heavens and what ever is in the earth. Who is he that can intercede with Him but by His permission? He Knows what is before them and what is behind them. And they encompass nothing of his Knowledge except what he pleases. His Knowledge extends over the heavens and the earth and the preservation of them both tires Him Not. And he is the Most High, the Great).

The believer in the oneness of God will have no fear from anybody and he will not submit him self to any thing but the Real Lord of this Universe. One who believes that there is no god But Allah is, undoubtedly, Knows that there is no harm and benefit except through Him, All authority and power are only to Him. He is the granter of

then granted its guidance.) The same turth is more fully stated elsewhere in the Qur'an as :

« سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى . »

(Praise the name of thy Lord the Most High, who hath created and then given order and proportion, who hath fixed a measure for every being and then granted it guidance).

It is this divine attribute of Cherisher and Sustainer of the Universe upon which much of the argument of the Quran is based, and it may be well, before proceeding further to state that argument briefly.

The first principle of the Quran's argument is an invitation to the intellect to understand and reflect. Over and over again it impress upon the reader that the only path to Truth lies through intellect and reason. Man must try to understand and reflect upon everything he feels or preceives with in himself and out side.

« وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون . »

(For those of firm faith, there are Signs (i.e. Signposts of Truth) (enough) on earth and also within yourselves. Will you not see?).

وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون .

(How many are the Signs on earth and in the heavens which they (carelessly) pass by and from which they turn away (their faces).

If man will but make use of his intellect and reflect on the created Universe, the very first truth that will down upou his realisation will be the fundamental and universal law and discipline and part of an ordered System; there is nothing without good reason or a beneficent ultimate purpose. Were it otherwise, there would not have been this universal discipline and order which so carefully, to the minutest detail, holds together everything in the universe in a single integrated whole.

« خلق الله السموات والأرض بالحق ، إن فى ذلك لآية للمؤمنين . »

(God has created the heavens and the earth with good purpose. Verily, in this there is a sign for those who believe.)

« ولكن أكثرهم لا يعلمون . »

(and: Yet most of them do not know it)⁽¹⁾.

(1) The Quintessence of Islam.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

DHU'LQA'DAH
1384

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

MARCH
1965

THE QUR'ANIC CONCEPTION OF GOD-III

BY : MOULANA ABUL KALAM AZAD

The next stage of divine guidance is that through the faculties of sense, perception and mental understanding. Beings lower than man lack intellect and reason, but they possess the powers of senses and understanding in the fullest measure necessary for all the functions relating to selfpreservation and reproduction. These powers, it is also to be noted, are not the same kind or degree for all beings, to each is given exactly that power and in that measure which would enable it to live in the environment or that particular state in which taqdir has placed it. The ant is given a relatively stronger sense of smell; the eagle has relatively stronger sight. It would be irrelevant to examine whether these different faculties of animals and insects were so from

the first, whatever that might mean, or whether they developed to meet the requirements of the situation. what is to be noted is that these faculties could not have been so developed by any human or other earthly agency; they are Naturegiven, and Nature has prescribed the laws of existence, adjustment, growth and development which are unalterable.

Thus it is that, after naming Allah, the first divine attribute that this sura directs our attention to is that of Rabbil Alameen, the lord who cherishes, nourishes and sustains everything and guides it to its fulfilment. It was this attribute to which Moses referred when he said:

«قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى»

(Our Lord is he who has given everything its form and nature and

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٤٠ في المبرور العربية نسخة
٥٠ ضائع المبرورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

بصيرة عن شيخنا الأزهري في أول كل شهر جمادى الأولى

الجزء العاشر - السنة السادسة والثلاثون - ذي الحجة سنة ١٣٨٤ هـ - أبريل ١٩٦٥ م

لِسَمَاءِ الْمَرْيُومِ

أثر الأدب في ثورة العرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

- ٢ -

كان العرب في القرن الرابع للهجرة قد بلغوا من السلطان والعمران ما لم تبلغه من قبلهم أمة ، كانت لهم في عصر واحد ثلاث خلاقات تشع الحرارة والنور في القارات الثلاث : خلافة العباسيين ذات العلم الأسود ببغداد في آسيا ، وخلافة الفاطميين ذات العلم الأبيض بالقاهرة في إفريقيا ، وخلافة الأمويين ذات العلم الأخضر بقرطبة في أوروبا ، وكان العالم القديم كله من شرقه إلى غربه يعيش في ظلال هذا الملك العظيم خاضعا للسرير الحاكين خضوع الجيش للقائد أو القافة للدليل ،

قلت في المقال "سابق : إن الأمة العربية في تاريخها الطويل الحفيل لم يكن لها غير نهضتين : نهضة في القرن السادس كانت بالدين انطلاقا من الجهل ، ونهضة في القرن العشرين كانت بالعلم انبعاثا من الموت ، وكان الأدب في كلتا النهضتين كما قررنا هو الباعث الأول كان في الأولى ومضة المنارة التي تذهب الضلّ ، وكان في الأخرى نفخة الصور التي تسبق البعث ، فكيف كان العرب بعد أن تقدموا وقدموا الدنيا ، وكيف صاروا بعد أن تأخروا وأخروا الدين ؟ .

الآداب تهيب في خفوت وحذر بالراقدين أن
يمبوا ، وبالقاعدين أن ينهضوا ، وسمع الناس
أول ماسمعوها صرخات العرب المسيحيين لسوء
سياسة الترك فيهم ، وقسوة الحكام عليهم ،
كفتح الله مراش ، ورزق الله حسون ،
وأديب الله ، وإبراهيم اليازجي صاحب
البائية المشهورة التي نظمها في سنة ١٨٩٦ م
ومطلعها :

تفجروا واستفيقوا أيها العرب
فقد طوى السيل حتى غاصت الركب
كم تظلمون ولستم تشككون وكم
تستغضبون ولا يبدو لكم غضب
الستم من سطوا في الأرض واقتمحوا
شرقا وغربا وعزوا أينما ذهبوا
فما لكم وبكم أصبحتم هملا
ووجه عزكم بالهون منتقب
لا دولة لكم يشهد أزركم
بها ولا ناصر للخطب ينتدب
أفادوكم في عيون الترك نازلة
وحقكم بين أيدي الترك مختصب
والقصيدة كلها على هذا النسق من استنهاض
الذين لم لاسترجاع المجد المذهب ،
واسترداد الحق المنصوب وهي مثل لما كانت
تنشره الصحف وترويه المجالس في مهاجر
الأحرار بمصر وأوربا وأمريكا ، وكانت
هذه الصيحات المذكورة المنذرة تجد تشجيما

فلما أخلد العرب إلى الترف ، وفقدوا
بالانقسام والخصام والترف قوة الاتحاد ،
وقوة السلطان ، وقوة الدين ، وقوة العلم ،
أصبحت ديارهم وآثارهم نهبا مقسما بين المغول
والترك والفرس والجركس والأسبان .

وفعل التتار في العراق ، والصليبيون
في الشام ، والفرننج في الأندلس ، ما تفعله
الزلازل والبراكين بالعمران المزهدر . ثم
انحصر العالم العربي في أواخر القرن الثامن
عشر لليلا في العراق وسورية وبلاد العرب
ومصر والسودان والمغرب ، وآل السلطان
والحكم فيه إلى الدولة العثمانية سنة ١٥١٦ م
فحكته بالعسف ، القهر ، وأذلت بالجهل
والفقر ، وفرفت بين أجزائه بالعزل
والقطيعة ، وطردت اللغة العربية من الدواوين
حتى من محاكم الشريعة ، واستعملت التركية
في التعليم حتى في دروس النحو ! ثم انقطع
ما بين عرب والدين الصحيح والآداب الحرة
فأعقروا ما يشبه الحذر في الحواس ، فلم يشعروا
بالوجود ولم يحفلوا بالحياة ، حتى غشى الأرض
ما غشى من طغيان هبد الخبيث ، وقاست العروبة
ما قاست من اضطهاد الأتراك ، فأخذ تاريخ
المجد العربي يشور في رموس بعض الزعماء
ومقادة ومأثور الآداب العربي يحيا في نفوس
بعض الشعراء والكتاب وأنبعثت من وراء
الرقابة الشديدة والجاسوسية اليقظة أصوات

لقد عبثت بالشعب الطماع ظالم
يحملة من جوره ما يحمل
فيا ويح قوم فوضوا أمر نفصهم
إلى ملك عن فعله ليس يسأل
ويقول عهد الحميد الرافعي في طرابلس
من قصيدة مطلعها :

ما فصلح الدنيا ولا ناسها
ما لم يل الأقوام أجناسها
هبوا بنى العرب .. لإلام السكرى
وقد دها الآمال دهاها
طلبتم الإصلاح من عصبية
توتر بالإفساد أقواسها
الستم نسل القردوم الألى
تقتعل الهامات أفراسها
فكم تقيمون على ذلة
وروضة الصبر ذوى آسها
فجردوا العزم الذى طالما
شق حدوداً طال وسواسها
ويقول سليمان الفاروقى فى فلسطين :

بنى انهضوا واحيوا حياة عزيزة
حياة تعيد المجد للعرب ثانيا
ألا نهضة شرقية عربية
تزلزل أقواما وتوهى رواصيا ؟
ألا رجل ذو مرة فيلكم
ويراب صدعا فيكم بات واهيا ؟

من مدحت باشا والى تركية على العراق ،
ثم على سورية ، لأنه كان يطمح فى أن
يستقل بالشام كما استقل محمد على بمصر ،
فقويت حركة الإصلاح ، واتسعت دائرة
المعارضة ، واشترك فيها المسيحيون
والمسلمون على سواء .

ونض يومئذ المصلح الحلبي العظيم الشيخ
عبد الرحمن السكواكي المتوفى سنة ١٩٠٢ م
فألف كتابيه القيمين : طبائع الاستبداد ،
و أم القرى ، دعا فى الأول إلى تحرير
المجتمع العربى من العادات الضارة
والاقتفادات الفاسدة ، ودعا فى الآخر إلى
خلافة عربية يكون مقرها جويرة العرب ،
فكان لهدى الكتائب أثر قوى فى إنعاش
الفكرة العربية ، قطع الترك على المؤلف من
جرائمها كل سبيل ، وشروده فى كل أفق .
ثم تجاوزت بأفاناشيد الذكرى والألم
والأمل صيادح الشعر على ضفاف دجلة
وبردى والأردن ، فيقول الرصافى من
قصيدة عنوانها : د نفيه النيام ، :

عجبت لقوم يخضعون لدولة
يسرهم فى الموبقات حميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها
وأموالها منهم ومنهم جنودها
ويقول الزهاوى من قصيدة نظمها
فى سنة ١٨٩٧ :

يقيم فلا يرتد أو يبلغ المدى ويقضى ولكن يبعث السيف قاضيا ثم انضم إلى أدباء العرب الثائرين على طغيان السلطان أحرار الأدباء من الأتراك أنفسهم من أمثال: رضا توفيق، وولي الدين يسكن، فكان من أولئك كله وقود جزل للثورة التي أشعلتها في تركيا جمعية الاتحاد والترقي، وكان أن أعلن في نورها الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨، ثم كان أن سقط في نارها عبد الحميد في سنة ١٩٠٩.

وظن العرب أنهم سينعمون في ظلال الدستور بالحرية والمساواة، ولكن الظن كذب، والأمل خاب، وغاد الشعراء يقولون مع الفاروق:

كنّا نعال بالدستور أنفسنا
بفارغ الصبر ذاك اليوم فرقب
حتى إذا جاء لم يحدث لنا حدثا
ولا استجيب لنا في مطلب طلب

واشتدت الخصومة بين العصبيتين: العربية والتركية، واحتدمت ثورة الأدب ثانية في المجلات والصحف، وترددت أصداؤها في المحافل والأندية، وتجمعت اقوى المنفرقة قتالفت الجمعيات السياسية في العواصم المختلفة كجمعية المنتدى العربي، وجمعية العهد في الأستانة والجمعية القحطانية والجامعة العربية في مصر، والجمعية الإصلاحية في بيروت، وكلها كانت تعتمد في الدعاية على الأدب في شتى ضروبه، وجميع مظاهره، حتى شبت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤، وكانت تركيا خصما فيها لانجلترا وفرنسا وهما الدولتان العظمى منذ طويل في اقتطاع الشرق العربي وابتلاعه من تركه الرجل المريض كما كانوا يسمون الدولة العلية، وأراد الله جل شأنه أن يهيء الأمور لتحريك الأمة التي اختارها لإظهار دينه وإعلاء حقه، فأسرف الأتراك في البغي وأمعنوا في الجور وحكموا بالإعدام ظالمين على صفوة من أقطاب الأدب والسياسة.

شنعوم سنة ١٩١٥ في ساحات بيروت ودمشق، فكان استنهاض المروع مناحة للأدب في كل قطر، واستغل الاستعمار الراسد هذه النكبة، فتقدمت انجلترا إلى الحسين بن علي شريف مكة في سنة ١٩١٦ بالوعد أن تجمع له الأقطار العربية كلها تحت تاجه، فكانت ثورة الحجاز، وكان انخزال الترك، وكان استقلال العرب.

كذب الإنجليز وعدم، وصدق الله وعده، واتمت أمرهم إلى الانتداب والامرة وحده. ذلك ما اتسع له القول في جهاد الأدب لإنهاض العرب في هذا القرن، أما جهاده في جمع كلمتهم وتحقيق وحدتهم فهو موضوع المقال التالي.

أحمد حسن الزيات

يقيم فلا يرتد أو يبلغ المدى ويقضى ولكن يبعث السيف قاضيا ثم انضم إلى أدباء العرب الثائرين على طغيان السلطان أحرار الأدباء من الأتراك أنفسهم من أمثال: رضا توفيق، وولي الدين يسكن، فكان من أولئك كله وقود جزل للثورة التي أشعلتها في تركيا جمعية الاتحاد والترقي، وكان أن أعلن في نورها الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨، ثم كان أن سقط في نارها عبد الحميد في سنة ١٩٠٩.

وظن العرب أنهم سينعمون في ظلال الدستور بالحرية والمساواة، ولكن الظن كذب، والأمل خاب، وغاد الشعراء يقولون مع الفاروق:

كنّا نعال بالدستور أنفسنا
بفارغ الصبر ذاك اليوم فرقب
حتى إذا جاء لم يحدث لنا حدثا
ولا استجيب لنا في مطلب طلب

واشتدت الخصومة بين العصبيتين: العربية والتركية، واحتدمت ثورة الأدب ثانية في المجلات والصحف، وترددت أصداؤها في المحافل والأندية، وتجمعت اقوى المنفرقة قتالفت الجمعيات السياسية في العواصم المختلفة كجمعية المنتدى العربي، وجمعية العهد في الأستانة والجمعية القحطانية والجامعة العربية في مصر، والجمعية الإصلاحية في بيروت،

تحية الإمام الأكبر للمسلمين في عيد الأضحى

البيت العتيق ، ، وإذ يرفع إبراهيم القواعد
من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت
السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب
علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ، ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويرزيهم لأنك أنت العزيز
الحكيم ، حق إذا تم بناء البيت أتم الله نعمته
على العرب فأمر خليله إبراهيم أن يؤذن
في الناس بحج البيت المعمر ، ونادى إبراهيم
وإلى الناس وما زالوا يلبون :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ،
إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك
قال تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل غامر يأتين من كل فج عميق
ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا
منها ، وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقتضوا تفهمهم
وايوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ،
ذلك ومن يعظ حرمات الله فهو خير له عند

أيها المسلمون في أنحاء الدنيا :
بسم الله أحبيكم في هذا اليوم الاغر ، يوم
عيد المسلمين الأكبر ، يوم التضحية والفداء ،
يوم العاشر من ذى الحجة - فإنه ما إن يطلع
على العالم حتى تتعلق مشاعر المسلمين ببيت الله
الحرام ، وتمفو قلوبهم إلى أم القرى مكة التي
باركها الله ، ويتأهب الحجاج لإداء المناسك ،
مستلهمين من الله العون على أداء فريضة الحج
صائلين الله سبحانه أن يتم عليهم نعمته ، بعد
أن لبوا نداء إبراهيم ، ودعوة نبيهم محمد صلى
الله عليه وسلم - إنهم ليعذكرون هذا الحرم
الآمن ، الذي أسكن إليه إبراهيم فترك بجواره
وديته إسماعيل ، فتعده الله بالتربية وشب
في رمال الصحراء ، وترعرع بين الصفا والمرورة
« ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع هذا بيتك الحريم ربنا ليقموا الصلاة
فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون ، .

ثم يعود إبراهيم ليجد ابنه إسماعيل وقد
صلب عوده ، وقويت بنيته ، فيعيد معه قواعد

أن طهرا بيوتى للطائفين والعاكفين والركع السجود، واستمرت هذه الفريضة (فريضة الحج) وجمدها الإسلام؛ فجعلها أحد أركانها الخمسة. قال تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

يهرع المسلمون إلى هذا الرحم الآمن محرمين ملين، وحول البيت طوافين رافعين إليه أكف الضراعة، وبين الصفا والمروة ساعدين، وعلى عرفات واقفين مستسلمين من الله مزبد الرحات ذاكرين هذا اليوم الحالد يوم وقف رسول الإسلام والسلام: محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وقد فتش الله عليه جزيرة العرب، ودخل الناس في دين الله أفواجا وحج رسول الله حجة الوداع؛ فخطب وخطب الأجيال كلها من فوق جبل عرفات، وقدامت على صلوات الله وسلامه عليه ناقته العصابة، فأرسي قواعد الإسلام، ورسم الأمة طريقها، وخط لها منهاجها.

أيها الناس: اسمعوا قولي؛ فاني لا أدرى لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا وكحرمه شهركم هذا - وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم. ألا قد بلغت اللهم فاشهد.

ربه، وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم واجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير، أو تهوى به الريح في مكان سحيق، ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى، ثم جعلها إلى البيت العتيق، ولكل أمة جعلنا منسكاً ليعلموا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فإلهم إله واحد فله أسلوا، وبشر المحبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة، وبما رزقناهم ينفقون، والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير؛ فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر. كذلك سنزفها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم. كذلك سنزفها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين.

أيها المسلمون:

وقد أراد الله سبحانه أن يكون بيته الحرام مثابة للناس وأماناً من عهد الخليل إبراهيم وأبي العرب إسماعيل قال تعالى: «وَلِإِبْرَاهِيمَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَهَدَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

أيها المسلمون في كل مكان :

اسكناني برسول الله صلوات الله عليه وسلامه يعلمنا في حجته هذه كيف نتخذ من اجتماع المسلمين الأكبر في عرفات مؤتمرا إسلاميا نتدارس فيه مشاكل المسلمين ونجمع أمرنا على كلمة سواء ، كلمة الوحدة ، كلمة العروبة كلمة الاسلام ، وصدق الله إذ يقول :
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام مهمومات .

أيها المستمعون الكرام :

لقد كان من نعم الله على عباده أن جعل لهم عقب كل فريضة سنوية عيدا يجتمعون فيه فيذكرون الله ويشكرونه على ما أراحهم من نعم وآلاء ، فأول شوال من كل عام عيد الفطر المبارك يستضيف الله فيه عباده الصائمين ليعترفوا بفضل الله على أن أعانهم على فريضة الصيام فيفرحوا بفضل الله عليهم فإن للصائم فرحتين : فرحة يوم فطره ، وفرحة يوم لقاء ربه .

وعيد الأضي أيها المسلمون عيد أكبر يشكر المسلمون فيه ربه على أن أحان حجاج بيته الحرام على أداء هذه الفريضة الجامعة ، وقد جعل الله شكره في هذا اليوم الأغر بتقديم الهدى والضعايا قربانا لله بعد صلاة العيد قال تعالى : إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر . وهذه الهدايا وتلك

د فن كان هذه أمانة فليؤدها إلى من اتمننه عايها .

وأبطل الرسول في هذه الخطبة الجامعة ما بقى من الربا - فقال صلوات الله عليه وسلامه - وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم ردوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا .

أيها الناس : إن الشيطان قد يش أن يعبد في أرضكم هذه أبدا ، ولكنه أن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى عما تحقرون من أعمالكم - فاحذروه على دينكم .

وفي خطبة الوداع - أيها المسلمون - التي يودع الرسول فيها مكة بلده الحبيب ويكاد يودع بها العالم كله مرتحلا إلى الرفيق الأعلى يضع الأسرة نظاما وهديا نبويا ، يحفظ كيانه ويدعم بنيانها - أما بعد .

أيها المسلمون : اسمعوا قول واعقلوه ، تعلن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، ويذكر الرسول فيما يذكر أنه قد ترك للمسلمين أمرين أن يضلوا ما تمسكوا بهما : كتاب الله وسنته ، ويسجل الرسول على أمته تبليغ رسالة ربه : د الأهل بلغت فقالوا : اللهم نعم فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : اللهم فاشهد .

سلام على إبراهيم ، إنا كذلك نجزي المحسنين
لأنه من عبادنا المؤمنين ، ألا ما أروع
التضحية وما أعظم الفداء .

أيها المسلمون : إننى من أرض الله المقدسة
ومن بيت الله العتيق ، ومن أم القرى مكة
المكرمة بعد أن أنعم الله على حجج بيته
الحرام أسجد لله شكرا على ما أولانى من
نعمة وأبعث لىكم بالأصالة عن نفسى والنيابة
عن أزهرنا المعمور ، وأبعث إلى جمهوريتنا
العربية وفيها كعبة العلم (الأزهر الشريف)
 وإلى بلاد الدنيا جميعا بأطيب التهانى
 بعيد الاضحى المبارك سائلا الله سبحانه أن
يجمع كلمة المسلمين ويوحد بينهم قادة وحكاما
وعحكومين .

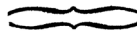
أيها السادة ... كل عام وأنتم جميعا بخير
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صمم وأمره

شيخ الأزهر

الضحايا التى يتقدم بها المسلمون إلى الله
سبحانه وتعالى لن ينال الله لحومها ولا
دماؤها ولكن يناله التقوى منهم .

إن هذه الضحايا أيها المسلمون : إنما هى
وتذكير بموقف خالد من مواقف البطولة
شكر بالفداء موقف إبراهيم عليه السلام ،
وقد رأى فى المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل
فأسرع إلى تنفيذ ما أوحى به إليه ربه فى منامه
ثم ما كان من إسماعيل وهو استجابة الابن
البار استجابة مطلقة برا بآبائه وطاعة لربه ثم
هو تذكير برحمة الله التى تنزل على عباد
الصالحين ، وبشرفه بغلام حلیم ، فلما بلغ
معه السعى قال : يا بنى إنا أرى فى المنام أنى
أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل
ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين
فلما أسلما وتله للجبين ، وناديتاه أن يا إبراهيم
قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي
المحسنين ، إن هذا هو البلاء المبين ، وفديناه
بذبح هظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين



مظاهر راحة من عظمة الرسول عليه السلام

إيشره المسلمين على نفسه وأهله في حياته وبعد مماته

لدؤستاز البكتور

على عبد الواحد والى

عيشكم ؟ . . فقالت : يا ابن أختى كان معظم عيشنا بالأسودين : د التمر والماء وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : دخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مضطجع على حصير خشن ، جلست فإذا الحصير قد أثر في جنبه ، وإذا عليه إزار ليس عليه غيره ، وإذا أنا بقبضة من الشعر بمقدار صاع في ناحية من الغرقة . فابتدرت عيناى بالبكاء . فقال عليه السلام : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ قلت : يا نبي الله ومالى لا أبكى ؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذا ملبسك عليك إزا وليس عليك غيره ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا هذه القبضة من الشعر . وذلك كسرى وذلك قيصر يعيشان في الثمار والنعم والثياب الفاخرة ؛ وأنت نبي الله وصفوته ! فقال عليه السلام : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولم الدنيا . .

كان عليه الصلاة والسلام في مأكله ومشربه وملبسه وشئون حياته المفزلية الخاصة بعيش كما يعيش أفقر رجل من أصحابه . وقد وصفت حياته هذه السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذ تقول : ما شجع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحديث مرة أخرى من ذلك مع عروة بن الزبير ، وهو ابن أختها : أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين فقالت : د واقه يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار : أى إنه كان يمر على زوجات الرسول عليه السلام شهران قريان كاملان ويدخل الشهر الثالث بدون أن يكون قد أوقدت نار في بيوتهن لطهو اللحم ، أو لإعداد طعام من الأطعمة التى يقتضى إعدادها لإيقاد نار . قال عروة فقلت لها : د ياخاله ! فسيم إذن

وكانت ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها أفقر بناته جميعاً . فقد كانت بناته الأخريات زوجات لثريين من أثرياء قريش وهما : أبو العاص بن الربيع زوج زينب ، وعثمان بن عفان زوج رقية وأم كلثوم ، تزوج إحداهما أولاً ، وبعد وفاتها تزوج الأخرى ، ومن ثم يسمى : (ذا النورين) . أما فاطمة فكانت زوجة لابن عمه : علي بن أبي طالب .

وكان رضى الله عنه من أفقر رجال قريش . فقد وقف حياته كلها على الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمته ، والتفقه في دينه ، وإشاعة الثقافة الإسلامية ، وصحبة الرسول عليه السلام ، ولم يشتغل في حياته بتجارة ، ولا استثمار لأرض ، ولا استغلال لمال وكان أبوه (أبو طالب) عم الرسول عليه السلام فقيراً كثير العيال ؛ حتى لقد قام بعض أقربائه بكفالة أولاده ، فقام أخوه العباس بكفالة ابنه جعفر ؛ وقام محمد بن عبد الله قبل رسالته ، وبعد زواجه بخديجة بكفالة ابنه علي والقليل من المال والعقار والمتاع الذي تركه أبو طالب بعد وفاته لم يورث منه على شئنا ؛ وإنما ورثه أخواه : طالب وعقيل ، لأنهما كانا حينئذ على دين أبيهما ، وكان علي مسلماً ولا يورث المسلم من الكافر ، ولا الكافر من المسلم ، ولذلك حينئذ قال أسامة بن زيد للرسول عليه السلام يوم فتح مكة : « هل ستمنزل

في بيتك يا رسول الله ؟ » (يعنى بيت عمه أبي طالب شقيق أبيه) ، أجاب عليه السلام بقوله : « وهل ترك لنا عقيل من منزل ؟ » ، ثم قال : « ولا يورث المؤمن الكافر ، ولا يورث الكافر المؤمن » .

هكذا كان حال ابنته فاطمة وحال صهره علي من الفقر ورقة الحال ، وكانت حياتهما في بيتهما كحياته عليه الصلاة والسلام في بيته ، فكانا يعيشان في المستوى نفسه الذي وصفته عائشة ووصفه عمر في الحديثين السابق ذكرهما حتى إن علياً وفاطمة لم يكن لديهما غطاء يغطي جميع أجزاء جسميهما وهما نائمان ؛ فكانا إذا جذبا على كتفيهما انكشفت ساقاهما ، وإذا جذبا على ساقيهما انكشفت كتفاهما ، أما جهازهما وأثاث بيتهما فقد وصفه علي رضى الله عنه إذ يقول : « إن الرسول عليه السلام لما زوجه ابنته فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة حشوها من ليف ورحيين وسقاء وجرنين ، وكانت فاطمة رضى الله عنها تقوم بنفسها بجميع شئون بيئها وخدمة زوجها ، ولم تكن لديها خادمة تساعد في أعمالها ، وقد ذهبت مرة إلى أبيها عليه السلام وعلي يدها وأصابعها آثار الجهد ، وشكت إليه ما هي فيه ، ورجته أن يمنحها جارية من سبايا الحرب تساعد فيما تقوم به ، فقال لها عليه السلام : « ألا أنبتك بكلمات تزيل

عليه السلام وكان مقامهم أمام بيوته .
ومحدد مكانهم الآن بإطار أمام الروضة
النبوية الشريفة) .

ولم يعيش الرسول عليه السلام هو وأهله
هذه الحياة ، ولم يحمل ابنته وزوجها على
أن يعيشا هذه المعيشة ، لعجزه عن حياة
الرغد والرخاء . فقد كان لديه من موارد
الرزق التي أحلها الله تعالى له ما يتيح له أن
يعيش هو وأهله وابنته وزوجها وأولادها
في أرغد هيش .

فقد جعل الله تعالى له الحق في خمس غنائم
الحرب ينفق منه على نفسه وأهله وذوي
قرباه . قال تعالى : « واعلموا أنما غنمتم من
شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذئ القرئ
والئتمئ والمساكين وابن السبئل » (آئة ٤١
من سورة الأنفال) . وجعل الله تعالى له الحق
فئ الفئ . وهو ما يحصل عليه المسلمون من
أهدائهم بدون حرب على أثر استسلام
أو قبول الجلاء كئئ بنئ المضئر وبنئ قريظة
من اليهود . قال تعالى : « ما أفاء الله على رسوله
من أهل القرئ فله وللرسول ولذئ القرئ
والئتمئ والمساكين وابن السبئل » (آئة ٧ من
سورة الحشر) ، وأهل القرئ هم اليهود الذين
كانوا يسكنون يثرب وضواحيها . وقد أفاء
الله على رسوله ما لا كثيرا بما تركوه بمسد
إجلاء بعضهم ، والقضاء على بعضهم الآخر .

صنك الهم ، وتكشف هنك الكرب ،
وحفظها بمعض تسبيحات ودعوات تتجه بها
إلى الله تعالى إير بط على قلبها ، ويشرح صدرها
ويعنحها القوة على حملها ، فرجعت إلى بيتها
ومعها بضع دعوات صالحات تردد من كلما
وهنت قواها وشتق عليها متابعة ما تقوم به
من عمل ، بدلا من الخادمة التي كانت تأمل
أن ترجع بها قال ابن أبي لئل : أخبرنا على
أن فاطمة انتصكت ما تلقئ من الرحئ فبلفها
أن النبئ صلى الله عليه وسلم أتئ بسبي فأتته
تسأل خادما : فلم توافقه (أى لم تجده)
فذكرت ذلك لعائشة فجاء النبئ ، فذكرت
عائشة له ذلك فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا
فذهبنأ نقوم ، فقال على مكانكنا ؛ حتى
وجدت برد قدمه على صدرئ فقال :
« ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ إذا أخذتما
مضاجعكما فكبرا الله ثلاثا وثلاثين واحمدا
ثلاثا وثلاثين وسبحاه ثلاثا وثلاثين .
إن ذلك خير لكما مما سألتما » ، وورد فئ
حديث آخر هن على فئ هذه القصة قوله عليه
السلام : « والله لا أعطئكمأ وأدع أهل الصفة
تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق
عليهم . ولكن أئيمهم (يقصد الرئق)
وأنفق عليهم أثمانهم » . (وأهل الصفة
جماعة من فقراء المسلمين منهم أبو هريرة
وأبو ذر الغفارئ ، كانوا ملازمين للرسول

وقد أبى عليه السلام إلا أن يؤثر المسلمين على نفسه وأهله وابنته ، وأبى إلا أن ينأى بنفسه وأهله وابنته عن مواطن الشبهة والريبة واستغلال المسكنة والقرابة ، لا في حياته فحسب ، بل بعد مماته كذلك ، فقد قرر عليه السلام أن ما يتركه بعد وفاته لا ترثه بناته ولا زوجاته ولا يرثه أحد من أقربائه ، وإنما يضم إلى بيت المال فيكون لجميع المسلمين .

وفي هذا يقول عليه السلام : « لا تقسم وثنى ديناراً ولا درهما ، ما تركت بعد نفقة أهلي ومثونة ما ملي فهو صدقة » . ومن ثم لم يعط أبو بكر بنات الرسول ولا زوجاته ولا أحداً من أقربائه شيئاً مما تركه الرسول بعد وفاته ، حتى ييوته عليه السلام نفسها فقد أيسح لزوجاته من بعده مجرد الاحتفاظ بسكنها فقط ما دمن على قيد الحياة ، وكانت كلها توفيت واحدة منهن ضم بيتها إلى المسجد الذي يعم نفعه جميع المسلمين ، وهكذا حتى دخلت بيوتهن جميعاً في المسجد النبوي وفي مكانها الآن قبر الرسول عليه السلام وما يقع أمامه من مسجده ، فقد كانت هذه المساحة مشغولة ببيوت أمهات المؤمنين ، وكذلك كان لكل واحدة منهن نفقتها فقط من تركه الرسول ، وبعد وفاتهن ضم ما كان ينفق منه عليهن إلى بيت المال ، وصرف

ويتحدث القرآن الكريم ع ذلك فيقول : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم ، (وهم بنو قريظة الذين ظاهروا قريشاً وأحلافها وغدروا بمحمد عليه السلام ونكثوا هذه في أثناء غزوة الخندق ، فأمكن الله تعالى المسلمين منهم وأنزلهم من صياصيمهم أى حصونهم) وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تقاوها وكان الله على كل شيء قديراً ، (الآيتان ٢٦ ، ٢٧ من سورة الأحزاب) . ومن خمس الغنائم وأموال الغنى التي جعل الله للرسول وذوى قرباه نصيباً كبيراً منها كان يستطيع عليه السلام ، لو أنفقها على نفسه وذوى قرباه ، أن يعيش هو وأهله وابنته وزوجها وأولادها في أرغد عيش . ولكنهم عليه السلام كان ينفق معظم ما أحله الله تعالى له من هذين الموردين ومن غيرهما على الفقراء والمساكين واليتامى وأبناء السبيل وذوى الحاجة من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ويؤثر هؤلاء على نفسه وأهله وابنته ، ويعيش هو وأهله وابنته عيشة الكفاف ، بل ما هو أدنى من عيش الكفاف ، على النحو الذي وصفناه .

في منافع المسلمين . ولم يرث بيوتهم ولا مصادر نفقاتهم أحد من أقربائهم .

* * *

إلى عبادتهم هم . وقالوا ملتزمين للرسول

العدل ومبررين انكسابهم على عبادة الله :
وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال أحدهم : أما أنا فإني أقوم الليل أبدا

ولا أهجع وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر

أبدا ولا أفطر وقال ثالثهم : وأنا أهتزل

النساء أبدا ولا أتزوج تبثلا وتقر بالله ؛

فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : « أنتم الذين تقولون كذا وكذا ؟ »

أما والله إنني لأخشاكم لله وأنفكم له ،

ولكنني أصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ،

فمن رغب عن سنتي فليس مني ، .

وكشور على عهد الوامر والى

وليس معنى هذا أن الرسول عليه السلام

كان يعيش عيشة تحنث ورهينة ؛ بل لقد كانت

حياته حياة عمل وجد نشاط ، وكان قسط

كبير منها وقفا على الجهاد وقيادة الجيوش

وتدبير شئون المسلمين وتبليغ الرسالة ونشر

الدعوة وتنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم

وعقد المعاهدات ... وما إلى ذلك من عظام

الأمور ، وكان يأخذ من الدنيا بعض ما أحله

الله له ؛ ولا يدع العبادة تستأثر إلا بجزء من

وقته . جاء إلى بيوت الرسول عليه السلام

ثلاثة رهط من كبار الأتقياء ومن عزفوا

عن جميع متع الحياة ، وتفرغوا للعبادة ،

جاءوا إلى بيوت الرسول يسألون عن هباته

حتى تتم عما كانهم له ويتداركوا ما عسى أن

محمد وصحبه في القرآن

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحاء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ،

يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيأثم في وجوههم من أمر السجود ، ذلك مثلهم

في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآذره فاستغلظ فاصتوى على صوقه ،

يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة

وأجرراً عظيماً ، »

فيحيات القرآن

حول ظلمات الكفر... وأضياء الإيمان

للمأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) « إن الدين لا يرجون لقاءنا ، ورضوا بالحياة الدنيا ،
واطمأننوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون : أولئك مأواهم
النار بما كانوا يكسبون . » ٧ - ٨ يونس
(ب) « إن الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، يهديهم ربهم
بأيमानهم ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ... دعواهم
فيها : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ... ونحيتهم فيها سلام ... وآخر دعواهم :
أَن الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . » ٩ - ١٠ يونس

فإن الله لم يخلقنا سدى ، ولم يتركنا هملاً ،
ولنمّا خلقنا تنفيذاً لحكمته ، ومظهراً
لقدرته ، ورسم لنا في الدنيا مناهج ، وأعد
لنا في الآخرة ما لا يختلف باختلاف
مساكننا في الحياة .

فكان من تمام فضله على الناس : بل على
الإنس ، والجن أن يبصرهم تشريعاً
بما يسكفل هدايتهم ، ويكشف لهم من الغيب
عنهم ما تقصر دونه أفهامهم ، أو تظني عليه
أهواؤهم ، وشواغلهم .

فإذا قرأنا كثرة من الآيات في التوجيه
إلى الإيمان والترغيب في عقباءه . . أو قرأنا
كثيراً عن الكفر والتحذير من منتهاه : فإن

١ - في الشطر الأول : حديث عن
الكافرين ، وسوء منتاهم ...
وفي الشطر الثاني : نماذج من مباحج
المؤمنين في أخراهم .

وقد يخطر لإنسان أن القرآن يتحدث
كثيراً عن الإيمان وأمله ، وعن الكفر
وأصحابه : حتى أصبح شأن الفريقين مستفاداً
من آيات لا تبلغ هذه الكثرة التي نتلوها
في مقامات عدة ... فلا تكون هذه الكثرة
إلا مجرد التأكيد ، وإزالة الشبهات ...

ولكن ذلك زعم غير حصيف ... أو هو
زعم من يضيق وعيه عن مراعى القرآن
في خطابه للناس وفي توجيهاته ...

في الكفر مقاطعة العبد لربه ، وحين المقاطعة الروحية لا يتجه العبد نحو ربه بخوف من عذابه ، ولا طمع في ثوابه ، فإنه ينكر لقاء الله بعد الحياة الدنيا ، ولا يحسب أن هناك بعثاً ولا حساباً ، فلا مثار عنده لرجاء بمعنى الخوف ، أو الطمع .

وهذا وصف من جملة صفات يذكرها القرآن عن الكافرين ، لا يرجون لقاءنا . والانصراف عن الآخرة ، وإنكار ما بعد الموت يربط الإنسان بدنيته ، ويفرغ لها قلبه ، وحبه كله .

فلا يتخلى عن التعلق بها ، بل ينحصر همه فيها ، وذلك وصف ثان من لوازم الكفران . ورضوا بالحياة الدنيا .

وحين يتصور الخيال أن الدنيا هي المراح والمغدى ، وأن حبها هو المتاع والخطوة : تكون أثيرة عند المرء ، ويطمئن إليها كأنها الخلود الذي لا يتبدل ، والنعيم الذي لا يتحول فهي قبلته المرموقة ، وهي مبادته الشاغلة مما سواها ... وذلك وصف ثالث ذكرته الآية واطمأنوا بها .

وإذا ما اجتمع حول المرء عوامل ثلاث ، مقاطعة لله ... وفرغ للدنيا ... واطمئنان إلى مفاتها : لا تجد بين جنتيه قلباً يفقه ... ولا نفساً تخشع ... ولا حياة لضمير ...

في هذا التكرار مساندة للمقول بالتذكير وفيه تقويم لما في النفس من عوج لا يستقيم وحده : وفيه تجلية لصدا الغلوب من شوائب الغفلة ، أو عدوى التقليد لأهل النفاق .

فلا يكون تكرار القرآن لحديثه عن الإيمان أو غيره لمجرد التأكيد ، وإزالة الشبهات .

بل هو في كل مقام : يراد منه استنفات التوجيه ، وإبراز الحفي ، وإنارة الوعي من غفلته حيناً بعد حين .

وإن نظرة القارىء في كل آية مستقلة عما يراد فيها لتحدث عنده قنناً جديداً ، وخشية مستمدة من نفس الآية باستقلالها ...

ولا تحمل على التأكيدي لسواها إلا عند ما تجمع آية إلى آية أخرى في موضوع واحد ، فقد يراعى التوافق في الغرض المتحد ...

على أنك حينما تجمع بين الآيتين مثلاً : فأيهما التي تراها تأسيساً ، والتي تراها تأكيداً ؟ ذلك مطلب عسير على الكثيرين : إلا إذا عرفنا تاريخ النزول على وجه الضبط ... وههنا

وعلى هذا الأساس ننظر في الآيتين السالفتين (ا - ب) .

(ا)

٢ - إن الذين لا يرجون لقاءنا ... الآية .

٤ — والجزاء بعد العمل يعتبر مبادلة بين الله وعباده ... فا تقدمه نكافأ عليه ولا يظلم ربك أحدا .

٥ — وانظر بعد ذلك إلى الآية الثانية « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ... الآية » .

الإيمان : صلة وثيقة بين العبد وربّه ، و فرق ما بين المؤمن والكافر أشبه ما بين النور والظلام أو ما بين العلم والجهل ، أو ما بين الحياة الفاخرة ، والموت المسخوط الرخيص وخاصة إذا كان إيمانا مقرونا بصالح الأعمال ، وذلك هو الإيمان الكامل الذي تعلنه الآية ، ويعني به القرآن أكثر من إيمان مجرد عن عمل .

والإيمان المثمر لصالح الأعمال هو العلاقة الروحية التي تهش لها الفطرة السليمة وتطمئن إليها النفوس المشرقة ، وتجنح إليها الإنسانية العالمة الرحيمة .

وبذكر الإيمان ، وعمل الصالحات : انبثق في مجال الحديث نور ، وفاح منه هيب ، وابقس في مطلعته أمل .

لأنه حديث عن الإيمان ، والمؤمنين ، وليس أحب إلى الله من الإيمان ، وذكر المؤمنين ... ١ .

وأنت تلاحظ هذه الملاح في سياق الآية فقد تجاوزت عن ذكر الأعمال في تفصيل

وهذه ما ينحدر المرء إلى هذه المهوراة يفقد كل معاني الإدراك المنشود ... ويتبعد عن كل تقدير ، ويتجرد من ملاح الرشد .

وهذه هي المساءة في القرآن بالغفلة عن آيات الله في سمائه ، وفي أرضه ، وفي كتابه الذي يناديننا ولكن لا حياة لمن ينادي ... وتلك خصلة رابعة ، والذين هم عن آياتنا غافلون .

٣ — وفي هذا المستوى يكون الإنسان في جهالته قد انحط إلى البهيمية ، بل يكون أسوأ منها حالا ، لأنها معذورة بجهالتها من خصائص البشرية التي استوقاها وأغفلها . « أولئك كالأنعام ، بل هم أضل : أولئك هم الغافلون » .

وهؤلاء الذين ورطوا أنفسهم في الكفر وتردوا في ظلماته : لا بد لهم من مآل يستقرون فيه مهما يكن زعمهم في عدم البعث أو الغفلة عن آيات الله .

فليكن ماوهم لا تقا بمسلكهم ومثبتا لما جحدوه .

وهذه هو منطق العدل الذي قامت عليه شرعة الله في سياسته الخلقه ، وقد كاشفهم الله بذلك قبل أن تغفل من أيديهم الفرصة « أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ، هم الكاسيون لهذه المسائم : فجراؤهم من جنس عملهم .

ألوان الهناء ، فينسى همومه ، ويكاد يحسب أن الدنيا تطوعت له .

ونحن نعلم أن نعيم الجنة فوق تقديرنا له وأن متع الدنيا دون ما هنالك بكثير وكثير . فإياك إذا عرف المؤمنون أن لهم خلودا في الجنات ، يفتقدون في نعيمها ، ويحفظون بمشاهدها ، ويتفقدون ظلالها ، ويتمثلون بأعينهم ، وأحاسيسهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

٨ - ثلاثة المباحج : دعواهم فيها :

سبحانك اللهم .

والدعوى هنا هي الدعاء ويكون بالتسبيح والتمجيد للذذا ، وطربا ، وبهجة بما هم فيه ، وشكرا على ما منحهم ، وليس ذلك تكليفا ، فقد تجاوزوا حياة التكليف إلى الخلود في نعيم مقيم :

وايس دعاؤهم طلبا لشيء ، فقد أغناهم الله عن الطلب : وكلما تعلقت رغبتهم بشيء ، تفضل الله عليهم به ، دون سؤال : وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا شغل عبدي ثناؤه على عن مسئلي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) .

وإذا كان هذا في أهل الدنيا : فما ظنك بأهل الجنة .

٩ - وبهجة رابعة : وتحيتهم فيها سلام ، المعنى : تحية الله لهم : سلام وأمان من كل ما

إلى ذكر المباحج التي يظفر بها المؤمنون . وكان الحديث عن الكفار بذكر أعمالهم البغيضة ، ليقوم عليهم الحجة بما كسبوا حتى كانت النار مأواهم ، وفي هذا الخط صدود عنهم ، وتجمعهم في شأنهم ، وانصراف إلى سواهم .

أما المؤمنون فيتبسط القرآن في ذكراهم ويرطب الحديث عنهم بذكر تلك المباحج المرموقة ، التي كانت لهم جزاء كريم هند ربحهم .

٦ - وأولها : يهديهم ربهم بإيمانهم ، كانت هدايتهم في الدنيا لإيمانهم وعملهم... أما هدايتهم الآن : فهي توجيهه إلى الجنة بعد البعث والحساب... وهي تمكنهم لهم من منازلهم فيها ، وتحقيق لآمالهم التي تعلقوا بها ، واستجابة لطاعتهم في الدنيا بإدراك ما تطلعوا إليه في الآخرة .

وانظر في لطافة التعبير : يهديهم ربهم ١١ فإنه يتعهدهم برعايته ، ويقرر احترامهم بأنه ربهم ١١... وذلك هو عنوان الإيمان الذي كان السبب في الجزاء .

٧ - وثانية المباحج : تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم .

إذا أتيت الإنسان في دنياه أن يعيش وقتا ما بين زروق وأنهار ، وفي صحة وروحاء : جاشت بنفسه مسرة تملك عليه نفسه ، وتجمع إليه

راضية . في جنة عالية . لا تسمع فيها
لاغية . فيها عين جارية . فيها سرور مرفوعة .
وأكواب موضوعة . ونهارق مصفوفة .
- وسائد - وزرابى مبشوة ، بسط مفروشة .

وهذا قبس موجز عن نعيم الجنة ...
ونعيمها - كما سلف - فوق ما تراه العين
في الدنيا ، وفوق ما سمعت الأذن ، وفوق
ما يخطر على قلب بشر ...

وإن كانت مطامح النفس ، والعين لا تقف
عند حدود ، ففي الجنة كما قرر الكتاب
الكريم ما تشتهيها النفس ، وتلك الآهين :
من مستطاب لا يحيط به خيالنا .

١١ - وفي نهاية الحديث بذكر الحمد على
لسان المؤمنين في الجنة توجيهاً لنا إلى
الاعتراف لله بفضل ، وتقدير الحمد له على
ما ندرك من خيره ... كما وجهنا في مقامات
آخر إلى الابتداء بذكر اسمه - تعالى -

فيكون العبد في سائر مشئونه مستعيناً
بذكر الله ، ومنتبهاً إلى حمد الله .
وهكذا يكون اللسان رطباً بالثناء ،
وبالشكر ، والدهاء .

فلا يكون العبد جافاً مع ربه ، ولا مقاطعاً
للتوجه نحوه .

وقد قال سبحانه : « فاذكروني أذكركم ، و

عبر اللطيف البكيم

كان يخشاه المرء في دنياه : ونحو هذا ، سلام
قولا من رب رحيم ،

وتحييتهم من الملائكة كذلك : سلام
يرددونه عليهم ، كلما تلاقوا معهم : للتكريم
والتهنئة ، والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار .

وتحية المؤمنين فيما بينهم كذلك : سلام
يتبادلونه في صفاء ، وحبور ، ومصرة تتجدد
فلا يصوبها كدر ، ولا تلاحقها غصاضة :
« ونزهنا ما في صدورهم من غل ، إخوانا على
سرر متقابلين ، لا يمسمهم فيها نصب ، وما هم
منها بمخرجين » .

١٠ - وخامسة المباحج « وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين » .

في كل ما يصادفونه من نعمة ... وفي كل
ما ينتهون إليه من شأن يحمدون الله رب
العالمين .

وهذا شعار يدين به أهل الجنة على سواء .
فالكل شاعر بحظه في جوار الله ، والكل
آمن على سعادته في رحاب الله ...

ومهما يكن بينهم من تفاضل : فلا حسد ،
ولا أنانية ، ولا جشع ، ولا غير هذا ..

بل العيون قريرة ، والنعماء وفيرة ، والحياة
فضفاضة الجوانب ، والأمل مديد غير
مقطوع : « وجوه يومئذ ناعمة » لسيها

نقد ابن تيمية لمذاهب الاتحادية والقائلين بوحدة الوجود للأستاذ عبد الفتاح الديب

- ٢ -

شديدا في بعض أجزاء نقده ، وعلى مذهبه في الوحدة ، فيقول مثلا : (ص ٢٥ ج ٤ م . ر . م) فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ، وليسوا غيره ولا سواء ؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه وأن كل ناطق في السكون فهو عين السامع ؟ وأن الناكح عين المنكوح ؟ ومن ذلك أيضا (بالجزء الأول ج ٧٧ م . ر . م) نقده لقول ابن عربي ظاهره خلفه ، وباطنه حقه ، فيقول : « هو قول أهل الحلول ، وهو متناقض في ذلك ؛ فانه يقول بالوحدة ؛ فلا يكون هناك موجودان : أحدهما باطن ، والآخر ظاهر ، وهذه النقطة بالذات تحتاج إلى توضيح أكثر من هذا وخاصة فيما يتصل بمذهب ابن عربي ، وسنتحدث عنها عند الكلام عن فهم ابن تيمية للاتحاد والوحدة ، ومقدار نقاده في مذهب ابن عربي .

هذه الأسباب الأربعة هي التي دفعت ابن تيمية دفعا إلى مهاجمة القائلين بالاتحاد والوحدة من المتصوفة . وسأتكلم الآن عن عناصر هذا النقد وهي ثلاثة عناصر :

أما السبب الرابع الذي من أجله هاجم ابن تيمية جماعة المتصوفة فيرجع إلى تاريخ التصوف ذاته . فنحن نعرف من هذا التاريخ أنه وجدت فئات تقول بالحلول والاتحاد وبوحدة الوجود . والحلول من شأنه أن يجعل بجانسة بين الوجودين : الإنسانى والإلهى أو الناسوت واللاهوت كما جاء في شعر الحلاج أما الاتحاد فيقصد أصحابه تصوير ذاتين واحدة أو امتزاج الاثنين في كائن واحد كإبن الفارض الذي أفناه حبه لمحبوبه عن نفسه ؛ فلم يشعر إلا بالاتحاد التام به فقال :

متى حلت عن قولي ، أنا هي ، أو أقل

وحاشا لمثلها أنها في حلت

فإذا كان الحلول اثنينيا فالاتحاد واحدى . وبذلك تكون كل من النظرتين ملحدة بالنسبة إلى الدين الإسلامى ، فهو لا يعترف بإمكان هذه الواحدة كما لا يقر بالجانسة بين الاثنين ولعل ابن تيمية لم يخفف من حكمه على ابن عربي إلا لأنه كما جاء في النص السابع من نصوص الحكم يقول : بأن الله أحدى بذاته ولا يقبل التبعية ، ولكنه يحمل عليه حملا

مقدار صدقه . أما إذا جاءت في معرض ؛
النقد فلا معنى لها إلا مجرد محاولة التجريح ،
خاصة ، وأن موقف الإسلام من هذه
النقطة بالذات في المذهب المسيحي مناقضة
على الإطلاق .

٢ — أما العنصر الثاني فهو العنصر الديني
فتجده في حلوله التي يقدمها لمعظم المهاكل يعتمد
على وجهة النظر الدينية بمفردها ويتسكى عليها
مسلمها بها في إذعان ، وبغير مناقشة . وهذا
الموقف محسوس منذ بدأ نقده حتى يمكن
القول بأنه : كان يتهرب من المناقشة الموضوعية
ويلتصق التصاقا بالنظرية الدينية التي يسلّم بها
كل إنسان مضطرا تحت تأثير الخوف :
إما من الله أو من السلطة الحاكمة . ولنضرب
مثلا بمشكلة الخير والشر ؛ فأصحاب الوحدة
والاتحاديون يقولون لهذه المشكلة تفسيرا
لا يضع من قيمة الشر ، ولا يحيط من قدر
الأفعال المنكرة بوصفها داخلة ضمن النطاق
الإلهي : وكان أغلبهم يحتج بالقدر على المعاصي
ويجد مبررا لأعماله من هذا الطريق . ويرد
ابن تيمية عليهم قائلا : « إذ لا يمكنه أن
يجعل القدر حجة لكل أحد ؛ فإن ذلك مستلزم
للفساد الذي لا صلاح معه ، وللشر الذي لا خير
فيه . إذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما
هوق معتد ، ولا اقتصر من باغ ، . وهذا
الرد بطبيعة الحال ديني خاص ولا يمكن بحال

١ — العنصر الأول هو العنصر الخطابي
وهذا يبدو بوضوح في أنحاء كثيرة من نقد
ابن تيمية . فكثيرا ما تراه يحاول التأثير
في نفوس الناس بطرق ليست من الصدق
أو المنطق في شيء ، ويضطر في أغلب الأحيان
إلى الاعتماد على السب والشتم . كثيرا ما يقول
« وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب
الباطل في العقل والدين ، ، أو يحاول الإغراء
فيقدم رأيه قائلا : « والذي عليه أهل السنة
والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع
الأصناف ، . ويحاول في جملة أنحاء من نقده
إظهار ما في التصوف من عناصر مسيحية
وذلك كما يجعل الناس تزهّد فيه ، وتعتقد
في أهله الكفر ، ويشعرون بالكراهية نحوه
مثل كراهيتهم للعقائد المخالفة للإسلام . فثلا
تراه يعلّق على بيتي الحلاج .

« سبحان من أظهر ناسوته
سرسنا لا موته الثاقب ،
« حتى بدا في خلقه ظاهرا
في صورة الآكل والشارب ،
بقوله : « فهذه قد تعين بها الحلول الخاص
كما تقوله النصارى في المسيح ، وهذا الكلام
حين يكون في معرض البحث والدراسة لهذه
الطائفة يكون معقولا إلى حد ما ، وحتى حينما
يقوله وجل كما سينيون في كتبه نشك في

شرها . ولو كان القدر حجة وهذا لم يكن إبليس ملوما معاقبا ، ولا فرعون وقوم نوح وهاد وعمود وغيرهم من الكفار . الخ هذا التعليق الذى يسوقه ابن تيمية (ص ٨٩) :

٣ — والعنصر الثالث هو العنصر الفلسفى والمنطقى : والحق : يقال إن ابن تيمية وإن كان كارها للفلسفة ومنذذا بها فى كل مناسبة لعله بأن كثيرا من أفكار الوحدة والاتحاد إنما جاءت من اليونان (راجع ص ١١٣) (١) دائرة المعارف الإسلامية) فإنه كان عقلية خصبة وقوية فى نفس الوقت . ولذلك يقول عنه ماسينيون (فى ص ٣٨٦ ج ١ من كتاب الحلاج) فى مسألة الحلاج : يعد ابن تيمية رجل الشرع الوحيد الذى اتخذ موقفا منطقيًا متماسكا : وهذا صحيح إلى حد كبير ؛ فإننا نجد ابن تيمية يعقد فصولا ومقدمات من الرسائل التى ينقد فيها الاتحاد والوحدة لبحث فكرة فى المنطق أو معالجة موضوع من موضوعاته الفكرية واللغوية مما :

أنظر مثلا حينما يحاول ابن تيمية أن يكشف الضعف فى القول بوحدة الوجود عن طريق إثبات خطأ القضية : أن الوجود واحد ، فهو هنا منطقي يحاول أن يظهر الخطأ العقلى فى فهم حكم من الأحكام . هو يذهب بعيدا عن التفسيرات المختلفة التى تتعلق بهذه

أن يفتن واحدا لا يؤمن بالثواب والعقاب الآخر وبين : وحينما يريد أن يجيب إجابة معقولة على هذه المشكلة يدخل فى كلام لا معنى له أو هو بعينه الذى يرد عليه كقوله : د فالأمر الكونى ليس هو أمر العبد أن يفعل ذلك الأمر ؛ بل هو أمر تكوين لذلك الفعل فى العبد أو أمر تكوين لكون العبد على ذلك الحال ، ثم يقبله بمقولة دينية : د فهو سبحانه هو الذى خلق الإنسان ملوما : إذا مسه الشر جزوا ، وإذا مسه الخير منوعا ، وهو الذى جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل :

(ربنا ، واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهو سبحانه جعل العباد على الأحوال التى خلقهم عليها ، وأمره لهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم : كونوا كذلك فيكونون كذلك . . ويقول بعد هذا كلاما طويلا يختتمه بهذه العبارة الصريحة : د وليس فى القدر حجة لابن آدم ، ولا هذر بل القدر يؤمن به ولا يحتج به ، والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين ، متناقض ، فإن القدر إن كان حجة وهذا لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه ، وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه إذا ظلم فى نفسه وماله وعرضه وحرمة أن لا ينتصر من الظالم ، ولا يغضب عليه ، ولا يذمه . وهذا أمر بمنع فى الطبيعة لا يمكن أحدا أن يفعله ؛ فهو بمنع طبعيا محرم

تكاد تكون قريبة الشبه من بعض أصحاب المنطق الحديث ، فهو يعمل حسابا لذات الإنسانية حين تحكم بوصفها العنصر المدرك في هذا الوجود . يقول : « هذا تناقض ، فإن قوله « وهم » يقتضى متوهما ، فإن كان المتوهم هو الوهم ، فيكون الله هو الوهم ؛ وإن كان المتوهم هو غير الوهم فقد تعدد الوجود . وكذلك : إن كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالوهم الباطل ، وهذا مع أنه كفر ، فإنه يناقض قوله : الوجود واحد ، وإن كان المتوهم غيره ؛ فقد أثبت غير الله ، وهذا يناقض أصله . ثم متى أثبت غيراً لزمّت الكثرة فلا تكون الكثرة وهما بل تكون حقاً . (ص ٧٨ ج ١ ص ٢٠٠)

فالقول بأن الكثرة وهم فيها خطأ منطقي يلاحظ إذا ما قلنا بتحليل معنى كل من هاتين اللفظتين . فكلمة الوهم تقتضى الوهم . ومادام هناك وهم فلا يمكن أن يكون هو نفسه الله . إذن فهناك شيء آخر غير الله وهناك أكثر من وجود واحد .

والمهم هو أن نعرف الآن أن ابن تيمية لم يكن قويا كل القوة في هذا الجانب لأحد أمرين : إما رغبته في تشويه صورة التصوف وإما جهله ، أو خطؤه في فهم بعض آراء أصحاب الوحدة والاتحاد والحلول والفرق الدقيقة فيما بينها . فكثيرا ما تراه يخاطب بين

النقطة ويتعاضى عن صلة الفكرة بمجمل المذاهب التوحيدية ويأخذ في تحليل القضية البسيطة التي تحكم على الوجود بأنه واحد .

وهذا ليس غريبا كما قد يبدو لأول وهلة عن روح ابن تيمية . فهو في كثير من مواضع نقده يأخذ في الإجابة عن معرفته بأصول المنطق ، وقواعد الاستدلال . ويترك النقطة الرئيسية التي يتحدث فيها كتما ينساق بالفارسي إلى بحوث منطقية ولفظية صرفة . ولهذا نجد علاوة على جملة ما هاجم به الصوفية ، وأصحاب الوحدة منهم خاصة ، يبذل عناية شديدة بالناحية العقلية في أساليب كتابهم وإذا استطعنا بسهولة أن نجد عناصر خطابية أو عناصر فلسفية ، أو عناصر دينية في أسلوب ابن تيمية النقدي ؛ فإننا سنكون بنفس السهولة قادرين على اكتشاف عناصر منطقية خاصة في طريقة مهاجمته لهؤلاء القوم . وهو إذ يفعل هذا ، نراه يرتكن على نقده لعدة من أهم القضايا التي يرتكز عليها مفهوم الوحدة الوجودية عند من هذا مثلا : « الكثرة وهم » فهذه قضية من وضع « ابن سبعين » ، على الخصوص وهو إذ قام بوضعها فإنما جعلها في مقابل قول المسلمين : « لا إله إلا الله » ، وابن تيمية في عرضه لنقد هذه القضية كان يرتكنا على فطرة

الجذب ، وبين نظرية فلسفية في الإلهيات ...
 أى أن ثمة فرقاً بين الحلاج صاح الذى فى حالة
 من أحوال جذب به بقوله : « أنا الحق »
 أو ابن الفارف الذى أفناه حبه لمحجوبه عن
 نفسه ، فلم يشمر إلا بالاتحاد التام به وبين
 ابن عربى الذى يعبر فى صراحة لا مواربة
 فيها ولا لبس لا عن وحدته هو بالذات
 الإلهية ؛ ولا عن فئانه فى محجوبه ، بل عن وحدة
 الحق والخلق ، إذن لم يكن لمذهب وحدة
 الوجود وجود فى الإسلام بصورته الكاملة
 قبل ابن عربى كما يقول الدكتور أبو العلا
 هفنى (ص ٢٥ فصوص الحسم) ،
 وابن الفارض ليس إلا من أصحاب الاتحاد
 الذين يفترضون الثنائية مقدما ، فالإتحاد بهذا
 المعنى يتضمن وجود كائنين بصيران
 شيئاً واحداً .

ولنضرب مثلاً آخر من تقده لابن عربى :
 فهو يزعم أنه يثبت الذات ، ويقول بتجليها
 عند المشاهدة والمساكفة ، فى حين أنه يحكم
 بعكس ذلك ، ويأتى بدليل على تناقضه
 فى هذا من قوله :

ما غبت عن قلب ولا عن عين

ما بينكم وبيننا من بين
 فيعلق على هذا البيت بقوله : حتى لو تفاضينا
 عن هذا التناقض الظاهر فى أحكامهم ، فإننا

أشياء ما كان يخلط بينها لو صدق التية ،
 أو لو أحسن الفهم .

أنظر مثلاً تعليقه على بيتى ابن الفارض :

وشاهد إذا استجليت ذاتك من ترى

بغير مرآة فى المرآة الصقيلة

أغيرك فيها لاح ، أم أنت ناظر

إليك بها عند انعكاس الأشعة

فهذا التمثيل فى نظره فاسد لسببين :

أولاً : لأن الناظر فى المرآة مثال نفسه
 فيرى نفسه ويرى المرآة ، ولا يمكن أن يرى
 نفسه بغير أن تتوسط المرآة .

وثانياً : لأن هذه المرآة لا بد أن تكون
 خارج نفسه فيرى نفسه ، أو مثال نفسه
 فى شيء سواء ، وإذا كان الأمر على هذا
 النحو فشمت تناقض ظاهر لأن الكون عندهم
 كما يقول : ليس فيه غير ولا سوى ، فليس
 هناك مظهر مغاير للطبيعة ، ولا مرآة مغايرة
 للرأى ، (ص ٨٧ م . ر . م . ج ١) .

فالواقع أن ابن الفارض لم يكن من أصحاب
 الوحدة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وكل ما تدل
 عليه أقواله ، هو أنه قد أفنى نفسه فى حب الله ؛
 وعن كل ما سوى الله ، فلم ير - بالتالى - فى
 الوجود غيره ، وهذه وحدة شهود لا وحدة
 وجود ، وفرق بين فيض العاطفة وشطاحات

شيخ الإسلام ابن تيمية - كما يقول مصطفى عبد الرزاق (ص ١٢١) فيلسوف العرب والمعلم الثاني) فإن تفكيره أحياناً لا يستوفي التحصيل الفلسفي .

وهناك نقطة هامة في الاستدلال القرآني أغفلها ابن تيمية إغفالاً تاماً وهي أن الآيات التي كان يستشهد بها من حين لآخر يمكن أن يوجد لها مقابل يؤيد مذهب الصوفية تأييداً كلياً وجزئياً ، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى ما في الشريعة من ازدواج كما يقول جولد تسهير ، فن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقيدياً متجانساً أو نشق جانباً واحداً في تأييد مطلق لتيار معين ، والآيات والأحاديث التي يستشهد بها الصوفية والتي تؤيد أقوالهم أكثر من أن تحصى وأذيع من أن تحتاج لتعريف جديد ، وبهذا نعرف أن ابن تيمية لم يكن حريصاً كل الحرص ، وأن السلاح الذي استخدمه لحرب الغائلين بالاتحاد والوحدة لم يحسم في الأمر تماماً ؟

عبد الفتاح الميرى

في البيت ، أوفى هذا المعنى الذي يحى به الشاهر تكون يازام قول يقتضى المغاير ، أى أن يغاير الخلق خالقه وأن يكون المخاطب غير المخاطب والشاهد غير المشهود . ويذهب في تفصيله لرأيه قائلاً ما بينكم وبيننا من بين ، فيه إثبات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وهذا إثبات لاثنتين وإن قالوا مظاهر وجمال ، قيل : فإن كانت المظاهر والجمال غير المظاهر المنجلى فقد ثبتت التثنية وبطل التعدد ، وإن كان هو لياهما فقد بطلت الوحدة فالجمع بينهما تناقض (ص ١٠١ ج ١ م) والواقع أن هذه المغايرة لا قيمة لها لو قطن ابن تيمية لمعنى البيت فهما محييا فأية مغايرة تلك التي تكون بين كائنين لكل منهما نفس المكان والزمان ، فكلمة ما ، في أول البيت حددت الزمان وكلمة بين حددت المكان ، ولم يعد من الممكن الفصل بين الحق والخلق بهذا المعنى على الرغم من التفرقة المعنوية الظاهرة بين كل منهما . قال شيخان اللذان يحتلان مكاناً واحداً وزماناً واحداً لا يمكن إلا أن يكونا شيئاً واحداً ، وبالتالي نفرض أنه لا تناقض هناك في كلام ابن عربي فإذا كان للعلوم الفلسفية أثرها في تفكير

ضجة مفتعلة ينكرها الدين والواقع

للأستاذ محمد الغزالي

والطلاق من الرجل لا يمكن لأحد أن يسلبه إياه .

والمرأة نصف نصيب الرجل في الميراث .
والرجل هو رب البيت والقوام عليه
والراعي الأكبر لأولاده .

وما يطلبه النساء اليوم من تغيير لهذه
المبادئ الإسلامية ضرب من الغرور يجب
أن يقمع دون هوادة .

وسنرى عند التأمل في أحوال المجتمع المصري
أن المزايم حول انهيار الأسرة المصرية بسبب
إباحة التعدد والطلاق مكذوبة من أسامها .

وأن الأسرة المصرية أشرف سيرة وأبقى
جواً من الأسرة الأوروبية والأمريكية وأنه
- إذا كان هناك ما يعكس صفو الأسرة - فهو
سلوك المنحليين الذين أطرحوا تعاليم الدين ظهرياً
ويريدون إغراء غيرهم بالمروق منها والتمرد عليها .
أما الأمة فهي تود لو عاشت ظاهراً وباطناً
في حدود دينها العظيم .

لقد سمعنا كلاماً كثيراً حول إساءة الناس
لحق التعدد ، وإباحة والطلاق . .

ولا نود على هذا الكلام بأكثر من ذكر
الإحصاءات الرسمية التي تنطق بعكس ما يدعيه
هؤلاء... وإلى القراء الكرام الجدول المثبت في
صفحة ٣٠ من الكتاب الذي أصدرته مصلحة
الإحصاء والتعداد ١٩٦٠ - ١٩٦١ .

تقبعت بشيء غير قليل من الدهشة اللفظ
الطويل الذي احترق إثارته بعض الناس
حول ما يسمى بقوانين الأحوال الشخصية .
وأريد أن أنفي أولاً وجود هذه التسمية
في ميدان الفقه الإسلامي وأن أرفض الإيحاء
المقترن بها .

فشرائع الأسرة ليست أحوالاً شخصية تهم
أصحابها وحدهم من حقهم أن يبقوها إذا شاءوا
أو يغيروها إذا شاءوا .

وإذا كان هذا العنوان اصطلاحاً فنياً محضاً
فهو ليس من وضع علماء الإسلام ، ويبدو أنه
مترجم عن اللغة الفرنسية ولا وجود لكلمة
قوانين الأحوال الشخصية في كتبنا الفقهية كلها .
ونذع هذا الاستطراد إلى موضوع حديثنا
وهو ما شرع الله في الزواج والطلاق والحضانة
والميراث . فنقول في حجم . إن أي تفكير في
تغيير هذه الشرائع مرفوض جملة وتفصيلاً وأن
كلمة « تطوير » ، قوانين الأحوال الشخصية التي
لجج البعض بتردادها ليست غير احتيالية منسكورة
للاستلاخ من أحكام الإسلام التي فطقت بها
النصوص ، وانعقد على تفسيرها الإجماع .
فالزواج بالواحدة إلى الأربع مباح بغيرنا
لمن يستطيع العدل .

جدول ١٧ - عقود الزواج وإشهادات الطلاق
وفسبها لكل ألف من السكان

السنوات	عقود الزواج		إشهادات الطلاق	
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
١٩٤٥	٢٧٥٦٨٦	١٤٠٩	٧٩٩٩١	٤٠٣
١٩٤٦	٢٨٧٩٢٩	١٥٠٣	٨٠٤١٥	٤٠٣
١٩٤٧	٢٦٠٥٨٦	١٣٠٧	٧٥٤٠٤	٤٠٠
١٩٤٨	٢٧٢١٢٨	١٤٠٠	٧٦١٥٤	٣٠٩
١٩٤٩	٢٨٠٤٦٣	١٤٠١	٧٣٨٢٧	٣٠٧
١٩٥٠	٢٧٢٧٩٥	١٣٠٤	٧٤٨٨١	٣٠٧
١٩٥١	٢٥٢٥٢٦	١٢٠١	٧٥٢٧٧	٣٠٦
١٩٥٢	٢٣١٨٤٦	١٠٠٨	٦٩٥٣٨	٣٠٢
١٩٥٣	٢١٦٢٦٨	٩٠٨	٦٢٢٩٦	٢٠٨
١٩٥٤	٢١٩٠٠٦	٩٠٧	٥٩٥٨٠	٢٠٦
١٩٥٥	٢٢٦٣٦٤	٩٠٨	٦٠٣٣١	٢٠٦
١٩٥٦	٢٢٢٠١١	٩٠٤	٥٧١٨٧	٢٠٤
١٩٥٧	٢٤١٤٣٦	١٠٠٠	٥٩٩٤٨	٢٠٥
١٩٥٨	٢٢٨٠١٨	٩٠٢	٦٠٠٤٤	٢٠٤

من هذه الأرقام يتضح لكل ذى بصيرة :
 أولا : أن عدد عقود الزواج في تناقص مستمر رغم أن الزيادة في عدد السكان مطردة .
 لقد زاد عدد السكان خلال هذه السنوات الأربع عشرة نحو ثمانية ملايين من السكان .
 وكان ينبغي أن يصل عدد عقود الزواج إلى أربع مائة ألف ... لا أن يهبط العدد إلى مائتي ألف . فالأزمة المخوفة هي قلة الزواج لا كثرتها كما يرجف النساء وأشياعهن من الرجال المخدوعين ...

جدول ٥ - تعداد السكان حسب الحالة الزوجية والنسبة المئوية لكل حالة إلى الجملة

(الأرقام بالآلاف)

الحالة الزوجية	١٩٢٧				١٩٣٧				١٩٤٧			
	النسبة / ٪	إناث	النسبة / ٪	ذكور	النسبة / ٪	إناث	النسبة / ٪	ذكور	النسبة / ٪	إناث	النسبة / ٪	ذكور
لم يتزوج أبدا	٩	٣٦١	٢٣	٨٩٨	١١	٤٩٧	٢٤	١٠٢٨	١١	٦٦٢	٢٣	١٢٠٢
متزوج	٦٨	٢٨٩٦	٧٢	٢٧٧٧	٦٧	٣١٨٠	٧٢	٢٠٩٧	٦٥	٣٧٦٦	٧١	٣٦٢٨
مطلق	٣	١٢٠	٢	٦٦	٢	٩٧	١	٦٠	٢	١٢٧	١	٦٩
أرمل	٢٠	٨٧٥	٣	١٥٥	٢٠	٩٣٢	٣	١٢٩	٢٠	١١٣١	٣	١٣٨
غير مبين	—	٩	—	١٢	—	٧	—	١٠	٢	٩٧	٢	٨٨
الجملة	١٠٠	٤٢٥٦	١٠٠	٣٨٥٨	١٠٠	٤٧١٣	١٠٠	٤٣٢٤	١٠٠	٥٧٨٣	١٠٠	٥١٢٥

(١) لا يشمل الذكور دون الثامنة عشرة، والإناث دون السادسة عشرة.

إن الطلاق أبغض الحلال إلى الله، وما نريد أن يلجأ إليه أحد إلا عند اليأس من صلاح ذات البين .

لكن القول بأن الطلاق سبب أول أو ثان أو ثالث لتفرد الأطفال في مجتمعنا جراءة مستنكرة وتخطئ شائن .

ونعاود السؤال : إذا كان عدد الذين يتزوجون أكثر من واحدة قرابة ٢٠٪ وعدد الذين يطلقون يهبط بعد التصفية التي كشف عنها الإحصاء إلى مثل هذه النسبة فقيم عويل النساء ؟ .

وفيم فزع بعض الكتبة الذين طالت ألسنتهم في الإسلام وتعاليمه ؟ .

ثم لماذا لم نسمع لهؤلاء صوتاً يضيّق بإياحة الزنا في الظروف التي حددها القانون ؟ . إن الجوار هناك والصمت هنا دلالة ضمير حائن ونصيحة مغشوشة ومن ثم فنحن نلفت الأنظار إلى ما ينطوى عليه هذا التناقض الغريب .

قال لي بعض المتحمسين لتقييد الطلاق : إن سهولة الطلاق في الإسلام بصرت لمن يبخسون زوجاتهم من النصارى أن يتركوا دينهم ويدخلوا في الإسلام حتى يتخلصوا بالطلاق من الزوجات اللاتي يكرهون .

قلت كأن التشريع المقترح محاولة لمنع هؤلاء الفارين من اللجوء إلينا ! .

من هذه الأرقام يقين أن نسبة المطلقين الذين تخلوا عن تكوين الأسر نهائياً إلى مجموع المتزوجين أبواب الأسر هي ١ : ٧٢ .

فهل هذا هو الباعث على الصراخ والعويل من فوضى الأحكام الإسلامية كما يفترى هؤلاء الكاذبون على دين الله ودنيا الناس .

إن لغة الأرقام تكشف عن الفراغ الهائل في منطق المتهممين على قوانين الأحوال الشخصية، كما يسمونها .

وتبين أن هناك بواحد أخرى كامنة في النفوس هي سر اللفظ الذي يتجدد بين الحين والحين ضد تعاليم الإسلام في هذا المجال .

ولقد ألفت نظرة على بعض التفاصيل في إشارات الطلاق فوجدت أن ثلاثة أرباع المطلقين لا أولاد لهم البتة . لأنهم إذا طلقوا قبل الدخول أو بعده والزوجة عقيم . أو لما تلد .

وقلت للسئول في وزارة الشؤون إن هذا الإحصاء قاطع بفساد الادعاء أن الطلاق سبب الأسباب في تفرد الطفولة ...

فقال : لا تنس أن الربع الباقي في حالات الطلاق يخلف وراءه ثلاثين ألف ولد .

فقلت : هل المطلقون الذين لهم أولاد صعاليك جميعاً . فقيم إذن قضايا النفقة والحضانة التي قفل المحاكم .

يعجزون عن ترك زوجاتهم وذلك كله تحت
هنوان إرضاء المرأة أو حماية الأسرة !!! .
إن هذا التشريع - لو صدر - فسيكون
ذريعة إلى مفسد هائلة ، وجرائم فاتكة .

وإننا لموقفون أن أولى الأمر لن يحدعوا
بهذا الضجيج المصطنع مهما تتابع الصياح
واستطال الإلحاح .

بل أن أملنا يتجاوز التزام تعاليم الإسلام
بشأن الأسرة إلى إشاعة تعاليم الإسلام
في أوجاء المجتمع كله فتتناول صنوف
المعاملات ، وتنفع روح الشرف والحق
في قوانين العقوبات وسائر التصرفات .

ويومئذ تكون بلادنا قد نجحت في صد
الاستعمار الثقافي وعادت سيرتها الأولى تضئ
الطريق للحائرين .
محمد الغزالي

لو أن هناك عقلاً راشداً لاتخذنا هذا المسلك
دليلاً على أن صلب الرجل حق الطلاق
مرفقة لسلبه ذينه .

إن مشرات الأمم المسيحية احترمت الواقع
وأباحن للرجل الطلاق بعيداً عن التعاليم
المتوارثة بين كهنة الكنيسة فكيف نفكر
نحن أن نضع أيدي المسلمين في الأغلال التي
طرحها غيرهم ؟ .

وماذا يقع لو قيدنا الطلاق كما يقترح هؤلاء
القاصرون ؟ .

أما يترك نفر من المسلمين دينهم فراراً
من الزوجة التي لا يطيقون ؟ .

وبذلك تكون أولى بركات القانون المراد
سنه أن نفوق غير المسلمين من الإسلام ،
وأن ندفع بعض المسلمين إلى الارتداد حين

رجل الدهر

لاني أخبركم عن صاحب لي ملات لي منه يدي ، وطويت على حبه نفسي ، وجعلته ضئي
من بين صبحي . فقد كان بصيراً بورد الأمور وصورها ، ويعرف من مطلع كل أمر
ما يكون مقامه ، وتقوم أدنى فراسة منه مقام البينة ، ويصيب بالظن ما يخطئ غيره بالبيان .
كان أكنم ما يكون للسرا إذا باحت الألسنة من الأسرار بحصونها ، وانفجرت صدور
الثقات عن مكمنها ، كان أيبا لو خطب له إمارة على أن يكون مهرها ذل ساعة ، لآثر أن
يزف إلى قبره على أن تزف إليه الإمارة . كان صلب العود على النوب ، إذا وماه الدهر
بخطاب يبلوه ، بلى منه الخطاب بالنفس المرة والخلق الوعر ، والصدر الذي تضل في ساحة
صبره كل نائبه .
صادق عنبر

إلى أى مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟ للأستاذ بدر عبد الباسط

- ٦ -

المصالح المرسله :

ولاسيما في هذا العصر الذى لا يأمن فيه ذودين على دينه والذى كثر فيه أدهياء الاجتهاد الآخرق والمفتون الماخزون والمتساجرون بالدين إما وغبة أو رهبة .

وأما الذين أجازوا الاجتهاد فى التشريع والفتنا على المصالح المرسله فوجهة نظرم تتلخص فى أن عدم الاعتداد بها جهود قد يحمل الناس على النفور من الشريعة جملة وتفصيلا ، وفى هذا من الضرر ما يربو على الضرر الذى ساقه المانعون .

انتهيت فى المقال السابق إلى تعريف المصالح المرسله ، والفرق بينها وبين المصالح الملقاة كما يذم آراء العلماء فى جواز الاحتجاج بها ووجهة نظر كل منهم والذى نبهته اليوم هو الإجابة عن هذا السؤال ، هل المصالح المرسله دليل مستقل ، ويتبع هذا بيان المدى الذى نعتمد فيه على المصالح المرسله فى التشريع والفتوى .

والذى قطمئن إليه نفسى أن فى كلا القولين مغالاة ، وأنه فى الإمكان أن نجتمع على كبة سواء ؛ وذلك لأن من دقق النظر فيما نقل عن السلف من مسائل ردها بعض العلماء إلى القول برعاية المصالح نجد أن الشارع اعتبر تلك المصلحة بأى وجه من وجوه الاعتبار التى تحدثت عنها تفصيلا فى المقال الرابع وإجمالا فى المقال الخامس ؛ ولذا يبدو لى أن المصالح ليست منقسمة إلى ثلاثة أقسام معتبرة وملغاة ومرسله بل هى منقسمة إلى قسمين :

وقبل الإجابة على هذا السؤال يحسن أن نعيد النظر فيما ساقه العلماء من أدلة تبين وجهه نظرم فى جواز الاحتجاج بها ؛ وإذا نحن تجردنا عن الهوى وقارنا بين الآراء المختلفة ونظرنا فى أدلتهم وجدنا أن المانعين أخذوا بالأحوط فى أمر التشريع وابتعدوا جهد الطاقة عن فتح باب القشهى فى الأحكام ؛ وقالوا : إن الشريعة بأصولها العامة ونصوصها المرنة فيها غنية عن فتح هذا الباب الذى لا يدرى أحد إلى أية نهاية يذهب بنا ،

عن الكتابين وعدم الإبلاغ ؛ والآيات في هذا المقام كثيرة كلها تحض على عدم تحريف كلام الله ووجوب إبلاغه والمحافظة عليه ، ولما كان جمع الصحف خشية الضياع هو الوسيلة إلى ذلك لذا رأى الخليفة الأول رضى الله عنه وجوبه فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ وإذا كان رضى الله عنه تردد في ذلك فهو تردد المؤمن المتخوف حتى إذا استبان له وجه الحق أقدم لإقدام المؤمن المثبت ؛ وهذا هو خلق المؤمن لا يقدم على الأمر متهوراً ولا كنهه يقدم عليه متثبتاً .

٢ - استخلافه رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه .

وهذا - أيضاً - يرجع إلى أصل ثابت بالنص وهو اتفاق الفتنة : « واقفوا فتنة الانصيين الذين ظللوا منكم خاصة » (١) ، والظرف الذى استخلفه فيه كانت الدولة الإسلامية الناشئة تحارب أكبر دولتين عرفهما التاريخ القديم وهما فارس والروم ؛ فهل يترك الأمر ليفتح باب الفتنة في أخطر مراحل التاريخ على أن الخلافة في نهاية الأمر مردها إلى البيعة ؛ ولم يكن هذا الاستخلاف من أبى بكر إلا نصحا للامة باختيار من يرى أنه قادر على حمل هذا العبء

معتبرة وملغاة ؛ وإن المصالح المسماة بالمصالح المرسله لابد وأن يكون لها شاهد من الشرع ولو في الجمله كأن يرتب الشارع حكماً على مصلحة من جنس هذه المصلحة إلى غير ذلك من وجوه الاعتبار ، وأما القول بأن هذه المصالح ليس لها شاهد أصلاً من الشرع بالاعتبار أو الإلقاء فهذا ما ينقضه الواقع ؛ ولتتبع المسائل التى نسبت إلى الصحابة والتابعين وقيل إنها مردودة إلى المصالح المرسله لنرى أمى - حقاً - لا شاهد لها من الشرع .

١ - جمع الصديق رضى الله عنه الصحف التى كان مدونها بها القرآن الكريم ، وهذا الأمر أبعد ما يكون عن المصالح المرسله ؛ فهذا يرجع إلى أصل ثابت بالنص من الكتاب والسنة أليس من أصول الدين المحافظة على الكتاب بأية وسيلة من الوسائل « إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون » (١) « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشتررون » (٢) ، وهذه الآية وإن كانت فيمن سبقنا من الأمم ولكن فيها تحذير لنا

(١) سورة الحجر الآية ٩

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

(١) سورة الأنفال الآية ٢٥ .

وتسعون هدوانا وظلما إن شاء عذبه بها وإن شاء غفر له . .

وفي بعض الروايات من حديث طلاق ابن عمر لامرأته في الحيض أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أ رأيت لو طلقها ثلاثا أكان يحل لي أن أراجعها فقال : لا كانت تبين منك وكانت معصية . .

فأنت ترى أن ما أخذ به عمر في أمر الطلاق الثلاث له أصل عن صاحب الشرع ؛ ولعل كثرة التطلق بالثلاث بلفظ واحد في عهده جعله يلتصق دليلا فيه شيء من التشديد والتأديب حتى وجده ؛ وصحة خبره عند أحد المجتهدين وعدم صحته عند غيره أمر كثير الوقوع ؛ هل أن قوله تعالى : والطلاق مرتان ، (١) ، يحتمل من وجه بعيد أن الطلقتين مجتمعتان أو متفرقتان ؛ وعمر رضي الله عنه أخذ بهذا الاحتمال نظرا لما رآه من المصلحة ؛ ولا سيما بعد أن سقت الحديثين المتقدمين ؛ ولهذا رأينا من جاء بعده من الخلفاء اتفقوا رأيه ؛ وذلك لما رأوه من أدلة تشهد له عن صاحب الشرع .

وهذا الذي قررناه يؤكد ما سبق أن قررته في أوائل هذا البحث أنه يجوز الأخذ بالرأي المرجوح - إن لم يكن ساقطا - إذا كان الأخذ به

في هذا الوقت ؛ ولو كان في هذا الاستخلاف شهوة لنفسه لكان له في ولده أو أهل بيته وقرابته من بكل لإلهم هذا الأمر الخطير ؛ ولقد كان الخير لهذه الأمة ما أقدم عليه أبو بكر فتأخير عمر مفعرة لسكل مسلم بل هو مفعرة للإنسانية كلها .

٣ - حرب أبي بكر رضي الله عنه لما نعى الزكاة ؛ وماذا في ذلك من مصلحة مرسله ١١ ؟ ليست الزكاة ركناً من أركان الإسلام وعلى ولي الأمر أن يراقب الأمة في تنفيذ حكم الله ، وإلا فإفهام وظيفته ، أمي أبهة الحكم ومظاهر السلطان ، ثم ألم بأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجبي الزكاة من المسلمين و أخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ، (١) .

٤ - إمامنا عمر رضي الله عنه الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثا وقد كان واحدة .

وهذه المسألة - أيضا - لها شاهد من الشرع ؛ فقد أسند عبد الرزاق عن عبادة ابن الصامت إن أباه طلق زوجته ألف تطلقا فانطلق عبادة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : د بابت بثلاث في معصية الله تعالى ؛ وبقي تسعمائة وصبح

من يعطيهم من مال الزكاة ؛ فنع المؤلفة قلوبهم لم يكن استصلاحاً وإنما كان تطبيقاً دقيقاً للنص الشرعى .

٦ — وضع الحراج على الأرض المفتوحة وعدم توزيعها على الغزاة الفاتحين .

وقد أغنا نارضى الله عنه مؤونة الرد على من يقول : إنه فعل ذلك تشبهاً أو استصلاحاً فقد استدلل على وجهة نظره بآيات سورة الحشر التى وردت فى أمر النفي من الآية السابعة إلى الآية العاشرة وفيها ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وفى الآية العاشرة ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولهذا كان يقول لمن عارضه : وماذا نترك للذراى ... ؟ إلى أن واجههم بآيات سورة الحشر فنزلوا على رأيه نزولاً الله لا على حكم عمر .

٧ — تدوين الدواوين وإنشاء السجون . وهذا أيضاً له شاهد من الشرع فإن حفظ مال الأمة وإعداد القوة من مقاصد الشريعة وتدوين الدواوين وسيلة إلى حفظ الأموال ومعرفة القادرين على الجهاد ، وكما قلنا : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ وإنشاء السجون نفي من الأرض ؛ وقد شهد الشارع لهذا المبدأ

بحقق مصلحة راجحة أو يدفع ضرراً أعظم .

٥ — منعه رضى الله عنه المؤلفة قلوبهم من أخذ الزكاة .

وهذا - أيضاً - ليس من قبيل المصالح المرسلة بل هو أعمال للنص ؛ وذلك لأن الذين حرهم من سهمهم فى الزكاة وهم : الزبرقان بن بدر ، والأقرع بن حابس وجماعتهم لم يكونوا يستحقون الزكاة بذواتهم وإنما استحقوها بصفتهم من المؤلفة قلوبهم ومن المعروف عند من له خبرة بأصول الفقه أنه تعليق الحكم بمشتق يؤذن بعلمية المصدر ؛ وهو - هنا - التأليف ؛ وهؤلاء قوم أسلبوا من عهد رسول الله وأعطاهم الرسول صلوات الله وسلامه من سهم المؤلفة قلوبهم لحاجة الدولة إلى التأليف وحاجتهم هم إلى الثبوت ؛ وحينما منعهم عمر كانت الدولة الإسلامية تضرب كسرى على أم رأسه كما تضرب قيصر على قفاه ، فهل هم فى حاجة إلى تأليف أمثال الزبرقان والأقرع ولا سيما وقد مضى على دخولهم الإسلام مدة كافية يتذوقون فيها الإيمان من غير أن يكون لهم حافز من مال ؛ ولو أن عمر رضى الله عنه وجد فى هذه داع إلى التأليف لكان أول

والاحتياط الذى اتخذه هثان عند كتابة المصحف كفيل فى صيانة الكتاب العزيز من التحريف .

١١ - توريشه زوجة الفار وهو الذى طلق زوجته فى مرض موته حتى لا ترثه . وهذا الحكم له شاهد من الشرع بطريق القياس على حرمان القاتل من ميراث المقتول لأنه استعمل أمرا قبل أوامه ، فنأخذ من ذلك أن من مبادئ الشريعة أن سوء القصد - متى قامت الدلائل على سوء قصده - يعامل بغير قصده .

١٢ - تحريق على كرم الله وجهه لغلاة الرافضة الذين ادعوا ألوهيته فلقبح جريمتهم وله أصل شاهد له من الشرع وهو تسميل هيون العربيين الذين قابلو إحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بقتل رعاة إبل الصدقة واسقيافها ، على أن جريمة غلاة الرافضة أفحش ، ولقد لجأ رضى الله عنه إلى ذلك زيادة منه فى التبرؤ من دعواهم الكاذبة .

١٣ - تحريق الصحابة لمن ارتكبوا جريمة قوم لوط عليه السلام .

إن الذى يرجع إلى آراء الصحابة فى هذه المسألة يمدح حريصين على الاستناد إلى نص شرعى فى هذه المسألة فقد اختلف رأيهم فى هؤلاء المجرمين نظراً لأنه لم يرد نص صريح فى تحديد

فقد قال تعالى فى شأن الساهين فى الأرض بالفساد : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » ، .

٨ - نفيه نصر بن حجاج ولم يكن قد ارتكب جريمة .

وهذا - أيضاً - يرجع إلى أصل شرعى وهو اتقاء الفتنة ، ولم يكن نفيه عقوبة له وإنما خشية افتتان النساء به ، ولا سيما أن كثرة من الرجال المقيمين بالمدينة كانوا غائبين فى الغزوات ؛ ولا شك أنه كفيل له أسباب الراحة ؛ وهذا إجراء وقاى يقره الإسلام فإن الوقاية خير من العلاج .

٩ - تعطيل حد السرقة عام الرمادة . وهذا - أيضاً - له شاهد من الشرع ؛ فإن المجاعة شبة قوية كافية لإسقاط حد السرقة تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم « ادروا الحدود بالشبهات » .

١٠ - جمع هثان بن عфан رضى الله للمصحف وكتابه وأمره بحرق ما سواه . وما قلناه فى جمع أبى بكر للمصحف يقال هنا والأمر بإحراق ما عدا مصحف هثان - سد باب الفتنة وهو أصل مشروع ؛

١٤ - وضع النقط وعلامات الإحراب في المصحف في عهد التابعين .

يرجع هذا إلى أصل شرعى وهو المحافظة على الكتاب من التحريف والتبديل وهو من أوائل مقاصد الشريعة، ومقدمة الواجب والوسيلة إليه واجبة كما قررناه أكثر من مرة .

١٥ - تدوين الحديث وفتاوى الصحابة في عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . هذا - أيضا - يرجع إلى حفظ الشريعة وفيه امتثال لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه : نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوهاها فأداها كما سمعها ، .

ولما زال المانع من التدوين وهو خشية اختلاط القرآن بالسنة بعد أن انتشر الحفاظ في بقاع الأرض وكثرت المصاحف وأمن من اللبس كان من الواجب أن تدون السنة خشية اندراسها ، وحفظ الدين من مقاصد التشريع الأولى كما قالت آتفا .

بعد هذا يمكن أن أقرر مطمئناً أن ما يسمى بالمصلحة المرسلة لا بد وأن يكون لها شاهد باعتبار الشارع بأى نوع من وجوه الاعتبار ؛ وليس من الواجب أن نعتبرها بذاتها بل يكفي أن يعتبر نوعها أو جنسها ؛ ومن هنا أستطيع أن أجزم أن المصلحة المرسلة

حقوبة لهم ، لأن هذه الجريمة الشنعاء لم تكن معروفة في البيئة العربية حين كان ينزل القرآن ، فلما اختلط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى صرت العدوى إلى المجتمع الإسلامى واختلفوا في تحديد العقوبة التي تنزل بهم فمن قائل يعاقبون بحد الزنا الجلد إن لم يكن محصناً والرجم إن كان محصناً ، لأنه انتهاك حرمة فرج آدمي محرم ، ومن قائل أنه يرى من شأني جبل لأن الله عاقب قوم لوط بأن قلب ديارهم فجعل عاليها سافلها ، فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها (١) ، فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٢) .

ومن قائل بالتحريق لأن الله حرق قرى قوم لوط ، ففي سورة هود : فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مصومة عند ربك وما هي من الظالمين ببيعد (٣) ، وفي قوله تعالى : وما هي من الظالمين ببيعد إشارة إلى أن التحريق جزاء من ارتكب مثل جريمتهم .

فأتى ترى أن مانعه الصحابة مع هؤلاء كان له شاهد من الشرع .

(١) هود ٨٢ .

(٢) الحجر ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) هود ٨٢ ، ٨٣ .

عنها مهما كان فيها من نفع ، قاله أعلم بمصالح عباده من أنفسهم ، فإذا لم تكن ملغاة ، نظروا ثانية : هل لها شاهد من الشرع بأى وجه من وجوه الاعتبار ، فإن وجد هذا الشاهد ولو بعيداً أخذنا به ؛ وإلا رجعنا إلى قواعد الشريعة العامة وكالاتل في الأشياء الإباحة ؛ و درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، إلى غير ذلك من القواعد الفقهية المستنبطة من تفريع أحكام الله للعباد .

ثم إن دعوى تطوير الأحكام الشرعية اتباعاً للأهواء والأغراض خروج على الدين لا يقره مسلم مهما ألبسناه من زخارف القول وصدق الله العظيم أذ يقول : د وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروا أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أحكم الجاهلية يبنون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، (١) ؟

بمر القولى عبد الباسط

(١) سورة المائدة الآية ٤٩ ، ٥٠ .

ليست دليلاً مستقلاً ؛ بل هى ترجع إما إلى الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس مع التوسع في تطبيقه .

هذا ومن اعتبر المصلحة دليلاً مستقلاً أجاز أن يخص بها همومات الكتاب والسنة من باب أولى ؛ وذلك لأن دلالة العام ظنية - عند الجمهور سوى الحنفية - والمصلحة ظنية والظنى يخص الظنى .

• • •

وبعد فإن باب الاستصلاح في الشريعة خطير جداً ؛ وعندى أنه - صيانة للشريعة من عبث العابثين وتبرئة لها من الجود - لا بد هندعرض مثل هذه الأحوال للفتيا وللتنقيح أن يعرض الأمر على جماعة عرفوا بالعدالة أولاً وبالتعمق في فهم الشريعة ثانياً مع قوم متخصصين في دراسة حقائق هذه المسائل لمعرفة ما فيها من مضار ومنافع وأن تعقد مقارنة وموازنة صادقة بين الضرر والنفع ، فإذا اطمانوا إلى أن ناحية النفع أرجح من ناحية الضرر يجرى دور رجال الفقه الإسلامى للنظر في هذه المصلحة من ناحية اعتبار الشارع لها ؛ فإن كانت مصلحة ملغاة صرف النظر

الفرقة اللغوية عن أبي العلاء

للأستاذ كامل السيد شاحين

إلا أن يعبت بخلف وعلمه ، فأدار حرف
الروى في البيت الأول على سائر حروف
المعجم ، واستطاع أن يلائم بين البيت الثاني
والبيت الأول في حرف الروى .

قال أبو العلاء بعد أن ساق حكاية خلف
وأصحابه :

« ويفرح على هذه الحكاية فيقال :

لو كان مكان أم حصن ، أم جزء ، وآخره
مودة ، ما كان يقال في القافية الثانية ؟ فإنه
يحتمل أن يقول : وحواري بكشء ، من
قولهم : كشأت اللحم إذا شويته حتى يبس ،
ولو قال : وحواري بنسء ، لجاز ، وأحسن
ما يتأول فيه أن يكون من نسأ الله في أجله
أى لها خبز مع طول حياة ، وهذا أحسن
من أن يعمل على أن النسء : اللبن الكثير
الماء ، وقد قيل إن النسء الخمر ، وفسروا
بيد عروة بن الورد على الوجهين :

سقوني النسء ثم تكنفوني

عداة الله من كذب وزور

١ — حدث صاحب الأمالى عن أبي بكر
ابن أبي حاتم عن الأصمى ، أن خلفاً الأحمر
قال يوماً لأصحابه : ما تقولون في بيت
النمر بن قباب :

ألم بصحبتي وم هجود

خيال طارق من أم حصن

لو كان موضع (أم حصن) ، أم حفص ،
كيف كان يكون قوله :

لها ما تشتهى ، عسل مصفى

إذا شئت ، وحواري بسمن

قالوا : لا نعلم ، فقال : وحواري بلبس^(١)
انتهى .

ووقف أبو العلاء على هذا الخبر ، وكأنه
استشعر أن في سؤال خلف ، وعجز أصحابه ،
ولاقته أيام بالقافية المناسبة ، إدلالاً من
خلف بالمعرفة . . فأبى عليه شيطان اللغة

(١) أمالى القالى ، ج ١ ص ١٥٧ ، والحواري :

الديق الأبيض ، والخبز ، واللبن : الفالوذ .

أبا العلاء بهذه المعايير ؟ ، أو ليس ذلك لأنه يعرف من نفسه قدرة لغوية خاصة لم تتح لكثير من مشهورى الرواة وعلما اللغة ؟ .
ومهما يكن من شيء فمعرفة أبي العلاء باللغة يمكننا أن نستبينها في رسالة الغفران ، وفي الفصول والغايات .. ويظهر أن هذه القدرة تهيأت له في صدره شبابه ، لأن في قصائده السقطيات ما يدل على دلالة واضحة على استبحار الشاعر وتمكنه .

٢ - وليست معرفة أبي العلاء باللغة معرفة قاموسية ، بل هي إلى ذلك معرفة شعور وإحساس وخبرة بأجواء الالفاظ وفوحها والقادى القصيدة (١) التي مطلعها :

مكة أقوت من بنى الدوديلس

فما لجنى بها من حسيس
وفيها يذكر الجنى (خيتور) الملقب بـ (أبى هدرش) ما آل إليه أمر مكة بعد نزول القرآن ، وظهور النبى عليه الصلاة والسلام ، من بعد ما كانت مسرحا للجنان الذين يصفهم بأنهم :

بيض ، بهليل ، ثقال ، يعا

ليل ، كرام ، ينطقون الحميس

ولو حمل حوارى نفسه على اللبن أو الخمر لجاز ، لأن الحوارى تؤكل بذلك ، أى لها الحوارى مع الخمر ، وقد حدثت حدث أنه وأى دبسيل ، ملك الروم ، وهو يغمس خبزا فى خمر ويصيب منه .

ثم يمشى أبو العلاء فيغير الروى إلى حرف الباء ، فيجعلها : أم حرب ، ويجهى البيت الثانى : وحوارى بصرب ، أو يارب ، أو بكشب (١) .

ثم يغيره إلى أم صمت ، وأم شت ، وأم لج وأم شح ، وأم دخ ، وأم سعد ، وأم وقد ، وأم همرو ، وأم كرز ، حتى يصل إلى أو آخر الحروف ، فيأتيك بأم دو ، وأم كره ، وأم شرى .

أفلمست ترى أبا العلاء بهذا يتحدى خلفا ، ويزعم له أنه أعرف منه باللغة ، وأنه إذا كان خلف يستطيع أن يغير الروى فى صورة فأبو العلاء قادر على أن يغيره فى خمس وعشرين .. وأنه فى كل صورة منها لا يكتفى بوجه واحد بل يزيدك على الوجه وجهين أو أكثر .

ثم إن لنا أن نسأل : ما الذى أغرى

(١) هي قصيدة نظمها أبو العلاء على لسان الجنى وفيها ضروب من الفجوة التي يرتكبها العياطين لأبناء آدم .

(١) العصب بالصاد للممالة : اللبن الحامض ، والإرب : العضو من الشواء أو القديد ، والكشب : أكل الشواء .

نذكره منها وقد زوجت
 ثغرا كدر في مدام غريس
 ويتحدث عن الراهب المتبتل كيف يخدعه
 عن فصحه بعدما مل أكل السمك ؛ قال :
 ونخدع القسيس عن فصحه
 من بعد ما ملء بالانقليس
 أصبح مشتاقا إلى لذة
 معللا بالصرف أو بالخفيس
 أقسم لا يشرب إلا دوي
 من السكر ، والبازل تالي السديس
 قلنا له ازدد قدما واحدا
 ما أنت أن تزداده بالوكيس
 فعب فيها ، فوهى له
 وهُتد من آل العين الرجيس
 حتى يفيض الغم منه على
 نمرقته بالشراب القليس
 فأبو هدرش يخدع هذا القسيس الراهب
 بعد ما صام فصحه طامرا متفصكا ، معرضا
 عن اللحم الحرام إلى الانقليس (الحوت)
 الحلال ، وأصبح في شوق إلى الخبز صرفا
 أو بمزوجة ، ثم خدع نفسه فأقسم ألا يتال
 منها إلا دون السكر ، ولكن كلما بالكف
 أغراه الشيطان بالمزيد قدح واحد ما أنت

يرى كيف اختار قافيتها (حيننا) ، لها فيها
 من الصغير ، ولأن لفظها من جوهر الغنة (١)
 ولأنها تناسب ما في حديث الشيطان من
 الوصوة والخفاء الذي يورث الرهبة والخافة
 ثم جاء بها ساكنة أي يكون ذلك أمدا في لفظها
 وأجرى للنفس بها ، وأظهر للصغير فيها .
 ثم أشاعها في القصيدة كلها حتى تحس كأن
 الجوكل من حولك جو شيطاني خفي هامس
 غامض مريب .

وفي تسمية الجن (خيمعورا) ، وتلقيبه
 (أبا هدرش) ، وجعل بني الجن
 (بنى الدرديس) إشعار بأن لدى أبي العلاء
 إحساسا لغويا يهيء له وضع الفاظ مناسبة
 لما بين يديه .

على أن المعاني التي تناولها أبو العلاء
 في هذه القصيدة من الشيطان بسبب قوى ،
 فهو بصف : كيف كان يغار على العروس
 فيتملجها بواشك الصرعة ، قبل أن تزف ،
 وكيف كان يزين للشاب وللشيخ أن يفرغ
 كيسا في الخنا بعد كيس ، وكيف كان يخرج
 الحساء مطرودة من بيتها بلا سبب إلا سوء
 الظن ، ويغري زوجها بأن يبت طلاقها ، حتى
 إذا صارت إلى غيره هاجت نفسه إليها :

(١) جهرة ابن هويد .

إذا ما السارحات نظرن فيه
عجبت لما سرحن وما دهنه
ثم تحذره من خداع الدلالات
الدواهي اللاتي

يقطن : فلانة بنت خير قوم
شفاء للعيون إذا شفته

وأنها رزان رجاح مجدولة القند جمدل
الأهنة ... فأولئك يتجرن بالكذب .

أولئك ما أتين بنصح خل
ولا دن المليك ولا يدنه

ولو طاوعتن لجثن يوما
بأخف الغول ، والنصف الضفنة (١)

فالحديث حديث نساء عن نساء ، ولذلك
التمس له أبو العلاء قافية تجمع النون
المشددة والهاء الساكنة : قافية نسوية
مخشنة وجاء بها على زنة الوافر ، والوافر
يصلح للأداء العاطفي غضبا أم حماسا
أم رقة وحنينا .

وعندما عرض للأوصاف القبيحة استعان
عليها باللفظ المستفطع الذي يفيدك
القبح بمخارجه من قبل أن يكشف عن
مصادفهى مقبته ، وهى منهلة . والدلالات
يجتنب بالنصف الضفنة : ويزيد على ذلك أنه

إن تزده بالخاسر ، حتى عب ، فعدا وهى
الب ، من آل الشيطان الرجيس !
شرب القيس حتى تحبب ، وكل عاقبة ذلك
أن قاض فيه بالخر القليس على نمرقته فياله
من منظر خجل ، ووارحما لبني آدم المساكين
من كيد الشياطين !

* * *

وكذلك يفعل أبو العلاء فى موضع آخر
عندما يشهدك امرأة عجوزا همة توصى ولدها
الاي تزوج ، فإنها شاخت وبس جنياها ،
وأصبح شعرها أبيض قصيرا متفرقا كأنه
الهقام ... وهى تخشى أن تهزأ منها زوجها
الشابة بما فيها من طراوة الصبا ووفرة الشعر :

فمن إلى المكارم والمعالي
ولا تثقل مطاك بعبء كنهه
فإنى قد كبرت ، وما كعاب
ملائمة عجوزا مقسنة
ترى تنومها وترى ثغامى

فتهزأ من منهلة مصفة (١)
ثم تذكر شبابها الدابر ، وما كان عليه
شعرها من وفرة وسواد .

فإن يبيض للحدثان فودى
فقد أغدو بفود كالذجنه

(١) المقسنة : اليابسة . والمنهلة : الضعيفة للمنى
والتنوم : شجر هزير الفروع ساكنها .

(١) الضفنة : المتأخرة المتأهلة للمستقبضة البطن .

يعطى نوعاً من الطرافة والتفكه لا تعطيه
الكلمات المكافئة لها في المعنى :

بينما تجده إذ يعرض للأوصاف الحسنة
يحمى بألفاظ حلوة ومشوقة (رزان الحلم
رجاح ، شفاء للعيون ، جدد لك كجدل
الآهنة ، كمعاب ، تنوم) .

واختيار الألفاظ ووضعها في المواضع
التي تشيع فيها الجوارح المناسبة ، من أدق
المعايير التي يؤزن بها الشاعر القادر ،
والشاعر العاجز .

وأبو العلاء دائماً قادر على أن يخلط الجدل
بالهزل ، وريح الفكاهة لا يفارق هذا الضرب
السوداوي المزاج .

فبينما تراه جاداً كل الجدة ، إذ تراه يهتك
هذا الجد بفكاهة تدفعك إلى ضحك هزلي كأنك
هزا : وهذا مالا تظفر به إلا عند أمثال
الفوزدق من الفحول القروم . نخذ مثلاً
لذلك قوله :

نار لها ضرمية كرمية
تأريثها إرث من الأسلاف

تسقيك والآري الغريب ولو عدت
نهي الإله لثلاث بسلاف

وهنا نجد نادراً متضرمة ، شيت للقرى ،
يورثها الأنبياء بعد الآباء ، ونجد بعد الطعلم
سقى ، من اللبن المخلوط ، والعسل المصق ...

ولولا نهى الإله لكائنات السلاف ثالثتهما
ثم يقول :

وإذا تضيفت النعام ضياءها
حمل الهيب لها مع الألفاظ
ماذا ؟ إذا جاءت النعام على ضوء النار تبتغي
القرى ، وجدت ضياءتها هيبداً أى حنظلاً ،
وألفاظاً أخرى ، من قطع الحديد والمروا
يحملها الغلمان على الصعاف ، يرسعون بها
بين يدي ضيوفهم من النعام .

ألا يذكرنا هذا بقوله في الشريف
الموسوي يذكر كرمه وهو في قبره :

إن زاره الموتى كساحم في البلى
أكفان أبلج مسكرم الأضياف

ونظير ذلك قوله في الحديث عن أمه :

لولا رجاء لقائها لما تبعت
عنسى دليلاً كسر الغمد إصليتها
وصف الدليل بأنه مشوق ضامر كالسيف

الماضي .
ثم قال .

ولا صحبت ذئاب الإنس طاروة
تراقب الجدى في الخضراء مسبوفا

جعل اللصوص ذئاب الإنس . ولما كانوا
ذئاباً فإنهم يطمعون الجداء وهؤلاء اللصوص
الطاوون يترقبون جسد السباع وهو بوج

تركته وما تريد لم تسكتس إلا ما يليق بها (١).
وأنت تجد لأبي العلاء الحلو المقبول الذي
يزيد في الترنم ويلذ في الأفواه ، وتجد منه
الويل المستوخم ، الذي خزم من أفقه ، ثم
أنسخ على الصخر الأصم .

وتتبع الجئاس عند أبي العلاء أمر يطول
ولكننا نضرب أمثلة للحسن ، وأخرى
للقيبح :

فأما الحسن فتجده في مثل قوله في حديثه
عن الإبل :

أأبغى لها شراً ، ولم أر مثلاً
سفائن ليل ، أو سفائر آل
وقوله في شأن حنين الإبل :

لعل كراها قد أراها جذابها
ذوائب طلع بالعقيق وضال
وقوله في شأن الحمام :

ترى كل خطباء الجناح كأنها
خطيب تنمى في الغضيض من الينع
إذا وطئت هوداً برجل حسبتها
ثقيلة حجل ، تلبس العود ذا الشرع (٢)
وقوله في شأن إحدى الأعراميات :

ألفت الملا ، حتى تلمت بالفلا
رنو الطلا ، أو صنعة الآل بالحدع

(١) أسرار البلاغة .

(٢) المود الأول : الغصن ، والثاني : هود الغناء
الذي يضرب عليه والحجل : الخنخال .

من أبراجها ينتظرون ناعسه ليصيدوه
وبأكلوه .

وربما يكون في كلام الجنى السابق
وفي حديث العجوز ما يعزز إدعاءنا في مقدرة
أبي العلاء على إشاعة الفكاهة .

٤ - والقدرة اللغوية مكنت أبا العلاء
من الظفر بالتجنيس في عذرية تارة ، وعلى
استكراه تارة ، ولقد يعد أبو العلاء أحد
من تعاطى هذا النوع من المهارة اللفظية
في العربية .

وقد تعاطاه أبو تمام قبله ، ولكنه كان
يقرح فيه جفنه ، فإذا ناله ناله وجبينه يتفصد
عرقاً .

وتعاطاه الصفي الحلبي ، وابن نباتة بعده ،
ولكنهما كانا يرصدانه ويعدانه إحصاء ،
فأما أبو العلاء فكان إذا أراد صاده ، لوفرة
محصوله ، وطواعية اللغة في يديه .

والتجنيس في ذاته قتب أشرس ، ذلك
بأنه لا يحس حتى يكون موقع الكلمتين
المتجانستين من العقل موقعا حميدا .

والمعاني لا تدين في كل وضع لما يجتنبها
التجنيس إليه ، إذا الالفاظ خدم المعاني
والمصرفة في حكمها ، ولن تجد حكما أحسن من
أن ترسل المعاني على بجيتها ، وتدعها تطلب
لأنفسها الالفاظ التي تناسبها ، فإنها إذا

وأما الرذل المقيت ، فتجده في مثل قوله :
 وحرر هند كأن الله صوره
 عمرو بن هند ، يسوم الناس تعنيما
 فالعمر الأول واحد العمور ، وهي خرزة
 حمراء كثيرة المساء تكون في القرطنة ،
 وحرر بن هند أحد ملوك الحيرة ، كان
 لصراسته وشدة سطوته يلقب (بمضطرط
 الحجارة) .
 فإذا يشق من أمر هذه الخرزة على
 العاشقين فيعنتهم إهانت عمرو بن هند للناس ؟
 وأشد منه عند الله والناس مقاما قوله
 في المطايا :

مطاي يا مطايا وجدكن منازل

منى زل عنها ليس عني بمقلع
 مطا ، بمعنى مد ، يا مطايا : نداء ومنادى ،
 ومنازل فاعل مطا ، أى مد وجدكن ربوع
 من ديار الحبيبة .

بمعنى قدر ، وزل عنها أى أخطأها ، يريد
 أن قدراً أخطأها فبقيت ماثلة ، وأصابني
 فبليت وما بقيت .

قال الخوارزمي : ولقد أحسن في التجنيس
 وأبدع ! . وعجب لهذا الأديب الفاضل كيف
 يستحسن هذا النوع من التجنيس ، ورقى
 العقارب أكثر منه وضوحا ... على أن المعنى
 بعد ذلك بالغ غاية السقم .

ومن الجناس الرذل ما هو حسن في ذاته ،

ولكن عاد الموضوع عليه بالاستهجان ...
 كما ترى في قول أبي العلاء يرثى :
 خلو فوادى بالمودة إخلال
 وإبلال جسمي في طلابك إبلال
 ولى حاجة عند المنية ، فتسكها
 بروحي ، والآهواء مفدكن أهوال
 فالجناس في هذا المقام خطيئة نكراء ،
 فإن الطالب للجناس المتحرى له لا بد أن
 يكون فارغ القلب بعيداً عن الانفعال ...
 فإن المنفذ لا يمكن أن يغلب من انفعاله
 ليقسكع في دروب المحسنات ، وبخاصة هذا
 الخط الصعب ...

وليت شعري عن أبي جعفر المنصور ،
 إذ قال في شأن أبي ذؤيب ، وقد استرسل من
 رثاء أولاده إلى وصف حر الوحش ... قال
 أبو جعفر : (الآن سلا أبو ذؤيب) .

فإذا كان يقول لو سمع المعري يتبدى
 رثاء لأمه بالخلو والإخلال والإبلال
 والإبلال والآهواء والأهوال ؟

— • —

وإد كان التزام ما لا يلزم ، من أبرز
 مظاهر القدرة اللغوية ، وقد ذهب
 أبو العلاء في هذا النوع بشهرة لا تنازع فقد
 أهرضنا من الإطالة بشرحها في هذا المجال ؟

كامل السيرة الساجية

ما وراء المحسوس في فلسفة الجمال ومزاهب الفن

للأستاذ فتحي عثمان

وقد غاض ديدرو محارلات دقيقة للتمييز والتفرقة في مجالات المعاني والمعنويات ، لقد فرق بين الجمال واللذة ، فأقام معنى الجمال على إدراك العلاقات بين الأشياء والأجزاء ، أما ما يصل عن طريق حاسي الذوق والشم كالأطعمة والروائح فهو يوصف باللذة والطيب لا بالجمال كما فرق ديدرو بين الجمال والمنفعة فالإعجاب بالجمال ذاتي في مبدئه لا يعبا بالمنفعة أفلا يحدث في كثير من الأحيان أن يهجر المرء الشيء النافع من أجل شيء جميل ؟ على أن ديدرو يرى أن الحق والخير والجمال ينفها وشائج وثيقة وإذا أضيفت إلى الحق والخير بعض الصفات النادرة الوضاعة فسيصير الحق جميلا والخير جميلا ، وهو يعرف الذوق بأنه قوة مكتسبة بالتجارب المتكررة ، بها يتيسر فهم الحق أو الخير في حالة بصيرهما كلاهما جميلا بحيث يفتج به التأثير السريع القوي ، بل إنه يرى أن واجب كل فنان كريم هو تصوير الفضيلة محبوبة ، والرذيلة بغضنة !

جولة استطلاع لآراء الفلاسفة ومذاهب الفن ، تولى في جلاء إلى إشعاعات ما وراء المحسوس التي تومض من خلال الكلمات والتعريفات والتحليلات ، مهما اختلفت المنازع والمذاهب والأفكار !!

إن ديدرو مثلاً Diderot (١٧١٣/١٧٨٤م) يرى أن الفن عملية فكرية حقا ، ولكنه لا يلبث أن يصرح في مواضع أنه : « لا بد من الحميا الفنية بما تستلزمه من رصف الإحساس وقوة العاطفة ، والدكتور غنيمي هلال يفسر ذلك بأن ديدرو ربما كان يريد من الفنان أن يكون قوى الذوق والعاطفة في أثناء الإحساس والالتقاط ، لكنه عندما يمارس التعبير الفني يجب أن يغلب عقله وإدراكه في نقل التجربة وفي تصويرها ، إذ أن العاطفة المشبوبة كالإحساسات الحادة عملية خرساء لا تبين عن نفسها ، وقد يكون هذا نواة لرأى بندتو كروتشي في ضرورة تمثيل العاطفة قبل محاولة التعبير الفني عنها .

يقارن بالامر الخلقى فى صدوره من الوعى الجمالى الفردى . فالشخص الذى يفكر فى شىء جميل ، يخضع له خضوعا قريبا من خضوعه للعقل حين يفكر فى الطبيعة ، وقريبا من خضوعه للبداء الخلقى فى ذاته . وتتضمن المثالية فى الجمال التعبير عما هو خلقى ، أى عما هو رمزيا فوق الحس من الحقائق ، وبدون هذا لا يمكن لموضوع الجمال أن يصل إلى درجة يكون فيها عالميا . وجاء فيشته (١٧٦٢ : ١٨١٤ م) Fichte متأثرا بكانت ، وقد كان يرى فى الفن تحريرا للذات من حيث هى ، وفى هذا التحرير تمهيد للحرية الحقيقية . وأما شوبنهاور (١٧٨٨ : ١٨٦٠ م) Shopenhauer فقد ارتأى أن التأمل فى الجمال تأملا روحيا خالصا يهيم للاهتمام إلى الزهد المطلق أو الخلق المؤسس على الرحمة ، وقد كان للشاعر الفرنسى بودلير (١٨٢١ : ١٨٦٧ م) Baudelaire وجهة نظر فى علاقة الفن بالمنفعة وبالأخلاق ، فالفن نافع لأنه الفن . وإذا كانت الرذيلة فائنة فيجب أن توصف بأنها فائنة ، على أن الرذيلة تجر وراءها أمراضا وآلاما خلقية فريدة يجب وصفها كذلك .

وهكذا يخوض الفلاسفة فى آفاق المثالية لاستجلاء مفهوم الجمال وخصائصه ، وتتردد

وجاء كانت (١٧٢٤ / ١٨٠٤ م) Kant ففرق بين الحسك الجمالى والحسك العقلى أو الخلقى ... إن الحسك الجمالى يصدر عن الذوق والذوق يصدره عن رضا لا تدفع لإلية منفعة فى حين أن اللذة الحسية تتطلب التملك والرضا الخلقى يتطلب تحقيق موضوعه ، إن الجمال هو الصورة الغائبة لموضوعه ١ .

وإذا كان الحسك تقريريا للحقيقة عن طريق التجربة ، أو برهنة نظرية على قضية هلمية يسلم بها ضرورة ، أو مجرد احتمال منطقي ، فإن الجمال هو خاصة تقرير ما يدرك ضرورة إدراكا ذاتيا ابتداء ، لكنه موضوعى من ناحية التصور بافتراض عموم الشعور به لدى ذوى الأذواق ، فالجميل هو ما يعترف له بهذه الصفة لأنه مصدر شعور ذاتى بالرضا به دون حاجة إلى أفكار وأقنسة يعظمها الحسك الموضوعى .

على أن كانت ، يقرر صلة صريحة بين الجمال — طبيعيا كان أم فنيا — وبين الخلق فهو يقرر: أن الحسك الجمالى يصدر عن الذوق وفيه إرضاء للوعى الجمالى بأن يكون الشىء الجميل مصدر متعة جمالية ، والامر الذى يكاد يحس المرء أنه خاضع له ومستجيب حين يصدر الحسك الجمالى ليس أمرا منطقيا أو تجريبييا — كما هو الحال فى القضايا الرياضية أو الطبيعية ، وإنما هو أمر

وتوحيده مع الوعى الفردى فهو نشاط الفكر فى مجال المنطق ، وفى الجانب العملى نجد : الإرادة ، فإذا تعلقت بما هو فردى فإنها تقنول مجال النشاط الاقتصادى ، وإذا تعلقت بما هو عالمى فإنها تقنول مجال الأخلاق .

والفكر يخلق الجمال بإنتاجه الفنى عن طريق الحدس ، ويراها كروايشيه فى ذلك مستقلا عن العالم الخارجى على أن العمل الفنى ليس نتيجة الشعور غسب ، ولكنه تقيجة ذكاء وفكر وإرادة أيضا ، إنه قد يعتمد على الشعور والعاطفة ولكن على أن يتخذ الفنان من هذا موضوع تفكير ، فتفقد العاطفة بهذا التفكير والتأمل حدتها الذاتية التى كانت لها فى البدء ، ويفقد الشعور عنصر الاضطراب الدائق ، إذ من خصائص الفن تحقيق موضوعية الشعور الذاتى (١) .

هذه النزعة المثالية فى فلسفة الجمال صار لها عنوانها المميز ومقوماتها الخاصة فهمى النزعة التعبيرية Expressionism التى كان من آثارها فى النقد ظهور المدرسة الانطباعية أو Impressionism ، أما فى الفن فقد برزت الرمزية بعد عام ١٨٨٠م ، إذ الرمز هو تعبير غير مباشر عن الأغوار النفسية المستقرة التى لا تنهض بتحليلها ألفاظ اللغة فى دلالاتها

فى كلماتهم فغثات تشير إلى العالم الذى يرتادونه وراء المحسوس ، سواء أكان هذا العالم هو الوجدان أو الفكر . وقد كان هيجل (١٧٧٠ : ١٨٣١ م) Hegel ذهنى المنزع ، وعنده أن فكرة الجمال قد مررت فى ثلاث مراحل : 'ففى المرحلة الأولى سيطرت المادة على الفكرة فكان الجمال يتجلى فى العماره - وهذه هى المرحلة الرمزية ويمثلها عند هيجل الفن الشرقى والمصرى ، أما المرحلة الثانية ففيها يتعادل المضمون مع الشكل ويصور النحت فكرة الجمال فى هذه المرحلة - وهى المرحلة الكلاسيكية ، ويمثلها عند هيجل الفن الإغريقى ثم تغلب الفكرة على الصورة فى آخر المراحل ، وتبرز الفنون الذهنية كالموسيقى والشعر ، ويطلق هيجل على هذه المرحلة المرحلة المسيحية . على أن هيجل يرى أن الفن أصوله ووسائله ، وإذا كان لا ينبغي له أن يؤذى الإحساس فإنما يطلب الخلقى ذلك منه باسم الجمال الذى يستهدفه الفن دون سواء .

وهن طريق التحليل الذهنى أيضا توصل ينديتو كروتشيه (١٨٦٦ : ١٩٥٢ م) Benedette Groce أن للفكر أربعة ألوان من النشاط : جانب منها نظرى أوله الحدس intuition أو التصور الصادق : وهو نشاط الفكر فى مجال الجمال ، وبجانب ذلك هناك الإدراك : وهو وقوف الفكر على ما هو كوفى

١ - من المراجع الأساسية : د. ولفا الدكتور غنيمى هلال : المخل إلى النقد الأدب الحديث ، الأدب المقارن

في صميمها وذاتيتها هو الجانب الوجداني وبخاصة اللاشعوري منه ، وقد بلغت الرومانتيكية ذروتها سنة ١٨٣٠ م ، وترجمها في الأدب (عوجو) وفي الموسيقى (برليوز) وفي التصوير (ديلاكروا) ، وكان جمهورها من الطبقة البرجوازية بعد أن كان جمهور الفن الكلاسيكي من الطبقة الارستقراطية ، وكان عصرها عصر الحركات القومية والوطنية والديمقراطية في أوروبا ، والخيال عند أصحاب النزعة الرومانتيكية هو الذي يولد الصور ، وهو يستطيع أن يستقل بتكوين هذه الصور دون ضرورة لاستلها من الأشياء يوجد أمامه ، ومن هنا يكون كمال الشعر في لغته التصويرية لاني تقريراته العقلية ، حتى يرى (كوليردج) مثلاً : أن الشعر الكلاسيكي قد ضحى بالعاطفة المنطلقة المشوبة من أجل الدقائق الذهنية والوثبات الفكرية ، إن الفنان الرومانتيكي ينبغي أن يعبر عن الطبيعة والأشياء من خلال ذاته ، فنفسه مرآة لما حوله ومن حوله ، والصور هي وسائل تجسيم المشاعر والأفكار

وإذا كانت النزعة الرومانتيكية قد دارت عليها الدورة ، فإن ما خلفها كان شأنه شأنها وشأن ما سبقها من منازع ومذاهب في فلسفة الجلال والفن ، لا يفتأ يومض ببريق الأشعة العجيبة الصادرة من عالم عجيب وراء المحسوس

فنهى عثمان

المحدودة ، في حين يكون الرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر من طريق الإثارة النفسية لا عن طريق القسمة والتصریح وللزوع إلى الرمز أصل وركيزة في فلسفة كانت ، وعلى البقيض تجد الزوع إلى التجسيم الذي يعز في (البرناسيه) قالشعر يحاول مثلاً أن يلحق بالموسيقى عند الرمزيين بدل أن يرتبط بالتصوير من نحت أو رسم .

على أن الرومانتيكية كانت هي التي جاءت لتضع في المقام الأول الحساسية والخيال والتعبير الشخصي وإثبات الذات وتمجيد الغريزة ، وتميل في تعبيراتها إلى المبالغة والتضخيم ، وكانت الحركة الرومانتيكية في التصوير أسبق منها في الأدب ، يقول ديلاكروا (المتوفى عام ١٨٦٣ م) : « إذا كان المقصود من الرومانتيكية التعبير الحر من انطباعات الشخصية ، وابتعاد عن الأنماط والنماذج التي يعاد نسخها في المدارس دون أدنى تغيير ، وتفوري من الموصفات الأكاديمية ، فإنه من الواجب ألا أعترف فقط أنني رومانتيكي ، بل إنني كنت رومانتيكياً منذ الخامسة عشرة ، وهكذا جاءت الرومانتيكية ثورة على القواعد والقوالب الكلاسيكية ، وانتصاراً للنزعة الفردية ، وإعلاء للحساسية والعواطف على العقل ، فإذا كان الناس جميعاً يشتركون في التمتع بالعقل ، فإن ما يميز كل شخصية

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّاري

هـ - قضية المرأة :

تعالى في سورة البقرة : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » . وكما نهج القرآن الكريم لأتباعه طريقة سمحة كريمة في معاملة المرأة كان الرسول عليه الصلاة والسلام يكثر من الوصاية بالنساء خيرا ، حتى روى أن آخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى لجلج لسانه ، وخفى كلامه ، وهو يحتضر ، وهذه الثلاث هي : الصلاة ، والرقيق ، والنساء وقد بدأ وصيته بالنساء بقوله : الله ، الله في النساء ، وهو أسلوب يشعر بمدى اهتمامه عليه السلام بهذه الوصية .

عرض الإسلام لكل شأن من شئون النساء في قضايا كلية واضحة ، ومسائل جزئية واضحة أيضا فجاء في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية المطهرة ، نصوص تبين ما للمرأة ، وما عليها . كل ذلك حق ، ولكن فريقا من المنحرفين ، والمنحرفات ، يتذكرون لنصوص الإسلام ، أو يحاولون التخلص منها ، أو تحريفها حين يخوضون في هذه القضية .

فخذ ما يقرب من عشرين عاما بلغت المرأة

لم تعرض نصوص الإسلام وشرائعه للزواية ، والتحريف ، والتهجم الحاقدا ، في قضية من القضايا كما تعرضت في هذه القضية . والمرأة - كما لا ينكر أحد من العقلاء - ذات رسالة سامية في الحياة ، لها مكانتها في نفوس الرجال ، ولها احترامها وتقديرها ، أما ، وزوجا ، وأختا ، وبنتا .

ولئن كانت القوانين الوضعية في مختلف العصور ، والأمم ، عنيت بالنص على ما ينبغي أن تعامل به المرأة ، من البر ، والإكرام ، والتقدير ، والاحترام ، وعنيت بإعطائها حقها ، وتمكينها من أداء رسالتها ، فإن الشرائع السماوية قد عنيت بكل ذلك على أتم وجه ، وأعدل . والإسلام - بخاصة - من بين هذه الشرائع بلغ في ذلك ما لم تبلغه شريعة سماوية ، ولا قانون وضعي .

وآية واحدة في كتاب الله تبين المدى الواسع ، والمنزل الكريم الذي وضع الله فيه بنات حواء ، وتشير - مع إيجازها - إلى غاية ما تطمح إليه كل امرأة عاقلة ، مؤمنة بربها ، خبيرة برسالتها ، بصيرة بما يضرها وبما ينفعها ، تلك هي قوله

ما يشير إليه، ولكنهم يجهلون، أو يتجاهلون حقوق المرأة السياسية من شئون الدنيا، كأن المرأة حين تمارس هذه الحقوق تمارسها في معزل عن المجتمع، وتقوم بها بعيداً عن الرجال، وكأن الإسلام لم يجد لظهور المرأة بين الرجال حدوداً، ولم يضع لتصرفاتها ووظيفتها في الحياة تعاليم، وشرائع، وكأن الرسول لم يقل في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: لن يفلح قوم ولوا أمورهم امرأة، وكأنه لم يقل: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.

ولكن المؤلف لا يعترف إلا (بالتطور) فشكل ما وصفت إليه المرأة استجابة لقانون التطور، من تحد السفور المعيب، والاختلاط

المريب هو - عند المؤلف - (الفضيلة) ، فهو يقول : (ليس هناك إثم أشد ، ولا خطيئة أغش من مقاومة التطور) ، هكذا بدون قيد ولا شرط ، فلا بأس أن يسكون التطور إلى أسوأ ، وأن يكون مجافياً للتعاليم الإسلامية ، وللفضائل الإسلامية .

هذا في - الحقيقة - أنموذج فقط، للانحراف في هذه القضية، وإنما علينا بهذا الأنموذج - على قدمه نوعاً - لندل على المدى الذي بلغه السكائدون للإسلام من بلبلة الأفكار، وإشاعة الشك في نصوص الدين؛ فالمؤلف عالم، وعالم تخرج في الأزهر الشريف، فإذا صدر منه مثل هذا القول كان من المخطورة بمكان .

بعالم أزهري أن يطرح الدين بعيداً عن قضية المرأة، فأرسلها دون وهي أو استحياها، لأنه (ليستحي أن يقحم الدين في مسألة نفوذ يده منها) هكذا جاء في كتاب (من هنا نبدأ) للأستاذ: خالد محمد خالد، وما نظن إلا أنه نادى الآن على كل ما قاله في فصله الغريب (الرمة المعطلة) . الدين نفوذ يده من قضية المرأة، كأن الإسلام أنزل للرجال دون النساء، وكأنه - كـبعض النظم الوضعية الفاسدة - لا يعترف للمرأة بوجود في هذه الحياة، وهذا شر ما يرى به نظام من النظم سواء كان من وضع البشر، أو من وضع السماء، فكيف نتهم به الإسلام، وهو الدين الخالد الذي جاء من العليم الخبير، الحكيم العدل ١٢ .

وهذا المؤلف الذي استحي أن يقحم الدين في قضية المرأة - بادي ذى بدء - عاد فتمسح بالدين في آخر الحديث، فقال: على أن هناك حجة حاسمة، تغنيها عن كل حجة ودليل، هي ذلك التفويض المطلق الذي منحه الدين للناس، حين قال الرسول: أنتم أعلم بشئون دنياكم، أليست هذه الحقوق السياسية من شئون الدنيا. وعجيب أمر هؤلاء الذين يفسرون الإسلام بأهوائهم وكبا واجهم قائل في شأن من الشئون بنصوص تضيق بها صدورهم، فيلجئون إلى هذا الحديث: أنتم أعلم بشئون دنياكم، وهم يعرفون - إن أحسننا الظن بهم - المناسبة التي قيل فيها هذا الحديث، والمدى الذي لا يمكن أن يتعداه

ثالثاً : ماقيمة هذا الحق الذي يعطى ؛ لأن فريقاً من (النابحات) طلبنه ؟ أليس هناك - أيضاً - جماعات من (النابحين) ؟ ١

رابعاً : إذا كن (نابحات) وكلنا يعرف مدلول هذه الكلمة ، فلماذا نعى أنفسنا بإجابة رغباتهن ؟ .

أليس المثل العربي يقول : العكب ينبس ، والقافلة تسير ؟ ١

خامساً : لقد قيل : إن الدليل الذي استندت إليه اللجنة داييل واهن ضعيف ، فإلى متى نلجأ إلى ثنيات الطريق ؟ .

ولا أظن أنه يذهب عن أكثر هؤلاء المشرعين فيما يتعلق بالأحوال الشخصية أن جماهير المسلمين تنفر من كل حكم يضعف مستنده من الدين . إنى أعدد قانون الأحوال الشخصية الذي تعمل به المحاكم الآن قانوناً ميتاً في ضمائر المسلمين ، ولطالما استفتاني رجال ، وكان كل منهم يطلب إلى مع توجيه سؤاله ألا أفتيه بما تسير عليه المحاكم الشرعية الآن ، فقلبه لا يطمئن به ، وقليل من الناس من يتقبل هذه الأحكام ربما للضرورة القصوى ، وربما لأنه يستهين بعامة أحكام الدين .

إن مسألة كسالة الطلاق يفغى أن نلتزم فيها وأى جمهور الفقهاء ، فإن ذلك أصون للعلاقة الزوجية ، وأنظف لها في ضمير الرجل والمرأة على السواء ، ولقد رأيت من الفناء من استبد بها القلق على حياتها الزوجية الطاهرة لأن

فإذا جئنا إلى أيامنا هذه وجدنا عالماً آخر ، وهو رجل فاضل ، وعالم متمكن ، وباحث لانفك في قدرته على البحث المفيد ، ولا ترتاب في دينه ، ولا خقه ، وجدناه مسوقاً بغير قصد - إن كان ما نقل عنه صحيحاً - إلى ما لا ينبغي أن يصدر من مثله ، في عمله ، وفضله .

جاء في إحدى الصحف اليومية أن رئيس لجنة الأحوال الشخصية (وهو الشيخ فرج السنهوري) سئل : لماذا أعطيت المرأة حق طلب الطلاق إذا تزوج امرأة أخرى غيرها ؟ فأجاب أعطينا المرأة هذا الحق من أجل إسكات النابحات فقط .

فهذه الإجابة في منتهى الغرابة ، والمخطورة ؛ أولاً : يقول (أعطينا) كأن من حقه أن يعطى ، وأن يمنع ، وكان عليه أن يقول : إننا وأبنا أن نأخذ بهذا الحكم من أحكام الإسلام . ثانياً : هل يؤثر حكم على حكم آخر لمجرد الرغبة في إسكات المطالبات بهذا الحكم الأول ؟ إتنا لو سلكنا هذا المسلك للجبنا إلى الأخذ بالضعيف ، والحكم الذي لا مستند له ، ولما كان إرضاء الناس أثر هندا من التزام ما يظهر لنا من قوة الدليل

ومتى كان إرضاء فريق من الناس باعثاً من بواعث الأحكام ، في أى نظام من الأنظمة ، إلا أن يكون نظاماً لا يستهدف المصلحة العامة ، وإنما يستهدف إرضاء من لا يرضون بغير ما يوافق أهواءهم .

فالله سبحانه وتعالى يقول : « والرجال عليهم درجة » ، ويقول : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » ، أجاب بأن (الميثاق) كفل المرأة هذه المساواة ، ونسيت أن (الميثاق) قرر مبدأ المساواة ، كما قرره الإسلام ، وأنه ما كان للميثاق ، وهو محل حكومة مسلمة لامة مسلمة أن يخرج عن أصول الدين .

والحق أن الكتابات المتطرفة تدفن إلى الميثاق بمثل هذا المنطق حين يدعين أنه أعطى لمن ما لم يعطه الإسلام ، والميثاق يرى مما جرفن . فهل الميثاق أعطى المرأة حق أن تطلق زوجها متى أرادت ؟ وهل الميثاق أعطى لها حق أن تزوج من اثنين في آن واحد ؟ وهل الميثاق فوض عليها أن تقوم بتمهنة زوجها وأولادها ؟ إن عيب الكتابات المتطرفة ههنا - مع جهلهم بأحكام الدين - أنهم لا يتورعون أن يطوعوا لرغباتهم كل القوانين ، وكل النظم ، وينسبون في هذه الحماقة الهدى الذي يستطعن أن يتساوون فيه مع الرجال لتصلح حياة الامرة ، وحياة المجتمع .

ونعود إلى قصة (ضرب المرأة) ، ذلك أن امرأة ضربت زوجها ، ورفع الامر إلى القضاء ، فأدانها القاضي قائلاً : إن للزوج حقاً في تأديب زوجته جسدياً ، وضربها ، فثار أحد الكتاب لذلك ، واعتبره مظهراً من (مظاهر إهدار حقوق المرأة ، والتفني

زوجها يعاشرها بعد طلاق استند في الخلاص منه إلى رأى ضعيف من آراء بعض الفقهاء . ثم نرى الخلط ، والخلط ، والانحراف ، والجرأة ، والضلال ، والسفه .

فهذا مستشار يعجب لماذا لا تأخذ المرأة في الميراث نصيباً كنصيب الرجل ، وينادى بذلك ويدعو إليه ، وهو - بطبيعة عمله - يعرف تمام المعرفة النص الواضح الصريح الذي جاء في القرآن الكريم خاصاً بهذا الحكم ، كأنه يقول لنا : لا داعي للتمسك بنصوص القرآن . ولا بأس عليه فقد سمعنا عالماً كبيراً يذيع على الناس أنه من حقنا أن نهمل النص إذا اقتضت المصلحة إهماله .

وهذا عالم يرى أن ضرب الرجل امرأته للتأديب (وحشية) ، وينسى أو يتناسى أن القرآن الكريم جعل هذه العقوبة لأحدى الوسائل لإصلاح المرأة في نص لا يتحمل التأويل . وكان يرى أن قول الرسول الكريم في النساء لهن (ناقصات عقل ودين) من الأقوال (البشعة) .

وكاتبه ترى أن القرآن لم يفسر إلى الآن بمعانيه الحقيقية ، وينبغي أن ينشط علماء العصر ، وأن يفسروه بهذه المعاني ، حتى تأخذ المرأة كل حقوقها .

وكاتبه أخرى ترى وجوب المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، فإذا قيل لها : إن الطبيعة ، والنصوص الدينية تأتي كلها هذه المساواة ،

يحدد حياة الأسرة ، ثم ذكر الرجال بأن الله على كبير ، فإذا كان منهم من يخدعه سلطانه ، وقوامته على بيته ، ويظن في نفسه العلو ، والاستكبار فليتذكر أن الله أعلى وأكبر وأنه محاسبه إذا بقي وتجبّر .

على أن الضرب لم يشرع إلا في حالات خاصة ، ولنوع خاص من النساء ، وقد بين الرسول الكريم أن الضرب أمر توجبه الضرورة ، وأن على الإنسان أن يتفاداه ما استطاع ، فإذا لم يجد حيلة للإصلاح إلا الضرب فلا حيلة إلا اللجوء إليه .

وينبغي أن يعترف أنصار المرأة ، بل والمتطرفات من المندائيات بمساواة المرأة للرجل بحقيقة مشاهدة مدونة ، وهى أن من النساء من لا يصلحها إلا الضرب ، ولولا خوفها من بطش زوجها لفست ، وأفست وأن الإسلام لو حظر على الرجل هذا الحق لتعذر على رب الأسرة أن يقوم حقاً على بيته على أن المؤسف أن هذا الأمر ليس خاصاً بالجاهلات ، أو الساكنات في أجواف الصحارى ، وعلى قمم الجبال ، بل إن من النساء المتميزات المتمحضرات من لا يقيمها على الجادة ، إلا الخوف من رجلها .

وصدق الله العظيم ، ورغم ألوف المكابرين والمسكبرات ، والمنحرفين والمنحرفات .

على المرأة

في ظلمها) وأن المرأة (لذلك تريد أن تمارس حقها السياسى لترفع الإصر والأغلال التي عليها وتفضى على الفوارق الظالمة ، المتعسفة) .

وإذن ، فن حق المرأة - عند هذا الكاتب وأمثاله ، ومثيلاته - أن تؤدب زوجها بالهجر ، والضرب ، حتى لا تكون هناك فوارق ظالمة متعسفة ، ونسب الكاتب ، أو تناسى أن القضاى الفاضل إنما استمد حكمه من قول الله تعالى : " واللاق تحافون نشوزهن فعظوهن ، وأهجروهن في المضاجع ، واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ، .

ولو تأمل (المجاملون) للمرأة ، و(المتعلقون) لها ، و(الواقعون تحت سلطانها) هذه الآية جيداً ، ثم نظروا في نصوص الشريعة الأخرى رأوا أن هذا (الضرب) لا بد منه في بعض الحالات ، وأنه في أضيق الحدود .

فالآية الكريمة بدئت بأمر يخشى منه على كيان الأسرة ، وهو (النفود) من المرأة طبعاً ، ثم ذكرت لهذا الداء الويل ألوانا من العلاج ، لا يلجأ إلى ثانياً إلا بعد إخفاق أولها ، قالهظ ، ثم الهجر في المضجع ، ثم الضرب ، وقد فسر العلماء بالضرب الخفيف ، ثم لم يقف النص عند هذا الحد ، بل نهى بل نهى الرجال أن يكون لهم سبيل إلى إيذاء متى أطعنهم ، وعاد عن هذا الشوز الذى

الحرية كما يريدّها الإسلام

للأستاذ عبد المنعم النمر

بالشفاء والبعد عن رحمة الله ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيذهب خياركم فلا يستجاب لكم ، هذه هي منزلة الحرية ، واستعمالها في نظر الإسلام .. ومن أجل هذا عُنى هناية شديدة ، بغرسها في النفوس ، حتى تؤتى أكلها الطيب في الحياة ، ويعيش المسلمون كراماً أهزاء ...

ولقد كان المنبت الأول لهذه الحرية عقيدة التوحيد ، التي تربط الإنسان في خوفه ورجائه بالله الذي يملك وحده الضر والنفع ، فلا يذل الإنسان نفسه لمخلوق مثله ، لا يملك له ضراً ولا نفعاً ، وإن يمسك الله

بضر فلا تكشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله ، فالمرشد المؤمن الصادق يعيش حر النفس ، مهما تعرضه التكبات والأهوال ... حتى عقيدة التوحيد نفسها جعل الإسلام حرية التفكير ، أساس اعتناقها وقبولها ، حين دعا الملة إلى تدبر ماحولها من بدع صنع الله ، لتصل في حرية واقتناع ،

الحرية روح هذه الحياة وربحاتها ، والنعمة الكبرى التي أكرم الله بها الإنسان دون غيره من المخلوقات ، ولقد خلق الله آدم في الجنة وميزه بحرية الإرادة والتفكير ، فكانت هذه الحرية ، هي الأساس لتعمير هذا الكون ، وكل ما قام ويقوم فيه من حضارات .

لذلك هي الإسلام بحرية الإنسان ، عنايته بتكريمه ، وأقام تكاليفه وتوجيهاته ، على أساس أن الإنسان حر الإرادة والتفكير والاختيار . حتى وجدناه يرفع المؤاخذه والحساب ، عن كل إنسان سلب حريته ، لأنه في نظره ، يكون حينئذ قد سلب إنسانيته ومستوايته .

والحرية في نظر الإسلام ؛ لا يحدّها حد إلا قانون السماء ، ويتمتع بها الحاكم والمحكوم ، في ظل هذا القانون على سواء ، وقد جعل الإسلام أهمّ ميزة في المسلمين ، مباشرتهم لهذه الحرية ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي التوجيه والتقويم ، وهدد كل جماعة منهم ، لا تبأشر هذه الحرية ،

ثم نجد الإسلام يدعم هذه الحرية ، ويقم حياة المسلمين العملية على أساسها ، حين يأمر نبيه أن يشاور أصحابه فيقول له : « وشاورهم في الأمر » ، ويمدح المؤمنين الذين يعيشون في ظل هذه الحرية فيقول : « وأمرهم شورى بينهم » ، ويجعل الشورى قرينة للصلاة والزكاة .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم المثال الأعلى للحاكم المسلم ، الذي يمتاز بهذه الحرية ويقدرها ، ويعلمها أصحابه في دروس عملية واقعية ، وعرف صحابته رضوان الله عليهم منه هذا ، فكانوا يعلنون آراءهم المعارضة لرأيه أحيانا دون خوف ، وكان لا يجد غضاضة في أن ينزل عن رأيه في بعض الظروف ، ويأخذ بآرائهم ، « تـهـيـرأ منه لوجهات نظرهم ، كما حدث في مواطن متعددة معروفة ، قابل عمر ابن الخطاب مرة أبا هريرة ، مفصرفا من مجلس الرسول ، ليبلغ الناس حديثا عنه صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « من قال لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة » ، فثنى عمر أن يتكل الناس على ظاهر هذا الحديث ولا يعملون ، وهر وراه ، فصد أبا هريرة وزجره ، ورجع أبا هريرة يبكي ويشكو لرسول الله ما فعل وعمر وراه ... فقال الرسول : « ما حملك يا عمر على ما فعلت » ، فقال عمر : « بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد خشيت أن يتكلم الناس عليها ، فغلهم

إلى وحدة خالقها ، بل نجد القرآن يقرر هذه الحرية في صراحة حين قال : « لا إكراه في الدين » ، « أفأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، وبذلك وضع الإسلام أساس حرية الإنسان فيما يعتقد ، وهذا هو الشيء الطبيعي ، الذي يتماشى مع تكريم الله له ، إذ ليس من تكريمه في شيء أن يجبر على أن يقول أو يفعل ما لا يعتقد ولا يقتنع به .

ومن أجل تدعيم هذه الحرية ، وفي سبيلها ، شرع الله القتال والجهاد ، واعتبر الذين يموتون في سبيل الدفاع عنها شهداء ، ولو كان دفاعهم ممثلا في كلمة حق ، يقولونها لسلطان جائر ، واعتبر كل إنسان متهاون في حريته ، راض بذلك واستكاثته ، ظالما لنفسه ، مستحقا للعذاب في جهنم وبئس المصير يقول الله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، رهبب بالمسلمين إلى أن يناصروا الضعفاء المغلوبين على حريتهم ، ويقاتلوا من أجلهم ، فيقول : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون : ربنا أخرجننا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

وعلى تقديرهم لها ، حتى مع الأمم التي فتحوها ،
وحق مع الذين يخالفونهم في عقيدتهم ...
لأنهم كانوا واضحين ، حريصين دائماً على العدل
وعلى مصلحة شعوبهم .

ولعلنا نعرف بعد هذا ، أن الإسلام
لا يرضى عن أى إجراء يتخذه المسلم ،
يعتدى به على حرية الفرد أو الجماعة ، وأن
أية محاولة يتخذها حاكم مسلم لخنق حرية
المسلمين ، يبرأ منها الإسلام ، وأن الذين
يدهون الحكم بالإسلام ثم يسلبون شعوبهم
حرياتهم ، وينكثون بالأحرار المؤمنين ،
لا يمتثلون رأى الإسلام فى شيء ، وإن أعلنوا
أنهم يحكمون بقوانينه .

إن الحرية فى نظر الإسلام ، تعادل حياة
الإنسان وكرامته ، ومن لاحرية له فلا حياة
له ولا كرامة ، وإن طلاب الحرية وهاشقيها
لا يجدون فى قاموس الحرية أروع ولا أعظم
ما يجعله الرسول وخلفاؤه الراشدون ، من
تقديرهم للحرية ، واعتزازهم بها . وإلى الذين
يحاولون الاعتداء على حريات المسلمين باسم
الإسلام أسوق حكمة عمر بن الخطاب الخليفة
من أجل الحرية : متى استعبدتم الناس وقد
ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، .

عبد المنعم النمر

يعملون . فإذا كان موقف الرسول من هذه
المعارضة ؟ هل غضب ؟ لا ... بل قدر وجهة
نظر عمر ، وأخذ بها ، وتنازل عن رأيه
فى التبليغ ، وقال : « غلظهم يعملون يا عمر ،
صلى عليك الله وسلم يا رسول الحرية
ومعلم البشرية ... »

وعلى يد رسول الحرية ، وفى مدرسته
القرآنية الكبرى ، تعلم الصحابة معنى الحرية
وتقديرها ، فعاثوا أحراراً ، وحرصوا على
الحرية حكماً ومحكومين ، حتى وجدنا
الخليفة منهم ، يطلب من الناس أن يتقوه
ويرشدوه إذا أخطأ ، فيقف رجل من عامة
المسلمين ، يوجه كلامه لعمر ، الخليفة الخازم ،
ويقول له : « والله لو وجدنا فيك أهوجاً
لقومناه بمحذ سيفنا ، فلا يغضب عمر بل
يفرح ويقول : أحمد الله أن جعل فى أمة محمد
من يقوم عمر بمحذ سيفه ، ويرى فى هذه
الظاهرة مظهراً كريماً للأمة الرشيدة ... وفى
حلاً من الناس تفتقده امرأة ، فيقبل اقتقادها ،
ويعلن أمامها وأمامهم ، فى صراحة المؤمن
الواثق من نفسه ، أصابع امرأة وأخطأ
عمر ، . »

وهناك أمثلة كثيرة وضاعة فى التاريخ
الإسلامى وهى كلها تؤكد حرص المسلمين
الصادقين ، على تقرير حق الإنسان فى الحرية ،

رسالة "إقبال" إلى شباب الإسلام

لدأستاذ محبى الدين الألوانى

الفلسفية ، وحميته الإسلامية من المنابع القرآنية ، وتدل كثرة اقتباسه من القرآن فى شعره على أن القرآن كان على قلبه ولسانه وله فضل كبير فى إيقاظ الهمم ، وتشجيع العوائم فى قلوب الملايين من المسلمين ، ودعوتهم إلى ينبوع التعاليم القرآنية ، فى داخل الهند وخارجها ، وبمناسبة احتفاء العالم بذكره العطرة نرى من المناسب أن نقوم بتطواف سريع حول رسالته إلى شباب الإسلام الذى فى يده مقاليد المستقبل ومفتاح الرقى والنهضة فى العالم العربى والإسلامى بوجه خاص ، والعالم الإنسانى بوجه عام ، فيقول إقبال مخاطباً الشباب المسلم :

«المسلم المثالى هو الذى يمتاز بين أهل الشك والظن بإيمانه وعقيدته ، وبين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية ، وبين مهاد الرجال والأموال والأصنام والملوك بتوحيده الخالص ، وبين الأوطان والألوان ، والشعوب بأفاقته وإنسانيته ،

إن الفيلسوف الهندى المسلم ، والشاعر الإسلامى الملمهم ، «محمد إقبال» كان أحد الشخصيات البارزة التى جاد بها القرن العشرون للعالم الإسلامى خاصة ، والعالم الإنسانى عامة ، دعا قومه إلى الألفة والود ، والعالم الإسلامى كله إلى الأخوة والوحدة ، والعالم الإنسانى إلى النور والعرفان .

ولد «محمد إقبال» فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٢٨٩ هـ فى مدينة سيالكوت^(١) ، فى ولاية بنجاب فى شبه القارة الهندية ، وكانت عائلته منحدرة من «كشمير» ، فأما أبوه فكان متصوفاً عاملاً ، وتقياً ورعاً ، وقد تأثر إقبال منذ صباه بالأخلاق الصوفية ، التى تحلى بها والده الفاضل ، وقيل : إنه قال لإقبال حين رآه يكثّر قراءة القرآن : إن أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك .

واستمد إقبال آراءه الفكرية ، ومذاهبه

(١) الواقعة بالبالكستان الغربية بعد تقسيم شبه القارة .

د المسلم الضعيف يعتذر دائماً بالقضاء والقدر ، أما المؤمن القوى بنفسه فهو قضاء الله الغالب ، وقدره الذي لا يرد ، (١) .

ويقول إقبال في بيان مقصد حياة المسلم ، وموقفه من مواجهة العذاب ، في سبيل إعلاء كلمة الله ، لأنه خليفة الله في الأرض : « إن المسلم القوى الذي نشأته الصحراء ، وأحكته رياحها الهوجاء ، أضعفته رياح العجم فصار فيها كالنأى ، نحولا ونواحا ، وإن الذي كان يذبح الليث كالشاة متهاب وطء النملة رجلاه ، والذي كان تكبيره يذيب الأحجار ، انقلب وجلا من صغير الأطيار ، والذي هزى عزمه بشم الجبال غل يديه ورجليه بأوهام الاتكال ، والذي كان ضربه في رقاب الأعداء صار يضرب صدره في الأواء ، والذي نقشت قدمه على الأرض ثورة كسرت رجلاه عكوفاً في الخلوة ، والذي كان يمضى على الدهر حكمة ، ويقف الملوك على بابه رضى من المعنى بالقنوع ، ولذلة الاستجداء والخفوع ، وأردت قوله في بيان فطرة المسلم المتخلق بالآداب المحمدية إذ قال على لسان والده له :

« إن فطرة المسلم الرحمة ، والرحمة يده ولسانه في هذه الدنيا ، وإن الرسول بعث رحمة للعالمين ، فإن بعدت عن سنته فلست منا

(١) رسالة . شاعر الإسلام د إقبال .

وبين عباد الشهوات والاهواء والمنافع بتجرده وتمرده على موازين المجتمع الزائفة ، وقيم الأشياء الحقيرة ، وبين أهل الأثرة والأناية بزهده وإيثاره وكبح نفسه ، ويعيش برسائلته ورسائلته ، ذلك المسلم الحق ، الذي مهما اختلفت الأوضاع ، وتطورت الحياة لا يزال يؤمن بالحقيقة الدائمة التي لا تتغير ولا تتحول - هذا الشاب المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ، بل خلق ليواجه العالم ، ويملي هايه إرادته ، لأنه صاحب الرسالة ، وحامل العلم اليقين ، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع ، بل مقام الإمامة والقيادة ، وإذا تنكر له الزمان وعصاه المجتمع ، لم يكن له أن يستسلم ويخضع ، ويضع أوزاره ، ويسالم الدهر ، بل عليه أن يشور عليه ، وينازله ، حتى يقضى الله في أمره وبذلك يرد الأمر إلى نصابه ، وقيم عوج الدهر الفسوم ، ويصلح الفاسد ، وفي هذا يقول الدكتور محمد إقبال ممثلاً :

« سألقى ربي هل ناسبك هذا العصر ، وانسجم مع عقيدتك ورسالتك ؟ قلت : لا ياربى ، قال : خطمك ، ولا تبالا ، وأخيراً يرى إقبال أن الخضوع والاستكانة للأحوال الفاسدة ، والأوضاع القاهرة ، والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام ، وفي هذا يقول في بعض أشعاره :

الدوام ، وإن سرنا في الحرم ، وفيه بكاؤنا
وغناؤنا لا جرم : بستاننا من نداء زاهر
وزرعنا من زمزمه ناضر ، وبه علا في الدنيا
صوتنا ، ووصل قديمنا حديثنا إن التثام
الملة البيضاء من الطواف بالحرم به توحدت
كثرتنا ، واستحكمت بقيد الوحدة عزيمتنا :

يا شاكيا جور الزمان ،
ويا أصير الوهم والحسبان
اجعل قيصك ثوب الإحرام ،

وأطلع الصبح في هذا الغلام (١)
وتسكلة لرسالته في الحياة وتأدية لواجباته نحو
الأمة وتلبها للشباب من غفلاته ، بين مقاصد
الأمة في الحياة ، في حروف واضحة وكلمات :
« إن مقصد الحياة سرباها ، وبه يأتلف
ما تفرق من قواها ، وإذا تنهت الحياة
لمقصدها وجهت أسباب العالم إليه وتوجهت
نحوه تجني وتنقي وترد ، فإن السكون
يعمل جاهدا حتى يبلغ مقصدا من مقاصده ،
فهو يغرس ألف مقصبة ليظفر بأنة من ذئب ،
وكم صور ورمي وكسر حتى أثبت صورتك
في لوح الحياة ، وكم بث نواحا في النفس حتى
سعد صوت أذان ، وكم حارب الأحرار ،
ونصر الأشرار ، وبذر الإيمان في طين
الإنسان حتى قرأ على لسانك كلمة التوحيد » (٢)

(١) كتاب « إقبال » للدكتور عبد الوهاب عزام

(٢) « محمد إقبال » للدكتور عبد الوهاب عزام .

(البقية على الصفحة التالية)

أنت طائر في بستاننا ، تفرد بتغريدنا ، فإن
تكن ذا نغمة في بستاننا فغن بها ، كل حي
تهلكه العناصر المضادة ، فإن تكن بلبلًا ،
ففي الروض طيرافك وتغريدك ، وإن تكن
هقابا ففي الصحارى مسرحك ومصيدك ،
وإن تكن كوكبا فأضي في حبالك ، ولا تحد
عن أفلاكك ، إن طينة المسلم الطاهرة أولوة ،
من بحر النبي ماؤها ولألوها :

وكذلك تطارق إقبال إلى حياة الأمة
التي تريد مركزاً مرموقاً ، وحياة شريفة ،
فقال : « إن الحياة طائر لا عش له ، إنما
ليسع إلا الطيران ، إنما طائر طليق ، وفي
القفص حبيس ، يخطط تغريده بنواحه ،
الحياة تعقد العقد في أمورنا ثم تحل ما انعقد
بتدبيرها ، إن الحياة السريعة تقيد قدمها
في الطين لتزيد لذة نعامها وسهرها كل حين ،
فإن في حرقتها ألحانا لا تنفد ، وإن وليد
يومها الأملس والغد ، هي كالرائحة حركة
لا تفر ، ولكن تسكن الصدر ، فتصير نفسا
حيا عقد الحياة فيها ورق وثمر كالخبة ، تفتح
حينها على نفسها ، فإذا هي شجرة ، وتلبث
الحياة خلعة من الماء والطين ، فإذا هي
حواس مدوكة ، كذلك سنة ميلاد الأمم أن
تجتمع الحياة في مركز ، المركز من الدائرة
كالروح من الجسد ، إن خطها مضمرة في نقطتها ،
بالمركز انتظام الأقوام . وبالمركز يقدر لها

مَحْمَدٌ رَسُوْلُ اللهِ

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

- ٢ -

« ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ! »

يردد ذلك القول الكثير من المستشرقين ،
حق من نظنهم علمانيين لا يدورون في فلك
التبشير ولا يخدمون أغراض الاستعمار
الصلبي ، مثل بروكلان في كتابه « تاريخ
الأدب العربي » (١) .

ولا بأس ! فلنقف أيضاً عند هذا الرأي ،
ليس معنا إلا نور العقل ، وبرهان التاريخ
وضياء الإنصاف ، ولنطرح مع ذلك الحماسة
والعاطفة !

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي
لبروكلان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم التجار ص ١٣٥ .

وإذا لم يكن في تراث الحنفاء من العرب
ما يصلح مصدراً لدعوة محمد ، فقد اتجمعت
طائفة من المستشرقين ، بل يكادون يجمعون
على ذلك في حديثهم عن الإسلام ، إلى أن محمداً
قد أتيت له الاتصال بالنصرانية ودراسة
مبادئها ، عن طريق أتباع الكنيسة النسطورية ،
وأنة تلقى مبادئ الدين عن هؤلاء ،
وما كانت دعوة الإسلام - في نظرهم -
إلا اقتباساً من المسيحية لوثقه البيئته ،
وأثرت فيه الظروف . .

(البقية على الصفحة السابقة)

امتحان لقوة الإيمان ، فسخرها لئلا تسخر
إن فكر الإنسان يسبح في العالم ليسخر
قواه ويتصرف فيه فنون التصرف ، فاركب
الهواء واصدع الجبال ، واستخرج القلوق
من البحار (١) .

هذا ما سمح به المقام ، ووسعه المقال ، من
ذكرى إقبال الفيلسوف المفضل .

محمد بن الوليد

(١) نفس المرجع السابق .

وأفاض إقبال في بيان تبعه شباب الإسلام
في إهداء الحق ونشر التوحيد ، وحفظ
كيان الأمة ، والعمل لرفاهية البشرية وأخيراً
وجه كلمته الحاسمة لأمتة بقوله :

« إن هذا العالم مسخر للإنسان وإن
للإنسان فيه جهادا ، وإن لذة الإنسان
وكمالها في هذا الجهاد ، وإن الله جعل هذه
الدنيا نصيب الأخيار ، وجلا محاسنها لعين
المؤمن ، هذه الدنيا طريق للقافلة ، هذه الدنيا

من أين له ذلك ؟

ونبادر إلى السؤال : كيف تمسنى لمحمد أن يدرس النصرانية ويطلع على مصادرها ؟ لا أن يسمع بها مجرد السماع ، فذلك أمر شائع في كل البيئات لا يشرع علماً ولا يؤدي إلى تأثير .

لأنه يستطيع الإنسان المحاكاة ويقدر على الاستعداد والتأثر ، لا بد له من اتصال قريب بعمق المعرفة ويباشروا الوجدان ، ولا بد له من ترديد النظر وإجالة الرأي واختيار الفكرة ، ليدرك دوره بعد ذلك وليخرج على الناس شيئاً يستطيع الدعوة إليه . .

فن أين لمحمد الاتصال بالمسيحية ، بل ودراساتها والتعمق في أصولها ، حتى خرج على الناس بهذا المزيج ، الجديد ؟ .

هل كان ذلك الاتصال في مكة ؟

ولا يمكن أحداً القول بأنه كان في مكة جالية مسيحية ، فضلاً عن كنيسة أو مركز ديني يدعو ويؤثر ، بل إن الملاحظ أن المسيحية كانت لا تثير حماس العرب ، قبل الإسلام ، ولا تقع عندهم بموقع .

وقد كانت تجربهم القريضة مع دولة مسيحية قبل مولد الرسول عام الفيل ، عندما هرب أحد العرب عن سخطه على محاولة أبرهة أن يصرف العرب عن البيت الحرام إلى كنيسة بناها بصنعاء ، فأثارت فعلة العربي الساذج

غضب أبرهة ، فأقبل لهدم الكعبة ، فكان من أمره ما كان مما هو محفوظ مشهور . . والذين تنصروا من العرب كانوا من الندرة بحيث حفظت أسماؤهم و دنت أخبارهم ، مما لم يجعل للتبشير بالمسيحية في الجزيرة العربية نشاطاً قبل الإسلام .

الرحلة في حياة النبي :

ولكن المستشرقين يوفرون على أنفسهم مشقة الجواب ، ويبدرون إلى تحديد المدة الذي درس الرسول عن طريقه النصرانية . فهم يقرأون في مسيرة النبي - صلوات الله عليه - أنه سافر إلى الشام ، فيجدون في ذلك دليلاً رأيهم ، ويرون أنه في سفره إلى الشام لابد جالس الرهبان وتأثر بتوجيههم وعرف مبادئ الدين عنهم .

ذلك فرض ، يحتمل المناقشة ، ولكن المستشرقين يرون به إلى درجة الحقيقة الثابتة ، ويؤسسون على ذلك رأيهم في الإسلام .

وليس هكذا تناقش المبادئ أو تحاكم الأديان والدعوات .

أما أن الرسول قد رحل إلى الشام قبل نبوته ، فذلك أمر ثابت في سيرته ، لا ينكره الأصدقاء . ولكن دراسته للنصرانية عن هذا الطريق أمر طريف يثير السخرية ولا يتقرر عند العقلاء .

قد يقولون : لا لم تكونا رحلتين إلى الشام فقط؛ بل لأنها رحلات ورحلات ، ينقص منها الرواة عن عهد رغبة في إنكار هذا التأثر . ونهيب : فليكن ! وتفرضوها رحلات

عديدة ، مخالفين بذلك الحقيقة والتاريخ ، مضربين عن المقارنة بينه وبين الرحالة العرب فأى مسمى ، ترى ، تصل إليه تلك الرحلات في نفس محمد ؟ .

إلى إتقان النصرانية وإجادة شعائرها ، أو الاقتناع بها والولاء لها ؟

وهل يجاوز في ذلك أن يصير راهبا أو متنسكا لكن ذلك أو أقل منه لم يؤثر عن محمد في أولى ولا آخرة ، ولم ير في يوم مؤديا لطقوس أو مفيضا في عقيدة أو مجادلا في شأن من تلك الشؤون .

وكل ما أثير عنه في الجاهلية من أمر الدين نوع من التأمل والتفكير في خلواته السنوية لا يصل به البحث إلا إلى بقايا دين إبراهيم من أمر التوحيد والتفريه .

فصلة محمد في الجاهلية بالنصرانية صلة مبتونة لا دليل عليها ولا شاهد .

ويقول المستشرقون : لسنا نريد أنه دان بالنصرانية ، ولكن المقصود أن اتصاله برهبان الشام وجلوسه إليهم قد لقنه مبادئ الدين ودفعه إلى التفكير في العقيدة مما كان حصيلة دعوة الإسلام ، التي خرج بها على الناس :

إذ أن الروايات تجمع على أن الرسول سافر إلى الشام مرتين فحسب ، كانت الأولى وهو في الثانية عشرة من عمره ، وكانت الثانية في تجارتها لخدمة .

فكيف يستطيع محمد في زورتين للشام ، وكان في أحدهما غلاما ، أن يقبصر في النصرانية ويتعمق إلى حد أن « يؤلف » ديننا على أساس تلك الدراسة ، يحوى عقائد وعبادات وشرائع .

أما كان الأجدر بهذا « الاقتباس » رجل رحالة مثل « أبي سفيان » الذي كان يكثر الخروج إلى الشام ، ويردد في تجارتها بين الأقطار ١٤ .

ولماذا يتبنى ذلك محمد ولا يتبنى لا يكثر العرب بحثا عن الدين وخروجا إلى الشام كذلك ، وهو أمية بن أبي الصلت ، . وقد كان أمية من رجحان العقل بمحظوافر ، وكان لفرط قسوته إلى الحق وبخشه في العقيدة ، يهتدي بالفطرة إلى الفرض السليم وهو وحدانية الإله وضرورة اليوم الآخر حتى قال فيه الرسول بعد البعثة : « كاد أمية أن يسلم » .

كما كان يكثر الجلوس إلى الرهبان في زورات الشام ، وكان له منهم الأصدقاء الأوداء .

فلم أخطأه التوفيق ولم يرق بالدعوة التي قام بها محمد ، إذا كان الأمر استفادة من رحلات الشام في نظر المستشرقين ١٤

لقد كانت عقيدة التوحيد أهم مبادئ الإسلام وأخطرها ، وكانت محور الخلاف بين محمد وقومه ...

د أجمل الآلهة إلها واحداً ، إن هذا لشيء عجاب .

وكل شيء عداها كان يمكن أن تقبله العرب أو تناقشه ...

د وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه لإذاهم يستبشرون .

والذي يتبصر في القرآن يرى دعوة التوحيد قد شغلت منه جانبا كبيرا ، وأنها قضية العقيدة الإسلامية الأولى التي كافح الوحي من أجلها .

ولو كان أمر التوحيد في الإسلام هينا لوفر الإسلام على نفسه العناية التي لقيه في دعوة العرب إليه ، ولقبل عرض الكفار حين قالوا للرسول : نعبد إلهك يوما وتعبد آلهتنا يوما ، ولكن القرآن يرفض ذلك بإصرار وحسم : د قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد .

فلو أن الإسلام التقى مع المسيحية في العقيدة في الله ، ثم اختلف معها في فرع من الشريعة أو جانب من العبادة لكان الأمر في دعوة المستشرقين ، ولكن خلافا أصيلا

وعند هذا الحد نصل إلى نقطة حاسمة ، تتصل بمضمون الإسلام ، تقتضيها مزيدا من التأمل ومزيدا من الإنصاف والحق .

وهل هناك عناصر مسيحية في الإسلام ؟ إن كان المراد أن دهوة الإسلام ترديد لمبادئ النصرانية (١) ومحاكاة لها كما كانت في عهد الرسول ، فذلك قول زائف لا يثبت أمام النظر السطحي فضلا عن التفكير والتأمل إذ أن الخلاف بين الإسلام والمسيحية ، خلاف جذري يتصل بأمر العقيدة ، ويفترق عند حدود قاصلة ، لا يمكن معها ادعاء تأثر أو محاكاة .

فعند د لا إله إلا الله ، كان الافتراق الفاصل ، الذي ميز دعوة الإسلام ، وحدد لها غايتها وخط طريقها .

فمشتان بين دين يأتي من أول يوم ليدعو إلى عقيدة التوحيد ، لا يعبد عنها ولا يسمح بمساومة حولها ولا إغضاء عن وضوحها ولا شائبة تشوب صفوها أو تغض من قدسيته وجلالها ، وبين دين يختلف أتباعه في العقيدة ويفترقون ، ويؤمن أكثرهم بتعدد الإله وتثليسه ...

(١) يذكر بروكلمان من مصادره في بحثه عن القرآن هذه الكتب : عناصر نصرانية في القرآن تأليف هرنز والمصادر الأصلية للقرآن تأليف تردال طبع في لندن سنة ١٩٠٥ ودطابع الإنجيل في القرآن ، تأليف ولكر طبع سنة ١٩٣١ ود رسالة محمد وأصاليه ، لجرناوم .

الإصلاح لا بد أن تلتقي عند الجذور الأولى مع المذهب الأصلي ، ولا بد أن تنفق في أمر العقيدة ، ثم يفسح المجال بعد ذلك للزيادة والابتكار أو الخلاف والفتش.

ولكن محمداً في دعوته للإسلام لا يصدق عليه مقياس تأثر أو استفادة من النصرانية إذ أن نظريته إلى أمر العقيدة أعلى درجة وأفسح مجالاً ، وموقفه بما تقدم من الأديان موقف الحكم والهيمنة ، مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه .

وقد كان القرآن ، منذ العهد المبكى ، واضحاً في موقفه من النصرانية ، وحاسماً في أمر العقيدة ، وفاصلاً في حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام .

فأفقه واحد ، لا شك في ذلك ولا تردد . قل هو الله أحد ، « إن الحكم لواحد ، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ، « وقال الله : لا تتخذوا إلجين اثنين إنما هو إله واحد ، .

كذلك كان موقف القرآن من عيسى عليه السلام ، وهو الجانب الخطير في العقيدة المسيحية واضحاً أشد الوضوح .

فمن البداية يؤكد القرآن أنه لا ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ، وأن ادعاء ذلك افتراء وجهتان . وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرون

في العقيدة ، لا يمكن معه القول باستفادة أو قائل ...

لقد كانت عقيدة التوحيد محور الخلاف بين الإسلام والنصرانية ، وبها يقف الإسلام من النصرانية موقف التقويم والإرشاد ، فقد كانت المسيحية في انتظار الإسلام : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » .

ولذلك يتجه القرآن إلى أهل الكتاب في ثقة يحذرهم من الغلو والافتراء ، ويهديهم إلى جانب الرشاد في العقيدة :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمَنُوا باقوه ورحله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، .

فمن من العرب الأميين ، مما راحل إلى الشام وجالس الرهبان أو أقام معهم في صوامعهم كان يستطيع أن يتحدث إلى النصارى بهذه اللهجة ليهدى إلى جانب الحق ويكشف ما أصاب العقيدة من ضلال ويبين لهم استحالة الولد على الله ؟ .

وهل يريد المستشرقون أن الإسلام نزعة إصلاح في المسيحية ؟ .

إن المذاهب المتفرعة أو محاولات

وحينئذ فلا غموض في أمر عيسى ولا اختلاف . إن مثل عيسى هذا الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، (١) بل إن آدم في ذلك أعجب وأغرب .

والقرآن يذكر أن عيسى دعا قومه إلى عبادة الله ربه وربهم ، وأن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ، (٢) .

ولكن الخلاف في أمره وغموض التصور في تلك العصور من التاريخ ، أدى بقومه إلى ألوان من الاتجاهات وعديد من الآراء جانبها الحق ونأى عنها الرشد ... فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣) .

بهذا نطق القرآن في مكة ، وبهذا حدد الإسلام موقفه من المسيحية ولم يلتق معها في العقيدة التي هي حجر الأساس في بناء الدين والتي يتفرع عليها الاتجاه والعمل .

فأين تقع معرفة محمد بالمسيحية من الدين الذي جاء به ، وأين هي الاستفادة من النصرانية التي يدعيها المستشرقون المنصفون ؟

مخطفي عبد الواهر

منه وتنفق الأرض وتخمر الجبال هذا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما يفيض للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ، (١) .

وكيف يكون له سبحانه ولد ، والولد يستلزم أن يكون له صاحبة ، تنزه عن ذلك وتقدس ، وأنه تعالى جدر بنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، (٢) . وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا (٣) ، فملاقة الكون كله بالله علاقة الصنعة بالماضع ، لا فرق بين بشر وحجر .

د أنى يسكون له ولد ، ولم تسكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (٤) .

وعلى هذا الأساس يفسر القرآن حقيقة عيسى ابن مريم ويكشف عن قصته اللبس والغموض . فريم ابنة عمران امرأة سالحة متعبدة أحصنت فرجها ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ، (٥) اختارها الله سبحانه لتسكون في ولادتها لعيسى من غير أب شاعدا على قدرته التي لا تحد وجمالها وابنها آية للعالمين (٦) .

(١) سورة مريم .

(٢) سورة الجن .

(٣) سورة الإسراء .

(٤) سورة الأنعام .

(٥) سورة التحريم .

(٦) سورة الأنبياء .

(١) سورة آل عمران .

(٢) سورة مريم .

(٣) سورة مريم .

الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ أحمد محمد الغصاوي

— ٤ —

يعلم إلا أنه ما هو ذلك الجاذب الهائل ، ليس يعلم إلا أنه هل هو جرم واحد بالغ العظيم يجذبها فيه - يكون مستقرها أن تصطدم ، وتستقر فيه ، أو هو عدة أجرام في مواقع مختلفة كل منها عظيم يجذبها في اتجاهه فيكون لمجموع قوى الجذب في الاتجاهات المختلفة تأثير قوة واحدة يجري بها الله الشمس في مجراها الذي يعرفه العلم الآن سرعته واتجاهها ، ويكون مستقرها الذي سوف تصير حتماً إليه راجعاً : إما إلى تغيرات في ملك القوى تنشأ عن تغيرات في مواقع تلك الأجرام المتحركة تؤدي بها في النهاية إلى توازن تصير به الشمس إلى السكون ، وإما إلى تدخل جاذب جديد يعرض للشمس في مجراها في اتجاه مضاد بحيث تكون نتيجة تدخله استيقاف الشمس وسكونها في النهاية عند الموقف أو المستقر الذي قدره لها الله العزيز الحكيم ، من غير اصطدام بأحد تلك الأجرام . وعروض هذا الجاذب الجديد جائز في الحالة الأولى أيضاً ، حالة احتمال أن يكون الجاذب

بعد أن أوردنا ما أثبتته علم الفلك الحديث الشمس من جري حقيق قدره اثنا عشر ميلاً في الثانية في الفضاء مسداً لقوله تعالى : « والشمس تجري ، فكان ذلك مثلاً بامراً للإعجاز العلمي في القرآن ، لم نتعرض للشطر الثاني من الآية السكرية : « والشمس تجري لمستقر لها ، » إذ من الواضح أن المستقر الذي ينتهي إليه الجري أمر من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله العزيز الحكيم ، الذي قدر ذلك الجري على هيئته ، لينتهي إلى غايته في الوقت الذي استأثر سبحانه بعلمه ، إذ هو فيما يبدو متعلق بالأمراط الفلكية لقيام الساعة إن لم يكن هو وقت قيامها .

إن السنة الكونية التي يسميها العلم بقانون الجاذبية العام بين الأجرام والتي لا يدري العلماء لها تفسيراً ولا تعليلاً - هذه السنة تقضى بأن جري الشمس بتلك السرعة لا بد أن يكون راجعاً إلى جاذب هائل يجذبها في الاتجاه الذي تجرى فيه كما تجذب هي سياراتها ، وكما تجذب السيارات ذرات الأقمار أقمارها ، وليس

الذى ينبغي أن تكون عليه ، أما الذى لا يمكن لأحد أن يعرفه قط مهما بلغ من العلم والفقه والبصر فهو الوقت الذى قدر لتلك الآثار والأشراط والأحداث أن تقع فيه على التتابع أو التجمع الذى قدره الله لها ، فإن الله سبحانه قد استأثر بعلم ذلك الوقت كما أخبر فى كتابه العزيز .

وتذكير المستقر فى قوله تعالى : (عظم المستقر لها) ، يشير إلى شأنه وهول آثاره التى ستكون ، كالذى نبه إليه الإمام عبد القاهر من دلالة التذكير فى قوله تعالى : (وأمطرنا عليهم مطراً) فى قصص قوم لوط ، والقريظة على هذه الدلالة فى إحدى الآيتين نختلف هنا فى الأخرى لاختلاف المقام فى كل ، كما يدل عليه السياق ، فالمقام فى آية قصة قوم لوط مقام تحذير من عاقبة الإصرار على الغواية وتكذيب الرسل ، فكانت القريظة قوله تعالى : و فأنظر كيف كان عاقبة المجرمين ، فى آية (٨٤) من سورة الأعراف ، وقوله تعالى : و فساء مطر المنذرين ، فى آية (١٧٣) من الشعراء ، وآية (٥٨) من النمل و أمطرنا عليهم مطراً فأنظر كيف كان عاقبة المجرمين (الأعراف) .

و أمطرنا عليهم مطراً ، فساء مطر المنذرين ، النمل والشعراء .

أما المقام فى آية يس فهو مقام تحذير إجمالى

المائل جرماً واحداً بالغ العظم ، فاقه سبحانه أعلم أى هذه الاحتمالات يكون .

لكن مهما يكن منها - أو من غيرها ، وهذا من باب الاحتياط - فلا بد أن يتم على الوجه الذى تتحقق به جميع الآثار التى جاءت فى القرآن المجيد وفى الحديث الصحيح من مقدمات الساعة ، كطلوع الشمس من مغربها فى حديث أبى ذر ، أو من أحداث قيام الساعة نفسها كجمع الشمس والقمر فى سورة القيامة .

فانظر إلى ذلك الجرى الذى أثبتته القرآن للشمس وحققه علم الفلك الحديث بعد نزول القرآن بقرون وقرون ، ثم إلى ذلك المستقر الذى أخبر القرآن ، فى أوجز لفظه وأفصح وأوضحه ، أنه غاية ذلك الجرى ونهايته ، وإن لم يعرف العلم عنه شيئاً بعد - انظر إليهما معا كيف إنهما فى ضوء سنة الجاذبية العامة قد استلزما أن تكون الساعة وأشراطها وأحداثها لا خرقاً ، ولكن طبقاً للسفن السكونية التى فطر الله عليها الكون ، ومن الممكن للفلكى الحديث المتمكن من العلم ومن فقه كونيّات القرآن معاً أن يسترشد بتلك الاشرط والأحداث الفلكية ، كما جاءت فى كتاب الله وعلى لسان رسوله فيستنبط منها ومن الثابت اليقيني فى العلم ، كثيراً مما لا بد منه كي تتحقق الآثار بالترتيب

ما استقام لهم هذا لأنهم يقررون أن الشمس
إذ تبلغ أحد الموقعين تبدأ ترجع أدراجها
حتى تبلغ الموقع الآخر في ستة أشهر وليس هذا
باستقرار إلا على وجه مجازي يبيحه التنكير .

وفي المفسرين القدامى من قال : إنه
لا استقرار للشمس في حركتها حتى يحق
يوم القيامة فتبطل حركتها وتستقر ، وهذا
أقرب تفسير إلى الصواب لولا أن أهل
قصدوا بحركة الشمس هذه الحركة اليومية
الظاهرة الراجعة في الحقيقة إلى دوران
الأرض حول محورها أمام الشمس والراجع
اختلاف المشارق والمغارب فيها إلى اختلاف
مواقع الأرض من الشمس في حركة
الأرض السنوية ودورانها حول الشمس
مرة في العام فهم طبعاً لم يقصدوا الحركة
الحقيقية العظيمة المبرعة التي أثبتها العلم
للشمس وأنبأ بها القرآن قبل أن يولد علم
الفلك الحديث فكان ذلك للقرآن معجزة
علمية كبرى ينبغي أن يذكرها دائماً
كل مسلم مثقف ويجعلها نصب عينيه ليزداد بها
يقيناً : أن القرآن من عند الله حقاً ، ويعرف
عن اقتناع أن ليس هناك شطط ولا تكلف
في المطابقة الصحيحة الدقيقة بين يقينيات العلم
وكونيات القرآن .

فهذه المطابقة ، بالصورة التي رأيت في
هذا المقال والذي قبله ، قد بينت صنوفاً

من تكذيب الرسل ، وتفنيهِ تفصيل إلى
بعض آيات الله الكونية الدالة عليه سبحانه
وعلى كمال قدرته وحكمته ، وجلال فضله
ونعمته على عباده ، فكانت القرينة قوله
فعالي : « ذلك تقدير العزيز العليم » في الآية
٣٨ : « والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك
تقدير العزيز العليم » .

والإشارة في ذلك ، هي طبعاً لتكون
الشمس تجري لمستقر ، أي تجري وغيابته
معاً لا لاحدهما وحده ، وغريب أن يكون
غاب عن الفخر الرازي شمول التقدير
للأمرين جميعاً ، إذ جعل اسم الإشارة راجعاً
إلى الجري أو إلى المستقر على الاحتمال ،
كما تراء في موضعه من الجزء السابع
من تفسيره .

وكما دل التنكير على عظم شأن المستقر
الذي نتهى إليه الشمس في جريها الحقيقي
فإنه أيضاً قد سمح لاكثر المفسرين أن يذهبوا
في معنى المستقر إلى ما يتفق وجري الشمس
الظاهري وتخير مواقعها في الشروق
والغروب طوال العام ، وتردها في ذلك
كل عام بين أقصى موقعين تبلغهما في الشتاء
والصيف لا تتعداهما بحال ، فكل موقع
من هذين الاقصىين هو لها مستقر في الشتاء
مرة وفي الصيف أخرى ، هذا هو خبر ما قاله
الأكثرون ، ولولا تنكير « مستقر »

حركة الأرض في القرآن الكريم آية أخرى للناس تهدي إلى الله وتشهد للقرآن مرة أخرى : أنه حقا من عند الله ، فقد لبث الناس عامتهم وخاصتهم قرونا بعد نزول القرآن ، وهم يمتدحون أن الأرض ثابتة لا حراك بها إلا ليس للأرض حركة محسوسة في الظاهر كحركة الشمس النسبية من المشرق إلى المغرب التي فسرها فلاسفة اليونان تفسيرهم الذي خطأه علم الفلك الحديث من جميع الوجوه . وفي الحق أن هذا المعقول أن يكون قد كان فعلا في القرآن ، ففي القرآن الكريم دلالات متعددة على حركة الأرض بنوعها جاءت عن طريق الإشارة ، لا صريح العبارة مراعاة لمقتضى الحل في خفاها وهدم إحساس الناس بها ، فلو أن القرآن العزيز صارحهم بحركة الأرض وهم يحسونها ساكنة لكذبوه وحيل بينهم وبين هدايته ، فكان من الحكمة البالغة ومن الإعجاز البلاغي في الأسلوب أن ينبه الناس في كتاب الله إلى آيته سبحانه في حركة الأرض حول محورها وفي حركتها حول الشمس بمختلف الإشارات إلى نتائج كل من الحركتين ، منا هليهم بها وحشا لهم على اكتناء أسبابها .

ومن أعجب مظاهر المن والحث مجتمعين القسم : قسم الخالق سبحانه بخلقاته حين غفل الناس عن آياته فيها لما تعودوا وألقوا

من الإعجاز في آية يس لا يكاد الإنسان يقضى حقها عجا ، آية من أروع كلمات تهمي في كلمتين معجزة هلية : (والشمس تجري) ، ونحوي في كلمتين آخرين (لمستقر لها) نبوءة مذكاة مستحق من غير شك لأنها قرينة المعجزة العلمية الصادرة عن فاطر الشمس سبحانه ؛ ثم تهمي في الكلمات الأربع إعجازا بلاغيا في مراعاة مقتضى الحال ، إذ تتحمل في كل من شطريها تأويلا يتفق مع الظاهر للناس من حركة الشمس حتى يتهدي بها الناس جميعا ، من عرف سر هذه الحركة الذاتية ومن لم يعرف ، من عرف هذا السر اهتدى به وبالمعجزة العلمية التي حوتها الآية ، ومن لم يعرف اهتدى بموافقة الآية للحركة التي يرى .

• • •

ودوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس : ما موقف القرآن منهما ؟ وهل فيه دلالة عليهما ؟

إن هذا التسأل ليس فيه إفتيات كما قد يظن بعض من يخشى أن نحصل آى القرآن ما لا تحتل ، بل هو تسأل ينبغي أن يكون . إن الله قد أنبا بالحركة الذاتية للشمس ليكون فيها وفي الإنباء بها آية للناس ، فمن المعقول أن يدل الله في كتابه على الحركة الذاتية للأرض التي يخلق بها سبحانه هذه الحركة الظاهرة للشمس ، ليسكون في الدلالة على

الحركة وهي كناية عجيبة عن حركة الأرض اليومية لا نفهم على حقيقتها إلا إذا تذكرنا أن الظلمة هي الأصل في جو الأرض في النصف غير المقابل للشمس، وإلا إذا تصورنا الأرض تدور حول محورها دورة في اليوم من المغرب إلى المشرق أمام الشمس ليتعاقب فيها الليل والنهار على كل مكان في الأرض على جانبي خط الاستواء إلى قريب من القطبين .

ومن عجيب أمر القسم بالصبح وبالنهار في القرآن الكريم أنهما لم يوصفا بإقبال ولا بإدبار ، لأن ذلك لو كان لما جاء بمعنى جديد إذ هو لازم حتما من إدبار الليل وإقباله ، ولكنهما وصفا بالوصف الخاص بهما ، الناشئ عن سلوك الضوء ، ضوء الشمس في الغلاف الهوائي المحيط بالأرض ولوجه فيه تدريجا عن طريق الانكسار في طبقات الهواء العليا الأخف إلى طبقات الهواء السفلى الأكثف ، من الفجر إلى الإسفار ، ثم انتشاره بملو طلوع الشمس تدريجا أيضا بالانعكاس على الأخص وبالانكسار أيضا حتى يعم النهار ولولا الغلاف الهوائي ما كان هناك فجر ولا صبح ولا إسفار في أول النهار قبل طلوع الشمس ، ولا شفق في آخر النهار بعد غروبها ، فليس ثنى من ذلك بكائن على القمر مثلا بعد أن فقد هوائه لضعف جاذبيته الناشئ

منها حتى غطت العادة والافسة على مواقع النعمة ومواطن الحسنة ومواضع العبرة فيما خلق لعباده ، فإذا أقدم الله سبحانه في كتابه العزيز بالليل والصبح وبالضحى وبالنهار أفلا يكون في هذا أكبر داع لهم أن يتأملوها ويتساءلوا : ماذا أودع الله فيها من بحالى حكمته ومظاهر عظمتة وقدرته حتى استحقت أن يقسم لعباده بها وهو خالقهم وخالقها ؟ فإذا بحشوا وعرفوا أنها ناشئة عن حركة للأرض في كل يوم أمام الشمس ، أفلا يكون في ذلك القسم دليل إلى تلك الحركة .

هل أن الله سبحانه لم يجرد القسم من إشارة تدل على طبيعة السر الذي أودع في المقسم به . فقد وصف الليل عند القسم به بالإدبار نارة : (والليل إذا دبر) في قراءة نافع وحفص ومن إليهما (والليل إذا دبر) في قراءة أكثر القراء العشرة (١) ، ووصفه بالإقبال والإدبار كليهما في قوله تعالى (والليل إذا عسعس) لأن الفعل معناه : أقبل ظلامه أو أدبر كما في القاموس ، ووصفه بالسر في سورة الفجر : (والليل إذا يسر) في قراءة أكثر العشرة وقفاً ، (والليل إذا يسر) في قراءة ابن كثير ومن إليه . وكلها أوصاف تقتضى

(١) عن كتاب البذور الزاهرة في القراءات المفسر للتواتر للشيخ : عبد الفتاح القاضي شيخ معهد القراءات بالأزهر .

ومع ذلك فقد فات المفسرين دلالة هذه الإضافة ؛ وهم معذورون إذ صرفوها إلى ما يعرفون من هذا الليل، وجعلوها من المجاز ولو لم يروا النص ودلالته لاهتدوا إلى حقيقة عجيبة غريبة أنبأ بها القرآن ولم يحققها الإنسان إلا منذ سنوات لما بدأ عصر الفضاء هذا ، فأثبت بذلك من حيث لا يدري معجزة علمية أخرى للقرآن ليس إلى وجودها - سبيل .

فإذا ما تجاوزنا القسم وإشارته واستردنا من الدلالة على حركة الأرض اليومية في القرآن وجدنا ما في قوله تعالى : (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) في الآية (٥٤) من سورة الأعراف . فالمغشى يصح أن يكون الليل أو النهار لأن التعبير يحتتملها كما يقول الزمخشري ، وإذن فهو يشملهما إذ لو كان أحدهما هو وحده المغشى لا الآخر لجاء التعبير القرآن في نصا في ذلك لا يحتمل غيره ، لأنه كلام الخالق سبحانه لا كلام مخلوق يجوز أن يأتي لفظه أضيق أو أوسع من المعنى الذى قصد ، وإذن فمكل من الليل والنهار يطلب الآخر طلباً حثيثاً بإذن الله كي يغشا حتى يغشا ، ثم يكون ذلك على وجه التجدد المستمر كما تفيد صيغة المضارعة في الفعلين مع الحالية في الفعل الثانى . فتأمل معنى جلال هذه الكلمات القرآنية الخس كيف صورت أدق تصوير تلك الظاهرة الكونية العجيبة

من صغر كئلته مع سرعة حركة الجزئيات في أى غاز .

من أجل ذلك جاء القسم بالصبح إذا أسفر بعد القسم بالليل إذا أدبر في سورة المدثر ، وجاء القسم بالنهار إذا جلى الشمس في الآية السكريمة (والنهار إذا جلاها) من سورة الشمس ، وليس على القمر نهار كالأذى نعرفه على الأرض تتجلى فيه الشمس ، فسواء القسم تظل مظلة في نهار الطويل طول نصف شهره هندا ، كما هو الحال في نهارنا أيضا إذا علونا الغلاف الجوى بهوائه وسحبه كما استنتجه العلماء من أن الضوء لا يرى بذاته ولكن بالانعكاس عن المرئيات ، وكما شاهد طيارو الفضاء حين دارت بهم القميرات الصناعية حول الأرض أعلى من غلافها الجوى بكثير .

ومن عجب أن هذا الذى يستنتجه العلماء وشاهد طيارو الفضاء من ظلة السماء قاطبة بالنهار إذا علونا الأرض وبجوزنا غلافها الهوائى - هذه الحقيقة التى لم يكن ليصدق بها أحد من قبل قد دل عليها القرآن المجيد صراحة في كلمتين هما (وأغطش ليلها) في قوله تعالى : (أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) فالضمير فى (ليلها) راجع إلى السماء التى تتكلم الآيات السكريمة عنها وحدها ؛ فافقه سبحانه يفبنا أنه أظلم ليل السماء لا ليل الأرض ،

(والأرض بعد ذلك دحاهها) في الآية (٣٠) من سورة النازعات .

فإن احتجبت إلى مزيد من الدلالة في القرآن على الحركة اليومية للأرض فأنت واجد حاجتك بإذن الله في قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) ومعنى الكلمات الأربع الأولى ظاهر مما تقدم ، فلا محل للإشكال الذي ذكره الفخر الرازي أما الشاهد فهو في الكلمات الأربع الأخرى : (وكل في فلك يسبحون) وقد جاءت في إثر الأربع الأولى كما ترى فهي تشمل الليل والنهار المذكورين فيها ، كما تشمل الشمس والقمر المذكورين في مفتتح الآية الكريمة : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) من سورة يس . فالليل والنهار يسبحان في فلك ، لكل فلك يدور فيه ألا وهو فلك الأرض أو بالأحرى فلك جوها الذي يدور بدورانها مرة حول محورها أمام الشمس كل يوم .

أما حركة الأرض السنوية حول الشمس ففي القرآن الكريم دلائل على الأقل : أحدهما عن طريق الإشارة إلى أثرها في الليل والنهار من حيث تداخل أحدهما في الآخر من جهة الطول والقصر على تتابع الفصول الناشئة عن تلك الحركة ، وذلك في مثل

ظاهرة زحف النهار إثر الليل حالاً محله من طرف ، وزحف الليل إثر النهار حالاً محله من الطرف الآخر في كل بقعة من بقاء الأرض أثناء دورتها اليومية حول نفسها أو حول محورها أمام الشمس نتيجة لذلك الدوران الذي يدل على عظم جلاله وجماله مرجع الضمير في قوله تعالى (ينشئ الليل النهار) .

ثم هذا الدوران نفسه قد دل القرآن عليه بما يكاد يكون نصاً صريحاً في قوله تعالى : (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) في الآية (الخامسة) من سورة الزمر . والتكوير اللف واللى ، يقال : كور العمامة على رأسه وكورها ، كما يقول الزمخشري في تفسيره . إلا أنه جعل يلتبس لذلك معنى مجازياً لما غاب عنه ما ظل مجهولاً للناس أجمعين لقرون بعده من أن الله سبحانه يلف الليل على النهار بلف محوري حقيق للأرض التي هي محل الليل ، ويلف النهار على الليل بلى حقيق لأشعة ضوء الشمس في خلاف الأرض الهوائي الذي تملأه الظلمة وهي تدور .

وفي الفعل (يكور) المكرر مرتين في الآية الكريمة معجزة علمية أخرى ، إذ قد دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذي يشغله ويتأوده الليل والنهار على التجدد في كل بقعة من بقاء الأرض . وفي هذا غناء من الاستشهاد بكلمة (دحاهها) في قوله تعالى

قوله تعالى : « يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل » في الآية (١٣) من سورة فاطر . وقوله تعالى : « ألم تر أن الله يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل » في الآية (٢٩) من سورة لقمان . وقوله تعالى : « ذلك بأن الله يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل » في الآية (٦١) من سورة الحج . وتكرار المعنى هكذا في آيات متعددة تؤكد له من ناحية ، وتنبيه من الله لعباده أن يتطلبوا سر هذه الظاهرة الكونية التي يحسونها من ناحية أخرى . والعمر هو في تلك الحركة كما عرفها الفلكيون والجغرافيون خاضعة للسفن الكونية الثلاث المعروفة بقوانين « كبلر » لدوران السيارات حول الشمس ، ولقانون الجاذبية العامة التي كشفها وكشف قانونها « نيوتن » .

أما الدلالة الثانية فهي أم لأنها إشارية تكاد تكون في صراحة عبارة تنص على أن الأرض حركة غير حركتها اليومية . تلك هي دلالة قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جاهدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء » في الآية (٨٨) من سورة النمل .

والسحاب ، كما هو معروف لا ، يتحرك بذاته ولكن ينتقل محمولا على الرياح ، فكذلك الجبال يراها الرائي فيظنها جامدة في مكانها وهي تمر مسرعة محمولة أيضا . وليس لها حامل إلا الأرض . فالأرض إذن هي المسرعة بها كما تسرع الرياح بالسحاب ، وكلا الأمرين صنع الله الذي أتقن كل شيء . فالاستنتاج في الواقع قريب غير بعيد ، يسره الله لأهله بذلك التشبيه العجيب الذي دل أو يفني أن يدل الناظر إلى أن في حركة الأرض الحاملة للجبال من آيات الله ومن المنافع لعباده ما يشبه الآيات والمنافع التي أودعها الله في حركة الرياح الحاملة للسحاب ، والتي نوه الله بها في آيات كثيرة من كتابه الحكيم .

وليس عجيبا أن يفوت المفسرين جميعا هذا المعنى على قربه لمن يعرف ما أثبتته العلم الأرض من حركة حول الشمس ، لأنهم - رحمهم الله - لم يكونوا يعرفون أن للأرض حركة ما ، لا يومية ولا سنوية . ومن هنا صرفوا المعنى عما يقتضيه المفعول المطلق في الآية الكريمة وما يستلزمه قوله تعالى : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » من أن الظاهرة التي لفت الله إليها الإنسان في قوله : « وترى الجبال ... » الآية . هي ظاهرة كونية فيها من إتقان الصنع ما يدل على جلال حكمته وقدرته سبحانه ، وما ينافي ما سماه قدامى المفسرين نقصا لسنن الله في الكون يوم القيامة أو بين يدي يوم القيامة ، من نصف الجبال نصفها إلى آخر

قوله تعالى : « يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل » في الآية (١٣) من سورة فاطر . وقوله تعالى : « ألم تر أن الله يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل » في الآية (٢٩) من سورة لقمان . وقوله تعالى : « ذلك بأن الله يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل » في الآية (٦١) من سورة الحج . وتكرار المعنى هكذا في آيات متعددة تؤكد له من ناحية ، وتنبيه من الله لعباده أن يتطلبوا سر هذه الظاهرة الكونية التي يحسونها من ناحية أخرى . والعمر هو في تلك الحركة كما عرفها الفلكيون والجغرافيون خاضعة للسفن الكونية الثلاث المعروفة بقوانين « كبلر » لدوران السيارات حول الشمس ، ولقانون الجاذبية العامة التي كشفها وكشف قانونها « نيوتن » .

أما الدلالة الثانية فهي أم لأنها إشارية تكاد تكون في صراحة عبارة تنص على أن الأرض حركة غير حركتها اليومية . تلك هي دلالة قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جاهدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء » في الآية (٨٨) من سورة النمل .

والسحاب ، كما هو معروف لا ، يتحرك بذاته ولكن ينتقل محمولا على الرياح ، فكذلك الجبال يراها الرائي فيظنها جامدة في مكانها

شأنها أن تهدي إلهيه سبحانه وهي قوله تعالى :
(ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرًا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) .
والسياق ودلالته ينبغى على الأقل أن يشمل
هذه الآية ودلالاتها فيما يشمل ، وإذن تسقط
حجة المحتج بأن آية (ويوم ينفخ في الصور
فنفزع من في السموات ومن في الأرض
إلا من شاء الله ، وكل أتوه داخرين)
في موضعها بين الآيتين ، تشهد لمن يجعل آية
الجبال خاصة بما يتعلق بالجبال من أحداث
يوم القيامة .

وبعد ، فإن من لطيف المناسبة أن تشير
آية (ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه والنهار مبصرًا) إلى ظاهرة فثأ هن
إحدى حركات الأرض ، وأن تشير آية
(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر
مر السحاب) إلى الحركة الأخرى تلك
الإشارة الواضحة العجيبة : ومن حكمة الله
البالغة أن جعل بين الآيتين آية تتعلق بيوم
البعث لتصرف الالذهان بها عن المعنى الذى
لم تكن لتعقله قبل أن يأذن الله بالكشف
من سنة الله في حركة الأرض حول الشمس
كسيار من السيارات التى أقسم الله بها ، تنبيهها
إلى آياته فيها ، إذ يقول سبحانه : (فلا أقسم
بالخفس ، الجوارى الكنس) في الآيتين
(١٥ ، ١٦) من سورة التكويد ؟

محمد حمزة العنبروى

ما نطقت الآيات القرآنية المتعلقة بالساعة
وأشراطها والزخشرى وحده هو الذى أدرك
بذوقه البىانى عدم التلاؤم بين قوله تعالى
(صنع الله الذى أتقن كل شىء) وبين
ما سيحل بالجبال بين يدى الساعة ، فقد ر
مخدوفا يلىق فى رأيه بذلك الصنع المتقن
إذ قال : والمعنى ويوم ينفخ فى الصور وكان
كيت وكيت أتاب الله المحسنين وعاقب المجرمين
ثم قال (صنع الله) يريد به الإثابة والمعاقبة
وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التى أتقنها
وأتى بها على الحكمة والصواب ، إلى آخر
ما قال بما رفضه غيره مثل أبى حيان فى تفسيره
ونسبه إلى مذهب الزخشرى فى الاهتزال .
ولو صرف الزخشرى وأبو حيان ما نعرفه
اليوم من دوران الأرض حول الشمس بقلك
الكيفية الباهرة ، وما يحكمها من تلك السنن
الألهية الدقيقة الفاهرة ، وما يترتب عليها
من المنافع للناس إذن لكبروا الله ولسارها
إلى المعنى المتبادر من الآية ومن تشبيهها
التشبيلى ومن القرائن الحسية والبلاغية فيها ،
وايفهموا الخطاب فى (وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب) على أنه
خطاب للإنسان الآن وفى كل عصر آت بدله
على آية من آيات الله الكبرى عله يهتدى بها
إلى الله ، كما دله فى الآية التى قبلها بآيتين على
مثيلة أو مثيلات لها تهتدى إلى الله أو من

آذان الفجر في بلاط الشهداء

لأستاذ محمد رجب البيومي

« تروى الأساطير التاريخية أن صوت الأذان الإسلامي قد ظل يسمع عند الفجر بساحة بلاط الشهداء مائة عام ، وأن حمام يبيض كانت ترفرف ساعتئذ وبراما الناس » .

من الأرض ، يتلى أم لدى الخلد يذكر
ولا فها هذا الأريج المطر
كان شعاع الفجر صبح منور
لها قبل يوم الحشر في الفجر محشر
كأوسمة من سدة العرش تنثر
يرف مع الورقا روح مطهر
فتخضع لإجلالا لها حين تنظر
فصفحة الحراء ورد منضر
وروداً بها طهر الشهادة يهر
شداً كاذ منه الميت في القبر ينشر
هتاف بترداد الأذان مكرر
لها فن في الخلد ريان أنضر
تذكرها الأملس القريب فتذكر
فضلوا سبيل الحق والنهج مسفر
ملايين في طلباتها تتحضر
وكاد دجها فوقها يتحجر
مشاعل ضوء قطمس الليل يذهر
من الدين والأخلاق سفر مسطر
فأ في بني الإسلام من يتحجر

بروع الحجا هذا الأذان المحير
تخيلته من جنة الخلد صادما
يضئ به الفجر انتلاقا على الربى
تردده الأرواح نفسوى كأنما
تنزل من عليا السماء وضئته
حمام ليست كالحمام وإنما
تراقبها في الفجر تهبط من على
نرى الأفق مزهواً بها متخايلا
وكانت دماً يوم الوغى فتفتحت
كان نسيم الفجر يحمل عطرها
حمام جنات النعيم مديلاً
أبت أن تمس الأرض مساء وإنما
دنت ذات طوق في احتفاء لاختها
تسألها : ماذا أصاب هداتنا
أتيناها بالنور يهدي شعاعه
شعوباً بأوربا تكاتف جملها
لقد ألقوا الليل البهيم فإن يروا
أتيناها كالأصدقاء وعندنا
لم مالنا لا نبتغي أن نذلهم

عليهم جميعا ما علينا ، وإنما
 إذا نزل الزيت الروى فكلنا
 ألم يشرب الطفيان بغياً دعام
 شراذم أميون إلا قساوسا
 ترون قذارات الجسوم فضيلة
 معاذ الهدى أن نسلب النوم دينهم
 لديه طريق الحق ، إن يستجب له
 فيايتهم قاموا لرشد بقودم
 ثعابين في الأحراش يرشح سمها
 دعاها إلينا ، شارل مارتل ، فارتعت
 أنينا نغيظ الشر عنها فصدها
 لهم صرخات بالعراء كأنهم
 تردوا جلود الوحش في الكون فاغتنى
 شعور تعم الجسم والوجه أرسلت
 إذا غير الشعر الكشيف صدرهم
 ولما تلاقينا ودرى هتافنا
 ولما تراينا ولاحق سيقونا
 تجلت لجيش الغافق مهابة
 وغاضت خيول الله في ساحة الوغى
 ولاح بريق النصر يومض فجره
 رأوا حتفهم يدنو فراموا مكيدة
 سرت صيحة أن الغنائم هوجت
 لئن حسبوا فقد النضار خطورة
 لقد كشفوا الإسلام ، لولا عصاة
 وأن لقاء الله أنفس مأرب
 ولم أر مثل الغافق قد انبرى

مساواة دستور يطاع فيأمر
 سقتل منه إذ يفيض فينخر
 فهم في سطاء كالسوانم تنحر
 إذا استظهروا الإنجيل لم يتدبروا
 مقدسة ، يا ويل من يتظهر
 مراغمة ، بل راشد يتخير
 مضى قدما فيه ، وما ثم بجر
 إلى حيث ينجو بالرشاد مفكر
 تحكم فيها أفدوان مسيطر
 كطوفان موج خلفه يتحدر
 عن الحخير شر في النفوس وقرر
 نمر بأدغال تصيح وتزار
 لهم نسب عند الوحوش مؤصر
 عليهم ففيها للقدارة مظهر
 تجلى من الإنسان ذنب مصور
 يشق عنان الأفق : الله أكبر
 تضىء مشار النفع والجو أكرم
 وتم له رأى بديع وعبر
 تجدد ما شاء الكفاح وتأمر
 وبعده هنيات يفيض فيهر
 تقوم مقام الحرب والكيده أقدر
 فقر من الميدان قوط وبربر
 لقد جلبوا العار الذي هو أخطر
 رأت أن وعد الموت حتم مقدر
 لمستشهد يلقى الجنان فيؤجر
 ومقلته من جاحم الغيظ تسعر

بما ظلمه استشهدنا فتأججه
 تيوم هرت فيه الشواخ رهبة
 تزين به الصرعى أكاليل عزة
 مشوقا تصبته الشهادة فارتقى
 وكان مرد الموت سهلا ، فلم يشأ
 لن كان في الدنيا أميرا فإنه
 ورفعت عليها من قريب حمامة
 يهب بها : كفى ملامك عنهمو
 لقد جهلوا ما نفتديه من الهدى
 ولو درسوا أخلاقنا لتقدموا
 فصاحت بها : أختاه ، لم يخف ديننا
 ألم يسألوا الأسبان ، حما نرومه
 ألم تك أسبانيا مباءة فسق
 أليس رقيق الأرض فيها شراذما
 طنى النبلاء المتخمون على الورى
 يسير وأحراس الرقيق تحوطه
 وأخرى من الكهان عز دواؤها
 لقد شرمت سود العالم والحق
 إذا فاض بالشكوى أجبر معذب
 شرور تظلت نارها فلولى بها
 أحالوا ديار القوط فردوس جنة
 مدارس التشقيف فاضت حياضها
 محاكم الحق أنزبه تسودها
 مصحات طب ينتجها أخو الضنى

مواجهه ، وانقض غضبان يثار
 فلا صرح إلا مائل يتبعثر
 فيا مصرعاً فيه الأكاليل تصفر
 لها ، وعجاء من البشر يزهر
 فرارا ، وأنى ، وهو فى الروح قصور
 كذاك أمير فى الجان مؤمر

* *
 تسامرها ، والطير فى الخلد يسمر
 فنحن هن الجانين نغفو ونغفر
 وكل جهول لا بحالة يعذر
 إلينا على شوق ، ولم يتأخروا

* *
 عن الناس ، وهو المستفيض المشهر
 وهم إخوة ، إن يسألوا الرأى أخبروا
 يهبط بها الإقطاع ههراً فيفجر
 مع الطين تشويها السياط فتصهر
 فكل نبيل فى التجبر قيصر
 وما منهمو إلا الدليل المسخر

* *
 تسيل جراحا بالمكيدة تنفر
 نحن أيقنت : أن الكنائس متجر
 تلوا نص إنجيل به يتخذو
 من الفاتحين الأريحيين عسكر
 ترعرع فيها العالم المقحضر
 وطوفانها الجياش بالعلم يزخر
 مساواة شرع بالعدالة يجهر
 فينشط لا يثنى خطاه مكدر

(البقية على الصفحة التالية)

خاتمة المطاف

للمآثر على الخطيب

العفة هبة المرأة التي بها تعز، والحب مطلبها
الذي به تسعد، وجلال حياتها أن يتزوج عفافها
بحب تنعم به، ويشيع فيها الثقة والاحترام
وإذا كان الرجل تقوده عيانه إلى الجمال
فإن عقله يدفعه إلى العفة، وتبلغ سعادته
القمة حين يطمئن لوجودهما معاً في إنسانة
فيسكن إليها سعيداً، وهو أهادوا ما، والرجل
الشرقي — بخاصة — إذا فقد العفة في المرأة

لا يجذبه جمالها في الغالب، وإنما يبحث
من جديد، ويفضل العفة في النهاية، ويضحي
بالجمال، لما استقر في نفسه من شرف،
البيت، والشفق بالولد والحرص على تربيته
فالعائلية عميقة الجذور في نفسه ... تتكامل
شخصيته بوجودها، ويرتاح بتحقيقها .
ولقد فتن الشرق من بعد الغرب ...
فتنته حرية المرأة ...

(البقية على الصفحة السابقة)

حدائق تكسوها الرياحين بهجة
ولو لم تتج للناس أندلس لما
ولو لم تتج للناس أندلس لما
تحرر شعب من براثن قيده
وعاد وقيق الأرض للأرض سيداً
ألم يسألوا الأسباب هنا فيعرفوا
أردنا ارتقاء بالملكيد للذرى
ومرت هنيمات فطارت لأوجها
قضت ساحة الذكرى وخفت لأيكها
دعانا إلى الفردوس رضوان فاغتمت
وما زال في سمي، وقد غاب طيفها،

وأدواها اللفاء تزهو وتثمر
غداً لجمال السكون في السكون منظر
غدا لسمو الفكر في الناس مظهر
وأعجب بوثب الشعب إذ يتحرر
له من نداها كوثر بتفجر
رسالتنا، إن صاح بالشك منك
فأمكن منهم نخسهم فتدهوروا
حائم، كانت نشوة تتخطر
وقد تسعد للذات من يتذكر
لأقعد صدق في ربي الخلد يؤثر
برن هتاف الفجر : الله أكبر

محمد رجب البيروني

ولم (يقوّم) هذا المظهر الجميل بمقدار ما طرح في بيت الزوجية من (سعادة) أو بنى من (خلق) ... أو قدم من (تربية) . ولكنه (قوم) في سطحية انطباعات مشاهره حين رؤياه هذا الجمال المشرق ... والملبس الفاتن .. والجرأة القاهرة .

وكان الشرق ورجاله - إلا من عصم الله - أول من همى فأخطأ التقويم ، واعتبر هذا المظهر ، عنوان التقدم ... فنأدى به ... وصرخ في وجهه من تصدى الطريق ... وبعد جيل ... نادى بعضهم : الشرف شيء . والجنس شيء آخر .

وكانت المرأة في الشرق قد جهزت بهذا المظهر ، وكانت فتنته على أعصابها قاهرة ، وزت منها الحكمة ، وأدت منها البصيرة ، وغالبا ما كان الرجل بجوارها يهوى ذلك ... فاندفعت تفقه ... وتبدع ... وصارت في الطريق . طريق مليء بالجمال ... فواح بالعطر ، اكفن أرضه ستر فوق بركان ، غامض بغير معالم ... متشعب الأنحاء ... ملتوى الاتجاهات ... تتكشف فيه السائرات ، وكمن ضاهت فيه نساء بعد أن ضيعن كل شيء ... وذهبن دون دعة وداع ... أو رثاء حبيب ، تبقى أو ذكرى في نفس زوج ... أو عطف تمتلىء به روح ولد ... وفطنت المرأة الغربية التي بدأت بفتح الطريق ... حين انتهت إلى آخره ... فارتدت منه بوجه حزين انسابت

والمهم أن تتساءل ... عن فلسفة هذه الحرية ... وإنما نحن سنمر هنا بواقعها وواقعها المريع الذي ففرت منه ... أخيراً .. المرأة ... لقد بدت المرأة الغربية تملأ علينا خيالنا بحوريات الجنان .. حين خطرت في بلاد الشرق سائحة ... أو بدت على د الشاشة ، مشخصة ... أو ماست بـ د الأزياء ، عارضة جميلة إذا صترت جسدها ، أو صمرت هن جيد ، أو كشفت عن ساق ... تبدو في ذلك كله د حرة ، تختار ما تريد (وتهوى) من تشاء ، (وتسكن) إلى من تختار .

واستخدمت أدوات التزيين الغربية فجرت على وجهها ظلالا ، ورموشا ، وألوانا . وجذب الفن شعرها ... وأبدع تشكيله ، وزوده بقلانس ذوات شعور مختلفة العقص والاسترسال ... تتوزع مع أوقات الليل والنهار يصاحبها ملابس أنيقة ، وعطر خللاب ... يتجدد بذلك كله مطلعها حتى كأن الواحدة منهن سبع نساء ...

وخطرت من قبل ذلك وبعده إلى معاهد الرقص خفت حركتها ، ورشق هيكلها ... وفي معاهد التجميل ... ألفت بشحمها ، واختصرت سنّها ، واكفست نضارة الوجه وجمال القوام علقى ، وضايها الثوب فأبرز هذا الجمال ، أو فضفض فجاج بلدانة جسدها وأثار الخيال .

واغتبط الرجل في كل أنحاء الدنيا ١

وزحفت المشكلة إلى آخر مكان يمكن أن يتصور إنسان أن تهبط فيه ؛ فدور العلم حصن الأخلاق ... استسلمت بدورها للإغراء .. وانقادت للشهوات ، وانهارت حياة سبجانة طالبة بجامعة شيفيلد صرعى النزق ، فأصرح طبيب الجامعة بصرف لمن حبوب منع الحمل بعد أن ارتفع عدد الأطفال غير الشرعيين الذين تنجبهم الطالبات بمعدل اثني عشر طفلا صنوبا^(١) .

ولا يمكن أن يكون « علم النفس » هو سبب ذلك كله ، فالعلم ذو وقار ، وإذا كان علم النفس يعترف بضرر « الكبت » ، ويعترف بآلام « المراهقة » ، ويعترف بمشاعر « النقص » فإنه أيضا غير عاجز عن وضع الحلول القيمة العفيفة التي تخفف الكبت ، وتساعد المراهق وتزيل مشاعر النقص ، وتقيم قواعد الأخلاق الكريمة .

في الحق إنه ليس العلم ... ولكنها .. فتنة العلماء ... !

تلك الفتنة التي واصلت سيرها حتى اقتحمت أدمغة المشرعين في مستوأم « الوطني » ، العالي فأعدوا في الدانمرك : « مشروع قانون ينص على اعتبار جريمة الزنا غير كافية للحصول على الطلاق » ، وقد تم وضع مشروع القانون بعد دراسة استمرت سبع سنوات قامت بها لجنة حكومية من خمسة أعضاء ، وتهدف

منه الدموع ... وعلته الغيرة ... وبدأ عليه الجهد والذلة ... غاوية اليدين ... تفتت إلى ماض مظلم كثيب ... ولا تجد أمامها مستقبلا يشرق بأدنى أمل ، فالتفتت إلى أخواتها ... أخواتها الدليلات ... يطلبن محاولة أخيرة ، وقد كان ...

لقد كان أفسى شيء على نفسها أن تهون على المجتمع نفسه ... وتفقد فيه النصير ... فلا رجل أخلاق ... ولا مصلح اجتماع ... يمد يدا ... وقد نبذ الكل قضيتها ... وكان واضحا لها ... أن الرجل قد استغلها حين ظنت هي أنها قادرة على كل شيء ... وأنها لن تكون غريرة بيد الرجال ... ونسيت أن أخواتها يدرن حول رجلها مشيرات ... وفيهن خير منها ... ولهن نفس الحرية ... وهن من نفس الثقة ... وينشدن نفس الطلب ... وكان الصراع وسقطت المرأة ، وملاّت المدرس أطفالا غير شرعيين ، وأصبحت مدينة لندن بالذات يولد بها طفل غير شرعي بين كل سبعة أطفال شرعيين ، وتدفقت التفتيات الحوامل على المدينة حيث يمكنهم إخفاء الفضيحة في زحام العاصمة ، كما يقول دكتور صقيوارت مدير إدارة الرعاية الطبية بلندن (١) .

(١) الأهرام ١٢/١٠/١٩٦٥ . وكالات الأنباء .

والأبناء... والأحفاد... في نزاهة وشرف
لا... ستمضى دون أن تضع لبنة... حتى
في الطبقة الأولى.

وثارت ضيقة بهذا كله، وحملت الصحف
صباح ٢٤ / ٤ / ١٩٦٥ ثورتها. ونقلت
أخبار اليوم عنرائها:

«مظاهرة نسائية احتجاجا على الحرية
الجنسية في السويد».

وقد شملت ثورة النساء السويديات أنحاء
البلاد احتجاجا على إطلاق الحريات الجنسية
في بلادهن.. وتقدمن باحتجاجهن إلى
المسؤولين، وبلغن في استكهن ولم وحدها نحو
مائة ألف امرأة.

إن نساء السويد بالذات يتوقعن الكارثة
ويحسسن بها أكثر من الأخريات.. لقد
بلغن قمة الحضارة.. والمساواة.. ولم يعطين
الوطن أطفالا.. وتلك نكبة السويد التي
يقنأقص هدها عاما بعد عام... فحق للمرأة
أن تسترد من الذين سلبوها بالخداع كل شيء.
- حقها في حياة كريمة شيئا بعد شيء.. ونحن
نقول لهذه المرأة بالغرب: سدد الله خطاك..
وربما قالها رجال في الشرق... للمرأة الشرقية
بعد مئات السنين... حين يقتهى بها الطريق
وتأني خاتمة المطاف.

على الطبيب

بجمع البحوث الإسلامية

من ذلك إلى إجماع تشريع مشترك للزواج
بين الدول الخمس: الدانمرك، والنرويج،
والسويد، وفنلندا، وإيسلندا،^(١)

فهل أعجب ذلك المرأة التي قطعت الطريق
وذاقت ثماره، ربما لو تخلت عن عقلم اجانيا
لصرخت مغتبطة بما حازته في هذا القانون،
ولكنها على العكس، ضاقت بذلك كله،
وشعرت بالهوان، ولم تستسلم للطعم، ورفضت
في شتم هذه النهاية، التي تستوى فيها بالأناعام
وأحست:

أنه لا يمكن بعد ذلك أن تجد رجلا
يجلبها من إخلاص، ويشاركها حياتها في غبطة
ويمكن إلهيا في حب، وهو يعلم يقينا: أن
هذه المرأة يمكن أن تغرب بحبه، وتهوى
غيره، وتستسلم لهذا الغير، وتعطيه الجسد
والفؤاد دون أن يكون لزوجها عليها حق
الطاعة أو حق العفاف... بله كرامة للشرف
وصيانة القلب... ويعنى هذا أن تفقد المرأة
في طريق حياتها (الأمين) الذي يستقيم
بجوارها بعد والدها... إلى نهاية الحياة.

وأنه لا يمكن بعد ذلك أن تطمع في ولد
تخصه بحبها، وتطرح عليه من كرامتها، وقد
فر الزوج خوفا من ضياع الشرف، ولوثة
الولد... ورأت المرأة الغربية الحديثة أنها
صمضى وتخلف دنياها لا كجداها - اللواتي
بنين الأسرة من ثلاث طبقات: الوالدين.

(١) الأهرام ١٢/٢١/١٩٦٤ ص ٥ ع ٢.

دسائس اليهود

للأستاذ محمود محمد شبكة

يعظم ، والنفوذ الروحي يمتد ، لقد كان اليهود يؤملون الاستعانة بمحمد على النصارى ، وإذا بمحمد أقوى من هؤلاء وأولئك .

حينئذ تحرك داوود القديم ، وظهر خدم الدفين ، وبخاصة حين أسلم عبد الله بن سلام وهو حبر من أحبارهم ، وبدوا يحاربون الرسول وصحبه بالجدل والفس والوقية ، ويرجون من وراء ذلك أن تنحل الرابطة وينفطر العقد ، وتتفرق الجماعة ، ولكن هيهات هيهات ، لقد أحكم الإسلام الرابطة ، ووثق الألفة ، وصنى النفوس .

مريودي يدعى شاس بن قيس على نفر من الأوس والخزرج وهم مجتمعون ففاظله ما هم فيه من ألفة ومحبة فقال : قد اجتمع ملا بنى قيلة بهذه البلاد وما لنا معهم إذا اجتمع ملوهم من قرار ، وجاء إلى شاب من اليهود فقال له : أغد إليهم ، فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعث ، وأنقذهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ، ففعل الشاب ، فتكلم القوم عند ذلك ، وتنازهوا وتواعدوا على المقاتلة ، ونادى هؤلاء : يا آل الأوس ونادى هؤلاء : يا آل الخزرج ، ثم خرجوا

رحب اليهود في المدينة بالضيف القادم والنزيل الوافد ، ولم يكن هذا التعريب ناتجا عن شعور بالكرم ، أو إحساس بالمرورة . وإنما كان مرده ومبعثه أن اليهود ظنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الرجل الذى يمكن أن يستغل ، والداوى الذى يمكن أن يستغل .

ظنوا أنه من الممكن أن يتحالفوا مع الرسول ضد النصرانية التى أجلتهم عن أرض الميعاد (فلسطين) ومن أجل ذلك هشوا لاستقباله وخفوا للتعريب به ، وقد بادلهم الرسول تحية بتحية ، ووثق صلته بهم وتقرب إليه رؤسائهم وكبرائهم بوصف أنهم أهل كتاب موحدون ، وحقد معهم معاهدة صداقة وتحالف فيها تقرير الحرية العقيدة وحرية الرأى .

وقد كانت هذه المعاهدة الملزمة والمعاملة الحسنة كفيلا بأن تستل الاحقاد من نفوسهم وتزرع الضغينة من قلوبهم لو أن نفوسهم كانت صافية ، ولكن أنى لليهودى أن تصفو نفسه ، ويستريح ضميره ، وهذه دعوة محمد تفتح لها مغاليق القلوب ، ويدخل فيها الناس أفواجا ، وقد بدأت القلة تكثر ، والسلطان

ولقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يتحدث إلى يهودى يسمى فنحاص وبدهوه إلى الإسلام ، فرد عليه فنحاص هذا بقوله : والله يا أبا بكر ما لنا إلى الله من فقر وإنه لاينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه أغنياء ، وما هو هذا بغنى ، ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ، ويعطيهاه ، ولو كان غنيا ما أعطانا ! يشير اليهودى ، إلى قوله تعالى : **و من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة .** .

لكن أبا بكر على ما كان عليه من دماثة خلق ، وطول أناة لم يطق صبراً على هذا الجواب فثارت حفيظته واشتد غضبه وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : **والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت رأسك يا هدهو الله ، وشكا فنحاص أمره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر ما قاله لأبي بكر فنزل قوله تعالى : لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء . سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول : ذوقوا عذاب الحريق .** .

ولقد بلغت باليهود الجرأة والوقاحة أن حارلوا فتنة الرسول نفسه حينما ذهب إليه أحبارهم وسادتهم وقالوا له : إنك قد عرفت أمرنا ومنزلتنا ، وإنا إن اتبعناك اتبعك اليهود

للحرب ، وقد أخذوا السلاح ، واصطفوا للقتل ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فيمن كان معه من المهاجرين فقال : **يا معشر المسلمين : اتقوا الله . اتقوا الله أبدهوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم إلى الإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم .** . حينئذ أدرك القوم أن ما حدث كان دسيسة يهودى فبكوا ، وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ، ونزل في شاس بن قيس وأمثاله قول الله تبارك وتعالى : **قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها هوجاء ، وأنتم شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون .** . ونزل في شأن الانصار قوله تعالى : **يا أيها الذين آمنوا إن طغيةوا فريقاً من الذين أتوا الكتاب بردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ، وفيكم رسوله . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .**

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . .

استرحف منه ، وإن كان نذيا فسيخبر .
أما بشر فقد مات من أكلته هذه ، وكان
لهذه الفعلة أثرها العميق في نفوس المسلمين
إذ جعلتهم يخشون غدر اليهود فرادى بعد
أن تخلصوا منهم جماعات .

ويقول الأستاذ محمد خليفة التوازي
في كتابه "الخطر اليهودي" : (اليهودى يهودى
قبل كل شيء . مهما تسكن جنسيةه ومهما يعتنق
من مبادئ وعقائد في الظاهر ليخدم
باعتناقها نفسه وأمة فهو يتجنس بالجنسية
الأمريكية أو الإنجليزية أو الفرنسية ويؤيد
جنسيته طالما كان ذلك في مصلحته اليهودية
فإذا تعارضت المصلحتان لم يكن إلا يهوديا
فعند يهوديته وضحي بجنسيته الأخرى ،
واليهودى ، يسلم أو يتنصر نفاقا ليفسد
الإسلام والمسيحية أو يوجه تعاليم هذا الدين
الجديد وتقاليده وجهة تعود بالخير على
اليهودية أو يبك روح المروءة لهم ، والعطف
عليهم) .

وهذا الكلام ينطبق تماما على شخصين
كلاهما كان له خطره الفاحش وضرره البالغ
فقد أسلما تظاهرا وخدعا أولهما : كعب
الأخبار ، وثانيهما : عبد الله بن صبا ،
أما كعب فهو من يهود اليمن أظهر لإسلامه
حينما تضاءلت اليهودية في بلاد اليمن ، ورأى
الإسلام يعمو ويذهب وتغزو دعوته الآفاق

ولم يخالفونا ، ولما بيننا وبين قومنا خصومة
فاحتكم إليك فتقضى لنا فتقبعك ونؤمن بك
فزل فيهم قوله تعالى : وأن احكم بينهم بما
أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم
أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن
تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض
ذنوبهم . وإن كثيرا من الناس لفاسقون ،
الحكم الجاهلية يبغون ١٠ ؟ ومن أحسن من الله
حكما لقوم يوقنون ؟ ، .

ولم يقف الأمر باليهود عند هذا الحد
بل حاول بنو النضير اغتيال الرسول صلى الله
عليه وسلم حينما ذهب إليهم يستعينهم
في دية قتيلين ، ولكن الله سبحانه وتعالى
حفظه من كيدهم ونجاه من شرهم كذلك انضم
بنو قريظة إلى المشركين في غزوة الأحزاب
بغية القضاء على المسلمين كما حاولت زينب
بنت الحارث قتل الرسول بعد أن وقع الصلح
بينه وبين أهل خيبر بأن أهدت إليه شاة
مسمومة ، فجلس أصحابه حولها لياكلوها
وتناول عليه السلام الذراع فلاك منها مضغة
فلم يسفها ، وكان بشر بن البراء قد تناول منها
مثل ما تناول الرسول ، فأما بشر فأساغها
وازدردها وأما الرسول فللفظها وهو يقول :
إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا
بزينب فاعترفت ، وقالت : لقد بلغت من
قومي ما لم يخف عليك . فقلت : إن كان ملكا

متداولة وليس فيها شيء مما قاله كعب عن صفات عمر .

والتوراة كتاب أنزل لبيين للناس أحكام الدين وأصول الشريعة لا ليتحدث عن وفاة رجل لم يكن خرج إلى الحياة بعد .

ويقول الحضري رحمه الله : (لو كنت ممن يحقق في هذه القضية ما ترددت لحظة في أن لكعب يدأ في مقتل عمر ، أو أنه كان عالماً بما تم عليه الاتفاق بين المتأمرين) ، وقد استطاع كعب أن يفيض علينا ثروة واسعة من الأخبار الإسرائيلية التي هي في حقيقتها محض كذب وافتراء والمجب أن كثيراً من علماء المسلمين قبلوا هذه المفتريات بتبول حسن دون معرفة الحقيقة ودراية بمصادرها .

أما عبد بن سبأ فهو ابن أمة سوداء ولذلك لقب بابن السوداء ، وهو من يهود اليمن كذلك ، أسلم في أيام عثمان بن عفان ، ثم استغل الفتنة وصار يقنقل في الأمصار يحرض على الخليفة ، ويغري به ، ويذيع عنه قالة السوء ، ذهب إلى البصرة فأخرجه منها هبده الله بن عامر حينما علم بمحققة أمره ثم ذهب إلى الشام فأخرجه معاوية فاتجه إلى مصر ، وفيها وجد من يساعده على بدهه ومكائده ، فكان يتحدث إلى الناس بأن النبي محمداً أحق بالرجعة من عيسى ويذكر قوله تعالى : « إن الذي فرض عليك القرآن

أسلم ليجد لحقه منفساً ولسمومه مجالاً . والمحققون من الباحثين يؤكدون اشتراك كعب الأخبار في مقتل عمر ، أو على الأقل كان يعلم بالمؤامرة التي دبرت لاغتيال خليفة رسول الله ، ويستدلون على ذلك بالحديث الذي دار بينه وبين عمر بن الخطاب قبل وفاته حينما هدده أبو أوأوة ، وقال له : أنت سلمت لأعمر لك رحي يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه ، فقال عمر : لقد توهديني العبد آتفاً .

فلما كان من الغد جاءه كعب الأخبار فقال : يا أمير المؤمنين . أهدد ؛ فإنك ميت في ثلاثة أيام ، فقال : وما يدريك ؟ قال : أجدد في كتاب الله التوراة ، فقال عمر : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ، فقال : اللهم لا ، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فني أجلك وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً .

فلما كان من الغد جاءه كعب الأخبار وقال له : يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقى يومان ، ثم جاءه من غد الغد وقال : ذهب يومان وبقى يوم وليلة ، وهي لك إلى صبيحتها . فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة فطعن .

فهل يشك أحد بعد ذلك في أن لهذا الرجل علماً تاماً بالمؤامرة ، ومعرفة أكيدة بالوقت المحدد لاغتيال عمر ، إن التوراة مقروءة

بمساعدة الاستعمار الاعتماد على شعب مسلم واحد هو شعب فلسطين . وأخرجوه من بلده ظلما وعدوانا ، وارتكبوا في سبيل ذلك من المخازى والفضائح ما يندى له الجبين ولم تقف أطاعهم عند هذا الحد بل امتدت أبصارهم إلى توسيع الرقعة وتشجيع الهجرة والتسكن في الأرض والإضرار بالعرب ففسكروا في تحويل مجرى نهر الأردن علما بأنه ليس لليهود أى حق سياسى أو قانونى في تحويل هذا النهر . فإن القانون الدولى ينص على أنه لا يحق لاية دولة من الدول المشتركة في مجرى نهر واحد أن تحول مجرى هذا النهر بحيث يتسبب عن هذا التحويل إضرار بالدول الأخرى المشتركة فيه (١) .

ولكن متى اعترفت إسرائيل بالقانون ؟ ومتى أقرت المعاهدات واستجابت للنداء ؟ ولذلك جاءت قرارات العرب في مؤتمر القصة الاول والثانى ضربة قاضية واطمة قاسية أطاحت بأمل إسرائيل وأفسدت خططها وأحبطت مؤامرات اليهود ؛ بل وقربت من نهايتهم وعلى نفسها تجنى براثن ؟

محمود محمد شبكه

لرأدك إلى معاد ، ، وكان يقول : إن لكل نبي وصيا وعلى وصى محمد ، وعلى خاتم الأرضياء ، كما أن محمداً خاتم الأنبياء ومن أظلم ممن لم يحز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه ، ومنعه حقه ، وتنازل أمر هذه الأمة بغير الحق .

ثم قال : إن عثمان اغتصب الأمر بغير الحق من صاحبه (على) فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدوا ؛ لطمس على أمراءكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تسميلوا الناس . ثم أخذ ينتقص من أقدار الأمة ويذم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ولما بلغ ذلك هليا قال : مالى وما لهذا الخبيث الأسود الذى يكذب على الله ورسوله ، ثم يقوم إلى على وهو يخطب فيقول له : (أنت أنت) فيقول له على : ويلك من أنا . فيقول : أنت الله . ومن هنا بدأ فكرة تأليه على ، وقد أمر أمير المؤمنين بقتله بعد أن سمع منه هذا الكلام . ولكنه اكتفى بنفيه إلى المدائن .

هؤلاء هم اليهود في مؤامراتهم ودسائسهم وحقدهم على الإسلام وأمله ، وعلى الرسول وصحابه . وما زالوا حتى يومنا هذا وحتى يرث الله الأرض ومن عليها يواصلون مؤامراتهم ومكائدهم . فقد استطاعوا

(١) نهر الأردن والمؤامرة الصهيونية ص ٢٠٧ .

تمبكتو

أقدم مراكز الإسلام في غرب إفريقيا

للأستاذ محمد جمال عباس

مقدمة :

على أحد المدرجات الجنوبية للصحراء الكبرى ، وعلى ارتفاع يبلغ نحو ٢٦٠ متراً فوق سطح البحر تقع مدينة « تمبكتو » ، على بعد بضعة كيلو مترات من رأس المنحنى الشمالى لنهر النيجر (نيل السودان كما سماه الجغرافيون العرب) تحيط بها رمال الصحراء الكبرى من الشمال ، ويصلها ذراع من النهر يحف بجنوبها . يجرى بالمياه الدافقة في فصل الفيضان وتستمر به المياه سائر فصول السنة ولذلك أصبحت تمبكتو توصف بأنها ميناء الصحراء ، وذلك لأنهم املتقوا الإبل بالقوارب .

كانت هذه المدينة هي أول مركز ازدهر بالثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا ، بدأت بالإسلام ، وازدهرت بثقافته ، وأصبحت مركزاً للنشر ، ومحط أنظار الراغبين في علومه ثم أسابها الاضمحلال ، ولكنها أخفت بين جدرانها نورا أشعته في فترات مختلفة ، ثم أخذ الازدهار يعود إليها في ظل جمهورية مالي ، المستقلة .

وسوف نتناول في هذا المقال دراسة لنشأة المدينة وتاريخها وتطورها ونشير إلى أبحاثها الإسلامية .

أسطورة حول تسمية المدينة :

اتخذ قوم من الطوارق موقع التقاء الرمال بماء نيل السودان مضرباً لحياهم في فصل الجفاف التام حيث كانوا يجدون السقاية لإبلهم وأغنامهم ، واعتادوا ذلك كل عام ، وظلوا هكذا عشرات السنين ، وحدثنى بهذا الحديث بعض شيوخ المدينة ، وقد اتفق أكثرهم على أن زهما من زهما عشيرة الطوارق « المقشرون » (١) . رأى يوما على شط النهر حسناء من قبائل « الصنغاي » شديدة السمرة جميلة الجسد ، كانت تمتاز بين بنات قبيلتها بأن موضع الحبل السرى مقطوع قطعاً سليماً لم يخلف بروزاً بل كان غائراً مثل « البكت » (٢) ، فأعجب الزعيم الطارقي بجمالها وأحبها ، وقرر الإقامة

(١) تحريف لكلمة المقشرون أى البيض لأن الطوارق كانوا شديدي بياض البشرة .

(٢) بكت في لغة الصنغاي معناها للصحن الصغير

الشجيرات ثم تطورت إلى بيوت مبنية من قوالب اللبن في أوائل القرن الثاني عشر (١). وجاء انتقال المدينة من مرحلة النشأة الأولى إلى مرحلة النمو في عهد المرابطين الذين أشاعوا في الصحراء وأطرافها بعض الاستقرار ثم ازدادت أهميتها كركن تجاري خلال القرن الثالث عشر بازيد حركة النقل على طرق القوافل التي كانت تصلها بالشمال وأهمها طريق مراكش الذي كان يعبر الصحراء شمالا مارا بأروان، وتاودني، وتغازا، ثم يعبر جبال الأطلس إلى مراكش. وطريق الشرق الذي كان يتجه من تمبكتو إلى أجادس، ثم شمالا إلى واحة مرزوق في الصحراء الليبية حيث كان يصل إلى مصر شرقا أو إلى طرابلس شمالا. وكان فرع منه يتجه إلى دكانو، ومنها إلى بداية طريق الأربعين في الغاشي ثم إلى مصر أيضا (٢). وعلى هذه الطرق كان ينقل إلى تمبكتو الملح والأقشة من الشمال ومن الصحراء، ويصدر منها الذهب الذي اشتهرت به بلاد السودان وتعتبر تجارة الملح من العوامل الهامة التي ساعدت على ازدهار مدينة تمبكتو في خلال القرنين : الثاني عشر والثالث عشر؛ وذلك لأن منطقة النيجر كلها كانت تعتمد على الملح الوارد من تغازا التي تبعد نحو ٦٠٠ ميلا شمال غربي تمبكتو.

الدائمة هناك من أجلها، وأقام له بالموقع أول بناء ثابت من اللبن ليقلطه بجوارديار عشيقته. وقد قال البعض : إن هذا الأمير الطارق قد استرق هذه الفتاة، وقال آخرون : إنه قد تزوجها بعد أن دخل أهلها الإسلام، وقالت جماعة أخرى : إنه حاول خطفها فقتلت في المعركة، ولكن الذي أجمعوا عليه هو أن صفة هذه الفتاة (ذات الصحن) أو بلغة الصنهاي (سن بكت) قد أطلقت على المدينة تذكارا لهذه الحسنة التي من أجلها بنى أول بيت في المدينة ونما العمران من حوله. وهذا هو الاسم الذي هرفت به المدينة لدى الكتاب العرب الأوائل.

نشأة المدينة ونموها :

يتفق حديث تسمية المدينة ذلك مع ما ذكره عبد الرحمن السعدي في تاريخه من أن الموقع كان منزلا لبعض رعاة الصحراء يلجئون إليه لرعي أغنامهم في فصل الجفاف ويرحلون عنه في الخريف (فصل المطر) ولما أصبح الموقع معروفًا نشأت به سوق صغيرة. كان الطوارق يقايضون فيها أغنامهم بالحبوب التي يحملها الصنهاي في قواربهم الصغيرة، ثم عرف الموقع على مدى أبعد وكبرت المدينة ونمت وأضحى سوقا هامة يفد عليها التجار بعاريق الممر ليلتموا بقوافل الصحراء الآتية من السنغال.

وقد تمحورت الحياض التي كان يضربها الطوارق في الموقع إلى أكواخ من الحشائش وفروع

(١) فيج ص ١١٦.

(٢) فبترجيرالد (والتر) ص ٤١٥.

إلى تمبكتو تدريجياً ، ذلك أن بعض العلماء والدعاة أقاموا فيها منذ نشأتها ، غير أن مركزها ككعبة للعلوم الإسلامية لم تكتسبه إلا منذ القرن الرابع عشر ، ولقد مرت حركة انتقال مركز الثقافة العربية والإسلامية إلى تمبكتو بالمراحل التالية :

١ - نزل أبناء قبيلة جدالة الذين كانوا يعتبرون فقهاء الصحراء في منطقة « ادرار موريتانيا ، حيث اتخذوا كومبي أو قنبي مركزاً لهم ، وظلوا في كومبي سنين طويلة يستقبلون الراغبين في دراسة الفقه وعلوم الدين ليتخرجوا على أيديهم مبشرين بالإسلام ومعلمين لقواعده الصحيحة في البلاد الأخرى وقد نزل بعض هؤلاء التلاميذ مع الطوارق المفسرين إلى تمبكتو منذ فجر نشأتها ، وكانوا من عشيرة تسمى « الوك » توارثت علوم الدين والعربية حتى يومنا هذا في تمبكتو وجاد وغيرها من مدن شمال مالي

٢ - في خلال القرن الثالث عشر استولت قبيلة « السوسو » على « كومبي » فسادت بها الاضطرابات التي أدت إلى هجرة علماء وفقهاء جداله منها إلى المدن المجاورة ومنها « والاته » وتمبكتو ، ولكن نصيب والاته من العلماء فاق بكثير نصيب تمبكتو فظلت والاته تحتل مركز الصدارة والتفوق نحو نصف قرن من الزمان (١) .

وكادت أهمية تمبكتو تضيق كركز تجارى حينما استولى ملوك سراكش على منطقة « مناجم الملح » في تغازا لولا أن اكتشفت « مناجم جديدة » للبحر في « تاودنى » الأقرب إلى تمبكتو مما سهل نقله إليها وعوضتها بذلك تاودنى خيراً من مناجم تغازا .

ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار تمبكتو كركز تجارى هو ضم منطقتها إلى مملكة مالي ثم إلى إمبراطورية السنغاي حيث كانت غالبية صادرات هاتين المملكتين من الذهب والعاج والأخشاب الثمينة والجلود هي السلع المطلوبة في المغرب ، وكانت تمبكتو تصدر هذه السلع مقابل الملح والأقمشة المطرزة والجلود المصنعة والأواني الفضية وغيرها من السلع الثمينة التي كانت تستخدم في بلاط الملوك ، وكذلك الحيول التي كانت من مظاهر الأبهة والعظمة في هاتين المملكتين .

اكتساب المركز الدينى والعلمى

ولقد ارتبط ازدهار المدينة كركز تجارى باكتسابها مركزاً أدبياً وعلمياً هاماً ، إذ سرعان ما اقتنى العلماء أمر التجار فأخذوا بشخصون إليها من المغرب الأقصى والأندلس ؛ بل ومن مصر ، وغدامس ، وطوات ، وتافيلت وغيرها (١) .

وجاء انتقال مركز نشاط الثقافة الإسلامية

(١) يوفيل ص ٨٩ - ٩٠

(١) السعدى ص ٢٢ .

وعلاء جداله يجلسون فيه للدرس ، وقد كثر تلاميذهم الوافدين من كل فج : من درعه ، وسوس ، وبجلباصه ، بل ومن فاس في المغرب الأقصى وطوات وغدامس ووزان .

وفي أوائل القرن الخامس عشر استطاع الطوارق بقيادة زعيمهم « عقيل مالوال » أن يستولوا بتمبكتو ، وعينوا عليها رجلاً من صنهاجه يدعى عمر ، كان محباً للعلم والدين ، فأرسل سرّاً إلى سوني هلي أول ملوك الصنغاي يدعوهُ إلى غزو تمبكتو لإعادة الاستقرار إليها ، فدخلها سوني على سنة ١٤٦٨ ، غير أن عقيل مالوال هرب بعد أن صحب معه عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء الذين عادوا واحداً تلو الآخر إلى تمبكتو فيها بعد لأن المقام لم يعطب لهم وسط طوارق الصحراء (١) .

ولقد عاشت تمبكتو في ظل ملوك الصنغاي فترة ازدهار علمي وديني لما كان يحمرزه علماء الدين فيها من مركز لدى الملوك ، وبني فيما « أسكيا داوود » ، مسجداً كبيراً جديداً أتى له بالأخشاب من غابات الجنوب ، وأقام فيه صوامع للفقهاء للعبادة والدرس ، وأصبح هذا المسجد جامعة إسلامية مرموقة معروفة بعلمائها وفقهائها الذين كانوا يتلقون الرسائل من مصر والمغرب والحجاز الإفناء في أمور الدين وكثير من المسائل الفقهية المشككة .

٣ - تعرضت والاته في أواخر القرن الثالث عشر إلى غزوات متعددة من طوارق الصحراء مما أشاع فيها الاضطراب فهجرها « الكونت » ، علماء جداله إلى تمبكتو حيث كان الحكم فيها قد استتب للملك مالى فى عهد « منسى موسى » (١٣٠٧ - ١٣٣٢) وهنا دخلت تمبكتو مرحلة الازدهار بالثقافة العربية والإسلامية ، وظلت كذلك حتى القرن السادس عشر حينما وصلها الغزو المغربي من الشمال .
العصر الذهبي لتبكتو

بلغت تمبكتو ذروة مجدها في عهد منسى موسى أشهر ملوك مالى بفضل عنايته الشخصية بالمدينة وتشجيعه للعلماء على الإقامة فيها ، وبعد عودته من الحج أحضر معه أيضاً هداً من علماء المدينة المنورة وكميات كبيرة من الكتب من مصر .

ويذكر عبد الرحمن السعدى أن فقها اسمه عبد الرحمن التميمي جاء عن الحجاز بصحبة منسى موسى صاحب مالى ، فأقام بقببكت زمناً ، ولما رأى رجالها يتفوقون عليه في معظم العلوم غادرها إلى فاس حيث درس مزيداً من علوم الشرع وعاد ثانية لإقامة مجلس علم بتبكتو (١) . وكان أهم حدث في تاريخ تمبكتو الثقافي أن السلطان منسى موسى استدعى أبا إسحق الساحلي الفرناطى الأصل من المغرب لبناء قصر الملك ومسجد كبير في تمبكتو ، ومنذ بناء هذا المسجد

علماء تمبكتو مراسلات عديدة ، وعرف جلال الدين السيوطي هندم حيث كان يطلق عليه اسم بابا سانتاو ويوصف بأنه العالم المصرى ، وبما يؤكد هذه الصلة أن أحمد بابا التمبكتي العالم الفقيه السودانى كان من بين رسائله رسالة في الرد على المسألة المصرية تتضمن فتوى في بعض أسئلة وصلته حول القرائن (أى الميراث) .

الغزو المراكشى وعهد الاضطراب

وئى أواسط القرن السادس عشر ظهرت لدى ملوك المغرب الأقصى أطماع توسعية فنيا وراء الصحراء للسيطرة على تجارة الذهب والملح ، وعلى مراكز التجارة في بلاد السودان ، وأدت هذه الأطماع إلى أن أرسل السلطان المتصور محمد ملك مراكش حملة بقيادة قائد الاسباني الأصل : جوردو باشا بدأت سنة ١٥٨٥ بغزو تغازا مركز استخراج وتجارة الملح وطردت منها قوات الأسكيا استحق الثاني نهائيا ، واستمر الغزو المراكشى بقيادة جوردو باشا بجيوش مرتزقة من الأندلسيين المسلحين بأسلحة نارية ، وانتهت الغزوات بهزيمة الصنغاي فى تاودنى وتعبقهم جيوش جوردو باشا إلى النيجر حيث حاربوا على مشارق تمبكتو وجاء ، وجنى وأنشأوا فيها القوضى والفساد .

وقد خلف جوردو باشا فى قيادة الجيوش المغربية قائد يسمى : احمد بن زرقون الذى

واشتهر فى عهد ملوك الصنغاي من علماء سنكورى والحاج جبر القاضى ، ابن عبد الرحمن ابن أبى بكر ، ود عمر السالك تندبع ، الذى تولى القضاء فى عهد أسكيا محمد وأحمد بابا التمبكتي الذى ترك مئات الرسائل والكتب . وبما ذكره أحمد كاتى فى كتابه تاريخ الفتاش أنه : فى ذلك العهد كانت المدينة مليئة بطلاب العلم من أبناء السودان الذين تملأ نفوسهم الرغبة فى التحصيل وتفهم الحقائق ، وذكر أحمد كاتى فى موضع آخر من كتابه أن : أحد المعلمين مثل على زكريا (ناكارى) كان يجنى كل خميس قرابة ١٧٢٥ مثقالا من تلاميزه البالغ عددهم ١٢٥ حيث كان كل منهم يقدم ما بين خمس وعشر ، وكان هؤلاء التلاميذ يجمعون الحطب الذى يجمعون فيه النار لتضى لهم أثناء دروس الليل (١) .

واهتم كل من أسكيا داوود وأسكيا محمد بكتب العلم والفقه والدين فكان أسكيا داوود يحتفظ فى بلاطه بألاف الكتب المخطوطة ، وكان ينفق الكثير على الخطاطين الذين يفسخون من هذه الكتب نسخا ليوزعها على علماء تمبكتو (٢) .

وقد قامت بين علماء الأزهر فى مصر وبين

(١) محمد كاتى : كتاب تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس توجه هوواس وديلانوس باريس سنة ١٩٩٣ ص ٧٨ ، ٣١٦٤ .

(٢) محمد كاتى ص ١٢٧ .

العلم والتبشير بالإسلام بين من لم يعتنقه من أبناء القبائل .

وخلف البامبارا في حكم تمبكتو ملوك الفولاني وأهمهم : سيكو أحمدو (١٨١٠ - ١٨٤٤) الذي استطاع أن يستولى على تمبكتو ، وشجع علماءها ، واعتمد عليهم في بعض الفتاوى ، وخاصة الشيخ أحمد البكاوي الذي كان يمينه وبين سيكو أحمد رسائل كثيرة وخلافات نفعية عديدة (١)

وفي سنة ١٨٣٣ استطاع الحاج عمر القوتي أن يكون أعباء طورية أخذ يوسع أراضيها حتى شملت تمبكتو التي استولى عليها سنة ١٨٦٢ وشجع على إحياء علوم الدين فيها بل واستعان ببعض رجالها مثل : الحاج البكاوي النقي في نشر الإسلام على الطريقة القادرية بين بعض القبائل الوثنية مثل الدروجون والتوكولور (٢) . ثم أتاها الاستعمار :

في ذلك الوقت من القرن التاسع عشر كان الفرنسيون يتقدمون من الجنوب ومن الغرب إلى بلاد السودان ، وقد اتخذ الحاج عمر من تمبكتو قاعدة خلفية لهجومه المضاد على الفرنسيين الذين كانوا قد استولوا على مدينة كاي ، غير أن مقاومته هو وأبنائه قد حارت أمام القوات الفرنسية خاصة وأنه

استطاع أن يخضع تمبكتو وينفذ أمر السلطان المنصور محمد بأن يأتيه بطلانها أسارى مكبلين ، وكان أن نقل علماء تمبكتو وعلى رأسهم أحمد بابا إلى البلاط المراكشي حيث أرغمهم السلطان على التفرع لكتابة ما يطلبون ويحفظون من علوم ، وعاشوا هكذا في قاس متفرغين لإحياء العلوم فيها . ونقل المغاربة أيضا ما كان في تمبكتو من كتب ورسائل مما وقعت في أيديهم .

وبذلك فقدت تمبكتو مركزها العلمي وعاشت قرنا كاملا من الفوضى والاضطراب في عهد باشوات مراكش ولكنها احتفظت بين جدرانها ببعض العلماء الذين كانوا يتابعون الدراسة والدرس سرا .

ومضات النور

وتتابع في بلاد السودان الغربي ظهور ممالك إسلامية نهض بها زعماء القبائل الكبيرة مثل : البامبارا ، الذين كونوا مملكة السيجو بزعامة كالاديان كوليبالي (١٦٥٠ - ١٦٨٢) الذي حاول ضم تمبكتو ولكنه لم يستطع فاكتمى بغرض الجزية على باشواتها ، ثم استطاع أن يجولو ديارا ، أحد أحفاده بعد نحو قرن من الزمان أن يستولى عليها سنة ١٧٧٠ (١) . وقد شجع ديارا وورثته العلماء على الظهور من مخابئهم للإفتاء في أمور الدين ، ونشر

(١) فينسننت مونتني س ٩٠

(٢) روبرت كورنيغان ص ٢٦١

(١) روبرت كورنيغان ص ٢٦١

من التعليم الديني في مجالس المساجد وخلوات الفقهاء وبيوت العلماء (١) على أن مجالس العلم الخاصة والعرفين كانت تجذب كل أبناء القرية فظلت المدرسة على نخامة بنائها وخصامته لا تضم إلا عددا صغيراً من التلاميذ من أبناء الموظفين الذين يعملون في المدينة . وأيضاً حاول الفرنسيون عزل تمبكتو عن العالم الإسلامي ، ولكن لم يستطيعوا ، فقد ظل علماء تمبكتو على اتصال دائم بعلماء الجزائر ، بل واصلوا بمصر أيضاً في عهد جمال الأفغانى ومحمد عبده وخلفهم السيد وشيد رضا ، وكانوا على صلة أيضاً بجمعية الشبان المسلمين ، وكان بعض أبناء المدينة يأتون إلى مصر للدراسة سيرا على الأقدام آلاف الكيلو مترات ويعودون حاملين كتب السلفية والكتب الحديثة التي طورت علوم الدين هناك .

اليوم والغد :

بهذا الاستعراض لتاريخ تمبكتو نرى أنها نشأت بالإسلام وازدهرت به وحافظت عليه ، وهي اليوم أهم مركز للثقافة العربية في جمهورية مالي . اتخذتها الحكومة بعد الاستقلال مركزاً للنشر والثقافة العربية فدعمت المدرسة العربية بها وجعلت اللغة

لم يكن قد استطاع تحقيق الاستقرار الكامل في أرض مملكته ، وظل الفرنسيون يتقدمون في أراضي السودان الغربي (مالي) فاستولوا على باماكو سنة ١٨٨٣ ثم استولوا على سيجو عاصمة مملكة الحاج عمر سنة ١٨٩١ وهاجموا تمبكتو آخر قواعد الحاج عمر الخليفة سنة ١٨٩٤ ، ولكن المعركة أمامها بين الفرنسيين وبين أحمدو بن الحاج عمر الذي كان أبوه قد عينه على هذه المدينة استمرت سنة كاملة دخل الفرنسيون بعدها المدينة بعد تخريبها وفرار الكثير من أهلها إلى الصحراء .

ورغم المحاولات العديدة التي قام بها الفرنسيون لفضاء على الشخصية الإسلامية للمدينة إلا أن تمبكتو ظلت محتفظة بطابعها الإسلامي ، ونجح العلماء والمشايخ في أن يحافظوا على العلم والدين بالمهادنة أحياناً وبالتلويح بالثورة والتهديد أحياناً أخرى وقد اضطر الفرنسيون أمام فشلهم في سياستهم الصريحة أن يتبعوا طرق الخداع فأنشأوا فيها مدرسة عربية سنة ١٩١٦ وأدخلوا فيها الفرنسية تدريجياً حتى طغت على العربية وأصبحت العربية فيها لغة أجنبية ، وكان قصدهم من ذلك هو جذب بعض أبناء القبائل من الحسانية والحرائين والصنغاي إلى التعليم الحديث وإبعادهم

(١) فرجينيا تومسون وريتشارد أدولف ص ٤٢٩

(البقية على الصفحة التالية)

أن نبسط رأيه نقول : إن الكتاب يقع في ثمانية فصول الأول : عن العرب قبل الإسلام والثاني : محمد والإسلام والثالث : الخلفاء الراشدون والفتوحات الإسلامية ، والرابع : الامبراطورية العربية ، والخامس : الامبراطورية الإسلامية ، والسادس في العرب والمغرب ، والسابع : في العرب والترك ، والثامن : في تأخر العرب والمهضة الحديثة ، ويتضح من تسلسل هذه الفصول على النحو المذكور أن العروبة فكرة ينظر إليها في هذا الكتاب في ضوء الأحداث التاريخية التي مرت عبر الزمان منذ الجاهلية إلى ظهور الإسلام وانتشاره وتكوين الامبراطورية العربية الكبرى في العصر الأموي ، ثم في صدر الدولة العباسية وبعد ذلك أخذ الإسلام يستقر وينتشر بعيداً بعض الشيء عن العروبة حتى أصبح السلطان الأخير للترك ، وأخيراً عادت القومية العربية إلى الظهور ، مما نعيش فيه بالفعل .

٢ - وليس ثمة نزاع في أن أي باحث يتعرض للعروبة من زوايتها التاريخية لا بد له أن ينظر في حال العرب في الجاهلية ، أي قبل الإسلام ، من جهة موطنهم الجغرافي والبيئة الصحراوية التي كانوا يعيشون فيها وظروفهم السياسية التي أوجبت عليهم الاتصال بالفرس من جهة والروم من جهة أخرى

حتى اليوم ، وهي قضية الصلة بين العروبة والإسلام ، أمماشيء واحد أم شيئين مختلفان ، وإن كما يختلفين فاحقيقة الخلاف بينهما ؟ وما هي المواضع التي تلتقي فيها العروبة والإسلام .

وقد برزت هذه القضية في الأيام الأخيرة منذ ظهور نعمة القومية العربية ، تلك الموجة التي امتدت حتى شملت الناطقين بالضاد من الخليج إلى المحيط ، وبعبارة أخرى : الدول التي أضمها جامعة الدول العربية .

ونحن نعلم أن كثيراً من المفكرين وذوى الرأي وأصحاب القلم كتبوا في القومية العربية وانقسموا فريقين : أحدهما يقرر أن العروبة التي تنادى بها في الوقت الحاضر لا صلة لها بالدين ، إسلامياً كان أم مسيحياً ، والآخر يذهب إلى أن أهل هذه المنطقة لظروف تاريخية أصبح الإسلام جزءاً لا يتجزأ من كياناتهم ، ولذلك امتزجت العروبة والإسلام في حضرتهم ، فاتخذوا من العربية لساناً ومن الإسلام ديناً .

وكاتب هذه السطور من هذا الفريق الثاني وله في هذا الموضوع كتاب بعنوان «القومية العربية» ، صدر منذ بضعة سنوات .

وقد أعجبني الأستاذ : فرانكسكو جبريل لأنه يلتقي معي في هذا الرأي ، ويدافع عن هذه الوجهة من النظر بأدلة رائعة ، وقبل

ومعنى ذلك أن الروح العربية سرت في شرايين الدين الجديد دون أن تفقد شخصيتها في هذا الدين والسكن الإسلام هو الذى علت كلمته وارتفع صوته من فوق منبر التاريخ .

٣ - ولا يفصل الحديث عن الإسلام في نشأته وظهوره عن التعرض لسيرة النبي عليه السلام ، ومن أجل ذلك عقد المؤلف فصلاً خاصاً عن محمد والإسلام ، ، بدأه بقوله : « إن الإسلام ظاهرة مع أنه يتجاوز تاريخ العرب إلا أنه يستمد جذوره منهم ، وقد وجد فيهم وقت ظهوره القوة المحركة لانقشاره ذلك الانتشار الذى لم يتمكن أحد من صده . وظل الإسلام والعروبة قرنين من الزمان - من السابع الميلادى إلى التاسع الميلادى - صغرين ، وامتدت العقيدة الإسلامية في قلب آسيا وعلى ضفاف حوض البحر الأبيض بسرعة سريعة ، حتى إذا اتضح أن ملكة الفتح وسلطان شعب واحد لا يملكان مع انتشار الدين ، توقف هذا التلاق بين الإسلام والعروبة ، ولو ظلت العروبة على الدوام إسلامية في شمولها ، لسار الإسلام بهن الشعوب بطرق أخرى ، واحتفظ بطابع من ذلك الجو العربى لا يمحى . »

وليس لنا اعتراض على ما قرره المؤلف ، اللهم إلا في تقدير الزمن الذى بدأ الإسلام ينفصل فيه عن العروبة ، والرأى ههنا

وهما أعظم دولتين متصارعتين في ذلك الزمان ، وحياتهم الروحية وعبادتهم من وثنية منتشرة بين معظم قبائلهم ، يعمدون الأصنام ، إلى جانب فرق من النصارى واليهود ، وحياتهم الاقتصادية واشتغالهم بالتجارة بين اليمن والشام ومصر ووقوعهم على خط الطرق التجارية الوافدة من أقصى الشرق هذا إلى نمو لغتهم وشعرهم واحتفاظ هذه اللغة بالقيم الروحية والمثل العليا التى يمجدها العرب

وكل ذلك حسن ، إلا أنه كما يقول الأستاذ جبريلى (صفحة ٣٣) : « إن أى حبر رومانسى لماضى العرب لا يمكن أن ينكر هذه الحقيقة ، وهى أنه : لولا رسالة محمد ودعوته إلى الإسلام ، فإنهم كانوا في أكبر الظن سيقبضون خلال عصور طويلة وسط صحرائهم تشظهم الحروب القبلية وتغنى أبناءهم ، ويقتلعون إلى بزنطة وفارس وكأنهما منارات بعيدة للحضارة لا يستطيعون بلوغها ، فلما جاء الإسلام إذا بهم يقرعون أبواب هاتين الدولتين قرعاً عنيفاً بصوت الآسر النافذ الكلمة والسلطان . وهذا لا ينفى أن عرب الجاهلية كانت لهم خصال أصيلة من عشق الحرية ، وحفظ الجوار وإكرام الضيف إلى ما عرف عنهم من نخوة وروية ، مما قبله الإسلام ودعا إليه وأجلاه

باطل، والدليل على ذلك : أن المسلمين في صدر الإسلام لم يقبلوا الإسلام بغير العويصة ، فكانت النتيجة أن هذه اللغة أصبحت لغة طائفة ، يوددها المسلمون من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ، وكانت اللغة العربية إلى ذلك لغة الحضارة ، ألقت بها العلوم المختلفة من طب ومهندسة وفلك وغير ذلك . .

ولكن الغمرة الشعبية ، من الفرس تارة ، ومن الترك تارة أخرى ، ظلت تهاجم العربية هجوماً لا هوادة فيه طوال قرون وقرون ، حتى أفلح الفرس في نحو اللغة العربية من أرض إيران بحيث لا يتسكلمها اليوم إلا رجال الدين فقط ، أما بقية الشعب فيجهلونها جهلاً تاماً ، ونحن نخشى أنه على مر الزمن سيتحتل الشعب كذلك من إسلاميته ، لأن الذي كان يربط المسلم بدينه هو القرآن العربي ، ولم يعد القرآن بعد فقدانهم اللغة العربية هو القرآن الذي يؤثر في النفوس ، لأن قراءته مترجماً لا يتحدث نفس الآخر .

٤ - هذه هي الدعوى الأساسية التي يبسطها المؤلف في كتابه ، نعتي المد العربي الإسلامي ، ثم الجزر العربي على الرغم من انتشار الإسلام ، إلى أن ينتهي إلى النهضة العربية الحديثة .

أن حركة المد العربي ظلت متوافقة مع حركة المد الإسلامي حتى القرن السادس الهجري على الأقل ، ثم بدأت موجة أخرى من التراجع العربي ، مع استمرار المد الإسلامي ، ويكفي أن نقرأ لأبي الريحان البيروني - وهو فارسي - في القرن الخامس الهجري يقول ما خواه : إن الهجو بالعربية أحب إليه من المدح بالفارسية . نعلم أن العربية كانت لا تزال سيطرة على العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري ، ولعل هذا يجرنا إلى تحديد معنى العربية ، فنقول : إنها لغة أولاً وقبل كل شيء ، فكل من يصطنع اللغة العربية لساناً فهو عربي ، مسلماً كان أم غير مسلم ، ولكن الظروف التاريخية جعلت معظم سكان المنطقة العربية من المسلمين فالتق الإسلام بالعربية على أرض الإمبراطورية الإسلامية ، ويمكن أن يضاف إلى اللغة العربية المميزة للعربية : الحضارة والآمال والآلام المشتركة ، بل والدين باعتبار أن لغة الإسلام وكتاب المسلمين هو القرآن الذي أنزل بلسان عربي مبين ، والذي أنزل قرآننا عربياً ، ولذلك ذهب أغلب المسلمين ، - وهو الرأي الراجح الذي نأخذه - إلى أنه لا يجوز ترجمة القرآن ، وإن جازت ترجمة معانيه ، وأنه لا تجوز الصلاة إلا بقراءة القرآن بالعربية ، وإن أفتت قلة قليلة من الفقهاء بجواز قراءة الفاتحة مترجمة ، وعندنا أن هذا

وبذلك انتهى عهد الخلفاء الراشدين ، وأصبح الملك مع معاوية ملكاً عضواً ، وتأسست الامبراطورية العربية وكانت عاصمتها دمشق .

ويذكر المؤلف أن تاريخ الأمويين فاض وأنه زيف على يد العباسيين الذين كان الفرس من ورأئهم ، وأن التاريخ الأموي يجب أن يكتب من جديد في ضوء العروبة ، حقا العباسيون عرب ، وخلفاؤهم يمتنون بصلة إلى العباسي عم النبي عليه السلام ، إلا أن النفوذ الفارس بوجه خاص كان يهركهم ، إذ قامت الدهوة بخراسان ، وجند الفرس هم الذين انتصروا على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وكان الوزراء حتى خلافة الرشيد من البرامكة ، وهم أسرة من نبلاء الفرس ، مكثوا لأنفسهم في الأرض ، وأصبحت لهم دولة داخل الدولة ، حتى خشي الرشيد على سلطانه منهم ، ففتك بهم وقضى عليهم . ولا كن الخلفاء بعد أن اتخذوا جندا من الأتراك ، ومن الفرس ، أصبحوا هم أنفسهم العروبة في يد القواد العسكريين ، ومنذ القرن الرابع الهجري بدأ نفوذ الترك يستشري ويتغلب على النفوذ العربي . وانقسمت الامبراطورية إلى دويلات وتفككت الامبراطورية ، على الرغم من ازدهار الحضارة الإسلامية .

هذا العرض الشامل التاريخي لابد أن يتعرض للسياسة ، من جهة أن تفسير الحوادث التاريخية لابد أن يتضمن تفسيراً سياسياً ، من قيام دول ، وسقوط أخرى ، ونشوب حروب وما إلى ذلك ، ولما كان الكتاب صغير الحجم لم يكن من الميسور أن يتبسط في التأويلات السياسية ، فضلا عن السياسة ليست مقصودة عنده لذاتها ، وإنما عرض المؤلف أن يستعرض الحركة العربية ، منذ الجاهلية إلى الإسلام إلى العصر الحاضر ، في شتى مظاهرها الحضارية وبخاصة من جهة مظهرها الديني ، باعتبار أن الإسلام هو الذي صبغ العروبة وطبعها بطابع لا يمحي .

من أجل ذلك يجد القارئ عرضاً سريعاً جدا لحياة الرسول ، ودهوته ، وهجرته ، وغزواته ، وفتح مكة ، ثم النزاع على الخلافة بين الأنصار والمهاجرين ، وتولى أبي بكر الصديق ، ثم هرب بن الخطاب من بعده ، ومع الشيخين استقرت دعائم الإسلام ، وتمت الفتوحات الكبرى ، وانتصار العرب على الفرس والروم ، فلما تولى هيثم حدثت الفتنة الكبرى ، وقتل الخليفة الثالث ، وتولى على بن أبي طالب فوجد أمامه مشاكل سياسية كعرب طلحة والزبير وعائشة ، ثم حرب معاوية وما انتهت إليه هذه الحرب من مقتل على بيد الخوارج ،

العالمية الأولى ، وانزاع الأتراك . وانفصال ولاياتها عنها ، وظهور النزعات الاستقلالية في البلاد العربية ، ويستمر المؤلف في عرضه حتى السبعينات من هذا القرن ، فيذكر ثورة عبد الناصر وتطورها حتى سنة ١٩٦١ .

٦ - وأحسب - وفد لخص للمكتتاب بما أرجو أن يكون تلخيصاً أميناً - أنه قد حان الوقت لتوجيه بعض الانتقادات للمؤلف ، واقفين عند أمور ثلاثة :

الأولى : أن العرض السياسي كان طافحياً على المؤلف ، وبخاصة في النصف الأخير من الكتاب ، مع أنه في النصف الأول منه لم يقف عند حدود السياسة فقط بل تجاوزها إلى ألوان الحضارة العربية كلها ، ثم إن المؤلف وقد فطن إلى أن العروبة لا يمكن أن تنفصل عن الإسلام ، كان جديراً به أن يمتد في هذا الطريق ، فيبين لنا كيف يمكن أن يتفاعل الإسلام مع العروبة مرة أخرى فنقوم النهضة العربية الحاضرة على أساس من تعاليم الإسلام .

الثاني : أنه أشار إلى الوهابية باعتبار أنها الحركة العربية الخالصة من كل أثر أجنبي ، وحدثننا عن تاريخ هذا الداعية وصلته بالسموديين أمراء نجد ، ولكنه لم يحدثننا عن تيارات هريسية إسلامية مماثلة ظهرت في العالم العربي ، نذكر منها حركة الأفغاني

• - يفتتح المؤلف الفصل الأخير من تدهور العرب ونهضتهم بقوله : إن سيطرة الترك التي استمرت على العرب منذ القرن السادس عشر الميلادي حتى العشرين ، والتي جاء الاستعمار الأوروبي في عقبها ، تتميز ببلوغ التدهور العربي أوجهه ، ويبدو أن العرب انطوا على أنفسهم في أول الأمر ، ورضوا بهذا المصير ، وخضعوا للشعب الأجنبي عنهم جنساً ولغة ، ولكنه مشارك لهم ديناً ، والذي استطاع أن يمتص حضارتهم ، ولم يلبث أن ظهر في مصر والشام والحجاز تيارات وطنية عربية ، ثم يقول المؤلف - وهو هل حق - : إن التيار الانفصالي في مصر على يد محمد علي لم يكن تياراً هريبياً ، أما التيار العربي الأصيل ، البعيد عن كل أثر أجنبي فهو الذي ظهر في الحجاز باسم الحركة الوهابية ، التي تعد إحياء للمذهب الحنبلي ، وخلاصة الدعوة الوهابية الرجوع إلى الإسلام في فطرته الأولى ، وإلغاء كل ما دخل على الإسلام من مظاهر مدنية بعيدة عن جوهر الدين ، ويمضي المؤلف بعد ذلك في استعراض الحوادث السياسية أثناء القرن التاسع عشر في مصر والحجاز والشام ، وحروب محمد علي مع السلطان ، وكيف وقف عند حدود مصر سنة ١٨٤٠ ، وكيف تطورت الحوادث بعد ذلك حتى الحرب

الثالث : أن المؤلف لم يذكر الأزهري - وهو منارة الإسلام وراية العروبة وحصن العربية - بحرف واحد في كتابه ، قد يقول قائل : إنه يكتب عن العرب لاهن الإسلام ، ولا شأن للأزهري بالعرب ، ونحن نقول في الجواب : إن الإسلام والعروبة لا ينفصلان ، وإن الدفاع عن الإسلام ، دفاع عن العروبة وبخاصة إذا كان هذا النوع من الإسلام قائما على كتاب الله الكريم باللغة التي أنزل بها : ونعوذ بالمسلمين أن يفسدوا في كتابهم العربي أو يقبلوا ترجمته ، ونحن نعلم : أن المسلمين من شتى بقع العالم ، من أندونيسيا والهند والباكستان إلى مراكش والكونغو والصومال يحضرون دروس العلم بالأزهري فيتعلمون اللغة العربية كما يتعلمون الدين ، ويعودون إلى بلادهم أنعمة للمسلمين ومداة للدين ، فإذا كان العرب سائرين اليوم في طريق النهضة ، فلا جرم أن الأزهري قوة دافعة في طريق هذه النهضة .

وبعد ، فإن الأستاذ جبريل مشكور والحسن دفاعه عن العرب في قضيتهم التي يرى أنها لا تزال في بدايتها ، وأنها كما يقول في ختام كتابه : تنفجر عن طاقات جديدة تشهد بأن رسالة العرب في البحر الأبيض وفي الشرق الأدنى لم تتحقق بعد .

أحمد فؤاد الأهواني

والشيخ محمد عبده في مصر ، والسفوسية في شمال إفريقيا .

وهذه الحركات الثلاث تعزف جميعاً على قيثارة واحدة ، وتصدر نغمة واحدة ، مع اختلاف التفاصيل ، فهي كلها حركات تجديد وإصلاح ، وهي كلها تبغى الرجوع بالإسلام إلى فطرته الأولى وتخلصه من الشوائب التي دخلت عليه وتسد غريبه عنه ، وهي كلها تدعو إلى الوقوف في وجه التقليد وفتح باب الاجتهاد ، غير أن الوهابية - لأنها كانت متطرفة في التمسك بالبين الإسلامي - كانت متزمنة غاية التزمته حتى لقد أمرت بهدم شواهد قبور الصحابة في المدينة .

أما السفوسية : فقد اتجهت وجهة تربية دينية ودفاعية ، فأنشأت الكتائب والمدارس والأربطة في شتى أنحاء ليبيا وتونس والجزائر ، وكان لها أثر لا نزاع فيه في التمسك بالإسلام في مواجهة النزعات الصليبية الوافدة على شمال أفريقيا ، وتعد حركة جمال الدين ومحمد عبده حركة إصلاح معتدلة ، تقوم على تفسير الدين تفسيراً اجتهادياً وفلسفياً يتلاءم مع روح العصر الحاضر ، وتفسير المنار الذي بدأه الشيخ محمد عبده ، وتبعه في ذلك الشيخ رشيد رضا أشهر من أن ينوه به ، والاتجاهات المعاصرة في التفسير التي تفسرها ونسجمها في المذاهب إنما هي ثمرة هذا الاتجاه الجديد .

الكتاب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السمر

ترانيم الليل :

الأستاذ على الجندي

ديوان جديد للمؤلف يقع في ثلثمائة وأربعين صفحة من القطع الكبير ، قدم له الأديب الكبير الدكتور شوقي ضيف الأستاذ بكلية آداب القاهرة بمقدمة موجزة أشار فيها إلى أن المؤلف الشاعر يوقع ترانيمه وألحانه على أوتار قيثارتنا الشعرية الموروثة من الآباء والأسلاف ، والتي تهزنا وتروحننا بما تقدمه لنا من غذاء للعقول وشفاء للقلوب والنفوس ؛ لأنها تراث الأسلاف والآباء فحسب ، ولكن لأنها أيضا تحمل رحيما موسيقيا صافيا ، يلد الأذان كما يلد الأفتدة ، فتصنئ إليه منقشية بالحناء وأنعامه . والديوان صة أبواب :

الأول : تحت راية الوطن ، تضمن قصائد في فرحة وادي النيل بالشورة ، ومصر والسودان الشقيقتين ، وقسم التحرير ودولة الإقطاع ، وبور سعيد الخالدة ، ونهيد العمال ، وما إلى ذلك من القضايا السياسية .

الثاني : في ظلال العروبة ، فيه قصائد عن أمة العرب ، والدولة المزعومة ، وفرنسا الرهناء وبنزرت الباسلة ، وبطل الريف ، وما إلى ذلك من القضايا التي تمس كيان العروبة تاريخيا وسياسيا .

والثالث : صور من الحياة ، فيه قصائد تناولت مأساة حسناء ، وتقاليع العم سام ، والشعبان العاشق ، وكلك العبد ، والسائقات الفاتنات ، وما إلى ذلك من صور الحياة الاجتماعية التي لمسها الشاعر بنفسه ، وأهاجت فيه شاعريته .

والرابع : زفرات ، فيه قصائد تناولت انقلاب القيم ، والزمن الوغد والشعر قبل الثورة ، وعربة الحياة ، وشكوى الأديب ، وما إلى ذلك من الصور الحية المليئة بالأسى ، والتي أثارَت أشجان الشاعر .

والباب الخامس . ذكريات الصبا أو بين أفنان الجمال ، فيه قصائد عن مصدر الحب والجمال ، والعاتبة الغضبي ، والفنانة الحسناء والتوحيد في الحب ، وحووية التليفزيون ،

وقد حثني على قصائد ديوانه مزيجاً من الآراء الفلسفية والنظريات الاجتماعية .
كنا نود أن لا يخلو الديوان من باب للإسلاميات ، يتناول فيه قضايا الإسلام ، وقضايا شيعية ، فهو من أقدر شعرائنا على سد هذا الفراغ ، ومن يدري فربما كان شاعرنا الكبير في طريقه إلى اخراج ديوان خاص بالإسلام الذي أصبح في هسيس الحاجة إلى ثورة شعرية جديدة ، لا تتغنى بأجاده السالفة ؛ ولكن تزفر بالامه ، وآلام شعوبه

كَبْ جَدِيدَة

النبوة والوحي في القرآن :

تأليف : أبو الحسن الندوي

الناشر : مكتبة وهبة - عابدين

المؤلف ليس في حاجة إلى التعريف ، فهو رئيس ندوة العلماء بالهند ، وأحد علماء المسلمين القلائل في العالم ممن عرفوا بغزارة العلم ، وسعة المعرفة ، والارتباط بقضايا الإسلام والمسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مجال التفكير الإسلامي الحبيب .
في هذا الكتاب عرض فضيلة المؤلف لحاجة الإنسان إلى الأنبياء ، ولسمت النبوة وخصائص الأنبياء ، وللأنبياء كأئمة الهدى وقادة الإنسانية .

والحب بين جمال الجسد وجمال الروح ، وما إلى ذلك من الصور الناطقة التي جاءت ترجمة عميقة لذكريات الصبا عند الشاعر .
والباب السادس الأخير : خواطر وأفكار فيه قصائد عن الروح الظمأى ، وموكب الربيع ، وحواء المستأجرة ، والزمن الكافر وفلسفة النحل ، ودولة العصر بين الماضي والحاضر ، وما إلى ذلك من الصور المتفرقة التي تناولت شتى جوانب الحياة من فن وصناعة وأدب واجتماع .

من قصيدته : الدولة المزهومة :

أبناء اسرائيل قد أصبحوا

حائماً فرعها الأجـدل

في كل يوم لم صفة

بسود أقتانهم تنزل

هم القروء مسخروا على الدنيا

أنى بذاك الخبز المنزل

أذل من ذل على أرضنا

أسفل من قيل له : أسفل

الحق أن ديوان الشاعر الكبير الأستاذ

على الجندي عميد كلية دار العلوم السابق ،

ديوان جميع فأوعى ، فهو بمثابة موسوعة

تناولت جوانب هدية من الحياة ، في مجالات

السياسة والمجتمع ، والنفس ، والعقل والجمال

الأستاذ خالد منذ عامين باحثاً عن جوانب العظمة في أصحاب الرسول - صلوات الله عليه - وقد تضمن الجزء الأول والثاني بحثاً عن واحد وعشرين صحابياً ، أما هذا الجزء فتقرأ فيه عن اثني عشر صحابياً : منهم خالد بن الوليد الذي لا ينام ولا يترك أحد ينام ، ومنهم حمير بن وهب شيطان الجاهلية وحواري الإسلام ، ومنهم زيد بن ثابت جامع القرآن ، ثم خالد بن سعيد وهو فدائي من الرعيل الأول ، ثم قيس بن سعد بن عباد ، وأبو الدرداء ، وزيد بن الخطاب ، وطلحة والزبير وخبيب ، وعمر بن سعد ، وأبو أيوب الأنصاري ، كل صحابي أبرز المؤلف فيه جوانب عظمت ، وخصه بسمه مميزة .

الكتاب ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

تطوير الخطابة المنبرية :

تأليف : علي وقافي

الناشر : مكتبة صبيح بالأزهر :

المؤلف فضيلة الأستاذ الشيخ علي وقافي مراقب عام الوعظ بالأزهر من خيرة العلماء الذين أسهموا بنصيب وافو في تطوير الخطابة المنبرية ، وله مؤلفات بلغت اثني عشر كتاباً ، وأعانت - ولم تزل تعين -

يذكر المؤلف في مقدمته أن البحث في النبوة والأنبياء من البحوث والدراسات التي تشهد بحاجة الطبقة المثقفة إليها ، وهو يعتقد أن أقوى سبب الانحراف هذه الطبقة ، هو بعدها عن منهج النبوة ، وجهلها بقيمتها وفضلها على الحياة المدنية والعقل الإنساني .

الفاروق عمر :

تأليف : اللواء الركن محمود شريف خطاب
الناشر : مطبعة العاني - بغداد

المؤلف أحد وزراء العراق ، ومن الأدباء المؤرخين ، له زهاء عشرين مؤلفاً في التاريخ الإسلامي ، وفي كتابه الأخير هذا ترجمة وافية شاملة لسيرة عملاق من عمالقة التاريخ في الإسلام ، عرض في هذه الترجمة للفتح الإسلامي قبل عمر ، ثم بقيادة عمر ، ثم تحليل دقيق لقيادة عمر نفسها ومعالجتها وخصائصها ، ولمكانة عمر في التاريخ .

الكتاب : ١٩٢ صفحة من القطع الكبير

رجال حول الرسول :

تأليف : خالد محمد خالد

الناشر : دار المكتبة الحديثة - القاهرة
هذا هو الجزء الثالث من السلسلة التي بدأها

خطباء المنابر من العلماء وغير العلماء على
مهمتهم ، وهذا الكتاب الأخير - كما يشير
المؤلف إلى ذلك - على مستوى الفعوب
الإسلامية ، يسائر نهضاتها ويرسم طريق
الوصول إلى أهدافها .

في الكتاب بحث عن أهمية الخطابة المنبرية
محمد عبد الله السمان

الصراع الأدبي

بين القديم والجديد

للأستاذ : علي محمد حسن العماري

يعرف قراء هذه المجلة الأستاذ : علي محمد حسن العماري بما قدمه إليهم فيها من بحوث
أدبية وبقيّة تعزّز هذه المجلة بها وبما ينشره دائماً فيها لغزارة علمه وسعة اطلاعه وبقظة
ذهنه ووجدانه .

وقد ألف عدة كتب في البلاغة والأدب ، وكان آخر ما أصدره لجمهرة القراء والمثقفين
خاصة كتاب : « الصراع الأدبي بين القديم والجديد » ، وقد تبّع هذا الصراع منذ نشأ
في العصر الجاهلي ، ثم في العصر العباسي . . ثم في هذا العصر الذي انحرفت فيه الاتجاهات
الأدبية هند بعض الكتاب والشعراء انحرافات ضارة بوقميتنا العربية وديننا الإسلامي ،
والتقارب لهذا الكتاب يجد الكاتب من خلاله عالماً بموضوع بحثه غنياً بالفوائد
والإسانيه التي يدعم بها قضاياه ، نافذ البصر والبصيرة إلى الدوافع التي تمكن وراء
الاتجاهات التي يتناولها بحثه أو تعقيبه ، وقد كتب مقدمته الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات .

ونرجو أن نعرض لموضوع هذا الكتاب بالتفصيل في القريب العاجل إن شاء الله .

(المجلة)

في محيط العالم الإسلامي

قصة مخزنة :

اختيار أعضاء المجلس الجمهوري ، ويقوم
بوضع الدستور الدائم وعرضه على الاستفتاء
العام خلال فترة الانتقال ومدتها سنتان .

• دكاكر : وافقت حكومة السنغال على
انصحاب عشرة آلاف جندي فرنسي من
بلادها من تلك القوات الفرنسية التي لم تزل
بالسنغال بعد استقلالها ، ومن الجدير بالذكر
أن السنغال كانت إحدى المستعمرات
الفرنسية في غربي إفريقيا .

• الخرطوم : رفضت حكومة السودان
الموافقة على زيارة وفد حكومة تشومي
للسودان لإجراء محادثات بشأن التوتر الذي
يسود الحدود بين السودان والسودان ،
بسبب الاعتداءات المتكررة من قوات
حكومة تشومي على حدود السودان بدهوى
مطاردة الثوار .

• القدس : بدأ العمل في المرحلة الثانية
لإصلاح المسجد الأقصى ، ومن المقرر أن
تنتهي هذه المرحلة خلال سنوات أربع .

• جاكرتا : رفضت حكومة أندونيسيا
إجراء استفتاء في إيريان الغربية طبقاً للاتفاق
الذي تم تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة ،

حدث أخيراً أن أصيبت دولة الصومال
المسلة بمهاجمة هزت كيان زهاء مليون مسلم
والمؤلم في الخبر أن جمعية الصليب الأحمر
هي التي أخذت على عاتقها الدعوة إلى إنقاذ
الآلاف التي هزما الجوع وقتك بعدد منها ،
بينما العالم الإسلامي بأسره لم يحس بهذه
المأساة ، ويظهر أنه ليس مستعداً لأن
يحس بها .

وإذا كانت العوامل السياسية الجائرة
أصرت على أن لا تقوم لوحدة المسلمين قائمة
فأى عقبة يمكن أن تقف في سبيل وحدة
روحية تربط بين قلوب المسلمين وحوافهم
لتؤدي واجبها - على الأقل في مثل هذه
المأساة ١٩ .

• صنعاء : صدر قرار جمهوري بإقرار
الدستور المؤقت ليمن وينص هذا الدستور
على أن اليمن جمهورية عربية إسلامية
ديمقراطية ، كما ينص على تكوين مجلس
جمهوري يرأسه رئيس الجمهورية ، ومجلس
لشورى يضم تسعة وستين عضواً ، يتولى

كما صدر كتاب جديد باللغة الإنجليزية للكتابة دورنا راسل هنوانه : القاهرة في الصور الوسطى ، وتبلغ صفحات هذا الكتاب ٣٤٩ صفحة .

القاهرة : من المنتظر أن يضاف إلى تلاوة القرآن . في محطة إذاعة القرآن برنامج لتفسير القرآن يقدمه كبار العلماء والمختصون بالدراسات الإسلامية .

في محيط الأزهر

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بعثة الحج اليوغسلافية برئاسة الحاج مصطفى شوا مدير المعهد الإسلامي بسيرايفور وذلك بمناسبة مرور البعثة بالقاهرة في طريقها إلى الأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج ، وقد تنازل الحديث شتون الإسلام والمسلمين بيوغوسلافيا .

* تقرر لأول مرة قبول طلاب المنازل الحاصلين على الشهادة الإعدادية والابتدائية في امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية المعتادة هذا العام .

* أصدر السيد المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر - قراراً بأن يكون امتحان القبول بالمعاهد الأزهرية والمعهد

وقد صرح الرئيس سوكارنو بأن العالم أجمع يعترف بأن إيران الغربية جزء لا يتجزأ من الأراضي الاندونيسية وليس لهولاندة أي حق فيها .

* غزة : بدأ تجنيد الدفعة الأولى من الفلسطينيين بقطاع غزة من مواليد عامي ٢٧ ، ٤٤ ، تنفيذاً لقانون التجنيد الإجباري للفلسطينيين ، الذي أقره المجلس التشريعي في أواخر فبراير الماضي ، ويقضى بأن تكون الخدمة العسكرية إجبارية لكل فلسطيني من سن ١٨ - ٣٠ سنة .

* القاهرة : أقيم في القاهرة المؤتمر الثالث لتنظيم الأسرة ، اشترك فيه عدد من المؤسسات والهيئات الأجنبية ، منها المجلس الأهلي للدعوات السكانية بأمريكا ، و مؤسسة فورد ، و جامعة جرانز بالنمسا ، والجمعية الدولية للأسرة .

* الفاتيكان : أنشأت الفاتيكان قسماً جديداً للشئون الإسلامية ، في سكرتارياتها المختصة بشئون الديانات غير المسيحية ، وقد عين رئيساً لهذا القسم القس الفرنسي الأب جوزيف كوك الخبير بالشئون الإسلامية .

* لندن : صدر في لندن مصور عن الفن الإسلامي أعده دافيد تاليوت رئيس ،

النموذجي للبنين في القرآن الكريم تحريراً
اعتباراً من العام الدراسي القادم .

* طلبت جامعة الأزهر إلى مجلس الدولة
إبداء الرأي في التماس الذين لا يحملون أية
مؤهلات دراسية ، وسبق لهم أن تقدموا
للحصول على العالمية المؤقتة ورسبوا فيها ،
ويرغبون في الالتحاق بالسنة الرابعة النظامية
بالقسم العالي للدراسات مع الأزهر ، ومن المعروف
أن قانون تنظيم جامعة الأزهر كان قد اشترط
لها ضرورة الحصول على الشهادة الثانوية
كأدنى مؤهل دراسي للالتحاق بالسنة الأولى
الدراسية .

* نوقشت في أبريل الماضي بجامعة الأزهر
الرسالة المقدمة من الأستاذ فتحى عبد القادر
الدرينى الأستاذ بكلية الشريعة بدمشق ،
والموفد إلى جامعة الأزهر في بعثة علمية
لتحضير رسالة الاستاذية في الفقه والأصول .
موضوع الرسالة : التعسف في استعمال الحق
بين الشريعة والقانون ، بلغت صفحاتها ٢٣٠
من القطع الكبير ، ألفت اللجنة برئاسة
الشيخ طه الدينارى ، وعضوية الدكتورين :
محمد مختار الفاضل ، وجاد الرب رمضان ، وقد
قوتت اللجنة منح الأستاذ الدرينى درجة
الامتياز مع مرتبة الشرف .

السماح

فهرس أبجدى عام لموضوعات المجلد السادس والثلاثين

صفحة	الموضوع	صفحة
	(١)	
٥٠٩	الاباضية في موكب التاريخ (كتاب)	٧٦٩
٥٧٦	انجازات الثقافة في الشرق العربي ...	٥١٢
٢٦٨	أبو زكريا الفراء (كتاب) ...	(كتاب) ...
٨١٢	أبو العلاء والصور الشعرية ...	٢٤٤
٨٨٠	أثر الأدب في ثورة العرب ...	١٥٥
٩٩٣	أثر اليتيمة في أدب الأندلس ...	٧٣٣
٨٠٧	أحمد زكي الملقب بشيخ العمروبة (كتاب)	٩٤٨
٩٣٣	إخوان الصفا - أثرهم في تطوير	٩٩٠
١١٨	القصة على لسان الحيوان ...	٤٢٥
٢٩٢	الأدب المحرام ...	٥٢٢
٤٨٨	الأدب الصوفي ...	٦٦٦
٥٩٩	أزمة الإيمان ...	٨٤٤
١	الإسماء والمعراج ... (كتاب)	٩٤٤
١٠١	الإسلام بين الأمس واليوم ...	١٠٧٢
٢٦٦	الإسلام والحياة ...	٤٩٨
٦٣١	الإسلام وما يفتى عليه ...	٢٥٣
٦٢٤	حول مقال - الإسلام وما يفتى عليه	٨٠
٩٢٩	إشارات أبي العلاء ...	٩٧٣
٢٨٠	إلى رسول الله - قصيدة - ...	٦١٢
٧٢٠	إمامة الجاهل في الصلاة ...	٤٤٩
٩١٠	الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥٤٥
	الإنسان بين هوى النفس والفيضان	٩٨٦
	الإنسان والجمال ...	٩٠٢
	إنسانية الحضارة العربية وإبداعاتها	
	إن هذا هو القصص الحق ...	
	إيمان فرعون (كتاب) ...	
	آية فيها نور للأبصار والبصائر ...	

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٣٦	التكبير عند ختم القرآن ...	(ب)	
١٠٧٨	تمبكتو	٤١٦	البذل في سبيل الله يبع راج ...
٣٨٥	تمنى التبنى	٨٦٣	براعة التصوير في شعر الأندلسيين
٣٥٠	توضيح وتصحيح لتفسير آية ...	٥١٢	بسط سامع المسافرين في أخبار مجنون
٤٨٤			بنى عامر (كتاب)
٥٨٨	تيارات منحرقة في التفكير	١٢٩	البلاغة بين الإيجاز والإطناب ...
٦٧١	الدينى المعاصر	٥١١	البناء الفنى للقصيدة العربية (كتاب)
٨٢٥		(ت)	
٩١٦		١٢٤	تبنى المسيحى للطفل المسلم
(ج)		٨٩١	التثليث والصلب والقيامة والفساد
٧٩٦	جزاؤنا عند الله قائم على عدله وفضله	٤٥٨	التجديد الدينى
٩٨٩	جمع القرآن	١١٥	تخرىج الفروع على الأصول (كتاب)
٥٠٢	الجمعة عند تعدد المساجد	٩٩٧	تحية الإمام الأكبر للمسلمين في عيد
٥١٦	الجهاد		الأضحى
(ح)		٧٢٧	التراث الإسلامى والحضارة الأوربية
٩٨٣	الحج ونفقة الأقارب	١٠٩٢	تراث الليل (كتاب)
٣٨٨	حديث هام لفضيلة الإمام الأكبر	٢٣٣	تصنيف العلوم عند الغزالي
٢٤٩	حروب الإسلام ... حروب فتح	٦	
١٠٩	الحرية السياسية والقيادة الجماعية	١٣٣	
١٨٥	في الإسلام	٢٦١	التطورات التشريعية في الطلاق
١٠٤٥	الحرية كما يريد الإسلام	٥١٩	
٥٠٨	حسان بن ثابت (كتاب) ...	٧٨٨	
٣٠٢	حق الفقراء في أموال الأغنياء	٨٩٧	
٢٢٣	الحقيقة الضائعة	١٤٠	تفاوت المنازل عند الله
٨٨٥	حكمة العبيد وما شرع له ...	١٦٠	التفسير الباطنى ، نشأته وأسبابه
		٨٦٨	التكافل الاجتماعى فى الإسلام (كتاب)

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
	(غ)		(ص)
٣٦٩	الغزو الفكري - كتاب ، ...	١٤٩	صدقة الفكرة بين ثلثوت والرسالة
٤٠	غزوة أحد بين القرآن والشعر	١٠٩٥	الصراع الأدبي (كتاب) ...
١٦٥		٥١١	صراع بين الحق والباطل ...
٣٢٧			(ض)
	(ف)	١٠١٧	ضجة مفتعلة ينكرها الدين والواقع
٧٠٣	لجر الفكر الإسلامى فى مصر		(ط)
٨٥٦		٥٥٠	طاعة الرسل وطاعة الرسول ...
٥٤١	الفراغ النفسى عند الشباب ...	٧٧٤	طبائع وشرائع ...
٧١٣		٢٥١	طروء الأفكار والوساوس على
٦٥٧	فرق مسيحية تقول بوحداية الله		المصلى أثناء الصلاة ...
٣٠	فضائل النبي فى القرآن ...		(ع)
٩٧٧	الفنون الإسلامية ...	٢٣	المبرة من الهجرة ...
١١٦	فى الإيمان والإسلام - كتاب ، ...	١٠٨٥	المروبة والإسلام ...
٢٧١	فى صحبة العقاد - كتاب ، ...	٥٥٦	عصمة الأنبياء بين اليهود والنصارى
	(ق)		والقرآن ...
٢٤٦	قاهر التتار - كتاب ، ...	٩٦	العقاد والفكر الإسلامى ...
١٠٢٩	القدرة للغوية عند أبى العلاء ...	٧٤	العقاد فى الدراسات اللغوية ...
٣٧٧	قراءة القرآن لدى القبر ...	٨٣٩	العلم بين السلام والخصام - قصيدة ،
٨٧٦	قسم عان للدراسات الإسلامية	٥١٠	علم القلوب للعلامة أبى طالب المكي
	والعربية بالأزهر ...		- كتاب ، ...
١٠٤٠	قضية المرأة ...	٤١١	عناية الإسلام بالشباب ...
٦٨٥		٢٧٥	العهد مسئولية دينية والوفاء به غاية حتمية
٨٢٩	القوم الصوفية ...	٢٣٨	العوامل الضرورية فى بناء الجماعات
٩٢٥			وإقامة المدينيات ...
٦٥٩	القيمة الأدبية فى الأدب الصوفى ...		

صفحة	للموضوع	صفحة	للموضوع
٢٨٨	المرونة في اللغة العربية ...	(ك)	
٦٧٧	مشاكل التربية الدينية والحلقية ...	٧٩٥	المعراج للشيرى د كتاب ...
٤٠٧	مستويات الناقد المعاصر ...	٨١٨	كسب ظاهر الرواية ...
٧٠٧	مستشرق من اليابان يكتب عن الله	٩٠٧	الكيان الفلسطيني ...
٣٦٠	والإنسان في القرآن ...	٤٠١	(ل)
٩٨٨	مطلع النور د كتاب ...	٩٩٠	لماذا ... العرب وحدهم ؟ ...
٦٨٩	مماثلة أبي العلاء للنجاح ...	٥٨٤	ليلة الإسماء والمعراج ...
٥٣	معاهد التخصيص : رسالة الكتاب	٤٤٥	ليلة المباركة ...
...	ومنهجه الأدبي ...	٢٠٦	ليلة الأخيالية - المثل الأعلى في الوفاء
٨٥٢	معركة عين جالوت ...	(م)	
٦٠٥	مع شوقي في مدائحه النبوية ...	٦١	ماذا تعرف عن بوذا وفلسفته ...
٤٣٨	مع الفكر المؤمن ...	١٠٣٦	ما وراء المحسوس في فلسفة الجبال والفن
٤٥٥	مفهوم التجديد الديني ...	٧٠	
٥٣١	مفهوم الإيمان ...	٢٠٩	
٧٩٠	مقومات القيادة الناجحة في الإسلام	٣١٥	المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام
٥١٣	مكانة المرأة في المجتمع ...	٤٢١	
٩٠	الملاحم والمطولات الإسلامية	٦٨١	
١٩٩	في الشعر العربي ...	٨٢١	
٣٥٤	ملكىة الأفراد الأرض ومنافعها	٥١١	المجتمع في شعر أحمد الزين د كتاب ...
١٧١	في الإسلام ...	٨٣٥	محمد رسول الله ...
٢٩٨	في الإسلام ...	١٠٥١	الشيخ محمد عباد طنطاوى ...
١٠٥	الملكية الفردية وتحديداتها في	٩٥٣	محمد في مكة ...
١٧٧	الإسلام ...	٢٤٥	مختصر سياسة الحروب الهرثمي (كتاب)
٣٠٩	الإسلام ...	٢٥٧	المذاهب الأدبية المنحرفة ...
٤٧٣			

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
تقد ابن تيمية لمذاهب الاتحادية	٩٦٨	مناجاة الخالق	٣٣٦
والقائلين بوحدة الوجود ...	١٠١١	من أباطيل اليهود	٤٧١
النقود التاريخية في عهد المسلمين	٢٢٦	من روائح فردوسنا المفقود ...	٦٤١
في الهند	...	من شيم العلماء وشفقهم بالعلم	٥٩٥
نهضة العالم الإسلامي	٥٨٠	مظاهر رائعة من عظمة الرسول	٩٤٠
النيل في مؤلف مصرى قديم ...	٨٦٠	من موازنات القرآن بين المناققين	١٠٠١
(ه)		وأهل الإيمان	٣٥
هجرات في سبيل الحرية	١٥	المنهج الإسلامى فى الأدب ونقده	٤٩٣
هدف الغزل الجاهلى	٦١٧	من وحى الهدى (قصيدة) ...	٢٤٢
هذا واجب العرب فأين واجب المسلمين ؟	٣٩٨	من وحى القرآن (قصيدة) ...	٣٦٦
هل للصلاة سورة خاصة ؟	٣٧٧	الموطأ للإمام مالك	٢٨
الهندوكية	٣٤٠	موقف الإسلام من نظامى : التنبى	١٤٤
هيا إلى العيد الأكبر !	٨٨٧	والاعتراف بالولد	...
(و)		(مى) أدبية الشرق والعروبة ...	٣٧٢
الواد الزائدة . فى الأساليب العربية	٧١٦	(ن)	
وثنية بنى إسرائيل	٤٠٤	النجمة العلمية من إبحار القرآن	٤٣٣
وحدة الوجود	٣٩٢	...	٦٤٦
الوراثة وقوانينها ومظاهرها ...	٥٦١	...	٩٦٠
(ى)		...	١٠٥٧
يسر الدين الإسلامى وصلاحته ...	١١٢	النسبة والأنبياء (كتاب)	١٠٩٣
يقظة التفكير الأوروبى على صوت	٥٦٨	فسيات الأندلس فى ربوع النيل	٦٩٣
ابن رشد	...	النظام الاقتصادى فى الإسلام ووضعه	٧٨٢
		بين النظم الاقتصادية الحاضرة ...	...

News From The Muslim World

By : Mohammad Abdullah El-Sammam

* The Yemeni Republican Council has approved a provisional draft constitution of the Republic of Yemen. This Constitution bears a historical significance as it means a landmark in the history of the Arab world. The new constitution declares that Yemen is an Islamic Democratic Arab Republic. The transition period is two years.

* The Afghanistan Parliament ratified recently a new Constitution for the country. The constitution states that the religion of Afghanistan is the Sacred faith of Islam. The state disposes, of religious matters in accordance with the Hanafi Commandments'. Those members of the nation who do not follow the the Islamic faith are free to conduct their religious Ceremonies within the limits of the laws formulated to maintain the decorum and tranquillity of the public (chapter 1, Article 2.)

* The Palestine Liberation Organisation observed this month the anniversary of the palestine tragedy. President Jamal Abdul Nasser Said in his message to the Palestine Day Conference that the Arabs would

exploit all their Sources of wealth to face the Israeli danger and that they would work hard to realize development.

* The Prime Minister of Malaysia, Tunku Abdul Rahiman, Said, in Kuala Lumpar, that he would write to the leaders of the Arab Nations and tell them that Malaysia had no intention of establishing diplomatic relations with Israel.

* The Vatican has announced the establishment of a Section for Islamic Affairs. This Section will be attached to its special Secrateriate which deals with the affairs of world religious other than christianity.

* The Muslim students association of the United States and Canada has passed a resolution, at its Second Convention, which was held in Urbana, Illinois, about the necessity of promotion of friendship among Muslim Organisations in the World. The resolution says : "Muslims Should be Urged to remember that they are the representatives of Islam and that their behaviour is regarded, by the non - Muslims, as Muslim behaviour."

Caliph : The matter stands quite clear then. We leave it to you to decide. You do not curse the Pharaoh a confirmed enemy of God. Do you think it is in any way lawful to curse those who keep up prayers and observe the month of Ramadan and give alms? Surely we can punish the transgressors, but can never curse.

Representatives : well and good. But better for you and us both if you cut off your connections with them.

Caliph : The Kufites and Basrites once led on army against your ancestors. They put to death many of them. Did you forsake those people ?

Representatives : No.

Caliph : If that is so, we do not understand why you compel us to do what you did not yourselves.

He who professes to believe in the oneness of God and the prophet hood of Muhammad, God and his Apostle are ready to take him under protection. And is it not a pity to find this, that it is only you who refuse to extend your sympathies to believers ? Is it, then, the regeneration of Islam you are driving at ?

The proxies could make no reply.

They acknowledged in express words their satisfaction, and said : « we beg to be excused for our outspokenness. We are very much thankful to you for your leading a patient ear to so lengthy a talk ».

A woman accuses the son of caliph Mamun in open court Mamun was once holding court when there appeared a woman. A child was clinging to her breast. She cared not for the formal ceremonious etiquette of the court, and at once burst out into tears and cried aloud, saying : « O, Caliph ! the house of a widow has been seized for no fault.

Do Justice to my complaint and keep in view the Day of Judgment where I shall stand up and raise my voice amidst the crowd against you if you do not make good the wrong done to me ».

The courtiers were quite astonished to hear the woman speaking so loudly in the presence of the Caliph.

The Caliph, on hearing this complaint, was startled, as if taken aback by some unexpected calamity.

« Well, who has done such a glaring injury to you ? Tell us his name ».

The woman blushing said Prince Abbas, your son ».

(Continued on page 11)

Aspects of Socialism and Equality

- From the History of Early Muslims -

By

IBRAHIM M. EL - ASSIL
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY

On his ascending the throne of caliphate, Omar bin Abdul'Aziz had to face of a rebellion raised by Bistam, a Kharijite, due to some difference of opinion. The caliph wrote a short note to him, which ran as follows :

" We learn that your sole aim is to regenerate the faith of Islam.

We also, let it be known to you are bending our energies to the same end. Would not you, then, appreciate the idea of holding a debate between both the rival parties ? If we can advance convincing arguments, you will have to give allegiance to our authority. But if you get the better of us, we would consider the matter"

Upon this Bistam commissioned two proxies to the court of the Caliph.

The debate was convened, and the following words passed between the Caliph and the representatives :

Caliph : well, what reasons have

you to justify yourselves to disturb the peace of the country ?

Representatives : You have ridden rough-shod over the desires and wishes of the people in general and your relatives in particular. You have confiscated their landed properties. If they did a wrong thing, is it not quite justified, according to Islamic jurisprudence, to curse them ?

Caliph : You do not seem to catch the point. I have taken back only what they had received either through unlawful means or because they did not deserve it. I do not see any necessity of upbraiding the unbelievers and wrong-doers, nor is it supported by any verse or authority either of the Qur'an or the Traditions.

Did you ever curse Pharaoh ? Do you believe honestly that it is incumbent upon you to do so ?

Representatives : We never curse the Pharaoh, nor is this an article of faith with us.

pillar is the practise of the obligatory prayers five times during the day, but how many perform the farz let alone the sunnat or nafl prayers? the third pillar is Zakat or charity, while this primarily means to give a percentage of your income to the poor in a certain month of the year we should not forget charity in our daily lives as well. . . how many times has a suppliant been thrust aside with a curse given instead of a coin, even if we cannot give money surely we can give a kind word, little as it may be, for charity also means love, understanding, tolerance, kindness and mercy ; the fourth pillar is fasting during the month of Ramadan when all Muslims must fast from dawn to dusk, but do we also abstain from indulging in anger, lying and cheating ; the fifth and final pillar is the Hajj or pilgrimage to Mecca, this is indeed a difficult task which often causes great sacrifice but it is the envy of all the

other religions, for it is the bond that once a year brings thousands of Muslims together from all parts of the world to worship and pay homage to the One God, Allah.

All these things are the main roots of Islam and if we would only cultivate them in ourselves, then from these roots would spring forth the divine towering tree of our eternal faith whose green branches would give shade to our souls and whose fragrance would refresh our heart, it would give shelter from the storm of life and abundant sustenance to a hungry spirit. Water these roots with your tears of contrition, prune its branches with love and discrimination, fertilise it with your very being, adore and cherish it in truth, and you will then live as only a Muslim can live. . . in happiness and and contentment.

RASCHID AL-ANSARI
(ROBERT WELLESLEY)

FUNDAMENTALS OF ISLAM

BY : RASHID AL-ANSARI

Many of us seem to forget the fundamentals of Islam and become lost in the wandering pathways of useless speculation on the finer points of Islamic theology and thought until at last we are far from the basic teachings of Islam, finding ourselves living a life of petty restrictions that have very little meaning. Then, as we say, you cannot see the forest for the trees . . . in other words the whole becomes obscured by the part. It is a little like a carpenter who pays meticulous attention to the seat of a chair, carving it and polishing it, and in the process completely forgetting all about the legs of the chair ! And how can you have a chair without legs ? It is a ridiculous thought. Even so does Islam lose its dignity and simplicity when insistence is put on form and not on spirit. It is therefore important that we should keep in mind what are sometimes known as the Pillars of Faith and the Pillars of Wisdom.

In the Seven Pillars of Faith the first pillar is belief in Allah, the Eternal and One God who has no equal ; the second pillar is belief in His angels, of whom we are each said to have our Guardian Angel ;

the third pillar is belief in the Books sent from Allah for our guidance, of which it is a fact that the Qoran is the only one to retain its original purity ; the fourth pillar is belief in all the prophets of Allah, such as Moses, Abraham, Jesus and Muhammad (may peace be upon them), who brought the message of Allah to a wayward world ; the fifth pillar is belief in the Hereafter, of the continuation of life after the body dies, thus Allah bestows on us a certain immortality, for only Allah is truly immortal, the sixth pillar is belief in the ultimate will of Allah, that though we must strive and do our best in every possible way we must always remember to surrender ourselves to His will, it is the neglect of this that causes a lot of the evil present in this world today ; the seventh pillar is the belief in the Day of Judgement, when we will face the radiant and supreme wisdom of our Lord to beseech His mercy on our souls.

Then we come to the Five Pillars of Wisdom, the first pillar being the belief in the one God alone, Allah, and His last messenger Muhammad (may peace be upon him) who was yet the first ; the second

a painful punishment. On the day when it will be heated in the fire of Hell, then their foreheads and their sides and their backs will be branded with it : This is what you hoarded up for yourselves, to taste what you used to hoard.”)

And :

(And let not those who are niggardly in spending that which God has granted them out of his grace think that it is good for them. May, it is evil for them. They shall have a collar of niggardliness on their necks on the Day of Resurrection . . .)

And the Prophet said :

“ Whomever God granted wealth and he withheld the poor-rate, his wealth shall be pictured for him on the Day Judgment as a big sanke with two horns, and it will fold around his body and hold up his cheeks saying : I am your hoarded

money, I am your wealth.”

It is also reported through Abdullah ibn Omar that the Prophet said :

“ O immigrants and helpers ! There are five evils I take refuge in God not to befall you. If adultery appears among people, they will be stricken with such ills as not happened to their past generations. If they do not give right measure in their scales, they will be tried with poverty, scarcity of provisions, and injustice of their rulers. If they prevent the poor-rate, they will be denied rain from the sky, except for the sake of their animals. If they do not fulfil the Covenant of God and His Messenger, God will raise against them those take away some of what they possess. And if their rulers do not rule according to the Law of God, the fighting among them will be severe.”

(Continued from page 15)

The caliph had earned a good name for justice. The story told by the woman, by name Mughira, set the blood of Mamun boiling ; his face glowed with anger. He at once ordered ‘Abbas to stand by the side of the plaintiff, so that every distinction be wiped out.’ Abbas, being guilty, could not clear his position. But Mughira was so eloquent in giving vent to her com-

pelled right that her very eyes, sparkling with passionate anger, seemed to speak for the worth in her bosom.

The nobles could not reconcile the audacity of the woman with forbearance of the Caliph. One of them could not help saying :

« O, woman ! Such conduct does not become in the presence of the caliph. You are so rude ».

a due share for the beggar and for one who is a needy."

In the chapter of "Al-Qalam" the pen", the Holy Qur'an relates the story of the people who owned a garden and who intended to cut out its fruits to deny the rights of the poor in those fruits, and how they were doomed :

"But a visitation came from your lord, came out on it (the garden) while they slept. So it became as black, barren land."

The Holy Qur'an also says :

« رأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين »

"Have you seen who belies religion? That is the one who is rough to the orphan. And urges not the feeding of the needy."

In another verse, the Holy Qur'an warns the disbelievers who are characterised by withholding the poor-rate in this way :

"... And woe to the disbelievers! Who give not the poor-rate, and who deny the Hereafter."

The Holy Book urges us to pay the poor-rate in this verse :

"... And keep up prayer and pay the poor-rate and offer to God a goodly gift..."

«Anas», the companion of the Prophet reported that a man came to the Prophet and saide : "O Messenger of God! I possess a good amount of wealth and I have a great number of relatives. Tell me how should I spend?" The Prophet said: "You have to pay the poor-rate out of your wealth, for it is a cleanliness for it, and keep your relation to your relatives, and know the right of the unfortunate, the neighbour, and the beggar."

"Aysha" also reported that the Prophet said : "I swear that there are three things, the performer of which is participating in three shares in Islam : Prayer, fasting, and almsgiving." It is reported in "Al-Bukhari" and "Muslim" that Garir ibn Abdullah said : "I paid the oath of allegiance to the Prophet that I will keep up prayer, pay the poor-rate, and give good council to every Muslim."

Those who withhold almsgiving are spoken of in they Holy Qur'an in this sharp language :

«والذين يكتنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتنزون»

("... And those who hoard up gold and silver and spend it not in God's way, announce to them

"They ask you as to what they can spend. Say: What ever wealth you spend, it is for the parents and the near of Kin and the orphans and the needy and the wayfarer. And whatever good you do, God surely is Knower of it.")

When Muslims were settled and the circle of their life was expanded through immigration to Medina, the amount of Zakat was fixed regarding all kind of wealth. So the amount of almsgiving regarding the harvests that were irrigated by rain was the tenth of it, and those which were irrigated by mashines was half tenth. The fourth of the tenth was the amount prescribed on gold and silver, and the same was fixed regarding the articles of trade. Those amounts were payable yearly. As to the almsgiving on animals such as camels, sheep and cows, the amounts are fixed in a special manner.

The reason behind the difference of the amount of Zakat, regarding the different amounts of wealth, is due to the difference of effort which is paid toward the earning of wealth. The more one pays in his effort to earn wealth, the less he gives in the amount of Zakat, and vice versa.

QUESTION :

What are the proofs to evidence the prescription of Zakat (almsgiving) in the Holy Qur'an and the Sunna?

ANSWER :

We said before that there are eighty two verses in the Holy Qur'an in which almsgiving is mentioned together with prayer. Among these verses we read :

«المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة»

"And the believers, men and women, are friends one of another. They enjoin good and forbid evil and keep up prayer and pay the poor-rate ... " and :

«الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرأوا بالمعروف ونهوا عن المنكر .»

"Those who, if we establish them in the earth, well keep up prayer and pay the poor-rate and enjoin good and forbid evil.."

In the chapter of Al-Muddathir, the Holy Qur'an relates the profession of the people of Hell, and tells us about the reason of their miserable situation :

"... They ask one another - About the guilty : What has brought you into hell ? They will say : We were not of those who performed prayer. Nor we did feed the poor." God, the Almighty, praises the praises the believers in this way :

«وفي أموالهم حق للسائل والمحروم»

"And in their wealth there was

you (alon) and seek your help, I say : To my servant what he a asked for. And when he says: Guide us 'o the right way, the way of those on whom you bestowed your favour, not those you are angry of them nor those who are stray, I say: Surely to My servant what he requested,

No wonder, then, to state that the Prayer supports the believer with big spiritual power. Dr. Alexis Carrel says in this respect: "The Prayer is a great sourse of vitality. As a physician I have seen many patients who were cured through prayer when the drugs failed to feal them.

Certainly the prayer is like the mineral of radium, a source of power and vitality."

Through prayer we are connected with the Originator of the universe, who help us over the difficulties of life. Our appeal to God in our Prayer is certainly a spiritual force which help us and give us peace and happiness.

What is the second worship prescribed in Islam ?

The second worship prescribed in Islam is almsgiving "Zakat". It is one of the five pillars of Islamic faith. It is mentioned to gether with prayer in eighty two verses in the Holy Quran. It is prescribed in both the Holy Quran and the Sunna. It

is reported through "Ibn Abbas" that the Prophet (peace be upon him) said to his companion "Mu'adh ibn Jabal" when the Prophet sent him in a mission to Yemen: "You are going to reach a people who are followers of divine books. So call them to witness that there is no god but Allah and that I am the Messenger of God. If they accept, tell them that God has prescribed on them five prayers daily. If they obey, this, then tell them that God has preseribed on them a poor-rate in their wealth, to be taken from the rich among them and given back to the poor. If they accept to pay the poor-rate, do not follow the best and the dearest things of their wealth to take the poor-rate out of them. And guard against the call of the oppressed one, for the appeal of the oppressed supplicant is liable to reach God promptly."

Zakat was prescribed in Mecca undefined and unristricted to a special amount. It was left to the personal feeling of the rich toward the poor. The Quran says:

« ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو »

("... An they ask you as to what they can spend. Say: What you can spare . . . ") and :

« يسألونك ما ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم »

PILLARS OF ISLAM

(2)

By : Abdul Wadood Shalaby

What is the reason behind making the Prayer five times every a day ?

God prescribed the Prayer on the believers in a timely order for five times a day, in order to be a continuous spiritual exercise. This was illustrated by the Prophet when he asked some of his companions :

Suppose that you wash yourself up five times a day in a nearby river, would that leave out any dirt on you ? They answered : Certainly not. He said : This is like the five daily Prayers. They wash away all sins. The Prophet pictured that meaning in another time. He was sitting under a tree and beside him there was his companion "Salman Al-Farisi," and the Prophet picked up a dry branch out of the tree and shook it until all its leaves fell down, and said : O Salman ! You may be wondering why I do this ? Know then that if the Muslim makes a good ablution and performs the Five Prayers his sins will fall away from him just as the leaves of this branch. Then the Prophet recited this Verse :

« أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذاك ذكرى للذاكرين . »

("And keep up Prayer at the two ends of the day and in the first hours of the night. Surely good deeds take away evil deeds. This is a reminder for the mindful.")

Besides taking away sins, the Prayers transfer man from the world of hate and strife to the peaceful moments of humility and fear in the eyes of God. The Five Prayers are like five spiritual meals of appeal to God, which illumine his heart, and take the praying one from earth to heaven. They enable man to ask the Only Creator, the Self-Sufficient, who answers the applicant who appeals to Him Who said : I divided the Prayer between Myself and My servant. The portion of My servant is that I answer him. So when he says in his Prayer : Praise be to God, the lord of the Worlds, I say : My servant praised Me. When he says : The Beneficent, the Merciful, I say : My servant exalted Me. When he says : The Owner of the Day of Judgment, I say : My servant glorified Me. When he says : We worship

man kind as it embellished life by providing man with a brilliant and superior idealogy which covers the entire field of human conditions. By this brilliant system of life the prophet Muhammad lifted up a nation sunk so low as were the Arabs and made of them, in a short period of time, torch-bearers of a high culture and a great civilization. This system could unify the discordant elements of a society into a harmonious nation.

The ideal life that Islam seeks man to pursue is an ideal of developing and growing of itself to satisfy his future needs. And it gives a new meaning to life and impels man to strive for the attainment of the highest spiritual values

This ideal should link man's everyday life with the life hereafter. The Holy Quran states :

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن إلى ربك المنتهى ،
(سورة النجم — ٣٩)

« And that man can have nothing but what he strives for ; And that his striving will be seen ; Then he will be rewarded for it with the

fullest reward ; And that to your lord is the Goal ».

And :

« فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

« So he who does an atom's weight of good, will see it ; And he who does an atom's weight of evil, will see it »

The Cardinal principle of Islamic faith is to believe in the existence of God and His Oneness. This belief creates in Soul of man Courage, bravery humanity, brotherhood and equality. This faith also creates in him will of power for he is not dismayed by misfortune nor despair. The believer in the oneness of God will have no fear from anybody and he knows that there is no harm and benefit except through Him, All authority and power are only to Him, He is the granter of mercy and prosperity, He is the owner of life and death. This belief, undoubtedly, will lead man to a stable, properious and happy life in this world and incite him to perfection and elevation, in order to attain the highest grade in the hereafter.

ISLAM AND LIFE

(1)

By : A. M. Mohiaddin Always

Islam is a complete System of life suited to all times and climes and acceptable to all those that dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adopt itself to the varying conditions of human life. Islam consists of faith to regulate man's relation with his Lord and Sustainer, as it consists of legislation to regulate human behaviour in the capacity of an individual, a society and a nation. Its legislation should take into consideration all the needs of the human society, individually and collectively and should regulate all kinds of human relations.

Islam calls man to follow his original nature as designed by God. The Quran mentions that the true religion is to follow the nature, in which Allah has created man.

The Quran Says :

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ . ذَلِكَ الدِّينُ الْقَیْمُ ،
وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . »
(سورة اٰزِوَء : الایة ۳۰)

«So set thy purpose for religion as a man by nature upright, the

nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's Creation. That is the right religion, but most man know not ». The Holy Quran stated that Islam is a perfect constitution and an excellent guidance to mankind in all walks of life :

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَیْكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ . »

« This is my way : leading straight ; follow it, and follow not other ways, they should scatter you from His - Straight - path ».

Islam sought to liberate the mind of man from doubt and superstition and it rid him of the fear and suspicion. It made plain to him that nature can be his friend and not his enemy. As it created new interests and avenues for man to exploit. In short, Islam is a progressive liberation movement which freed mankind from the ideological bankruptcy and the failure of equality. It offered spiritual food to a Spiritually starved

فلينظر الانسان إلى طعامه . أنا صبينا الماء صبا .
ثم شققنا الأرض شقاً . فأنبثنا فيها حباً وعنباً وقضباً .
وزيتوناً ونخلاً . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعاً
لكم ولأنعامكم .

"Let man consider his food (and how we provide it). We (first) pour forth water in abundance, then split the earth in clefts and cause to grow therein corn and grapes and nutritious plants and olives and dates and enclosed gardens of thick foliage and fodder, provision for you and for your cattle." (LXXX: 24 - 32).

• وأن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ،
من بين فرت ، ودم لبناً خالصاً سائماً للشاربين ،
ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ،
ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون : الآية)

"And verily in the cattle (too) there is a lesson for you. From within their bodies, between excretions and blood, We produce milk which is pure and agreeable to drink. And from the fruits of the date-palm and the vine you obtain both strong drink and good nourishment. Therein also is a sign for the intelligent. And (consider again,) thy Lord inspired the bee to dwell in the hills and in the trees and in the structures (men) put up, and then to suck the juice of all kinds of flowers and to follow the directions of its Lord till there issues from within its body a drink of diverse hues, wherein is healing for men. Verily, herein is a sign for those who reflect" (XVI : 66 - 69).

The argument can go on into infinity, for His mercy and the signs of Truth are infinite.

From an all-pervading Providence, the Quran proceeds directly to the unity of God. To whom can man bow in adoration and submission but to the Lord, Who cherishes and sustains the entire Universe and Whose limitless bounty and mercy one acknowledges with every beat of one's heart.

• يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو ،

"O mankind, reflect upon Allah's grace. Is there a creator other than Allah who gives you sustenance from the heavens and the earth ? No, there is no God but He" (XXXV: 3).

The argument naturally leads also to the need, for man, of a moral code, of revelation and of a messenger from God. It is not possible that the Lord, Who has provided every necessary thing for man's material well-being, should not also have provided a discipline and order for his spiritual sustenance and progress. The spirit has needs just as much as the body, and it cannot be that God should provide all the wherewithal for the development of the body but nothing for that of the spirit.⁽¹⁾

(1) The Quintessence of Islam.

proposition; his reason revolts against it, his nature strives for constructive belief and faith and, in so doing, can pass through but cannot dwell in the barren regions of doubt and disbelief.

The Qur'an's approach in this matter is not dialectical; it does not propound metaphysical these and frame logical arguments for them so as to compel an adversary to submission; it addresses itself always to man's natural instinct. According to the Qur'an, the sentiment of God worship is ingrained in human nature. If a man is inclined to turn away from it, it is but a laps on his part, and it is necessary to redirect his attention. Arguments will no doubt have to be used for this purpose but they must be such as will not merely create a ferment in his intellect and reason but will knock at the inner recesses of his heart and awaken his natural instinct. Once his instinct is awake and active, he will need no argument or sermon to take him to his goal.

« بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره . »

“Man's very existence is witness against himself, however he may seek excuses.” (LXXV : 14-15)

« قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت

ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فيقولون الله ، قل أفلا تتقون . »

(Who provides you with nourishment from the sky and the earth? who has power over your hearing and sight? And who brings out a living being out of a lifeless one and a lifeless being out of a living one? And who rules and regulates every thing (with Such discipline and order)? (X : 31).

« أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي . . . »

(Who created the heavens and the earth? Who sends down for you rain from the sky, then causes to grow orchards, full of beauty and delight, whose trees it is not in your power to cause to grow? Is there another God (to be worshiped) besides Allah? (But alas,) there are people who stray from the right path. Say then, who fixed the earth as an abode and ran rivers in its folds and for (giving) it (balance), placed firm mountains and erected a barrier between two waters (i.e. between oceans or between an ocean and a river)? Can there be any God other than Allah? And yet (alas,) there are many that know not) (XXVII:60-61)

and reason and were based, instead, on irrational dogmas. The Quran offered a rational conception for the worship of God.

- 2— The call of the Quran is basically addressed to intelligent understanding and rational reflection; it particularly invites man to look carefully at everything in the universe and to reflect upon it.
- 3— If man will use his powers of understanding and reflection he will realise that everything in the universe has been created with a particular purpose and that it is related to the rest of the universe under a superior discipline and order.
- 4— Once man begins so to reflect on the purposefulness of creation, the scales will drop from his eyes, his mind will shed ignorance, and the path to Truth will unfold itself before him.

Of all the manifestations of nature, the Quran has drawn mostly, for its argument, on the spirit and power of a Supreme Nourisher and Sustainer, which is evident in the organisation of the universe as a whole, in every separate nook and corner and in every single being within it. That the universe should so function that everything in it assists in the fundamental function of sustaining

and continuing life, that everything that happens should prove to be a life giving force and, finally, that there should be evident an inherent organisation which takes into account every possible state and circumstance and makes every necessary adjustment cannot but instill in the instinct of man the assurance that there must be a Lord and Sustainer of the Universe. Otherwise such a perfect and flawless organisation for the sustenance and continuance of life in a wholly intelligent and ordered manner could not be possible.

Could such a universe come into existence by itself without any purpose, will or life force behind it? It is blind nature, lifeless matter and senseless electrons which have made this perfectly conceived and organised universe, without there being any intelligent will behind it? Can it be that the function of nourishment and sustenance is performed without anyone to perform it, that there is a vast, complicated edifice but no architect, that things damaged are set right again without a repairer, that there are manifestations of mercy but no merciful being, that there are evident signs of intelligence, and wisdom without there being a wise intelligence, that there is an organisation without an organiser, a drawing without an artist, a deed without a doer? Man's instinct refuses to accept such a

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

DHU'L-HIJAH

1384

ENGLISH SECTION

EDITED BY :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

A P R I L

1965

THE QUR'ANIC CONCEPTION OF GOD-IV

By : MOULANA ABUL KALAM AZAD

This doctrine of purposeful creation is applied to, among others, the law of reward and Punishment. Everything carries with it a particular effect or result, and all such effects or results are immutable. So must it be with man's actions; they too lead to their due results, good or bad, which cannot be avoided. The law of nature which distinguishes between good and bad in everything else cannot ignore man's Conduct.

« أم حسب الذين أخرجوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم ،
ساء ما يحكون . وخلق الله السموات والأرض بالحق
وستجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . »

(Do they who do evil think that we shall make them as (equal to) those who believe and who do good, equal to them in life and

death ? (If So,) bad is their judgment. And God has created the heavens and the earth justly, So that every Soul Should be given a return according to what it has earned. And no injustice shall be done to any one.) (XL V : 21-22).

So it is with life after death. Everything in the universe has a purpose and an end, and it must necessarily be so with human existence also. It cannot be that man, "God's finest handiwork", was created just to live for a brief while and then be destroyed altogether.

The following, in brief, is the argument of the Quran :

1— When the Quran was revealed, the current conceptions of God and systems of faith and worship were untouched by intellect

